شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة مكة المكرمة

مخطوطة

حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي

المؤلف

محمد بن مصطفى (شيخ زاده)

الملاحظات

- أصل هذه النسخة في مكتبة مكة المكرمة.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يا كبكب احفظ الورق
بدوح
٨٦٤٢
١٩٧٠

١٣٣٤
ملك محمد بن عبد الله بالشراء الصحيح

سورة الاعراف ١
سورة الانفال ٨٠
سورة التوبة ١١٢
سورة يونس ١٦١
سورة هود ١٩٦
سورة يوسف ٢٤١
سورة الرعد ٢٦٧
سورة ابراهيم ٢٠٠
سورة حجر ٢٢٣
سورة النحل ٢٤٥
سورة اسرى ٢٩٢
سورة كهف ٤٣٥
سورة مريم ٤٦٧

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سورة اعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

المص

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد خاتم
النبيين وعلى آله واصحابه اجمعين اما بعد فهذا اوان الشروع لكشف مرموزات
سيد المفسرين وقدوة المحققين ناصر الدين البيضاوي تغمده الله تعالى
برحمته الواسعة واسكنه في ارفع منازل الجنة العالية مع الصديقين وعباده
المقربين آمين يارب العالمين المتعلقة بسورة الاعراف قوله سبق الكلام
في مثله قد اختار فيما سبق ان الحروف المقطعة المذكورة في اوايل السور على نمط
التعداد في محل الرفع على انها مبتدا احذف خبره او خبر مبتدا محذوف لكونها مقدرة
بالمؤلف من هذه الحروف والتقدير هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف التي هي
عنصر كلامكم التي تركبون منها كلامكم والمؤلف منها هو المتحدى به المطلوب منكم اتيانه
اقصر سورة منه ومجز بكم عن ذلك مجز ابتينا كما قال هو قل لو اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وهذا الاعجاز
حجة واضحة على انه كلام رب العالمين انزله هدى للناس ليهتدوا به ويفوزوا بسعادة
الدارين وعلى ان من اوحي اليه هذا الكلام المجيد رسول كريم اجتباه الله تعالى للنبوة
والرسالة وصدقه في دعوى الرسالة بانزال هذا الكتاب الكريم والقرآن العظيم
عليه فطوبى لمن صدقه وآمن به وسلك سبيله واتبع سنته وويل لمن كذبه وعصاه
فالمقصود من افتتاح السور بهذه الحروف تقدمه دليل اعجازه لتحرك نشاط التسامع
والتالي على تعظيمها وقبول ما فيها والانعطاف به فلما كان المص جملة مستقلة كان قوله
كتاب جملة اخرى حذف منها المبتدا وهو الضمير الراجع الى المؤلف من الحروف المذكورة ثم
جوز ان يكون المص اسما للسورة او القرآن ويكون في محل الرفع على الابتداء ويكون
كتاب خبره قوله فلا يكن جعل لفظ الحرج مجازا عن الشك على طريق تسمية الشئ باسم لازمه فان الحرج
الضرر وضيقه من لوازم الشك واللفظ المستعمل في الملزوم مع عدم امكان ارادة المعنى الاصلي
مجاز ولا يمكن ههنا ارادة حقيقة الحرج والضيق اذ لا معنى لتحرج القلب عن نفس الكتاب
ومن نفس انزاله ومن نفس استناد انزاله الى الله تعالى لان كل واحد من ذلك يتمثل في القلب
ويرتسم فيه وانما المتصور ان يتحرج القلب عن التيقن والجزم بكونه منزلا من عند الله

فان الشاك في الحكم لا يستقر في قلبه احد طرفي النسبة فيطبق قلبه عنه وكلمة من في قوله منه
سببية اي لا يكون في قلبك حرج بسببه وضمير منه راجع الى الانزال المستفاد من انزل
المدلول عليه بقوله انزلناه قوله او صبق الصدر عطف على قوله شك اي ويحتمل ان يكون
الحرج مستعملا في اصل معناه بان يقدر المضاف في منه اي فلا يكون في صدرك حرج من تبليغه
وكن على ثقة بان الله يعوذك كذلك يضيق القلب عن ان يستقر فيه بعض المدركات
فنهي عن ان يضيق قلبه عن ان يستقر فيه تمكنه من التبليغ تهييجا لهمته والهابا لعزيمته
على التبليغ فان ساحة صدره اعم بمراحل من ان يضيق عنه فيحتاج الى النهي عنه قوله
وتوجيه النهي اليه مع ان الحرج ليس مما يؤمر بنهيه بان يكون في الصدر او لا يكون لان الامر
والنهي انما يتعلقان بمن له شعور وعزيمة على الفعل والترك والحرج ليس من هذا القبيل
الا انه لما قصد المبالغة في نهي المخاطب عن كونه في حرج عبر عن نهيه بنهي الحرج عن ان يكون
في صدر المخاطب لان كون المخاطب في حرج يستلزم كون الحرج في صدره فكني بذكر اللازم عن
الملزوم لكون الكناية ابلغ من الصريح فان قولك لا ارينك ههنا ابلغ من ان تقال لا تحضر
عندي لان عدم حضوره عندك يستلزم عدم رؤيتك اياه فكني بذكر اللازم عن الملزوم
لان كون اللازم منتهيا عنه بمنزلة البينة الشاهدة على كون الملزوم منتهيا عنه ولا شك
ان اثبات الشئ بالبينة ابلغ من مجرد اثباته قوله والتاء لجعل العطف واخلوا الجملتين
خبرا وانشاء لفظا ومعنى يوجب كمال الانقطاع بينهما فلا يجوز عطف احديهما على الاخرى
فلا بد ان يؤول جملة لا يكن حرج بالاخبار على معنى فلا ينبغي ان يكون حرج او يؤول جملة
انزل اليك بالانشاء على معنى بتيقن بانزاله اليك من ربك فلا يكن في صدرك حرج وقوله في
تصوير الشرط المقدر اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك اشارة الى ان جملة النهي وقعت
معترضة بين العلة وهي الانذار ومعلولها الانزال ومعلولها وحقها ان تتاخر عن قوله
لتنذر لان النهي عن التحرج مرتب على كون الكتاب منزلا للانذار لا انها قدمت عليه لتنبيهها
على انه ينبغي ان ينفي الحرج عن صدره اولا ثم يشتغل بالانذار فقدم للاهتمام به لكون الاهتمام
اقدم ووجه كون النهي مرتبا على قوله انزل اليك لتنذر ان الكتاب لما كان منزلا اليه من عند
الله وكان الانذار به ينبغي ان لا يشك في حصول هذا المقصود والذي هو الانذار والتذكير ولا
في قلبه انه هل يتأتى منه هذا المطلوب ام لا لانه تعالى لما انزل اليه هذا الكتاب العظيم الشأن

لينذر به علم قطعا انه يحفظه وينصره ومن يحفظه الله وينصره فلن يغلب عليه احد بل يقدر
على ايقاع مطلوبه سالما عن المعارض قوله لانه اذا ابين بانه منزل من عند الله اليه بيان لوجه
كون اللام متعلقة بقوله لا يكبن يعني ان كان للحزن بمعنى الشكى وكان قوله لتنذر به متعلقا بلا يكبن
يكون المعنى لا تشكى لكون هذا الكتاب العظيم الشان منزلا من عند الله تعالى ليشتجعك هذا
البين على الانذار وكذا ان كان بمعنى ضيق القلب عن ان يحصل فيه النفقة والاعتماد على تبليغه
مخافة ان يكذب فيه او يقصر في القيام بحقوقه وتعلقت اللام بلا يكبن يكون المعنى لا تخف من
تكذيبهم اياك او من ان تقصر في التبليغ ليشتجعك عدم الخوف المذكور على الانذار قوله حطفا
على محل لتنذر فان الفعل فيه منصوب بان المضمرة بعد لام كي فينسبك منه مع المصدر فكانه
قيل للانذار والتذكير فان ذكرى اسم مصدر بمعنى التذكير ثم انه تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه
وسلم بالتبليغ والانذار امر الامة بمتابعته وقبول ما انزل اليه فقال لهم اتبعوا ما انزل
اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اي من دون ربكم اولياء من شياطين الجن والانس
فيضلوكم عن دين الله ويحملوكم على عبادة الاوثان واتباع الاهواء والبدع او من دون
ما انزل اليكم اي من دون دين الله دين اولياء قوله وقرئ ولا تبتغوا بالغين المعجمة
من الابتغاء كقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا قوله اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا يعني ان
قليلا منصوب بتذكرون اما على انه صفة مصدر محذوف او ظرفه المحذوف قوله او جعلت
مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون لان معمول المصدر لا يتقدم عليه عملا بدا ان يكون قليلا
صفة زمان محذوف وذلك الزمان المحذوف في محل الرفع على انه خبر مقدم وما المصدرية مع ما
بعدها في تاويل المصدر المرفوع على انه مبتدا مؤخر والتقدير زمانا قليلا تذكركم اي لا يقع
تذكرهم الا في بعض الاحيان قوله وقرا حمزة على بعض انهم قرؤا تتابا واصله
اصله تتذكرون فحذفت احدى التائين دفعا للثقل المتكرر وقراءة ابن عامر يتذكرون
بالتحتانية بعد الياء التفعل على انه خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بان هؤلاء الذين ذكروا
بالخطاب السابق قليلا ما يتذكرون والباقون قرؤا تتابا واحد وتشديد الذال بادغام
تاء التفعل فيها لان التاء مهموسة والذال مجهورة والمجهور ازيد صوتا من المهموس
فحسن ادغام الانقص في الازيد ثم انه لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالانذار والتبليغ
وامر القوم بالقبول والاتعاظ ذكر بعدها في تركه المتابعة من الوعيد فقال وكم من قرية الآية

وكم فيه خبرية للتكثير وفسرها المصنف بقوله وكثيرا المنصوب اشارة الى انها في موضع النصب على
الاشتغال باضمار فعل يفسره ما بعده ولا بد ان يقدر الفعل متاخرا عن كم لان لها صدر الكلام
والتقدير وكم من قرية اهلكناها اهلكناها وجعل كم في محل الرفع على الابتداء وجعلت الجملة بعدها
خبرها لكان له وجه ليكون التقدير وكثير من القرى اهلكناها ثم انه قدر امرين احدهما الارادة لدلالة
قوله فجاءها باسنا عليه تقديرا اذ لو لم تقدر لزم ان يكون مجيء البأس بعد الاهلاك وعقيبه
وليس كذلك بل الامر بالعكس وتقدير الارادة شايع عند قيام قرينة تدل عليها تقديرا كما في
قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا واذا قرأت القرآن فاستعذ وقولك اذا دخل احدكم
الخلا فليسم الله تعالى وثانيهما الاهلاك والبأس والبيات
والقيلولة لا يليق الا باهل القرية لان التحذير والابعاد لا يكون الا لمن له شعور من المكلفين
قوله واهلكناها بالخذلان توجيه ان لعطف قوله فجاءها على اهلكناها بالفاء التعقيبية
وتقرير ان الاهلاك عبارة عن الخذلان لان الخذلان وعدم التوفيق سبب للهلاك
فعبر بالمسبب عن سببه والمعنى خذلناهم ولم يوفقهم فجاءهم الهلاك والعذاب قوله البيات
مصدر بمعنى بات يبيت بيتا وبياتا وبيتوتة اذا دخل في الليل قال الازهري البيتوتة
الاستراحة بالليل والقيلولة الاستراحة في نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم وقيل هي نومة
نصف النهار وقوله واصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا يؤيد قول الازهري لان الجنة
لا نوم فيها وكلمة او في قوله تعالى او هم قائلون للتنويع كانه قيل اتاهم باسنا ليلا كقوم لوط
وتارة وقت القيلولة كقوم شعيب ومعنى الآية انهم جاءهم باسنا وهم غير متوقعين له اما
ليلا وهم نائمون او نهارا وهم قائلون قوله وفي التعبير بن احدهما التعبير عن الاعيان
بلفظ المصدر وجعلهم نفس البيات وثانيهما التعبير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات
قوله اي دعاؤهم فان الدعوى قد يجيء بمعنى الدعاء والتضرع قال تعالى فما زالت تلك دعواهم
والمعنى ان وقت مجيء البأس انما هو وقت الدعاء والتضرع الا انهم لا يدعون في ذلك الوقت
ولم يكن دعاؤهم ربهم في ذلك الوقت الا هذا القول الدال على اعترافهم بظلم انفسهم
فيما كانوا عليه لعلمهم بان ليس الحين حين دعاء وقد يجيء بمعنى الاستغاثة ومنه قول العرب
دعواهم يا كعب اي استغاثتهم فان اللام في لكعب لام الاستغاثة ووجه مناسبة
هذا المعنى بهذا المقام انهم كانوا يستغيثون من الله تعالى بتوسيط الاصنام بينهم وبين الله

فلما جاءهم بأس الله ما كان استغاثتهم الا قولهم انا كنا ظالمين فى استغاثتنا من الاصنام لعلمهم بانه لا يستغاث من الله تعالى بغيره وقد يجئ بمعنى الادعاء وهو المتعارف من معناه ويكون المصدر حينئذ بمعنى المفعول اى ما كانوا يدعونه من دينهم ويتدينون وقت نزول العذاب الا اعترافهم ببطلانه وضياعه والمعنى ما كان حاصل دينهم ومذهبهم الذى كانوا عليه الا الاعتراف ببطلانه ثم انه لما هدد من ترك متابعة ما انزله الله تعالى من القرآن والسنة بقوله وكم من قرية اهلكناها اى فى الدنيا باتى انزلنا عليهم بأسنا بيانا منهم وغفلتهم عن نزوله اتبعه بنوع آخر من التهديد وهو انه تعالى يسأله الكل عن كيفية اعمالهم يوم القيمة فقال فلنسألن الذين ارسل اليهم والقايم مقام فاعل ارسل هو الجار والمجرور فيكون فى محل الرفع بالسناد اليه ارسل اليه قوله والمراد بهذا السؤال جواب عما يقال ان السؤال يكون للاستخبار والاستعلام وهو تعالى منزه عن ذلك فما فايدة هذا السؤال وتقرير الجواب ان السؤال كما يكون لاجل الاستعلام والاستفادة يكون ايضا لاجل التوبيخ والتقريع والمراد بهذا السؤال هو الثانى فيسأل المرسل اليهم بان يقال لهم ماذا اجبتم المرسلين ويسأل الرسل بان يقال لهم ماذا اجبتم به ليظهر تقصير الامم ومخالفتهم الرسل ويظهر عدم تقصير الرسل فى تبليغ ما حملوه من الرسالة فتضاعف ثواب الرسل عند الله تعالى كما يتضاعف عذاب الكفرة وفضاحتهم وظهر بهذا الجواب وجه التوفيق بين هذه الآية وبين قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون وقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وهو ان المنفى سؤال الاستعلام والمثبت بهذه الآية هو سؤال التقريع والتوبيخ ووجه التوفيق ان يوم القيمة يوم طويل وفيه مواقف كثيرة وانهم لا يسألون عن اعمالهم فى موقف الحساب لان كتبهم وجوارحهم تبين جميع ذلك وكفتهم يسألون فى بعض مواقف العذاب عن الدواعى التى دعتهم الى المعاصى عن الصوارف التى صرفتهم عن الطاعة زيادة لهم فى عقوبتهم وتقريعا لهم قوله على الرسل يعنى يحتمل ان يكون قوله فلنقصن متفرعا على سؤال المرسلين عن اجابوا بتبليغ العلم عن انفسهم وان يكون متفرعا على سؤال الفريقين من المرسلين اليهم والمعنى فلنخبرنهم ولنبينن لهم ما اسروه وما اعلنوه من اعمالهم ونبين الدواعى التى اقدموا لاجلها على تلك الاعمال ونجوز ان يكون الاخبار والتبيين بتكليم جوارحهم او بعرض صحايف اعمالهم عليهم وقوله بعلم حال من فاعل

نقصن والباء فى للمصاحبة اى لنقصن عليهم حال كوننا ملتبسين بعلم ثم اكد هذا المعنى بقوله وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم ويحتمل ان يكون العلم بمعنى المعلوم ويكون الباء صلة نقصن اى فلنقصن بمعلوماتنا منهم كائنة قبل فلنخبرنهم بما علمنا منهم قوله والوزن اى القضاء نقل محى السنة عن مجاهد انه قال فى تفسير قوله تعالى والوزن يومئذ الحق والقضاء يومئذ العدل فالمعنى والقضاء العدل واقع يوم نسأل الله الامم ورسلهم لا فى ايام الدنيا فان الحاكم فى ذلك اليوم ليس الا الله عز وجل ولا يحكم الا بالحق والعدل على ان قوله والوزن مبتدا والحق صفته ويومئذ خبره وجاز الفصل بين الموصوف والصفة بالخبر لكونه ظرفا والظرف مما يتسع فيه وجوز ان يكون الحق مبتدا محذوف بتقدير هو الحق على ان يكون هو الحق استيناف اجوابا لمن يقول ما حال القضاء الواقع فى ذلك اليوم قوله ومعناه اى معنى الحق الذى هو صفة لوزن الاعمال ومقابلتها بالجزاء كون ذلك الوزن عدلا سويا بما يوازنه من الجزاء ولم يلتفت الى احتمال ان يكون الوزن مبتدا والحق خبره ويكون يومئذ ظرفا للمبتدا لان التركيب يفيد حينئذ ان ينحصر الحق فى الوزن فى ذلك اليوم كما اذا قلت زيد الشجاع اى لا غير وليس المعنى ان الوزن فى ذلك اليوم هو الحق لا غير والوزن جعل الشئ على قدر غيره بالميزان الذى هو آلة الوزن عبر عن القضاء العدل بالوزن تشبيها له بالوزن من حيث اشتماله على جعل الحكم على قدر استحقاق المقضى له او عليه عن مجاهد انه قال الوزن فى الآخرة العدل وعن الحسن ان ميزان الآخرة لها كفتان وان الحسنات والسيئات توضعان فيها ليظهر ايتهما يثقل على الآخر فيظهر به العدل وتنقطع المعذرة كما يسألون عن اعمالها لتقترن بها الشهادة وتشهد بها جوارحهم وعامة المفسرين على ان المراد بهذا الوزن وزن اعمال العباد الا ان الاعمال لما كانت اعراضا لا تبقى زمانين فلا يمكن وزنها اختلفوا فى كيفية وزنها فقال بعضهم توزن صحايف الاعمال وقيل توزن الاشخاص وقيل توزن الاعمال بان يؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع فى الميزان روى اذا خفت حسنات المؤمن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كما نملة فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته فترجح فيقول ذلك العبد المؤمن للنبى صلى الله عليه وسلم بابى انت وامى ما احسن وجهك واحسن خلقك فمن انت فيقول انا نبيك محمد وهذه صلواتك التى كنت تصلى علىّ وقد وفيتك اخرج ما تكون اليها رواه الواحدى فى البسيط كذا فى اللباب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والبطاقة رقيعة توضع في الثوب تكتب فيها رقم عن الثوب وما ذكره المص من ان يخرج له بطاقة
فيه كلمتا الشهادة هو قول ابن عباس رضي الله عنهما عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال لعمر بن
الخطاب في وصيته حين حضره الموت انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم
الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق خفيفا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين
من خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه
الباطل خفيفا ان يكون خفيفا والايمان بحقية الوزن يوم القيمة من فرائض الاسلام الا انا نكل العلم
بكيفية الوزن وصفة الميزان اليه تعالى قوله موازينه حسنات على ان الموازين جمع موزون
وهي الاعمال التي لها وزن واعتبار لا جمع ميزان الذي هي آلة الوزن ولما تعددت الموزونات
جمع لفظ الموازين وقوله او ما يوزن به حسنات على ان يكون الموازين جمع ميزان وجمعه مع
ان لكل انسان له ميزان واحد تخصه لتعدده باعتبار اختلاف الموزونات الحالة فيه
وباعتبار تعدد الوزن به لان الظاهر ان يوزن افعال القلوب مرة وافعال الجوارح مرة
وما يتعلق بالاقوال مرة فقوله فهو جمع موزون او ميزان من قبيل اللف والنشر المرتب
قوله فيكذبون بدل التصديق اشارة الى ان المراد بمن خفت موازينه الكافر ويدل عليه قوله
تعالى فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون اذ لا معنى لكون الانسان
ظالما بآيات الله الا كونه كافرا بها منكرا لها بدل الايمان والاقرار بها قوله تعالى بما كانوا
متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون قدم عليه رعاية للفاصلة وعدي
يظلمون بالباء اما لتضمنه معنى التكذيب نحو كذبوا بآياتنا واما لتضمنه معنى الجحد نحو كفر
وجحدوا بها ثم انه تعالى لما امر كفار قريش باتباع ما انزل اليهم من ربهم وخوفهم بعذاب
الدنيا بقوله وكم من قرية اهلكناها وبعذاب الآخرة بان اقسم على انه ليسألن
الرسل والمرسل اليهم وليقصصن بينهم بالعدل رغبهم في اتباع الحق ما كلفوا به بطريق
آخر وهو ان بين لهم كثرة نعم عليهم ليتنبهوا ويشتغلوا بها عليهم فان كثرة النعم
تدعوا الى شكر المنعم فقال ولقد مكناكم في الارض والمراد من تمكينهم فيها اقدارهم
من سكناها وزرعها والتصرف فيها على اي وجه شاؤا والظاهر ان قوله وجعلنا بمعنى
خلقنا فيتعدى الى واحد وهو معايش وقوله لكم فيها يتعلقان بالجعل او بمحذوف حالا من
معايش لانها لو تأخرا لجاز ان يكونا وصفين له ويجوز ان يكون بمعنى صيرنا فيتعدى الى اثنين

اولها

اولهما معايش وثانيهما احد الجارين والآخر اما حال فيتعلق بمحذوف واما متعلق بنفس
الجعل وهو الظاهر ومعايش جمع معيشة وهي اسم لما يتوصل به الى العيش وهو الحياة
وهي في الاصل مصدر لعاش يعيش عيشا وعيشة ومعيشة ومعاشا ثم جعل اسما لما يعاش به
والخطاب لقريش فانه تعالى فضلهم على العرب بان مكنهم من الرحلة الى الشام اوان الصيف
ومن الرحلة الى اليمن اوان الشتاء آمنين بسبب كونهم سكان حرم الله تعالى ومجاوري
بيته الشريف ويتخطف الناس من حولهم فيتجرون بتينك الرحلتين ويكسبون ما يكون
سببا لحيوتهم من المآكل والمشارب والملابس وغيرها وقراءة العامة معايش بصريح الياء
وعن نافع انه همز وقلب الياء الواقعة بعد الف الجمع همزة مخالفا لما ذكره النحاة من ان
الياء الواقعة بعد الف الجمع لا تهمز الا اذا كانت زائدة كياء صحايف ومدارين وياء معايش
اصلية لانها جمع معيشة زيدت عليها الف الجمع فبقيت الياء على حالها فكان القياس ان
لا تهمز الا انها شبهت الياء الاصلية بالزائدة فهمزت كما تهمز الزائدة فقيل معائش
كما قيل صحايف ومدارين ثم انه تعالى لما ذكر كيفية نعمه عليهم وكمها عقبه بقوله الشاكرا تتبعه بذكر نعمة
اخرى شاملة لجميع اولاد آدم عم من المؤمنين والكفار وهي انه خلق اباهم آدم من طين
غير مصور ثم صوره وجعله مسجودا للملائكة والانعام على الاب يجري مجرى الانعام على الاولاد
لما دل قوله ولقد خلقناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم بعد قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم على انه تعالى
امر الملائكة بالسجود لآدم بعد ان خلق بني آدم وصورهم وليس كذلك لانه انما امرهم
بانه يسجد له حين ما سواه ونفخ فيه من روحه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من
روحي فقعوا له ساجدين فسر الكلام على وجه لا يرد عليه الاشكال وهو ان ثم في الموضعين
للتراخي الزماني اما في الاول فلان تصوير آدم بصورته المخصوصة متأخرا زمانا عن خلقه
طينا غير مصور واما في الثاني فلان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ليس المراد به خلق اولاد
آدم وتصويرهم حتى يرد الاشكال المذكور بل المراد به خلق نفس آدم وتصويره الا
انه عبر عن خلق نفس آدم وتصويره بخلق الكل وتصويرهم تنزيلا لخلقه وتصويرهم
من حيث ان المقصود من خلقه وتصويره تعمير الارض باولاده فكان خلقه بمنزلة خلق
اولاده فلذلك عبر خلقه بخلق الكل فعلى هذا يكون قوله ولقد خلقناكم من قبيل الاسناد
المجازي حيث جعل الخلق متعلقا بالكل مع ان متعلقه الحقيقي نفس آدم للملابسة بينهما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من حيث ان المقصود من خلقه خلق الكل و تعمير الارض بهم وعلى قوله او ابتداءا
خلقكم ثم تصويركم يكون المجاز في المؤدلان المتبادر من خلق المخلوق احداثه وايجاده
بتمامه وقد استعمل في الملابسة بايجاد مبدائيه المؤدي الى ايجاده بتمامه فعبر عن
الشروع في خلق المخاطبين بان خلق آدم ثم صوره باتمام خلقهم ثم تصويرهم
على طريق المجاز المرسل حيث عبر عن مبداء الشئ باسم ذلك الشئ فقيل خلقناكم
والمراد شرعنا في خلقكم بخلق آدم وعلى التقديرين يكون امر الملائكة
بالسجود لآدم متأخرا بالزمان عن خلق نفس آدم لا عن خلق اولاده فيندفع
الاشكال ثم اشار الى اندفاع بوجه ثالث وهو ان لا يكون كلمة ثم للترتيب في الزمان
بان يكون للترتيب في الاخبار ذكرهم اولا اما انعم عليهم بخلقهم اولا نطفا في
اصلاب آبائهم ثم تصويرهم في ارحام امهاتهم ثم ذكرهم ما انعم عليهم بجعل
ابيهم مسجود الملائكة فلما كانت كلمة ثم في قوله ثم قلنا للترتيب في الاخبار اندفع
الاشكال المذكور ولم يرض بهذا الجواب لان حمل كلمة ثم على الترتيب في الاخبار انما
يصار اليه اذا تعذر حملها على معناها وهو كونها للترتيب في الزمان ولم يتعذر
ذلك ههنا لما ذكره من الوجهين الاولين والسجود في اللغة هو التذلل مع التطامن
والانحطاط وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور في الآية اما السجود
بالمعنى الشرعي فيكون المسجود له حقيقة هو الله تعالى لانه هو المعبود ويكون آدم قبلة
لهم في سجودهم لله تعالى تفخيما لشانه واما السجود بالمعنى اللغوي وهو التواضع لآدم
تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له وعلى التقديرين فالآية تدل على ان آدم افضل
من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا
لما كان مأمورا بالسجود حين أمرت الملائكة بالسجود لآدم ولما صح استثناؤه منهم
ثم ان المأمورون بالسجود هم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل
ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض
اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر
والجبال ولا يرد كونه من الملائكة قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان
من الجن فعلا ومن الملائكة حقيقة ولما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان من الملائكة ضربا

يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس وكان الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملائكة
لانه خلق من نار والملائكة من نور لا يستكبرون عن عبادته ولا يعصون ولا كذلك ابليس
فانه فسق واستكبر والملائكة ليسوا من الجن وابليس كان من الجن والملائكة رسل الله
تعالى وابليس ليس كذلك وابليس اول خليقة من طائفة الجن وابوهم كما ان آدم اول خليقة
من طائفة الانس وابوهم وابليس له ذرية والملائكة لا ذرية لهم الا انه امر بالسجود لآدم
حين امر الملائكة بذلك مع انه ليس منهم نباء على انه وان كان جنسيا الا انه نشأ بين اظهر
الملائكة نباء على ان الملائكة الذين حاربوا الجن سبتهوه من الجن وهو صغير وكان يعبد
معهم وهو اطويلا فعد منهم تغليبا لهم عليه فلذلك تناوله الامر بالسجود لآدم ويحتمل
ان يكون الجن ايضا مأمورين بالسجود لآدم مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن
ذكرهم بناء على العلم بان الاكابر اذا كانوا مأمورين بالتواضع لاحد يكون الاصاغر
ايضا مأمورين بالسجود من القبيلين الا ابليس قوله ولا صلة اى مزيدة لتاكيد
السجود الذي دخلت هي عليه وتحقيقه كانه قيل ما منعك ان تحقق السجود الذي امرت به
وتوقعه على اتم ما يكون اذ امرتك اي وقت امرتك به وجعله صلة لانها اذا لم تكن صلة
تكون المعنى اي شئ منعك من ترك السجود وهذا المعنى ليس بمقصود اي شئ منعك
من السجود مع تحقق ما يوجب ذلك وكون لا صلة كثير في القرآن كقوله لا اقسم على ما قبل
وقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون وقوله ليلا يعلم اهل الكتاب
قوله اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور وذلك لانه تعالى ذم ابليس
على ترك ما امر به والامر لو لم يفد الوجوب لما كان مجرد ترك المأمور به موجبا للذم ولانه
تعالى ذم ابليس على تركه السجود حين ما امر به ولو لا ان الامر لا يوجب الا متثال على الفور
لما استوجب الذم بتركه السجود حال الامر به قوله جواب من حيث المعنى لا من حيث اللفظ
لان جواب ما منعك ان يقال منعني كذا الا ان ما استأنف به من الاخبار بفضله على آدم
بناء على شرف عنصره بالنسبة الى عنصر آدم بنهم منه ما يكون جوابا لقوله ما منعك كانه
قال الذي منعني من السجود هو اني افضل منه لان اصلي وعنصري نار واصل ادم طين
والنار افضل من الطين وشرف الاصل يوجب شرف ما تفرع منه وكون الاشرف مأمورا
بالتواضع للادون قبيح في العقول جعل اللعين عنصر النار افضل من الطين نظرا الى ان النار

مشرقة علوي لطيف حفيف حار يابس مجاور لجوهر السموات والطين مظلم سفلي كثيف
ثقيل بارد يابس بعيد عن مجاورة السموات فهذه شبهة ابليس فيما زعم من تفضيل
نفسه على آدم وامتناعه عن امتثال امر الله تع وقد اخطأ في زعمه ولم يعلم
ان الفضل الى لما فضله الله تع وقد فضل الطين على النار من وجوه منها ان جوهر
الطين يقتضي الرزانة والوقار والحلم والصبر وهو الداعي لادم بعد ما أبتلي به
من الحظيئة والنسيان الى التوبة والتواضع والتضرع فاورثه ذلك الاجتباء والهداية
وقبول التوبة بخلاف جوهر النار فانه يقتضي الخفة والطيش والحدة والارتفاع
وهو الذي دعا ابليس الى الاستكبار والطيش عن الحق والامتناع من امتثال امر
الله تع وطاعته والاصرار عليه فاورثه ذلك اللعنة والشقاوة الابدية ومنها
ان التراب سبب لحبوب الاشجار والنبات والنار سبب لهلاكها ومنها ان التراب
يكون فيه ومنه ارزاق الحيوانات واقواتها ولباس العباد وزينتهم والات
ومعايشهم ومساكنهم والنار لا يكون فيها شئ من ذلك وايضا النار وان حصل
بها بعض المنفعة فالشر كامن فيها واما التراب فالخير والبركة كامنة فيه كلما قلب
ظهرت بركته وخيره فاين احدهما من الآخر وايضا فالله تعالى اكثر ذكر الارض
في كتابه الكريم والاموات ودعى عباده الى التفكر فيها والنظر في عجايب ما اودع
فيها ولم يذكر النار الا في معرض العقوبة والتخويف ولم يذكرها بالبيان نفعها
الا في موضعين ذكرها في موضع بانها تذكرة للنار الآخرة وبانها متاع للمقوين اي
المسافرين النازلين في القواء وهي للارض الخالية اذا نزل المسافر فيها يتمتع بالنار
في منزلة فاين هذا من اوصاف الارض ومنافعها وما اودع فيها من المعادن والانهار
والثمرات والحبوب والاقوات واصناف الحيوان والنبات وغير ذلك من المنافع
التي لم يودع شئ منها في النار واما قوله من كانت مادته افضل فهو افضل فالجواب
عنه ان فضيلة الاصل والمادة لا يستلزم فضيلة الفرع والصورة كما ان رداءة
الاصل لا يستلزم رداءة الفرع وانما الفضيلة لمن فضله الله الا ترى انه تع يخرج الحي
من الميت ويخرج الميت من الحي ويخرج الجاهل من العالم والعالم من الجاهل والكافر من المؤمن
والمؤمن من الكافر والنور من الظلمة كما في الزناد والظلمة من النور والفضيلة انما هي

لمن اطاع ربه

لمن اطاع ربه ولو كان عبدا حبشيا والخيانة والخفارة لمن عصى ربه ولو كان شريفا
قريشيا ومن وجوه فضيلة آدم انه تع سواه بغير واسطة ملك وصوره بان نفخ فيه
روحا مشرفا بالاضافة اليه وجعل الغاية المترتبة على خلقه اختصاصه وتميزه بفضيلة
العلم حيث علمه الاسماء كلها وجعله معلم الملائكة ولذلك امر الملائكة بان يسجدوا
له اعترافا بفضله عليهم قوله وهو ملاكه اي ما يكون له من الفضل باعتبار الغاية
ومن اختصاصه بمزية العلم وشرفه ملاك امر الفضل ومناط ملاكه الامر ملاكه بفتح
الميم وكسرها ما يبتنى عليه الامر ويقوم به قوله والاية دليل الكون والفساد اي تدل
على ان كون المواليد الثلاث من العناصر وفسادها من حيث انها دلت على تكون ابليس
من عنصر النار وتكون آدم من عنصر التراب فدل ذلك على ان كل واحد منهما اجسام
متكونة من العناصر الا انه دليل ضعيف واما ان ظنية لان الآية انما تدل على ان مبداء
خلقة آدم هو التراب ومبداء خلقة ابليس هو النار ولا يلزم منه ان يكون العناصر
الاربعة مادة تكون الانسان بل مادة تكون جميع المواليد الثلاث على الوجه الذي
يدعيه ارباب الفلسفة فان الظاهر ان الآية لا تدل عليه والمص ايضا لا يجزم بذلك
كما يدل عليه عبارته لعل في قوله ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان
الى النار باعتبار الجزء الغالب قوله من السماء والجنة روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان ضميرهما يعود الى الجنة لانه من سكانها وكانوا في جنة عدن لا في جنة
الخلد وفيها خلق آدم وقيل يعود الى السماء لما روي عن ابن عباس انه وسوس اليها
وهو في السماء ولا يبعد ان يوسوس اليها وهما في الجنة وهو نفسه في السماء
لانه ممكنه واقدر من ان يوسوس وهو في مكان معين الى الجماعات المتفرقة في اقطار
الارض وجوانبها فجازله ان يوسوس وهو في الارض او في السماء الى من في الجنة بما جعل
الله تع له من القوة على ذلك فقوله تع فاهبط منها معناه انزل من السماء فما يصح
لك ان تتكبر فيها لانها مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض وقيل
ضميرها يرجع الى الارض اخرجه الله تع منها الاجزاء البحار وغرسه على البحر الاخضر
فلا يدخل الارض الا خائفا على هيئة السارق وقيل الى الصورة التي كان عليها لان كان
مشرف اللون واهية حسنة ومنظرها فتحول الى صورة قبيحة مظلمة قوله اهبطنه

الى يوم القيمة فان اللعين اراد ان يمهله الله تعالى الى ان يبعث الامهات من قبورهم
ويوم البعث هو يوم القيمة واراد ة الامهال الى ذلك اليوم بمنزلة ارادة ان لا
يذوق الموت لانه لاموت بعد ذلك اليوم فلم يجب الى ذلك تلك الطلبة بل امهله الله
تعالى الى يوم النفخة الاولى وهو اليوم الذى عنده يموت فيه الاحياء كلهم فيموت فيه مع
من يموت فيه مع من يموت ويبعث مع من يبعث لانه تبين من المهلة فى موضع
آخر وان لم يبينها فى هذه السورة حيث قال هناك انك من المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم وهو يوم النفخة الاولى قوله اولا تعجل عقوبتى اى ويحتمل ان يكون مراد
اللعين بقوله انظرنى آخر عقوبتى الى يوم الجزاء ولا تؤاخذنى قبل يوم البعث والجزاء
لان يبقيه حيا الى يوم البعث والجزاء وان لا يميته اصلا فاجيب الى هذه الطلبة
واخرت عقوبته الى يوم البعث قوله بقتضى الاجابة الى ما سأله ظاهرا وهو ان يبقى
حيا الى يوم البعث فلا يموت اصلا فيكون هذه الآية مخالفة لقوله تعالى انك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم فينبغى ان يحمل الانظار المطلق المذكور فى هذه الآية على الانظار
الى النفخة الاولى توفيقا بين الآيتين قوله او وقت بعلمه الله انتهاءها اجله فيه عطف على
النفخة الاولى اى هو وقت اى ويحتمل ان يكون المراد بالوقت المعلوم الوقت المقرر
فى علم الله تعالى لانتهاء اجله فيه فيكون كلمة واحدة من الآيتين ساكتا عن بيان مدة
امهاله فاجيب ما سأله من اصل الامهال ولم يجب الى ما سأله من امتداد الامهال الى
يوم البعث قوله وفى اسعافه اليه اى وفى اجابة ما سأله من الانظار ابتلاء العباد
التمييز بين المخلص لله ومتبع الهوى وجعله وسيلة الى انابة العباد بمخالفته
قوله بعد ان امهلتنى مستفاد من الفاء الجزائية قوله لاجتهدن استئناف الى آخر القعود
فى قوله لاقعدن كناية عن الاجتهاد فى اغواء بنى آدم فانه لما اهلكهم بسبب آدم
عوارا دالانتقام من ذريته وبهلكهم كما اهلكهم هو بسبب آدم كما قال ود والنكرون
كما كفروا فتكونون سواء وجه كونه كناية عن الاجتهاد ان من اراد بليغ الاجتهاد
فى تكميل امر من الامور يقعد حتى يصير فارغ البال عما يشغله عن اتمام مقصوده
ويتوجه اليه بكليته والاغواء الاضلال عن المنهج القويم والمهيع فيه للصيرورة
والباء للسببية وما مصدرية والمعنى فبسبب اغوائك اياى واضللتنى عن الهدى

لاجلهم

لاجلهم اقسم بالله لاجتهدن فى اغوائهم واضلالهم حسب طاقتى ومقدرتى لما رأى
غواية نفسه بسببهم عزم على الاجتهاد فى اغوائهم ليكونوا مثله فى الغواية ثم ان الاغواء
لابد له من المغوى فجعل ابليس نفسه مغويا من الغاوين حيث قال فبعزتك لاغوينهم
اجمعين ثم زعم ان من اغواه هو الله تعالى حيث قال فبما اغويتنى قطعا للتسلسل
وتصيرا لله تعالى اياه غاويا اما من جهة التسمية بان سماه الله تعالى اياه غاويا وضالا
او من جهة جعله اياه على الغى بان يخلق فيه الغى والجهل والكفر فالاسناد على التقديرين
حقيقى او من جهة انه لو كان سببا للظهور الغواية والكفر منه فانه تعالى لما كلفه بالسجود لآدم
كان ذلك سببا لظهور غيه وذلك الغى وان كان فعل الشيطان الا انه اسند اليه تعالى
مجازا على طريق اسناد الفعل الى سببه قوله فان اللام يصدر عنه اى يمنع من ان يتعلق
ما قبلها بما بعدها فان لام جواب القسم لها صدر الكلام كهمزة الاستفهام فلا يتقدم معمول
ما بعدها عليها فلا يقال والله لزيدا لاقولن فهى متعلقة بفعل القسم المحذوف تقديره
فبما اغويتنى اقسم بالله لاقعدن اى فبسبب اغوائك اياى اقسم قوله وقيل الباء للقسم
لا للسببية ولا يقسم الا بما هو عظيم الشأن جليل القدر وهو اسم من اسماء الله تعالى
وصفة من صفاته والاغواء لكونه من صفات الله تعالى الفعلية صح ان يقسم به كانه قيل بقدرتك
وتسلطك لاقعدن لهم على صراطك المستقيم الذى هو دين الاسلام الذى يؤدى
مسالكه الى دار كرامتك ورضوانك لازينن لهم المنكرات والفواحش ويدل على كونها
قسمية قوله تعالى فى سورة ص فبعزتك لاغوينهم قوله ونصبه على الظرف والتقدير
لاقعدن لهم فى صراطك وفيه ان الصراط والطريق ظرف مكان محدود فلا يتعدى
الفعل اليه بنفسه بل لابد من كلمة فى تقول صليت فى المسجد وجلست فى الطريق ولا
يقال صليت المسجد والبيت الذى يستشهد به قد حمله النحاة على حذف فى الشعر واول البيت
لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب اى كما عسل الثعلب
فى الطريق واللدن الرمح يصف رمحا باللين يقال عسل الرمح اى اهتز واضطرب
وعسل الذئب اى اسرع والضمير فى فيه للكف او للهز وقوله كما عسل الطريق اى فى الطريق
وقيل صراطك منصوب على اسقاط الحافظ وهو كلمة على كما فى قولك ضربت زيدا الظهر والبطن
اى على الظهر والبطن قوله مثل قصده ايا هم بالتسويل والاضلال من اى جهة يمكنه باتيانه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

العدو من الجهات الاربع كان جواب عما يختلج بالقلب من ان مقصود اللعين بيان
ان مبالغ في وسوسة بني آدم غير مقتصر فيها بوجه ما فلم اقتصر في بيان هذا المقصود
على اتيانه اياهم من الجوانب الاربع مع انهم ان لهم جانبين آخرين غير هذه الاربع
وتقدير الجواب ان اتيانه من الجوانب المذكورة استعارة تمثيلية شبه حاله في
وسوسة اياهم من اي جهة يمكنه كحال العدو في اتيانه لاهله كي يخصه فانه اما ياتي خصمه
من الجهات الاربع فان العدو اذا كان قويا شجيعا ياتي قرنه من جهة امامه فيبارزه
عيانا ويجاهده واذا كان مكارا يراقب غرة خصمه وغفلته ياتيه من جهة خلفه فيقتاله
فجاة وخصت هاتان الجهتان بكلمة من الابتدائية كونهما مأتى اصليا للعدو
يجيء منهما غالبا وخصت الجهتان الاخريان بكلمة عن الدالة على المجاوزة اشعارا بان
من اتى خصمه من جهة يمينه او شماله فهو مجاوز عن المأتى الغالب للعدو وهي من حيث
ان الآتي منها كالمنحرف عن خصمه المار على عرضه وجانبه في الذهاب الى مقصده كما
تقول جلست عن يمينه اذا جلست منحرفا عن جانب يمينه غير ملاصق له فكانك
انحرفت عنه وتجاوزت قوله ولذلك اي ولكون قوله لآتينهم من جوانبهم الاربع
تمثيلا لحاله في اغوائهم باتيان العدو من الجهات الاربع لم يقل من فوقهم ومن تحت
ارجلهم اذ ليس في جانب المشبه به الاتيان من هاتين الجهتين وقيل لم يقل من فوقهم
لان الرحمة تنزل منه وليس له ان يعارض رحمة الله ولم يقل من تحتهم لان الاتيان
منه يوحش المأتي اليه ويأبى عن موافقة الآتي والقبول منه قوله وعن ابن عباس
لآتينهم من بين ايديهم من قبل الاخرة اي اشككهم فيها واقول لهم لا بعث ولا حساب
ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من قبل الدنيا اي ازينها في قلوبهم وارغبهم فيها
ليشتغلوا بها فارغبني عما يسعدهم في الاخرة وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة
حسناتهم وسيئاتهم لما كانت للحسنات اشرف حالتي الانسان عبر عنها بالايمان
التي هي اشرف طرفيه وكذا السيئات لما كانت حالتيه عبر عنها بالشمايل التي هي
اخس طرفيه ومعنى الاتيان من جانب الحسنات ان يثبطهم ويشغلهم عنها ومعنى
الاتيان من جانب السيئات ان يزينها لهم ويرغبهم فيها ويحتمل ان يكون بين
ايديهم عبارة عما تميز عنهم والمكنهم الاحتراز عنه ويكون من خلفهم عبارة عما لا يكون

كذلك

كذلك قوله وانما قاله ظنا جواب عما يقال من اين قول ابليس ولا تجد اكثرهم شاكرين اخبار
عن الغيب فكيف عرف ابليس ذلك وتقرير الجواب ان ابليس لم ينل ذلك عن علم وبنى من يقال انه
من اين علم ذلك وانما قاله عن ظن وبناء الامر على الامارة الدالة عليه فانه قد علم
ان طبع الانسان يميل الى الشهوات فظن انه ان بالغ في تزيينها والترغيب فيها
يتبعونه فيها يدعوهم اليه من المعاصي فقال ذلك بناء على ظنه ولا سيما انه قد علم ان
للنفس الانسانية تسع عشرة قوى كلها تدعو النفس الى اللذات الجسمانية
خمسة منها هي الحواس الظاهرة وخمسة اخرى هي الحواس الباطنة واثنتان منها هي
الشهوة والغضب فقوة الشهوة موضعها الكبد وقوة الغضب موضعها البطن
الاسير من القلب والقوى التسع منها هي القوى النباتية وهي الجاذبة والماسكة
والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة ومجموعها تسعة عشر وهي باسرها
تدعو النفس الى مقتضيات الطبيعة من اللذات الجسمانية والتي تدعو النفس
لاعبادة الله تعالى ومخالفة الهوى قوة واحدة وهي قوة العقل ولا شك
ان استيلاء تسع عشرة قوة اقوى واشد تاثيرا من استيلاء قوة واحدة ومن
علم ان الامر كذلك يغلب على ظنه ان اكثر بني آدم يميلون الى ما تدعو اليه هذه القوى
ويفتر رغبتهم في اكتساب ما تدعو تلك القوة الواحدة فلذلك قال ابليس
ولا تجد اكثرهم شاكرين وهذا مراد المصنف بقوله لما رأى فيهم مبادئ الشر متعددا
ومبادئ الخير واحدا وهو بيان لسبب ظنه قوله مزؤما اي مزموما يعني ان الذأم من
المهموز العين والذم من المضاعف كلاهما بمعنى واحد وهو التعقيب البليغ
والذأم التعقيب بقال ذأمه يذأمه ذأما فهو مذؤم اذا غابه وحقره مثل سأله
يسأله ويقال ايضا ذامه يذيمه بغير همز ذأما بالالف وذيما مثل بيعا وفي المثل لن تعدم
الحسناء ذاما اي عيبا يعني المرأة وان كانت في غاية لا بد وان يكون فيها شيء من العيب
فهو مذم ومذموم مثل مكيل ومكول بمعنى مذؤم ومذموم قرأ الجمهور مزؤما مدحورا
بالهمز على انهما حالان من فاعل اخرج عنه من يجوز تعدد الحال من ذي حال واحد
ومن لا يجوز ذلك جعل مدحورا صفة لمذؤما او حالا من ضمير الحال التي قبله على التداخل
وقرئ مذموما بواو واحدة من غير همز وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون اصله

علم

مذؤوما على وزن مسؤلا فخففت همزته بان القيت حركتها على الذال الساكنة
قبلها وحذفت الهمزة تخفيفا فصار مذوما مثل مسؤلا في مسؤولا وثانيها
ان يكون اسم مفعول من ذامه بذيمه كباعه يبيعه وكان حقه ان يقال مذيم
كمبيع الا انه ابدلت الواو من الياء كما قالوا مكول في مكيل مع انه من الكيل
وقوله مدحورا اسم مفعول من دحره يدحره دحرا اذا طرده وابعده للتعيين
مطرود من الجنة ومن كل خير قوله وهو ساد مسد جواب الشرط فان كلمة من
شرطية حذف جوابها لدلالات جواب القسم عليه والقسم لتقدمه صرف الجواب
المذكور اليه فاجتمع الى تقدير جواب الشرط قوله على انه خبر لاملان آن اي
للوعيد المدلول عليه بقوله لاملان آن لان نفس لاملان آن لكونه جواب قسم محذوف
يمتنع ان يكون مبتدا مرفوع المحل حتى يكون قوله لمن تبعك بكسر اللام خبرا له
مقدما عليه بل هو خبر مبتدا محذوف يدل عليه لاملان كانه قيل لمن تبعك
منهم وعيد لاملان ولما كانت الجملة القسمية بتمامها اي القسم مع جوابه دليلا
على المبتدا المحذوف وساد مسد جعلت مبتدا تسمية لها باسم مدلولها
فقبل لاملان اعتمادا على فهم السامع قوله او علة لاخرج اي اخرج لان تكون
رئيس الغواة ويتبعون فان اللام لام العاقبة بتميت لام العلة مجازا ثم انه
لما امهل ابليس والزم اللعين على نفسه ان يغوي ذرية آدم انتقاما منه حيث
نيصرف عن طريق طاعة الله تعالى اجابه الله بقوله اخرج منها واوعد مع اتباعه
بان اقسم على ان يملا جهنم منه ومن اتباعه اجمعين وهذا القسم انما يستلزم ان
تمتلئ جهنم منهم ولا يلزم منه ان يكون كل واحد ممن اتبعه من اهل جهنم لان من اتبعه
فيما دون الشرك في مشية الله تعالى ان شاء يغفر له وان شاء يعذبه بها ثم انه تعالى لما خلق
آدم واظهر كرامته عليه بان جعله مسجودا لملائكته وبين خيانة ابليس وما يستحقه
من الذم والعقاب حكى معاملته مع آدم بقوله ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة
اي قلنا له يا آدم اسكن على طريق الاباحة والتكريم قوله وهو الاصل لتصغير على
ذيا يعني ان الياء اصل في هذه الكلمة سواء اشير بها الى المذكر فيقال ذا او الى المؤنث
فيقال ذي بكسر الذال اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان ذا اسم ثلاثي اصله ذيي

على وزن

على وزن حي ولو كان ثنائيا مثل ما ومن لما جاز تصغيره فحذفت الياء الثانية من ذي للتخفيف
وابدلت الياء الساكنة الفا كراهة ان يشابه آخره تاء فرجي واي فصار ذا فلما صغرت الكلمة
ردت الى اصلها فقيل ذيي بيائين اصليين بينهما ياء التصغير وغمت اول الياءات
الثلاث في الثانية وفتح الذال لسلم الياء وقلبت الياء الاخيرة الفا لانفتاح ما قبلها
ذيا استدل بتصغير ذا على ان الياء اصل في هذه الكلمة لان التصغير يرد
الاشياء الى اصلها والضمير في قوله لتصغيره يرجع الى ذا لان ذي للمؤنث لا يصغر
وانما يصغر ذا وقد اكتفوا به عن تصغير ذي صرح به الجوهري والهاء في هذه بدل من الياء
وليست للتانيث قوله ان فعل الوسوسة لاجلها يعني ان وسوس فعل لازم لا يتعدى
الى مفعول والوسوسة الكلام الخفي المكرر يلقيه الشيطان الى قلب البشر ليزين له
ما هو المنكر شرعا او رد عليها للخواص التي زينت لها الاكل من الشجرة بطريق
الوسوسة والفرق بين وسوس له ووسوس اليه ان وسوس له معناه باشر فعل
الوسوسة لاجله ومعنى وسوس اليه انه القى اليه ما يزين له الارتكاب الباطل
يقال رجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بفتحها بل يقال موسوس اليه للذي
تلقى لاجله واليه الوسوسة قوله واللام للعاقبة لان التعيين انما وسوس لها لكي
ليوقعها في المعصية لا لظهور عورتها لكن لما كانت عاقبة وسوسة ظهور سوئتها
شبه ظهورها بالغرض الحامل له على الوسوسة وقيل وسوس لها ليريها ويحتمل
ان تكون اللام لام الغرض بان يكون ظهور عورتها لها غرضا له ليسوءها بانكشاف
عورتها يقال ساءه اذا احزنه يسوءه اي يحزنه تقبض سره بسره قوله ولذلك اي
ولكون انكشاف العورة سبب المساءة والحزن عبر عنها بالسوءة للمبالغة في كونها
سببا للمساءة فكانها عين المساءة وكلمة ما في قوله نه ما ووري موصولة بمعنى الذي
في محل النصب على انها مفعول قوله ليبدي الذي ستر عنهما وكانا قد ألبسا ثوبا
يستر عورتها فلما ذاقا الشجرة نهافت عنهما ذلك الثوب وظهرت لهما عوراتهما
واختلف في ان الشجرة كانت سنبلة او كرما او تينا او غيرها وان اللباس كان نورا
او حلة او من جنس الظفر وقوله ووري بواوين فعل ماض مجهول واري فلانا بني
للمفعول قلبت الف فاعل واو الضمة ما قبلها كما في قولك فاجتمع واوان الاولى فاء الفعل

والثانية مبدلة من الف فاعل قوله وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة مع انه اذا اجتمعت
الواو ان في اول الكلمة تبدل الاولى همزة للتخفيف سواء كانت الاولى مضمومة كما في او يصل
تصغير واصل ولم تبدل في وورى لانه انما تبدل الاولى همزة اذا كانت الثانية متحركة
كما في المثالين المذكورين والواو الثانية في وورى ليست متحركة بل هي ملقاة فلذلك
لم تبدل الاولى همزة في المشهور وروي عن عبد الله انه قرأ اورى بالابدال وقرأ الجمهور
ووري بابقاء الواوين على حالهما قرأ الجمهور سوآتهما بصيغة الجمع من غير نقل ولا ادغام
والظاهر انه من قبيل التعبير بلفظ الجمع عن اثنين كراهة اجتماع لفظي التثنية كما في قوله تعالى
فقد صغت قلوبكما وقرأ سوآتهما بلفظ الجمع ايضا الا انه تقلب حركة الهمزة الى الواو قبلها
ثم حذفت للتخفيف وسواتهما بابدال الهمزة واوا وادغام الواو في الواو قوله تعالى وقال
ما نهاكما عطف على قوله فوسوس لهما تفسيرا وتفصيلا لكيفية وسوسته قوله الا كراهة
ان تكونا ملكين استثناء الى انه مستثنى مفرغ من اعم عام المفعول له اي ما نهاكما لامر ما
الا كراهة ان تكونا ملكين اي كالملائكة في حصول الكمالات العظيمة لكما بالفعل على حضوركما
والاستغناء عن التغذي بالاطعمة والاشربة لا بان تنقلب حقيقتكما البشرية الى الحقيقة الملكية
فانه محال والبحريتون يقدرون المضاف في مثله قال المصنف الاكراهة ويقدر الكوفيون الا لان
لا تكونا ملكين او هما التعيين بهذا الكلام انتهى ان اكلتما منها تكونان كالملائكة
او تكونان من الذين يخلدون في الجنة ولا تموتون فرغبتها في اكلها طمعا لحصول احد الامرين
لهما وقيل او ههنا بمعنى الواو لان الترغيب في مجموع الامرين ادخل في حصول غرضه من
الوسوسة قوله واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجه الاستدلال ان الملائكة لو لم
يكن افضل منهم عندهما ارتكب المنهي عنه لينالا رتبتهم واجيب عنه بان رغبتهما في الاكل
من الشجرة ليس لان يكونا ملكين حقيقة لان استحالة انقلاب الحقايق مركوزة في العقول
فلا يتم الاستدلال بل انما رغبا في الاكل طمعا لان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات
المختصة بهم كخلافة البينة والاستغناء عن الاطعمة والاشربة ونحوها وفضل الملائكة من بعض
الوجوه لا يدل على فضلهم على الانبياء مطلقا لجواز ان يكون لنوع البشر فضايل اخر راجحة على ما
للملك فان قيل كيف طمع آدم في الملكية مع انه يشاهد الملائكة متواضعين ساجدين له معترفين
بفضله عليهم اجيب انه يحتمل ان يكون من سجد له من الملائكة ملائكة الارض فقط فطمع آدم عليه السلام

ان يكون

ان يكون من ملائكة السموات وسكان العرش والكرسي والملائكة المقربين وعلى تقدير
ان يكون من سجد جميع الملائكة يجوز ان يختصوا ببعض فضايل ليست لآدم فرغب ان يكون
له ايضا تلك الفضايل وقبل ان آدم عليه السلام علم ان الملائكة لا يموتون الى يوم
القيمة ولم يعلم ان يكون له ذلك فرغب ان يكون له من الخلود ما كان للملائكة قوله
اي اقسم لهما يعني ان القسم اغار فيع من ابليس فنط الا انه عبر عن اقسامه بزنة
المفاعلة للدلالة على انه اجتهد في القسم اجتهاد المقاسم المغالب فيه قوله وقيل اقسما
له بالقبول اي بان اقسم هو لهما انه لمن الناصحين فزنة المفاعلة على بابها قوله
وقيل اقسما عليه اي حملاه على ان يقسم بالله انه لمن الناصحين بان قالا اتقسم
بالله على انك من الناصحين لنا فاقسم لهما بالله على ذلك فحذف عنهما باليمين الكاذب وهو
اول من حلف بالله كاذبا فلما حلف به ظن آدم ان احدا لا يحلف بالله كاذبا فاغتر به
فان شان المؤمن ان يعتقد بصدق من حلف بالله لتمكن عظمة اسم الله تعالى في قلبه
وصيغة المفاعلة وان اقتضت بظاهرها ان يتحقق القسم من الجانبين والمتحقق
من احد الجانبين ههنا نفس اليمين ومن الآخر الحمل عليها الا ان ذلك جعل مقاسمة
على التغليب والنصح بذل المجهود في طلب الخير فحق غيرك ما خوذ من نصح بمعنى
اخلص له الود ومنه عسل ناصح اي خالص وضد الغش قوله اهبطهما بذلك من درجة
عالية وهي درجة الطاعة والانتهاء عما نهي عنه رتبة سافلة وهي حالة المعصية
بارتكاب المنهي عنه فالتذليه ههنا معنوية لا حسية قوله بما غرهما به من القسم على
ان الباء سببية والغرور مصدر حذف فاعله ومفعوله واشار اليهما بقوله غرهما
اي بسبب تقريرهما اياهما باليمين بالله كاذبا وكان اللعين اول من حلف بالله
كاذبا وتعيين ان سبب تقريرهما هو القسم مستفاد من الفاء في قوله فدلاهما
بعد قوله وقاسمهما قوله او ملتبسين بغرور على ان الباء والمجرور حال من دلاهما قوله
فلما وجدا طعمها يعني ان الذوق ادراك طعم الشيء بالاستان او الفم وانه غير الاكل وانه
لا مخالفة بين هذه الآية الناطقة بانهما ذاقا الشجرة وبين الآية الاخرى التي صرح
فيها بانهما اكلا منها وذلك لانهما وان كلا منها الا ان العقوبة بانكشاف عورتيهما
اصابتهما حين وجدا طعمها آخذين في الاكل منها ولم تتاخر الى ان باكلا منها فيل كان لباسهما

في الجنة طرا في اشتد اللطافة والدين والبياض يكون حاجبا من النظر الى اصل البدن
فلما اصابا الخطيئة نزع ذلك عن بدنهما وبقي عند رؤس الاصابع تذكيرا لما فات من النعم
وتحديدا للندم وقيل كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر الى عرا البدن وقيل
كان حلة من حلل الجنة وايا ما كان لما ذاقا الشجرة نزع ذلك عنهما وبدت لهما سوأتهما
اي ظهرت لهما عورتيهما لا لغيرهما وكانا لا يريان ذلك من انفسهما قوله اخذا يرفعان
يعني ان طفق من افعال الشروع كاخذ وجعل وانشاء يدل على التلبس باول الفعل
والف التثنية اسمها ويخصفان خبرها اي يرفعا ويلزقان ويصلان عليهما شيئا
من ورق الجنة حتى صار كهيئة الثوب قال الزجاج يجعلان ورقة على ورقة ليستر اسوأتهما
وفي الآية دليل على ان كشف العورة قبيح من لدن آدم عم الا ترى انهما كيف بادرا الى الستر
لما تقرر في عقلهما من قبح كشف العورة قوله وقرئ يخصفان بضم حرف المضارعة
من اخصف ولما كان يخصفان الثلاثي متعديا الى مفعول واحد وهو شيئا من ورق
الجنة تعدى الى اثنين بنقله الى باب الافعال وكان المعنى يجعلان انفسهما حاصفتيها
عليهما من ورق الجنة وقرئ يخصفان بضم الياء وفتح الخاء وتشديد الصاد من خصف
للتكثير ويخصفان بفتح الياء وكسر الخاء وفتحها والصاد مشددة على التقديرين
اصله يختصفان فادغمت التاء في الصاد وكسرت الخاء لالتباعها للصاد في حركتها ومن
فتح الخاء لم يتبعها للصاد والظاهر ان يرجع ضمير عليهما الى سوأتهما لان لفظ الجمع فيها
بمعنى التثنية فجاز ان يرجع اليها ضمير التثنية اذ لا وجه لان يرجع الى آدم وحوا لان
ضمير يخصفان عبارة عنهما فلو جعل عليهما عبارة عنهما ايضا لزم ان يكون ضمير الفاعل
والمفعول عبارتين عن شئ واحد في غير افعال القلوب لان عليهما في محل النصب
على انه مفعول يخصفان وقد تقرر في النحو انه لا يجوز ذلك في غير افعال القلوب الا ان يحمل
الكلام على حذف المضاف ويكون التقدير يخصفان على بدنيهما قوله تعالى وناداهما بحتمل
ان يكون ذلك بان اوحى اليهما بواسطة الملك ذلك الكلام او بان الهمهما ذلك في قلبهما
هل كانت جملتهما بهذا العنايات اشتد عليهما من كل محنة اصابتهما قوله وفيه دليل
على مطلق النهي للتحريم فان قيل لا يسلم ان النهي في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة مطلق بل هو
مقرون بما يدل على التحريم وهو قوله لتكونا من الظالمين اجيب بان الدليل على ما ذكر هو قوله

تعالى

تعالى الدال على تلك الشجرة حيث رتب العتاب على مخالفة النهي مطلقا مع قطع
النظر عن تحققه في ضمن قوله بخصوص ولم يقل الم اقل لكما لا تقربا هذه الشجرة فكونا
من الظالمين قوله دليل على ان الصغاير معاقب عليها ان لم تغفر لانها علقا الخلاص
عن الخسران والعقاب على مغفرة الله تعالى ورحمته ولما اقتسما على انه ان لم يغفر لهما
ويرحمهما ليكونن من الذين خسروا انفسهم بتعريضها لعقاب الله علم ان من ارتكب
صغيرتين خسر نفسه بان جعلها مستحقة للعقاب وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة
على الصغاير مع اجتناب الكباير لقوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم
سيئاتكم وكان ذنب آدم صغيرة لانه لم يأكل من الشجرة قصدا لمخالفة حكم الله تعالى
بل انما اكل بناء على ان مقالة اللعين اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه
مراعاة لحكم الله الى ان نسي ذلك وزال المانع عن اكله لحمله طبعه عليه ولانه انما قدم
عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او ان الاشارة في قوله ولا تقربا
هذه الشجرة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وقد كان المراد بها
الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا بيمينه وقال هذان
حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وقولهما ربنا منادى حذف منه حرف النداء وقد كثر
حذفها في نداء الرب تعالى تعظيما له وتنزيها له عما لا يليق بشانه وذلك ان صوت
النداء فيه معنى الامر بالاقبال فانك اذا قلت يا زيد كان معناه اقبل وتعال يا زيد
فحذف حرف النداء احترازا عن صورة الامر والدعوة الى الاقبال قوله وان لم تغفر لنا
شرط حذف جوابه لدلالة جواب القسم المقدر عليه فان اللام في قوله لئن لم تغفر لنا لام
توطية القسم وهي لا تذكر الا بعد تقدم القسم لفظا او تقديرا او لم يتقدم في الآية لفظا
فكان مقدرا قوله اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية ضمن الانزال معنى الخلق كانه قيل
خلقناه لكم نازلا من السماء ثم اشار الى وجه كون ما حدث في الارض نازلا من السماء
بان جميع ذلك انما يحدث بتدبيرات سماوية من اختلاف الليل والنهار طولا وقصرا المؤدي
الى اختلاف الفصول وبتبدل كيفيات الهواء صيفا وشتاء فصارت الحوادث الارضية
بذلك كانها نازلة من السماء وايضا جميع ذلك انما يتكون بالاسباب النازلة من السماء
فصار بذلك كانه نازل من السماء فلذلك عبر عن انزال اسبابه بانزاله نفسه ومناسبة

هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما بين كرامة بني آدم حيث مكنهم في الارض وجعل لهم فيها معايش
واسجد الابيهم آدم ملائكته واوى ذلك الى ظهور شقاوة ابليس بسبب آدم وتنزيله
من منزلته العالية بوسوسته حتى انتهى الامر الى ان بدت لهما سوآتهما وتخزنا بذلك
والتجاوي الى ان يخصفا عليهما شيئا من ورق الجنة بين بهذه الآية انه اخذهم عن ذلك
المصنف بانزال ما يواري سوآتهم من اللباس وما يتجملون ويتزينون به من الريش
واظهر بيان ذلك منته عليهم بخلق ما يتزينون به ويستترون عورتهم التي انكشافها
في غاية القباحة ويوجب اقصى المذلة والمهانة واشار الى سبب نزولها بقوله روي ان العرب
كانوا يطوفون بالبيت عراة فنزلت نهيا لهم عن كشف العورة حيث وصف ما انزله
من اللباس بما هو الغاية المترتبة عليه وهي ستر العورة فعلم منه ان كشفها قبيح
يجب الاحتراز عنه وان خلق ما يشترها نعمة جليلة من الله يجب الشكر عليها قال المصنف
ولعل قصة آدم ذكرت مقدمة وتمهيدا للنهي عن كشف العورة حتى يعلم ان انكشاف العورة
اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغوى العرب في ذلك كما اغوى ابويهم
قوله ولباسا تتجملون به اشار الى ان الكلام من قبيل ما حذف فيه الموصوف واقيمت
صفته مقامه كانه قيل ولباسا ريشا اي داريش وزينة عبر عن الزينة بالريش تشبيها
له بريش الطير لان الريش زينة الطير كما ان اللباس زينة لبني آدم قال الزمخشري
الريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته كانه قيل انزلنا
عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم فان الزينة غرض صحيح قال
تعالى لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال قال الجوهري الريش والرياش بمعنى وهو
اللباس الفاخر وقيل الريش والرياش المال والخصب والمعاش يقال ارتاش
فلان اذا اصلح حاله قوله لباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل
السمت الحسن وهذه معان مجازية للفظ اللباس شبهت بالملبوس من حيث
انها تستر صاحبها ويحفظ الملبوس واضيف اللباس باحد هذه المعاني الى
التقوى للملابسة بينهما من حيث انه يؤدي صاحبه الى تقوى الله تعالى او من حيث
كونه ناشيا منها قوله وقيل لباس الحرب كالدرع والمغفر ولفظ لباس التقوى حقيقة
في هذا المعنى لكونه لباسا يتقى به بأس العدو وهو وان كان خيرا بالنسبة الى لباس

الزينة

الزينة الا انه ليس خيرا بالنسبة الى اللباس الساتر للعورة فلذلك ذكره بلفظ
قيل قوله وخيره ذلك خير عاذكر مبتدأ وثان وخير خبر الثاني والثاني مع خبره
خبر الاول والرابط ههنا اسم الاشارة وهو من الروابط بالاتفاق النحاة وجوز
ان يكون ذلك صفة للابتداء ويكون خير خبرا وما ورد ان يقال كيف يجوز ان يكون
اسم الاشارة صفة للمضاف الى المعرف باللام واسم الاشارة اعرف منه ومن
نفس المعرف باللام ومن حق الصفة ان تكون مساوية للموصوف او اقل منه تعريفا
لان الموصوف هو المقصود بالنسبة ولا يجوز ان يكون المقصود اقل تعريفا
بالنسبة الى غير المقصود واسم الاشارة اعرف باللام فبالاولى ان يكون اعرف من
المضاف الى المعرف باللام فكيف يجوز ان يكون اسم الاشارة صفة له اشار الى جوابه
بقوله كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه وتقرير ان اسم الاشارة ههنا في
تاويل المعرف باللام كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه او المذكور فجاز ان يقع
صفة للمضاف الى المعرف باللام ثم انه تعالى لما ذكر قصة آدم وحواء عليهما السلام
مع ابليس انبعها بتحذير اولاده من قبول وسوسته فقال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان
اي لا يحدثنكم ولا يوقعنكم في المحنة والبلاء فانه لما بلغ في كيد الى ان قدر على ايقاع
آدم في الزلة المؤدية الى اخراجه فان يقدر على ازلال اولاده اولى فوجب عليهم ان
يحترزوا عن قبول وسوسته وقوله تعالى كما اخرج صفة مصدر محذوف اي لا يفتننكم
فتنة مثل فتنة اخراج ابويكم لما كان اتباع ابليس اياهم في الفتنة لازما لافتنانهم
به عبر عن نهيهم عن الافتتان به بنهيه عن اتباعه اياهم في الفتنة على طريق الكناية
لكونها ابلغ من التصريح لكونه بمنزلة انشاء النهي المقصود بالسلب قوله حال من ابويكم
او من ضمير اخرج لاشتمال الجملة الحالية على ضمير كل واحد من الابوين وضمير الشيطان
المستتر في اخرج مجازا وانتصاب الحال عن كل واحد منهما على البدل واسند نزع
اللباس الى الشيطان مع انه لم يباشر ذلك لكونه سببا في ذلك النزع كما تقول
انت فعلت كذا لمن كان سببا في حصول ذلك الفعل قوله تعليل للنهي ببيان انه
عدو صعب الاحتراز عن ضرره فان العدو الذي يراك ولا تراه لشديد المؤنة لا تتخلص
منه الا من عصمه الله فلا بد ان يكون العاقل على حذر عظيم من ضرره فان قيل كيف يحاربهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كما ذهب اليه المعتزلة او عندنا لا يثبت القبح بهذا المعنى الا بالشرع لما كان للمعتزلة
ان يحتجوا بهذه الاية على مذهبهم بان يقولوا لو كان قبح الفعل منوطا بتقبيح
الشرع اياه ونهيه عنه وكان حسنه منوطا بتحسينه اياه وندبه اليه لكان قوله تعالى
لا يأمر بالفحشاء خالصا عن الغاية بمنزلة ان يقال لا يحسن ما قبحه وانما يفيد
لو كان الفعل قبيحا في نفسه مع قطع النظر عن ورود الشرع في حقه وتقبيح اياه موجب
ان يكون قبح الفعل راجعا الى معنى قايم به مع قطع النظر عن تقبيح الشرع اياه وانه تعالى
انما ينهى عنه لما فيه من ذلك المعنى القايم به والمص اشار الى جواب هذا الاحتجاج بقوله
ولا دلالة فيه الخ وتقريره ان القبح يطلق على معنيين الاول كون الشئ قبيحا في حكم الله
تعالى بحيث يترتب عليه الذم اجلا والثاني للمعتزلة في ان القبح بالمعنى الثاني عقلي وانما
النزاع في القبح بالمعنى الاول وان المراد بالفحشاء في الاية هي الفعلات الفاحشة بهذا
المعنى ولا يلزم من كون قبح هذه الفعلات عقليا ان يكون القبح بالمعنى الاول عقليا
فلا يتم اضحاج المعتزلة بهذه الاية قوله وقيل بما جوابا سوالين عطف على قوله احتجوا
بامرين اختاروا ان يكون كل واحد من قولهم وجدنا عليها اباءنا وقولهم الله امرنا
بها حجة لهم في تحسين ما فعلوه من الفعل الفاحشة وضعف ان يكون القول الثاني جوابا
للسوال الثاني بناء على ان حال السوالين واحد فانهما التوليان بيان حسن ما فعلوه من
الفاحشة فلا وجه لتكثير الكلام من غير فايدة ثم قال وعلى الوجهين اعرض الله تعالى
عن رد احتجاجهم الاول لظهور فساده فان لا يعتبر دليلا على صحة الفعل الذي قام الدليل
على بطلانه وان كان معتبرا في غير حق الله تعالى قولهم الله امرنا بها حكما بما لا يعلمون
لانتفاء طريق علمهم بذلك لان طريق العلم به منحصر في امرين احدهما ان يسمعوا من الله
تعالى ابتدا اي من غير توسط رسول يبلغهم ان الله تعالى امرهم بذلك وثانيهما ان
يصير فواذ ذلك بواسطة الانبياء وكل واحد من الامرين منتف في حقهم اما انتفاء الاول
فظاهر واما انتفاء الثاني فلانهم ينكرون نبوة الانبياء على الاطلاق فان من المناظرة
مع كفار قريش وهم كانوا منكرين لاصل النبوة واذا كان كذلك فلا طريق لهم الى العلم
باحكام الله تعالى فكان قولهم الله امرنا بها قولا على الله تعالى بما لا يعلمون قوله تعالى واقيموا
وجوهكم ليس معطوفا على قوله امر والا لزم عطف الانشاء على الاخبار بل هو معطوف على امر

وحذرهم ونحن لا نرى لهم فلما لم نؤمر بمحاربة اعيانهم وانما امرنا بدفع وسوستهم
وعدم قبول ما القاه في قلوبنا بالاستعاذة منه الى الله وقد علمنا كيفية دفعه ذكر
بقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقوله وقل رب اعوذ بك
من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون روي عن ذي النون المصري
انه قال ان كان هو يريك من حيث لا تراه فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن
فاستعن بالله عليه فان كيد الشيطان كان ضعيفا وكلمة من في قوله من حيث لا ترونهم
لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم في محل الجر باضافة
حيث اليه قوله ورؤيتهم اياانا من حيث لا نراهم تعليل بالخ اي في بعض احوالهم وهو
حال بقائهم على اصول الاصلية لا يقتضي امتناع رؤيتنا اياهم بان يتمثلوا لنا كما تواتر
من ان بعض الشياطين جهارا قلنا وبؤيد قوله عم لابن مسعود رض او ليك
حين نصبني حين قال له ابن مسعود رايت رجالا كذا كذا قوله بما اوجدنا بينهم من
التناسب اي في الخذلان والغواية فصار بعضهم قرناء واعوانه فالاولياء جمع ولي
بمعنى الصديق ضد العدو وبقال منه تولاه اي اتخذ صديقا وخليلا قوله او بارسالهم
عليهم وتمكينهم من جذبهم فالولي على هذا من ولي الرجل البيع ولاية وكل من ولي امر
واحد فهو وليه فان الشياطين لما حملوا الكفار على ما سولوا لهم صاروا بمنزلة
من يتولى امورهم قوله والاية من قوله يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان هو المقصود
من بيان قصة آدم مع ابليس وذكرها لها لما نهى المؤمنين عن الافتتان باغواء
ابليس وبين شدة عداوته لهم سلاهم بنوع من التسلية فقال انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون ثم انه تعالى اورد جملة شرطية على طريق الاستيناف لبيان
جهالة الذين لا يؤمنون وهي انهم يرتكبون الافعال القبيحة المتناهية في القبح في
نفس الامر ويستحسنونه ويحتجون على حسنه بامرين تقليد الآباء وكونه مامورا به
من قبل الله ولما كان التقليد مما لا يصح الاحتجاج به لانه انما يصح اذا ثبت حسن
فعل المقلد به وهو عين المدعى فالاحتجاج به مصادرة على المطلوب فلذلك لم يذكر الله
تعالى جوابا عن احتجاجهم بالتقليد بل اقتصر على الجواب عن قولهم الله امرنا به قوله ولا دلالة
فيه اي في قوله تعالى ان الله لا يامر بالفحشاء على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه اجلا عقلي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بتقدير قل اي وقل اقيموا في وقت كل سجود او في مكان كل سجود فان المسجد يحتمل ان
يكون اسم زمان وان يكون اسم مكان و المراد بالسجود الصلوة بطريق ذكر الجزء
وارادة الكل كما نه قيل في وقت كل صلوة او في مكان كل صلوة قوله وتوجهوا الى
عبادته مستقيمين وجه كون اقامة الوجه عبارة عن التوجه بالاستقامة ظاهر واما
كون المتوجه اليه هو العبادة فهو مستفاد من قوله عند كل مسجد لان التوجه بالاستقامة
في كل وقت صلوة او مكانها لا يسبق الا الفهم من هذه العبارة سو ي غير عادلين عن
العبادة مستفاد من الاقامة ثم جوز ان يكون المراد بالمتوجه اليه بالاستقامة هو
القبلة والكعبة المعظمة لان الذهن ينتقل من تلك العبارة الى هذا المعنى ايضا
قوله وانما شبهة الاعادة بالابداء الخ احتج عليهم في انكارهم البعث والاعادة بابتداء
الخلق اي قيسوا الاعادة بالابداء فلا تنكروها فان من قدر على الانشاء قدر على
الاعادة اذ ليس بعضكم اشد من ابتداء خلقكم والكاف في محل النصب على انه صفة مصدر
محذوف تقديره تعودون عودا مثل ما بدأكم و بدأ بالهمزة بمعنى انشاء واخترع
قوله وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا تعودون قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم
مؤمن ثم يعيدهم يوم القيمة كما خلقكم خلقهم مؤمنا وكافرا فمن خلقه في اول الامر
للشقاوة استعمله بعمل اهل الشقاوة وكانت عاقبته الشقاوة فيموت على ما
مات عليه وان خلقه للسعادة استعمله بعمل اهل السعادة فيموت على ما مات عليه
ومن ابتداء الله تعالى خلقه على الشقاوة صار اليها وان عمل بعمل اهل السعادة
كما ان ابليس كان يعمل على اهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتداء خلقه
على السعادة صار اليها وان عمل عملا باعمال الشقاوة كسحرة فرعون فانهم كانوا
يعملون على الاشقياء فصاروا سعداء في اخر اعمارهم وقوله هو فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة كالتفسير لقوله كما بدأكم وفريقا الاول منصوب بهدى بعده
وفريقا الثاني منصوب بفعل مضمر يفسره قوله حق عليهم الضلالة من حيث المعنى
وتقديره واضل فريقا حق عليهم الضلالة وهو احسن من تقدير وخذل لما فيه من
ايهام الميل الى الاعتزال ولكونه اوفق لقوله حق عليهم الضلالة قوله تعليل لخذلانهم
او تحقيق لضلالهم ولو يدل كونه للتعليل قراءة من قرأ انهم بفتح الهمزة وهي نص

في التعليل

في التعليل اي حقت عليهم الضلالة لاتخاذهم الشياطين اولياء وقبولهم ما دعوا
اليه بدون التأمل في التمييز بين الحق والباطل وكل واحد من الهدى والضلال
وان كان بخلق الله تعالى اياه ابتداء الا انه تعالى خلق ذلك حسبما اكتسبه العبد
وسعى في حصوله فيه والمصنف لما قدر فعل الخذلان عاملا في فريقا الثاني تحقق هنا
امران ضلالة القوم وخذلان الله اياهم المؤدي الى ضلالتهم فانجه ان يجعل قوله
تعالى انهم اتخذوا الخ تعليلا وتحقيقا لهما قوله يدل على ان الكافر المخطئ والمفسد سواء
من حيث انه هو مذمم المخطئ الذي خلق اثمه في دينه على الحق بانه حق عليه الضلالة وجعله
في حكم الجاحد المعاند فعلم منه ان مجرد الظن والحسبان لا يكفي في صحة الدين بل لابد فيه
من الجزم واليقين لانه هو مذمم الكفار بانهم يحسبون انهم مهتدون ولو كفى مجرد الحسبان
فيه لما ذمهم بذلك قوله خذوا زينتكم اي ثيابكم الزينة وان كانت اسما لما يتزين به
من الثياب الفاخرة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالزينة ههنا الثياب التي
تستر العورة استدلالا بسبب نزول الآية وهو ان اهل الجاهلية من قبايل العرب
كانوا يطوفون بالبيت عراة وقالوا لا نطوف في ثياب اصبنا فيها الذنوب فكان الرجال
يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة فامرهم الله تعالى ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا
عند كل مسجد سواء دخلوه للصلوة او للطواف وكانوا قبل ذلك يدعون
ثيابهم وراء المسجد عند قصد الطواف قوله ولا تسرفوا بتحريم الحلال كتحريم البحيرة
والسائبة وتحريم ما احله الله تعالى في ايام الحج او بالتعدي الى الحرام بان يتناول ما حرمه
الله عليه من المأكول والمشروب والملبوس او بافراط الطعام بان يتناول ما لا يحتاج
اليه البدن في قوامه والشره غلبة الحرص فان جميع ذلك من قبيل الاسراف قوله ما اخطأتكم
اي ما جاوزتكم وقوله بسرف ومخيلة بشره لقوله تعالى والبخل والمخيلة والخيلاء الكبر قوله
في نصف اية وروي عنه انه قال جمع الله تعالى الطب كله في كلمة واحدة من كتب به وهي قوله
ولا تسرفوا وروي عنه ايضا انه قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب في خبر واحد
وهو قوله المعدة بيت الادواء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته
وكان لهارون الرشيد نصراني سمع من علي بن الحسين ما رواه من كتب الله تعالى
ومن حديث رسوله ثم قال ما يترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قوله واتصالها على

الحال

اى من التقوى المنوى فى قوله للذين آمنوا فان قوله هى مبتدا وقوله للذين امنوا متعلق
بالاستقرار المقدر والجار والمجرور فى محل الرفع على انه خبر هى وقوله فى الحيوة الدنيا متعلق
بآمنوا او بالاستقرار الذى تعلق به للذين وقوله يوم القيمة متعلق بخالصة والمعنى الطيبات
كائنة او مستقرة للذين آمنوا فى حال كونها خالصة لهم يوم القيمة وان اشتركت فيها المؤمنون
وغيرهم فان قلت فعلى هذا كان الظاهر ان يقال هى للذين آمنوا ولغيرهم فى الدنيا وخالصة
للمؤمنين فى الآخرة فلم قيل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا من غير ان يعطف على اسم الموصول
خبر هم مع ان اللام للجارة فى قوله للذين آمنوا تدل على اختصاص الطيبات للمؤمنين فى الدنيا
ايضا قلت المقصود الاصلى من خلق الطيبات تقوية المكلفين على طاعة الله تعالى
لا تعويضهم على الكفر والعصيان فهى مختصة بالاصالة للمؤمنين والكفار تبع لهم فى ذلك
قطعا لمعذرتهم خاطب المؤمنين بقوله هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وقال ومن كفر
فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اشار المصنف الى هذا الجواب بقوله بالاصالة
والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع ثم انه تعالى لما بين فى الآية ان الذى حرموه من الزينة
وطيبات الرزق ليس بحرام بين بعض انواع المحرمات فقال قل انما حرم ربى الفواحش
والفرق بينها وبين الاثم ان المراد بالاثم ما يوجب الاثم وهو يعم الصغاير والكباير
والفاحشة مختصة بما فحش قبحه من الكباير او بما يتعلق بالفروج فقوله والاثم من قبيل
التعميم بعد التخصيص لئلا يتوهم ان التحريم مقصود على الفواحش نظرا الى ان كلمة انما
للحصر وافرد ذكر البغى مع دخوله فى الاثم وعلم تحريمه من تحريم الاثم للمبالغة فى تحريمه
بخصوصه البغى بالنسبة الى تحريمه فى ضمن تحريم الاثم واكتفى بتقييده بغير الحق معنى
لان البغى لا يكون بغير الحق وقوله وان تشركوا معطوف على مفعول حرم اى وحرم عليكم
اشراككم وقوله ما لم ينزل مفعول تشركوا قوله ما لم ينزل تاكيد بالمشركين بتنزيل الاشراك
الاشراك بالله منزلة الامور التى تجوزها العقل ويصح ان ينزل برهانا بحيث
صحته والمحرم انما هو الاقدام عليه قبل قيام حجته لخالق العالم على النمط البديع
شريكا فى ملكه تعالى ثم انه لما بين الحلال والحرام وحرم ما يوجب الاثم
كلها من الفواحش والبغى والاشراك بالله تعالى هدد المشركين المكذبين للرسل
بقوله ولكل امة اجل والاجل هو الوقت المضروب لبقاء الحكم سواء كان آخر مدة

بقاءه

بقاءه او مجموع مدته وفسر الاجل المذكور فى هذه الآية بوجهين الاول من بقاء
كل واحد وحده والثانى اذا انقطع الاجل بهذا المعنى وبلغ غايته امتنع وقوع التقديم
والتاخير فيه والثانى من تتمة انتظام احوال كل امة سالفين عن ٤ ان بعد ورود
بعذاب الاستيصال فان كل امة مكذبة بالرسل شركة بالله لها من معلومة
عند الله تع يوقع بها العقوبة عند انقضاء ها وهو تع لا يعذبهم الا ان يبلغوا
ذلك الاجل المضروب لهلاكهم بطريق الاستيصال واذا جاء ذلك الوقت نزل
ذلك العذاب فيه لا محالة لا يتاخر هلاكهم عنه ولا يتقدم عليه وهذا التعبير
اوفق لقوله و لكل امة لانه لو كان المراد بالاجل المعنى الاول لكان الظاهر
ان يقال و لكل واحد يموت عند لا قبله ولا بعده والتعبير الاول من حيث
ان التعبير الثانى يقتضى ان يكون لكل امة من الامم وقت معين لنزول
عذاب الاستيصال عليهم وليس الامر كذلك لان هذه الامة امة مرحومة
آمنة من عذاب الاستيصال فان قيل ان فسر الاجل بمدة العمر يكون المعنى اذا
انتهت مدة عمر الشخص لا يتقدم موت ذلك الشخص على مجئ اجله ولا معنى
له لان كلمة اذا انما تدخل على ما يتوقع فى المستقبل والجزاء المرتب على ذلك الشرط
الاستقبالى شيوعا او انتفاءه يجب ان يكون شيوعه او انتفاؤه مستقبلا بالنسبة
الى تحقق مضمون الشرط والاستقرار متقدم على مجئ الاجل فكيف يكون مرتبا عليه
فيكون الاخبار بعدم تقدمه عليه لغوا حاليا عن الفايدة لكونه اخبارا عن
امر ضرورى يعلمه كل احد بمنزلة ان يقال الثلثة لا يكون زوجا قلنا ان ما ذكرته
انما يلزم ان لو كان قوله ولا يستقدمون معطوفا على قوله لا يستاخرون واقعا
فى حيز جزاء اذا وليس ذلك بواجب لجواز ان يكون قوله ولا يستقدمون كلاما
مستانفا جئ به للاخبار بانهم لا يسبقون اجلهم اجلهم المضروب لهم بل لا بد
من استيفائهم اياه كما انهم لا يتاخرون عنه اقل زمان فان قوله ساعة منتصب
على الظرفية وهى مثل فى قلة الزمان تقول لصاحبك فى صحا ساعة تريد افعل فى اقصر
ساعة واقلى يتصور قوله شرط ذكره بحرف الشك مع انه محقق الوقوع فى علم المتكلم
فان اتيان الرسل شرط جعلت اداته كلمة ان المستعملة فى الامور التى يتحقق وقوعها

في علم المتكلم فان النحاة اتفقوا على انها انما تستعمل في المعاني المحتملة التي
لا جزم بوقوعها ولا بعدم وقوعها في اعتقاد المتكلم فلذلك لا تقع في كلام
الله تعالى الا على طريق الحكاية او على خارج من التاويل مثل سوف المعلوم مساقه
المشكوك لنكتة تقتضيه كما في هذه الاية فان حرف التنفيس فيها للتنبيه على
اتيان الرسل امر جايز ومقتضى الظاهر ايراد كلمة اذا بدل ان لكون الاتيان
محقق الوقوع في علم الله تعالى واصل اما ان ما ضمت كلمة ما الى ان الشرطية
تاكيدا لما فيها من معنى الشرط والتعليق والدلالة على زيادة العموم في المعلق
عليه فان قولك اما تتعلمن معناه ان اتفق وجود التعلم منك بوجه من الوجوه
فعلت ولذلك اي ولكون معنى الشرط مؤكدا بكلمة ما التزم ان يؤكد فعل الشرط
بالنون الثقيلة او الخفيفة لئلا ينحط درجة فعل الشرط عن حرفه ويتعاضدا
في افادة التاكيد لما هدد الله الامم المكذبة للرسل بقوله ولكل امة اجل بين
ثواب من اتقى التكذيب واصلح عمله واطاع رسوله الذي يقص ايات الله اي يبين
فرايضه واحكامه التي شرعها لعباده او يتلو عليهم القرآن والاحاديث التي
هي ايضا من ايات الله تعالى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اذا خاف الناس وحزنوا اي لا تخافون ما يلحق العصاة في المستقبل ولا تحزنون
على ما فاتهم في الدنيا لاستغراقهم في الاستلذاذ بما اعد للمتقين في دار
الكرامة والرضوان وبين عقاب من كذب بايات الله واستكبر عنها بقوله اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون قوله تعالى منكم صفة لرسل وكذلك يقصون وكلمة
من في قوله فمن اتقى وان جاز ان يكون شرطية ويكون قوله فلا خوف جوابها الا
المصنف اختار كونها موصولة وكون قوله فلا خوف عليهم خبرها كما يدل عليه قوله
واو خال الفاء في الخبر الاول ليوافق قوله والذين كذبوا بايات الله اولئك اصحاب
النار فان قوله والذين مبتدا واولئك خبره ولما كانت هذه الجملة الاسمية
التي هي قوله فمن اتقى مع خبره جوابا للشرطية التي قبلها وهي قوله اما ياتينكم رسل
منكم احتيج في هذه الجملة الى رابط يربطها بتلك الشرطية وكذا الجملة التي عطفت عليها
وهي قوله والذين كذبوا مع خبره فانها ايضا يحتاج الى الرابط المذكور تقدر في كل واحدة

من الجملتين

من الجملتين الاسميتين لفظة منكم يربطها بتلك الجملة الشرطية ثم انه تعالى بين عقوبة
المكذبين المستكبرين عن عظم جرمهم التي استحقوا بها تلك العقوبة فقال فمن اظلم ممن
اعظم ظلما ممن كذب على الله تعالى وقال عليه ما لم يقله وكذب ما قاله ويدخل في التقول عليه
اثبات الشريك والصاحبة والولد له تعالى عن الانفصال اي عن انفصال الكلام
عن خطاب الاتباع والتفاته الى الاخبار عن حال القادة بانهم لا يعلمون مضاعفة
عذابهم وليس المراد بقوله تعالى لكل ضعف تضعيف ما يستحقه كل واحد من العذاب لانه
ظلم وانه تعالى لا يظلم الناس مثقال ذرة ولكن الناس انفسهم يظلمون بل المراد
تضعيف عذاب الضلال بان يضم اليه عذاب الاضلال والتقليد وترتبوه عليه
عطف تفسير لقوله عطفوا كلامهم على جواب الله لاخرهم بين به ان ليس المراد بالعطف
العطف المتعارف والا لزم ان يكون كلام القادة هذا من جملة ما اجاب الله تعالى للاتباع
وليس كذلك بل العطف ههنا بمعنى الترتيب والتفريع فان القادة لما سمعوا قوله تعالى
للاتباع لكل ضعف قالوا للاتباع اذا سمعتم انه تعالى سوى بيننا وبينكم في تضعيف العذاب
وانه لا فضل لكم علينا من حيث الاجتناب عن الكفر والضلال فكيف تطمعون ان يكون
عذابكم اخف من عذابنا ويكون عذابنا ضعف عذابكم والحال انا ما الجاناكم على الكفر
بل كفرتم لكون الكفر موافقا لهواكم كما كفرنا لذلك قوله تعالى ان الذين كذبوا بايتنا الآية
من تمام وعيد الكفار بعد قوله لكل ضعف والمراد بالايات ما يدل الدلالة على اصول الدين
من التوحيد ونبوة الانبياء والبعث والجزاء والكفار يكذبون جميع ذلك ويتمنعون
عن العمل بمقتضاها اختار المصنف قراءة من قرأ لا تفتح بضم التاء والتشديد على انها الفعل
للمفعول حيث قال والتاء في تفتح للتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وهي قراءة
الجمهور وقراءة ابو عمرو لا تفتح بضم التاء من فوق والتخفيف على انها الفعل المفعول وقراءة
الاخران لا يفتح بضم الياء من تحت والتخفيف لكون الفعل مسندا الى ظاهر غير حقيقي فان
تانيث الابواب غير حقيقي وقرئ لا تفتح ولا يفتح بالتاء والياء وفتحها على
بناء الفعل للفاعل وهو الايات على الاول والباري تعالى على الثاني والابواب منصوبة
على المفعولية على القراءتين وقراءة ايضا لا تفتح بفتح التاء الفوقانية والتشديد اصله
لا تتفتح بتاءين فحذفت احديهما والباب السماء على هذه القراءة مرفوعة على الفاعلية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لا تفتح لاعمالهم ولا لدعائهم مأخوذ من قوله تعالى
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل لا تفتح لارواحهم ابوابَ السماء
لانها لخبائها لا يصعد بها الى السماء لتتصل بالملائكة بل يهوي بها الى السجين واغا
تفتح ابواب السماء لارواح المؤمنين كما ورد في الحديث ان روح الامين يعرج بها
السماء فتستفتح لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب الى ان
تنتهي الى السماء السابعة وتستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعي ذميمة فيهوي
بها الى السجين وقيل لا تفتح لهم ابواب السماء حتى تنزل عليهم بركاتها وامطارها استدلالا
بقوله ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر والجمل زوج الناقة وانما سمي جملا اذا ادرع
اي دخل في السنة السابعة فانه يقال له في السنة السابعة رباع وللانثى رباعية
بالتخفيف قوله وقرأ الجمل بضم الجيم وتشديد الميم والجُمَل بضم الجيم وتخفيف الميم والجُمْل
بضم الجيم وسكون الميم والجُمَل بضمتين والجَمَل بفتح الجيم وسكون الميم قوله وهو الحبل
الغليظ اي ما تنقل من القراءات غير القرآني بفتحتين عبارات عن حبل عظيم يجمع من
حبال كثيرة فيفتل بعضها ببعض فيصير حبلا واحدا ويقال له القلس وفي الصحاح
الجمل بضم الجيم وفتح الميم المشددة السفينة التي يقال لها القلس وهو حبال يجمع حتى
وبه قرأ ابن عباس رضي الله عنه حتى يلج الجمل قيل الاحسن ان يعبر عما يستحيل
ولوجه في ثقبة الابرة بالجمل بالضم والتشديد بالنسبة اليه ان يعبر عنه بالجمل
بفتحتين لان الدخول في سم الابرة انما هو من شأن ما هو من قبيل الحيوان قوله لهم
مهاد جملة اسمية ومن جهنم حال من مهاد لانه لو تأخر عنه لكان صفة له وقدم لكونه
ذا الحال نكرة والمهاد جمع ومهد الفراش وغواش جمع غاشية وهي ما يغشى الشيء
ويستره ومعنى الاية الاخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب حيث كانت غطاء لهم
ولحاف قوله والتنوين فيه للعوض عن الاعلال عند سيبويه وليس تنوين التمكن حتى
يمنع من غير المنصرف فان الجمع الذي كان على اوزان نوافل اذا كان منقوصا حذف لامه نحو جوار
وغواس اختلف النحاة في انه هل هو منصرف او غير منصرف واختار الجمهور انه غير منصرف
وما فيه من التنوين ليس تنوين التمكن بل هو تنوين العوض اما عن الياء او عن حركتها
فان اصل نحو هؤلاء جوارٍ وموالٍ جوارِيْ وموالِيْ استثقلت الضمة على الياء فحذفت فحذفت

الياء

الياء اكتفاء بالكسرة فانهم لما حذفوا الياء اكتفاء بالكسرة في المفرد في نحو الليل اذا يسر
والكبير المتعال كان حذفها في الجمع الذي هو اثقل اولى فلما حذفت الياء والحركة عوض
التنوين عنها او عن حركتها وهذا مذهب سيبويه والخليل وقال بعضهم انه منصرف لانه
قد زال عنه صيغة منتهى الجموع فصار وزنه وزن سلام وكلام فانصرف وكان تنوينه
تنوين التمكن ومن قرأ غواش برفع الشين جعل الياء المحذوفة تنسيتة غير معتبرة
اصلا لا في حق الاعراب ولا في حق منع الصرف فاجرى الاعراب على ما قبلها لكونه آخر الكلمة عنده
قوله وعبر عنهم اي عن المكذبين المستكبرين بالضمير ان كل واحد من قوله نجزي المجرمين
ونجزي الظالمين من قبيل وضع الظاهر موضع الضمير اشعارا بانهم بسبب تكذيبهم بايات
الله تعالى مجرمون وظالمون لانفسهم ومستحقون بذلك للحرمان من الجنة والعقاب المؤبد
بالنار ولما كان التعذيب المؤبد بنار جهنم اشد العقوبات وفي ذكر الظلم معها
انه اعظم الاجرام قوله بما تسعه طاقتهم اي الاستعانة متعلقة بالاكتساب وما
موصولة عبر بها عن الايمان والعمل الصالح ليتبين بمضمون الصلة ان المراد بها ما تسعه
طاقة المكلف ويسهل عليه ما لا يأتيه ببذل اقصى طاقته وكمال الجد والاجتهاد في الاتيان
بها فان ذلك يسمى جهدا لا وسعا ولو لم تذكر الجملة الاعتراضية لكان مدلول الكلام الترغيب
في اكتسابها على اكمل الوجوه واتمها لان المطلق ينصرف الى الكامل وكونها بحيث
لا تكتسب النعيم المقيم مستفاد من بناء الخبر على اسم الاشارة في قوله اولئك اصحاب
الجنة فان اصل اسم الاشارة ان يشار به الى محسوس وقد اشير به في الآية
الى المتميز بوصفي الايمان والعمل الصالح تنزيلا للامتياز الوصفي منزلة الامتياز الحسي
وقد ثبت ان تعليق الحكم بالموصوف ينبيء عن علية الوصف لذلك الحكم فيفهم من تعليقه
باسم الاشارة كونها سببين للحكم المذكور وهو كون الذين آمنوا وعملوا الصالحات
اصحاب الجنة فكان مدلول الآية ان استحقاق الخلود في النعيم المقيم بسبب اتصافهم
بها على حسب ما تسعها طاقتهم وان لم تبذلوا مجهودهم فيها قوله اي نخرج من قلوبهم
اسباب الغل الآية يعني ان النزع قلع الشيء عن مكانه والغل الحقد الكامن والبغض المختفي
في الصدر ومعنى قلع ما كان لبعضهم في حق بعض في الدنيا من الاحقاد اخراج اسبابها من
القلوب فان تلك الاحقاد انما نشأت من التعلق بالدنيا وما فيها وبانقطاع تلك العلاقة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انتهى ما ينزع عليها من الاحقاد ومن جملة اسبابها ايضا ان الشيطان كان يلقى
الوساوس لاقلوب بنى آدم فى الدنيا وقد انقطع ذلك فى الآخرة بسبب ان الشيطان
لما استغرق فى عذاب النيران لم يتفرغ لالقاء الوسوسة فى قلب الانسان فلذلك صفت
قلوب اهل الجنان عما كان بينهم فى الدنيا مما ينافى صفاء الجنان لا يكون المراد بنزع الغل
نزع اسبابه بل ازاد وتطهير قلوبهم من الغل نفسه بحيث لا يعرض لهم الغل والحسد
مما رأوا من تفاوت درجات اهل الجنة بحسب الكمال والنقصان بحيث لا ينفعل
صاحب الدرجة النازلة عن انحطاط درجته عن درجة من فوقه ولا يغتم بسبب حرمانه
عن الدرجات الرفيعة العالية فان ذلك امر ممكن والله تعالى قادر عليه كما انه
قادر على ان لا يخلق فيهم شهوة الاكل والشرب والوقاع ويغنيهم بشهوة الاكل
والشرب عن النفوس روى عن السدى انه قال فى معنى الآية ان اهل الجنة اذا استقروا
الى الجنة وجدوا عند بابها شجرة فى اصل ساقها عينان فشربوا من احديهما فينزع
ما فى صدورهم من غل وهو الشراب الطهور ويغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم
نضرة النعيم فلم يشعثوا ولم يشحبوا بعدا ابدا والشعث انتشار شعر الراس
والاشعث مغبر الراس ينال سحب جسمه يشحب بالضم شحوبا اذا تغير واذا شربوا
واغتسلوا يبشرهم خزنة الجنة قبل ان يدخلوها بان يقولوا لهم ان تلكم الجنة
اورثتموها بما كنتم تعملون فاذا دخلوها واستقروا فى منازلهم منها قالوا الحمد لله
الذى هدانا لهذا اى لدين وعمل جزاؤه هذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله
اى لولا هداية الله موجودة لشقينا او ما كنا مهتدين لكانا ان مع ما فى حيزها فى
محل الرفع على الابتداء وخبره محذوف وهو موجودة وجواب لولا ايضا محذوف دل
عليه قوله وما كنا قوله واللام لتاكيد النفى اختيار لمذهب الكوفيين وهو ان لام الجحود
مع ما بعدها واقع خبر كان وان الفعل المنصوب بعد اللام منصوب بنفس اللام لا
باضمار ان بعد اللام وان اللام زايدة لتاكيد النفى وقال البصريون خبر كان محذوف
وليست بزايدة والفعل الواقع بعد اللام منصوب باضمار ان والتقدير اما كنا مريدين
للاهتداء لولا هداية الله لنا موجودة وتقدير قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم وما
كان الله مريدا لاضاعة ايمانكم اى لاضاعة اعمالكم التى هى ثمرات ايمانكم قوله على انها مبنية

اى جارية مجرى التنبيه والبيان لجملة الحمد وعلى القراءة بالواو تكون الجملة معطوفة على قوله
هدانا لهذا وقد يقترن الكمال اتصالا احدى الجملتين بالاخرى بمنع العطف قوله تعالى
لقد جاءت رسل ربنا بالحق قسم مقدر اقسموا عليه مع انه لا منكر له اظهارا لكمال نشاطهم وتبجحهم
بان رأوا ما وعدهم الرسل فى الدنيا عيانا فى الآخرة بقولهم اهل الجنة حين رأوا اياهم وعدهم
الرسل عيانا واستقروا فيه والباء فى قوله تعالى بالحق يجوز ان تكون للتعدية وان تكون
للحال اى جاءوا ملتبسين بالحق والاغتباط والتبجح بمعنى واحد وهو الفرح
والسرور قوله اذا راوها من بعيد ظرف لنودوا يعنى ان الملائكة ينادونهم
حين راى المؤمنين المؤمنون الجنة من بعيد بان يقولوا لهم ان تلكم التى رأيتموها
هى الجنة التى وعدتم بها فى الدنيا فيكون تلكم مبتدا اشير به الى ما رأوه من بعيد
والجنة خبر واللام فيها للعهد وآن نودوا بهذا القول بعد دخولهم الجنة يكون
قوله تلكم الجنة خبر مبتدا اى محذوف اى هى التى انتم فيها تلكم التى وعدتم فى الدنيا
ولما كانت الاشارة الى الجنة التى وعدوا بها فى الدنيا كان المشار اليها غائبا
بعيدا فصحت الاشارة اليه بلفظ تلكم ويجوز ان يكون تلكم الجنة مبتدا وحذف خبره
اى تلك الجنة التى وعدتم بها فى الدنيا هى هذه وعلى التقديرين فالمنادى له بحسب
الظاهر هو قول الملائكة تلكم الجنة الا ان المنادى له بالذات والقصد الاصلى
هو قوله اورثتموها بما كنتم تعملون اما على تقدير كونه حالا من الجنة فلان الحال قيد
لعاملها وقد تقرر ان محط الفايدة والمقصود الاصلى من الكلام هو القيد واما
على تقدير كونه خبر تلكم فظاهر فان قيل هذه الآية تدل على ان العبد يدخل الجنة
بعمله وقد قال عليه السلام لن يدخل الجنة احدكم بعمله وانما تدخلونها برحمة الله تعالى وفضله
فما وجه التوفيق بينهما اجيب بان العمل لا يوجب دخول الجنة لذاته وانما يوجبه من
حيث انه تعالى وعد للعاملين ان يتفضل بها بمحض رحمته وكمال فضله واحسانه
ولما كان الوعد بالتفضل فى حق العاملين بمقابلة عملهم كان العمل بمنزلة السبب
المؤدى اليها فلذلك قيل اورثتموها باعمالكم قوله وان فى المواضع الخمسة من قوله
ونودوا ان تلكم الجنة الى قوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا يجوز
ان فى جميعها يحتمل ان تكون تفسيرية للمنادى له لان كل واحد من النداء والتناذى

في معنى القول وان تكون مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان والجملة بعدها خبرها
ثم انه تعالى لما ذكر ثواب الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبتحيتهم بما عاينوا من فضل
الله تعالى مالا عين رأت ولا اذن سمعت ذكر تحيتهم عند اصحاب النار بان
وجدوا ما وعدوا به في الدنيا من الثواب حقا وشاهدتهم بهم تحسير العدم والشماتة
الفرح ببلية العدو فان اصحاب النار كانوا يؤذون المؤمنين ويعيرونهم
كما قال ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون الى قوله فاليوم الذين
امنوا من الكفار يضحكون تشفيا لقلوبهم وزيادة في عذاب الكفار بتحسرهم
قيل وجه تيسر المناداة والمكالمة بين اهل الجنة واهل النار مع ان بعد ما بين
الجنة والنار لا يعلم مقداره الا الله تعالى ان كل درجة من درجات الجنان تقابلها
دركة من دركات النيران فاي درجة تنزل فيها العامل بسبب عمله يستحق تاركه
ذلك العمل بسبب تركه اياه دركة من دركات الجحيم فيكون اهل كل درجة منهم فاعلا اهل
الدركة التي تقابلها كما قال الله تعالى فاطلع فراه في سواء الجحيم فامكن لهم تفريع
اهل النار وتحسيرهم بقولهم هل وجدتم ما وعد ربكم من البعث والحساب
وثواب اهل الطاعة وعقوبة العصاة فان جميع ذلك مما يتحسرون به اهل النار
ويتحسرون على انكاره وان لم يكن وعد بعضه مخصوصا بهم واطلق لفظ الوعد
على الجميع من ان البعض شر بالنسبة اليهم لانه يستعمل في الخير والشر قوله ومما يقوي
لما روي ان عمر رضي الله عنه سأل قوما عن شيء فقالوا انعم بفتح العين فقال انما النعم
الابل فقولوا نعم بكسر العين والفتح لغة اهل وعامة العرب والمؤذن ملك ينادي
باذن الله نداء يسمعه كل واحد من اهل الجنة واهل النار وقيل صاحب الصور يبين
باعلى صوته ان لعنة الله استغرقت على الظالمين اي على الكافرين دون المؤمنين
وهو اخبار وقيل هو ابتداء لعن منه عليهم وقوله بينهم يجوز ان يكون منصوبا
باذن او بمؤذن والتقدير على الاول ان المؤذن اوقع ذلك الاذان بينهم اي في
وسطهم وعلى الثاني ان مؤذنا من بينهم اذن بذلك الاذان والاول اظهر قوله
صفة للظالمين مقررة لما ان الظلم اذا ذكر مطلقا يعرف الى الكمال وكمال الظلم
هو الشرك لقوله ان الشرك لظلم عظيم فلما كان الظالمين يعني الكافرين كانت الاوصاف

الجارية عليه من قبيل الصفات المؤكدة فان الظالم وصف في الآية بثلاث صفات مختصة
بالكفار الاولى كونهم صادين موضعين عن سبيل الله على ان يكون يصدون فعلا لازما
بمعنى يعرضون لان جعله متعديا بمعنى يمنعون الناس يحوج الى تقدير المنعول وكلا
يصار اليه من غير ضرورة والثانية كونهم طالبين اما لسبيل الله ودينه اللحن وتغييره
الى الباطل بالقاء الشكوك والشبهات في دلائل حقيته والثالثة كونهم منكرين
للآخرة مختصين بهذا الوصف وكل واحدة من هذه الصفات الثلاث مفسرة
لظلمهم بمعنى الكفر نقل الجوهري عن ابن السكيت انه قال كل ما كان ينتصب كالحائط
والجدار والعود فيه عوج بفتح العين والعوج بالكسر ما كان في ارض او دين او
امر معاش يقال في دينه عوج فالعوج بكسر العين ما كان في المعاني والاعيان الغير
المنتصبة وبفتحها في المنتصبة كالرمح والجدار قوله ليمنع وصول اثر احدهما الى
الاخرى فان سعة كل واحدة منهما وان كانت بحيث لا يعلم قدرها الا الله لكن لا يبعد
ان تكونا متجاورتين بحيث يكون بينهما حد مشترك يكون مبدأ لاحدهما ومنتهى
للاخرى ويكون ذلك الحد مانعا لوصول اثر احدهما الى الاخرى فلا يرد ان يقال اذا
كانت احدهما قريبة من الاخرى افلا تنادي اهل الجنة بالنار والا يتنعم اهل النار
بنعيم الجنة لان الحجاب المضروب بينهما يمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى مع انه قد جاء
ان الحور العين لو نظرت واحدة منهن الى الدنيا لاضاءت الدنيا من ضوئها
وعطرها ولجاء في وصف النار ان شررة منها لو وقعت في الدنيا لاحرقتها فان قيل
اذا كان السور المضروب بينهما مانعا من وصول اثر احدهما الى الاخرى كيف يسمع اهل
احدهما نداء اهل الاخرى وكلامه قلنا ان الله تعالى قادر على ان يخلق في بصر كل فريق
من ابصار الفريق الاخر ويخلق في سامعته قوة سماع نداء الآخر وكلامه وان لا يجعل
الحجاب المضروب مانعا الا من وصول اثر احدى الدارين الى الاخرى ولا يجعله مانعا من
ابصار اهل احدهما اهل الاخرى ولا من سماعهم وان كان بعد ما بينهما لا يعلم قدره
الا الله فانه تعالى قادر على كل شيء فان قياس النشأة الاخرة على هذه النشأة من قبيل
قياس الغايب على الشاهد قال الامام الاعراف جمع عرف وهو كل عال مرتفع ومنه عرف
الديك والفرس سمي عرفا لانه بسبب ارتفاعه يكون اعرف مما انخفض منه ثم قال ذهب الاكثرون

الا ان المراد من الاعراف اعالي ذلك السور المضروب بين الجنة والنار قيل المراد
بالرجال الواقفون على الاعراف طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين
الجنة والنار يمنعون من دخول الجنة لما لهم من السيئات ويمنعون من دخول النار
لما لهم من الحسنات فيتومون على اعالي ذلك الحجاب حتى يقضي الله فيهم ما يشاء
قيل هم آخر اهل الجنة دخولا فيها يدخلهم الله الجنة برحمته وقيل ليس المراد بهم
الموحدون المقصرون في العمل بل المراد بهم اشراف اهل الطاعة واهل الدرجات
العالية ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فقال بعضهم انهم الانبياء اجلسهم
الله تعالى على اعالي ذلك السور تمييزا لهم عن سائر اهل الغيمة ليكونوا مشرفين
على اهل الجنة هم اهل النار مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم
وقال بعضهم هم الشهداء الذين خرجوا الى الغزو وغزوا في سبيل الله بغير اذن
اباياتهم فقتلوا شهداء فاعتقوا من النار بان قتلوا في سبيل الله وحبسوا عن الجنة
بعصيان هم آبائهم واحتجوا عليه بما روي انه عليه السلام سئل عن اصحاب الاعراف فقال
هم ناس قتلوا في سبيل الله منعهم دخول الجنة معصية ابائهم ومنعهم النار قتلهم
في سبيل الله والظاهر ان من الشهداء لبسوا اخلين تحت اقوام علة درجاتهم
لانهم خلطوا العمل الصالح بالسيئ فمراد المصنف بالشهداء هم الذين تميزوا من
بين اهل الموقف بالاستحقاق لمزيد التعظيم والاجلاس في اعالي السور المضروب
ليشاهدوا حكم الله تعالى في اهل الموقف بمقتضى فضله وعدله وقال بعضهم هم الملائكة
الموكلون باعالي السور المضروب بينهما يميزون المؤمنين من الكفار قبل ادخالهم
الجنة والنار عبر عنهم باسم الرجال لكونهم يرون في صورة الرجال كما عبر عن الجن
في قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن لكونهم في صورة الرجال
فان قيل كيف يصح ان يجعل الرجال المذكورون على اصحاب الدرجات العالية من الانبياء
او الشهداء او الملائكة وقد قال تعالى في حق اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون
وهذا الوصف لا يليق بقوم علت درجاتهم لكن لا محذور في توصيفهم به لان تاخر
دخولهم الجنة لا ينافي كونهم اشراف اهل الموقف وعلو درجاتهم عند الله فانه يجوز
ان يمكثهم الله تعالى في تلك الاماكن الرفيعة الى ان يقضي بين اهل الموقف ليشاهدوا احوال

كل واحد من اهل الفضل والعدل ثم يأمرهم بان ينتقلوا الى منازلهم الرفيعة ودرجاتهم
العالية في الجنة وعدم دخولهم الجنة في اول الامر لا ينافي علو درجاتهم بل ذلك من جملة
وجوه اكرامهم ليزدادوا ابتهاجا ومسرة بمشاهدة سعادة اتباعهم وشقاوة
اعدائهم واما قوله وهم يطمعون فالمراد من هذا الطمع اليقين كما في قوله تعالى حكاية عن
ابراهيم عليه السلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فان الطمع فيه بمعنى اليقين
قوله اومن وسم على القلب اي او هو فعلى من وسم على قلب المكان اصله وسم قوله واما
يعرفون ذلك بالالهام لما كانت معرفة الرجال كل واحد من اهل الجنة والنار استدلالا
بسيماهم دليلا على انهم يعرفون كل واحد من الفريقين قبل استقرارهما في منازلهما
من الجنة والنار لان معرفتهم بذلك بعد الاستقرار فيها تحصل بالمشاهدة والاحساس
ولا يحتاج الى الاستدلال بسيماهم فاحتيج الى بيان سبب معرفتهم بذلك قبل استقرارهما
في منازلهم فلذلك بين ان سبب معرفتهم اما الالهام او تعليم الملائكة قوله تعالى يعرفون
في محل الرفع على انه صفة رجال وتنوين كلا عوض عن المضاف اليه اي كل فريق من اصحاب
الجنة واصحاب النار وقوله وناداوا اصحاب الجنة عطف على قوله يعرفون صفة ثابتة
لرجال عدل به الى لفظ الماضي تنزيلا للمتوقع الواقع لكمال رغبة الرجال في ندائهم
من حيث انهم عرفوا بسيماهم انهم اصحاب الجنة فسلموا عليهم سلام التحية والاكرام
او بشروهم بالسلامة عن جميع المكاره والآفات وقيل ناداوا للرجال سواء اريد
بهم الموحدون حرون المقصرون في العمل والذين علت درجاتهم وكذا ضمير لم يدخلوها
وهم يطمعون على تقدير ان يراد بالرجال المقصرون في العمل اي ناداوا حال كونهم
لم يدخلوها وهم طامعون في دخولها فيكون قوله لم يدخلوها وهم يطمعون حالا من
فاعل ناداوا وان اريد بالرجال من علت درجاتهم من الانبياء والشهداء او خيار
المؤمنين او الملائكة يكون قوله لم يدخلوها وهم يطمعون حالا من مفعول ناداوا
وهو اصحاب الجنة لان طمع دخول الجنة لا يليق باشراف اهل الموقف اي ناداهم اشراف
اهل الموقف وهم على الاعراف اصحاب الجنة حال كون اصحابها لم يدخلوها وهم طامعون
في دخولها ولم يلتفت المصنف الى احتمال كون الطمع بمعنى اليقين لانه لا حاجة اليه مع امكان
حمل اللفظ على معناه الحقيقي بل قاله ان قوله لم يدخلوها حال من فاعل ناداوا على الوجه

الاول وهو ان يراد بالرجال الموحدون المتصفون في العمل ومن مفعوله وهو الاصحاب على
ان يراد بالرجال اشراف اهل الموقف كالانبياء الخ قوله اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم
اشارة الى ان قوله وناداوا اصحاب الجنة جزاء شرط محذوف لدلالة قوله واذا صرفت ابصارهم
تلقا اصحاب النار واغا قدر نظروا دون صرفت للاشعار بان نظرهم الى اصحاب الجنة
عن رغبة بخلاف اصحاب النار فان رؤيتهم اياهم تحتاج الى صارف يصرف ابصارهم
اليهم ولذلك لم يذكر الشرط في نداء اهل الجنة فتقدير الشرط في ندائهم غير مطابق لما عليه
الكتاب الكريم وقوله المص اي اذا نظروا الخ دبيان المعنى لا لبيان الاحتياج الى التقدير
ثم ان اصحاب الاعراف لما تعوذوا بالله من شقوة احوال اصحاب النار نادوا رؤساء
كابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم بتكييلهم وتوبيخا بان قالوا الهم ما اغنى
عنكم جمعكم اي تكثيركم الاعوان او جمعكم الاموال واستكباركم الايمان بالله وهي
سمانة تلبقة وتبكيت عظيم لاولئك المخاطبين من رؤساء الكفار قوله تتمة قولهم للرجال
اي من تمام قول اصحاب الاعراف للرجال الذين هم رؤساء الكفرة فيكون قوله تعالى هؤلاء
الذين اقسمتم في محل النصب بالقول المتقدم اي قال اصحاب الاعراف لرؤساء الكفرة
ما اغنى عنكم وقالوا لهم ايضا هؤلاء الذين اقسمتم مشيرين به الى ضعفاء اهل الجنة
كبلال وصهيب وسلمان وخباب واضرابهم ممن كان المشركون يحقرونهم في الدنيا
ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة فحين قال اصحاب الاعراف هذا الكلام لرؤساء
الكفرة التفتوا الى فقراء المسلمين وقالوا لهم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم حين
يخاف اهل النار ولا انتم تحزنون حين يحزن اهل النار وهذا التأويل اوفق لكون
المراد باصحاب الاعراف قوما علت درجاتهم لان خطاب فقراء المؤمنين بان يقال
لهم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون لا يليق بالموحدين المقصرين
في العمل وانما يليق عن علت درجاتهم من الانبياء واشراف اهل الموقف قوله
او تقيل لاصحاب الاعراف عطف على قوله فالتفتوا الخ ويحتمل ان يكون المعنى ان اصحاب
الاعراف لما خاطبوا رؤساء الكفرة بان قالوا لهم ما اغنى عنكم جمعكم وكثرة خدمكم
واعوانكم او جمعكم المال واستكباركم عن الحق او على الحق وبان قالوا لهم مشيرين
الى فقراء اهل الجنة اهؤلاء الذين كنتم تحلفون بالله انه لا يدخلهم الجنة قال الله تعالى

او بعض

او بعض الملائكة لاهل الاعراف بعد ان حبسوا على الاعراف واطلعوا على احوال الفريقين
بسيماهم وقالوا لكل واحد من الفريقين ما قالوا ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى ورحمته
وهذا مبني على ان يكون المراد باصحاب الاعراف الموحدين المقصرين في العمل والغاية
بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتأخر بحسبها قوله وقيل لما عيروا اصحاب
النار عطف على قوله تتمة قول اصحاب الاعراف لرؤساء الكفرة اي قبل انه ليس من تتمة
قول اصحاب الاعراف بل هو كلام قاله الله تعالى او بعض الملائكة لاصحاب النار حين
اقسموا ان اهل الاعراف لا يدخلون الجنة وذلك ان اصحاب الاعراف لما عيروا اصحاب
النار بان قالوا لهم ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون من النار قال لهم اصحاب
النار ان لم تدخل الجنة فانتم ايضا لا تدخلونها واقسموا على ذلك فقال الله تعالى او بعض
الملائكة لهم اهؤلاء الذين اقسمتم على انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالون رحمته
فيقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فتدخل اصحاب
الاعراف الجنة بعد ما حبسوا عنها من تقصيرهم في العمل قوله وقراء ادخلوا على بناء
المجهول ماضيا من باب الافعال وقراء ايضا ادخلوا ثلاثيا ماضيا مبنيا للفاعل وتأويد
هاتين القراءتين انه من تتمة كلام اصحاب الاعراف لرؤساء الكفرة ولما ورد ان يقال كل
واحدة من هاتين القراءتين على الغيبة فالمناسب لهما ان يقال لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون فاوجه ان يقال لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون انشاء المفيد الى وجهه بقوله
وتقديره ادخلوا او ادخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم على ان تكون الجملة المنفية
في محل النصب على انها مقول قول مقدر وذلك القول المقدر منصوب على انه حال من فاعل
دخلوا او ادخلوا قوله ليلايم الافاضة يعني ان كلمة ما في قوله او مما رزقكم الله وان كانت
متناولة للمأكول والمشروب الا انه ينبغي ان يتبين بالمشروب ليلايم الافاضة فان الاصل
فيها ان يستعمل في المائعات من المشروبات وان حملت على ما عم الماء من المطعومات
يكون الكلام من قبيل ما حذف فيه المعطوف مع بقاء العاطف ويكون تقدير الكلام
افيضوا علينا شيئا من الماء او القوا علينا شيئا مما رزقكم الله من الطعام ومثله
كثير في كلام العرب ومنه قول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا حتى شتت همالة عيناها
يقال شتوت بموضع كذا اذا اقمت به في الشتاء وهملت عينه اي فاضت وتقرير علفتها

تبنا

وسقيتها ماءً باردا حذف المعطوف وابقى العاطف ومنه رأيت زوجك قد غرا منقلدا
سيفا وترسا اى وحاملا ترسا ومنه اذا ما الغانيات خرجن بوما وزججن الحواجب
والعيونا اى وكحلن العيون فان الزج وهو دقيق المراة حاجبها وتطويلها آيا ه
لا يتعلق بالعيون قوله منعهم اى منعهم المحترم عن المكلف يعنى التركيب من قبيل
الاستعارة التمثيلية لان التحريم تكليف وهم ليسوا فى دار التكليف شبّه حالهم
مع شراب الجنة وطعامها بحال المكلف مع حرم عليه فى المنع عنه وكذلك قوله تعالى فاليوم
ننساهم لان الله تعالى منزه عن حقيقة النسيان وكذلك وصفهم بنسيان لقاء يوم
القيمة لانهم لم يكونوا معترفين بلقاء يوم القيمة ومصدقين به فلا يليق وصفهم
بنسيانه لان النسيان يكون بعد المعرفة شبّه معاملته تعالى مع الكفار بمعاملة من
نسى عبده عن الخير ولم يلتفت اليه وشبّه عدم اخطارهم لقاء الله تعالى ببالهم
وعدم مبالاتهم به بحال من عرف شيئا ونسيه ومثل هذه الاستعارات كثيرة فى
القرآن لان تفهيم المعانى الواقعة فى عالم الغيب انما يكون بان يعبّر عنها بما يماثلها
من عالم الشهادة ثم وصف الكافرين بانهم اتخذوا دينهم الذى امروا بالتدين به
وهو دين الاسلام ملعبة تبلا عبون به يحرّمون ما شاءوا ويحلّون ما شاءوا
ولا يتبعون امر الله تعالى وانما يتبعون اهواءهم التى زيّنها الشيطان لهم وقيل
كان دينهم دين اسماعيل عم فعبّروه وتدينوا به بما شاءوا وصرفوا طمتهم بما لا
لا ينبغى ان يصرف به الهم وطلبوا ان يفرحوا بما لا ينبغى ان يطلب به الفرح والتصدية
التصفيق وهو التصويت باليد تقال صفّقت له بالبيع والبيعة صفقا اى ضربت
يدى ببيع والمكاء الصفير عبّر بما زين الشيطان لاهل الجاهلية من العادات
القبيحة باللهو واللعب كتحريم البحائر والسوائب والمكاء والتصدية حول البيت
وغير ذلك للاشارة الى كونها امورا قبيحة وعادات باطلة لا ينبغى للعاقل ان يباشرها
كما لا ينبغى ان يباشر اللعب واللهو فالظاهر ان قوله دينهم مفعول اول لكونه معرفة
وكون قوله لهوا ولعبا نكرتان ويحتمل ان يكون دينهم مفعولا ثانيا ويكون المعنى
اتخذوا ما هو بمنزلة اللهو واللعب دينا لانفسهم اى عادة وشانا فان الدين يستعمل
بمعنى العادة والشان قوله وكما كانوا منكرين اشارة الى ان كلة ما فى قوله وما كانوا

مصدرية

مصدرية مجرورة المحل عطفا على اختها والمجرور بالكاف التى هى فى محل النصب على انها صفة
مصدر محذوف والمعنى تناسهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا ومثل كونهم
جاحدين ومنكرين ان الآيات من عند الله تعالى قوله منفصلة اى حال كون المعانى الواردة
فى كل باب متميزا بعضها عن بعض عالمين مبنى على ان يكون قوله عالما علم حالا من فاعل فصلناه
وقوله مشتملا على ان يكون حالا من مفعوله والمراد باشتمال معانى الكتاب على كونها معلومة
لله تعالى مبنية على احكم ومصالح لا تخفى وتنكير علم للتعظيم ثم انه تعالى لما بين انه ازاح العلة
بسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعد حال من كذب به
فقال هل ينظرون الا تاويله اى ما ينظرون الا عاقبة ما وعد الله فيه من البعث
والنشور والحساب والعقاب ومجازات كل نفس بما كسبت فان هذه الامور تاويل
المواعيد المذكورة فى الكتاب من حيث ان تلك المواعيد تؤول اليها فان تاويل الشئ مرجعه
ومصيره الذى يؤول ذلك الشئ اليه فالنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع فان قيل كيف
ينتظرون ويتوقعون ما يؤول اليه امر المواعيد المذكورة مع جحودهم وانكارهم
لترتب مدلولاتها عليها اجيب بانهم مع جحودهم اياها جعلوا بمنزلة المنتظرين لما يؤول
اليه امرها من حيث انه يأتيهم لا محالة ولان دلايل اتيانه لما كانت قطعية الدلالة على
اتيانه جعلوا بمنزلة العالمين باتيانه والمنتظرين له ثم انه تعالى بين انه يوم يأتيهم تاويله
الذى انتظروا اتيانه وشاهدوا اتيانه عيانا اعترفوا بان ما جاءهم الرسل به من
حقية البعث والحساب والجزاء حق واضطروا الى ان يتمنوا احد الامرين احدهما
الخلاص من عذاب الآخرة بشفاعة الشفعاء وثانيهما الرد الى الدنيا ليعملوا عملا صالحا
فبين الله تعالى ان الذى تمنوه لا يحصل لهم البتة حيث خسروا انفسهم بصرف اعمارهم فى الكفر
وضل عنهم ما كانوا يكذبون فى حقه ويزعمون ان الاصنام شفعاؤهم عند الله تعالى
تنفعونهم بالشفاعة فضلوا عنهم فلم تنفعهم ولفظ شفعاء فى قوله تعالى فهل لنا شفعاء
مبتدا ومن زايدة فى المبتدا والنا خبر مقدم وقوله فيشفعوا منصوب باضمار ان فى جواب
الاستفهام فقد عطف ما فى تالو بل الاسم على الاسم الصريح اى فهل لنا من شفعاء فشفاعة
منهم لنا وقوله او نرد مرفوع على انها جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية هى قوله هل لنا
من شفعاء وقوله فنعمل منصوب على ما انتصب عليه قوله فيشفعوا اى او هل نرد فنعمل

فيكون المسؤل احد الامرين للخلاص عن عذاب الآخرة بشفاعة الشفعاء او الرد
الى الدنيا لاجل العمل الصالح وقرأ ابو نوفل بالنصب لها وجهان الاول ان يكون منصوبا
بالعطف على جواب الاستفهام وهو قوله فيشفعوا فيكون المسؤل امرا واحدا وهو
ان يكون لهم شفعاء يطلبون لاحد الامرين الاول ان يشفعوا لهم في الخلاص
عن العذاب والثاني ان يشفعوا لهم في الرد الى الدنيا والوجه الثاني من وجهي
نصب نرد ان تكون كلمة او بمعنى الى ان كما في قولك لالزمنك او تعطيني حقي اي الى
ان تعطيني حقي فيكون المسؤل امرا واحدا ايضا وهو ان يكون لهم شفعاء الا
انهم يطلبون لامر واحد وهو الرد الى الدنيا ثم انهم لما قالوا يوم يأتي
تأويله ما جاء هم عن الكتب المفصلة لاخلاص لنا عما نحن فيه الا باحد الامرين
ان يكون لنا شفعاء نخلصنا عنه او الرد الى الدنيا لاصلاح العمل بين الله تعالى
انه لا سبيل الى شئ من الامرين بل هم مخلدون فيما هم فيه لانهم خسروا انفسهم
وضل عنهم ما عبدوه من الاصنام التي عبدوها في الدنيا رجاء شفاعتها لهم ولم ينتفعوا
بها ثم انه تعالى لما بالغ في شرح احوال المعاد شرع في بيان دلايل الوحدانية وكمال القدرة
والعلم ليتحقق بذلك صحة ما ذكر من تفصيل احوال المعاد فقال ان ربكم الله الذي الاية
لما كان لفظ اليوم في العرف عبارة عن زمان مكث الشمس فوق الارض والشمس
والارض حين خلق السموات والارض فكيف يتحقق اليوم حتى يجعل ستة ايام
ظرفا لخلق العالم فستة ايام ستة اوقات لان اليوم قد يذكر بمعنى الوقت كما في قوله
تعالى ومن يولهم يومئذ دبره وجوز ان يكون ستة ايام بمعنى مقدار ستة ايام كما في قوله
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والمراد بهما مقدار البكرة والعشي في الدنيا لانه لا ليل
ثمة ولا نهار قوله وفي خلق الاشياء مدرجا جواب عما يقال من ان خلقها دفعة واحدة
ادل على كمال القدرة من خلقها في ستة ايام واوفق لقوله تعالى انما امرنا اذا اردنا شيئا
ان نقول له كن فيكون فما الحكمة في خلقها مدرجا اجاب عنه اولا بانه تعالى خلقه مدرجا ليعلم
بذلك انه فاعل بالاختيار فانه لما خلقه مدرجا مع انه لا فرق بالنسبة الى قدرته الكاملة بين
خلقه مدرجا وخلقه دفعة علم ان المرجح لاحد مقدوريه على الآخر انما هو الاختيار وثانيا بانه
لما خلقه مدرجا شاهد الناظر فيه من اهل الاعتبار آثار قدرته الكاملة وحكمته الباهرة ساعة

بعد ساعة ويستدلون به على وجوده وعظمة شانه وكمال علمه وقدرته واستغنائه عن الشريك
والوزير وانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فالخلق مدرجا اقوى في الدلالة على عظم شانه
وباهر قدرته بالنسبة الى الخلق دفعة من حيث انه يتكرر ويتجدد على الناظر المعتبر ظهور
الآثار المشتملة على الحكم والمصالح لحظة بعد لحظة فيكون ذلك ادل على وجوده ووحدته وسائر
صفات جماله وجلاله اذ لا طريق الى ادراك ذاته سوى مشاهدة آثاره وقد ورد في الحديث
القدسي انه تعالى قال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق ليعرفوني وهذا
الجواب بدل على ان خلق الملائكة ونحوهم من اهل الاعتبار والاستدلال مقدم على خلق
السموات والارض وقال بانه ثم خلقه مدرجا ليعلم الخلق ان الخير في التأني والتثبت
والشر في العجلة كما جاء في الحديث التأني من الله والعجلة من الشيطان قوله استوى امر
او استولى لما كان تعالى منزها عن الاستواء بمعنى زواله لاعوجاج وعن الاستواء
بمعنى الاستقرار والتمكن كما في قولك استوى فلان على دابته ذهب الراسخون في العلم
الى انه تعالى لما وصف نفسه بالاستواء على العرش وجب علينا ان نؤمن به ونكل الكلم
بكيفية الاستواء الى الله تعالى وقالوا السؤال عنه بدعة كما روي انه سئل بعض الاكابر
عن تاويل الآية فقال تاويلها الايمان بها وهؤلاء الطائفة يقفون على قوله ثم وما يعلم
تاويله الا الله ويبتدؤون من قوله والراسخون في العلم يقولون امنا بالله كل من
عند ربنا ومن الحكماء من لا يقف على قوله الا الله بل يعطف قوله والراسخون في العلم
على لفظ الجلالة ويقول يجب علينا ان نحمل المتشابه على المحكم ونتأوله على وفق الاصول
المحكمة ومنهم المصنف فذكروا في تاويل الآية قولان اشار المصنف اليهما بقوله استوى
امره او استولى وبيان الاول ان العرش بحسب اللغة وان كان يطلق على السرير الذي
يجلس عليه الملوك كما في قوله ثم نكروا لها عرشها وفي قوله ورفع ابويه على العرش وخروا
كل ما علاك واظلك وسمي عرش الكروم والعرش بهذين المعنيين مستحيل في
حقه تعالى فيحمل الاستواء على العرش في حقه تعالى كناية عن نفس الملك والعز والسلطنة
على طريق ذكر اللازم وارادة الملزوم كما في قول الشاعر ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم
بزبيعة بن حارث بن شهاب فانه جعل ثل العرش كناية عن ازالة الملك ويقال انتقض
عرش فلان اذا زال ملكه وسلطنته ويقال استوى على عرشه اذا استقام له ملكه

واستحكم عن وسلطنته على طريق ذكر اللازم واراده الملزوم كما يقال لمن كثر اضيافه
كثير الرماد ولمن طال قامته طويل النجاد فحصول الآية انه تعالى عالم الملك في ستة ايام كما
اراد وشاء من غير منازع ومدافع وبعد ان خلقه كذلك استوى على الملك والتصرف فيه كيف
شاء فحرك الافلاك وسير الكواكب وكور الليالي والايام ودبر امر مصنوعاته على ما
يقتضيه حكمته وهذا معنى قول الم استوى امره ايم ثم استقر امر ابو بتيته وجرى امره
وتدبيره ونفذ قدرته في مصنوعاته ولا يرد ان يقال كلمة ثم تدل على انه تعالى لم يكن لم
استوآء الامر قبل ان خلق السموات والارض لانه تعالى ازلي الوجود متصف بجميع صفات
العظمة والكبرياء منزه عن جميع ما لا يليق بشانه الاعلى قادر على ايجاد جميع الحوادث
الممكنة والتصرف فيها حيثما يشاء غاية ما في الباب ان يكون تعلق قدرته بمقدوراته ونفاذ
امره وتدبيره فيها بالفعل متوقفا على حدوثها لان التصرف في الشيء انما يتأتى بعد تكونه
وحدوثه فاستواء امره وظهور تصرفه فيها انما يكون بعد حدوثها كما دل عليه كلمة ثم في قوله
ثم استوى على العرش وبيان قوله او استوى انه يحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى ثم
استوى على العرش انه استولى عليه بالتأثير فيه وايجاده والتصرف فيه على ما تقتضيه
الحكمة البالغة والقدرة الكاملة فان الاستوآء قد يذكر بمعنى الاستيلآء كما في قوله قد استوى
بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق اي قد استولى عليه ونفذ تصرفه فيه عبر عن
الاستيلآء على العرش والتأثير فيه بالاستوآء عليه لان الاستواء على الشيء عبارة عن
الاستقرار عليه وانتهآء الامر عنه ومنه قولهم بلغ الشمس الى حد الاستوآء بمعنى انتهى
في ارتفاعه الى الكمال وكذا قولهم استوى الميزان فهو تعالى لما خلق السموات والارض
ثم خلق العرش العظيم المحيط بجميع الاجسام وجرى امره فيه فقد استقر امر خلق الاجسام
المحيطة على العرش وتم خلقه خلق الاجسام العالية وما خلق فوقه شيئا آخر فكان
الاستيلاء على العرش استوآء واستقرار الامر للخلق عليه فكانه قيل استوى
امر الخلق على العرش وانتهى عند باستيلائه عليه وتاثيره فيه قوله فان الامور التدابير
تنزل منه اي كما تنزل احكام الملك وتدابيره من عرشه وسريره حال تمكنه عليه
عند الحكم فانه تعالى مستوى على العرش الاعظم بلا وصف التمكن والاستقرار عليه ومنه
ينزل احكام قضائه وقدره الى عالم الملك فهذا هو وجه المشابهة بين العرش الاعظم

وسرير الملك قوله وقيل الملك عطف على قوله الجسم المحيط بمعنى قيل العرش في الآية بمعنى
الملك لان العرش بمعنى سرير الملك لما كان من لوازم الملك المطلق واريد به ملزومه الذي
هو نفس الملك ولم يرض به لانه لا يمكن التصرف في لفظ العرش فقط بل لا بد من التصرف
في الاستوآء عليه ايضا لان العرش بمعنى الملك لا يستوى اي لا يتمكن عليه حقيقة بل لا بد
من جعل الاستوآء على الا العرش كناية عن الملك ونفاذ التصرف كما اختاره ثم انه تعالى لما ذكر
الستواه على العرش واخبر عن نفاذ امره واطراد تدبيره بين ذلك بطريق الاستيناف
فقال يغشى الليل النهار اي يجعل الليل غاشيا يغشى النهار بظلمته فيذهب بنور
النهار ويغطيه بظلمته فان شانه تعالى ان ياتي الليل على النهار ويغطيه بظلمته فانك اذا
قلت غشى الليل النهار فقد جعلت الليل غاشيا ساترا للنهار وجعلت النهار
مستورا بالليل وكان الفعل متعديا الى واحد واذا نقلته الى باب الافعال جعلت
متعديا الى اثنين وجعلت ما كان فاعلا للفعل الثلاثي مفعولا اولا وجعلت مفعول
الفعل الثلاثي مفعولا ثانيا فيكون معنى الآية انه تعالى يجعل الليل غاشيا معطيا للنهار
بظلمته ويجعل النهار مستورا بالليل فرآ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص
هنا وفي سورة الرعد يغشى بضم الياء وسكون الغين وتخفيف الشين على انه مضارع
اغشى على افعل وقرآ حمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب يغشى بالتشديد من
التغشية قيل فيه اختصار حيث لم يذكر ويغشى النهار الليل اي يجعل غاشيا لليل
يغشاه ويذهب ظلمة الليل ولم يذكر للعلم به قوله اولا ان اللفظ يحتملها اي ويجوز
ان يكون عدم ذكر عكسه منفيا على كون نظم القرآن محتملا لكل واحد من المعنيين
على سبيل البدل فان لفظ يغشى الليل النهار يحتمل ان يكون فيه فاعلا معنى ويكون النهار
مفعولا لفظا ومعنى بان يكون الليل غاشيا للنهار ويكون النهار مستورا بظلمة الليل
ويكون المعنى انه تعالى يجعل الليل غاشيا لضوء النهار ويحتمل ايضا ان يكون النهار فيه
فيه فاعلا معنى ويكون الليل مفعولا لفظا ومعنى ويكون المعنى انه تعالى يجعل النهار غاشيا
لظلمة الليل وسائر الما لضوئه على تقدير المفعول لفظا ومعنى على الفاعل معنى فيكون
الليل غاشيا لضوء النهار على الاول ويكون النهار غاشيا لظلمة الليل على الثاني ولما كان
نظم الآية محتملا للمعنيين على البدل اكتفى بدلالته عليهما كذلك عن التصريح بما يدل عليهما

صريحا وان لم يصح ان يراد بلفظ واحد باطلاق واحد مجموع محتملية معا واستدل جوازان
يكون النهار فاعلا معنى بقرأة يغشى الليل النهار وقوله يطلبه حثيثا يجوز ان يكون حالا
من الليل اي يجعل الليل غاشيا للنهار حال كون الليل طالبا له اي لمجيئه عقيب الليل سريعا
ولفظ المضارع في يطلبه للاستمرار التجددي اي يستمر في طلب النهار من غير فتور يوجب
التأخر عن وقته ويجوز ان يكون حالا من النهار اي يغشى النهار حال كونه مطلوبا بالليل لكون
الجملة السابقة مشتملة على ذكر كل واحد من الفاعل المعنوي والمفعول وحثيثا منصوب
على انه صفة مصدر محذوف اي يطلبه طلبا حثيثا اي سريعا ولما كان كل واحد من الليل
والنار يعقب الاخر وكان بعض من غيران يفصل بينهما شئ صار كانه يطلب الآخر
سريعا على منهاج واحد حثه على الشئ اي حضه عليه فالحث والتحضيض بمعنى واحد
قرا الجمهور والشمس وما عطف عليه منصوبا بالعطف على السموات اي خلق فعل
المخلوقات حال كونها مسخرات اي مذللات بامره اي بقضائه واراده ذلك منها
بقضائه وتصريفه متعلق بمسخرات بمعنى مذللات لما يراد منها من الطلوع
والافول والحركات المقدرة والاحوال الطارية عليها فتسخير الامر بالقضاء والتقرير
لان الامر بمعنى التكليف وهو الذي يجمع على اوامر لا على الامور انما يتعلق بالعقلاء
المختارين وما ذكر منها ليس منهم فلا بد ان يحمل الامر على المعنى المجازي المناسب للمقام
وهو القضاء والتقرير على مقتضى الحكمة ووفق الارادة حيث جعل الامور المذكورة في كونها
ثابتة لقضائه وتقريره اياها بشأن كانها مأمورات منقادة لامره وجعل
قضاؤه وتصريفه بمنزلة الامر والتكليف فاطلق عليه لفظ الامر على سبيل الاستعارة
والمعنى ذكر الله انه خلق هذه المذكورات بمسخرات بامره ذكر عقيبه ان مطلق الخلق والامر
له لا الفيض تكميلا وتتميما ودلالة على ان خلقه وامره لا يختص بهذه الاشياء ولا تنكر
لاحد فيها اي لا توجد شيئا من المكونات الا هو ولا يأمر في خلقه بما شاء الا هو وذكر
الامام ان العالم وهو ما سوى الله تعالى منحصر في نوعين عالم الخلق وعالم الامر
وان المراد بعالم الخلق عالم الاجسام والجسمانيات وبعالم الامر عالم الارواح
والمجردات وان الله تعالى الاله للخلق والامر اشار الى هذين العالمين عبر عن العالم
الاول بعالم الخلق عبارة عن التقدير وكل ما كان جسما او جسمانيا كان مخصوصا

بمقدار

بمقدار معين فعبر عنه بعالم الخلق وكل ما كان مجردا عن الحيز والمقدار كان من عالم الارواح
ومن عالم الامر مكونا مجردا مركن مخصص كل واحد منها باسم مناسب له وقيل الاله الخلق
والامر والله اعلم فقوله والاله للخلق والامر جملة اعتراضية مبنية لما ذكر قبلها مما يدل على
وحدانيته وكمال قدرته وحكمته فلذلك صدرها بحرف التنبيه وقدم فيها الظرف
للتخصيص ايذانا بان اهم الاشياء اعتقاد التوحيد في الخلق والتدبير وكذلك قوله
تبارك الله رب العالمين اعتراض آخر لبيان عظمته بالوحدانية في الالوهية والربوبية
لجميع مصنوعاته اي تعاظم الاله الواحد الموجد للكل المتفرد فيه بالربوبية وقد به
على الكفرة الذين كانوا يتخذون ربابا فدعاهم الى التوحيد بالحكمة والحجة وصدر
الاية بان رد الانكارهم فقال ان ربكم المستحق للربوبية ليس الا واحدا وهو الله
الموجد للكل على الترتيب المحكم المتقن الدال على العلم والحكمة والقدرة وهو
الذي انشاء ملكه على ما يشاهد ثم اخذ في تدبيره كالملك المتمكن في مملكته لتدبير
ملكه ثم انه تعالى لما ذكر الدلايل الدالة على كماله وقدرته امرهم بالاشتغال
بما يليق بشانه الاعلى وهو تخصيصه بالدعاء والتفرع قوله تضرعا وخفية
حالان من فاعل ادعوا اي متضرعين مخفين الدعاء ليكون اقرب الى الاجابة لكون
الاخفاء دليل الاخلاص والاحتراز روي عن الصحابة رضي الله عنهم انهم كانوا
في غزاة فاشرفوا على واد فجعلوا يكبرون ويهللون رافعي اصواتهم فقال عليه السلام
ارفقوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا قريبا
وانه لمعكم قوله وتذكير قريب مع انه فعيل بمعنى فاعل والاصل فيه ان يفرق بين
المذكور والمؤنث فالظاهر ان يقال قريبة لكونه مسندا الى ضمير الرحمة الا انه ذكر
لتأويل الرحمة بالرحم بضم الراء بمعنى الرحم قال تعالى او اقرب رحما او للتشبيه قريب
بفعيل الذي هو مصدر كالنقيض وهو صوت المحامل والرحال وكالنقيق وهو
صوت الضفدع يقال نق يبق نقيقا اي صوت وكالضغيب وهو صوت الارنب
يقال ضغبت تضغب ضغيبا والمصدر يلزمه الافراد والتذكير في جميع الاحوال على
تحمل ما يوازيه عليه قوله او للفرق بين القرب من النسب والقرب من غيره فان
القريب والبعيد اذا اريد بهما القرب والبعد في النسب يجب تانيثهما اذا وصف بهما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المؤنث فتقول فلانة قريبة مني او بعيدة اذا اردت الاخبار بقربها او بعدها منك
في النسب واما اذا اريد القرب او البعد في المكان فيجوز الامران التانيث
على الاصل والتذكير بناء على تقدير موصوف مذكر فاذا قلت فلانة قريب مني او بعيد
تريد انها في مكان قريب مني او بعيد او قريب مكانه مني وبعيد مكانه قوله ذوي
خوف من الترهيب بدل ذوي خوف من العقاب وذوي طمع من الثواب لان عبادة المكلف
ودعائه انما يكون معتبرة اذا صدرت عنه امتثالا لامر الله تعالى بها وطاعة له قضاء
لحق الوحدية لله وعبودية انفسه فانه ليس للعبد الا طاعة سيده باتيان ما اوجبه
عليه والاجتناب عما نهاه عنه فمن عبد على هذا الوجه يكون من الشاكرين المطيعين
ويكون عبادته معتبرة مقبولة بخلاف ما اذا عبده خوفا من العقاب او طمعا في
الثواب فانه لا يكون مخلصا في عبادته قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله له الدين
ومن عبد لحض نفسه وجب ان لا تنفع عبادته لانه ما اتى بها تعبدا للمولاه وقضاء لحق
الوحدية وعملا بمقتضى عبودية نفسه فلذلك فسر قوله بوخوفا وطمعا بقوله خائفين
من ان يرد علكم لما وقع من التقصير في بعض شرايط قبوله وبقوله وطمعا في اجابته تفضلا
واحسانا لفرط رحمته قوله وهو الذي يرسل الرياح من تتمة ما ذكر لبيان استوايه
على العرش على طريق الاستيناف فان جعل الليل والنهار خلفه تخلف كل واحد منهما
صاحبه وارسال الرياح مبشرات للمطر قبل نزوله واخراج انواع الثمرات بسببه
من جملة استوا امره بوبيته تعالى ونفاذ قدرته وتصرفه في مصنوعاته اختار المصنف
قراءة نشرا بضم النون والشين وهي قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو وهو جمع نشور
بمعنى ناشر على انه بناء للنسبة كتامر ولابن اما من النشر الذي هو ضد الطي واما
من النشور بمعنى الاحياء والمعنى ذا النشر وتفرق او ذا النشور وقيل ناشر بمعنى المنشر
اي المحيي يقال نشر الله الموتى وانشرهم فعل وافعل بمعنى واحد ونشرا منصوب
على انه حال من الرياح اي يرسلها حال كونها متفرقة بان تهب من كل ناحية او حال
كونها سببا للحيوة وقرا ابن عامر نشرا بضم النون وسكون الشين وهو تخفيف
نشر بضمتين كما قالوا رسل في رسل وقرا حمزة والكسائي نشرا بفتح النون وسكون
الشين على انه مصدر واقع موقع الحال بمعنى ناشرة او منشورة او ذات نشر وقيل انه

مصدر

مصدر مؤكد لعامله غير لفظ فعله لان ارسل ونشر متقاربان في المعنى وقرا عاصم بشرا بضم
الباء الموحدة وسكون الشين على انه جمع بشير اصله بشر بضمتين كرسل ورسل
ورغيف ورغف ثم اسكنت الشين للتخفيف كما في نشر ويؤيده هاقوله تعالى ويرسل
الرياح مبشرات اي تبشر المطر وقرئ بشرا بضمتين على الاصل وقرئ بشرا بفتح الباء
وسكون الشين على انه مصدر بشر ثلاثيا وقع موقع الحال اي باشرات او نصب على انه
مفعول له اي للبشارة وقرئ بشرى على وزن رجعى وهو ايضا مصدر كالمرسل قوله فاذا
اقلت السحاب اي لاجل ان كون المطر رحمة وكون الرياح المختلفة قدام المطر والصبا ريح تهب
من موضع طلوع الشمس عند استواء الليل والنهار والدبور ريح تقابل الصبا والشمال
الريح التي تهب من ناحية القطب والجنوب الريح التي تقابل الشمال والجنوب تدر
السحاب اي تستحلبه والدرور تفوقه قوله حتى اذا اقلت غاية لقوله يرسل واقلت
بمعنى حملت ورفعت بالبيسر والسهولة يقال اقللت كذا اي
حملته بالسهولة ومن حمل الشيء بسهولة لا شك انه يحمله قليلا فلذلك اشتق هذا
الفعل من القلة قوله لان السحاب بمعنى السحب لانه اسم جنس فيكون بمعنى الجمع قوله
بالبلد على ان يكون ضميره لاقرب المذكور والباء للالصاق اي التصق انزاله
الماء بالبلد وان كان ضميره للسحاب او السوق المدلول عليه بقوله سقناه
والباء تكون الباء للسببية والبلد يطلق على كل موضع من الارض سواء كان
عامرا او غير عامر خاليا او مسكونا والطائفة منها بلدان والجمع بلاد والحرة ارض
ذات حجارة سود كانها احرقت بالنار والسبخة الارض المالحة التي لا تنبت
شيئا والنكد بكسر الكاف القليل الخير الممتنع عن افادة النفع على جهة البخل
والظلمة والمصدر النكد بفتحتين يقال نكد عيشهم بكسر الكاف ينكد بالفتح
نكدا اذا اشتد عيشهم وصاق فهو نكد اي ضيق ورجل نكد اي عسر قوله
عبر به اي بقوله يخرج نباته عن خروج النبات على اكمل الوجوه لان للخروج المطلق
ينصرف اليه الخروج على اكمل الوجوه قوله الا نكدا استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي
لا يخرج نباته في حال من الاحوال الا في حال كونه نكدا اي قليلا عديم النفع قوله وقرئ
يخرج من اعم الاحوال اي لا يخرج نباته في حال من الاحوال الا في حال كونه نكدا اي قليلا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عديم النفع قوله وقرئ تخرج نباته على بناء المفعول ورفع نباته لقيامه مقام الفاعل
وهو البلد والمعنى والبلد الطيب تخرج نباته على اكمل وجوه الاخراج واحسنه والبلد
الذى خبث لا يخرج شيئا الا نكدا فيكون الا نكدا منصوبا على انه مفعول الاخراج
قوله ونكدا على المصدرية وقرئ الا نكدا بفتح الكاف على انه مصدر نكد ينكد اى لا يخرج
نباته الا اذا نكد وقرئ نكدا بسكون الكاف مخفف نكد بالكسر وهو الظاهر قوله تعالى
كذلك نصرف الآيات فانه تعالى بين آيات ربوبيته واستواء امر ملكه وسلطانه فى
مصنوعاته بقوله يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا وبيان انه يحرك الرياح اللطيفة
النافعة ويجعلها سببا لنزول المطر الذى هو الرحمة البالغة ويجعل تلك الرياح والامطار
سببا لحدوث النبات والثمرات التى لا تحصى انواعها فضلا عن اصنافها وافرادها
فيها فى انفسها آيات دالة على وجود الصانع وتفرده فى ربوبيته وعلمه وقدرته
وحكمته ومع ذلك هى من النعم الجليلة الواصلة الى عباده المقتضية لشكرها
بتخصيص من انعم بها عليهم بكمال الطاعة والضراعة فلذلك ختم الآية بقوله لقوم يشكرون
وحكم بان تصريفها لهم خاصة لانهم هم المنتفعون بتصريفها لقوله هدى للمتقين
قوله والآية مثل اى استعارة تمثيلية شبه الله تعالى المؤمن بالارض الكريمة
التربة والكافر بالارض السبخة وشبه نزول القرآن على نوع الانسان بنزول المطر
على الارض فان الارض الكريمة التربة اذا نزل عليها المطر يحصل فيها انواع الازهار
والثمار والارض السبخة وان نزل عليها المطر لا يحصل فيها من منافعه الا المطر القليل
فكذلك الروح الطاهرة النقية عن الكدورات الطبيعية والاخلاق
الرديئة اذا اتصل بها نور القرآن ظهرت فيها انواع المعارف والطاعات والاخلاق
الحميدة والروح الكدرة وان اتصل بها نور القرآن لم يظهر فيها من المعارف والاخلاق
المرضية الا شئ قليل لا يعبأ به فان الارواح قسمان منها ما يكون فى اصل جوهرها
طاهرة نقية مستعدة لان تعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ومنها ما يكون غليظة
كدرة بطيئة القبول للمعارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة كما ان الاراضى قسمان
منها ما يكون طيبة ومنها ما يكون فاسدة سبخة وكما لا يمكن ان يتولد فى الاراضى السبخة
ما يحصل فى الاراضى الطيبة فكذلك لا يمكن ان يظهر فى النفوس البليدة الكدرة من المعارف

اليقينية

اليقينية والاخلاق الفاضلة مثل ما يظهر فى النفوس الطاهرة الصافية ولما كانت
اختلاف النفوس بكونها طيبة وخبيثة اصلا فاذا جبلت النفوس عليها لا تحصل
فيها الا ما اقتضته طهارتها وخباثتها الاصليتين فكل ميسر لما خلق له والنفوس
الطاهرة تخرج بسببها من المعارف الالهية والاعمال المرضية باذن ربها على اكمل الوجوه
واحسنها والنفوس الخبيثة لا يخرج نباته الا نكدا انه تعالى بين سوء عاقبة اصحابها
النار وحرمانهم عن كل خير وذكر لهم ما يدل على وحدانيته فى تدبير ملكه وكمال علمه
وقدرته ووجوب ابتغاء مرضاته والاجتناب عن مخالفته وعصيانه اتبعه بذكر
عاقبة من كذب الرسل المتقدمين كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب الى ان قال
ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا
الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون هدد الله تعالى اهل مكة باذكر لهم قصص
الانبياء المتقدمين مع امهم المكذبين فقال لقد ارسلنا نوحا الى قومه الى آخر قصص
الانبياء عليهم وهو جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا قوله ولا يكاد تطلق
هذه اللام الا مع قد اشارة الى انها قد تطلق بدون قد على الندور كما فى قوله حلفت
لها بالله حلفة فاجرت لنا موافما من حديث ولا صالى لم يقل لقد رنا موابل اطلق لام جواب
القسم بدون الثلاثة كلها معها والصالى من يصطلى بالنار يقول آتيت الحبيبة ليلا
فخافت من اطلاع الرقباء الذين يتحدثون او يصطلون بالنار فحلفت لها حلفة
فاجرا ان كاذب او عاهرا ان القوم نيام ليس هذا حديث لانتهاء التحدث بسبب
نوم القوم مظنة التوقع لانها لا تذكر الا بعد ذكر الجملة القسمية لفظا او تقديرا والجملة
القسمية لانشاق الا لتاكيد مضمون الجملة المقسم عليها التى هى جواب القسم ومن المعلوم
ان الجملة اذا اكدت بالقسم وسمع المخاطب كلمة القسم صار بحيث ينتوقع تحقق مضمون
الجملة المقسم عليها فناسب ان تتصل كلمة قد بكلمة القسم لتعاضدا فى افاده معنى
التوقع لان قد من حروف التوقع قوله اول نبى بعث خبر قوله ونوح بن لمك بعين ان نوحا
كان نجارا بعثه الله تعالى الى قومه وهو ابن خمسين سنة وعن ابن عباس رضى الله عنه انه بعث
وهو ابن اربعين سنة قوله وقراء الكسائى غيره بالجر على انه صفة آله تابع للفظه ورفعه
الجمهور حملا على محل آله لان الظاهر انه فى محل الرفع على الابتداء وكلمة من زائدة فى المبتدأ

شبكة الألوكة www.alukah.net

وخير لكم ويحتمل ان يكون للخبر محزوفا ويكون التقدير مالكم من الٰه في الوجود غير الله
ويكون لكم على هذا تخصيصا وتبيينا كما في هيت لك قوله وقرئ بالنصب على الاستثناء
فان حكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا قوله اي الاشراف الملاء الجماعة الا انه خص الاشراف
بهذا الاسم لانهم يملؤن صدور المجالس وتمتلئ القلوب من هيبتهم وتمتلئ الابصار
من رواءهم وهو المنظر الحسن قوله بالغوفي النفي يعني ان المناسب ان ينفي عن نفسه ما
اثبتوه له ويقول ليس بي ضلالة ليوافق قولهم انا لنراك في ضلال لا انهم لما بالغوا
في الاثبات حيث قالوا لنراك في ضلال بتنكير الضلال للتعظيم ووصفوه بقولهم
مبين بالغوفي نفي الضلال عن نفسه حيث لم يقتصر واعلى ان ينفي عن نفسه ما اثبتوه له
من الضلال العظيم البين بل قال ليس بي شيء من افراد الضلال وجزئياته فضلا عن
ان يكون بي ضلال عظيم بين قوله باعتبار ما يلزمه اي باعتبار كون ما ثبت لنفسه من
الرسالة في قوة لازم ما نفى عن نفسه من الانتفاء في شيء من وجوه الضلال فان من
انتفى عنه الضلال بالكلية يلزمه ان يكون في غاية الهدى ولا شك ان اثبات الرسالة
لنفسه بمنزلة اثبات غاية الهدى لنفسه وبهذا الاعتبار كان اثبات الرسالة لها
استدراكا عن الكلام السابق لكونهما متنافيين بالنفي والاثبات كانه قيل ليس
بي شيء من الضلال ولكني على الهدى البالغ لاني رسول من رب العالمين ثم ذكر ما
هو المقصود من الرسالة وهو امران تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة قوله صفات
لرسول فكان الظاهر ان تجاء بيبلغكم وينصح لكم ويعلم باسناد الافعال الثلثة الى ضمير
الغايب الراجع الى رسول لان الضمائر التي في الصفات عبارات عن الرسول وهو اسم
ظاهر منزل منزلة الغايب الا انه دعي الضمير السابق الذي هو اسم ان وهو ضمير المتكلم
فقيل ابلغكم وكل واحد من الاستعمالين جايز في كل اسم ظاهر سبقه ضمير متكلم او مخاطب
ان شيئت تراعي الضمير السابق وهو الاكثر وان شيئت تراعي الاسم الظاهر فتقول مثلا
انا رجل افعل كذا وتراعي جهة المتكلم فيما اسند اليه الفعل وتقول ايضا انا رجل يفعل
كذا فتراعي جهة الغيبة في المسند اليه وفي زيادة اللام في انصح لكم تاكيد الاخلاص لنصح
لهم في بيان كونه حالصا للمنصوح له لا يقصد بالنصح الا جانبه فقط فرب نصيحة هي الناصح
ايضا وليس الامر ههنا كذلك قوله واعلم من مالا تعلمون وعيد وتقرير لما في قوله اني اخاف

عليكم

عليكم عذاب يوم عظيم اي اعلم من قدرته وشدة بطشه مالا علم لكم بها ويحتمل ان يكون
المعنى واعلم من جهة الله بالوحي اشياء لا علم لكم فيكون اعم من الوعد والوعيد قوله
وقرأ ابو عمرو والمفضل بفتح بلغ الثلاثي الى باب الافعال للتعدية والرسالة وان
كانت صفة واحدة فهي باعتبار ذات الرسول متعلقة بالاضافة الى المرسل والمرسل اليه
الا انها جمعت نظرا الى تعدد ها بحسب اختلافها او بحسب تنوع معانيها من الامر
والنهي والعقايد والاحكام اولان المراد بها ما ارسل به احاد هو اوحي اليهم كصحف
شيث وهي خمسون صحيفة وصحف ادريس وهي ثلثون صحيفة والفرق بين تبليغ
الرسالة وتقرير النصيحة ان تبليغ الرسالة معناه ان يعرف انواع تكاليف الله تعالى
واحكامه واما النصيحة فالمراد بها الترغيب في الطاعة والتحذير عن المعاصي والارشاد
الى ما فيه مصالح المعاش والمعاد قوله الهمزة للانكار فانهم لما تعجبوا من ارسال البشر
وقالوا كيف يتاتى لواحد من ابناء نوعنا ان تتلقى ما امر الله به ونهى عنه مع انه لا مناسبة
بينه وبين البشر من حيث انه في غاية التقدس والنزه والبشر في غاية التعلق به
والتكدر انكر عليهم نوح عليه السلام بان قال لهم كيف تتعجبون من ارسال البشر
مع علمكم بانه تعالى انما خلق العالم ليستدل به على كمال علمه وحكمته وقدرته فيرغب
في طاعته ليتوسل بها الى الفوز برحمته ويتقى من مخالفته وعصيانه وكفران نعمته
ليتخلص من سخطه وعقابه فاقتضت الحكمة الالهية ان لا يتركه عباده سدى بل يأمرهم
بما يسعدهم وينهاهم عما يشقيهم ولا سبيل الى ان يكلفهم بالامر والنهي بان يكلمهم
بنفسه من غير واسطة لان حجب العظمة والكبرياء يمنع عن ذلك ولا بان يرسل اليهم
ملكا يبلغهم رسالات فتعين ان يكون التكليف بان يرسل بشرا ذا جهتين
يستفيض من عالم الغيب بجهة تجرده وصفاء روحانيته ويفيض لبني نوعه بجهة مشاركته
لهم في الحقيقة النوعية وهذا معنى قوله لهم او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل
منكم لينذركم ولتتقوا رجاء لرحمته قوله متعلق بمعه اي متعلق بالاستقرار الذي تعلق به
الظرف اي والذين استقروا معه في الفلك قوله او بانجيناه اي فانجيناه في الفلك
فح يجوز ان يكون كلمة في سببية اي انجيناه بسبب الفلك كما في قولهم ان امراة دخلت
النار في هرة قوله او حال من الموصول او من الضمير في معه فيتعلق بمحذوف اي انجينا الذين معه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كائنين في الملك او كائنا هو فيه **قوله** عمي القلوب اي عمين قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة
والمعاد وعمين جمع عم اصله عمى كحاوذن حذف فاعل كاعلال قاض قال اهل اللغة يقال
رجل عم في البصيرة واعمى في البصر قال زهير واعلم ما في اليوم والامس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عم وقيل عم واعمى بمعنى كحضر واحضر وقيل عم فيه دلالة
على ثبوت الصفة واستقرارها كفرح وضيق ولو اريد الحدوث لقيل عام كما يقال
فارح وضايق وهو قوله والاول ابلغ لدلالته على الثبات **قوله** والمراد به
الواحد منهم اي من قبيلة عاد وعاد في الاصل اسم الاب الكبير وهو عاد بن
عوص بن ارم بن سام بن نوح فسميت القبيلة باسم ابيهم الاكبر وهود
واحد من تلك القبيلة لانه هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح فهو
ابن عم ابي عاد لان ارم وارفخشد اخوان لكونهما ابني سام ولما كان هود
ابن شالخ بن ارفخشد كان ابن عم ابي عاد وهو عوص بن ارم لان ارفخشد
بن سام عم لعوص بن ارم وهودا ابن ابن ارفخشد فيكون ابن عم عوص الذي
هو اب لعاد فيكون هود واحدا من قبيلة عاد فقوله ابن عم ابي عاد عطف بيان
لقوله هود بن شالخ او بدل منه وقيل انه لم يكن من قبيلة عاد بل هو رجل من
بني ادم لا من الملائكة ولا من الجن فنسب اليهم بالاخوة والمعنى انا بعثنا الى عاد
واحدا من جنسهم اي فردا من افراد البشر ليستانسوا به ويفهموا كلامه **قوله**
استانف به ولم يعطف جوابا عما يقال لم فرق بين قصة نوح وقصة هود عليهما
السلام حيث قال قصة نوح ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال بالفاء العاطفة
وقال في قصة هود والى عاد اخاهم هودا قال يعوبا قوم من غير ذكر العاطف
وتقرير الجواب انه اشير في القصة الاولى ان دعوة نوح عم لم يتأخر عنى ارساله
وانه باشر الدعوة عقيب الارسال وجعل الكلام في القصة الثانية جوابا سائل
قال فما قال لهم حين ارسل اليهم وكذا قوله قال الملأ الذين كفروا فانه ايضا
استيناف ذكر جواب سائل قال مما قال قومه حين دعاهم الى عبادة الله وحده
قوله وكان قومه كانوا اقرب الى اجابة الدعوة واتباع الحق وهو جواب لما يقال لم
عرف الملأ المعاندون من قوم نوح بلام الاستغراق اذ لا معهود هنا فقيل

قال الملأ

قال الملأ من قومه وقيل المعاندون من قوم هود بالوصف وقيل قال الملأ الذين
كفروا من قومه فدل ذكر ذلك على انه لم يؤمن من اشراف قوم نوح احد بخلاف قوم هود
فانه آمن بعض اشرافهم كمرثد بن سعد فانه آمن سهوكتم ايمانه ولم يظهر ايمانه الا
عند مجيء وفد عاد الى مكة يستغيثون فحينئذ اظهر ايمانه وقال انكم والله لا تسقون بدعائكم
ولكن ان اطعتم نبيكم وانبتم الى ربكم سقيتم وقال شعرا عصت عاد رسولها فاصبحوا
عطاشا ما تبلهم السماء لهم صنم يقال له صمود يقابله صدآء والهبآء فبعثنا الرسول
سبيل رشد فابصرنا الهدى وجلا العمآء وان آله هود هو الهنا على الله التوكل والرجآء
قوله لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها لما لم يكن مجرد ذكر الاء الله تعالى مودبا الى الفلاح
وهو الظفر بالثواب بل لا بد من العمل المؤدي اليه جعل ذكر النعم مفضيا الى شكرها
المفضي الى الفلاح واعلم ان هودا عليه السلام لما دعاهم الى التوحيد وترك عبادة
الاصنام بالدليل القاطع وهو انه تعالى انعم عليهم نعما عظيمة لا تحصى انواعها فضلا عن
افرادها والاصنام لا نعمة لها لانها جمادات لا تقدر على شيء لم يبق للقوم حجة
عن هذه الحجة الا التمسك بالتقليد فقالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان
يعبد اباؤنا استبعدوا امر آبائهم بتخصيص الله تعالى بالعبادة وترك طريق اسلافهم
قوله اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه بان كان له مكان يعبد فيه ربه معتزلا عن
قومه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبد بحراء فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم
ويحتمل ان يكون مرادهم بالمجيء مجيئه عن السماء كمجيء الملك منها استهزاء منهم لانهم
كانوا يعتقدون ان الله تعالى لا يرسل الا الملك ويحتمل ان يكون مرادهم بالمجيء مجرد
قصد الفعل ومباشرته كانهم قالوا اتريد منا ان نعبد الله وحده وتقصد ان تكلفنا
بذلك **قوله** فقد وجب وحق لما تعذر ان يحمل قوله فقد وقع عليكم على معناه الحقيقي لان
الرجس لم يقع حين قولهم فأتنا بما تعدنا من العذاب حمله على المجاز على طريق اطلاق
المسبب واراده السبب فان نزول العذاب عليهم سبب عن وجوب نزوله في علم الله تعالى
او عن استحقاقهم لنزوله عليهم **قوله** اتجادلونني استفهام على سبيل الانكار
جعل المجادلة فيه اسما مجردة عن المسميات لانهم كانوا يسمون الاصنام آلهة
ويزعمون كونهم مستحقين للعبادة والحال انهم بمعزل عن الالوهية واستحقاق العبادة

وقوله سميتموها صفة لاسماء وكذلك قوله ما نزل الله قوله ما نزل الله بها من سلطان
والمقصود بيان حلو مذهبهم عن حجة وقوله من سلطان مفعول نزل ومن مزيدة
قوله واستدل به على ان الاسم هنا المسمى لان المجادل فيه انما هو ذوات الاصنام وانها
هل تستحق ان تعبد ام لا وانهم يدعون استحقاقها لذلك وهو عين مذهبهم على ادعى
ذلك فلو ان الاسم هو المسمى لما توجه اليهم ذمهم لانهم لا يعبدون الالفاظ التي يعتبر
عن ذوات الاصنام واستدل به ايضا على ان اللغات توقيفية لا اصطلاحية لانها لو
لو كانت اصطلاحية لما توجه الذم اليهم بتسميتهم الاصنام آلهة من غير توقيف من
قبل الله تعالى على تلك التسمية قوله ووضعتموها ظاهر ولا يخفى ان الاسماء هي الدوال
والمسميات مدلولاتها وتوجه الذم الى القوم ليس لانهم يعبدون الالفاظ الدالة
على الاصنام بل لانهم يعبدون ما يسمونه آلهة وليس فيه استحقاق للعبادة
والالوهية فرجع الذم انما هو تسميتهم للجماد بما لا يستحق ان يسمى به وعبادتهم
لما ليس فيه شئ من معنى المعبودية وليس هناك الا اسم مجرد اخترعوها من عند انفسهم
ليس تحته ما يصح ان يسمى به فقوله في اسماء سميتموها ليس معناه في مسميات اتخذتموه
معبودا باختراعكم حتى يقال اطلاق الاسماء على المسميات بدل على اتحادهما ولا انكم
اطلقتم هذه الاسماء على تلك المسميات من غير توقيف وتعليم من الله تعالى بل بمجرد
اصطلاحكم حتى يستدل به على كون اللغات توقيفية ثم انه عم او عدهم بقوله
فانتظروا اني فانتظر واما يترتب على عصيانكم ربكم بعبادة الاصنام اني من
المنتظرين معكم قوله استأصلناهم اي اهلكناهم جميعا يقال قطعنا عرقهم او صلهم
لآخرهم الشئ آخره فقطع دابر القوم الذين اهلاكهم من اولهم الى آخرهم وهو
المراد بالاستيصال قوله تعريض لمن آمن منهم اشارة الى قوله وما كانوا مؤمنين
بعد بيان انهم كذبوا بآيات الله يعني ان فايدة التعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد
ومن تجامع هود عليه السلام كانه قيل وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا منهم ولم
يكونوا مثل من آمن منهم ليعلم ان الهلاك خص بالمكذبين منهم ونجى الله المؤمنين قوله
للجزاء اي كان المراد بها جارية معاوية بن بكر اسم احدبها ورده واسم الاخرى جرادة
غلبت جراده على ورده فسميتا جرادتين قوله فهيئتم امر مخاطب من هيئ اذا تكلم كلاما

خفيا

خفيا واصل الهيئة الصوت الخفي في الدعاء او غيره فلما تضجر معاوية من مساهلة قيل
وعدم مساعدته في اتمام ما يعتوانه من الاستسقاء بعاد انشاء ابيات وعلمها
فتنبه جرادة وودعة لتغنيها وهن الا يا قيل ويحكم قوموا فهيئوا لعل الله يسقينا
غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما من العطش الشديد
فليس نرجوا به الشيخ الكبير ولا الغلاما وقد كانت نساؤهم بخير فقد امست
نساؤهم عيايا وان الوحش تاتيهم جهارا ولا تخشى لعاد سهاما وانتم ههنا
فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم التماما فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما
قوله استيناف في لبيانها اي جواب لسؤال مقدر كانه قيل اس ما جئتنا به من الآية
فقال هذه ناقة الله الخ نبهكم عليها واشير اليها في حال كونها آية وعلامة دالة على صحة
نبوتي واللام في لكم كما في قوله هيت لك فخصوا بذلك لانهم هم الذين طلبوها وينتفعون
بها لو تركوا العناد وطلبوا الاهتداء بالدليل والبرهان قوله نهى عن المس الذي
هو مقدمة للاصابة بالسوء اشارة الى ان الباء في قوله بسوء للملابسة اي تمسوها
ملتبسين بسوء ويجوز ان يكون للتعدية قوله وتحاتون بالاشباع اي بالشباع
فتحة الحاء في تحتون على قراءة من قرا بفتح الحاء قوله على ان التقدير بيوتا من الجبال
فقوله بيوتا مفعول تنحتون وقوله من الجبال منصوب بنزع الخافض او بتضمين
تنحتون معنى ما يتعدى الى مفعولين اي تتخذون الجبال بيوتا بالنحت او تصيرونها
بيوتا بالنحت قوله به مفسدين حال مؤكدة لان النهي عن العثي نهي عن الافساد
فان العيث والعثي اشد الفساد اي لا تباشروا اشر الفساد حال كونكم مفسدين
ولا يبعد ان يكون المراد النهي عن عقر الناقة التي هي معجزة نبي من الانبياء قوله
وبدل البعض ان كان ضمير منهم للذين فيكون المستضعفون فريقين مؤمنين وكفارا
كانه قيل قال المستكبرون للمؤمنين من الضعفاء دون الكفار من الضعفاء قوله
عدلوا به عن الجواب السوي فانهم لما سئلوا بان قيل لهم هل تعلمون ان صالحا مرسل
من ربه ام لا كان الجواب المطابق له ان يقال اونعم لكنهم لما عدلوا عنه الى الاخبار عن
انفسهم بانهم مؤمنون به وبما ارسل به فقد نبهوا على ان ارساله امر معلوم مقرر
عندهم حيث اوردوه صلة للموصول ومن المعلوم ان الصلة لا بد ان تكون جملة معلومة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الانتساب الى ذات الموصول فكانهم قالوا الاكلام فى ارساله انما الكلام فى الايمان به
فنحن مؤمنين منون فهذا الجواب من الاسلوب الحكيم وهو تلقى المخاطب بغير ما يترقب
قوله ولذلك اى ولاجل ان قول المؤمنين انا بما ارسل به مؤمنون ان رسالته امر معلوم
وانما الكلام فى الايمان به عدل الكفرة عن الجواب المطابق له وهو ان يقولوا انا بما ارسل
به كافرون الى قولهم انا بالذى امنتم به كافرون لانهم لو قالوا انا بما ارسل به كافرون
لدل على ان ارساله معلوم مسلم عندهم كما دل عليه قول المؤمنين فعدلوا عنه وقالوا
انا بما امنتم به كافرون فكانهم قالوا ليس ارساله معلوما لنا مسلما عندنا وليس
هناك دعواه وايمانكم به ونحن بما امنتم به كافرون والحاصل ان المؤمنين جعلوا
ارساله كما فرع عليه المؤمنون بل فرعوا كفرهم على ايمان المؤمنين واعلم ان قوما
من الملاحدة طعنوا فى حقية القرآن بما ذكر فى قصة هلاك ثمود وقالوا قد اختلف
الفاظ القرآن فى حكاية هذه القصة حيث قيل فى موضع فاخذتهم الرجفة وهى الزلزلة
الشديدة وفى موضع آخر فاخذتهم الصيحة وفى موضع آخر فاهلكوا بالطاغية واعلم
ان اختلاف هذه العبارات يدل على انهم اهلكوا باسباب متنافية متناقضة
ولا منافاة بينها ولا تناقض لان الرجفة مترتبة على الصيحة لانه لما صيح بهم
رجفت قلوبهم فماتوا فجاز ان يسند الاهلاك الى كل واحد منها واما قوله بالطاغية
فالباء فيها سببية والطاغية مصدر بمعنى الطغيان كالعافية والتاء للمبالغة كما فى
تحو نسابة وعلامة فمعنى قوله فاهلكوا بالطاغية معناه اهلكوا بسبب
طغيانهم قوله ناقة مخرجة اى مخرجة على خلقة الجمل فى الجسامة وغلظته العظام والقوائم
شبهها بالبخت من قولهم اخترجه بمعنى استخرجه والجوفاء واسعة الجوف والوبراء الكثيرة
الوبر والعشراء التى انت عليها عشرة اشهر من يوم ارسل عليها الفحل قوله تمخضت
الصخرة اى تحركت واخذها ما يأخذ الحامل وقت ولادتها والمخاض وجع الولادة ويقال له
الطلق السنوح الناقة التى ادركت وقت ولادتها والغيث ان تولد الابل الماء يوما وتدعه
يوما قوله ثم تنتجها وبتقديم الحاء المهملة على الجيم اى تفرج ما بين رجليها وتهيئ نفسها
لان يحلبها من اراد حلبها قوله وكانت تصيف اى تقيم زمان الصيف يقال صاف بمكان
كذا اذا اقام فيه ايام الصيف وشتوت بموضع كذا اذا اقمت فيه فى الشتاء قوله فرغى

اى صوت

اى صوت وصيح يقال رغا البعير يرغو رغاء اذا صيح والرغاء صوت دون الخف
والسقب الذكر من ولد الناقة قوله انفجت الفجرة اى انفجت وانشقت من الفجج
وهو الطريق الواسع بين الجبلين فلما انفجت الصخرة فدخلها السقب بعد ما رعى
ثلثا قال صالح لهم لكل دعوة اجل يوم تمتعوا فى داركم اى فى بلادكم ثلثة ايام ذلك
وعد غير مكذوب وقد عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح تصبحون غداة
يوم الخميس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم الجمعة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون
يوم السبت ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب اول يوم الاحد فكان الامر كما وصفه
نبيهم عليه السلام فلما كان ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم مع من آمن به الى الشام
فنزل رملة فلسطين فلما اصبح القوم تكفنوا وتحنطوا والقوا انفسهم على الارض
يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين يأتيهم العذاب
ولما كان وقت الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت
كل شئ له صوت فتقطعت قلوبهم فى صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا هلك
وقد حكى الله تعالى ذلك بقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين اى ميتين ملتصقين
بالارض من الجثوم وهو اللصوق بالارض فان قيل ان من شاهد خروج الناقة من
الصخرة وشاهد ايضا ان الماء الذى كان شربا لكل واحد من اولئك القوم فى احد اليومين
كان شربا لتلك الناقة الواحدة دفعة واحدة وشاهد ايضا ان القوم يملأون من
جميع ذلك علامات نزول العذاب الشديد فى آخر الامر وكل واحد منها معجزة قاهرة
تلجئ المكلف الى الايمان فهل يجعل ان يبقى العاقل مع هذه الاحوال مصرا على الكفر
فالجواب ان يقال انهم قبل ان شاهدوا علامات نزول العذاب كانوا مصرين
على الكفر والتكذيب كسائر من اصر على الكفر مشاهدة المعجزات الباهرة واما
بعد ما شاهدوا علامات نزول العذاب فقد خرجوا عن حد التكليف فلم
تقبل توبتهم بعد ذلك قوله ظاهره ان تولية عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين
لان فاء التعقيب فى قوله فتولى عنهم تدل على ان هذا التولى كان بعد جثومهم
ولما ورد ان يقال قوله لهم يا قوم لقد ابلغتكم الآية خطاب منه عم مع اولئك
الجاثمين ولا وجه لخطاب الاموات اجاب عنه بجوابين الاول ان صالحا عم خاطبهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بعد كونهم جاثمين كما خاطب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم قتلى بدر تقبيلا لهم تتكلم
مع هولاء الجيف فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب والمعنى ان الرجل
قد يخاطب صاحبه وهو ميت ويتولى له يا اخي قد نصحتك وبذلت جهدي في ارشادك
فلم تقبل نصيحتي ولم تمتنع عما كنت فيه حتى القيت نفسك في الهلاك وفاتين مثل هذا
الكلام تسلية قلبه عما يطرأ عليه من التحسر والاحتراق ببلية صاحبه فان اثر تلك المصيبة
يحق عليه بمثل هذا الكلام قوله المتمادية في القبح من المدى وهو غاية الشئ ومعنى المتمادية
في القبح البالغة الى غاية القبح وهي اتيان الذكران ونزو ذكر على ذكر مثله فانها فاحشة
لم يفعلها احد قبل قوم لوط قيل كان السبب في اختراعهم هذه الخصلة القبيحة ان بلادهم
وهي ارض الشام اخصبت بانواع الثمار والحبوب فتوجه اليهم اهل البلدان لطلب المعروف
فتأذوا من كثرة ورود الفقراء فتمثل لهم ابليس في صورة شاب امرد ثم دعا الى دينه
فنكح في دبره ثم عملوا ذلك العمل بكل من ورد عليهم من الاغراب قضاء لشهوتهم ودفعا
لهجوم الناس عليهم عن الحسن انه قال كانوا لا ينكحون الا الغرباء قوله والجملة استيناف
ان قوله ما سبقكم بها من احد جملة مستأنفة جيئ بها تقرير الانكار وانكار بهم بتلك الفاحشة
فان كونهم مخترعين لها افحش واشنع من مجرد ارتكابها قالما وقد يكون جملة مستأنفة انها
جملة مبتدأة جيئ بها تأكيدا للانكار السابق لانها جوابا لسؤال متوهم ازاحة الى
اعتبار توهم السؤال بان يقول لم لا تأتينها فيجاب بان يقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا
ما لم يفعله احد قبلكم قوله بيان لقوله اتأتون الفاحشة حيث فصل فيه ما اجمل بلفظ الفاحشة
مشاركة لما قبله في الدلالة على انكار ما فعلوه وتوبيخهم عليه وهو ابلغ منه في الانكار
والتوبيخ لكونه مؤكدا بان ولام الابتداء بعد كونه مصدرا بهمزة الانكار مثله وابلغ منه
في الدلالة على التوبيخ ايضا باعتبار اشتماله على قوله شهوة فانه سواء جعل مفعولا له او
مصدرا واقعا موقع الحال بمعنى مشتهين او نابعين للشهوة يدل على زيادة التوبيخ
والاستهجان لانه وصف لهم بالبهيمية الصرفة ولازم اعظم منه فان معناه انه لا حامل
لكم على ما فعلتموه الا مجرد قضاء الشهوة لا طلب التوسل لحدوث من يوحد الله تعالى
ويعبده وبقاء النوع الذي هو مقتضى العقل ثم اضرب عن الانكار على اتيانهم الفاحشة
وتوبيخهم باختراع ما لم يفعله احد قبلهم الى الاخبار عن حالهم التي هي اتم جميع الرذايل

وموجب

وموجب ارتكاب جميع القبايح وهي انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز
الحد في كل شئ فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة وتجاوزوا عما عين لها
الى غيره او اضرب عن الانكار المذكور الى ذمهم على جميع معايبهم فان جميع معايبهم
يرجع الى التجاوز عما حد لهم وهو المراد بالاسراف كانه قيل ليس المنكر منكم هذه
الفعلة القبيحة فقط بل شانكم الاسراف والتجاوز عن الحد في الامور كلها ويجوز
ان لا يكون كلمة بل للاضراب عن الانكار المذكور بل يكون للاضراب عن شئ محذوف
وهو انهم زعموا ان لهم عذرا في ارتكابها فاجيبوا بانه لا عذر لكم فيه بل انتم
قوم عادتكم الاسراف والتجاوز عن الحد ثم انهم لما عجزوا عن الجواب عما كلمهم به
ونصح لهم فيه من انكار اتيانهم الفاحشة واستعظامها قالوا ائتنا بعذابه ان كنت
لهم بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم بقولهم
انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش لغرط فاحشتهم ودعارتهم والتذكير
في قوله وكان من الغابرين مع ان الظاهر ان يقال من الغابرات مبني على
انه بقي في ديارهم رجال ونساء فغلب الرجال فقيل في حقها انها كانت منهم
قوله فارسلنا الله تعالى الى اهل سدوم سدوم بفتح السين قرية قوم لوط
وقريا تهم هي المؤتفكات قيل كانت خمس مدائن وكانوا اربعة آلاف دار بين
الشام والمدينة وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت على مسافريهم
وشذاذهم وقيل امطرت عليهم ثم خسف بهم اللواطة لا توجب الحد عند
ابي حنيفة بل تعزر فاعلها وعند الشافعي انها توجب الحد ثم اختلفوا فقال
بعضهم يرجم اللائط محصنا كان او غير محصن وكذلك المفعول به ان كان مختارا
واحتجوا عليه بان الله تعالى عذب قوم لوط بالرجم والاصل بقاء ما ثبت الى
ان يرد الناسخ ولم يرد في شرعنا ما ينسخه فوجب الحكم ببقائه وقال بعضهم
ان كان محصنا رجم وان كان غير محصن أدب وحبس قوله ان وارسلنا اليهم
وهم اولاد مدين اشارة الى ان مدين اسم قبيلة هي اولاد مدين بن ابراهيم
خليل الله عليه السلام ولو كان اسم بلدهم كما قيل لوجب ان يقدر المضاف ويقال وارسلنا
الى اهل مدين قوله شعيب بن ميكيل منصوب على انه ارسلنا وكان شعيب

مفعول ج

عليه اعم وكان بقال خطب الانبياء لحسن مراجعته قومه اهل كفر ونحس للمكيال والميزان قوله يريد المعجزة الخ كانت له فان قوله قد جاءتكم بينة بدل على انه ع م قد اظهر لهم معجزة حين بعثه اليهم مدعيا للرسالة لان كل من بعث رسولا لا بد له من اظهار معجزة يستدل بها على صدقه في دعواه ومن لم يظهر على يده معجزة لا نبيا فهذه الآية دلت على انه حصلت له معجزة عاية ما في الباب انه لم يبين في القرآن ان معجزته من اي الانواع كانت وليس جميع آيات الانبياء مذكورة في القرآن وما روي من ان من جملة معجزات شعيب انه ع م حين دفع الى موسى عليه السلام غنمه دفع اليه عصى فتلك العصى صارت تنينا فابتلعت التنين الذي تعرض الغنم في المرعى فتخلص الغنم عن ضرره ومن معجزاته ع م ايضا انه حين دفع غنمه الى موسى وعد ان تكون له ما كان اودع من اولادها ولم تلد الغنم في تلك السنة الا الدرع حاصة فكان جميع ما نتجت في السنة من الغنم لموسى سايرجسن والانثى درعاء مثل احمر حمراء حمر ومن جملة معجزاته ايضا انه حين دفع غنمه الى موسى امر بنته بان قال لها ان في موضع كذا اعدة عصى فاتيني بواحدة منها فذهبت البنت الى ذلك الموضع فاخذت بدرقا لتاخذ عصى فوقعت في يدها عصى آدم ع م فجاءت بها الى ابيها فلما اخذها ابوها قال لها ردها الى موضعها وجيئي بعصى اخرى فتفعلت فذهبت بدرها الى اخرى فوقعت في يدها تلك العصى بعينها فجاءت بها الى ابيها فقال لها مثلها قوله في المرة الاولى فلم تقع في المرة الثانية في يد الا هي فقال ابوها سبحان الله ان في هذا لحكما قد فطنها الى موسى فهذه الخوارق كانت قبل ان يبعث نبيا موسى ع م فكانت معجزات لشعيب لان المعجزة ما يكون مسبوقا بدعوى الرسالة وبهذه الاحوال لما كانت متاخرة عن دعوى شعيب قوله الى عبادة الله تعالى ونهيه اياهم عن عبادة غيره بمقتضى رسالته لم يصح لشعيب ان يقول في حقها قد جاءتكم بينة بلفظ الماضي فلاوجه لان تحمل البينة على هذه الاحوال فينبغي ان تكون تلك الاحوال كرامة لموسى ع م او ارهاصا لنبوته بل هو المتعين لانه قد روي ان موسى اعاد درك شعيبا بعد هلاك قومه ولان ذلك لم يكن في معرض التحدي ويجوز عندنا ان يظهر الله تعالى على يد من سيصير نبيا ورسولا في المستقبل انواع الخوارق ويبقى ذلك

ارهاصا

ارهاصا وعند المعتزلة لا يجوز ذلك قوله اي آلة الكيل لما كان الكيل مصدر قولك كلت الطعام كيلا والمعنى المصدر به لا عكس ابتداء ودلان النقص والاتمام من خواص الاعيان حمل الكلام على تقدير المضاف اولا وحمل الكيل على ما يحال به ثانيا كما يطلق العيش على ما يعاش به والفاء في قوله فاوفوا لترتيب الامر بالايفاء وايجابه على مجيء البينة وثبوت النبوة والشريعة وابتغاء العزر في عدم اتباعه قوله واعما قال اشياءهم للتعميم يعني ان المعنى لا تنقصوا الناس حقوقهم لانهم كانوا اهل تحس للمكاييل والموازين يبخسون الناس حقوقهم التي استحقوها في مبايعاتهم فامرهم بايفاء حقوقهم واعطائها على التمام والكمال الا ان ذكر لفظ اشياءهم بدل لفظ الحقوق ليدل على ان التحس المنهي عنه شيئا وليتناول التحس في كل شيء من الجليل والحقير والقليل والكثير وكانوا يبخسون الناس جميع ذلك ولا يختص تحسهم ببعض منها فنهوا عن التحس فيها نهيا عاما فانهم لما امروا بايفاء الكيل والميزان اكد الامر المذكور بالنهي عن ضده وهو التحس في الكيل والميزان فكانه قيل لا تبخسوا الناس حقوقهم التي استحقوها في المبايعات بقرينة وقوع النهي تاكيدا للامر السابق فاوثر لفظ اشياءهم على لفظ الحقوق لكون مفهوم الشيء اعم بالنسبة الى مفهوم الحق وقيل المراد نهيهم عن تحس حق الناس مطلقا سواء كان متعلقا بالمبايعات او غيرها امرهم بايفاء حقوقهم المتعلقة بالمبايعات ثم نهاهم عن التحس والمكس فيه كل شيء كاخذ الرشى والمؤن الديوانية والمراسم السلطانية والغصب والسرقة وقطع الطريق ونحو ذلك من وجوه اكل اموال الناس بالباطل قوله بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء احتاج الى تقدير المضاف او جعل اضافة الاصلاح الى ضمير الارض عوضا عن الكاف في قوله بل مكر الليل والنهار لان اصلاح نفس الارض وافسادها لا يتعلق بهما قدرة الانسان واختياره فلا يتعلق مصلحة شرعية بالتعرض لاصلاح الانسان اياها بل الذي ينبغي ان يتعلق به التكليف هو اصلاح ما يقع فيها من الامور وافسادها واصلاح اهلها وافسادها بان يكون حدود الشرع واحكامها محفوظة مرعية فيما بينهم ومضيعة غير مرعية فلذلك فسر الافساد بالكفر والحيف والاصلاح باقامة حقوق الشرع

يلابسه ويحتمل ان تكون بمعنى في لان القاعد يحل بمكان معوده وان تكون بمعنى على الاستعلاء القاعد على المكان وبدل عليه قوله بعني لبسبيل الله الطريق الذي قعدوا عليه من طرق الدين قوله او الايمان بالله عطف على قوله الذين قعدوا عليه فتقدير سبيل الله اوالا بالطريق الذي قعدوا عليه من طرق الدين كالمعارف والعقايد والحدود الاحكام وثانيا بالايمان بالله فيكون ضميره على الاول للكل صراط وعلى الثاني للباري قوله ومن مفعول تصدون يعني ان قوله توعدون وتصدون تتنازع في المفعولية قوله من آمن فاعمل فيه اقربهما على ما اختاره البصريون وحذف مفعول توعدون ولا يجوز كونه مفعول توعدون لان المختار في تقدير اعمال الفعل الاول ان يضمر مفعول الفعل الثاني حتى قال بعضهم لا يجوز حذفه الا في ضرورة الشعر فكيف ولما لم يضمر مفعول تصدون حيث لم يقل وتصدونهم علم انه لم يعمل الاول وان من آمن مفعول تصدون قال ابن الحاجب فان اعملت الاول اضمرت الفاعل في الثاني والمفعول على المختار الا انه يمنع مانع فتنظر قوله وتوعدون بما عطف عليه يعني ان قوله توعدون وتصدون ويتبعون احوال من فاعل لا تقعدوا موعدين وصادين وباغين ولم يذكر الموعد به ليذهب الذهن كل مذهب قوله وتطلبون لسبيل الله عوجا ان قوله وتبغونها من باب الحذف والايصال والتقدير وتبغون لها اعوجاج ضمير السبيل لانها يذكر ويؤنث ثم ان شعيبا عليه السلام لما امرهم ونهاهم وارشدهم الى ما هو خير لهم في دينهم رغبهم في طاعة الله تعالى شكر النعمة فقال واذكروا انه تعالى كثر عددكم بعد القلة وكثر دنياكم بعد الفقر وكثر قوتكم بعد الضعف ثم هددهم بتذكير عاقبة المفسدين من الامم قبلهم قوله ثم والذين امنوا عطف على الكاف في لنخرجنك يا شعيب اعتراض بين المتعاطفين وقوله اولتعودن عطف على جواب القسم اذ التقدير والله لنخرجنك والمؤمنين اولتعودن والعود هو الرجوع الى الحالة الاولى ومن المعلوم ان شعيبا لم يكن على دينهم وملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم من الصغاير الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكباير فضلا عن الكفر الا انه اسند العود اليه والى من معه من المؤمنين تغليبا لهم عليه لان العود متصور في حقهم قوله وعلى ذلك اي وعلى اعتبار التغليب نظم نفسه في جملتهم وقال في جوابهم لنعيدونا

واحكامه قوله ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا اي سواء كانت متعلقة بامور الدنيا او بما عند الله تعالى من ثواب الاخرة فان للخطاب وان كان مع الكفرة الا ان العمل بما ذكر من توحيد الله تعالى وعبادته والايمان بنبيه وايفاء الكيل والميزان والامتناع من بخس الناس واشياءهم والافساد في الارض خير لهم مطلقا ان عملوه مؤمنين بالله وباحكامه وهذا على تقدير ان يكون الاشارة بقوله ذلكم الى جميع ما ذكر من قوله يا قوم اعبدوا الله الى آخر الآية فان لفظ ذلكم وان كان موضوعا للاشارة الى الواحد الا انه جاز ان يشار به في الآية الى جميع ما ذكر لكونه في تاويل امر واحد وهو العمل بما امرهم به ونهاهم عنه كما ذكره المص فمن عمل بما ذكر يكون ذلكم خيرا له في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فلان من اشتهر بين الناس بالصدق والصلاح والامانة والوفاء يكون محبوبا بين اهل الدنيا يرغبون في المعاملة معه فيعظم قدره عندهم ويكثر ماله واما في الاخرة فلكونه جامعا بين تعظيم امر الله تعالى والشفقة على عباده حيث شرط في كونه خيرا لهم ان يعملوه وهم مؤمنون بالله تعالى وباحكامه وان جعل ذلكم لكم اشارة الى امر واحد هو ايفاء الكيل والميزان والامتناع عن ضده فانما امر واحد اكد فيه الامر بالايفاء بالنهي عن ضده وكان قوله ان كنتم مؤمنين بمعنى ان كنتم مصدقين لي في قولي لا يكون للخيرية بمعنى الزيادة مطلقا لان القوم كفرة لم يفرض ايمانهم ليستحقوها ثواب الآخرة بل يكون المراد خيريتهم في الانسانية وحسن الاحدوثة وهو عبارة عن الذكر الجميل بين الخلق فان الاحدوثة انما يتحدث به المرء قوله وجمع المال معطوف على الانسانية فان الناس اذا عرفوه بايفاء الحقوق والامانة والعدالة رغبوا في المعاملة معه فيكون ذلك خيرا له في اكتساب المال وجمعه فان قلت خيرية الانبياء فيما يتعلق بالامور الدنيوية من الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ليست مشروطة بكونهم مصدقين للناصح فما معنى قوله ان كنتم مؤمنين قلنا انه ليس شرطا للخيرية بل هو شرط لقبولهم نصيحة الناصح ورغبتهم فيه وظفرهم بعز الدنيا وسعادتها فكانه قيل ان كنتم تصدقوني فيما اقول لكم فقد افلحتم وفزتم بعز الدنيا ودولتها قوله بكل طريق الباء فيه للالصاق او المصاحبة لان العقود ملصق بالمكان وان القاعد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في ملتكم حالا حال حتى في حال كراهتنا اياها ثم قال ان عدنا في ملتكم بعد
اذ نجانا الله منها قد افترينا فان العود في ملتهم انما يتصور في حق الذين معه من
المؤمنين الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا مما كانوا عليه ازلا وابدا اجراء
للكلام على حكم التغليب **قوله** وهو بمعنى المستقبل فلذلك صح ان يقع جوابا للشرط
وهو قوله ان عدنا فانه جواب الشرط عند الكوفيين وقال الجمهور لا يتقدم جواب الشرط
عليه بل جوابه محذوف حذف لدلالة ما قبله عليه فهو جواب من حيث المعنى لا من حيث
اللفظ وعلى التقديرين لا بد ان يكون وقوع مضمونه مرتبا ومعلقا على وقوع
مضمون الشرط وهو العود الى ملة الكفر وذلك العود امر استقبالي لان كلمة
ان تقلب الماضي الى معنى الاستقبال والمعلق بالمستقبل لا بد ان يقع بعد
وقوع المعلق عليه فلا بد ان يكون الافتراء واقعا بعد حصول العود الى المستقبل
ويمتنع ان يسبق وقوعه على زمان وقوع الشرط الا ان قوله قد افترينا بلفظ
الماضي المصدر بكلمة قد يقتضي ان يكون وقوع الافتراء سابقا على وقوع العود
لان كلمة ان لا تقلب الماضي المصدر بكلمة قد ولا المقدم على الشرط الى المضارع
فكيف اذا اجتمع الامران قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا هو وضع الشكال
لدلالته على كون الافتراء المعلق على العود واقعا قبل وقوعه ولا معنى له فاشار
المصنف الى حله بقوله وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع بعد ان الافتراء لكونه مما
يتصور وقوعه مرتبا على وقوع العود المفروض وقوعه في المستقبل صح جعله
جوابا له من حيث المعنى الا انه عبر عنه بلفظ الماضي تنزيلا للافتراء المرتب
على العود منزلة الواقع للمبالغة في الامتناع عن العود وادخل عليه كلمة
قد لتقريبه من الحال لتقول قد افترينا اخبار مقيد بالشرط اي قد افترينا الان
ان هممنا بالعود في ملتكم بعد ان وفقنا الله تعالى للخلاص منها بالتوحيد فالجملة
استيناف اخبار فيه معنى التعجب كانه قيل ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر
فان من عاد الى الكفر والاشراك فقد يزعم ان الله تعالى نداوانى افتراء اعظم منه
قوله وقيل انه جواب قسم محذوف حذفت اللام منه وهو معطوف على قوله قد افترينا
الآن ان هممنا العود يعني ان قوله قد افترينا استيناف اخبار فيه معنى التعجب ويحتمل

ان يكون

ان يكون جواب قسم محذوف وضعف الاحتمال الثاني لان المقام ليس مقام القسم والرد
على من انكر كون العود الى الكفر افتراء على الله بل المقام مقام المبالغة في الامتناع عن
العود والتعجب ممن عاد اليه بعد وقوفه على لا بل الوحدانية وليس المقصود من نقل
هذا القول حل الاشكال الوارد على قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا اذ لا مدخل
لاعتبار القسم في حل الاشكال المذكور اذ لا يندفع الاشكال الا بجعل الماضي بمعنى
المستقبل غاية ما في الباب ان يعبر عنه بلفظ الماضي تنزيلا له منزلة الواقع
وتراد لفظة قد تقريبا له الى الحال فاعتبار القسم ضايع في دفعه الاشكال **قوله** وفيه
دليل على ان الكفر بمشية الله كما هو مذهب اهل السنة وجه الدلالة ان معنى الآية ليس
لنا ان نعود الى ملتكم الخ هي ملة الكفر الا ان يشاء الله ان يعيدنا الى تلك الملة
فكان هذا الكلام تجويزا من شعيب عليه السلام ان يعيدهم الله الى الكفر بمشيته واستدل
اهل السنة بهذه الآية على مذهبهم بوجه آخر وهو انه عليه السلام قال ان عدنا في ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها فدل على ان المنجى من الكفر هو الله تعالى ولو كان الايمان يحصل
بخلق العبد لكان العبد هو المنجي نفسه وهو خلاف قوله بعد اذ نجانا الله منها **قوله**
وقيل اراد به لما ذكر وجه استدلال اهل السنة بهذه الآية على ان الكفر يحصل
بمشية الله تعالى ذكر جواب المعتزلة عنه وهو ان تعليق العود الى الكفر على مشية
الله ليس مبنيا على ان الكفر والايمان يحصلان بخلق الله تعالى ومشيته بل المراد به
تحسم طمعهم من العود الى الكفرة بتعليقه بالمحال كما يقال لا افعل ذلك الا اذا ابيض
القار وشاب الغراب فعلق شعيب عدم عوده الى ملتهم بما علم انه لا يكون اصلا وهو
ان يشاء الله تعالى كفر عبده **قوله** او اظهر امرنا اي ويجوز ان يراد بالفتح الكشف والتبيين
بان ينزل الله تعالى عذابا على قوم شعيب عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وشيعته
محقين **قوله** تعالى وقال الملاء الذين كفروا عطف على قوله قال الملاء الذين استكبروا
يعني ان الملاء لم يقتصروا على تكذيب شعيب **قوله** والتنبيه على هذا اي على ان مناط
الخسران هو تكذيب الانبياء لا نصرتهم واتباعهم فان تعليق الحكم على الاسم الموصول
يشعر بعلية الصلة للحكم المذكور بعدها فاذا كان تكذيب الانبياء علة للخسران كان
نصرتهم والاتباع بضدها للربح وسعادة الدارين فتكون تكرير الموصول مبالغة

في بيان كون تكذيبهم مناط الخسران و تصديقهم مناط الفوز بالمغنى قوله واستأنف بالجملتين
اي ابتداء بهما فان كلا واحد من الجملتين كلام مبتداء لتمام حكايتهم عند قوله فاصبحوا
في ديارهم جاثمين جيء بهما لتقرير استحقاقهم لما اصابهم من عذاب الاستيصال
وان المصدقين المتبعين بمعزل عنه قوله قاله تاسفا يعني ان الظاهر ان قوله
عنهم كان بعدما ابصرهم جاثمين في مدائنهم ولا معنى للحالة مع الاموات
والجيف حقيقة اولا فايس في خطابهم سوى ان يسلي نفسه ويزيل ما اصابه
من شدة تحزنه على هلاكهم كانه قال لقد بالغت في نصحكم ونهيكم عما يؤديكم الى هذا
البلاء العظيم فما سمعتم كلامي وما ائتمرتم بما سوء صنيعكم قال امركم الى هذا والآسى
شدة الحزن يقال اسي يأسى بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر كرضي يرضى وآسى
بناء المتكلم وحده على اوزان افعل فتسر قوله فكيف آسى عليهم بوجهين الاول انه اشتد
حزنه عليهم ثم انكر على نفسه قائلا مالي اتحزن على هلاك قوم استحقوا الهلاك
بسبب اصرارهم على الكفر والثاني انه لم يحزن على هلاكهم واعتذر عن عدم تحزنه على
هلاكهم فقال كيف آسى على هلاك الكفرة المعاندين ثم انه تعالى لما بين هؤلاء
الامم الذين كذبوا رسلهم بين ان اهلاك الكفرة المعاندين المستكبرين عادة
الله تعالى فيمن لا يقبل دعوة المرسلين ونصيحتهم فقال وما ارسلنا في قرية
من نبي الآية وكلمة من فيه زايدة لتفيد العموم والاستغراق وقوله نبي موصوف
حذف صفته اي من نبي كذب اوكذب به اهلها وقوله الا اخذنا استثناء مفرغ
من اعم الاحوال الا في حال كوننا اخذين من الانبياء بالبأساء وهي بنا لهم
من الشدة في احوالهم والضراء ما ينالهم من الامراض وقيل على العكس ثم متعلق
مكان السيئة المتروكة لحالة الحسنة الحاصلة لان ورود النعمة بعد الشدة يدعوا
الى الانقياد والاشتغال بالشكر فانه تعالى يأخذ العصاة تارة بالشدة وتارة
بالرخاء لكون احديهما داعية الى التضرع والتذلل والاخرى الى الشكر والطاعة
ثم انهم لم يعتبروا بما اصابهم من السراء والضراء لغرط قسوة قلوبهم وقالوا
هكذا كانت عادة الدهر قديما لنا ولا بائنا ولا آبائنا يعاقب بين السراء والضراء
وليس في ذلك ما يدعوكم الى ترك ما انتم عليه ولا آباؤكم فان آباؤكم لم يتركوا دينهم

لما اصابهم من الضراء فانتبهوا انتم ايضا عن دينكم ولا يضطربوا من تغير احوال الزمان
قوله عطف على قوله فاخذناهم بغتة جعل الفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام
الانكاري حاطفة لما حولها على ذكر قبلها ولم يلزم بطلان صدارة او لم يتقدمها شئ
من الكلام الذي دخلت هي عليه وتعلق معناها بمضمونه غاية الامر انها توسطت
بين الكلامين المتعاطفين لافادة انكار وقوع الثاني عقيب الاول اي بعد اخذنا
اياهم تبكيتهم امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا اولا عين ضحى
وعادة صاحب الكشاف في مثلها ان يقدر المعطوف عليه بين الهمزة وحرف العطف
ولم يقدر ههنا بينهما شيئا فانه يختار كل واحد منهما بحسب اقتضاء المقام فان
عبارته هكذا فان قلت ما المعطوف عليه في قوله تعالى افامن ولم عطفت الاولى
بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله تعالى
ولو ان اهل القرى الى قوله يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه
وانما عطفت بالفاء لان المقصود الانكار على امن اهل القرى عقيب ما اخذ
مكذبوا الرسل بما كانوا يكسبون ولما لم يكن بين هذا الامن والامن المعطوف
عليه بالواو معنى التعقيب كان ذكر موضع العطف بالواو ليتأتى على انكار وقوع
مجرد الامنين عقيب اخذ المكذبين قوله تبييتا حالان يكون بياتا بمعنى
تبييتا وينتصب على انه مفعول مطلق لفعل يأتيهم لان التبييت نوع من
الاتيان يقال بيت العدو اذا اتى ليلا واوقع ما شاء والاسم منه البيات قوله
او وقت بيات على ان يكون البيات بمعنى البيتوتة ومنصوبا على الظرفية بتقدير
المضاف كقوله ضحى فانه منصوب على الظرفية فالمناسب في بياتا ايضا ان ينتصب
على الظرفية ليطابق قرينة قوله او مبيتين على ان يكون بمعنى التبييت
ومنصوبا على انه حال من الفاعل او من المفعول فان البأس مبيت وهم
مبيتون قوله والمستثنى في بياتا على ان يكون بياتا حالا بمعنى مبيتين فانه لا
يتحمل ضمير اهل القرى فتكون الحالان متداخلتين قوله يلهون بصرف الهم
بما لا ينفع لا في امر الدين ولا في امر الدنيا قوله او يشتغلون بما لا ينفعهم اي
من امور الدنيا فان من اشتغل بدنياه واعرض عن آخرته فهو كالاعب قوله تقرير

لقوله افامن جواب عما يقال فلم رجع فعطف بالفاء قوله فامنوا مكر الله
مع ان الظاهر ان المقصود الانكار على اهل القرى في جعلهم من الامن من مكر
الله والامن من اتيان البأس بياتا وانتباذه فحيق عقيب عليهم باخذ الذين
كذبوا الرسل وهذا المقصود يقتضي ان يعطف الامن الثالث على ما قبله بالواو
كما عطف الامن الثاني عليه بالواو وتقرير الجواب ان هذا الامن ليس امنا
ثالثا مغايرا للامنين الاولين بل هو تكرير وتقرير للجمع قوله افامن واوامن
جمعا بعد التقريق قصدا الى زيادة التحذير والانذار فيكون مكر الله عبارة عما
ذكر في الابتين من اتيان البأس بياتا وضحا فيكون الفاء فيه هي الفاء التي
في قوله افامن الدالة على انكار وقوع الامنين المذكورين عقيب اخذ المكذبين
قوله ومكر الله استعارة فان اصل المكر ان تظهر لغيره ما يحبه ويرضاه وانت
تريد به اضراره بحيث لا يشعر استدراج الله تعالى العبد بالنعمة والصحة ليبطر
ويتمادى في المعصية والغي فان ذلك اضراره من حيث لا يشعر والفاء في قوله
فلا يأمن مكر الله فاء جواب شرط محذوف اي اذا كان الاستدراج واضحا على هذا
الوجه فلا يأمن مكره بهذا المعنى الا الذين خسروا انفسهم قوله تعالى اولم يهد فرأى
الجمهور يهد بياء الغيبة وفاعله قوله ان لو نشاء وكلمة ان مخففة من الثقيلة
واسمها ضمير الشان اي ولم يتبين ويوضح للوارثين ما آل امرهم ان
الشان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وان مع ما في حيزها
فاعل يهد عدي الى مفعوله الاول باللام وحذف له الثاني وهو عاقبة امرهم ان سلكوا
طريق اسلافهم وقرئ نهد بنون العظمة فتكون ان المخففة مع ما في حيزها
مفعول نهدي قوله وانما عدي يهد باللام يعني ان فعل الهداية يتعدى الى مفعوله
الاول بنفسه والى المفعول الثاني قد يتعدى بنفسه ايضا وقد يتعدى اليه
بكلمة اي يقال هديته الطريق والى الطريق وههنا قد عدي الى الاول باللام
لتضمنه معنى التبيين فعدي باللام باعتبار المضمن واما نفس فعل الهداية فقد
نزل منزلة اللازم ولم يعتبر تعلقه بمفعوله الاول كانه قيل اولم يفعل الهداية
مبينا للوارثين ما آل امرهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا

من قبلهم

من قبلهم على ان فعل الهداية مستعمل في اصل معناه منزلا منزلة اللازم
والتبيين المضمن قيده له حال من فاعله فلا يلزم استعمال اللفظ الواحد
في معناه الحقيقي والمجازي معا باطلاق واحد لان كلا واحد من المعنيين
مراد باطلاق على حدة احدهما مصرح به والآخر مضمن فيه وان شئت جعلت
الفعل المفسر اصلا والفعل الملفوظ قيدا له او بالعكس قوله عطف ما دل عليه
اولم يهد فانه استفهام للانكار على انتفاء الهداية والتبيين واثبات
ان الشان المذكور بين لهم مآل امرهم والمقصود منه انكار تمادیهم في الغفلة
وتقاعدهم عن النظر والاعتبار كانه قيل ان الشان المذكور بين لهم ذلك
ولكنهم يغفلون ويتقاعدون عن النظر والاعتبار ونطبع على قلوبهم
لان المراد بالذين يرثون الارض الذين يخلفون الامم المكذبة ويسلكون
سبيلهم فيكونون مطبوعين على قلوبهم وقيل قوله ونطبع عطف على
اصبناهم وجاز عطف المضارع على الماضي لكون نطبع بمعنى طبعنا لوقوعه
في حيز لو فانها تخلص المضارع للمضي كما ان لو تشأ بمعنى لو شئنا فقوله لانه
في سياقة جواب لو علة لكونه بمعنى طبعنا فان كلمة لو لغرض وقوع الفعل
في الزمان الماضي وان دخلت على المضارع وقوله لاقتضائه الخ نفي الطبع عنهم
علة لعدم جواز عطفه على اصبناهم فان قوله ونطبع لو كان معطوفا على جواب
لو لقلنا انتفاء الطبع عنهم فان كلمة لو تفيد انتفاء جملتيها واللازم باطل
لقوله تعالى فهم لا يسمعون اي يصرون على عدم القبول ومن المعلوم ان كل
كافر مصر على كفره فهو مطبوع القلب فوجب ان يكون كل واحد من الوارثين
والمورثين من اهل الطبع قوله يعني قرى الامم المذكورة هم وهم انه نوح
وهود وصالح وشعيب قص الله تعالى بعض انبائهم تنبيها لهذه الامة على
وجوب الاحتراز عن مثل حالهم فانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم
فتوهموا انهم على الحق فطغوا وبطروا وعصوا رسلهم قوله حال ان جعل
الفرق خبر التلك يعني ان تلك ان جعل مبتدأ مشارا بها الى ما بعدها وجعل القرى
خبرها يكون قوله نقص عليك في موضع النصب على الحالية اي قاصين وعاملها معنى

معنى الاشارة كما في قوله فتلك بيوتهم خاوية والمآورد ان تعالى الكلام للخبر اما بساق
ليفيد المخاطب وما الفائدة في ان يشار الى جنس القرى او الى الافراد المعهودة
منها ويحكم عليها بانها القرى وهل هو الا مثل قولك هذا زيد لمن يعلم انه زيد
اشارة الى جوابه بقوله وتكون افادته بالتقييد بها يعني ان المعلوم عند المخاطب
هو كون المشار اليه محكوما عليه بكونه قرى مطلقا من غير ملاحظة تقييد بانه
تعالى قص بعض انبائه وبتقييده بذلك حصلت الفائدة كما حصلت بالتقييد
بالصفة في قولك هو الرجل الكريم الا ان هذه الفائدة لا تحصل على تقدير
ان يكون خبرا لانتفاء التقييد بالحال ح ويمكن ان يقال انتفاء التقييد
المذكور لا يستلزم خلو الكلام عن الفائدة لجواز حصولها بامر آخر كتعريف
الخبر بلام العهد فانك اذا اشرت الى قرى مخصوصة وحكمت عليها بانها القرى واردت
القرى الكاملة في شانها حصلت الفائدة كما في قولك ذلك الكتاب قوله
بما كذبوه من قبل الرسل اي بمجيئهم يعني ان الباء صلة لم يؤمنوا او ان كلمة ما موصولة
اسمية وعايدها محذوف والمعنى انهم لم يتعطوا بدعوة الرسل ومجيئهم بالمعجزات
بل استمروا على ما كانوا عليه قبل مجيئهم بها من تكذيب الحق واما كانوا ليؤمنوا
الى آخر اعمارهم بما كذبوا به من قبل الى اول مجيء الرسل قوله والدلالة على انهم ماصلحوا
للايمان عطف تفسير لما قبله يعني ان اللام في قوله ما كانوا ليؤمنوا لتاكيد النفي
ومعنى تاكيد النفي ان الايمان كان منافيا لحالهم التي هي تصميمهم على الكفر طول عمرهم
وشدة شكيمتهم في عنادهم فان نفي الفعل مع لام الجحود ابلغ من نفيه بدونها
اما عند البصريين فلانهم يجعلون كان محذوفا ويجعلون هذه اللام متعلقة بذلك
الخبر المحذوف ويجعلون الفعل المذكور منصوبا باضمار ان وتقدير الكلام عندهم
فما كانوا مريدين للايمان ومن المعلوم ان نفي ارادة الفعل ابلغ من نفي نفس
الفعل واما عند الكوفيين فلان اللام عندهم زايدة لتاكيد النفي والكلام مع التاكيد
ابلغ مما لا تاكيد فيه والكاف في قوله كذلك في محل النصب على انه مفعول بطبع اي
مثل ذلك الطبع الذي طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية يطبع على قلوب الكفرة
الذين كتب عليهم ان لا يؤمنوا ابدا قوله والاية اعتراض يعني ان قوله تعالى فما وجدنا

لاكثرهم

لاكثرهم الى قوله لفاسقين اعتراض بل يكون من تتمة الكلام السابق وهذا
تصريح بان الاعتراض لا يجب ان يتوسط بين الكلامين بل قد يقع في آخر الكلام كما
في هذا المقام حيث وقع بعد الفراغ عن ذكر احوال اهل الطبع الذين ما كانوا
ليؤمنوا بما كذبوا من قبل قوله اي علمنا هم لفاسقين جعل وجدنا المذكور ثانيا
بمعنى علمنا فعداه الى مفعولين اولهما اكثرهم وثانيهما قوله لفاسقين اي خارجين
عن الطاعة مارقين عن الدين وجعل ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين
النافية فتكون عاملة في ضمير الشان المقدر اي وان الشان وجدنا اكثرهم فاسقين وهذا
على كون وجدنا بمعنى علمنا لا بمعنى صادفنا بدخول ان المخففة واللام الفارقة عليه بناء
على انها لا تدخل الا على المبتدا والخبر او على الافعال الناسخة للابتدا ثم ذكر ما ذهب
اليه الكوفيون من ان كلمة ان في مثلها نافية وان اللام بمعنى الا ويقولون قوله تعالى
وان كانت الكبيرة كانت الا كبيرة ولم يتعرض لقوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد
ولم يصرح بان وجدنا فيه بمعنى صادفنا او بمعنى علمنا كانه جوز كلا واحدا من الاحتمالين
الاول ان يكون وجدنا بمعنى صادفنا ولقيناه فيكون لاكثرهم متعلقا بقوله
وجدنا اكتفى بذكر ما وجدت له ما لا ويكون قوله من عهد مفعول وجدنا ويكون كلمة من
مزيدة في المفعول ويجوز ان يكون لاكثرهم حالا من عهد لانه في الاصل صفة نكرة
فلما قدم عليها نصب على الحالية والاصل وما وجدنا عهدا اكثرهم والاحتمال الثاني
ان يكون وجدنا بمعنى علمنا ويكون من عهد مفعوله الاول ولاكثرهم مفعوله الثاني
وح يكون وجدنا في الموضعين بمعنى واحد ويتناسب الكلامان ولا محذور في كون
كل واحد من الفعلين لمعنى مغاير لمعنى الفعل الآخر قوله وفاء عهد تقدير المضاف
اذ لا وجه لنفي نفس المعهد سواء اريد به عهد الله اليهم في الايمان والتقوى
بانزال الايات ونصب الحجج او عهدهم اليه تعالى حين كانوا في ضر ومخافة قوله
اذا لحافظ اي المحافظة يقال انه لذو حفاظ وذو محافظة اذا كان له انفة قوله
بان كفروا بها اي بالايات لما عدى الظلم بالباء وهو يتعدى بنفسه فمن ظلموا
معنى كفروا فعدى تعديته وفي وضع الظلم موضع الكفر فائدة وهي ان حق
الايات الايمان بها لوضوحها فوضع الكفر مكان الايمان بها ظلم بها لان الظلم

عبارة عن وضع الشئ في غير موضعه ولو قيل فكفروا بها لما فهم هذا المعنى وكيف في قوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين خبر كان قدم عليها واجب التقديم لان له صدر الكلام وعاقبة اسمها ومن للجملة الاستفهامية في محل النصب بنزع الخافض اذ التقدير فانظر الى كذا والمعنى فانظر بعين عقلك وفهمك كيف فعلنا بالمفسدين قوله حقيق علي ان لا اقول اي واجب علي فرا الجمهور علي ان يراد بعلى التي هي حرف جر داخلة على ان وما في حيزها وقرأ نافع علي بعلى ايضا التي هي حرف جر داخلة على ياء المتكلم وحقيق في قراءة العامة خبر بعد خبر لقوله اني فكان مدلول اللفظ اني حقيق اي واجب علي قول الحق ولا معنى له لان الفعل او الترك يجب على الرجل ولا يجب الرجل على الفعل او الترك فلذلك حمل الكلام على القلب وقال كان اصله حقيق علي ان لا اقول لكن قرأنا فيه فقلب الكلام وقيل انا حمله حقيق بمعنى قوله الحق بدل ان يقال قول الحق حقيق علي اي واجب قيل حمل الكلام على القلب وان جاز الا انه انما يحمل الكلام البليغ عليه اذا تضمن نكتة مقبولة ولا نكتة هنا فينبغي ان ينزه القرآن عنه وللناس فيه ثلاث مذاهب الجواز مطلقا والمنع مطلقا والتفصيل بين ان يتضمن نكتة بديعة فيجوز وبين ان لا يتضمنها فيمتنع وذهب المصنف الى انه يجوز عند اتضاح المراد والامن من الالتباس كما في البيت المذكور واوله ويلحق خيل لاهوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر والمراد بالخيل فيه الرجال والهوادة الصلح والضياطر الرجال الضخم الذين لا غناء عندهم وقياس جمع الضبارد ضبارد الا انه عوض الهاء عن المد كبياطر في بياطر والحمر عندهم من صفة العجم وهي صفة ذم والمعنى وتشقى الضياطرة بالرماح فقلب بان اسند الشقاء الى الرماح وحقه ان يسند الى الضياطرة لوضوح المراد وعدم التباس قوله اولان ما لزمك فقد لزمته عطف على قوله لانه من الالتباس اي وقلب وقيل اني حقيق على قوله الحق بناء على انه جعل وجوبه على قوله الحق مجازا عن لزومه للحق بعلاقة اللزوم فان الواجب على المرء والمراد الذي وجب عليه ذلك الواجب متلازمان فيعبر عن لزوم الواجب له ووجوبه عليه بلزومه للواجب ووجوبه نفسه على الواجب وفيه مبالغة حسنة قوله او للاغراق في الوصف بالصدق

اي او

اي او قلب للمبالغة في وصف نفسه بالصدق فان مقتضى الظاهر ان يقال واجب علي ان لا اقول الا الصدق الا انه قلب وقيل الصدق والقول الحق واجب عليه ان اكون انا قائله وان لا يرضى ان ينطق الا من هو مثلي فان فيه مبالغة في وصف نفسه بالصدق حيث شبه القول الحق في نفسه بالعاقل الذي يطلب ويبغي ان لا ينطق به الا من هو مثل المتكلم على سبيل الاستعارة المكنية واثبت له لازم المشبه به وهو السعي والطلب تخييلا للاستعارة المكنية فانه اثبت للقول الحق ان يجب عليه ان لا يرضى الا بمثله ناطق به وفي قوله ان اكون انا قائله اشعار بان الحقيق والآن اسند الى موسى عم فالمعنى على اسناده الى وصفه اعني كونه القائل له قوله وضمن حقيق معنى حريص عطف على قوله فقلب وكذا قوله او وضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولك رميت على القوس وجئت على حالة حسنة اي رميت بالقوس وجئت بحالة حسنة ثم ان موسى عم لما ادعى انه رسول من رب العالمين ذكر ما يدل على صحة دعواه فقال قد جئتكم ببينة من ربكم ان معجزة ظاهرة يعني العصا واليد ثم انه عم لما اثبت نبوته بما جاء به من البينة قال له فارسل معي بني اسرائيل اي خلهم يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك ان يوسف عم لما صار والي ملك مصر مشى اليه ابواه واقاربه من الارض المقدسة ثم انه عم لما توفي وانقرضت الاسباط غلبهم فرعون وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب فلما جاء موسى عم اراد ان يرجع بهم الى موطن آبائهم الذي هو الارض المقدسة وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف عم مصر واليوم الذي دخل فيه موسى اربع مائة فقال فرعون بجيبا له ان كنت جئت بآية فأتي بها ان كنت من الصادقين اي فاحضرها عند من تصح دعواك فان الاتيان والمجيء وان كانا بمعنى واحد الا ان بينهما فرقا من حيث ان المجيء يلاحظ فيه نقل الشئ من جانب المبدا والاتيان يلاحظ فيه ايصاله الى المنتهى فان مبدا المجيء هو جناب المرسل ومنتهى الاتيان وهو المرسل اليه علق احضار البينة عند المرسل اليهم من جانب المرسل ثم علق الاحضار المعلق على المجيء بهم من جانب المرسل على كونه صادقا في دعوى المجيء بهم من جانب المرسل

على كونه صادقا في دعوى المجئ بها من جانب المرسل والثعبان الحية الضخم
الذكر وهو من اعظم الحيات قوله مبين اي بين انه حية لا التباس فيه ولا يتخيل بها ل
احد كونه من جنس العصا قوله اشعر اي كان على ظاهره شعرا اسود مثل الرماح الطوال
يقال اشعر اي كثير شعر الجسد وفغر فاه اي فتحه قوله واحدث اي استطلق بطنه
واحدث في ثيابه حتى علم به جلساؤه ولم يكن احدث قبل ذلك الا في اربعين يوما
مرة ولا يبصق ولا يمتخط ولا يتثاءب ولا تذرف عيناه ولا يمرض ولا يصدع
ولا يسقم وكان على هذا اربع مائة سنة فلما كان ذلك اليوم احدث وبصق وامتخط
واخذه الصداع والمرض واختلف بطنه اربعين يوما فلم يزل بعد ذلك يختلف
بطنه حتى مات عليه وذكر في الوسيط انه تمام بطنه في ذلك اليوم اربع مائة مرة
ولم يتمسك بطنه بعد ذلك حتى هلك ووصف العصا هنا بكونها ثعبانا وهو العظيم
الهائل الخلق وفي موضع آخر بقوله جان والجان من الحيات الخفيف الضئيل الخلق
فكيف الجمع بين هاتين الصفتين اجاب صاحب الكشاف عنه في هذا الموضع بجوابين
احدهما انه جمع لها بين الشبيهين اي بين كبر الجثة كالثعبان وبين الخفة كالحركة وسرعة
المشي كالجان والثاني انها في ابتداء امرها تكون كالجان ثم تتعاظم ويتزايد خلقها
الى ان تصير ثعبانا نقل صاحب التيسير عن وهب ان موسى وهرون عليهما السلام
لما دخلا دار فرعون ووقفا بين يديه لقنهما الله تعالى موسى دعوة دعا بها فقال لا اله الا
الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب
العالمين اللهم اني ادرء بك في نحره واعوذ بك من شره واستعين بك عليه فاكفنيه بما
شئت فتحول ما في قلب موسى من الخوف امنا وتحول ما في قلب فرعون من الامن خوفا
فلما دعا بهذا الدعاء وهو خائف آمنه الله تعالى ونفس كربته وخفف عنه كرب الموت
قوله من جيبه او من تحت ابطك لما كان النزع عبارة عن اخراج الشئ من مكانه ولم
يذكر المخرج منه في هذه الآية بينه المصنف بقوله من جيبه استدلالا بقوله تعالى واضمم
يدك الى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ولما كان الساحر كالعيب وصفه بقوله
من غير سوء وبينه ثانيا بقوله او من تحت ابطك استدلالا بقوله واضمم اليك جناحك فلما
اخرجها من الموضع الذي ادخلها فيه ظهر منها نور ساطع طبق ما بين السماء والارض

وقوله

وقوله للناظرين متعلق بمحذوف هو صفة لبيضاء اي بيضاء مرئية للناظرين
كذلك لا انها بيضاء في جبلتها واصل خلقتها لانه روي ان موسى عليه كان
ادم شديد الادمة فلا يكون ما يرى في يده من البياض لونا اصليا لها وانما
يراها النظار بيضاء بياضا خارجا عن العادة فلذلك يجتمع عليه النظارة
لغرابة لونها ونورها وقول صاحب الكشاف انه متعلق ببيضاء اراد به
التعلق المعنوي لا تفسير الاعراب يعني انه من تتمته قوله قبل قاله هو والملأ
قومه يعني قيل في التوفيق بين هذه الآية وبين قوله في سورة الشعراء
وقال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم حيث اسند القول المذكور في هذه
السورة الى الملأ وفي السورة وفي سورة الشعراء اسند الى فرعون
ووجه التوفيق ان هذا القول لما صدر عنه وعن قومه في مجلس التشاور في امر
صح اسناده الى كل واحد من الفريقين فلذلك اسند في هذه السورة الى قومه
وفي تلك السورة الى نفسه قوله تعالى فماذا تأمرون يحتمل ان يكون من كلام الملأ
خاطبوا به فرعون وحشروا تعظيما له كما يخاطب الملوك بلفظ الجمع وان يكون من كلام
فرعون على اضمار قول اي فقال لهم فرعون فماذا تأمرون اي ما الذي تشيرون به
علي واختار ابن عباس رضي الله عنه هذا الاحتمال ويؤيده قوله فقالوا ارجه واخاه
فان الظاهر انهم قالوا ذلك لفرعون جوابا لقوله فماذا تأمرون ولما كان السحر
غالبا في ذلك الزمان ولا شك ان اهل كل صنعة على طبقات مختلفة بحسب
الحذاقة والمهارة زعم القوم ان موسى عم كان حاذقا في علم السحر بالغا فيه الى
اقصى الغاية وانه جعل علمه وسيلة الى طلب الملك والرياسة فلذلك قالوا يريد
ان يخرجكم من ارضكم بسحره قوله واصله ارجئه بهمزة ساكنة وهاء مضمومة
وفي هذه الكلمة ست قراءات مشهورة متواترة ثلاث منها مع الهمزة وثلاث
بدونها اما الثلاث التي مع الهمزة فاولها قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر
ارجئهو بهمزة ساكنة وهاء متصلة بواو حاصلة من اشباع الضمة
وثانيها قراءة ابي عمرو ارجئه بهمزة ساكنة وهاء مضمومة من غير اشباع
ضمتها وثالثها قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر ارجئه بهمزة ساكنة وهاء

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكسور من غير اشباع كسرة الهمزة اليها، واما الثلاث الخ بلا همز فا ولها قراءة
حمزة وحفص ارجه بكسر الجيم وسكون الهاء وصلا ووقفا وثانيها قراءة الكسائي
وورش من نافع ارجهي بها، مكسورة بعدها يا، حذفت لام الفعل وهي الياء علامة
للجزم واتصل الفعل بالضمير المنصوب وثالثها قراءة قالون عن نافع ارجه مكسورة
بغير ياء، وهذا الفعل يستعمل مهموزا وغير مهموز وكل واحدة منهما لغة مشهورة
يقال ارجيت الامر وارجأته اي اخرته وقرئ وآخرون مرجئون لامر الله ومرجؤن
وقرا، ايضا ترجي من تشاء، بالهمز وبدونه **قوله** وكذلك ارجئهو يجيء
قراءة ابن كثير على الاتي للضمير فان الاصل في هاء الضمير عند اذا كانت ضمير الواحد
المذكر وكانت مضمومة وسكن ما قبلها ان تكون موصولة بواو واذا كانت
مكسورة وسكن ما قبلها ان تكون موصولة بياء سواء كان ذلك الساكن حرف
علة او حرفا صحيحا فالمضمومة نحو عقلوهو وشروهو وفاجتنبوهو وفبشر هو
ومنهم ومنهو وعنهو ونحو ذلك والمكسورة لاجهي وابيهي وابويهي وفيهي
ونحو ذلك **قوله** واما قراءة ارجه بسكون الهاء فلتنزيله المنفصل بالمتصل عن
ان هاء الضمير انما تسكن اذا تحرك ما قبلها ولم ينفصل بينها وبين الحرف المتحرك قبلها
بحرف ساكن نحو ضربته بسكون الهاء لكونها متصلة بالحرف المتحرك قبلها والهاء التي
في ارجه ليست متصلة بالحرف المتحرك قبلها لتحمل لام الفعل المحذوفة بينهما،
تقديرا وهي الهمزة او الياء المحذوفة فاسكانها خلاف الاصل الا انها اسكنت
تشبيها لها بالتي اتصلت بالحركة نظرا الى صوت الكلمة بعد حذف لام الفعل كما فعل
ذلك في يؤده ونؤله نصله ونؤته منها فان حمزة وعاصما في رواية ابي بكر قرآها،
الضمير فيها ساكنة مع كونها منفصلة عن الحرف المتحرك قبلها تقديرا تشبيها لها بالتي
كانت متصلة بالحركة نظرا الى صوت الكلمة بعد حذف لام الفعل **قوله** وجعل جه
وكابل في اسكان وسطه عطف على قوله لتشبيهه فهو وجه ثان لاسكان هاء
ارجه مع ان حقها ان يكون مكسورة كما في به وفيه الا انها اسكنت للتخفيف
كما اسكنت وسط الكلمة في نحو كتف وعضد لكن فان هاء ارجه وان كانت
منفصلة عن الواو في قوله واخاه الا انها شبهت بالمتصلة بها وجعلت وسط الكلمة

نظرا الى اتصالها بها في التلفظ فاسكنت كما اسكنت الباء في ابل للتخفيف قال صاحب
الكشاف في وجه القراءة بسكون الراء في قوله تعالى في سورة المدثر ولا تمنن
تستكثر ولو بكسر الثاء وبعضهم فسكن تخفيفا مع تحقق الفرق بينهما من حيث
ان الساكن في احدهما وسط حقيقة وفي الآخر وسط في التلفظ عما بعد حقيقة
فلما جاز اسكان الراء في تستكثر ولو بجعلها بمنزلة وسط الكلمة جاز اسكان الهاء في جه
ولذلك قوله تعالى وارسلنا في المدائن حاشرين قوله في المدائن متعلق بارسلنا وحاشرين
اي جامعين مفعول به ومفعول حاشرين محذوف اي حاشرين السحرة والمدائن
جمع مدينة وهي البقعة المسورة المستولي عليها ملك واراد مدائن صعيد مصر
وكان له مدائن فيها السحرة المعتبر لوقت الحاجة والمعنى وابعث الشرط الى بعض
المدائن ليحشروا او يجمعوا اليك من فيها من السحرة **قوله** خيروا موسى فان كلمة
اما فيه للتخيير ويطلق عليها حرف العطف مجازا قال المفسرون ناداه بوامع موسى
عليه السلام فكان ذلك سبب ايمانهم وقوله ان تلقي يجوز ان يكون في محل
النصب على انه مفعول به بفعل مقدر اي اما ان تفعل الالقاء اولا او تفعله نحن
قبلك وان يكون في محل الرفع على انه خبر مبتدإ محذوف تقديره الامر اما القاؤك
واما القاؤنا **قوله** فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ فان قولهم واما ان نكون
نحن الملقين ابلغ من ان يقال واما ان نلقي الاشتمال الاول على زيادة الربط
بين المسند والمسند اليه **قوله** وتعريف الخبر بالجر معطوف على قوله تغيير النظم
وكذا ما بعده فان كلا واحد منها مما ينبئ على ارغبتهم في ان يلقوا قبله **قوله**
بلذلك اي لدلالة كلامهم على ارغبتهم في ان يلقوا قبله قال موسى عم القوا **قوله**
وارهبوهم يعني ان استفعل هنا بمعنى افعل والسين لتاكيد معنى الرهبة وتقوية
قوله فلما القوا سحروا اعين الناس اي قلبوها وصرفوها عن ان يدركوا
الشيء على ما هو عليه بسبب ما فعلوه من التمويهات فانهم جمعوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات جسام غلاظ وطخوا تلك الحبال بالزئبق
وجعلوا الزئبق دواخل تلك العصي فلما اشتد حر النهار تحركت والتوى
بعضها على بعض وكانت كثيرة جدا تتخيل الناس انها تتحرك وتلتوي باختيارها

وجاؤا بسحر عظيم فرغم الناس قوله تعالى فاذا هي تلقف قراءة العامة بتشديد
القاف من تلقف والاصل تتلقف تتابعين فحذفت احديهما وقراءة حفص تلقف بتخفيف
القاف من لقف يلقف على وزن علم يعلم يقال لقفت الشئ اللقفه لقفاً ولقماً وتلقفته
أتلقفه تلقفا اذا اخذته بسرعة فاكلته او تلقمته دوبانها ابتلعت جميع ما القوه
من الحبال والعصى التي افكوها وقلبوها عن وجهها حتى ما تركه في الوادي شيئاً شيئاً
من سحرهم وانكسر الناس ووقوا هاربين والثعبان على اثرهم فلما اراد وا
معارضة المعجزة الالهية بتمويهاتهم السحرية وقع الحق اي ثبت صدق موسى بم
في قوله اني رسول من رب العالمين حين يعلمون من التمويهات السحرية حيث
قال السحرة لو كان ما اتى به موسى سحر البقيت حبالنا وعصينا وما فقدت وفنيت
باسرها ظهر ان ذلك امر الهي صدق به نبيه واظهر الحق وابطل الباطل فغلب فرعون
واتباعه وانقلبوا صاغرين والانقلاب هنا اما بمعنى البدوء او بمعنى الرجوع
الى المدينة بخلاف السحرة فانهم انقلبوا احراراً بعزة الايمان والسعادة الابدية
قوله جعلهم ملقين كان جواب ما يقال الظاهر ان يقال فخروا ساجدين لان افعال
العباد وان كانت حاصلة بخلق الله تع وايجاده الا ان الغالب الشايع فيها اسنادها
الى من قامت هي به لا الى من اوجدها وتقرير الجواب الاول انهم وان سجدوا باختيارهم
الا انهم جعلوا ملقين للتنبيه على فرق الدليل الموجب للعرفان والايمان بحيث
لجأهم ذلك الدليل الى التذلل والسجود وتقرير الثاني انهم جعلوا ملقين
للتنبيه على ان حكمة الله تع الجأتهم اليه بان خلق في قلوبهم داعية قوية دعتهم
اليه لينقلب ما دبره فرعون في حق موسى عليه السلام وينكسر بالذين اراد بهم
كسر موسى وتقرير الثالث انهم جعلوا ملقين على سبيل الاستعانة التمثيلية
حيث شبه حالهم في سرعة الخرور وشدته حين شاهدوا المعجزة القاهرة بحال
من القي على وجهه فعبر عن حالهم بما يدل على الحال المشبه بها قوله لئلا يتوهم انهم
اراد وبه فرعون فانهم لو اقتصروا على قولهم امنا برب العالمين لتوهم انهم اراد و
به نفس فرعون لانه كان يزعم ويقول انا ربكم الاعلى فلما ابدلوا من الاول قولهم رب
موسى وهرون بعطف هرون على زال التوهم لان فرعون وان رئى موسى وهو صغير

الآ انه

الآ انه لم يرب هرون قطعا فعلم الحكم بابدال الثاني من الاول انهم كفروا بفرعون
وامنوا بالله تع قوله الهمزتين بعد ما الف مبدلة من الهمزة التي هي فاء الفعل ابدلت
الفا لسكونها بعد همزة مفتوحة فان اصل هذه الكلمة آأمنتم بثلاث همزات
الاولى للاستفهام والثانية همزة افعل والثالثة فا الكلمة فامن والهمزة الثالثة
تقلب الفا في جميع القراءات والهمزة الاولى محققة بلا خلاف ولا خلاف الا في الثانية
وقراءة حفص آمنتم به بهمزة واحدة بعدها الف مبدلة من فاء الكلمة على الاخبار
المحض المتضمن للتوبيخ ويحتمل ان يكون المعنى على الاستفهام الانكاري الا انه حذفت
اداة الاستفهام لدلالة السياق عليها وقراءة الحرميان وابو عمرو وابن عامر بهمزة
ومدة مطولة اي بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين والف المبدلة من فاء
الكلمة لما رأى فرعون ان السحرة بابصارهم مع حذاقتهم في علم السحر لما اقروا بنبوة
موسى عليه السلام وامنوا به في الجمع العظيم الذي اجتمع فيه الناس جميعا خاف ان يصير فعلهم
حجة قوية على صحة نبوته قال هذا الكلام تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان به
فالقى الى اسماع القوم شبهتين اولا هي قوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة
يعني ان ايمان السحرة لموسى ليس لقوة الدليل بل لانهم تواطئوا مع موسى في مصر قبل
ان يخرجوا منها الى هذا المجمع وقالوا له ان كان الامر كذا وكذا فنحن لك من بكم والشبهة
الثانية قوله لنهم ان غرض موسى والسحرة فيما تواطئوا عليه اخراج القبط من المدينة
وابطال ملكهم فيها ليخلص الملك له ولبني اسرائيل فجمع فرعون بين الشبهتين ليشبه
على القبط ما ظهر من الحق وبطلان امر فرعون ولا يوجد حيلة اقرب منها في هذا الباب
افرغ علينا صبرا يعمنا ويعلو علينا وافاضة الماء صبه بكثرة يقال فاض الماء
يفيض فيضا وفيضوضة اي كثر حتى سال على صفة الوادي وغمره الماء اي علاه وشرع
والافراغ في اللغة الصب يقال درهم مفرغ اذا كان منصوبا في قالب غير مفروغ
واصله من افراغ الاناء وهو صب ما فيه بالكلية اي الى ان يفرغ الاناء ولم يبق فيه
شئ وتفسير الافراغ بالافاضة المنبئة عن الكثرة والوفور وتوصيف الصبر بكونه
غامرا مستفاد من مفهوم الافراغ ومن تنكير صبرا فكانهم طلبوا من الله تع محل الصبر
وتمامه قوله كما يفرغ الماء اشارة الى ان افراغ الصبر وصبه من قبيل الاستعارة المكنية

والتخييلية لشبه الصبر عاما وعيد فرعون بالماء الغامر تشبيها مضمرا في النفس وجعل نسبة
الافراغ اليه تخييلا للاستعانة بالكناية لان الافراغ من لوازم الماء وملايمانه او شبه
الصبر بالماء من حيث انه مطهر من الآثام كما ان الماء مطهر من النجاسات الحقيقية والحكمية
تشبيها مضمرا في النفس وجعل ايفاع الافراغ عليه تخييلا للاستعانة الممكنة ثم ان فرعون
بعد ما راى من موسى عدم مبالاة خاصة اشد الخوف فلذلك لم يحبسه ولم يتعرض له بسوء
بل خلى سبيله فلذلك قال له قومه اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي ينسدوا
على الناس دينهم وقراءة العامة قوله ويذرك بياء الغيبة ونصب الفعل على انه معطوف
على قوله ليفسدوا والمعنى انه جواب الاستفهام بالواو كما يجاب في الفاء كما في قول الخطيئة
الم اكن جارا كم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والمعنى كيف يكون الجمع بين ترك
موسى وقومه مفسدين وبين تركهم آياك وعبادة الهتك اي لا وجه لذلك وقرئ
ويذرك بالرفع عطفا على قوله اتذر اي اتذر ويذرك بمعنى انطبق له ذلك او على
انه كلام مستأنف اخبروا به عن حال موسى او على انه حال من موسى باضمار المبتدأ
اي وهو الحال انه يذرك الهتك وقرئ ويذرك بالجزم على التوهم كانه توهم جزم ليفسدوا
في جواب الاستفهام فان جواب الاستفهام كثيرا ما يكون مجزوما بان مقدرة نحو ائتني
بيتك اذكرك فلعوم يذكر اللام في قوله ليفسدوا الجاز ان يكون مجزوما في جواب الاستفهام
ويكون قوله ويذرك ايضا مجزوما بالعطف عليه فهذا الحار قد توهم واقعا فاجزم المعطوف
لذلك كما قيل اتذرهم يفسدوا فعطف عليه بالجزم وقيل ويذرك كما في قوله تعالى
لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن بجزم اكن بناء على توهم كون صدق مجزوما
فانه منصوب بان مضمرة بعد الفاء السببية الواقعة بعد حرف التحضيض فان المضارع
ينتصب بان المضمرة بعد الفاء في جواب التحضيض اجراء له مجرى العرض والتمني كما في
قوله لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك وقوله لولا انزل عليه ملك فيكون
معه نذيرا فلما كان قوله فاصدق منصوبا بان المضمرة كان الظاهر ان ينتصب قوله
واكن بالعطف عليه الا انه قرئ بجزم اكن بناء على توهم كون اصدق خبر مذكور بعد الفاء
بل هو مجزوم في جواب التحضيض كانه قيل لولا اخرتني الى اجل قريب اصدق واكن بجزم
كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه قوله معبودا تلك على ان قوله وآلهتك جمع آله وان قرئ

الهتك

الهتك بكسر الهمزة يكون مصدرا بمعنى العبادة لما قال فرعون سنقتل ابناءهم
جزع قوم موسى وتضجروا فاستلاهم موسى بقوله استعينوا بالله واصبروا اما وعده
تعالى من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم بقوله ان الارض لله يورثها من يشاء
وقرر به الامر بالاستعانة بالله والصبر على ما اصابهم على الاستعانة بالله والصبر على ما يفعل
بهم والعاقبة للمتقين فانه وعدلهم بالنصرة لان المتقين وان كان عاما يتناول جميع
افراده الا انه لا تحقق في ذلك الوقت لا في ضمن بني اسرائيل فانه روي انه لما غلب
سحرة فرعون وتبين نبوة موسى عم بسطوع حجته آمن بموسى من بني اسرائيل ستمائة
الف نفس واتقوا عن الشرك والعصيان ثم ان قوم موسى لما اعتزوا عن تضجرهم
بقولهم اوذينا من قبل ان ياتينا بالرسالة ومن بعد ما جئتنا بها صرح موسى عليه السلام
بما رمز اليه من البشارة وهو اهلاك فرعون وقومه واستخلافهم في ارضهم بان يملكهم
ما كان يملكه فرعون وقومه فترى ما تعملون قد يراد به النظر الفكر المؤدي الى العلم
وقد يراد به تقليب الحدقة نحو المرئي ليترتب عليه الرؤية وكلا واحد من المعنيين
مستحيل في حقه تعالى فلذلك جعل النظر مجازا عن الرؤية التي هي غاية للنظر اي فيجري
ما تعملونه بوقوعه منكم لانه لا يجازي العبد على نفس العمل فيهم وانما يجازيهم على
ما يترتب منهم ثم ان موسى لما قال لقومه عسى ربكم ان يهلك عدوكم بدأ بذكر ما انزل
بفرعون وقومه من المحن حالا بعد حال الى ان وصل الى الهلاك تصوير القباحة وحثا
للمعتبرين على النظر والاعتبار ليعلم ان تبع غالب على امره وانه عزيز ذو انتقام وانه
لا يفلح الظالمون اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه قوله تعالى بالتنوين جمع سنة اجري مجرى
المذكر السالم فاعرب بالواو والنون رفعا والياء والنون نصبا وجرا وحذفت
نونه حال الاضافة وجاء في الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف واجري
مجراه جبرا لما فاته من لامه المحذوفة قبل انها واو لقولهم سنوات وسانيت وسنية
وقيل انها هاء لقولهم سانهت مسانهة وسنهات وسنيهة والسنة في الاصل
بمعنى العام مطلقا الا انه غلبت على عام ذي الجدب والقحط حتى صارت كالعلم له بالغلبة
كالدابة والنجم فان الدابة في الاصل اسم لكل ما يدب على الارض ثم غلب على ذوات القوائم
الاربع وكذا النجم اسم لكل كوكب يبدو ليلا ثم غلب على الثريا وصار كالعلم له بالغلبة

وكثرة استعماله فيها ولذلك اشتقوا من لفظ السنة فقالوا اسنت القوم اذا اصابتهم السنة والقحط كما يقال اجدب القوم اذا اصابهم الجدب وهو ضد الخصب يقال اقحط القوم اذا وقعوا في القحط ويقال ايضا قحطوا على ما لم يسم فاعله اذا وقعوا فيه قوله او ترق قلوبهم فان الشر ترفق القلوب وترغبها فيما عند الله تعالى وقوله واذا مسته الشر فذو دعاء عريض قوله تعالى يطيروا واصله يتطير وا ادغمت التاء في الطاء لقرب مخرجها قال تعالى اطيرنا بك وبمن معك اي تطيرنا وتشاءمنا فادغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل ليصح الابتداء بالساكن يقال تطيرت من الشيء وبالشيء اي تشاءمت منه وبه والاسم منه الطيرة على وزن العنبة وهو ما يتشاءم به من الفال الردي وفي الحديث انه عليه السلام كان يحب الفال ويكره الطيرة وكانت العرب يتطيرون ويتفاءلون بما سمعوا من الكلمة الحسنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير بل يكره ويبطل امره وكانت العرب تتيمن بالسانح والبارح وكانوا اذا ارادوا التزوج لحاجة ذهبوا الى الطير فزجروها فان مرت بهم سانحة فاذا ارتفعت من وكرها فطارت الى جانب اليمين تيمنوا بها ويسموها سانحا وان طارت الى جانب الشمال تشاءموا بها ويسموها بارحا فلا يخرجون الى ما قصدوه ويرجعون وقيل اذا خرج احدهم الى مقصده واتى الطير من ناحية عينه يتيمن به ويسميه سانحا وان اتى من ناحية شماله تشاءم به ويسميه بارحا فيرجع الى بيته فنهى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اقروا الطير على وكناتها والوكنة اسم لكل موضع يقع فيه الطير ليلا حيث كان وقيل هي اسم للموضع الذي تبيض فيه الطير وتفرخ سواء كان من خروق للحيطان او اغصان الشجر روي عنه عليه السلام انه قال من رجعه التطير عن حاجة فقد اشرك فقيل وما كفارة ذلك يا رسول الله فقال ان يقول احدكم اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمضي الى حاجته اي كل ما اصاب الانسان من الخير والشر واليمن والشوم ليس الا بقضائك وتقديرك وحكمك ومشيتك والعرق والطيرة مع ان كل واحد منها استدلال بالامارة على ما مآل الامر وعاقبته ان الارواح الانسانية اقرب واصفى من الارواح البهيمية والطيرة فالكلمة الحسنة التي تجري على لسان الانسان يمكن الاستدلال بها بخلاف طيران الطير وحركات البهائم فان ارواحها ضعيفة فلا يمكن الاستدلال بها على شيء من الاحوال قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة

وان جاءتهم سيئة اي في جانب الحسنة بكلمة اذا المستعملة فيما تحقق وقوعه وعرفت الحسنة للاشارة الى سعة رحمة الله تعالى وكونها كالواجب وقوعه وانها لكونها امرا محبوبا يرغب فيها كل احد كان معهودا عندهم جميعا حيث يتمناه كل احد فعرفت تعريفا العهد واتى بيء في جانب السيئة بكلمة ان المستعملة في مشكوك الوقوع لكونها مما ينذر وقوعها بالنسبة الى وقوع الحسنة فلم تكن مما تحقق وقوعه ولان ما وقع منها لما كان قليلا بالنسبة الى الحسنة ناسب ان يعبر عنه بلفظ النكرة قوله اي بسبب خيرهم وشرهم عندنا كما قالوا سبب ما جاءنا من الخير والحسنة هو استحقاق انفسنا اياه وسبب ما اصابنا من السيئة والشر هو شامة موسى ومن معه كذا بهم الله تعالى في كل واحد من الحكمين بقوله الا انما طائرهم عند الله اي سبب ما اصابهم من الخير والشر انما هو عند الله وصفة قائمة به وهي قضاؤه وتقديره ومشيته وهو الذي اتيهما شاء اصابهم به وليس بيمن احد وبشومه عبر عما عند الله تعالى بالطائر تشبيها له بالطائر الذي يستدل به على الخير والشر قوله او سبب شومهم عند الله على ان الطير والطائر عبارتان عن الشوم على طريق تسمية المدلول باسم الدليل بناء على انهم يستدلون بالطير على الشوم قوله وهو اسم للجمع كتمر ورهط وقيل هو جمع وطائر مثل صاحب وصحب وجمع الطير طيور والطيار مثل فرخ وافراخ وقيل الطير ايضا قد يقع على الواحد كما في قوله تعالى فيكون طيرا باذن الله على قراءة من قرأ طيرا قوله تعالى وقالوا مهما تأتنا به من آية عطف على ما قالوه اولا من ان ما اصابهم من الحسنة فلاجلهم واستحقاقهم بها وما اصابهم من السيئة فبشوم موسى ومن معه وليس شيء منها بتقدير الله تعالى وقضائه بين بعد جهالة اخرى لهم وهي انهم لم يميزوا بين المعجزات القاهرة الالهية وبين تمويهات السحرة وجعلوا ما اتى به موسى عليه السلام من انقلاب العصا حية ونحوه من باب السحر ومهما اسم شرط يجزم فعلين كقولك مهما تفعل افعل كان قائلا قال لك لا اقدر على ما افعل فتقول له مهما تفعل افعل واختلف فيه فقال بعضهم هي كلمة غير مركبة على فعل فحقها على هذا ان تكتب بالياء وقال آخرون انها مركبة ثم اختلف هؤلاء فذهب الخليل الى ان اصلها ما الشرطية زيدت عليها ما التأكيد لجزاء كما تزاد على سائر كلمات الشرط نحو متيما واما واينما تكن

اكن ثم استكره وتتابع المثلين فابدل الف ما الاولى هاء لتجانسهما في الهمس فصار مهما وقال الزجاج هي مركبة من مه الذي يصوت به الكاف اي هو صوت يتلفظ به من يكفي غيره وما الشرطية وفيه بعد اذ لا معنى للكف مع معنى الشرط الا على بعد وهو ان يقال مهما تفعل افعل مثلا انه رد على كلام مقدر كانه قال لكل قائل لا تقدر على افعل فتقول له مهما تفعل افعل وكان القبط قالوا لموسى عليه السلام اكفف عن دعوى الرسالة من رب العالمين ما تأتنا به من آية فما نحن لك بمؤمنين وهي على القولين اي سواء كان اصلها مه مع ما الشرطية او ما الشرطية مع ما المزيدة لتأكيد الجزاء هي اسم شرط في محل الرفع على الابتداء خبره فما نحن لك بمؤمنين او في محل النصب بفعل يفسره تأتنا به اي اي شيء تحضرنا تأتنا به كقولك زيدا ضربته وعمرو كلمت فما اضمر عامله على شريطة التفسير وضمير به يرجع الى مهما باعتبار لفظه وضمير بها يرجع اليه ايضا باعتبار كونه مبينا بآية وقوله من آية بيان لمهما ويجوز ان لما قال القوم لموسى عليه مهما تأتنا به من آية فهو سحر ونحن لا نؤمن بها وكان عليه رجلا حديد الفهم ذلك دعا عليهم فقال يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض وبغى وعتى وان قومه نقضوا عهدك فخذهم بعقوبة تجعلها نقمة لنفسي وعظة لمن بعدي عبرة فارسل الله تعالى عليهم ما ذكر من الآيات المفصلات والطوفان ما طاف بالقوم وعمهم واحاط بالجماعة من كل جانب كالماء الكثير والقتل الذريع والموت الطارف اي العام يقال جرفت الشيء اجرفه بالضم اذا ذهبت به كله او جله قال تعالى وطاف عليهم طائف من ربك وغالب استعماله في الماء الكثير الذي غشي اماكنهم وحروثهم فلذلك بينه المص بقوله من مطر وسيل وابن بقوله روي انهم مطروا ثمانية ايام والمؤتان بالضم الموت العام الواقع في الماشية والطاعون اخص منه لانه يختص بالانسان والقردان جمع قراد يقال له بالتركي كنه قوله الى تراقيهم جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وهو موضع الرداء من المنكب والثغرة قيل هي القردان وقيل دواب تشبهها اصغر منها وقيل هي السوس يخرج من الحنطة وقيل انه شيء يقع في الزرع ليس بجراد فيأكل السنبلة وهي خضرة قبل ان تقوى فيطول الزرع ولا سنبلة وقراد الحنش والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد به القمل

المعروف

المعروف الذي يقع في بدن الانسان وثوبه قوله آيات نصب على الحال من مفعول ارسلنا اي ارسلنا عليهم هذه الاشياء حال كونها آيات وعلامات مبينات او منفصلات بان فصل بعضها عن بعض بزمان ممتد فيه احوالهم انهم هل يعتبرون ويهتدون بالمعجزات وقلب الجواهر او يستمرون على المخالفة والعناد قوله يعني العذاب المفصل او الطاعون يعني ان الرجز اسم للعذاب ثم انهم اختلفوا في العذاب المراد به ههنا فقال بعضهم انه عبارة عن الانواع الخمسة المذكورة من العذاب النازلة بهم وقال سعيد بن جبير المراد بالرجز ههنا الطاعون وهو عذاب سادس من جملة ما اصابهم فمات به من القبط سبعون الف انسان في يوم واحد فنزكوا غير مدفونين قدم الاحتمال الاول لان حمل اللفظ على المعلوم اولى من حمله على المشكوك فيه قوله بعهدك عندك على ان تكون كلمة ما في قوله بما عهد عندك مصدرية وان تكون المراد بالعهد النبوة وان تكون الباء صلة لادع اي ادع لنا ربنا بكشف عنا العذاب بحق ما عندك من عهد الله وهو النبوة فان حق النبوة ومقتضاها ان يدعو النبي لامته لدفع ما اصابهم من البلايا والمحن سميت النبوة عهدا للمبالغة في كونها معهودا بها قوله او بالذي عهد اليك اي اوصاه اليك وامر به على ان تكون كلمة ما موصولة عبر بها عما يدعوا به المتضرع الى الله تعالى في طلب حاجته والباء ايضا صلة لادع اي ادع بالذي عهد اليك ان تدعوه به فيجيبك وقوله ان يدعوه به بدل من ضمير عهد وان كان قوله بما عهد اليك حالا من ضمير ادع يكون الباء متعلقة بمحذوف اي ادع ربك متوسلا اليه بعهد عندك وهو النبوة او بالذي عهد اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في ايات عنر توسلك به قوله او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم يعني لهم ادع لنا ربك ليبت بشر به بالحاجة الى ارتكاب حذف حامل يتعلق به حرف الجر اعتمادا على دلالة ادع على ذلك المحذوف مع كون ادع صالحا لان يتعلق به حرف الجر ولا حاجة الى ارتكاب الحذف الا اذا دعت الضرورة اليه وقوله به الى اجل متعلق بنكث كشفنا وقوله هم بالغوه في محل الجر على انه صفة لاجل وجواب لما ينبغي ان يكون امرا منبا على ابتداء وقوع ما

دخلت عليه

كلة لما فينبغي ان يكون النكث واقعا عقيب حدوث الكشف وابتداء وقوعه من غير
اعتبار بلوغه الى حد يعز بون فيه او يمكون وذكر الغاية بناء على كونه مرتبا على ابتداء
وقوعه بحسب الظاهر ولا منافاة حقيقة لان النكث انما يناجي ابتداء وقوع الكشف
لا الكشف بشرط انتهائه الى التعذيب او الاهلاك حتى يكون النكث بعد موتهم
واغرقهم الا انه قيد الكشف بقوله الى اجل ليعلم ان كشف الرجز الواقع بدعائه ع م
ليس المراد منه ارتفاع الرجز عنهم بالكلية بل المراد منه الكشف الذي يتبين به وفاؤهم
بالعهد واصرارهم على الكفر والعناد ولما فاجئوا النكث عقيب ابتداء وقوع الكشف
تبين اصرارهم على الكفر فاعيد عليهم الرجز بالتعذيب او الاهلاك قوله اي فلما كشفنا
عنهم فاجئوا النكث اي زمان النكث لما جعل قوله اذا هم ينكثون جوابا لما وقد تقرر
ان كل ما يلي كلة لما وجوابها وجب ان يكون ماضيا لفظا او معنى اول حمله للجواب
بقوله فاجئوا النكث وجعل لما ظرفا لذلك لفعل المقدر وكلة اذا مفعولا به والانتقام
العقاب الواقع على طريق مجازاة السيئة بالسيئة والفاء فيه لسببية النكث للانتقام
والعقاب حمل الانتقام على ارادة الانتقام لئلا يلزم كون الاغراق بعد الانتقام
والمعنى انهم لما نكثوا العهد كلما كشفنا عنهم العذاب ولم يمتنعوا عن الكفر والضلال
لهلاكهم اغرقناهم قوله وقيل لجنة عطف على البحر المذكور يعني ان اليم هو البحر الذي
لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه فقوله فاغرقناهم بانهم كذبوا تفصيل
لما اجمل بقوله فانتقمنا منهم فان الانتقام مجمل يبين بالاغراق وكذا سببه الذي
هو نكثهم العهد كلما كشف عنهم العذاب مجمل يبين بتكذيبهم الايات وعدم تفكرهم
فيها جعل الغفلة عن الايات مجازا عن الحالة المؤدية اليها وهي عدم الالتفات اليها
وعدم النظر والتفكر فيها فان من اعرض عنها ولم يتفكر في ان ما اصابه من الشدايد
انما اصابه بشوم مخالفته وعصيانه وعدم اهتدائه بما اتى به الرسول من
المعجزات التي يتميز بها الحق عن المبطل كان كالغافل عن الآيات منزلا منزلة
البهايم وانما حملها على المجاز لان حقيقة الغفلة ليست من الافعال الاختيارية
للانسان بل هي بمنزلة النسيان فلا يصح ان يذم بها الانسان فعلم به انه يجب
على الانسان النظر في آيات الله تعالى والتفكر فيها والا آذم من لم يتفكر فيها

قوله وقيل

قوله وقيل الضمير في قوله عنها للنقمة والمعنى وكانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين وكان هذا
القايل انما ذهب اليه مع كونه خلاف الظاهر بناء على انه تخيل ان الغفلة عن الايات عذر لهم
في تكذيبها من حيث ان الغفلة ليست من كسب الانسان قوله تعالى مشارق الارض
مفعوله ثان لاورثنا فانه قبل النقل الى باب الافعال يتعدى الى مفعول واحد نحو ورثت
ابك وبالنقل تعدى الى مفعول ثان وهو مشارق الارض مفعوله الاول قوله القوم
كانوا يستضعفون يعني بني اسرائيل كان قوم فرعون يستذلونهم تقتل ابناءهم
ويستخدم نساءهم فاهلكهم الله بالاغراق ومكنهم من منازلهم ومساكنهم
واورثهم ارضهم وديارهم وحمل الارض على ارض الشام ومشارقها ومغاربها
جهاتها الشرقية والغربية لان بني اسرائيل ملكها بعد اغراق فرعون وقومه عند انقضاء
مدة البيتة ولانه تعالى وصفها بقوله التي باركنا فيها لان المراد باركنا فيها بالخصب
وسعة الارزاق بكثرة المياه والاشجار وفنون النعم وبكونها مساكن الانبياء
والاولياء وذلك انما يليق بارض الشام وقيل المراد بها ارض الشام ومصر لوصف
نواحيها الشرقية والغربية لان بني اسرائيل ملكوا ارض الشام اولا وملكوا ارض
مصر في زمن داود وسليمان عليهما السلام وحلت البركة في جوانب نواحي ارض مصر
بكثرة الزرع والثمار واصناف النبات والاشجار قوله ومضت عليهم واتصلت
بالاعدام تدمير اياهم وعن الله تعالى في حقهم من اهلاك عدوهم واستخلافهم في ارض
فستر كلة الله تبوعن آياتهم بالنفر والتمكين وهو ما ذكره بقوله ونريد ان نمن على
الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون
وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وفستر تمامها بمضيها وانتهاءها الى الانجاز
لان العزم بالشئ التزام لايقاعه بالعبارة واللسان وتمامها لا يكون الا بوقوع
الموعود في الخارج والعيان قوله بسبب صبرهم على الشدايد على ان الباء سببية
وما مصدرية ومتعلق الصبر محذوف وهذه السببية كفى بها حثا وترغيبا على الصبر
فان الصبر مفتاح الفرج قوله بعد مهلك فرعون الظاهر ان البعدية فيه رتبية فان عبور
لجة الغفير عن البحر العميق من غير ان تبتل قدم احد اعظم آية بالنسبة الى هلاك عدوهم
والا فالظاهر ان هلاك فرعون وقومه متأخر عن عبور بني اسرائيل البحر قوله تسلية

مفعول له لقوله ذكر ما احدثه بنوا اسرائيل يعني انه تعالى اذكر قصة بني اسرائيل
وما احدثوه بعد ما راوا من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مما رآى من بني اسرائيل بالمدينة **قوله** وقيل من لخم هو حي من اليمن ومنهم كانت ملوك
العرب في الجاهلية وقيل انه قبيلة بمصر والكاف في قوله كما لهم اكهة في محل النصب على انها
صفة الاها وما كافة لكاف التشبيه عن العمل لانها دخلت هنا على الجملة مع ان حق حرف
الجر ان يجر اسما مفردا **قوله** مكسر مدمر يعني ان قوله مبتر من التبار وهو التكسير والهلاك
يقال تبره تتبيرا اي كسره واهلكه يقال كسارة الذهب تبر لتكسرها ولتهالك
الناس عليها والدمار ايضا الهلاك ورضاض الشئ فتاته وكل شئ كسرته فقد رضضته
قوله بانباع هؤلاء اسم ان فان هؤلاء من حيث كونه من اسماء الاشارة تفيد تميز المشار
اليه اكمل التميز ومن حيث كونه مما يشار به الى البعيد يفيد تحقير المشار اليه وتحقير الشئ
بعد تمييزه اكمل التميز ابلغ في تحقيره **قوله** وتقديم الخبرين في الجملتين وهما قوله مبتر وباطل
فان تقديم الخبر يفيد قصر الموصوف على الصفة فيدل على ان حال ما هم عليه ليست غير التبار
وان حال عملهم ليست غير البطلان ولا يحصل هذا المعنى بتأخير الخبر **قوله** للتنبيه على ان الآثار
لاحق لما هم فيه لامحالة علة لقوله وتقديم الخبرين فان تقديمهما يفيد ان حال ما هم عليه
من الدين ليست الا التبار وان حال عملهم ليست الا البطلان وان التبار والبطلان
لازمان لما هم فيه من الدين ولما مضى عنهم من العمل اشار الى لزوم التبار لما هم فيه
بقوله لامحالة والى لزوم البطلان لما مضى عنهم بقوله لازب واللام في قوله لما هم فيه صلة
لاحق ولزوم التبار لما هم فيه مستفاد من تقديم متبر على قوله ما هم فيه لزوم
البطلان لما مضى عنهم مستفاد من تقديم قوله باطل على قوله ما كانوا يعملون
قوله تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا علة لقوله وانما بالغ **قوله** اطلب لكم يعني ان قوله
ابغيكم بمعنى ابتغي لكم فقال بغيت لكم شيئا وبغيتكم شيئا بمعنى قاله ع يبغونكم
الغتة الفتة اي يبغون لكم اجاب موسى عليه السلام لبني اسرائيل حين قالوا
اجعل لنا الها كما لهم بوجوه كثيرة اجابهم اولا بقوله انكم قوم تجهلون
وثانيا بان هؤلاء القوم متبر وثالثا بان كانوا يعملون باطل ورابعا
بان تعجب منهم على وجه الانكار والتوبيخ وقال اغير الله ابغيكم الها وقوله

فضلكم

فضلكم حالا اما من الجلالة او من المخاطبين لاشتمال الجملة على كل واحد من
ضميرها والظاهر ان المراد بكونهم مفضلين على العالمين انه تعالى خصهم بآيات
قاهرة ومعجزات باهرة لم يحصل مثلها لاحد من العالمين **قوله** وفيه تنبيه اي وفي
تقييد الجملة الانكارية بهذه الجملة الحالية تنبيه وبيان لوجه الانكار **قوله** بعالم
يستحقونه من النعم متعلق بتخصيص الله اياهم وقوله تفضلا علة للتخصيص
وقوله بان قصروا متعلق بقوله طلبوا والمعنى اغير المستحق للعبادة اطلب
لكم الها وهو الذي فضل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعم التي
لم ينعم بها على احد العالمين ثم ذكر نعمة الانجاء وما يتبعه فقال واذ انجيناكم
قدر عامل الظرف وهو اذكر وقدر مفعولا ايضا وهو قوله صنيعكم موافقة
لما اجمع عليه النحاة من ان كلمة اذ لازمة الظرفية ولو لم يقدر مفعولا اذكر لكانت
اذ مفعولا به وهو خلاف الاجماع ثم استأنف ببيان انجائهم فقال يسومونكم
اي يبغونكم سوء العذاب اي ايا شئ وافظعه ويحتمل ان يكون الجملة حالا
من المفعول الصريح لانجينا ومن غير الصريح اشتمالها على كل واحد من ضميرها
ولما جاز كونها حالا من كل واحد منها جاز كونها حالا منها معا لذلك قرأ نافع
يقتلون على انه مضارع قتل الثلاثي وقرأ الباقون بالتشديد على بناء التفعيل
لتكثير المفعول **قوله** نعمة او محنة نشر على ترتيب اللف فان كان المشار اليه الانجاء
يكون البلاء بمعنى النعمة وان كان ذلكم اشارة الى العذاب يكون البلاء بمعنى المحنة
فان البلاء يطلق على كل واحد منهما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات
ثم انه تعالى شرع في بيان كيفية نزول التوبة على وجه تضمن بيان نوع آخر مما
احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة وهو ما ذكر بقوله واتخذ قوم
موسى من بعده من حليتهم عجلا جسدا له خوار فقال وواعدنا موسى ثلثين
ليلة عطفا على جملة قوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر قوله تم ثلثين ليلة
ليس طرفا لواعدنا لان المواعدة لم تقع في الثلثين بل هو المفعول الثاني
لواعدنا فانه يتعدى الى مفعولين الا ان الموعد لما وجب ان يكون من جنس
الواعد ونفس الثلثين فعلا لواحد ممن قامت به المواعدة وجب لتصحيح الكلام

من اعتبار الظرف وان يكون المحذوف متضمنا لكل واحد مما وعد الله تعالى لموسى
وهو ان ينزل عليه التورية ان صام ثلثين يوما فيأتي الطور وما وعد موسى
ربه وهو ان يصوم تلك المدة فيأتي الطور فكانه قيل واعدنا موسى ما يتعلق
بثلثين ليلة وهو منا انزال التورية عند اتمام صوم الثلثين ومن موسى
صوم تلك المدة واتيان الطور قال اكثر المفسرين ان تلك الثلثين كانت
شهر ذي القعدة بتمامه امر الله تعالى ان يصوم ليكلمه ويوحي اليه ويكرمه بما يتم
به امر نبوته فصامها من موسى عليه السلام على طريق المواصلة بين ليلهن ونهارهن فلما
انسلخ الشهر كره ان يكلم ربه وريح فمه ريح الصايم فتناول شيئا من نبات
الارض فمضغه فاوحى الله تعالى اليه انى لا اكلمك حتى تعود فوك الى ما كان عليه اما علمت
ان رايحة فم الصايم احب الى من ريح المسك وامره بصيام عشرة ايام من ذي الحجة
وعلى هذه الرواية يكون الوحي والتكليم يوم النحر وقيل ان الثلثين كانت شهر
ذي الحجة بكماله والعشر عشر المحرم فيكون المناجاة والتكليم في يوم عاشوراء والله اعلم
والخلوف بالضم مصدر خلف من باب نصر وهو تغير رايحة الفم قوله بالغا اربعين اشارة
الى ان اربعين نصب على انه حال من قوله ميقات ربه اى تم بالغا هذا العدد قال في
سورة البقرة واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ولم يفصل الاربعين الى الثلثين
والعشر وفصل في هذه الاية اليها ولعل الحكمة في التفصيل ههنا بيان ان اصل
المواعدة كان على صوم الثلثين وان زيادة العشر انما كانت لازالة الخلوف وما
ذكر في سورة البقرة من اجمال الاربعين بيان لخلاصة الموعود والكل وجهة
والمص اشارة الى هذه الحكمة بذكر قوله روي انه عدهم وعد بني اسرائيل وهو بمعزل
وقوله وقيل امره بان يتحلى على قوله روي اى وقيل الحكمة في تفصيل الاربعين في هذه
الاية الى الثلثين والعشر ان الثلثين من ضربت لان يتحلى ويتجرد فيها لما يتقرب به
الى الله من الصوم وسايروجوه العبادة وان العشر الذي يتبعها من ضربت ليثبت
لان يفوز فيها بكرامة من مولاه من انزال التورية عليه وتكليمه ومناجاته معه
في تلك المدة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ناجى موسى ربه بمائة الف واربعين الف كلمة في ثلثة ايام وصايا كلها كذا في الوسيط

ثم ان موسى

ثم ان موسى عليه السلام لما اراد الانطلاق الى الجبل للميقات امره الله تعالى ان يختار سبعين رجلا
من قومه من ذوي الحجى والعقل ليشهدوا له على ما يشاهدونه من كرامة الله تعالى اياه
فعجل واستخلف اخاه هرون على قومه وقال له كن خليفتي على قومي واصلح امرهم
وسر فيهم بالسيرة الصالحة لا مفسدة فيها وثبتهم على ما اخلفهم عليه من الايمان
واخلاص العبادة لله تعالى قوله واصلح ما يجب ان يصلح على ان تقديره ولا تفعل
وقوله او كن مصلحا على ان ينزل منزلة اللازم فان قيل ان هارون كان شريكا لموسى
في النبوة فكيف جعله خليفة لنفسه مع ان شريك الانسان اعلا حالا من خليفته
ورتبة الانسان من منصبه الا ما هو ادنى منه لا يجوز لكونه اهانة له فكيف فعله موسى
قلنا ان الامر كذلك لكن موسى عليه السلام اصلا في تلك النبوة وكان هارون
مامورا باتباعه وردا له ووزيرا له وخليفة ولا صاحب شرع مع ذلك فصح ان يقول له
اخلفني في قومي وامرهم بان يصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل مع ان النبي
شانه ليس الا الاصلاح ومخالفة المفسرين تاكيدا لامره بالخلافة قوله لوقتنا الذي وقتناه وعينناه وحددناه له اشار به الى ان الميقات بمعنى الوقت
وانه تم اضافة الى نفسه لتوقيته تعالى اياه لمناجاة موسى وانزال التورية عليه
كما في قوله تعالى ان اجل الله لآت فانه تم اضافة الاجل الى نفسه لتبوئه تعالى اجله والفرق
بين الميقات والوقت ان الميقات وقت يقدر لان يقع فيه عمل من الاعمال وان
الوقت ما يقع فيه شيء سواء قدر لان يقع فيه ذلك الشيء ام لا قال الحبر
في تفسير قوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا اي اي حد ابوقت به الدنيا وتنتهي
عنده او حد الخلايق ينتهون اليه واللام في قوله لميقاتنا للاختصاص اى اختص
بحيثية ميقاتنا كما في قولك اتيته لعشر خلون من الشهر وليست بمعنى عند
قوله وفيما روي من انه تعالى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع
كلامه تعالى ليس من جنس سماع كلام المحدثين لان كلامه تعالى صفة ازلية قايمة بذاته
تعالى ليست من جنس هذه الحروف والاصوات وذاته تعالى ليست في جهة فلا يسمع
كلامه من جهة مخصوصة فان تكليمه تعالى عبارة عن ان يسمع كلامه القديم بعض
المخلوقين بلا صوت وحروف فيسمعه من جميع الجهات او روي ان جبريل كان معه ليسمع

ما سمعه موسى من كلام ربه ولذلك خص موسى عليه السلام باسم الكليم لاختصاصه بذلك
منبئ من بين البشر وكما لا يبعد رؤية ذاته تع مع ان ذاته ليست جسما ولا عرضا
فكذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه ليس من جنس الحرف والصوت وهذا
هو مذهب اكثر اهل السنة والجماعة وقالت المعتزلة كلام الله تع عبارة عن الحروف
المؤلفة القائمة بالجسم المباين لذاته تع وان تكليمه عبارة عن ان خلق الكلام بالمعنى
المذكور منطوقا به في بعض الالواح كما خلقه محفوظا في اللوح ولما كان كلام المحدثين
مؤلفا من الحروف والاصوات القائمة بالاجسام المتمكنة في مكان وجب ان لا يسمع
الا من الجهة التي كان المتكلم في تلك الجهة ولما سمع موسى كلام ربه غلب عليه الشوق
الى رؤيته فقال رب ارني انظر اليك شوقا الى مشاهدة ذاته المقدسة وثانيه
مفعول ارنا محذوف حذف مبالغة في الادب حيث لم يواجهه بالتصريح بما طلب رؤيته
والتقدير ارنا نفسك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك قوله بان تمكنني من رؤيتك
او بان تتجلى في جواب عما يقال النظر في قوله انظر اليك اما ان يكون عبارة عن الرؤية
او عن مقدمتها التي هي تقليب الحدقة الى جانب المرئي طلبا لرؤيته فعلى الاول يكون
المعنى ارنا نفسك حتى اراك وهذا المعنى فاسد لان الشيء لا يكون غاية لنفسه
وعلى الثاني يكون المعنى ارنا نفسك حتى اقلب حدقتي الى جانبك وهذا ايضا فاسد
لوجهين الاول انه يقتضي اثبات الجهة لله تع والثاني ان تقليب الحدقة الى جانب
المرئي مقدمة الرؤية وقد جعل غاية للرؤية وينتجه لها وهو فاسد وتقرير الجواب
ان النظر بمعنى الرؤية الا ان المطلوب بقوله ارنا ليس ان يخلق الله تع رؤية ذاته
المقدسة في موسى حتى يلزم كون الشيء غاية لنفسه بل المطلوب به المقدسة او ان يتجلى
ويظهر له بطريق اطلاق اسم الرؤية على مقدمتها وسببها فان تمكينه تعالى اياه من الرؤية
وكذا ان يتجلى له بسبب لرؤية موسى اياه تعالى فاطلق عليه اسم الرؤية المسببة
عنها مجازا فلا اشكال قوله ولذلك اي ولكون تع جايز الرؤية في الجملة اجاب الله تع
موسى عليه السلام حين سأل رؤية ذاته تع بنفي كونه عم فاعلا للرؤية حيث قال لن
تراني لانفي اصل الرؤية بان يقول لن ارى ولو لم يكن جايز الرؤية لاجابه بنفي اصل
الرؤية بان يقول لن ارى فان قوله لن تراني لا يدل على امتناع رؤيته في نفس الامر بل يدل

على قصور

على التقصير تقصير الطالب عن رؤيته لتوقف الرؤية على حصول ما يستعد به الطالب
لرؤيته وعدم حصول ذلك المعنى فيه بعد فانه يجوز ان يبقى فيه حينئذ شيء من
الحجاب المانع لرؤيته اياه ثم يرتفع ذلك الحجاب بعد وكلامه يدل على انه تعالى
لو رآه بان قال لن اديك ولن ننظر الى لدل الكلام على امتناع رؤيته تعالى
في نفس الامر وفيه بحث لان نفي ارادة ذاته اياه لا يدل على نفي الارادة وكذا نفي النظر
عنه لا يدل على انتفائه مطلقا قوله وجعل السؤال لتبكيت قومه لما كان سؤال الرؤية
من موسى عليه السلام بقوله رب ارني انظر اليك والا على جواز الرؤية في الجملة
من حيث ان موسى كان اعلم الناس بالله تع وبصفاته وما يجوز في حقه وما لا يجوز
ولو كانت الرؤية في حقه تع ممتنعة لكان طلب رؤيته طلبا لما يستحيل في حقه
تع لا يجوز ان يصدر من الانبياء خصوصا اذا اقتضى الجهل الله تع وما يجوز في حقه
وما لا يجوز في حقه اضطرت اليه تا واويل الاية بكون ظاهرها مخالفا لما ذهبوا اليه
من امتناع الرؤية في حقه تعالى فقالوا نع تا واويلها انه عم لم يطلب الرؤية بناء على
اعتقاد كونه تع جايز الرؤية وانما طلبها ليبكت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة
فانهم لما طلبوا الرؤية انكر عليهم موسى عم واعلمهم الخطاء وبين جهلهم على الحق فلجوا
وتمادوا في طاهم وقالوا لا بد من ان نراه ولا نؤمن لك حتى نراه فاراد عم ان يسمعوا
النقص من عند الله تع باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتبعقنوا باستحالته
كونه تع جايز الرؤية فالمنفي ابطل تا وبلهم وجعله خطاء وقال لو كانت الرؤية ممتنعة
في حقه تع لوجب على موسى اقامة الدليل القاطع الدال على انه تع لا يجوز رؤيته وان
يمنع قومه عن هذا السؤال باقامة ما يدل على امتناع رؤيته ولما لم يفعل ذلك صح كونه واجبا
عليه لكون الانبياء مبعوثين لتحقيق الحق وابطال الباطل على انه تع جايز الرؤية
وانه عم انما طلبها شوقا الى مشاهدة ذاته المقدسة حين سمع كلامه ولم يطلبها
لتبكيت قومه والا لكان موسى عم تاركا للواجب ولا يجوز تركه الواجب على الانبياء
عليهم السلام قوله والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطاء تقرير الاستدلال
ان كلمة لن لتاكيد النفي لتفريع اهل اللغة بذلك فنفي له تع لن تراني دال على ان موسى عم
لا يرى الله تع ابدا ومن اصطفاه الله تع على الناس برسالاته وكلامه من غير واسطة

اذا لم يرد ابدا كان غيره اولى بذلك فدل الجواب المذكور على استحالة رؤيته تعالى
بهذا الوجه وابطل المصنف هذا الاستدلال من ثلثة اوجه الاول ان الاخبار
بان موسى لا يرى الله تعالى انه لا يراه ابدا تال الامام الواحدي كون كلمة لن
مفيدة لتابيد النفي دعوى باطلة عند اهل اللغة لا يشهد بصحته كتب معتبرة ولا نقل
صحيح وبدل على فساد قوله في صفة اليهود ولن يتمنوه ابدا مع انهم يتمنون الموت
يوم القيمة ويقولون فيه يا مالك ليقض علينا ربك وبانها كانت النافية والثاني
ان الاخبار بعدم رؤية موسى اياه لا يدل على ان غيره لا يراه اصلا والثالث ان مدعى
المستدل استحالة الرؤية وعدم وقوع الرؤية لا يدل على استحالتها ولما ابطل
دليل من يدعي استحالة الرؤية ذكر انه ليس له ان يدعي الضرورة في هذه المسئلة بناء على ان
دعوى الضرورة فيها مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية فان الرؤية وان كانت عبارة
عن ادراك المرئي بحاسة وتقليب الحدقة هو تقليب الحدقة نحو المرئي طلبا لرؤيته
وان الادراك بالحاسة وتقليب الحدقة نحو المدرك انما يكونان اذا كان المدرك في جهة
الا ان ذلك انما يستلزم امتناع الرؤية اذا كانت الحاسة والقوة التي فيها باقيتين
على هذه الحالة وذلك غير لازم لجواز ان يخلق الله تعالى في الحاسة قوة بها يتمكن النفس من
رؤية ما ليس في جهة ولا جوهر ولا عرض وادراكها اياه عند النظر وفتح العين وتقليب
الحدقة فان الرائي والمدرك ليس هذا العضو المخصوص ولا القوة الحالة فيه بل هو
شئ اخر يستعين في الرؤية والادراك بهما بما خلق الله تعالى فيهما مما تستعد به النفس
من مشاهدة ما ليس بجسم ولا عرض ولا في جهة ومكان فلا محال لدعوى الضرورة فيها
استدراك يريد ان يبين به ان لا يطيقه اي لا يطيق النظر اليه يريد به بيان وجه اتصال
هذا الاستدلال بما هذا الاستدراك بما قبله فانه انما يقع بين كلامين متقابلين بالنفي
والاثبات وذلك غير ظاهر بين قوله لن تراني وبين قوله انظر الى الجبل الا ان قوله لن تراني
لما كان جوابا لقوله ارني انظر اليك كان في قوته ان يقال لا تطلب النظر الي فانك
لا تطيقه فيظهر وجه الاستدراك فكانه قيل لكن اجعل بيني وبينك ما هو اقوى منك
وهو الجبل الذي تكفه فان استقر مكانه اي سكن وثبت فسوف تطيق ان تنظر الي وان
لم يستقر مكانه فانك لا تطيق النظر الي فان الجبل مع صلابته لما تأثر من التجلي ولم يطق ذلك

اندك

اندك وتفتت وتلاشى فكيف يطيق به الانسان الذي يدهش عند مشاهدة الامور
الهائلة فكيف عند مشاهدة ذي العظمة والجلال المطلق الذي لا يوصف كبريائه
وجلاله قوله والجبل قيل هو جبل زبير اعظم جبل بمدين قوله مدكوكا منتصبا يعني ان قوله
دكا مصدر وقع موقع المفعول الثاني لجعل بمعنى جيتر تقال دككت الشئ اذا دققته
اذا دققته قوله ظهر له عظمته فسر التجلي بالظهور والعالم بعقل ظهور ذاته تنبيه للجماد
قدر المضاف وهو العظمة والاقتدار والامر ومعنى ظهور عظمته هو اقتداره للجبل
تعلقها به وظهور اثرها فيه قوله وقرأ حمزة والكسائي دكاء ممدودا بلا تنوين
وهو تانيث الادك مثل احمر حمراء تقال ناقة دكاء اذا ذهب سنامها اي جعلها
ارضا مستوية وقد كان اعظم جبل بمدين ومن قرأ دكا جمع حمراء حمرا احتاج الى تقدير
الموصوف لان الجبل واحد مشخص لا يوصف بالجمع اي جعله جبالا صغارا كثيرة قوله
مر تفسيره وهو انا اول من آمن بك من امتي قوله اي الموجودين في زمانك خص الناس
باهل زمانه لانه تعالى لم يخرج على جميع الناس بالرسالة لان كثيرا من الناس سواه
في الرسالة وقيل المعنى اذ اصطفيتك على الناس جميعا بمجموع امري الرسالة مع
الكلام بغير واسطة وهذا المجموع لم يحصل لغيرك وهرون وان كان نبيا واكبر منه
سنا لكنه كان ماموما وردءا له ووزيرا لا حليا ولا صاحب شرع قال هو حكاية عنه
فارسله معي ردءا يصدقني واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي ولما كان موسى عليه السلام
اصلا في امر النبوة صح ان يقال اني اصطفيتك على اهل زمانك قوله يعني اسفار التورية
والواحد فيها اسفار من حيث انها كتبت فيها التورية والاسفار جمع سفر بمعنى
الكتاب يقال سفرت اذا كتبت والرسالة مصدر بمعنى الارسال وكان المقام مقام
ان يقال اني اصطفيتك لرسالتي اي بسبب ارسالي اياك الا انه لما جمع لفظ الرسالات
لم يحمله على المعنى المصدري بان الاصل في المصدر ان لا يثنى ولا يجمع بل حمله على الشئ المرسل
الى الغير وهو اسفار التورية لما طلب موسى عليه السلام ما استند وسوغه اليه ولم يجب
الى مطلوبه بحد عليه وجوه نعمه العظيمة وامره بشكرها كانه قال له ان كنت منعتك
الرؤية فقد اعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيق صدرك بسبب منع الرؤية
وانظر الى ما خصصتك به من النعم الجليلة واشتغل بشكرها والمراد تسليته عما عن منع

الرؤية

قوله بدل من الجار والمجرور يعني ان قوله من كل شئ في محل النصب على انه مفعول كتبنا
وان قوله موعظة وتفصيلا بدل منه فتكون كلمة من فيه مزيدة لا تبعيضية ولم نجعلها
ابتدائية حالا من موعظة وموعظة مفعول به لانه ليس له كثير معنى ولم نجعل موعظة
مفعولا له وان كانت شرائط النصب حاصلة لان الظاهر ان قوله تفصيلا عطف عليه
وظاهر انه لا معنى لقولك كتبنا له من كل شئ لتفصيل كل شئ قوله اي ياحسن ما فيها
اشارة الى جواب ما يقال من انه هلا ارسل موسى الى قومه ليبلغهم التوراة ويكلفهم
بما فيها من الاحكام جميعا فقوله وأمر قومك يأخذوا باحسنها يقتضي ان يكونوا مأمورين
بان يأخذوا باحسنها وان لا يجوز لهم ان يأخذوا بغير ذلك لان الامر بالشئ يقتضي النهي
عن ضده مع ان احكام التوراة باسرها حسن مشروع يجوز الاخذ بها جميعا اجاب
المصنف عنه بثلثة اوجه الاول ان ما في التوراة من التكاليف متفاوتة بعضها احسن
وبعضها احسن منه كالعفو والقصاص والصبر والانتصار فان كلا واحد منها وان كان
حسنا مشروعا يجوز الاخذ به الا ان العفو احسن من القصاص والصبر احسن من الانتصار
وانه تعالى امرهم بطريق الندب بان يأخذوا بما هو افضل واحسن لكونه اكثر ثوابا كقوله
تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وقوله فبشر عباد الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه فلا يرد ان تعالى لما امر بالاحسن فقد منع من الاخذ
بالحسن وذلك يقدح في كونه حسنا لان المنهي عنه لا يكون حسنا وذلك لانه انما
امرهم بالاخذ بالاحسن على طريق الندب وذلك لا ينافي كون غير الاحسن في نفسه
حسنا مشروعا والوجه الثاني ان التكاليف المشروعة في التوراة منقسمة الى الواجب
والمندوب والمباح وانه تعالى امرهم بطريق الندب بما هو الاحسن منها وهو الواجب فانه
احسن من غيره او امرهم بان يأخذوا بالواجب والمندوب فانهما احسن بالنسبة
الى المباح وذلك لا ينافي كون الاخذ بالمباح حسنا مشروعا في نفسه وعلى الوجهين
يكون بناء احسن للزيادة على ما اضيف اليه والوجه الثالث ان يكون بناء احسن للزيادة
المطلقة والمعنى وامر قومك يأخذوا من تكاليف التوراة بما هو الزايد في الحسن على محل
ما سواه مطلقا لا على المفضل عليه فقط حتى يلزم ان يكون المفضل والمفضل عنه
مشتركان في الحسن ويكون حسن المفضل ازيد من حسن المفضل عليه والتوراة مشتملة

على آيات

على بيان المأمور به والمنهي عنه وما هو الحلال وما هو الحرام وقد امرهم الله تعالى
ان يأخذوا بما هو البالغ في الحسن وهو ما احله الله وما امر به وهما احسن مما
حرمه ونهى عنه لا على معنى ان بينهما اشتراكا في الحسن وان احدهما ازيد من الآخر فيه
ضرورة انه لا حسن للحرام والمنهي عنه بل على معنى ان الحلال والمأمور به ابلغ في
الحسن من المنهي عنه والمحرم في القبح كما يقال الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في الحر
من الشتاء في البرد والمعنى ان لكل الصيف حر وشتاء وبرد الشتاء كذلك وحر حر
الصيف اكثر واشد من مرتبة فيه ومرتبة حسن المأمور به مرتبة فيه والقبيح المنهي
عنه ايضا مرتبة فيه ومرتبة حسن المأمور به اعلى من مرتبة قبح المنهي عنه قال صاحب
الكشاف في سورة مريم قولهم الصيف احر من الشتاء من وجزير وجيز كلامهم
يريدون به ان الصيف ابلغ في حره من الشتاء في برده وتحقيقه ان تفصيل حرارة
الصيف على حرارة الشتاء خبر مراد بديهة اذ ليس ذلك مما يرتاب فيه ذو حس
بل المراد تفصيل قوة الحرارة وشدتها تاثيرها في بدن الانسان على قوة
البرودة وتاثيرها في البدن فلما اريد باحسنها ما هو البالغ في الحسن
مما بين في التوراة وهو المأمور به فانه ابلغ في الحسن من المنهي عنه في القبح
كان اللازم من الاية ان لا يجوز الاخذ بالمنهي عنه فلا يكون هذه الآية منافية
لكون احكام التوراة باسرها حسنا مشروعا قوله تعالى يأخذوا الظاهر انه
مجزوم على انه جواب الامر في قوله وامر قومك ولا بد من تاء ويله لان الواجب
في مثله واتحاد المجلتين الشرط وجزاءه وكون ما هو في معنى الجزاء لازما لما هو
في معنى الشرط وليس الامر فيما نحن فيه كذلك لان امرهم اياهم بذلك استقبالهم
لامر بدليل عصيان بعضهم له عز وذكر وقيل انه مجزوم على اضمار اللام
تقديره ليأخذوا وقوله باحسنها الظاهر ان الباء فيه زايدة في المفعول به
والتقدير ليأخذوا احسنها كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
قوله تعالى سأريكم دار الفاسقين موعظة بليغة بجري مجرى الوعيد على ترك
الطاعة اي وامر قومك يأخذوا باحسنها ويطيعوا ويقبلوا ما فيها ولا يهملوها
فيشقوها فسأريكم دار من فسق خاوية على عروشها لتعتبروا بها قوله

وفرى ساوريكم بواو خالصة بعد الهمزة المضمومة لمعنى سأبين لكم من أوريت الزناد اى اخرجت نارة فمعنى ساوريكم معناه سأبين لكم وسانيرها لكم ليستبينوا وتعلموا انه تعالى لا يرضى لعباده الكفر والفسق فيستتم منهم بابطالهم وتخريب ديارهم فيكون الاية تهديدا ووعيدا للفساق وان قرأ ساورثكم تكون وعدا وبشارة بانه تعالى سيورثهم ارض اعدائهم وديارهم وهى ارض مصر وكانت لفرعون وقومه هدد به من خالف امر الله تعالى وجه تضمن الوعد لبنى اسرائيل بان يهلك اعداءهم ويورثهم ديارهم قوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق يحتمل ان يكون متصلا بقصة بنى اسرائيل والمعنى وامر قومك يأخذوا باحسنها بجد ونشاط فانى اصرف عنها المتكبرين الذين يرون انفسهم افضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم فلا يميلون الى الاهتداء بايات الله تعالى المنصوبة فى الافاق كخلق السموات والارض وما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والبر والبحر وانواع النبات والحيوان والمنصوبة فى الانفس من خلقها على احسن تقويم بحيث لا سبيل للبشر الى ادراك ما فيها من عجايب الصنع بان يتفكروا فيها ويستدلوا بها على وجود الصانع الحكيم القادر على البعث والحساب ومجازاة كل واحد من اهل الطاعة والعصيان على حسب استحقاقه وطريق صرفه تعالى آياتهم عن تلك الآيات ان يطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها فلما كان التكبر مؤديا الى الحرمان عن الانتفاع بالآيات المذكورة وتضييعها كان المقصود من الآية تحذير بنى اسرائيل عن التكبر المفضى الى ان يصرفهم الله تعالى عن التفكر فى الآيات والاهتداء بها حتى يأخذوا احكام التورية بجد ورغبة ويحتمل ان يكون هذه الاية كلاما معترضا خلال قصة بنى اسرائيل اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حرم المتكبرين من امته فهم معانى القرآن والتدبر فيها كما قيل انى الله ان يكرم قلوب البطالين بتمكينهم من فهم حكمة القرآن والاطلاع على عجايبه واجمع اهل السنة بهذه الآية على انه تعالى قد يمنع عن الايمان ويصد عنه بان يطبع على قلوب المتكبرين المستكبرين الذين يتعظمون عن الانقياد للانبياء واجابة دعوتهم استكبارا وطلبا للعلو

والرياسة فى الارض عقوبة لهم على استكبارهم فلا يعتبرون بايات الله تعالى ولا يهتدون بها الى الايمان فان من طبع على قلبه يكون مصروفا عن التفكر فى الدلايل المؤدية الى التوحيد والايمان وقالت المعتزلة لا يمكن حمل الاية على انه تعالى قد صرف عبده عن الايمان بصرفه عن التفكر فى آياته بان يطبع على قلبه لانه تعالى قال فى حق الكفرة المتكبرين فى الارض الذين ان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا انى سأصرفهم عن آياتى بلفظ المضارع المختص بالسين للاستقبال فدلت الآية على ان الكفر حصل لهم قبل هذا الصرف فلو حمل الصرف على الصرف عن الايمان لكان معنى الآية سنصرف المصروف عن الايمان ولا معنى له وايضا قوله تعالى سأصرف عن آياتى مذكور على وجه العقوبة على التكبر والكفر فلو كان المراد بهذا الصرف صرفهم عن الايمان بخلق الكفر فيهم لكان المعنى انه تعالى سيخلق فيهم الكفر عقوبة لهم على كفرهم فوجب حمله على معنى آخر غير الصرف عن الايمان بالصرف عن التفكر فى الآيات وهو صرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا فى ابطالها كما اجتهد فرعون فى ابطال آية موسى عليه السلام ومن الطعن فيها والاستهزاء بها حيث جمع السحرة لابطالها فاراد الله تعالى الا ان يحق الحق ويبطل الباطل فصرفه الله تعالى عما اجتهد فيه فدمره تدميرا فاغرقه مع قومه فى اليم اجمعين فعاد ضرر اجتهاده عليه حيث ظهر الحق وبطل سعى فرعون قوله بغير الحق صلة يتكبرون اى يتكبرون بما ليس بحق من دينهم الباطل او حال اى يتكبرون غير محقين قوله وهو يؤيد الوجه الاول يعنى ان قوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها يؤيد ان يكون المراد بالصرف صرف قلوبهم عن التفكر بجعلها مطبوعا عليها لان من لا يؤمن بشئ من الآيات بل يقول مهما تأتنا من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين لا يعتقد بكون ما اتى به النبى معجزة وآية دالة على نبوته بل يعتقد من قبيل السحر وتمويهات ارباب الحيل فكيف يتجه ان يقال فى حقه سأصرفه عن الطعن فى آياتى والسعى فى ابطالها مع انه طاعن فيها اشد الطعن قوله اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم على ان ذلك مبتدأ وقوله انهم خبره والباء سببية وان مع ما فى حيزها فى تأويل المفرد وقوله تعالى وكانوا عطف على قوله كذبوا والتقدير بانهم كانوا عنها غافلين فيكون فى تأويل المفرد

ايضا واشار اليه بقوله وعدم تدبرهم للآيات واشار به ايضا الى ان المراد
بالغفلة عنها عدم تدبرهم فيها عبر عن عدم تدبر الآيات بالغفلة عنها تشبيها
بالمعرض عن الشئ بمن غفل عنه **قوله** ويجوز ان ينتصب ذلك على انه مفعول مطلق
لقوله سامرف اي سامرف المتكبرين في الارض عن آياتنا ذلك الصرف بسبب
تكذيبهم وعدم تدبرهم وهو معطوف من حيث المعنى على قوله اي ذلك الصرف
بسبب تكذيبهم كانه قيل ذلك مرفوع على الابتداء ويجوز ان ينتصب على
المصدر ويجوز ان ينتصب على انه مفعول به لفعل محذوف اي فعلنا ذلك بسبب
انهم كذبوا **قوله** ولقائهم الدار الاخرة على ان قوله ولقاء الآخرة من اضافة
المصدر الى مفعوله والفاعل محذوف وعلى الثاني يكون من اضافة المصدر الى ظرفه
بتقدير في ويكون كل واحد من الفاعل والمفعول محذوفا اي ولقائهم ما وعد الله
في الآخرة والموصول مع صلته مبتدأ وقوله حبطت اعمالهم خبره وحبط العمال
الكفرة عبارة عن عدم انتفاعهم بما عملوه في الكفر من المعروف كصلة الرحم
والصدقة وسائر المبرات فان ثواب ذلك محبوط في حق الكافر **قوله** الا جزاء
اعمالهم لان نفس ما كانوا يعملونه لا يجوز ان يجازوا به وانما يجازون بما وعدوه في
مقابلته قوله هل يجزون استفهام بمعنى النفي والانكار يعني انهم لا يجازون
الا بما يستحقونه من العذاب بسبب تكذيب ايات الله ولقاء الدار الاخرة
فيجوز بحبط اعمالهم بمقابلة التكذيب المذكور فلم يكن حبط عملهم وحرمانهم
من ثوابه ظلما في حقهم بل انهم جوزوا بذلك جزاء وفاقا والظاهر ان قوله تعالى
واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد انطلاقه الى الجبل عطف على جواب لما في قوله
ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمناه من غير قوله من بعده من حليهم متعلقا بقوله
اتخذ وجاز تعلقهما بعامل واحد مع اتحادهما لفظا لاختلافهما من حيث المعنى
لان الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والحلى على وزن الثدي ما يتحلى
به من الذهب والفضة قرأ حمزة والكسائي من حليهم بكسر الحاء اتباعا لكسرة
اللام والباقون بضم الحاء وكسر اللام وهو على القراءتين جمع حلي كثدي جمع ثدي
اصلها حلوي نحو فلوس في جمع فلس فاجتمعت الواو والياء فسبقت احديهما

بالسكون

بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وكسرت عين الكلمة وان كانت
في الاصل مضمومة لتصح الياء ثم ان شئت وتركت الكلمة على ضمها الاصلية وان
شئت حركتها بالكسر اتباعا لعين الكلمة كما قرأ به حمزة والكسائي وهذا مطرد
في كل ما جمع على فعول من المعتل اللام سواء كان يائيا كحلي وثدي او واويا نحو
عصي ودلي في جمع عصى ودلو واصلها عصوو ودلوو وقرأ يعقوب حليهم
بفتح الحاء وسكون اللام على الافراد اقامة لاسم الجنس مقام الجمع والكسر اسم لجسم
له لحم ودم ويطلق على جثة لا روح لها وهو منصوب على انه بدل من عجلا لا على انه
صفة له لان الجسد ليس مشتقا فلا يتبعت به الا تأويل ولا على انه عطف بيان
لانه في النكرات قليل او ممتنع عند الجمهور والسامري رجل من قرية بيالها
لها سامرة وكان رجلا مطواعا في قوم موسى وكانوا قد سألوه ان يعبد لهم
فجمع ذلك الحلي فصاغ لهم من ذلك للحلي عجلا ثم اختلف الناس فقال قوم انه كان
قد اخذ كفا من تراب حافر فرس جبرائيل عليه فالقاه في جوف ذلك العجل فانقلب
لحما ودما وظهر فيه خوار مرة واحدة كما يدل عليه التنكير في قوله له خوار فقال
السامري هذا الهكم واله موسى وقال اكثر المفسرين من المعتزلة انه كان
قد جعل ذلك العجل مجوفا وجعل في جوفه انابيب على هيئة مخصوص وكان وضع
ذلك التمثال على مهب الريح فكانت الريح تدخل في تلك الانابيب فيظهر منه صوت
مخصوص يشبه خوار العجل ثم قيل انه ما خار الا مرة واحدة وقيل كان يخور
كثيرا فكلما خار سجدوا له واذا سكت رفعوا رؤسهم وقال وهب كان يخور
ولا يتحرك بالارادة وقال السدي كان يجوز ويمشي **قوله** وقرئ جوار بحيم مضمومة
بعدها همزة مفتوحة من جأر يجأر اذا صاح **قوله** كناية من
اشتد ندمهم لان السقوط في اليد الذي هو عبارة عن عض اليد من لوازم
الندم المتحسر فكني بذكر اللازم عن الملزوم فتقول له ولما سقط في ايديهم بمنزلة
ان يقال ولما اشتد ندمهم لان شأن من اشتد ندمه وحزنه ان بعض آبين عما
فيصير من مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في قلوبهم
ونفوسهم عبر عن وقوع الندم في القلب بسقوط في اليد لان اليد جارحة عظيمة القدر

التمثا

يتوسل بها الى اقامة الافعال من الطاعات و المعاصي ويسند اليها ما لم يكن لها مدخل
في حصوله كما في قوله تعالى ذلك بما قدمت يداك وكثير من الذنوب لان تقدمه اليد
فيجعل الندم الذي هو من الكيفيات النفسانية واقعا في اليد حالا فيها على سبيل
الاستعارة التمثيلية وهذا الندم والاستغفار المبنى على العلم بانهم قد ضلوا
وان تكبوا معصية الله تع كان بعد رجوع موسى اليهم وتحقيق خطائهم وضلالهم
بالبراهين القاطعة لمظاهرهم بطلان ما فعلوه واظهروا الانقطاع الى الله تع وقالوا
لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا بيآء الغيبة فيها على اسناد الفعل الى اسم الرب
وضمير وقرأهما حمزة والكسائي بيآء الخطاب ونصب ربنا على انه منادى مضاف
حذف منه حرف النداء قوله شديد الغضب وقيل حزينا يعني ان الاسف صفة مشبهة
كالزمن ومعناه شديد الغضب يقال آسفني فاسفت اي اغضبني فغضبت
ومنه قوله تع فلما آسفونا انتقمنا منهم وقال السدي والكلبي الاسف الحزين
قوله غضبان اسفا حالان من موسى وهو بدل على انه عليه السلام كان عالما باتخاذهم
العجل آلهة قيل بحبيته اليهم بسبب انه تع اخبره في حال المكالمة بما كان من قومه
من عبادة العجل ويدل عليه ايضا قوله تع فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري
فرجع غضبان من ذلك متأسفا على ما كان منهم فسر قوله بئسما خلفتموني من
بعدي بقوله بئسما فعلتم وعلتم بعدي لانه يقال خلفه بمكروه اذا عمل حلقة ذلك
العمل خاطب عبدة العجل بان قال لهم بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان
عبادة الله تع من بعدي او من بعد ذهابي عنكم او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد
والدعوة الى عبادة الله تع والكف عن عبادة غيره ومن حق الخلفاء ان يسيروا
بسيرة المستخلف وان كان المعنى بئسما فعلتم مقامي اكنتم خلفائي من بعدي حيث
لم تمنعوا من عبر العجل عن عبادته يكون الخطاب لهرون عليه السلام والمؤمنين معه
قوله وما انكره موصوفة فسر المستكن في بئس لانجوز ان تكون قوله ما خلفتموني
فاعل بئس لان فاعله يجب ان يكون معرفا باللام او مضافا الى المعرف باللام وهو ليس
واحدا منهما فتعين ان يكون فاعله مضمرا وقد تقرر ان الفاعل في باب نعم وبئس اذا كان
مضمرا فيه يجب ان يفسر بنكرة منصوبة او مجرورة وفسره ههنا بنكرة موصوفة بقوله خلفتموني

منصوبة المحل اي بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي جلافتكم قوله اتركتموه غير تام
يريد ان الامر واحد الاوامر والمراد به ههنا المأمور به وهو ان ينتظر وا موسى عليه السلام
اربعين ليلة حتى يأتيهم بالتوراة بعد تمام تلك المدة وان العجلة عن الشيء عبارة عن تركه
غير تام وان الهمزة في قوله اعجلتم للانكار انكر عليهم قومه في عدم اتمامهم ما امرهم
الله به من ان ينتظروا موسى عليه السلام الى ان يجيء بهم من غير ان يغيروا شيئا مما امرهم
عليه واصل العبارة اعجلتم عن امر ربكم الا انه اسقط الجار فارتفع فعل وعدي الفعل بنفسه
على سبيل الاتساع وتضمين الفعل معنى ما يتعدى بنفسه وهو سبق كانه قيل اسبقتم
امر ربكم غير متمين اياه بان فعلتم ما بدا لكم من عبادة العجل والعجلة العمل بالشيء قبل وقته
ولذلك صارت مذمومة بخلاف السرعة فانها غير مذمومة لكونها عبارة عن العمل بالشيء
في اول وقته وقيل معنى اعجلتم سبقتم بعبادة العجل قبل ان يأتيكم امر ربكم او لجاز
ان يعبد العجل تقربا الى الله بعبادته لامر الله تع به فلم عبر تموه قبل ان يأتيكم امر من الله
بعبادته قوله او عجلتم وعدربكم على ان الامر واحد الامور وعبارة عن وعدربه تعالى
باعطاء التوراة عند تمام اربعين ليلة والذي حملهم على سبق الميعاد وعدم صبرهم
لتمام عدد اكل واحد من عشريني يوما وعشريني ليلة يوما كاملا وجعلوا الجمع اربعين يوما
ثلاثا مضى عشرون يوما بليليها قدروا انه عم قدمات فوجدهم موسى عم على ذلك بقوله
اسبقتم ميعاد ربكم بناء على الزعم الفاسد وما صبرتم الى ان يتم فبادرتم
الى تغيير دين الله وعبادة غيره تع قوله طرحها اي رماها والقاء الالواح انما يدل
على وضعها على الارض ليمكن له اخذ راس اخيه اذ لا يمكن له اخذ مع بقاء الالواح
في يديه ووضعها على الارض ثم اخذ ذلك ولا يفهم من لفظ الالقاء طرحها ورميها
المؤدي الى انكسارها ولعل المفسرين وجدوا رواية تدل على ذلك قوله وجر اليه
حال من فاعل اخذ قوله لم تفعل ابو عمرو بالجزم على الرفق والشفقة فان بنا فعل قد يكون
للحمل على الشيء نحو حنقه الكتب قوله كالمنادى المضاف الى ياء المتكلم فانه كما يجوز
فيه اربعة اوجه مثل ان يقال يا غلامي بفتح الياء كما تفتح الكاف في غلامك وان يقال
يا غلامي باسكان الياء للتخفيف وان يقال يا غلام بحذف الياء اكتفاء بالكسرة وان يقال
يا غلاما بقلب الياء الفا للتخفيف فكذلك يجوز الوجوه المذكورة في نحو يا ابن ام ويا ابن عم

تستقول يا ابن امّي ويا ابن عمّ بفتح الياء وسكونها ويا ابن امّ ويا ابن عمّ بحذف الياء اكتفاء
بالكسرة ويا ابن عمّا ويا ابن امّا بقلب الياء الفا للتخفيف فقراء الاخوان وابن عامر وابو بكر
يا ابن امّ بكسر الميم وحذف الياء اكتفاء بالكسرة وقراء الباقون يا ابن ام بفتح الميم وحذف
الالف المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحة زيادة في التخفيف لطوله باشتماله على اضافة بعد
اضافة او تشبيها له بخمسة عشر وانما قال تشبيها لانه ليس من قبيل خمسة عشر حقيقة لان كل واحد
من المضاف والمضاف اليه اسم منفرد عن الآخر ولم يجعلا اسما واحدا بالتركيب بخلاف خمسة
عشر قوله ما يشمتون بي لاجل عاملون بفعلون تعال شمت به يشمت شماتة من
باب علم يعلم اذا فرح ببليته اصابت عدوه ثم ينقل الى باب الافعال للتعدية وشماتة
العدو اشدّ من كل بلية فلذلك قيل والموت دون شماتة الاعداء وتشميت العاطس
وتسميته بالسين والشين الدعاء بالخير وقيل الشين على اللغتين فلما توهم موسى
تقصير اخيه في كف القوم عن عبادة العجل غضب عليه وشرع في استرضائه بان اخذ
بشعر رأسه بجرّه اليه فناداه اخوه على سبيل الاستعطاف فقال اني قد بذلت وسعي
في كفهم عن ارتكاب الكفر حتى عادوني لذلك اشدّ المعاداة وكادوا يقتلونني فلا تفعل
بي ما هو امنيتهم من الاستشماتة بي فيفرحوا بذلك فان شماتتهم بي اشدّ علي من بليتي
والآن اعتذر اخوه بهذا التواضع والاستعطاف ووضح له عذره وسمع منه ما يتوقع
من شماتة الاعداء باهانته اياه سكنت فورة غضبه فقال رب اغفر لي ما فرط مني
في حق اخي ليرضى اخاه ويظهر لاصحاب الشماتة رضاه عنه لينصرفوا عن الشماتة الى
الحيرة على ما فعلوا من المعصية قوله ع ان الذين اتخذوا العجل المنعول الثاني لفعوله
اتخذوا محذوف والتقدير اتخذوا العجل آلهة او معبودا والظاهر ان المراد بالمتخذين
قوم موسى عليه السلام وان هذا الكلام مما اخبر الله تعالى به لموسى قبل ان يتوب قومه من
عبادة العجل بان يقتلوا انفسهم كما اخبر الله تعالى به بما كان من قومه من عبادة العجل
بقوله فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فلذلك رجع موسى الى قومه
غضبان من ذلك متأسفا على ما كان منهم روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
لما قال الله تعالى لموسى ع انا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري قال يا رب هذا
العجل اتخذ السامري فمن كان صوته وخواره قال ثم مني قال يا رب انت فتنت قومي فقال

انما فتنت قومي فقال انما فعلت ذلك لانك سلطتهم الى هرون فقلت اخلفني في قومي لم
يكن حكاية قوله تعالى لموسى بل كان تو خاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم لورود ان يقال
انه تو قد تاب على حبيبة العجل بقتلهم انفسهم فكيف يصح ان يقال فوحشهم سينالهم
غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا واما اذا كان مما اخبر به الله تو لموسى قبل
ان يتوب قومه فقد صح ان يقال في حقهم سينالهم غضب من ربهم حيث امرهم بان
قال لهم فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم قوله تو وذلة في الحيوة الدنيا وهي قتلهم
انفسهم بايديهم فانه هوان عظيم وذلة وقيلت به توبتهم والمعنى حمل الذلة في
الحيوة الدنيا على ما اصاب ابناءهم من فريضة والتنظير من الاخراج من اوطانهم
ووضع الجزية عليهم قال الامام الواحدي المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين
كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم عيرهم الله تو بصنيع آبائهم وعدهم منهم اخبر الله
تعالى عنهم بانهم سينالهم غضب من ربهم بان يعذبهم في الاخرة وذلة في الحيوة
الدنيا بان يوضع عليهم الجزية وقيل يعني ما اصاب فريضة والتنظير من الجلاء والنفي
من اوطانهم وانما حملهم عليهم لان الذين اتخذوا العجل حقيقة قد تابوا منه فلا وجه
لان يقال في حقهم سينالهم غضب الآن بتقدير المضاف ويقال تقدير الآية ان الذين
اتخذوا العجل حقيقة سينال ابناءهم غضب في الاخرة وذلة في الدنيا وقيل المراد
بمتخذي العجل الذين باشروا اتخاذه ولم يتوبوا عنه بل اشربوا في قلوبهم حب
العجل اخبر الله تو عنهم بانهم سينالهم غضب وذلة لاصرارهم على الكفر وعدم توبتهم
منه وبدأ عليه تعقيبه بقوله تو والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا
ان ربك من بعدها لغفور رحيم قوله واشتغلوا بالايمان حمل الايمان على الثبات
عليه والعمل بمقتضاه لان التوبة عن السيئات المتناولة للكفر والمعاصي مستلزم
يستلزم الاتصاف باصل الايمان فلا بد ان يجعل الايمان المعطوف عليها على الايمان
الكامل المستجمع لثمراته فان الايمان المقرون بالمعاصي ينزل بالنسبة اليه منزلة
العدم قوله سكن حمل السكوت على المعنى المجازي لتعذر حمله على معناه الحقيقي
وهو قطع الكلام لان قطع الكلام فرع ثبوته وهو لا يتصور في الغضب فلا يتصور
قطعه ايضا وهو مدبج الاستعارة بالكناية شبه الغضب بانسان يعزى موسى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويقول له ان اخاك تقدم فكف قومك عن الكفر فاستحق اهانتك وعقوبتك
فخذ بشعر راسه فجره الي نفسك وقل له كذا وكذا والق ما في يده من الالواح ثم
يقطع الاغراء وينبرك الكلام وجعل نسبة السكوت الي الغضب تخيلا لهذا
التشبيه المفرد وهو من حيث ان التشبيه مضمر في النفس مدلول عليه بالقرينة استعارة
بالكناية ومن حيث ان وجه الشبه مركب تمثيل وممكن ان يشبه سكون الغضب بسكونه
فاطلق عليه اسم السكوت استعارة اصلية ثم اشتق من السكوت بمعنى السكون
لفظ سكت فصار استعارة تبعية قوله اخذ الالواح التي الفاها اشارة الي
ان الالواح الماخوذة هي الالواح المذكورة في قوله والقى الالواح وان شيأ منها
لم ينكسر وان ماروي من ان ستة اسباع التوراة رفعت الي السماء مجرد رواية ليس
له سند قوي ولا بد لاحد عليه قوله والقى الالواح فان معناه انه عزم وضمها في موضع
ليتفرغ لما قصده من التعرض لاخيه لا رغبة عنها فلما فرغ من التعرض لاخيه عاد
الي ما وضعه من الالواح فاخذها بعينها فعلى هذا يكون معنى قوله وفي نسختها فيما
اي كتب فيها نقلا عن الاصل وهو اللوح المحفوظ فان النسخ عبارة عن نقل اشكال
الكتابة وتحويلها من الاصل المنقول عنه فاذا كتبت كتابا من كتاب حرفا بعد
حرف قلت نسخت هذا الكتاب من ذلك الكتاب اي نقلته منه قوله وقيل فيما
نسخ منها مبني على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما القى موسى الالواح
تكسرت فصام اربعين يوما فاعاد الله له الالواح وفيها نقش ما في الاولى فعلى هذا
هذا يكون قوله وفي نسختها عطفا فما نسخ منها ولم يرض المصنف بهذا القول لان
الظاهر ان تعريف الالواح في قوله اخذ الالواح للعهد والمعهود اخذ الالواح
التي القاها والحال ان في تلك الالواح هدى ورحمة وحمل الكلام على معنى انه اخذ
الالواح والحال ان فيما نسخ هي منه هدى بعيد قوله لربهم هدى مبتدا واوفي وفي نسختها
خبره ورحمة عطف على هدى وقوله للذين صفة لهما والواو في وفي نسختها للحال
واللام في قوله لربهم دخلت جابرة للضعف العارض للفعل بسبب تاخره عن
مفعوله كما في قوله ان كنتم للرؤيا تعبرون وقولك لزيد ضربت قوله واختار موسى
قومه سبعين رجلا لميقاتنا الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشيء اذا اخذ

خيره وخياره واختار يتعدى الى اثنين الى اولهما بنفسه والى ثانيهما بحرف الجر يقال
اخترت فلانا من قومه كذا وقد يحذف الجار ويوصل الفعل الى الثاني ايضا بنفسه اتساعا
فيقال اخترت زيدا الرجال والاية من هذا القبيل فان قومه مفعول ثان قدم على اولهما
واوصل الفعل اليه بنفسه والتقدير واختار موسى سبعين رجلا من قومه وقبيل قومه
مفعول اول وسبعين بدل منه بدل بعض من كل وهو ضعيف لان فيه حذف شيئين
احدهما المختار منه فانه لا بد للاختيار من مختار ومختار منه وعلى البدلية انما ذكر
المختار دون المختار منه وثانيهما من الجار وو الظاهر ان هذا الميقاة هو ميقاة
المناجاة المذكورة في قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر
اليك فانه روي انه عزم لما اراد الانطلاق الى الجبل للمناجاة امره الله تعالى ان يختار
سبعين رجلا من خيار بني اسرائيل ليشهدوا له على ما يشاهدونه من كرامته
الله به آياه ففعل فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ثم خرج بهم الى الطور فلما دنوا
من الجبل غشيه غمام فجعل يحف بالجبل كله فدنا موسى ودخل بهم الغمام فلما دخلوا
الغمام وقعوا سجودا وسمعوه يكلم موسى بامر وينهاه ثم انكشف الغمام
فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي رجفة
الجبل والرجفة هي الارتعاد والحركة الشديدة وفسرها المصنف بقوله اي الصاعقة
لقوله تعالى في سورة البقرة فاخذتكم الصاعقة قوله واختار موسى للميقات
واذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك اي لاجلك قوله لك بان الله اراد اعطاك التوراة وكلمك
اولن نقرّ بانك نبي حتى نرى الله جهرة اي عيانا فاخذتكم الصاعقة اي ما
تضعضعون منه وتموتون وهي نار جاءت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل
جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما
اصابكم ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث
فهذه الاية تدل على ان الرجفة المذكورة فيما نحن فيه هي الصاعقة او رجفة
ابدانهم المتفرعة على الصاعقة ولم يذكر سبب اخذ الرجفة اياهم ولعل سبب اخذها
اياهم قولهم ارنا الله جهرة اي مقابلة فانه يقتضي التشبيه وكونه تعالى في جهة
فكان كفرا وقيل ليس المراد بهذا الميقات ميقات المناجاة والتكليم بل هو ميقات

اخر وقته الله تعالى لموسى عم ليأتي فيه بسبعين رجلا من خيار بني اسرائيل ليعتذروا
ما كان من القوم من عبادة العجل فان قوم موسى لما عبدوا العجل ثم تابوا امر الله تعالى
ان يجمع سبعين رجلا ويحضروا موضعا يحزون فيه تلك التوبة فلما خرج موسى معهم
وكانوا في اسفل الجبل اخذتهم الرجفة اي زلزلة الجبل او زلزلة ابراهم فماتوا
وقيل المراد بهذا الميقات ما روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان موسى وهرون
انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى وليس معه
هرون قالوا انه هو الذي قتل هرون فاختار موسى سبعين رجلا وذهبوا
الى هرون فاحياه الله تعالى وقال ما قتلني احد ولكن توفاني الله تعالى فاخذتهم
الرجفة هناك قوله تمني هلاكهم وهلاكهم قبل ان يرى ما رآه من هلاك قومه بسبب
الرجفة حال اخروصهم معنى من بني قومهم بسبب آخر متعلق بهلاك والمعنى لبئت مشيتك
تعلقت بهلاكنا قبل وقوع هذه الواقعة وهذا التمني انما يستفاد من كلمة
لو بحسب دلالة المقام عليه والا فكلمة لو اذا كانت للتمني لا تحتاج الى الجواب
كما في قولك لو بغير الماء حلق شرق وقولك لو ذات سوار لطمتني وههنا قد ذكر
جواب لو وهو قوله اهلكتهم وهو جواب لو الا ان الاكثر ان يكون جوابها مقرونا
باللام نادرا كما في هذه الاية وقوله تعالى لو تشاء اصبناهم وقوله لو تشاء جعلناه اجاجا
روي عن مقاتل انه قال لما اخذتهم الرجفة بقي موسى عليه السلام يبكي ويقول يا رب ما
اقول لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم وقد اهلكت خيارهم ولم يبق معي رجل واحد
منهم لو شئت امتهم واياي معهم من قبل ان يهجموا بسبب آخر ليعاين بنو اسرائيل
ما اصاب خيارهم ولا يتهمونني بالشامة قوله او عني به اي ويجوز ان لا يكون
المراد تمني هلاكهم بسبب آخر قبل ان يصابوا بهذه البلية بل يكون المراد دعاء
الترحم عليهم بان يبعثهم ويردهم الى قومهم سالمين فقال انك قدرت على ان
تهلكهم بسبب آخر كاقرار فرعون علينا واغراقنا في البحر وغيرها فترحمت
علينا وانجيتنا من ذلك كله فان ترحمت علينا مرة لم يبعد من فضلك العميم
فلما دعى موسى وتضرع كشف الله عنهم تلك الرجفة والظاهر ان الاستفهام
في قوله تعالى اتهلكنا بمعنى النفي والاستبعاد على معنى انه لا يليق بشانك ان تهلك بما

غفيرا

غفيرا بذنب صدر عن بعضهم الذي كان سفيها خفيف الراي بينهم كما تقول
اتهين من يخدمك اي لا تفعل ذلك ويبعد ان يحمل الاستفهام على حقيقته ويكون
المعنى انهلكنا جميعا ام تخص اهلاكك بالسفهاء منا لان موسى عم يعلم انه تعالى
اعدل من ان يأخذ احدا بذنب غيره وقوله منا في محل النصب على انه حال من
السفهاء ويحتمل ان يكون للبيان والمراد بما فعله السفهاء طلب رؤية الله تعالى
عيانا في ميقات مكالمة موسى ربه على الطور على ان يكون السبعون اختارهم
موسى لميقات المكالمة وطلب التوبة وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة
العجل على ان يكون السبعون اختارهم موسى لميقات التوبة والاعتذار
عن عبادة العجل وضمير هي في قوله ان هي الا فتنتك راجع الى الفتنة كما تقول
ان هو الا زيد وان هي الا هند والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء
لم تكن الا فتنتك اي اختبارك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فطمعوا
في رؤيتك فتجاسروا على طلبها او احدثت في العجل خوارا وصوتا فضلوا به
تضل بفتنتك من تشاء ضلاله فتبتلي وتزل عن حق بطلب ما ليس له او يتبع
المخايل والظنون فيطلب مالا يليق ولا يصح ان يطلب وتهدي من تشاء هدايته
فيقوى بها ايمانه ويثبت على ما هو الحق قوله وتغفر لها بالحسنة وايضا تغفر
الذنب الكثير بالعذر اليسير ثم تجود بالعطاء الجزيل الكثير وايضا تكفل من
سواك اغمائها وتجاوز عن الذنب اما طلبا للثناء الجميل او للثواب الجزيل او دفعا
لرقة الجنسية عن القلب وامانت فتغفر ذنوب عبادك لا لاجل غرض وعوض
بل لمحض الفضل والكرم فلا جرم انت خير الغافرين وارحم الراحمين فاغفر لنا وارحمنا
بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين قوله تعالى واكتب لنا اي واثبت لنا واقسم وذكر
الكتابة لانها ادوم وقيل اي وقعنا في الدنيا للحسنات التي يكتبها لنا الحفظة
وكن سببا حاملا لهم على كتبها قوله ويحتمل ان يكون هدنا بكسر الهاء مبنيا للفاعل
وان يكون مبنيا للمفعول فان هاد يهيد لما كان متعديا جاز ان يبنى للفاعل
والمفعول بخلاف هاد يهود فانه لازم فلا يبنى للمفعول الا ان هدنا بضم الهاء
جاز ان يكون مبنيا للمفعول من هاد يهيد فاذا بنيته للمفعول تقول هيد بها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كما تقول بيع يباع وعيد المريض يعاد اصله عود بضم العين وكسر الواو ينقل كسرة
الواو الى العين ثم تقلب الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فيقال عيد كقيل وبيع
وبعضهم يحذف كسرة الواو لثقلها عليها فيقول هود وقول وقد تقرر في الصرف
ان مجهول قال فيه ثلاث لغات قول وقيل والاشمام وان قول لغة ضعيفة
لثقل الضمة والواو ثم انه تعالى لما حكى دعاء موسى عليه السلام بقوله انت ولينا
فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين الاية ذكر بعده ما اجاب به لموسى وهو
قوله عذابي اصيب به من اشاء اي اني اعذب من اشاء تعذيبه وان التعذيب
متعلق بمشيتي وليس لاحد عليّ اعتراض لان الكل ملكي ومن تصرف في خالص
ملكي نفسه فليس لاحد ان يعترض عليه واما رحمة الله تعالى فانها نعم الكل في الدنيا
لانه ما من مسلم ولا كافر الا وعليه آثار نعمته ورحمته في الدنيا فيها يتعيشون وبها
ينقلبون ولكنها تختص في الآخرة بالمؤمنين وذلك قوله تعالى فسأكتبها للذين
يتقون اي سأجعلها في الآخرة للذين يتقون الشرك والمعاصي قوله اوكالدم
والرشوة عطفه على الدم ولحم الخنزير بكلمة او للاشارة الى انه يجوز ان يراد بالطيبات
والخبائث ما تستطيبه الطبع ويستلذه وما يستخبثه الطبع ويتنفر عنه فتكون
الآية دليلا على ان الاصل في كل ما تستطيبه الطبع الحل وفي كل ما يستخبثه الطبع
الحرمة الا لدليل منفصل وانه يجوز ان يراد بها ما طاب في حكم الشرع وما خبث
فمدلول الآية ان ما يحكم الشرع بحله فهو حلال وما يحكم بحرمته فهو حرام والاحكم
لاستطابة الطبع والاستخباثة فيها قوله وفرض موضع النجاسة اي وقطع الموضع
الذي اصابته النجاسة من الجلد والثوب وعدم الاكتفاء بغسله وكاحراق الغنائم
وتحريم العروق التي في اللحم وتحريم العمل يوم السبت بالكلية شبهت بهذه الشدائد
الشاقة بالاحمال الثقيلة والاغلال التي تجمع اليد الى العنق ومما كلفوا به اشتراط
قتل النفس في صحة التوبة قوله اي مع نبوته على ان يكون معه متعلقا بانزل حالا
من ضميره بتقدير المضاف اي انزل ذلك النور مصاحبا لنبوته قال صاحب الكشاف
فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع جبريل قلت انزل مع نبوته لان ظهوره
كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به قوله ويجوز ان يتعلق باتبعوا على ان يكون ظرفا لاتبعوا

كانه قيل اتبعوا القرآن مع اتباع سنن الرسول عليه الصلوة والسلام ويحتمل ان
يكون حالا من فاعل اتبعوا القرآن مصاحبين له عليه السلام في متابعته فكما انه عليه السلام يتبع
القرآن فكونوا معه في اتباعه قوله مناسبتها في الآخرة على ان تكون السين للاستقبال
قوله او فاكتبها كتبة على ان يكون السين لمجرد التاكيد واعلم ان موسى عليه السلام توسل الى الله
تعالى بعلانيته ونصرته في جميع الامور بقوله انت ولينا والنصرة تتعلق بامرين دفع الضرر
وتحصيل النفع سأل الله تعالى اولها بقوله فاغفر لنا وثانيها
بقوله وارحمنا لان المغفرة هي اسقاط العقوبة والرحمة ايصال الخير وقدم الاول على الثاني
لان دفع المضرة مقدم على تحصيل المنفعة واكد الاول بقوله وانت خير الغافرين ثم
فصل سؤاله الرحمة الى استدعاء الرحمة الدنيا بقوله واكتب لنا في هذه الدنيا
حسنة والى استدعاء الرحمة الاخراوية بقوله وفي الآخرة وتوجه اليه تعالى في تحصيلها
بقوله انا هدنا اليك فلما كان حاصل مسئلته دفع العذاب وتحصيل الرحمة الدنياوية
والاخراوية اجابه تعالى بقوله عذابي اصيب به من اشاء كانه قيل اما حديث العذاب
فيتعلق بمشيتي لا قدر لاحد على دفعه ولا لاعتراض عليه واما الرحمة الدنياوية
فهي عامة للمؤمنين والكافر والبر والفاجر واما الاخروية فمختصة بالموصوفين
بالتقوى عن الكفر والمعاصي وايتاء الزكوة والايمان بجميع الآيات ومتابعة
الرسول والموصوفون بهذه الصفات هم الموجودون من بني اسرائيل في زمن محمد
صلى الله عليه وسلم الموصوف بكونه رسولا نبيا اميا ويكون المتقين المذكورين
يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ويكونه يأمر المتقين المذكورين بالمعروف
وينهاهم عن المنكر الى آخر ما ذكر من اوصاف الرسول الامي ولما اختصت الرحمة
الاخراوية للمتقين الموصوفين بالصفات المذكورة كانت مختصة بالموجودين في زمن
الرسول النبي الامي من بني اسرائيل ويتبعونه في جميع ما يتعلق بالاعتقاد
والعمل فان التقوى وايتاء الزكوة والايمان بجميع الآيات واتباع الرسول الامي
وان وجد في غير بني اسرائيل لكن المتقين المذكورين الذين يجدونه مكتوبا عندهم
باسمه وصفته في التوراة والانجيل منحصر في الموجودين في زمن الرسول الامي فان المتمسك
بالكتابين انما هو جماعة بني اسرائيل لا غيرهم واما وجودهم في زمن الرسول الامي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فلان اتباعه لا يمكن قبل وجوده وبعثه واشار اليه المصنف بتوصيف قوله كتبته بقوله
خاصة منكم يا بني اسرائيل وعبارة الكشاف هكذا فسأكتب هذه الرحمة كتبته خاصة
منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون في اخر الزمان من امة محمد صلى الله عليه وسلم وخلته
من في قوله منكم يا بني اسرائيل لبيان قوله للذين يكونون وقوله من امة محمد خبر يكونون
وقوله فلا يكفرون بشئ منها اشارة الى ان الجمع المضاف وهو قوله بآياتنا يفيد العموم
والاستغراق وقوله فلا يكفرون بشئ منها تاكيد للاستغراق المدلول عليه بذلك كانه
قيل والذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون واما تقديم قوله بآياتنا على عامله فهو
يفيد اختصاص ايمانهم بجميع الايات تعريضا لبعض امة موسى لانهم لم يؤمنوا
ببعضها فقوله الاية ان الرحمة الاخروية مختصة ببني اسرائيل الموجودين في زمان
الرسول الامي الذين امنوا به واتبعوه في جميع ما امر به ونهى عنه فان قيل الرحمة
المذكورة لو اختصت بهم لزم ان لا يثبت لغيرهم من المؤمنين وليس كذلك اجيب
بان هذا الاختصاص بالاضافة الى بني اسرائيل الموجودين في زمانه ولم يؤمنوا به
لا بالاضافة الى جميع من اعداهم فان قيل الضمير في قوله تعالى فسأكتبها راجع الى الرحمة
المذكورة في قوله ورحمتي وسعت كل شئ والرحمة العامة الواسعة كل شئ كيف
تختص بجماعة مخصوصة اجيب بان هذه الرحمة اشارة الى مطلق الرحمة التي
اخبر عنها بانها عامة في الدنيا مختصة في الآخرة وانما ذكر اختصاص الرحمة
بهذه الطائفة في جواب موسى ليتخلص من قصته الى ذكر سيد المرسلين ومدحته
صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين وانه من التخلصات الفائقة
ولا سيما وقد عقبه بقوله فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي
انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا قوله ومضمون الآية جواب دعاء موسى اراد بالاية
قوله تعالى اصيب به من اشاء الى قوله اولئك هم المفلحون واراد بدعاء موسى
قوله انت مولانا فاغفر لنا الى قوله انا هدنا اليك وقد ذكرنا وجه كونه جوابا لدعائه
بقولنا فلما كان حاصل مسئلته دفع العذاب وتحصيل الرحمة الى آخر الكلام فان قيل
ان موسى عم دعا لنفسه ولبني اسرائيل بالمغفرة والرحمة وحصول ما ذكر في عوض
الجواب ان العذاب لجماعة والرحمة لجماعة فكيف يكون هذا جوابا مطابقا لدعاء موسى عم

قلنا

قلنا انه مطابق له من حيث ان سؤال المغفرة محصوله الدعاء بالخلاص عن عقوبة
ما اقترفوه من الجرايم والمعاصي وقوله عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه جواب عنه
بان تعذيب العصاة ليس بواجب علي هو منوط بمشيتي اعذب من اشاء واعفو
عمن اشاء وهو جواب مطابق لسؤال المغفرة على وجه يتضمن ترهيب من كفر واجار
رؤية الله تعالى جهرة من بني اسرائيل وترغيبهم في الاتصاف بالصفات التي يستحق
المكلف بها الرحمة الاخروية فظهر ان مضمون الاية جواب لدعاء موسى والنبي اعم
من الرسول لان النبي من اوحي اليه بشريعة سواء كان معه كتاب
سماوي يختص به منزل عليه او لم يكن بخلاف الرسول فانه لا بد ان يكون له كتاب
الهي يختص به مؤيدا بالمعجزات القاطعة فكل رسول نبي من غير عكس وصح بينهما
مع ان ذكر الرسول مغن عن ذكر النبي ظاهرا لان الرسالة يستلزم النبوة
في التحقيق الا ان كل واحد منهما ينفك عن الآخر في التعقل فان الرسول رسول
بالنسبة اليه تعالى ونبي بالنسبة الى امته واما من حيث كونه خاصة امة العرب فان
اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن وكونه عم امتيا من جملة معجزاته فانه عم لو كان يحسن
الخط والقراءة صار منها بانه طالع في كتب الاولين فحصل هذه العلوم بتكلف المطالعة
فلما اتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على علوم الاولين والاخرين من غير تعلم ومطالعة
وكان ذلك من جملة معجزاته الباهرة قوله وكان عم مبعوثا الى كافة الخلق اي الى
من وجد في عصره والى من سيوجد بعده الى يوم القيمة بخلاف سائر الرسل فانهم
بعثوا الى اقوامهم واهل عصرهم ولم يستمر شرايعهم الى يوم القيمة قوله وان جملة
بينهما اي وان اوقعت للجملة والفصل بين الجلالة وبين الموصول وصلته
اعتراض لوقوع قوله اليكم جميعا فاصلا بين الموصوف وصفته وجه العذر
ان قوله اليكم جميعا وان كان متاخرا بحسب اللفظ عن الجلالة الا انه كالمقدم
عليه رتبة لان كلمة الى في اليكم متعلقة بقول رسول المضاف الى الجلالة وقوله جميعا
حال من ضمير اليكم فصار للجار والمجرور والحال في حيز المضاف متعلقا به متقدما على الجلالة
غير فاصل بين الصفة والموصوف فجاز ان يكون الموصول مع صلته مجرورا المحل على انه
صفة للجلالة كما جاز كونه منصوب المحل على المدح ومرفوع المحل على المدح او على انه مبتدا

وخبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله الذي هو صلة الموصول يعني
ان قوله لا اله الا هو على وجه الاول بدل من الصلة التي قبله وفيه بيان لها لان من مكل العالم
كان هو الاله المتفرد بالالوهية فلا تكون له محل من الاعراب كالصلة وقوله يحيي ويميت
بيان لقوله لا اله الا هو سيق لبيان اختصاصه بالالوهية لانه لا يقدر على الاحياء
والاماتة الا الاله قوله وانما عدل عن التكلم يعني ان مقتضى قوله اني رسول الله اليكم
ان يقال فآمنوا بالله وبي الا انه عدل عن ضمير التكلم الى الاسم الظاهر ليجري عليه الصفات
المذكورة فان الضمير لا يوصف ولا يوصف به والمقام يقتضي توصيفه بتلك الصفات لكونها
داعية الى الايمان به اما كونه نبيا فظاهر واما كونه اميا فلما مر من انه معجزة باهرة لهم
قوله اثر الامرين وهما الايمان به واتباعه فان آمن به ولم يلتزم شرعه فانه
ليس له رجاء الاهتداء لان مجرد الايمان به لا يخرجه عن دائرة الضلال بل هو بعد
في خطط الضلالة ودايرتها والخطط جمع خطة بكسر الخاء وهي الارض التي يختطها
الرجل لنفسه بان يعلم عليها علامة بالخط ليعلم انه احتازها ويقال له صاحب الخطة
ثم انه تعالى لما ذكر قوله واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا ذكر بعده اضدادهم
وهم الثابتون على الايمان القايمون بالحق من اهل زمان موسى عم فانهم اضداد
عبدة العجل واضداد من قال لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كما هو عادة القرآن
في الجمع بين السعداء والاشقياء في الذكر وقيل المراد به الذين ادركوا نبينا صلى
الله عليه وسلم من بني اسرائيل وآمن به كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد به
قوم وراء الصين بافصى المشرق وذلك ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم
وكفروا تبرأ اسبط منهم مما صنعوا وسألوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اخوانهم
ففتح الله تعالى لهم نفقا في الارض وجعل امامهم المصابيح بيضيء لهم بالنهار فاذا
امسوا اظلم عليهم النفق فنزلوا فاذا اصبحوا اضاءت لهم المصابيح فساروا فيه
نهرا من ماء يجري واجرى الله تعالى عليهم ارزاقهم فساروا فيه على هذا الوجه
سنة حتى خرجوا من وراء الصين الى ارض بافصى المشرق طاهرة طيبة فنزلوها وهم
مختلطون بالسباع والوحوش والبهائم لا يضر بعضهم بعضا وهم متمسكون
بالاسلام لا يعصون الله تعالى طرفة عين يصافحهم الملائكة فهم في منقطع من الارض

لا يصل

وراء الصين
الصين
وراء القوم

لا يصل اليهم احد منا ولا احد منهم الينا وانهم كبني اب واحد ليس لاحد منهم مال دون
صاحبه يمطرون بالليل ويضحون بالنهار ويزرعون ويحصدون جميعا فيضعون الحاصل
في اماكن من القرية فيأخذ كل رجل منهم قدر حاجته ويدع الباقي رؤي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل ليلة المعراج اني احب ان ارى القوم الذين انجى الله تعالى
عليهم بقوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه كانوا يعدلون فقال ان بينك
وبينهم مسيرة ست سنين ذاهبا وست سنين راجعا ولكن سل ربك حتى يأذن
لك فدعى النبي صلى الله عليه وسلم وانزل جبرئيل عليه السلام فاوحى الله تعالى الى جبرئيل ان
اجبه الى ما سأل فركب البراق فخطى خطوات فاذا هو بين اظهر القوم فسلم عليهم
وردوا عليه سلامه وسألوه من انت فقال النبي الامي قالوا انت الذي نجس لك موسى عم
من معك قال اوتروني قالوا نعم قال هو جبرائيل قال فرأيت قبورهم على ابواب دورهم
فقلت ولم ذلك قالوا ذكرنا احدا ان نذكر الموت صباحا ومساء فقال اري بينكم
مستوية قالوا ذلك لئلا يشرف بعضنا على بعض ولئلا يبتدر احد على احد الريح
والهوام قال فما لي لا اري لكم قاضيا ولا سلطانا قالوا انصف بعضنا بعضا واعطينا
الحق فلم يحتج الى قاض ينصف بيننا قال فما لي لا اري اسواقكم خالية قالوا نزرع جميعا
ونحصد جميعا فيأخذ كل احد منا ما يكفيه ويدع الباقي لاخيه فلا نحتاج الى مبايعة
الاسواق قال فما لي اري هؤلاء القوم يفجؤون قالوا مات لهم ميت فيحزنون
سرورا بما قبضه الله تعالى الى التوحيد قال فما لهؤلاء القوم يبكون قالوا ولد لهم
مولود فهم لا يدرون على اي دين يقبض فيغتمون لذلك قال فاذا ولد لكم ولد لكم ذكر
فماذا تصنعون قالوا نصوم لله شكرا شهرا قال فالانثى قالوا نصوم لله شكرا شهرين
قال ولم قالوا لان موسى عم اخبرنا ان الصبر على الانثى اعظم اجرا من الصبر على الذكر
قال افتشربون قالوا وهل ليفعل ذلك احد لو فعل ذلك احد لخسفت به السماء وخسفت
به الارض من تحته قال افتسرقون قالوا انما يسرق من لا يؤمن برزق الله قال افتمرضون
قالوا لا ثم ولا نذنب انما يذنب امتك فيمرضون ليكون ذلك كفارة لذنوبهم قال
هل في داركم سباع وهوام قالوا نعم تمر بنا وتمر بها ولا تؤذينا ولا نؤذيها فعرض رسول
الله صلى الله عليه وسلم شريعته والصلوات الخمس عليهم وعلمهم الفاتحة وسورا من القرآن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قبل انهم كانوا يسبتون فامرهم ان يتركوا تحريم السبت وان يجمعوا وقيل انهم
قالوا انهم قالوا يا رسول الله ان موسى عليه السلام اوصانا بان قال لنا من ادرك
منكم احد فليقرأ عليه مني السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى
عليه السلام سلامه قوله فانه ينضئ معنى صيّر يعني ان قطع ينعدى الى واحد فان
ابقي على اصل معناه يكون انتصاب اثنتي عشرة على انه حال من مفعوله قطعناهم
اي فرقناهم معدودين بهذا العدد وان جعلناه متضمنا معنى صيّر يكون مفعولا
ثانيا له قوله وتانيثه يعني ان اثنتي عشرة سواء جعل مفعولا ثانيا ليصير لصيرناهم
او حالا من مفعول قطعناهم عبارة عن قوم موسى فحقه ان يقال اثني عشر الا انه اتى
اسم عددهم نظرا الى ان القوم في معنى الامة او الفئة وميزا اثنتي عشرة محذوف
حذف للعلم به تقديره اثنتي عشرة امة او فرقة او اسباطا بدل من ذلك التمييز
واما قلنا ان التمييز محذوف ولم نجعل اسباطا مميزا له لوجهين الاول ان الاسباط
لو كان مميزا لكان المعدود مذكرا لان الاسباط جمع سبط وهو مذكر فكان ينبغي ان
يقال اثني عشر اسباطا والثاني ان مميز احد عشر الى تسعة عشر يكون مفردا منصوبا
واسباطا جمع فلا يصح ان يكون مميزا له والحكمة في تفريق بني اسرائيل في اثنتي عشرة فرقة
لانهم تشعبوا من اثني عشر رجلا من اولاد يعقوب عم فانعم الله تعالى عليهم بهذا
التقطيع والتمييز لتنتظم احوالهم ويتيسر ضبطهم قوله او تمييز له عطف على قوله
بدل اي ويجوز ان يكون اسباطا مميزا لاسم العدد بناء على ان كل فرقة من الفرق المعهم
المقطعة من بني اسرائيل ليس سبطا واحدا بل اسباط متعددة لان السبط ولد
الولد فلو قيل اثني عشر سبطا بالافراد لكان المعنى فرقنا بني اسرائيل اثني عشر
ولد الولد وليس بمراد بل المراد اثنتي عشرة قبيلة كل قبيلة اسباط فحذف ما هو
المميز حقيقة وهو القبيلة واقيم صفته وهو اسباطا مقامه واعرب باعرابه قوله
امما على الاول اي على ان يكون اسباطا بدلا من اثنتي عشرة بدل بعد بدل من اثنتي
عشرة التي هي مفعوله ثاني لصيرناهم فهي في حكم الساقط وكل واحد من البدلين مقصود
بكونه مفعولا ثانيا لصيرناهم اي صيرناهم اسباطا امما فان بني اسرائيل مع كونهم اولاد
اولاد يعقوب عم فهم ايضا امم كثيرة لانهم صاروا اثنتي عشرة فرقة وصارت كل فرقة امة

عظيمة

عظيمة وجماعة كثيرة العدد فكل واحد من قوله اسباطا واما بدل من اثنتي
عشرة اي من تمييز المحذوف وهو فرقة ويحتمل ان يكون اما نعتا لقوله
اسباطا ولا يجوز ان يكون اما بدلا من اسباط على تقدير كونه بدلا من اثنتي
عشرة لان البدل لا يبدل منه قوله وعلى الثاني اي على تقدير ان يكون اسباطا
تمييزا لقوله اثنتي عشرة عبر عنه بلفظ الجمع مع ان حق تمييزه ان يكون منصوبا
مفردا للاشعار الى ان كل واحد من آحاد اثنتي عشرة قبيلة كثيرة وجماعة
كثيفة يكون اما بدلا من اسباطا لامن اثنتي عشرة لعدم جواز الفصل بين
البدل والمبدل منه بما هو مميز المبدل منه ثم انه تعالى ذكر من جملة ما انعم به على
بني اسرائيل نعمة اخرى غير تقطيعهم اثنتي عشرة فرقة وهي ان هيأ لهم
طريق سقيهم وسقى دوابهم وهم في برية التيه فقال واوحينا الى موسى
اذ استسقاه قومه قال المفسرون عطش بنو اسرائيل في التيه فقالوا يا موسى
من اين لنا الشراب فاستسقى لهم موسى اي سأل الله تعالى ان يسقيهم الماء
فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك الحجر قيل كان حجرا خفيفا مربعا مقدار رأس
الرجل امره الله تعالى بان يحمله معه فوضعه في محلاته فاذا احتاجوا الى الماء كان
يخرجه من المحلاة فيضعه بين يديه فيضربه بعصاه فينبع منه العيون لكل
سبط عين قبل كان في ذلك الحجر اثنتي عشرة حفرة فكانوا اذا نزلوا وضعوا
الحجر وجاء كل سبط الى حفرته فحفروا الجداول الى اهلهم فذلك قوله تعالى قد علم
كل اناس مشربهم اي موضع شربهم والفاء في قوله فانبجست فصيحة
عن حذف المعطوف عليه اي فضرب فانبجست والظاهر ان كلمة ان في قوله
ان اضرب مفسرة للايحاء لكونه بمعنى القول وجاز كونها مصدرية والجوهري
لم يفرق بين الانبجاس والانفجار وجعلهما بمعنى السيلان فلا فرق بين
هذه الآية وبين قوله تعالى في سورة البقرة فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه
اثنتا عشرة عينا من حيث المعنى وقيل الانبجاس العرق والانفجار السيلان فقوله
انبجست بمعنى عرقت وانفجرت بمعنى سالت قال الراغب يقال بجس الماء وانبجس
اي انجر لكن الانبجاس اكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق والانفجار يستعمل فيه

وفيما يخرج من شئ واسع فوق بينهما بالعموم والخصوص فكل انبجاس انفجار
من غير عكس وقيل الانبجاس خروج الماء بقلة والانفجار خروج بكثرة فطريق
الجمع بين هذه الآية وما في سورة البقرة ان الماء يبتدئ الخروج قليلا ثم يكثر
قوله ع وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا انفسهم بان كفروا هذه النعم لان
من ارتكب المحظور فقد ظلم نفسه ثم ان بني اسرائيل لما خرجوا من التيه قال الله
تعالى لهم ادخلوا هذه القرية قيل هي اريحا وهي قرية قريبة من بيت المقدس
بقرب مزار ابراهيم الخليل عليه السلام وقيل هي بيت المقدس وحطة فعلة
من الحط كالجلسة من الجلوس والحط وضع الشئ من اعلى الى اسفل والحطة هيهنا
بمعنى المغفرة قيل انهم امروا بقولها خطيئاتنا بانها لما موسى دخول الارض التي فيها
الجبارون فاراد الله تعالى ان يغفر لهم فقيل لهم قولوا حطة اي سئلتنا حطة
اي حط ذنوبنا عنا او امرنا حطة اي شانك يا ربنا ان تحط ذنوبنا وقيل
معناه امرنا حطة اي ان نحط وننزل في هذه القرية ونقيم فيها وادخلوا بابا من ابوابها
منحنين متواضعين قدم في هذه السورة قوله قولوا حطة على قوله وادخلوا وقال
في سورة البقرة وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة والاثر للتقديم والتاخير
فيها والمعنى المقصود قوله وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بضم التاء
الفوقانية وفتح الفاء والباقون بالنون المفتوحة وكسر الفاء وقرا ابو عمرو خطاياكم
على لفظ قضاياكم من غير همزة وابن عامر خطيئتكم بالهمزة وضم التاء من غير
الف على التوحيد ونافع ويعقوب خطيئاتكم بالهمزة وضم التاء والف بعد الهمزة
على الجمع والباقون خطيئاتكم على الجمع وكسر التاء قوله وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف
حيث جيء به مرفوعا ولم يعطف على ما هو مجزوم جوابا للامر لانه لو عطف عليه مجزوما
لفهم ان اثابة المحسن مسبب عن امتثالهم ما امروا به كما ان مغفرة خطاياهم
مسببة عنه وليس الامر كذلك بل المغفرة جزاء امتثالهم مسببة عنه بخلاف
اثابة المحسن فانها محض تفضل ليست مسببة عن الامتثال قوله ع فبدل الذين ظلموا
منهم قولا في الكلام حذف لان بدل يتعدى الى اثنين الى احدهما بالباء وهو المتروك
والى الآخر بنفسه وهو المأخوذ وههنا ذكر الباء وحذف دون المتروك والتقدير فبدل

الذين

الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولا غيره والظاهر ان الذين امروا بان يقولوا الفاظا يؤدي
ما يدل عليه حطة من التوبة والاستغفار لا ان يقولوا هذه اللفظة بعينها فخالفوه الى
قول لا يؤدي معنى الاستغفار روي انهم قالوا حنطة مكان حطة استهزاء منهم بما
قيل لهم وعدولا عن طلب عفو الله تعالى ورحمته الى طلب ما يشتهون من اعراض
الدنيا الفانية الدنية والوجه في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس والمراد بهما
الطاعون روي انه مات في ساعة اربعة وعشرون الفا قوله واسألهم للتقرير والتوبيخ
اي ليس المقصود من السؤال استعلام ما ليس معلوما للسائل لانه ع كان قد علم هذه
القصة من قبل الله تعالى بالوحي بل المقصود منه ان يحملهم الرسول صلى الله عليه وسلم
على ان يقروا بتقديم كفرهم واعدائهم حدود الله تعالى ومخالفتهم الانبياء عليهم
التوادبث من اسلافهم وتقريعهم بذلك وان يظهر بذلك معجزة دالة على انه نبي
حق اوحي اليه ما لا يعلم الا بتعليم ووحي فانه ع لما كان رجلا اميا ولم يخالط اهل
الكتب السابقة وبين هذه القصة على وجهها من غير زيادة ولا نقصان تعين انه
علم ذلك بالوحي فكان بيانها على ما وقعت معجزة ظاهرة من جملة معجزاته ع قوله
عن خبرها تقدير المضاف لان المسؤول عنه ليس نفس القرية بل هو خبرها وما وقع
باهلها قوله واذ اظرف لكانت اي كانت حاضرة البحر موجودة عند وقت عدوانهم
وتجاوزهم عما حد لهم من تعظيم يوم السبت بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة وفي
تقييد العامل بتحقق مضمونه في ذلك الوقت اشارة الى ان القرية خربت بعد ذلك
الوقت ويجوز كونه ظرفا منصوبا بالمضاف المقدر اي واسألهم عن خبر القرية اذ
يعدون وكونه بدلا من المضاف المقدر فان المراد من القرية خبرها وحال اهلها وبينه
وبين وقته اشتمال وآذ في قوله اذ تاتيهم ظرف ليعدون اي اذ عدوا اذ تاتيهم
لان اذ ظرف للماضي فيصرف المضارع الى الماضي او بدل بعد بدل من المضاف المقدر
اي واسألهم عن وقت اعتداء اهل القرية عن اتيان حيتان البحر اليهم لا تصرف
وجعل كلمة اذ بدل اشتمال من ذلك المضاف محل بحث لان اذ لازمة الظرفية لا تتصرف
فيها ولا يدخل عليها حرف جر وجعلها بدلا يجوز دخول كلمة عن عليه لان البدل على
نية تكرير العامل قوله وقرئ يعدون بفتح العين وتشديد الدال وهي تشبه

قراءة نافع لا تعدوا في السبت والاصل تعتدوا فادغمت التاء في الدال لقرب المخرج
وقرا يعدون بضم الياء وكسر العين وتشديد الدال من اعد بعد اعدادا اذا هيأ
روي انهم كانوا مأمورين ان يشتغلوا بالعبادة في يوم السبت فتركوها وهيئوا
الات الصيد قوله والاضافة لاختصاصهم باحكامه فيه جواب عما يقال كيف يكون
السبت اسما لليوم السبت مع اضافته اليهم تمنع منه لان يوم السبت لا يختص
باحد وتقرير الجواب ان يوم السبت اضيف اليهم لادنى الملابسة لاختصاصهم
فيه باحكام ليست لغيرهم قوله ويؤيد الاول اي يؤيد كون السبت مصدرا امران
الاول قراءة اسباتهم على لفظ المصدر والثاني في قوله تعالى ويوم لا يسبتون فانه
مقابل لقوله يوم سبتهم ومن المعلوم ان قوله لا يسبتون من السبت الذي هو مصدر
لا من السبت الذي هو اسم اليوم لان اضافة اليوم اليه تمنع كونه بمعنى اليوم والمعنى ويوم
لا يعظمون امر السبت بالتقضاء يوم السبت بغروب الشمس لانا نبتهم للحيتان فلما
كان لا يسبتون من السبت بمعنى المصدر كان السبت في قوله يوم سبتهم ايضا بمعنى
المصدر لتحقق مقابلة الفعل بذكر الفعل قيل اذا كان يوم السبت لم يبق حوت في
البحر الا خرج على وجه البحر فيجتمعن خراطيمهن من الماء واذا كان يوم الاحد غبن ولم
ير شيء منهن الى السبت المقبل ابتلوا بذلك بسبب فسقهم ومجاهرتهم بالمعاصي
عقوبة لهم فلما اخبرهم الله تعالى بذلك وسوس اليهم وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد
وانما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل وسوس اليهم انما نهيتم عن الاخذ فخذوا
حيا ظاهرا على شط البحر تسوقون الحيتان اليها يوم السبت ثم تنا خذنها يوم الاحد
ففعلوا ذلك زمانا واتسع بذلك رزقهم فقالوا ما نرى السبت الا ما احل لنا فاخذوا
واكلوا وباعوا فصار اهل القرية ثلاثا وكانوا نحوا من سبعين الفا ثلث
منهم نهوا وثلث لم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث اصروا
على ارتكاب المعصية فلما اصروا واعاد ذلك قال لهم الناهون لا نساكنكم في قريتكم
واحدة فقسموا القرية بجدار وجعلوا لانفسهم بابا وللمعتدين بابا ولعنهم داود
فاصبح الناهون ذات يوم فخرجوا من بابهم وانتشروا لمصالحهم ولم يخرج من المعتدين
احد فقالوا ان لهم شانا لعل الخمر غلبتهم فعلوا على الجدار فاذا هم قردة فتحوا الباب ودخلوا

عليهم

عليهم فعرفت القرود انسابها من الانس ولم يعرف الانس انسابها من القرود
فجعلت القردة يأتين انسيها من الانس فتشمم ثيابه وتبكي فيقول لها الم ننهكم
فتقول برؤسها نعم فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم قوله مثل ذلك البلاء
الشديد نبلوهم اشارة الى ان الكلام تم عند قوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وان الكاف
في قوله كذلك في موضع النصب بقوله نبلوهم اي بلوناهم ومحناهم مثل ذلك
البلاء الشديد الذي وقع بهم في امر الحيتان بسبب فسقهم وعصيانهم بالله فقوله
نبلوهم مستقبل بمعنى الماضي قوله وقيل ذلك متصل بما قبله اشارة الى الاتيان
المدلول عليه بقوله اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا فيتم الكلام عند قوله
كذلك والمعنى ويوم لا يسبتون لا تاتيهم الحيتان مثل ذلك الاتيان الذي ياتي يوم
السبت وهو الاتيان شرعا ثم استانف فقال نبلوهم بما كانوا يفسقون والكاف
على هذا في موضع النصب بالاتيان المدلول عليه بقوله لا تاتيهم اي لا تاتيهم مثل ذلك
الاتيان الذي ياتي يوم السبت لا بقوله نبلوهم قوله والباء متعلقة بيعدون والظاهر
انها متعلقة بقوله نبلوهم على التقديرين اولي الاتيان الحيتان يوم سبتهم شرعا
الا ان المصنف جعلها متعلقة بيعدون نظرا الى ان يكون اعتيادهم بالفسق سببا
لاعتدائهم بارتكاب ما نهوا عنه اقرب من كونه سببا لابتلائهم بذلك البلاء
قوله مختبرهم اي مستاصلهم ومطهر الارض منهم يقال اخبر منهم الدهر وتخبرهم
اي افتطعهم واستاصلهم قوله قالوه مبالغة جواب عما يقال كيف يجوز
ان يقولوا لمن يعظ المعتدين لم تعظونهم مع ان الظاهر منه كونه انكارا للوعظ والنهي
عن المنكر وانكار النهي عن المنكر معصية بعيدة من الصلحاء وتقرير الجواب ان
الصلحاء لم يقولوا ذلك انكارا للوعظ وانما قالوه اما مبالغة في بيان عدم انتفاعهم
بالوعظ او سوءا لا عن علة موعظة قوم شانهم الاعراض عن القبول والاستخفاف
بالوعظ والانهماك في الضلال حتى اصروا بذلك على ان يهلكهم الله ويعذبهم عذابا
شديدا ثم بين انه يحتمل ان يقول ذلك القول بعض الصلحاء المجتهدين في الموعظة
والنهي عن المنكر بعضا آخر منهم وان يقول من ادعوه وامتنع عن الموعظة بعد الاجتهاد
البليغ فيها لمن يرعوعنها منهم عنها فعلى الاول يكون اهل القرية فرقتين فرقة مذنبة

ونهاهم وعظ الفرقة تقاولوا فيما بينهم بذلك واعلم الثاني يكون اهل القرية ثلاث
فرق فرقة مذنبة وفرقتان صالحتان اجتهد كل واحد منهما في موعظة الفرقة المذنبة
ثم ان احدى هاتين الفرقتين ارعوى عن موعظة الفرقة المذنبة لياسهم عن القبول
والاخرى لم ترعوعنها وقالت الفرقة الساكنة من هاتين الفرقتين للفرقة الواعظة
لم تعظون قوله وقيل المراد من اي قيل المراد من الامة في قوله تع وقالت امة منهم
طائفة من الفرقة الهالكة والمعنى قالت طائفة من الفرقة الهالكة للفرقة الصالحة حين
وعظوهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم بزعمكم قالوا في ذلك استهزاء
بالصلحاء فعلى هذا يكون اهل القرية فرقتين فرقة مذنبة وفرقة واعظة ثم ان
الفرقة المذنبة تستهزئ وعاظهم بان يقولوا لم يعظون قوما لم يرض المصنف
بهذا القول لان قوله تع قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون لا يساعد هذا
القول وذلك لان هذا القول من الله تع يستلزم ان يكون في القرية فرقتان اخريان
غير الفرقة الهالكة عبر عن احديهما بضمير المخاطب في قوله الى ربكم وعن الاخرى
بضمير الغيبة في قوله ولعلهم يتقون وقد مر ان اهل القرية على قول هذا القائل
فرقتان فرقة مذنبة وفرقة واعظة وعلى قول هذا القائل ينبغي ان يقال ولعلكم
تتقون والمعذرة اسم مصدر وهو العذر وقيل انها بمعنى الاعتذار قراءة العامة
معذرة بالرفع على انها خبر مبتدا محذوف اي موعظتنا معذرة وقراءة حفص
عن عاصم بالنصب على انها مصدر فعل مقدر من لفظها اي اعتذرنا به معذرة وعلة
العلة اي وعظناهم لاجل المعذرة والمعنى الان الامر بالمعروف واجب علينا
فعلينا موعظة هؤلاء العصاة عذرا الى الله تع ولعلهم يتقون الله ويتركوا
المعصية لان قبول الحق الواضح يرجى من العاقل قوله تركوا ترك الناس بمعنى ان
قوله نسوا استعارة تبعية شبه بترهم لما ذكروا به عمدا بنسيانه المستلزم لتركه
فاطلق عليه اسم النسيان استعارة تصريحية اصلية فاشتق منه نسوا فسرت الاستعارة
اليه تبعا وصير الى المجاز للتعذر الحمل على الحقيقة ضرورة انهم لم يتركوا اما وعظوا به الا مخالفة
وعنادا الا لنسيانهم اياه قوله تع بعذاب بئيس بفتح الباء وهمزة مكسورة بعدها ياء
ساكنة تيحا وزن رئيس اي بعذاب ذو بأس وهو الشدة وقرأ ابو بكر بيئس بفتح الباء

وهمزة

وهمزة مفتوحة بينهما ياء ساكنة على وزن ضيغم وقراءة ابن عامر بئيس بكسر الباء
وهمزة ساكنة بعدها على ان اصله بئئس على وزن زمن بفتح اوله وكسر ما بعد المخفف
كما في كبد وكتف وقيل كبد وكتف وقراءة نافع بيس بكسر الباء من غير همز مثل
عيس على انه قلبت الهمزة ياء كما في ذيب او على انه فعل الذم نقل الى الاسمية
فوصف به وقرئ بيئس بتشديد الياء على وزن ميت وريس اصله بئيس قلبت
همزته ياء وادغمت الياء في الياء وبيس بياء ساكنة على التخفيف كهين في هين
وبائس على فاعل قوله تكبروا عن ترك ما نهوا عنه فسروا العتو بالتكبر والتمرد
والعناد وفي جميع ذلك معنى الاباء والاباء عن المنهي عنه انما يكون بالاطاعة ومعلوم
ان الاطاعة لكونها بارتكابه لا توجب العقوبة غير مراد ههنا فلذلك قدر المضاف
والتكبر عن ترك المنهي عنه انما يكون الذي يوجب العقوبة فهو من حيث المعنى نظير
قوله تع وعتوا عن امر ربهم لان التكبر عن الامر انما يكون بترك المأمور به الذي يوجب
العقوبة قوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون يعني ان قوله تعالى
قلنا لهم كونوا قردة ليس المراد به انه تع كونهم قردة بقول وكلام مسموع يدل على طلب
التكوين لان حمل الكلام على انه تع امرهم بان يقلبوا انفسهم قردة غير معقول
لانهم لا يقدرون على ذلك وتكليف العاجز غير معقول بل المراد انه تع مسخهم
قردة بتعلق قدرته وارادته بذلك الا انه اخرج الكلام على طريق الاستعارة
التمثيلية بان شبه تاثير قدرة الله تعالى في المراد من غير توقف وامتناع ومن غير
مزاولة عمل واستعمال آلة بامر المطاع للمطيع في حصول المأمور به من غير امتناع
وتوقف فاستعير قوله تع كونوا قردة من امر المطاع للمطيع لتاثير قدرته في الكون
وليس ثم قول ولا امر ولا مأمور حقيقة قوله والظاهر ان الله تع عذبهم اولا كما
يدل عليه قوله واخذنا الذين ظلموا العذاب بئيس قبل قوله فلما عتوا عما نهوا
عنه قلنا لهم كونوا قردة فانه يدل دلالة ظاهرة على ان العذاب البئيس المذكور
اولا غير المسخ المذكور بعد وان القوم تمردوا بعد نزول ذلك العذاب فمسخهم الله تع
قردة بعد ذلك وان جاز ان يكون قوله تع فلما عتوا عما نهوا عنه تكريرا للآية الاولى
وتفصيلا لها غير انه تع لما شرح قبايح اعمال اليهود من قوله وجاوزنا ببني اسرائيل

البحر الى هنا ذكر حكمه عليهم بالذل والصغار وانه فرقهم في اطراف الارض ونواحيها
ولم يجعل منهم ملكا يجتمعون عنده ويمتنعون به عمن قهرهم وعاداهم واستمر ذلك
عليهم الى يوم القيمة فقال واذ تاذن ربك اي آذن واعلم عن الامام الواحدي انه
قال اكثر اهل اللغة على ان تاذن بمعنى آذن مثل توعد بمعنى اوعد وقيل معناه حتم
وواجب وقال الزمخشري تاذن ربك اي عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو
الاعلام لان من عزم على الامر وصمم نيته عليه يحدث به نفسه ويوذن بها بفعله
فقوله او عزم عطف على قوله اعلم وهو ايضا مبني على كون تاذن بمعنى آذن الا ان
الايذان قد يراد به التبيين والاعلام للغير واشار اليه بقوله اي اعلم وقد يراد به
العزم على الامر وتصميم النية بفعله واشار اليه بقوله او عزم لان العازم على الشيء
يوزن نفسه بفعله وعزم الله تعالى على الامر عبارة عن تقرر ذلك في علمه وتعلق ارادته
بوقوعه في الوقت المقدر له قوله تعالى ليوم القيمة متعلق بقوله ليبعثن واللام فيه لام
جواب القسم لان قوله واذ تاذن ربك جار مجرى القسم من حيث دلالته على تاكد الخبر
المؤذن به قوله ليسلطن على اليهود واشار الى ان ضمير عليهم لا يرجع الى ما يرجع
اليه ضمير قوله فلما عتوا عما نهوا عنه لانهم قد مسخوا قردة ثم هلكوا بعد ثلثة ايام
ولم يبق لهم نسل حتى يضرب عليهم الذلة والصغار الى يوم القيمة بل هو راجع على ما
اشتمل عليه اليهودية من بني اسرائيل الذين ادركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم
الى الايمان به واتباع شريعته وهم الذين رجع اليهم ضمير قوله واسالهم عن القرية
وكذا ضمير قطعناهم وضمير منهم ومنهم يرجع اليهم وظاهر قوله وقطعناهم في الارض
امما يدل على انه لا يخلو ناحية من نواحي الارض المسكونة الا وفيها امة منهم وحمله المص
على المبالغة في تفريقهم حيث قال بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم قوله تتمة لادبارهم
علة للتفريق المذكور اي فرقناهم فيها تتميما لجزاء ادبارهم واعراضهم عن الحق حتى
لا يكون لهم شوكة بالاجتماع ابدا قوله امما مفعول ثان لقطعناهم باعتبار تضمنه
معنى صيرنا او حال من مفعوله باعتبار بقائه على اصل معناه وقوله منهم الصالحون
جملة اسمية في محل النصب على انها صفة لامما قوله تتدبر ومنهم ناس دون ذلك
او قوم دون ذلك على ان دون ذلك صفة لموصوف محذوف مرفوع على الابتداء وقوله منهم خبر

قدم عليه

٦٤

قدم عليه قوله اي منحطون عن الصلاح اعلم ان قوله ذلك اشارة الى الصلاح
المدلول عليه بقوله الصالحون الا انه لا بد من تقدير المضاف ليصح المعنى اي ومنهم
دون اهل ذلك الصلاح ليعتدل التقسيم قوله تعالى وبلوناهم اي عاملناهم معاملة
المبتلي المختبر حيث فتحنا عليهم نارة باب الخصب والعافية ونارة باب الجدب
والشدائد لعلهم يتوبوا عما هم عليه من المعاصي الى الطاعة فان كلا من الحسنات
يدعو الى الطاعة اما الحسنات فللترغيب فيها واما السيئات فللترهيب
عن المعصية قوله مصدر نعت به يقال خلف فلان فلانا اذا كان خليفته
وخلف في قومه خلافة اي قام مقامه في تدبير احوال قومه والخلف بسكون اللام
وفتحها في الاصل مصدران كالطلب والضرب نعت به من جاء بعد حدوثه قام
مقامه يقال هو خلف سوء من ابيه وخلف صدق من ابيه اذا قام مقامه الا ان
الاول يستعمل في الصالح الردي والثاني في الصالح الترتي قال الشاعر ذهب الذين
يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب وقيل خلف بسكون اللام اسم
جمع لخالف كركب لراكب وتجر لتاجر وقال الاخفش هما سواء منهم من يحرك ومنهم
من يسكن فيهما جميعا قوله والمراد به اي بالخلف الذين خلفوا من اليهود والمدبين
فرقهم الله تعالى في الارض امما موصوفين بان منهم الصالحون ومنهم دون ذلك
قوله حطام هذا الشيء الادنى الحطام ما تكسر من اليبيس فشبه العرض بفتح العين
والراء والمراد به جميع متاع الدنيا من النقود والاعيان يقال الدنيا عرض حاضر
ياكل منها البر والفاجر واما العرض بسكون الراء فانه تطلق على النقود دون الاعيان
اخذ الدراهم والدنانير عن متاع الدنيا بالحطام لعدم بقائها وسرعة زوالها والادنى
تذكير الدنيا والمعنى ياخذون عرض هذه الدنيا وانما ذكر لانه لم يذكر الموصوف
من نحو الدار والطبق فكانه جعل وصفا للشيء وللمكان وللمقام ونحوها قوله
وهو من الدنو وهو القرب سميت هذه الدار وهذه الطبق دنيا لدنوها
وكونها عاجلة يقال دنوت منه دنوا اي قربت والدنيء القريب واما الدنيء
بمعنى الدون فهو من المهموز اللام يقال دناء الرجل دناءة ودناة اي صار
دنيئا خسيسا لا خير فيه قوله تعالى ورثوا الكتاب في محل الرفع على انه نعت

عبرهم

لقوله خلق وقوله يأخذون مستأنفا اخبر عنهم بذلك قوله وهو يحتمل العطف والحال يعني ان قوله ويقولون يحتمل ان يكون معطوفا على يأخذون وان يكون حالا من فاعله الا ان علماء المعاني صرحوا بان الجملة الحالية ان كانت فعلية وكان الفعل غير مضارع مثبتا امتنع دخول الواو عليها ويجب الاكتفاء بالضمير نحو لا تمنن تستكثر واجابوا عن قول من قال قمت واصك وجهه وقول من قال فلما خشيت اكافيهم نجوت وادهنهم مالكا بانه مبني على حذف المبتدا واجاب بعضهم بان ما جاء في النثر من نحو قمت واصك شاذ وما جاء في النظم من نحو نجوت وارهنهم ضرورة فعلى هذا ينبغي ان يكون مراد من قال ان قوله ويقولون حال انه حال بتقدير المبتدا اي وهم يقولون وقوله سيغفر مسندا الى الجار والمجرور يعني وهو لنا واما الاضمير الاخذ في يأخذون كقوله اعرلوا هو اقرب اي سيغفر لنا اخذ العرض الادنى والواو في قوله تعالى وان يأتهم عرض مثله حالية اي يأخذون الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون انه تعالى لا يؤاخذنا باخذ ما اخذناه من عرض الدنيا ويتجاوز عنه والحال انهم مصرون على اخذ معائدون الى مثله غير تائبين عنه فهذه الجملة الشرطية حال من فاعل يقولون وقوله حال من الضمير في لنا محل بحث وميثاق الكتاب هو العهد المذكور في التوراة وهو ان لا يقولوا على الله الا الحق ان لا يغيروا على ان لا يغيروا على الله مثل القطع على المغفرة مع الاصرار على الذنب وهو خلاف ميثاق الكتاب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وكرر الله تعالى عليهم في التوراة ان لا يقولوا لا يقولوا على الله الا الحق فقالوا الباطل وهموا او جبوا على الله تعالى من مغفرة ذنوبهم التي لا يتوبون عنها وليس في التوراة سبعاد المغفرة مع الاصرار على الذنب وقيل ذكر في التوراة من ارتكب دنيا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة قوله عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى لما تبين ان الجملتين خبرية وانشائية لم يصح عطف الخبرية على الانشائية من حيث اللفظ وجاز عطفها من حيث المعنى لكون الانشائية في معنى الخبرية لكون الاستفهام للتقرير كانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه ونظيره قوله تعالى الم تر كيف فينا وليدا ولبثت فان المعنى قد رباك ولبثت ويجوز كونه معطوفا على ورثوا فيكون

قوله الم

قوله الم يؤخذ معترضا بينهما قوله وقرأ نافع الخ يعني انهم قرأوا افلا تعقلون بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة ووجه الخطاب التلوين والالتفات من الغيبة الى الخطاب فالضمائر يكون عبارة عن طائفة واحدة وهم الملل الموصوفون بما ذكر ويحتمل ان يكون الخطاب لهذه الامة اي افلا تعقلون انتم حال هؤلاء ويتعجبون من حالهم وعلى قراءة الغيبة يكون هذا الضمير عبارة عما هو المراد بالضمائر المتقدمة قرأ العامة والذين يمسكون بالتشديد من مسك بمعنى تمسك فان فعل قد يكون بمعنى تفعل قال الامام الواحدي يقال مستكت بالشيء وتمسكت به واستمسكت به وامسكت به وروى ابو بكر عن عاصم يمسكون مخففة وهو رديء لانه لا يقال امسكت الشيء ومعنى يمسكون بالكتاب يؤمنون به ويحكمون بما فيه قال عامة المفسرين نزلت في مؤمني اهل الكتاب الا هنا كلامة قال مجاهد هم المؤمنون من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يأخذوا ما كلفة قوله على تقدير منهم يعني ان الخبر الجملة لا بد فيها من رابط يربطها بالمبتدا وذكر الرابط اما ضمير محذوف اعتمادا على دلالة الفحوى عليه او الاسم الظاهر الموضوع موضع الضمير فان مقتضى الظاهر ان يقال انا لا نضيع اجرهم الا انه وضع المصلحون موضع الضمير تنبيها على انه تعالى لا يضيع اجرهم لاجل اصلاحهم قوله وافراد الاقامة جواب عما يقال في التمسك بالكتاب عبارة عن الايمان به ورعاية جميع ما فيه من التكاليف والاحكام فيندرج فيه اقامة فلا حاجة الى افرادها بالذكر بعد ذكر التمسك بالكتاب وتقرير الجواب انه من قبيل ذكر الخاص بعد ذكر العام للتنبيه على شرف الخاص وفضله كذكر جبرئيل بعد ذكر الملائكة للتنبيه المذكور فان اقامة الصلوة اعظم العبادات وافضلها بعد الايمان فافردت بالذكر لعلو قدرها بالنسبة الى سائر انواع التمسكات قوله اي فعلناه ورفعناه فوقهم ذكر فعلين الاول منهما تفسير للنتق وثانيهما هو الناصب لقوله فوقهم على الظرفية فان النتق عبارة عن قلع الشيء من موضعه والرفع ليس نفس ما وضع له لفظ النتق ولا جزء معناه بل النتق من مقدمات الرفع وسببه لحصوله والمعلم لكن نتقنا صالحا لان ينصب قوله فوقهم بنفسه جعل متضمنا لمعنى رفعنا فنصبه باعتبار ما في ضمنه من معنى الرفع لكون نتق الجبل وقلعه من موضعه

وسيلة الى رفعه فوقهم فقوله فوقهم بنتقنا باعتبار نفضه لمعنى دفعنا كانه قيل دفعنا
الجبل فوقهم بنتقه وقلعه من مكانه وأصل النتق الجذب يقال نتقت الغرب
من البئر اي جذبته وعن القرآن ان النتق هو الرفع ثم قيل للجبل هو الطور الذى
سمع موسى عم كلام الله تعا واعطى الالواح وهو علم وقيل هو جبل من جبال
فلسطين كان فرسخا فى فرسخ وقيل هو الجبل الذى كان عند بيت المقدس
روى ان موسى عم لما اتى بنى اسرائيل بالتورية وقراها عليهم وسمعوا ما فيها
فامر الله تو الجبل فانقلع من اصله حتى قام على رؤسهم بحيث حاذى عسكرهم جميعا
ولم يبق منهم احد الا والجبل فوقه وكان معسكرهم فرسخا فى فرسخ وقيل لهم
ان قبلتموها بما فيها والا لينقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل حر كل رجل منهم ساجدا
على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا
يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هى السجدة التى رفعت بها عنا العقوبة فعلى هذا
فقبلوها جبرا قبل كل من اتى جبرا ينكص على عقبيه حين وجد فرصة كذلك اهل التوراة
لما قبلوها جبرا ما بقوا حتى شرعوا فى تحريفها قوله لانه لم يقع متعلقه اى ما تعلق
به وقوع الجبل وهو عدم قبولهم ما فى التورية حيث قبلوه وسجدوا على انصاف جباههم
ثم انه تعالى لما ذكر انه اخذ الميثاق عليهم ايضا باخذه على كافة بنى آدم بان ميزهم عن سائر
الحيوانات بالعقول السليمة الصالحة للتفكر فيما نصب لهم من الادلة السمعية والعقلية
وفيما شاهدوه من آثار القدرة الكاملة والصنايع العجيبة فى الآفاق فى انفسهم
ليعرفوا بها ان لهم صانعا قادرا عالما كل شئ عالما بجميع ما يحتاج ان يعلم الها واحدا
لا شريك له ولا وزير فحملهم على ان يقروا بربوبيته ووحدانيته بان قال لهم الست
بربكم فاجابوا بقولهم انت ربنا فقال واذا خذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم
اى واذكر وقت اخذ الله الميثاق على بنى آدم حين انتزعهم الله تو من ظهره وانتزع
اولادهم من ظهورهم نسلا بعد نسل كما تنوالد الاولاد من الاباء قوله تو من ظهورهم
بدل من بنى آدم بدل البعض باعادة الجار كقوله تو للذين استضعفوا لمن آمن منهم
قوله اخرج من اصلابهم اى من اصلاب بنى آدم الصلبية فلنفرض ان آدم عليه السلام
كان له خمسون ابنا صلبيا فمضمون الاية انه تو اخرج من اصلابهم نسلهم ذريتهم ثم اخرج

من اصلاب

من اصلاب تلك الذرية ما تفرع منهم حتى اخرج جميع من هو كائن الى اليوم القيمة ولم يذكر
اخذ ذرية آدم من ظهره مع ان الذرية كما اخذت من ظهور بنى آدم اخذت من نفس آدم
واخذ الميثاق من الجميع اعتمادا على انها مما مر من الكلام لانه تو لما اخرج ذرية آدم بعضهم
من ظهور بعض على نحو ما يتولد الابناء من الآباء على الترتيب استغنى عن ذكر ظهر آدم كما علم
انهم كلهم بنوه واخرجوا من ظهره وقيل انه تو اخرجهم جميعا وصورهم وجعل لهم عقولا
يعلمون بها والسنة ينطقون بها ثم كلمهم قبلا اى عيانا وقال الست بربكم فتكلموا
جميعا وقالوا اشهدنا انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم فالملائكة
قررهم بربوبيته ووحدانيته واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلب آدم فلا تقوم
الساعة حتى يولد كل من اخذ ميثاقه والمعتزلة انكروا هذه الرواية وقالوا ان
البينة شرط حصول العلم والعقل والفهم فتلك الذريات الماخوذة من ظهور
بنى آدم لا يكون احد منهم عالما فاهما عاقلا الا اذا حصل له قدر من الجسامة والبنية
الانسية والادمية واذا كان كذلك فمجموع تلك الاشخاص الذين خرجوا الى الوجود من
اول تخليق آدم الى قيام الساعة لا يحوسهم عرصة الدنيا فكيف يمكن ان يقال انهم
حصلوا بأسرهم دفعة واحدة فى صلب آدم عليه السلام واجيب عنه بان البنية ليست
شرطا عند نا لحصول الحيوة والعلم فان الجزء الذى لا يتجزى قابل للحيوة والعلم فاذا جعلنا
كل واحد من تلك الذرات جواهر افردا فلم قلتم ان ظهر آدم لا يتسع لمجموعها وهذا اذا
قلنا ان الانسان عبارة عن الجوهر المتحيز سواء كان جوهرا فردا او جسما مركبا من اجزاء
واما اذا قلنا ان الانسان هو النفس الناطقة وانه جوهر غير متحيز ولا حال فى المتحيز
فلا سؤال ولا جواب قوله اى نصب لهم دلايل ربوبيته جعل قوله تو واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى من قبيل الاستعارة التمثيلية المبنية على تشبيه
حال المنشئ شيئ بحال شئ آخر حيث شبه تمكينهم من العلم بربوبيته بالاستدلال عليها
بما نصب لهم من الادلة الدالة على ربوبيته باشهادهم عليها وسؤالهم بان يقال لهم
على سبيل التقرير الست بربكم فان ذلك التمكين والاقدار منزل منزلة الاشهاد
بان يقال لهم الست بربكم وشبه تمكنهم من العلم بالربوبية بالنظر والتفكر فيما نصب
لهم من الدلايل الدالة عليها بشهادتهم واقرارهم فان تمكنهم من العلم بها منزل منزلة

الشهادة والاقرار بها بان يقولوا بلى انت ربنا لا رب لنا غيرك وباب التمثيل باب واسع وارد في القرآن والحديث وكلام البلغاء قال الله تعالى للارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال الشاعر قالت له ريح الصبا قرقار واختلط المعروف بالانكار اي قالت ريح الصبا للسحاب قرقر قرقار اي صوت يقال قرقرت الحمامة وقرقر بطنه اي صوت كان ريح الصبا يامر السحاب بذلك ومنه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فان الذي ورائي لا يحلبني وراعي وقوله استلاء الحوض فقال قطني وحملهم على الاقرار بربوبيته تعالى بتمكينهم من معرفته بنصب الادلة الدالة على وجوده وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع ما يجب ان يعلم وتمكنهم من معرفة ذلك بما ركز في عقولهم من قوة الاستدلال بتلك الدلايل والاستعداد لمعرفة ربوبيته بالنظر والتفكر في تلك الدلايل منزل منزلة اشهادهم على انفسهم وحملهم على الاقرار والاعتراف بربوبيته وكونهم متمكنين ومستعدين لمعرفة ربوبيته بالنظر والتفكر فيما شاهدوا من عجايب صنع الله تعالى في انفسهم وفي الآفاق منزل منزلة اقرارهم واعترافهم بانه تعالى ربهم وانه لا رب لهم غيره فلذلك قال تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا اي قلنا الست بربكم على سبيل التمثيل والتشبيه قوله ويدل عليه اي على ان الكلام من قبيل التمثيل دون التحقيق قوله تعالى قالوا بلى شهدنا ان تقولوا اي كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل ووجه الدلالة على ذلك انه تعالى علل اشهادهم وشهادتهم واخذ ميثاقهم بالاقرار والاعتراف بقوله ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين فانه مفعول له لقوله واشهدهم على انفسهم وهذا التعليل انما يحسن على تقدير ان يكون اشهادهم على الربوبية بمعنى تمكينهم من معرفتها بنصب الدلايل لان غفلتهم عنها انما تزول بنصب ما يدل عليها والظاهر ان قوله تعالى شهدنا من تتمة كلام الذرية وان قوله ان تقولوا علة لقوله واشهدهم على انفسهم بكذا وكذا لئلا يقولوا او كراهة ان يقولوا وقيل انه من كلام الملائكة وذلك ان الذرية لما قالوا بلى قال الله تعالى للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا عليهم بالاقرار لئلا يقولوا

يوم القيمة ما اقررنا وما علمنا ان لنا الها يجب علينا طاعته واتباع امره قوله ان تقولوا اصله عند الكوفيين لئلا يقولوا اسقطت لام العلة وكلمة لا وكذا الحال في نظايره كقوله تعالى والقى في الارض رواسي لتقول الملائكة شهدنا وكلام الذرية قد انقطع عند قولهم بلى فيحسن الوقف عليه قوله وقرأ ابو عمرو وحمزة بالياء الغيبة على وفق ما سبق من قوله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا وقرأ الباقون بالتاء الخطاب لانه قد جرى في الكلام خطاب وهو قوله الست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون قوله لان التقليد لا يصلح عذرا عند قيام الدليل والعدم تاتي الاعتذار بالتقليد مع اشهادهم على انفسهم بالمعنى المذكور وهو تمكينهم من معرفة الحق بنصب الدلايل وتمكنهم من الاستدلال بها فان قوله او تقولوا علة ثانية لنصب دلايل الربوبية المنزل منزلة الاشهاد والحمل على الاقرار كانه قيل فعلنا ذلك لئلا يمكن لكم الاعتذار على الاشراك بتقليد اسلافكم المشركين قوله وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذريته عطف على ما اختاره بقوله اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون اي اخرجهم بتوليد بعضهم من بعض على مامر الزمان قوله لحديث رواه عمر رضي الله عنه والحديث رواه الامام محيي السنة في المصابيح ومعالم التنزيل وهو ان عمر رضي الله عنه لما سئل عن هذه الآية واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل ففيم العمل يا رسول الله فقال ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار فيدخله به النار قال المصنف في شرحه للمصابيح معنى الآية ان الله تعالى اخرج من اصلاب بني آدم نسلهم واشهدهم على انفسهم بان نصب لهم من الادلة الدالة على ربوبيته ووحدانيته وركب فيهم العقول والبصاير وجعلها مميزة بين الحق والباطل نزل تمكينهم من العلم بربوبيته بنصب الدلايل وخلق الاستعداد فيهم وتمكنهم من معرفتها والاقرار بها منزلة الاشهاد والاعتراف تمثيلا وتخييلا ونظيره

معلم
ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله حتى يموت

قوله تعالى انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقوله تعالى لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقول الشاعر اذا قالت الانساع للبطن الحق وقوله قالت له ريح الصبا قرقار فان البيت الذى لا يشكل فيه انه لا قول ولا خطاب ثمة وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى وظاهر الحديث لا يساعد هذا المعنى ولا ظاهر الاية فانه سبحانه وتعالى لو اراد ان يذكر انه استخرج الذرية من صلب آدم دفعة واحدة لا على توليد بعضهم من بعض على مامر الزمان لقال واذ اخذ ربك من ظهر آدم ذريته والتوفيق بينهما ان يقال المراد من بنى آدم فى الاية آدم واولاده وكانه صار اسما للنوع كالانسان والبشر والمراد بالاخراج توليد بعضهم من بعض على مامر الزمان واقتصر فى الحديث على ذكر آدم اكتفاء بذكر الاصل عن ذكر الفرع وقوله ثم فى الحديث مسح ظهر آدم يحتمل ان يكون الماسح هو الملك الموكل بتصوير الاجنة وتخليقها وجميع موادها واسند اليه تولانه هو الامر به كما اسند التوفى اليه فى قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والمتوفى لها هو الملك لقوله تعالى الذين تتوفيهم الملائكة ويحتمل ان يكون الماسح هو البارى تعالى ويكون المسح من باب التمثيل وقيل من المساحة بمعنى التقدير كانه قال قدر ما فى ظهره من الذرية الى هنا كلام المصنف فى شرح المصابيح واشار بقوله وهذا الكتاب وقيل الى ان تفسير الاية بما روى عن عمر رضى الله عنه من استخراج الذرية من ظهر نفس آدم وتعيين بعضهم للجنة وبعضهم للنار لا يخلو عن ضعف اما اولا فلانه لا ميثاق فيه واما ثانيا فلان ما فيه هو استخراج الذرية من ظهر آدم وما فى الاية هو استخراجهم من ظهور بنى آدم ثم انه تم لما ذكر انه اخرج بنى آدم من ظهور آبائهم ونصب لهم دلايل وحدانيته وربوبيته ومكنهم من ان يستدلوا بها على ربوبيته ويعترفوا بها اشار بهذه الاية اى بقوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الاية الى ان الاستعداد التطرق للتكليف وبجتهدوا فى ملازمة العمل بمقتضى الدليل ويجتنبوا عن الميل للحظوظ الدنيوية ومتابعة الهوى ويعتبروا بحال من آتاه الله اياته ان يحمله على دلايل الوهيته ووحدانيته وفهمه تلك الدلايل فانسلخ

اى خرج منها كما تخرج الحية من جلدها فاتبعه الشيطان اى لحقه وادركه فكان من الغاوين روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان هذه الاية نزلت فى زوج امرأة يقال لها البسوس فانه رجل من بنى اسرائيل كان قد اعطى ايمة ثلاث دعوات مستجابات فقالت لامرأته البسوس اجعل من تلك الدعوات واحدة فقال لك منها واحدة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلنى اجمل امرأة فى بنى اسرائيل فدعى لها فصارت اجمل امراة فى بنى اسرائيل فلما علمت انها ليست فيهم مثلها رغبت عنه فغضب زوجها فدعى عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها فقالوا لابيهم ليس لنا على هذا قرار قد صارت امنا كلبة نباحة والناس يعيرونا بها ادع الله ان يردها الى حالها الاول فدعى الله تعالى فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات الثلاث كلها وقيل انها نزلت فى ابى عامر بن نعمان الراهب الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبى صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى جيئت قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لست عليها لانك ادخلت فيها ما ليس منها فقال ابو عامر اماتك الله الكاذب طريدا وحيدا فخرج الى الشام وارسل المنافقين استعدوا بالقوة والسلاح وابنوا لى مسجدا فانى ذاهب الى قيصر واتى بجند اخرج بهم محمدا واصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعنى انتظارا لمجيئه فمات بالشام طريدا وحيدا فاستجاب الله تعالى دعاءه جزاء بما نفسه قوله اوبلعم بن باعور وذلك ان موسى عليه السلام اراد ان يغزو بلدا ملكا كان هو وقومه كفارا وكان بلعم يسكن معهم فى تلك البلدة فقال الملك لبلعام ان موسى رجل حديد ومعه جند كثير فان ظهر علينا ولا يمكنه من دخول بلدنا وكان رجلا مجاب الدعوة وكان عنده اسم الله الاعظم فامتنع منه وقال ان فعلت ذلك ذهب دنياى وآخرتى فألحوا عليه حتى دعى الله بان لا يمكنه من الدخول فى بلدهم ومملكتهم فبقوا فى التيه اربعين سنة بدعائه فقال موسى يارب بايى ذنب بقينا فى التيه هذه المدة المديدة فقال تعالى بدعاء بلعم فقال يارب كما سمعت دعاءه على فاسمع دعائى عليه ثم دعى موسى ان ينزع عنه اسم الله الاعظم والايمان فسلخه الله مما كان عليه ونزع منه المعرفة فخرجت من صدره كانها حمامة بيضاء

مطلب
اعطى الله لرجل ثلاث دعوات مستجابات

مطلب
فى ذكر بلعم بن باعور

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وآخر المصنف هذا القول لان الظاهر ان احتباسهم في التيه كان بقولهم انا لن ندخلها ابدا
ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وكيف يليق بموسى ان يدعو
عليهم بزوال الايمان وكان مبعوثا ليدعوا الناس الى الايمان قوله حتى لحقته استعارة الى ان
اتبع بمعنى تبع فيتعدى الى واحد وهو مبالغة في ذمه حيث جعل اماما للشيطان وفي
الصحاح اتبعت القوم عاوزن افعلت اذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم ويقال ايضا
اتبعت غيري بقال اتبعته الشئ فتبعه قال الاخفش تبعته واتبعته بمعنى مثل ردفته
وارد فته وقيل هو بمعنى استتبعه قوله مال الى الدنيا عبر عن الدنيا بالارض لان ما فيها
من العقار والرباع كلها ارض وسائر متاعها مستخرج من الارض ويحتمل ان يكون الارض
عبارة عن السفالة والانحطاط بقرينة ذكرها في مقابلة الرفع كانه قيل ولو شئنا
لرفعناه الى منازل السعداء ولكنه مال الى منازل الاشقياء بان سلك سبيلهم بالتباع
الهوى وايثار لخيوط الدنيا قوله وانما علق رفعه بمشية الله تعالى يعني ان الظاهر
ان يعلق رفعه بفعله الذي يستحق به الرفع مثل ان يقال لو لزم العمل بمقتضى الآيات ولم
ينسلخ منها لرفعناه بها اي بسبب تلك الآيات وملازمتها لان قوله بها افاد ان ملازمة
الآيات والعمل بمقتضاها سبب لرفعها فيكون الرفع بالآيات معلقا بلزوم الآيات
والعمل بمقتضاها فكيف علق بمشية الله تو ولا سيما قد استدرك عنه بفعل العبد وهو
ايضا يستدعي ان يعلق الرفع بفعل العبد الا انه علق الرفع بمشيته الله تو تنبيها على
ان السبب الحقيقي هو المشية من حيث انها سبب للافعال الموجبة لرفع الدرجة وان الافعال
المذكورة وسايط في حصول الرفع فكان يصح تعليق الرفع بالوسايط المعتبرة فيه بصح تعليقه
بالمشية التي هي السبب لتلك الوسايط والافعال والحاصل ان قوله تو لرفعناه بها يدل على ان
سبب رفع درجة العبد هو التمسك بالآيات والعمل بمقتضاها الا انه تو جعل المشية لرفعها
علقه بها تنبيها على ان السبب الحقيقي لرفعها هو المشية فانه ها اذا شاء ان يرفع درجة العبد
في الآخرة يوفقه للتمسك بالآيات والعمل بمقتضاها فيدخله الجنة بسبب اعماله المسببة عن
المشية فالسبب الحقيقي لرفع الدرجة هو المشية وان الاعمال اسباب ظاهرة وكان
المناسب لجعل المشية سببا لرفع الدرجة ان يستدرك بها بان يقال لكنا لم نشاء ذلك
فكان من المخاطبين درجة على طريق الاستثناء تنبيض المقدم لينتج نقيض التالي الا انه استغني

الس

السبب الظاهر تو وهو فعل العبد وقيل لكنه اخلد الى الارض لكونه في قوة ان يقال لكنه لم يتمسك
الآيات والدلايل ولم يعمل بمقتضاها بل اتبع هواه بناء على ان انتفاء فعل العبد وارتفاعه
يستلزم انتفاء سببه الذي هو المشية فكان قوله لكنه اخلد الى الارض في قوة ان يقال
لكنا لم نشاء رفع درجته وكان ابلغ منه لان الاخلاد الى الارض كناية عن ملازمة الآيات
والعمل بمقتضاها والكناية ابلغ من التصريح فحصول الآية انا لو شئنا رفع درجته
لرفعناه للعمل بمقتضى الآيات ورفعنا درجته بتلك الاعمال ولكنا لم نشاء منه ذلك
فهي تدل على ان الكائنات باسرها من الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها بمشية الله
تعالى وهذه الآية من اشد الآيات على المعتزلة بعد ان حقق هذا الرجل بتعليم
اياته وتفهيم ما لم يهتدوا بنور الفضائل وعلم الاسم الاعظم وحصه بالدعوات المستجابات
لما اتبع الهوى انسلخ من الدين وصار في درجة الكلب وان ذلك على ان من كانت نعم الله تعالى
اكثر اذا اعرض عن متابعة الهدى واتبع الهوى كان بعين من الله بها اعظم والى اشار
عز بقوله من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عم ما ذئبان جائعان
ارسلا في غنم باسرع فسادا لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه قيل كان سبب انسلاخه
عنها طاعنة بانخسافها من حرص المرء على المال لامرأته واخذ للطعام من اهل زمانه ولانه
اخر العالم منها قبل كان لبلعم امرأة بحبها ويطيعها بجمع قومه هدايا عظيمة فاتوا بها اليها
وقبلتها فقالوا لها قد نزل بنا ماتزبن فكلمي بلعم في هذا فقالت لبلعم ان لهؤلاء القوم
وجوارا علينا وليس منكم نخذله جيرانه عند الشدايد وقد كانوا محسنين الينا
وانت جدير ان تكافئهم وتهتم بامرهم فقال لها لولا انى اعلم ان هذا الامر من عند الله
لاجبتهم فلم تزل به حتى صرفته عن رأيه فدعا عليهم وروي انه لما انتضت من البيته
اقبل موسى وقومه وحاربوا اهل تلك البلدة وغلبوهم وقتلوا منهم واسروا واتوا
ببلعم اسيرا فقتل وجاوا بما قبل من العطايا وهي عشر صحاف ذهبا مملوة ورقا وغنموها
ثم انه تعالى ضرب له مثلا فقال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث
وذلك ان بلعام زجر ونهى عن الدعاء على موسى حتى خاطبته اتانه التي كان يركبها وذلك
ان امرأته لما فتنته ركب حمارها وتوجه الى جبل مشرف على بني اسرائيل ليطلع عليه فيدعو
على بني اسرائيل فلما سار غير بعيد وقف الاتان ولم تسعف عن المسير فنزل عنها فضربها فقامت

مطلب
اطاعة بلعم للامرأة

فلم تسهر الا قليلا حتى سقطت على جنبها فعمل كما فعل اولا فقامت فلم تسهر الا قليلا حتى سقطت
فطرحها فاذن لها حتى كلمته فقالت يا بلعم اني مأمونة عما فعلت فلا تظلمني انظر الى ما بين يديك
الا ترى ان الملائكة امامي بردة تنبئ عن وجهي هذا تقولون انذهبين الى نبي الله تعالى
والمؤمنين يدعوا عليهم بلعم فخلا سبيلها ثم انطلق راجلا حتى اشرف راس جبل مشرف
على اسرائيل فجعل يدعو عليهم فلما لم ينطلق جرجر لحاره وماسع منها من حبس الملائكة آياها
قال تعالى في حقه فمثله كمثل الكلب فكان الكلب يلهث دايما طردته او خليته على حاله فكذا
هذا الكافر ان زجرته لم ينزجر وان تركته لم يهتد فالحاصل ان عنى سواء كما في الكلب
فانه لضعف قلبه وشدة حرارته دائم اللهث بخلاف سائر الحيوانات فانه يلهث عند
تحمل المشقة العظيمة كالاعياء والعطش الغالب واما الكلب فانه يلهث في حالتي الراحة والكلال
قوله واللهث ادلاع اللسان اي اخراجه يقال دلع الرجل لسانه فاندلع اي اخرجه فخرج
ودلع لسانه ابرخرج بتعدي ولا يتعدي وهو بالدال المهملة قوله والتمثيل واقع موقع
لازم التركيب يعني ان قوله تعالى فمثله كمثل الكلب واقع موقع قوله فحططناه ابلغ حطا ورفعنا
منزلته التي هو لازم لمدلول قوله ولكنه اخلد الى الارض فانه بمنزلة استثناء نقيض المقدم
ليثبت لازمه الذي هو انتفاء التالي فان انتفاء الملزوم يستلزم انتفاء لازمه ملازم
التركيب هو قولنا فلم نرفع درجته ومنزلته اقيم مقامه قوله فمثله كمثل الكلب للمبالغة
في بيان حط منزلته فان في تمثيله بالكلب حطا لمنزلته وفي تمثيله به في اخس احواله
زيادة حط لها مع ان تصوير المعقول بصورة المحسوس ابلغ في بيانه فقيل وجه
التمثيل ان كل شيء يلهث فانما يلهث من اعياء او عطش وضعف غالب الا الكلب
الاهث فانه يلهث في كل واحد من حالتي الاعياء والراحة وحالتي العطش والري
فان ذلك عادة له وطبيعة اصلية وهو يواظب عليه لطبيعة الخسة لا لاجل حاجة ضرورية
تدعوه اليه فكذلك من اتاه الله العلم والدين واغناه عن التعرض لاوساخ اموال الناس
ثم مال الى طلب الدنيا والتي نفسه فيها كان حاله كحال ذلك اللاهث حيث نصف بالحالة
الخسيسة من غير حاجة تدعوه اليه فكيف اذا دعته اليه حاجة فكان كالكلب اللاهث
بكل حال ثم انه لما مثل هذا الكافر المنسلخ عن ايات الله المعوض عن العمل بمقتضاها
بالكلب اللاهث في كل حال عمم بهذا التمثيل جميع من يكذب بايات الله فقال ذلك مثل القوم

الذين

الذين كذبوا بايات الله على ان ذلك اشارة الى ما وصف به الكلب اي ذلك المثل
الذي وصف به الكلب مثل كل مكذب لآيات الله فان من كذب بايات الله الواضحة
الدلالة من غير ضرورة تدعوه الى التكذيب يكون التكذيب لازمة له لزوم
اللهث للكلب قوله فاقتص نحو قصصهم اي قصة بلعم نحو قصة اليهود فان بلعم
بعد ما اوتي ايات الله تعالى انسلخ منها ومال الى الدنيا حتى صار كالكلب كذلك
اليهود بعد ما اوتوا التوراة المشتملة على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر القرآن المجيد وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به
انسلخوا عما اعتقدوا في حقه وكذبوه وحرفوا اسمه ونعته فليحذر وا اعمالا توجب
حال بلعم قوله اي مثل القوم الذين بمعنى ان ساء من افعال الذم بمعنى بئس فلا بد له
من فاعل ظاهر معرف باللام او مضاف الى المعرف باللام او مضمر ممتاز بنكرة منصوبة
كما في هذه الاية والا بد ان يذكر بعد المخصوص والمذكور بعد الممتاز في الآية وهو
القوم لا يصح ان يكون مخصوصا بالذم لما تقرر من ان الفاعل وميز المخصوص لا بد ان
يكون عبارة عن شيء واحد هنا غير متحد مع الفاعل وميز صدقا فلذلك قدر
مضافا محذوفا من المخصوص وجعل تقدير الكلام ساء مثلا مثل القوم حذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه وفرق ساء مثل القوم باسناد الفعل الى فاعله الظاهر
المضاف الى المعرف باللام وحذف المخصوص بالذم كما حذف المخصوص بالمدح في قوله
تعالى فنعم الماهدون للعلم بان ساء مثل القوم مثلهم وملوكونهم كالكلب الذي
يلهث دايما فعلا هذين القراءة يكون قوله الذين كذبوا بايات نا في محل الرفع على انه المخصوص
بالذم فلا بد من حذف مضاف ليتصادق الفاعل والمخصوص على شيء واحد والتقدير
ساء مثل القوم مثل الذين اي صفتهم العجيبة وهي تكذيبهم بايات واعراضهم عنها
بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها قوله اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا
والاحسن ان يكون منقطعا عن الصلة ويكون اعتراضا وارد البيان حالهم وهي انهم
ما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم لان وبال لا يتعدى الا اليها ولا فادة هذا التخصيص
قدم المفعول ثم انه تعالى لما وصف الضالين وعرف حالهم بالمثل المذكور بين بقوله من يهد
الله فهو المهتدي الاية ان كل واحد من الهدى والضلال من الله تعالى وان هدايته تختص

ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء ولما كانت هذه التصريحات مخالفة
لما تشتهيه انفس المعتزلة اضطربوا وذكروا في تاويل الآية وجوها كثيرة منها ما ذكره
الجبائي وارتضاه القاضي عبد الجبار وهو ان المراد من يهديه الله الى الجنة وثواب
الآخرة فهو المهتدي في الدنيا السالك طريق الرشد فيما كلف به فيقول تعالى انه
لا يهدي الى الثواب في الآخرة الا من هذه صفته ومن يضلله عن طريق الجنة فاولئك
هم الخاسرون وهو ضعيف لانه قد جعل قوله من يهد الله عبارة عن الهداية في الآخرة الى الجنة
وقوله فهو المهتدي عبارة عن الاهتداء الى الحق في الدنيا وذلك يوجب الركاكة في النظم
بل يجب ان يكون الهداية والاهتداء راجعين الى شيء واحد ليحسن انتظام
الكلام **قوله** والافراد في الاول اي افراد ضمير من في قوله ثم فهو المهتدي وجمعه
في قوله فاولئك هم الخاسرون لاعتبار جانب اللفظ في الاول وجانب المعنى في الثاني
تنبيه على ما ذكر من المهتدين كنفس واحدة لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين فان لهم
طرقا لا تنحصر فكل من آثر طريقا من تلك الطرق المختلفة فهو طائفة مستقلة مغايرة
لمن آثر سائر الطرق فلذلك جمع لفظ الخاسرين ووحد لفظ المهتدي فان المهتدين
وان تعددوا اشخاصهم فهم طائفة واحدة نظرا الى اتحاد طريقهم **قوله** والاقتصار في
الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي يعني انه تعالى اقتصر في الاخبار عنه على لفظ مطاوع
هداه فقال فهو المهتدي ولم يصفه بوصف زائد على الاهتداء اللازم لهدايته تعالى
بخلاف الاخبار عمن اضله الله ثم فانه لم يقتصر فيه على لفظ مطاوع الاضلال بل لم يذكر
مطاوعه وذكر بدله الخاسرين تعظيما لشان الاهتداء وتنبيها على انه في نفسه كمال
تام مستلزم للاتصاف بجميع ما يمدح به من صفات الكمال وان المدح بجميع صفات الكمال
ثم انه بعد ما بين ان المهتدي انما هو من هداه الله وان المصنف بكمال الخسران هو من
اضله الله عن الصراط المستقيم بين ايضا انه خلق كثيرا من الجن والانس ليصير من
اهل النار على ان اللام في قوله لجهنم لام العاقبة كما في قوله لدوا للموت وابنوا
للخراب فان من علم الله تعالى منه انه يصر على الكفر والضلال باختياره فهو من اهل
النار ثم وصفهم بانهم يضيعون مشاعرهم او انهم لا يستعملونها فيما خلقت لاجله
فلا يلتفتون فيها منهم الى النظر في الدلايل الدالة على ما هو الحق في باب الاعتقاد والعمل

ولا اذهانهم

ولا اذهانهم الى طلب الحق ومعرفته وكذا لا ينظرون باعينهم الى الآيات المودعة في الآفاق
والانفس نظر اعتبار واستدلال ولا يصغون الى ما يتلى عليهم من آيات الله تعالى
ومواعظه ولا يسمعونها سماع تدبر وتامل فصاروا كانهم لا ادراك لقلوبهم
ومشاعرهم حيث لم يستعملوها فيما خلقت لاجله فصاروا كالانعام والبهايم
في خلوهم عن الادراك والتمييز بل كانوا اضل عن الطريق المستقيم منها لانها مع كونها
عديمة العقل والتمييز تجتنب عما يضرها والكفار لا يجتنبون مضارهم بل يقفون
على الكفر مع علمهم بانه يوردهم النار ولانهم يضلون ويضلون غيرهم والانعام
لا تضل غيرها ولانها لا يهتدون وان هدوا والانعام تهتدي اذا هديت اولئك
هم الكاملون في الغفلة عن امر الآخرة وما اعد فيها للعصاة ولعل المقصود من
هذه الاوصاف بعد الاخبار بانهم خلقوا لجهنم بيان استحقاقهم للتعذيب
بها من حيث انهم كلفوا بالتفكر فيما نصب من دلايل عظمة الله تعالى وان يعرفوا ويجب
طاعته بامتثال اوامره واجتناب نواهيه ولم يخرجوا عن عهدة التكليف وضيعوا
ما كلفوا به فلا جرم كان عاقبة امرهم ان يعذبوا بالنار والعياذ بالله ثم انه تعالى لما وصف
من خلقهم لجهنم بقوله اولئك هم الغافلون بين بعده ان له الاسماء الحسنى وامر عباده
ان يدعوه بها اي يعظموه بذكرها مثل ان يقولوا يا الله يا رحمن يا رحيم يا كريم ونبه به
على ان الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكر الله وان المخلص من عذاب جهنم
هو ذكر الله تعالى بصفات فضله وجماله وبصفات قهره وجلاله وارباب الذوق والمشاهدة
يجدون ان الامر كذلك فان القلب اذا غفل عن ذكر الله واقبل على عمارة الدنيا
وشهواتها وقع في نار الحرص وزمهرير البعد والحجاب واذا انفتح على قلبه باب ذكر الله
تعالى ومعرفته تخلص عن نيران البعد وحسرات الخسران الا بذكر الله تطمئن **قوله** والمراد
بها الالفاظ اي الالفاظ الدالة على ذات الباري من حيث اتصافه بصفة كما ورد
في الحديث من انه تعالى تسعة وتسعون اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة وهي
هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس الى آخرها وقيل المراد بها
الصفات فان لفظ الاسم قد يطلق على ما يسمو به الذات من صفاتها العظام ويقال
طار اسمه في الآفاق اي انتشر صفته ونعته فكانه قيل ولله الاوصاف الحسنى مثل

مثل كونه عالما بعلم قديم وقادرا بحاكل شئ وخالقا لكل شئ ومريدا لكل كائن وغير ذلك
في قوله فادعوه بها تنبيه على ان اسمائه تعالى توقيفية لا اصلاحية وانه لا يجوز ان يطلق
عليه تعالى الا ما ورد في الشرع اطلاقه عليه فيجوز ان يقال له يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي
ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا فقيه يا طبيب **قوله** واتركوا تسمية الزائغين
في اسمائه قدر المضاف الى الموصول اذ لا معنى لترك نفس الملحدين فيها وفسر الالحاد
بالزيغ لان الالحاد عندا هل اللغة عبارة عن الميل عن القصد ولذلك قيل للملحد
العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه وطريق الالحاد في اسمائه تعالى اما تسمية عالم
يسم به نفسه ولم ينطق به كتاب سماوي ولا ورد فيه توقيف نبوي او عايوهم معنى
فاسدا وان كان له محل صحيح شرعا فان بالمكارم وان كان عبارة عن المنجمع
لصفات الكمال الا انه يوهم معنى لا يليق في شانه تو وكذا ابيض الوجه وان كان عبارة
عن تقدس ذاته عن التغايض المكدرة الا انه يوهم معنى فاسدا مع ان تسميته تعالى
بها تسمية بما لا توقيف فيه **قوله** اولا تتبعوا عطف على قوله واتركوا تسمية الزائغين
فان العدول عن الحق قد يكون بتسميته بما لا توقيف فيه وقد يكون بانكار تسميته
بما سمى به نفسه فانه روي ان رجلا من الصحابة دعا الله تعالى في صلوته يا اسم الله يا بالله
الرحمن فقال رجل من المشركين اليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون ربا واحدا فما
بال هذا الرجل يدعو ربين اثنين فانزل الله تعالى هذه الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ادعوا الله او ادعوا الرحمن دعا لانوف المشركين فان تعدد الاسم لا يستلزم تعدد
المسمى وقوله او ذروهم الخ ادهم فيها عطف عليه ايضا والفرق بينهما انه ليس في هذا
التاويل تقدير المضاف بنا على ان ترك الموصوف من حيث انه موصوف عبارة عن ترك
وصفته فان المشركين كانوا يلحدون في اسمائه تو عن الحق بالطلاقهم على الاصنام
بالا يديد وافيها وينقصوا منها كاشتقاقهم اللات من لفظة الله والعزى من العزيز
ومناة من المنان فانه نوع من الالحاد فيها فنهاهم الله تو عنه ويحتمل ان يكون المراد بتركهم
الاعراض عنهم وعدم المبالغة لمجازاتهم بقرينة قوله سيجزون بما كانوا يعملون او سيجزون
في الآخرة بجزاء عملهم **قوله** سنستدنيهم الاستدناء الاستفعال من الدنو وهو القرب اي
سنقربهم لا الى الهلاك على التدريج وكتمان وخفية وقيل الاستدراج ايساع البر وانساء الشكر

قال ع م

قال ع م اذا رأيت الله تعالى انعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج ثم تلى
هذه الآية والاستصعاد هو النقل من سفل الى علو والاستنزال هو النقل من علو الى
سفل درجة درجة والاملاء اطالة مدة احد بانائه على ما هو عليه وعدم الاستعجال بنى
مواخذته والكيد الاخذ بخفية ثم انه تو لما بين ان كيده متين في حق المكذبين لا يانه حثهم
على التفكر في امر رسوله صلى الله عليه وسلم ليعلموا انه انما بعث لينذر العصاة عن مخالفة
الله تو وتكذيب آياته ويامر المتعلمين بان يعبدوا الها واحدا منزها عن الشركاء والانداد
ثم حثهم على النظر المؤدي الى العلم بعظمة الله تعالى وكمال قدرته وسعة ملكه ليظهر لهم
انه يجب ابتغاء مرضاته واحتراز عن مخالفته وعصيانه والملكوت من الملك كالرهبوت
من الرهب يقال له ملكوت العراق اي الملك الاعظم المتعلق به كانه قيل اولم ينظروا في
السموات والارض وغيرهما الدالة عظمة ملك الله تعالى وقدرته فيعلموا انه لم يخلقها عبثا
ولا يترك عباده سدى **قوله** فخذا فخذا اي قوما قوما وقبيلة قبيلة وكان عدد كثيرا
ما يحذر قريشا عقوبة الله تو ووقايعه النازلة في الامم السابقة فقام ليلا على الصفا وجعل
يدعو قريشا فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان الى الصباح فقال قائلهم ان صاحبكم هذا
المجنون بات يصوت الى الصباح فنزلت الآية والجنة هنا نوع من الجنون كالجلسة
والنقلة ودخول من قوله من جنة بدل اشتمال كانه ليس بنوع من انواع الجنون **قوله** وان مصدرية
او مخففة الظاهر انها المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان واسم يكون ايضا
ضمير الشان وعسى وما في حيزها في محل الرفع على انه خبر ان المخففة والمعنى وان ان الشان
قد اقترب اجلهم ومن بتوقع اقتراب اجله كيف يصح له ان لا يتسارع الى طلب الحق وتحصيل
وتخليص نفسه من العذاب المعد للعصاة قبل مفاجاة الموت ونزول بغتة يقال
عاجلت الرجل اذا اخذته على غرة وجعلها مصدرية مخالف لما نص عليه النحاة من ان المصدرية
لا توصل بالفعل الذي لا يتصرف وعسى لا يتصرف فلا يقع صلة لان المصدرية وكون اسم يكون
ضمير الشان يستلزم ان يكرر تقدير الشان في الاية يكون التقدير اولم ينظروا في ان
الشان عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم وفيه نوع بعد والاولى ان يجعل قوله يكون
وقترب متنازعين في فاعلية اجلهم ويعمل الثاني على راي البصريين ويضمر فاعل الاول ويمكن
ان يقال ريح التكرار المذكور على التزام الاضمار قبل الذكر فانه لا يصار اليه الا عن ضرورة

والباء في قوله فبأي متعلقة بيؤمنون وهي جملة استئنافية سيقت للتعجيب من تصميمهم
على الكفر بعد الرام الحجة عليهم فان ملكه الله تعالى وسلطانه في السموات والارض وفي كل
ما يسمى شيئا حجة واضحة دالة على الوهيته ووجوب الايمان به وقبول جميع ما جاء من
عنده فلما ارشدهم الله تعالى الى النظر في ذلك الحجج والزمها عليهم عجب من سمع حالهم
من تصميمهم على الكفر وكونهم مطبوعا على قلوبهم ومشاعرهم حيث لم يؤمنوا بهذا
القرآن البالغ في حسن التقرير والبيان الى اقصى ما يتصور فعلى هذا يكون قوله تعالى
فبأي حديث بعده يؤمنون متعلقا بتوبيخ قريش على تركهم النظر فيما يدل على صدقه ثم
وصحة ما يدعوهم اليه من توحيد صانع العالم وعظم شانه وكمال قدرته ليطمئن قلوبهم
على التصديق بنبوته فان النظر في امر النبوة متفرع على النظر في دلايل التوحيد ونبوت
الصانع الحكيم القادر على ما يشاء والمراد من التعلق في قوله وقبيل هو متعلق بقوله
عسى التعلق المعنوي بمعنى ارتباط الكلام بما قبله لا التعلق الصناعي ولم يرض بهذا
القول بناء على ان الاولى ان يكون متعلقا بالتوبيخ المستفاد من مجموع قوله اولم ينظروا
في ملكوت السموات الخ قوله كالتقرير والتعليل له اي للتطبيع والتصميم على الكفر فانه تعالى
لما وبخهم بتصميمهم على الكفر وعنادهم في الضلال بين سبب اعراضهم عن الايمان
وعنادهم في الكفر والعصيان فقال من يضلل الله فلا هادي له وهذا صريح في ان الهدى
والضلال من الله تعالى وانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولا يجب عليه تعالى الا ما يشاء
قرأ حمزة والكسائي وبذرهم بياء الغيبة وجزم الفعل وقرأ عاصم وابو عمرو بالياء
ورفع الفعل ونافع وابن كثير وابن عامر بالنون ورفع الفعل ايضا ووجه القراءة بياء
الغيبة اسناد الفعل الى الاسم الظاهر وهو اسم الله تعالى ووجه القراءة بنون المتكلم
الالتفات من الغيبة الى التكلم تعظيما للفعل ووجه القراءة برفع الفعل الاستيناف اي
وهو يذرهم او ونحن نذرهم على حسب القراءتين ووجه جزمه العطف على محل قوله
فلا هادي له لان الجملة المنفية جواب الشرط فهي في محل الجزم فعطف على محلها والعمه التردد
والحيرة فهو للقلب بمنزلة العمى بالنسبة الى الباصرة ثم انه تعالى لما حثهم على الايمان والتوبة
بقوله وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم تحذيرا لهم مفاجئة الموت قبل الايمان والتوبة
سأل جماعة من اليهود وقيل من قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تقوم الساعة بيان

لنا وقت

لنا وقت قيامها ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي سألوا اليهود عن ذلك بمكة بانه لا يعلم
وقت قيامها الا علام الغيوب امتحانا منهم فنزل قوله تعالى يسألونك عن الساعة ايان
مرساها اي متى يرسيها الله وايان بمعنى متى والمرسى مصدر ميمي بمعنى الارساء وهو الاثبات
يقال رسى الشيء يرسو رسوا اي ثبت وارساه غيره ارساء ومرسى رست السفينة
وارسيتها انا قال تعالى والجبال ارسيها ولما كان اثقل الاشياء على الخلق هو الساعة
سمى الله تعالى وقوعها وثبوتها بالارساء قوله لا يظهر امرها اشارة الى ان المتبادر من
الشيء والتجلي ظهوره وقدر المضاف في قوله لا يجليها لانه تعالى قد كشف واظهر نفس قيام
الساعة بدلايل قطعية ونصوص متعاضدة وليس المنفي الا اظهار امرها في حينها
وتعيينه والمعنى انه تعالى يخفيها اخفاء مستمرا الى وقت وقوعها ولا يظهرها الا في ذلك
الوقت الذي وقت فيه بغتة بنفس الوقوع لا بالاخبار عنها لكون اخفائها ادعى الى
الطاعة وانهى عن المعصية كاخفاء الاجل الخاص الذي هو وقت الموت كتم الله تعالى
وقت قيام الساعة عن الخلق ليصير المكلف مسارعا الى التوبة والطاعة في جميع الاوقات
فانه لو علم وقت قيامها لتقاصر الخلق عنها واخرها وكذلك اخفى ليلة القدر ليجتهد المكلف
في العبادة في ليالي الشهر كلها واخفى ساعة الاجابة من يوم الجمعة ليكون المكلف مجوزا ان الدعاء
في جميع ساعاتها والساعة من الاسماء الغالبة في القيمة كالنجم في الثريا وسميت القيمة بالساعة لوقوعها
بغتة ولكون الحساب الواقع فيها يتم وينقضي في ساعة بسيطة لانه تعالى لا يشغله
شان عن شان او لانها على طولها عند الله كساعة من الساعات عند الخلق واصلها ساعة
قيام الناس من الاحداث فلما غلبت تعينت فاستغنت عن الاضافة والاشتقاق
ايان من اتى اصله ايتان فركبت كبعلبك فصار ايان ومعناه اتى وقت واتى فعل
فان لفظة اتى اسم معرب يستفهم به في الاكثر وقد تكون شرطية جازمة لفعلين نحو ايتهم
يكرمني اكرمه وايان في الآية خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر وهذه الجملة في محل
النصب على انها بدل من الساعة بدل الاشتمال والظاهر كونها في محل الجر لكونها
بدلا من المجرور بعن الا انه في الحقيقة بدل من موضعه عن الساعة وهو في محل النصب
لان موضع المجرور النصب واصل اتى اوى لانه مصدر اويت اليه فيكون ايان فعلان
من اوى كعطشان من عطش عبر عن الوقت المستفهم عنه بان وايان لكونه واحدا من متعدد

وبعضها منه والبعض آخر لا الكل قوله عظمت على اهلها استئناف الى ان المراد بثقل الساعة
في السموات والارض ثقلها بالنسبة الى اهلها وان كلة في بمعنى على كما في قوله ولاصلبنكم
في جذوع النخل والمعنى انها عظمت على اهلها لخوفهم من شدايدها وما فيها من الاهوال ومن جملة
اهوالها فناء السموات والارض وهلاكهم وذلك ثقيل على القلوب وقيل المراد
ثقلها بالنسبة الى نفس السموات والارض من حيث انها لا تطيقان مجيء الساعة لما فيها
من تشقق السماء ونكور الشمس والقمر وانتشار النجوم وتزلزل الارض ورجفانها
وتبدلها غير الارض المعهودة وبطلان الجبال والبحار قوله حتى كفيل من حفي عن الشيء اذا
سأل عنه اي اذا بالغ في السؤال عنه فان التركيب يفيد المبالغة والاستقصاء في الفعل
ومنه احفاء الشارب واحفاء البقل استيصاله يقال احفى في المسئلة اذا الحف وألح
ومن استقصى في تعلم الشيء وبالغ في السؤال عنه لزمه ان يستحكم علمه به ويعلم ما فيه
ما يمكن ويكون ماهرا في العلم به فلذلك كني بقوله تعالى كانك حفي عنها عن كونه عالما بها
باقصى ما يمكن ولما ورد ان يقال لو كان للحفي بمعنى العالم لوجب ان يعدى بالباء فكيف
قيل حفي عنها اجاب عنه بان للحفاوة لما كان اصل معناه الاستقصاء في السؤال كان
قوله حفي عنها متضمنا معنى بليغ في السؤال عنها حتى احكمت علمها فلذلك عدي بكلمة عن
قوله وقيل ان قيل وجه تعدية بكلمة عن ان قوله عنها ليست متعلقة بقوله حفي حتى
يرد الاشكال بل هي متعلقة بقوله يسألونك وقوله كانك حفي معترض بينهما وصلة
حفي محذوفة وتقدير الكلام يسألونك عنها كانك حفي بها قوله وقيل هو من الحفاوة
بمعنى الشفقة عطف على قوله عالم بها يعني صلة ان قوله تعالى كانك حفي عنها ليس كناية عن كونه
عالما بها علما متقنا بل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا ان بيننا وبينك
قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل له يسألونك عنها كانك حفي مشفق تتحفى بهم للقرابة
فتخصهم بتعليم وقتها ولو علمت وقتها لبلغت ذلك كل احد من غير تخصيص بعض
دون بعض كسائر الوحي قال الجوهري حفيت به بالكسر حفاوة وتحفيت به اي بالغت
في الطافه واكرامه ومنه قوله تعالى انه كان لي حفيا اي بارا لطيفا يجيب دعائي وقيل
هو فعيل من قولهم حفيت به حفاوة وتحفيت تحفيا اي فرحت به وبششت فالمعنى
يسألونك كانك حفي تبشش وتفرح بالسؤال عنها والحال انك تكره السؤال عنها لانه من علم

الغيب الذي استاثر الله به ولم يؤثر احدا من خلقه فقوله كانك حفي عنها على جميع هذه الوجوه
المذكورة في محل النصب على انه حال من مفعول يسألونك اي يسألونك مشبها حالك
بحال الحفي نظرا الى زعمهم واعتقادهم قوله لما ثبط به علة لتكرير يسألونك قوله
للمبالغة اي في انكار سؤالهم علة لزيادة قوله كانك حفي عنها وتكرير اللفظ لغاية زائدة
ليس بتكرير في الحقيقة قوله وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب
فانه عم لما سئل عن تعيين وقت قيام الساعة امر بان يجيبهم بان علم وقت قيامها مما
استاثر الله تعالى به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وبان يظهر لهم كمال العبودية
والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب فان من لا يعلم ان نفعه في ان الاشياء ومقدرة
في ابانها كيف يعلم وقت قيام الساعة ونظيره قوله تعالى في سورة يونس يقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله وخلاصة الجواب
انه انما يعلم الغيب من وقت قيام الساعة وغيره من يملك النفع والضر على الاطلاق وهو
الله تعالى وانا لا املك من الامرين الا ما ملكني الله تعالى منهما فكيف يتوهم في حتى ان اعلم
الغيب واخبر به روي انه عم لما رجع من غزوة بني المصطلق جاءت ريح في الطريق تقرب
الرواحل منها فاخبر عم بموت رفاعة بالمدينة وكان فيه غيظ المنافقين وقال عم بعد
انظروا اين ناقتي فقال عبد الله بن ابي بن سلول رئيس المنافقين الا تعجبون من هذا
الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا يعرف اين ناقته فقال عم ان ناسا من المنافقين
قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال
فانزل الله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا واحتج عليه السلام على عدم علمه بالغيب بقوله
ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير اي لجعلته كثيرا على ان يكون بناء استفعل للتعدية
كما في نحو استزله قوله لما لفت حالا ما هي عليه من استكثار المنافع تركيب دكيك لان
المتبادر منه ان يكون كلمة من بيانية لما في كلمة ما من الابهام ولا وجه له والعبارة الظاهرة
ان يقال لو كنت اعلم لما كانت حالي على ما هي عليه من الفقر والضر ولاستكثرت من الاعمال
والمنافع وما مستني السوء من كثير العدو وغيره ثم انه تعالى لما ذكر امر المعاد وانه لا يعلم
ساعة ظهوره الا هو عقبه بذكر التوحيد وابطال الشرك فقال هو الذي خلقكم
من نفس واحدة قوله وانما ذكر الضمير اي الضمير المستتر في قوله ليسكن اليها مع رجوعه الى النفس

وهي مؤنث بدليل انه تعالى وصفها بقوله واحدة وانث الضمير الراجع اليها حيث قال
وجعل منها زوجها ذهابا الى المعنى المراد بالنفس فان المراد بها آدم عليه السلام ثم بين
ما يرجح الذهاب الى المعنى فقال ليناسب فلما تغشاها في تذكير الضمير حيث لم يقل
فلما تغشيها ولما كان التغشي كناية عن الجماع كان المناسب ان يسند فعل التغشي
الى المذكر فلذلك قيل تغشاها باسناد الفعل الى ضمير المذكر واسند فعل السكون
ايضا الى ضمير المذكر ليناسب ما بعده واصل التغشية التغطية كني به عن الجماع
والمناسب ان يسند كل واحد من فعلي السكون والتغشي الى المذكر انسب بالانثى
واميل اليها وانه هو الذي يغطي المرأة ويستر هاحال الوقايع لاستعلائه عليها
والمشهور ان الحمل بالفتح ما كان في البطن او على الرأس الشجر وبالكسر ما كان على
ظهر انسان او على الدابة وحمل في الآية يجوز ان يراد به المصدر وينتصب انتصابه
وان يراد به نفس الجنين وهو الظاهر فينتصب انتصاب المفعول به كقولك
حملت زيدا **قوله** فاستمرت به وقامت وقعدت اي بسهولة من غير تعب يعني
ان قوله مرت من المرور بمعنى الذهاب والمضي لا من المرور بمعنى الاجتياز والوصول
وان مر واستمر بمعنى واحد على ان السين فيه للطلب التقديري كما في استخرجته الجوهري
مر عليه وبه يمر مرا اي اجتاز ومر يمر ومرورا اي ذهب واستمر مثله **قوله** وقرأ
قرت خفيف الراء وفيها وجهان احدهما ان اصله التشديد ولكنهم كرهوا التضعيف
في حرف مكرر فخركوه وهذه كقراءة وقرن بفتح القاف اذا جعلناه من القرار والثاني
انه من المرية وهي الشك اي فشكت بسببه اهو حمل ام مرض وقرئ فاستمرت وقد
ذكرمعناه وقرئ ايضا فمارت بالف بعد الميم وتخفيف الراء من ماريمور اي جاء وذهب
وتصرف في كل وجه اصله مورت قلبت الواو الفا فصار مارت فوزنه فعلت ويجوز
ان يكون وزنه فاعلت ويكون اصله ماريت من المرية وهو الشك قلبت الياء
الفا ثم حذفت الالف لالتقاء الساكنين والمعنى فشكت بسببه هل ان فاعل بعض
فعل ومتعلق الدعاء في قوله دعوا الله محذوف لدلالة الجملة القسمية عليه اي
دعواه في ان يؤتيهما ولدا صالحا اي سوي الاعضاء او صالحا في امر الدين والجملة
القسمية مع جوابها محكية بقول مضمر تقديره فقالا لئن آتيتنا صالحا اي ولدا صالحا

ويحتمل

ويحتمل ان جملة مستأنفة جوابا لمن قال فما كان دعاؤهما فاجيب بان يقال دعاؤهما
لئن اتيتنا ووجه دعائهما بذلك ان آدم راى حين اخذ الميثاق على ذريته ان منهم
سوي الاعضاء وغير السوي وان منهم الثقي وغير الثقي فسألا ان يكون هذا الولد
سوي الاعضاء اوتقيا نقيا عن المعصية **قوله** اي جعل اولادهما له شركاء فيما اتى
اولادهما قدر المضاف وهو اولاد في موضعين مرفوعا في الاول ومنصوبا في الثاني
والتقدير جعل اولادهما لله شركاء فيما آتى اولادهما فعاد الاشكال الوارد على
ظاهر الآية فانه نسب النفس الواحدة بنفس آدم وفسر زوجها بحوا عليهما السلام فلو
لم يقدر المضاف للزم نسبتهما الى الشرك وهما بريئان منه بالاتفاق فقدر المضاف
لدفع هذا الاشكال فيكون اول الآية الوارد في حق آدم وحوا عليهما السلام كالكلام
المعترض بين الكلام الوارد في شرح احوال المشركين حكى الله تعالى للمشركين ان آدم
وحوا لما اثقلت دعا آدم وحواء ربهما لئن اعطيتنا ولدا صالحا ليشكرن كل على
هذه النعمة العظمى فلما اعطاهما صالحا شكرا لانها ليساكيث يعدان من انفسهما
بذلك ثم لا يفعلان ذلك وتم الكلام ثم شرع في توبيخ المشركين بقوله فلما اتاهما
صالحا سوي الاعضاء جعل هذان الابوان لله شركا فيما اعطاهما بان سميا اولادهما
بعبد العزى وعبد مناف ونحو ذلك وسجدا للاصنام شكرا على هذه النعمة وعلى
هذا التقدير قدر المضاف في ثلاث مواضع وهي فلما اتاهما وجعلا وفيما اتاهما
وهو احسن من تقدير المصنف فانه لم يتعرض لتقدير في قوله تعالى فلما آتاهما ولا وجه
له لانه لو ابقي على ظاهره لكان المعنى فلما اعطى الله تعالى آدم وحوا ولدا صالحا جعل اولادهما
لله شركاء فيما اتاهم الله تعالى من الولد السوي ولا وجه لهذا المعنى لان الاولاد لم
يجعلوا لله شركاء فيما اعطى لهم حين اعطى الله تعالى آدم وحوا ولدا سويا وانما جعلوا
بعد ان اعطى الله تعالى اياهما ذلك الولد بازمنة متطاولة الا ان يقال كلمة لما ليست
للزمان الضيق الذي وقع فيه الاتيان المذكور بل هي للزمان الممتد فلا يلزم ان يقع
مضمون الشرط والجزاء في ذلك الزمان الضعيف كما في قولك لما ظهر الاسلام فلا ظهرت
البلاد من دنس الشرك والالحاد فانها انما ظهرت بعد ظهور بازمنة ممتدة وسنين
متكثرة **قوله** ويدل عليه اي على حذف المضاف قوله فتعالى الله عما يشركون فانه يدل

على ان الذين اتوا بهذا الشرك جماعة دون آدم وحوا وقوله تو بعد ايشركون
مالا يخلق شيئا، فان المقصود منه الرد على من جعل الاصنام شركاء الله وهذا المقصود
انما يتم بان يكون الكلام وارد افي حق المشركين وان يقدر المضاف في الموضع المذكورة
قوله فاعطاهما اربعة بنين اضاف اثنين منهم الى صنمية مناف وشمس واضاف
واحدا منهم الى نفسه واخر الى داره التي هي دار الندوة وايد صاحب الكشاف هذا
بنزول قصة ام معبد فيما يقتضي ما روي الله عنكم به من فخار لا يباري وسود د
روي انه عم خرج من مكة مهاجرا الى المدينة ومعه ابو بكر رضي الله عنه ومولاه عامر بن
فهيرة ودليلهما الليثي عبد الله بن اريقط فمروا على خيمتي ام معبد فسالوها
لحما وتمرا للشرى فلم يصيبوا عندها شيئا، وكان القوم مسنتين فنظر عم الى شاة
في جانب الخيمة فقال ما هذه الشاة ايا ام معبد قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم
فقال عم هل بها من لبن قالت هي اجهد من ذلك قال اتاذنين لي احلبها قالت
باب انت وامي رايت بها حلبا فاحلبها فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعى لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت
ودعا باناء يربض الرهط اي يروبهم فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء اي وبيض الرغوة
ثم اسقاها حتى روي وسقى اصحابه حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب ثانيا وغادر
عندها وادتحلوا فجاء زوجها ابو معبد فلما راى اللبن عجب وقال من اين لكم هذا يا ام معبد
والشاة عازب حيال ولا حلوب في البيت قالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك
من حاله كذا وكذا صفيه يا وصفته له فقال هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من امره
كذا وكذا ولقد هممت ان اصحبه ولافعلن ان وجدت لذلك سبيلا فاصبح اهل مكة
يسمعون صوتا عاليا بمكة يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه جزى الله رب العالمين
خير جزائه رفقين نزلا خيمتي ام معبد هما نزلا بالهدى واهتدت بهم وقد فاز
من امسى رفيق محمد فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يباري وسود د ليهن بني
كعب مقام فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد سلوا اختكم عن شاتها وانائها فانكم
ان تسالوا الشاة تشهد دعى بشاة حائل فتحلبت له بصريح صرة الشاة مزبد فغادرها
صهاريها لدى الحالب يردد ها في مصدر ثم مورد الصريح اللبن اذا ذهبت رغوته والقرة

اصل

اصل الضرع الذي لا يخلو عن لبن وقيل هي الضرع كله ما خلي الاطباء وهي جمع طبي بالضم
راس الضرع وقوله حيمتي نصب على الظرف اجرآء للمدة مجرى المبهم فان ظرف المكان
انما ينصبه بتقدير في اذا كان مبهما والمدة لا تتعلق به عامله الا بشرط ان تكون كالمة
في ملفوظة وملحوظة من الظروف المحدودة فالقياس ان تذكر معها كلمة في الا انه اجريت مجرى المبهم
قبيل الصوت المسموع بمكة للجني المراد اقبل من اسفل مكة حتى خرج باعلاها واللام في قوله
يا قصي للتعجب كما في قولهم يا للماء ويا للدواهي وقصي عبارة عن القبيلة والمعنى تعالو
يا قصي لتتعجبي منكم بسبب ما ضيعتموه من حظكم وعزكم بعصيانكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والجائكم اياه الى الخروج من بين اظهركم وكلمة ما في قوله ما زوى منكم استفهامية او موصولة اي اي
شيء سلبكم الله عنكم وقبضه به اي بسبب عم وبسبب هجرته وارتحاله من بينكم فانه تو سلب
عنكم بسبب ذلك خيرا عظيما وفخارا لا ينال ولا يعارض قوله وقرا نافع وابو بكر شركا
بكسر الشين وسكون الراء وتنوين الكاف وقرا الباقون بضم الشين وفتح الراء ومد
الكاف التي بعدها همزة غير متونة جمع شريك والشراكة مصدر بمعنى الشركة والمشركون
لا ينكرون ان ما اتاهما انما هو لله تعالى بالحقيقة والاصالة فكان الظاهر ان يقال جعلا لغيره
شركاء في شركته فيما آتاهما الا انهم لما اشركا غيره تو فقد اثبتا له شركة فيه لان
الشركة يكون بين بين ويحتمل ان يكون الكلام مبنيا على تقدير المضاف اي ذوي شركة
قوله جريا على تسميتهم اياها الهة جواب عما يقال انما يعبر بلفظ هم عن العقلاء ولا يجمع
بالواو والنون الا العقلاء فكيف قيل فيما خلق الاصنام وهم يخلقون وتقرير الجواب
ان ذلك مبني على اعتقاد الكفار فيها ما يعتقدونه في العقلاء قوله وان تدعوهم
ايها المشركين ان الضمير المنصوب في تدعوهم عبارة عن المشركين وضمير الخطاب للرسول
والمؤمنين اي وان تدعوا انتم هؤلاء المشركين الى الايمان ولا يجوز ان يكون تدعو
مسندا الى ضمير الرسول فقط لانه حينئذ كان ينبغي ان تحذف الواو لاجل الجازم قوله
وقرا نافع لا يتبعوكم بتخفيف التاء قيل هما لغتان ولهذا قيل في قصة آدم فمن تبع
في موضع آخر فمن اتبع وقيل تبع بمعنى اقتفى اثره واتبعه بالتشديد بمعنى اقتدى به
ثم انه تو اكد مضمون هذه الشرطية بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
لم يقل ام صمتم مع ان مقتضى القياس والشايع في الاستعمال ان يذكر بعد همزة التسوية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واختها الفعل ليؤول بالمصدر كما في قوله تو سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم اما اولا فللمبالغة في بيان عدم افادة الدعاء فيهم لانه على تقدير ان تعطف الفعلية يكون مدلول الكلام التسوية بين احداث الدعاء واحداث الصمات فيهم وعلى تقدير عطف الاسمية على الفعلية يكون مدلوله التسوية بين احداث الدعاء وبين الثبات على الصمات ولا شك ان الثاني ابلغ في بيان عدم افادة الدعاء لان كون وجود الشيء كعدمه المستمر ادل على عدم نفعه من كون وجوده كعدمه للحادث واما ثانيا فلان المقصود في الاية بيان التسوية بين احداث الدعاء وبين الاستمرار على الصمت عنه وذلك يقتضي ان يجعل قسيم احداث الدعاء ما يدل على الثبات على الصمات وهو الجملة الاسمية وانما قلنا المقصود في الآية تسوية الثبات على الصمت باحداث الدعاء لانهم ما كانوا يدعون الاصنام لجوابهم وانما شانهم ان يعظموها ويسجدوا لها وانهم اذا حزبهم امر وعن لهم حاجة دعوا الله تعالى دون اصنامهم كما قال الله تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه فكانت عادتهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعاء الاصنام فكان المناسب لحالهم ان يقال لهم لا فرق بين احداثكم دعاءكم الاصنام وبين ثباتكم على ما انتم عليه من الصمت عن دعائها فلذلك ام انتم صامتون قوله من حيث انها مملوكة مسخرة اشارة الى الجواب ما يقال من ان الاصنام جمادات فكيف وصفت بانها عباد امثال الاحياء العقلاء والعبد لا يطلق على الجماد فضلا عن ان يوصف مثل الحي العاقل وايضا كيف عبر عنها بضمير العقلاء في قوله تعالى فليستجيبوا لكم وحاصل الجواب ان يكون الاصنام عبادا لمجرد كونها مملوكة ويكونها امثال الاحياء العقلاء مماثلتها لهم من بعض الوجوه وهو كونها مسخرة منقادة لله تعالى كالعقلاء فصح توصيفها بانها عباد ولا سيما ان المشركين لما ادعوا انها تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا فيها كونها عاقلة فاهمة فلهذا وردت هذه الالفاظ على وفق اعتقادهم قوله ويحتمل الخ جواب آخر وتقريره ان الاصنام وصفت بانها عباد امثال المخاطبين تهكما بهم واستهزاء كانه قيل ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم ولو سلم ذلك فلا فضل لهم عليكم فلم جعلتم انفسكم عبيدا وجعلتموها آلهة واربابا قوله ثم عاد عليه بالنقض اي ابطل ان يكونوا عبادا ببيان ان الانسان افضل بكثير من الاصنام بل لا مناسبة بينهما

اصلا

اصلا فكيف يكون الاخس الادنى الذي لا يجر نفعا ولا يدفع ضرة مثلا للافضل الاكمل فضلا عن ان يكون مستحقا لعبادة الافضل اياه قراء العامة ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بتشديد ان فيكون الموصول بعده في محل النصب على انه اسم ان وعبادا مرفوعا على انه خبرها وقرئ بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية كما في قوله ان هو مستوليا على احد الا على اضعف المجانين فيقال انها تعمل عمل الحجازية عند الكسائي واكثر الكوفيين الا ان المصنف لم يرتضه حيث قال ولم يثبت مثله وروي ان سيبويه يختار الرفع في خبرها فيقول ان زيد منطلق بناء على ان عمل ما ضعيف وان بمعناها فهي اضعف منها فكيف تعمل فان بني تميم لا يعملون ما ولا المشبهتين بليس لدخولها على القبيلتين وانما يعملها اهل الحجاز فلذلك نسبتا الى الحجاز فقيل ماولا الحجازيتان واورد على هذه القراءة انها تنفي كون الاصنام عبادا امثالهم والقراءة المشهورة تثبت ذلك ولا يجوز التناقض في كلام الله تعالى واجيب بان القراءة الدالة على نفي المماثلة معناها ان الاصنام ادنى حالا واحقر من عابديها وعابدوها اتم حالا واقدر على الضر والنفع بالنسبة الى الاصنام فانها جمادات لا تقدر على شيء اصلا فكيف يعبد الكامل من هو دونه فيكون هذه القراءة بحسب محصولها ومؤداها موافقة للقراءة المشهورة وادل على المعنى المقصود بطريق الاولى وقرأ العامة يبطشون بكسر الطاء على انه من باب ضرب يضرب وقرأ بضم الطاء وهما لغتان بمعنى والبطش الاخذ بقوة قوله وهب انتم وشركاؤكم يعني ان الجماعة المخاطبين بقوله ثم كيدون غير المخاطبين بقوله قل ادعوا شركاءكم فان المخاطبين بقوله كيدون هم الاصنام وعبدتها وبقوله ادعوهم العبدة فقط قيل انهم كانوا يخوفونه عن مس آلهتهم قائلين نخاف ان يصيبك بعض الهتنا بسوء فقال ثم قل ادعوا شركاءكم الآية يعني قل لهم اني قد مت اصنامكم وسفهت عقولكم واحلامكم فاقصدوني بما شئتم من الكيد واستعجلوا فيه ولا تمهلوني فاني لا اخافكم ثقة بالله الذي هو المتفرد بالقدرة على النفع والضر والخير والشر ولا يقول مثل هذا الكلام الا الواثق بعصمة الله تعالى ثم انه عز اسمه لما ذكر عدم مبالاته بهم على ذلك بقوله ان وليي الله بثلاث ياءات الاولى ياء فعيل وهي ساكنة والثانية لام الفعل وهي مكسورة ادغمت فيها الياء الاولى والثالثة

والثالثة ياء الاضافة وهي مفتوحة والولي ههنا بمعنى الناصر والحافظ اضيف الى ياء المتكلم والمعنى ان الذي يتولى نصرتي وحفظي هو الله الذي اكرمني بتنزيل القرآن علي وايجابه الي وايجاب الكتاب اليه يستلزم رسالته لامحالة وقوله وهو يتولى الصالحين تذييل وهو ان يعقب الكلام بما يشتمل على معناه تاكيدا له وقوله ومن عادته مستفاد من اسمية الجملة فانها تدل على الثبات والدوام اي فان من عادته ان يتولى ويكفي مهمات الصالحين والا يحوجهم الى ما سواه ومن كان متوليا لمهمات الصالحين فكونه متوليا لمهمات الانبياء بطريق الاولى قوله من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم جواب عما يقال من ان هذه الآية قد ذكر مضمونها سابقا فالغاية في تكريرها ههنا وتقرير الجواب انه ذكرها اولا للتقريع على الاصنام وذكرها ههنا اعني للتعليل لعدم مبالاته بهم وللفرق بين من يستحق المبالاة به ومن لا يستحقها قوله ينبئ بهون الناظرين يعني ان قوله تعالى في حق الاصنام ينظرون اليك استعارة تبعية شبه مقابلة الاصنام لمن عبدها على وجه يتخيل من عبدها انها تنظر اليه من حيث ان من شانها صورتها بصورة من ينظر الى من يواجهه بان رسموا فيها ما يشبه الوجه والعين وسائر الاعضاء جعل ضمير ينظرون للاصنام وذلك يستلزم ان يكون الضمير المنصوب في قوله وتراهم ايضا للاصنام وكذا المنصوب في قوله وان تدعوهم والظاهر ان المرفوع في تدعوهم للمشركين وفي تراهم لكل من تتاتى منه الرؤية والمعنى انتم ايها المشركون ان تدعوا اصنامكم الى ان يهدوكم لا يسمعوا دعاءكم وبالجملة يبصر منه الرؤية انك ترى الاصنام اجسادا عارية عن القوى المدركة خالية عن اللمس والحركة الارادية فكيف تصلح لان تكون آلهة ويحتمل ان يكون المرفوع في تدعوهم للمحقين الموحدين والمنصوب للمشركين ويكون المعنى ايتها المؤمنون ان تدعوا المشركين الى الهدى لا يسمعوا دعاءكم سماع اجابة وتراهم يا محمد ينظرون اليك باعينهم وهم لا يبصرونك ببصائرهم ثم انه تعالى لما بين ان كيد المشركين لا يضر رسوله صلى الله عليه وسلم وانه حافظ وناصر امره بمكارم الاخلاق الداعية الى الالفة والاتفاق فقال خذ العفو وهو ما اتاك من غير كلفة يقال اعطيته عفو المال يعني بغير مسئلة قال الشاعر خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب روي انه عليه السلام سأل جبرئيل ما الاخذ بالعفو قال ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك

من احد

من احد فعلا وخلقا يشق عليه ولا تقبل من احد فعلا كان او خلقا الا ما طاب به نفسه وعن كل من اخلاقهم وافعالهم وصدر عنهم بيسر وسهولة من غير ان تكلفهم به وتحملهم عليه يقال اخذت حتى عفوا اي بسهولة قال اهل اللغة عفو المال ما فضل من نفقة نفسه وعياله وما اتى من غير كلفة فمعنى الآية خذ من صدقاتهم ما يسهل عليهم اخراجه وفيسر لهم كما قال تعالى يسألونك ماذا ينفقون قل العفو وكان ذلك قبل وجوب الزكوة ثم نسخت بايجاب الزكوة وامر هم بعد ذلك بان ياخذ منهم القدر الواجب طوعا او كرها واعلم ان ما ياتي خلق الانسان من غيره عاشر بين احدهما ما يجوز فيه المسامحة والمسامحة وثانيهما ما لا يجوز فيه ذلك كاجر البغي وعسب التيس وثمن الخمر والخنزير واخذ الفضل في مبادلة الاموال الربوية والضرب الاول هو المراد بقوله تعالى خذ العفو واما الضرب الثاني فالحكم فيه ان يؤمر بالعرف اي بالمعروف وهو ما يستحسنه الشرع القويم والعقل السليم ولو اقتصر على الاخذ العفو في هذا الضرب لادى ذلك الى تغيير الدين وابطال الحق وانه لا يجوز ثم اذا امر بالعرف ورغب فيه ونهى عن المنكر وتفرغ عنه قريبا اقدم بعض الجاهلين على السفاهة والايذاء والتهكم والاستهزاء فلهذا السبب قال تعالى في آخر الآية واعرض عن الجاهلين اي بتحمل الاذى والعفو عمن جنى والحلم عمن تحقر بهذا ان هذه الآية مشتملة على مكارم الاخلاق فيما يتعلق بمعاملة الناس مع غيرهم قوله او الفضل اي او خذ عفوا موالهم وهو ما فضل عن مهماتهم اي خذ من صدقاتهم ما تسهل عليهم وتيسر لهم وكان ذلك قبل وجوب الزكوة فتسمى العفو المامور باخذه ثلثة اوجه الاول عفو افعال الناس واخلاقهم وهو ما تواتيه بصفاء خواطرهم وحسن رضاهم والمعنى لا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم في التكاليف كقوله عم يسروا ولا تعسروا اي عاملوهم باللين واللطف لا بالعلظة والعنف والثاني العفو عن المذنب الجاني بترك تعريفه وتعنيفه عاذنبه والثالث عفو المال وهو ما فضل عن مهمات العيال روي انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي كيف يتيسر المواظبة على هذه الاخلاق امرتني بها مع انه قد يعتريني على الانسان من الغضب والحدة ما يتعسر علي شيء من هذه الاخلاق وبجملة على الانتقام ومخالفة ما امرت به من هذه الاخلاق الكريمة فقيل له ان الغضب من نزغ الشيطان وتحسه فان يتحسك الشيطان ويعزك بوسوسته

فاستعذ بالله اي فاستعصم به من الشيطان وكيده يعصمك ويثبتك على ما أمرت
جعل النزغ نازغا اسنادا مجازيا على طريق جد جده والمقصود من امثاله الدلالة على مبالغة
الفاعل في ملابسة الفعل بحيث صار جميع ما قام به من المعاني والاعراض ملابسا بذلك
الفعل وكلمة اما اصلها ان الشرطية زيدت عليها ما للتأكيد تعلق الجزاء بالشرط فيجب فيها
ان يؤكد فعل الشرط بنون التأكيد ثقيلة كانت او خفيفة لئلا يخلط فعل الشرط عن اداته
في الدلالة على اداته في الدلالة على التأكيد قوله تشبثه وسوسته يعني ان قوله تعالى ينزغنك
نزغ استعارة تبعية شبه اغراء الشيطان الناس على المعاصي بوسوسته اليهم
بالنزغ والغرز فاستعير اسم النزغ ثم اشتق منه والا فليس هناك نزغ ولا غرز وفي
قوله تعالى انه سميع عليم دلالة على ان المراد بالاستعاذة المأمور بها ما يكون باللسان
وباستحضار القلب معنى الاستعاذة فكأنه تعالى قال اذكر ما يدل على الاستعاذة بلسانك
فاني سميع لمقالك واستحضر معناها في قلبك فاني عليم بما في ضميرك وقلبك ولم يتعرض للمعنى
لهذا الاحتمال قوله لمته منه يعني ان طيف الشيطان لمته وهو لحاظ الشيطاني الذي
يخطر بقلب الانسان من جهة الشيطان وهو وسوسته عبر عما يصيب الرسول صلى الله عليه
وسلم من جهة الشيطان بالنزغ الذي هو كالابتداء في الوسوسة وعما يصيب المؤمن
من جهته بمس الطيف الذي هو ازيد من النزغ للاشعار الى ان صفاء قلبه عم يأبى عن ان
يتعلق به لحاظ الشيطاني وغاية ما يمكن للشيطان في حقه عم ان يتصدى لوسوسته وهو
الذي عبر عنه بالنزغ وعبر عن الوسوسة التي تمس المتقين بالطائف للاشعار الى انها
لا تؤثر فيهم ونهاية امرها ان تدور حولهم فان الطائف ما دار حول الشيء ان كان
الطائف من طاف يطوف طوفا وان كان من طاف به الخيال يطيف طيفا مثل باع يبيع بيعا
يكون الطائف بمعنى الجائي والنازل وفي الصحاح طيف الخيال مجيئه في النوم وطيف من الشيطان
وطائف منه بمعنى لمم منه قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة طائف بالالف والباقون طيف
بغير الف على انه مصدر قولك طاف به الخيال اي الم به ونزل او على انه مخفف من فيعل اصله
طيّف بتشديد الياء فخففت عين الكلمة كما قيل في ميت ميت وفي هين هين
ولين لين والخيال في الاصل اسم بمعنى التخيل وارتسام الصورة في محل القوة المتخيلة ويطلق
على نفس تلك الصورة وطيفه نزوله في محل المتخيلة وفسر المصنف باللمة والوسوسة

قوله والآية

قوله والآية وهي قوله تعالى ان الذين اتقوا الخ تأكيد وتقرير لما قبلها بناء على ان الخطاب في الآية
المتقدمة وان كان للرسول صلى الله عليه وسلم الا ان حكمه يعم جميع المكلفين قوله اي واخوان
الشياطين يعني ان ضمير اخوانهم للشيطان وجمع ضميره لكون المراد به الجنس الذي هو في
معنى الجمع وان الضمير المرفوع في يمدونهم للشياطين والمنصوب لاخوانهم الكفرة والمعنى
واخوان الشيطان وهم الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان اي يكون مددا لهم يعاونهم في
الغي ويحملهم عليه ويغريهم وعلى هذا يكون الخبر وهو يمدونهم على غير هوله في المعنى لان
الامداد مسند الى الشياطين في المعنى وهو في اللفظ خبر اخوانهم فانه مبتدأ ويمد ونحوه
خبرها اسند الى ضمير الشيطان والعايد الى المبتدأ هو الضمير المنصوب في يمدونهم كما في قولك
جارية زيد يضربها فانه اخبر فيه عن الجارية بفعل غيرها وهو غير زيد ولم يقل يضربها هو لان
ابراز الضمير اغا يجب في مثلها اذا كان الخبر صفة لا فعلا اذ تعالى لما بين حال المتقين اذا
مستهم شيء من وسوسة الشيطان وهي انهم تذكروا ما امروا به فيبصرون مواقع
الخطاء ومكايد الشيطان فيحترزون عنها وبين حال غير المتقين الذين هم اخوان
الشياطين وهي ان الشياطين يكونون مددا لهم يعضدونهم ويعينونهم
في الغي بتزيينه لهم وحملهم عليه ثم ان الشياطين لا يقتصرون عن الغي ولا يتذكرون
ما امروا به ولا يبصرون مواقع الهلاك ليتحرزوا عنها كتذكر المتقين واحترازهم
عن مكائد الردى والانتصار عن الشيء الكف عنه تعالى اقصر عن الشيء اذا كف عنه
وانتهى قوله وقرأ نافع يمدونهم بضم الياء وكسر الميم من الامداد والباقون
يمدونهم بفتح الياء وضم الميم وهما لغتان بمعنى وقيل الامداد يستعمل في افادة
المنافع والمد في المضار والمكاره قال الله وامددناهم بفاكهة وقال امددتموني
بمال وقال انما نمدهم به من مال وبنين وقال في المضار ونمدهم في طغيانهم يعمهون
وعلى هذا القول يكون المناسب بهذا المقام قراءة العامة بفتح الياء لان ما افاده
الشياطين لاخوانهم انما هو من قبيل المضار وعلى قراءة نافع يكون الكلام من قبيل
اللهم للغواة حيث اطلق ما يختص بافادة المنافع على افادة المضرة كما اطلق
البشارة على النذارة في قوله تعالى فبشرهم بعذاب قوله ويجوز ان يكون الضمير
جعل ضمير لا يقتصرون اولا للشياطين لا يقتصرون عن الاغواء ثم جوز ان يكون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

للاخوان لانهم لا يقصرون عن الغي والضلال وروي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه فسر الاية بقوله اي لا يقصرون عن الضلال اما الغاوي فمن الضلال واما المغوي
فمن الاضلال فعلى هذا يكون ضمير لا يقصرون للاخوان والشياطين جميعا قوله
ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين حمل الاخوان اولا على الغواة الغير المتقين
وجعل ضمير اخوانهم للشياطين وجعل الضمير المرفوع في يمدونهم للشياطين
وجعل المنصوب للغواة الغير المتقين ثم جوز ان يكون المراد بالاخوان الشيا
طين وبالضمير الذي اضيف اليه الاخوان للجاهلين او غير المتقين لكونهم في حكم المذكور
لان قوله ان الذين اتقوا يعد له على مقابليهم ويكون فاعل يمدونهم الاخوان الذين
هم الشياطين ويكون ضمير المنصوب كضمير اخوانهم للجاهلين الغير المتقين
يمدون الجاهلين في الغي وعلى هذا الوجه يكون الخبر جاريا على ما هو له لفظا ومعنى
حيث اخبر عن الشياطين بفعل انفسهم قوله بآية من القرآن او مما اقترحوه قيل
كان اهل مكة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجيبهم انتظارا للوحي فربما تباطأ
نزول الوحي عليه فيقولون هلا افتعلتها وتقولتها من قبل نفسك كسائر ما تقوله
علينا لانهم كانوا ينكرون كون القرآن وحيا الهيا ويقولون انه تقوله من عند
نفسه وان هذا الا افك افتراه فاذا تاخر الوحي عن زمان سؤالهم يقولون
هلا اخترت شيئا تقوله علينا من عند نفسك وما اعتذارك بابطاء الوحي عنك
قال الفراء تقول العرب اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته اذا افتعلته
من قبل نفسك وايضا انهم كانوا يطلبون منه آيات معينة على سبيل التعنت
كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وكقولهم احي لنا فلانا الميت
يكلمنا ويصدقك فيما تدعونا اليه ونحو ذلك فربما لا ياعون الله تعالى في اتيان ما اقترحوه
فيقولون هلا اتيت بما سألناك وانت تدعي انك رسوله ربك والرسول لا بد
له من اظهار معجزة تكون سببا للتصديق قومه اياه فهلا اتانا بتينا بالمعجزة التي نطلبها
منك بان تطلب من الله تعالى ان يخلقها على يديك فان كنت صادقا فيما تدعيه من الرسالة
لا بد ان يقبل الله تعالى دعاءك ويساعدك فيما اقترحته عليه قوله هلا اجمعتها يعني
اجتباه بمعنى جمعه فالمعنى هلا جمعت الآية التي تنظران نوحي اليك تقولا من عند نفسك

قوله او هلا

قوله او هلا طلبتها على تقدير ان يقترحوا منه عدم معجزة معينة ولم يأذن الله تعالى له
في اتيان ما اقترحوه فيقولون لولا اجتبيتها من الاجتباء وهو الاصطفاء اي هلا
ميزتها واصطفيتها عن سائر مهماتك وطلبتها من الله تعالى بخصوصها قوله بها تبصر الحق
وتدرك شأنه الآن البصائر جمع بصيرة بمعنى الباحثة الا ان الباصرة تطلق على القوة
المودعة في العين لابصار المحسوسات والبصيرة تطلق على القوة المودعة في القلب
لادراك المعقولات فان النفس الناطقة انما تدرك المعقولات باستعمال تلك القوة
كما انها انما تدرك المبصرات باستعمال الباصرة الا ان ادراك النفس للمعقولات
باستعمال البصيرة قد يتوقف على النظر والتفكر في الدلايل وقد لا يتوقف عليها بل
تدركها من غير نظر وفكر فلما كانت الدلايل اسبابا لمعاونة البصيرة للنفس في ادراكها
للمعقولات اطلق لفظ البصاير على الدلايل والبراهين وعلى القرآن ايضا لاشتماله
على دلايل الحق والصواب في باب الاعتقاد والعمل اطلاقا مجازيا على طريق اطلاق اسم
المسبب على سببه فان الدلايل اسباب لظهور منافع البصاير فلذلك وصف القرآن
بانه بصائر وهادي الى الطريق المستقيم وسبب رحمة الله تعالى لمن عمل به فيدخله الجنة بفضله
ورحمته ثم انه تعالى لما عظم شأن القرآن بقوله هذا بصاير اردفه بقوله واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له الآية والضمير للقرآن فان شأنه يوجب الاستماع والانصات السكوت
للاستماع يقال نصت وانصت بمعنى واحد قوله نزلت في الصلوة ان في تحريم الكلام
فيها عبرة عن الصلوة بقراءة القرآن كونها اعظم اركانها قال قتادة كان الرجل يأتي
الجامع وهم يصلون فيسألهم كم صليتم وكم بقي وكانوا يتكلمون في الصلوة فامروا بحبهم
فانزل الله تعالى هذه وامرهم بالانصات قوله والحق واحتج به من لا يرى القراءة
على المأموم وقال قراءة الامام قراءة للمأموم فلا يقرأ خلف الامام سواء اسر الامام
او جهر لانه اذا اوجب عليه امر بنا الاستماع والانصات فاذا فات الاستماع بقي الانصات
واجبا والاحتجاج به على ترك القراءة خلف الامام ضعيف لان الانصات المأمور به
المراد به النهي عن الكلام لا عن القراءة كما روي انهم كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت
هذه الآية فامروا بالانصات وقيل المراد به النهي عن الجهر بالقراءة خلف الامام فان
العرب تسمي تارك الجهر منصتا وان كان يقرأ في نفسه من غير ان يسمع احدا روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انه قال قراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلوة المكتوبة وقراء اصحابه وراءه
رافعي اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت هذه الاية آمرة بالانصات وترك الجهر بالقراءة
خلف الامام فالاية سواء نزلت لتحريم الكلام في الصلوة او لتحريم الجهر بالقراءة خلف
الامام لادلالة فيها على حرمة القراءة على العموم اما على الاول فظاهر واما على الثاني
فلان تحريم الجهر بالقراءة لا يستلزم تحريم القراءة نفسها خلف الامام ولو سلم ان الآية
اوجبت على المأموم ان يستمع وينصت عن القراءة نفسها الا ان عموم هذه الاية
قد خص بقوله عم اذا كنتم خلفي فلا تقرؤا الا بفاتحة الكتاب فانه لا صلوة
الا بها وبقوله عم لا صلوة الا بفاتحة الكتاب ولا صلوة لمن لم يقرء بفاتحة
الكتاب فانه يجوز تخصيص عموم القرآن بالسنة فاما امر يقراءة الفاتحة في سكتات
الامام ولا ينازع الامام في القراءة **قوله** متضرعا وخائفا اشارة الى ان قوله
تضرعا وخيفة مصدران واقعان موقع الحال من فاعل اذكر وكذا قوله ودون الجهر
على ان قوله دون الجهر صفة لمحذوف هو الحال اى ومتكلما كلاما مقصودون الجهر فان من اتم
في صلوة الجهر ينبغي له ان لا يجهر جهرا شديدا بل يقتصر على قدر ما يسمعه من خلفه
ولما كان اكمل احوال الانسان ان يظهر عند ربوبية الله تعالى ذلة عبودية نفسه
امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم تعليما لامته بان يذكر ربه في نفسه متضرعا
متذللا فان المقصود الاول انما يتم بقوله تضرعا واذكر ربك في نفسك والمقصود
الثاني انما يتم بقوله تضرعا وخيفة وهي بكسر الخاء اصلها خوفة قلبت الواو ياء
لسكونها وانكسار ما قبلها وهذا الخوف يتناول خوف التقصير في الاعمال وخوف
الخاتمة وخوف السابقة فان ما يكون في الخاتمة ليس الا ما سبق به الحكم في الخاتمة
ولذلك قالوا عم جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة **قوله** تعالى بالغدو والآصال
متعلق باذكر اى اذكره في هذين الوقتين وهما البكرات والعشيات فان الغدو
جمع غدوة وهي ما بين صلوة الغداة وطلوع الشمس والآصال جمع اصيل نحو يمين
وايمان وفي الصحاح الاصيل الوقت بعد العصر الى المغرب وجمعه اصل وآصال والعشي
والعشية من صلوة المغرب الى العتمة واضافة الاوقات الى الغدو والعشيات بيانية
وخص هذان الوقتان بالامر بالذكر لان فيهما يتغير احوال العالم تغيرا عجيبا يدل على ان المؤثر

فيه

فيه هو الآله الموصوف بالحكمة الباهرة والقدرة الكاملة فكل من شاهد هذه
التغيرات ينبغي له ان يذكر الموثر فيها بالتضرع والابتهال والخوف من تحويل حاله
الى اسوء الحال فلهذا خص الله تعالى هذين الوقتين بالامر بالذكر وقيل الغدو والآصال
عبارات عن الليل والنهار اكتفى عن ذكر ما يذكر فيهما والمراد بذكره تعالى فيهما
المواظبة عليه بتقدير الامكان اما اولا بان يذكره بلسانه على وجه يستحضر في نفسه
معاني الاذكار التي يقولها بلسانه فان المراد بذكر الله تعالى في نفسه ان يذكر تعالى عارفا
بمعاني ما يقوله من الاذكار ثم اتبعه قوله ولا تكن من الغافلين للدلالة على ان الانسان
ينبغي له ان لا يغفل قلبه عن استحضار جلال الله تعالى وكبريائه بقدر الطاقة البشرية ثم انه
تعالى لما رغب رسوله صلى الله عليه وسلم في ذكر الله تعالى وعباده في ذكره عقيبه ما يقوي دواعيه
في ذلك فقال ان الذين عند ربك اى المقربين لديه قرب الشرف والمكانة لا قرب المسافة
والمكان وهو فانتهم مع علو منزلتهم وعصمتهم عن الكدورات الطبيعية الحاملة
على الشهوة والغضب وسائر الصفات الذميمة لما كانوا مواظبين على العبودية
والخضوع فما بال الانسان مع كونه مبتلى بظلمات الطبيعة والكدورات النفسانية
لا يواظب على الطاعات **قوله** وله متعلق بيسجدون قدم عليه ليفيد الحصر والدلالة
على انهم لا يسجدون لغير الله تعالى تمت سورة الاعراف وهذا اوان الشروع في الاستفتاح
بغنايم سورة الانفال والغنيمة هي المال المأخوذ من الكفار قهرا واصل النفل الزيادة
على اصل الشئ وسميت الغنايم انفالا لكونها فضلا من الله تعالى وعطاء فضلت بها
هذه الامة على سائر الامم لم تحل لهم الغنايم وانما هي عطية تفضل الله بها على هذه
الامة زايدة على ما اعطاه لسائر الامم قال العبد ان تقوي ربما خير نفل وباذن الله
ربي وعجل اخبر بان تقوي الله خير ما اعطاه الله به وتفضل به على عباده **قوله** يعني
حكمها اشارة الى ان المراد بالسؤال سؤال الاستفتاء وهو السؤال عن الحكم ولهذا
عبر بكلمة عن ولو كان المراد به سؤال الاستعطاء لقيل بسماء لو لكن الانفال كما يقال
سالته درهما وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرء يسماء لو لكن الانفال بدون
كلمة عن على ان المراد به سؤال الاستعطاء فان اريد التوفيق بين قراءته وبين قراءة الجمهور
بجعل كلمة عن بمعنى من التبعيضية فان حروف الصلة تتناوب كثيرا والظاهر ان المراد به

سورة الانفال

سؤال الاستفتاء والمعنى يستفتونك في حكم الانفال انها لمن يعرف وكيف تقسم ومن الذين يتولون قسمتها اهم المهاجرون ام الانصار ام هم جميعا فاجيبوا بان الحكم فيها لله ورسوله ولا شك ان الامر كله لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم يضعها في مواضعها التي امر الله تعالى بوضعها فيها والحاصل انما لرسول الله يحكم فيها بامر الله ويضعها حيث شاء بما اراه الله تم فلما نزلت قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اهل بدر على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وصلاح ذات البين وآثر قوله تعالى بيساء لتزكي اي من لم يسبق ذكرهم صريحا وحسن ذلك لان السائل عن حكم الانفال كان معلوما متعينا حال نزول الآية وهم اصحاب بدر رضي الله عنهم فلم يحتج في اسناد الفعل اليهم لسبق ذكرهم صريحا قوله ولهذا اي ولاجل انه وقع قسم غنايم بدر بين الشبان المتنازعين اي القتل والاسر وبين الشيوخ الذابين في المصاف تحت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل يخلو المصاف عن المحاربين فيجد خيل من خيول المشركين فرصة فيهجموا اخبارا بيته وعلى نفسه فينعرضوه بالسوء فانه لابد في جمع المحاربة من فئة تثبت تحت الراية لتحاز اليهم المقاتلون اذا انهزموا وتحمشوا بهم ولم يعط الشبان ما شرط لهم ووعد بقوله من فعل قتيلا او اسر اسيرا فله كذا من السلب ذهب الشافعي ومن تبعه الى انه لا يلزم الامام ان يفي بما وعد لمقتض خطر وقال ابو حنيفة يلزمه الوفاء بما وعد به قوله واصلحوا الحال التي بينكم من المنازعة والمخالفة بالمواساة والموافقة والمساعدة فيما رزقكم الله وتفضل عليكم اي ليواس المقاتلة الذين شرط لهم النفل الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات فيتاسوهم بالسوية لئلا يرد للخلل على ما كان بينكم من التحاب والتآلف حتى فان المؤمنين لابد ان يكونوا متحابين متآخين في الله يساعد بعضهم بعضا فيما عن لهم من الامور وان يتقوا الله تعالى في الاختلاف والتنازع وان يطيعوا الله ورسوله بتفويض الامر اليهما والتسليم والانقياد لحكمهما وذات البين هي الاحوال التي تقع بين الناس كما ان ذات الصدور هي المضمرات الكامنة فيها وذات الاناء هي ما حل فيه من الطعام والشراب ولما كان ما حل في الشيء ملابسا له قيل له انه صاحب محله وذوه مثل ان يقال اسقني ذا انا لكم اي اناء الذي فيه وذات بينكم في الآية صفة لمفعول محذوف تقديره واصلحوا الاحوال ذات بينكم قوله تعالى ان كنتم مؤمنين شرط لابد له من الجواب وجوابه ما تقدم عليه

عند الكوفيين واما عند البصريين فان جوابه محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه فالمذكور قبله جواب من حيث المعنى بالاتفاق وجواب من حيث اللفظ ايضا عند الكوفيين ومن المعلوم ان الشرط ملزوم ومقتضى للجواب والجواب لازم له وان انتفاء اللازم يستلزم انتفاء الملزوم فان ما هو الجواب من حيث المعنى هو التحلي بمجموع الامور الثلثة التي هي طاعة الاوامر والانتهاء عن المعاصي واصلاح ذات البين يكون المراد بالايمان الذي جعل شرط كمال الايمان لانه هو المقتضى لمجموع الثلثة المذكورة لان اصل الايمان لا ينتفي بانتفاء هذا المجموع وان كان الجواب طاعة الله تعالى ورسوله بقبول ما كلفا به والاعتقاد بحقيقة يكون المراد بالايمان اصل الايمان لانه لا يقتضي التحلي بمجموع الثلثة بل يتحقق بمجرد الطاعة بالمعنى المذكور فقوله فان الايمان يقتضي ذلك مبني على ان يكون الجواب ما يدل عليه قوله واطيعوا وقوله فان كمال الايمان بهذه الثلثة مبني على ان يكون الجواب ما يدل عليه مجموع قوله واتقوا الله واصلحوا واطيعوا فان المراد بالايمان حينئذ هو الايمان الكامل للعلم بان اصل الايمان لا يتوقف على التحلي بمجموع تلك الامور كلها قوله فرعت لذكره استعظاما له يعني ان المراد من الوجل الذي هو الخوف والفزع ههنا هو الخوف المتفرع على مجرد ذكر الله تعالى وملاحظة عظمته وجلاله فان هذا الخوف لا يزول عن قلب من ذكر الله تعالى عالما بنعوت جلاله وصفات كماله سواء كان ملكا مقربا او نبيا مرسلا او مؤمنا تقيا فان كل واحد منهم عند ذكر الله تعالى بملاحظة عظمته واستغنائه عن جميع ما سواه ويعلم احتياجه اليه في جميع مهماته فلا جرم رهبه وتقشعر جلده وتغلب عليه الدهشة بحيث يكاد يفنى وجوده واما خوف العقاب فانه لا يحصل بمجرد ذكر الله بل انما يحصل بملاحظة معصيته وذكر عقاب الله تعالى انتقاما من العصاة واللائق بهذا المقام هو ان يجعل الخوف على ما يتفرع على مجرد ذكر الله تعالى بملاحظة عظمته وجلاله اللازم لكمال الايمان وقال الامام اللائق بهذا المقام ان يراد بالوجل الخوف من العقاب الذي هو وظيفة العصاة بناء على ان المقصود من هذه الآية الزام اهل بدر طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في قسمة الانفال خوفا من سوء عاقبة عصيانه والمصنف اشار الى ضعفه بقوله وقيل هو الرجل يظلم بمعصية الخ والقراءة المتواترة وجلت بكسر الجيم في الماضي وفتحها في الغابر

وفيه لغة اخرى قرئ بها في القرآءة الشاذة وجلت بفتح الجيم في الماضي وكسرها
في الغابر فتحذف الواو في المضارع كما في وعد يعد وقرئ فرقت بكسر الراء
من الوق بالتخفيف وهو الخوف **قوله** لزيادة المؤمن به لاحتمال ان الايمان بمعنى
التصديق الجازم والاقرار يقبل الزيادة والنقصان فان التصديق وهو
الاعتقاد الجازم الذي لا يحتمل النقيض وطمانينة القلب بالحكم كيف يحتمل الزيادة
والنقصان وكذا الاقرار لا يحتملها فان الايمان المتعلق بشيء واحد لا يحتمل
التفاوت بالزيادة والنقصان لكن يجوز التفاوت فيه بالقلة والكثرة باعتبار
قلة متعلقه وكثرته فان التكاليف الالهية والآيات القرآنية لما كانت متتابعة
متعاقبة في زمان نزول الوحي فعند نزول كل آية وحدوث كل تكليف وتصديق
الامة بذلك يزداد نصيبهم بحسب الكمية والعدد عما كان قبله فقوله تعالى
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة اقروا
باقرار جديد بحقيقتها وصرفوها تصديقا واقرارا غير التصديق والاقرار المتعلق
بما نزل قبلها وكان ذلك زيادة في الايمان والتصديق بحسب الكمية والعدد مع كون
كل واحد من آحادها نهم الواقع قبل ذلك باقيا على حاله لا يزيد ولا ينقص في نفسه
قوله اولا طمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة اي ويجوز ان يكون
المراد بزيادة الايمان زيادته بحسب الكيف لا بحسب الكمية بحسب ازدياد المؤمن به
فان الايمان له مراتب متفاوتة في القوة والضعف فان التصديق المتعلق بشيء
يزداد ويتقوى بتظاهر الادلة وكثرتها قال الفاضل التفتازاني والاصوب
ان نفس التصديق مما يقبل الزيادة والنقصان للفرق الظاهر بين يقين الانبياء
وارباب المكاشفات وبين يقين احاد الامة ولهذا قال امير المؤمنين علي رضي الله
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه دليل واحد من التصديقات
وما قامت عليه ادلة كثيرة ومنعه الامام بان الجزم الحاصل بسبب الدليل الواحد
ان كان بحيث لا يحتمل النقيض يمتنع ان يكون التصديق الذي قام عليه الدلايل
الكثيرة اقوى من الذي قام عليه من الدليل دليلا بل يكون اتم وان لا يكون النتيجة
معلومة بل تكون مظنونة **قوله** وحقا صفة مصدر محذوف اي المؤمنون ايمانا حقا

وقيل

وقيل تقديره اخبركم بذلك اخبارا حقا ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا للمضمون جملة الاسمية
كما في قولك زيد ابوك حقا اي احقه حقا ويجوز على ضعف ان يكون مؤكدا للمضمون الجملة
الواقعة بعده وهي قوله لهم درجات ويكون الكلام قد تم عند قوله هم المؤمنون
ثم ابتداء بقوله حقا لهم درجات وتقديم المصدر المؤكد للمضمون الجملة عليها مذهب ضعيف
وصف الله تعالى المؤمنين بخمسة اوصاف ثلثة منها متعلقة بالقلب وهي الخشية
والوجل عند ملاحظة عظمة الله تعالى وجلاله والانقياد لايات الله تعالى واحكامه وعجز
عنه المضيف بالاخلاص وان لا يثق ولا يعتمد في امر من الامور الا على الله تعالى واثنان
منها يتعلقان القلب والظاهر وهما الصلوة والصدقة ولا شك ان هذه الاخلاق
والاعمال القلبية والقالبية لها تاثيرات في تصفية القلب وتنويره بالمعارف
الالهية وتيله الى الكرامات الربانية والمنازل الروحانية والجسمانية في الجنان
الرفيعة العالية فلذلك قيل لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم فان قيل
اليس ان المفضول اذا علم حصول الدرجات العالية للفاضل وحرمانه عنها فانه تالم
قلبه ويتنغص عيشه وذلك ينافي كون ثواب الاخرة رزقا كريما وكرم الرزق انما يكون
بخلوه عن المنغص اجيب بان استغراق كل واحد في سعادته الخاصة به يمنعه من اعتبار
ما ينفرع على الحقد والحسد عليه مع ان اهل الجنة لا يدخلونها الا بعد ان ينزع الله تعالى
ما في قلوبهم من غل وجعلهم اخوانا صافية القلوب عن كدورات الغل والحسد **قوله**
تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كالحال اخراجك للحرب في كراهتهم له المراد بالحال
المشبه المشبه بالاخراج هو قسمة الانفال بين الغزاة كما شاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمقتضى قوله تعالى الانفال لله والرسول فاتقوا الله فان هذه الحال مشابهة
لحال اخراجه عن بيته من حيث انهم كرهوا كلا واحد منها كراهة طبيعية فان
في طبع من له غناء من الشبان المسارعين الى القتال والاسر شيء من الكراهة لهذه
القسمة حيث لم يصل اليهم ما شرط لهم بمقابلة اقتحامهم الخطر ويحتمل ان يكون المراد
بالحال المشبهة بالاخراج ان شرط عدم لمن له غناء زايد في امر القتال فورا ذا ابراعلى سهمه
من مال الغنيمة فانه عدم طارئ كثير المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل
قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا ليثير همتهم في القتال فلما انهزم المشركون وقتل

من قتل منهم واسر من اسر طلب اصحاب العناء ما شرط لهم اعتزى عما طباع الشيوخ
الذين ثبتوا عند الرايات ليكونوا ردءا لمن انهزم من الشبان وحافظا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من ان يقتاله المشركون بغتة شئ من الكراهة فقالوا نعم هو الذى
ما شرطت لهم بنى خلق كثير من المسلمين بغير شئ ومن تاخر عن القتال لم يتاخر عنه جبنا ولا
بخلا ببذل مهجته بل اعتاما خر واعنه ليعتوكه بانفسهم خوفا من ان يقتال بغتة فشبهته
الله تعالى هذه الحال وهى ان شرط لاصحاب الغناء ما شرط لحال اخراجه اياه عزم من بيته
من حيث انهم كرهوا كلا واحد منهما طبعا فمثل هذه الحال فى كراهتهم اياها كحال اخراجك
من بيتك للحرب فى كراهتهم له طبعا والمراد باخراج الله تعالى اياه كونه سببا آمرا له بالخروج
وداعيا اليه فان جبرئيل عليه السلام اتاه وامره بالخروج فالكاف فى قوله تعالى كما اخرجك فى
محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والتقدير هذه الحال وهى كون قسمة الانفال
مفوضة الى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها على ما كان يامره الله تعالى به
يقسمها على ما كان يامره الله تعالى به مع ما فى طبع بعض منهم من الكراهة كحال رضاهم
باخراجك من بيتك لحرب الكفار كارهين له قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف منصوب
على انه حال من مفعول اخرجك اى اخرجك ملتبسا بالحق وهو اظهار دين الله وقهر اعداء
الله او اخرجك اخراجا ملتبسا بالحق على ان يكون صفة مصدر محذوف قوله النجاء النجاء
مصدر حذف عامله يقال نجوت نجاء اى اسرعت وسبقت وتقديره اسرعوا الاسراع
او اغراء اى الزموا الاسراع قوله كل صعب وذلول اى اسرعوا عاكل مركوب
صعبا كان او ذلولا ولا تتوقفوا الى ان تجدوا مركبا ذلولا وقوله غيركم اى الزموا غيركم
واتركوا غيركم واحفظوها وقوله اموالكم بدل من غيركم روى ان ابا سفيان رئيس
العير لما سمع بمسير النبى صلى الله عليه وسلم نحوه استاجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه
الى مكة وامره ان ياتى قريشا فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد خرج
مع اصحابه لقصد عيرهم فخرج ضمضم الى مكة سريعا وقد رات عاتكة بنت عبد المطلب
قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا افزعتها فبعثت الى اخيها العباس فقالت له
والله يا اخى لقد رايت الليلة رؤيا افزعتنى وخشيت ان يدخل على قومك منها شر
ومصيبة فاكتم على ما احدثك به قال لها وما رايت قالت رايت راكبا اقبل على بعير له حتى

وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته الا انفروا يا ال غدر لمصارعكم فى ثلاث فارى الناس
قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة
ثم صرخ بمثلها باعلى صوته الا انفروا يا ال غدر لمصارعكم فى ثلاث ثم مثل به بعيره على راس
ابى قبيس نهوه حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت
مكة ولا دار من دورها الا دخلته منها فلقة فقال العباس ان هذه لرؤيا وانت فاكتميها
ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقى عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان له صديقا فذكرها
له واستكتمه اياها وذكرها عتبة لابنته فغضى الحديث حتى يحدث به قريش قال العباس
فغدوت اطوف بالبيت وابو جهل بن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة
فلما رانى ابو جهل قال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا فلما فرغت
اقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لى ابو جهل يا ابن عبد المطلب متى حدثت هذه النبية
فيكم قلت وماذاك قال الرؤيا التى رات عاتكة قال يا ابن عبد المطلب اما رضيتم ان تنبأ
رجالكم حتى تنبأت نساؤكم فقد زعمت عاتكة انها رات فى رؤياها فاقالا تنولوا انفروا
فى ثلاث فستتربص بكم هذه الثلاث فان يك ما قالت حقا فسيكون وان مضى الثلاث
ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا انكم اكذب اهل بيت فى العرب فقال العباس
فوالله ما كان منى اليه كبير لانى جحدت ذلك وانكرت ان تكون رات شيئا ثم تفرقنا
فلما امسيت لم تبق امراة من متعلقات عبد المطلب الا اتتنى فقالت اقررتم لهذا
الفاسق الخبيث ان يقع فى رجالكم ثم قد تناول النساء وانت تسمع ولم تكن عندك
غيرة لشئ مما سمعت قال فقلت والله ما كان منى اليه كبير وايم الله لاتعرضن له فان عاد
لاكفينكنه قال فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا احدد مقضبى فدخلت المسجد
فرايته فوالله انى لامشى نحوه ليعود لبعض ما قال فاقع به وكان رجلا خفيفا حديد اللسان
اذا هو سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادى واقف على بعيره وقد جدع
بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة اموالكم
مع ابى سفيان قد عرض لها محمد فى اصحابه لا ارى ان تدركوها الغوث الغوث قال فشغلنى
عنه وشغله عنى ما جاء من الامر فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش احد الا ان ابا لهب
قد تخلف وبعث مكانه احد اصحابه فخرج سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصحابه فنزل جبرئيل

وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين اي العيرين احديهما ابو سفيان مع العير والاخرى
ابو جهل مع النفير الى آخر القصة **قوله** فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال هذا هو المقصود
من ايراد القصة حيث تبين به وجه قوله تع وان فريقا من المؤمنين لكارهون فان من قال
هلا ذكرت لنا القتال انما قال ذلك كراهة لاخراجهم من المدينة **قوله** لو سرت بنا الى عدن
ابين ذكر لغاية بعد لانه نهاية اليمن وبعد الجوف المنسوب اليمن بالفتح اسم رجل من حمير
نسب اليه بلدة عدن لان ذلك الرجل عدن بها اي اقام وروي بكسر الهمزة ايضا **قوله**
فساءه العباس وهي ع وفاقه اي في نسب وقد كان خرج مع المشركين فاسر مع جملة من اسر من النفير
يوم بدر **قوله** لا يصلح اي ناداه بقوله لا يصلح هذا الرأي وهو التوجه الى العير بعد الظفر
بالنفير قيل انه كان قد اسلم قبل وقعة بدر الا انه كان يكتم اسلامه من قومه لانه كان له
اموال متفرقة عند الناس فلم يظهر اسلامه قبل ان يجمع قتلى اسر العباس رجل خفيف
الجثة يقال له ابو اليسر وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابي اليسر كيف اسرت العباس قال يا رسول الله لقد اعانني عليه رجل ما رأيته ذلك
ولا بعد هيئته كذا وكذا قال ع لقد اعانك عليه ملك كريم **قوله** التيسروا على اسر
المخاطبين من اشار بشبر اي بتيسروا ما في ضمركم في حق نصرتي ومعاونتي في هذه المعركة
فان الانصار كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ان ينصروه
ما دام في المدينة واذا خرج منها لا يكون عليهم معاونته ونصرته فاراد ع ان يعاهدهم
على النصرة في تلك المعركة ايضا **قوله** لو استوضت بنا هذا البحر اي لو طلبت منا ان نعبر
هذا البحر عرضا وقوله بنا حال من فاعل استوضت اي لو طلبت منا ذلك وانت معنا ونحن
في صحبتك لخضناه من غير تردد وتوقف **قوله** فلعل بعضهم قوله الفاء فيه فاء التعقيب
والتفريع فان القصة قد تمت بنقل مقالة العباس رضي الله عنه وهو ع وثاقة اي اذا تقرر
ان القصة جرت على ما ذكر فقد ظهر ان بعض الصحابة استثقلوا قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل بوبير بذلك ان تلقى
النفير وجهاد المشركين آثر عندي وانفع للمؤمنين من النظر بالعير لما في تلقي النفير من كسر شوكة
المشركين واظهار الدين الحق على الاديان كلها ولما كان المقصود من ايراد القصة بيان وجه
ارتباط قوله تع وان فريقا من المؤمنين لكارهون لقوله تع كما اخرجك ربك من بيتك بالحق

ان المع اخرجك ربك من بيتك لان تترك التوجه الى العير وتؤثر عليه مقاتلة ذي
حال كراهة فريق من اصحابك ما آثر من محاربة النفير وان تلك الكراهة انما
صدرت من بعض اصحابه لا من جميعهم لان كبار الصحابة لا يليق بشانهم استكراه
ما آثره رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصهم عليه كان المناسب ان يذكر القصة
بتمامها ثم يفرع عليه بيان ان الكل او بعض منهم لا كلهم فلذلك ذكر قوله فكره
بعضهم بعد الفراغ من ذكر القصة **قوله** في ايثارك الجهاد يعني ان الجهاد يعني ان الحق
الذي جادلوا فيه رسوله هو ايثار الجهاد مع نفير على التوجه نحو العير **قوله** لاظهار
الحق حال من الجهاد اي يجادلونك في ايثارك الجهاد في حال كونه ملتبسا باظهار الدين
الحق فلذلك عبر عنه بالحق وقوله لايثارهم تعلق الغير عليه متعلق بيجادلونك فانهم انما
خرجوا من المدينة طلبا لعير قريش فلما منعت قريش عنها بالنفير امروا بالقتال مع
النفير فشق ذلك عليهم من حيث انهم لم يتأهبوا للقتال ولم يعدوا له عدة مع قلة
عددهم وكونهم رجالة لم يكن فيهم الا فارسان وكثرة عدد المشركين وعددهم
فلذلك جادلوه ع طلبا للرخصة في ترك القتال وكان جدالهم قولهم ما كان خروجنا
الا للعير فهلا فكلت لنا ان الخروج لمقاتلة النفير لنستعد ونتأهب له **قوله** تعالى
يجادلونك يحتمل ان يكون استينافا لبيان طريق كراهتهم للاخراج المذكور ويحتمل
ان يكون حالا ثانية اي اخرجك في حال بعضهم كارهين مجادلين في ايثارك الحق المؤدي
الى اظهار الدين الحق على الاديان كلها ويحتمل ان يكون حالا من ضمير كارهون اي فريقا
منهم كارهون في حال مجادلتهم **قوله** بعد ما تبين منصوب بمجادلونك وما مصدرية
اي بعد تبينه ووضوحه والجدال في الحق بعد تبينه اقبح من الجدال فيه قبل انضاحه ورجالة
جمع راجل وهو خلاف الفارس ويجمع ايضا على رجل مثل صاحب وصحب وحار وحال وقوله
كانما يساقون حال من فاعل يجادلونك اي يجادلونك مشبهين بمن يساق الى الموت
وقوله وهم ينظرون حال من ضمير يساقون ولما كانت مجادلتهم مبنية على كراهة القتال
والخوف من غلبة العدو وشبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم بحال من يجر الى القتل
ويساق الى الموت وهو ينظر اي يشاهد اسباب الموت وموجباته وفي تقييد
مجادلتهم بكونهم في حال كونهم مشبهين بمن يساق الى الموت اعلام بان مجادلتهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كانت لغوط قوعهم ورعبهم واذ في قوله تعالى واذ يعدكم الله منصوب باضمار اذكر وقوله
انها لكم بدل اشتمال من احدى الطائفتين وهما ابو سفيان مع العير وابو جهل مع النفير
اي يعدكم ان احديهما كائنة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك على املاكهم قوله
الشوكة الشوكة للحدة اي السلاح الذي له حد كسنان الرمح والسيف ونصل السهم
فان الذي يشبه بواحد الشوكة هو السلاح المذكور لا نفس الحدة والشوكة نبت
في طرفه حد كحدة الابرة قوله ان يثبته وقوله يفسر به قوله تعالى ان يحق الحق لان
الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته وما يثبت الشيء لذاته فانه يمتنع تحصيله بجعل
جاعل وفعل فاعل فلما تعذر حمل الكلام على حقيقته وجب ان يكون المراد بتحقق الحق
وابطال الباطل اظهار كون ذلك الباطل باطلا وذلك يكون تارة بالظاهر الدلايل
والبينات وتارة يكون بتقوية رؤساء الحق وقهر رؤساء الباطل فقوله ويريد
الله ان يحق الحق مع قوله وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي يريدون في قوة ان
يقال انكم تريدون العير لتفوزوا بالمال والله تعالى يريد ان تتوجهوا الى النفير لما فيه من
اعلاء الدين الحق واستيصال الكافرين فان قطع الدابر عبارة عن الاستيصال
والمقصود من الآيتين تمييز ما بين الارادتين فلا يكون ليحق الحق تكريرا لقوله يريد الله
ان يحق الحق وان تبادر الى الذهن كونه تكرارا لان قوله ليحق الحق متعلق بمحذوف اي فعل
ذلك لان يظهر دين الاسلام على سائر الاديان وان يعليه على ما عداه من الاديان
وهذا هو المذكور بقوله يريد الله ان يحق الحق فان معناه يريد الله ثم يحمل الرسول صلى
الله عليه وسلم على ايثار تلقي النفير ان يظهر الاسلام ويعليه وعلى الحمل المذكور
ثانيا باظهار الاسلام وابطال الكفر وظاهر انه تكرار لا انه ليس بتكرار في الحقيقة
لان الاول مذكور لبيان ان مراد الله تعالى [illegible] الدين واظهار الحق الذي هو الاسلام
وان مرادهم اصابة المال وان لا يلتفت [illegible] بيان الفرق بين المرادين والثاني
مذكور لبيان الداعي الى حمل الرسول صلى الله عليه وسلم على اختيار التوجه الى ذات
الشوكة ونصبه عليها وقمع دابر المشركين كانه قيل لم يفعل ما فعل من حمله على ايثار التوجه
الى جانب النفير ونصر المؤمنين وقمع دابر الكافرين الا لهذه الحكمة الباهرة وهي اظهار
الدين الحق وابطال قوله او متعلق بقوله ليحق الحق اي او هو ظرف منصوب به والمعنى

ليحق

ليحق الحق وقت استغاثتكم وفيه ان قوله ليحق مستقبل لكونه منصوبا باضمار ان واذ ظرف
لما مضى فكيف يجعل المستقبل في الماضي الا ان يقال وقت استغاثتهم ماض بالنسبة الى زمان
نزول الآية وتحقيق الحق مستقبل بالنسبة الى وقت استغاثتهم بل بالنسبة الى زمان
نزول الآية ايضا وان كان منصوبا باضمار اذكر يكون الكلام ابتدائيا منقطعا عما قبله والاستغاثة
طلب الغوث والغوث والعون ثم قيل هذه الاستغاثة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل انها كانت من المؤمنين لقوله واذ يستغيثون
باسناد الفعل الى الجماعة ولا منافاة بين القولين لانه مع دعا وتضرع كما روي والمؤمنون
عاد دعاية وروي انه لما اصطفت القوم قال ابو جهل اللهم اولانا بالحق فانصر قوله
تعالى فاستجاب لكم ان اي جاعلكم فان استجاب واجاب يستعملان بمعنى كما في قوله وداع دعى
يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب فقلت ادع اخرى وارفع الصوت
دعوة لعل الى المعوار منك قريب قوله متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا يعني
ان الارداف بمعنى الاتباع يقال ردفه واردفه اذا جاء بعده وارداف الملائكة
تتابعهم وجيء بعضهم اثر بعض او اتباعهم المؤمنين ومسيرهم خلفهم فان افعل
قد يكون بمعنى فعل وفي الصحاح يقال اردفه اي بمعنى ردفه وتبعه امر مثل تبعه واتبعه
فانهما واحد او متبعين بعضهم بعضا او انفسهم المؤمنين على ان يكون حذف
اردف لتعدية ردفه الى المفعول ثان وان قرئ مردفين بفتح الدال يكون اسم مفعول
من ارداف المتعدي الى واحد بمعنى متبعين يتبعهم المؤمنون بان يكونوا متقدمة
الجيش او من ارداف المتعدي الى اثنين ويكون بمعنى متبعين بان جعلهم ربتهم
ساقة الجيش وجعلهم تابعين للمؤمنين قوله وقرئ مردفين بكسر الراء
وضمها وتشديد الدال قوله وقرئ بالاف لموافق ما في سورة آل عمران وهو قوله
تعالى الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين
بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين
قوله ان المراد بالالف الذين كانوا امدادا المتقدمة او الساقة للحصر جميع ما امر الله تعالى
بهم من الملائكة في الالف روي عن علي رضي الله عنه انه قال لما التقى الصفان جاءت
بخيل لم ار مثلها قط شقر ثم ذهبت فجاءت اخرى مثلها ثم ثالثة فكانت الاولى جبرائيل

في الالف من الملائكة عليهم السلام فكانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت
الثانية ميكائيل في الف من الملائكة عليهم السلام فكانوا في ميمنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان ابو بكر رضي الله عنه في الميمنة وكانت الثالثة اسرافيل في
الف من منهم عليهم السلام ونزلوا في ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
في الميسرة وكانت الملائكة في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمايم بيض
قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلوا قوله واختلف في مقاتلتهم فقيل نزل
جبرائيل في خمسمائة من الملائكة على الميمنة وفيها ابو بكر ونزل ميكائيل في خمسمائة
على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب فقاتلوا وقيل قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم
الاحزاب ويوم حنين وعن ابو جهل انه لابن مسعود من ابن كان ذلك الذي كنا نسمع
ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين
بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذا سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر
الى المشرك قد خر وشق وجهه فحدث المسلم ما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة قال فبعث رجلا من المشركين لاضربه
يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل ان الملائكة لم يقاتلوا
وانما كانوا يكثرون سواد المسلمين ويثبتون المؤمنين والاظهر واحرى كان في اهلاك
اهل الارض جميعا فان جبرائيل اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط واهلك بلاد
ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وكانت وقعة بدر يوم الجمعة السابع عشر من شهر
رمضان على راس تسعة عشر شهرا من الهجرة قوله الا امنة مستثنى مفرغ
من اعم عام العلل والتقدير وما جعله الله لعلة من العلل الا لبشركم بالنصر ونصب
بشارة لوجود شرط نصبه وهو اتحاد الفاعلين فاعل الفعل وفاعل العلة ولم
تنتصب قوله ولتطمئن قلوبكم لعدم وجود شرط نصبه لان فاعل الجعل هو الله
وفاعل الاطمئنان هو القلوب قوله او متعلق بالنصر اي او هو ظرف له منصوب به
اي وما النصر في وقت ان غشاكم الله النعاس امنة الا من عند الله او هو ظرف
لما في قوله عند الله من معنى الفعل فان المعنى وما النصر ثابتا وحاصلا عند احد الامن
عند الله فانه حاصل من عنده في وقت تغشية الله النعاس اياكم امنة قرا عاصم وابن عامر

وحمزة والكسائي يغشيكم بضم الياء وتشديد العين ونصب النعاس من التغشية عدى الفعل
بتضعيف العين الى مفعول ثان فان غشية يتعدى الى واحد والفعل مسند الى ضمير الباري تع
والتشديد للتكثير والمبالغة والمعنى يغشيكم الله تعالى النعاس امنة منه اي امانا من الله تعالى
مما خفتم فان الصحابة كانوا اعلم من المشركين مع علمهم بالمقاتلة عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال النعاس في القتال امنة من الله وهو في الصلوة من الشيطان وقرا نافع يغشيكم
بضم الياء وتخفيف الشين من الاغشاء بهمزة النقدية واسناد الفعل الى ضمير الباري تع
والمعنى ايضا يغشيكم الله النعاس امنة وقرا ابن كثير يغشاكم النعاس بفتح الياء وتخفيف
الشين ورفع النعاس على الفاعلية اي اخذكم النعاس قوله باعتبار المعنى جواب
عما يقال كيف جاز نصب امنة على انه مفعول له للفعل التغشية او الاغشاء مع فوات شرط
نصب المفعول له وهو اتحاد الفاعلين لان كلا واحد من التغشية والاغشاء فعل الله
تعالى والامنة فعل المخاطبين وتقرير الجواب ان الفاعل متحرف المعنى لان المعنى اذ تنعسون
امنة والامن فعل الناعسين قوله ويجوز ان يراد بها الايمان بان يكون امنة مصدر آمنه
بمعنى زال خوفه وهو وجه ثان لاتحاد الفاعلين لان فاعل التغشية والاغشاء والايمان
كلها هو الله تعالى الا ان كونها مصدر آمنه لا يساعد الوضع اللغوي قوله فيكون فعلل
المغشى وفعل المغشى ايضا والسؤال وارد على قراءة ابن كثير كما يرد على القراءتين الاوليين
لان فاعل الغشيان هو النعاس وفاعل الامنة هو المخاطبون والوجه الاول يدفعه عن جميع
القراءات الثلاثة بخلاف الوجه الثاني فانه لا يدفعه الا عن القراءتين الاوليين ولا يدفعه
عن القراءة الاخيرة لان فعل الغشيان والايمان متغايران ان يدفعه عنها ايضا فقال ويجوز
ان يجعل الامنة فعل النعاس كما ان الغشيان فعله فيتحد الفاعلان والامنة مع كونها
فعل المخاطبين الناعسين جعلت فعلا للنعاس واسندت اليه مجازا لكونها فعل محابه
فاسندت اليه طريقا اسناد الفعل الى الوصف القايم بفاعله فاسند من الناعسين
الى نعاسهم قوله اولانه كان مرجفة عطف على قوله لانها لاصحابه وهو وجه ثان لجعل الامنة
فعل النعاس مجازا ان ويحتمل ان يكون اسناد الامنة الى النعاس تخييلا للاستعارة
بالكناية بان يشبه النعاس بشخص من شانه ان يغشى القوم حال امنه ولا يغشاهم حال
خوفه ولما كان الغشيان حال الامن من توابع المشبه به ولوازمه كان اثباته للنعاس تخييلا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

للاستعارة المكنية التي هي التشبيه المضمر فقيل للنعاس انه غشي القوم حال امنه من الكفار تشبيها له بالشخص وتخييلا لذلك التشبيه للسامعين ابرازا للمعقول في صورة المحسوس ونظير هذا التمثيل والتخييل قول من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود ومعنى ان النوم يهاب ان يغشى عيون اعدائك ومخالفيك وانهم لا ينامون من خوفك قوله تهابك صفة عيونا ونفار مبالغة نافر وشرود وفعول بمعنى فاعل من شرد البعير اذا نفر وفي البيت مبالغة حسنة شبه النوم بشخص من شانه ان يهاب واثبت اليه النوم تخييلا لتشبيهه بالشخص الذي يهاب العدو قوله وقرئ امنة بسكون الميم كرحمة كما قرئ امنة بفتح الميم مثل حيي حيوة اصله حيية قلبت الياء الثانية الفا والحيوة مصدر ومعناها ضد الموت فان قيل كيف وصفت الامنة بانها منه تعالى مع ان كل نوم ونعاس وسائر الحوادث انما يحصل من قبل الله تعالى فلا بد لتخصيص هذا النعاس بانه من الله تعالى من فايدة ما هي اجيب بان الفايدة فيه الاشارة الى تفخيم هذا النعاس وانظوائه على ما لا يوجد في سايراحاد جنسه وذلك من وجوه احدها ان الخايف اذا خاف العدو خوفا شديدا على نفسه واهله وماله لا يأخذه النوم فكان حصول النوم لهم في وقت الخوف الشديد دليلا على انه حالة غريبة خارقة للعادة احدثها الله لتكون دليلا لهم على انه ازال عنهم الخوف وانعم عليهم الامن وطمانينة القلب كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال النعاس في الحرب والقتال امنة من الله تعالى وفي الصلوة وسوسة من الشيطان وثانيها انه لولم يحدث لهم هذا النعاس وما يتبعه من الاستراحة في تلك الليلة لما تمكنوا في اليوم الثاني من القتال والظفر به على الاعداء فكان عروضه لهم في تلك الليلة نعمة عظيمة من الله تعالى في حقهم وثالثها انهم ماتوا نوما غرقا بحيث يتمكن العدو من مفاجئتهم واخذهم على غرة بل كان ذلك نعاسا حصل لهم بذلك استراحة وزال عنهم الكلال والاعياء به مع انهم كانوا لو قصدهم العدو لعرفوا هجومهم وقدروا على دفعهم فكان بهذا الوجه ايضا نعمة عظيمة الهية ورابعها ان هذا النعاس غشيهم دفعة واحدة مع كثرتهم وحصول النعاس للجمع العظيم في الخوف الشديد امر خارق للعادة فلذلك قيل ان ذلك النعاس في حكم المعجز قوله تنزلوا في كثيب اعفر الكثيب تل من الرمل والاعفر الذي لعبته الرمل الاحمر ويطلق على الابيض الذي ليس بالشديد البياض

روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل من بين المسلمين على غير ماء بالجانب الاقرب من المدينة من الوادي ونزل المشركون بجانبه الابعد من المدينة الاقرب الى مكة والوادي بينهما وكان رملا يغيب فيه الاقدام ثم بانوا ليلتهم تلك ونام المؤمنون استيقظوا وقد احدث اكثرهم وغلب المشركون على الماء وليس معهم ماء فوسوس اليهم الشيطان وخوفهم بما ذكر المصنف فازال الله تعالى ما طرا عليهم من الهم والحزن بان امطر عليهم ليلا حتى سال الوادي وامتلا من الماء واشتد الرمل فاغتسل المسلمون وتوضوا وشربوا وسقوا دوابهم وبنوا على عدوة حياضا فنزل قوله اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ليطهركم اي من الحدث والجنابة واصل الرجز الايذاء والتعذيب اطلق على الجنابة اوعلى وسوسة الشيطان وتخويفه لان كل ذلك عذاب وصل اليهم من قبل الشيطان والربط الشد والتقوية وعلاقلة والمعنى وليربط قلوبكم ويشدها ويقويها بجعلها واثقة بلطف الله تعالى وكرمه وجيء بكلمة اذ الايذان بان قلوبهم امتلات من ذلك الربط حتى كانه علة علية وارتفع فوقها قوله اي بالمطر فان نزول المطر على الوادي سبب للتلبد ما فيه من الرمل الذي تغوص فيه الاقدام فيكون سببا لثبات الاقدام وعدم غوصها فيه وكذا الربط على القلوب بحملها واثقة على لطف الله سبب لثبات الاقدام في المعارك ومواضع القتال قوله وهو مفعول يوحي اي يوحي ربكم اليهم معنى هذا الكلام انى اعينكم في تثبيت المؤمنين فتثبتوهم فلذلك فتح همزة انى وفسر معية الله تعالى مع الملائكة بمشاركتهم معهم في تثبيت المؤمنين وكونه معينا لهم في ذلك اذ لا وجه لحمله على ما يفهم من قولك انى معك وهو ان يراد به معنى الخوف من المخاطب كما في قوله تعالى لا تخف ان الله معنا وذلك لان الملائكة ما كانوا خائفين من الكفار حتى يقال لهم انى معكم فلا تخافوهم فينبغي ان يكون المعنى انى معكم في تثبيت المؤمنين وذكر المصنف في كيفية هذا التثبيت ثلثة اوجه الاول ان الملائكة ثبتوهم بالبشارة اما بان عسكروا الرسول صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ناصر المؤمنين وهو معهم عسكر المؤمنين تلك البشارة واما بان يلهموا قلوب المؤمنين بنصرة الله تعالى اياهم فكان الشيطان يمكنه ان يوسوس الى الانسان فكذا يمكن للملائكة ان يلهموا اليهم واما بان يتمثل الملائكة

بصور الرجال وبقوا قلوبهم بان يذكروا لهم امارات النصر وعلاتيم كان تكثير السواد
اما يكون بذكر والوجه الثاني والثالث ظاهر ان قوله تعالى سالقي كالتفسير بقوله اني معكم
لانه لما فسر قوله اني معكم بالمعية في الاعانة والتثبيت ولا اعانة للمؤمنين اعظم من القاء
الرعب في قلوب اعدائهم فظهر ان قوله سالقي كالتفسير لقوله اني معكم فلذلك لم يعطف
على ما قبله وقوله فاضربوا فوق الاعناق كالتفسير لقوله فثبتوا اولا تثبيت للمؤمنين
اقوى من ضرب اعناق اعدائهم فسر الجملة الخبرية بالخبرية والانشائية بالانشائية
قوله وفيه دليل على انهم قاتلوا لانه تعالى لما خاطب الملائكة بان قال لهم اني معكم
في اعانة المؤمنين ولا شك ان شان المؤمنين انما هو قتال المشركين فمن اعانهم يعني
ذلك لا بد ان يشاركهم في القتال قوله ومن منع ذلك ان من منع قتال الملائكة يوم
بدر جعل الخطاب في قوله تعالى اني معكم للمؤمنين والمعنى اوحى ربك الى الملائكة
اني مع المؤمنين فانصرهم وثبتوهم الا انه تعالى عبر عن المؤمنين بضمير المخاطبين اذ لا
غائب بالنسبة اليه تعالى فيخاطب من شاء من خلقه فخاطب المؤمنين بقوله معكم ثم
غير الخطاب فخاطب الملائكة بقوله فثبتوا الذين آمنوا ثم فسر قوله للمؤمنين اني معكم
احفظكم وانصركم فلا تخافوا بقوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب بين به طريق
نصرته اياهم غير خطاب الملائكة بقوله فثبتوا الى خطاب المؤمنين بقوله سالقي لانه
كلام ملقى الى المؤمنين ثم ذكر احتمال ان لا يغير خطاب الملائكة الى خطاب المؤمنين
بان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان كلاما مع الملائكة وتلقينا لهم ما يثبتون به
المؤمنين فعلى هذا دلالة في الآية على قتال الملائكة والعدوة جانب الوادي وناحيته
وخصم كل شيء جانبه وناحيته كذا في الصحاح واتفق القراء على فكوا الادغام في قوله تعالى
ومن يشاقق الله لانه كتب في المصاحف بقافين مكفوفتين والادغام في مثله لغة تميم
وفكه لغة اهل الحجاز ومعنى شاقوا الله شاقوا اولياء الله قال صاحب الكشاف سئلت
في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كالمخاصمة
والمشاقة لان هذا في خصم اي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق قوله
تقرير للتعليل يعني انه تقرير لكون المشاقة سببا للعقوبة المذكورة العاجلة حيث جعل
المشاقة شرطا للعقوبة الشديدة العاجلة من الله تعالى قصد بذلك التقرير تعليل العقاب

بالمشاقة قوله او وعيد فان قوله بشديد العقاب يدل على ان ما اصابهم في ذلك اليوم من القتل
والاسر وغيرهما شيء قليل بالنسبة الى ما اعدهم من عقاب يوم القيمة قوله ومحله الرفع
اما على انه خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلكم العقاب المذكور او على انه مبتدا محذوف خبره
اي ذلكم العذاب واقع بكم ويجوز على رأي الاخفش ان يكون الخبر فذوقوه فانه يجوز
زيادة الفاء في خبر المبتدا سواء تضمن المبتدا معنى الشرط او لم يتضمن كما في قول الشاعر
وقائلة خولان فانكح فتاتهم واكرومة الحيين خلو كما هيا وخبر الاخفش لا يجيز دون زيادة
الفاء في الخبر الا اذا تضمن المبتدا معنى الشرط ويحملون البيت على اضمار المبتدا فتدبر
هذ خولان ويجوز ان يكون ذلكم منصوبا بفعل مضمر يفسره قوله فذوقوه ويكون
من باب الاشتغال اي ذوقوا ذلكم فذوقوه على حذف عامل المفعول به حذرا عن
اجتماع المفسر والمفسر والاحسن ان يكون منصوبا بفعل مضمر لا يفسره قوله
فذوقوه مثل باشر واذلكم العذاب وعليكم ذلكم العذاب فذوقوه
لتكون الفاء عاطفة لا زائدة الا ان عليكم من اسماء الافعال واضمارها غير
مشهور قوله عطف على ذلكم فان كان ذلكم خبر مبتدا محذوف يكون ما
عطف عليه خبرا لذلك المحذوف ايضا ويكون التقدير الامر ذلكم وان للكافرين
عذاب النار وان كان ذلكم مبتدا حذف خبره وكان ما بعده معطوفا على ذلك
المبتدا وكان التقدير ذلكم العذاب واقع بهم وان عذاب النار معد للكافرين
قوله ووضع الظاهر فيه موضع المضمر فان اصل الكلام حينئذ فذوقوه ايها ان لكم في الاخرة
فوضع الكافرون موضع لكم شهادة عليهم بالكفر الذي هو علة الحكم ولفظ الذوق الى ان ما
عجل لهم في الدنيا من القتل والاسر وغيرهما بالنسبة الى ما اعد لهم في الآخرة بمنزلة
ذوق المطعوم بالنسبة الى اكل قوله كشيء يعني ان الزحف في الاصل مصدر بمعنى الدبيب
الا انه اطلق في الآية على الجيش الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب من قولهم زحف
الصبي يزحف من باب فتح يفتح اذا دب على استه قليلا سمي به الجم الغفير على طريق تسمية
بالمصدر وهو منصوب على انه حال من مفعول لقيتم اي اذا لقيتموهم وهم جم غفير اشار بقوله
كشيء الى انه حال من المفعول وحد ثم عطف عليه قوله ويجوز كونه حالا من الفاعل والمفعول
معا اي لقيتموهم متزاحمين بعضكم الى بعض ومن الفاعل فقط اي اذا لقيتموهم وانتم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

زحف اي جماعة كثيرة والزحف وان كان مصدرا في الاصل الا انه لما جعل حالا من الاعيان
والحال في المعنى خبر عن ذي الحال فيجب ان يصح حمله عليه واسم المعنى لا يصح حمله على اسم الذات
وجب ان يجعل زحفا اسما بمعنى الجماعة الذين يزحفون الى عدوهم قليلا قليلا وان يجمع
على زحوف نحو قلب وقلوب وبحر وبحور والاظهر انها محكمة لما وعد الله تعالى في هذه الآية
من ولي ظهره نحو العدو في المحاربة مع الكفرة بانه قد باء بغضب من الله ومأويه جهنم مطلقا اي
سواء كانت الكفرة اكثر من المؤمنين او اقل او مساوا هم اختلف المفسرون في انها منسوخة
ومحكمة فقال بعضهم انها منسوخة بقوله تعالى في آخر هذه السورة ان يكون منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين الى قوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن
منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكون منكم الف يغلبوا الفين باذن الله بعد قوله
يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان
يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا اوجب الله تعالى على الواحد اولا ان يقاوم العشرة
ولا يفر منها ثم خفف واوجب على الواحد ان يقاوم الاثنين فليس لعسكر المؤمنين
ان يفروا من مثليهم من الكفار وليس لهم ان يفروا اذا كان عسكر الكفار اكثر من مثلي عسكر المسلمين
فلا يلحقهم الوعيد المذكور في هذه الآية وهو ان يتعلق بهم غضب ويكون مأويهم جهنم
ويكون هذه الآية منسوخة بما نزل في آخر السورة لان هذه الآية اوعد عاما من تزعزع قتال
الكفرة مطلقا وما في آخر السورة اوجب عليهم ان يقاوموا الكفرة اذا كانوا مثلي المؤمنين
او اقل وجوز ان ينهزموا اذا كانت الكفرة اكثر من مثليهم واختار المصنف كونها محكمة
غير منسوخة لعدم التنافي بين حكمها بناء على ان الآية الواردة في آخر السورة خصص الوعيد
المذكور في هذه الآية بما اذا كان عدد الكفار اكثر من عشرة امثال المؤمنين او لا
وبما اذا كان عددهم اكثر من مثلي المؤمنين ثانيا فالوعيد المذكور في هذه الآية
عام خص منه البعض وطريان التخصيص على العام لا ينافي كونها محكمة فيما عدا
مادة التخصيص بتبين الله تعالى في هذه الآية ان الانهزام من العدو حرام الا في حالتين
احديهما ان يكون منحرفا للقتال اي مائلا ومنتقلا من مكان الى مكان اخر للقتال
بقال انحرف اذا مال من جانب الى جانب آخر ولآخر الطرف وللجانب من خندق للحرب
ومكايدها ان يجتل العدو انه منهزم ثم يعطف عليه من جانب آخر وثانيتهما ان يكون

متحيزا

متحيزا الى فئة اي منضما الى جماعة ليستعين بهم ويعود الى القتال والتحيز والانحياز
والانحياز عبارتان عن الانضمام يقال حاز الشيء اذا ضمه الى نفسه وكل واحد
من هاتين الحالتين ليست انهزاما في الحقيقة بل هو من قبيل النهوض والتقوي
للحرب فمن ولى ظهره لا لاحد هذين الغرضين فقد لحقه الوعيد المذكور بقوله تعالى
فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير ثم ان الفئة التي يتحاز
اليها المولي المنهزم هل يعتبر كونها قريبة من الغيبة التي هو فيها ينضم اليهم
ليستعين بهم على الكفار في تلك المعركة او لا يعتبر اختلف فيه فقال بعضهم
لا يعتبر كونها قريبة من الفئة التي هو فيها لان المؤمنون كنفس واحد فمن
لم يتوقع الظفر على العدو بثباته في الفئة التي هو فيها يتولى عنهم وينضم الى
فئة من المسلمين ليتقوى بهم على الكر بعد الفر واستدل عليه بما رواه ابن
عمر رضي الله عنهما من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمن انهزم وفر الى المدينة
وقال يا رسول الله نحن الفارون فقال عم بل انتم العكارون وانا فئتكم العكار الرجاع
الكرار من العكرة وهي الكرة يقال عكر يعكر اذا حمل ورد وروي انه لما قتل ابو عبيدة
جاء الخبر الى عمر رضي الله عنه فقال لو انحاز الي لكنت له فئة فانا فئة كل مسلم
قوله والا للغو يعني على تقدير ان متحرفا ومتحيزا حالين من فاعل يولهم يكون الا
لغوا يعني انه لا مدخل له في انتصاب ما بعده لان الحال ينتصب بعامل ذي الحال
بخلاف ما اذا كانا منصوبين على الاستثناء من المولين فان الا حينئذ لا يكون لغوا
بل يكون عاملا ناصبا للمستثنى ويكون المعنى من يولهم الا رجلا منهم فقد باء بغضب
متحرفا او متحيزا وعلى تقدير كونهما حالين يكونان في الحقيقة استثناء مفرغا
من اعم الاحوال والتقدير ومن يولهم ملتبسا بحال من الاحوال الا بحال كانت
الا في حال متحرفا او متحيزا بغضب قوله ووزن متحيز متفعل على انه اسم فاعل من
تحيوز يتحيوز تحيوزا اصله متحيوز اجتمعت الواو والياء سبقت احديهما
بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء ولو كان وزنه متفعل لكان
اسم فاعل من تحوز يتحوز تحوزا ولوجب ان يقال الا متحوزا بالواو لانه منقول
من حاز يحوز حوزا وهو اوية فلما قيل متحيزا بالياء علم انه من تفيعل لا من تفعل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قوله تعالى يومئذ اى وقت اذ لقيتم الكفار لان اليوم اسم لبياض النهار اذا اطلق
واذا قرن به فعل يمتد يراد به مطلق الوقت فيصير يومئذ بمعنى حينئذ قوله هذا
اذا لم يرد بمعنى ان هذا الوعيد المذكور بقوله فقد باء بغضب من الله الاية وان كان
بحسب الظاهر متنا ولا لكل من يولى دبره وقت ملاقاة الكفار الا انه مخصوص
بما اذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين قال الامام محى السنة اكثر اهل العلم على ان
المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز ان يفروا ويولوا ظهورهم
الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة وان كانوا اقل من ذلك جاز لهم ان يولوا ظهورهم
ويجاوزوا عنهم قال ابن عباس رض من فر من ثلثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر اى ارتكب
المحرم وهو كبيرة الفرار عن الزحف وقيل هذه الآية مخصوصة باهل بيته عم والخاصين
معه في الحرب اذ ليس لهم فئة يتحازون اليها دون النبى صلى الله عليه وسلم فليس لاحد منهم
ان يتحاز الا من يتقوى به فيكون انصرافه عنهم فرارا عن الزحف وكبيرة بخلاف من عداهم
من المسلمين فان من تحرز عن مقاومة الكفار بسبب قلتهم وكثرة الكفرة وغلب على ظنه انه
ثبت قتل من غير فائدة وان تحيز الى جمع جمع كان راجيا للخلاص وطامعا في مقاومة
العدو وبسبب كثرة الفئة وقوتهم لا يكون انصرافه عن قتال الكفار كبيرة مستوجبة
للوعيد المذكور قوله لما طلعت قريش من العقنقل وهو الكثيب الذى جاؤا منه الى
الوادى العقنقل الكثيب العظيم المتداخل الرمل ويجمع على عقاقل والعوكل الكثيب
العظيم الا انه دون العقنقل والحبلاء الكبر قوله ما رميت رميا توصلها الى اعينهم
لما كان اثبات الرمى لاحد ونفيه عنه متنافيان لا يجتمعان حمل الرمى المنفى على ما هو
المقصود وغايته وحمل المثبت على صورته الصادرة منه وقيل المثبت غير المنفى
باختلاف متعلقهما ولم يرض به لانه لا يلايم سبب النزول ولانه لا فايدة في الحكم
بهذا المعنى لانه يعلم كل احد ان من رمى احد الشيئين لا يكون راميا للآخر وقيل انه
نزل في يوم احد في قتل ابى ابن خلف وذلك انه اتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم رميم
وفتته وقال يا محمد من يحيى وهو رميم فقال عم يحييه الله ثم يميتك ثم يحييك
ثم يدخلك النار فاصبر يوم بدر فلى افندى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عندى
فرسا اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليه فقال عم بل انا اقتلك ان شاء الله

فلما كان

فلما كان يوم احد اقبل ابى يركض ذلك الفرس حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعترض له رجال من المسلمين ليقتلوه فقال عم استأخروا ورماه بحربة فكسر ضلعا
من اضلاعه فحمل فمات ببعض الطريق فمن ذلك نزلت الاية وقيل انها نزلت يوم حنين
وذلك انه عم اخذ قوسا وهو على باب حنين فرمى به سهما فعم العسكر فاصاب كل رجل من
اولئك الجيش فقتله وهو على فراشه فانزل الله وما رميت اذ رميت والاصح الذى عم
عليه الجمهور انها نزلت في يوم بدر والاية خطاب في اثناء القصة كلام اجنبى عنها والمعنى
ان القبضة التى رميتها صورة فانت ما رميتها حقيقة لان رميك لا يبلغ اثره الا ما يبلغ
رمى سايرالبشر ولكن الله رمى واوصل اجزاء تلك القبضة الى عيون جميع المشركين
ولم يبق مشرك الا دخل في عينه منها شئ فانهزموا فصوت الرمى صدرت منه عم
الا ان اثرها انما صدر من الله تعالى اذ ليس في وسع البشر ان يرمى كف من الحصباء في
وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين الا ويصيبها منه شئ قوله تعالى وليبلى المؤمنين متعلق
بمحذوف اى وليبليهم وينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر العظيم فعل ذلك
او هو معطوف على علة محذوفة اى وكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلى المؤمنين
والبلاء يطلق على النعمة وعلى المحنة لان اصله الاختبار وذلك كما يكون بالمحنة لاظهار
الصبر يكون بالنعمة ايضا لاظهار الشكر والاختبار من الله تعالى اظهار ما علم كما علم لتحصيل
علم ما لم يعلم لانه تعالى منزه عنه قيل ضمير منه يعود على الظفر بالمشركين وقيل على الرمى
والظاهر انه يعود على الله تعالى وكان في الاصل صفة للبلاء فلما قدم عليه انتصب حالا
والمقصود تعظيم البلاء وتفخيمه والظاهر ان بلاء اسم مصدر يبلى ابلى ليبليهم ابلاء
حسنا والمتبادر من عبارة المصنف انه حمله على الشئ المبلو به على طريق اطلاق
المصدر على المفعول حيث قال ولينعم عليهم نعمة عظيمة قوله ومحل الرفع اى على
انه خبر مبتدا محذوف اى المقصود او الامر ذلكم وهو القتل والرمى والابلاء
وتوهين كيد الكافرين وتجهيلهم على ان يكون قوله وان الله موهن كيد الكافرين
معطوفا على ذلكم اى المقصود ما ذكر من القتل والابلاء وتوهين كيد الكافرين
بقتل جبارهم واسرا شرافهم والقاء الرعب في قلوبهم قوله وخفض موهن
كيد بالاضافة والتخفيف وغير خفض ينوّنون لفظ موهن وينصبون كيدا الا ان

للحرمين

وابا عمرو ومن قراء موهن بالتنوين يقرؤن مُوهِنٌ بفتح الواو وتشديد الهاء والباقون
من اصحاب التنوين يقرؤن موهن باسكان الواو وتخفيف الهاء قوله خطاب لاهل
مكة على سبيل التهكم حيث عبر عما جاءهم من الخزي والخذلان بالفتح على سبيل الاستعارة
التهكمية اب ان تستنصروا ابا اهل مكة لاهل القئتين واكرمهم للجندين فقد جاءكم
النصر ولاشك انه تهكم بهم واستهزاء وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم انصر افضل
الفريقين واحفهما بالنصر وروي انه قال اللهم ايتنا كان اقطع للرحم واجفى فاهلكه
غداة على نفسه لغاية جهله وروي عن ابي بن كعب انه قال هذا خطاب للكفرة
قال الله تعالى ان تستفتحوا اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وذلك ان المسلمين شكوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصابهم من المشركين وهو متوسد بردة له في ظل
الكعبة وقالوا له الا تدعو الله لنا الا تستنصر الله لنا فجلس محمرا لونه او وجهه
فقال لهم لقد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض ثم يجاء بالمنشار
فيجعل فوق رأسه ليجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دين الله ويمشط بامشاط الحديد
ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير
الراكب منكم من صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله والكنكم تعجلون الا ان اكثف
المفسرين على انه خطاب للكفار قوله ويؤيد ذلك اي ويؤيد كون الخطاب السابق للمؤمنين
خطابهم بالامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله فان هذا الخطاب يستدعي كون الخطاب
السابق لهم لكونه بمنزلة بيان للحكمة في مجيء الفتح والنصر لهم كانه قيل انما نصركم
على اعدائكم لتتمكنوا من طاعة الله وطاعة رسوله ويكون الدين كله لله فعليكم
طاعة الله تعالى فيما كلفكم به قوله ولا تتولوا عنه اصله لا تتولوا حذفت احدى التائين
للتخفيف افرد ضمير عنه مع ان المذكور قبله اثنان وان المأمور به طاعتهما لاطاعة احدهما
فقط تنبيها على ان طاعة الله انما تكون بطاعة رسوله وقيل افرد الضمير لكونه راجعا الى
الجهاد والمدلول عليه بسوق الكلام لان من اول السورة الى هنا مسوق لما يتعلق بالجهاد
او الى الامر المدلول عليه بطاعة الله اي لا تتولوا عن هذا الامر الذي هو طاعة الله وطاعة
رسوله وانتم تسمعون وجوبه سماع فهم وتصديق قوله كالكفرة والمنافقين
فان الكفار المجاهرين بالكفر والتكذيب يقولون سمعنا وعصينا والمنافقون يدعون

السماع

السماع والقبول بالسنتهم ويضمرون الكفر والتكذيب فلا ينتفعون بقولهم بالسنتهم
سمعنا لانهم ليسوا بمصدقين لكانهم غير سامعين اصلا وراسا فلذلك قال تعالى
في حقهم وهم لا يسمعون قوله شر ما يدب على الارض يحتمل ان يحمل لفظ الدابة على معناه اللغوي
وقوله او شر البهائم على ان يحمل على معناه العرفي فان اهل العرف العام نقلوه من الوصفية
وجعلوه اسما للبهائم وجمع القمم مع انه خبر شر حملا على المعنى لانه يراد به الجنس والكثرة قوله
ولو علم الله فيهم اي في هؤلاء الصم البكم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالايات الاولى
عبارة عن السعادة الاخروية من النجاة من دركات النيران والفوز بدرجات الجنان
والثانية عبارة عن التنبيه بالحج والمواعظ والتوسل بها الى الايمان واليقين والمعنى لو استقر
فيهم خير وهو استعداد قبول الحق والاستسعاد بثمراته لاسمعهم الله الحج والمواعظ
سماع فهم وقبول ولو اسمعهم مع عدم استقرار الخير فيهم حتى فهموا وقبلوا وباشروا
العمل بمقتضى ما فهموه لما استمروا عليه بل تولوا عنه سريعا باتباع الشهوات
النفسانية والحظوظ العاجلة او بالارتداد عن الحق بعد قبوله والتصديق به لكونهم
مجبولين على ايثار العاجل على الآجل عبر عن عدم استقرار الخير فيهم بعدم علم الله تعالى بوجوده
فيهم لان كل ما وقع واستقر يجب ان يعلم الله تعالى حصوله ووجوده فعدم علم الله تعالى
بوجود الشيء من لوازم عدمه في نفسه فعبر بالملازم عن الملزوم فقيل لو علم الله
فيهم خيرا لاسمعهم مقام ان يقال لو كان فيهم خير لاسمعهم لكونه ابلغ في الدلالة
على انعدام الخير فيهم لان نفي لازم الشيء نفي لنفس ذلك الشيء بينة فيكون ابلغ
من نفي نفس ذلك الشيء وفي الاية اشكال من ان النحويين يقولون كلمة لو موضوعة
للدلالة على انتفاء الشيء لاجل انتفاء غيره فاذا قلت لو جئتني لاكرمتك افاد انه
ما حصل الاكرام لعدم حصول المجيء فقوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم يدل على انه
ما حصل الاسماع لعدم حصول الخير فيهم وقوله ولو اسمعهم لتولوا يدل على انهم
ما تولوا عن الحق لعدم اسماع الله تعالى اياهم ذكر ومن المعلوم ان عدم التولي
عن الحق خير فيكون اخر الكلام مناقضا لاوله لان اوله يدل على عدم حصول الخير وآخره
يقتضي حصوله فيهم واجيب بان كلمة لو في الآية لمجرد الشرط وبيان اللزوم مع قطع النظر
عن انتفاء اللازم لاجل انتفاء الملزوم كما في قولهم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فان لفظة لو فيه لو افادت ما ذكره النحاة لصار المعنى ان خاف الله تو وعصاه وذلك تناقض
فثبت انها لا تفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره وانما تفيد مجرد استلزام الاول للثاني
ثم ان عدم الخوف اذا كان مستلزما لعدم العصيان فكون الخوف مستلزما لعدمه يكون اولى
وكذا الوجه الثاني من الآية لانه اذا تو آخر عند الاسماع والتفهم فتوليه عنه عند عدمهما يكون اولى
وهذا جواب الا انه مخالف لقول جمهور النحاة وأجيب ايضا بانا لا نسلم ان عدم التول
لعدم الاسماع خبر وانما الخبر ان يسمعوا ويفهموا فيحصل لهم التصديق بما سمعوه
ويقبلوه ويعملوا بمقتضاه من غير اعتراض وتردد لان الخبر انما هو التعبد والامتثال
لما اخبر به المولى واسماعه ومجرد العلم بالحق مع عدم العلم بكونه حقا مأمورا به لا يكون خبرا
لعدم وقوعه بطريق الطاعة للمولى وامتثال امره **قول** وقيل يعني قيل ليس معنى الآية
انه تعالى لو علم فيهم خيرا لاسمعهم الدلائل والمواعظ سماع تفهم وقبول بل المعنى لاسمعهم
كلام قصي بن كلاب بان يحييه ويمكنه من ان يخبرهم ببعثة نبوته عم وانه تعالى لو اسمعهم
كلامه لتولى لوعن قبول الحق ولاعرضوا عنه وكان لقصي اربعة بنين عبد مناف وعبد
شمس وعبد قصي وعبد الدار والمراد بها دار الندوة وهي دار بناها قصي ليجتمع
قريش فيها للتشاور اضاف ابنيه لاصنميه مناف وشمس واضاف الثالث الى نفسه
والرابع لما بناه من الدار والمراد بالذين يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انا لنا قصيا بنوا عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويبط
بن حرملة وكانوا يقولون نحن صنم بكم عن عما جاء به محمد عليه الصلوة والسلام لا نسمعه
ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء فالمراد بقوله تعالى ان اسمعهم
الصم البكم هؤلاء الابناء قوله تعالى **استجيبوا لله** اي اجيبوا الله تو لرسوله بان تطيعوهما
فيما دعاكم اليه كما في قوله وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك
مجيب **قول** واختلف فيه اي في جواز قطع الصلوة لاجابة الداعي فقيل انه مختص
باستجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز قطع الصلوة لاجابة غيره وقيل انه
لا يختص به عم بل يجوز لكل مصل ان يقطع صلوته لامر لا يحتمل التاخير كانجاء الغريق
مثلا **قول** فقيل هذا اي قيل يجب على المدعو اجابة الرسول عم اذا دعاه سواء كان
المدعو في الصلوة ام لا ولا يجب عليه دعاء غيره عم وهو في الصلوة والفرق بين دعاء الرسول

وبين دعاء غيره حتى يجب على المصلي اجابة دعائه عم دون اجابة غيره ان الصلوة اجابة
له عم فلا تقطعها اجابته عم بل تكون استمرارا على اجابته بخلاف اجابة دعاء غيره فانها
تقطع الصلوة وتبطلها وابطال العمل الذي شرع فيه لله حرام لقوله تو ولا تبطلوا اعمالكم
فظهر انه يجب على المكلف اجابة دعاء الرسول مطلقا اي سواء كان المكلف في الصلوة
ام لا ويجب عليه اجابة غيره وهو في الصلوة بل هي حرام عليه واطلاق الآية يؤيد هذا
القول وكذا ظاهر الحديث ووجه القول الثاني ان حكم الآية مختص بما اذا لم يكن اجابة
الرسول مستلزمة لابطال العمل فلا تجب على المصلي اجابته عم وانما لام ابي بن كعب على
تركه الاجابة بناء على انه دعاه لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة تفوت
لمثله لان الصلوة تفوت الى بدل وهو القضاء وما لا يحتمل التاخير يفوت لا الى بدل
فلذلك لامه على ترك الاجابة **قول** او الشهادة عطف على الجهاد اي ويحتمل ان يكون
المراد بقوله ما يحييكم الشهادة **قول** ما عسى بدل من مكنونات القلوب فاذا غفل
المرء عما في قلبه صار كان الله تعالى حال بينه وبين قلبه حتى لم يعلم ما في قلبه كما قال علي رضي
الله عنه اللهم اغفر لي ما انت اعلم به مني ويحتمل ان يكون المراد بحيلولته تعالى بين المرء
وقلبه ان يتصرف في قلبه ولا يمكنه من امضاء ما اراده من اخلاص قلبه وتصفيته عما يكدره
وتحجبه عن التحلي بالفضايل العلمية والعملية باجابة الرسول وقبول ما دعى اليه مما يوجب
حيوة قلبه قبل فوات الفرصة كانه قيل بادروا بتكميل نفوسكم وتصفية قلوبكم باجابة
الرسول اذا دعاكم لما يحييكم قبل فوات الفرصة فانها قد تفوت بان يكون حائلا
بين المرء وقبله بالموت او غيره فلا يمكنه ان يوقع ما قصد بقلبه ويحتمل ان يكون
المراد بالحيلولة المذكورة تصوير عظمته تعالى على العبد قلبه وغلبته عليه فيفسخ
عزايمه ونياته ولا يمكنه من امضائها على حسب ارادته فيحول بينه وبين الكفر ان اراد
سعادته وبينه وبين الايمان ان اراد شقاوته **قول** على لغة من يشدد فيه اي في
الوقف فان كل اسم كان ما قبل آخره متحركا كعمر وحكم فمنهم من يقف عليه بالتشديد ويقول
مررت بعمّر وحكم بتشديد الراء في الاول والميم في الثاني والحاذفون حذفوا مرّ والفيت
حركتها على الراء صار ما قبل آخر الكلمة متحركا فمن وقف على مثلها بالتشديد واجرى
الوصل مجرى الوقف قرأ بين المستر بالتشديد وصلا ووقفا والظاهر ان ضميرا انه يرجع

الى الله تعالى ليوافق ضمير الجمع ويجوز ان يكون ضمير الشان والمعنى انكم لا تتركون سدى
بل تحشرون اليه تعالى فيجازيكم على احسب اعمالكم قوله اتقوا ذنبا بقولكم ان
فسر الفتنة بالذنب لان الفتنة في الاصل بمعنى الاختبار والامتحان وهو قد يكون
بالنعمة وقد يكون بالنقمة والمحنة فحملت في الآية على النقمة المسببة من الذنب من قبيل
اطلاق اسم المسبب وارادة السبب وفسر اصابة الفتنة باصابة اثرها وهو بالها
قوله ذنبا بقولكم ان يدل على انه اختار ان يكون كلمة لا في قوله لا تصيبن للنفي
ويكون لا تصيبن صفة لفتنة بمعنى الذنب وهذا معنى واضح الا انه يرد عليه ان المضارع
المنفي بلا ليس فيه معنى الطلب ونون التاكيد تختص بالطلب من الامر والنهي والاستفهام
والتمني والعرض والقسم وهو قول المصنف وفيه نشز وذلك وقول صاحب الكافية
وفلت في النفي يدل على ان نون التاكيد قد تدخل على المنفي في غير القسم على الشذوذ
واجراء للنفي مجرى النهي بناء على ان النفي لا يخلو عن شائبة معنى النهي كما في قوله
تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده فان
لا يحطمنكم فعل منفي بلا دخلت عليه نون التاكيد اجراء للنفي مجرى النهي فان
قوله لا يحطمنكم جواب للامر بالدخول وجواب الامر جواب للشرط المقدر
والتقدير ان تدخلوا لا يحطمنكم ذكر المصنف في قوله تعالى لا تصيبن وجوها
الاول ان يكون في محل الجزم جوابا للامر فتكون لا نافية وقال في تصوير المعنى
ح كما معنى ان اصابتكم لا تصيب الذين ظلموا منكم وفيه بحث لان جواب الامر
لا بد ان يكون مسببا لازما للفعل المامور فتكون في الحقيقة جوابا للشرط مقدر
هو الفعل المامور فاذا قلت زرني اكرمك يكون الاكرام لازما مسببا عن الزيارة
ويكون التقدير ان تزرني اكرمك والمصنف جعل لا تصيبن جوابا للامر الذي هو
اتقوا ولم يجعل هذا الجواب لازما للفعل الا تقاء عن الفتنة بل جعله لازما لفعل آخر
وهو اصابتها حيث قدر اداة الشرط داخلة على غير مضارع اتقوا فقال ان اصابتكم
الفتنة لا تصيب الظالمين منكم ومثله لا يكون جواب الامر حيث لم يكن من لوازم
الفعل المامور به بل هو جواب لشرط مقدر غير الفعل المامور به قدر بقرينة الجواب ودلالته
عليه ولو كان جواب الامر لكان التقدير ان تتقوا فتنة لا تصيب الظالمين منكم خاصة

بل تحكم

بل تحكم وغيركم وهذا معنى فاسد لان من اتقى الفتنة كيف تصيبه الفتنة فضلا عن ان تعم
وغيره فجعله جواب الامر مشكل لان ما يكون جواب الامر لا بد ان يكون الفعل المامور
به سببا له والاتقاء عن الاية ليس سببا لما جعل جوابا له ثم اورد على احتمال كونه جواب
الامر سؤالا لا يمكن تقريره من وجهين احدهما ان جواب الامر جواب الشرط وجواب
الشرط متردد فيه فلا يليق به التاكيد وثانيهما ان جواب الامر ليس فيه طلب ونون
التاكيد مخصوصة بالطلب وانت اشار الى الجواب عنهما بقوله لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ
فيه ذلك وتفسيره ان قوله لا تصيبن وان كان نفيا الا ان فيه معنى النهي فان النفي
اذا كان مطلوبا من المخاطب كان في معنى النهي كما اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحنك
فان لا تطرحنك نفي في معنى النهي فان المعنى لا تكن بحيث تطرحنك الدابة وكذا لا يحطمنكم
في قوله النملة ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان فانه نفي في معنى النهي اي لا تكونوا اتيا
النمل بحيث يحطمنكم سليمان فلذلك دخلت نون التاكيد على جواب الامر فيها فلذلك
ايضا دخلت في قوله لا تصيبن فانه نفي فيه معنى النهي لان كونهم بحيث لا تصيبهم
فتنة مطلوب منهم فيكون في معنى النهي والوجه الثاني من الوجوه التي ذكرها المصنف
في قوله تع لا تصيبن ان يكون في محل النصب على انه صفة لقوله فتنة وتكون كلمة لا
للنفي فيكون دخول نون التاكيد على الفعل المنفي على طريق الشذوذ واجراء للمنفي
مجرى النهي كما ذكرنا او للنهي بتقدير القول لان الجملة الطلبية لا تقع صفة الا بتقدير
القول كانه قيل اتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن الخ وصف النكرة بالجملة الاستفهامية
في قول الشاعر حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رايت قط اي بمذق
مقول فيه هل رايت الذئب والمذق اللبن المخلوط بالماء ويقال للسمار بفتح
السين وفي الصحاح السمار اللبن الرقيق وشمير ترقيقه بالماء والمذق سمار فيه لون
الورقة الخ هل لون الذئب والوجه الثالث ان يكون جواب قسم محذوف والجملة القسمية
صفة لفتنة اي فتنة والله لا تصيبن ولا نافية ويعضد هذا الوجه قراءة ابن مسعود رض
لتصيبن على انه جواب القسم المحذوف واختلف معنى القراءتين صرون ان النفي يخالف
الاثبات والوجه الرابع ما ذكره بقوله ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر بالتقوى الذنب
اي ويحتمل ان يكون نهيا للمخاطبين عن ان تعرضوا للظلم المدلول عليه بقوله لا تصيبن

الذين ظلموا بعد امرهم باتقاء الفتنة والذنب الذي اريد به الظلم بقرينة قوله
الذين ظلموا فان الفتنة في الاصل وان كانت بمعنى المحنة والعذاب الا انها اطلقت على
الذنب والظلم لكونه سببا لها واطلاق اسم المسبب وارادة السبب مجاز مشهور
وحمل على المجاز لان الاتقاء عن فعل الغير انما يكون بالاتقاء عن سببه الذي يؤدي اليه
فالاتقاء المامور به حقيقة هو الاتقاء عن الفعل الذي يؤدي الى فتنة الله وعذابه فيتم
الكلام عند قوله واتقوا فتنة ثم ابتداء بقوله لتصيبن الذين ظلموا منكم
وهو ان كان نهيا للفتنة بحسب الظاهر الا ان المعاني والاعراض لا يصح ان تؤمر
شئ وان تنهى عنه فوجب ان يكون المراد نهي المخاطبين عن التعرض للذنب
والظلم الذي هو سبب لاصابة الفتنة اياهم فكان نهي الفتنة عن اصابتها
اياهم كناية عن نهيهم عن ملزومها الذي هو التعرض لما يؤدي اليها وتطيرا قوله
لا ارينكم ههنا نهى نفسه عن ان يرى مخاطبه عنده وكنى به عن النهي عن ملزومه
الذي هو حضور المخاطب عنده وقوله الذين ظلموا اظهر وضع موضع الضمير
فان المعنى لا تصيبنكم الفتنة وضع الظاهر موضع ضميرهم تنبيها على ان سبب
اصابة الفتنة اياهم هو ظلمهم ثم بين الظالمين بقوله منكم للدلالة على ان ظلمهم
له خصوصية ليست لظلم غيرهم ثم اكد بكل للخصوصية بقوله خاصة وكذا اذا
جعل لا تصيبن صفة لفتنة وكانت كلمة لا للنهي بتقدير القول على ما مضى
اتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن فان نهي الفتنة عن اصابة المخاطبين كناية
عن نهيهم عن ملزومها الذي هو التعرض لما يؤدي الى اصابتها اياهم قوله
فان وبال يصيب الظالم خاصة علة لنهي المخاطبين عن التعرض للظلم فان قوله
لا تصيبن الذين ظلموا على تقدير كونه نهيا وارادة بعد امرهم بالتقوى في قوة
ان يقال لا يصيبنكم خاصة وبال الفتنة والظلم بسبب ظلمكم ومعناه لا تتعرضوا
انتم خاصة لما يكون سببا لاصابة وبال الفتنة اياكم خاصة وعلى اختصاص وبالها
بهم بقوله فان وباله يصيب الظالم خاصة قوله ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض
وعلى الاخيرين للتبيين هكذا في اكثر النسخ والظاهر ان المراد بالوجه الاول الوجه
التي تكون كلمة لا في قوله لا تصيبن فيها نافية وهي ان تكون جواب الامر او جواب القسم

المحذوف

المحذوف او صفة لفتنة وبالوجهين الاخيرين ان يكون نهيا بعد امر ونهيا صفة
لفتنة وجعلها اخيرين بناء على تغليب كونه نهيا بعد امر على كونه صفة لفتنة لان كونه
صفة ذكر مقدرا على كونه جواب قسم محذوف وكذا جعل الوجوه الباقية اولى مبنية
على التغليب ايضا والا فالوجهان الاخيران حقيقة بهما كونه جواب قسم محذوف
وعلى تقدير كونه جواب قسم محذوف تكون الجملة القسمية صفة لفتنة فلا يكون قوله
لا تصيبن نهيا بل يكون نفيا وكلمة من في المتن تكون تبعيضية لان المعنى ان الفتنة
لا تخص الظالمين منكم بل تعم غير الظالمين ايضا وغير الظالم هو البعض الآخر من جملة
المخاطبين بخلاف ما اذا كان نهيا صفة لفتنة او نهيا بعد امر فان كلمة من على التقديرين
تكون بيانية لانه قد مر ان كلمة لا على تقدير كونها ناهية تكون لا تصيبن نهيا للمخاطبين
عن الظلم الذي هو سبب اصابة الفتنة وقد عبر عن المخاطبين باعتبار الظلم بالذين
ظلموا على طريق وضع الظاهر موضع الضمير فيكون منكم بيانا للذين ظلموا وفي بعض
النسخ ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين فيكون المراد
بالوجه الاول جوابا للامر وبالاخيرين كونه نهيا صفة لفتنة او نهيا بعد امر فيكون
حديث التعرض لمعنى من على تقدير كون لا تصيبن نفيا صفة لفتنة وكونه جواب قسم
محذوف مبنيا على كونه معلوما بالمقايسة قوله وفايدته اي فايدة تبيين الظالمين
خاصة ونهيهم عن التعرض لما يكون سببا لاصابة وبال الظلم اياهم التنبيه على ان
الظلم منهم اقبح بالنسبة الى الظلم غيرهم ووجه التنبيه ظاهر قوله والخطاب للمهاجرين
بدليل قوله تعالى فاتوبكم لما امر الله تعالى المؤمنين بطاعة وطاعة رسوله ثم امرهم
بالاتقاء عن مخالفته وعصيانه ذكر بعض ما يوجب عليه الطاعة وترك المخالفة والعصيان
اذ لكل كانوا في اول امرهم قليلين في العدد وكانوا بحيث يستضعفهم الناس
كلهم حتى كانوا يخافون ان يخرجوا من حذر من ان يستلبهم الناس فتقواهم الله
تعالى بان جعل لهم مأوى ليصيروا اليه دار الهجرة والتخطف الاخذ والاستلاب
بسرعة قوله بتعطيل الفرايض والسنن فانها اعمال اليمن الله تعالى عليها عباده
ليحافظوا على ادائها في اوقاتها برعاية حدودها وحقوقها فمن ضيعها فقد خان الله
تعالى فيها قوله فاشار الى حلقة انه الذبح يعني ان بني قريضة لما قالوا الا بل لبابة ما ترى

لنا

انزل على حكم سعد اجابهم بان اشار الى حلقه ان حكم سعد فيكم ان يقتلوا صبرا فلا تنزلوا
على حكمه وهذا الجواب خيانة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يرد منهم ان ينزلوا
على حكمه وبرضوا بما حكم فيهم وهو صرفهم عنه قوله لتقضه اتاه فانك اذا خنت الرجل
فقد ادخلت عليه النقصان قوله وهو مجزوم بالعطف على قوله لا تخونوا الله
داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان بعد الواو الواقعة بعد النهي والمعنى
لا تجمعوا بين الخيانتين كما في قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وقوله
لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم والجزم اولى لان فيه النهي
عن كل واحد على حدته بخلاف النصب فانه نهي عن الجمع بينهما والنهي عن الجمع بين
الشيئين لا يستلزم النهي عن كل واحد منهما على حدته ثم انه تعالى لما نهى عن الخيانة
نبه على ان الداعي الى الخيانة انما هو حب الاموال والاولاد وبين انهما فتنة وحذر
عن حبهما حيث يؤدي الى الخيانة فقال واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة فلا يحملنكم
بحملكم حبهما على الخيانة واثروا حب الله تعالى على حبهما فان الله عنده اجر عظيم قوله لانهم
اي الاموال والاولاد عبر عنها بضمير العقلاء تغليبا سبب الوقوع في الاثم او في
العقاب او في محن الله تعالى كذا في اكثر النسخ والمعنى ان الفتنة قد تطلق على الآفة
والبلاء وقد تطلق على الابتلاء والامتحان فالفتنة المذكورة في الاية ان كانت بمعنى
الآفة يكون معنى قوله انما اموالكم واولادكم فتنة انها اسباب مؤدية الى الوقوع
في الآفة الخ من ارتكاب المعصية في الدنيا او الوقوع في عقاب الآخرة وان كانت
بمعنى الامتحان يكون المعنى انها اسباب لوقوع العبد في محن الله تعالى واختباراته حيث
يظهر بها ما تنبو الهوى عمن اثر رضى المولى وفي بعض النسخ او في محنة الله بلفظ
الافراد على ارادة الجنس ومن جمع اعتبر تعدد امتحاناته تعالى بكثرة متعلقاته ثم انه تعالى
لما حذر عن الانهماك في محبة الاموال والاولاد رغب في تقوى الله بملازمة الطاعات
والاجتناب عن المعاصي والمنكرات فقال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وهو مصدر
بمعنى الفرق كالغفران والشكران فتسمع الممر بما يكون سببا للفرق والتمييز فان هداية
القلب وتنويره بنور المعرفة واليقين فرقان يفرق بها بين الحق والباطل وكذا النصر
واعلاء الكلمة فرقان يفرق به بين المحق والمبطل وكذا ما يخرج به المرء ويتخلص عن الشبهات

من الدلايل

من الدلايل والبراهين القاطعة فانها فرقان يفرق بها بين المرء والشبهات وكذا ما ينجو به
المرء عما يخافه ويحذره عنه في الدارين من الطاعة فانه فرقان يفرق به بين المرء وبين ما يحذر
عنه من ذلة الدارين قوله او ظهورا يشهركم اي ويجعل ان يراد بالفرقان ما يكون
سببا للظهور كما سيجيء الصبح فرقانا لذكي فان من اتقى الله واطاعه جعل له ظهورا وشهرة
بين الناس بعلو القدر ورفعة الشان وينشيع ذكره الجميل وصيته بينهم قوله تذكار
لمكر قريش اي تذكيرهم مكرهم وهو حيلة وتدبيرهم اهلاك واضراره امر بطريق الخفية
بحيث لا يعلم المراد ذلك الا عند وقوعه والمكر وامثاله لا يسند اليه تعالى الا على طريق المقابلة
والمشاكلة ولا يحسن ابتداء لتضمنه معنى الحيلة والخدعة وهي لا يليق بعظمة الله تعالى قوله
بالوثاق او الحبس او الاثخان لما كان يثبت الشيء عبارة عن الزامه بموضع وذلك قد يكون
بشده وتوثيقه بالوثاق لان من شد فقد اثبت لانه لا يقدر على الحركة وقد يكون بحبسه
في مكان وثيق وقد يكون باثخانه اي توهينه واضعافه بالجرح بحيث لا يقدر معه على الحركة
فتشترك الاثبات بكل واحد منها كونه طريقا اليه وقرئ ليثبتوك من باب التفعيل بتعدية
الفعل بتضعيف العين بدل تعديته بالهمزة وليبيتوك على بناء التفعيل من البيات
وهو اسم من قولهم بيت العدو اي اوقع بهم ليلا قوله فاجمعوا في دار الندوة
الندوة على فعيل مجلس القوم ومتحدثهم وكذلك الندوة والنادي فان تفرق القوم
عنه لا يسمى ندوة كما لا يسمى الظرف كأسا اذا لم يكن فيه شراب ومنه سميت الدار
التي بناها قصي بن كلاب بمكة دار الندوة لانهم كانوا يندون فيها اي يجتمعون
للتشاور قوله فانه كان قاصيهم رويا ان نصر بن الحارث من بني عبد الدار كان
يختلف تاجرا الى فارس والروم والحيرة فيسمع اخبار رستم واسفنديار واحاديث
العجم والشرقيين باحاديث كليلة ودمنة وكان يمر باليهود والنصارى فيريهم يقرؤون
التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون فجاء مكة فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي ويقرأ القرآن فطفق ينعت مع المستهزئين والمقتسمين وهو منهم ويقرأ
عليهم اساطير الاولين اي ما سطروه في كتبهم من اخبار الامم الماضية واساطيرهم
وكان يزعم انه مثل ما يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من قصص الاولين والاساطير
جمع اسطور وهي المسطورة المكتوبة قوله ابلغ في الجحود يكون القرآن كلاما الهيا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

منزلا من قبله فهان قوله لو نشاء لقلنا مثل هذا جحود لكون القرآن حقا ما تكاسر
كذبه مجدا حيث ادعوا اقتدارهم على اتيان مثله وان عدم اتيانهم به انما هو لعدم تعلق
مشيتهم بذلك ولو شاءوا والفعلوا وهذا الادعاء منهم محض مكابرة وعناد لانه
تعالى تحداهم به عشر سنين فما استطاعوا معارضته بيد فوطا استنكافهم ان يغلبوا خصوصا
في باب ما يتعلق بالفصاحة والبيان فلما تحقق افحامهم وعنهم بشدة المكابرة والعناد
الى ان عللوا معارضته بمشيتهم ثم بالغوا في جحود حقيقته حيث قالوا ما بدا لهم عاجز هم
وبتبيتهم ببطلانه فان استدعاء ان يعذبوا بمثل هذا العذاب الهائل على تقدير حقيته
القرآن وتعليقه عليه انما يصدر عن جزم ببطلانه فيكون ابلغ في الجحود بحقيته بالنسبة
الى انكار اعجازه وعامة القراء وقرؤا لفظ الحق منصوبا على انه خبر كان وجعلوا النظم
هو فصلا لا محل له من الاعراب وقرئ مرفوعا على ان هو في محل الرفع على الابتداء
والحق خبره والجملة خبر كان وقوله من عند الله حال من مفعول الحق اي الثابت حال كونه من عند
الله او صفة للحق متعلق بمحذوف اي هو الحق المنزل من عندك وقوله من السماء صفة
حجارة فيتعلق بمحذوف اي حجارة نازلة من السماء وفائدة تقييد الحجارة بكونها نازلة
من السماء الدلالة على ان المراد بالحجارة السجيل وهو حجارة مسومة اي معلمة معدة
لتعذيب قوم من العصاة روي انها حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها اسماء
القوم فلا بد من ذكر السماء ليتعين ان المراد من الحجارة السجيل اذ لو اقتصر على قوله
امطر علينا حجارة لاحتمل ان يكون المفعول علينا من جانب فوقنا حجارة
فلا يتعين كون المراد بالحجارة السجيل ويحتمل ان يكون المراد من ذكر قوله من السماء
تاكيد المعنى المستفاد من الامطار فيقال نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة اية فحاق به
ما سأل من العذاب يوم فانه قتل يوم بدر صبرا من قريش صبرا وهم طعيمة بن عدي
وعقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث قوله بيان لما كان الموجب لامهالهم
مع انهم قد استعجلوا الهلاك بدعائهم حيث سألوا من الله تعالى ان يهلكهم ان كان
القرآن حقا نازلا فبين الله تعالى انه لم يهلكهم مع استحقاقهم لذلك لامرين الاول كونه صلى الله عليه وسلم
فيهم معتبا بين اظهرهم فانه تعالى لا يهلك اعداءه ما دام حبيبه فيهم تعظيما له وحفظا
لحرمته والثاني ان يكون فيهم من يستغفر من المؤمنين المستضعفين على ان قوله تعالى وما كان

الله معذبهم وهم يستغفرون معناه وفيهم من يستغفر من المستضعفين وقيل معناه
وفي صلابه من يستغفر وقيل معناه وفيهم من يؤل امره الى الاستغفار عن الكفر قوله
او تقولهم اللهم غفرانك اي ويحتمل ان يكون المراد باستغفارهم قولهم اللهم غفرانك
وذلك انهم كانوا يقولون بعد الطواف غفرانك غفرانك وروي قريشا قالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق الخ ثم ندموا عما قالوا الما اسوا فقالوا غفرانك اللهم فهذا هو المراد
باستغفارهم ثم انه تعالى بين ان الموجب لامهالهم هو هذان الامران وذكر انهم
يستحقون العذاب ويعذبون وان لم يكن على وجه الاستيصال متى زال ذلك الموجب فقال
وما لهم ان لا يعذبهم الله اي اي شيء لهم في ان لا يعذبهم الله بعد ذلك وكيف لا يعذبهم
وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام فكلمة ان في قوله ان لا يعذبهم مصدرية وموصعها
الجر بحذف حرف الجر وهذا الجار متعلق بما تعلق به قوله لهم من معنى الاستقرار قوله واللام
لتاكيد النفي يعني ان اللام في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم لام الجحود والفعل بعدها
منصوب باضمار ان وشرطها ان يتقدمها كون منفي ذهب البصريون الا ان خبر كان في مثله
محذوف وهذه اللام تتعلق بذلك الخبر المحذوف والتقدير وما كان الله مريدا التعذيب بهم
وذهب الكوفيون الى ان هذه اللام مع ما بعدها في محل الخبر ولا يقدرون شيئا محذوفا
ويزعمون ان الفعل بعدها منصوب بنفس اللام لا باضمار ان وان اللام زائدة لتاكيد
النفي وظاهر كلام المصنف يشعر بانه اختار مذهب الكوفيين وليس بلازم لجواز
ان يكون مراده بقوله واللام لتاكيد النفي انها مع متعلقها المحذوف لتاكيد نفي العذاب
لان انتفاء ارادة العذاب ابلغ واكد من نفي العذاب حتى في خبر كان الاول بلام الجحود
دون خبر الثاني يدل على ان كونه صلى الله عليه وسلم فيهم ابلغ في كونه سببا لعدم تعذيبهم من
استغفارهم فابن بركة وجوده بين اظهرهم من بركة استغفارهم قوله اي
دعاؤهم وما يسمونه صلوة جواب عما يقال من ان المكاء والتصدية ليسا من جنس
الصلوة فكيف جاز الاستثناء بهما من الصلوة اجاب عنه اولا بانهما نوع من العبادة
والدعاء في زعمهم لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كانت قريش يطوفون
البيت عراة يصفرون ويصفقون فعلم منه انهم بعدونهما نوعا من العبادة
والدعاء ويجعلونهما من جنس الصلوة فصح الاستثناء بناء على معتقدهم عن الزجاج

عصوا الله تعالى بها فانزل الله تعالى ردا عليهم قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده فاسروا
باكتساء الثياب ونهوا عن التعري قوله مشتبكين بين اصابعهم تصوير لمكائهم
فان المكاء عبارة عن تشبيك الاصابع ثم وضعها على الفم وان ينفخ فيها قوله عشر
جزر جمع جزور وهو البعير ذكرا كان او انثى الا ان لفظه مؤنث تقول هذه الجزور
فلذلك لم يقل عشرة جزر بالتاء قوله سوى من اجتاش اي سوى من صار جيشا
في الكشاف انه استثناء جرليوم احد الفئتين من الاحابيش سوى من استجاش والاحا
والاحابيش جمع احبوش وهي الجماعة من الناس من قبايل شتى واستجاش اي
طلب الجيش والاوقية اثنتان واربعون مثقالا قوله والمراد بسبيل الله
دينه واتباع رسوله لانه طريق ثوابه والخلود في جنته لمن سلكه على ما امر به قوله
ويحتمل ان يراد بها واحد بان يكون ينفقون للاستمرار التجددي ويكون السين
في قوله فستنفقونها للتاكيد لا للتسويف الا ان مساق الاول لبيان غرضهم من
الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبة اخبر اولا بانهم ينفقون ما انفقوا من
اموالهم ليمنعوا الناس عن سلوك سبيل الله ثم اخبر بما في الاية ان عاقبة
انفاقهم الحسرة وكونهم مغلوبين وان يحشروا الى النار قوله وانه لم يقع بعد في
محل الجر عطفا على قوله عاقبة بناء على ان السين للاستقبال وفيه ان كون الآية
لبيان حكم انفاقهم الذي سيقع بعد وقعة بدر لا يخلو عن بعد والظاهر ما قلنا
من كون السين للتاكيد والمنوي في قوله ثم تكون ضمير اموالهم ولما كانت عاقبة
انفاقها حسرة في قلوبهم جعلت ذوات الاموال كانها عين للحسرة للمبالغة جعل الحرب
سجالا تشبيها لها بالمساجلة من حيث انها تكون تارة لهم وتارة عليهم كما ان السجل يكون
بالمناوبة تارة يكون لبعض المستقين المجتمعين على شفير البئر وتارة يكون للبعض
الاخر منهم والسجل هو الدلو الذي يكون فيه ماء قل او كثر ولا يقال للدلو الفارغ عن
الماء سجل ولا ذنوب وهو الدلو الممتلئ ماء قوله واما انفقه المشركون مما انفقه
المسلمون عطف على قوله الكافر من المؤمن يعني ان اريد بالخبيث والطيب الفريقين
والفريق المؤمن يكون ليميز المحشورون والمعنى يحشر الذين كفروا الى جهنم ليميز فريق
الكفار عن فريق المؤمنين ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا ان يجمعهم

ان قال اعلم الله تعالى انهم كانوا مع صدهم اولياء المسجد الحرام عنه كان تقريبهم لا الله بالصد والتصفيق
وثانيا بانها استثناء من الصلوة بناء على انهم يسمونها صلوة حيث امروا بالصلوة في المسجد
الحرام فامتثلوا الامر بان فعلوها فيه وثالثا بانها استثنيا منها تقريعا للمشركين بتركهم ما امروا
به في المسجد الحرام وجعلهم المكاء والتصدية مكانه فانه تعالى لما حكم عليهم بانهم لا المكاء
والتصدية ومن المعلوم انها ليسا بصلوة فقد حكم عليهم بانهم لا يصلون اصلا تقريعا
لهم بتركهم امتثال الامر وعبر عن المكاء والتصدية باسم الصلوة بناء على جعلهم
اياها مكان الصلوة فعلى هذا يكون الاية من قبيل قول الشاعر ولا عيب فيهم غير ان
سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب فان من كان عيبه مقارعة الكتايب وفلول
سيفه بسببها يكون بريئا عن العيب بالكلية وكذا من كان صلوته المكاء والتصدية
يكون بريئا عن الصلوة بالكلية فهم تقريع عظيم لهم بالخيانة والعصيان فامروا
امر الاهانة والاذلال بان قيل لهم فذوقوا العذاب اي عذاب السيف والاسر يوم
بدر او عذاب النار يوم القيمة فانه تعالى لما ذكر انهم ليسوا اولياء البيت الحرام بين
بهذه الاية ما به خرجوا منه ان يكونوا اولياء البيت الحرام وهو ان لا يكون لهم صلوة
عند البيت سوى هذين الفعلين المكروهين وهو المكاء وهو الصفير يقال مكا يمكو
مكوا ومكاء اذا جمع كفيه ثم صفر فيهما واصل التصدية احداث الصدى وهو ما
يسمع من رجع الصوت في الامكنة الخالية الصلبة يقال صدى يصدى تصدية والمراد
بها ههنا تصويت اليدين بضرب احديهما على الاخرى وقيل انها ما اخوذة من الصد
وهو المنع نقل الى باب التفعيل للتكثير والمبالغة اصلها تصددة بدالين فقلبت
احدى الدالين ياء دفعا لثقل التكرار كما في تقضى البازي اذا البازي كسر اصله
تقضض البازي عن سعيد بن جبير التصدية صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام
وعن الدين والصلوة قوله صلوتهم بالنصب على انها خبر كان قدم على اسمه
وحمل صاحب المفتاح هذه القراءة على الغلط بناء على انه لا يجوز ان تخبر عن
النكرة بالمعرفة الا في ضرورة الشعر كما في قوله يكون مزاجها عسل وماء ولا حاجة
الى هذا التكليف في قراءة العامة برفع صلوتهم ونصب مكاء قوله يطوفون عراة
ويقصدون بتعريهم عن الثياب الاحتراز عن ان يطوفوا ببيت الله تعالى بثياب

عصرا

ويضم بعضهم الى بعض حتى يتراكموا ويزاحموا في جهنم بان يضيقها الله تعالى عليهم كما قال تعالى واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين في الاصفاد فان الركم ليس عبارة عن الجمع مطلقا بل هو الجمع بين الاشياء بحيث يتراكب بعضها فوق بعض ومنه السحاب المركوم وان اريد بالخبيث والطيب ما انفقه المشركون والمؤمنون اي ما انفقه الكفار في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انفقه المؤمنون في نصرته وجهاد الكفار يكون اللام في قوله ليميز متعلقة بقوله ثم نكون عليهم حسرة ويكون المعنى ثم يكون ما انفقه الكفار حسرة عليهم ليميز الله الخبيث من الطيب ويضم تلك الاموال الخبيثة بعضها الى بعض فيلقيها في جهنم ويعذبهم بها كقوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم قوله وهو ابلغ من الميز وان كان كل واحد منهما يتعدى الى واحد تقول ميزت الشئ وميزت الشئ فانفرز وا وتميز بعضها عن بعض الا ان الثاني ابلغ في الدلالة على الامتياز لدلالته على الاعتمال والكلفة ثم انه تعالى لما بين صلاله لهم في عباداتهم المالية والبدنية ارشدهم الى ما هو الحق والصواب وهو الانتهاء عما هم عليه من المخالفة والعصيان فقال قل للذين كفروا واشار المصنف الى ان اللام فيه للتعليل دون التبليغ حيث قال قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان المعنى بلغ اليهم معنى هذه الجملة المحكية بالقول باية عبارة كانت سواء ادتيه بهذه العبارة او بلفظ آخر يؤدي معناها لقيل ان تنتهوا بتاء الخطاب ثم انه تعالى لما امر بمقاتلة المشركين بقوله وقاتلوهم ومن المعلوم ان عند المقاتلة يدخل في ايدي المسلمين من اموال المشركين على سبيل القهر والغلبة شئ وتلك الاموال تسمى غنيمة ذكر الله حكم الغنيمة فقال واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه الاية والغنم الفوز بالشئ يقال غنم يغنم غنما فهو غانم والغنيمة ما كانت تحل للامم السالفة وقد احلت لهذه الامة اربعة اخماسها وبين الله تعالى في هذه الاية مصارف خمسها ثم بين في اخر هذه السورة حل اربعة اخماسها لمن حيث قال فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا قوله اي الدين اخذ تموه من الكفار قهرا اشارة الى ان كلة ما في قوله انما غنمتم موصولة وغنمتم صلتها وان عايدها محذوف اي غنمتموه وان الاغتنام معناه الاخذ والظفر وان الغنيمة في الشريعة هي اموال الاعداء خوذة من الكفار قهرا وحق كلمة ما هذه ان تكتب منفصلة عن كلمة ان لكونها موصولة كما في قوله تعالى ان ما توعدون لآت لكنها كتبت متصلة

اتباعا للرسم والفاء في قوله تعالى فان لله خمسه مزيدة في الخبر لتضمن المبتدا معنى الشرط ولا بعد دخول الناسخ عليه لانه لم يغير معناه ونظيره قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين مع قوله فلهم عذاب جهنم حيث زيدت الفاء في خبر المبتدا الذي دخلت عليه ناسخ الابتدا وقوله تعالى فان لله خمسه في محل الرفع بالابتدا وخبره محذوف اي فان خمسه لله حكم ثابت فيما شرعه الله تعالى وبينه لعباده والجملة المركبة من هذا المبتدا وخبره في محل الرفع على انها خبر قوله انما غنمتم قوله والجمهور على ان ذكر الله فيه للتعظيم لما دخلت لام الاستحقاق لخمس الغنيمة على ستة اصناف من المصارف وهم البارئ تعالى ورسوله وذوو قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف العلماء في ان خمس الغنيمة هل يجعل ستة اقسام ويصرف كل قسم منها لواحد من المصارف المذكورة في القرآن او يخمس ويصرف السهام الخمسة المذكورة بعد ذكر الله بقوله للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فذهب اكثر المفسرين والفقهاء الى ان قوله لله افتتاح كلام يذكر اسم تعالى على سبيل التبرك وتعظيم شان الخمس المذكور ليراعى حكمه حق الرعاية ولا يقصر فيه وليس المراد ان خمس الغنيمة يسدس ويصرف سهم منها الى الله تعالى يصرفه الى عمارة الكعبة او يضمه الى سهم الرسول بل المراد انه يخمس ويصرف كل خمس الى ما ذكره الله من الرسول وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ويؤيد قوله عز من قايل مما افاء الله عليكم الا الخمس الخمس فانه لو كان لله تعالى سهم على حدة لكان سهمه السدس لا الخمس قوله وحكمه بعد باق اي وحكم خمس الخمس بعد وفاته عليه باق لم يسقط سهمه بوفاته بل هو اليوم يصرف الى مصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وهو قول الشافعي رحمه الله روي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما انهما يجعلان سهم النبي عليه السلام في الكراع والسلاح وقيل سقط سهمه عليه السلام بوفاته لانه لم يخلفه احد في الرسالة فلا يخلفه في سهمه وكذا سقط سهم ذوي القربى بوفاته عليه السلام لانه لا يعطى لهم لاجل قرابتهم بل يعطى لفقرهم وكان عليه السلام يعطي لقرابتهم لا لفقرهم حتى كان عليه السلام يعطي العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله والبه ذهب اصحابنا فخمس الغنيمة اليوم يجعل ثلثة اقسام

ويصرف الى ثلثة اصناف اليتامى والمساكين وابن وابناء السبيل قوله وذوى القربى
بنوهاشم وبنو المطلب يعنى ان ذوى قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خص
منه البعض كما روى انه عم قسم سهم ذوى القربى عليهما وفضل قرابتهما على قرابة ساير
ابناء عبد مناف من بنى عبد شمس وبنى نوفل وقال فى حق بنى المطلب انهم لم يفارقونا
فى جاهلية ولا فى اسلام وحمل القرابة فى قوله وذى القربى على القرابة الكاملة وهى القرابة
نسبا ونواصلا فى حال العسر واليسر واعلم انه عم بنو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
بن هاشم بن عبد مناف وكان لعبد مناف اربعة بنين هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل
وكان له ابن آخر يسمى ابو عمرو الا انه لم يبق له ولد وكان لهاشم ولدان عبد المطلب
واسد وكان لعبد المطلب عشرة بنين منهم عبد الله وابو طالب وحمزة والعباس
وابو لهب والحارث وزبير فكلهم وما يتفرع منهم هاشميون كلهم من اولاد
هاشم وكان عثمان بن عفان من بنى عبد شمس وجبير بن مطعم من بنى نوفل فلم يكونا
ولا بنو المطلب من بنى هاشم بل كانوا من ابناء اخوة هاشم وهم مطلب وعبد شمس
ونوفل فكانوا بمنزلة واحد من حيث كونهم من فروع اخوة هاشم بن عبد مناف
فلذلك قالا نعترف بفضل بنى هاشم علينا بسبب كونكم منهم ولا نعرف فضل بنى
المطلب علينا لاتحاد درجة قرابتنا بهم درجة قرابتهم فلم فضلتهم علينا فاجابهما
بان قرابتكما وان كانت بمنزلة قرابة بنى المطلب من جهة النسب الا ان قرابة بنى المطلب
اقوى وراجح لانضمام قرابة التواصل والتناصر الى قرابتهم النسبية بخلاف قرابتكما
فانكما لم تنضما الى قرابتكما النسبية قوله وقيل ان وقيل ذو القربى بنو هاشم وحدهم
لكونهم فروع الاب القريب وهو هاشم بخلاف بنى المطلب فانهم فروع الاب البعيد
وهو عبد مناف وقيل هو جميع قريش وهى قبيلة وابوهم النضر بن كنانة بن خزيمة وكل
من كان من ولد النضر فهو قرشى دون ولد كنانة ومن فوقه قوله والغنى والفقير فيه
سواء لانهم استحقوه بسبب القرابة دون الفقر وقد ثبت انه عم والخلفاء بعده كانوا
يعطون العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله واليتامى جمع يتيم وهو الصغير المسلم
الذى لا اب له يصرف اليهم سهم من الخمس اذا كان فقيرا والمساكين اهل الفاقة والحاجة
من المسلمين وابن السبيل المسافر البعيد عن ماله لا يترك صنف من هذه الاصناف بغير

نصيب

نصيب فى قسمة خمس الغنيمة ويجوز تفضيل بعضهم على بعض بمقدار الحاجة وما بقى من الخمس وهو اربعة
اخماسها للغانمين الذين باشروا القتال للفارس ثلثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه
وللراجل جل سهم هذا عند الشافعى لما روى عن ابن عمر رضى الله عنه انه عم اسهم للرجل
وللفرس ثلثة اسهم سهما له وسهمين لفرسه وعند ابى حنيفة للفارس سهمان وللراجل
سهم قوله بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من
الهجرة وكانت وقعة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان وهو اول مشهد
شهده رسول الله عم لقتال المشركين لاعلاء الحق والدين قوله متعلق بمحذوف
يعنى انه شرط جوابه مقدر عند الجمهور وان اجاز الكوفيون ان يكون جوابه مقدما عليه
وذلك الجواب المقدر هو قوله فسلموا اليهم واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية
حذف هذا الجواب لدلالة قوله واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه الخ ووجه دلالته
عليه انه تعالى انما امر بالعلم بهذا الحكم ليعمل به لان العلم بمثل هذا المعلوم ليس مما يقصد
لنفسه بل انما يقصد للعمل به وقوله تعالى وما انزلنا فى محل الجر عطفا على الجلالة وقوله يوم الفرقان
ظرف منصوب بانزلنا وقوله يوم التقى الجمعان بدل من الظرف الاول اى فسلموا اليهم ان كنتم
امنتم بالله وبما انزله على نبيه يوم بدر من الآيات والملائكة والنصر قوله بشط الوادى
اى جانبه وشفيره وقوله بالعدوة متعلق بمحذوف لانه خبر المبتدا والباء بمعنى فى كقولك
زيد بمكة اى اذا انتم نزول فى شفير الوادى الادنى من المدينة وعدوكم نازلون فى
جانبها الابعد منها وقرئ العدوة بالحركات الثلاث فى العين الا ان المشهور
الضم والكسر قراءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب والضم قراءة الباقين قوله وكان
قياسه قلب الواو ياء فان فعلى ان كانت واوية تعلت واوها ياء فى الاسم وتبقى على حالها
فى الصفة نحو حلوى فى تانيث الاحلى وان كانت يائية تبقى لامها على حالها فى الاسم
والصفة وكلاهما من الدنيا والقصوى فعلى من ذوات الواو اما الدنيا فلانها من دنى
يدنو دنوا واما القصوى فلانها من قصى المكان يقصو قصوا اذا بعد وانها وان
كانتا من قبيل الصفات لكونهما من باب افعل التفضيل الا انهما لحقتا بالاسماء
دون الصفات بسبب استعمالهما فى اكثر المواضع بلا موصوف فكان القياس
فيهما قلب الواو فجرى لفظ الدنيا على القياس من حيث قلبت واوها ياء بخلاف القصوى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فان واوها بقيت على حالها كواو الغزو وذكر في المفصل ان فعلا تعلت واوها باء في الاسم
دون الصفة وان القصوى صفة في الاصل ولم تعتبر غلبة الاسمية عليها والركب جمع
راكب مثل صحب وصاحب والراكب هو راكب البعير خاصة كما ان الفارس في علي
الفرس والمراد بالركب ههنا العير او نواديها وهم ابو سفيان واصحابه وكانوا
جميعا على البعير وكانوا بقرب ساحل البحر بينهم وبين المسلمين ثلثة اميال قوله
وفائدتها اي فائدة الجملة الحالية الدالة على تعيين مراكز كل واحد من الجمعين والركب
ومعنى الاية سلوا انفسكم ما غنمتم الى ما عين لكم من المصارف وانفعوا بما بقي
من الاخماس الاربعة ان كنتم آمنتم بما انزلنا على عبدنا اذا انتم نازلون بشفير
الوادي الادنى الى المدينة وعدوكم نازل بشفير الوادي الاقصى من المدينة
الى جانب مكة والحال ان الركب نازل في مكان اسفل من مكانكم على ان اسفل وان
كان منصوبا على الظرفية وانما وقع خبر المبتدا الا انه في الحقيقة صفة لظرف
مكان محذوف والقابلة في تعيين هذه المواضع الدلالة على فوق العدو وضعف
حال المسلمين والتاث امرهم اي اختلاطه وضعفه فان الالتئاث افتعال من اللوثة
وهي الضعف واللوثي قال الشاعر في صفة المصلوب كانه عاشق قد مد صفحته يوم الوداع
الى توديع مرتحل او قائم من نعاس فيه لوثنة مواصل التمطية من الكسل قوله وكثرا اي
كهذه القابلة ايضا ذكر مراكز الفريقين بقوله اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة
القصوى والحال ان الركب نازل في مكان اسفل من مكانكم وقد بين وجه ذكر هذه
المراكز على فوق العدو وضعف شان المسلمين وقوله على ان لا تخلفوا من التخلية متعلق
بتوطين نفوسهم قوله لاختلفتم اي لخالف بعضكم بعضا في الوفاء ولغرتم على التخلف
من القتال لقلتكم وضعفكم وعدم مساعدة منتركم على مقاومة العدو قوله
لتحققوا علة للدلالة المذكورة في قوله وفائدتها الدلالة اي ورد النظم على وجه يدل
على فوق العدو وضعف حال المسلمين ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح والغلبة
امر خارق للعادة اوقعه الله تع ليحق ويبطل ويقطع دابر الكافرين والحمد لله على ذلك
قوله ولكن جمع بينكم على هذه الحال استثناء الا انه استثناء من الشرطية الغائلة
لو تواعدتم لاختلفتم برفع تالبها اي لكنكم ما اختلفتم وما تخلفتم عن القتال بل جمع الله

بينكم

بينكم ليتم امرا كان من حقه ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه واللام في قوله ليقضي الله
متعلق بمحذوف دل عليه لكن جعل ما اقتضت الحكمة ان يفعل مفعولا لقوله ما يستدعي
ان يفعل ويجعل ان يكون المعنى كان مفعولا في علمه تع وحكمه وما علم الله واراد فهو
مفعول لا محالة فانه تع قادر تدبيرا عجيبا لوقوع الحرب بين الجمعين ونصر المؤمنين
وقهر اعداء الدين حيث اخبر المؤمنين باقبال العير على كثرة وركب قليل فخرجوا طامعين
للظفر بهم ثم اسمع الكفار خبر خروج المؤمنين لقصد العير واقلقهم واخرجهم من مكة
ليمنعوا عيرهم ويحفظوا اموالهم واموال العير نحو ساحل البحر ووسط الكفار بين العير
وبين المسلمين ووعد للمؤمنين احدى الطائفتين مبهمة واحدث اسبابا داعية
الى اجتماعهم مع الكفار والمحاربة معهم على الوجه الذي يكون غلبة المؤمنين على
الكفار حال كون التقاء الفريقين على ذلك الوجه امرا خارقا للعادة بعيدا كل البعد
عن العادة ليقضي امرا كان حقيقا بان يفعل ويكون هلاك من هلك عن مشاهدة
بينة واضحة الدلالة على ان الدين المرضي عند الله تع هو الاسلام لا محالة بشبهة
حتى لا تبقى لاحد من الله تع معذرة في عدم تخليه بحلية الاسلام ويكون عيش من عاش
ايضا عن مشاهدة تلك البينة حتى يتبوء بقينه ويكمل ايمانه فان وقعة بدر كانت
من الآيات الواضحة الدلالة على حقية الاسلام فمن كفر بعد مشاهدتها كان مكابرا معاندا
عادلا عن الحق الذي وضح حقيته وتجوز ان يكون الهلاك مستعارا للكفر ويكون الحيوة
مستعارا للاسلام كما يستعار الموت والحيوة للجهل والعلم اي ليكون كفر من كفر ايمانا
عن آمن عن وضوح بينة دالة على صدق رسول الله ص فيما جاء به من عند الله قوله وقرئ
لهلك بالفتح اي بفتح اللام وهي لغة شاذة نحو اذ ياذر لان ماضيه مفتوح العين ومفتحه
في المضارع ايضا من غير ان يكون شئ من عينه ولامه حرف حلق شاذ قوله للحمل على
المستقبل علة لاظهار الياء الاولى وعدم ادغامها في الثانية فان الياء الاولى تعتبر
اظهارها في مضارع هذا الفعل لانقلاب الثانية الفا فاظهرت الاولى ايضا في الماضي
اتباعا للمستقبل قوله والعلي بالوصفين اي وصفي السميع والعليم لاشتمال كل
واحد من الكفر والايمان على القول والاعتقاد قوله اذ يقللهم في عينك في رؤياك
اشارة الى ان الارادة بصرية يتعدى الى اثنين وان قليلا حال من المفعول الثاني وان المنام

مصدر مبنى بمعنى النوم والمعنى اذ يريكهم الله يا محمد المشركين فى نومك حال كونهم قليلا
اطلق لفظ العين على حاسة الخيال تشبيها لها بالباصرة فى كونها سببا لادراك المحسوسات
العينية غاية ما فى الباب ان الباصرة تدرك بها المحسوسات عند حضور المادة للباصرة
وحاسة الخيال تدرك بها عند غيبة المادة عنها روى عن مجاهد انه قال اراه الله تعالى كفار
قريش لنبيه صلى الله عليه وسلم قليل فكان ذلك سببا لقوة قلوبهم فان قيل رؤية
الكثير قليلا خلط فكيف يجوز من الله تعالى ان يفعل ذلك قلنا التغليط بمعنى اراءة الشئ
على خلاف ما هو عليه فى نفس الامر انما يلزم ان لو اراهم بكمية الكفار اقل مما هم عليه
بحسب الكمية بان اراهم الالف مائة مثلا وليس بلازم لجواز ان يكون المراد بالرؤية ان
قللهم قليلا ارأتهم بحيث يتخيل الرائى ضعفهم وكونهم مما لا يعتد بهم ولا يخاف من كثرتهم
وشوكتهم لان الرؤيا بالتخيل ورسم صورة فى المخيلة بحيث يؤول تلك الصورة وينتقل
منها الى حال ذى الصورة فعل يكون قوله تعالى ولو اراكهم كثيرا لفشلتم بمعنى ولو رأيت فى
منامك ما يكون ناما وبلغ قوة امرهم ثم اخبرت اصحابك بذلك لفشلتم اى جبنتم وتنازعتم
او اختلفتم فى امر القتال ولم يتفقوا على قتالهم ومن جملة ما انعم الله تعالى به على اهل بدر انه
تعالى اراهم عدوهم اولا فى المنام قليلا فقوى بذلك قلوبهم ثم اكد ذلك التقليل
الذى ظهر لهم فى المنام بان اراهم فى اليقظة ايضا كذلك فانهم لما التقوا ببدر
قلل الله المشركين فى اعين المؤمنين عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال قللوا فى اعيننا
حتى قلت لرجل فى جنبى تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم
كنتم قال الفا وقلل ايضا عدد المؤمنين فى اعين المشركين وهو قوله تعالى واذ يريكموهم
اذا التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم فقلل الله تعالى عدد المشركين فى اعين
المؤمنين وقلل ايضا عدد المؤمنين فى اعين المشركين والحكمة فى التقليل الاول
تصديق رؤيا الرسول عليه السلام وتقوية قلوب المؤمنين وتزداد جرائتهم عليهم
والحكمة فى التقليل الثانى ان المشركين لما استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا فى
الاستعداد والتاهب والحذر فصار ذلك سببا لاستيلاء المؤمنين عليهم
قوله اكلة جزور مثل يضرب به فى القلة اى قلتهم بحيث تشبعهم جزور واحد
والاكلة جمع آكل قوله فللهم فى اعينهم جواب عما يقال ما الحكمة فى تقليل المؤمنين

فى اعين المشركين قبل التحام القتال ثم تكثيرهم بعد هم قوله كرر لاختلاف المعلل
المعلل به وهو الجمع بين الفريقين على الحالة المذكورة فى الاول وتقليل كل واحد من الفريقين
فى عين الآخر فى الثانى او لان المراد بالامر ثم الثانى الفريقين على الوجه المحكى حتى يكون
استيلاء المؤمنين على الكفار على وجه يكون معجزة دالة على صدق الرسول عم والمراد
به ههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والحاصل ان التكرير انما
لاختلاف الفعل المعلل به او لاختلاف علته ثم قال والى الله ترجع الامور للتنبيه على ان
احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يكون وسيلة الى السعادة الاخروية
ومؤديا الى مرضاة الرحمن قوله فخرا واشرا اعتبر فى مفهوم البطر وصفين الافتخار
وهو التعاظم والتكبر بما تثمر الاصول من الآباء والاماثث والاشر وهو الطغيان
فى النعمة بترك شكرها او جعلها وسيلة الى التكبر والخيلاء والبطر والاشر مصدران
من باب علم والرياء اظهار الجميل ليرى منه ذلك وان لا يجعله خالصا لوجه الله تعالى قوله
بطرا ورياء منصوبان على المفعول له ويجوز ان يكونا مصدرين واقعين موضع
الحال من فاعل خرجوا اى كالذين خرجوا بطرين ومرائين ورياء مصدر مضاف
الى مفعوله وقوله ويصدون عطف عليهما حالين مطلقين ومفعولا لهما على تاويل
المصدر اى وصدا عن سبيل الله كان اهل مكة خرجوا منها موصوفين بهذين الوصفين
الذميمة فلما رأى قريشا تنزل من العقنقل وهو الكثيب الذى منه جاؤا الى
الوادى اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك
اللهم فنصرك الذى وعدتنى فنهاهم الله تعالى المؤمنين ان يكونوا مثلهم وامرهم
باخلاص النية والحسبة فى نصرة الدين قوله فتفشلوا جواب النهى بمعنى انه منصوب
باضمار ان بعد الفاء وعلى الثانى يكون مجزوما داخلا فى حكم النهى قوله وتعرق علينا
القيان اى وتغنى علينا الجوارى بضرب الآلات اللهو فان المعازف الآلات اللهو
والعارف اللاهى بها مغنيا والقينة الامة مغنية كانت او غير مغنية والجمع القيان
وقيل القينة الامة المغنية وليس كذلك قوله فوافوها اى اتوا بدرا ولكن سقوا
كاس المنايا مكان كاس الخمور وناحت عليهم النوائح مكان تغنى القيان قوله
معطوفا على بطرا لما كان عطف الفعل على الاسم غير حسن كان ينبغى ان يجعل يصدون

بمعنى صادين ان جعل بطرا ورياء بمعنى بطرين ومرائين واما ان جعلا مفعولا لهما كان ينبغي ان يجعل بصدون تاء ويل المصدران خرجوا بطرا ورياء وصدوا عن سبيل الله لان العلة التي حملتهم على الخروج هي هي نفس الصدمع قطع النظر عن صدورهم عن فاعله الا ان صدهم لما كان امرا متجددا حادثا فيهم عند بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم واوعاته البتوة عبر عنه بصيغة الفعل بخلاف البطر والرياء فانهما صفتان ثابتتان راسختان فيهم فعبر عنهما بلفظ الاسم الدال على التمكن والثبات كقوله تو وكلبهم باسط ذراعيه بالوسيط ولو قيل يبسط لدل على ان البسط يتجدد ساعة فساعة قوله مقالة نفسانية مصدر قوله قال لاغالب لكم يعني ان تزيين الشيطان وقوله لهم ذلك لم يكن بان يتمثل لهم في صورة انسان ويقول لهم ذلك القول بلسانه شفاها كفاحا بل وقع بطريق الوسوسة والالقاء في الروع لانه هو المعهود مما يسند الى الشيطان فلا يحتاج عنه بلا دليل ومعنى الجار في قوله واني جار لكم المجير الحافظ الذي يدفع عن صاحبه انواع الضرر كما يدفع الجار عن جاره تقول العرب انا جار لكم من فلان اي حافظ لكم من مضرته فلا يصل اليكم منه مكروه ولما لم يكن قوله واني جار لكم مقالة لسانية بل كان من قبيل الوسوسة النفسانية كان المراد بما حكي عنه من قوله واني جار لكم انه اوهمهم ان اتباعهم اياه فيما سوّل لهم وزينه اياه قربة تجيرهم من قصدهم بسوء قوله ولكم خبر لاغالب اي لا غالب كائن لكم او صفته وخبره محذوف اي لا غالب كائنا لكم واقع او موجود وعلى التقديرين اسم لا التي لنفي الجنس نكرة مفردة غير مضاف ولا مشابه للمضاف فلذلك بني على الفتح وليس صلته اي ليس متعلق بغالب لانه لو كان لكم منصوبا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لما جاز بناء غالب بل وجب ان يكون معربا منصوبا لان اسم لا اذا عمل فيما بعده يكون مشابها للمضاف من حيث ان كل واحد منهما عامل فيما بعده ومن حيث ان ما بعده متمم ومخصص لها وقد تقرر في النحو ان اسم لا اذا كان نكرة مضافا او مشابها له وكان تاليا لكلمة لا بان لا تقع فاصلة بين الاسم وبين لا يجب ان يكون منصوبا فظهر ان لكم لو كان متعلقا بغالب لوجب ان يقال لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا

عندنا

عندنا فلما بنا غالب تعين ان لكم ليس متعلقا بغالب وان اليوم ليس منصوبا بغالب وان من الناس ليس حالا من الضمير في غالب لما مر من ان الاسم لا اذا عمل فيما بعده لا يجوز بناؤه لشبهه بالمضاف بل اليوم منصوب بما تعلق به الجار ومن الناس حال من الضمير في لكم قوله رجع القهقرى قبل هذا اصل معنى النكوص الا انه قد اتسع فيه فاستعمل في كل رجوع وان لم يكن قهقرى والمراد ههنا مطلق الرجوع لانه كناية عن الفرار وفيه بحث لانه لا وجه لافظ النكوص عن اصل معناه بل المناسب للمقام ان يبقى على اصل معناه لان الغالب فيمن يعرض عن موضع القتال ان يرجع قهقرى لخوفه من جهة العدو قوله على عقبيه حال مؤكدة لان رجوع القهقرى انما يكون على العقبين قوله وخاف عليهم لانه علم انفسه اذ قد امهله الله تعالى وانظره الى يوم الوقت المعلوم روي عن قتادة انه قال صدق اللعين في قوله اني اخاف الله والله ما به مخافة الله ولكنه علم انه لا قوة له فاورد هم موكة القتال وخذلهم وتلك عادته فانه يقحم من اطاعه ورطة الهلاك ثم يتبرأ منه وقيل لما رأى جبرئيل خاف ان يأخذه جبرئيل ويعرفهم انه الشيطان وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خاف ان يكون الوقت الذي انظر اليه قد حضر فقال ما قال اشفاقا على نفسه قوله وقيل لما اجتمعت قريش عطف على قوله مقالة نفسانية والاحنة الحقد والبغض الكامن قوله بيتهم من البتّ وهو القرف يقال بتّ فلانا عن مقصده اذا صرفته عنه قوله وكان بين اه جملة حالية بتقدير قد من فاعل نكص ويجوز ان ينقطع كلام ابليس عند قوله اني اخاف الله ويكون قوله والله شديد العقاب ابتداء كلام من الله تعالى ويجوز ان يكون ذلك من بقية كلام ابليس قوله تعالى اذ يقول المنافقون من اهل المدينة من الاوس والخزرج والذين في قلوبهم مرض من قريش كانوا قد اسلموا ولم يهاجروا والعدد قبل اسلامهم المنع اقرباؤهم اياهم عن الهجرة فلما خرجت قريش ليوم بدر اخرجوهم معهم كرها فلما رأوا قلة عدد المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غر هؤلاء دينهم اذ خرجوا مع قلة عددهم وعدد هم حرب قريش مع كثرتهم وشوكتهم ولم يشكوا بل قطعوا بان قريشا تغلبهم فقال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اي ومن يسلم امره الى الله ويثق به ويقضائه فان الله قوي يفعل باعدائه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما يشاء حكيم يدبر امور عباده على حسب ما تقتضيه حكمة البالغة واذ منصوب
اما بقوله زين او بنكص او بشديد العقاب او باكبر و قوله غرهؤلاء دينهم منصوب
المحل بقوله يقول قوله لا بد لهم به اى لا طاقة لهم به قوله ويدل عليه ان كون
الملائكة فاعل يتوفى بنا، المذكر الغايب قراءة ابن عامر تتوفى بنا، المؤنث الغائبة
لكون الفعل مسندا الى جماعة الملائكة و الجماعة مؤنث و الباقون قرؤا بيا، المذكر الغايب
اما الاسناد الفعل الى ضمير الله تعالى لتقدم او لاسناده الى الملائكة وكون تذكير الفعل
مبنيا على الفصل بينه وبين فاعله بالمفعول او على كون تانيث الفاعل غير حقيقى و ان
جعل يتوفى مسندا الى ضمير الله تع يكون الملائكة مبتداء و يضربون خبره و تكون الجملة
حالا من المفعول على ما اختاره المص و يحتمل ان يكون مستانفة جوابا لمن قال
كيف يكون حالهم اذ يتوفاهم الله فعلى هذا يوقف على قوله الذين كفروا قوله و هو
على الاول يعنى ان قوله يضربون وجوههم على ان يكون الملائكة فاعل يتوفى جملة حالية
من الفاعل او من المفعول عن ابن عباس رضى الله عنهما كان المشركون اذا اقبلوا //
بوجوههم الى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا ادبارهم
الملائكة يضربون ادبارهم و قال ابن جريج يضربون ما اقبل منهم وما ادبر ان يضربوه
اجسادهم كلها قوله عطف على ما ياذكى العذاب سببين بسبب ما كسبوا من كفرهم
ومعاصيهم و بسبب ان الله ليس بظلام للعبيد لا تعذيب من يستحق ان يعذب
من العدل فسر قوله تع بما قدمت ايديكم بقوله بسبب ما كسبتم اشار الى
ان اليد فى قوله تع بما قدمت ايديكم عبارة عن النفس الدراكة عبر
عنها باسم اغلب آلاتها فى اكتساب الافعال و بين ان فاء فبما العطف الدلالة على ان
سببية ما كسبته النفس من المعاصى للتعذيب تقييدى بانضمام كونه تعالى منزها
عن الظلم اليه فانه لو اقتصر على قوله بما قدمت ايديكم لا يفهم كون المعاصى المكتسبة
سببا للتعذيب الا انه لا يثافى جواز التعذيب من غير ذنب فعطف عليه ما يعين
تقريرا بعدم جواز ذلك فكان سبب تعذيبهم سواء احرجوه وكونه تعالى منزها
عن تعذيب غير المذنب وجعل صاحب الكشاف نفى الظلم عنه تع سببا للتعذيب بناء
على ما ذهب اليه من وجوب عقاب العاصى واثابة المطيع على الله تع وان ترك تعذيب

العاصى ظلم مناف للعدل الواجب عليه تع فتعذيب العاصى معلل بامرين المعصية وكونه
منزها عن الظلم فجعل ترك تعذيب العاصى ظلما و المصنف رد عليه بقوله ترك تعذيب
من يستحقه ليس ظلما لا شرعا ولا عقلا فكيف ينتهض نفى الظلم عنه تع سببا للتعذيب
قوله و ظلام للتكثير لاجل العبيد جواب عما يقال ظلام بنا، المبالغة فالمنفى عنه تعالى
كونه مبالغا فى الظلم و ذكر بدل على جواز اتصافه باصل الظلم بنا، على فاعل رجوع
النفى الى القيد وهو باطل و تقرير الجواب ان لفظ ظلام و ان دل على الكثرة الا ان
المراد بكثرة الظلم كثرته باعتبار كثرة متعلقه فان لفظ العبيد يدل على الكثرة فيكون
ما اصابهم من الظلم كثيرا نظرا الى كثرتهم فالمنفى عن كل واحد منهم اصل الظلم فالمعنى
انه تع لا يظلم احدا من عبيده لان مقابلة الجمع بالجمع تقتضى انقسام الاحاد الى الآحاد
قوله ايو دأب هؤلاء على ان الكاف خبر مبتداء محذوف و الدأب العادة و الشان
واصل الدأب فى اللغة ادامة الفعل يقال فلان يدأب فى كذا اى يداوم عليه و يواظب
و يتعب نفسه فيه ثم سمى العادة دأبا لان الانسان يداوم على عادته لما بين الله
تع حال كفار قريش من توغلهم على الكفر و مخالفة الرسول و معاداته حتى قال فى حقهم
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وصدهم المسلمين
عن المسجد الحرام و بين ما جرى عليهم يوم بدر من القتل و الاسر و غيرهما من الهوان
و الذلة فى الدنيا و الاخرة بين ان عادة هؤلاء فى كفرهم و عنادهم كعادة ال فرعون
فى ذلك فانهم ايقنوا ان موسى عليه السلام نبى بعثه الله تع لهداية ايمانهم الى سواء السبيل
فكذبوه كفار قريش سيد المرسلين بالايات الباهرة و الدلايل الواضحة فكذبوا
وجحدوا النبوة فانزل الله تع بهم عقوبة كما انزل بآل فرعون وكعادة الذين
كفروا من قبلهم و قوله كفروا بايات الله المنزلة على نبيه جملة مستانفة لبيان
دابهم و عادتهم فان قيل كيف على قوله فاخذهم الله بذنوبهم بقوله ان الله لا يبدل
انعما انعم على قوم بالنعمة حتى يبدلوا ما بهم من الحال الى الحال السوء منها مع ان المأخوذ بين //
بذنوبهم هنا الكفر فاى نعمة لله تع على الكفر حتى تسلب عنهم بترك شكرها قلنا
نعمة الدنيا نعم الكافر و غيره فله تعالى ان يبدلها بالنعمة بان يسلبها عنه او يعذبه بنوع
اخر عقوبة معجلة و اشار المص الى هذا بقوله حتى يبدلوا ما بهم من الحال الى ما هو اسوء منه

فان الكفار الذين انعم الله عليهم بنعمة دنيا وبه اذا ابدلوا ما بهم من الحال الى ما هو اسوء
منها يبدل الله ما بهم من النعمة وان كان ما بهم من الحال حالا سيئا غير مرضية عند الله تع
فان كفار قريش مع كونهم مشركين يعبدون الاصنام فد انعم الله تع عليهم بنعمة الامهال
وحسن الحال في العاجل وكان حالهم قبل بعثة رسول الله ع اليهم انهم يصلون ارحامهم
ولا يتعرضون للايات والرسل ويتدينون بدين الجاهلية فلما بعث ع اليهم بدلوا
ما بهم من الحال الى ما هو اسوء منها واحدثوا معاداة الرسول ومن تابعه وايذائهم
والسعي في قتلهم والاستهزام بالايات فبدل الله ما انعم به عليهم من الامهال وحسن
الحال في العاجل بضدها من بهم من نعمة الامهال وحسن الحال قوله وليس السبب الخ ما ورد
على ظاهر قوله تع ذلك بسبب ان الله لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم
ان يقال كيف يكون عدم تغيير الله ما انعم به عليهم حتى يغير واحالهم سببا لما حل بهم
من العذاب العاجل وسوء الحال مع ان كون العدم سببا للوجود غير معقول اجاب عنه
بان العدم المذكور ليس سببا لما حل بهم حقيقة بل سببه امر وجودي وهو جريان
سنته تع على ان يغير نعمة على من انعم بها عليهم حتى تغيير هم حالهم والعدم المذكور
مفهوم عبر عنه على طريق التعبير عن الملزوم بلازمه قوله لشبهه بالحروف
اللينة من حيث كونه حرف غنة فكما تحذف حروف اللين حال الجزم حذفت النون
الساكنة ايضا للتخفيف لكثرة استعمال نعل الكون ولم تحذف في نحو لم يضن ولم يحن
لقلة استعمالها بالنسبة الى لم يكن وكثرة الاستعمال يستدعي التخفيف قوله
والمناسب به من الدلالة على كفران النعم فانه نوع شبهة او لاداب كفار قريش بدل آب آل فرعون
وبين وجه الشبه بقوله كذبوا بايات الله ورتب عليه اخذهم بذنوبهم وبين وجه ذلك
الاخذ بقوله ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة ثم كرر التشبيه المذكور فقال كدأب آل
فرعون وبين وجه الشبه بقوله كذبوا بايات ربهم وهذا الوجه هو الوجه المذكور في
التشبيه الاول بحسب الظاهر لان تكذيب الايات كفر بخلاف ان الايات في التشبيه
ذكرت مضافة الى الرب فنبه بهذا التشبيه الدلالة على كفرانهم بنعم من ربا هم
بانواع النعم ولا شك ان تكذيب ايات المنعم المربي كفران لنعمه وهذا المعنى غير متحقق
في التشبيه الاول فلا يكون التشبيه الثاني تكريرا للاول لافادته ما لا يفيد الاول وايضا

ينط

ينط بالثاني في بيان ما اخذ به آل فرعون بخصوصه وهو الاغراق ولم يبين ذلك
في التشبيه الاول قوله وقبل اي قبل هذا انكر يرتكب الظاهر ايضا لان الاول للتشبيه
الكفر والاخذ به وذلك لان الله تعالى وصف المتوفين ببدر بالكفر وبكونهم
ماخوذين بما قدمت ايديهم من الكفر والمعاصي ثم شبه ما وصفوا به بوصف
القبط ومن قبلهم والثاني لتشبيه تغيير الله تع ما انعم به على قوم بسبب
تغييرهم ما بانفسهم ولم يرض المصنف بهذا القول لان قوله تع في التشبيه
الثاني كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم مذكور لبيان وجه التشبيه الاول كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم مذكور البيان وجه التشبيه ايضا
وجعله مشبها عدول عن الظاهر بغير وجه ثم انه تع لما ذكر ان من اخذ من الامم
المكذبة انما اخذ بذنبه اكد ذلك بقوله وكل كانوا ظالمين حيث ظلموا انفسهم
بالتكذيب والعصيان ثم انه تع لما وصف كلهم بذلك بين ان اشدهم ظلما
لنفسه من اصر على الكفر والتكذيب بحيث لا يتوقع منه الايمان وكان ناقضا للعهد
مرة بعد اخرى فقال ان شر الدواب الذين كفروا فشر قوله الذين كفروا بقوله اصروا
على الكفر لاقتضاء قوله فهم لا يؤمنون ذلك لان الكافر لا يخبر عنه بمجرد كفره بانه لا يؤمن
وفائدة الفاء السببية التنبيه على ان كفرهم في الرسوخ والاستحكام بحيث يوجب ان لا يتوقع
منه صدور الايمان وآن تحقق المعطوف يستدعي تحقق المعطوف عليه جعل مثل هذا
الكافر شر الدواب لان الدابة ثابتة على ما جبلت عليه وانه صنع منتف فطرته
الاصلية بالكفر ونقض العهد الاول الفطري وانحط عما جبل عليه ثم على ذلك ثم نكث
العهد الظاهر فكان شر الدواب قوله ان لا يحملنوا اي ان لا يبعثوا العدو
عليه والمعاونة فان بني قريظة اعانوا المشركين على قتال النبي صلى الله عليه
وسلم يوم بدر بالسلاح ثم قالوا نسينا واخطأنا فعاهدهم ثانيا فنقضوه يوم الخندق
قوله وركب كعب عطف على قوله فنكثوا البيان طريق معاداته نهم يوم الخندق وكان
السبب فيه انهم لما رأوا غلبة المسلمين على المشركين يوم بدر قالوا انه هو النبي الموعود
بعثه في آخر الزمان فلا جرم يتم امره ولا يقدر على محاربته ثم انهم لما رأوا يوم احد ما وقع
من نوع ضعف المسلمين شكوا وقد كان احرق كبدهم بنار الحسرة من ظهور دينه وقوة امره

ركب كعب بن الاشرف في اصحابه الى مكة فحالفوا المشركين على الاتفاق معهم في عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربته فاتاه ذلك الخبر فخرج للخندق وكفى الله المؤمنين
القتال وهزم الاحزاب وحسن وكان الله قويا عزيزا قوله ومن للتبيين المعاهدين
معنى الاخذ كانه قيل الذين اخذت منهم العهد فان فعل المعاهدة يتعدى بنفسه يقال
عاهدته وعدى في الآية بكلمة من نظرا الى ما في ضمنه من معنى الاخذ والنسبة ما يسبب به ويعاب
وكذا العار فانه ما يعاب به يقال عار ابو عابه والتعيير التعييب والمغبة العاقبة مصدر
مبني من غبت الامور اذا صارت الى اواخرها وغب كل شئ عاقبته قوله فرق عن
مناصبتك اي فرق جمعهم وبدد هم عن معاداتك وقصر لحاق المفرة بك والنصب
مصدر قولك نصبت الشئ اذا اقمته غلب في اقامة العداوة والحرب يقال نصبت لفلان
نصب اذا عاديته وناصبته للحرب والتشريد تفعيل من شرد البعير يشرد شرودا
وشرادا اذا نفر فهو شارد وشرود والتشريد الطرد وتفريق الشمل وتبديد الجمع
يعني ان صادفت هؤلاء الذين قضيت في الحرب افعل بهم واوقع فيهم من النكاية والقهر
ما يفطرب به ويخاف مكانهم لهم بحيث يذهب عنهم بالكلية ما يخطر ببالهم من مناصبتك
قوله وكانه مقلوب شذر بمعنى فرق يقال تفرقوا شذر مذر اذا ذهبوا في كل
وجه وناحية انما قال ذلك لان مادة شرذ بتقديم الراء المهملة على الذال المعجمة خبر
مستعمل في كلام العرب ويدل عليه ان الجوهري لم يذكر هذه المادة في الصحاح عن ابي حيان
انه لما ذكر قراءة فشرذ بالذال المعجمة قال كذا هي في مصحف عبد الله وقيل عليه انه قد تقرر
ان النقط والشكل امر حادث احدثه يحيى بن يعمر فكيف يوجد ذلك في مصحف ابن مسعود
قوله ومن خلفهم اي قرئ بمن الجارة بدل من الموصولة ومفعول تشرد في قراءة العامة
هو قوله من خلفهم واذا قرئ بمن الجارة يكون مفعول تشرد محذوفا اي شردا منا لهم
الكائنين من ورائهم اي في ورائهم فان من وفي متعاقبان في المعنى تقول اضرب زيدا
من وراء عمرو ومن وراء عمرو وعمرو في ورائه فيكون معنى القرائتين واحدا ولا فرق بين
قولك تشرد من خلفهم وبين تشرد منا لهم في ورائهم من حرز المعنى ويحتمل ان ينزل
تشرد منزلة اللازم ولا يقدر له مفعول ويكون من خلفهم بمعنى في خلفهم ويكون النبي صلى
الله عليه وسلم مأمورا باتباع فعل التشريد في وراء القوم ويكون امرا عاما باتباعه في ورائهم

كنايته

كناية عن تشريد من في تلك الجهة لان فعل التشريد في جهة وراءهم من لوازم تشريد من في تلك
الجهة فيكون معنى القراءة بفتح الميم وكسرها واحدا قوله لعل المشردين يتعظون
يعني ان كل واحد من ضمير لعلهم ويذكرون يرجع الى قوله من خلفهم فانهم اذا رأوا ما حل
بالناقضين تذكروا واتعظوا عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال نكل بهم تنكيلا يشرد
غيرهم من ناقضي العهد يذكرون النكال فلا ينقضون العهد وكلة اما مركبة من كلمتين
ان التي هي للشرط وما التي هي لتاكيد معنى التعليق المدلول عليه بكلمة ان ولما اكدت
اداة الشرط وجب ان يؤكد فعل الشرط لئلا ينقض المقصود بالتاكيد عن اداته فلذلك
قيل فاما تثقفن واما تخافن كما يؤكد الفعل المقسم عليه في مثل والله لافعلن قوله
تعالى على سواء ان كان معنى ثابتا على عدل وطريق سوي في العداوة باظهار نبذ العهد
لهم واخبارهم بذلك والانتهاء عن مناجزتهم للحرب على توهمهم بقاء العهد فان ذلك
يصير خيانة منك بكون على سواء حالا من فاعل فانبذ لانه بهذا المعنى من اوصاف النابذ
وليس من اوصاف المنبوذ اليه حتى يصح كونه حالا منه بخلاف ما اذا كان بمعنى مستويا
في الخوف او في العلم بنقض العهد فانه يصح ان يوصف به النابذ والمنبوذ اليه فيصح
ان يكون حالا من كل واحد من النابذ والمنبوذ اليه ومنهما جميعا قوله على طريق
الاستئناف متعلق بقوله بفعل كانه قيل لم امر بنبذ ذلك ونهي بتناء عن المحاربة
قبل نبذ العهد فاجيب ثم انه تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يفعل
في حق من يظفر به في الحرب بمن اداه ونقض عهده مرة بعد اخرى ما يشرد به من خلفه
قال في حق من لم يظفر به يوم بدر وغيره من معارك القتال من الذين آذوه وبالغوا
في عصيانه خطابا لرسوله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم
لا يعجزون من قراءة بناء الخطاب كسر سين تحسبن اي لا تظنن يا محمد الكافرين الذين
سلموا الان سابقين فائتين عنا لا يلحقهم عذابنا بعد هذا الوقت فانهم لا يعجزونا
فيما يستقبل من الاوقات بل نعذبهم في اي وقت اردنا تعذيبهم والمقصود تسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قراءة بناء الغيبة فتح سين يحسبن واسند الفعل
الى ضمير احد او ضمير من خلفهم اي لا يحسبن احدا ولا يحسبن من خلفهم الكافرين
سابقين اولا الى الموصول المذكور بعد فيكون اول مفعولي يحسبن محذوفا وهو انفسهم

حذف هو باعن تكرار ذكرهم اي لا يحسبن الذين كفروا انفسهم سابقين ويحتمل
ان يكون الكلام محمولا على حذف ان المصدرية وابقاء صلتها كما في قوله وتسمع بالمعيد
خير من ان تراه وقوله الا ايها ذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل
انت مخلدي ويكون تقدير الاية لا تحسبن الذين كفروا ان سبقوا فيكون ان
المصدرية مع ما في حيزها ساد مسد المفعولين ومن هذا القبيل قوله تو
ومن آياته يريكم البرق اي ان يريكم وقوله تعالى قل اغير الله تامروني اعبد اي
ان اعبد ولعل المراد بقوله المص وهو ضعيف كونه قليل الورود في كلام
العرب فقوله او على تقدير ان سبقوا معطوف على قوله والمفعول الاول محذوف
والمعنى على ان الفاعل الذين كفروا على ان يكون المفعول الاول محذوفا وهو
انفسهم او على ان يكون التقدير ان سبقوا ويكون ان سبقوا ساداً مسد
المفعولين قوله او على ايتاج الفعل على انهم لا يعجزون اي ويحتمل ان يكون
فاعل تحسبن قوله الذين كفروا بناء على ان يكون قوله تو انهم لا يعجزون سادا
مسد المفعولين على قراءة من قرأ بفتح همزة انهم فتكون كلمة لا في قوله لا يعجزون
من بنية ليصح المعنى ويكون سبقوا في محل النصب على انه حال من الفاعل سابقين
مغلبين هاربين والاظهر على تقدير ان يكون الفعل مسندا الى الذين كفروا ان
يكون المفعول الاول محذوفا ويكون قوله انهم لا يعجزون بفتح الهمزة علة للنهي
عن الحسبان بتقدير لام العلة اي لانهم لا يعجزون فلا يحتاج الى جعل كلمة لا صلة
قوله ولا يجرون طالبهم عاجزا عن ادراكهم على ان هذا احتجاج لوجود المفعول
عاما فاعليته اصل الفعل وهو التعجيز كما تقول ابخلته اذا وجدته بخيلا وانما كان
وجدانهم الطالب عاجزا متفرعا على فواتهم عنه مستلزما له اعتبر عدم فواتهم
عن الله تعالى في مفهوم قوله لا يعجزون على طريق اعتبار اللازم في مفهوم الملزوم
قوله الا انه تعليل على سبيل الاستيناف المبني على تقدير السؤال وتكون الجملة
المصدرة بكلمة ان المكسورة جوابا للذكل السؤال ولا يكون علة للنهي المذكور قبلها
من حيث ان الكلام تم عند ذكر مفعولي فعل الحسبان قوله ولعل الاية بيعد لعل
قوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا الاية ازاحة للوهم الذي يحذر ويتحرز بسببه من نبذ

العهد

العهد والقاء العدو فانه تعالى امر بنبذ العهد والتصريح به قبل المحاربة خط بالبال ان
يقال كيف نوفق العدو وتعلمهم بطرح العهد اليهم قبل المحاربة مع انهم ان علموا
ذلك اما ان يناهبوا للقتال ويجمعوا اقصى ما يمكن لهم من اسباب التقوي
والغلبة او يفروا ويتخلصوا وعلى التقديرين يفوت المقصود وهو الانتقام منهم
واما يكفي لصحة المحاربة معهم بغير نبذ العهد اليهم بطور امارات الخيانة منهم فازاح
الله تعالى هذا المحذور بقوله ولا تحسبنهم سبقوا انهم لا يفوتون ولا يعجزون واعلم
ان النبذ انما يجب على الامام اذا ظهرت خيانة المعاهدين بامارات ظنية واما
اذا ظهر انهم نقضوا العهد ظهورا مقطوعا به فحينئذ لا حاجة الى نبذ العهد كما فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة لما نقضوا العهد بقتل حزاعة وهم في ذمة النبي صلى الله
عليه وسلم قوله من قرأ المشركين اي منهزميهم الغلب مصدر جعل اسما للمنهزم واحدا
كان او اكثر ثم انه تعالى امر بمحاربة الكفار وان يبشر قد بهم من خلفهم امر بعد باعداد
ما يتقوى به على المحاربة من الخيل والسلاح ونحوهما فقال واعدوا لهم من قوة ما استطعتم
اي ما استطعتموه وحال كونه مما يتقوى به في الحرب والحظ المستفاد من تعريف الطرفين
في قوله عم الا ان القوة الرمي من قبيل حمر الكمال لان الرمي افراد ما يتقوى به في
الحرب كما في قوله عليه السلام الحج عرفة والتوبة الندم فان افعال الحج ليست منحصرة في
الوقوف بعرفة وكذا التوبة ليست منحصرة في الندم بل يعتبر فيها امور اخر غير الوقوف
والندم وكذا يعتبر فيما يتقوى به في الحرب امر آخر غير الرمي قوله فعال بمعنى
مفعول كلباس بمعنى ملبوس وكتاب بمعنى مكتوب فرباط الخيل بمعنى خيل مربوط فاضيف
الصفة الى الموصوف بحسب الظاهر بتا ويل جعله من قبيل اضافة العام الى الخاص للبيان
والتخصيص كما تم قضة قوله او مصدر سمي به على انه مصدر الثلاثي مثل صاح صياحا
فانه يقال ربط ربطا ورباطا فان مصادر الثلاثي ليست قياسية او على انه مصدر فاعل
كقوارب سرابط مرابطة ورباطا ويجوز ان يكون المصدر باقيا على اصل معناه ويكون
المعنى ومن ربط الخيل واقتنائها للغزو ولم يتعرض المصنف قوله او جمع ربيط بمعنى
مربوط عطف على قوله فعال بمعنى مفعول كما مر قوله وعطفها على القوة يعني انه من
قبيل عطف الخاص على العام للاشارة الى شرف الخاص وبلوغه الحيث لا يعد من افراد العام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كما عطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة لذكر فان رباط الخيل من جملة ما يتقوى به في الحرب مثل كون جبرائيل وميكائيل من الجملة الملائكة قوله ترهبون به حال من فاعل اعدوا لهم الذي استطعتموه حال كونه مما يتقوى به وحال كونكم مرهبين به عدو الله ويجوز ان يكون حالا من مفعول اعدوا وهو الموصول اي اعدوه مرهبا به قوله لا تعلمونهم نحن نعلمهم اعلم ان جعل العلم بمعنى المعرفة اذ لم يذكر له الا مفعول واحد ولو كان على اصله معناه لتعدى الى اثنين ولما كانت المعرفة تتعلق بالذوات دون النسب قال لا تعلمونهم باعيانهم ولو كانت متعلقة بالنسب كالعلم لقيل لا تعرفونهم من حيث كونهم اعداء الا ان جعل العلم بمعنى المعرفة وان كان صحيحا في قوله لا تعلمونهم لكنه لا يصح في قوله الله يعلمهم لما صرح به العلماء من ان المعرفة تستدعي سبق الجهل فلا يجوز اسنادها الى الله تعالى الا ان يراد بالمعرفة في حقه تعالى مجرد تعلق علمه بالذوات دون النسب مع قطع النظر عن كونها مجهولة قبل تعلقه بها قوله ومنه الجناح فانه سمي جناحا لكون الطائر يميل به الى جهة يمنا ويسرى بالام والى فيقال جنح له واليه انث ضمير السلم مع انه مذكر لحمله على نقيضه الذي هو الحرب وهي مؤنثة محل السلم عليها في التانيث كما في قول من قال السلم تاخذ منها قوله والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها ببعضهم فانه قد مر ان قوله تعالى الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة المراد بهم يهود قريظة وانه تعالى امر ان يبشر وبهم من خلفهم حين اظفر بهم وامر ان تهيا لقتالهم ما يتقوى به في الحرب ونهى عن الخروج للحرب بدون القوة والاستطاعة بمعنى سلامة الآلات التي هي متقدمة على الفعل واما القوة التي هي حالة الفعل فانها مع الفعل فلما امر باعداد الآلة والقوة للمقاتلة معهم قال بعد وان مالوا الى الصلح فصالحهم فيكون الآية مخصوصة باهل الكتاب ولا يكون منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الآية خاصة وان الامر في قوله فاجنح لها للاباحة وان الامر فيه مفوض الى راي الامام وليس يجب عليه ان يقاتلوهم ابدا ولا ان يسعفهم الى الصلح عند طلبهم ذلك ابدا بل ينبغي الامر على ما فيه صلاح المسلمين فاذا كان للمسلمين قوة ينبغي ان لا يصالحهم وينبغي ان يحاربهم حتى يسلموا او يعطوا الجزية وان راى المصلحة في المصالحة ومال اليها لا يجوز ان يصالحهم سنة كاملة الا اذا كانت

القوة والغلبة للمشركين فلم يجز له ان يصالحهم عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلعم فانه صلعم صالح اهل مكة عام الحديبية عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل تمام المدة وكان ذلك سببا لفتح مكة قوله ولا تخف من ابطانهم خداعا فانه في طلبهم الصلح قوله اي وجدت من المكارم حسبكم او اي يحسبكم ويكفيكم وهو مفعول ثان لوجدت وان تلبسوا مفعوله الاول والخز من كل شيء اكرمه وروي خز الثياب بالخاء والزاي المعجمتين وهي الثياب المعمولة من الابريسم وما بعد البيت فاذا ذكرت المكارم مرتع في مجلس انتم به فتقنعوا اي غطوا وجوهكم ليهجو قوما ويقول كفاكم من المكارم لبس الثياب الناعمة واكل المطعومات الطيبة واذا ذكرت المكارم في مجلس انتم به فغطوا وجوهكم من الحيا، قوله يا ايها النبي حسبك الله لا تكرار لما سبق لان ما سبق وعده بالنصر عند ارادة العدو وانخداعهم بطلب الصلح وهذه الآية وعده بالنصر والظفر مطلقا قبل نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قتل القتال والمراد بمن اتبعك من المؤمنين الانصار وعن ابن عباس رضي انها نزلت في اسلام عمر عن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنهم فتم عدد المسلمين باسلام اربعين من الرجال والنساء فمن لم هذه الآية فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مكية كتبت في سور مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين اشارة الى ان النصر والتاييد وان كان من عند الله تعالى وحده الا ان ذلك على قسمين احدهما ما يحصل من غير واسطة واسباب معلومة معتادة وثانيهما ما يحصل بواسطة الاسباب المعتادة فاشار تعالى الى الاول بقوله ايدك بنصره اي بنصر من غير واسطة سبب معلوم مشاهد والى الثاني بقوله وبالمؤمنين اي جميعا لا بالانصار بانفرادهم كما قيل ثم انه تعالى بين كيف ايد به بالمؤمنين فقال والف بين قلوبهم الآية فانه حي بعث الى قوم بشر يدة الانفة عظيم الحمية حتى لو لطم رجل من قبيلة لطمة قاتل عنها قبيلة حتى يدركوا ثارها فكان دأبهم الخصومة الدائمة والمحاربة المستمرة بقتل بعضهم بعضا وبغي بعضهم بعضا لا يتوقع ان يقع بينهم الالفة والاتفاق ابدا فالف الله تعالى بين قلوبهم حتى صاروا كنفس واحدة بان بعث فيهم رسولا مبشرا بجنة النعيم لمن اطاعه ومنذرا

الاخبار بان الواحد يغلب العشرة الآان المراد منه الامر بالمصابرة والاجتهاد في القتال والوعد بانهم ان صبروا غلبوا ويدل عليه انه لو كان المراد منه الاخبار لزم ان لا يغلب مائتان من الكفار عشرين من المؤمنين قط ومعلوم ان الامر ليس كذلك وان قوله تعالى الآن خفف الله عنكم نسخ والنسخ السابق بالامر منه بالخبر وان قوله تعالى والله مع الصابرين ترغيب في الثبات على الجهاد وهذا لا يلايم الاخبار ثم انه تعالى اثبت في الشرط الاول قيد الصبر وحذف قيد كون العدو من الذين كفروا وحذف في الشرط الثاني قيد الصبر وبين كون العدو من الذين كفروا على عكس الاول فحذف من كل واحد منهما ما اثبته الآخر وهو في غاية الفصاحة قوله وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بتاء التانيث نظرا الى تانيث المائة في الايتين وهي قوله تعالى وان تكن منكم مائة يغلبوا الفا وقوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ووافقهم البصريان وهما ابو عمرو ويعقوب في الاية الثانية وهي قوله فان يكن منكم مائة صابرة تانيث الفعل نظرا الى تانيث لفظ المائة وقرأ الاية الاولى وان يكن بتذكير الفعل للفصل بين الفعل وفاعله بقوله منكم ولان تانيث المائة ليس بحقيقي اذ المراد بالمائة الذكور وقرأ الكوفيون وان يكن منكم بتذكير الفعل فيهما لما ذكرنا واما قوله تعالى وان يكن منكم عشرون وان يكن منكم الف فجميع القراءة اتفقوا على تذكير الفعل فيهما في عبارة المصنف نوع ابهام قوله بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر يعني انه علة لغلبة الواحد العشرة وذلك ان من اعتقد ان لا حبوب الا هذه الحبوب الدنيا فانه يشح بها ولا يعرضها للزوال واما من اعتقد ان الحبوب المعتبرة ما يكون في الدار الآخرة فانه لا يبالي بهذه الحبوب العاجلة ويصرفها الى ما يؤدي الى سعادة الآخرة فيقدم على الجهاد فيغلب قويا وهو صادقة فيقاوم الواحد من مثله العدد الكثير ممن لا يؤمن باليوم الآخر وحبوب الآخرة قوله وتكرير المعنى الواحد لم جواب عما يقال لم كرر معنى ثبات الواحد للعشرة في التكليف الاول بذكر عددين متناسبين في افادة ذلك المعنى وهما ثبات العشرين للمائتين وثبات المائة للالف وكرر ايضا معنى ثبات الواحد للاثنين بذكر ثبات المائة للمائتين وثبات الالف للالفين وتقرير الجواب ظاهر ثم انه تعالى علم حكما آخر من احكام الغزو والجهاد في حقه وهو قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى دخل لفظ كان

بنار الجحيم لمن عصاه فامنوا بالله تعالى ورسوله واليوم الآخر فتحول ما فيهم من الاحوال الفاسدة والاخلاق السيئة الى الخصائل الحميدة والاخلاق المرضية فكان جل همهم ومطمح نظرهم طاعة الله وطاعة رسوله فصاروا باذنه الله اخوانا متحابين متفقين على اظهار دين الله وقهر اعدائه منقادين لشرعه مقبلين على طاعته ومحتنبين عن مخالفته وعصيانه فلما كانوا انصار دين الله كان عدم مؤيدا بهم قوله وقبل الاية في الاوس والخزرج عطف على ما بينهم من قوله وبالمؤمنين جميعا ذكر في اعراب قوله تعالى ومن اتبعك ثلثة اوجه الاول ان تكون الواو فيه بمعنى مع ويكون محله من في محل النصب على المعية كقولك حسبك وزيدا درهم والمعنى كافيك وكافي من اتبعك من المؤمنين الله ناصرا نبيه الى اشجع القوم وتشاجروا اي تنازعوا والفناجيع قناة وهي الرمح والمهند السيف المصنوع من حديد الهند وروي ان المصرع الاول هكذا اذا كانت الهيجاء والتشقت العصى وانشقاق العصى عبارة عن المخالفة وافتراق الكلمة والهيجاء الحرب يمد ويقصر والثاني ان يكون الواو عاطفة وتكون كلمة من في محل الجر عطفا على الكاف في حسبك فان حسبك مبتدأ مضاف الى الضمير المكني به عن المخاطب وهذا مبني على ما ذهب اليه الكوفيون من جواز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار فانه يجوز عندهم ان يقال مررت بك وزيد ولا يجوز ذلك عند البصريين الا باعادة الجار فانهم يقولون مررت بك وبزيد وحسبك الله وحسب من اتبعك والثالث انها في محل الرفع عطفا على اسم الله يكفيك الله والمؤمنون والكافي للحقيقي هو الله تعالى واسناد الكفاية الى المؤمنين لكونهم اسبابا ظاهرة لكفاية الله تعالى قوله حرض ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت اي يذيب لحمه ويضعفه يقال نهكت الثوب انهكه نهكا من باب فتح يفتح اي لبسته حتى خلق ونهكته الحمى اذا جهدته واذاب لحمه ويقال اشفى على الشيء اذا اشرف عليه وقرب منه والحرض بالتحريك الذي اذابه الحزن والعشق وهو في معنى محرض وقد حرض بالكسر واحرضه الحب اي افسد فالحرض القرب من الهلاك قال تعالى حتى يكون حرضا او تكون من الهالكين والتحريض على الشيء ان يحث الانسان غيره ويحميه عليه حتى يعلم منه انه ان تخلف عنه كان حارضا اي قريبا من الهلاك فتكون الاية اشارة الى ان المؤمنين لو تخلفوا عن القتال بعد حث النبي صلى الله عليه وسلم اياهم على القتال لكانوا حارضين مشفين على الهلاك قوله شرط في معنى الامر يعني ان الاية وان كانت على صورة

على لفظ يكون لان الاول ناقصة والثانية تامة والمعنى لم يكن لنبي من الانبياء ان يثبت له اسرى وهو جمع اسير كحر جمع جريح واسارى جمع للجمع وكلمة حتى تشعر في الارض لانها للغاية فدل الكلام على ان له ان يقدم على الاسر والشد بعد حصول الاثخان وهو مشتق من الثخانة وهي الغلظة واكثر فيه في الاجسام ثم استعير في كثرة الفعل والمبالغة لان الامام اذا بالغ في القتل يكون العدو كشيء ثقيل يثبت في مكانه ولا يقدر على الحركة يقال اثخنه المرض اذا اضعفه واثقله وسلب اقتداره على الحركة قوله قرأ البصريان وهما ابو عمرو يعقوب ان يكون بتاء تنبيث الفعل لكونه مسندا الى اسرى وهو جمع في نا وبل للباقون والباقون ذكروا اعتبارا للفظ الجمع دون معناه فان تاء تنبيث اسرى غير حقيقي لان المراد بهم الذكور واسند الفعل الى ظاهر وفي مثله جاز تذكير الفعل وتانيثه ومع هذا فقد وقع الفصل بين الفعل وفاعله بقوله وكل واحد من هذه الامور اذا انفرد يجوز تذكير الفعل وتانيثه وعند اجتماع الكل يكون اولى والاثخان مأخوذ من الثخين عبر عما اخذوه من الفداء بالعرض لان منافع الدنيا وما يتعلق بها لا ثبات لها ولا دوام فصارت كأنها تعرض ثم تزول ولذلك سمى المتكلمون الاحوال اعراضا لانها لا ثبات لها كثبات الاجسام بل تنظر فتزول عنها والاجسام باقية بحالها قوله فلم يهو اي لم يحب من هوى يهوى هوى عنى احب من باب علم قوله فخيرهم اصحابه بان قال لهم ان شئتم اطلقتموهم بان تأخذوا منهم الفداء على ان يستشهد منكم بعددهم فقالوا بل نأخذ الفداء فيستشهد منا بعددهم يوم احد بسبب قولهم هذا واخذهم الفداء وكان فداء كل اسير عشرين اوقية وفداء العباس ستين اوقية عشرون لنفسه واربعون لابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل ابن الحارث وكان العباس وابو طالب والحارث اخوة ابناء عبد المطلب والاوقية اربعون درهما في الدراهم وستة وثمانين في الدينار قوله ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة اي حال كون ذلك العذاب اقرب اليهم من قرب هذه الشجرة الي والظاهر انه عام اشتمل لا محالة لهم يوم احد عن ابن عباس رض قال كانت الغنائم حراما على الانبياء فكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت تنزل من السماء فتأكله فلما كان يوم بدر اسرع الناس في الغنائم واخذوا فداء الاسرى فانزل الله تع لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم جعل سبق الكتاب الالهي مانعا من مس العذاب بهم وقال انهم استحقوا الان بمس

العذاب

العذاب لكنه لم يمسهم لسبق ذلك الكتاب وذلك الكتاب اما حكم الله الذي اثبته في اللوح بان لا يعذب من اخطأ في اجتهاده او بان لا يعذب من فعل محرما في حكم الله تع الا انه تع لم ينزل ما يدل على حرمته صريحا كما هل بدر فانه تع ما نهاهم عن اخذ الفدية صريحا غير ان الفدية كانت من جملة الغنائم وانها حرام على الامم السالفة فلما اخذوها قبل ان يؤذن لهم باخذها جعل الله تع ذلك سببا لاستحقاق العذاب وجعل عدم التصريح بالنهي عنه مانعا لمس العذاب بهم فالآية على هذين الوجهين تدل على حرمة اخذ الفداء ويكون عدم تعذيب من ارتكبها اما للحكم الذي اثبته الله تع في اللوح وهو حكم بان لا يعذب من ارتكب ما هو محرم عند الله بناء على الخطأ في اجتهاده او بناء على انه لم يصرح بالنهي عنه وان كان المراد بالحكم الذي سبق اثباته في اللوح ان الفدية التي اخذوها حلال الامة وانه مستنزل عليهم اية تجعلها كما روي عن ابن عباس رض انه قال في تفسير الآية لولا كتاب من الله سبق في تحليل الغنائم لكم لاصابكم العذاب اي بسبب انهم اخذوا الفداء من اسارى بدر قبل ان ينزل اية تحليله وقيل ان يؤمروا باخذ يكون مدلول الآية حل اخذها لهم وانتهم انما عوتبوا لاخذهم اياها قبل ان يتين لهم حلها لانهم ما لم يتين لهم حلها كان الظاهر عندهم بقاء الحرمة السابقة واستحقاقهم العقوبة باخذها لهتك حرمة ما حرم عليهم ظاهرا الا ان حرمة الاخذ لما كانت ساقطة عند الله صار فعل الهتك محللا لحرمة له في علم الله فسقط عقوبة هتك الحرمة لذلك ولم يبق الا استحقاقهم العقاب لهتكهم لحرمة الغنيمة ظاهرا على ما سبق في تفسير الآية وقيل في تفسير الآية لولا انه تع حكم في الازل بالعفو عن هذه الجريمة لمسهم عذاب عظيم قوله لما نجى منه غير عمر وسعد بن معاذ رض الله عنهما قوله وفائدته اي فائدة قوله حلالا اذا خاصا وقع في نفوسهم منه اي حل المغنوم قوله بسبب متعلق بقوله وقع فان من سمع العتاب المذكور يقع في قلبه اشتباه في امر حله قوله او حرمتها عطف على الضمير في منه بدون اعادة الجار فانه جايز عند الكوفيين وذكر ضمير منه وانث ضمير حرمتها ليرجعا الى ما الموصولة في قوله ما غنمتم نظرا الى الاعتبارين المغنوم والغنيمة فانه وقع في نفوس من سمع قوله لو لا كتاب من الله سبق حرمة الغنيمة نظرا الى الوجهين الاولين واشتباه امرحلها نظرا الى الوجه الثالث قوله نزلت في العباس بن عبد المطلب وكان اسر يوم بدر وكان احد

العشرة

الذين ضمنوا الطعام من خرج من مكة لحماية العير وكان يوم بدر نوبته وكان خرج بعشرين
اوقية من ذهب ليطعم بها الناس فوق القتال قبل ان يطعم بها الناس فوقع القتال
قبل ان يطعم بها وبقيت العشرون اوقية معه فاخذت منه فلطم النبي صلى الله عليه
وسلم في ان يجب العشرين اوقية من فدائه فابى وقال اما شيء خرجت تستعين به علينا
فلا اتركه لكن وضع ذلك كلفة فداء ابني اخويه الخ قوله قال العباس فابدلني الله خيرا منه
انه تعالى اخبر عما وعد بقوله ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم حيث رزقني
الاسلام وعشرون عبدا الخ والاية وان نزلت في حق العباس خاصة الا ان العبرة الا بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب وقيل انها نزلت في حق حملة الاسارى وهو الظاهر لعموم
قوله لمن في ايديكم وقوله من الاسرى وقوله في قلوبكم ويؤتكم واخذ منكم ويغفر لكم
بلفظ الجمع في الجميع قوله نقض ما عاهدوا عليه من الاسلام بالارتداد الى دينهم
اياهم فان هذه الاية ذكرت في مقابلة قوله تعالى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا الاتية
وقد فسر الخير فيه بالايمان فينبغي ان تفسر الخيانة في هذه الاية بالارتداد
لان من آمن ثم عاهد ثم نقض العهد حيانة وحاصل
المعنى قل للاسرى ان آمنتم عن اخلاص يؤتكم في الدنيا والاخرة خيرا وان تنقضوا العهد
وارتددتم لا دين آبائكم فسيرون ما رأيتم يوم بدر وفي ابقاء قوله فقد خانوا الله
من قبل توبيخ وتقريع لهم بانهم نقضوا الميثاق الماخوذ على كل عاقل وفي الازل
بقوله الست بربكم قالوا بلى قوله فامكن منهم اي اقدر المؤمنين عليهم بقال مكنه من
الشيء واكنه منه اي اقدره عليه فيتمكن منه ثم انه تعالى لما ذكر تم لخائنين الناقضين
للعهد مدح بعدهم المهاجرين والانصار وقال في حقهم اولئك هم المؤمنون حقا قال
والذين آمنوا وهاجروا الى قوله اولئك بعضهم اولياء بعض قال اكثر المفسرين في
تفسيره انه يتولى بعضهم بعضا في الميراث فان الاولياء جمع ولي كصديق واصدقاء
الولي من الولي بمعنى القرب والدنو كانه قيل بعضهم اقرباء بعض لا قرابة بينهم وبين
من لم يؤمن ولا بين من آمن ولم يهاجر كان التوارث في الابتداء بالهجرة والنصرة
لا بمجرد القرابة فكان لا يرث المهاجر من غير المهاجر ولا غير المهاجر من المهاجر وان كان
قريبه بن مسلمين وكان الامر كذلك الى ان فتحت مكة فسقطت فرضية الهجرة ونزل

قوله تعالى

قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله اي اولى بميراث بعض من الاجانب
جعل التوارث بين المسلمين اولا منوطا على التظاهر والتناصر وثانيا على القرابة قوله
او بالنصرة والمظاهرة عطف على قوله في الميراث فقوله بعضهم اولياء بعض اي انصار
واعوانه على ان الولي بمعنى الناصر يعني الله تعالى ان فريقي المهاجرين والانصار بينهم الموالاة
والمظاهرة يعظم كل فريق صاحبه ويهتم بشانه ويخصه بمعاونته ومظاهرته والاية
وان كانت خاصة في الخبر الا ان المراد بها الامر اوجب الله على كل واحد من الفريقين
موالاة الاخر ومواساته ومواخاته فلذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم
المدينة اخا بين المهاجرين والانصار فجعل كل واحد من المهاجرين اخا لواحد من الانصار
فعاشروا على ما يقتضيه الاخوة حتى جعل كل انصاري يشطر ماله لاخيه المهاجري وربما
يكون لرجل من الانصار امراتان فيعرض ضنها على اخيه من المهاجرين على ان ينزل له
عن ايتهما شاء فكان التوارث في الابتداء بهذه المواخاة دون القرابة التي لم تكن
معها هجرة مع الهجرة الا ان من جعل الولي بمعنى الناصر يقول اوجب الله تعالى
بهذه الاية على كل واحد من الفريقين المذكورين ان يوالي الاخر وينصره ويكون عونا
ظهيرا له ولا يحتاج عند احتياجه الى المعاونة والنصرة الا ان المفسرين لم يحملوا الولاية
ههنا على الولاية بمعنى التعاون والتظاهر بناء على ان الولاية المثبتة في هذه الاية هي
الولاية المنفية في قوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء والولاية
المنفية فيه ليست بمعنى النصرة لانه تعالى اوجب علينا نصرتهم اذا استنصرونا على
عدوهم من الكفار الذين ليس بيننا وبينهم عهد وميثاق حيث قال وان استنصروكم
في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلم يسقط العهد الواقع بيننا
وبين هؤلاء القوم فلما وجب علينا نصرهم امتنع ان تكون الولاية المنفية بمعنى
النصرة فلا يكون الولاية المثبتة في هذه الاية ايضا بمعنى النصرة فلذلك حملها
المفسرون على الولاية في التوارث غاية ما في الباب ان يكون الحكم بالتوارث منسوخا
بسقوط فرضية الهجرة قوله تشبيها له بالعمل يريد ان المصدر الذي يجيء على
فعاله بكسر الفاء انما يكون في الصناعات الواقعة بمزاولة العمل كالكتابة والخياطة
والزراعة والحرانة والتجارة والقصارة والصياغة والحياكة والولاية ليست مما تحصل

بمزاولة العمل الاعلى سبيل التشبيه فان حال الولي مع من يواليه وتصرته اياه ومعاونته
له في مهماته كحال من يزاول العمل فشبهت الموالاة بمزاولة العمل ثم استعير اسم
الولاية بالكسر للتولي المذكور ثم انه تعالى لما بين ان حكم المؤمن الذي لم يهاجر انقطاع
الولاية بينه وبين المؤمنين توهم انه يجب ان يتحقق بينهم التقاطع التام كتحققه
بينه وبين الكفار ازال هذا الوهم بقوله وان استنصروكم في الدين فعليكم
النصر يجب عليكم نصرهم على من يعاديهم في الدين ولا تخذلوهم الا اذا كان من
يعاديهم ويحاربهم من الكفار بينكم وبينهم ميثاق اي عهد موثق فح يجب عليكم
الوفاء بالعهد وترك المحاربة معهم ولا يلزمكم نصر الذين امنوا ولم يهاجروا عليهم
قوله وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والموازاة وبين المسلمين يعني ان منطوق
قوله تعالى والذين كفروا بعضهم اولياء بعض اثبت الموالاة بين الكفار والكفار
ليسوا مخاطبين بفروع الايمان فالمراد منه نهي المسلمين عن موالاتهم وموارثتهم
لان الموالاة بينهم مرتبة على التناسب في الكفر كما انها بين المؤمنين مرتبة على
التناسب في الايمان والمفهوم عدم الموالاة حيث لا مناسبة فيلزم انتفاء موالاة
المؤمنين والكافرين في التوارث ووجوب تحقق المنافرة والمباعدة بينهم
قرابة سببية وقوله الا مركب من كلمتين ان التي هي اداة الشرط ولا التي للنفي ادغمت
النون الساكنة في اللام فصارا لا وحذفت نون الاعراب من تفعلوه علامة للجزم
باداة الشرط والضمير المنصوب في قوله الا تفعلوه راجع الى جميع ما ذكر من الامر والنهي
لان قوله اولئك بعضهم اولياء بعض امر بتواصل المسلمين بالتوارث والموازرة
وقوله والذين كفروا بعضهم اولياء بعض نهي للمسلمين عن تواصل الكفار فقوله الا
تفعلوه معناه ان لم تفعلوا ما امرتم به وبيانه الماموربه بالتواصل بين المؤمنين
والانقطاع عن الكفار جعل الانقطاع عنهم مأمورا به لما مر من ان قوله والذين كفروا
بعضهم اولياء بعض يدل على ان الموالاة بين الكفار مبنية على التناسب في الكفر
ويلزمه انه يجب التقاطع اذا انتفى التناسب قوله لما قسم المؤمنين الى الذين
امنوا زمان نبوته عم والمقصود بيان ان هذه الآية ليس تكرارا لقوله ان الذين امنوا
وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم الى آخر الآية بناء على ان ذلك مذكور لبيان حكمهم

وهو انهم

وهو انهم يتوارثون ويتولى بعضهم بعضا في الميراث وهذه الآية مذكورة لبيان ان
الكاملين في الايمان منهم هم المهاجرون الاولون والانصار وان الذين امنوا بعد هجرة
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهاجروا وجاهدوا مع القسمين الاولين فانهم
ملحقون بهما والمهاجرون الاولون من حيث انهم استسوا قاعدة الايمان واتباع
الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الانصار والمهاجرون على طبقات منهم من هاجر معه
او بعد هجرته قبل صلح الحديبية هم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية
قبل فتح مكة وهم اهل الهجرة الثانية ومنهم ذو هجرتين هجرته الى الحبشة وهجرته الى المدينة

تمت سورة الانفال بعون الله تعالى وتوفيقه والحمد لله حق حمده
والصلوة والسلام على نبيه محمد وآله

الفقير

سم الله الرحمن الرحيم سورة التوبة

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه اجمعين قوله وهي آخر ما نزلت لما روى عن البراء بن عازب آخر سورة انزلت كاملة سورة براءة وعن ابن كيسان نزلت براءة على تسع من هجرة النبي عم المقشقشة اى المبراءة من النفاق كما يبراء الهناء الجرب والمبعثرة اى المظهرة لاحوال المنافقين يقال بعثرت الشئ اى استخرجته و كشفته والتنقير عن الامر البحث عنه والتنقير ايضا التعييب يقال نقرت الرجل نقرا عيبته والاثارة لخبر اشاعتها والمدمدمة اى المهلكة يقال دمدم الله عليهم اى اهلكهم قوله لانها نزلت لرفع الامان لانها نزلت بالسيف ونبذ العهد والبراءة من عصمة المعاهدين وليس فيها امان وبسم الله الرحمن الرحيم لكونه مفتاح سلم ورحمة وبركة امان فلا يليق ان يكتب في اول سورة افتتحت بالمقاتلة ونبذ العهود قوله لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها ولانه تعالى ختم سورة الانفال بايجاب ان يوالي المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية ثم انه تعالى صرح بهذا المعنى في قوله براءة من الله منقطعين عن الكفار بالكلية ثم انه تعالى صرح بهذا المعنى بقوله براءة من الله ورسوله فلما كان هذا عين ذلك الكلام وتاكيدا له ضمت هذه السورة اليها ولم يكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم لان كتبته بينهما تدل على كونهما سورتين متغايرتين قوله وقيل يعني انه لما ظهر الاختلاف بين الصحابة في انها سورة واحدة او سورتان تركوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول هما سورتان وما كتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم تنبيها على قول من يقول هما سورة واحدة قوله الى هذه براءة على ان براءة خبر مبتدا محذوف ومن والى متعلقان بمحذوف هو صفة الخبر وهو نظير قولك كتاب من فلان الى فلان ثم جوز ان يكون مبتدا مختصا بالصفة والى الذين خبره كقولك رجل من بني تميم في الدار والبراءة معناها القطاع العصمة يقال برئت من فلان ابراء براءة اى انقطعت بيننا العصمة ولم تبق بيننا علقة ومنه برئت من الدين قوله واغا علقت البراءة يعني ان المعاهدة لما تحققت

بالمسلمين كان حق البراءة ان تنسب اليهم لان البراءة انما تكون من قبل المعاهد فكيف نسبت الى الله تعالى وتقرير الجواب نعم ان عقد المعاهدة قام بالمؤمنين الا انهم انما عاهدوا بامر الله في معاهدة المشركين بقوله فان جنحوا للسلم فاجنح لها ورآى رسول الله صلى الله عم فيها مصلحة فعاهدهم باتفاق المسلمين ولما كانت المعاهدة باذن الله تعالى واتفاق الرسول مع المسلمين نسبت البراءة اليه تعالى للدلالة على انه تعالى كما اذن في المعاهدة اذن في رفعها وانه يجب عليهم ونبذها والخطاب في عاهدتم للاصحاب رسول الله صلى الله عم والمتولى للعهد هو رسول الله صلى الله عم ولكنهم ادخلوا في الخطاب لانهم راضون بفعله ومتفقون عليه فكانهم عقدوا وعاهدوا قوله فامر بنبذ العهد الى الناكثين واهل المشركين اى الناكثين منهم فاما الذين لم ينقضوا العهد ولم يظاهروا احدا من المؤمنين فقد امر الله باتمام العهد بينهم الى المدة المعهودة حيث قال الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام الى قوله فاتموا عهدهم الى مدتهم وقال مما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اى استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم روى انه عم لما خرج الى غزوة تبوك وتخلف المنافقون ورجفوا الاراجيف جعل المشركون ينقضون العهد فامر الله تعالى بنقض عهودهم والمعنى قد برئ الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء بها اذا نكثوا وجوز له عم ان ينقض العهد باحد ثلثة امور الاول ان يظهر له منهم خيانة مستورة وخاف ضررهم فينبذ العهد اليهم حتى يستووا في معرفة نقض العهد لقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء والثاني ان يكون قد شرط لبعضهم في وقت العدوان يقوم على العهد فيما ذكر من المدة الا ان يامر الله له بقطعه فلما امر الله تعالى بقطع العهد بينهم قطعه لاجل الشرط والثالث ان يكون العهد موقتا فتنقضي المدة وينقض العهد بانقضائها فيكون الغرض من اظهار البراءة ان يظهر لهم ان لا يعود الى العهد وانه على عزم المحاربة والمقاتلة ولا يجوز له عم نقض العهد في غير هذه الاحوال الثلث لانه لا يجري مجرى الغدر وخلف القول والله ورسوله بريئان منه قوله فقال لهم فسيحوا اشارة الى قوله تعالى فسيحوا على اضمار القول اى فقل لهم سيروا في الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين والسياحة الضرب في الارض

والاتساع في السير والبعد عن المدن ومواضع العمارة وليس ذلك من باب الامر
بل المقصود الاباحة والاطلاق والاعلام لحصول الامان وازالة الخوف والمعنى
انكم آمنون من القتل والقتال في هذه المدة ثم انكم بعد انقضاء تلك المدة حرابة
لله ورسوله تحاربون وتقتلون حيث اثخنتم وتؤسرون الى اخ تتوبوا
والمقصود من هذه الاعلام امور الاول ان يتفكروا لانفسهم ويحتاطوا لاموالهم ويعلموا
ان ليس لهم بعد هذه المدة اما الاسلام والسيف فيصير ذلك حاملا لهم على الاسلام
والثاني ان لا يبنى المسلمون الى الخيانة وينقض العهد فان المسلمين لو قاتلوهم
عقيب اظهار النقض فربما يسبق الى الوهم ذلك فامهلوا هذه المدة ليستعدوا
للحرب ويعلموا انها وفي ذلك تنزيه المؤمنين عن الخيانة واظهار شوكتهم وقوتهم
وعدم التفاتهم الى الكثرة واستعدادهم للحرب واختلف في ابتداء هذه الاشهر
الاربعة فقيل ان سورة براءة نزلت في شوال فيكون ابتداء اربعة اشهر من شوال
الى انسلاخ المحرم فينقضي الاشهر الحرم بانقضاء خمسين يوما من يوم التبليغ الى آخر
المحرم وقيل انها وان نزلت في شوال الا ان قراءتها على الكفار وتبليغها اليهم كان
يوم الحج الاكبر فالصواب الذي عليه الاكثرون ابتداء هذه المدة اليوم العاشر من ذي
الحجة الى انقضاء عشر من ربيع الآخر وقيل ابتداء تلك المدة كان من عشر ذي القعدة
الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت بسبب النسيء
الذي كانوا فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وهي حجة الوداع وبدل عليه قوله
الا ان الزمان قد استدار لهيئته يوم خلق الله السموات والارض روى ان رسول الله
عاهد قريشا عام الحديبية ان يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت
خزاعة في عهد النبي عم ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة و
قاتلت منها واعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة و
نقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عم
واخبره ان قريشا اخلفوك الموعد وانقضوا ميثاقك المؤكدا فقال عم لانصرت
ان لم انصرك ثم تجهز الى مكة ففتح مكة سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع
اراد رسول الله صلى الله عم ان يحج ثم قال انه يحضر المشركون فيطوفون عراة

فبعث

فبعث ابا بكر تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج ثم بعث بعده عليا على ناقته
العضباء ليقرأ على الناس صدر سورة براءة واذان يؤذن بمكة ومنى وعرفة ان الله قد
برئت ذمة الله وذمة رسوله من كل مشرك وان لا يطوف بالبيت عريان الى
آخر ما ذكره المص والعقب القطع وناقة عضباء اى مشقوقة الاذن والعضباء
لقب ناقة رسول الله صلى الله عم ولم تكن مشقوقة الاذن والرغاء صوت ذوات
الخف وعترة الرجل نسله ورهطه الادنون وقد جرت عادة العرب ان لا يتولى
تقرير العهد ونقضه الا رجل من الاقارب فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا خلاف
ما يعرف فينا من نقض العهود فربما لم يقبلوا فاز بحت علتهم بتولية ذلك
عليا فلما بلغ علي رضي الله عنه رسالته قالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا
قد نبذنا العهد وراء ظهرنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا الطعن بالرماح وضرب
بالسيوف قوله يوم العيد او يوم عرفة يعني اختلف في يوم الحج الاكبر انه يوم
النحر او يوم عرفة واحتج من قال انه النحر بان اعمال الحج اتما يتم في هذا اليوم
وهي الطواف والنحر والحلق والرمي ومن قال انه يوم عرفة احتج بقوله عم
الحج عرفة ولان معظم الاعمال الحج وهو الوقوف بعرفة انما يكون في هذا اليوم وانما
قلنا الوقوف اعظم اعمال الحج لان من ادرك الوقوف فقد ادرك الحج وعلى
من فاته فقد فاته الحج قوله فانه اكبر من باقي الاعمال فان ما يقع في يوم عرفة
هو الوقوف الذي هو معظم اعمال الحج من حيث انه اذا فات عن وقته فات الحج
وكذلك ان اريد به يوم النحر فان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وقال الحسن
سمي ذلك اليوم بيوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين واعتركيا فيه وموافقة لاعياد اهل
الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعد فعظم ذلك اليوم في قلب جميع الطوائف ثم انه تعالى
بين ان ذلك الاذان بأي شيء كان فقال ان الله بريء من المشركين والجمهور على رفع
قوله ورسوله عطفا على المستكن في قوله بريء وجاز ذلك للفصل القائم مقام التأكيد
قوله او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها واما من قرأ بفتح الهمزة فانه لا يجعل
الرفع مبتدأ على العطف على محل اسم ان لانه لا يجوز العطف على محل اسم المفتوحة
مطلقا عند ابي سعيد السيرافي بخلاف المكسورة ووجه الفرق ان المكسورة

لا تغير معنى الجملة بل توكدها فاذا قلت ان زيدا قايم افدت به ما افدت بقولك
زيد قايم مع زيادة التاكيد فكان اسمها المنصوب في محل الرفع على الابتداء مع
حيث كون المكسورة في حكم العدم فجاز العطف على محل ذلك الاسم بالرفع بخلاف
المفتوحة فانها تغير معنى الجملة فتكون هي مع ما في حيزها في تاويل اسم المفرد
مرفوع او منصوب او مجرور فتكون اسمها كبعض حروف الكلمة فلا يبقى له محل حتى
يقال انه في محل الرفع على الابتداء وانه يعطف على محله بالرفع وابن الحاجب
جعل المفتوحة على قسمين الاول ما هو في حكم المكسورة وهي التي وقعت بعد فعل
القلب وجوز العطف على محل اسمها نحو علمت ان زيدا قايم وعمرو بعطف
عمرو على محل زيد جعل المفتوحة في مثلها كالمكسورة بناء على ان المفتوحة مع
اسمها وخبرها ان كانت في تقدير المفرد من جهة ان المعنى علمت قيام زيد لكنها
في تقدير اسمين باتهما مع اسمها وخبرها سادا مسد مفعولي علمت كما ان المكسورة
مع جزئيها بتقدير اسمين اي المبتدا والخبر فحكم المفتوحة بعد فعل القلب حكم
المكسورة في قيامها مع ما حيزها مقام الاسمين فعلى هذا التدقيق يجوز ان
يكون ورسوله في الآية معطوفا على محل المفتوحة لو قوعها بعد فعل القلب
لان اذان يعني اعلام واعلم ان عبارة القوم اختلفت في هذه المسئلة
منهم من يقول يعطف على محل اسم المكسورة بالرفع ومنهم من يقول على محل ان
مع اسمها واختاره المصنف ووجه العبارة الاولى ان الاسم هو الذي كان مرفوعا
قبل دخول ان ودخولها عليه كلا دخول فبقي على كونه مرفوعا ومن قال على محل
اسم ان واسمها نظر الى ان اسمها لو كان وحده لكان وحده مبتدا
والمبتدا المجرد عن العوامل عندهم واسمها ليس بمجرد والعبارة الاولى هي الاولى
لان الاسم باعتبار كونه مرفوعا مجرد لان كلمة ان كالعدم باعتباره وانما يقتدر بها
اذا اعتبر النصب قوله ولا تكرير فيه يعني ان جملة قوله واذان من الله تعالى
ليست تكريرا لقوله براءة من الله ولذلك اي ولكون الجملة الثانية اخبارا
بوجوب الاعلام مما ثبت من البراءة علق الاذان بالناس فان الاذان عام لجميع
الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن لم ينكث من المعاهدين ومن لم ينكث وعلقت

البراءة بالذين عوهدوا من المشركين لكونها مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم
قوله او تتمم على التولي عن الاسلام لانهم كانوا متوقعين معرضين عن الاسلام
فوجب ان يكون التولي المصدر بكلمة ان بمعنى التولي عن التوبة او بمعنى
الثبات على التولي عن الاسلام قوله استثناء من المشركين او استدراك يعني انه
استثناء متصل كانه قيل براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين
لم ينقصوا العهد او منقطع على ان يكون المراد بالمشركين هم الناكثون قرا الجمهور
ينقصوكم شيئا بالقاف المهملة وهو يتعدى الى واحد والى اثنين ويجوز هنا
جعله متعديا الى اثنين بان يكون كم مفعولا اول وشيئا مفعولا ثانيا والى واحد
فيكون شيئا منصوبا على المصدر اي شيئا من النقصان وقرئ ينقصوكم بالضاد
المعجمة وهي على حذف المضاف اي ينقصوا عهدكم فحذف المضاف واقيم المضاف
مقامه وفي القراءة الاولى مقابلة النقص بالتمام مع الاستغناء عن ارتكاب الحذف
قيل المراد من المشركين المعاهدين الذين لم ينقصوا شيئا من عهدهم بنوصمرة حي
من كنانة او الله تعالى باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة
اشهر فانهم لما اتقوا نقض العهد ونكثه استحقوا من الله ان يصان عهدهم ايضا
من النقض في الكنث قوله واصل الاسلاخ خروج الشيء من لابسه شبه الشهر
باللباس وجعل هلل الشهر لابساله فاذا اهل الهلال فكان اهله يدخلون فيه
فيزادون في كل ليلة منه الى منتصف لبسه ثم انه ينسلخ عنهم جزوا فجزوا
الى ان ينقضي وينسلخ قوله التي ابيح الناكثين ان يسيحوا فيها على ان يكون الالف
واللام في الاشهر الحرم للعهد والعهود الاشهر المتقدمة بناء على ان النكرة اذا اعيدت
معرفة يراد بها الاول الا اذا وصفت المعرفة بصفة تشعر المغايرة كقولك رايت
رجلا فاكرمت الاول الا اذا وصفت المعرفة الرجل الطويل لاتريد بالثاني عين
الاول في مثله والاشهر ههنا قد وصفت بالحرم وهي صفة مفهومة من فحوى الكلام فلا
يقتضي المغايرة فيكون المراد بالمعرف ما ذكر منكرا قبل وذكر بعض المفسرين منهم
الكواشي ان المراد بالاشهر الحرم رجب وذي القعدة وذي الحجة والمحرم وسميت
بذلك لان الله تعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم ولم يرض الحر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بهذا القول لكونه مخلا بانتظام لفظ الموقف على المكث واقتضائه بقاء حرمة الاشهر
المذكورة وهو خلاف الاجماع واما اذا حمل الاشهر على الاشهر التي ابيح للناكثين
ان يسيحوا فيها فقوله فاذا انسلخ الاشهر فاقتلوا المشركين الاية يكون
امرا بمحاربة المشركين وقتالهم بعد انسلاخ تلك الاشهر المعينة الى ابد الآباد ويكون
هذه الآية ناسخة لكل آية في القرآن فيها ذكر الاعراض والصبر على اذى الاعداء
عاما وفق ما اجمع عليه جمهور العلماء رحمهم الله قوله واحصروهم اوحبسوهم يقال ان
الحصر المنع والمراد اما منعهم عن الخروج عن الحبس ومنعهم عن البيت الحرام
وعن ابن عباس انهم ان تحصنوا فاحصروهم والمرصد مفعل من رصده يرصده
اذا رقبه وهو يصلح للزمان والمكان والمصدر والعقود يعين كونه محولا على المكان
الذي يرتقب فيه العدو او كونوا لهم راصدين لتأخذوهم من اي وجه توجهوه
قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك وجه ارتباطه بما قبله انه تعالى
لما اوجب قتل المشركين عند انقضاء الاشهر الحرم دل ذلك على ان حجة الله قد
قامت عليهم وما ذكر الرسول عم قبل ذلك من انواع الدلائل والبينات كفى
في ازاحة عذرهم وعلتهم وذلك يقتضي ان احدا من المشركين لو طلب الدليل
والحجة لالتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام واما بالقتل فلما كان هذا الوهم
يخطر بالبال لاجرم ذكر الله تعالى هذه الآية ازالة لهذه الشبهة كما روي عن ابن
عباس رضي الله عنه قال ان رجلا من المشركين قال لعلي رضي الله عنه ان اردنا
ان ناتي الرسول بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله او لحاجة اخرى فهل
تقتل فقال علي رضي الله عنه لا لان الله تعالى قال وان احد من المشركين استجارك
فاجره الآية قوله فلا ينكثوكم مع وفرة صدورهم اي مع توقد الغيظ والعداوة
في قلوبهم فان الوفر شدة توقد الحر ومنه قولهم في صدره على وفرا بتكيا
اي ضغنا وعداوة وتوقد من الغيظ والمصدر بالتحريك تقول وغر صدره
على يوغر وغرا فهو واغر الصدر قوله وخبر يكون كيف ذكر في جره ثلثة
اوجه الاول وهو الاظهر انه كيف وعد اسمها قدم الخبر عليه وجوبا لاشتماله على
ما له صدر الكلام وهو الاستفهام الانكاري وقوله للمشركين متعلق اما بيكون

على ان

على راي من يجوز في كان ان يعمل في الظرف وشبهه واما بمحذوف لانها صفة لعهد في
الاصل فلما قدمت انتصبت حالا والمصنف جعل اللام فيه للبيان كالتي في هيت لك
فيتعلق بقدر مثل قول هذا الاستيعاد لهم وعند يجوز ان يكون متعلقا بيكون او بمحذوف
على انها صفة لعهدا ومتعلق بنفس عهد لانه مصدر والثاني ان خبر يكون هو قوله
للمشركين وعند على هذا فيها الاوجه المتقدمة وهو يعني قول المصنف وهو ان قوله
عند الله على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون والوجه الثالث ان يكون الخبر
عند الله وللمشركين على هذا تبيين على ما اختاره المص واما متعلق بيكون عند من
يجوز ذلك واما حال من عهد وكيف ان لم يكن خبرا كما في الوجهين الاخيرين يكون
اشبهه بالحال وهذه الوجوه كلها على تقدير ان يكون كان ناقصة ويحتمل ان يكون تامة
بمعنى كيف يوجد عهد للمشركين عند الله والاستفهام هنا بمعنى النفي والانكار وقع بعد
الاستثناء بالا اي ليس يكون للمشركين عهدا الا الذين لم ينكثوا على ان يكون محله الجر على
البدل والنصب على الاصل الاستثناء من المشركين استثنى اصحاب عهدين الذين ثبتوا
على مقتضى العهد ولم ينكثوه كبني ضمرة قوله وما يحتمل الشرطية والمصدرية
فان كانت شرطية تكون في محل النصب على الظرف الزماني والتقدير اي زمان
استقاموا لكم فاستقيموا لهم وان كانت مصدرية يكون مقدرة بالزمان ايضا
منصوب المحل على الظرفية ايضا اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم
ثم قال تعالى ان الله تعالى يحب المتقين اي يحب من اتقى فوفى بعهده لمن عاهده
قوله وحذف الفعل اي الفعل المستفهم عنه المستبعد الوقوع اي كيف يكون لهم
عهد يثبتون عليه او يبقى حكمه عند الله وعند رسوله وحالهم انهم ان يظهروا عليكم
قوله وخبر تماني لكعب الغنوي يرثي اخاه ابا المغوار وما قبله لعمرك ان البعيد
الذي مضى وان الذي ياتي غدا لقريب وخبر تماني اغا الموت بالقوي وكيف وهانا
هضبة وقليب ويروى وكثيب الهضبة الجبل المنبسط على وجه الارض والكثيب
الرمل قبل ان تطوى والكثيب اكثر من الرمل والهضبة والكثيب قيل انهما اسما
جبلين في البادية التي مات فيها ابو المغوار وقيل اراد بها الحي المعروف بقول الشاعر
لصاحبيه اخبر تماني وقد تمالى اي من سكن الامصار مات بالوباء الذي فيها

وكيف مات اخى زة البادية واشار الى هضبة وقليب كانا زة الموضع الذى مات
اخوه حذف الفعل لعلم زة كيف اى لكيف مات قوله حلفا يعنى ان الآل فيه
اقوال احدها ان المراد به الحلف والمعنى انهم ان يظهروا عليكم بعد ماسبق لهم
من تاكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا زة حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم ولم يراعوا
حلفا والسقب الذكر من ولد الناقة والزال ولد النعامة يخاطب احدا انيكر
قرابته من قريش بانها كقرابة ولد الناقة وولد النعامة وليس بينهما مناسبة
وان تشابها صورة وقيل الآل هو الله استدلالا بما روى عن ابى بكر رضى
الله عنه انه سمع جذبانات مسيلمة لعنه الله تعالى ان هذا الكلام لم يخرج من
الى اى من الله تعالى واورد عليه ان اسماء تعالى معروفة زة الكتاب والسنة
ولم يسمع احد يقول يا آل افعل كذا وقيل اشتقاقه من آل الشئ
قوله وقيل ربوبية اى فيل المراد بالآل التربية وبين طريق ارادتها منه بقوله
ولعله وتقريبه ان الآل بالفتح هو الجؤار والصياح واشتق منه الآل
بالكسر للحليف للمناسبة بينهما من حيث انهم اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه
بان يتجاروا ويرفعوا به الاصوات ثم اطلق لفظ الآل على القرابة تشبيها
لها بالحلف من حيث كونها سببا للارتباط بل القرابة تعقد بين الاقارب بما لا
يعقده التحالف فاستعير لها اسم الآل للمشابهة المذكورة ثم استعير منها للربوبية
والتربية من حيث ان كل واحد منهما سبب للالفة والانضمام والمعنى حينئذ لا يظهرون
ولا يراعون فيكم ربوبية وتربية حتى اذا ظفر العبد المشرك بعبده المؤمن
لا يراعى حق ربوبيته واذا ظفر المرتى بمن ربّاه لا يراعى حق تربيته وقيل
اشتقاق الآل بمعنى الربوبية من آل الشئ تأليلا اذا حدده بناء على ان
الربوبية والتربية لا تخلوا عن افادة الحدة والقوة وقيل اشتقاقه من آل
البرق اذا لمع بناء على ان الربوبية والتربية لا تخلوا عن افادة اللمعان والظهور
وقيل ان الآل لفظ عبرى بمعنى الاله واستدل عليه بقراءة من قرا لا يرقبون
فيكم الا ولا ذمة الا كما قيل جبرائل بدل جبرئيل وقد تقرر ان الايل عبرى بمعنى
الاله والذمة قيل العهد والامان وفى الحديث وليسعى بذمتهم ادناهم فان الذمة

١١٩

فيه بمعنى الامان والمعنى ان ادنى الناس اذا اعطى امانا للكافر نفذ على جميع الناس
ولذلك اجاز عمر رضى الله عنه امان عبد علج على جميع العسكر وقال الاصمعى
ما لزم ان يحفظ ويحمى ويذم الرجل على اضاعته قوله الموقتة الى عدم
مراقبتهم عند النظفر صفة بعد صفة لحالهم التى هى انهم يعطون المؤمنين بالسنتهم
خلاف ما زة قلوبهم والاباء اشد الامتناع فان كل اباء امتناع من غير عكس قوله
فانهم بعد ظهورهم لا يرضون حتى يقال انهم ان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا
ذمة حال ارضائهم اياكم ولما ورد عليه ان يقال عدم ابقائهم على المؤمنين حال
ارضائهم اياهم لا يقتضى تحقق الارضاء بناء على جواز رجوع النفى الى القيد فقط
او الى مجموع القيد والمقيد لا الى نفس المقيد وحده استدل على عدم جوازه
الحالية بدليل آخر ومحصوله ان المعنى على تقدير الحالية انهم لا يبقون على المؤمنين
حال ارضائهم اياهم وهذا المعنى يناقض المعنى المراد من الآية وهو انهم يرضون المؤمنين
زة الحال ولا يبقون عليهم حال النظفر بهم اى لا يرحمونهم بل يفعلون بهم ما يقتضيه
كمال العداوة ونهاية الحقد والظغينة يقال ابقى على فلان اذا رحمه ورعاه
قوله متمردون فسر فسق الكافر بكونه متمردا عاريا عن العقيدة والمروة
المانعين عن التسور اشار الى دفع ما يقال من ان الضمير زة اكثرهم راجع الى
المشركين لانهم المتقدم ذكرهم والشرك اخبث انواع الكفر والكفر اخبث واقبح
من الفسق فما معنى وصف الكفار بالفسق زة مقام المبالغة زة ذمهم ووجه الدفع
ان توصيف المشرك بالفسق البالغ زة ذمه من توصيفه بالكفر والشرك لان الكافر قد
يكون عدلا زة دينه له شمائل وخصائل مرضية تصرفه عن الكذب ونكث العهد
وسائر ما يخل بالمروة وكثير من الكفرة فاسقون زة دينهم لا يحترزون
عن الكذب ونقض العهد والمكر والخديعة وكذلك مجانبون زة المروة فمن انضم الى
كفره سائر الصفات الذميمة يكون زة غاية الخباثة ومذموما عند جميع الناس وفى
جميع الاديان فقط بهذا ما يقال ايضا من ان جميع الكفرة فاسقون فلا يبقى لتخصيص
اكثرهم بالذكر فائدة والتفاوت التجانب والتباعد يقال تفاوت الرجل عن كذا
اذا انحاماه واحترز عنه قوله لا عقيدة لهم تزعهم اى تمنعهم وتصرفهم عن

قوله العهد من الاباء الى الامتناع

ارتكاب القبايح يقال وزعه اى ردعه ومنعه وبالفارسى بازداشت اورا و
الاحدوثة ما يتحدث به والمعنى لما فى بعضهم من التنزه عن الافعال التى تجر
الى ان يتحدث الناس فى حقه من المثالب والمعايب قوله وهو اى الثمن
القليل الذى اختاره المشركون على اتباع احكام القرآن هو اتباع الاهواء والشهوات
قوله تعالى فصدوا يحتمل ان يكون لازما بمعنى فعدلوا وان يكون متعديا بمعنى منعوا وصرفوا
غيرهم يقال صد يصد صدودا اى اعرض وعدل وصده عن الامر صدا اى منعه وصرفه
عنه قوله وهم اليهود او الاحباب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم ليصد الناس بذلك
عن متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم او يحملهم على نقض العهد كما روى عن مجاهد انه قال
اطعم ابو سفيان بن حرب حلفاءه وترك حلفاء رسول الله صلعم فنقضوا العهد
الذى كان بينهم بسبب تلك الاكلة وقيل لا يبعد ان يكون طائفة من اليهود اعانوا
المشركين على نقض تلك العهود فكان المراد من هذه الآية فمثل اولئك اليهود
وكون كل واحد منهما نازلا فى حق من نقض العهد من المشركين وكون الثانى
تفسيرا لعلهم الشئ النسب بما قبله لان الضمائر فى الآيات السابقة راجعة الى
المشركين انما تقتضيه وتخصيص هذا الضمير باليهود او لتلك الاحباب تخصيص
بلا دليل واخلال لاسلوب النظم قوله هم المعدودون فى الشرارة بنقضهم العهد
وتقديم ما حقه الله تعالى فى دينه وما يوجبه العقد والعهد قوله فهم
اخوانكم اشارة الى ان فاخوانكم خبر لمبتدا محذوف والجملة الاسمية فى محل
الجزم على جواب الشرط وفى الدين متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل على ما قرر
تعالى حصول الاخوة فى الدين على مجموع الامور الثلثة التوبة عن الكفر واقام الصلوة
وايتاء الزكوة والعطف على الشئ بكلمة ان عدم عند عدم ذلك الشئ فهذا يقتضى انه
متى لم توجد هذه الثلثة لا تحصل الاخوة فى الدين وهو مشكل لان المكلف المسلم
لو كان فقيرا او كان غنيا لكن لم يمض عليه الحول لا يلزمه ايتاء الزكوة فاذا لم يؤتها
فقد انعدم عنه ما توقف عليه حصول اخوة الدين فيلزم ان لا يكون مؤمنا الا ان
يقال التعليق بكلمة ان انما يدل على مجرد كون المعلق عليه مستلزما لما علق عليه
ولا يدل على انعدام المعلق عند انعدام المعلق عليه وهو انما يستفاد من دليل

خارجى

خارجى فلذلك يجوز ان يكون المعلق لازما اعم فيتحقق بدون تحقق ما جعل
ملزوما له ولو سلم ان نفس التعليق يدل على انعدام المعلق عند انعدام المعلق
عليه لكن لا نسلم انه يلزم من ذلك ان لا يكون الصغير مؤمنا بعدم ايتاء الزكوة
وانما يلزم ذلك لو كان المعلق عليه ايتاءها على جميع التقادير وليس كذلك بل
المعلق عليه هو الايتاء عند تحقق شرائط مخصوصة مبينة بدلائل شرعية
قال ابن مسعود رضى الله عنه اوتم بالصلوة والزكاة فمن لم يزك فلا صلوة له
قوله اعتراض حيث وقعت بين كلامين متناسبين فائدة تعالى بيان
اولا حال من لا يرقب فى الله الا ولا ذمة وينقض العهد ويقول بلسانه ما يأبى
عنه قلبه ويتعدى ما حد له ثم بين انهم ان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة
فى يثبت لهم احكام الايمان جميعا وبين الله تعالى هذا المعنى بقوله فاخوانكم
فى الدين ثم بين انهم لو نكثوا ايمانهم اى نقضوا عهودهم اما بان ارتدوا عن الايمان
والعياذ بالله على ان يحمل العهد على متابعة الاسلام بقرينة ذكر فى مقابلة قوله
فان تابوا الآية او بان نقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمروا
عليه بشهادة ان الآية وردت فى ناقض العهد وانه تعالى جعلهم صنفين
احدهما من تاب منهم والآخر من اقام على نقض عهده فلما كانت الشرطيتان
متناسبتين كانت جملة قوله ونفصل الآيات لقوم يعلمون معترضة بينهما
وقوله يعلمون منزل منزلة اللازم كانه قيل وان مما نأتى تفصيلها فهو العالم
قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو ائمة بهمزتين ثانيتهما مسهلة بين بين اى
بين مخرج الهمزة والياء والالف بينهما والكوفيون وابن ذكوان عن ابن عامر
بتحقيقهما من غير ادخال الالف بينهما وهشام كذلك الا انه ادخل بينهما الفا
هذا هو المشهور مما روى عن القراء السبعة وليس فيما اشتهر عنهم قلب الهمزة
الثانية ياء خالصة فلذلك جعل التصريح بالياء لحنا قال الامام الواحدى فى الوسيط
والاصل فى ايمة ائممة لانها جمع امام كخمسال واثلة وحمار واحمرة ولكن لما اجتمعت
الميمان ادغمت الاولى فى الثانية والقيت حركتها على الهمزة قبلها فصارت ائمة
وابدلت من الهمزة المكسورة ياء كراهة لاجتماع الهمزتين وهذا هو الاختيار

اصل ايمة ائممة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عند جميع النحويين ومن قراءبهمزتين فقد راعى الاصل وبالوجه انتهى كلامه وجعل
الشاطبي بدال الهمزة الثانية ياءً خالصة مذهبا للنحويين لا للقرآء فالمصنف
اختار مذهب القراء لا مذهب النحاة في هذه اللفظة فان النحويين البصريين
يوجبون ابدال الثانية تاءً وغيرهم تحققها او يستهل بين بين ومن ادخل الالف
بينهما ادخلها للخفة حتى يفصل بين الهمزتين قوله لا ايمان لهم على الحقيقة اشارة
الى ما يتوهم من ان نفي الايمان عنهم بقوله انهم لا أيمان لهم نيابة في اثباتها لهم
في قوله وان نكثوا ايمانهم ووجه الدفع ان المراد بالايمان المثبتة لهم ما
اظهروها من الايمان وبالمنفية ما هو ايمان على الحقيقة فان ما هو بين حقيقة
لا يقدم صاحبها على نكثها والاتيان بما يخالف موجبها قوله والا لما طعنوا مبني
على ان يراد بالعهد في قوله وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم مبايعة الاسلام
ونكثه الارتداد عن الايمان وقوله ولم ينكثوا مبني على ان يراد بالعهد عهدهم
مع رسول الله قوله وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده
لان العهد معه معقود على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده فجاز قتله عطف
قوله وطعنوا في دينكم على ما قبله مع ان نقض العهد كاف لاباحة القتال لزيادة
تحريك المؤمنين على قتالهم وقيل معناه وان نكثوا ايمانهم بطعنهم في دينكم فقد يذكر
الفعلان بواو بينهما على ان يكون الثاني تفسيرا للاول كقولك استخف فلان بحقي
ورد ني عما طلبت اليه قوله على ان يمين الكافر ليس يمينا حتى لو اسلم
بعد انعقاد اليمين وحنث فيه لم يكن عليه كفارة عندنا وعليه الكفارة عند الشافعي
وقال معنى الآية انهم لما لم يوفوا لله صارت ايمانهم كلا ايمان لانه لا ايمان لهم
في الحقيقة لوصفهم بالنكث والكنث لا يكون حيث لا يمين قوله لا امان اولا
اسلام يعني ان الايمان بكسر الهمزة مصدر آمن تقول امن يؤمن ايمانا ثم ان
الايمان يحتمل ان يكون بمعنى التصديق فالمعنى انهم كفرة لا ايمان لهم بالله تعالى
وباحكامه وان يكون من الامن والامان تقول آمنت فانا آمن وآمنت غيري
اي اعطيته الامان فقوله لا ايمان لهم معناه لا تقطعوهم الأمان بعد نكثهم وطعنهم
فانهم لا يستحقون ذلك بعد او انهم لا يفون لاحد بعهد يعقدونه له وقرأ الباقون

لا ايمان بفتح الهمزة وهي جمع يمين قوله وتشبث به بما قرأ به ابن عامر روى
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال قوله تعالى الا تقاتلوا قوما نكثوا ايمانهم في فتح
مكة وقال الحسن لا يجوز ان يكون المراد منه ذلك لان سورة براءة نزلت
بعد فتح مكة قوله والآية من المعجزات لان الله تعالى قد وعد المؤمنين
على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ان يعذب الكفار بايديهم ويخزيهم اي يذلهم بالاسر
والقتل وينصر المؤمنين عليهم فانجز وعده ولم يظهر خلاف ما وعدهم قوله
خطاب للمؤمنين وقيل للمنافقين وايا ما كان فهو ترغيب في الجهاد بان يقال
ان حسبتم ان تتركوا على ما اظهرتم بالتسارع من الايمان فلا تؤمروا بالجهاد و
لا تمتحنوا لينظر الصادق من الكاذب والمراد بنفي العلم نفي المعلوم اي ولم يوجد
منكم ما يدل على صدقكم واخلاصكم فيما اظهرتموه من الايمان وهو جهاد المشركين
وهو نظير ان يقال ما علم الله متى ما قيل فيّ والمراد ما وجد ذلك مني ولما كان
علم الله تعالى بوجود الشيء لازما لوجوده في نفسه جعل علم الله تعالى بوجوده كناية
عن وجوده وعدم علمه بوجوده كناية عن عدم وجوده فانه تعالى يعلم كل ما سيوجد
بانه يوجد ويعلمه موجودا حين يوجد لانه تعالى يعلم كل شيء على ما هو به والعلم
الذي يجازى عليه هو العلم بالشيء بعد وجوده والمعنى جعل تعلق العلم بالوقوع
مستلزما لما له فجعل نفي العلم كالبرهان على نفي الوقوع من حيث ان نفي الملزوم يكون
مستلزما لنفي اللازم في مادة تحقق اللزوم من الجانبين ولو جعل تعلق العلم بالوقوع
لازما له لكان نفي العلم برهانا على نفي المعلوم فيكون العلم اثباتا لنفي المعلوم
بالبرهان قوله عطف على جاهدوا داخل في الصلة اي الذين جاهدوا ولم يتخذوا
فان شعار المؤمن المخلص في ايمانه ان يجاهد اعداء دين الله بنفسه وماله وان
يوالي الله ورسوله والمؤمنين ولا يوالي غير الرسول والمؤمنين ولا يتخذ غير اولياء
الله من الكفار اولياء وخواصه ويحتمل ان يكون قوله ولم يتخذوا في محل النصب
على انه حال من فاعل جاهدوا اي جاهدوا حال كونهم غير متخذين وليجة فان المجاهد
قد يجاهد ولا يكون مخلصا بل يكون منافقا باطنه يخالف ظاهره فبين الله تعالى
انه لا بد وان تابوا بالجهاد مع الاخلاص خالصا عن الرياء والنفاق وموالاة الكفار

شبكة الألوكة www.alukah.net

فان الجهاد انما يكون عبادة ان لو اتى به انقيادًا لامر الله وبذلًا للنفس والمال طلبا لمرضاة الله والوليجة فعيلة من الولوج وهو الدخول ووليجة الرجل من يداخله في باطن امره وصديقه الذي يطلعه على ما في داخل قلبه وقيل الوليجة كل ما يتخذه الانسان متجرًا لعبه وليس من اهله من قولهم فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم قوله وما في لما من معنى التوقع كما يخبر بقدوم الاغلب عن حصول الامر المتوقع تقول لمن يتوقع ركوب الامير قد ركب ولما يركب وان كان قد ستعمل في غير المتوقع ايضا لخوندم ولما ينفعه الندم ولما كان الغالب في لما كونها لنفي الامر المتوقع دلت الآية على ان تبيّن المخلصين وتمييزهم من الذين لم يخلصوا دينهم امر متوقع وانه تعالى سيميز بينهم فانه تعالى لما فرض القتال تميز المنافق من غيره وتميز من يوالي المؤمنين بعاديهم قوله يعلم عرضكم منه اي من الجهاد يعلم من يجاهد رياء وسمعة ممن يجاهد لاعزاز دين الله وقهر اعداءه فان المقصود من ايجاب القتال ليس نفس القتال بل هو ابتلاء الهي يتميز به من آمن بلسانه ممن آمن بقلبه فان المخلص يجاهد واثقا بالله وابتغاء لوجهه الكريم والمنافق يجاهد مع الركون الى غير الله مذبذبا بين الفريقين قيل من ظن انه يكتفي منه بالدعوى دون تحقيق المعنى فهو على غلط في حسبانه وظنه قوله لان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به عم فانه اينما جرى ذكر الله تعالى يكون ذكر عم متقارنا لذكره تعالى كما في كلمتي الشهادة والاذان والاقامة وغيرها فلما كان ذكرهما منذرًا بوجوبهما صارا كانهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه فكان الايمان به عم منذرًا بحث ذكر الايمان بالله قوله ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه لان الصلوة لا تتم الا بالاذان والاقامة والتشهد وهذه الاشياء مشتملة على ذكر النبوة فاكتفى بذكر اقامتها عن ذكر الايمان به عم لان اقامتها توجب الايمان به ولان الصلوة والزكوة كما ذكرنا بلام العهد والمعهود من الصلوة والزكوة عند المسلمين ليس الا الاعمال التي اتى بها رسول الله صلى الله عم واتيان تلك الاعمال يستلزم الايمان به عم قوله ان في ابواب الدين جواب عما يقال كيف قيل ولم يخش الا الله والحال ان المؤمن يخشى مما يؤذيه ويضره كالظلمة

والسباع المهلكة ونحوهما ولا يتمالك ان لا يخشى شيئا منهما وتقدير الجواب ان المعنى والله اعلم انه تعالى اذا كلف العبد بشيء من الامور المتعلقة بالدين كالحج والجهاد ونحوهما وعرض له ما يمنعه من الاقامة ذلك بان يضره وتفوت عليه شيئا من حقوق نفسه على تقدير اقامة ذلك الامر الذي كلف به ينبغي له ان لا يخاف مما يفوت حق نفسه بل يجتهد في اقامة حق الله تعالى خوفا من غضبه وعقابه ولا يختار على رضا الله رضا غيره خوفا من ذلك الغير كما قال تعالى الله احق ان تخشوه وقال فلا تخافوهم وخافون فان الخوف من المضار النفسانية امر جبلي لا محذور فيه انما المحذور ترجيح حق نفسه على حق الله تعالى وان يجعل فوات حظ نفسه كعذاب الله تعالى قوله نزلت في المهاجرين اي فيمن امر بالهجرة عن ابن عباس قال كان قبل فتح مكة من آمن ولم يهاجر لم يقبل الله ايمانه حتى يهاجر اقاربه الكفار والمعنى لا تتخذوهم اصدقاء تؤثرونهم المقام بين اظهرهم على الهجرة الى دار الاسلام ان استحبوا الكفر واختاروه اي ان كان الكفر احب اليهم من الايمان قال الامام محل الآية على ايجاب الهجرة والحمل عليها والحال ان الهجرة انما كانت واجبة قبل فتح مكة مشكل لان الصحيح ان هذه السورة انما نزلت بعد فتح مكة فكيف يكون محل الآية على ما ذكرتم قال والاقرب ان تكون محمولة على ايجاب التبري من الكفرة وترك الموالاة معهم باتخاذهم بطانة واصدقاء فيفشون اليهم اسرارهم فانه تعالما اوجب على المؤمنين ذلك كانهم قالوا كيف يكون هذه المقاطعة التامة بين الرجل وبين ابيه وابنه واخيه فذكر تعالى ان الانقطاع عن الآباء والاولاد والاخوان واجب بسبب الكفر وهو قوله ان استحبوا الكفر ولما نزلت هذه الآية قالوا يا نبي ان نحن اعتزلنا عن خالفنا في الدين انقطع عن آبائنا وعشيرتنا وتذهب تجارتنا وتخرب ديارنا فنزل قوله تعالى قل ان كان آباؤكم الآية وعشيرة الرجل اهله الادنون وقيل هم اهل الرجل الذين يتكثر بهم اي يصيرون له بمنزلة العدد الكاملة فوفق ان العشرة من العدد الكاملة فصارت العشيرة اسما لاقارب الرجل الذين يتكثر بهم سواء بلغوا العشرة ام فوقها وقيل هم الجماعة المجتمعة بنسب وعقد او ودادٍ كعقد العشرة واختار المصنف

القول الاخير حيث قال العشرة جماعة ترجع الى عقد اى تجمع عقد كما يجمع عقد
العشرة وحداتها وترتبط بعضها ببعض قوله جواب ووعيد لما آثر حظوظ
نفسه ورجح مهمات دنياه على مصلحة دينه ولما كان هذا الوعيد يشق على النفوس
ذكر ما يدل على ان من ترك الدنيا لاجل الدين فالله تعالى يوصله الى مطلوبه وضرب
لهذا مثلاً وقعة الحنين فان عسكر رسول الله صلى الله عم في تلك الوقعة كانوا في
غاية الكثرة والقوة فلما اعجبوا بكثرتهم صاروا مهزمين فلما تضرعوا في حال
الانهزام الى الله قواهم حتى هزموا عسكر الكفار فذلك يدل على ان الانسان متى
اعتمد على الدنيا فاته الدين والدنيا ومتى اطاع الله ورجح الدين على الدنيا
اتاه الله الدين والدنيا على احسن الوجوه، فنى قوله تعالى ولقد نصركم الله في مواطن
كثيرة الآية تسلية لاولئك المأمورين بمقاطعة الآباء والابناء لاجل مصلحة الدين
ووعدهم بانهم ان فعلوا ذلك وصلهم الله تعالى الى جميع مهماتهم على احسن
الوجوه والمواطن جمع موطن وهو كل موضع اقام به الانسان لامر وهذه
الكلمة تحتمل ان يكون مصدراً ميمياً واسم زمان ايضاً لكونه مثل الفعل
كالموعد والمراد بالمواطن الكثيرة غزوات رسول الله صلى الله عم ويقال انها
ثمانون موطناً منها مواطن بدر وقريظة والنظير والحديبية وخيبر وفتح مكة
قوله وموطن يوم حنين جواب عما يقال كيف عطف الزمان وهو يوم حنين
على الموطن مع ان متعلقات الفعل انما يعطف بعضها على بعض اذا كانا من
جنس واحد نحو ضربت زيداً وعمراً وصمت يوم الجمعة ويوم الخميس وصليت
في المسجد وفي الدار ونحو ذلك واما اذا لم يكونا من جنس واحد فلا يعطف احدهما
على الآخر ولا يجعل تابعاً له بل يتعلق كل واحد منهما بالفعل بلا توسط العاطف
فيقال مثلاً ضربت زيداً يوم الجمعة وصليت في المسجد يوم الجمعة فكيف تخلل
العاطف بين المكان والزمان في الآية وليسا من جنس واحد لان الفعل
يقتضي كل واحد منهما على حدة فاجاب بانه عطف المكان على المكان بتقدير المضاف
او الزمان على الزمان كذلك اى نصركم الله في ايام مواطن وبتجويز ان يجعل
الموطن اسم زمان كمقتل الحسين فيكون من عطف الزمان على الزمان

من غير تقدير المضاف وان كان كون الموطن اسم زمان بعيداً عن الفهم في هذا
المقام كانه قيل في اثنتة اقامات بواقف الحروب قوله ولا يغني ابدال اذ
اعجبتكم كثرتكم منه اه رد على الزمخشري في قوله يجب ان يكون يوم حنين منصوباً
بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو
جعلت ناصبة هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا
كثيرة في جميعها فبقي ان يكون ناصبة فعلاً خاصاً به الا اذا نصبت اذ بانصار اذكر
انتهى كلامه يعني انه ان لم يقدر فعل آخر ينصب المبدل منه بل كان الفعل المذكور
ناصباً للجميع يلزم ان يكون زمان الاعجاب بالكثرة ظرفاً للنصرة الواقعة في المواطن
الكثيرة لان الفعل واحد والحال انه لم تكن لهم كثرة في تلك المواطن فضلاً عن
ان تكون تلك الكثرة اعجبتهم فيها فلذلك وجب ان يقال المبدل منه منصوب
بفعل مضمر وبهذا التقدير اندفع ما يقال من ان ما ذكرت ان كون البدل منصوباً
بالفعل الظاهر يستلزم ان يكون زمان الاعجاب بالكثرة ظرفاً للنصرة الواقعة
في مواطن كثيرة انما يلزم ان لو كان المبدل منه في حكم التنحية مع حرف العطف
ليؤول الى نصركم الله في مواطن كثيرة اذ اعجبتكم وليس كذلك بل يؤول الى نصركم
في مواطن واذ اعجبتكم وحاصل الرد ان العطف لا ينافي تعدد العامل في المعطوف
والمعطوف عليه بحسب الافراد وان اتحد في النوع الا ترى الى قولنا اضرب زيداً
اليوم وعمراً غداً واضربه حين يقوم وحين يقعد واضرب زيداً قائماً وعمراً قاعداً
لما غير ذلك فقولنا نصرهم الله في مواطن كثيرة واذ اعجبتهم كثرتهم لا يستلزم
الا يكون النصرة الواقعة فيهما نصرة واحدة شخصية حتى يقال اقتضى الكلام ان
يتحقق كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن قوله هوازن وثقيف منصوب
بحارب روى انه عم بها فتح مكة وقد بقيت عليه ثلثة ايام من رمضان فمكث
حتى دخل شوال فمشت اشراف هوازن بعضهم الى بعض وكذا ثقيف بعضها الى
بعض ومددوا وبغوا وقال والله ما لاقى محمداً قوم بحسون القتال فاجمعوا
امركم فسيروا اليه قبل ان يسير واليكم فاجمعوا امرهم على ذلك فاخرجوا معهم اموالهم
ونساءهم وابناءهم وراءهم فجعلوا النساء فوق الابل وراء صفوف الرجال

ثم جاؤا بالابل والغنم والذراري وراء ذلك لكي يقاتل كل واحد منهم عن اهله
وماله ولايفر احد منهم بزعمهم فسار واكذلك حتى نزلوا باوطاس وقد كان
عم بعث اليهم ليتجسس عن حالهم وكان منهم يسمع اخبارهم فوصل اليهم فسمع
من مالك بن عوف امير القوم يقول لاصحابه انتم اليوم اربعة الاف رجل فاذا
لقيتم العدو فاحملوا عليهم حملة رجل واحد واكسروا جفون سيوفكم فوالله
لاتصرعون باربعة الاف سيف شيئا الا فرجا فاقبل العين الى النبي صلى الله عم
فاخبره بما سمع من مقالتهم فقال ص من اعلمهم والله يارسول الله لانغلب اليوم
من قلة فساءت رسول الله صلى الله عم كلمته وابتلى الله تعالى المؤمنين
بكلمة تلك وقيل ان هذه الكلمة قالها ابوبكر وقيل قالها رسول الله صلى الله عم
قال الامام هو بعيد لانه عم كان في اكثر الاحوال متوكلا على الله تعالى منقطع
القلب عن الدنيا واسبابها والظاهر انه القول بها لاينافي التوكل على الله
تعالى ولايستلزم الاعتماد على الاسباب الظاهرة وروي عنه عم قال خير
الاصحاب اربعة وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش اربعة الاف ولايغلب اثنا
عشر الفا من قلة كلمتهم واحدة وانما ساءته عم تلك الكلمة لان فيها اعتمادا على
الكثرة واعتبارا لها ولايليق بهم الاعتماد الا على الله ونصرته ولذلك علمهم الله
بقوله اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ثم وليتم مدبرين انهم ليس
بكثرتهم يغلبون وانما يغلبون بنصر الله اياهم فلما نظروا في ذلك اليوم
الى كثرتهم انهزموا ثم تدارکهم بنصره حين التجاؤا اليه تعالى وتضرعوا
والفل بالفتح اسم للمنهزم يستوي فيه الواحد والجمع رجل فل وقوم فل و
اصحاب الشجرة اهل بيعة الرضوان وهم الذين قال الله تعالى في حقهم
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة واصحاب سورة
البقرة هم المذكورون في قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
قوله فكروا عنقا واحدا اي رجعوا جماعة واحدة يقفو دفعة والوطيس التنور
وحمي الوطيس كناية عن اشتداد الحرب والمراد بالسكينة ما يسكن اليه القلب
ويوجب الامنة ووجه الاطلاق ان الانسان اذا خاف فزع وفؤاده

يتحرك واذا امن سكن وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة
كناية عن الامن قوله للتنبيه على اختلاف حاليهما فانهم انهزموا بخلافه عم فانه عم
ماولى ظهره الى جانب المشركين قط قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة
فلما حملنا عليهم انكشفوا واكببنا على الغنايم فاستقبلونا بالسهام فانكشف اول
الخيول هوتية وتبعهم الناس منهزمين لايلوون على شيء ولم يبق معه عم الا العباس
بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحارث فقال البراء والذي لااله الا هو ماولى
رسول الله صلى الله عم قال رأيته وابو سفيان اخذ بالركاب والعباس اخذ بلجام
بغلته دلدل وهو يقول انا النبي لاكذب انا ابن عبد المطلب وطفق يركض
بغلته نحو الكفار وهذا من غاية شجاعته حيث لم يخف اسمه في تلك الحال ولم يخف
الكفار على نفسه وفي الآية دليل على ان المؤمن لايخرج من الايمان وان عمل الكبيرة
لانهم قد ارتكبوا الكبيرة حيث هربوا وكان عدوهم اكثر من عدد اشركهما فسماهم
الله تعالى مؤمنين قوله وكانوا خمسة الاف او ثمانية الاف او ستة عشر الفا
اتفقوا على ان المراد بالجنود المنزلة الملائكة الا انهم اختلفوا في عدد الملائكة وليس
في هذه الآية مايدل على عددهم كما هو في قصة بدر فقال سعيد جبير انزل الله تعالى
بنيه خمسة الاف من الملائكة ولعله انما قدره على يوم بدر وقال سعيد بن المسيب
حدثني رجل كان من المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المؤمنين جعلنا نسوقهم
فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت
الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا واختلفوا ايضا في ان الملائكة هل قاتلوا ذلك
فالذي روي عن سعيد بن المسيب تدل على انهم قاتلوا وآخرون قالوا ان الملائكة
ما قاتلوا الا يوم بدر وفائدة نزولهم في هذا اليوم القاء الخواطر الحسنة في قلوب المؤمنين
وقيل ان الله تعالى لما هزم المشركين بوادي حنين وتوا مدبرين وانتهوا اوطاس وبها
عيالهم واموالهم فبعث رسول الله صلى الله عم رجلا من الاشعريين يقال له
ابو عامر وأقره على جيش الى اوطاس فسار اليهم فاقتتلوا وهزم الله المشركين
وسبى المسلمون عيالهم وهرب اميرهم مالك بن عوف فاتى الطايف وتحصن بها
واخذ ماله واهله فيمن اخذوا وقتل امير المسلمين ابو عامر روي ان المسلمين اصابوا

يوم بئذ سنة الآن سبى ثم انه عم اتى الطايف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما
دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم فاتى الجعرانة فاحرم منها بعمرة
وقسم بها غنايم حنين واوطاس قوله ماكنا نعدل بالاحساب شيئا اى يختار
سبايا من نسائنا وابنائنا فان ايسارهم على ايثار استرجاع المال حسب
فهو بالاختيار اجد وانسب والحسب ما يعد من المفاخر كنوا بذلك عن اختيار
الذرارى والنساء على استرجاع الاموال لان تركهم فى ذل الاسر يفضى الى الطعن
فى اعراضهم قوله فشانه اى فيلزم شانه ومن لا اناة له لا يطيب نفسه
ان ترد، والعرفاء جمع عريف بمعنى النقيب وهو دون الرئيس قوله لخبث
باطنهم مبنى على ان النجس بفتحتين مصدر بمعنى التنجس اخبر به عن الذوات
بتقدير المضاف اى ذو نجس وهو مافى باطنهم من الشرك ويحتمل ان يكون
مبنيا على ان يكون نجس بفتحتين صفة مشبهة مثل حسن كما اشار اليه الجوهرى
حيث قال نجس الشئ بالكسر ينجس نجسا فهو نجس ونجس ايضا قال تعالى
انما المشركون نجس قال الفراء اذا قالوه مع الرجس اتبعوه اياه وقالوا رجس
نجس بالكسر والجسة غيره ونجسة بمعنى الى مدنها منقول من الصفاح قوله
اولا يجب يجتنب عنهم اى بمعنى ان التركيب من قبيل زيد اسد فى انه من باب
التشبيه البليغ كانه قيل انهم بمنزلة الشئ النجس العين فى وجوب الاجتناب
عنهم وهو قريب من قول صاحب الكشاف او جعلوا كانهم انجاسة بعينها
مبالغة فى وصفهم بها قوله اولانهم لا يتطهرون اى من الجنابة والحدث ولا يجتنبون
عن النجاسات العينية فكانوا ذوى نجاسات حكمية وحقيقية فحكم عليهم بانهم
نجس بمعنى ذوى نجس فى اعضائهم الظاهرة كما ان المعنى على الوجه الاول انهم
ذوو نجس وخبث فى باطنهم فالمناسب تقديم الوجه الثالث على الثانى لاشتراك
الوجه الاول والثالث فى عدم كون الكلام محمولا على التشبيه والمبالغة والحاصل
ان جمهور الفقهاء اتفقوا على ان الكفر لا يؤثر فى نجاسة بدن الكافر نجاسة حقيقية
وانما يؤثر فى نجاسة باطنة فكان صفة الكفر القايم بهم بمنزلة النجاسة الملتصقة
بالشئ ومنهم من يقول فى تاويل الآية انهم لما لم يتطهروا من الجنابة والحدث ولا من

سايد النجاسات التى تصيب اجسادهم كانوا ذوى نجس فحكم عليهم بانهم نجس
لذلك ومنهم من يقول فى الآية انهم بمنزلة الاعيان النجسة فى وجوب الاجتناب عنهم
قوله وهو كنبت فى كبد يعنى ان النجس بالكسر والسكون اسم فاعل فى الاصل
على وزن فعل مثل كتف وكبد ثم خفف باسكان عينه بنقل حركة الى ما قبله
ولابد من حذف موصوف حينئذ واقامة هذه الصفة مقامه اى فريق نجس
او جنس جنس قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام قيل المراد بالمسجد الحرام
نفس المسجد وقيل جميع الحرم وهو الاقرب لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف
يغنيكم الله من فضله فوفق لان موضع التجارات ليس هو عين المسجد فلو كان
المقصود من هذه الآية المنع من المسجد خاصة لما خافوا بسبب هذا المنع
وانما يخافون العيلة اذا منعوا من حضور الاسواق والمواسم ويؤكد هذا
قوله تعالى سبحانه الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام مع انهم اجمعوا
على انه انما رفع الرسول عم من بيت ام هانى ويؤيده قوله عم دينان فى
جزيرة العرب وهى من عدن ابين الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها من
ساحل البحر الى اطراف الشام عرضا واعلم ان جملة بلاد الاسلام فى حق الكفار
ثلثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان او مستامنا لظاهر
هذه الآية واذا جار رسول الله من دار الكفر الى الامام والامام فى الحرم لا يأذن
له فى دخول الحرم بل يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وان دخل
مشرك الحرم متوارئا فمرض فيه اخرجناه مريضا وان مات ودفن ولم يعلم
نبشناه واخرجنا عضامه اذا امكن هذا مذهب الشافعية وجوز اهل الكوفة
للعاهد دخول الحرم وانما يمنع عن الحج والعمرة والقسم الثانى من بلاد الاسلام
الحجاز فيجوز للكافر دخولها بالاذن ولكن لا يقيم اكثر من ثلثة ايام لما روى عن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عم يقول لئن عشت الى الشاء
الله لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع فيها الا مسلما فمضى
رسول الله صلى الله عم واوصى فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب
فلم يتفرغ لذلك ابو بكر واجلاهم عمر فى خلافته واجل لمن يقدم منهم تاجرا

قوله والكنز ما جاء تابعا لرضى
اى الكنز او كان مجيئه بالنجس
بالكسر والسكون وحال كونه
تابعا لرضى صح

ثلثا و القسم الثالث سایر بلاد الاسلام یجوز للکافر ان یقیم فیها فی بذمة اوامان
ولکن لایدخلون المساجد الاباذن مسلم قوله یعنی سنة براءة ای السنة التی
حج فیها ابوبکر و نادی علی بالبراءة من المشرکین و هی السنة التی التاسعة
من الهجرة و القبلة الفقر یقال عال الرجل یعیل عیلة اذا افتقر و منع
المشرکون من قربان المسجد الحرام قال المسلمون انهم کانوا یأتون بالمیرة و یتبایعون
فالآن تنقطع المتاجر و یضیق العیش فنزلت قال مقاتل اسلم اهل جرة
و صنعاء و جرش و تبالة و حملوا الطعام الی مکة و کفاهم الله تع ما کانوا
یخافون منه و صنعاء قصبة الیمن و جرش موضع بالیمن و تبالة بالفتحات
بلدة خصبة بالیمن قوله قیده بالجنبة ای مع ان التنفیب بهانیا فی قوله او
حال ای او علی انها اسم فاعل حذف موصوفها و هو الحال و اقیم هو مقام الموصوف
فکانه عبارة عنه و التقدیر و ان ختم حالا عائلة ما هو المقصود من الآیة و هو
ازالة خوفهم من العیلة لفوائد الفائدة الاولی ان لایعتمد علی حصول هذا المطلوب
الموعود بل یکون الانسان ابدا متضرعا الی الله تعالی فی طلب الخیرات
و دفع الآفات و الثانیة التنبیه علی ان الاغناء الموعود لیس یجب علیه
تعالی بل هو متفضل فی ذلک لایتفضل به الا عن مشیته و ارادته و الثالثة
التنبیه علی ان الموعود لیس بموعود بالنسبة الی جمیع الاشخاص و الا بالنسبة
الی جمیع الامکنة و الازمان و کان ابرهیم عم لاحظ هذه الحکم فی دعائه بقوله
وارزق اهله من الثمرات فان من التبعضیة فی ذلک الدعاء بمنزلة قید انشاء
فی هذا الوعد قوله لایؤمنون بما علی ما ینبغی اشارة الی ان دفع ما عسی یقال
من ان الآیة نزلت لبیان اهل الکتاب بدلیل انه تعالی بین فوله الذین
لایؤمنون بالله و لا بالیوم الآخر بقوله من الذین اوتوا الکتاب و معلوم ان
اهل الکتاب بحسب نوعهم یؤمنون بالله و بالیوم الآخر فما وجه توصیفهم بانهم لایؤمنون
بهما و وجه الدفع ظاهر و اعلم انه تعالی لما بین حکم المشرکین و هو البراءة عن
عهدهم و اعلام تلک البراءة للناس و وجوب مقاتلتهم و تبعیدهم عن المسجد الحرام
ذکر بعض حکم اهل الکتاب و هو ان یقاتلوا الی ان یعطوا الجزیة او یسلموا

ما هو المقصود من الآیة و هو ازالة خوفهم من العیلة

وحکم المشرک القتال او الاسلام قوله ما ثبت تحریمه بالکتاب و السنة هی المیتة
و الدم و الخمر و لحم الخنزیر و تحریف الکتاب و کتمان نعت النبی ع قوله
الثابت احتراز عما ثبت بالاجتهاد و اعلم ان قوله دین الحق من قبیل اضافة العام الی الخاص الصفة و اصل الکلام
و لایدینون الدین الحق و عن قتادة ان الحق هو الله تعالی و المعنی
و لایدینون دین الله و دینه الاسلام و قیل المعنی و لایطیعون الله طاعة
اهل الحق علی ان الدین الطاعة و الجزیة ما یعطیه المعاهد علی عهده و هی
فعلة لبیان الهیئة کالرکبة من جری یجری اذا قضی ما علیه قوله ای عن ید
موانیة ای موافقة غیر ممتنعة یقال آتیته علی ذلک الامر مواتاة اذا وافقته
و طاوعته و الید قد تجعل کنایة عن الانقیاد یقال اعطی فلان بیده اذا استلم
و انقاد و علاقة المجاز ان من ابی و امتنع لم یعط بین بخلاف المطیع المنقاد
کانه قبل فاتکوهم حتی یعطوا الجزیة عن طیب نفس و حسن انقیاد دون
ان یکرهوا علیه فاذا احتیج فی اخذها منهم الی الاکراه و الابرام لایبقی عقد
الذمة و عاد حکم القتل و القتال قوله او عن ید قاهرة مستولیة علیهم
علی ان یکون المراد بالید ید الآخذ لایدمن علیه الجزیة کما فی الوجوه الاول و ید الآخذ
عبارة عن قدرته و استیلائه و کلمة عن فی غیر الوجه الثانی سببیة کما فی ینهون
عن الاکل و الشرب الا یبالغون فی التمتع الی غایة الکمال بسبب الاکل و الشرب
قوله او عن انعام علیهم علی ان یکون ید الآخذ عبارة عن انعامه لاعن قدرته
و استیلائه قوله او من الجزیة عطف علی قوله من الضمیر قوله فجاز عنقه
ای تقرب قفاه بالید یقال وجأت عنقه و جأ اذا ضربته و الحکمة فی وجأ عنقه
و عدم الاکتفاء باخذ الجزیة انه تعالی قید اعطاءهم الجزیة بقوله و هم صاغرون
فلایکفی فی حقن دم الکتابی مجرد دفع الجزیة بل لابد معه من الحاق الذل و الصغار
الیه و السبب فیه ان طبع العاقل ینفر عن تحمل الذل و الصغار فاذا انهمل
الکافر مدة و هو یشاهد عز الاسلام و یسمع دلایل صحته و یشاهد الذل و الصغار
فی الکفر و اهله و الظاهر انه یحمله ذلک علی الانتقال الی الاسلام و هو المقصود من شرع
الجزیة فان المقصود من اخذ الجزیة لیس تقریر الکتابی علی کفره بل المقصود من

شبکة الألوکة
www.alukah.net

من اخذنا هقتل دمه واهماله مدة رجاء انه ربما وقف فى هذا المدة على محاسن
الاسلام وقوة دلائله فينتقل من الكفر الى الايمان والحال ان كتابهم فى ايديهم قرنا
يتفكرون فيه فيعرفون صدق محمد ع فى دعوة النبوة فامهلوا لهذا المعنى للتدبر اليهم
ورضاء به وقال بعضهم انما اقروا على دينهم الباطل باخذ الجزية حرمة لاباءهم
الذين انقرضوا عن الحق من شريعة التورية والانجيل فرع لان طعم شبهة
كتاب ثلاثة روى عن على رضى الله عنه انه كان طعم كتاب يدرسونه واصبحوا وقد
اندرس على كتابهم فرجع من بين اظهرهم والحاصل ان الكفار ثلثة انواع نوع
منهم يقاتلون حتى يسلموا ولا يقبل منهم الا الاسلام وهم مشركوا العرب و
المرتدون ونوع آخر يقاتلون حتى يسلموا او يعطوا الجزية وهم اليهود و
النصارى والمجوس اما اليهود والنصارى فهذه الآية واما المجوس فبقوله ع
سنوا بهم اهل الكتاب والنوع الثالث هم الكفرة الذين ليسوا مجوسا
ولا اهل كتاب ولا من مشركى العرب كعبدة الاوثان من الترك والهند واختلف
فى حكمهم فوجب الشافعى رح انه لا يجوز اخذ الجزية عنهم وذهب ابو
حنيفة واصحابه رح انه يجوز اخذ الجزية منهم كما يجوز اخذها من المجوس لجواز
اجتماع الدينين فى غير جزيرة العرب وهم من غير العرب وبقى الكلام
فى قدر الجزية روى عن انس رض انه قال قسم رسول الله صلى الله ع على كل
محتلم دينارا وانه ع بعث معاذا رض اليمن وامره ان يأخذ من كل حالم اى بالغ
دينارا ولم يفصل بين الغنى والفقير والمتوسط وقسم ع على الفقراء من اهل
الذمة اثنى عشر درهما وعلى الاوساط اربعة وعشرين درهما وعلى اهل اهل
الثروة ثمانية واربعون درهما فرع اغفاله بعضهم من متقدميهم
روى ان بخت نصر لما ظهر على بنى اسرائيل وقتل علماءهم ولم يبق احد يوفى
التورية وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره فلم يقتله وذهب به الى
بابل مع جملة من اخذه سبايا بنى اسرائيل فلما نجا عزير من بابل ارتحل على
حماره حتى نزل على دير هرقل على شط دجلة فطاف فى القرية فلم ير فيها
احدا وعامة شجرها حامل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل

قصة عزير

فاظلم

فصل

127

حماره ايضا ره

فضل الفاكهة فى سلته وفضل العصير فى زق فلما رأى خراب القرية وهلاكها
قال انى يحيى هذه الله بعد موتها قالها تعجبا لا شكا فى البعث فالقى الله عليه
النوم ونزع منه الروح وبقى ميتا مائة عام وامات حماره وعصيره وتينه
عنده واعمى الله تعالى عنه العيون فلم يره احد ثم انه تعالى احياه بعد مائة
مائة سنة واحيا حماره فركب حتى اتى محلته فانكره الناس وانكد الناس ومنازله
فتتبع اهله وقومه فوجد ابناءه شيخ ابن مائة سنة وثمانى عشرة سنة وبنو بنيه
شيوخ ووجد من دونهم مجذرا عمياء مقعدة اتى عليها مائة وعشرون سنة
كانت امة لهم وقد كان خرج عزير عنهم وهى بنت عشرين سنة فقالوا هم
انا عزير كان الله تعالى اماتنى مائة سنة ثم بعثنى قال العجوزة ان
عزيرا كان مستجاب الدعوة يدعو المريض وصاحب البلاء بالعافية
فادع الله يرد الى بصرى حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه
ومسح يده على عينيها فصحتا واخذ بيدها وقال لها قومى باذن الله فاطلق
الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت فقالت اشهد انك عزير وقال ابنه
كان لابى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو
عزير قال السدى والكلبى لما رجع عزير الى قومه وقد احرق بخت نصر التورية
ولم يكن من الله عهد بين الخلق فبكى عزير على التورية فاتاه ملك بانا فيه ماء فسقاه
من ذلك فتلقت التورية فى صدره فقال لبنى اسرائيل يا قوم ان الله تعالى
بعثنى اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا حاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر
قلبه ثم ان رجلا قال ان ابى حدثنى عن جدى ان التورية جعلت فى خابية
فدفنت فى كرم فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم فلم يجدوه
غادر منها حرفا فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التورية فى قلب رجل الا انه ابنه
فعند ذلك قالت اليهود المتقدمون عزير بن الله فرع اوهم كان بالمدينة
روى عن ابن عباس قال اتى رسول الله صلى الله ع جماعة من اليهود منهم شماس
بن قيس ومالك بن الصيف وغيرهما فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا
وانت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فانزل الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قراء عاصم والكسائي بتنوين عزيز على انه اسم عربي مبتدأ وابن خبره على الاصل لانه لما لم يكن فيه عجمة كان منصرفا وقراء الباقون بغير تنوين وانما حذف تنوينه اما لكونه ممنوعا من الصرف للتعريف والعجمة اولانه وان كان اسما عربيا مرفوعا على الابتداء الا انه حذف تنوينه لالتقاء الساكنين على احد قراءتي قل هو الله احد الله الصمد فان نون التنوين من عزيز ساكنة وكذا الياء في ابن الله ساكنة ايضا فالتقى ساكنان فحذف نون التنوين للتخفيف كما يحذف حروف العلة عند التقائها بالساكن ويحتمل ان يكون حذف التنوين مبنيا على ان عزيرا مرفوع بالابتداء وابن صفته والخبر محذوف اي عزير ابن الله نبينا او امامنا او صاحبنا وقد تقرر ان لفظ الابن متى وقع صفة بين علمين غير منفصول بينه وبين موصوفه حذفت الفه خطا وتنوين موصوفه لفظا وزيف المصنف هذا الاحتمال بناء على نقل عن عبد القاهر الجرجاني انه قال في كتاب دلايل الاعجاز ان الاسم اذا وصف بصفة ثم اخبر عنه فمن كذبه انصرف التكذيب الى الخبر وصار ذلك الوصف مسلما فلو تعلق الانكار بقولهم عزير بن الله معبودنا لتوجه الانكار الى كونه معبودا لهم وحصل تسليم كونه ابن الله تعالى ومن المعلوم ان ذلك كفر **قوله** اقامة كيد لنسبة هذا القول اليهم جواب عما يقال ان كل قول فانما يقال بالفم فما معنى قوله تعالى فوطهم بافواههم واجاب عنه بوجهين تقديره الاول ان القول وان كان لا يتحقق الا بالفم الا ان قولهم قيد بان يكون واقعا بافواههم دفعا لتوهم ان يكون القول المسند اليهم مجازا عن بيان المراد بوجه آخر غير القاء اللفظ المسموع اليهم كالكتبة والاشارة ونحوهما من الافعال الدالة عليه فلما قيل بافواههم تقرر ان القول الذي اسند اليهم هو القول الحقيقي لا المجازي وتقديره الثاني انه لو اكتفى على قول ذلك قولهم لفهم ان قولهم ذلك لهم مضى ثابت في قلوبهم متاكد بالبرهان والدليل فقيل بافواههم ليعلم ان ذلك الثواب ليس الا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالالفاظ المهملة فان القول بان لم تر ولدليس له معنى يقبله العقل للعلم بانه تعالى منزه عن الحاجة والشهوة والصاحبة والمباضعة فما هو الا مجرد لفظ يقول بالفم

كالمهمل

كالمهمل **قوله** واللغة لغة فيه قراء العامة يضاهون بضم الهاء بعدها واو وقراء عاصم بها مكسورة بعدها همزة مضمومة بعد واو فقيل معناهما واحد وهو المشابهة وفيه لغتان ضاهأت وضاهيت **قوله** بان اطاعوهم او بالسجود لهم يؤيد الاول ما روي ان عدي بن حاتم كان نصرانيا وقال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك فطرحته ثم انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقلت انا لسنا نعبدهم فقال عليه السلام اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى قال فذلك عبادتهم ويؤيد الثاني ما نشاهد من الجهال والحشوية اذا بالغوا في تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى القول بالحلول والاتحاد وفلك الشيخ اذا كان طالبا للدنيا بعيدا عن الدين فقد يلقى اليهم الاوامر كما يقولون وتعتقدون ولو خلى ببعض الحمقاء من اتباعه فربما ادعى الالهية والربوبية واذا كان هذا ما نراه في هذه الامة فكيف يبعد نبوته في الامم السالفة وقد روى ان السطورية من النصارى يزعمون ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلثة وان عيسى ومريم لهما ناسوتية ولا هوتية والاحبار جمع حبر بالفتح وقيل جمع حبر بالكسر وقيل لغتان بمعنى وهو الفقيه العالم ذميا كان او مسلما بعد ان يكون من اهل الكتاب قال اهل اللغة الحبر العالم الذي صناعته تحبير المعاني بحسن البيان عنها والراهب الذي تمكنت الخشية والرهبة من قلبه وظهرت اثار الرهبة على وجهه ولسانه فصار الاحبار مختصا بعلماء اليهود من ولد هارون عم والرهبان بعلماء النصارى اصحاب الصوامع **وقوله تعالى** والمسيح بن مريم عطف على رهبانهم والمفعول الثاني محذوف وتقدير الكلام اتخذ اليهود احبارهم اربابا والنصارى رهبانهم والمسيح بن مريم اربابا اطلق الضمير في اتخذوا وان كان منقسما الى اليهود والنصارى لامن اللبس **قوله** وقيل انه تمثيل عطف على ما يفهم مما سبق وهو ان يكون المجاز في المفرد بان يكون اطلاق الله مستعارا للابطال دلائل الحق وحجه **قوله** او على اهلها يعني على تقدير ان يكون ضمير يظهره للرسول يجب ان يقدر مضاف

قوله على الدين قوله سنى اخذ المال يفيد ان الاحبار علماء اليهود والرهبان عباد النصارى بحسب العرف والمقصود ذمهم بحب الدنيا ومزيد الحرص والطمع فى اخذ اموال الناس باى طريق امكن لا فى نفس الاكل فقط الآية عبر عن الاخذ باسم ما هو اعظم مقاصد ولما كان معظم مقاصد اهل الدنيا المال والجاه فانهم يفتنون بهما عن تحصيل سعادة الآخرة وصف الله تع اكثر الاحبار والرهبان بكونهم مشغوفين بهذين الامرين اما المال وهو المراد بقوله ليأكلون اموال الناس واما الجاه فهو المراد ويصدون اى يمنعون الناس عن متابعة خيار الخلق ولا سيما عن متابعة رسول الله صلى الله ويقولون لاتباعهم ان الدين الحق هو الدين الذى انتم عليه ويلقونهم انواع الشبهات والمكر والخديعة ليثلثا يزول رياستهم وجاههم قوله الا يوم يوقد النار ذات حمى شديد عليها فتسير كون الكنوز محمى عليها بايقاد النار مستولية على الكنوز حال كون النار ذات حرارة شديدة لان كون الكنوز محمى عليها يستلزم ان يكون هناك محمى هى النار ومعنى احماء النار ايقادها حال كونها ذات حرارة شديدة والنار فى نفسها حامية ذات حر فاذا وصفت بانها تحمى دل على تحقق اتقادها وشدة حرها الجوهرى حمى النار بالكسر وحمى التنور حميا فيهما اى اشتد حره وحميت عليه بالكسر غضبت ثم جعل ما ذكر من التفسير تحمى الكنوز بالنار وهو ظاهر لان المقصود بيان الكنوز المكوى بها بجعل حارا اشد الحرارة فتكوى بها اعضاؤهم المذكورة والعبارة الظاهرة الدلالة على هذا المقصود هى قولنا تحمى الكنوز بالنار الآية جعل الاحماء للنار للمبالغة فى الدلالة على شدة حر الكنوز المكوى بها وان كان متعلق الاحماء فى الحقيقة هو الكنوز وللدلالة على هذا المقصود اسند الاحماء الى الجار والمجرور ولما كان الفعل مسندا الى الجار والمجرور حسن تذكيره واصل الكنز الاجزاء اذا كان مجتمع الاجزاء واختلف علماء الصحابة فى المراد بهذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو كنز المال وجمعه مع عدم الانفاق فيما امر الله تعالى ان ينفق فيه وقيل ان المال الكثير اذا جمع فهو الكنز المذموم سواء اديت زكوته اولم تؤد والقائلون بهذا القول تمسكوا بعموم هذه الآية فان ظاهرها

١٢٩

يدل على المنع من جمع المال فالمصير الى ان الجمع مباح بعد اخراج الزكوة ترك لظاهر هذه الآية فلا يصار اليه الا بدليل منفصل بما روى انه لما نزلت هذه الآية قال عم تنيا للذهب تنيا للفضة فالها ثلثا فقالوا اى مال نتخذه قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبما روى عن على رضى الله عنه انه قال كل مال زاد على اربعة آلاف فهو كنز اديت منه الزكوة اولم تؤد قوله لان جمعهم وامساكهم الخ بيان لوجه تخصيص هذه الاعضاء الثلثة بالكى وتقديره ان مقصود الكانز من جمع المال لما كان طلب الوجاهة بالغنى تعلق الكى بالجبهة وجهه ولما قصد به ايضا التنعم بالمطاعم الشهية التى ينتفخ بسببه الجنبان وبالملابس البهية التى تطرح على الظهور تعلق الكى بالجنوب والظهور ايضا قوله اولانهم ازوروا عن السائل اى عدلوا عنه باخ صرفوا وجوههم عن جانبه واعرضوا عنه بان يولوهم جنوبهم وظهورهم على ابى بكر الوراق خصصت هذه العضو بالذكر لان صاحب المال اذا راى الفقير قبض جبهته واذا جلس الفقير بجنبه تباعد عنه ووقى له ظهره قوله او فى حكمه الخ ويحتمل ان يكون المراد بالكتاب فى هذا الموضع الحكم والايجاب كما فى قوله تعالى كتب عليكم القتال كما كتب عليكم القصاص كتب ربكم على نفسه الرحمة قوله تعالى فى كتاب الله اى فيما اوجبه وحكم به وقوله فى كتاب الله صفة لاثنى عشر والتقدير اثنى عشر شهرا مثبتا فى كتاب الله ويوم متعلق بالاستقرار المدلول عليه بالجار والمجرور وهو فى كتاب الله فى يكون الكتاب عبارة عن اللوح ولا يراد به المصدر ويجوز ان يكون متعلقا بالكتاب على ان يراد به المصدر لان الجثة لان الظروف لا تتعلق باسماء الاعيان فلا يقال على بك يوم الجمعة والتقدير ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا فى كتاب الله اى فى حكمه الواقع يوم خلق السموات والارض قوله منها اربعة حرم يجوز ان يكون حالا من الضمير فى الاستقرار وان يكون مستأنفا وسمى كونها حرما ان المعصية اشد عقابا والطاعة فيها اشد ثوابا والوجب كانوا يعظمونها جدا حتى لو لقى الرجل قاتل ابيه او ابنه لم يتعرض له واعلم ان السنة عند العرب عبارة عن اثنى عشر شهرا من الشهور القمرية

مطل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعند سايرالطوايف عبارة عن المدة التي تدور الشمس فيها دورة تامة
والسنة القمرية اقل من السنة الشمسية بمقدار معلوم وبسبب ذلك النقصان
ينتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج وافعاله الشتاء
مرة وفي الصيف اخرى فكان يشق الامر عليهم بسبب هذا الانتقال وايضا
اذا حضروا الحج حضروا للتجارة ايضا فربما كان ذلك الوقت غير موافق
لحضور اسباب التجارات من الاطراف فكان يختل اسباب تجارتهم بهذا
السبب قدموا على عمل الكبيسة واعتبروا حال السنة الشمسية وعند ذلك بقي
زمان الحج مختصا بوقت واحد معين موافق لمصلحتهم المتعلقة بالدنيا واستقاموا
بتجاراتهم ومصالح معاشهم وحصل لهم بسبب عمل الكبيسة امران احدهما انهم
كانوا يجعلون بعض السنين ثلثة عشر شهرا بسبب اجتماع تلك الزيادات
والثاني انه كان ينتقل الحج من بعض الشهور الشهور العربية الى غيره ولو
كان الحج يقع في بعض السنين في ذي الحجة وفي بعضها في المحرم وفي بعضها في صفر
وهكذا على الدور حتى ينتهي بعد مدة مخصوصة مرة اخرى الى ذي الحجة وكل واحد
من الزيادة في عدد شهور السنة وتاخير المحرمة الحاصلة لشهر الى شهر وبناء
امر العبادات على السنة الشمسية وان كان موافقا لرعاية مصالح الدنيا الا
انه مخالف لحكم الله تعالى وموجب لتغيير تكاليفه فانه تعالى امرهم من زمان
ابرهيم واسمعيل عم بناء الامر على رعاية السنة القمرية وهم تركوا امر الله
في رعاية السنة القمرية واعتبروا السنة الشمسية رعاية لمصالح دنياهم فلذلك
استوجبوا الذم الواقع في هذه الآية قوله وقع موقع الحال اما من الفاعل
او من المفعول اي قاتلوهم مجتمعين انتم واياهم قوله حتى رفضوا خصوص
الاشهر لانهم كانوا متوالية لايغيرون فيها فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر
فيحرمونه ويستحلون المحرم فيمكثون بذلك زمانا ثم يرددون التحريم الى المحرم
ولايفعلون ذلك الا في ذي الحجة اذا اجتمعت الوفود للموسم فينادي منادي
ان اهلوا وحرموا مكانه شهرا آخر فيتغير شهر الحج ايضا ولما فتح الله تعالى
مكة سنة ثمان من الهجرة وحج حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة

وقف بعرفة وقال ايها الناس ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله
السموات والارض فالشهر ثنا عشر منها اربعة حرم ثلثة سرد واحد فرد الذي بين
جمادى وشعبان قوله واعتبروا مجرد العدد يعني قالوا الاشهر الحرم اربعة وقد حرمنا اربعة
اشهر وتركوا حرمة خصوص الشهر ورعاية حرمة احد الواجبين قرا الجمهور انما
النسيء بهمزة بعد الباء وهو مصدر على فعيل من انساء بمعنى آخر كالنذير من انذر
والنكير من انكر ومن نساء كالرحيل من رحل فان نساء الشيء وانساء بمعنى
واشار اليه المصنف بقوله اي تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر ليت له تلك الحرمة
وقيل انه فعيل بمعنى مفعول من نساءه اي اخره فهو منسوء ويرد عليه انه كيف
يجوز ان يخبر عن النسيء بمعنى المؤخر بانه زيادة والمؤخر هو الشهر والشهر لايكون
زيادة في الكفر ويجاب بانه مبني على حذف المضاف اما من الاول اي انما انساء
النسيء زيادة في الكفر واما من الثاني اي انما النسيء ذو زيادة في الكفر قوله
والنساء بسكون السين قبل الهمزة والنسآء بالمد يقال نسأت الشيء نساء
اخرته وكذلك انساءته فعلت وافعلت بمعنى ونسأت عنه ديته اذا اخرته
نسآء بالمد كذا في الصحاح قرا حفص وحمزة والكسائي يضل بضم الياء وفتح
الضاد والمضل هو الله حقيقة والشيطان بتسويله وقرا باقي السبعة بفتح
الياء وكسر الضاد وحسن اسناد الضلال الى الذين كفروا سواء اضلوا غيرهم
ام لا قوله يحلون النسيء من الاشهر اشار به الى قول من قال انما النسيء
فعيل بمعنى مفعول قوله ليواطئوا يعني ان المواطاة عبارة عن الموافقة و
الاجتماع يقال تواطؤا على كذا اذا اجتمعوا عليه كان كل واحد يطا حيث يطا
الآخر قوله واللام متعلقة بيحرمونه وهو مقتضى مذهب البصريين فانهم
يعملون الثاني من المتنازعين لقربه ومذهب الكوفيين يقتضي ان يكون متعلقة
بيحلونه لانهم يعملون الاول بسبقه ومع موافقتهم العدة لايحلون شهرا من الحرم
الا حرموا مكانه شهرا من الحلال ولايحرمون شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا
من الحرام ويقولون الاشهر الحرم اربعة وقد حرمنا اربعة اشهر فيتوافقون على رعاية
نفس العدد ويلغون حرمة خصوص ما حرمه الله تع من الاشهر ورعاية احد الواجبين

مع اضلال الآخر يستلزم احلال ما حرمه الله تعالى من الاشهر وهو قوله تعالى
فيحلوا ما حرم الله قوله وقرئ تثاقلتم على الاصل ادغمت تاء التفاعل
فيما فاجتلبت همزة الوصل للابتداء لما ذكر الله تعالى فضايح الكفار عاد الى
الترغيب في مقاتلتهم ومعاتبة المؤمنين حيث قيل لهم وقاتلوا المشركين كافة
وانه عم لما أمر بجهاد الروم وامرهم بان يتأهبوا لذلك شق عليهم الخروج و
تثاقلوا لكون الناس والبلاد في حدب وعسرة وشدة حر وطابت ثمار المدينة
وظلالها حينئذ قوله وقرئ تثاقلتم على الاصل ادغمت تاء التفاعل فيما
فاجتلبت الهمزة لما واما تثاقلتم على الاستفهام حذفت الهمزة المجتلبة باتصالها
بهمزة الاستفهام وقوله مالكم استفهام بلفظ التوبيخ قوله انفروا في سبيل الله
اى اخرجوا الى الغزو يقال نفر القوم ينفرون نفرا او نفيرا اذا خرجوا الى مكان
لامر او جيش الخروج والقوم الذين يخرجون يقال لهم النفير قوله ضمن معنى
الاخلاد اى تثاقلتم مائلين الى ارضكم والاقامة فيها لبلوغ ثمارها وطلب
ظلالها وتعبل الخروج للعسرة وشدة الحارة وكثرة العدو والشقة
السفر البعيد والمسافة التي تقطع بمشقة قوله وقيل الضمير للرسول
صلى الله عم ولا يخفى انه على الاول كان لله تعالى قوله فحذف الجزاء لان قوله
فقد نصره الله لوقوع مضمونه قبل وقوع مضمون الشرط لا يصلح جزاء مترتبا
عليه وقوع مضمون الشرط في المستقبل وكونه كالدليل على ما هو الجزاء حقيقة من
حيث انه تعالى ما نصره وقواه حال ما لم يكن معه الا رجل واحد ظهر سينصره و
يظهر دينه اليوم وان تثاقل من استنفر من المؤمنين لانتضاح امر نبوته وحقيته
دينه وكثرة اتباعه عددا وعدة فالمذكور بمنزلة العباس الجارح كانه قيل ان لا تنفروا
فقد نصره الله فيما مضى وهو اضعف حالا واقل رجالا فكذا ينصره في المستقبل
فان النصرة الماضية بمنزلة الدليل للنصرة الاتية والوجه الثاني قريب من الاول
لاشتراكهما في حمل الكلام على حذف الجواب وكون المذكور بمنزلة الدليل والعلة والوجه
عايد لما اختلاف جهة العلية ووجه الدلالة فالكلام على الاول بمنزلة العباس الجارح
فكانه استدل على النصرة الموعودة الواقعة في زمان الفوة والكثرة بالنصرة الماضية

بعد ما

الواقعة

الواقعة في زمان الضعف والقلة ولا شك ان الموعودة اولى من السالفة وعلى الثاني
بمنزلة الاستصحاب المعلوم للمخاطبين فكانه استدل على النصرة الموعودة بعلم
المخاطبين اياه من المنصورين وقد لتحقيق علمهم وذكر الزمان لتذكيرهم ونبصيرهم
اياه كانهم يشاهدونه فلا مضى الا تنصروه فقد عرفتم انه من المنصورين لا من المخذولين
فالله تعالى ينصره في المستقبل بناء على ان الاصل بقاء ما كان على ما كان ف
قوله واسناد الاخراج الى الكفرة مع ان المسند اليهم ليس الا الهم باخراجه
او قتله وهو عم انما خرج باذن الله تع واوحى له لا باخراج الكفرة اياه قوله
ونصبه على الحال فانه في موضع النصب سوا قرئ بفتح الباء على اللغة المشهورة
او بكسرها على لغة من يقول رايت رامي القوم بحذف حركة الياء تشبيها
لها بالالف في نحو رايت عصا القوم ومعنى ثاني اثنين احد اثنين لانه اذا حضر
اثنان في موضع يكون كل واحد منهما ثانيا للاخر فيقال فلان ثاني اثنين ويراد
انه احدهما ليس معهما ثالث فمعنى الاية فقد نصره الله احد اثنين اى نصره
منفردا الا من ابي بكر رض الله عنه وكفى بهذا دليلا على فضل ابي بكر على ساير
الصحابة اجمعين حيث استخلصه رسول الله صلى الله عم لنفسه في مثل تلك
الحالة قال حسان بن ثابت رض الله عنه في حقه وثاني اثنين في الغار المنيف
وقد طاف العدو به اذ صاعد الجبلا وكان حب رسول الله صلى الله عم قد علموا
من الخلايق لم يعدل به بدلا وفضيلة الهجرة ان قريشا ومن بمكة من المشركين لما اجتمعوا
في دار الندوة وتعاهدوا على قتل رسول الله صلى الله عم امره الله ان يخرج هو و
ابو بكر الى الغار ثم ان يتوجه الى المدينة فخرج عم وابو بكر اول الليل الى الغار
وامر عليا ان ينضجع على فراشه ليمنعهم سواد على من طلبه حتى يبلغ هو وصاحبه
الا ما امر الله به ان يبلغا قالت عايشة فبينا نحن يوما جلوس في بيت ابي بكر
في نحر الظهيرة قال قايل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عم متقنعا فجاء واستاذن
علينا وليس من عادته ان يأتينا في مثل تلك الساعة فاذن له فدخل ابو بكر اخرج
من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت يا رسول الله قال فاني قد اذن
لي في الخروج فقال ابو بكر فالصحبة بابي انت وامي يا رسول الله فقال نعم

قصة هجرة النبي عم

قال فخذ احدى راحلتيّ هاتين فقال عم بالثمن و كان اشتراهما بثمان مائة فاخذ
رسول صلعم القصوى عنده يغزو عليها الغازى ويحج عليها حتى ماتت زوجة
ابى بكر قالت عائشة فجهزناها باخف الجهاز وصنعنا لها سفرة من جراب
فوضعنا فيها شيئا من التمر والحنز فخرج عم ليلا من بيته وانتهى الى بيت ابى بكر
فخرجا معا وكان ابو بكر استاجر عبد الله بن اريقط ودفع اليه الراحلتين وواعدا
غار ثور بعد ثلث ليال وذهبا حتى وصلا الى الغار فدخل ابو بكر الغار اولا يلتمس
ما فى الغار فقال عم لم مالك فقال ابو بكر بابى انت وامى الغيران ما وى السباع
والهوام فان فيه شيئ كان بى لابك وكان فى الغار حجر فوضع عقبه عليه لئلا
يخرج ما يؤذى الرسول فمكثا فيه ثلث ليال واتى عبد الله بالراحلتين اليهما
صباح الليلة الثالثة فارتحلا عليهما الى المدينة قوله والرفع ابلغ وهو قراءة
الجمهور وارتفاعه على الابتداء ولفظ هى يجوز ان يكون مبتدا ثانيا والعليا خبرها
والجملة خبرا للاول ويجوز ان يكون هى فصلا والعليا الخبر قوله قال ابن ام
مكتوم لعم أعلىّ أنفر قال نعم روى انه عم قال فى جوابه ما انت الاخفيف
او ثقيل يعنى انه تعالى استنفر الخفيف والثقيل فيجب على كل واحد منهما فلما
اجاب عليه لابن ام مكتوم بذلك رجع هو الى اهله فلبس سلاحه ووقف بين
يديه فنزل قوله تعالى ليس على الاعمى حرج وقيل انه منسوخ بقوله تعالى
ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج وقيل
نسخت الآية بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فان ظاهر
الآية يوجب النفور على المؤمنين كافة قال مجاهد ان ابا ايوب شهد
بدرا مع الرسول عم ولم يتخلف عن الغزوات مع المسلمين ويقول فالله تعالى
انفروا خفافا وثقالا فلا اجدنى الا خفيفا او ثقيلا قوله خير لكم من تركه
فاخ قيل ما معنى كون الجهاد خيرا من تركه والحال انه لا خير فى تركه اجيب
بان معناه ان ما يستفاد بالجهاد من ثواب الآخرة خير مما يستفيد القاعد
عنه من الراحة وسعة العيش والتنعم بهما قوله الا لو كان ما دعوا اليه
نفعا دنيويا اثبات الالف ان اسم كان محذوف لدلالة ما تقدم عليه وهو الجهاد

وان العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر و
الفاجر لما بلغ في ترغيب المؤمنين في الجهاد عاد الى تقدير كونهم متثاقلين ما
يلين الى الاقامة بارضهم وبين ان المدعو اليه لو كان عرضا قريبا وسفرا
سهلا لاتبعوك يعنى المتوسط بين طرفى الافراط والتفريط قاصدا يعنى ذو القصد
كقولهم تامر ولابن ورابع من حيث انه يقصد كل احد قوله ساد مسد
جوابى القسم والشرط لعل المراد انه جواب للقسم لانه لما حذف جواب لو
لدلالة هذا الجواب عليه جعل هذا الجواب كانه سد مسد جواب القسم
وجواب لو فان القاعدة المشهورة بين النحويين ان القسم والشرط
اذا اجتمعا وتقدم القسم على الشرط يجعل المذكور بعد مما جوابا للقسم و
يحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم قوله يهلكون انفسهم حال كل واحد منهما متعلق باذنت
وجاز ذلك لان معنى اللامين مختلف فالاول للتعليل والثانية للتبليغ ومتعلق
الاذن محذوف اى لم اذنت لهم فى القعود حذف لدلالة ما سبق من اعتذارهم
عن تخلفهم عنه عم واعلم ان قوله تعالى لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا
لاتبعوك دل على ان قوما تخلفوا عنه ثم ان قوله عفا الله عنك لم اذنت يدل
على ان ذلك التخلف كان باذن الرسول عم فجعل المصنف ذلك الاذن منه
خطاء منه عم بناء على ان الاستفهام فى قوله لم اذنت للانكار والعفو
كناية عن الخطاء لان العفو يستدعى سبق الخطاء وهذا الخطاء ليس من
قبيل الذنب بل هو من قبيل تلك الاولى بناء على الخطاء فى الاجتهاد فانه عم
اجتهد فى تلك الواقعة وغاية ما فى الباب انه لم يصب فى اجتهاده والمجتهد
اذا اخطاء فله اجر فان العلماء قد احتجوا بهذه الآية على انه عم قد يحكم بالاجتهاد
فى بعض الوقايع ودخوله عم تحت قوله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار
وهو عم سيد الابصار فكان مامورا بالاعتبار ايضا نقل الامام عن قتادة
وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما الرسول عم لم يؤمر فيهما بشئ اذنه للمنافقين
واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله تعالى عليهما كما تسمعون وعن شيئ

ابن عيينة انه قال انظروا الى هذا اللفظ بدا بالعفو قبل ان يعيره بالذنب قوله
تعالى عفا الله عنك لا يستدعى سابقة الذنب لجواز ان يقال انه تعالى قال
ذلك للمبالغة في تعظيم رسوله وتوقيره بافتتاح الكلام بالدعاء له كما يقول الرجل
لغيره اذا كان معظما عنده عفا الله عنك ما صنعت في اموري ورضي الله عنك
ما جوابك عن كلامي وغرضه من هذا الكلام مجرد التفخيم والتبجيل قال علي بن
الجهم يخاطب به المتوكل وقد امر بنفيه عفى الله عنك الا حرمة تجوز بفضلك
يا ابن العلا الم تر عبدا عد اطوره ومولى عفى ورشدا هدا اقلني اقالك
من لم يزل يقيك ويصرف عنك الردا ولو سلمنا ان قوله عفى الله
عنك يستدعي سابقة الذنب لكن لانم ان قوله لم اذنت لهم معقولا على
سبيل الانكار عليه لانه عم لا يخلوا اما ان صدر عنه ذنب في هذه الواقعة
او لم يصدر عنه ذنب فعلى كل تقدير يمتنع ان يكون قوله تعالى اذنت
له انكارا عليه اما على التقدير الاول فلانه اذا لم يصدر عنه ذنب كيف عليه
الانكار واما على التقدير الثاني فلان قوله تعالى عفى الله عنك يدل على
حصول العفو عنه وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فظهر
بطلان قول احتج بهذه الآية على صدور الذنب عنه عم من وجهين الاول
ان العفو يستدعي سابقة الذنب والثاني ان الاستفهام الانكاري
بقوله لم اذنت يدل على ان ذلك الاذن كان معصية وذنبا بل الآية محمولة
على انه تعالى عاتب في هذه الآية كما تسمعون ثم رخص له في سورة النور
حيث قال فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم قوله
اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا حمل الكلام على
نفي الاستمرار والاعتياد بناء على انه حمل لفظ المضارع على الاستمرار كما في
قولهم فلان يقري الضيف ويحمي الحريم فلما دخله النفي دل الكلام على نفي
الاستمرار وان يكون عادتهم الاستيذان وان وقع ذلك منهم نادرا وجعل
قوله تعالى ان يجاهدوا في موضع النصب بان كان اصله في ان يجاهدوا

حذف

حذف الجار واوصل الفعل ثم اشار الى احتمال آخر وهو ان يكون متعلق
الاستيذان محذوفا ويكون قوله ان يجاهدوا في موضع النصب على انه مفعول
من اجله والمعنى ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في التخلف كراهة
ان يجاهدوا قوله وقرئ عدته بحذف التاء عند الاضافة كما حذفت من
لفظ عدة في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اصله عدة الا ترى انهم
يحذفون التاء لاجل الاضافة كما يحذفون التنوين ومنه قوله تعالى واقام
الصلوة وقرا الجمهور عدة بضم العين وتاء التانيث وهي الزاد
والراحلة وجميع ما يحتاج اليه المسافر والمعنى عدته فلما تركت الاضافة
نونت الكلمة قوله وهو الستدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا
الخروج جواب عما يقال من حق حرف الاستدراك ان تتوسط بين
كلامين متغايرين نفيا واثباتا بينهما نوع تقابل والتقابل ههنا
بين طرفيها لان قوله تعالى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له معناه انهم
لم يريدوا الخروج فلم يستعدوا له وقوله ولكن كره الله انبعاثهم معناه
لكن لم يرد الله انبعاثهم معناه لكن لم يرد الله انبعاثهم فكيف الستدراك
نفي ارادتهم الانبعاث بنفي ارادة الله تعالى انبعاثهم ولا تقابل بينهما
بوجه ما وتقدير الجواب ان قوله تعالى ولو ارادوا الخروج وان كان
معناه نفي ارادتهم الخروج لكنه يستلزم نفي خروجهم وقوله كره الله انبعاثهم
يستلزم تثبيطهم عن الخروج فيؤل الى معنى لم يخرجوا ولكن تثبطوا عن
الخروج وهو كلام منتظم لانه استدراك نفي الشيء باثبات ضده كما يستدرك
نفي الاحسان باثبات الاساءة والتثبيط صرف الانسان عن الفعل الذي
يهتم به قوله تمثيل لما كان الظاهر ان يكون القائل هو الله تعالى وظاهر
انه لم يأمرهم بالقعود وحمل الكلام على التمثيل قوله ولاجل هذا
التوهم اي توهم ان الاستثناء المتصل يستلزم ان يكون من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم جبال وفساد جعل الاستثناء منقطعا والمعنى ما زادوكم
قوة ولا شدة ولكن خبالا وفي التيسير وليس معنى قوله ما زادوكم الا خبالا

انهم كانوا ذا فساد والمنافقون زادوا زيادة فسادهم لكن معناه لو خرجوا
فيكم الى فيما بينكم ما زادوكم قوة لكن واقعوا فسادا بالتجبين وتهويل
امر الكفار والترديد فى الراى وتزيين امر لفريق وتقبيحه عند فريق
آخر ليختلفوا فيفترق كلمتهم ولا ينتظم امرهم انتهى وليس الاستثناء
هنا منقطعا لان المستثنى منه فيه غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء
من اعم العام الذى هو الشئ لان زاد يتعدى الى اثنين فيكون الاستثناء
متصلا لان الخبال بعض من اعم العام قوله ولاسرعوا كايهم بينكم
يعنى الايضاع حمل الراكب مركبه على الاسراع يقال وضع البعير وضعا
اذا اسرع واوضعته انا ولا يجوز ان يقال اوضع الرجل اذا سار بنفسه
سيرا حثيثا فيكون مفعول اوضعوا فى الآية محذوفا اى اوضعوا ركايبهم
والخلال جمع خلل وهو الفرجة بين الشيئين والمراد من الآية السعى بينهم
بالفساد ما يهيج العداوة كالنميمة والتقريب وهو الاغراء قوله تعالى
يبغونكم فى محل النصب على انه حال من فاعل اوضعوا اى اوضعوا حال كونهم
باغين اى طالبين الفتنة لكم ومعنى الفتنة ههنا افتراق الكلمة قوله
وفيكم سماعون لهم يجوز ان يكون حالا من مفعول يبغونكم او من فاعله وجاز
الاوان لان فى الجملة ضميرهما ويجوز ان يكون مستانفا والمعنى ان فيكم
من يسمع لهم ويصغى لقولهم ويجوز ان يكون المعنى وفيكم جواسيس منهم
يسمعون لهم الاخبار منكم فالكلام على الاول للتقوية لكون العامل فرعا وعلى
الثانى للتعليل اى لاجلهم قوله يعنى يوم احد فان ابن ابى انصرف يوم
احد مع اصحابه وهم ثلثمائة وبقى النبى صلى الله عم مع خلص المؤمنين
وهم سبعمائة وكذا ابتغوا الفتنة فى حرب الخندق حيث قالوا يا اهل
يثرب لا مقام لكم فارجعوا وفى ليلة العقبة ايضا حيث العواشيا
بين قوايم ناقة النبى صلى الله عم بالليل حتى تنفر وتلقى النبى عم
وايضا وقف اثنى عشر رجلا من المنافقين على ثنية الوداع ليلة العقبة
ليفتكوا به عم فاخبره الله تعالى بذلك وسلم منهم وكان شانهم تجبين المؤمنين

عن القتال

عن لقاء العدو وتهويل الامر عليهم فى الغزوات وانفكاك ان يأتى الرجل صاحبه
وهو غار غافل حتى يشتد عليه فيقتله وفى الحديث فيد الايمان الفكك
اى لا يفتك مؤمن قوله ودبروا المكايد يعنى ان المراد بتقليب الامر
تصريفه وترديده لاجل التدبير والتأمل فيه قوله لما روى ان جد بن قيس
روى انه عم لما تجهز لغزوة تبوك قال له يا ابا وهب هل لك فى جلاد بنى اصفر
يعنى الروم تتخذ منهم سرارى ووصفاء فقال جد ائذن لى فى القعود ولا
تفتنى بذكر نساء الروم فانه قد علمت الانصار انى رجل مغرم بالتعلق بالنساء
فانى اخشى ان ظفرت ببنات الاصفر ان لا اصبر عنهن فاوقعهن قبل
القسمة فاوقع فى الفتنة والاثم او فاشتغل بهن فيشغلنى ذلك عن طالب
المعاش وعن الخروج للجهاد واى ذلك اراد لم يقبل الله عذره وبين انه قد وقع
فى الفتنة بمخالفة النبى صلى الله عم قال ابو العالية كان الاصفر رجلا من
الحبشة ملك الروم فولد له نباب لعس لم ير مثلهن فى الحسن واللعس جمع
لعساء وهى مرارة كان لونها لون الشفة التى تضرب الى السواد قليلا فولد لك
يستمالح قوله وقرئ هل يصيبنا من غير تشديد الباء وقرئ ايضا بكلمة هل
يصيبنا من بدل لن وبتشديد الباء على انه مضارع فيعل اصله يصيوبنا لما اجتمعت
الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فيها ولو كان
مضارع فعل كان حقه ان يقال هل يصوب بنا لانه من بنات الواو لقولهم الصواب
وصاب السهم يصوب الجوهرى صاب السهم يصوب صوبة اى قصد ولم يجر و
العدل ضد الجور والجور الميل والعدول عن الطريق قوله والاشفاق ان الاشفاق
يصيبنا بالتشديد من الصواب وهو مقابل الخطاء لانه اى لان مدلوله وقوع الشئ
فيما قصد به وان لا يخطاء فيه وقيل من الصوب وهو النزول وقوله تعالى
قل لن يصيبنا جواب عن فرح المنافقين عما اصاب المؤمنين وقوله فلهل تتربصون
جواب ثان عنه وقوله او ابدينا اى ان اظهرتم ما فى قلوبكم من الكفر والنفاق
وقوله الا احدى الحسنيين مستثنى مفرغ فى محل النصب على انه مفعول تتربصون
وقوله فتربصوا وان كان صيغة الامر الا ان المراد منه التهديد اى فانتظروا

بدل لا يصيبنا و

مواعيد الشيطان انا منتظرون مواعيد الله تعالى من اظهار دينه روى عنه عم
انه قال يضمن الله تعالى لمن خرج فى سبيله لايخرج الا ايمانا بالله وتصديقا برسوله
ان يدخله الجنة او يرجعه الى منزله الذى خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة
فدل هذا على ان احدى الحسنيين المغفرة والجنة والاخرى احد الامرين
عاطريق منع الخلو وهو الاجر او الغنيمة قوله امر فى معنى الخبر قال الفراء
والزجاج هذا لفظ امر ومعناه الشرط والجزاء اى ان انفقتم طائعين او
كارهين لن يتقبل منكم انتهى صرف اللفظ الامر عن اصل معناه لان قوله لن
يتقبل منكم ياتى عن ابقائه على اصل معناه قوله وفائدته اى فائدة ابراز الخبر
فى صورة الامر التاكيد والمبالغة فى بيان تساوى الامرين وعدم تفاوت الحال
على كلى التقديرين ونحوه قوله كثيرا لعزة عشيقة ايسيئى بنا او احسنى لاملومة
لنا ولاقلينا ان ثقلت فان فى صورة الامر تاكيدا لعدم تفاوت الحال كانه يامرها
بذلك ليتحقق منه على العهد ويتبين غاية التبين وقوله ان ثقلت التفاوت
ان تبغضت كانه يقول لها استحيى لطف محلك عندى وقوة محبتى لك وعاملينى
بالاساءة والاحسان وانظرى هل يتفاوت حالى معك مسيئة كنت او محسنة
والاخبار المجرد لايفيد هذه المبالغة فى الآية لو اكتفى بان يقال لن يتقبل منكم
انفقتم طوعا او كرها لخلا الكلام عن الدلالة على المبالغة الحاصلة بابراز
الكلام فى صورة الامر فى قوله ان يقال انفقوا على اى حال اردتم ثم انظروا
هل يتقبل منكم قوله وما منعهم قبول نفقاتهم الظاهر ان قبول مفعول
بان يمنع عدى الى الفعل بنفسه او باسقاط حرف الجر اى ما منعهم من قبولها
لان منع قد يتعدى الى مفعول ثان بنفسه فيقال منعته الشئ ومنعت
فلانا حقه وقد يتعدى اليه بحرف الجر فيقال منعته من حقه ويحتمل ان يكون
بدل اشتمال من الضمير المنصوب فى منعهم وفى فاعل منع وجهان اظهر بهما
انه هو له الا انهم كفروا اى ما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم والثانى انه ضمير الله
تعالى اى وما منعهم الله ويكون الا انهم منصوبا على اسقاط حرف الجر اى الا لانهم
كفروا قوله ولا ياتون الصلوة ولا ينفقون معطوفان على قوله كفروا اى

ما منعهم قبولها الا كفرهم وكسلهم فى اتيان الصلوة وكراهتهم الانفاق فان المنافق
لكونه فاقد الايمان الذى يبعث على النشاط فى اداء العبادات يكون كسلان
فى اتيان الصلوة ويكون كارها للانفاق فان قلت علل عدم قبول نفقاتهم
هنا بالكفر وقد علل قبل بفسقهم فبينهما منافاة فالجواب انه لامنافاة بينهما
لان المراد بالفسق فيه ما يتناول الكفر وغيره كما اشار اليه المصنف بقوله وما
بعد بيان وتقرير له لان المذكور بعد مجموع الامور الثلثة فان قيل ظاهر
الآية يدل على ان عدم القبول معلل بمجموع الامور الثلثة وهو الكفر بالله ورسوله
وعدم الاتيان بالصلوة الا على وجه الكسل وعدم الانفاق الا على سبيل الكراهة
والحال ان الكفر بالله سبب مستقل للمنع من القبول وعند حصول السبب
المستقل لايبقى لغيره اثر فكيف يمكن اسناد الحكم الى الفسق بالمعنى الاعم او
الى الاسباب الباقية اجاب الامام عنه بقوله هذا الاشكال انما يتوجه على
قول المعتزلة القائلين ان الكفر لكونه كفرا فهو هذا الحكم ولايتوجه على اهل السنة
لان هذه الاسباب عندهم معرفات غير موجبة للثواب ولا العقاب واجتماع
المعرفات الكثيرة على الشئ الواحد جائز قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم الآية
لما قطع الله تعالى فى الآية الاولى رجاء المنافقين عن جميع منافع الاخرة بين ههنا
ان الاشياء التى يظنونها من منافع الدنيا فانه تعالى جعلها اسبابا لتعذيبهم
فى الدنيا والاعجاب هو السرور بالشئ مع نوع الافتخار به ومع اعتقاد انه ليس
لغيره ما يساويه ثم شاع استعماله فى السرور بما يتعجب منه مطلقا يقول لاتستحسن
ما انعمنا عليهم من الاموال والاولاد فان العبد اذا كان مستدرجا كثر ماله
وولده قوله حصنا يلجئون اليه يقال لجا اليه يلجا اذا التجا
والملجا يصلح للمصدر والزمان والمكان والظاهر انه محول ههنا على المكان والمغارات
جمع مغارة وهى مفتعلة وهى الموضع الذى يغور الانسان فيه اى يستتر وكل شئ دخلت
فيه فقد غبت فى مغارة لك والمدخل مفتعل من الدخول وهو بناء مبالغة فى هذا المعنى
والاصل مدتخل فادغمت الدال فى تاء الافتعال كما فى ادان من الدين والمدخل
اسم مفعول من تدخل وبناء التفعل يجئ متعديا اذا كان للاتخاذ نحو توسده

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اى التخذ وسادة وامّا قراءة مدغما بالنون بعد الميم على انه اسم مفعول من
ادغم فغفها الشكال لان باب انفعل لازم لايتعدى فكيف بنى منه اسم المفعول
الآان يجعل اسم مكان وترتيب هذه المعطوفات ترتيب بديع لانه ذكر
اولا الاعم الاعم وهو الحجاب من اى نوع كان ثم ذكر الغيران التى يختفى فيها
وهى اعلى الاماكن وهى الجبال ثم الاماكن التى تختفى فيها وهى الاماكن السافلة وهى
السروب التى عن عنها بالمدخل والمجوح النفور بانزعاج ومنه فرس جموح اذا
لم يرد لجام اى لرجعوا واقبلوا اليه يسرعون اسراعا لايرد وجوههم شئ مثل
جمح الفرس والجمز ضرب من السير اشد من العنق يقال جمز البعير يجمز
بالكسر جمزا والجماز البعير الذى يركبه الجمز والعنق ضرب من سير الدابة
والابل وهو سير منبسط وهو السير الذى يمتد صاحبه عنده وينبسط و
المعنى انهم وان كانوا يحلفون لكم انهم منكم الا انهم كاذبون فى ذلك وانما
يحلفون خوفا من القتل لتعذر خروجهم من بلادهم ولو استطاعوا لتركوا
دورهم واموالهم والالتجاء الى بعض الحصون او الغيران او السروب التى
تحت الارض لفعلوه تستراعنكم واستكراها لدوبتكم ولقائكم ثم انه تعالى
بين نوعا آخر من قبايح افعالهم وهو طعنهم رسول الله صلى الله عم فى حق الصدقات
وقسمتها وقرء العامة بان يقولوا انه لايراعى العدل فيها ويؤثر بها من يشاء
من اقاربه واهل بيته وقرء الحاقة يلمزك بكسر الميم من لمز يلمز اى عابه
واصله الاشارة بالعين ونحوها روى عن الزجاج انه قال يقال لمزت الرجل
وهمزته اذا غبته واللمزة والهمزة اللمزة وهو الذى يعتاب الناس ويغيبهم فلم يفرق
بين اللمزة والهمزة وفرق ابوبكر الاصم بينهما فقال اللمزة ان يشير الى صاحبه
بعيب جليسه والهمزة ان يكسر عينه على جليسه لاصاحبه وقال الليث اللمز
هو العمز فى الوجه يقال رجل لمزة يعيبك فى وجهك ورجل همزة يعيبك بالغيب
وفى التيسير قال الحسن يلمزك اى يعيبك وقيل اللمز العيب مباشرة و
الهمز العيب مجاهرة قاله الزجاج وفى الصحاح اللمز العيب ورجل لماز ولمزة
اى عياب ويقال ايضا لمزه يلمزه لمزا اذا ضربه ودفعه والهمز مثل اللمز

والهاء

والهاء والحماز العياب والهمزة مثله وهمزه اى ضربه ودفعه قوله واذا
للمفاجاة نائب مناب الفاء الجزائية وقد تقرر فى النحو ان حرف الشرط اذا لم يؤثر
فى الجزاء معنى يدل على كونه مرتبطا للشرط جزاء له لابد من رابط بينهما واولى الاشياء
به الفاء لمناسبة للجزاء معنى لان معناه التعقيب بلا فصل والجزاء متعقب
للشرط كذلك وان اذا المفاجاة قد تقوم مقام الفاء فى الجملة الاسمية لدلالتها
على التعقيب كالفاء فان مضمون الجملة الشرطية كون الشرط مفاجئا لوجود
الجزاء وكل واحد من معنى الفاء واذا المفاجاة مناسب له وشرط قيامها
مقام الفاء كون الجزاء جملة اسمية لان اذا التى للمفاجاة لاتدخل الا على الجملة الاسمية
الا نادرا قوله والجواب محذوف فذلك الجواب مرتب على اربعة امور الاول
الرضا باعطائهم الرسول بناء على اعتقادانه عم انما فعله بامر الله الذى
لااعتراض عليه وان جميع ما امر به حق وصواب موافق للحكمة والمصلحة
والثانى ان يظهر اثر ذلك الرضا على لسانهم بان يقولوا حسبنا الله اى
كفانا الرضا بقضاء الله وحكمه ولايؤثر عليه ما اصاب غيرنا من المال والثالث
الاعتماد على فضل الله وما فى خزائنه قدرته من منافع الدنيا وثواب الآخرة
والرابع ان يقولوا انا الى الله راغبون اى نحن لانطلب من الايمان والطاعة
اخذ المال والفوز بمناصب الدنيا ومنافعها وانما نطلب اكتساب سعادات
الآخرة بل الاستغراق فى العبودية كما دل عليه لفظ الآية وهو قوله انا الى الله
راغبون حيث لم يقل انا الى ثواب الله راغبون نقل ان عيسى عليه السلام مر
بقوم يذكرون الله فقال ما الذى حملكم عليه فقالوا الرغبة فى ثواب الله فقال
اصبتم ومر على قوم آخرين يذكرون الله تعالى فقال لهم ما الذى يحملكم عليه قالوا
الخوف من عقاب الله تعالى فقال اصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين
بالذكر فسألهم عن سببه فقالوا لانذكر للخوف من العقاب ولا للرغبة فى
الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب
بمعرفته وتشريف اللسان بالالفاظ الدالة على صفات قدسه وعزته فقال
انتم المحقون المحققون قوله تصويبا وتحقيقا لما فعله فانهم لمزوه عم

مطلب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في حق الصدقات بين الله تعالى ان ما فعله عم لا يتطرق اليه اللمز والطعن
بوجه مالاة اخذ القليل من مال الغني ليصرفه الى مصارفه دفعا لحاجتهم وكلمة
انما يفيد الحصر فدل الكلام على انه لا حق في جنس الصدقات لاحد الا لهذه الاصناف
الثمانية وذلك مما اتفق عليه الائمة ثم ذهب ابو حنيفة رحمة الله تعالى الى انه
يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف فقط وقال الشافعي لا بد
من صرفها الى الاصناف الثمانية وان يدفع من كل صنف ثلثة نفر لان اقل
الجمع ثلثة فان دفع سهم الفقراء الى فقير واحد اجزأه لنصيب الثالث وهو ثلث
سهم وانه لا بد من التسوية في اعطاء هذه الاصناف الثمانية ولا يجوز التفاضل
قوله والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته او ليس له شيء
يصرفه الى او مما يحتاج اليه فالفقير اشد حاجة من المسكين وهو قول الشافعي
وقال ابو حنيفة واصحابه الفقير احسن حالا من المسكين والمسكين اشد
حاجة وقال ابو يوسف ومحمد لا فرق بين الفقراء والمساكين والله تعالى
وصفهم بهذين الوصفين والمقصود شيء واحد وفائدة الخلاف يظهر في هذه
المسئلة وهي انه لو اوصى لفلان وللفقراء والمساكين فالذين قالوا الفقراء هم
المساكين قالوا لفلان النصف والذين قالوا الفقراء غير المساكين قالوا لفلان
الثلث احتج الشافعي بقوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين
اثبت لهم ملكا مع انه سماهم مساكين وبقوله عم اللهم احيني مسكينا
وامتني مسكينا ومعلوم كاد الفقر يكون كفرا ويتعوذ منه فكيف يصح ان
يتعوذ من الفقر ويسال ما هو دونه وبهذا الاتناقض واحتج ابو حنيفة
بقوله تعالى او مسكينا ذا متربة فانه تعالى وصف المسكين بكونه ذا متربة
وذلك يدل على نهاية الفقر والشدة كانه لصق بالتراب من غاية ضره وفاقته
قوله قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه ان في الاسلام فيعطيهم ليتألفوا على
على الاسلام ويستقروا عليه قوله او اشراف وهم ايضا من المسلمين قد
اسلموا ونيتهم قوية في الاسلام الا انهم اشراف قومهم فيعطيهم تألفا لقومهم
وترغيبا لامثالهم في الاسلام وقيل اشراف اه ان قيل المؤلفة قوم

من اشراف الكفرة يرجى اسلامهم فيعطى ترغيبا لهم في الاسلام فقد كان عم يعطيهم
من خمس الخمس كما اعطى صفوان بن امية مائة من الابل الى الاسلام وقد عد من
المؤلفة المسلمون الذين سكنوا بازاء قوم كفار او قوم مانعي الزكوة في موضع
بعيد لا يبلغهم جيش المسلمين الا بمؤنة كثيرة فهم لا يجاهدون الكفار ولا يقاتلون
مانعي الزكاة اما لضعف نيتهم او لضعف حالهم فيجوز للامام ان يعطيهم من
سهم الغزاة من مال الصدقة ليجاهدوا الكفار ويقاتلوا مانعي الزكوة حتى يأخذوا
منهم الزكوة ويحملوها الى الامام قوله على اداء النجوم سمي بدل الكتابة نجوما لكونه
اداءه مقترنا على النجوم بخلاف الاوقات المضروبة لاداءه فان النجم في الاصل
اسم للكوكب ثم اطلق على الوقت المضروب لكون تعيينه متعلقا بحركة النجم
ثم اطلق على ما اؤدي في ذلك الوقت بطريق اسم المحل لما حل فيه ذهب اكثر الفقهاء
الى ان المراد بالرقاب المكاتبون يعطون شيئا من الصدقة ليؤدوا به بدل الكتابة
فيما لو العتق وقيل المراد بصرف سهم من الصدقة في فك الرقاب ان يشتري
بسهم الرقاب عبيد يعتقون قوله للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب
ولو لم يؤت بكلمة في لكان الرقاب مجرورا بالعطف على ما هو مجرور بلام التمليك
ولكان المعنى ان سهم الرقاب يدفع اليهم كما يدفع سهام الاصناف الاربعة
المتقدمة اليهم حتى يصرفوا فيها كما شاؤا وكيف شاؤا فلما عدل في الرقاب
من اللام الى كلمة في دل الكلام على ان نصيبهم لا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف
في ذلك النصيب كما شاؤا بل يصرف نصيبهم الى جهة حاجتهم المعتبرة وهي الصفة
التي لاجلها استحقوا سهما من الزكوة فيوضع نصيبهم في تخليص رقبتهم من الرق
وكذا القول في الغارمين وفيما بعدهم فيصرف سهم الغارمين الى قضاء ديونهم
وسهم الغزاة وابناء السبيل يصرف الى اعداء ما يحتاجون اليه في الغزو وقطع ما
اراده ابن السبيل من المسافة والحاصل انه تعالى اثبت سهاما من الزكوة
للاصناف الاربعة التي تقدم ذكره بلام التمليك فقال انما الصدقات للفقراء
والمساكين ولما ذكر الرقاب ابدل حرف اللام بكلمة في فقال وفي الرقاب
فلا بد لهذا العدول من فائدة وفائدته ما ذكرنا من الدلالة على ان الاستحقاق

الاصناف المتقدمة لذواتهم الموصوفة بما اعتبر فيهم من الصفات وان استحقاق
الاصناف المذكورة بعدهم انما يثبت لجهة حاجتهم التي ينبئ عنها العنوان
الذي عتبر به عنهم فلا يدفع سهامهم الى انفسهم ليتصرفوا فيها الملاك في املاكها
بل يدفع بها جهة حاجتهم ولذلك قال اصحابنا الشافعي الاحتياط في سهم
الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب عوضا له بالسقاط بعض بدل الكتابة عن ذمته
وقال صاحب الكشاف عُدل في الاربعة الاخيرة عن اللام الى في للايذان بانهم
احرى بسخط في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فتنبه على
انهم احقاء بان يوضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا فوك لما
في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين من الغرم
من التخليص والانقاذ وبجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة
وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في
قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين
انتهى كلامه قوله المديونين الغارم والغرم وان كانا قد يطلقان كل واحد منهما
على من له الدين الا ان المراد بالغارم في الآية الذي عليه الدين واصل الغرم في
اللغة لزوم ما يشق والغرام العذاب اللازم وسمي الدين غراما لكونه شاقا
على الانسان ولازما له وفي الصحاح الغرامة ما يلزم اداؤه وكذلك المغرم والغرم
وقد غرم الرجل الدية والمديون الذي لزمه الدين بسبب معصية لا يدخل
في الآية لان المقصود من صرف المال اليه الاعانة والمعصية لا تستوجب الاعانة
والدين الذي حصل لا بسبب معصية قسمان دين حصل بسبب نفقات
ضرورية او في مصلحة ودين حصل بسبب حمالات واصلاح ذات بين و
الكل داخل في الآية والحمالة بالفتح ما يتحمله الانسان من غيره من دية او غرامة
مثل يقع حرب بين فريقين يسفك فيها الدماء فيدخل بينهم رجل يتحمل ديات
القتلى عنهم على نفسه لاصلاح ذات البين قوله في بناء القناطر والمصانع جمع
مصنعة وهي شئ كالحوض يجمع فيه ماء المطر ويطلق المصانع على الحصون ايضا
يعني ان المفسرين قالوا المراد بسبيل الله الغزاة ويجوز لهم ان يأخذوا من الزكوة

واما الاغنياء

وان كانوا اغنياء وقال ابو حنيفة وصاحباه لا يعطى الغازي الا مع الحاجة ونقل
القفال في تفسيره عن بعض الفقهاء انهم اجازوا صرف الصدقات الى جميع
وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان في قوله تعالى
في سبيل الله عام في الكل وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج
وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع بان نفد زاده او مات
راحلته قوله مصدر لما دل عليه الآية لان قوله تعالى انما الصدقات
للفقراء في قوة فرض الله تعالى اياها لهم وقيل انها منصوبة بفعله المقدر اي
فرض الله ذلك فريضة قوله او حال من الضمير المستكن في للفقراء لوقوعه خبرا
اي انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اي مفروضة وفائدة التقييد
الاشارة الى ان صدقة التطوع يجوز دفعها الى هؤلاء والى غيرهم بين بني هاشم
وموالي هم والى بناء المساجد والرباطات وتكفين الموتى وكذا قوله
ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم قال الامام العامل والمؤلفة معقود ان
في هذا الزمان فبقيت الاصناف الستة والاولى صرف الزكوة اليهم جميعا كما هو قول
الشافعي لانه الغاية في الاحتياط واعلم ان الاصناف التي عبر بها عن الاصناف
المذكورة وان كانت تعم المسلم والكافر الا ان الاخبار دلت على انه لا يجوز صرف
الزكوة الى الفقراء وغيرهم الا اذا كانوا مسلمين قوله يسمع كل ما يقال له و
يصدقه يعني ان الاذن في الاصل اسم لآلة السماع واطلق على من يصدق كل ما
يسمع ويقبل قول كل احد على طريق التشبيه البليغ من حيث انه لفرط استماعه
وقبوله جميع ما يسمعه صار جملته كانه آلة السماع كما ان لفظ العين في الاصل
اسم لآلة الابصار ثم اطلق على الجاسوس بذلك الطريق قوله او استوفى له فعل
عطف على قوله سمي بالجارحة اي ويحتمل ان يكون اطلاق الاذن من يسمع كل ما يقال له
ويصدقه مبنيا على توليد لفظ من لفظ آخر واطلاق اللفظ المؤكد على ما يلايم معنى
اللفظ المولد منه بان اشتق من الاذن بمعنى الاستماع لفظ اذن بضمتين ثم اطلق
على الرجل الذي يصدق كل ما يسمعه كما اشتق لفظ أنف بضمتين من الانف بمعنى
جارحة الشم واطلق على ما فيه من التقدم والسبق يقال روضة انف بالضم اي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لم يرعها أحد وأنفت الابل اذا وطئت كلأ انفا وهو الذي لم يرع بعد وكأس
أنف اذا لم يتمرن بها قبل ذلك وكما اذا اشتق لفظ شلل بضمتين من الشلل
يقال شللت الابل أشلها شلا اذا طردتها فانشلت والاسم الشلل
قوله نزلت الآية في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبي صلى الله عم ويذكرونه (روى اه يعني ان الآية م)
بما لا ينبغي من القول واتفق ان بعضا منهم ذكره عم بذلك فقال له بعض آخر منهم
لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما نقول فيقع فينا فقال الجلاس بن سويد
بل نقول ما شئنا ثم نذهب اليه ونحلف انا ما قلنا فيقبل قولنا وانما محمد
أذن سامعة يريد انه ليس له دكاء ولا بعد غور بل هو سليم القلب سريع
الاغترار بكل ما يسمع فنقتل كل غدر صدقا كان او كذبا وكان عم كذلك
لكرمه وحسن خلقه فظن اولئك انه عم انما يقبله ويعاملهم به لسلامة قلبه
وقلة رأيه وقصور عقله قوله تصديق لهم بانه اذن الخ يعني ان الاضافة
للتخصيص والتقييد والمعنى هب انه اذن يسمع ما يقال له ويقبله لكنه مستمع
خير وصلاح لا مستمع شر وفساد فيكون الخير مسموعا لا صفة للاذن يدل عليه قراءة
حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غير هما ولا يقبله
وعطفها على خير يستلزم ان يكون الخير مسموعا لا صفة للاذن لان الاذن لا يوصف
بالرحمة للاذن يستلزم كون الرحمة ايضا صفة له ولا يوصف الاذن بالرحمة وذكر
جار الله وجها آخر وقدمه على هذا الوجه وهو ان يكون الاضافة في اذن خير من
باب اضافة الموصوف الى الصفة للمبالغة في الاتصاف كما في قوله رجل صدق
وشاهد عدل كانه قيل نعم هو اذن لكن نعم الاذن فان من يسمع العذر ويقبله
خير ممن لا يقبله اذا كان ناشيا من الكرم وحسن الخلق وعلى الوجهين قوله تعالى
أذن خير خبر مبتدا محذوف اي قل هو أذن خير لكم قوله ثم فسر ذلك اي بين
كونه اذن خير فانه تعالى سلم قولهم في حقه عم انه أذن الا انه فسر ذلك القول
بما هو مدح له عم وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة ثم فسر كونه اذن خير
بان وصفه بثلثة اوصاف الاول انه يومن بالله فيسمع بجميع ما جاء منه ويقبله و
الثاني انه يؤمن للمؤمنين لا يسلم لهم قولهم ويصدقهم فيما اخبروا به عند

ولا يصدق

ولا يصدق المنافقين ولا شك ان ما اخبر به المؤمنون الخلص فهو خير وحق فمن
استمعه وقبله يكون اذن خير والثالث كونه رحمة لمن اظهر الايمان منهم من حيث
انه يجري امرهم على الظاهر ولا يبالغ في التفتيش عن بواطنهم ولا يسعى في هتك
استارهم فمن آمن بالله وصدق المؤمنين الخلص وكان رحمة لمن اظهر الايمان
من المنافقين يكون اذن خير لهم قوله واللام مزيدة للتفرقة جواب عما يقال
لم عدي فعل الايمان الى الله بالباء والى المؤمنين باللام والتقدير ان ايمان
الامان من الخلد في النيران وهو الايمان المقابل للكفر حقه ان يتعدى بالباء واما
الايمان بمعنى التصديق والتسليم فانه يتعدى باللام للتفرقة بينهما واما كان
حقه ان يتعدى بنفسه كالتصديق حيث يقال صدقتك ولا يقال صدقت
لك كما في قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا وقوله وما آمن لموسى الا ذرية من
قومه وقوله انؤمن لك واتبعك الارذلون وقوله امنتم له قبل ان آذن
لكم قوله وقرئ اذن خير والجمهور على جر خير بالاضافة وقرأ ابو بكر عن عاصم
اذن بالتنوين خير بالرفع والتنوين اما على انه صفة للاذن او خبر بعد خبر للمبتدا
المحذوف قوله لهم عذاب اليم بايذائه لانه قد تبين انه عم خير ورحمة لهم
مع كونهم في غاية الخبث والضلال فايذائي مقابلته لاحسانه بالاساءة فيكون
مستوجبا للعذاب الشديد لا سيما ان ايذاءه ايذاء لرسول الله قوله على
معاذيرهم فيما قالوا وتخلفوا قد تقدم ان منهم الذين يؤذون النبي صلى الله عم
ويسيؤون القول فيه فيبلغ اليه عم ما قاله بعضهم من المقالة الحقاء فدعاهم
ذلك البعض وساءلهم عنه فانكروا وحلفوا انهم ما قالوا ذلك فنزل قوله تعالى
ومنهم الذين يؤذون النبي ونزل قوله ويحلفون بالله لكم ليرضوكم الى ليرضوه
ستحلفكم وقيل نزل قوله تعالى ويحلفون بالله لكم في رهط من المنافقين تخلفوا
عن غزوة تبوك فلما رجع عم الى المدينة اتوه واعتذروا وحلفوا ليرضوا المؤمنين
بيمينهم الكاذبة وكان من الواجب ان يرضوا الله باخلاص الايمان والتوبة عن الكفر
والنفاق لا باظهار خلاف ما يكتمونه في صدورهم قوله وتوحيد الضمير آه جواب
عما يقال كيف قيل احق ان يرضوه بافراد الضمير مع انه خبر قوله تعالى الله ورسوله

فالواجب تثنية الضمير واجاب عنه اولا بان الارضائين متلازمان فاكتفى بذكر
احدهما لكون ذكره وحده في حكم ذكرهما معا كما يقال احسان زيد واجماله نعشني
وجبرني اى رفعني وقواني ولم يقل نعشاني وجبراني اكتفاء بذكر احدهما
وثانيا بان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه وذكر الله للتعظيم وللتنبيه
على ان ارضاء الرسول ارضاء الله تعالى فلذلك اكتفى بذكر ارضاء الرسول كما في
قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اكتفى بذكر حكم الرسول
للتنبيه على ان حكمه حكم الله تعالى وثالثا بان قوله والله مبتدا واحق ان
يرضوه خبره والرسول مبتدا ثان وخبره محذوف لدلالة خبر الاول عليه
وقال سيبويه خبر الاول محذوف كما في قول الشاعر نحن بما عندنا وانت
بما عندك راض والرأى مختلف ورجح قوله لان فيه اعتبار الاقرب مع
السلامة من الفصل بين المبتدا والخبر بخلاف ما اختاره المحقق وان رجح
هو ايضا من حيث ان فيه وضع الارضاء فيمن استحقه لذاته فانه تعالى
هو المقصود بجميع الطاعات فهو احق بالارضاء قوله وقراءة بالتاء قرأ الجمهور
يعلموا بياء الغيبة رذا على المنافقين وقرئ يعلموا بتاء الخطاب اما على الالتفات
من الغيبة الى الخطاب ان كان المراد المنافقين فيكون الاستفهام للتوبيخ والتقريع
على عدم علمهم بذلك مع طول مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وتحذيرا اياهم
من معصية الله وترغيبه في طاعة الله واما على خطاب المؤمنين على طريق الاستفهام
التقريري قوله مفاعلة من الحد الذي هو الجهة والجانب فان كل واحد
من المتخالفين والمتعاندين في حد غير حد صاحبه كما يقال شاقه اذا كان في شق غير شق
صاحبه وعاداه اذا كان في عدوة غير عدوة صاحبه والعلم ههنا يحتمل ان يكون
على بابه فتعدى مسد مفعوليه وان يكون بمعنى العرفان فتتعدى مسد مفعوله
ومن شرطية وقوله فان له نار جهنم جوابها والجملة الشرطية في محل الرفع على انها
خبر ان الاولى وهذا تخريج واضح غاية ما في الباب ان ان المفتوحة لكونها تغير
معنى الجملة وتجعلها في حكم المفرد كانت مع ما في حيزها مبتدا محذوف الخبر والتقدير
فجزاؤه ان له او فحق ان له نار جهنم خالدا فيها والثانية تكريرا للاولى

للتاكيد

للتاكيد ولكان التقدير من يحادد الله فله نار جهنم كانت الجملة الشرطية ايضا
خبر ان الاولى ولا يحتاج الى ارتكاب الحذف الآتي عليها على التكرير خلاف الظاهر
فان الظاهر انها لتحقيق مضمون الجزاء كما ان الاولى لتحقيق مضمون الجملة الكبرى
مع ان جعلها تاكيدا للاولى يستلزم الفصل بين المؤكد والمؤكد بجملة الشرط
وايقاع اجنبي بين قاء الجزاء وما في حيزه وان جعل فان له معطوفا على ان
على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك
فان له نار جهنم يلزم المخالفة لما صرح به النحاة من انه اذا حذف جواب الشرط
لزم ان يكون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مقرونا بلم وعلى ما ذكر من الاحتمال
يكون الجواب محذوفا وفعل الشرط مضارع غير مقترن بلم قوله وقرئ
فان بالكسر قال ابن الحاجب في الكافية فان جاز التقديران جاز الاوجه اى ان
وقعت المفتوحة في موضع جاز فيه تقدير المفرد والجملة جاز فيه فتح ان و
كسرها وفرق في مواضع احدها ان تقع بعد فاء الجزاء نحو من يكرمني فاني اكرمه
جاز فيه الكسر بتاويل فانا اكرمه والفتح على ان يجعل ان مع ما في حيزها مبتدا
محذوف الخبر اى فاكرامي له ثابت ولا يخفى ان لكل واحد من التقديرين جائز في
الآية فجاز فيها الفتح والكسر قوله وذكر يدل على تردد وهم ايضا في كونهم
جوابا عما يقال كيف يحذر المنافق نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم
وهو كافر بنبوته وتقريره ان النفاق لا يستلزم كون المنافق قاطعا بعدم نبوته
عليه السلام لجواز كونه شاكا في صحة نبوته والشاك خائف فلهذا السبب خافوا ان تنزل
عليهم ما يفضحهم فان حذرهم منه يدل على انهم مرددون في كفرهم كمتردد
المؤمنين وقيل في جوابه ان قوله تعالى يحذر المنافقون وان كان بحسب الظاهر
خبرا لكنه في المعنى امر اى ليحذر المنافقون واجيب عنه ايضا بان
هذا حذر اظهره المنافقون على وجه الاستهزاء حين رأوا انه عليه السلام يذكر كل شيء
ويدعي انه على الوحي وكان المنافقون يكذبون بذلك فيما بينهم فاخبر الله تعالى رسوله
بذلك وامره ان يعلمهم انه مطلع على سرهم الذي حذروا ظهوره ويؤيد هذا الجواب قوله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قل استهزؤا واعلم انهم كانوا يسمون سورة براءة سورة الحافرة من حيث
انها حفرت عما في قلوب المنافقين ويسمونها الفاضحة والمبعثرة والمثيرة
لاثارتها مخازيهم ومثالبهم قال ابن عباس انزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا
من المنافقين باسمائهم واسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة على المؤمنين
لئلا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين وقيل اجتمع اثنى عشر
رجلا من المنافقين عنده عم على اثر من النفاق فاخبر جبريل الرسول عليهما
السلام باسمائهم فقال عم ان ناسا اجتمعوا على كيت وكيت فليقوموا و
ليعترفوا وليستغفروا ربهم حتى استغفر لهم فلم يقوموا فقال عم بعد ذلك
قم يا فلان ويا فلان حتى اتى عليهم جميعا ثم قالوا نعترف ونستغفر فقال
الآن انا كنت في اول الامر اجيبكم نفسا بالشفاعة والله كان اسرع
في الاجابة اخرجوا عني حتى خرجوا بالكلية وقال الاصم ان عند رجوع النبي
صلى الله عم من تبوك وقف له على العقبة اثنى عشر رجلا ليفتكوا فاخبره
جبريل وكانوا متلثمين في ليلة مظلمة واحب ان يسبل اليهم من يصرف وجوه
رواحلهم فامر حذيفة بذلك فضربها حتى تحاموا منه ثم قال من عرفت من
القوم فقال لم اعرف منهم احدا فذكر النبي عم اسماءهم وعدد عم له وقال
ان جبريل اخبرني بذلك فقال حذيفة الا نبعث اليهم ليقتلوا فقال اكره ان
تقول العرب قاتل باصحابه حتى اذا ظفر بهم صار يقتلهم بل يكفينا الله ذلك
قوله تعالى ولئن سألتهم اي عما كانوا فيه من الاستهزاء ليقولن انما
كنا نخوض واصل الخوض الدخول في مائع مثل الماء والطين ثم كثر حتى صار
اسما لكل دخول فيه تلويث واذاء والمعنى انما كنا نخوض في الباطل من
الكلام كما يخوض الركب لقطع الطريق فاجابهم الرسول عم بقوله ابالله
وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن بان اخبره الله تعالى بذلك كانه تعالى قال له
عم لا تعتذروا باعتذار الكاذب بقولهم انما كنا نخوض ونلعب وقل لهم
هب انكم تقدمون على الاستهزاء الا انه كيف اقدمتم على الاستهزاء بمن

لا يصح

لا يصح الاستهزاء به فانه فرق بين ان يقال اتستهزئ بالله وبين ان يقال
بالله تستهزئ فان الاول يقتضي الانكار على ملابسة الاستهزاء والثاني
يقتضي الانكار على ايقاع الاستهزاء في الله وفي لفظ الاعتذار قولان
عن اهل الاول انه عبارة عن محو الله الذنب من قولهم اعتذرت المنازل
اذا درست ويقال عرست بمنزل معتذر اي مندرس فالاعتذار هو
الدروس ومنه اخذ الاعتذار لان المعتذر يحاول ازالة الله ذنبه والقول
الثاني ان الاعتذار هو القطع ومنه يقال للقلفة عذرة لانها تعذر اي
تقطع ويقال للبكارة عذرة لانها تقطع بالافتراع ويقال اعتذرت المياه
اذا انقطعت فالعذر لما كان سببا لقطع اللوم سمي عذرا قال الواحدي
فالقولان متقاربان لان محو الله الذنب وقطع اللوم متقاربان قوله
قد اطهرتم الكفر بعد اظهاركم الايمان اعتبر الاظهار فهما لان المنافق لم يومن قط
فضلا عن ان يكون بعد الايمان وفي الآية دليل على ان الجد واللعب في اظهار
كلمة الكفر سواء فان الهزل بالكفر كفر بلا خلاف بين الائمة وكذا لا فرق بين
الجد والهزل في النكاح والطلاق والرجعة لقوله عم ثلثة جدهن جد وهزلهن
جد النكاح والطلاق والرجعة قال الترمذي في حق هذا الحديث انه حديث
حسن والعمل على هذا عند اهل العلم من اصحاب النبي عم وغيرهم ونقل
القرطبي عن الموطا ان سعد بن المسيب قال ثلث ليس فيهن لعب
النكاح والطلاق والعتق قوله وقرأ عاصم بالنون فيهما فانه قرأ عن
نعف بفتح نون العظمة ورفع الفاء نعذب بضم نون العظمة وكسر الذال
طائفة بالنصب وقرأ الباقون ان يعف عن طائفة بضم ياء الغيبة وفتح
الفاء تعذب طائفة بضم تاء التانيث وفتح الذال ورفع طائفة لقيامها مقام
الفاعل وقرئ ببناء الغيبة وبناء الفاعل فيهما وهو الله وقرأ مجاهد ان نعف
عن طائفة ببناء التانيث والبناء للمفعول فيهما ورفع طائفة لقيامها مقام الفاعل
والقائم مقام فاعل الفعل الاول هو الجار والمجرور فالقياس تذكير الفعل لانه
يقال سير بالدابة ولا يقال سيرت بالدابة ولكنه انث الفعل حملا على المعنى

فان قوله ان نعف عن طائفة معناه ان نرحم طائفة فاسند الفعل لذلك
وهو غريب قوله اى متشابه فى النفاق والبعد عن الايمان لما شرح الله
تعالى قبايح افعال المنافقين بين ان اناسا منهم كذلك وهم فى تلك الافعال المنكرة
والخصائل القبيحة فكلمة من فيه اتصالية لكنه فى قولك انت منى وانا منك
اى امرنا واحد لا مباينة بيننا فيه ومن الاتصالية ابتدائية الا ان الابتداء
فيها بالاعتبار الاتصال فقولك انت منى جملة اسمية معناها انت متصل
بى فى الشمائل والافعال وان ما فيك من الشمائل ناشية ومستفادة
منى لا امتياز بيننا من حيث الافعال والخصائص فكذا المعنى فى قوله
بعضهم من بعض فهذه الآية على ما ذكر من التوجيه لا تكون متصلة بخصوص
قوله تعالى ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم بل تكون متصلة بجملة
ما ذكر فى شرح قبايح المنافقين قوله وقيل انهم تكذيبهم آه معطوف
على ما فهم مما ذكره فى تفسير الآية وعلى كل التوجيهين يكون قوله
يأمرون بالمنكر الخ كالدليل على قبله وحمل النسيان فى الموصفين على الاعفال
والترك لان الكلام مسوق لذم المنافقين ولا يذم الانسان بما لا مدخل لكسب
العبد واختياره فيه كالنسيان فانه ليس فى وسع البشر ولا مدخل لاختياره
فيه فلذلك فسر قوله نسوا الله بقوله فيمتنع المواخذة على نسيان البشر اغفلوا
الله وتركوا طاعته ولما كان النسيان محالا فى حقه تعالى فسر قوله فنسيهم بقوله
فتركهم من لطفه وفضله فالنسيان مجاز عن ترك الذكر لان من نسى شيئا لم يذكره
فاطلق اسم الملزوم واريد لازمه فلما تركوا ذكر الله تعالى بالعبادة والشاء
عليه ترك الله ذكرهم بالرحمة والاحسان وجازاهم بالتقبيح والخذلان
قوله الكاملون فى التمرد والفسوق عن دائرة الخير الكمال مستفاد من
تعريف الجنس فى الفاسقون الدال على انهم كمل ولو لم يجعل عليه علامة الحصر
المستفاد من ضمير الفصل وتعريف الخبر لانه كم من فاسق سواهم وفسر
الفسق بالتمرد لان الكافر اذا وصف بالفسق دل على المبالغة فى الخروج
عن امر الله وطاعته ولما وصفهم بكمال التمرد ذكر ما وعدهم فى الآخرة وحمل

قوله

١٢٨

١٢٩

قوله خالدين فيها حالا مقدرة من المفعول الاول للوعد لكونها غير مقارنة للوعد
وقوله هى حسبهم جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب والمعنى ان لهم
العقوبة كافية لهم ولا شئ ابلغ منها ولا يمكن الزيادة عليها ولا نيافيه عطف
قوله ولعنهم لكونه بيانا لبعض ما تضمنه الخلود فى عذاب النار فان الثار
المخلدة مع كونها كافية فى الايلام بالغة اقصى درجات التعذيب تتضمن
شدايد آخر من اللعن والذم والاهانة بالسلاسل والاغلال والعياذ بالله
من سخطه وعقابه قوله والمراد به ما وعدوه من الخلود فى نار جهنم ذكر
بعد تاكيدا له قوله او ما يقاسونه من تعب النفاق اى ويجوز ان يكون
المراد بقوله ولهم عذاب مقيم العذاب الحاصل الذى لا ينفك عنهم وهو
ما يقاسونه من الخوف من اطلاع الرسول صلى الله عليه وعلى اصحابه وما يجدونه
ابدا من انواع الفضايح قوله اى انتم مثل الذين اى يجوز ان يكون الكاف
فى محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وان يكون فى محل النصب على انه
مفعول فعل محذوف بتقدير المضاف لان المقصود تشبيه الفعل بالفعل
وعلى الاول تشبيههم بمن قبلهم فى العدول عن امر الله والامر بالمنكر والنهى عن المعروف
وقبض الايدى عن الخيرات وكونهم تماحضوا فيه من الامور الباطلة رغبة فى
الاستمتاع بالحظوظ العاجلة الخارجة والاتكاد بما رزقوا من الاموال والاولاد
قوله بيان لتشبيههم لتشبيههم بهم حيث وصف كل واحد منهم وممن قبلهم
بكثرة الاموال والاولاد ثم ذكر انهم استمتعوا بنصيبهم خلافا لكونه عبارة عما
قدر للانسان من خير قوله والتهايم بها اى تلهيهم ولعبهم بتلك الشهوات
يقال لهوت بالشئ الهو لهوا وتلهيت به والتهيت به اذا لعبت به قوله
تمهيد الذم المخاطبين عليه لقوله ذم الاولين والمقصود ما يقال من ان ذكر استمتاع
الاولين بخلافهم وقع مكررا حيث ذكرا اولا قوله فاستمتعوا بخلاقهم ثم ذكر
قوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم والثانى معترض عن الاول فما الفايدة فى
التكرير ووجه الدفع انه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ
الدنيا وحرمانهم عن سعادة الآخرة بسبب استغراقهم فى تلك الحظوظ العاجلة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ذم الاولين تمهيدا لذم المخاطبين بان شبّه حالهم بحال الاولين ففى التكرير
تاكيد ومبالغة فى ذم المخاطبين وتقبيح حالهم ولم يسلك هذه الطريقة فى
التشبيه الثانى وقوله وخضتم كالذى خاضوا حيث لم يقل وخاضوا وخضتم خوضهم
اكتفاء بتقديم التمهيد المذكور فى التشبيه الاول فان التشبيه الثانى لما كان
معطوفا على التشبيه الاول علم ان المقدمة المذكورة هناك مقصودة ههنا فاستغنى
عن ذكرها فى التشبيه الثانى قوله كالذين خاضوا والتقدير وخضتم خوضا كخوض
الذين خاضوا على ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف ولما
ورد ان يقال لم افرد الذى مع ان المراد به الجماعة بدلالة رجوع ضمير الجمع اليه
فى قوله خاضوا والقياس ان يقال كالذين خاضوا لما تقرر فى النحو ان جمع الذى
فى ذوى العلم الذين فى الاحوال الثلث على الاشهر والذون فى حال الرفع
على لغة هذيل اشار الى جوابه اولا بان الذى اصله الذين فحذف نونه تخفيفا
وايضا حذف المصدر الموصوف مع المصدر الذى اضيف الى الموصول
فبقى وخضتم كالذى خاضوا وثانيا بقوله او كالفوج الذى خاضوا يعنى ان الذى
صفة لموصوف مؤد اللفظ مجموع المعنى فافرد لفظ الموصول نظرا الى افراد موصوفه
لفظا وجمع العايد اليه نظرا الى كثرة ما هو عبارة عنه وثالثا بقوله او كالخوض
الذى خاضوه يعنى افراد الموصول لكونه صفة للمصدر المحذوف لا الى قبلهم
من الاولين الذين رجع اليهم ضمير خاضوا او عايد المصدر محذوف ثم انه
تعالى لما شبّه المنافقين بالكفار المتقدمين فى الرعونة فى الدنيا وفى تكذيب
الانبياء والمبالغة فى ايذائهم هدّدهم بان اشار الى ما جرى على المتقدمين من وجوه
التعذيب والاهذاب ليعتبروا بحالهم وليزجروا عما هم فيه من قبايح الافعال قوله
اهلك نمرود اشارة الى ما روى عن ابن عباس ان المراد بقوم ابراهيم نمرود بن
كنعان والمراد باصحاب مدين قوم شعيب ومدين اسم بلدهم والمؤتفكات جمع
مؤتفكة وهى المنتكبة بنا كل اكثه فائتفكت اى قلبه فانقلب وقرى قوم لوط انقلبت
فصار اعلاها اسفلها قوله فاتح السين مؤكدة للوقوع يعنى ان السين فى
الاثبات بمنزلة لن فى النفى والذا قد تتمحض للتاكيد من غير قصد الى معنى الاستقبال

مطلب
دلم سيكت عن الطرف الثالث
الخ

ثم انه تعالى لما اكد وعده بالرحمة على الاجمال فصل الرحمة الموعودة بقوله وعد
الله المومنين والمؤمنات قال الامام والاقرب انه تعالى اراد بالجنات
البساتين التى تبنا ولها المناظر لانه تعالى قال بعده ومساكن طيبة فى جنات عدن
والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه فيكون مساكنهم فى جنات عدن
ومناظرهم الجنات التى هى البساتين والمصنف فسر العدن بالاقامة والخلود
اختيارا للقول من قال انه مصدر قولك عدن بالمكان اذا اقام به يعدن عدنا
وعدونا ويقال تركت ابل بنى فلان عوادن بمكان كذا وهو ان تلزم الابل الكلا
وتالفه ومنه المعدن المستقر الجواهر وعلى هذا القول الجنان كلها جنات
عدن يبغون عنها حولا وليس هذا تكرارا لقوله خالدين فيها لان قوله جنات
عدن اخبار بدوام تنعمهم فيما اعدّ لهم من المساكن وقوله تعالى خالدين
فيها اخبار بدوام النعيم لهم فى الجنان فهما معنيان مختلفان قوله وعنه
عم عدن دار الله التى لم ترها عين اشارة الى ان فى العدن قولا آخر وهو انه
اسم علم لموضع معين فى الجنة استدلالا بالاخبار الواردة فيه قوله ومرجع
العطف الى مبناه يعنى ان العطف يقتضى التغاير فعطف قوله تعالى ومساكن
طيبة على قوله جنات تجرى يحتمل ان يكون مبنيا على التغاير الذاتى بين المعطوف
والمعطوف عليه بان يراد بالجنات البساتين وبالمساكن الطيبة القصور
المبنية من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر مثلا ويحتمل ان يكون مبنيا
على التغاير الوصفى مع اتحاد الذات قوله والمنافقين بالزام الحجة ولا يجوز
المحاربة والمجاهدة بالسيف معهم لانهم يظهرون الاسلام ويذكرون الكفر وحكم
شريعتنا ان يحكم بالظاهر لقوله عم نحن نحكم بالظاهر وقد امر الله تعالى
بالجهاد معهم وهو عبارة عن بذل الجهد فى الصرف عن المنكر والارشاد الى الحق
وليس فى لفظ جاهد ما يدل على ان ذلك الجهاد بالسيف او باللسان او بطريق
آخر فنقول ان الآية تدل على وجوب الجهاد مع الفريقين واما كيفية تلك
المجاهدة فلفظ الآية لا يدل عليها وانما نتوقف هى من دليل آخر وقد دلت الدلائل
المنفصلة على ان المجاهدة مع الكفار يجب ان يكون بالسيف ومع المنافقين

صفحة رقم ١٤٢

شبكة الألوكة
www.alukah.net

باظهار الحجة تارة وبترك الرفق ثانيا وبالانهار ثالثا قال عبد الله بن مسعود
في قوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين يجاهدهم تارة باليد وتارة
باللسان فمن لم يستطع فليكفهر في وجهه فمن لم يستطع فبالقلب وعن
عباس ان المراد بقوله تعالى واغلظ عليهم شدة الانتهار والنظر بالبغض
والمقت وعن ابن مسعود ان يكفهر في وجوههم قوله روى انه ع
اقام في غزوة تبوك روى انه ع خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين
فسماهم رجسا وعابهم فقال جلاس ليئن كان ما يقول محمد لاخواننا الذين
خلفناهم في المدينة حقا فنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال
اجل ان محمدا الصادق وانتم شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى
الله ع الى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس
كذب يا رسول الله علي فامرهما رسول الله صلى الله ع ان يحلفا عند
المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو
ما قاله ولقد كذب علي عامر فقام عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو
لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال اللهم علي
بنبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فقال رسول الله والمؤمنون
آمين فنزل جبرئيل ع قبل ان يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم
فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن
قيس فيما قاله وانا قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله
ع ذلك منه فتاب وحسنت توبته قوله او اخراجه مجرور معطوف على قول من
قتل الرسول اي يحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى وهموا بما لم ينالوا ما قصده
خمسة عشر من فتكة ع بالليل اذا تسنم العقبة فانهم لما اجتمعوا لذلك الغرض كان
الظاهر انهم قد طعنوا في نبوته ع ونسبوه الى الكذب في دعوى الرسالة فذلك
هو قولهم كلمة الكفر ويحتمل ان يكون المراد به الاخراج الذي هم به عبد الله بن ابي
حيث قال ليئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل واراد به الرسول ع
وسمع زيد بن ارقم قوله هذا وابلغه الى الرسول ع فهم عمر رضي الله عنه

بقتل

بقتل عبد الله بن ابي فجاء عبد الله وحلف انه لم يقله فنزلت الآية قوله او باب
يتوجهوا اي باب يليق اتباع هو تفسير لقوله تعالى بما لم ينالوا وهو ما روي
عن السدي انه قال قوله تعالى لم ينالوا هو قولهم اذا قدمنا المدينة عقدنا
على راس عبد الله بن ابي تاجا فلم يصلوا اليه قوله اثروا اي استغنوا و
كثرت مواشيهم والثراء كثرة المال يقال مال ثد ثج اي كثير والضنك الضيق
قوله والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل والتقدير على الاول
ما كرهوا وعابوا شيئا منهم الا اغناء الله اياهم وهو من باب قولهم ما لي عندك
ذنب الا ان احسنت اليك اي ان كان ثمة ذنب فهو هذا وهو تهكم بهم
كقوله ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون اذ غضبوا والتقدير على
الثاني ما كرهوا الداعي وما دعوا اليه شيئا ما الا لاجل ان اغناهم الله ورسوله
قوله تعالى لنصدقن اصله لنتصدقن ادغمت التاء في الصاد لقربها منها
والمتصدق معطي الصدقة قال تعالى وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين
قوله اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا يقال اعقبه الله خيرا اي صيره عاقبة
امره ذلك ويقال فلان اكلة اعقبته سقما وفي الصحاح اعقبه بطاعته اي جازاه
اه قوله ويجوز ان يكون الضمير للبخل لان فيه تجويز امر بعيد لان اعقب لو كان
مسندا الى ضمير البخل المذكور لوجب عليه بقوله بخلوا به لكان اعقبهم فاورثهم بخلهم نفاقا
متمكنا في قلوبهم بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ولا شك ان اسناد
النفاق الى البخل بسبب اخلاف وعد الله معنى بعيد والظاهر ان اعقب
مسند الى ضمير الجلالة لان الضمير الواقع قبله وبعد وهو ضمير من فضله وضمير يلقونه
كل واحد منهما راجع اليه تعالى فالظاهر ان يكون ضمير اعقب ايضا عبارة عنه
تعالى قوله او يلقون عمله اي عمل البخل وجزاءه وهذا على تقدير ان يكون
ضمير اعقب للبخل وفي التبيين قال الحسن قوله تعالى فاعقبهم بخلهم نفاقا
اي صار بخلهم سببا للكفر وقوله الى يوم يلقونه اي يرون بخلهم كما قال ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره قوله اجر الجريد الجريد حبل يجز به البعير بمنزلة
العذار للدابة والبادزابة اي اجز الجريد والمعنى بت سلسقي للناس على اجرة

صاعين قوله حتى صولحت احدى امرأتيه على نصف الثمن على ثمانين الف
درهم يدل على ان عبد الرحمن رضى الله عنه كانت له يوم مات امرأتين
وان ثمن ماله كانت اكثر من مائة وستين الف درهم ليصح ان يصالح احدى
امرأتيه على نصف الثمن على ثمانين الف درهم وفى الكشاف حتى صولحت
امرأته تماضر عن ربع الثمن على ثمانين الف درهم وهو يدل على انه خلف اربع
زوجات وان ثمن ماله كانت اكثر من ثلثمائة وعشرين الفا ليصح ان يصالح
احدى الزوجات الاربع على ربع الثمن على ثمانين والله اعلم والوسق بالكسر
ستون صاعا وقيل هو حمل بعير قوله جازاهم الله على سخريتهم فيكون
تسمية جزاء السخرية سخرية مبنيا على المشاكلة فانها تورث الكلام حسنا
كما سمى جزاء الاستهزاء استهزاء وجزاء السيئة سيئة لذلك او على الاستعارة
فان جزاء السيئة والسخرية مماثل لهما فاطلق اسم احد المثلين على الاخر
لمشابهته له فعلى هذا يكون سخر الله استعارة تبعية قوله يريد به التساوى
بين الامرين يعنى ان الكلام وان ورد على صورة الامر الا ان المراد الاخبار
بتساوى الامرين كما فى قوله تعالى انفقوا طوعا او كرها لم يتقبل منكم وفائدة
العدول الى صيغة الامر مع ان الخبر ايضا يدل على تساوى الامرين فى عدم النفع
مثل ان يقال الاستغفار لك من حيث عدم ترتب المغفرة عليه كعدمه لا
فرق بينهما من الدلالة على التاكيد والمبالغة فى تساوى الامرين كما قيل ان
شئت لا تعرف انى لا اعفر لهم على كل حال استثنى بان يستغفر لهم تارة
ويتركه تارة اخرى تجدنى استمر على عدم مغفرتهم فى الحالين قوله فان
مغفرة الكافر بالاقلاع والامتناع عن الكفر بالارشاد الى الحق يعنى الدلالة
الموصلة الى الحق وكل واحد من مذهبى السببين منتف فى حق المتمردين
فى كفرهم ما داموا مختارين للكفر والطغيان متمردين فيهما فانتفى السبب
ايضا فى حقهم وهو المغفرة فكان قوله تعالى والله لا يهدى القوم الفاسقين
كالدليل على عدم مغفرة الله تعالى اياهم البتة كانه قيل كيف يغفر لهم وهم
كفار متمردون فى كفرهم والمتمرد فى الكفر لا يهديه الله الى الحق ومما لا يهتدى

اما الحق

الى الحق لا يغفر له فهو عم انما علم كونهم متمردين مطبوعين على الضلال بهذا الدليل
فلذلك استغفرلهم قبل قيام هذا الدليل قوله بمقعدهم من الغزو خلفه
اشارة الى ان المقعد مصدر بمعنى القعود وان خلاف منصوب على الظرفية اى فرحوا بقعودهم
بعد ذهاب رسول الله صلى الله عم يقال اقام زيد خلاف القوم اى تخلف بعد
ذهابهم عن الاخفش وغيره ان خلاف بمعنى خلف وبعد ويؤيده قراءة ابن
عباس خلف بفتح الخاء وسكون اللام قوله فيكون انتصابه على العلة اى
فرحوا لاجل مخالفتهم رسول الله حيث مضى هو للجهاد وتخلفوا عنه وبقعودهم
لاجل مخالفتهم له عم او فى لفين له وصفهم الله بقوله المخلفون مع ان
الظاهر انهم احتالوا حتى تخلفوا عنه عم باجتيالهم فكان الظاهر ان يقال
فرح المخلفون لما اشار صاحب الكشاف اليه بقوله الذين استاذنوا رسول
الله من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة فى غزوة تبوك او الذين خلفتهم
كسلهم ونفاقهم والشيطان قوله ايثار للدعة وهى الراحة وقوله والحفض
عطف تفسير لها يقال عيش خافض اى رافه وقوله على طاعة الله متعلق بقوله
ايثارا وقوله وفيه تعريض اشارة الى فائدة قوله وكرهوا ان يجاهدوا الآية
مع ان الفرح بالاقامة والتخلف عن الغزو يدل على كراهية الجهاد والمهج
جمع مهجة وهى الروح وقيل هى الدم وقيل هى دم القلب خاصة والتثبيط
عن الامر عبارة عن الصرف عنه يقال ثبطه عن الامر تثبيطا اى شغله عنه
قوله اخبار عما يؤل اليه حالهم والمعنى ستحصل لهم هذه الحالة لقوله
تعالى بعده جزاء بما كانوا يكسبون قوله اخرجه عن صيغة الامر للدلالة
على انه حتم واجب فان ظاهر الامر الايجاب وانه لا يحتمل من الصدق والكذب
ما يحتمله الخبر وقوله تعالى قليلا وكثيرا وان جاز كونهما منصوبين على ظرفية
الزمان اى زمانا قليلا وزمانا كثيرا الا ان الظاهر كونهما منصوبين على ظرفية
الزمان او زمان المصدر اى ضحكا قليلا وبكاء كثيرا فحذف الموصوف و
اقيمت الصفة مقامه فوكد لان الفعل يدل على المصدر بشبيهين بلفظه ومعناه
بخلاف الزمان فانه انما يدل عليه بهيئته فقط قوله فان كلهم لم يكونوا منا

فتبين

علة لتخصيص المخلفين بالمنافقين منهم وهذا على تقدير ان يجعل ضمير منهم للمخلفين وان جعل للمنافقين وكان المراد بطائفة منهم من بقي من المنافقين فلا تخصيص ولا عذر قوله وكان استقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم لما فيه من اظهار نفاقهم وكون خروجهم مع الغزاة مؤديا الى انواع من المفاسد فذلك لان استصحاب المنافقين في الغزوات وترغيبهم في الجهاد امر معلوم بالضرورة فلما منع هؤلاء من الخروج الى الغزو بعد استيذانهم له كان تصريحا بكونهم خارجين عن رمرة من كلف بالجهاد وهذا تفضيح واهانة لهم في حيوتهم ثم انه تعالى كلف رسوله صلى الله عم بان يفضحهم بعد الوفاة حيث قال ولا تصل منهم مات ابدا ولا تقم على قبره روى عن ابن عباس رضي الله عنه ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عم في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويصلي عليه اذا مات ويقوم على قبره ثم انه ارسل الى الرسول يطلب منه قميصه ليكفن فيه فارسل اليه القميص الفوقاني فرده فطلب الذي يلي جلده ليكفن فيه فقال عمر تعطي قميصك للرجس النجس فقال عم ان قميصي لا يغني عنه من الله شيئا ولعل الله ان يدخل به الفا في الاسلام وكانوا المنافقون لا يفارقون عبد الله فلما رأوه يطلب القميص منه ويرجوان ينفعه اسلم منهم الف فلما مات جاء ابنه يعرفه فقال عم لابنه صل عليه وادفنه فقال ان لم تصل عليه يا رسول الله لم يصل عليه مسلم فقام عم ليصلي فجاء عمر فقام بين رسول الله صلى الله عم وبين القبلة ليلا يصلي عليه فنزلت الآية واخذ جبرئيل عم بثوبه وقال لا تصل على احد منهم مات ابدا فاعرض عن الصلوة عليه وهذا بدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر فان الوحي كان ينزل على وفق قوله في ايات كثيرة منها هذه الآية ومنصب عال ودرجة رفيعة له في الدين فلذا قال عم في حقه لو لم ابعث لبعثت يا عمر نبيا قال قيل كيف يجوز ان يقال ان الرسول صلى الله عم رغب في ان يصلي عليه بعد ان علم كونه كافرا قد مات على كفره وان صلوته عليه

منقبة عمر رض

دعاله بالمغفرة فوذلك محظور لانه تعالى منعه من ان يستغفر للمشرك واعلمه انه لا يغفر الكفار البتة وايضا الصلوة عليه ودفع قميصه اليه يوجب اعزاز وهو ما مور باهانة الكفار فالجواب لعل السبب فيه انه لما طلب منه عم ان يرسل اليه قميصه الذي يمس جلده ليدفن فيه غلب على ظنه عم انه تاب عن نفاقه وآمن لان ذلك الوقت وقت توبة الفاجر وايمان الكافر فلما رأى منه اظهار الاسلام وشاهد منه هذه الامارة الدالة على الاسلام غلب على ظنه انه صار مسلما فلذلك رغب في ان يصلي عليه فلما نزل جبرئيل عم واخبره بانه مات على كفره ونفاقه امتنع من الصلوة عليه واما دفع القميص اليه فذكروا فيه وجوها منها ان العباس وم رسول الله لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طويلا فكساه عبد الله قميصه فهو عم انما دفع اليه قميصه مكافاة لاحسانه ذلك لا اعزازا له ومنها انه متى امره ان لا يرد سائلا بقوله واما السائل فلا تنهر فلما طلب عبد الله منه القميص دفعه اليه لهذا المعنى ومنها انه انما دفعه اليه بمقتضى كرمه وغلبة الرحمة والرافة عليه كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال فبما رحمة من الله لنت لهم فامتنع من الصلوة عليه رعاية لاولاده ودفع اليه القميص لاظهار الرافة والرحمة ومنها انه تعالى لعله اوحى الله اليه انك ان دفعت اليه قميصك صار ذلك حاملا لدخول الف نفر من المنافقين في الاسلام ففعل ذلك لهذا الغرض قوله وقيل صلى عليه ثم نزلت قال الامام الواحدي في الوسيط راويا عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه لما توفي عبد الله بن ابي جاء ابنه الى رسول الله صلى الله عم فسأله ان يعطيه قميصه ليكفن فيه اباه فاعطاه ثم سأله ان يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عم ليصلي عليه فقام عمر بن الخطاب فاخذ بثوب رسول الله صلى الله وم فقال يا رسول الله اتصلي عليه فقال وم انما خيرني الله فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عم فانزل الله تعالى ولا تصل على احد منهم رواه البخاري عن عبيد بن اسمعيل ورواه مسلم عن ابي بكر بن شيبة كلاهما عن ابي اسامة عن عبيد

الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قوله والمراد منصوب معطوف على الضمنة
في قوله لان الضمنة قوله ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدًا اي ولكون الاستغفار
ممنوعًا في حق من مات كافرا رتب النهي عن التصدق على الاحد الموصوف
بانه كان منهم والموصوف بانه مات ابدًا فان منهم صفة لاحد وكذلك جملة قوله
مات فانها ايضا في محل الجر على انها صفة احد وابدًا ظرف منصوب بمات
على ما اختاره المصنف وتفرد به كانه قيل لا تصل على احد منهم ميتٍ مات
ابدًا بان مات على الكفر قال الامام نقلًا عن الواحدي ان قوله تعالى مات
في موضع جر على انه صفة للنكرة كانه قيل على احد منهم ميت وقوله ابدًا
متعلق بقوله ولا تصل على احد يريد انه ظرف منصوب بالنهي والتقدير
ولا تصل على احد منهم وقال صاحب التيسير وفي الآية تقديم وتاخير و
تقديرها ولا تصل ابدًا على احد منهم مات قوله تكرير للتاكيد يعني ان هذه
الآية قد سبق ذكرها بعينها في هذه السورة ولا فرق بينهما الا في عبارات
مخصوصة اولها انه تعالى في الآية المتقدمة فلا تعجبك بالفاء وههنا قال
ولا تعجبك بالواو وثانيها انه تعالى قال هناك اموالهم ولا اولادهم وههنا
كلمة لا محذوفة وثالثها انه تعالى قال هناك انما يريد الله ليعذبهم و
ههنا قال انما يريد الله ان يعذبهم بكلمة ان بدل اللام ورابعها انه
قال هناك في الحيوة الدنيا وههنا حذف لفظ الحيوة فقيل هذه الآية
ليست للتاكيد لان ما سبق نزلت في حق قوم وهذه نزلت في اخرين
وقيل انها تاكيد للآية السابقة والمقام يقتضي التاكيد لان اشد ما يفتتن به
الانسان من اسباب الدنيا هي الاموال والاولاد فيجب التحذير عنها مرة بعد
اخرى قوله طامحة اي مرتفعة ناظرة يقال طمح بصره الى الشيء اذا ارتفع
قوله مغبطة اي مغبوطة والغبطة ان تتمنى مثل حال المغبوط من غير
ان تريد زوالها عنه والاكثار حسدًا تقول منه غبطته بما نال اغبطه غبطًا
وغبطة فاغتبط هو كقولك منعته فامتنع وحبسته فاحتبس قوله
ويجوز ان يراد بها بعضها وجعلها صاحب الكشاف نظير القرآن والكتاب

فلما

فكما ان كلا منهما يقع على الكل والبعض فكذا السورة ولا يخفى ان كلا منهما موضوع
للقدر المشترك بين الكل والبعض بخلاف السورة فانها ليست الا اسما للمجموع
فاطلاقها على البعض مجاز قوله ويجوز ان يكون المغترة لانه قد تقدمها ما هو
بمعنى القول وعلى الاول كانت مصدرية على حذف حرف الجر وفي قوله استاذنك
التفاوت من الغيبة الى الخطاب ومقتضى الظاهر ان يقال استاذنه بناء
على لفظ رسوله قوله وقد يقال الخالفة لا خير فيه الجوهري فلان خالفة اهل
بيته وخالف اهل بيته ايضا اذا كان لا خير فيه انتهى فالتاء للنقل من الوصفية
الى الاسمية ولعل الوجه في تسمية من لا خير فيه من الرجال خالفة كونه غير مجيب
الى ما دُعِيَ اليه من المهمات قال المفسرون كان يصعب على المنافقين تشبههم
بالخوالف فتنزل فهم هذه الآية تعييرا لهم وذمًا قوله معتذرين بالجد مصدر
جهد عيشهم بكسر الهاء يعني بكد واشتد قوله والمعذر اما من قذر في الامر
اذا قصر فقوله تعالى وجاء المعذرون معناه وجاء المقصرون في الجهاد بان توانوا
ولم يجدوا في من غير عذر والحاصل ان المصدر ذكر في لفظ المعذرين ثلث قراءة
الاولى تشديد الذال فقد والثانية التخفيف والثالثة تشديد العين والذال
وذكر للقراءة الاولى احتمالين الاول ان يكون اسم فاعل من باب التفعيل ومعناه
المقصر في الجهاد المتعذر بغير عذر المتصنع في اعتذاره والثاني ان يكون اسم
فاعل من باب الافتعال واصله المتعذر نقلت فتحة التاء الى العين وقلبت
التاء ذالا فادغمت في الذال التي بعدها والاعتذار قد يكون بالكذب كما في قوله
تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم فانه تعالى بين كون هذا الاعتذار كاذبًا
بقوله قل لا تعتذروا وقد يكون بالصدق كما في قول لبيد ومن يك حولًا كاملًا فقد
اعتذر يريد فقد جاء بعذر صحيح وقيل المعذر بالتشديد من يعتذر بلا عذر وقيل
المعذور بالتخفيف اسم فاعل من اعذر اذا اجتهد في العذر وبالغ فيه فيكون
صادقًا في اعتذاره يقال اعذر ت اليه اي اتيت العذر الصحيح على اولى قراءة هذه
القراءة يكون اعراب البادية صنفين صنفًا استاذنوا في التخلف معتذرين
بالعذر الصحيح وصنف منهم قعدوا وتخلفوا من غير استيذان فضلًا عن الاعتذار

واغا قعدوا جرأة على الله تعالى فهم المرادون بقوله تعالى وقعدوا الذين كذبوا وجعل القراءة الثالثة اسم فاعل من تذر بمعنى اعتذر اصله متعذرون وجعل هذه القراءة لحنا نباءً على ان التاء لا تدغم في العين لبعد المخرج فظهر باذكرنا ان الاختلاف في انهم كانوا محقين في الاعتذار او مبطلين انما هو على قراءة التشديد وعلى ان يكون المعذرون بمعنى المعتذرين لانه ان كان بمعنى المقصرين فهم مبطلون بالاخلاف وعلى قراءة التخفيف يكون محقين بالاخلاف قوله فيكون منزعا على قوله بالصحة لان المعتذر بالصحة لا يقال في حقهم انهم كاذبون في ادعاء الايمان ولا في الاعتذار قوله كالهرمى جمع هرم بكسر الراء يقال هو هرم وقوم هرمى والهرم بفتحتين كبر السن يقال هرم الرجل وابرمه الله عن ابن عباس رضي الله عنه انه فسر الضعفاء بالزمنى والمشايخ والعجزة فانهم وان كانوا اصحاء من حيث الابدان الا انهم ضعفاء ليس لهم قوة يقتدرون بها على الجهاد والمرض الذي بهم علة يرجى زوالها الا انه في الحال لا طاقة.

والناصح الخالص والنصح اخلاص العمل من الغش يقال نصح الشئ اذا خلص ونصح له في القول اخلصه له قال عم الدين النصيحة ثلثا قالوا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال العلماء النصيحة لله اخلاص الاعتقاد في الوحدانية ووصفه بصفات الالهية وتنزيهه عن النقايض والرغبة في محابه والبعد عما يسخطه والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته والتزام طاعته في امره ونهيه وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه وتوقيره ومحبة آل بيته وتعظيم سنته واحيائها بعد موته بالبحث عنها والتفقه فيها والذب عنها ونشرها والدعاء اليها والتخلق باخلاقه الكريمة والنصح لكتاب الله قراءته والتفقه فيه والذب عنه وتعليمه واكرامه والتخلق به والنصح لائمة المسلمين ترك الخروج عليهم وارشادهم الى الحق وتنبيتهم فيما اغفلوه من امور المسلمين ولزوم طاعتهم والقيام بواجب حقهم والنصح لعامة المسلمين ترك معاداتهم وارشادهم وحب الصالحين منهم والدعاء لجميعهم وارادة الخير لكافتهم فقوله تعالى في هذه الآية اذا نصحوا لله ورسوله معناه اذا خلصوا الايمان لله ولرسوله

مطلب
الدين النصيحة

واشتملوا

واشتملوا اخر ما نافع جميع الامور ومعظمها ان لا ينفشوا ما سمعوه من الارجيف وان لا يثيروا الفتن وان يسعوا في ايصال الخير الى المجاهدين ويتعوا باصلاح مهمات بيوتهم ويسعوا في ايصال الاخبار السارة من بيوتهم اليهم وهذا كله بعد اخلاص ايمانهم واعمالهم من الغش والرياء وكلمة من في قوله من سبيل زائدة اى ما على المحسنين سبيل اى لا اثم عليهم بسبب القعود عن الجهاد لانخراطهم في سلك المحسنين حيث اتوا ما في وسعهم من النصح لله ورسوله قوله عطف على الضعفاء اى ليس شئ من حرج ثابتا على كذا وكذا ولا على الذين وان كان معطوفا على المحسنين بكون المعنى ليس شئ من سبيل ثابتا على المحسنين ولا على الذين قوله وهم البكاؤن ان قال المفسرون المراد بقوله تعالى ولا على الذين سبعة نفر من الانصار سموا البكائين قوله حزنا نصب على العلة والعامل فيه تفيض فان قيل فاعل الفيض مغاير لفاعل الحزن لان الفيض قد اسند الى الاعين والحزن صادر من اصحاب الاعين واذا اختلف الفاعل وجب جر المفعول له بالحرف فكيف نصب ههنا قلنا ان الحزن قد يسند الى العين ايضا مجازا فيقال عين حزينة وسخينة وعين مسرورة وقريرة في ضد ذلك ويجوز ان يكون العامل فيه تولوا اخ يتحد فاعلا العلة والمعلول حقيقة ويجوز ان يكون حزنا حالا من فاعل تولوا اومن فاعل تفيض اى تولوا حزينين او تفيض اعينهم حزينة على ما تقدم من المجاز ويجوز ان يكون مصدرا منصوبا بفعل مقدر من لفظه اى يحزنون حزنا وهذه الجملة التي قدرناها ناصبة لهذا المصدر في محل النصب على الحال اومن فاعل تولوا اومن فاعل تفيض قوله ليجدوا متعلق بحزنا هذا على تقدير ان يكون حزنا مفعولا له اوحالا واما اذا جعل مصدرا فلا يجوز ذلك لان المصدر لا يعمل اذا كان مؤكدا لعامله قوله لانه لكن تصدقكم اشارة الى ان الجملة استيناف لبيان وجه نهيهم عن الاعتذار لان المعتذر اذا علم ان عذره لا يقبل وجب ان يمتنع عنه وكذا قوله تعالى قد نبأنا الله فانه ايضا علة لانتفاء التصديق وما حكى الله عنهم انهم يعتذرون ذكر بقوله سيحلفون بالله لكم انهم كانوا يؤكدون تلك الاعتذار بالايمان الكاذبة والمعنى انهم سيحلفون

على انهم ماقدروا على الخروج وحلفوا على ذلك لترضوا عنهم اى لتصفحوا عنهم ولترضوا
عن لومهم وتعنيفهم قال ابن عباس قوله تعالى فاعرضوا عنهم يريد لاتكلموا
كلامهم وسلامهم وقال اهل المعانى انهم طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض
المقت حيث امر الله تعالى رسوله والمؤمنين ان يظهروا لهم الاستخفاف بهم
ويعرفوهم ان اقدارهم وضع من ان يصلحوا الصحبة رسول الله صلى الله عم
والمؤمنون قوله لاينفع فيهم التأنيب وهو اللوم والتعنيف قوله
يجوز ان يكون مصدرا الى لفعل مقدر من لفظه الا يجزون جزاء او ملضمون
ماقبله فان قوله تعالى ماؤيهم جهنم نوع من يجزون بعذاب جهنم ثم انه تعا
بعد ما بين انهم يحلفون بالله ليترضى المسلمون عن ايذائهم بين ايضا انهم
يحلفون ليرضى المسلمون عنهم فيستديموا عليهم ماكانوا يفعلون بهم قوله
وان اكلفهم ان يلبسوا اى عليكم على ان يكون قوله تعالى فان ترضوا عنهم كناية
عن تلبيسهم على المؤمنين بالايمان الكاذبة قوله اهل البدو اشارة الى ان
الاعراب وان كان على صورة الجمع لعرب كخجر واحجار الا انه ليس جمعا له والا
لزم ان يكون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو فلا يطلق الا على من
يسكن البوادى فقط فعلى هذا يكون العرب اعم من الاعراب وقيل العرب
هم الذين استوطنوا المدن والقرى والاعراب اهل البدو فعلى هذا هما
متباينان قال اهل اللغة يقال رجل عربى اذا كان نسبه فى العرب
وجمعه العرب كما يقال مجوسى ويهودى ثم تحذف ياء النسبة فى الجمع
فيقال مجوس ويهود ورجل اعرابى بالالف اذا كان بدويا يطلب
مساقط العشب والكلاء سواء كان من العرب او من موالهم وجمع الاعرابى
على الاعراب والاعاريب والاعرابى اذا قيل له يا عربى فرح والعربى اذا قيل له
يا اعرابى غضب فمن استوطن القرى العربية فهم عرب ومن نزل البادية
فهم اعراب ويدل على الفرق قوله عم حب العرب من الايمان واما الاعراب فقد
ذمهم الله تعالى فى هذه الآية فقد ظهر مما قررنا ان الاعراب جمع اعرابى وقد تقرر
ان الاصل فى الجمع المختم بالالف والتاء ان ينصرف الا لعهود السابق فان لم

الصنف الخاص من بنى آدم سواء سكن البوادى او القرى واما الاعراب فانه لا يطلق هم ص

الفرق بين العرب والاعراب

فان لم يوجد المعهود السابق حمل على الاستغراق للضرورة اذ لو لم يحمل عليه لزم
الاجمال فلذلك قال بعض العلماء المراد بالاعراب ههنا جمع معينون من
منافقى الاعراب كانوا يوالون منافقى المدينة فصرفوا هذا اللفظ اليهم وفى
التيسير ان هذه الآية تتصل بقوله وجاء المعذرون من الاعراب اى سكان
البوادى اذا كانوا كفارا ومنافقين وهم اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر
وذلك لان اهل البدو وتشبهون الوحوش فهم مجبولون على الامتناع عن
الطاعة والانقياد ولان استيلاء الهوى الحار اليابس يزيدهم قساوة قلوبهم
ومن تستتبع البلادة التكبر والفخر والطيش عن الحق ولان من لم يدخل تحت
تأديب مؤدب ولم يخالط لاهل العلم والمعرفة ولم يستمع لكتاب الله ومواعظ
رسوله عم وبيانات الشافية كيف يكون مساويا لمن اصبح وامسى فى صحبة اهل
العلم والحكمة مستمعا لمواعظ الكتاب والسنة وان شئت ان تقف الفرق بين
اهل الحضر والبادية فقال بل الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ومن كان ابعد
عن سماع القرآن والسنن كان اجدر واولى واحق بان لا يعلموا حدود
العبادات والشرايع المنزلة من الله على رسوله قوله غرامة وحسرانا اشارة
الى ان المغرم مصدر بمعنى الغرامة وهى التزام مالا يلزم وهو لا يكون الا بضياع
راس المال فلذلك عطف عليه قوله وخسرانا واصلها الملازمة ومنها الغريم
للزوم من يطالبه ومن فى قوله من يتخذ اما موصولة او موصوفة فى
محل الرفع على الابتداء ومن الاعراب خبره ونغرما مفعول ثان ليتخذ لانه بمعنى
يعد ويتربص عطف على يتخذ عطف صلة على صلة او صفة على صفة والتربص
الانتظار والدوائر جمع دائرة وهو يحيط بالانسان من مصيبة ونكبة فمعنى
تربص الدوائر انتظار المصائب بان ينقلب الزمان على المسلمين بموت
الرسول عم وغلبة الكفار عليهم قوله وتوبة جمع توبة وهى اسم من تاب امر
وانتابه اى اصابه والنائبة المصيبة واحد نوائب الدهر والعقبة التوبة
وقوله والسوء بالفتح مصدر اى هو مصدر قولك ساءنى يسوءنى والاضافة
فيه مما اضافة الموصوف الى صفته وصفت الدائرة بالمصدر فى الاصل

للمبالغة كما في خير رجل عدل ثم اضيفت الى صفتها كما في قوله تعالى ما كان ابوك امرأ سوء وقوله وظننتم ظن السوء والسوء بالضم اسم يطلق على ما هو من قبيل المكروه والبلاء قيل لو لم تضف الدائرة الى السوء عرف منها ومعنى الشرلان دائرة الدهر لا تستعمل الا في المكروه فالمعنى يدور عليهم البلاء والحزن فلا يرون في محمد ودينه الا ما يسوءهم قوله وفي الفتح اي في الثانية مما في سورة الفتح واما الاولى مما فيها فقد اتفقت القراء السبعة على فتح سينها وبما ما وقع في قوله تعالى والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء قوله تعالى والسابقون الاولون الآية اتصاله بما قبله انه تعالى لما ذكر فضائل الاعراب الذين يتخذون ما ينفقونه سبب قربات حاصلة لهم في حكم الله تعالى وما اعد الله لهم من الثواب بين ان فوق منزلتهم منازل اعلى واعظم منها وهي منازل السابقين الاولين واختلفوا في ان السابقين من المهاجرين والانصار من هم فعن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة وجماعة غيرهم انهم الذين صلوا الى القبلتين فانهم سابقون اولون بالنسبة الى من صلى بعد تحويل القبلة الى الكعبة وعن عطاء بن ابي رباح انهم اهل بدر فانهم السابقون فضلا وزمانا بالنسبة الى من لم يشهد وقعة البدر وعن الشعبي انهم الذين شهدوا بيعة الرضوان بالحديبية وعن ابي مسلم ان المراد بهم من تقدم موته بعد الاسلام من الشهداء وغيرهم قال الامام والصحيح عندي ان المراد بالسابقين من المهاجرين السابقون في الهجرة ومن السابقين من الانصار السابقون في النصرة واستدل عليه بانه تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين انهم سابقون فيما اذا فبقي اللفظ مجملا الا انه تعالى لما وصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا علم ان المراد من السبق في الهجرة والنصرة ازالة للاجمال عن اللفظ وايضا كل واحدة من الهجرة والنصرة لكونه فعلا شاقا على النفس مخالفا للطبع طاعة عظيمة فمن اقدم عليه اولا صار قدوة لغيره في هذه الطاعة وكان ذلك منفرا لقلب الرسول عنهم وسببا لزوال الوحشة عن خاطره فلذلك اثنى الله تعالى عليهم لكونهم سابقا فيهما ورضي عنهم وارضاهم

بما تقدمه اعينهم حيث آمنوا وحال عدد المسلمين في مكة والمدينة قلة وضعف قوى الاسلام بسببهم وكثر عدد المسلمين باسلامهم وقوي قلبه عم بسبب دخولهم في الاسلام واقتداء غيرهم بهم فكان حالهم فيه كحال من سن سنة حسنة فيكون له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة ثم ان العلماء اختلفوا في ان المدح الحاصل في هذه الآية هل يتناول جميع الصحابة ام يتناول بعضهم فقيل انه لا يتناول الا قدماء الصحابة لانهم الذين سبقوا في الهجرة والنصرة وان كلمة من تفيد التبعيض وقيل انه يتناول جميع الصحابة لان جملتهم موصوفون بكونهم سابقين اولين بالنسبة الى سائر المسلمين وكلمة من ليست للتبعيض بل للتبيين اي والسابقون الاولون الموصوفون بوصف كونهم مهاجرين وانصارا كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وكثير من الناس ذهبوا الى هذا القول روى عن حميد بن زياد انه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي الا تخبرني عن اصحاب الرسول فيما كان بينهم واردت الفتنة فقال لي ان الله قد غفر لجميعهم واوجب لهم الجنة في كتابه لمحسنهم ومسيئهم فقلت له وفي اي موضع اوجب لهم الجنة قال سبحان الله ألا تقرأ قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية فبعلم انه تعالى اوجب لجميع اصحاب النبي عم الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطا قلت وما ذلك الشرط قال شرط عليهم ان يتبعوهم باحسان وهو ان يقتدوا بهم في اعمالهم الحسنة ولا يقتدوا بهم في غير ذلك او يقال هو ان يتبعوهم باحسان في القول وان لا يقولوا فيهم سوءا وان لا يوجهوا الطعن فيما اقدموا عليه قال حميد بن زياد فكاني ما قرأت هذه الآية قط وقيل اصحابنا محمودون على ان افضلهم الخلفاء الاربعة ثم السنة الباقون الى تمام العشرة ثم البدريون ثم اصحاب احد ثم اهل بيعة الرضوان بالحديبية قوله وقرئ بالرفع يعني ان الجمهور عطفوا الانصار عطفا على المهاجرين والمعنى ان السابقين من هذين الجنسين شأنهم كذا وقرأ جماعة كثيرة برفعهما عطفا على السابقين فعلى هذه يكون السبق صفة للمهاجرين فقط وعلى القراءة الاولى يكون صفة للجميع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وينبغي ان يكون كلمة من في القراءة الثانية للتبيين اذ لا وجه لتخصيص الحكم ببعض
المهاجرين وتعميم لجميع الانصار سُمّي اهل المدينة انصارا مع ان المهاجرين
ايضا نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم نصروا رسول الله والذين هاجروا
اليهم من المؤمنين لما جاؤهم فآووهم ونصروهم ثم اجتمعوا جميعا على نصرة
النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوات واعلم انه تعالى شرح احوال منافقي
المدينة ثم ذكر بعض احوال منافقي الاعراب ثم بيّن ان في الاعراب من هو مؤمن
صالح مخلص ثم بيّن ان رؤساء المؤمنين منهم وهم السابقون المهاجرون
والانصار فذكر بقوله وممن حولكم من الاعراب منافقون ان جماعة ممن
يسكن حول المدينة موصوفون بالنفاق وانتم لا تعلمون انهم كذلك وهم مزينة
وجهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها قوله عطف على ممن حولكم
فيكون المجرور اي مشتركين في الاخبار عن المبتداء او هو قوله منافقون كائنة
قبل المنافقون من قوم حولكم ومن اهل المدينة فالكلام على هذا من عطف المفردات
حيث عطف خبر على خبر فيكون قوله مردوا مستانفا لا محل له على انه جواب
لمن قال ما حالهم وجوز من المصنف ان يكون مرّدوا صفة لقوله منافقون
وقد فصل بينه وبين صفته بقوله ومن اهل المدينة والتقدير وممن حولكم
ومن اهل المدينة منافقون مارِدون ولا يخفى ان الفصل بالمعطوف بين الصفة
وموصوفها قبيح يشبه قولك في الدار زيد وفي القصر العاقل قوله او خبر
لمحذوف اي ويجوز ان يكون قوله تعالى ومن اهل المدينة خبرا لمبتداء محذوف
يدل موصوف بقوله مرّدوا فحذف الموصوف واقيمت صفته مقام الموصوف
والتقدير ومن اهل المدينة قوم او ناس مردوا كما تقولوا منا ظعن ومنا اقام
وكما قال انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني اي انا ابن رجل
كشف الامور وطلاع ثنايا الجبال وهو كناية عن قصد عظايم الامور متى اضع
العمامة والبس آلة الحرب تعرفوني اقراني وشجاعتي قوله لا تعرفهم فسّر
العلم بالمعرفة لان جعله على اصله معناه كوّج الا ان يجعل المفعول الثاني مقدرا والتقدير
خلاف الاصل لا يرتكب من غير ضرورة ويفهم من اسلوب كلامه انه جعل العلم

ز قوله

ز قوله نحن نعلمهم ايضا بمعنى المعرفة وهو يستلزم اسناد المعرفة اليه تعالى وهو
لا يجوز كما صرح به بعض العلماء قوله بالفضيحة وذلك ما روي انه عم قام
خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج من المسجد ناسا
وفضحهم فذا هو العذاب الاول والعذاب الثاني هو القتل والسبي قوله
وتمزق الابدان اي جعلها ضعيفة قريبة من التلاشي والاضمحلال عن ابن عباس يريد
الامراض في الدنيا وعذاب الاخرة فان مرض المؤمن يفيد تكفير السيئات
ومرض الكافر تعذيب محض قوله تعالى وآخرون عطف على قوله منافقون
اي وممن حولكم آخرون او من اهل المدينة آخرون ويحتمل ان يكون مبتداء
واعترفوا صفته والخبر قوله خلطوا قال الواحدي ز الوسيط اي ومن اهل
المدينة اخرون اعترفوا اي اقروا بذنوبهم عن معرفة والآية نزلت في قوم من
المؤمنين كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك كسلا لا نفاقٍ ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا
وقيل انهم قوم من المنافقين تابوا عن النفاق لان عطفهم على ما قبلهم يوهم التشريك
الا انه تعالى وفقهم للتوبة قوله والواو اما بمعنى الباء جواب عما يقال
ان الخلط يستدعي مخلوطا ومخلوطا به وفي الآية قد عطف احد المخلوطين بالآخر
فما المخلوط به اجاب عنه اولا بان الواو مستعار بمعنى الباء بناء على ان الواو
للجمع والباء للالصاق من وادٍ واحدٍ فصح ان يستعمل ما وضع لاحدهما فيما وضع
له الآخر بطريق الاستعارة كملءَ قولهم بعت الشاء شاة ودرهما اي شاة
بدرهم وثانيا بان المخلوط به في كل واحد من الخلطين هو المخلوط ز الخلط
الآخر لان الخلط لما اقتضى مخلوطا به فهو اما الآخر او غيره والثاني منتف بالاصل
وبالقرينة لدلالة سياق الكلام ز مثل قولك خلطت الماء واللبن على ان كلّ
واحد منهما مخلوط ومخلوط به وهو ابلغ من ان يقال خلطت الماء باللبن اذ
عينت المخلوط والمخلوط به يكون الخلط واحدا يقصد احد متعلقيه اولا
ويجعل مخلوطا بالآخر واذا قلته بالواو يكون الخلط متعددا يقصد كل واحد
من المتعلقين في كل من الخلطين فيجعل مخلوطا بالآخر فيكون الماء واللبن مخلوطين
ومخلوطا بهما فكانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء فيكون ما قلته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالواو ايذانا بالباء قوله تعالى عسى الله ان يتوب عليهم قال المفسرون عسى من الله تعالى يدل على الوجوب لان كلامه تعالى ينزل على حسب ما يتعارفه الناس والسلطان العظيم اذا التمس الناجح منه شيئا فانه لا يجيب الا بما يزيل عن المترجي والطمع كلعل وعسى تنبيها على انه ليس لاحد ان يلزمني شيئا وانى لا افعل ما افعله الا على التفضل والكرم فهذا المعنى هو فايدة ذكر عسى ولعل في مثل هذا الموضع قوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم ان من تاب من المتخلفين لما بذلوا اموالهم للصدقة اوجب الله تعالى اخذها وصار ذلك معتبرا في كمال توبتهم جاريا مجرى الكفارة وليس المراد منه الصدقة الواجبة والا لما قال عم ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا وانما المقصود منه كفارة الذنوب ويدل عليه ايضا ما روى انه عم اخذ الثلث وترك الثلثين والصدقة الواجبة لا تؤخذ هكذا وقيل هذا كلام مبتدا والمقصود منه ايجاب اخذ الزكوات من الاغنياء عليه واليه ذهب اكثر الفقهاء قالوا اوجب الله تعالى ان يؤخذ منهم بعض اموالهم وان القدر الماخوذ طهرة لهم فانه قد روى ان الصدقة اوساخ اموال الناس وغسالتها فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ فكان دفعها جاريا مجرى التطهير والتزكية قيل انها مبالغة في التطهير وقيل التزكية بمعنى الاغاء وقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة يدل على ان القدر الماخوذ بعض تلك الاموال لا كلها وان مقدار ذلك البعض غير مذكور ههنا بصريح اللفظ بل المذكور ههنا قوله صدقة ولفظ صدقة وان كان نكرة يصح اطلاقها على اى جزء كان وان كان في غاية القلة والحقارة الا ان المقصود ليس ايجاب اخذ القدر المبهم على الاجمال فوجب ان يكون المراد صدقة معلومة الصفة والكيفية والكمية عندهم حتى يكون قوله خذ من اموالهم صدقة امرا باخذ تلك الصدقة المعلومة التي وصفها رسول الله صلى الله عم وبين كميتها وكيفيتها وحينئذ يزول الاجمال ويكون قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة امرا باخذ تلك المقادير التي بينها الرسول الله صلى الله عم قوله واعطف عليهم بالدعاء

عن ابن عباس رضى الله عنه معنى الصلوة عليهم ان يدعو لهم وقيل معناه ان يقول اللهم صل على آل فلان كما روى عنه عم ان آل ابى اوفى لما اتوه بالصدقة قال لهم اللهم صل على آل ابى اوفى قوله تسكن اليها نفوسهم يعني ان سكن فعل بمعنى مفعول كالنقض بمعنى المنقوض وقيل السكن الطمانينة وقيل الرحمة قوله وجعها اى قرا من بقى من حمزة والكسائى وحفص ان صلواتك ملهنا وفي هود اصلواتك تامرك بالف بعد الواو والمفتوحة في الموضعين قوله والمراد ان يتمكن في قلوبهم قبول توبتهم يعني ان الكلام وان ورد على صورة الاستفهام الا ان المراد منه ان يقدر في نفوسهم انه تعالى يقبل توبة التائبين ويقبل صدقاتهم فطاعاتهم فانه تعالى لما حكى عنهم انهم تابوا وتصدقوا ولم يذكر هناك الا قوله عسى الله ان يتوب عليهم وهو ليس بصريح في قبول توبتهم ذكر في هذه الآية انه يقبل التوبة ويأخذ الصدقات بشارة لهم بقبول ما فعلوه وترغيبا للعصاة في التوبة والطاعة وان كان ضمير يعلموا لغير التائبين يكون المقصود ترغيبهم في التوبة والطاعة فقد روى انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم اليوم فنزلت قوله لتضمنه معنى التجاوز فان قوله تعالى يقبل التوبة في قوة ان يقال يتجاوز عن عباده بقبول توبتهم قوله يقبلها جعل قوله تعالى يأخذ الصدقات استعارة تبعية لان الاخذ حقيقة هو الرسول عم لقوله خذ من اموالهم صدقة ثم من عينه لاخذها كما قال عم لمعاذ خذها من اغنيائهم وردها الى فقرائهم فانه يدل على ان اخذ تلك الصدقات هو معاذ يأخذها ليصرفها الى الفقراء فالاخذ بالمال هم الفقراء فوجب ان يكون الاخذ المسند اليه تعالى بمعنى القبول قوله وقرا نافع وحمزة والكسائى وحفص عن عاصم مرجون بواو ساكنة بدون الهمزة والباقون وهم ابن كثير وابو عمر وابن عامر وابو بكر عن عاصم مرجؤن بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة كقراءتهم في الاحزاب ترجئ بالهمزة وهما لغتان يقال ارجاته وارجاته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

التأخير ومنه ارجه وترجئ بالهمزة وهما لغتان وأرجاه اى امهله وأخره وسميت
المرجئة بهذا الاسم لانهم يؤخرون العمل عن الايمان الذى هو الاعتقاد
فى الرتبة ويقولون لايضر مع الايمان معصية كما لاينفع مع الكفر الطاعة ومنهم
من يقول الايمان هو المعرفة بالله والخضوع والمحبة بالقلب فمن اجتمعت
فيه هذه الصفات فهو مؤمن ولايضر معها ترك الطاعة وارتكاب المعاصى
ولا يُعاقب عليها وابليس كان عارفا بالله وانما كفر باستكباره، وترك الخضوع
لله تعالى كما يدل قوله تعالى ابى واستكبر وكان من الكافرين وفى الحواشى
العقيبة المرجئة هم الذين لايقطعون على اهل الكبائر بشئ من عقوبة او عفو
بل يؤخرون الحكم فى ذلك الى يوم القيمة قال الامام وسميت المرجئة بهذا الاسم
لانهم لايجزمون على القول بغفرة التائب ولكن يؤخرونها الى مشية الله
وقال الاوزاعى يؤخرون العمل من الايمان ثم قال واعلم انه قسم المتخلفين
عن الجهاد ثلثة اقسام اولهم المنافقون الذين مرد واعلى النفاق والثانى التائبون
وهم المرادون بقوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم وبين الله تعالى انه قبل توبتهم
والقسم الثالث هم الذين بقوا موقوفين وهم المذكورون فى هذه الآية
والفرق بين القسم الثانى وهذا الثالث ان اولئك سارعوا الى التوبة حتى
شدا بو لبابة واصحابه انفسهم على سوارى المسجد واظهروا الجزع والندم على
ما فعلوا بخلاف هذا القسم الثالث وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع
وهلال بن أمية فانهم كانوا مياسير تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
غزوة تبوك ولم يبدوا لتخلفهم الاعتذار كما فعل غيرهم روى عن ابن عباس
ان هذه الآية نزلت فى كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية
فقال كعب لنا تأخرنا اهل المدينة جملا فمتى شئت لحقت الرسول فتأخر
اتيانا وآيست بعدها من اللحوق به فندم على صنعه وكذلك صاحباه فلما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل لكعب اعتذر اليه من صنعك فقال لا والله حتى
ينزل توبتى واتا صاحباه فاعتذر اليه عليه السلام فقال ما خلفكما عنى فقالا لاعذر لنا
الا الخطيئة فنزل قوله تعالى وآخرون مرجون لامر الله فوقفهم الرسول عليه السلام بعد

نزول

نزول هذه الآية ونهى الناس عن مجالستهم وامرهم باعتزال نسائهم وارسلت امرأة
الى اهاليهن فجاءت امرأة هلال تسأل عن تأتيه بطعامه فانه شيخ كبير فاذن
لها فى ذلك خاصة وجاء رسول من الشام الى كعب يترغبه فى التحاق بهم فقال
كعب بلغ من خطيئتى ان طمع فىّ المشركون قال فضاقت على الارض بما رحبت
وبكى هلال بن أمية حتى خيف على بصره فجعل ناس يقولون هلكوا وآخرون
يقولون عسى الله ان يغفر لهم فصاروا مرجئين لامر الله اما يعذبهم واما
يرحمهم حتى نزلت توبتهم بعد ما مضى خمسون يوما بقوله تعالى لقد تاب
الله على النبى عم الى قوله وعلى الثلثة الذين خلفوا الآية اخر الله تعالى
امرهم مدة ثم بين توبتهم على اجمل الوجوه حيث قرن توبتهم بتوبته
على النبى عم والمهاجرين والانصار قوله والترديد للعباد جواب عما
يقال كلمة اما واما للشك والله تعالى منزه عنه فما وجه ايرادها ههنا فاجاب
عنه بان كلمة اما ههنا للشك العباد مثل كلمة او فى قوله تعالى اويزيدون
ويعلل فى قوله لعله يذكر فالمعنى ليكن امرهم عندكم بين الخوف والرجاء فجعل
الناس يقولون هلكوا اذ لم ينزل الله لهم عذرا واخرون يقولون عسى الله ان
يغفر لهم قوله وقرأ نافع وابن عامر بغير واو لموافقة مصاحفهم فان مصاحف
المدينة والشام حذفت منها الواو وفى مصحف غيرهم الواو ثابتة ومن
اسقط الواو يحتمل ان يجعل قوله تعالى الذين اتخذوا بدلا من قوله وآخرون
مرجون او يجعله مبتدأ وخبره يحتمل ان يكون قوله امن اسس بنيانه بحذف
العائد تقديره بنيانه منهم ويحتمل ان يكون قوله لايزال بنيانهم وفيه بعد لطول
الفصل ويحتمل ان يكون قوله لاتقم فيه بحذف العايد اى فى مسجدهم قوله
مضارة للمؤمنين اشارة الى ان ضرارا مفعول له لقوله اتخذوا وان مستلق المصدر
محذوف اى اتخذوه لضرار المؤمنين ولسائر الامور المذكورة وهى امور ثلثة
الكفر بالتشبيه عم وما جاء به وان يفرقوا بسببه جماعة المؤمنين وان يتربصوا
او ينتظروا مجئ من حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار وهو ابو عامر
الراهب والذى صنعه الذى استشهد يوم أحد وغسلته الملائكة وابو عامر

الراهب سماه رسول الله صلى الله عم الفاسق وكان قد تنصر في الجاهلية
وترهب ولبس المسوح وتعلم علم النصارى فلما بعث رسول الله صلى الله عم
حسده وعداه لانه زالت رياسته وقال له عم لا اجد قومًا يقاتلونك الا
قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج الى
الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا واما استطعتم من قوة وسلاح
وابنوا لي مسجدًا فاني آت من قيصر بجند وبخرج محمدًا واصحابه من المدينة
فبنوا هذا المسجد وانتظروا مجيء ابي عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد والارصاد
الانتظار مع العداوة قاله الزجاج وقال الاكثرون الارصاد الاعداد
يقال ارصدت له اذا اعددت له قوله ومات بقنسرين بكسر القاف
وتشديد النون تكسر وتفتح وهو اسم بلدة بالشام روى انه عم لما قدم
المدينة قال الراهب الفاسق له عم ما هذا الذي جئت به قال عم
جئت بالحنفية دين ابراهيم قال ابو عامر فانا عليها فقال عم لست
عليها قال اللعين بلى ولكنك ادخلت في الحنفية ما ليس منها فقال عم ما فعلته
ولكني جئت ببيضاء نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب طريدا وحيدا
فقال عم آمين وسماه ابا عامر الفاسق فخرج الى الشام ومات بها طريدا
وحيدا واللام في قوله تعالى لمسجد لام الابتداء وقيل انها لام جواب قسم محذوف
اي والله لمسجد اسس اي بني اصله على التقوى وعلى التقديرين قوله لمسجد
مبتدأ واسس صفته واحق خبره والقايم مقام الفاعل ضمير المسجد على
حذف المضاف اي اسس بنيانه او وضع اساس بنايه واختلف في المسجد
الذي اسس على التقوى فذهب قوم الى انه مسجد قباء وهو الاوفق للقصة
لان الموازنة بين مسجدين كانا في قباء اوقع من الموازنة بين مسجد المدينة
ومسجد الضرار الذي بنا بقباء روى عن ابن عمر قال كان عم ياتي مسجد
قباء كل سبت ماشيا وراكبا وكان عبد الله يفعله وزاد نافع عن ابن عمر عن
رسول الله صلى الله عم فيصلي فيه ركعتين وقال آخرون هو مسجد المدينة
واختاره سعيد بن المسيب وذكر ان رجلين اختلفا فيه فقال احدهما هو

مسجد قباء فسادلا النبي عم عنه فقال هو مسجد هذا وقال عم ما بين
بيتي منبري روضة من رياض الجنة على حوضي والظاهر ان قوله تعالى لمسجد
اسس لكنه موصوفة فلا يجب حملها على واحد معينة بل تتناول على سبيل
البدل كل مسجد اتصف بالوصف المذكور قوله ومن يعم الزمان والمكان
اختار ما ذهب اليه الكوفيون من ان كلمة من لابتداء الغاية في الزمان كما تكون
لابتداء الغاية في المكان استدلالا بهذه الآية الكريمة وبقوله من الصبح حتى
تطلع الشمس لانه لا يقال من القوم الا خارجيا متسوما وبقوله لمن الديار بقنة
الحجر اقوين من حجج ومن شهر والقنة بالضم اعلى الجبل كالقلة ومنزل قواء
اي لا انيس به يقال اقوت الدار فويت ايضا اي خلت عن البصريين ان
من لا تدخل على الزمان والذي لابتداء الغاية في الزمان هو منذ ومذ يعني ان من
لا يجر بهما الا زمان واما يجر الازمان منذ تقول ما رايته منذ شهر ومنذ سنة
فمنذ في الزمان بمنزلة من في غيره فكل موضع دخل كلمة من فيه على الزمان
يقدرون فيه شيئا غير الزمان فيقدرون المضاف في الآية وفي كل واحد
من البيتين فتقدير الآية من تاسيس اول يوم فدخلت على مصدر الفعل الذي
هو اسس وتقدير البيتين من طلوع الصبح ومن متى شهر
والبصريون اما يمنعون كون من لابتداء الغاية في الزمان ولا يقولون انها لا تكون
الا لابتداء الغاية في المكان حتى يحتاج ان يقال المضاف المقدر في هذه
المواضع ليس بمكان حتى تكون من فيها لابتداء الغاية قوله اولى بان تصلي فيه
فان قيل كواحد المسجدين اولى بان يصلي فيه لا يوجب المنع من الصلوة في
المسجد الآخر فكيف يكون قوله تعالى لمسجد اسس على التقوى احق ان
تقوم فيه علة للنهي المذكور بقوله لا تقم فيه ابدا اجيب بان التعليل وقع
بمجموع الامرين اعني كون مسجد الضرار سببا للمفاسد الاربع المذكورة وكون
مسجد التقوى مشتملا على الخيرات الكثيرة فان قيل لم قال تعالى احق ان
تقوم فيه مع ان المفاسد المذكورة تمنع من جواز قيامه في الآخر والجواب ان
الكلام مبني على التنزل والمعنى انه لو جاز القيام في مسجد الضرار لكان القيام

القياس في مسجد التقوى اولى للسبب المذكور فكيف فالقيام فيه باطل
ويمكن ان يقال احق هنا ليس للتفضيل بل هو بمعنى حقيق اذ لا تفاضل
بين المسجدين قوله ان يتطهروا من المعاصي حمل التطهر على الطهارة
عن الذنوب والمعاصي لان اصحاب هذا المسجد ذكروا في مقابلة اصحاب
مسجد الضرار انهم وانهم قد وصفوا بمضارة المسلمين والكفر بالله والتفريق
والارصاد فينبغي ان يوصف مقابلوهم باضداد ما وصف به هؤلاء الاشقياء
وما ذلك الا بكونهم مبرئين عن الكفر والمعاصي وحمله على الطهارة عن الجنابة
قبل ان ينامو او على الاستنجاء بالماء بعد استعمال الاحجار ليس فيه هذا اللطف
ثم انه تعالى لما ذكر الذين اتخذوا مسجدا وبيّن ان الحامل لهم على بنائه تلك
المفاسد الاربع المذكورة وانهم يحلفون بالايمان الكاذبة على ان ليس غرضهم
من بنائه الا الرفق بالمسلمين والمعاونة على من عجز عن المصير الى مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب علة او حاجة او ليلة مطيرة او ليلة
شاتية ثم رجح مسجد التقوى بامرين احدهما انه بني اصله واساسه على
التقوى من اول يوم بُنِيَ ووضع اساسه وثانيهما ان فيه رجالا يحبون
ان يتطهروا والشرع في بيان تفاوت ما بين الفريقين فقال أفمن أسس
بنيانه الآية والبنيان مصدر كالغفران والمراد به ههنا المبنيّ واطلاق
لفظ المصدر على المفعول مجاز مشهور يقال ضرب الامير ونسج زيد
اي مضروبه ومنسوجه والتأسيس احكام اسّ البناء وهو اصله وقوله تعالى
على التقوى يجوز ان يتعلق بفعل أُسِّس فهو مفعول في المعنى وان يتعلق
بمحذوف على انه حال من الضمير المستكن في اسس ومحصول المعنى المؤسس
بنيانه متقيا يخاف الله ويرجو ثوابه ورضوانه خير ام المؤسس بنيانه غير
متقٍ ويجوز ان يراد بالبنيان بناء المسجد والمعنى اي الفريقين اولى بالخيرية
من اسس بناء المسجد مريدا به تقوى الله وطاعته وهم اهل مسجد قباء او
مسجد المدينة ام من اسس بنيانه على النفاق والكفر وتفريق المسلمين
وانتظار الكفار ان يأتوه فيقصد واكيد المسلمين ويحاربوا لتوهين امر الدين

الآن

الآن المص اختار ان يكون المراد بالبنيان بنيان الدين لانه انسب بتوصيف
اهل مسجد الضرار بمضارة المسلمين والكفر والتفريق والارصاد وتوصيف
اهل مسجد التقوى بانهم يحبون ان يتطهروا عن المعاصي وشفا الشيء
طرفه وشفيرة وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وجرفة السيول
اي تأكله وتذهب به وهار اي هائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم
والسقوط يقال هار الجرف يهور اذا انصدع من خلفه وهو نابت في مكانه
وهو جرف هارٍ اي هائر فاذا سقط فقد انهار وتهور ومعناه الساقط
الذي يتداعى بعضه في اثر بعض كما يهار الرمل والشيء الرخو وفاعل انهار
ضمير الجرف ويحتمل ان يكون ضمير البنيان او ضمير الشفا الا ان الاول اولى لان
انهيار الجرف يستلزم انهيار الشفا والبنيان جميعا وانهيار احدهما لا يستلزم
انهيار الجرف والهاء في به للبنيان او للباني المؤسس والباء فيه للتعدية
او للمصاحبة اي فانها مصاحبة له قوله وهو ما جرفه الوادي فيه توسع والمراد
ان الجرف هو جانب الوادي الذي قد اخذ السيل اصله وكونه هائرا عبارة
عن كونه متصدعا مشرفا على السقوط قوله تمثيلا لما بنوا عليه امر
دينهم وهو النفاق والشقاق فانه شبه بشفا جرف هارٍ اي بطرف جانب
من الوادي ذهب اصله بالسيل والتصدع فمال الى السقوط في قلة الثبات
وسرعة الانخراس فاستعير شفا الجرف للنية وقرينة الاستعارة وضع شفا
جرف في مقابلة التقوى فان التقوى حق وصواب فينبغي ان يراد بما ذكر
في مقابلة الباطل المستقبح وقوله فانهار به ترشيح للاستعارة لانه ملايم
للمستعار منه وهو المعنى الاصلي لشفا الجرف وهو طرف من جانب
الوادي الذي تحفر اصل ذلك الجانب بالماء والتصدع قوله وقرئ اسّاس
بفتح الهمزة وأُسُس بضم الهمزة وتشديد السين وبهما مع فتح الهمزة اضيفا الى
البنيان والأُسُس مقصور من الاساس وجمع الأُسِّ اسّاس مثل عِنَب وعِنَبة
وجمع الاساس أُسُس مثل قَذالٍ وقُذُلٍ وجمع الأُسُس اساسٌ مثل سبب
واسباب كذا في الصحاح فقول المص الأُسُس بضمتين والاسّاس بالمدّ و

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاساس بكسر الهمزة جمع اسّ محل بحث فان الاسّس جمع اساس والاساس جمع اسّس مقصور وجمع الاسّ بالضم اغا هو الاساس بالكسر الا ان الاسّ والاساس والاسّس لما كانت لغات بمعنى واحد جعلت بمنزلة لفظ واحد قوله وتقوى اى وقرئ على تقوى منونة وحكى هذه القراءة سيبويه ولم يرتضها الناس بناء على ان الفها للتأنيث فلا وجه لتنوينها وقالوا في توجيهها ان الفها للالحاق كالف ارطى وفي الصحاح وتترى فيها لغتان تنوّن مثل علقى فمن ترك صرفها فالف المعرفة جعل الفها الف تأنيث وهو اجود واصلها وتدرى من الوتر وهو الفرد قال تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى الا واحدا بعد واحد ومن نوّنها جعل الفها ملحقة قوله جوف بالتخفيف اى سكون الراء وهما لغتان كشغل وشغل قوله تعالى الذى بنوا وصف بنيانهم للدلالة على ان المراد بالبنيان ما هو المبنى حقيقة لا ما دبّروه من الامور فان البناء قد يطلق على تدبير الامر وتقديره كقولهم ابنى وتمّم وعليه قوله متى يبلغ البنيان يوما تمامه اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم جعل بنيانهم نفس الريبة للمبالغة في كونه سببا لها وكان شكهم في الدين ونفاقهم حاملا لهم على ان بنوا هذا المسجد كما قال ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا ثم كان ما بنوه سببا لتزايد شكهم ونفاقهم حيث حملهم ذلك على تحقيق مقتضيات النفاق والتدبير فيها ثم لما هدمه رسول الله صلى الله عم غاظهم ذلك وعظم عليهم هدمه فازدادوا تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فصار ذلك البناء كانه عين الشك والنفاق والمستثنى منه في قوله تعالى الا ان تقطع محذوف يعم سائر الاحوال والتقدير لا ينال بنيانهم ريبة في كل وقت الا وقت تقطع قلوبهم او في كل حال تقطيعها وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص تقطع بفتح التاء والاصل تتقطع بتاءين فحذف احديهما وعن كثير تقطع بفتح التاء وتسكين القاف ونصب قلوبهم على المفعولية والخطاب لرسول الله عم اى الا ان تفعل انت بقلوبهم هذا الفعل بقتلهم وقرأ الباقون تقطع بضم التاء على بناء المفعول فهو مضارع

قطع

قطع بالتشديد وقرئ بالياء لكون تأنيث القلوب غير حقيقي قوله تعليل للاثابة الله اياهم الجنة اذ لا يمكن حمل الكلام على الحقيقة لانه لا يجوز ان يشترى الله شيئا في الحقيقة لانه مالك الكل فان انفسنا مخلوقة له تعالى واموالنا رزقه فاخرج الكلام على صورة الاستعارة التمثيلية تلطفا في الدعاء الى الطاعة روى ان الانصار لما بايعوا رسول الله صلى الله عم ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة يا رسول اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الجنة بان لهم الجنة قوله بان لهم الجنة متعلق باشترى ودخلت الباء هنا على المتروك على ما هو الاصل فيها وتسمى باء المقابلة وباء العوض اشترى الله من المؤمنين الذى هو عبارة عن الجوهر الاصلي الباقي بدنه الذى هو مركبه وآلته في اكتساب الكمالات وماله الذى هو وسيلة الى رعاية مصالح هذا المركب فهو تعالى بمنزلة المشترى والمؤمن بمنزلة البايع وبدنه واموالهم بمنزلة المبيع والجنة بمنزلة الثمن قوله استيناف ببيان ما لاجله الشرا اى ببيان الصورة المشبهة بالشراء فان المقاتل في سبيل الله سواء قتل او قتل لما شاكله ينفق ماله في تلك السبيل ثم ان اتفق ان يكون مقتولا يبذل مع ذلك بدنه ايضا وانه تعالى يأخذ منه ماله وبدنه ويعطى بدله الجنة فالمراد بالشراء الذى اخبر الله تعالى بقوله اشترى من المؤمنين هذه الصورة المخصوصة المعينة فلما كان المطلوب من المفهوم الكلي الاجمالي صورة مخصوصة معينة صح للسائل ان يقول حين سمع قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ما المطلوب بهذا الشراء وما الصورة التي جعل الشراء المذكور عنوانا لاجلها فاجيب عنه بان يقال يقاتلون في سبيل الله فيبذلون انفسهم واموالهم فياخذ الله منهم ويعوض الجنة منها فعلى هذا الوجه لا يكون يقاتلون في معنى الامر وقيل انه امر في صورة الخبر كما في قوله تعالى تجاهدون في سبيل الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بامواكم وانفسكم قوله وقراء حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول الا بتقديم
كونهم مقتولين على كونهم قاتلين للاشعار بان طائفة كثيرة من المسلمين وآه
صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة بل يبقون بعد ذلك
مقاتلين مع الاعداء قاتلين لهم بقدر الامكان كما قال فما وهنوا لما اصابهم في
سبيل الله الى ما وهن من بقي منهم وقراء الباقون بتقديم المبني للفاعل على
المبني للمفعول للدلالة على انهم يقتلون ولا يرجعون عنهم الى ان يصيروا مقتولين
قوله مصدر مؤكد لما دل عليه الشراء يعني لا حاجة الى ان يقدر فعل من لفظ
المصدر لان مضمون الجملة السابقة يصلح ان يكون ناصبا للمصدر لكونها
في معنى وعد الله لهم الجنة في مقابلة ما بذلوه من انفسهم واموالهم وحقا
نصب للمصدر وعليه حال من حقا لانه لو تاخر عنه لكان صفة له فلما تقدم
عليه انتصب حالا قوله مذكور اشارة الى ان قوله في التوراة متعلق
بمحذوف هو صفة للوعد فيكون المعنى ان الوعد بالجنة للمقاتلين في سبيل
الله من هذه الامة مذكور في كتب الله المنزلة قوله مبالغة في الانجاز لان
قوله ومن اوفى بعهده الاستفهام بمعنى الانكار اي لا احد اوفى بما وعد من
الله واوفى افعل التفضيل وقوله من الله صلته وهذه الآية مشتملة على انواع
من التاكيدات فاولها كون المشتري هو الله المقدس عن الكذب والحيلة
اقوى دليل تاكيد هذا الوعد وثانيها انه عبر عن المقصود الذي هو الوعد
بالجنة بالبيع والشراء ففيه حث مؤكد وثالثها كلمة على التي للوجوب ورابعها
انه تعالى حقق الوعد واكده بقوله حقا وخامسها انه تعالى استشهد
على حقيقة الوعد المذكور بكونه مذكورا في جميع الكتب الالهية وسادسها
قوله ومن اوفى الا غير ذلك قوله والمراد بهم المؤمنون المذكورون في قوله
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم وعدهم الجنة اولا ثم بين
في هذه الآية ان اولئك المؤمنين هم الموصوفون بهذه الصفات التسع فيكون
الوعد بالجنة خاصا للمجاهدين الموصوفين بهذه وروى عن الزجاج انه قال الصفات
الذي عندي ان قوله التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمر والمعنى التائبون

ينهاه

الماذ

١٥٧

الى آخر الآية لهم الجنة ايضا وان لم يجاهدوا غير معاندين ولا قاصدين لترك الجهاد
وهذا الوجه الذي قاله الزجاج وجه حسن لانه يكون الوعد بالجنة حاصلا
لجميع المؤمنين بخلاف الوجه الاول فان الوعد بالجنة على الوجه الاول يكون
خاصا للمجاهدين الموصوفين بما ذكر روى عن ابن عباس ان المراد بالتائبين
التائبون من الشرك وعن الحسن من الشرك والنفاق وعن الاصوليين
التائبون عن كل معصية وهذا اولى لان التائبون لكونه في تقدير الذين تابوا
من الفاظ العموم يتناول كل تائب فتخصيصه بالتائب عن بعض المعصية تحكم
محض واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد يراد بها الرجوع عن المعصية
واذا وصف بها الباري تعالى يراد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة والرحمة
والعابدون هم الذين اتوا بالعبادة وهي عبارة عن الاتيان بفعل يشعر
بتعظيم الله والسائحون عند عامة المفسرين الصائمون عن ابن عباس انه قال
كل ما ذكر في القرآن من السياحة فهو الصيام وعن النبي عم سياحة امتي
الصيام وانما سمي الصائم سائحا لانه يمتنع عن الشهوات كالسائح في الارض
فانه يمتنع بما تيسر مما يوصل الى مقصده ولا يتوسع في استيفاء اللذات
واتباع الشهوات ولان الصائم لما امتنع من الاكل والشرب والوقاع وسد
على نفسه ابواب الشهوات انفتحت عليه ابواب الحكمة والمعرفة ومال نفسه
الى عالم المعقولات وانتقل من مقام الى مقام ومن درجة الى درجة وهذا
الانتقال هو السياحة في عالم الروحانيات فلذلك شبه الصائم بالسائح في
الارض فقال عطا المراد بقوله تعالى السائحون الغزاة في سبيل الله يقطعون
المنازل والمراحل الى ان يصلوا ديار الكفرة فيجاهدوهم وقال عكرمة هم طلاب
العلم ينتقلون من بلد الى بلد في طلب العلم قوله تعالى الراكعون الساجدون
يعني المصلين وانما جعل ذكر الركوع والسجود كناية عن الصلوة لكون جهة العبادة
اظهر فيهما بالنسبة الى باقي اركان الصلوة فان هيئة القيام والقعود قد يؤتى
بهما على وفق العادة بخلاف الركوع والسجود فانهما ليسا من الهيئات الطبيعية
الموافقة للعادة فلا يؤتى بهما الا على سبيل العبادة فكان لهما مزيد اختصاص بالصلوة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فلذلك كنى بها عنها قوله للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها ذكر الله تعالى على سبيل التفصيل من الفضائل والتكاليف ما لا ينفك المكلف عنها في اغلب اوقاته وهي التوبة والعبادة والاشتغال بحمد الله والسياحة لطلب مهمات الدين كالعلم والجهاد والركوع والسجود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولما كانت التكاليف الشرعية غير منحصرة فيما ذكر بل لها اصناف واقسام كثيرة لا يمكن تفصيلها وتبيينها الا في المجلدات ذكر الله تعالى سائر اقسام كثيرة التكاليف على سبيل الاجمال بقوله والحافظون لحدود الله والفقهاء ظنوا ان الذي ذكروه في بيان التكاليف واف وليس كذلك لان افعال المكلفين قسمان افعال الجوارح وافعال القلوب وكتب الفقه مشتملة على شرح اقسام التكاليف المتعلقة بافعال الجوارح واما التكاليف المتعلقة باعمال القلوب فليس في كتبهم منها الا قليل نادر وبعض مباحثها مدونة الكلامية والبعض الآخر منها فصله الامام الغزالي واتباعه في علم الاخلاق ومجموعها مندرجة في قوله تعالى والحافظون لحدود الله قوله قد تم بالتتابع وهو قوله الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر بناء على انهما في حكم خصلة واحدة كما دل عليه تخلل الواو الجامعة بينهما والا فالمذكور قبل قوله والحافظون ثمانية اوصاف وهو تاسعها وقيل انما دخلت الواو فيه لانها واو الثمانية كقوله تعالى وثامنهم كلبهم قال بعض النحويين هي لغة فصيحة لبعض العرب يقولون اذا عدوا واحد اثنان ثلثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة عشر قال القرطبي وهي لغة قريش وقال ابو البقاء انما دخلت الواو في الصفة الثامنة ايذانا بان السبعة عندهم عدد تام وانما دلت الواو على ذلك لان الواو تؤذن بان ما بعدها مغاير لما قبلها ولذلك عطفت بها الذوات المتغايرة والصفات المغايرة وفيه هذا قول ضعيف لا اصل له قوله روى انه عم قال لابي طالب آخ استبعد ان يكون سبب نزول هذه الآية قوله عم لعمه ابي طالب لا زالن استغفرن لك مالم انه عنه بناء على ان هذه السورة المدنية من آخر القرآن نزولا ووفاة

ابي طالب كانت بمكة في اوايل الاسلام واجيب بانه لا بعد فيه لانه يجوز ان يقال انه عم بقي يستغفر لابي طالب من ذلك الوقت الى وقت نزول هذه الآية فان التشديد مع الكفار انما نزل في هذه السورة فلعل المؤمنين كان يجوز لهم ان يستغفروا لاباءهم من الكافرين وكان عم يفعل ذلك ثم انه تعالى منعهم عن ذلك عند نزول هذه السورة ولا بعد في ذلك قوله رجع الى الابواء هو بفتح الهمزة وسكون الباء منزل بين مكة والمدينة توفيت فيه آمنة ام النبي ع فهذا يدل على ان عبد الله لم يكن حيا وكان مع امه آمنة فلما بلغ ست سنين خرجت الى اخوالها بالمدينة تزورهم ثم رجعت به الى مكة فلما كانت بالابواء توفيت هناك قوله مسعرا اي باكيها من العبرة وهي الدمع قوله وفيه دليل على جواز الاستغفار لاصابهم وجه الدلالة ان امتناع الاستغفار انما هو بعد تبين انهم اصحاب الجحيم فهذا انما يتبين باستمرار كفرهم الى حين الموت فانه تعالى لما اخبر انه لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وان من مات على الكفر فمأواه جهنم خالدا فيها ابدا كان طلب الغفران لمن مات على الكفر بمنزلة طلب ان لا يخلق الله تعالى وعده ووعيده فكان كل واحد من النبوة والايمان مانعا من الاستغفار مشركا تبين كونه من اصحاب الجحيم بموته على الكفر لما فيه من تجويز تبدل حكم الله تعالى وقضائه والاستغفار ابرهيم لابيه قبل التبين لقوله فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه الا قطع الاستغفار وهذا خلاصة الجواب عن النقض الوارد على قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية فان ابرهيم انما استغفر لابيه حال حيوته بان يوفقه الله تعالى للايمان بناء على انه وعد اباه بذلك ولم يستغفر له بعد موته على الكفر قوله وعدها ابرهيم اباه او وعدنا ابرهيم ابوه الاول على ان يكون الضمير المرفوع راجعا الى ابراهيم والمنصوب راجعا اليه فالواحد ابرهيم وعد اباه ان يستغفر له رجاء اسلامه ويؤيد هذا الاحتمال قراءة الحسن وغيره اباه بالباء الموحدة والثاني على ان يكون الضمير المرفوع لابي ابرهيم والمنصوب لنفس ابرهيم والمعنى ان اباه وعد ان يؤمن فلذلك استغفر له فلما تبين له

بالوحي انه لايؤمن او تبين له باصراره على الكفر وموته عليه انه عدو لله تبرأ منه
قوله بكسر التاوه وهو ان يقول الرجل عند الشكاية والتوجع آه من
كذا اصله اوّه بسكون الواو وكسر الهآء قلبوا الواو الفاً فقالوا آه من كذا
وربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا الهآء فقالوا اوّه وربما حذفوا
الهآء فقالوا اوّ وبعضهم بفتح الواو مع التشديد فيقول آوّ وبعضهم
يقول اواه بالمدّ والتشديد وفتح الواو وبسكون الهآء لتطويل الصوت
بالشكاية وفي الحديث الاوّاه الخاشع المتضرع وقيل معنى كون ابراهيم
عم اواهاً انه كلما ذكر لنفسه تقصيراً او ذكر له شئ من شدايد الآخرة كان
يتأوّه اشفاقاً واستعظاماً لماله والشكاسة صعوبة الخلق يقال رجل شكس
اى صعب الخلق وغليظ القلب قوله انه قوم مضوا على الامر الاول
في القبلة والخمر اى انه في بيان عذر قوم لم يستمروا على العمل بالحكم المنسوخ غير عالمين
بنسخه كمن استمر على ان يصلي الى بيت المقدس بعد تحويل القبلة الى الكعبة
واستمر على شرب الخمر بعد نزول آية تحريمها بناء على عدم علم بكل واحد من تحويل
القبلة وتحريم الخمر وعلى الاول انه في بيان عذر من ارتكب المحرم قبل نزول
آية تحريمه قوله من اذن المنافقين في التخلف يعني ان توبة الله تعالى
على النبي عم ومن معه معناها انه تجاوز واعرض عن ذنبهم المعين الذي
فرط منهم من قبيل ترك الاولى وهو اذنهم للمنافقين في التخلف عنه عم وهذا الاذن
وان صدر عنه عم وحده الآية اسند الى الكل على طريق قولهم بنو فلان قتلوا زيدا
وان كان القاتل واحداً منهم يقولون ذلك بناء على وقوع القتل بينهم قوله
اوبتراهم عن علقة الترتيب اى عما تعلق بهم مما يعد ذنباً في حقه عم كما في قوله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فان المغفور له فيه ليس ذنباً معيناً
بل مطلق ما يعد ذنباً في حقه عم سواء فرط منه قبل البعثة او بعدها فافهم تعالى
لما استقصى في شرح احوال غزوة تبوك ومنه احوال المتخلفين عنها واطال القول
في ذكر ذكر في هذه الآية حكماً آخر من احكامها وهو انه تعالى تاب على تجاوز وصفح
عما فرط وصدر عنه عم وعن المؤمنين مما يعد ذلة في حقهم اى شئ كان لما

اصابهم

اصابهم في تلك الغزوة من الشدايد قال الامام الانسان طول عمره لاينفك
عن زلات اما من باب الصغاير او من باب ترك الاولى فانه عم ومن معه
من المؤمنين لما تحملوا مشاق هذا السفر وصبروا على شدايده اخبر الله انه تحمل
تلك الشدايد صارت مكفرة لجميع ما صدر عنهم من الزلات وصارت قايمة
مقام التوبة المقرونة بالاخلاص فلذلك قال تعالى لقد تاب الله على
النبي صلى الله عم عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما نزلت هذه
السورة وفي اثرها بيان معاملات المنافقين على التفصيل ظننا انه
لايبقى احد منا الا نزل فيه قرآن وسميت السورة الفاضحة الى ان نزلت
هذه الآية فلما نزلت هذه الآية سميت السورة بسببها سورة التوبة
قوله حتى شربوا الغظ وهو ماء الكرش عن عمر رضي الله عنه قال خرجنا
في قيظ شديد واصابنا فيه عطش شديد حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل مابقي على كبده فقال ابو بكر يارسول الله ان الله عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما اظلت السماء ثم سكبت فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر وفيها كانت قصة دعائه بتمر قليل وجعله في قصعة فدعا فيه بالبركة حتى اخذ الناس وهم اكثر من ثلثين الفا ارواد ادم والتمر بحاله وفيها كانت قصة وضعه كفيه في ماء قليل وانفجار الماء من اصابعه العشر حتى شربوا وسقوا دوابهم وملؤا اداويتهم قوله وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم الذي دل عليه ذكر المهاجرين والانصار وقلوب مرفوع بيزيغ والجملة في محل النصب على انها خبر كاد ولابد في الجملة التي لاتكون خبراً عن ضمير الشان من ضمير يعود الى اسمها وهو الضمير في منهم وهذا الاعراب خلاف ما اشتهر في النحو من ان خبر افعال المقاربة لايكون الا مضارعاً رافعاً لضمير اسمها فاذا قدرنا فيها ضمير الشان او ضمير القوم كانت الجملة بعدها خبراً لها ولايكون المرفوع فيها ضميراً راجعاً الى اسم كاد ولم يجعل الكلام من باب تنازع الفعلين لانه لو جعل من باب التنازع لكان ينبغي ان يقال من بعد ما كادت او كدن عما يقتضيه

والقيظ شدة الحر
الفرث الروث ما دام في الكرش

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مذهب البصريين فانهم يختارون اعمال الثاني ويضمرون الفاعل في الاول
على وفق الظاهر وكاد عند بعضهم تفيد مجرد المقاربة مطلقا وعند اخرين
تفيد المقاربة مع عدم الوقوع فهذه التوبة المذكورة بعد توبة على تلك المقاربة
والزيغ الميل واختلفوا في ذلك الذي وقع قلوبهم فقيل همّ بعضهم عند
شدة العظيمة ان يفارق الرسول وينصرف الى وطنه لكنه صبر واحتسب
فلذلك قال تعالى ثم تاب عليهم لما صبروا وثبتوا وندموا على ذلك الهم
وقال آخرون بل كان ذلك الذي وقع في قلوبهم مجرد حديث النفس الذي
يكون مقدمة للعزيمة فلما نالتهم الشدة وقع ذلك في قلوبهم ومع ذلك
تابوا وتداركوا هذا اليسير خوفا ان يكون ذلك معصية منهم فلذلك قال معا
ثم تاب عليهم قوله تكرير للتاكيد فانه اذا قيل عفى السلطان عن فلان
ثم عفى عنه دل على ان ذلك العفو عفو متأكد بلغ الغاية القصوى في الكمال
والقوة وهذه التوبة المتأكدة المبالغة لما علقت بكابدتهم الشدايد في
ساعة العسرة كان التكرير تنبيها على العلية قوله والمراد انه تاب
عليهم لكيدوتهم اى ويحتمل ان لا يكون تكريرا بان يكون الاول مسوقا لبيان
انه تعالى تجاوز عما فرط منه عم واتباعه من المهاجرين والانصار ويكون
الثاني مسوقا لبيان انه تعالى تاب على الفريق الذين كاد الشان لزيغ
قلوبهم على ان يكون ضمير عليهم للفريق المذكور لا لجملة ما ذكر قوله تخلفوا
عن الغزو ذكر لتسميتهم مخلفين وجهين مع انهم لم يؤخروا بالتخلف ولم يرض
الرسول عم بتخلفهم الاول ان من تخلف عن المسافرين ولم يخرج معهم يقال
خلفه المسافرون كما تقول لصاحبك اين خلفت فلانا فيقول بموضع
كذا لا يريد انه امر بالتخلف بل لعله نهاه عنه وانما يريد انه تخلف عنه
والثاني ان المراد من كونهم مخلفين كونهم مؤخرين في قبول التوبة فانه عم
اخر امرهم الى ان نزلت اية توبتهم فانه عم قال لكعب بن مالك الشاعر
وكان انصاريا شهد بيعة العقبة ولم يشهد غزوة بدر حين اعترف بذنبه وقال
ما خلفني عنك عذر وانما تخلفت لمجرد الكسل وقلة الاهتمام قال عم لم قم

عني حتى يقضي الله فيك وكذلك قال عم لصاحبيه ايضا وهلال ابن امية هو الذي
نزل فيه آية اللعان وهو ومرارة بن الربيع كانا رجلين صالحين من الانصار
شهدا بدرا قوله لاعراض الناس عنهم بالكلية فان المؤمنين منعوا من
كلامهم ومعاملتهم وامروا زواجهم باعتزالهم وكان الصبي عم معرضا عنهم
فكانوا يخافون ان يموتوا فلا يصلي الرسول على جنازتهم او يموت عم وهم
من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمهم احد منهم ولا يصلي على جنازتهم ولم يفسر التوبة عليهم
بقبولها منهم اذ لا وجه لان يقال قبل توبتهم ليتوبوا بل فسرها اولا بالتوفيق
للتوبة لانه الاصل الذي يتفرع عليه توبتهم بمعنى الرجوع عن المعصية وهذه التوبة
يتفرع عليها توبة الله عليهم بمعنى قبولها منهم فهنا امور ثلثة التوفيق للتوبة و
نفس توبتهم وقبول الله تعالى اياها ذكر الله تعالى الامر الثالث بقوله وعلى
الثلثة ثم ذكر الامر الاول بقوله ثم تاب عليهم وعطفه بكلمة ثم لكونه اصل الجميع
بعيدا عنها بحسب الرتبة ثم ذكر الامر الثاني بقوله ليتوبوا قوله او انزل قبول
توبتهم تفسير ثان لقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا وكلمة ثم على هذا على اصل معناها
قوله او رجع عليهم تفسير ثالث له والكلام حسن قوله وعلى الثلثة يجوز ان
يكون معطوفا على النبي صلى الله عم اى تاب على النبي عم وعلى الثلثة
وان يكون معطوفا على الضمير المجرور في عليهم اى ثم تاب عليهم وعلى الثلثة ولذلك
اعيد حرف الجر وان في قوله ان لا ملجأ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان
مقدر ولا مع في حيزها خبران ومن الله خبر لا وان مع في حيزها سادّ مسدّ
مفعولي ظنوا بمعنى علموا فوقف لانه تعالى ذكر هذا الوصف في موضع المدح والثناء
وذا لا يكون الا مع علمهم بذلك ونظيره قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم
والمعنى وعلموا ان الشان لا التجاء من سخط الله الى احد الا اليه فقوله الا اليه
استثناء من العام المحذوف ثم انه تعالى لما قبل توبة هؤلاء الثلثة ذكر ما يكون
كالزاجر عن ارتكاب مثل ما ارتكبوه مما لا يرضاه الله تعالى ورسوله فقال
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله قوله في ايمانهم وعهودهم او في دين الله
اختلف في المراد فمن عمم او خاص بالثلثة وعلى تقدير العموم هل المراد

بالصدق الدق فى الدين بوعاية جميع ما يقتضيه الدين مما يرجع الى النيات
والاقوال والافعال والاحوال او الصدق فى معاهدتهم الله ورسوله على الطاعة
كملة قوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل الصادقون هم
الثلثة اى كونوا مثلهم فى توبتهم وانابتهم الآن هذا القول يأباه كون الخطاب
فى قوله تعالى يا ايها الذين عاما لجميع المؤمنين لان امر كافة المؤمنين بموافقة
هؤلاء الثلثة وكونهم مثلهم بعيد من حيث ان التكاليف الواقعة فى الكتاب
والسنة متوجهة على المكلفين فى جميع الازمنة الى يوم القيمة وموافقة الثلثة
موقوفة على وجودهم وانما اذا كان الخطاب خاصا لمن تخلف من الطلقاء
عن غزوة تبوك كما ذهب اليه البعض فى يحمل الصادقون على العموم
والخصوص وفى الآية دلالة على فضل الصدق وعلو درجته الاترى الى ابليس
كيف استنكف عن مغفرة الكذب حيث ذكر الاستثناء فى قوله فبعزتك
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فانه لو لم يذكر الاستثناء لكان
كاذبا فى ادعاء اغواء الكل واذا كان الكذب شيئا يستنكف منه ابليس
فالمسلم اولى ان يستنكف عنه روى ان واحدا جاء الى النبى صلى الله عم
وقال انى رجل اريد ان اؤمن بك الا انى احب الخمر والزنا والسرقة
والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء ولا طاقة لى على تركها
باسرها فان قنعت منى بترك واحد منها آمنت بك فقال عم اترك الكذب
فقبل ذلك ثم اسلم فلما خرج من عنده عم عرضوا عليه الخمر فقال ان شربت
فسألنى الرسول عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد ان صدقت قام
الحد على ثم عرضوا عليه الزنا فجاء ذلك الخاطر فتركه وكذا فى السرقة فعاد الى
الرسول عم وقال ما احسنت ما فعلت فما منعتنى عن الكذب انسدت
ابواب المعاصى على وتاب عن الكل قوله لا يرغبوا انفسهم عما لم يرغب
عم نفسه عنه تفسير ببيان حاصل المعنى فان الباء فى قوله بانفسهم للتعدية
فقولك رغبت عنه معناه اعرضت عنه واذا قلت رغبت بنفسى عنه
فكانك قلت جعلت نفسى راغبة عنه لمعنى ظاهر نظم الآية ولا تجعلوا النفس

راغبة

راغبة عن نفسه اى عما التى فيه نفسه العزيزة عند الله من كل نفس من شدايد
الغزو واهوالها وخلاصة المعنى ما ذكر الاصمعى وحشمة اسم رجل والضح الشمس
وحرها وفى الحديث يتعدن احدكم بين الضح والظل فانه مقعد الشيطان و
يقال زها السراب الشئ يزهاه اذا رفعه قوله وفى لا يرغبوا لجواز النصب
بعطفه على ان يتخلفوا بزيادة لا لتاكيد النفى بتقدير ولا ان يرغبوا والجزم
ايضا على ان يكون لا للنهى قوله اثبت لهم ذلك اشارة الى انه افرد ضمير كتب
مع كونه عبارة عن الاتفاق وقطع الوادى المدلول عليهما بقوله تعالى ولا ينفقون
ولا يقطعون واديا اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة ولذلك افرد ضمير به فى قوله
الا كتب لهم به عمل صالح مع كونه عبارة عن الامور المتعددة المذكورة سابقا
وقوله الا كتب فى محل النصب على انه حال من ظماء وما عطف عليه اى لا يصيبهم
ظماء ولا كذا ولا كذا الا مكتوبا لهم بذلك عمل صالح قوله جزاء احسن يعنى انه لابد
من ارتكاب الحذف والمحذوف اما المضاف او المضاف اليه فقولك لان ما
فى قوله تعالى ما كانوا يعملون مصدرية ونفس العمل لا يكون جزاء فلابد من تقدير
الجزاء ثم الاحسن يجوز ان يكون من صفة عملهم وان يكون من صفة ما يكون
جزاء له فعلى الاول لابد من تقدير المضاف اى يجزيهم جزاء احسن اعمالهم
فوذلك لان اعمال المجاهدين اما واجب او مندوب او مباح فالله تعالى يجزيهم
على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح وعلى الثانى لابد من تقدير
المضاف اليه اى يجزيهم احسن جزاء اعمالهم قوله فهلا نفر يعنى ان لولا
تحضيضية مثل هلا وقد تقدم ان حرف التحضيض اذا دخل على الماضى يفيد التوبيخ
على ترك الفعل والتوبيخ انما يكون على ترك الواجب فيستفاد منه كون النفر
واجبا فظهر ان المراد بقوله تعالى فلولا نفر الامر بالنفير بعد ما بين انه لا يكون نفير
الكافة لان مطلوب كان من المطالب الدينية كالغزو والتفقه فى الدين و
التفقه معرفة احكام الدين وهو ينقسم الى فرض عين كعلم الطهارة والصوم والصلوة
وفرض كفاية مثل ان يتعلم حتى يبلغ درجة الاجتهاد والنفر والمراد من العلم
فى قوله عم طلب العلم فريضة على كل مسلم ما يكون تعلمه فرض عين قوله

ايضا و

لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة طائفة لان كل ثلثة فرقة فاوجب
الله تعالى ان يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلثة يكون اثنين او واحدا فاوجب
ان تكون الطائفة اما اثنين او واحدا ثم انه تعالى اوجب العمل بخبرهم لقوله
وليندروا قومهم فانه عبارة عن اخبارهم وقوله لعلهم يحذرون ايجاب على
قومهم ان يعملوا باخبارهم وذلك يقتضي ان يكون خبر الواحد والاثنين حجة في
الشرع قوله وقيل للاية معنى آخر محصول المعنى الاول انه تعالى بين اولا انه
لايمكن ان ينفر كافة الناس لاقامة مهم من المهمات الدينية ثم امر بقوله تعالى
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة بان ينفر جماعة قليلة منهم ليتفقه تلك
الجماعة بسبب نفيرهم لتحصيل الفقاهة التي هي معرفة احكام الدين ويجعلوا
غاية سعيهم ومعظم غرضهم ان يستكملوا بحسب قوتهم النظرية ويترشدوا
قومهم حين الرجوع اليهم بالانذار والتذكير فضمير قوله تعالى ليتفقهوا و
لينذروا على هذا المعنى للطائفة النافرة وتوضيح المعنى الثاني ماروى
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عم اذا خرج الى
الجهاد لايتخلف عنه الا منافق او صاحب علة فلما بالغ الله تعالى في تعييب
المتخلفين في غزوة تبوك وانزال الآيات الشداد في حقهم قال المؤمنون
والله لانتخلف عن شئ من الغزوات مع رسول الله صلى الله عم ولا عن سرية
فلما قدم عم المدينة وامر السرايا الى الكفار نفر المسلمون جميعا الى العدو
وتركوه وحده بالمدينة فنزلت هذه الآية والمعنى لايجوز للمؤمنين ان ينفروا كلهم
الى الجهاد بل يجب ان يصيروا طائفتين طائفة تبقى في خدمة الرسول عم
وطائفة اخرى تنفر الى الجهاد لينتظم بكل واحدة من الطائفتين مصلحة مهمة
من مصالح الدين لان انتظام امر الدين في ذلك الزمان كما يتوقف على ما يقوم بالجهاد
الكفار يتوقف ايضا على من يقوم بحضرة الرسول عم ليتعلم ما ينزل في زمان
نفير المجاهدين من الشرايع والتكاليف ويبلغها للغائبين وبهذا الطريق
يتم امر الدين حيث تاب كل طائفة منابت الطائفة الاخرى نابت طائفة
النافرة للغزو منابت الطائفة المقيمة في امر الغزو ونابت الطائفة المقيمة
منابت النافرين في امر التفقة فالطائفة المقيمة هم الذين يتفقهون في الدين

لملازمتهم خدمة الرسول عم ومشاهدتهم ما ورد من التنزيل فكلما نزل تكليف
وشرع عرفوه وحفظوه واذا رجعت الطائفة النافرة من الغزو انذرتهم الطائفة
المقيمة ما تعلموه من الشرايع والتكاليف وعلى هذا لابد من اضمار والتقدير فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة واقام طائفة اخرى ليتفقه المقيمون في الدين واشار
المصنف اليه بقوله فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا البواقي الفرق بعد الطوائف
النافرة للغزو وفي رجعوا للطوايف النافرة والمعنى ليتفقه الفرق الباقية
ولينذروا قومهم النافرة اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم
قوله امروا بقتال الاقرب يعني انه تعالى لما امر بقتال المشركين كافة ارشدهم
في ذلك الى الطريق الاصلح وهو ان يبتدوا بالاقرب فالاقرب منتقلا الى
الابعد فالابعد الاتري ان امر الدعوة وقع على هذا الترتيب قال تعالى
وانذر عشيرتك الاقربين وامر الغزوات وقع على هذا الترتيب لانه عم حارب
قومه اولا ثم انتقل الى غزو سائر العرب ثم انتقل عنهم الى غزو الشام والصحابة
ايضا لما فرغوا من امر الشام دخلوا العراق ثم انه تعالى بعد ما ذكر قبايح اعمال
المنافقين ذكر من قبايح اقوالهم حيث قال واذا ما انزلت سورة الآية
وكلمة ما صلة مؤكدة قوله وقرئ انكم بالنصب على الاشتغال تقديره ايكم
زادت زادته هذه ايمانا يقدر الفعل متأخرا عنه من اجل ان له صدر الكلام
والجمهور على رفع انكم على انه مبتداء وما بعده خبره واجاب الله عن انكارهم واستهزائهم
المؤمنين في اعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به فقال
حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة احوال الاول انها يزيدهم ايمانا
والثاني يحصل لهم من الاستبشار وحصل للمنافقين بسبب نزولها احوال
مقابلان للاولين المذكورين للمؤمنين الاول انها تزيدهم رجسا الى رجسهم والثاني
انهم يموتون على كفرهم وهو اقبح من الاول والاعمى الذي هو عبارة عن التصديق
يتصور زيادته على وجهين الاول ان كل من كانت الدلائل عنده اكثر واقوى
كان ايمانه ازيد واقوى لان عند حصول كثرة الدلائل وقوتها تزول الشكوك و
يقوى اليقين كما اشار اليه عم بقوله لو وزن ايمان ابي بكر بايمان اهل الارض

لشرح بريد ان معرفة الله اتم واقوى والوجه الثاني من وجهين زيادة التصديق
ان المؤمن لا محالة يصدق جميع ما جاء به الرسول عم ولا شك ان التكاليف
والآيات الدالة عليها متوالية متعاقبة في زمانه عم فعند نزول كل آية
وتجدد كل تكليف كان المؤمن يزيد تصديقا واقرارا لانه لما سمع آية جديدة
اتى باقرار جديد وكان ذلك زيادة في تصديقه وايمانه قوله تغامزوا
بالعيون يعني ان المراد من النظر النظر المخصوص الدال على الطعن في تلك السورة
والاستهزاء بها او على الغيظ قوله ان يقولوا اشارة الى ان قوله تعالى
هل يراكم في محل النصب يقول مضمر وجملة القول في محل النصب على انها
حال من فاعل نظر والمعنى انهم عند سماع تلك السورة يتأذون ويريدون
الخروج من المسجد زاعمين انهم لا يصبرون على استماعه ويغلبهم الضحك فيفتضحون
بين المؤمنين او لغلبة الغيظ لكونها ناطقة بعيوبهم وقبايح افعالهم فيقول
بعضهم لبعض هل يراكم من احد من المؤمنين ان قمتم من مجلسكم فان لم يرهم
احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا يراهم اقاموا وثبتوا واعلم
انه تعالى لما انزل على رسوله عم في هذه السورة الكريمة من التكاليف
الشاقة التي يصعب على الامة تحملها وتوطين النفس على قبولها ختم السورة
بما يسهل تحمل تلك التكاليف فقال عز من قائل لقد جاءكم رسول من انفسكم
بضم الفاء وقرئ بفتحها من النفاسة وصف الله تعالى رسوله عم بخمسة اوصاف
الاول انه بشر مثل المكلفين اذ لو كان من جنس الملائكة لتصعب الامر عليهم
اذ انه عم من صميم العرب وصفه بترغيبا للعرب في نصرته والقيام بخدمته
لكانة قبل لهم كل ما يحصل له من الدولة والرفعة في الدنيا فهو بسبب تعززكم
وتحرمكم لانه منكم ومن نسبكم والصفة الثانية قوله تعالى عزيز عليه ما عنتم
وكلمة ما فيه مصدرية والعزيز الغالب الشديد والعنت الوقوع
في امر شاق يقال عنت الرجل يعنت عنتا اذا وقع في مشقة واعنته
غيره واشق الامور دخول النار والمعنى شديد عليه ما يلحقكم من الضرر بترك
الايمان والصفة الثالثة قوله تعالى حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح حالكم

لامتناع ان يتعلق حرصه عم بزوالهم والصفة الرابعة قوله تعالى بالمؤمنين
رؤوف رحيم قال ابن عباس سماه الله تعالى باسمين من اسمائه ولم يجمع الله تعالى
اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عم وقوله بالمؤمنين متعلق
برؤوف قدم عليه ليفيد الاختصاص اي لا رافة ولا رحمة له الا بالمؤمنين واما الكفار
فليس له عليهم رافة ولا رحمة فان قيل كيف وصف بكونه رؤوفا بالمؤمنين وقد
كلفهم في هذه السورة بانواع من التكاليف الشاقة التي لا يقدر على تحملها
الا من وفقه الله تعالى فالجواب ان التكليف المذكور ايضا من كمال رافته بهم
من حيث انه انما فعل بهم ذلك حتى يتخلصوا عن العقاب المؤبد ويفوزوا
بالثواب المخلد قوله قدم الابلغ منها اشارة الى جواب ما يقال مقام المدح
يقتضي الترقي من الفاضل الى الافضل فكيف عكس سورة يونس مكية
الا قوله ومنهم من يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين فانها مدنية نزلت
في اليهود بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها اي
قراها بفتح الراء على التفخيم ابن كثير وقالون وحفص وقراها على الامالة
ابو عمرو وحمزة والكسائي وابن عامر وابو بكر وقارورش بين الفتح
والكسر واختلف القراء في الحروف المقطعة التي في اوايل السورة اذا كان
في آخرها الف وهي راء وطاوها وياوها انها هل تقراء بالامالة او بالتفخيم
فامال راء من جميع سورها امالة محضة الكوفيون الا حفصا وابو عمرو وابن عامر
وامال الاخوان وابو بكر طاء من جميع سورها نحو طس طسم طه وامال ابو بكر
وحمزة والكسائي ياء من جميع سورها كهيعص وو افقهم ابن عامر في امالة
ياء كهيعص دون ياء يس وامال حمزة والكسائي وابو عمرو وابو بكر وورش
ها من طه وكذلك ما لقيها من كهيعص وابو عمرو والكسائي وابو بكر دون حمزة
وورش ها وامال ابو عمرو وورش وحمزة والكسائي وابو بكر وابن ذكوان
حا في جميع الحواميم السبع الا ان ابا عمرو وورشا يميلان بين وبين الباقين يميلان
امالة محضة وقراء ابن كثير وقالون وحفص وهشام حم بفتح الحاء في جميع سورها
وكلها لغات صحيحة عن العرب الا ان الاصل في هذه الكلمات ترك الامالة لان الفاظها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ليست منقلبة عن الياء، ومن امالها فقد قصد بامالتها التنبيه على انها اسماء لا حروف
لانها اسماء للحروف المخصوصة وليست بحروف وقد قرأ ان في فواتح السور وجهين
احدهما انها اسماء السور والآخر ان تكون مذكورة على نمط التعديد للتحدي والاعجاز
اما من جهة ان القرآن من جنس كلامهم او من جهة ورودها على لسان النبي صلى الله
عم قوله لاشتماله على الحكم على ان يكون الحكم بمعنى ذو الحكم قوله اولانه كلام حكيم
على ان يكون وصف الكتاب بالحكيم من قبيل وصف الكلام بصفة من تكلم به على
طريق الاسناد المجازي كنهاره صائم وليله قائم قال الاعشى وغربة تأتي
الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها اي قصيدة غريبة مدحت بها الملوك
حكيمة قد قلتها لتعجب الناس ويتقولوا من قالها والبيت يصلح شاهدا لكل واحد
من الوجهين فان حكيمة يحتمل ان يكون بمعنى النسبة وان يكون من قبيل الاسناد
المجازي قوله او محكم آياته على ان الحكيم فعيل بمعنى مفعول قوله على الامر
بالعكس اي على ان يكون النكرة المحضة اسم كان الناقصة والمعرفة خبرها
على حد قوله يكون مزاجها عسل وماء ويحتمل ان يكون ارتفاع عجب مبنيا
على ان كان تامة وان اوحينا بدل منه بدل الاشتمال احدث للناس عجب
احدثنا وحينا والظاهر ان يكون ع متعلقا بعجب على حذف لام العلة اي
احدثنا عجب لان اوحينا او يكون على حذف من اي من ان اوحينا قوله
واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة اي امرا عجيبا يتعجب منه يعني ان اللام
في للناس للبيان كما في هيت لك اي هذا الخطاب لك وليس بمتعلق بقوله عجبا
على طريق المفعولية كما في قولك عجبت لسعي زيد في حاجتي لان معمول المصدر
لا يتقدم عليه قوله من اقناء رجالهم اي ممن لا يؤبه بجاه ومال ورياسة
وكونه مما يعدونه من اسباب العز والجلال وليس المراد انه عم ليس من
مشاهيرهم نسبا لان شرف نسبه عندهم اظهر من الشمس واقناء جمع فنى بوزن
فتى او جمع فنا بوزن قذا وهو ناحية من الانسان الجوهري فناء الدار ما امتد
من جوانبها ويقال هو من اقناء الناس اذا لم يعلم ممن هو قوله او الحقيقة
من السفيلة فيكون اسمها ضمير الشان المقدر والاصل انه انذر الناس الا انه لما تقرر

في النحو ان الجملة الطلبية لا تقع خبر ضمير الشان وجب ان يكون تقدير هذا الاصل
ان الشان قولنا انذر الناس على ان يكون القول المقدر مبتدأ ويكون الجملة الطلبية
محكية به خبرا عنه ويكون خبر ضمير الشان جملة اسمية قوله عم الانذار حيث جعل
متعلقه مطلق الناس لان الانذار ينفع الكل ليرتدعوا عن فعل ما لا ينبغي من الصغاير
والكبائر وترك الاولى بخلاف التبشير فانه لا يتعلق بالكفار اذ ليس لهم ما يبشرون
به ولم يذكر المنذر به للتعميم والتهويل وذكر المبشر به لتقوى رغبة المطيعين
فيما يؤديهم اليه وقدم الانذار على التبشير لان التخلية متقدمة على التحلية وازالة
ما لا ينبغي متقدمة في الرتبة على فعل ما ينبغي والمبشر به ما ذكر بقوله ان لهم قدم
صدق وحذف الباء من ان وان شايع كثير قوله سابقة يحتمل ان يكون مصدرا
كالعافية والكاذبة ويكون المراد بها تقديم الله يوم القيمة هذه الامة كما قال عم
نحن الآخرون السابقون وقال عم ان الجنة محرمة على الانبياء حتى ادخلها انا
ومحرمة على الامم حتى يدخلها امتي ويحتمل ان يكون اسم فاعل بمعنى السعادة السابقة
في القضاء الازلي وهي المنازل الرفيعة الروحانية والجسمانية وما ذكر في بيان
وجه اطلاق القدم على السابقة وهو قوله لان السبق بها يؤيد الاحتمال الاول وان
كان القدم سببا للوصول الى المنازل السابقة كما انها سبب لنفس السبق ايضا
ثم انه تعالى لما اجاب عن تعجب الكفار من الوحي والبعثة بقوله اكان للناس عجبا
ان يبعث خالق الخلق اليهم رسولا يبشرهم على الاعمال الصالحة بالثواب وينذرهم
على الاعمال الفاسدة بالعقاب وكان هذا الجواب موقوفا على ثبوت امرين الاول
ان يكون لهذا العالم الها قاهرا قادرا نافذ الحكم والتكليف والثاني ان يتحقق
البعث والحشر والقيمة حتى يحصل الثواب والعقاب اثبت الامر الاول بقوله ان ربكم
الذي خلق السموات والارض فانها اثبت لكونها امورا ممكنة في ذواتها ومقادير
وصفاتها محتاجة الى مايرجح جانب وجودها واختصاصها بقدر معين ووصف
معلوم فذلك المرجح يجب ان يكون واجب الوجود لذاته متخلصا بجميع نعوت الجلال
والجمال متخلصا عن صفات العجز والنقصان واثبت الامر الثاني بقوله اليه مرجعكم
جميعا فان قبل قوله تعالى الذي خلق السموات والارض في ستة ايام يقتضي

ان يكون كونه خالقا للسموات والارض فى ستة ايام امرا معلوما عند العرب وهم
لا يعلمون ذلك فكيف يحسن هذا التعريف والجواب ان ذلك امر معلوم مشهور
عند اليهود والنصارى والعرب كانوا يخالطونهم فالظاهر انهم سمعوه منهم فلذا
السبب حسن هذا التعريف قوله تعالى فى ستة ايام اى فى مقدارها لان اليوم
عبارة عن زمان مقدر مبدأوه طلوع الشمس ومنتهاه غروبها فكيف يكون يوم حينئذ
لا شمس ولا سماء ويحتمل ان يكون المراد بالايام والاوقات مطلقا كما فى قوله تعالى
ومن يولهم يومئذ دبره اى وقتئذ واتفق العلماء على ان فوق السموات
جسما عظيما هو العرش المحيط بسائر الاجسام وقد يطلق ويراد به الملك ويقال
فلان على عرشه اى على ملكه وقد تطلق على البناء كما فى قوله تعالى وكان عرشه
على الماء اى بناؤه على متن انه تعالى بنى السموات والارض على الماء بسوف
العقل وكمال قدرته ونفاذ مشيته والخلائق يبنون بناءهم على المواضع
الصلبة البعيدة من الماء لان لا ينهدم ومن بنى مثل هذه الاجرام العظام على
الماء كان فى غاية العظمة وكمال القدرة فان كل بناء يسمى عرشا وبانيه يسمى
عارشا قال تعالى ومن الشجر وما يعرشون اى يبنون والمشهور عند جمهور
المفسرين ان المراد من العرش المذكور فى هذه الآية هو الجسم العظيم المحيط
بالعالم وقالوا قوله تعالى ثم استوى على العرش لا يمكن ان يكون معناه انه خلق
السموات والارض بدليل انه تعالى قال فى آية اخرى وكان عرشه على الماء فذلك
يدل على ان وجود العرش سابقا على تخليق السموات والارض ولا يتوهم ايضا
ان استواءه على العرش كونه معتمدا عليه مستقرا فوقه بحيث لولا العرش لسقط
ولنزل لان ذلك مستحيل فى حقه تعالى لاتفاق المسلمين على انه تعالى هو الممسك
للعرش والحافظ له وانه لا يحتاج الى شئ مما سواه بل المراد بالاستواء على العرش
والله اعلم الاستيلاء عليه بالقهر ونفاذ التصرف وخص العرش بالاخبار عن
الاستيلاء عليه لانه اعظم المخلوقات قال الشاعر قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق وقوله يدبر الامر حال من فاعل استوى او مستأنفة
لا محل له وقيل المراد بالعرش البناء وقوله تعالى خلق السموات والارض ثلاثة

مطلب

الى تخليق ذواتها وقوله ثم استوى على العرش اشارة الى تسطيحها وتشكيلها
بالاشكال الموافقة لمصالحها وما خلقت هى لاجلها وغير ذلك من الامور المعتبرة
فى تقريرها وان قيل المراد بالعرش الملك يكون استواؤه تعالى على الملك عبارة
عن وجود الاحوال المتجددة فى ذوات السموات والارض كدوران الافلاك
والكواكب وحصول الفصول الاربعة والاحوال المختلفة بسبب دورانها
قوله مصدر مؤكد لنفسه لكونه تاكيدا وتحقيقا لمضمون قوله تعالى اليه مرجعكم
ولا محل للكل الجملة غير كونه وعدا بخلاف قوله حقا فانه ايضا وان كان تاكيدا
لمضمون لكن لا يوافق المشروح الجملة الا انها محتملة غير الحقية قوله تعالى
ليجزى متعلق بقوله ثم يعيده وبالقسط متعلق بيجزى ويجوز ان يكون حالا
من الفاعل اى ليجزيهم ملتبسا بالقسط ومن المفعول اى ملتبسين بالقسط
وهو العدل واليه اشار المص بقوله اى بعدله او بعدلهم وعدم ظلمهم انفسهم بارتكاب
المعاصى قوله لكنه غير الاسلوب حيث لم يورد الجملة الثانية على صورة تعليل
الابداء والاعادة بمجازاة الكفرة بشراب من حميم وعذاب اليم بل ابتداء بقوله والذين
كفروا واخبر عنه بالجملة التى بعد وآن احتمل ان يكون قوله والذين كفروا
منصوب المحل بالعطف على الموصول قبله وتكون الجملة التى بعد مستأنفة لبيان
جزائهم لكنه خلاف الظاهر ووجه ما ذكره من التنبيه انه تعالى ادخل لام التعليل
على الثواب ولم يدخلها على العقاب بل قال والذين كفروا لهم شراب من حميم فدل
ذكر على انه تعالى خلق الخلق للرحمة لا للعقاب والحاصل انه تعالى غير الاسلوب
من ثلثة اوجه الاول انه جعل المعطوف جملة اسمية والثانى انه لم يدخل لام التعليل
على العقاب والثالث انه لم يعين ثواب المؤمنين وعين عقاب الكافرين واشار
المص الى وجه كل واحد من وجوه التغيير قوله ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا
عطف على قوله انه ذكر لقراءة انه يبدأ الخلق بفتح الهمزة ثلث تاويلات الاول
ان تكون مبنية على حذف لام الجر والثانى ان يكون فى محل النصب بالفعل الذى
نصب وعد الله اى وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق
بعد بدئه والثالث ان يكون فى محل الرفع بالفعل الذى نصب حقا اى حق حقا

يبدؤ الخلق ثم اعادته قوله اى ذات ضياء قدر المضاف لان الشمس ليست نفس الكيفية التى تسمى ضوءا وكذا القمر ليس نفس النور ويحتمل ان يكون من باب تسمية الذات بالمصدر للمبالغة كما يقال للكريم انه كرم وجود كما اشار اليه بقوله وسمى نورا للمبالغة لكن الظاهر ان يقال اوسمى بدل الواو وضياء مفعول ثانى بجعل ان كان من الجعل بمعنى التصيير او حال من الشمس ان كان جعل بمعنى انشاء وخلق قوله على الغلب بتقديم اللام على العين فوقعت لواو طرفا بعد الف زائدة فقلبت همزة كما فى كساء قوله وهو اعم من الضوء فان النور اسم لاصل الكيفية الظاهرة فى نفسها المظهرة لغيرها والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية وقيل الضياء اقوى من النور لان الضوء ما بالذات كالكيفية التى على وجه الشمس والنور ما بالعرض كالكيفية التى على وجه الارض وما بالذات اقوى قوله اى قدر مسير كل واحد منهما منازل فعلى هذا منازل منصوب على انه ظرف مكان وعلى الثانى يكون ذا منازل مفعولا ثانيا على تضمنها قدر بمعنى صير قوله ولذلك اى ولرجوع ضمير قدره الى القمر خاصة فان بالقمر يعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس وانما يعرف اوقات الصلوات والفصول الاربعة التى ينتظم بها مصالح هذا العالم ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلة وهذه المنازل مقسومة على البروج الاثنى عشر لكل برج منزلتان وثلث فينزل القمر كل ليلة منزلا منها ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلثين وليلة واحدة ان كان الشهر تسعة وعشرين قوله وقراءة ابن كثير والبصريان ويعقوب بفصل ياء الغيبة جريا على اسم الله فى قوله ما خلق الله ذلك الا بالحق والباقون بنون العظمة التفاتا من الغيبة الى التكلم ومعنى التفصيل هو ذكر هذه الدلائل الباهرة واحدا عقيب اخرى مع الشرح والبيان ثم انه تعالى لما اقام الدلائل الدالة على صحة القول بثبوت الاله الحكيم الرحيم وعلى صحة القول بالحشر والمعاد شرع بعد ذلك فى شرح احوال من يكفر بها فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا الآية ثم شرع فى شرح احوال من يؤمن بها فقال ان الذين آمنوا الآية قوله واما لتغاير الفريقين

مطلب

يقدر المضاف اذا اقتضى الضمير الراجع الى الاسم والقمر على سبيل البدل ونصب منازل على انه ظرف مكان لقدر فانه مع قدر حركة كل واحد منهما فى منازل ومنازل الشمس هى البروج الاثنى عشر ثلثة منها بروج الربيع وهى الحمل والثور والجوزا وثلثة منها بروج الصيف وهى السرطان والاسد والسنبلة وثلثة منها بروج الخريف وهى الميزان والعقرب والقوس وثلثة بروج الشتاء وهى الجدى والدلو والحوت ثم الشمس فى كل واحد من هذه البروج شهرا وتقضى السنة مع انقضائها ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا لكل ليلة منزلا منها ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلثين وان كان تسعا وعشرين فليلة واحدة

pp

الا لا يكون

اى لا يكون من باب عطف الصفات بل يكون الموصول الثانى معطوفا على اسم ان اى ان الذين لا يرجون وان الذين هم اولئك مبتداء وماويهم مبتداء ثان والنار خبر الثانى والثانى وخبره خبر اولئك واولئك وخبره خبر ان الذين قوله ومفهوم الترتيب اى ترتيب الحكم على الموصول الذى صلته مجموع الايمان والعمل الصالح يفهم منه سببية المجموع قوله او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وهو يهديهم بسبب ايمانهم لما يريدونه فى الجنة من المآكل والمشارب وغيرهما فان جريان الانهار من تحت سريرهم المرفوعة الموضوعة فى البساتين والرياض لا يقارن هدايته الله اياهم الى سلوك ما يؤديهم الى الجنة ولا ادراك الحقايق التى لا يعلمونها وانما يقارن هدايتهم لما يريدونه فى الجنة قوله فى جنات النعيم خبر آخر لقوله ان الذين آمنوا او حال آخر من ضمير يهديهم او من الانهار قوله يعنى ان الدعوى بمعنى الدعاء ويدل عليه اللهم فانه نداء فى معنى يا الله يقال دعا يدعو دعاء ودعوى كما يقال شكا يشكو شكاية وشكوى وسبحانك هو المنادى له وهو مصدر بمعنى التسبيح معمول لفعل مقدر لا يجوز اظهاره واشار اليه المص بقوله اللهم انا نسبحك تسبيحا فلما حذف الفعل اضيف المصدر الى مفعوله لما وصف الله تعالى المؤمنين بالايمان والاعمال الصالحة ذكر بعد ذلك درجات كرامتهم ومراتب سعاداتهم وهى اربع مراتب المرتبة الاولى قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم الآية اى يهديهم بسبب ايمانهم الى سلوك ما يؤديهم الى الجنة او لعلم ما لم يعلموه من الحقايق او لما يريدونه فى الجنة والمرتبة الثانية ما اشار اليه بقوله تعالى دعويهم فيها سبحانك اللهم والمراد ان اهل الجنة يشتغلون بتقديس الله تعالى وتمجيده والثناء عليه لا من حيث انهم يكلفون بذلك فى الجنة بل من حيث انهم يلتهمون اياه فينطقون به تلذذا وابتهاجا وسرورا به بناء على ان كمال حالهم لا يحصل الا منه فان سعادة السعداء ونهاية درجات الانبياء والاولياء استغراقهم بمراتب معارف الجلال والارتقاء فيها ابدا دائما ولا سيما انه تعالى لما وعد المتقين بالثواب العظيم

الا دعاؤهم هو

كما ذكرنا في اول هذه السورة بقوله ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط
فاذا دخل اهل الجنة الجنة ووجدوا ما وعدهم من تلك النعم العظيمة وشاهدوا
كونه تعالى صادقا فيما وعدهم ايام فعند ذلك قالوا سبحانك اللهم ان نسبحك
يا الله عن الخلف في الوعد والكذب في القول والمرتبة الثالثة منها قوله تعالى
وتحيتهم فيها سلام وهو من اضافة المصدر الى الفاعل ان كان المعنى
وتحية بعضهم لبعض ومن اضافته الى المفعول ان كان المعنى وتحيتهم الملائكة
اياهم كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او تحيتهم الله
اياهم كما قال سلام قولا من رب رحيم والمرتبة الرابعة وآخر دعويهم ان
يقولوا الحمد لله رب العالمين قوله آخر دعويهم مبتدأ وان هي المخففة من
الثقيلة واسمها ضمير الشان المحذوف والجملة الاسمية بعدها في محل الرفع
على انها خبر لها وان مع اسمها وخبرها في محل الرفع خبرا للمبتدأ الاول وقرئ
ان الحمد لله بتشديد ان ونصب لحمد وهي تؤيد انها مخففة من الثقيلة
في قراءة العامة ومعنى الآية ان اهل الجنة يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه
بالتحميد مسألة واثنوا عليه بصفات الاكرام وهي الصفات الاضافية
واعلم ان معرفة ذات الله تعالى والاطلاع على كنه حقيقته محال لا سبيل للخلق اليه
بل الغاية القصوى معرفة صفاته السلبية او صفاته الاضافية اما الصفات
السلبية فهي المسماة بصفات الجلال واما الصفات الاضافية فهي المسماة
بصفات الاكرام فلذلك كان كمال الذكر العالي مقصورا عليه كما قال تعالى
تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام ولما كان غاية سعادة السعداء معرفة
الله تعالى بصفات الجلال والاكرام ذكر الله تعالى كون اهل الجنة مواظبين
على هذا الذكر المقدس الذي كانت الملائكة المقربون مشتغلين به قبل ان يخلق
آدم عم الابد على انهم قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ولذلك الهم الله تعالى
السعداء من اولاد آدم حتى اتوا بهذا التسبيح في اول صلاتهم بان قالوا
بعد تكبير الافتتاح سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
ولا اله غيرك واتوا بهذا الذكر بعينه بعد انقراض العالم في دار الكرامة مسألة

وضع موضع تعجيلهم بالخير يفيد ان المشبه به لتعجيل الله تعالى لهم الشر هو تعجيلهم
لهم الخير حين استعجلوه لا استعجالهم بالخير فكان مقتضى الظاهر ان يقال ولو
يعجل الله للناس الشر تعجيلهم لهم الخير فعدل عنه الى ما عليه النظم وقد تقدم في
علم البلاغة ان لكل مقام استحق ايراد لفظ لو عدل عنه الى لفظ آخر فلابد ان
يكون العدول لفائدة فلذلك ذكر المص للعدول فائدتين الاولى الاشعار
بسرعة اجابته تعالى لهم بحيث عجل لهم الخير كما استعجلوه حتى صار استعجالهم
الخير عين تعجيل الله لهم ذلك فلذلك عبر عنه باستعجالهم بالخير والفائدة الثانية
الاشعار بان المراد من الشر المعتبر في جانب المشبه هو الشر الذي استعجلوه
فان اهل مكة كانوا يستعجلون الشر كما يستعجلون الخير حيث يقولون اللهم
ان كان محمد عم صادقا فيما ادعاه من النبوة فامطر علينا حجارة وكان
اصل الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيلهم للخير حين استعجلوه استعجالا
كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه بعونة المقام قال الامام
الذي يغلب على ظني ان ابتداء هذه السورة في ذكر شبهات المنكرين للنبوة مع
الجواب عنها الشبهة الاولى ان القوم تعجبوا من تخصيص الله عليه السلام فازال الله
تعالى ذلك التعجب بقوله اكان للناس عجبا اوحينا الى رجل منهم على عبادي دلائل
وحدانيتي وتفردي بالالوهية والربوبية وآتى سعيدهم بعد الاماتة لاجازيهم
على اعمالهم واميز بين المحسن والمسيء منهم ثم ذكر دلائل التوحيد ودلائل صحة المعاد
والشبهة الثانية للمنكرين انهم كانوا يقولون اللهم ان كان امر محمد حقا فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة
بقوله ولو يعجل الله للناس الاية وايضا اخبر الله في آيات كثيرة ان هؤلاء المشركين
متى خوفوا بنزول العذاب في الدنيا استعجلوا ذلك العذاب كقولهم فامطر علينا
حجارة من السماء وكما قال تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين وكما قال
يستعجل بها الذين لا يؤمنون وغير ذلك ثم انهم لما توعدوا بعذاب الآخرة في هذه
الآية وهو قوله اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون لعلهم استعجلوا واذكر العذاب
كما قال ذلك تعالى في هذه السورة بعد هذه الآية ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صادقين قوله عطف على فعل محذوف يعني ان الفاء في قوله فنذر تستدعي
معطوفا عليه ولا يجوز ان يكون نذر معطوفا على قوله يعجل وقوله لقضي اذ لو كان
كذلك لدخل في الامتناع الذي تقتضيه كلمة لو وتركهم في طغيانهم ليس بممتنع
بل واقع فهو معطوف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية فان قوله تعالى
ولو يعجل الله يتضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل ولا نقضي فنذرهم انهالا
اذ لا صلاح في اماتتهم واهلاكهم اذ ربما امنوا بعد ذلك وربما خرج من صلبهم من
كان مؤمنا فذلك يقتضي ان لا يعاجلهم الله بايصال الشر اليهم المستلزم لاماتتهم
واهلاكهم بناء على ان تركيبهم في الدنيا لا يحتمل العذاب المتوعد به وسمى العذاب
شرا في هذه الآية لانه اذى في حق المعاقب ومكروه عنده كما انه تعالى سماه سيئة
في قوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة قال الامام في وجه الانتظام قوله
تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه عما قبله انه تعالى بين الى الآية
الاولى انه لو انزل العذاب على العبد في الدنيا لهلك فلقضي عليه فبين في
هذه الآية ما يدل على غاية ضعفه ونهاية عجزه ليكون ذلك مؤكدا لما ذكره
من انه لو انزل عليه العذاب لمات والوجه الثاني في وجه الانتظام انه
حكى عنهم انهم يستعجلون في نزول العذاب ثم بين في هذه الآية انهم كاذبون
في ذلك الطلب والاستعجال لانه لو نزل بالانسان ادنى شيء يكرهه فانه يتضرع
الى الله تعالى في ازالته عنه فذلك يدل على انه ليس صادقا في هذا الاستعجال
قوله تعالى لجنبه في محل النصب على انه حال من فاعل دعا ولذلك عطف عليه
الحال الصريحة قوله او لاصناف المضار فان من الضر ما يغلب الانسان
ويجعله صاحب فراش يضطره الى الاضطجاع ومنه ما يكون اخف من ذلك
ويجعله بحيث يقدر على القعود ومنه ما يتمكن الانسان معه على القيام قوله
كانه لم يدعنا اعتبر ضمير الشان لان حق الحروف المشبهة الدخول على المبتداء
والخبر سواء عملت او ألغيت بالتخفيف فان التخفيف لا يبطل الا العمل وعلى
هذا لا حاجة الى ضمير الشان في قوله كان ثدياه حقان فالتمثيل به ليس الا لمجرد
بطلان العمل بالتخفيف والنحر الصدر والضمير في ثدياه يرجع الى النحر وحقان

تثنية حقة والاصل حقتان فحذفت التاء على خلاف القياس وخفف كان فبطل
عملها حيث روى ثدياه بالالف ويروى ثديّيه بالياء على انها عملت في الظاهر
وهو شاذ وقوله تعالى كان لم يدعنا في محل النصب على انه حال من فاعل مرّ
مضى على طريقة مستبهما امن لم يدع الى كشف ضره قوله مثل ذلك التزيين
اشارة الى ان الكاف في كذلك في موضع النصب على المصدر والمراد بالتزيين
تزيين الاعراض عن الابتهال والانهماك في الشهوات سمى الكافر مسرفا لانه دين
متجاوز عن الحد في الغفلة عنه فانه لا شبهة في ان المرء كما يكون مسرفا في الانفاق
كذا يكون مسرفا فيما يتركه من واجب ويقدم عليه من قبيح اذا تجاوز الحد فيه
فاحق من بذل ما انعم الله عليه من الحواس والعقل والفهم والقدرة لاكتساب السعادات
الباقية الابدية بتحصيل لذائذ الدنيا وطيباتها الحسية فوجب ان يكون من المسرفين
قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا الظاهر انه معطوف كانه قيل لما ظلموا واصروا
على الكفر حقا والبتة بحيث لم يبق فائدة في امهالهم اهلكناهم فيكون السبب في
اهلاكهم مجموع هذين الامرين فاحد ظلمهم عبارة عن احداثهم التكذيب وما يتفرع
عليه وهذا عبارة عن اصرارهم على التكذيب بحيث لا فائدة في امهالهم قوله
الاستخلاف ممن يختبر اشارة الى جواب ما يقال قوله تعالى لهذه الغاية ثم جعلناكم
خلفاء لننظر كيف تعملون يشعر بانه تعالى ما كان عالما باحوالهم قبل وجودهم وانه
يحتاج في العلم بها الى الاختبار والامتحان وانه محال وتقرير الجواب ان المراد منه
انه تعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله
تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وفي الحديث ان الدنيا حلوة خضرة وان الله
مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون وعن قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء
الا لينظر الى اعمالنا فاروا الله من اعمالكم خيرا بالليل والنهار فالكلام من قبيل
الاستعارة التمثيلية المرتبة على الاستعارة التصريحية تبعية اما كونه من قبيل الاستعارة
التمثيلية فظاهر لانه تعالى منزه عن حقيقة الاختبار لكنه شبه اختلافهم على الوجه
المذكور بمعاملة من يختبر فاخرج كلام على صورة كلام المختبر واما كونها مرتبة
على الاستعارة التصريحية تبعية فلان النظر في اللغة عبارة عن تقليب الحدقة

نحو المرئي طلبا لرؤيته فلا شك انه مستحيل في حقه تعالى من وجه، فلا بد ان يجعل
النظر في حقه تعالى مجازا عن العلم المحقق الذي لا يطرق اليه الشك والشبهة
بان يشبه هذا العلم بنظر الناظر وادراك عين المرئي على سبيل المعاينة
والمشاهدة ويطلق عليه لفظ النظر والرؤية على سبيل الاستعارة التصريحية
فلما استعير منه لفظ ينظر سرت هذه الاستعارة اليه تبعا قوله
وفائدته الى فائدة ايراد كيف ان يقال لينظر عملكم أخير أم شر مع
انه اخصر منه الدلالة على ان العبرة في الجزاء بجهات الافعال فان كيف سؤال
عن الحال فكانه قيل لينظر على اى حال تعملون ثم انه تعالى حكى عن المشركين
نوعا ثالثا من كلماتهم التي ذكروها في الطعن في نبوته عم واجاب عنه وهو
قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات الآية روى ان خمسا من الكفار كانوا
يستهزؤن بالرسول عم وبالقرآن فقتل الله كل رجل منهم بطريق كما قال
انا كفيناك المستهزئين فهذه الآية نزلت في حقهم وقوله تعالى لا يرجون
لقاءنا عبارة عن كونهم مكذبين للحشر والنشر ومنكرين للبعث والقيامة
قوله بكتاب نقرؤه ليس فيه ما نستعبده فسروا اقترحوه بقولهم
ائت بقرآن غير هذا او بدله على وجه لا بد ان يقال انه عم اذا بدل هذا القرآن
بغيره فقد اتى بقرآن غير هذا القرآن وكذا اذا اتى بغيره فقد بدله واذا
كان كذلك كان كل واحد من هذين الامرين عين الآخر وتمايل على ان كل واحد
منهما نفس الآخر انه عم اقتصر في الجواب على استحالة احدهما وهو قوله قل ما
يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي وكون كل واحد منهما نفس الآخر ينافي ان
يورد بينهما كلمة او الدالة على الترديد والتخيير وانما فسر الغيرية بعدم كون
القرآن المقترح على ترتيب هذا القرآن المنزل ولا على نظمه ويكونه خاليا
عما استعبدوه من امر البعث والجزاء وعما استكرهوه من ذم آلهتهم
وتحقيرها وفسر التبديل بان يكون هذا القرآن المنزل باقيا على ترتيبه
ونظمه لكن يوضع مكان الآيات الدالة على ما استعبدوه واستكرهوه آيات
اخر موافقة لهواهم وطريقتهم قوله ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه

فيلزموه

فيلزموه كانه جواب عما يقال كيف يصح من الكفار ان يقترحوا منه عم ان يأتي
من قبله تعالى كتابا موافقا لما يشتهونه وهم عقلاء جازمون باستحالة وكذا
جازمون باستحالة ان يكذب نفسه ويأتي بما اقترحوه من قبل نفسه وعمر الخطاب
انهم اقترحوا منه عم احد الامرين على طريق التخيير مع علمهم باستحالة كل واحد
من الامرين طمعا منهم في ان يسعفهم الى اتيانه من قبل نفسه فيلزموه بان يقولوا
قد تبين لنا انك كاذب في دعوى ان ما تقرؤه علينا كلام الهي وكتاب سماوي
اوحي اليك بواسطة الملك وانك تقوله من عند نفسك وتفتري على الله كذبا
ويحتمل ان يقولوا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء على سبيل الجد قوله
وهو مصدر يعني ان التلقاء مصدر كالتلقاء على وزن تفعال ولم يجئ مصدر
بكسر التاء الا هذا والتبيان وقرئ شاذا بفتح التاء وهو قياس المصادر
الدالة على التكرار كالتطواف والتجوال ويستعمل ظرف مكان بمعنى
الفسالة والنجاة قوله لو شاء الله غير ذلك اى لو شاء الله ان لا ينزل القرآن
على هذا النظم المتلو ما قرأته عليكم ولا اعلمكم الله به على هذا الوجه المعهود يقال
دريت الشيء اى علمته وادريته غيري اى اعلمته من الدراية بمعنى العلم
روى عن سيبويه انه قال قالوا يقال دريته ودريت به ثم قال والاكثر
هو الاستعمال بالباء والدليل عليه قوله تعالى ولا ادريكم به ولو كان على اللغة
الاخرى لقال ولا ادراكموه قوله وقرئ ولا ادرأكم بهمزة مفتوحة وسكون
الفعل على ضمير الغائب وهمزته اما مقلوبة من الالف المبدلة من الياء ان كان افعل
من الدراية واما اصلية ان كان افعل من الدرء يقال درأته اذا دفعته
وادرأته اذا جعلته دارئا اى دافعا وقرئ ايضا ولا أدراكم به
بهمزة ساكنة واسناد الفعل الى المتكلم وفيه وجهان احدهما ان يكون
من الدراية ويكون اصله ولا ادرئتكم فقلبت الياء الفا على لغة من يقلب الياء
الساكنة المفتوح ما قبلها الفا فان اهل تلك اللغة يقلبه ياء التثنية الفا ويجعلها
في جميع الاحوال على لفظ واحد ويقول جاءني الزيدان ورايت الزيدان ومررت
بالزيدان ويقول في اعطيته وارضيته اعطاته وارضاته فصار ولا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ادراكم قرأ الحسن ومن قلب الالف المبدلة من الياء همزة قراء ولا
ادراءتكم قوله تعالى عمرا منه بظرف الزمان فانتصب انتصابه اى مدة
متطاولة وهى اربعون سنة فانه عم لبث فيهم قبل الوحى اربعين سنة
ثم اوحى اليه فاقام بمكة بعد الوحى ثلث عشرة سنة ثم هاجر الى المدينة فاقام
بها عشر سنين وتوفى وهو ابن ستين سنة والاول اشهر واظهر وروى
انس انه عم اقام بمكة بعد الوحى عشر سنين وتوفى وهو ابن ستين سنة
والاول اشهر واظهر قال ابن عباس رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية لبثت
فيكم اربعين سنة لا احد ثكم بشئ من القرآن ولا اتيكم به افلا تعقلون انه ليس
من قبلى قال الامام انما اقترحوا منه عم احد الامرين لاجل انهم اتهموه بانه هو
الذى يأتى بهذا الكتاب من عند نفسه لا من جهة الوحى فدفع هذا الوهم بانهم
شاهد من اول عمره الى ذلك الوقت وكانوا عالمين باحواله وانه ما طالع
كتابا ولا تعلم من احد ثم بعد انقراض اربعين سنة على هذا الوجه جاء بهذا
الكتاب العظيم الذى عجز عن معارضته العلماء والفصحاء وكل من كان اعقل
سليم فانه يعترف ان مثل هذا لا يحصل الا بالوحى والالهام من الله تعالى
وهذا خلاصة ما ذكر الملخص قوله تفاد مما اضافوا اليه كناية اى احتراز
مما اضافوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم ايت بقرآن غير هذا من
انه عم افترى على الله كذبا بنسبة القرآن العظيم اليه تعالى وزعموا انه عم
انما يأتى بهذا القرآن من عند نفسه فانهم لما نسبوا هذا القرآن اليه عم وان
قوله عم هو من عند الله افتراء على الله فى اظلم الآية فالمقصود منه نفى الكذب
عن نفسه فكانه قيل لو لم يكن هذا القرآن من عند الله تعالى لما كان احد فى الدنيا
اظلم على نفسه منى حيث افتريته على الله كذبا لكن الامر ليس كذلك لما مر من الدليل
الباهر الدال على انه ليس الا وحى الهى ليس من كلام من لبث فيكم اربعين سنة
لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة قوله او تظلم
عطف على قوله تفاد اى ويجوز ان لا يكون المقصود منه التبرى عما اضافوا اليه عم
بل المقصود تظليمهم بنسبة الافتراء والكذب اليهم فكانه قيل انى لم افترى على الله

ولم اكذب عليه وانتم قد فعلتم ذلك حيث زعمتم ان لله شريكا وولدا وعبدتم
الاوثان وكذبتم نبيه وما جاء به من عند الله قوله حال من العائد المحذوف
مؤكدة للنفى اى لنفى ما زعموه من ان له تعالى شريكا وان هؤلاء شفعاء
عنده فان المراد من نفى علم الله به تقرير نفيه فى نفسه فيكون التقييد بحال كونه
فى السموات والارض مؤكدا لعدم تحققه فى نفسه والمعنى اتنبئون الله بالامر
الذى لا يعلم الله كائنا فى السموات ولا فى الارض قوله عن الشركاء على ان
على ان يكون كلمة ما مصدرية وقوله او عن الشركاء على ان يكون بمعنى الذى
قوله وقراء حمزة الى قوله بالتاء اى بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة
واى بتشركون مضارعا دون الماضى تنبيها على استمرارهم وعلى انهم
على الشرك فى المستقبل كما كانوا عليه فى الماضى ثم انه تعالى لما ابطل القول
بعبادة الاصنام وكونها شفعاء عنده بين السبب فى كيفية حدوث
هذه المقالة الباطلة فقال وما كان الناس الا امة واحدة
واختلفوا انهم فيما كانوا امة واحدة على ثلثة اقوال القول الاول انهم كانوا
واحدة فى انهم خلقوا على فطرة الاسلام ثم اختلفوا فى الاديان واليه الاشارة
بقوله عم كل مولود يولد على الفطرة يهودانه وينصرانه ويمجسانه والقول
الثانى انهم كانوا امة واحدة بان كانوا جميعا على الدين الحق ثم اختلف
القائلون بهذا القول فى انهم متى كانوا كذلك فقال ابن عباس ومجاهد كانوا
على دين الاسلام فى عهد آدم وفى عهد ولده واختلفوا عند قتل احد ابنيه الابر
الثانى وقال قوم انهم بقوا على دين الاسلام الى زمن نوح ثم اختلفوا على عهد
نوح فبعث الله اليهم نوحا عم وقال آخرون كانوا على دين الاسلام من زمن
نوح بعد الغرق الى ان ظهر الكفر فيهم وقال آخرون على دين الاسلام من عهد
ابرهيم الى ان غير الدين عمرو بن لحى فاختلفوا فعلى هذا القول يكون المراد من
الناس فى قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة ويكون انتظام
هذه الآية بما قبلها انه تعالى بين فيما قبل فساد القول بعبادة الاصنام وبين فى هذه
الآية ان هذا المذهب ليس مذهبا للعرب من اول الامر بل كانوا على دين الاسلام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهو دين ابرهيم عم وليس فيه عبادة وانما حدث فيهم هذا المذهب بتسويل
الشيطان واتباعه من الاثام والخوض منه ان العرب اذا علموا ان هذا المذهب
ما كان اصلا فيهم وانه انما حدث بعد ان لم يكن لم يتعصبوا لنصرته ولم يتأذوا
من تزييف هذا المذهب وابطاله والقول الثاني انهم كانوا امة واحدة
في الكفر فعائدة ايراد هذا الكلام في هذا المقام هي انه تعالى بين للرسول عم
انه لا تطمع في ان يصير كل من تدعوه الى الايمان والتوحيد مجيبا لك قابلا لدينك
فان الناس كلهم كانوا على الكفر وانما حدث الاسلام في بعضهم بعد ذلك فكيف
تطمع في اتفاق الكل على الايمان قوله فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل
مبني على ان يكون المراد بكونهم امة واحدة كونهم مخلوقين على فطرة
الاسلام او متفقين على ما هو الحق من الاديان فان من اتبع هواه فقد
خالف من لم يضيع فطرته واتبع سبيل الرشاد وكذا من اتبع الاباطيل
من الاديان فقد خالف من اتبع الدين الحق وقوله او ببعثة الرسل مبني
على ان يكون المراد به اتفاقهم على الضلال في فترة الرسل ولما وقع الاختلاف
بين الناس ناسب تعجيل الحكم بينهم فيما اختلفوا فيه باهلاك المبطلين وتخليص
المحقين او بتعذيب المصرين على الضلال واثابة المهتدين اجابة الله تعالى
عنه فقال ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم والجزاء الى يوم القيمة ليتميزوا
دار التكليف عن دار الجزاء لقضي بينهم عاجلا وقوله تعالى ويقولون لولا انزل
عليه اية نوع رابع من مقالاتهم المتفرعة على انكار النبوة كان اهل مكة يقترحون
شيئا آخر سوى القرآن ليكون معجزة له عم مثل اليد والعصى وقولهم لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات بناء على ما زعم بعضهم من ان القرآن
يمكن معارضته كما اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا وقوله
بجحودكم ما انزل عليه من الآيات العظام التي اعظمها واجلها القرآن العظيم فان
ظهور مثل هذا الكتاب الشريف من مثل ذلك البشر الذي نشأ فيما بينهم ولبث
فيهم اربعين سنة لم يطالع كتابا ولم يتلمذ لاستاد ولم يتعلم حرفا ولم يصاحب
عالما لا يكون الا بالوحي وقوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة الآية جواب ثان

عن قول اهل مكة لولا انزل عليه آية من ربه وتقدير ان مشركي مكة عادتهم الكفر
واللجاج والعناد وعدم الانصاف لانه تعالى سلط عليهم القحط سبع سنين
ثم رحمهم وانزل الامطار على اراضيهم ثم انهم اضافوا تلك المنافع الجليلة الى
الانواء والكواكب والى الاصنام واذا كان كذلك فبتقدير ان يعطوا ما
ساءلوا من انزال معجزات اخرى فانهم لا يؤمنون بل يبقون على كفرهم
وجهلهم وانما ينفع انزال الآيات عليهم ان لو كان غرضهم من اقتراحها
تحقيق الحق وطلب اليقين وليس كذلك وليس غرضهم الا التعنت
واللجاج فلو ظهر لهم جميع ما طلبوه من المعجزات القاهرة فانهم لا يقبلونها
والحيا المطر العام ويكنى به عن الخصب والانواء جمع نوء وهي ثمانية وعشرون
منزلا ينزل القمر كل ليلة في منزل منها ويسقط في المغرب نجم واحد من تلك
المنازل الثمانية والعشرين في كل ثلثة عشر يوما مع طلوع الفجر ويطلع رقيبه
من المشرق في ساعته في مقابلة ذلك الساقط وهذا في غير الجبهة فان لها اربعة
عشر يوما وينقضي الجميع مع انقضاء السنة اي مع انقضاء ثلثمائة وخمسة
وستين يوما يقال ناء ينوء نوءا اي نهض بجهد ومشقة ونار سقط
وهو من الاضداد يقال ناء بالحمل اذا نهض به مثقلا وانما سمي النجم
نوءا لانه اذا سقط الساقط منها بالمغرب فالطالع بالمشرق ينوء اي
ينهض ويطلع وقيل انما سمي نوءا السقوط وغروب قال ابو عبيد ولم يسمع
في النوء انه السقوط الا في هذا الموضع وكانت العرب تضيف الامطار و
الرياح والحر والبرد الى الساقط منها وقال الاصمعي الى الطالع منها في
سلطانه فتقول مطرنا بنوء كذا فلما انجاهم الله تعالى من القحط ومطرهم
نكسوا الامر على اتباعهم واضافوا ذلك الى الانواء لا الى الله تعالى ليكفروا
ولا يؤمنوا بآياته فقيل هذا هو المراد بكرهم في آيات الله تعالى قوله قد دبر عنا بكم
قبل ان تدبروا كيدكم يعني ان يأتيهم من العقاب اسرع في اهلاكهم مما تقولون من
المكر في ابطال القرآن والنبوة روي عن مقاتل انه تعالى قتلهم يوم بدر
وجازاهم في آياته بعقاب ذلك اليوم فكان اسرع من كيدهم في اهلاكهم عم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

و ابطال آياته قوله واغادل عاسر عنهم المفضل عليها جواب عما يقال كيف
وصف الله تعالى نفسه بكونه اسرع مكرا مع انه لم يصفهم بسرعة المكر ولا يعقل
تفضيل بدون المفضل عليه وتقرير الجواب ان كلمة المفاجاة تدل على سرعة
مكرهم كائنة قبل واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجاؤا وقوع المكر منهم وسارعوا
اليه قبل ان يفلوا رؤسهم من مس الضر قوله وهو من الله اما الاستدراج
او الجزاء على المكر فهو على الاول استعارة وعلى الثاني مشاكلة قوله
وعن يعقوب يمكرون بالياء اى بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب نظرا
الى قوله اذا التقدير قل لهم فناسب الخطاب لذلك لما اوعدهم الله تعالى بقوله
قل الله اسرع مكرا اوعدهم بعقاب الآخرة حيث قال ان رسلنا الآية
قوله وقراء ابن عامر ينشركم بفتح الياء وسكون النون من النشر وهو
التفريق والبسط الذى هو ضد الطى وقراء الباقون من التسيير و
التضعيف فيه للتعدية يقال سار الرجل وسيرته انا فان قيل كيف جعل
قوله حتى اذا كنتم في الفلك غاية لقوله يسيركم في البر وغاية الشئ يكون
بعد والحال ان التسيير في البر يكون بعد الكون في الفلك قلنا اشار المصنف
الى جوابه بقوله يحملكم على التسيير ويمكنكم منه واجاب صاحب الكشاف بان الغاية
ليس مجرد الكون في الفلك بل الغاية هي الكون في الفلك مع ما عطف عليه من قوله
وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها فان هذا المجموع بعد التسيير في البحر حريص بجوز
ان يكون معطوفا على كنتم وان يكون حالا بتقدير قد وضمير جرين للفلك لانه جمع
مكسر وان تفسيره تقديري بناء على ان ضمة كضمة اسد وبدن وضمه مفرد
كضمة فلس وقرب والالتفات في بهم للمبالغة في التقبيح والانكار عليهم كانه
يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويحملهم على الانكار والتقبيح الجوهري
عصفت الريح اذا اشتدت فهي ريح عاصف قوله يجئ الموج منه صفة
مختصة لقوله كل مكان قوله وهو بدل من ظنوا لان دعاءهم ملابس لظنهم
الهلاك ملابسة اللزوم ويجوز ان يكون كلاما مستأنفا على انه جواب لمن قال
ماذا كان حالهم اذ ذاك فقيل دعوا الله والتاء في قوله تعالى لئن انجيتنا

موطئة

موطئة للقسم المحذوف ولتكونن جوابه والقسم وجوابه في محل النصب بقول
مقدر فذلك القول المقدر في محل النصب على الحال والتقدير دعوا قائلين
لئن انجيتنا من هذه الريح العاصفة او من هذه الامواج المتلاطمة والشدايد
الهائلة لنكونن من الشاكرين على نعمة الانجاء باتباع اوامرك والاجتناب
عن مساخطك لانكفر نعمتك بعبادة غيرك فان اخلاص الدين والطاعة له تعالى
عبارة عن ترك الشرك وان لا يشركوا به تعالى شيئا من آلهتهم قبل هذا الاخلاص
ليس اخلاصا مبتنيا على الايمان بل هو لاجل العلم بانه لا ينجيهم من تلك الاهوال
الا الله تعالى فيكون حاريا مجرى الايمان الاضطراري فانهم يدعون مع الله ما
يدعون فاذا جاءهم الضر والبلاء لم يدعوا الا الله على سبيل الاضطرار وقيل
المراد بذلك الدعاء قولهم آلهتنا شركاء الله تعالى فان تغيروا ياحي يا قيوم
فاجاؤا الفساد فيها يعني ان البغي وان كان يطلق بمعنى الطلب فيقال
بغاه اى طلبه الا الاستعلام بالظلم ان المراد به ههنا الفساد والتكذيب
والجراءة على الله قيل معنى البغي قصد الاستعلام بالظلم وقال الزجاج البغي
الترقي في الفساد الجوهري البغي التعدي بغا الرجل على الرجل استطال
وبغت السماء اشتد مطرها وبغى الوالي ظلم وكل مجاوزة وافراط على
المقدار الذى هو حد الشئ فهو بغي فان قيل فما معنى قوله تعالى بغير الحق
والبغي لا يكون بحق قلنا البغي بمعنى الافساد وابطال المنفعة فقد يكون بحق و
هو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم
وقطع اشجارهم كما فعل عم ببني قريظة والبغي الذى لا يكون بحق هو البغي
بمعنى الظلم قوله مبطلين اشارة الى ان بغير الحق حال بمعنى ملتبسين بغير
الحق ثم انه تعالى بين ان هذا البغي امر باطل يجب على العاقل ان لا يحوم فقال
يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم قوله فان وباله عليكم على ان يكون على انفسكم
خبر بغيكم بتقدير المضاف في المسند اليه والانفس بمعنى الذوات وقوله اوانة
على انها لكم على ان يكون على انفسكم متعلقا بمحذوف بقوله بغيكم وان يكون انفسكم
بمعنى امثالكم ويقضي منكم كما في قوله تعالى لا تقتلوا انفسكم وقوله ولا تلمزوا انفسكم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمعنى انما بغيُ بعضكم على بعض وما تنالونه منه أمرٌ تتمتعون به فى الحيوة
الدنيا فهو متاع فى الدنيا فعلى هذا يكون متاع الحيوة خبر بغيكم وعلى الاول
يكون خبر مبتدا محذوف وان نصبت متاع الحيوة باحد الوجوه المذكورة
يكون خبر المبتدا هو قوله على انفسكم قوله حالها العجيبة سميت الحال
العجيبة مثلا تشبيها لها بالمثل التاثير فى الغرابة كما قال تعالى انما بغيكم على
انفسكم متاع الحيوة الدنيا ضرب هذا المثل لمن اغتر بالحياة الدنيا واعرض
عن التاهب للآخرة قوله تعالى حماثا كل الناس حال من النبات اى كائنا
حماثا كل وحتى كلمة غاية فلابد لها من شئ مغيا من شانه ان يستمر ويبقى الى
امد وهو الاختلاط ههنا كانه قيل اختلط نبات الارض بسبب الماء الى ان
تاتيها امرنا حين ما اخذت زخرفها وتزينت واخذت الارض زخرفها
استعارة بالكناية شبهت الارض بالعروس واثبت لها ما يلايم العروس
وهو اخذ الزينة وهو قرينة الاستعارة بالكناية وقوله وازينت
ترشيحها قوله وقرئ بالياء على الاصل لان الفعل مسند فى الاصل
الى المضاف المقدر يقال غنى بالمكان اذا قام به قال اللبث يقال للشئ
اذا فنى كان لم يغن بالامس اى كان لم يكن وهو من باب علم وهذه الجملة
يجوز ان تكون فى محل النصب على انها حال من مفعول جعلناها وان تكون
مستانفة لا محل لها من الاعراب جوابا لسؤال مقدر قوله لانه من التشبيه
المركب حيث شبهت الهيئة المنتزعة من اجتماع الحيوة وبهائها وشرعة
انقضائها بالهيئة المنتزعة من اجتماع خضرة الارض ونضارتها وانواعها
عقيبها دفعة بآفة سماوية ومشية الهية كما فى قول الشاعر كان مثارا
للنقع فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه حيث شبه الهيئة
الحاصلة من هوى اجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة
فى جوانب شئ مظلم بليل سقطت كواكبه والكاف فى كذلك نعت لصفة
مصدر محذوف اى مثل هذا التفصيل الذى فصلناه فى الماضى نفصل
فى المستقبل ووجه ارتباط هذه الآيات انه تعالى لما قال واذا اذقنا

الناس

الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا وكان هذا كلاما
كليا ضرب له مثلا لان المعنى الكلى لا يصل الى الافهام الا بالامثلة فذكر ان
للانسان اذا ركب فى السفينة ووجد الريح الطيبة حصلت له
المسرة القوية ثم لو ظهرت علامات الهلاك من الرياح العاصفة
والامواج المتراكمة وظن الهلاك وقع فى خوف شديد وبلاء عظيم
فان هذه الاحوال توجب شدة الخوف والبلاء اذا كان على سبيل
الابتداء فكيف اذا كان بعد الفرح العظيم ولا شك انه فى هذه الحال
لا يطمع الا فضل الله متضرعا اليه ويقطع الطمع عن جميع الخلق ثم اذا
نجاه الله من هذه البلية العظيمة يرجع الى ما الفه واعتاده من القبائح
الفاسدة والاخلاق الذميمة فهذا مكر الانسان بعد انتقاله من الضر
الى الرحمة ولما انساق الكلام الى ذكر انهم سارعون الى ما كانوا
عليه من البغى فى الارض بين ان بغيهم على انفسهم متاع الحيوة الدنيا
ثم مثل الحال العجيبة لتلك الحيوة من بهائها وسرعة انقضائها بالحال
الحاصلة من اخضرار الارض بانواع النبات ثم افنادها بالكلية بآفة
سماوية قوله دار السلامة من النقض اى الانقضاء بيان لوجه تسميته
الجنة بدار السلام لما نفر الله تعالى عباده بالمثل المذكور عن الركون
الى الحيوة الدنيا رغبهم فى الآخرة بهذه الآية روى عنه عم انه قال
ما من يوم تطلع فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان ينادیان بحيث يسمع كل
الخلق الا الثقلين ايتها الناس هلموا الى ربكم والله يدعوا الى دار السلام
قوله وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية يعنى انه تعالى عمم الدعوة
لجميع المكلفين وخصص الهداية بالمشية فالكل مامور بالاهتداء ولا يريد من الكل
الاهتداء لان ظاهر قوله يهدى من يشاء انه يهدى من يشاء هداه وشرده
فلو شاء اهتداء الكل كان هاديا للكل وليس كذلك ويلزم من ذلك
على المعتزلة شيئان احدهما الامر غير الارادة والا لكان الارادة الاهتداء
متعلقة بالكل كالامر وليس كذلك والثانى ان من استمر على ضلالة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لايريد اهتداءه لانه لو اراد اهتداء كل واحد من المهتدين ومن استمر
على الضلالة لم يبق لتخصيص الهداية بالمشية وجه ثم انه تعالى لما دعا عباده
الى دار السلام ذكر السعادات التي يحصل لهم فيها فقال للذين
احسنوا الحسنى وزيادة روى عن ابن عباس انه قال المراد باحسنوا
المحسنين ذكر كلمة لا آله الا الله وقال الاصم الذين احسنوا في كل ما كلفوا
به بان يأتوا بالمأمور به كما ينبغي ويجتنبوا عن المنهيات من الوجه الذي صارت
منهيا عنها من ذلك الوجه وهذا اقرب الى الصواب لان الدرجات العالية
لاتحصل الا لاهل الطاعات والحسنى في اللغة تأنيث الاحسن والوجه
تطلق هذا اللفظ على الخصلة المرغوب فيها وقال اهل التفسير
المراد بها الجنة قال ابن عباس للذين قالوا لا آله الا الله الجنة وزيادة هي
النظر الى وجه الله وروى انه عم قراء للذين احسنوا الحسنى وزيادة
قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى منادٍ يا اهل الجنة
ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هو الم يثقل موازيننا
ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار فيكشف لهم الحجاب
فينظرون الى الله تعالى فما من شيء اعطوه هو احب اليهم من النظر وهو
الزيادة ولا يرهق وجوههم قترة ولا ذلة بعد نظرهم اليه تعالى ويؤكده
قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاثبت لاهل الجنة اولا
احدهما نضرة الوجه والثانية النظر اليه تعالى وروى عن علي رضي الله
عنه انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس رضي الله عنه
الحسنى هي الجنة والزيادة عشرة امثالها وعن الحسن عشرة امثالها الى السبع
مائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الزيادة
ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون
شيئا الا امطرتهم قوله والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار ويرهقهم
حالتان الاولى ما اخبر الله تعالى عنه بقوله وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها
قترة والثانية ما اخبر عنها بقوله وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة

والوقف

والوقف من نفى ماتين الصفتين نفى اسبابهما الخوف والحزن والذل عنهم ليعلم
ان نعيمهم الذي ذكره تعالى خالص لا يشوبه شيء من المكروهات وانه
لا يتطرق عليهم ما اذا حصل غير صفة الوجه ويذهل ما فيها من النضارة و
الحسن قوله اولا يرهقهم ما يوجب ذلك على ان يكون الكلام كناية لان
عدم غشيانهما لازم لعدم غشيان ما يوجبهما فذكر اللازم ليتنقل الى الملزوم
قوله على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو اي على مذهب من يجوز
العطف على معمولي عاملين مختلفين بشرط ان يتقدم الجار ولا يجوز اذا كان
لم يتقدم كما في قولك ان زيدا في الدار وعمرو القصر بخفض وان عمرو في القصر
وفي المسئلة ثلثة مذاهب احدها الجواز مطلقا وهو قول الفراء والثاني
المنع مطلقا وهو مذهب سيبويه والثالث التفصيل الذي ذكرنا و
تقدير الكلام للذين احسنوا الحسنى وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها فقوله للذين كسبوا خبر مقدم لقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى ان يجازى
سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها ثابت للذين كسبوا السيئات قوله
وفيه تنبيه اي وفي تقييد جزاء السيئة بكونه مماثلا لاصل السيئة غير زايد
عليها تنبيه على ان المراد من قوله وزيادة ما يزيد على المثوبة تفضلا وما
يزيد عليها من الاضعاف ووجه التنبيه ان المقصود من الآية الدلالة على
الفرق بين الحسنات والسيئات بان الحسنات يجازى بالمثوبة الحسنى
مع الزيادة عليها وان السيئات تجازى بالعقوبة المماثلة لها بدون ان يزاد
عليها شيء ويفهم منه بقرينة المقابلة ان الزيادة على الثواب يكون من جنس
المزيد عليه يزاد عليه تفضلا مع قطع النظر عن كونه ضعف المزيد عليه او
اضعافه او يزاد عليه مقيدا بكونه عشر امثال الحسنات وذكر الزمخشري
هذا الوجه ثم قال وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك
الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم باثبات الزيادة على المثوبة على فضله
قوله او كانما اغشيت عطف على جزاء في قوله والجزء جزاء اي ويحتمل
ان يكون قوله تعالى والذين كسبوا مبتدا ويكون جزاء الجملة التشبيهية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من قوله كانما اغشيت وكان حرف زيدت عليه كلمة ما للكفة عن العمل
وتهيئة للدخول على الفعل وعلى هذا الوجه قد فصل بين المبتداء وخبره
بثلث جمل اعتراضية وقوله اولئك عطف عليه ايضا وعلى هذا الوجه
قد فصل باربع جمل معترضة الاولى قوله جزاء سيئة بمثلها والثانية
وترهقهم ذلة والثالثة مالهم من الله من عاصم والرابعة كانما
اغشيت وينبغي ان لا يجوز الفصل بثلث جمل فضلا عن اربع قوله
وقرئ بالياء من تحت لان تانيث الذلة غير حقيقي والظاهر ان قوله
تعالى وترهقهم ذلة معطوف على كسبوا جيئ على لفظ المستقبل لكون
المقصود تعيينهم بوصفين الاول ان كسبوا السيئات في الماضي
والثاني انه سيرهقهم الذلة يوم القيمة قوله لانه العامل في قطعا
فان قطعا منصوب باغشيت مفعول ثان وقد اقيم مفعوله الاول مقام
الفاعل ومن الليل في محل النصب على انه صفة قطعا اي كانما البست
وجوههم قطعا كائنا من الليل فلما كان من الليل صفة لقطعا المعمول لاغشيت
فلما كان من الليل معمولا لاغشيت ايضا يحكم ان العامل في الموصوف هو العامل
في الصفة ايضا فلما كان مظلما حالا من الليل يكون معمولا لاغشيت ايضا لان
العامل في الحال هو العامل في صاحبها ويجوز ان يكون العامل في مظلما على تقدير
كونه حالا من الليل معنى الفعل من الليل اي قطعا كائنة من الليل في حال كونه مظلما
قوله وعلى هذا اي على ان يقرأ قطعا بسكون الطاء يصح ان يكون مظلما
صفة له او حالا منه ولا يجوز شئ منهما على قراءة من قرأ قطعا بفتح الطاء
لان قطعا جمع قطعة مثل ذمنة ودمن وكسرة وكسر فلا يجب ان يقال
مظلمة لان الموصوف اوذا الحال لما كانت جمعا وجب تانيث الصفة
والحال لوجوب المطابقة بين الصفة والموصوف وكذا بين الحال وصاحبها
بخلاف ما اذا قرئ قطعا بسكون الطاء فانه حينئذ يكون اسم جنس فانه
يجوز تذكير صفته نحو نخل منقعر وتانيثها نحو نخل خاوية وكذا يجوز التذكير و
التانيث فيما انتصب عنه على الحالية ويوم في قوله تعالى نحشرهم منصوب

بفعل

١٧٥

بفعل مقدر اي خوفهم او اذكر يوم والفريقان هم الذين احسنوا والذين كسبوا
السيئات وجميعا حال ومكانكم اسم فعل اي اثبتوا مكانكم حذف عامله
وانتقل اليه الضمير الذي اسند اليه عامله ولذلك اكد بقوله وانتم وعطف
عليه شركاؤكم قوله تعالى فزيلنا وزنه فعلنا والتضعيف فيه للتكثير
لا للتعدية لانه ثلاثي متعد بنفسه تقول زلت الشئ ازيله زيلا اي ميزته
وفرقته ويقال زل ضائك من مزاك وزلته منه وزيلته فتزيل اي تفرق
فتفرق وقيل وزنه فيعلنا من زال يزول اصله زيولنا اجتمعت الواو والياء
وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت والاول اظهر لان
فعل اكثر من فيعل ولان مصدر التزييل ولو كان وزنه فيعل لكان
مصدره فيعلة كبيطرة لان فيعل ملحق بفعلل وهذا التذييل وان كان
مما سيكون يوم القيمة الا انه لتحقق وقوعه صار كالكائن الآن فلذلك جاء بلفظ
الماضي بعد قوله ويوم نحشرهم ثم نقول وكل منهما مستقبل كقوله تعالى ونادى
اصحاب الجنة واضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم فصيروهم
شركاء لانفسهم في تلك الاموال وقيل لان الاضافة يكفي فيها ادنى تعلق فلما كان
الكفار هم الذين اثبتوا هذه الشركة حسنت اضافة الشركاء اليهم قوله
مجاز عن براءتهم عما عبدوه من عبادتهم جواب عما يقال كيف يتاتى للشركاء ان
يقولوا ما كنتم ايانا تعبدون مع ان المشركين كانوا قد عبدوهم فيكون هذا
الكلام من الشركاء كذبا بين يدي الله في موقف القيمة وتقرير الجواب
انه انما يكون كذبا على تقدير ان يقوله الشركاء على ارادة حقيقته وليس كذلك
بل هو مجاز عن براءة الشركاء عن عبادة المشركين حيث لم تكن تلك العبادة
بامر الشركاء وارادتهم وانما الآمر بها هو اهواؤهم والشياطين فالمشركون
في الحقيقة انما عبدوا الشياطين واهواءهم ويدل عليه اولا ان الاول انهم
استشهدوا بالله تعالى في ذلك حيث قالوا فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم
والثاني انهم قالوا ان كنا عن عبادتهم لغافلين فاثبتوا لهم عبادة الا انهم
زعموا انهم كانوا غافلين عن تلك العبادة وقد صدقوا في ذلك لان من اعظم اسباب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الغفلة كونها جمادات لاحس لها ولا شعور البتة قوله وقيل آلهة يعني انهم
اختلفوا في المراد بهؤلاء الشركاء المتبرئين عن عبادة المشركين فقال بعضهم
هم الملائكة والمسيح استشهادا بقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم نقول
للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وبقوله تعالى لعيسى ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما قلت لهم الا ما امرتني به ان
اعبدوا الله وقال آخرون هم الشياطين حيث يتبرءا ممن عبده بقوله ليس لي
عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقيل بل هم الاصنام والاصنام
يقول هذا الكلام بان الله تعالى يخلق فيها الحيوة والعقل والنطق فلا جرم قدروا
على ذكر هذا الكلام قال قيل اذا احيا الله الاصنام فهل تبقيهم او تميتهم قلنا
الكل محتمل ولا اعتراض عليه تعالى في شئ من افعاله واحوال القيمة لا يعلم
منها الا القليل الذي اخبر الله تعالى عنها في القرآن وقيل قول الشركاء ما كنا
ايانا تعبدون مجرى على حقيقته بناء على ان ذلك الموقف موقف الدهشة
والحيرة فذلك الكذب يكون جاريا مجرى كذب الصبيان المجانين المدهوشين
ولانهم ما اقاموا الاعمال الكفار وزنا وجعلوها لبطلانها كالعدم فلهذا قالوا ما
عبدونا ولان المشركين لما تخيلوا فيما عبدوها اوصافا كثيرة غير موجودة في
الشركاء كانوا في الحقيقة انما عبدوا ذوات موصوفة بتلك الصفات ولما
كانت ذوات الشركاء خالية عن تلك الصفات صدق ان يقال ان المشركين
ما عبدوا الشركاء وانما عبدوا امورا تخيلوها ولا وجود لها في الاعيان
قوله في ذلك المقام يعني ان هنالك باق على اصله الذي هو كونه ظرف مكان اي
في ذلك الموقف الدهش وقيل هو هنا ظرف زمان على سبيل الاستعارة
كما في قوله تعالى هنالك ابتلي المؤمنون اي في ذلك الوقت قوله فتعاين
نفعه وضره اشارة الى ان المراد باختبار النفس ما قدمت من خير او شر حدوث
العلم لها بكون ما قدمته من الاعمال خيرا وشرا بمعاينة نتايجها واثارها فان
الاختبار سبب لحدوث العلم فاطلق اسم السبب على المسبب مجازا وسمع
قراء تتلوا بتاءين منقوطتين من فوق جعله من التلاوة او من التلو والمعنى

على الاول

على الاول ان كل نفس تقرا ذكر ما عملته مسطورا في صحف الحفظة وعلى الثاني
تتبع كل نفس ما اسلفته من العمل لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة
او الى طريق النار وقراء عاصم تبلو كل نفس بنون المتكلم المعظم ونصب كل على
انه مفعول به وقوله ما اسلفت على هذه القراءة يحتمل ان يكون في محل النصب
على اسقاط الخافض فيكون تبلوا من البلاء بمعنى العذاب اي نعذبها بسبب
ما اسلفت ويحتمل ان يكون منصوبا على انه بدل اشتمال من كل نفس لان توقف
حال عملها من كونه حسنا او قبيحا سبب لتوقف انها سعيدة او شقية
فكان بينهما ملابسة السببية فالمعنى ان نقول في ذلك الوقت نختبر كل نفس
بسبب اختبار ما اسلفت من العمل على معنى انا نعرف حال عملها ان كان
حسنا فهي سعيدة وان كان قبيحا فهي شقية وحقيقة الاختبار لا يتصور
منه تعالى فالكلام من قبيل الاستعارة كما اشار اليه بقوله نفعل بها فعل
المختبر بحالها الى قوله الى جزائه اوالى موقف جزائه لابد هنا من تقدير مضاف
لان الرجوع الى ذاته تعالى محالا يتصور اي ورد العابدون والمعبودون
الى جزاء الله وحكمه الذي هو مولاهم في الحقيقة لا مولى لهم غيره فجازى كلا واحدا
منهم على حسب ما هو عليه وقرئ الحق منصوبا اما على القطع فان اصله الجر على
انه تابع فقطع باضمار امدح او اعني كقولهم الحمد لله اهل الحمد واما على انه مصدر
مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة وهو ردوا الى الله كما تقول هذا عبد الله الحق
لا الباطل اي احقه الحق قوله من انهم الهة تشفع لهم على ان ما موصولة
عبر بها عما يختلقونه في حق شركائهم من انهم آلهتهم تشفع لهم او عن نفس شركائهم
الذين كانوا يدعون في حقهم انهم آلهة ثم انه تعالى لما بين فضايح عبدة الاوثان
اتبعها بذكر ما يدل على فساد مذهبهم فذكر امورا لا يقدرون على ادعاء ان
شركاءهم يقدرون عليها وهي احوال الرزق واحوال الحواس واحوال الموت
والحيوة قوله باسباب سماوية كالامطار واختلاف الفصول المتنوعة على
حركة الكواكب والافلاك ولا شك انه تعالى يرزق عباده من غير المواد الارضية
ايضا لان الغذا لا بد ان يكون نباتيا او حيوانيا والنبات لا ينبت الا من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الارض والحيوان محتاج الى الغذاء ولا يمكن ان يكون غذاء كل حيوان حيوانا
آخر والا لتم الذهاب الى ما لا نهاية له وذلك محال فثبت ان اغتذاء الحيوانات
يجب انتهاؤه الى النبات ومن المعلوم ان تولد النبات من الارض فلذلم
القطع بان الارزاق لا تحصل الا من السماء والارض ومن المعلوم ان
مدبر السموات والارض ليس الا الله وكذا احوال الحواس لا يقدر عليها الا الله
تعالى وكان علي يقول سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم
قوله وقيل لبيان اى وقيل كلمة من في قوله من السماء ليست لابتداء
الغاية بل لتبيين جنس من يرزق وام في قوله تعالى ام من يملك منقطعة
لانه لم يتقدمها همزة الاستفهام ولا همزة تسوية ولكن انما تقدر هنا ببل
وحدها دون الهمزة بعدها وقد تقدر ان المنقطعة عند الجمهور تقدر
بها وانما لم تتقدر هنا ببل والهمزة لانها وقع بعدها اسم استفهام صريح
وهو من فهو كقوله ام ماذا كنتم تعملون والاضراب هنا اضراب انتقال
كما هو القاعدة المتقررة في القرآن لا اضراب ابطال قوله ومن يحيي
ويميت فان كل واحد من الاحياء والاماتة اخراج احد الضدين من
الآخر بفتح تحصيله منه لانه كثيرا ما يقال كان الخارج كذا بفتح كان الحاصل
كذا وايضا انه تعالى يخرج الانسان من النطفة وبالعكس ويخرج الطائر
من البيضة وبالعكس وقيل المراد انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر
والكافر من المؤمن قوله وتعم بعد تخصيص لانه تعالى ذكر اولا تدابير
مخصوصة متعلقة بعالم الاجساد ثم ذكر تدبير الكلي المطلق بمطلق العالم
المتناول العلوي والعالم السفلي وعالمي الارواح والاجساد فان اقسام
تدبير الله تعالى في ملكه امور لا نهاية لها وذكر كلها على التفصيل كالمتعذر
وذكر بعض التفاصيل ثم عقبها بالكلام الكلي ليدل على الباقي قوله هو ربكم
الثابت ربوبيته اشارة الى ان ربكم الحق جبر ذلكم الله وان الجلالة صفة
ذلكم وان الحق بفتح الصادق اى الثابت ربوبيته رد الما اتخذ مالا تحقق
لربوبيته كانه قيل ان الذي يفعل هذه الاشياء هو ربكم الحق لا ما اشركتم معه

قوله

قوله اى كما حققت الربوبية الله اها يعني ان الكاف في كذلك في محل النصب
على انه صفة مصدر محذوف والاشارة بذلك الى المصدر المفهوم من الحق في
قوله ربكم الحق او الى حقية مضمون قوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
او الى حقية انهم يصرفون عن الحق بعد الاقرار به كما قال تعالى فسيقولون
الله قوله بدل من الكلمة الاولى عليهم انتفاء ايمانهم قوله او تعليل الحقية
الكلمة على ان يراد بالكلمة العدة بالعذاب وان الاصل لانهم لا يؤمنون قوله
تعالى قل هل من شركائكم الآية احتجاج آخر على بطلان مذهب عبدة الاوثان
قوله جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها جواب عما يقال المشركون ينكرون
البعث والاعادة فكيف احتج عليهم بذلك وتقرير الجواب ان الزام الخصم
كما يصح بما يساعد ويعترف به يصح ايضا بما تعين حقيته لقوة برهانه واحر
الحشر والنشر من هذا القبيل فان وجوب التمييز بين المحق والمبطل برهان
دال على تحقق وقوعه دلالة قاطعة لا يمكن للعاقل دفعه فصح الالزام به وان
لم يساعد الخصم عليه قوله وذلك الخ جواب لما يقال لم امر الله تعالى رسوله
عم ان ينوب عنهم في الجواب والالزام انما يصح ان لو اعترفوا به بانفسهم و
تقدير كون الاوظاهر اجلبنا بوتيدا بالبراهين القوية اغنى عن اعترافهم وانهم
سواء اقروا او انكروا فالامر متقرر ظاهر الا ان للحاج لما منعهم عن الاعتراف
به انيب عم عنهم في الجواب قوله والتوفيق للنظر والتدبر الى للنظر الصحيح
والتدبر الصائب فان العقول مضطربة والافكار مختلطة وتعيين الحق صعب
ولا يسلم من الغلط الا الاقل من القليل والاهتداء لادراك الحقايق لا يكون
الا باعانة الله تعالى وهدايته وارشاده وهذا احتجاج آخر على فساد مذهب
المشركين والاستدلال على وجود الصانع اولا بالخلق وثانيا بالهداية عادة
مطرد في القرآن قال تعالى حكاية عن الخليل عم الذي خلقني فهو يهدين و
حكى عن موسى عم قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى اعلم ان هدى
يتعدى الى اثنين الى اولهما بنفسه واما ثانيهما اما باللام او الى وقد يحذف
حرف الجر تحقيقا وقد يجمع بين التعديتين بحرف الجر هنا فعدى الاول

شبكة الألوكة
www.alukah.net

و الثالث بالى والثانى باللام وحذف المفعول الاول من الافعال الثلثة والتقدير
هل من شركائكم من يهدى غيرهُ الى الحق قل الله يهدى من يشاء للحق امن
يهدى غيره الى الحق والمعنى بين شتان كل واحد من التعديتين فقال يُعدّى بالى للدلالة
على انتهاء الهداية الى مدخولها ويعدى باللام لتدل على ان الهداية لاتتوجه نحو
مادخل عليه اللام الا لاجل ان تؤدى اليه ويترتب هو عليها كما هو شان العلة
والمعلل بها قوله ام الذى لايهتدى اه اختار فى قوله تعالى ام من لايهدى
الا ان يُهدى قراءة حمزة والكسائى وهى ان يقراء قوله امن لايهدى بسكون
الهاء وتخفيف الدال على معنى يهتدى فان العرب يستعمل يَهدى بمعنى
يهتدى فتقول هديته فهدى اى فاهتدى قوله اولايهدى غيره عطف
على لايهتدى فى قوله ام الذى لايهتدى قوله وهذا حال اشراف شركائهم
جواب عما يقال ان المراد من الشركاء فى هذه الآية الاصنام وانها جمادات
لاتقبل الهداية فكيف يصح ان يقال فى حقها ان لايُهدى وايضا كلمة ما تستعمل
فى ذوى العقول دون الجمادات فلايليق ان يقال فى حقها ام من لايُهدى
فلما قبل انه تعالى اكتفى فى بيان فساد مذهب مطلق اهل الشرك من
عبدة الاوثان وغيرها بقوله قل هل من شركائكم من يبداء الخلق ثم يعيده
فانه لاشك ان المراد بالشركاء فيه ما يتناول الاصنام وغيرها ثم بين بهذه
الآية فساد مذهب من يتخذ العقلاء الذين يقبلون الهداية ارباباً
كالملائكة والمسيح وعُزير سقط الاشكال المذكور قوله والاصل يهتدى
ان اصل كل واحدة من القرائتين ومما قراءة يَهدّى بفتح الياء والهاء
وتشديد الدال وقراءة يَهدِّى بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال
فلما ادغمت التاء فى الدال فيها اجتمع ساكنان فحركت الهاء بفتحة التاء
المدغمة فى احدى القرائتين وحركت الهاء بالكسر فى القراءة الاخرى لكون
الكسرة اصلاً فى تحريك الساكن قوله وروى ابوبكر عن عاصم يهدى بكسر
الياء والهاء اتباعاً لحركة الياء بحركة الهاء وقيل هى على لغة تعلم نحو قوله
قراء ابوعمرو بالادغام المجرد اى بترك الهاء ساكنة على حالها بعد ادغام التاء

فى الدال فجمع بين الساكنين ونسب الامام هذه القراءة الى قالون عن نافع ثم
قال قراء ابوعمرو بالاشمام الى فتحة الهاء من غير اشباع فهو بين الفتح
والسكون والفتحة مختلسة على اصل مذهبه اختيار التخفيف ثم قال فوكد
على بن عيسى انه الصحيح والاجود من قراءة نافع وقراء الآن يُهدَى
بضم الياء وفتح الهاء والدال المشددة على بناء المفعول من باب التفعيل
قوله والمراد بالاكثر الجميع لان ابقاءه على اصل معناه يدل على ان اعتقاد
بعضهم فيما ذهب اليه من قاعدة الشرك وان شركاءهم شفعاء هم عند الله
يستند الى برهان وليس كذلك بل كلهم متفقون على اتباع الظن والتقليد
وجوز ان يكون الاكثر باقيا على اصل معناه ويكون التقييد به للاشارة
الى ان الظن انما يتاتى ممن له نوع نظر واستدلال وان بعضا منهم بمعزل
عنه فضلا عن ان يبنى حكمه ومذهبه الى البرهان قوله تعالى وما كان هذا
القرآن ان يفترى لما تقدم قول اهل مكة ويقولون لولا انزل عليه آية وذكروا
ذلك لاعتقادهم ان القران ليس بمعجز وانه عم انما اتى به من عند نفسه افتعالا
واختلافا وذكر تعالى اجوبة كثيرة عن هذا الكلام وامتدت البيانات الى
هذا الموضع بين الله تعالى هنا انه عم ما اتى بهذا القرآن العظيم افتراء على
الله وانما هو وحى نازل عليه من عند الله واحتج على صحة هذا الكلام بقوله
قل فاتوا بسورة مثله فذلك يدل على انه معجز لايمكن ان يكون من عند غيره
تعالى قوله افتراء من الخلق اشارة الى ان قوله تعالى ان يفترى فى محل
النصب على انه خبر ما كان وانه فى تقدير المصدر انما ينبغى لهذا القران
ان يُفترى به على الله لان المُفترَى هو الذى ياتى به البشر والقرآن معجز لايقدر
عليه البشر والافتراء فى الاصل افتعال من فريت الاديم اذا قدرته للقطع
ثم استعمل فى الكذب واصح عليهم فى ان القرآن من عند الله بكونه مطابقا
مصدقا لما تقدمه من الكتب الالهية وكل واحد من الكتب السابقة
وان تعيين صدقه بان صدق الله المبلغة بان اظهر على يده من المعجزات
القاهرة لكن ليس شئ من تلك الكتب معجزا مصدقا لنفسه بخلاف هذا القرآن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكريم المشتمل على اقاصيص الاولين فانه قد بلغ الينا من قبل رجل اميّ لم
يكتب ولم يقرء شيئا من المدونات ولم يخالط احدا من العلماء مشتملا
على نفايس علم الاصول وحقايق علم الاحكام ولطايف علم الاخلاق وسداد
قصص الاولين وعجز عن معارضة العلماء والفصحاء والبلغاء مع غاية
عداوة اهل عصره له فلو لم يكن ما فيه من اقاصيص الاولين موافقا
لما في التورية والانجيل لقدحوا فيه ولبالغوا في الطعن فيه قائلين
ان ما جيئ به من الاقاصيص غير مطابق لما اخبر الله تعالى به فلما لم يقل
احد منهم ذلك مع شدة حرصهم على الطعن فيه علمنا انه عم اتى بتلك
الاقاصيص مطابقة لما في الكتب المتقدمة مع انه عم ما طالع شيئا منها
وذلك يدل على انه عم انما اخبر عن هذه الاشياء بوحي من الله تعالى فاذا
ثبت ان القرآن العظيم مصدق لنفسه بسبب كونه معجزا ثبت انه
مصدق للكتب المتقدمة عيار عليها شاهد على صحتها بسبب كون
مضمونه مطابقا لمضمون تلك الكتب قوله لكونه معجزا دونها جواب عما يقال
كما ان القرآن دال على نزول الكتب المتقدمة وعلى اخبار الاولين كذلك
الكتب دالة عليها فكما ان القرآن مطابق لها كذلك هي مطابقة له فكيف
حكم بان القرآن مصدق لها دون العكس فاجاب عنه بان القرآن معجز
دونها فهو الصالح لان يكون حجة وبرهانا لغيرها وقراء الجمهور بتصديق
وتفصيل بالنصب لوجهين الاول انه خبر كان المقدرة اى ولكن كان تصديق
والثاني انه مفعول له لفعل مقدر اى ولكن انزل الله للتصديق قوله
وتفصيل ما حقق واثبت على ان الكتاب في كتب بعض قرض وقدر
وحكم قال الشاعر يا ابنة عمي كتاب الله اخرجني عنكم وهل امنعكم الله
ما فعلا والناس اختلفوا في ان القرآن معجز من اى الوجوه فقال بعضهم
انه معجز لاشتماله على الاخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة وهو
المراد من قوله تصديق الذي بين يديه ومنهم من قال انه معجز لاشتماله
على العلوم الكثيرة واليه الاشارة بقوله وتفصيل الكتاب من الاحكام

الشرايع في كل باب قوله وجوز ان يكون حالا من الكتاب ولما ورد الاعتراض
كيف جاز مجئ الحال من المضاف اليه والحال انما يبين هيئة الفاعل او المفعول
به اجاب عنه بقوله فانه مفعول في المعنى فكانه قيل ولكن كان تفصيل الكتاب
منتفيا عنه الريب وان كان مستأنفا لا يكون له محل من الاعراب وان كان
قوله من رب العالمين متعلقا بتصديق او بتفصيل بطريق التنازع يكون
قوله لا ريب فيه اعتراضا بين العامل ومعموله قوله بل ايقولون اشارة
الى ان ام في هذه منقطعة مقدرة ببل والهمزة اضرب عن الكلام الاول واخذ
في انكار قولهم انه عم اختلقه من عند نفسه ثم افتراه على الله
ثم احتج عليهم بان يقول ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة
مثله فان لم يف عقل الواحد والاثنين منكم في استخراج ما يعارض القرآن
فاجتمعوا وليعن بعضكم بعضا في هذه المعارضة فاذا عرفتم عجزكم حال
الاجتماع وحال الانفراد عن هذه المعارضة فيظهر ان تعذر هذه المعارضة
انما كان لان قدرة البشر عاجزة عنها وان نظمه وتنزيله الامر قبل الله تعالى
قوله بل سارعوا في التكذيب فسر بل كذبوا بقوله بل سارعوا للدلالة قوله
بما لم يحيطوا وما يأتهم على المسارعة فان تكذيب الكلام قبل الاحاطة بمعانيه
مسارعة اليه في اول الوهلة فان التصديق والتكذيب بالشئ ينبغي ان
يكون بعد العلم والاحاطة بكنهه ومعرفة مآله ومرجعه والا لكان مسارعا
اليه في غير اوانه وفيه الاضراب في بل ذمهم على التقليد وترك النظر مع التمكن
منه كانه قيل دع تحذيرهم والزامهم فانهم لا يستأهلون الخطاب لانهم
مقلدون انتهافتون في الامر لا عن خبرة وتعقل وان كان عبارة عما يؤول اليه
نظم القرآن من المعاني ان يكون وجه الذم انهم سارعوا الى تكذيبه قبل الاحاطة
به علما فيعرفوا اعجاز نظمه وقبل ان يتدبروا تأويله اى قبل ان يعرفوا مآله ومرجعه
من المعاني فان القرآن كما انه معجز من جهة حسن نظمه كذلك هو معجز من
اشتماله على ما فيه من المعاني وان كان مآلهم يحيطوا عبارة عما جهلوه مما يخالف
دينهم وكان تأويله عبارة عما يؤل اليه ما فيه من الاخبار بالغيوب كان وجه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الزم انهم يسارعون الى تكذيب كل واحد منها قبل ان يتبين لهم حقية الاول
بالنظر في دلائل حقيته وحقية الثاني ايضا بدلايله وبحصول المآل و وقوع
تلك المغيبات قال الامام محي السنة ولم يأتهم تأويله اى عاقبة ما وعد الله
تعالى في القرآن من انه يؤل اليه امرهم من العقوبة يريد انهم لو علموا ما يؤل
اليه امرهم قوله فرازوا اى جزبوا تقول زُزْتُهُ اَزُوزُهُ رَوْزًا اى جزبته
وجزبته قوله ومعنى التوقع في لما فانه يدل على ان الفعل المنفي به متوقع
لما قيل انه لنفي قد فعل وكلمة لم لنفي فعل يعني انه اتى بكلمة التوقع في قوله
ولما يأتهم تأويله للدلالة على ان اتيان المرجع والمآل وحصول العلم بحقيقة
الحال كان امرا متوقعا منتظرا ومع ذلك سارعوا الى التكذيب لغلبة
ثباتهم وعلتة اتباع الاباء على طباعهم قوله ولما فيه من ابهام الاعراض كان
الى انه ليس بمنسوخ حقيقة لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ودليل
هذه الآية اختصاص كل واحد باعماله وثمرات افعاله من الثواب والعقاب.
وذلك لا يقتضي حرمة القتال فان آية القتال ما رفعت شيئا من مدلولات
هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا واعلم انه تعالى قسم الكفار في هذه الآية
قسمين منهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ثم قسم من لا يؤمن به قسمين
منهم يكون في نهاية البغض للاسلام والعداوة ونهاية النفرة من قبول دينه ومنهم
من لا يكون كذلك فوصف القسم الاول فقال منهم من يسمع كلامك مع انه يكون
كالاصم من حيث انه لا ينتفع البتة بذلك الكلام ومنهم من ينظر اليك ويعاين
فيك شواهد نبوتك ولكن لا يقدح ذلك كالاعمى الذي لا يشاهد محاسن صاحبه
شبه الله المكذبين الذين امروا على التكذيب وامر رسوله بان يتبرأ عنهم
بالاصم والاعمى من حيث ان شدة بغضهم وكمال نفورهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
منعهم عن ادراك محاسن كلامه ومعاينة دلائل نبوته كما يمنع الصمم في الاذن
عن ادراك محاسن الكلام ويمنع العمى في العين عن مشاهدة محاسن الصورة
فلما شبههم بالصم والعمى فرع عليه وجوب التبرء عنهم فقال افانت تسمع
الصم او تهدي العمى يعني انهم صاروا بسبب شدة عداوتهم وكمال بغضهم

ونفورهم عنك بمنزلة الصم والعمى فكما لا يمكنك جعل الاصم سميعا والاعمى بصيرا
فكذا لا يمكنك جعلهم اصدقاء لك يقبلون كلامك ويهتدون بهديك وارشادك
والمقصود من هذا الكلام اعلام الرسول بانهم قد بلغوا في فرض العقل الى حيث
لا يقبلون العلاج والطبيب اذا رأى مريضا لا يقبل العلاج اعرض عنه ولا
يستوحش من عدم قبوله للعلاج فلذلك وجب عليك ان تتبرأ عنهم ولا تشتغل
من اصرارهم على التكذيب وهذا معنى قول المص والآية كالتعليل للامر بالتبري
قوله وفيه تنبيه اما في جعل استماع الاصم العديم العقل بعد من استماع
الاصم العاقل تنبيه على ان حقيقة الاستماع ليست عبارة عن مجرد وصول
الهواء المكيف بكيفية الصوت الى الصماخ السليم والا لكان الاصم العاقل
وغير العاقل سواء في عدم الاستماع ولم يكن استماع غير العاقل ابعد من
استماع العاقل بل هي متوقفة على سلامة كل واحد من الصماخ والعقل
واستحالة كل واحد منهما على وجه يؤدي الى ارتسام المعنى المقصود من الكلام
في المدركة فلذلك كان الاستماع بعيدا منكرا بمجرد تحقق الصمم وانتفاء الصماخ
وعند انتفاء كل واحد منهما كان ابعد واتم في كونه منكرا كما قال تعالى افانت
تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون قوله بسلب حواسهم وعقولهم على حكم الله
عليهم بانهم سلبوا العقول والحواس فلا يدركون حسن الايمان ولا يقبلونه
ولا يسمعون كلام الداعي سماع قبول ولا يبصرون شواهد صدقه في دعوى
النبوة رؤية اعتبار واستبصار قال ان الله لا يظلم الناس سلبها لا فساد
متصرف في ملك نفسه ومن كان كذلك لم يكن ظالما ثم قال ولكن الناس
انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وليسوا مسلوبي الاختيار
بالكلية كما ذهب اليه الجبرية قوله وقرأ حمزة والكسائي بتخفيف لكن ومن
ضرورة ذلك كسر النون لالتقاء الساكنين ووصلا ورفع الناس لبطلان العمل
بالتخفيف وقراء الباقون بالتشديد ونصب الناس والمخاصف الله
الكفار بقلة الاصغاء وترك التدبر اتبعه بالوعيد فقال ويوم يحشرهم
ويوم منصوب بفعل مقدر اى اذكر ما حدث يوم او بيتعارفون الا تعارفوا

يوم يحشرهم او صفة ليوم اى يوما مشبّها اهله بين لم يلبث قبله الا ساعة
والدفع بهذا التقدير ما يرد من ان هذه الجملة كيف يكون صفة ليوم مع ان مضمونها
وصف المحشورين لا وصف يوم حشرهم ولابد من مثل هذا التقدير على تقديران
ان يكون الجملة المذكورة صفة للمصدر المحذوف اى حشرا كان المحشورين به لم يلبثوا
وقرء حفص بحشرهم بياء الغيبة على اسناد الفعل الى ضمير الجلالة فى قوله ان الله
لا يظلم والباقون بنون العظمة قوله يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا
او القبور لهول ما يرون فان ما يشاهده الكافر من اهوال الاخرة اشد
الشدايد وافضعها والعياذ بالله والانسان اذا عظم خوفه نسى الامور الظاهرة
وايضا يستقلون مدة ذلك اللبث فى جنب لبثهم فى موقف الحساب وفى
ساير مواقف الاخرة قوله يعرف بعضهم بعضا كما كانوا يعرفون فى الدنيا
فكانهم لم يتعارفوا بسبب الموت الا مدة قليلة لا تؤثر فى زوال ذلك التعارف
فلما ورد ان يقال ما وجه التوفيق بين هذا التعارف وبين قوله تعالى فلا
انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون اشار الى جوابه بان حمل الايتين على
الحالتين فانهم يتعارفون اذا بعثوا ثم ينقطع التعارف اذا عاينوا العذاب
ويتبرأ بعض من بعض والجملة حال اخرى من مفعول يحشرهم اى يحشرهم مشتبهين
متعارفين وهى حال مقدرة لان التعارف لا يكون حال الحشر او بيان لكونهم
مشتبهين بمن لم يلبث الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب
الامر به الى التناكر قوله للشهادة على خسرانهم يعنى ان هذه الجملة ليست
مقالة الكفار المحشورين بل من كلام الهى مسوق للشهادة عليهم بالخسران والتكذيب
بلقاء الله عبارة عن ايثار الحظوظ الدنيوية العاجلة الخسيسة الفانية على
على السعادة الاخروية الشريفة الباقية فكانه قيل قد خسر من باع اخرته بالدنيا
ثم قال ويجوز ان يكون التقدير ويوم يحشرهم حال كونهم متعارفين وحال كونهم
قائلين قد خسر الذين كذبوا بلقاء فيكون من مقالة الكفار وقوله تعالى
وما كانوا مهتدين يجوز ان يكون معطوفا على قوله قد خسر الذين فيكون حكمه
كحكمه فى الوجهين المذكورين ويجوز ان يكون معطوفا على صلة الذين فيكون

بعض

كما تأكيد لجملة الصلة لان من كذب بلقاء الله غير مهتد الى رعاية مصالح ما هو فيه
من التجارة فيضيع راس المال خائبا عن الخير بالكلية قوله وهو
جواب نتوفينك جعل فى الكلام شرطين لهما جوابان جواب الاول محذوف
وجواب الثانى مذكور والتقدير وان نتوفينك قبل ان نريك بعض ما نعدهم من العذاب
فى الدنيا فذاك هو المامول او ان نتوفينك قبل ان نريك ذلك الموعود
فانك تراه فى الاخرة ولا حاجة الى ارتكاب حذف الجواب لان قوله فالينا
مرجعهم صالح لان يكون جوابا للشرط وما عطف عليه قوله والذكر رتبتها
على الرجوع بهم ولو كان المراد من الشهادة نفسها لما صح الترتيب
المذكور لانه تعالى شهيد على ما يفعلونه من التكذيب والمحاربة حال رجوعهم
اليه وقبله قوله فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه يعنى ان الكلام
فيه اضمار والتقدير فاذا جاء رسولهم فبلغهم رسالته ودعاهم
الى الحق فكذبوه فحذف ما حذف للعلم به بقرينة المقام لما بين الله تعالى حال
نبينا مع قومه بين ان حال كل الانبياء مع اقوامهم كذلك فان قيل كيف يصح
ان يقال انه تعالى ما اهمل امة من الامم قط بل بعث الى كل واحدة منهم
رسولا ينذرهم من المخالفة مع ان زمان الفترة ليس فيه رسول كما يشهد
عليه قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم والجواب ان عموم قوله تعالى
ولكل امة رسول لا يقتضى ان يكون الرسول حاضرا مع كل واحدة منهم لان
تقدم الرسول على بعض منهم لا يمنع من كونه رسولا الى ذلك البعض كما لا يمنع
تقدم رسولنا عليهم من كونه مبعوثا الينا الى آخر الابد غاية ما فى الباب
ان ما وقع من تخليط القوم فى زمن الفترة يكون مؤديا الى ضعف اثر
دعوة الانبياء عليهم قوله استبعاد له واستهزاء به يعنى ان من جملة
شبه منكرى النبوة انه عليه السلام كلما حدد بهم نزول العذاب ومر زمان ولم
يظهر ذلك العذاب قالوا له متى هذا الوعد واحتجوا بعدم ظهوره على القدح
فى نبوته واستحقاقه لان يستهزأ به فامره الله تعالى بان يجيب عن
هذه الشبهة بجواب يخرسهم مادة الاشكال فقال قل لا املك لنفسى الا

والمراد ان انزال العذاب على الاعداء واظهار النصرة للاولياء لايقدر عليه
الا الله وانه تعالى ما عين لذلك الوعد والوعيد وقتا معينا ثم اخلف ما
وعدوا وعدم ذلك الوقت حتى يرد الاشكال وان وقت كل حادث
انما يتعين في علم الله فاذا حضر الوقت الذي وقته الله لحدوث ذلك
الحادث فانه لابد وان يحدث فيه ويمتنع ان يتقدم عليه او يتأخر عنه
قوله الا ماشاء الله ان املكه او ولكن ماشاء الله من ذلك كائن يعني
ان هذا الاستثناء يجوز ان يكون متصلا والتقدير الا ماشاء الله ان املكه
واقدر عليه وان يكون منقطعا والتقدير ولكن ماشاء الله من ذلك النفع
والضر كائن وكون هذا التقدير تصويرا لمعنى الانقطاع محل بحث لان قوله
من ذلك اشارة النفع والضر وانه بيان لماشاء الله فيكون المستثنى
من جنس المستثنى منه فكيف يكون منقطعا قال الامام احتج المعتزلة
بالاستثناء المذكور في هذه الآية على ان العبد قد يملك لنفسه ضرا
ونفعا وما ذاك الا الطاعة والمعصية فهذه الاستثناء يدل على كون العبد
مستقلا بهما واجيبوا بان هذا الاستثناء منقطع اي ولكن ماشاء من
ذلك كائن انتهى كلامه يعني انما ينتهي الاحتجاج ان لو كان التقدير الا ماشاء
ان املكه من النفع والضر فاني املكه وليس يلزم لجواز ان يكون التقدير
لكن ماشاء من النفع والضر فانه كائن بمشيئة الله تعالى لابان املكه واقدر
عليه والاستثناء من فاعل لا املك كانه قيل لا املك انا ولكن الله هو المالك
لكل مايشاء بفعله بمشيئته قوله تعالى ولكل امة اجل اي مدة
مضروبة لهلاكهم على وجه الاستيصال جزاء على تكذيبهم رسلهم فان الظاهر
ان يكون المراد بقوله لكل امة اجل الامة التي اصروا على تكذيب الرسل
وقرينة التخصيص ذكره في جواب قول المشركين متى هذا الوعد وهذا
الحكم بالامم الماضية لان الحكم المذكور لايعم امتنا بالحديث ويحتمل ان يكون
المعنى لكل امة مدة مضروبة لفناء عمر كل واحد منهم فمدلول الآية ان احدا
لايموت الا بانقضاء اجله والمعنى الاول انسب لقوله ولكل امة لانه لو كان

المراد

المراد المعنى الثاني لكان الظاهر ان يقال ولكل احد بدل امة قوله
ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به فان الاستفهام المذكور بقولهم متى هذا الوعد
يفيد الاستعجال والاستبطاء اي عد الاوبطيئا وهذا جواب لمان عن قولهم
متى هذا الوعد ومعنى الكلام قل لهم يا محمد اخبروني عن عذاب ان اتاكم اي
شئ تستعجلون منه وليس شئ من العذاب يستعجل به لمرارته وشدة اصابته
فهو مقتض لنفور الطبع منه وهو استفهام معناه التفضيع والتهويل كما
تقول لمن هو في امر تستوخم عاقبته ماذا تحبي على نفسك قوله وقت بيات
اشارة الى ان قوله تعالى اتاكم بياتا من قبيل قولهم اتيتك صباح الديك وان
البيات اسم لمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيتت العدو اي
اوقع بهم ليلا يقال بات يبيت بيتوتة وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا
كما يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا قوله اي شئ من العذاب قد تقرر
ان ماذا فيه وجهان ان يكون اسما بمعنى ما الذي وان يكون اسما واحدا
بمعنى اي شئ ولايجوز ان يكون المراد به ههنا ما الذي لان الضمير في منه للعذاب
فلو كان بمعنى الذي لخلا الصلة عن ضمير فلذا حمله على اي شئ والتنكير فيه اما
للوصفية النوعية او للتهويل فان كان للوصفية فالمعنى اي شئ نوع من العذاب
تستعجلونه وعلى هذا يكون كلمة من في منه للتبعيض او للتبيين وان كان
للتهويل فالمعنى اي شئ هائل شديد تستعجلون منه فمن حينئذ تجريدية جرد من
العذاب شئ هائل شديد يتعجب منه ومن شدته هوله كل من يراه او يسمعه
وهو العذاب نفسه لا الفرد منه او النوع وكونها للتجريد عائد الى كونها للبيان
لان ما جرد من العذاب وهو ذلك الامر الهائل المتعجب منه صادق على جنس العذاب
المبين له بخلاف ما اذا كانت للتوحيد فان كان قوله منه بمعنى من جنس العذاب
فمن للبيان وان كان بمعنى من انواع العذاب فهي للتبعيض قوله وهو متعلق
بارايتم يعني قوله ماذا يستعجل متعلق الاستخبار فان ارايتم استخبار بمعنى
اخبروني فيستدعي مفعولا يتعلق به وهو جملة الاستفهام فيكون الشرط
مع جوابه المحذوف مقررا لمضمون الاستخبار ولذلك وسط بين جملة الاستخبار

ولما كان في هذا الاستفهام تجهيل لهم وتنديم قدر الجواب تندموا على الاستعجال
او تعرفوا الخطار فيه ولا مانع من تقدير هما معًا او تقدير ما يفيد المعنيين و
لهذا حذف الجواب وتوسط تاكيدًا على تاكيد ثم قيل زيادة تنديم وتجهيل اذا
وقع العذاب آمنتم به وعاد استهزاؤكم وتكذيبكم تصديقا واذعانا وجئ
بثم دلالة على زيادة الاستبعاد وفيه ان هذا الثاني البعد من الاول وادخل في
الانكار وظهر بهذا التقرير انه لا يحتاج قوله وجواب الشرط محذوف
وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاره ليس سديد بناء على ان الجواب
المقدر لا يكون الا ما يدل عليه ما تقدمه لفظًا او تقديرًا فلو قيل انت طالق ان
فعلت كذا يكون تقديره فعلت كذا فانت يكون تقديره + طالق فينبغي
ان يجعل تقدير الآية ان اتاكم عذابه فاضرونه ماذا يستعجل منه المجرمون وتقدير
تندموا او تعرفوا تقدير شئ لا دليل عليه ووجه الاندفاع انا لا نم انه لا دليل
عليه فان محصول قوله ارايتم ما يستعجل منه المجرمون تجهيل لهم وتنديم قوله
وكجوز ان يكون الجواب ماذا ويكون الجملة الشرطية متعلقة بارايتم والمعنى
اخبروني ان اتاكم عذابه بياتا او نهارًا اي شئ يستعجل منه المجرمون قيل عليه
ان جملة الاستفهام جواب الشرط بدون الفاء بحث فان جواب الشرط اذا كان
استفهامًا فلابد فيه من الفاء تقول ان زارنا فلان فاي شئ نصنع معه لا يجوز
حذفها الا عن ضرورة وما ذكر من المثال وهو ان اتيك ماذا تعطيني فهو
من تمثيله لامن كلام العرب وقيل ايضا في جعل ماذا يستعجل جواب الشرط
اشكال وهو ان استعجال العذاب قبل اتيانه فكيف يكون مرتبا عليه جزاء لم و
اجيب بانه لا شك ان الاستعجال ماض بالنسبة الى اتيان العذاب فلا يجوز
ان يكون قوله ماذا يستعجل بمعنى الحال حقيقة بل يكون حكاية عن الحال الماضية
الى ماذا كنتم تستعجلونه لكن مجرد هذا لا يكون ايضا جوابا لان الاستعجال السابق
لا يترتب على اتيان العذاب فلابد من تقدير وهو ان يقال ان اتاكم عذابه في
تعلمون ان اي شئ تستعجلون منه قوله او بقوله ثم اذا ما وقع آمنتم به
لما كان ظاهر العطف يدل على ان المراد كون الجملة الشرطية متعلقة بقوله ثم

اذا ما وقع تعلق المفعولية وليس يراد فتر المراد بقوله بمعنى ان اتاكم عذابه آنئذ
اي ويجوز ان يكون الجواب قوله ثم اذا ما وقع ويكون الجملة الشرطية متعلقة
بارايتم ايضا ويكون قوله ماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا بين الشرط وجوابه
ويكون المعنى اخبروني ان اتاكم عذابه بياتا او نهارًا ووقع وتحقق امنتم به
بعد وقوعه ثم جئ بحرف التراخي بدل الواو للدلالة على تاخر الايمان عن وقوع
العذاب والجزاء لا يعطف على الشرط بكلمة ثم وانما يترتب عليه بالفاء
الا انه اجري ثم ههنا مجرى الفاء لان ثم ايضا يفيد الترتب مع زيادة التراخي
المناسب لمقام التوبيخ قوله اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب
الان امنتم به اشارة الى ان الآن منصوب بفعل مضمر تقديره الآن آمنتم
ودل على هذا الفعل المقدر الفعل الذي تقدمه وهو قوله ثم اذا ما وقع
آمنتم به ولا يجوز ان يعمل فيه آمنتم الظاهر لان ما قبل الاستفهام لا يعمل فيما
بعده كما ان ما بعده لا يعمل فيما قبله لانه له صدر الكلام وهذا الفعل المقدر و
معموله مقول قول مقدر كما صرح به وقدر القول والفعل لتناسب لقوله
الآن بلفظ الماضي ليطابق ما قبله وهو اذا ما وقع آمنتم وما بعده وهو قوله
ثم قيل وهذه اشياء لم يكن بعد بقرينة ما سيجئ من قوله تعالى قل ارايتم
ان اتاكم عذابه وعبر عنها بالفعل الماضي تنبيها على انها كائنة لا محالة والمعنى
ثم قيل لهم ذوقوا هذا العذاب فانه خالد لكم لا يزول حيث تصيرون الى
القبر فتعذبون فيه ثم تبعثون فتحشرون الى جهنم فيعذبون فيها ابدًا
ثم انه تعالى انما ذكر العذاب المؤبد ذكر بعده هل تجزون الا ما كنتم
تكسبون تنبيها على ان رحمته سابقة على غضبه وان لم يخلق عباده الا ليرحمهم
ويتفضل عليهم واذا هذا العذاب الشديد المؤبد لم يصدر منه ابتداء بل هو
نتيجة عملهم الباطل بمنزلة الهلاك المترتب على تناول السم ثم انه تعالى
لما اخبر عن الكفار بانهم يقولون متى هذا الوعد واجاب عنه بما تقدم حكى
عنهم انهم رجعوا الى الرسول سائلين احق هو سألوا اولا عن زمان وقوعه
وههنا سألوا عن تحققه في نفسه ولهذا اختلف جوابهما فاجاب عن الاول

بقوله ولكل امة اجل واجاب عن الثانى بتحقيقه مؤكدا بالقسم حيث قال اى
وربك انه لحق قوله والضمير الذى هو لفظ هو مرتفع على انه فاعل حق فانه
صفة مشبهة بمعنى ثابت فيرفع الفاعل وهذا الفاعل سادّ مسدّ الخبر ويجوز ان
يكون خبرا مقدما وهو مبتداء مؤخرا وجملة احق هو محل النصب على انها
مفعول ثان ليستنبئونك فان انباء بمعنى اخبر فيتعدى الى اثنين والاشهر
ان يتعدى الى الثانى بكلمة عن يقال استنبأت زيدا عن عمرو اى طلبت
منه ان يخبرنى عن عمرو وقد يعدى اليهما بنفسه قوله واى بمعنى نعم يعنى
انه حرف جواب مثل نعم الا انه لايجاب به الا موقونا بالقسم قال صاحب
الكشاف سمعتهم يقولون فى التصديق ايْوَ فيصلونه بواو القسم قوله
بمعجزين فائتين العذاب اى انتم بمعجزين ربكم حين اراد تعذيبكم حتى يفوتكم
العذاب وعن ابن عباس رضى الله عنه يريد ان الله لايعجزه شئ والفوته
ثم اخبر الله تعالى عن حالهم حين ينزل بهم العذاب فقال ولو ان لكل نفس
ظلمت بالكفر والاشراك والافتداء يجئ المعنيين مطاوع فداه فيكون لازما
يقال فديته فافتدى ومعنى فداه فيتعدى الى واحد يقال فداه وافتداه اذا
اعطى فداه فانقذه وهو فى الآية بالمعنى الثانى لان النفس الظالمة هى المطيعة
لفداه قوله لانهم بُهتوا اى صاروا مبهوتين متحيرين بما رأوه من العذاب
الشديد فلم يطيقوا عنه كلاما ولا بكاء ولا صراخا ولم يتأت لهم الا اخفاء الندامة
لكى يذهب به ليُصلَب فانه يبقى مبهوتا لا ينطق بكلمة وقيل اسرار الندامة
كناية عن اخلاصها لله تعالى فان من اخلص فى العمل اسرّه وعن جعلها خالصة
صافية عن شوب ضدها بناء على ان الاخفاء من لوازم كون الشئ صافيا
هذا على تقدير ان يكون الاسرار بمعنى الاخفاء وهو المشهور فى اللغة و
اسرّ من الاضداد يستعمل بمعنى اظهر ايضا وفسرته الآية بمعنى اظهروا ايضا على معنى
انه ليس لهم معنى هناك قوة اخفاء فاظهروها لضعفهم وفى الكشاف اسررت
الشئ واسررته اذا اظهرته قوله والمعنى مجازات المشركين على الشرك قال الامام
قضى بينهم فيبين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرسائل والاتباع وقيل

بين

بين الكفار بانزال العقوبة عليهم وقيل ان الكفار وان اشتركوا فى العذاب
فانه لابد وان يقضى التدابير لانه لايمتنع ان يكون قد ظلم بعضهم بعضا فى الدنيا
وخانه فيكون فى ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم وتثقيل لعذاب
الباقين لان العدل يقتضى ان ينتصف للمظلومين ولاسبيل الى بان يخفف
من عذاب المظلومين ويثقل فى عذاب الظالمين ثم انه تعالى لما اوعد
الظالمين بقوله ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به قدّر قدرته
على الاثابة والعقاب بقوله الا ان لله ما فى السموات والارض وقيل انه تعالى
لما قال ان الظالم لو ملك خزائن الارض واموالها لافتدت به بيّن فى هذه الآية
ان الظالم ليس له شئ يفتدى به فان الاشياء باسرها ملك خالص لله تعالى لاشريك
فيها غيره قال تعالى وكلهم آتيه يوم القيمة فردا قال الامام فى قوله تعالى الا ان
لله ما فى السموات والارض دقيقة آخرى وهى ان كلمة الا انما تذكر لتنبيه الغافلين
واهل هذا العالم مشغولون بالنظر الى الاسباب الظاهرة فيضعون الاشياء
الى ملاكها الظاهرة المجازية فيقولون الدار لزيد والغلام لعمرو والسلطنة
للخليفة والتصرف للوزير وكذلك فكانوا مستغرقين فى نوم الجهل والغفلة
حيث يظنون صحة تلك الاضافات فلذلك نادى الحق تعالى هؤلاء النائمين
بقوله الا ان لله ما فى السموات والارض لانه قد ثبت ان جميع ما سواه
ممكن لذاته وان الممكن لذاته مستند الى الواجب لذاته اما ابتداء او بواسطة
فثبت ان جميع ما سواه مملوك له تعالى ثم انه تعالى لما قال ان القرآن من رب
العالمين وما كان افتراء من دونه تعالى واثبت رسالة محمد بقوله فأتوا
بسورة مثله وصف القرآن ههنا بصفات اربع وهى كونه موعظة وشفاء
لما فى الصدور وهدى ورحمة للعالمين والعطف المعتبر فى هذه الآية من قبيل
عطف الصفات المتغايرة بعضها على بعض مع اتحاد الذات واشار اليه
المصنف بقوله فقد جاءكم كتاب جامع الخ والموعظة مصدر بمعنى الوعظ
وهو ارشاد المكلف ببيان ما ينفعه من محاسن الاعمال وما يضره من
القبايح والترغيب فى المحاسن والزجر عن القبايح والعلم الكامل بهذا البيان

شبكة الألوكة www.alukah.net

هو الحكمة العملية المتعلقة بكيفية العمل وكذا الشفا والهدى والرحمة فانها
مصادر وصف بها القرآن للمبالغة ووصف القرآن بكونه موعظة لاشتماله
على الحكمة العملية التي هي الموعظة وبكونه شفاء لاشتماله على الحكمة النظرية التي
هي شفاء لما في الصدور من الاوهام الكاسبة قوله بانزال القرآن
اشارة الى ان فضل الله ورحمته عبارتان عن انزال القرآن لان هذه الآية
متصلة بالآية الاولى وهي في ذكر القرآن وقد وصفه الله بالرحمة في الآية الاولى
وقال في آية اخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته
الى ان قال ذلك فضل الله كانه قيل قل يا محمد لهؤلاء الذين همتهم جمع الاموال
والتزين بزخارف الدنيا بفضل الله وبرحمته افرحوا الا بالاموال والحظوظ الفانية
السريعة الزوال روي عنه عليه السلام انه قال بفضل ورحمته ان بكتاب الله و
الاسلام قوله والباء متعلقة بفعل يفسره فليفرحوا يعني ان قوله تعالى
بفضل الله وبرحمته لابد له من متعلق ومتعلقه ليس فليفرحوا المذكور لانه متعلق
بقوله فبذلك فلابد من ان يتعلق بمقدر والمقدر لابد له من قرينة يدل عليه ولا
قرينة سوى الفعل المذكور بعد قوله فبذلك فذلك الفعل وان كان متعلقا بقوله
بذلك الا ان اسم الاشارة لما كان بمنزلة الضمير كان بمنزلة ان يقال فبهما
فليفرحوا فظهر بهذا ان المذكور قرينة للمحذوف وكون المذكور مفسرا لكون المقدر
فليفرحوا ظاهرا واما كونه مفسرا للتقدير فليعتنوا فلان الفرح بالشئ انما يكون
بالاعتداد بشانه مع انه له قرينة اخرى وهي ان قوله تعالى فبذلك اشارة الى
فضل الله ورحمته وقد تقدم على الفعل فتقديمه يدل على الاعتداد بشانهما
وتكرير الامر بتخصيص الفرح بالفضل والرحمة يفيد التاكيد لامحالة مع ان العامل
اجمل فيما ذكر اولا وبين في الثاني ولاشك ان تبيين الشئ بعد اجماله اوقع
في النفس وادخل في التقدير وايضا التكرير على الوجه الخاص وهو التكرير بتقديم
المعمول على عامله يفيد ايجاب الاختصاص وحقيقة فذلك لان التقديم في المرة
الاولى يفيد الاختصاص فلما تكرر افاد ايجاب الاختصاص وتقريره وفي قوله
وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح تسامح والمراد اختصاص الفرح بهما قوله

او بفعل دل عليه قد جاءتكم اشارة الى ان صاحب الكشاف تامل في قوله و
يجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اى فبمجيئها فليفرحوا
فانه يدل على كونها متعلقة بجاءتكم المذكور ولا وجه للفصل بينه وبين الجار و
المجرور بكلمة قل قوله والفاء الاولى لمعنى الشرط يعني قوله فبذلك جواب
شرط محذوف ويحتمل ان يكون الفاء فيه للدلالة على ان ما ذكر قبله من مجيء الكتاب
الجامع للاوصاف المذكورة سبب موجب لفرحهم وعلى التقدير ين يكون الفاء
الثانية تكريرا للاولى لقصد التاكيد كما في قوله لا تجزعي ان منفسا اهلكته واذا
هلكت فعند ذلك فاجزعي فان الفاء الاولى فيه جزائية والثانية تاكيد لها وقراء
الجمهور فليفرحوا بياء الغيبة وعن يعقوب فلتفرحوا بتاء الخطاب وهي قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي عنه مرفوعا واصل الامر سواء كان امر الغائب
او امر المخاطب ان يكون باللام فاصل الفرح لتقرب لكنهم حذفوا اللام في امر المخاطب
لكثرة استعماله كما حذفوا حرف المضارعة ايضا لذلك تخفيفا ثم ادخلوا همزة الوصل
احترازا عن الابتداء بالساكن وهذا مبني على قول المبرد على الاصل المرفوض قوله
وقراء ابن عامر يجمعون بتاء الخطاب على انه خطاب للناس الذين خوطبوا بقوله
يا ايها الناس قد جاءتكم وهم كفار مكة خاطبهم ثم قال لهم فبذلك فلتفرح المؤمنون
وانه خير مما يجمعونه ايها الكفار والباقون بياء الغيبة على وفق فليفرحوا الا ان
يفرحوا مسندا الى ضمير المؤمنين ويجمعون مسندا الى ضمير الكفار او كلاهما مسندان
الى ضمير الكفار قوله جعل الرزق منزلا من السماء مع ان الارزاق انما تخرج
من الارض اما لانه مقدر في السماء كما قال الله تعالى وفي السماء رزقكم ولا يخرج
من الارض الا على حسب ما قدر فيها فصار بذلك كانه منزل منها او لانه انما يخرج
من الارض باسباب متعلقة بالسماء كالمطر والشمس والقمر فان المطر سبب الانبات
والشمس سبب النضج والقمر سبب التلون واتصال الآية بما قبلها انه تعالى اثبت
اولا نبوته عليه السلام واجاب عن شبه اهل مكة في انكار نبوته واتبع ذلك بيان
فساد طريقتهم في شرايعهم وبين ان التمييز بين هذه الاشياء بتحليل بعضها
وتحريم البعض الآخر مع انه لم يشهد بذلك لا عقل ولا نقل طريق باطل ونهج فاسد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمقصود ابطال مذاهب القوم فى اديانهم وفى احكامهم وانهم ليسوا على شئ فى باب
من الابواب قوله وما فى موضع النصب بانزل او بارايتم يريد ان كلمة ما
يجوز ان يكون موصولة بمعنى الذى منصوبة على انها مفعول اول لارايتم والعائد محذوف
والتقدير اخبرونى الذى انزل الله ومفعوله الثانى هو قوله الله اذن لكم و
العايد من هذه الجملة الى المفعول الاول محذوف تقديره الله اذن لكم فيه
فان قيل قوله تعالى قل عينع من كون الجملة الواقعة بعده مفعولا ثانيا والجواب
ان كلمة قل فى قوله تعالى قل الله اذن لكم هى قل المذكور اولا كررت للتاكيد
لانه لو حذف من الكلام قيل قل ارايتم ما انزل الله لكم من الرزق فجعلتم منه
حلالا وحراما الله اذن لكم فيه لتم الكلام بدونه فعلم بذلك انها انما ذكرت للتاكيد
فلا تمنع كون ما بعدها معمولا لما قبلها ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة
المحل بانزل وحينئذ تكون معلقة لارايتم وتكون ساد مسد المفعولين و
المعنى اخبرونى اى شئ انزل الله من رزق فبعضتموه والمقصود الانكار لتخريبهم
الرزق قوله ويجوز ان يكون المنفصلة اراد بها قوله تعالى الله اذن لكم
فانه قد انفصل عن قوله ارايتم بتخلل كلمة قل بينهما بدليل انه قد سبق عليه
شيئان احدهما ارايتم والآخر قل فجاز فى قوله الله اذن لكم امران الاول
ان يكون متعلق الاستخبار ومفعوله والثانى ان يكون متعلق القول
ومفعوله فان علق بارايتم فلابد ان يكون الهمزة فى الله للاستخبار ويكون
متصلة فان قيل الهمزة وام المتصلة سؤال عن تعيين احد الامرين فذلك يقتضى
ان يكون كل واحد من الامرين محتملا ومن المعلوم انتفاء الاذن من الله تعالى
فتعين كونهم مفترين على الله فكيف يسأل عن تعيين احدهما اجيب بان هذا
السؤال ليس لطلب العلم بل هو للوعيد وطلب الاقرار منهم على الافتراء والزام
الحجة عليهم فلا محذور فان علق بقل جاز ان تكون ام متصلة وهو ظاهر والتقدير
قل الله اذن لكم فى التحليل والتحريم وانكم تفعلون ذلك بحكمه ام تكذبون على الله فى
نسبة ذلك اليه وان تكون منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله والهمزة للانكار على انه
تعالى قد رتب عليهم تحريمهم وتحليلهم اولا ثم انكر عليهم ان تكون ذلك باذن الله ثم اضرب عنه

وقرر افتراءهم قوله اى شئ ظنهم اشارة الى ان ما استفهامية فى محل الرفع
على الابتداء وظنهم خبرها ويوم منصوب بنفس الظن والمصدر مضاف الى فاعله
قوله لا تكون فى هذه الاشارة الى ان ما نافية وان الشان بمعنى الامر وجمع على
شئون ويكون الشان بمعنى الحال ايضا ويقال ما شان فلان بمعنى ما حاله وفى
شان خبر تكون والضمير فى منه راجع الى الشان اما على تقدير ما تتلو حال كون
القرآن بعض شئونك واما على ان يحمل الكلام على حذف المضاف تقديره وما
تتلو من اجل الشان بان يحدث لك شان فتتلو القرآن من اجله كقوله تعالى
مما خطيئاتهم اغرقوا الى من اجل خطيئاتهم قوله وللقرآن الى ويحتمل ان يكون ضمير
منه للقرآن فيكون من تبعضية والتى فى قوله من قرآن زايدة فى سياق النفى
واطلق القرآن على بعضه لان كل جزء منه قرآن وهم اسم للقدر المشترك بين الكل
والجزء وان قلنا ان ضمير منه لله تعالى يكون من ابتدائية لما اوعد الله تعالى الذين
يفترون على الله الكذب بعذاب يوم القيمة بين كونه علم محيطا بعمل كل واحد منا
المطيعين والعصاة وما فى قلوبهم من الدواعى والصوارف تعميما للوعد فى حق
المطيعين وللوعيد فى حق العصاة والمذنبين والخطاب وان خص به عم اولا
بحسب الظاهر الآن الامة داخلون فيه لان رئيس القوم اذا خوطبوا دخل قومه
فى ذلك الخطاب كما فى قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء قوله تعالى انا كنا
عليكم شهودا جملة حالية وهو استشناء منقطع اى ما يكون شئ مما ذكر فى حال من الاحوال
الا فى حال كوننا شاهدين مطلعين عليه قوله اذ تفيضون ظرف معمول لشهود
او الافاضة الدخول فى العمل يقال افاض القوم فى العمل اذا اندفعوا فيه وافاضوا
من عرفة اذا دفعوا منها بكثرتهم قوله موازن غلة صغيرة او هباء اشارة الى ان
قوله من مثقال ذرة فاعل يعزب وكلمة من فيه زايدة وان الذرة عبارة عن النملة
الصغيرة او الهباء وان مثقالها عبارة عما يوازنها ويساويها فى الثقل قوله
كطلم برأسه اى غير معطوف على ما قبله لانه لو عطف عليه محل من مثقال ذرة فانه مرفوع
المحل على انه فاعل يعزب ومن مزيدة فيه كما فى قولك ما جاءنى من احد او على لفظ مثقال
ذرة وكان فتحة اصغر والكبر مع كونها فى موضع الجر لعدم انصرافها لوزن الفعل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

و الصفة لكان لايعزب عنه مثقال ذرة ولا اصغر شئ من ذلك ولا اكبر في حال
من الاحوال الا في حال كونه في كتاب وهو اللوح او علم تعالى فان ما في الكتاب
من مثقال ذرة وما هو اصغر منه او اكبر يعذب عنه ولا شك ان كون الشئ
الذي في الكتاب خارجا عن علم الله عز اسمه باطل ومحال فلذلك جعله كلاما
برأسه جئ به لتقرير ما قبله وجعل لا نافية للجنس و اصغر و اكبر اسمها
فهما مبنيان على الفتح على قراءة الجمهور و قراءة حمزة ويعقوب برفع راء
اصغر و اكبر اما عطفا على محل مثقال ذرة واما على الابتداء ليكون كلاما برأسه
والمأثور ان يقال ان كثيرا من المعربين جعل قوله تعالى ولا اصغر ولا اكبر
على قراءة الجمهور معطوفا على المجرور وجعل صوت الفتح جرا غير منصرف
وجعله على قراءة حمزة معطوفا على محل الجار والمجرور فهم كيف يتخلصون عن
لزوم فساد ما اجاب عنه بقوله ومن عطفه جعل الاستثناء منقطعا والمعنى
لايعزب عنه شئ لكن جميع الاشياء في كتاب وقال ابو شامة ويزيل الاشكال
ان يقدر قبل قوله الا في كتاب ليس شئ من ذلك اى ليس شئ من ذلك الا في
ثم اذ تعالى لما تمم وعده ووعيده في حق كافة من اطاع وعصى في الآية
السابقة اتبعه بشرح احوال اوليائه المخلصين فقال الا ان اولياء الله الآية
قوله يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة اى يتقربون اليه ويتوسلون
اليهم فان الولي القرب وولي كل شئ هو الذي يكون قريبا منه والقرب من
الله تعالى بحسب المكان والجهة محال والقرب منه انما يكون بطاعته والاستغراق
في معرفته بحيث اذا راى دلائل قدرته وان سمع سمع اياته وان نطق
نطق بالثناء عليه وان تحرك تحرك في خدمته وان اجتهد اجتهد في طاعته فهذه
الجهة يكون في غاية القرب منه تعالى ويكون ولايا له تعالى ويكون الله تعالى
وليا له ايضا كما قال الله تعالى ولي الذين آمنوا الا ان القرب لايكون الا من
الجانبين واليه اشار النص بقوله يتولونه ويتولاهم والخوف انما يكون من
حدوث شئ من المكاره في المستقبل والحزن انما يكون من تحقق شئ مما كرهه
في الماضي او من فوات شئ احبه فيه قوله والآية مجمل لان قوله اولياء الله

عنوان

عنوان مجمل لم يتبين فيه جهة قربهم من الله تعالى فخفي المراد منه وقوله الذين
آمنوا وكان يتقون سواء كان منصوبا على انه صفة للاولياء او منصوبا على
المدح او مرفوعا عليه يفسر ويتبين جهة قربهم منه تعالى وهي ايمانهم وخوفهم
من المقام بين يدي الله تعالى كما روي عن ابن عباس يريد بهم الذين صدقوا
النبي عم وخافوا مقامهم بين يدي الله تعالى فكان بيانا لما اجمل اولا والفرق
بين كونه تفسيرا للمراد من اولياء الله وبين كونه بيانا لتوسلهم لربهم ظاهر
لان الاول لايستلزم الثاني والثاني يستلزم الاول قوله وما يريهم في الرؤيا
الصالحة روي ان عبادة بن الصامت سأل رسول صلى الله عليه وسلم
ما هذه البشرى التي ذكرها الله بقوله لهم البشرى في الحيوة الدنيا فقال عم
هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح او تُرى له قال الامام اذا حملنا
قوله تعالى لهم البشرى على الرؤيا الصادقة فظاهر هذا النص يقتضي ان لا يحصل
هذه الحالة الا لاولياء الله تعالى والعقل ايضا يدل عليه فذلك لان ولي الله
هو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله ومن كان كذلك فانه عند
النوم لايبقى في روحه الا معرفة الله ومن المعلوم ان معرفة الله ونور جلال الله تعالى
لايفيد الا الحق والصدق واما من يكون متوزع الخاطر على احوال هذا العالم الكدر
المظلم فانه اذا نام يبقى كذلك فلا جرم لا اعتماد على رؤياه وعنه عم ذهبت
النبوة وبقيت المبشرات وعنه عم الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان
فاذا حلم احدكم حلما يخافه فليتعوذ وليبصق عن شماله ثلث مرات فانه
لايضره فيما اذا راى احدكم ما يحزنه فليقل اعوذ بما عاذت به ملائكة الله من شر الرؤيا
التي رأيتها ان يضرني في دنياي او في آخرتي وعنه عم الرؤيا الصالحة التي يبشر بها
المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فمن رأى ذلك فليخبر بها ومن راى سوى
ذلك فانما هي من الشيطان فيخبر بها فليبصق على يساره ثلثا وليسكت ولا يخبر بها
احدا قوله وبشرى الملائكة عند النزع قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا
ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون قوله وليس من شرط الاتباع بعد
كلام ليصل ما قبله بما بعده بل كل واحد من الجملتين كيف يكون اعتراضا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

و الاعتراض انما يكون في اثناء الكلام او بين كلامين متصلين معنى لا في آخره وقد انقطع الكلام عندها وتقدير الجواب ان ما ذكر كلام اكثري لا كلي فانه لا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج وتسكت وحدث لي حادث والحادث جمة وتسكت ومن شرط ذلك يسمى مثله تذييلا لا اعتراضا قوله وتهديدهم فانه تعالى لما ابطل بجميع شبههم المتعلقة بالطعن في النبوة عدلوا الى طريق آخر في القدح باجوره عم وهو انهم هددوه وخوفوه بانهم اصحاب الاموال واتباع فنسعى في قهرك وفي ابطال امرك فاجاب تعالى عن طريقهم هذا بقوله ولا يحزنك قولهم قوله من الملائكة والثقلين بينه بهما لان كلمة من في قوله من في السموات والارض مختصة بالعقلاء كانه قيل لمن يتعزز عليك بكثرة اتباعه واموالهم فهو متعزز بما ليس له لان الموجودات كلها لله فمن استعان بها عليك فقد آل امره الى الذل والهوان لانه تعالى قادر على ان يسلب منهم تلك الاشياء وينصرك عليهم وينقل اموالهم وديارهم اليك قوله الى شركاء على الحقيقة اشارة الى ان ما في شركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لانهما مجموعة اعتماد والتقدير وما يتبع الذين يدعون آلهة من دون الله شركاء لان شركة الله في الربوبية محال فالهة مفعول يدعون وشركاء مفعول يتبع قوله ويجوز ان يكون ما استفهامية بمعنى الانكار والتوبيخ فيكون شركاء منصوبا بيدعون والمعنى اي شيء يتبع المشركون اي ما يتبعونه ليسمى شيئا قوله وقرئ تدعون بتاء الخطاب للمشركين على ان يحمل وما يتبع على الاستفهام كما صورناه من المعنى قوله او يحزنون عطف على يكذبون قوله ويقدرون تفسير ليحزنون فان الحزن التقدير يعني ان الخرص مشترك بين معنيين الحزر والكذب يقال خرص يخرص خرصا اي كذب وهو من باب نصر والخراص الكذاب قوله وانما قال مبصرا يعني ان المبصر هو الذي يبصر والنهار لا يبصر بل يبصر فيه فكان الظاهر ان يقال لتبصروا فيه كما قال في الليل لتسكنوا فيه فعدل عن هذا الظاهر واسند الابصار الى الظرف مجازا على طريق نهاره صائم وليله قائم ونكتة العدول الى الاسناد المجازي ما ذكره من التفرقة فنقف على

ظرفيه

ظرفيه ما هو ظرف مجرد حيث قال لتسكنوا فيه واسند الابصار الى ما ليس ظرفا مجردا ولم يصح بظرفيته له تنبيها على انه ليس بظرف محض بل هو لكونه ذا ضياء سبب لابصار اسباب المعاش بظرف محض بل هو لكونه فتأمل هذه الآية في غاية الفصاحة حيث حذف من كل جملة ما اثبت في الاخرى فانه تعالى ذكر علة جعل الليل مظلما وهي قوله لتسكنوا فيه وحذف منها من جعل النهار مبصرا وذكر صفة النهار وهي قوله مبصرا وحذف منها من الليل لدلالة المقابل عليه والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لتحصيل اسباب معائشكم فحذف مظلما لدلالة مبصرا عليه وحذف لتتحركوا لدلالة لتسكنوا عليه ويقال اظلم الليل اذا صار ذا ظلمة واضاء النهار اذا صار ذا ضياء فيكون هذا من باب النسب كقولهم لابن وتامر وقوله تعالى عيشة راضية ثم انه تعالى لما بالغ في تقرير الدلائل الدالة على تحقيق الحق وابطال الباطل شرع في بيان قصص الانبياء تسلية للرسول عم ولاصحابه فان المصيبة اذا عمت خفت ولكون ذلك سببا لانكسار قلوب الكفار ووقوع الخوف في صدورهم وتقليل ايذائهم وسفاهتهم فانهم اذا سمعوا ان الامم السابقة وان بالغوا في ايذاء انبيائهم الاانه تعالى قد اعانهم بالآخرة ونصرهم وقهر اعدائهم كان ذلك سببا لانكسار شدتهم وتمردهم ولكون ذكر هذه القصص من غير زيادة ولا نقصان مع انه لم يتعلم علما ولم يطالع كتابا معجزة له دالة على انه انما عرفها بالوحي والتنزيل فابتدأ بقصة نوح عم واذ فيه قوله اذ قال معمول لبناء لا لقوله اتل لانه مستقبل واذ ماض والمقام اما اسم لمكان القيام او مصدر فعل الاول يكون كناية عن النفس لان المكان من لوازمه كما يقال فعلت كذا لمكان فلان اي لاجله وعلى كونه مصدرا ما يراد طول قيامه بينهم او قيامه على الدعوة وتذكيره فانه عم مكث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فيحتمل ان يشتغلوا ذلك وايضا ان اولئك الكفار كانوا قد الفوا تلك المذاهب الفاسدة ومن الف طريقة في امر الدين فانه يثقل عليه ان يدعى الى خلافها فان اقترن بذلك طول مدة الدعاء كان اثقل واشد وذهب ابو البقاء الى ان قوله فعلى الله جواب الشرط وقوله فاجمعوا عطف على الجواب وابده عليه انه عم متوكل على الله دائما كبر عليهم مقامه اولم يكبر فالاظهر ان يقال الجواب محذوف اي ان لم فافعلوا ما شئتم و

مطلب فضيلة نوح

المذكور تعليل لعدم مبالاته بهم او يقال الجواب قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت
جملة اعتراضية بين الشرط وجوابه وقرأ الجمهور فاجمعوا بقطع الهمزة من الاجماع
وهو العزم يقال اجمعت على الامر اذا عزمت عليه فهو يتعدى بعلى الا ان حرف
الجر حذف في الآية واوصل الفعل الى المجرور بنفسه وقيل هو متعد بنفسه في الاصل
واجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقرأ العامة وشركاؤكم منصوبا على
انه مفعول معه من ضمير الفاعل فاجمعوا او على انه معطوف على امركم بحذف المضاف
وعن نافع فاجمعوا بوصل الالف وفتح الميم من جمع وفيه وجهان الاول ان التقدير
فاجمعوا ذوي امركم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واوقع الفعل عليه
والثاني ان المراد بالامر ههنا وجوه كيدهم ومكرهم والتقدير لا تدعوا من امركم شيئا
الا احضرتموه وقول المص او الاجماع على قصده يلايم الوجه الاول قوله ثم لا يكن
حالكم غما الى يحتمل ان يكون الامر عبارة عن معاداتهم اياه وقصدهم اهلاكه
وان يكون الامر بمعنى الحال وان يكون الغمة بمعنى الغم والانقشاع كما نقل عن المبرد انه قال
اي فتجوا عن انفسكم ولا تخفوها قوله ادوا الى ذلك الامر اشارة الى ان مفعول اقضوا
محذوف وهو ذلك الامر وقرئ ثم افضوا بقطع الهمزة والفاء من افضى يفضي اذا انتهى
او من افضى اذا خرج الى الفضاء والصحراء الثم اصحروا به الي وابرزوا لي والمعنى
على الاول ثم القوا الي ما استقر عليه رأيكم مما في نفوسكم محكما مفروغا عنه ثم لا تمهلون
ولا تؤخرون وقد نظم بعضهم هذا الكلام على احسن الوجوه فقال انه عم قال في اول
الامر فعلى الله توكلت فاني واثق بوعد الله جازم بانه لا يكلف الميعاد فلا تظنوا اني ان
تهديدكم اياي بالقتل والايذاء يمنعني من الدعاء الى الله ثم انه عم اورد عليهم ما يدل على صحة
دعواه فقال فاجمعوا امركم كافة يقول اجمعوا كل ما تقدرون عليه من الاشياء التي توجب
حصول مطلوبكم ثم لم يقتصر على ذلك بل امرهم ان يضموا الى انفسهم شركاءهم الذين كانوا
يزعمون ان حالهم تقوى بمكانهم وبالتوسل بهم ثم لم يقتصر على هذين بل ضم اليهما ثالثا
وقوله ثم لا يكن امركم عليكم غمة واراد ان يبلغوا فيه اوان يسعوا فيه زاعمة غاية السعي حتى
يطيب عيشهم كل غاية في المكاشفة والمجاهدة ثم لم يقتصر على ذلك حتى ضم اليه رابعا فقال ثم
اقضوا الي والمراد ان وجهوا كل تلك الشرور الي ثم ختم الى ذلك خامسا فقال ولا تنظرون

الى عجلوا ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير انتظار وهذا آخر الكلام ومعلوم
ان مثل هذا الكلام يدل على انه عم كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه
كان قاطعا بان كيدهم لا يضره ولا يصل اليه وان مكرهم لا ينفذ فيه قوله
فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لاحد امرين اما لثقله عليكم او لكونه سببا
لاتهامكم اياي بان تقولوا انما يعظنا ويذكرنا طمعا لنيل الاجر والمال من قبلنا
فقوله فما سألتكم علة لما هو جزاء الشرط اقيم مقام الجزاء والمعنى ان توليتم
فلا باعث يدعوكم الى التولي اذ ليس عندي ما ينفركم عني ويحملكم على الاعراض
عن تذكيري قوله او يفوتني لتوليكم عطف على قوله يوجب توليكم والمعنى
ان توليتم فلا يرجع ضرر ذلك التولي الي اذ لا منفعة لي من قبلكم في قبولي نصحي
وتذكيري حتى تنقطع تلك المنفعة على تقدير توليكم قوله تعالى فكذبوه عطف
على قوله قال لقومه انا اي انزل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه كذا وكذا فكذبوه
فتولوا عن تذكيره والفاء في قوله فنجيناه فاء فصيحة تفصح عن كون الكلام
مشتملا على الحذف والتقدير فكذبوه تمرد وعنادا فحقت عليهم كلمة العذاب
فاغرقوا فنجيناه ومن استقر معه في الفلك او فنجيناهم في هذا المكان فان
انجاءهم وقع في الفلك فجعل هذا يتعلق في الفلك بنجيناه وعلى الاول يتعلق
بالاستقرار الذي تعلق به قوله تعالى بالبينات متعلق بجاؤهم او بمحذوف
على انه حال اي ملتبسين بالبينات وما في قوله تعالى بما كذبوا به مصدرية
وضمير به للحق والكاف في قوله كذلك نعت مصدر محذوف اي مثل ذلك
الطبع والختم المحكم الممتنع زواله نطبع على قلوب المتعدين المتجاوزين عن الحد
باختيار الاصرار على الكفر قال الامام احتج اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى قد
يمنع المكلف عن الايمان وتقريره ظاهر ثم نقل عن القاضي رئيس المعتزلة ان
الطبع غير مانع من الايمان بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون
الا قليلا فلو كان هذا الطبع مانعا لما صح هذا الاستثناء ثم اطال في تحقيق الكلام
في هذا المقام ما استقصاه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى
ابصارهم قوله بالآيات التسع وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والتصفادع والدم والطمس وفلق البحر والحق في قوله تعالى فلما جاءهم الحق الخ
ظاهر اقيم مقام ضمير الآيات المذكورة في قوله بآياتنا وهي الآيات التسع والا لم
ينتظم قوله ان هذا لسحر مبين جوابا لقوله فلما جاءهم الحق ثم جعل الحق شخصا
جاءهم من عند الله على سبيل الاستعارة المكنية بقرينة اسناد المجئ يدل على غاية
ظهوره بحيث لايخفى على من له ادنى مسكة فلهذا عطف المفسر قوله وعرفوه
على قوله تعالى جاءهم الحق والا فقوله تعالى فلما جاءهم الحق لايدل على انهم عرفوا
انه الحق وانه من عند الله لان من قبل موسى وهرون عم فيكون ذلك تفسيرا بالاولالة
للنظر عليه وتوصيف الآيات بالحق تعريض بان صنعتهم تخييل وتمويه فتكون
باطلا بخلاف قلب العصا حية وفلق البحر وغير ذلك من الآيات فان ضرورة
العقل حاكمة بانها ليست من قبيل والتخييل فلايكون سحرا بل يكون حقا ظاهرا
من عند الله بخلقه وايجاده قوله لانهم بتوا القول اى قطعوا بانه سحر ولم يشكوا
فيه ومن قطع القول بانه سحر لايصح منه ان يستفهم ويقول السحر هذا حتى ينكر عليهم
ذكر القول بان يقال اتقولون للحق اسحر هذا فلايجوز ان يكون اسحر هذا مقول
القولون بل هو مقول قال موسى انكر عليهم اولا بت القول بانه سحر مبين
ثم انكر كونه سحرا كائنا من قبيل التمويه والتخييل قوله الا ان يكون الاستفهام
فيه للتقرير انشار من قوله ولايجوز الخ اى لايجوز ذلك بكل حال بان يكون
الاستفهام فيه لتحقيق كونه سحرا تمهيدا للحكم بان صاحبه لايفلح فانهم لما بتوا القول
بانه سحر اشعر قولهم هذا ان صاحبه لايفلح للقطع بان السحر تمويه وتخييل باطل
لايظفر به الساحر بغيته فكانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولايفلح
الساحرون فيكون المحكي بقوله القولون هو مفهوم ما قالوه بتا فرد موسى عم
تلك المقالة المفهومة من قولهم وانكرها واثبت ان الفلاح لصاحبه حيث جاء حقا
من عند الله فالمصنف ذكر في قوله القولون للحق لما جاءكم ثلثة اوجه الاول ان
القول فيه على اصل معناه وان مقوله محذوف لدلالة السابق عليه وقول موسى اسحر
هذا ابتداء كلام ذكر انكارا لما قالوه وتجهيلا لهم والثاني ان يكون القول على اصل معناه
ايضا ويكون الجملة الاستفهامية المحولة على التقرير مقولا له من حيث دلالتها

على انه لافلاح لمن جاء به والثالث ان يكون القول كناية عن المقالة والطعن فلا
يستدعي مقولا كما يكون الذكر كناية عنها فلا يستدعي مذكورا كما في قوله سمعنا
فتى يذكرهم وقوله اسحر هذا استيناف للانكار والتجهيل قوله لتصرفنا
يقال ان التفت اللي والصرف يقال لفته عن كذا اى صرفه ولواه عنه وقيل لفته
الشئ وفتله بمعنى لواه فهما اخوان ومطاوع لفت التفت كما ان مطاوع فتل
انفتل ويجعل مطاوع فتل مطاوعا لقولنا لفت استفنار بمطاوع احدهما
عن مطاوع الآخر واللام في لتلفتنا متعلقة بالمجئ اى اجئتنا لهذا الغرض قالوه
انكارا لمجيئه صارفا اياهم عن دين ابائهم وحاصل كلامهم انهم قالوا لانترك الدين
الذي نحن عليه لانا وجدنا آباءنا عليه ولان المقصود كما من دعوى الرسالة ان
يكون لكما الملك والعز في ارض مصر فلا نؤثر رياستكما على رياستنا فلما
بينوا ان سبب اعراضهم عن قبول دعوتهما هذان الامران صرحوا بالحكم المتفرع
عليهما فقالوا وما نحن لكما بمؤمنين ثم حاولوا ان يعارضوا معجزة موسى عم بانواع
من السحر ليظهر عند الناس ان ما اتى به موسى من باب السحر فجمع فرعون السحرة و
احضرهم فقال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فان قيل كيف امرهم بالسحر
والعمل بالسحر كفر والامر بالكفر كفر فالجواب انه عم امرهم بالقاء الحبال
والعصى ليظهر للخلق ان ما اتوا به عمل فاسد وسعي باطل لانه عم امرهم
بالسحر قوله اى الذي جيئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا والحصر مستفاد
من تعريف الخبر فان تعريفه باللام قد يفيد قصر الجنس على المسند اليه قصرا حقيقيا مطا
للواقع نحو زيد الامير اذا لم يكن في الواقع امير سواه او قصرا غير حقيقي مبنيا
على المبالغة بادعاء اتصاف المسند اليه بذلك الجنس نحو عمرو الشجاع اى الكامل
في الشجاعة تبرزا للكلام في صورة توهم ان الشجاعة مقصورة عليه لاتتجاوزه
لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال وقوله تعالى ما جيئتم به السحر
من قبيل الاول وكلمة ما فيه بمعنى الذي وفي محل الرفع على الابتداء وجيئتم به صلته وعائده
والسحر خبره عرف لفظ سحر بحرف التعريف وسقط همزة الوصل حال الدرج قوله
والسحر بدل منه او من اسم الاستفهام فلذلك اعيد معه اداة الاستفهام فانه قد

بتا

تقدّر في كتب النحو ان ما وقع بدلا من اسم الاستفهام لابد ان يعاد فيه اداته ليساوي
البدل المبدل منه نحو اثة استفهام كما تقول كم مالك اعشرون ام ثلثون فتجعل اعشرون
بدلاً من كم ولا يلزم ان يضمر للسحر خبر لانك اذا ابدلته من المبتدا صار في موضعه
وصار خبر المبتدا خبرا عنه قوله ويجوز ان ينتصب ما آه اى ويجوز ان يكون ما
استفهامية منصوب المحل بفعل مقدر بعدها لان لها صدر الكلام وجئتم به
مفسر الذلك الفعل المقدر فيكون المسئلة ح من باب الاشتغال والتقدير اى
شئ اتيتم جئتم به والسحر على ما تقدم وتوقرئ بنصب على انه بدل من ما بهذا التقدير
لكان له وجه لكن لم تنقل القراءة به واعلم انك اذا جعلت ما موصولة بمعنى
الذى امتنع نصبها بفعل مقدر على الاشتغال لان ما بعدها صلتها والصلة كما
لا تعمل في الموصول لا يكون تفسيرا لما هو العامل فيه فتلخص من هذا انها اذا كانت
استفهامية جاز ان يكون في محل رفع او نصب واذا كانت موصولة
تعين ان يكون محلها الرفع بالابتداء قوله فما آمن في مبدا اوه لعله
اخذ التقييد المذكور من فاء التعقيب فانها تدل على ان السحرة طالما لقوا
جبالهم وعصيتهم وعارضهم موسى عم قولا لما يتأخر ايمان الذرية عنه بل وقع عقيبه
فان الفاء تفيد ذلك ثم انه لما تقدم ذكر موسى عم وفرعون اختلف في مرجع
ضمير قومه فاختار المص كونه راجعا الى موسى لكونه اقرب المذكورين ولانه لو رجع
الى فرعون لكان حق التركيب ان يقال على خوف منه بدل على خوف من فرعون
والى هذا ذهب ابن عباس وغيره قالوا المراد مؤمنوا بني اسرائيل الذين كانوا بمصر
وخرجوا معه فقالوا لفظ الذرية يعبر به عن القوم على وجه التحقير والتصغير و
لا سبيل لحمله على التحقير والاهانة ههنا فوجب حمله على التصغير في قلة العدد
او حداثة السن وقيل ضمير قومه يعود على فرعون ويضعف عوده على موسى لان
المعروف من اخبار بني اسرائيل انهم كانوا قد فشت فيهم انواع الذل والقهر بسبب
استيلاء فرعون عليهم وكانوا يرجون ان يكشف الله تعالى عنهم ما هم فيه من انواع
الشدائد بظهور المولود الذى يحذر فرعون من ظهوره ومن زوال ملكه بسببه
فلما جاءهم موسى عم اتفقوا على اتباعه والايمان به ولم يحفظ ان طائفة من بني اسرائيل

كفرت بموسى فيبعد ان يقال مع الآية فما آمن لموسى الا ذرية قليلة من بني اسرائيل
وعن ابن عباس في رواية اخرى عنه انه قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا
بموسى منهم امراة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامراة خازنه
وماشطته قوله تعالى على خوف حال اى آمنوا كائنين على خوف ومع
خوف قوله وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء جواب ما يقال كيف يعود
ضمير الجمع على مفرد وهذا انما يكون جوابا ان لو كان التعبير عن المفرد بضمير الجمع
واردا في كلام من يعظم فرعون واني قدر مثل فرعون عند الله حتى يعبر عنه
بضمير الجمع فينبغي ان يقتصر على الجواب الثاني وهو ان فرعون عند الله حتى يعبر
عنه صار اسما لاتباعه كثمود وربيعة الفرس ومضر الحمراء قوله او للذرية اى
ويجوز ان يكون ضمير ملائهم للذرية اى على خوف من فرعون ومن الذرية وهم
اشراف بني اسرائيل وان يكون للقوم سواء جعلنا الضمير في قومه لموسى او لفرعون
اى ومن ملاء قوم موسى او ومن ملاء قوم فرعون قوله وهو بدل منه اى من
فرعون بدل اشتمال تقديره على خوف من فرعون فتنتهم كقولك اعجبني زيد علمه
ويجوز ان يكون في محل النصب على انه مفعول به لخوف اى على خوف فتنتهم
واعمال المصدر المنون كثير ومنه قوله تعالى او اطعام في يوم ذى مسغبة
يتيما واسباط الانبياء بنوا اسرائيل فانهم من فروع يعقوب بن اسحق بن
ابرهيم عم وجعلهم ارقاء مقهورين قوله ليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان
الآية وان اعتبر فيها شرطان مختلفان وهما الايمان والاسلام فان الايمان بالله
عبارة عن التصديق بان واجب الوجود لذاته واحد وان جميع ما سواه محدث
مخلوق مقهور تحت مشيته وتصرفه والاسلام عبارة عن الاستسلام والانقياد
للتكاليف الصادرة من الله تعالى واظهار الخضوع وترك التمرد ولا شك انهما
اوان مختلفان الا ان المعلق على هذين الشرطين ليس حكما واحدا اعني وجوب التوكل
والا لزم ان لا يجب التوكل بمجرد الايمان بالله لان المشروط لا يحصل الا عند تحقق شرطه
والشرط اذا كان امورا متعددة لا يحكم بتحققه الا اذا تحقق جميع اجزائه فان
قال الشارع ان كان المكلف زانيا محصنا فارجم لا يجب الرجم الا عند تحقق

بمجموع الامرين فكذا في هذه الآية لو علق وجوب التوكل على مجموع الايمان بالله
والاسلام لزم ان لا يجب التوكل الا عند تكامل الشرط بجميع اجزائه وليس
كذلك بل هناك حكمان علق كل واحد منهما بشرط خاص علق وجوب التوكل
على الايمان بالله وحصوله التوكل على الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله
اى يجعلوها سائبة له خالصة لاحظ للشيطان فيها فان من لم يسلم نفسه للديان
جعل للشيطان مدخلا فيها لا يحصل له التوكل وهو تفويض الامور بالكلية
الى الله والاعتماد في كل الاحوال على الله وانما قال فعليه توكلوا ولم يقل
توكلوا عليه لان الاول يفيد الحصر حيث يدل على انه عم امر قومه بالتوكل عليه
ونهاهم عن التوكل على غيره تعالى والمراد في هذا المقام هو التوكل على هذا
الوجه لانه الذي يقتضيه الايمان بالله فان من اعتقد بان كل ما سوى الله
ملكه ومقهور تحت تصرفه وتسخيره امتنع ان يتوكل على غيره وقد قرأن نوحا
عم وصف نفسه بالتوكل على هذا الوجه حيث قال فعلى الله توكلت
وموسى عم امر قومه بذلك فظاهر ان هذا الدرجة فوق درجة نوح عم
ثم انه تعالى بين ان موسى عم لما امرهم بذلك قبلوه فقالوا على الله توكلنا
لتحقق الشرطين فيهم حيث كانوا مؤمنين بالله مخلصين انفسهم له تعالى
قوله موضع فتنة لهم اى موضع عذاب لهم ما ان تسلطهم علينا فيعذبونا وقيل
لا تفتن بنا فرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا لوقع في قلوبهم انا لو كنا
على الحق لما سلطهم الله علينا فيصير ذلك شبهة قوية في اصرارهم على كفرهم
فيصير تسلطهم علينا فتنة لهم او انك لو سلطتهم علينا لاستوجبوا العقاب
الشديد في الآخرة وذلك يكون فتنة لهم قوله ان اتخذا مباءة في الصحاح
المباءة منزل القوم في كل موضع يقال تبوأت منزلا اى نزلته وبوأت للرجل
منزلا وبوأته منزلا بمعنى اى هيأته له ومكنته له فيه وكلمة ان فيه يجوز ان
تكون مفسرة لانه قد تقدمها ما هو بمعنى القول وهو الايحاء ويجوز ان يكون
مصدرية فتكون ان تبوءا في موضع النصب باوحينا مفعولا به اى اوحينا
اليهما التبوء وهو النزول والرجوع يقال تبوأ المكان اذا اتخذ مباءة

ومنزلا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا ترجعون اليه
للعبادة والصلوة فيه وقوله لقومكما بمصر كل منهما متعلق بقوله تبوءا وبيوتا
مفعول تبوءا كما اشار اليه بقوله ان اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا قوله
امر وا بذلك اى بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤ
ذوهم كما كان المؤمنون عاذ ذلك في اوائل الاسلام بمكة ثم ان موسى عم لما بالغ
في اظهار المعجزات وتقرير الدلائل والبينات ورأى القوم مصرين على الجحود
والعناد دعا عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا سبب جرمه وكان
جرمهم حب الدنيا وزينتها فلذلك ذكروا الدين وعاندوا من يدعوا اليه
فلذلك ابتدأ عم بقوله ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا
روى عن ابن عباس انه كان طولهم من لدن فسطاط مصر الى ارض حبشة جبال
فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت وقرأ عاصم وحمزة والكسائي
ليضلوا بضم الياء والباقون بفتح الياء وذكر في هذه اللام ثلثة اوجه الاول
ان يكون لام الغائب بمعنى الدعاء عليهم كانه قيل ليثبتوا على ما هم عليه من
الضلال والاخلال وليكونوا ضلالا مضلين وانما دعا عليهم بذلك بعد ما عرض
عليهم آيات الله وبينات عرضا مكررا ورد عليهم النصايح والمواعظ زمانا
طويلا وحذرهم عذاب الله انتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال
ورأى هم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى
النصيحة الا بعدا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيئ منهم
الا الغي والضلال وان ايمانهم كالاوهام فاشتد غضبه عليهم وافرط مقته و
كراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس
واخزى الكفرة مع علمك بانه لا يكون غير ذلك ليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم
وانهم لا يستأهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم والوجه الثاني ان
يكون لام الصيرورة والعاقبة كما في قوله لدوا للموت وابنوا للخراب فلما كانت عاقبة
قوم موسى هو الضلال وقد اعلم الله تعالى ذلك لاجرم عبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ
والوجه الثالث ان يكون لام التعليل لا حقيقة بل مجازا لان الله تعالى اتاهم ذلك

ليؤمنوا ويشكروا لنعمة وتوسلوا به الى مزيد البغى والكفر اشبهت هذه الحالة
حال من اعطى المال لاجل الاضلال فورد الكلام بلفظ التعليل بناء على هذه المشابهة
ولان ايتاء النعمة على الكفر والضلال استدراج وتثبيت عليه فيكون الايتاء
لاجل التثبيت على الضلال ومعلل به وعلى التقديرين يكون اللام متعلقة بآتيت
ولايكون دعاء فيكون لفظ ربنا تكريرا للاول لا مقدمة للدعاء واعلم ان الاشاعرة
استدلوا بهذه الآية على انه تعالى يضل الناس ويريد اضلالهم من وجهين
الاول ان الكلام في قوله ليضلوا لام التعليل والمعنى انك اعطيتهم هذه الزينة
والاموال لاجل ان يضلوا وهذا صريح في انه تعالى يريد اضلالهم والثاني
ان موسى دعا بقوله واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا فقال تعالى قد اجيبت
دعوتكما ولو لا انه تعالى يفعل ذلك لمن يشاء ما حسن من موسى عم ان يسال
ويقول اقس قلوبهم واطبع عليهم حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان ولما قال تعالى
قد اجيبت دعوتكما وقالت المعتزلة في جواب الاشاعرة لا يجوز ان يكون
المراد من الآية ما ذكرتم لانه تعالى منزه عن فعل القبائح وارادة الكفر قبيحة فوجب
ان لا يكون اللام للتعليل بل يكون لام العاقبة فان عاقبة قوم موسى لما كانت
هي الضلال عبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ على سبيل الاستعارة التبعية او يكون
لام الدعاء وفيه مراعاة لتلاؤم الكلام لايراد الادعية مسوقة على نسق
واحد قوله والطمس المحق وهو المحو والابطال قال اكثر المفسرين قوله تعالى
ربنا اطمس على اموالهم اى امسخها وغيرها عن هيئتها لانهم يستعينون بنعمك
على معاصيك وانما امرهم بان يستعينوا بها على طاعتك وسلوك سبيلك
روى عن ابن عباس انه قال بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة
منقوشة كهيئة الدنانير والدراهم وصار سكة حجارة قوله جواب للدعاء
يعني انه في محل النصب على انه جواب اطمس واشدد او في محل الجزم على انه
دعاء في صورة النهي كقوله فلا يبسطن ما بين عينيك ما انزوى ولا تلقني
الا وانف راغم او في محل النصب على انه معطوف على قوله ليضلوا فيكون
ما بينهما اعتراضا وقوله حتى يروا العذاب الاليم واذلك ويحتمل ان يكون غاية

لنفي ايمانهم اى الى ان يروا العذاب الاليم وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا الى
الغرق وكان ذلك ايمان يائس فلم يقبل قوله العامة ولا تتبعان بتشديد التاء
والنون وقرئ بتخفيف النون مكسورة مع تشديد التاء وتخفيفها الاول
من اتبع يتبع والثاني من تبع يتبع يقال تَبِعْتُهُ اذا مشى خلفه واتبعه
بتخفيف التاء اذا لحقه وادركه يقال تبعته حتى اَتْبَعْتُهُ اى مشيت من
بعده حتى لحقته قوله اى جوزنا هم في البحر يعني ان جاوز يتعدى
الى مفعول واحد يقال جاوز بنو اسرائيل البحر اى خلفوه وقطعوه حتى
بلغوا الشط فيتعدى بالباء الى المفعول الاول وهو الذي كان فاعلا في الاصل
والى المفعول الثاني بنفسه كما هو عليه فيقال جاوزنا ببني اسرائيل البحر وعبر
المصنف عن هذه التعدية وفسرها بقوله جوزناهم في البحر على ان التضعيف
فيه للتعدية والتجويز بهذا المعنى يتعدى الى المفعول الاول بنفسه لا بالباء
ويتعدى الى المفعول الثاني بفي لمن قرأ وجوز ببني اسرائيل البحر لا يجعل
التضعيف فيه للتعدية ويجعل جوز بمعنى جاوز واجاز فانها يتعديان
الى مفعول واحد ولا يتعدى الى ما هو اكثر من واحد الا بالباء الداخلة
على ما هو فاعل في الاصل واليه اشار المصنف بقوله وهو من فعل المرادف
لفاعل ليس من جوز الذي يتعدى الى المفعول الاول بنفسه والى الثاني
بكلمة في قوله باغين وعادين على ان يكون بغيا وعَدْوًا مصدرين
في موضع الحال وكونا منتصبا على انهما مفعولان من اجلهما اى لاجل البغي
والعدو قوله على اضمار القول والتقدير قال آمنت فقال انه فيكون
هذا القول مفسرا لقوله آمنت قوله او الاستيناف بدلا وتفسيرا
لآمنت فاذا كان بدلا من آمنت يكون محكيا لقال المذكور قبل آمنت
فيجب كسر الهمزة واطلاق الاستيناف على البدل مبني على كونه المعمول
قصدا لعامل المبدل منه ولو جعل كونه ابتداء كلام واستيناف اخبار بذلك
علة مستقلة لكسران وكونه بدلا من آمنت علة اخرى لكان اظهر
افيد قوله نكب عن الايمان اى عدل واعرض عنه او ان بقاء التكليف

والاختيار وبالغ فيه حين لا يقبل حرصا على القبول حيث كرر المعنى
الواحد ثلث مرات بثلث عبارات حيث قال اولا آمنت وقال
ثانيا انه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وقال ثالثا وانا من المسلمين
وكانت المرة الواحدة كافية حين بقاء التكليف والاختيار جاء في
الاخبار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال غار النيل على عهد فرعون
فاتاه اهل مملكته فقال ايها الملك اجر لنا النيل فقال انى لست براض
عنكم حتى قالوا ذلك ثلث مرات فذهبوا فاتوه فقالوا ايها الملك ماتت
البهايم وهلكت الصبيان والابكار فان لم تجر النيل اتخذنا الاها
غيرك فقال لهم اخرجوا الى الصعيد فخرجوا فتنحى عنهم بحيث لا يرونه
ولا يسمعون كلامه والصق خده بالارض واشار بالسبابة فقال اللهم انى
خرجت اليك خروج العبد الذليل الى سيده وانى اعلم انه لا يقدر احد
على اجرائه غيرك فاجره فقام فجرى النيل جريا فاتاهم فقال لهم انى اجريت
لكم النيل قال فخروا له سجدا قال فعرض له جبرائيل قال ايها الملك ان
عبدا ملكته على عبدى واعطيته مفاتيح خزائنى وعادانى واحب من
عادانى وعاد من احبنى فقال له فرعون لو كان لى ذلك العبد لغرقته
فى بحر القلزوم فقال جبرائيل عم ايها الملك اكتب لى بذلك كتابا قال فدعا
بدواة وقلم وقرطاس فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن
مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمائه ان يغرق فى البحر
فلما ابتلع الغرق ناول جبرائيل خطه فعرفه فقال جبرائيل هذا ما حكمت به
على نفسك قوله اولنلقيك على نجوة من الارض والنجوة المكان المرتفع
الذى تظن انه نجاؤك لا يعلوه السيل والبار فى بدنك للمصاحبة كما فى قولك
خرج زيد بعشيرته واشترى الفرس بسرجه وهذه البار يصلح فى موضعه مع
وهو مع مدخوله فى محل الحال فاراد المص ان يبين معنى كونه حالا مبينا لهيئة
المفعول فقال عاريا عن الروح او بدنا سويا لم ينقص منه شئ لئلا تبقى
شبهة فى انه بدنك الى آخر ما قال والدرع تطلق البدن على الدرع قال الليث

البدن الدرع الذى يكون قصير الكمين عن ابن عباس رضى الله عنه قال كان عليه
درع من ذهب فاخرجه الله من الماء مع ذلك الدرع ليعرف فانه روى ان بنى
اسرائيل قالوا اما مات فرعون ولا يموت ابدا ولم يصدقوا بغرقه فالقاه البحر
بامر الله تعالى الى الساحل فعاينوه وايقنوا بعرفته وقرئ بابدانك جعلها على ارادة
الادراع لانه كان يلبس كثيرا منها خوفا على نفسه او على جعل كل جزء من بدنه بدنا
كما يقال شابت مفارقه وهوى باجرامه مع ان له مفرق واحد وجرم واحد قوله
وقرئ لمن خلفك بالقاف فعلا ماضيا وقرئ لمن خلقك بالقاف وفتح اللام لام
خلقك من الجبابرة ليتعظوا بذلك وذكر فى كونه آية ثلثة وجوه كونه آية دالة
على كونه مملوكا مقهورا وكونه آية اعتبار ونكال على الطغيان وكونه آية دالة
على كمال قدرة الله لانه اغرق مع جميع قومه وما اخرج من قعر البحر الا اياه
فتخصيصه بهذه الحالة دليل واضح على ذلك وذكر الوجه الثالث فى قراءة لمن
خلقك بالقاف ثم قال وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وهو ان يقرا لمن
خلقك بالقاف قوله منزلا صالحا مرضيا اشارة الى ان مبوا اسم مكان و
وصف بالصدق مدحا له اى اسكنا هم مكانا محمودا فان عادة العرب اذا
مدحت شيئا اضافته الى الصدق يقول رجل صدق قال تعالى ربى ادخلنى
مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق قيل كان قوم موسى عم على ملة واحدة
ومقالة واحدة ثم اختلفوا وتشعبوا فى كثير من امور دينهم قبل البعثة طلبا
للرياسة وبغيا من بعضهم على بعض حتى ادام ذلك الى القتال تعسفا فى التاويل
وتعصبا للمذاهب وما وقع هذا الاختلاف والتشعب الا من بعد ما قرؤا
التورية وعلموا ما هو الحق فى امر الدين ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة فيه
فالمراد من بنى اسرائيل هم الذين نجوا من فرعون فانه تعالى اورثهم جميع ما كان
تحت ايدى قوم فرعون من الناطق والصامت والحرث والنسل وقيل المراد
ببنى اسرائيل هم الذين كانوا فى عهد رسول الله قال ابن عباس هم قريظة والنضير
وبنى قينقاع انزلهم الله تعالى مبوا صدق ما بين المدينة والشام من ارض يثرب
ورزقهم من الطيبات من التمر وما فيها من الرطب والتمر الذى لا يوجد مثله فى البلاد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فما اختلفوا فى تصديقه وانه بنى حق الابعد ما جاءهم العلم والبيان بانهم
النبى المنعوت فى الكتب الالهية قال الله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم وقال ابن عباس المراد بالعلم القرآن العظيم وسمى القرآن
علما لكونه سبب العلم وتسميت السبب باسم المسبب مجاز مشهور وقال
القرآن العلم ههنا بغى المعلوم والمراد به محمد عم لانه كان معلوما عندهم بنعته
فانه عم لما جاءهم اختلفوا فى تصديقه فكفر به اكثرهم قوله على سبيل الفرض
والتقدير فان كنت فى شك فافعل كذا وكذا قضية شرطية فلا اشعار
فيها البتة بان الشرط وقع من المخاطب اولم يقع ولا بان الجزاء وقع اولم يقع
بل ليس هناك الا بيان ان ما هية ذلك الشرط مستلزمة لما هية ذلك الجزاء
فقط قوله وقيل الخطاب للنبى عم والمراد امته او كل واحد وتخصيص
المخاطب بغرض تحقق الشرط فيه مبنى على كونه اميرا امته فان عادة السلطان
الكبير اذا كان له امير وكان تحت رايته ذلك الامير جمع فاراد السلطان ان
يأمر الرعية بامر مخصوص بهم فانه لا يوجه خطابه عليهم بل يوجه ذلك الخطاب على
ذلك الامير الذى جعله اميرا عليهم ليكون ذلك اقوى تاثيرا فى قلوبهم لما
فرغ الله تعالى عن قصة نوح وموسى عليهما السلام شرع فى القصة الثالثة
وهى قصة يونس عم وان قومه آمنوا بعد كفرهم وانتفعوا بذلك الايمان
وهى ما دل عليه قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت واتصالها بما قبلها
انه تعالى ذكر قبلها قوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون
ولو جاءتهم كل آية فدل به على ان من فريق قضى الله عليهم ان يموتوا على
الكفر فهم لا يؤمنون البتة فاتبعه ببيان ان من الكفار فريقا آخر يختم لهم
بالايمان فان قيل انه تعالى حكى عن فرعون انه تاب ثم آخذ الاخر ولم تقبل توبته
وحكى عن قوم يونس انهم تابوا وقبل توبتهم فما الفرق والجواب ان فرعون
انما تاب بعد ان شاهد العذاب واما قوم يونس فانهم تابوا قبل ذلك فانهم
لما ظهرت لهم امارات دالة على قرب العذاب تابوا قبل ان يشاهدوا
العذاب فظهر الفرق قوله فهلا كانت اشارة الى ان لولا ههنا تحضيضية

١٩٥

وفيه معنى التوبيخ كما فى قول الفرزدق تعدون عقر النيب افضل مجدكم بنى
ضوطرى لولا الكمى المقنعا وفى مصحف ابى وعبد الله فهلا بهاء قراءة وهى نص فى
انها للتحضيض وقيل ان لولا تاتى بمعنى ما النافية ومنها ما فى هذه الآية وتقديرها
فما كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس وهو من حيث اللفظ
استثناء منقطع لان ما بعد الا وهو قوم يونس ليس بداخل فى جنس ما قبلها
وهو القرية وهو بحسب المعنى متصل لان المعنى ما آمن من اهل قرية الا قوم يونس
فظاهر عبارة النص يدل على ان المصحح لكونه متصلا كون الكلام فى معنى النفى
وليس كذلك بل المسوغ له كون القرى يراد بها اهاليها على اطلاق اسم المحل على
الحال والا يكون الاستثناء منقطعا كما اشار اليه بقوله لكن قوم يونس لما آمنوا
فى وقت قبول الايمان كشفنا عنهم بعد قوله فهلا كانت قرية آمنت فنفعها
ايمانها والتحقيق ان كلمة لولا سواء كانت حرف تحضيض او كانت بمعنى ما النافية
يكون المراد من القرى اهاليها لان التحضيض انما يكون للاهل لا لنفس القرية ولانه
قد اسند الايمان اليها والايمان لا يسند الى نفس القرية بل الى اهلها والمصحف
قطع يكون الاستثناء منقطعا باعتبار كون الجملة مسوقة للتحضيض وقطع يكونه
متصلا باعتبار كونها بمعنى النفى فان التحضيض لما كان فيه معنى النفى كان فى قوة
قولنا ما آمن المحضضون ولم ما آمنوا فان اعتبر معنى النفى كان الاستثناء متصلا
لا محالة لان المراد ح ان اهالى القرى ما آمنوا الا قوم يونس فانهم آمنوا واما
ان اعتبر التحضيض لم يكن الاستثناء متصلا لان من شان الاستثناء المتصل
ان يجوز نفى ما للمستثنى منه عن المستثنى ولو قلت لم ما امنوا الا قوم يونس
ليسوا بلم ما آمنوا لم يكن كلاما مستقيما بخلاف ما اذا جعل الاستثناء منقطعا
فانك اذا قلت لكن قوم يونس آمنوا وانتفعوا بايمانهم استقام الكلام وانما قال
النص فى اعتبار النفى لان المراد من القرى اهلها بلفظ الجمع مع ان المذكور
فى الآية لفظ قرية لانها نكرة فى سياق النفى فتفيد العموم وكانت فى الآية تامة و
آمنت صفة لقرية وقوله فنفعها معطوف على آمنت قوله ويؤيد قراءة
الرفع على جعله بدلا من قرية وجه التاييد ان ابدال المستثنى من المستثنى منه

انما يجوز في كلام غير موجب ولا يجوز الابدال في مثل جاءني القوم الا زيد لان المبدل منه
في حكم الساقط فيكون تقدير الكلام جاءني الا زيد وهو يستلزم ان يجيء جميع العالم
اليه الا زيد وهو محال قوله وهو دليل على القدرية القائلين بانه تعالى
يريد ايمان الكافر وطاعة العاصي لكن الكافر والعاصي انما يكفر ويعصي
بقدرة نفسه وارادته ووجه الاستدلال ان الآية صريح في انه تعالى
ما اراد ايمان الكل لان معنى الآية انه لو شاء ايمان الكل لامن الكل وكلمة
لو لانتفاء الشيء لانتفاء غيره فدل على ان ما في حيز لو منتف فلا يريد ايمان
الكل واجاب الجبائي والقاضي وغيرهما على عايرد على مذهبهم بان المراد مشيئة
الالجاء اي لو شاء الله ان يلجئهم الى الايمان لقدر عليه ويصح ذلك منه ولكنه
ما فعل ذلك لان الايمان الصادر من العبد على سبيل الالجاء لا ينفعه ولا يفيد
فائدة ثم قال الجبائي ومعنى الجاء الله اياهم الى ذلك ان يعرفهم اضطرارا
انهم لو حاولوا ان يتركوا الايمان لحال الله بينهم وبين ذلك وعند هذا لا بد وان
يفعلوا ما الجئوا اليه كما ان من علم منا انه حاول قتل ملك فانه يمنعه منه
قهرا لم يكن تركه لذلك الفعل سببا لاستحقاق المدح والثواب فكذا
ههنا فتفسير الآية على طريق اهل السنة انه تعالى اخبر عن كمال قدرته ونفوذ
مشيته فقال انه لو شاء لآمن من في الارض كلهم ولكنه شاء ان يؤمن به من علم
منه اختيار الايمان به وشاء ممن علم منه ان يختار الكفر ولا يؤمن به ان لا يؤمن
به اخبر الله بنفاذ مشيته في جميع خلقه وان من لم يؤمن منهم انما بقي على
الكفر من حيث انه تعالى لم يشأ ايمانه ثم انكر على شدة حرص النبي عم
على ايمان قومه بقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي بعد ما
تقدر ان الامر منوط بمشيتي وانى لم اشأ ايمان الكل كيف تهتم بتحصيل ما لم
تتعلق به مشيتي فقوله وترتيب الانكار على المشيئة معناه ان ترتيبه على
تقدر ان ايمان الكل منوط بمشيئة الله اياه على الوجه المذكور يدل على انه عليه السلام
يستحيل منه تحصيل خلاف مشيئته لان تقديم الفاعل المعنوي على الفعل وايلائه
حرف الاستفهام يدل على ان اصل الفعل ممكن مقدور وان الكلام في ان فاعله

من هو وانه منفي عن المذكور مع ثبوته للغير ومعنى قصر النفي على الفاعل المذكور
وانت في الآية الكريمة فاعل معنوي لانه لو اخر لكان تاكيدا للفاعل فيكون فاعلا
معنى فتقديمه تقديم الفاعل معنى قوله ولذلك اي ولكون مدلول الكلام كون الامور
منوطة بمشيئة الله واستحالة خلاف ما تعلق به مشيئة الله قوله الا بارادته
واطلاقه وتوفيقه الاذن في اللغة الاطلاق في الفعل ورفع الحجر عنه والارادة
والتوفيق من توابعه وحمل الرجس على الخذلان مجاز في المرتبة الثانية لانه في الاصل
القذر ثم نقل الى العذاب لاشتراكهما في الاستكراه والتنفير ثم نقل الى سببه
الذي هو الخذلان وحمل الرجس عليه مع كونه مجازا فيه في الدرجة الثانية بقرينة
في مقابلة اذن الله وتوفيقه فدلت الآية ان خالق الكفر والايمان هو الله حيث
ذكر اولا ان الايمان انما يحصل بمشيئته وتخليقه ثم ذكر ان الرجس ايضا لا يحصل
الا بجعله وتخليقه قوله وماذا ان جعلت الاستفهامية اما بان يكون اسما
واحدا بمعنى اي شيء مرفوع المحل على الابتداء وفي السموات خبره او بان يكون ما اسمين
بمعنى ما الذي على ان يكون ما الاستفهامية مرفوعة على الابتداء وذا بمعنى الذي وفي السموات
صلته والموصول مع صلته خبر المبتدا وعلى التقديرين لا يكون الجملة الاسمية مفعول
انظروا لكونه معلقا عنها بالاستفهام وان جعل ماذا كلمة بمعنى الذي يكون في محل النصب
بانظروا وهو ضعيف لان النظر لا يخلو اما ان يكون بصريا او قلبيا والاول يتعدى
بالى والثاني بفي ولا شيء منهما في الآية قوله وما نافية او استفهامية فان
كانت نافية يكون المفعول محذوفا اي ما ينفع الآيات شيئا عن قوم وان كانت
استفهامية فهي المفعول اي اي شيء ينفع الآيات قوله وقيل بدل من كذلك
فان الكاف فيه صفة مصدر محذوف وعقابا بدل من تلك الصفة تقديره انجاء مثل
ذلك حقا قوله فهذا خلاصة ديني لما كان الشرط والجزاء بظاهرهما ليس بينهما ربط
واستلزام لان شكهم في دينه عم ليس سببا لعدم عبادته الاوثان وعبادته الله فلا يجوز
ان يكون قوله فلا اعبد الذين آيا جزاء لقوله ان كنتم في شك اول الجزاء المذكور بالافهام
بمفهومه واعلامه والمعنى ان كنتم تشكون في ديني فاني اخبركم وابين لكم خلاصة ديني
اعتقادا وعملا وهي اني لا اعبد ما تخلقونه اي تصنعونه من الاوثان آيا فان الجزاء

المسبب عن الشرط قد يكون نفس مفهوم الجملة الجزائية نحو ان تكرمني اكرمك فان
نفس اكرام المتكلم هو المسبب المترتب على اكرام المخاطب اياه و قد يكون
الجزاء هو الاخبار بمفهوم الجملة كقولك ان اكرمتني اليوم فقد اكرمتك امس لاكرامك
اياي اليوم و اعتدادك به سبب للاخبار باكرامي اياك وكقوله تعالى و ما بكم من نعمة
فمن الله فان استقرار النعمة في المخاطبين ليس سببا لحصولها من الله بل الامر
بالعكس وانما هو سبب للاخبار بحصولها من الله تعالى فكذا في الآية التي نحن بصددها
فانها تدل وتفيد ان شكهم سبب لان يخبرهم بان خلاصة ما هو فيه التبرؤ عن
عبادة المخلوق المصنوع والاشتغال بعبادة الخالق الموصوف بتلك الصفات
العظام فهو دين لا يتطرق اليه الشك في صحته وخص بالذكر من بين صفاته العلى
كونه متوفيا لهم لكون الموت اشد الاشياء مهابة فخص هذا الوصف بالذكر لكونه
اقوى في الزجر والردع ولانه ذكر عن قريب انه تعالى اهلك الامم المكذبين
ثم انجى رسله والذين آمنوا ثم قال بعد كذلك ننجي محمدا وصحبه حين
نهلك المشركين فدل ذلك على انه تعالى يهلك اولئك الكفار ويبقي المؤمنين
ويقوي دولتهم ولذلك قال ملهنا ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم اشارة
الى ما بينه في تلك الآيات كانه يقول اعبد ذلك الذي وعدني باهلاكهم وابقائي
مع اصحابي ثم انه لما ذكر العبادة التي هي جنس من اعمال الجوارح انتقل منها الى
الايمان والمعرفة فقال وامرت ان اكون من المؤمنين فدل ذلك على انه مامور
الظاهر مزينا بالاعمال الصالحة لاستقرار في القلب نور الايمان والمعرفة والآمر
بذلك هو الله تعالى الا انه امر بذلك بما ركب فيه من العقل وبما اوحى اليه في كتابه

قوله وحذف الجار مع ان قال اصل الكلام وامرت بان اكون فحذف
الجار وهذا الحذف الواقع بعد فعل الامر خاصة يحتمل ان يكون على قياس سائر
الافعال من حذف حرف الجر مع ان و ان وهو المطرد ويحتمل ان يكون من الذي
ثبت سماعا فيه خاصة على نحو امرتك الخير والحاصل ان قوله ان اكون فيه
اعتباران احدهما انه مع ان حرف الجر والثاني انه مفعول به لفعل الامر
بواسطة حرف الجر فحذف حرف الجر بالاعتبار الاول مطرد وبالاعتبار الثاني

غير مطرد

١٩٧

غير مطرد فيمكن ان يجعل حذف حرف الجر فيه مبنيا على كل واحدة من القاعدتين
قوله ولا فرق بينهما اي بين ان يكون صلة ان خبريا وطلبيا وهو جواب عن
الاشكال الذي اورده الزمخشري على كون وان اقم معطوفا على ان اكون وهو
ان ان في قوله وان اقم وجهك اما ان تكون مفسرة او موصولة كالاولى وللسبيل
الى شئ منهما اما الى الاول فلان ان الاولى الموصولة مع صلتها مامور بها فلو
كانت المفسرة عطفا عليها لكانت ايضا مامورا بها والمامور به لا يكون تفسيرا
للامر وايضا هي مفعول والمفسرة لا تقع مفعولا وايضا يلزم تقدير حرف
الجر فيها كالمؤولة الموصولة واما الى الثاني فلان الصلة يجب ان يكون خبرا كما
في الموصول الاسمي وهو الذي والتي واخواتهما وسمي نحو ان وما المصدريتين
وان المشبهة وكي موصولا حرفيا لكونها مع الجملة التي بعدها في تقدير المفرد
فاذا وقع في التركيب يكون له محل من الاعراب وتلك الجملة تسمى صلة و
تقدير الجواب ان سيبويه جوز ان يكون الصلة امرا او نهيا لان الوصل
بالماضي او المضارع انما جوز لدلالته على المصدر فليجز الوصل بالامر والنهي
لدلالتهما ايضا على المصدر واما وجب في الموصول الاسمي ان تكون صلته
خبرية لان وضعه ليتوصل به الى وصف المعارف بالجمل والجمل لا يوصف
بها الا اذا كانت خبرية والموصول الحرفي ليس كذلك فلا يجب ان يكون صلته
خبرية قوله والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين لما تقرر ان ان المصدرية
معطوفة على ان اكون وانها مع صلتها مامور بها وفيه اشارة الى ان اقامة الوجه
للدين كناية عن توجيه النفس بالكلية الى عبادة الله تعالى والاعراض عما سواه فان
من اراد ان ينظر الى شئ نظرا بالاستقصاء فانه يقيم وجهه في مقابلته بحيث
لا يلتفت يمينا ولا شمالا فانه لو التفت الى جهة بطل تلك المقابلة واختل
النظر المراد ولذلك كني باقامة الوجه عن صرف القوى بالكلية الى الدين
وقيل اعني اقم وجهك في الصلوة نحو القبلة فالتقدير وامرت بالاستقامة
في الصلوة نحوها وحنيفا حال من الدين او من الوجه ان في حال كونه مستقيما
لا اعوجاج فيه بوجه ما او في حال كونك مائلا اليه ميلا كليا معرضا عما سواه

اعراضا كليا فقوله اولا امرت ان اكون من المؤمنين اشارة الى تحصيل
اصل الايمان وقوله وان اقم وجهك للدين حنيفا اشارة الى الاستغراق
في نور الايمان والاعراض بالكلية عما سواه قال الامام قوله تعالى ولا تكونن
من المشركين لا يمكن ان يكون نهيا عن عبادة الاوثان لان ذلك مذكور في قوله
اول الآية لا اعبد الذين تعبدون من دون الله فلا بد من حمل هذا الكلام على
ما يفيد فائدة زائدة وهي ان من عرف مولاه لو التفت بعد ذلك الى غيره كان
ذلك شركا وهذا هو الذي يسميه اصحابنا القلوب بالشرك الخفي ثم قال
قوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك اشارة الى مقام هو آخر
درجات العارفين لان ما سوى الحق ممكن لذاته موجد بايجاد، والممكن لذاته
معدوم بالنظر الى ذاته وموجد بايجاد الحق واذا كان كذلك فما سوى الحق لا وجود
له الا بايجاد الحق وعلى هذا التقدير يرى فلا نافع الا الحق ولا ضار الا الحق وكل شئ
هالك الا وجهه واذا كان كذلك فلا حكم الا لله ولا رجوع في الدارين الا الى الله
ثم قال تعالى في آخر الآية فان فعلت فانك اذا من الظالمين اي لو اشتغلت
بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فانت من الظالمين لان الظلم عبارة
عن وضع الشئ في غير موضعه فاذا كان ما سوى الحق معدوما لا حكم له ولا تصرف
كان اضافة التصرف الى ما سوى الحق وضعا للشئ في غير موضعه فيكون
ظلما وطلب الانتفاع بالاشياء التي خلقها الله تعالى للانتفاع بها من الطعام
والشراب ونحوهما لا ينافي الرجوع بالكلية الى الله تعالى بشرط ان يكون بصر
عقله عند توجهه الى شئ من هذه الاشياء شاهدا لقدرة الله تعالى وجوده
واحسانه في ايجاد تلك الموجودات وابداع تلك المنافع فيها وجازما بانها
في انفسها وذواتها معدومة هالكة ولا وجود لها ولا بقاء ولا تأثير الا بايجاد
الله وابقاءه وافاضة ما فيها من الخواص عليها بجوده واحسانه ثم انه تعالى
قرر بقوله وان يمسسك الله الآية ان جميع الممكنات مستندة اليه وان جميع الكائنات
من الرحمة والوجود فايض منه محتاج اليه فلما كان كل واحد من الخير والضرر
واقعا بقدرة الله وبقضائه لزم ان يكون الكفر والايمان والطاعة والعصيان

والوجود و

والشرور

١٩٦

والشرور والافات والآلام واللذات واقعة بقدرة الله تعالى وقضائه ان قضى
لاحد شرا فلا كاشف له الا هو وان قضى لاحد خيرا فلا راد لفضله البتة قوله
ولم يستثن الا لم يقل وان يردك بخير فلا راد لفضله الا هو لانه قد فرض ان
تعلق الخير به واقع بارادة الله لم يبق للاستثناء معنى بخلاف الضر فانه لم يفرض
ان تعلقه به مراد بالذات فحسن الاستثناء وقوله تعالى وان يردك
بخير معناه وان يرد بك الخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالآخر جاز كل واحد من
العبارتين مع ان التقديم في اللفظ يدل على زيادة العناية بالمقدم قوله وان يردك
بخير يدل على ان المقصود هو الانسان وسائر الخيرات مخلوقة لاجله وهذه
الدقيقة لا تستفاد الا من هذا التركيب سورة هود وهي مكية
ان كان الاسم السورة يكون مبتدأ، وكتاب خبره وان كان مذكورا على
نمط تعديد الحروف للتحدي والاعجاز من حيث دلالته على المتحدى به مؤلف
من جنس ما يكون منه كلامهم فلو لا اداة من عند الله لما عجزوا عن اتيان
مثله يكون كتاب خبر مبتدأ محذوف وذكر في احكام الآيات اربعة معان
الاول انها نظمت نظما محكما لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم والثاني كونها
ممنوعة من الفساد بان ينسخ شئ منها والثالث ان احكامها عبارة عن تحقيق
مدلولاتها بالحجج والدلائل والرابع ان منع جعلت حكيمة لاشتمالها على اتقان
الحكم النظرية والعملية فان العلوم الدينية اما نظرية لا تتعلق لها بالعمل المقصود
بها مجرد الاعتقاد لمعرفة الصانع ووحدته وسائر صفات جلاله وجماله ومعرفة
الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وما فيه من نحو الصراط والميزان واما
عملية متعلقة بكيفية العمل وهي قسمان احدهما ما يتعلق بتهذيب الاعمال الظاهرة
ويسمى علم الفقه والآخر ما يتعلق بتهذيب الاعمال والاحوال الباطنة وهو علم
التصفية ورياضة النفس ولا يوجد في العالم كتاب يساوي القرآن الكريم والكتاب
الحكيم في بيان هذه المطالب المهمة قوله ثم فصلت بالفوائد من العقائد
بالفوائد متعلق بفصلت ومن العقائد بيان للفوائد يقال عقد منفصل اذا
جعل بين كل لؤلؤتين خرزة فمنع قوله تعالى ثم فصلت ان آياته زينت

بالفوايد كما تزين القلايد بالفرايد قوله او بجعلها سورا اى جعل آيات
هذه السورة الكريمة سورا اذكر معانى هذه السورة وايا تها فى سور متفرقة
وآيات متعددة من التفصيل بمعنى التفريق وكذا اذا كان فصلت بمعنى
انزلت نجما نجما اى وقتا وقتا فان النجم فى الاصل اسم للكوكب الطالع ثم نقل
الى الوقت لانهم يعرفون الاوقات بطلوع النجم ومنه قول الشافعى اقل
التاجيل نجمان اى شهران قوله او فصل فيها اى بين وخص فيها ما
يحتاج اليه العباد فان التفصيل يستعمل بمعنى التبيين قوله وثم للتفاوت
فى الحكم اى للتراخى فى الرتبة لا للتراخى فى الوجود والوقوع فى الزمان فان
تفصيل ايا تها ليس متراخيا عن احكامها بحسب الزمان بل هو متراخ عنه
بحسب الرتبة فان التفصيل باى معنى كان اقوى وادخل فى المدح بالنسبة
الى الاحكام قوله او التراخى فى الاخبار فان الشارح فى الجملة ان
يراد بها نفس مفهومها الا انه قد يراد بها الاخبار بمفهومها كما سبق فى جزاء
الشرط والظاهر ان المراد من التراخى هو مجرد الترتيب لظهور ان حقيقة التراخى
منتفية بين الاخبارين ضرورة ان الاخبار بالتفصيل وقع عقيب الاخبار
بالاحكام قوله صفة اخرى لكتاب فان احكمت فى محل الرفع على انه صفة
لكتاب فيكون تقدير الكلام الر كتاب من لدن حكيم خبير وان كان خبرا بعد
خبر يكون التقدير الر من لدن حكيم خبير وان كان صلة اى معمولا لاحد الفعلين
من حيث صناعة الاعراب على سبيل التنازع يكون متعلقا بهما ويكون المعنى
احكمها حكيم وفصلها الكاشف عنها وبينها خبير عالم بكيفيات الامور وعلى كل تقدير
يكون المقصود منه تقدير احكامها وتفصيلها فانه لما وصف من انزلها واحكمها
وفصلها بانه رب حكيم اى محكم للامور واضع كل شئ موضعه وبانه خبير لا يعزب
عنه الاخبار الباطنة فلا يجرى فى الملك والملكوت الا ويكون عنده خبره فان الخبير
بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبها
خبيرا ولكون الخبير ابلغ من العليم ورد ذكر الخبير بعد ذكر العليم فى قوله تعالى
وهو العليم الخبير قوله باعتبار ما ظهر امره وما خفى متعلق بقوله تقرير فان

كون الكتاب منزلا من لدن حكيم يدل على متانة ظاهر نظمه وكونه منزلا من لدن
خبير يدل على متانة ما خفى من مدلوله فهو بالاعتبار الاول تقديم لاحكامها وبالاعتبار
الثانى تقديم لتفصيلها وتبيينها قوله ان لا تعبدوا على تقدير ان يكون كلمة ان
فى قوله الا تعبدوا مصدرية موصولة بالنهى وقد مر عن قريب انه يجوز ان يكون
صلة الموصول الحرفى جملة طلبية وهى مع الجملة التى بعدها فى محل النصب على
مفعول له لقوله احكمت او فصلت على طريق التنازع وحذف اللام منه وان
لم يشتمل على شرايط حذف اللام من المفعول له بناء على القياس المطرد فى حذف
حرف الجر مع ان والتقدير كتاب احكمت آياته ثم فصلت لاجل ان لا تعبدوا
الا الله وهذا التاويل يدل على انه لا مقصود من هذا الكتاب الشريف الا هذا
الحرف الواحد فكل من صرف عمره الى سايل المطالب فقد خاب وخسر وقيل
كلمة ان مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول وان المفسرة فى تقدير
القول فقوله تعالى وناديناه ان يا ابرهيم تقديره نادياه وقلنا يا ابرهيم
ولهذا لا تجئ بعد صريح القول لان تقدير القول بعد صريحه لا معنى له وانما تجئ بعد
كلام فيه معنى القول ليدل على القول المقدر فكانه قيل ما ثم فصلت من لدن
حكيم خبير قال لا تعبدوا الا الله قال الامام وحملها على المفسرة اولى لان قوله
وان استغفروا معطوف على قوله ان لا تعبدوا فيجب ان يكون معناه اى لا تعبدوا
الا الله ليكون الامر معطوفا على النهى فان كونه بمعنى لان لا تعبدوا يمنع عطف
الامر عليه والجواب عنه ان قوله وان استغفروا لما كان معطوفا عليه يكون
ان فيه ايضا مصدرية وقد سبق انه يجوز وصلها بالامر والنهى وان فات
معنى الامر والنهى عند التقدير بالمصدر كفوات معنى الماضى والاستقبال
عنده كانه قيل لاجل تخصيص العبادة لله تعالى ولاجل الاستغفار ويجوز ان
لا يكون قوله لا تعبدوا متصلا بما قبله بل يكون منقطعا عنه ويكون كلاما مقولا على
لسان الرسول عليه السلام فيكون ان فيه مصدرية فلهذا قدر بقوله ترك
عبادة غير الله بمعنى الزموا تركها اتركوها تركا فحذف الفعل واقيم المصدر
مقامه واضيف الى المفعول والاستغفار طلب المغفرة وهى ان يستر على العبد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فى الدنيا ويتجاوز عن عقوبتها فى الاخرة وما ورد ان يقال الاستغفار
منهو التوبة فما معنى ايراد كلمة ثم بين الشئ ونفسه اشارة الى دفعه بان جعل التوبة
التى هى الرجوع عن الضلال مجازا عن التوصل الى المطلوب بطريق اطلاق
اسم السبب على المسبب وجعل كلمة ثم قرينة للمجاز لان التوصل الى المطلوب
يتراخى عن الرجوع الى الطريق قوله يعيشكم مخزوم لكونه تفسيرا لما هو جواب
الامر يقال أعاشه الله عيشة راضية والدعة الراحة واعترض على تفسير الاجل
المسمى باخر الاعمار المقدرة بان قوله عم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
وقوله خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وقوله ولولا ان يكون
الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة تدل على
ان نصيب المطيع عدم الراحة فى الدنيا فكيف الجمع بين هذه النصوص و
بين ان يفسر هذه الآية بان يقال يعيشكم فى امن وسعة الى حين الموت
واجيب بان المؤمن انما يشتغل بالاستغفار ربه وطاعته لايثاره فى الاشتغال
بطلب رضاة ربه وتفويضه جميع اموره اليه ثقة باطلاعه على جميع احواله
واعتمادا على ضمانه بكفاية مهماته بقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن كان
هذا شانه لاجرم يعيش فى امن وراحة لكونه راضيا بما قضاه الله تعالى فى حقه
بخلاف من ربط قلبه بغير الله من الاسباب فانه كان ابدا فى الم الخوف من
فوات محبوبه وزواله فكان عيشه منغصا وقلبه مضطربا وقيل فى الجواب
ليس معنى قوله يمتعكم متاعا حسنا انه تعالى يعيشهم فى امن وسعة الى اجل
مسمى بل معناه انه تعالى لا يعذبهم بعذاب الاستيصال كما استأصل اهل العزة
من الكفرة قال الامام ان قيل قوله تعالى الى اجل مسمى هل يدل على ان للعبد
اجلين وانه يقع فى ذلك التقديم والتاخير فالجواب لا دلالة له على ذلك ومعنى
الآية انه تعالى حكم بان هذا العبد لو اشتغل بالعبادة لكان فى الوقت الفلانى اجله
ولو اعرض عنها لكان اجله فى وقت آخر لكنه تعالى عالم بانه هل يشتغل بالعبادة
ام لا فلاجرم كان عالما بان اجله ليس الا ذلك الوقت المعين فثبت ان
لكل انسان اجل واحد انتهى كلامه وقال الكعبى ان للمقتول اجلين

للعبد اجلين

اجل القتل واجل الموت وان المقتول لو لم يقتل لعاش الى اجله الذى هو اجل
الموت وعند الفلاسفة ان للحيوان اجلا طبيعيا هو وقت موته بتحلل رطوبته
وانطفاء حرارته الغريزيتين واجلا اختراميا بحسب الآفات والامراض والارزاق
والاجال وان كانت متعلقة بالاعمال قوله فان تولوا الخطاب تولوا وان كان
على صيغة الماضى المسند الى ضمير الغائبين الا انه جعل مضارعا حذف منه احدى
التائين ليوافق وقوله عليكم اى وان تعرضوا عما فصل لكم من هذه المعانى وتكفروا
على الشرك قوله وقرئ وان تولوا قراءة الجمهور تولوا بفتح التاء والواو واللام
المشددة على انه مضارع تولى حذف منه احدى التائين تخفيفا وقرئ تُوَلُّوا
بضم التاء وفتح الواو وضم اللام وهو مضارع وَلّى من قولهم ولى مدبرا اى ادبر
ثم انه تعالى لما قال وان تولوا عن عبادة الله تعالى وطاعته بين بعده صفة ذلك
المتولى فقال الا انهم يعنى الكفار يثنون صدورهم قراءة الجمهور بفتح الياء
وسكون الثاء المثلثة على انه مضارع ثنى يثنى اى عطف وصرف والاحرف تثنيه
اى تثنيه اعلى احوال المشركين وقفوا على جهلهم حيث يعرضون عن الحق ويقبلون
على الكفر ويولون ظهورهم لخالق يريدون بذلك الاستخفاء من الله ذكر الله تعالى
للكفار حالين يريدون بكل واحدة منهما الاستخفاء من الله تعالى احدهما انهم
كانوا يعرضون عن الحق فذكر ان جماعة من الكفار كانت يخلو بعضهم ببعض
فيشتغلون بذم النبى عم وسبه فاشتغالهم بالمذمة هو اعراضهم عن الحق
وايقاع ذلك فى خلواتهم هو ارادتهم الاستخفاء فجعل شئ الصدور كناية عن
الاعراض لانه من لوازمه قوله ليستخفوا منه ليس علة للثنى بل الاعراض
لان الاعراض عن الحق ليس للاستخفاء فلابد من تقدير لا يريدون ليستخفوا والحال
الثانية انهم يستغشون ثيابهم فذكر ان طائفة من المشركين اذا راوا رسول الله
عم يثقل اليهم ومن عادته عم انه اذا لقى الكفار دعاهم الى الله واسمعهم كلام الله
استغشوا ثيابهم ليتلا يراهم الرسول عم ولا يسمعوا كلامه وهو ايضا ارادة
الاستخفاء والاستخفاء فى كل واحد من الحالين انما هو من الرسول صلى الله عم
لكن الاستخفاء منه من الله تعالى لان اطلاع الله تعالى على السر وه ملزوم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لاطلاع الرسول عم والمؤمنين عليه كما اشار اليه بقوله فليطع رسوله والمؤمنين
قوله وقرئ يثنوني بالياء والتاء لان تانيث الصدور مجازي جاز
تذكير الفعل باعتبار تاويل فاعله بالجمع وتانيثه باعتبار تاويله بالجماعة ويثنوني
مضارع اثنوني على وزن افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة
فيكون صدورهم مرفوعا بالفاعلية وقرئ تثنوني بفتح التاء وسكون الثاء
وفتح النون وكسر الواو وتشديد النون الاخيرة والاصل تثنوونني بوزن تفعوعل
من الثني بالكسر وهو تيبيس الحشيش والكلاء وميله الى الضعف والمراد
مطاوعة نفوسهم للثني او ضعف قلوبهم وقرئ تثنيني بان يجعل مكان الواو
المكسورة في القراءة السابقة همزة مكسورة على وزن تطمئن من الثني وهو
ما ضعف من الكلاء كما تقدم قوله تعالى حين يستغشون ثيابهم جعله
صاحب الكشاف منصوبا بفعل مضمر حيث قال معناه ويريدون الاستخفاء
حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله تعالى والظاهر
من تقرير المصنف كونه منصوبا بيعلم والمعنى تنبهوا واعلموا انه يعلم سترهم
وعلنهم حين يفعلون كذا وهذا معنى واضح وكان الزمخشري انما جوز غيره
لئلا يلزم تقييد علمه تعالى بسترهم وعلنهم بهذا الوقت الخالص وهو تعالى
عالم بذلك في كل وقت ولا يلزم ذكر لانه تعالى اذا علم سترهم وعلنهم في
وقت التغشية الذي يخفى فيه الستر فاولى ان يعلم ذلك في غيره وهذا بحسب
العادة والا فالله تعالى لا يتفاوت علمه بتفاوت احوال الخلق وما في
ما يسرون يجوز ان يكون مصدرية وان يكون بمعنى الذي والعائد محذوف
اى يسرونه ويعلنونه ثم انه تعالى لما ذكر انه يعلم ما يسرون وما يعلنون
اردفه بما يدل على كونه عالما بجميع المعلومات فذكر ان رزق كل حيوان مع
اختلاف طبايع الحيوانات واغذيتها انما يصل اليه من الله تعالى فلو لم يكن
عالما بجميع المعلومات لما حصلت هذه المهمات والدابة اسم لكل حيوان
ذي روح ذكرا كان او انثى ما خوذ من الدبيب الا انه اختص بحسب عرف
البعض بذات القوايم الاربع وبحسب عرف العرب بالفرس والمراد به في هذه

الآية

الآية معناه الوضعي اللغوي باتفاق المفسرين روى ان موسى عم عند
نزول الوحي اليه تعلق قلبه باحوال اهله فامره الله تعالى بان يضرب عصاه
على صخرة فضربها فانشقت وخرجت صخرة ثانية ثم ضرب بعصاه عليها
فانشقت وخرجت صخرة ثالثة ثم ضربها بعصاه فانشقت فخرجت
منها دودة كالذرة وفي فمها شئ يجري مجرى الغذاء لها ورفع الحجاب عن
سمع موسى عم فسمع الدودة تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني
ويذكرني ولا ينساني قوله وانما اتى بلفظ الوجوب جواب عما يقال وصول
الرزق الى الحيوان بطريق التفضل ومنوط بمشيته ان شاء رزق وان شاء
لم يرزق وكلمة على للوجوب فيتنافيان وتقرير الجواب ان ايصال الى كل حيوان
وان كان بطريق التفضل والجود والاحسان لكنه تعالى لما وعد به وتكفل بايصاله
صار واجبا من هذه الحيثية لانه تعالى لا يخلف الميعاد فصور بصورة الوجوب
لفائدتين احديهما التحقيق بوصوله والثانية حمل العباد على التوكل عليه تعالى
في شان الرزق قوله اما كنها دابة الحيوة والمات اشارة الى ما روى عن ابن
عباس ان مستقرها المكان الذي تاوى اليه ليلا او نهارا ومستقر فيه ومستودعها
الموضع الذي تدفن فيه اذا مات فانها تستودع فيه الى حين تبعث وقال
عطا المستقر ارحام الامهات اصلاب الآباء قوله او مساكنها يعني ان
المستقر هو مكانها من الارض حين وجودها بالفعل والمستودع حيث تكون
مودعة فيه قبل وجودها بالفعل من صلب ورحم او بيضة قوله وما بعدها
اى واريد بقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض بيان كونه قادرا على
كل المقدورات بعد بيان كونه عالما بجميع المعلومات قوله اى خلق ذلك
كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم يعني ان لام التعليل في قوله تعالى
ليبلوكم وان كان ظاهرا على مذهب المعتزلة القائلين بان افعال الله معللة
بمصالح العباد الا ان اهل السنة والجماعة يقولون انها ليست على ظاهرها
بل المعنى ان الله قادر فعل فعلا لو كان يفعله من يراعي المصالح لم يفعله الا لتلك المصلحة
واشار به ايضا الى جواب ما يقال الابتلاء انما يصح من الجاهل بعواقب الامور

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فكيف اسند اليه تعالى وتقرير الجواب عنه ان ليس المراد حقيقة الابتلاء
بل ما هو شبيه بالابتلاء فان معاملة الله تعالى مع عباده في خلق المنافع لهم
وتكليفهم بشكره واثابتهم ان شكروا وعقوبتهم ان كفروا يشبه معاملة
المختبر مع المختبَر فاستعير الابتلاء على سبيل التمثيل قوله فقوله فان
جملة ذلك آه بيان لكونه شبيهة لمعاملة المبتلي لاحوالكم قوله وانما
جاز تعليق فعل البلوى جواب عما يقال التعليق مختص بالفعل القلبي و
فعل البلوى ليس منه فكيف علق فاجاب بانه انما علق لان فيه معنى العلم و
العلم يجوز تعليقه فكذا ما فيه معنى العلم كما يعلق النظر والاستماع لما في كل
واحد منهما معنى العلم من حيث ان كلا من النظر والاستماع طريق الى العلم
يقال انظر ايهم احسن وجها واستمع ايهم احسن صوتا وتعليق افعال
القلوب عبارة عن ابطال عملها في اللفظ دون المعنى اذا توسط بينها وبين
مفعوليها احد الامور الثلثة لام الابتداء كوخلصت لزيد منطلق والاستفهام
كوعلمت ازيد منطلق وعلمت ايهم في الدار وحرف النفي مثل علمت مازيد
منطلق وهذه الثلثة لما اقتضت صدر الكلام منعت ما قبلها عن العمل
فيما بعدها على الابتداء وفعل البلوى يستدعي العامل وهو المختبر ومفعولا
يتعدى اليه بنفسه وهو المختبر ومفعولا آخر يتعدى اليه بالباء وهو المختبر به
كما في قوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف وفي هذه الآية قد عمل في الفاعل
ومفعوله الاول حيث قيل ليبلوكم وعُلِّق عن مفعوله الذي يتعدى اليه
بالباء لانه لم يعمل فيه لفظا وان تعلق به من حيث المعنى وهو معنى التعليق
اما انه لم يعمل فيه لفظا فلان طريق عمله فيه لفظا ان يكون المعمول مفردا ويتعدى
اليه العامل بوساطة حرف الجر لفظا او يكون منصوبا بنزع الخافض ولا يتعدى
الى الجملة الاستفهامية بوساطة الباء لانها لا تدخل الجملة ولا يكون الجملة منصوبة
بنزع الخافض فظهر انها ليست معمولة لفعل البلوى واما كونه متعلقا بها من
حيث المعنى فلانها من حيث المعنى المختبر بها لان المعنى ليبلوكم بتكليفكم احسن
العمل وما ذكر في سورة الملك من انه ليس بتعليق مبني على ان يضمن فعل البلوى

فرغ ما بعدها ح

معنى العلم فيكون الجملة منصوب المحل به على انها مفعول ثان له لانها لا تتعدى
بحرف الجر حتى يلزم المحذور المذكور على تقدير جعله عاملا قوله واما ذكر
صيغة التفصيل والاختبار مع ان جمعها في حكم الجمع بين المتنافيين فان
الاختبار يتعلق بجميع العباد محسنين كانوا او مسيئين واحسن عملا يختص
بالمحسنين منهم لان العمل الاحسن يخص بالمحسنين ولا يتحقق في اهل القبايح
فيلزم ان يغاير عموم الابتلاء وخصوصه معا وهما متنافيان وتقرير الجواب
ان الابتلاء وان كان يعم الفريقين الا ان المراد خصوصه بالمحسنين تنبيها
على ان المقصود الاقصى من خلق المخلوقات ان يتوسلوا باحسن الاعمال الى اجلى
المثوبات وتحريضا لهم على ترك القبايح والمنكرات ثم انه تعالى لما بين انه خلق
هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم واقتضى ذلك نشاة اخرى لهم بان
يبعثوا من قبورهم ويحشروا الى موقف القيمة للحساب والجزاء لان الابتلاء
والامتحان يوجب تخصيص المحسن بالرحمة والثواب وتخصيص المسيء بالمحنة
والعقاب فوقع لا يتم الا بتحقيق البعث والحساب. فلذلك خاطب نبيه عم
فقال ولين قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا والام في قوله
وليح قلت لام التوطئة للقسم وليقولن جوابه وحذف جواب الشرط لدلالة
جواب القسم عليه وانكم محكي بالقول ولذلك كسرت همزته في قراءة الجمهور وان
قدر الا سحر يكون الاشارة الى البعث والقول المدلول عليه بما تقدم
او الى القرآن المتضمن لذكره كانه قيل لو تلوت عليهم من القرآن ما فيه اثبات
البعث لقالوا هذا المتلو سحر والمراد انكار البعث بطريق الكناية الايمائية
لان القرآن هو الحاكم بحصول البعث واذا طعنوا فيه بكونه سحرا فقد طعنوا بما حكم به
القرآن من البعث لان الطعن في الاصل مستلزم الطعن في الفرع قوله الا كالسحر
اشارة الى وجه مطابقة جوابهم لقول الرسول عم انكم مبعوثون وهو انهم اجابوه
عم بكلام هو من باب التشبيه البليغ حيث شبهوا نفس البعث وقوله عم
به القرآن المتضمن لذكره بالسحر في الخديعة حيث زعموا انه عم اتى بذكره ذلك لمنع
الناس عن لذات الدنيا وصرفهم الى الانقياد له ودخولهم تحت طاعته او في البطلان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قوله اوان يكون ان بمعنى على وذكر في الضحاح وان المفتوحة قد تكون بمعنى
لعل كقوله تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون في قراءة اي لعلها
لا يؤمنون فعلى هذا يكون معنى الآية ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون وما ورد
ان يقال انه عم قاطع بالبعث فكيف يقول لعلكم مبعوثون وايضا القراءة
المشهورة صريحة في القطع والبث وهذه القراءة صريحة في عدم القطع والبث
فتنبه فيان اشار الى جوابه بقوله يعني توقعوا بعثكم آن يعني ان لعل لتوقع
المخاطب لا على سبيل الاخبار لانهم لا يقطعون البعث بل على سبيل الامر فكان
المعنى توقعوا بعثكم فلو لم يكن لعل لتوقع المتكلم لم يلزم محذور ثم انه تعالى
لما حكى عنهم انهم يكذبون الرسول عم بقولهم ان هذا الا سحر مبين حكى عنهم نوعا
آخر من اباطيلهم وهو انه متى تأخر عنهم العذاب الذي توعدهم الرسول عم به
اخذوا في الاستهزاء بان يقولوا اما السبب الذي حبسه عنا فاجاب الله بانه اذا
جاء الوقت الذي عينه الله لنزول ذلك العذاب لم ينصرف عنهم بل احاط بهم
قوله وهو دليل يعني ان جمهور البصريين على ان اليوم منصوب بصرف
الذي هو خبر ليس استدلوا به على جواز تقديم خبر ليس عليها ووجه الاستدلال
ان تقديم معمول الخبر يوذن بجواز تقديم العامل ويوهم لما تقدم على ليس مع
كونه معمولا لخبرها فجواز تقديم نفس الخبر بطريق الاولى لانه اذا تقدم الفرع
فاولى ان يتقدم الاصل ثم انه تعالى لما ذكر ان عذاب اولئك الكفار وان تأخر
الا بد وان يحيق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم وعلى كونهم مستحقين للعذاب
فقال ولئن اذقنا الانسان فقيل المراد به مطلق الانسان لدلالة الاستثناء
قوله الا الذين صبروا منه والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل فيه فلو
الاستثناء المذكور في هذه الآية لدخل فيه المؤمن والكافر وقيل المراد به الكافر
لان الاصل في المعرف بلام التعريف ان يشار به الى المعهود السابق الا ان
يمنع مانع منه وههنا لا مانع فوجب حمله على المعهود السابق وهو الكافر المذكور
في الآية المتقدمة فوجب ان يحمل الاستثناء في هذه الآية على الاستثناء المنقطع
قوله وفي اختلاف الفعلين وهما تحول النعمة الى الشدة وعكسه وجعل

التعبير عن الاول مخالفا للتعبير عن الثاني فان الظاهر ان يقال في الاول
ولئن احبناه بشدة وضر بعد ما اعطيناه رخاء ورحمة ليوافق قوله ولئن
اذقناه نعماء بعد ضراء وخولف ذلك للتنبيه على سبق رحمة الله غضبه
وان المقصود قصدا اوليا هو الرحمة وان البلاء انما يصيب الانسان
لسوء تدبيره والحكمة في كون الكافر يؤيسا حال زوال ما به من النعمة
انه لا يعتقد ان تلك النعمة انما حصلت له من جود الله تعالى وفضله واحسانه
بل يعتقد ان السبب في حصولها سبب اتفاقي فيستبعد حدوث
تلك الاتفاقات مرة اخرى فلا جرم يستبعد عود تلك النعمة فيقع في اليأس حال
زوالها ويقع في الكفران حال حصولها لانه لما اعتقد ان حصولها انما كان على
سبيل الاتفاق او بسبب ان الانسان انما حصلها بسبب جده وجهده لا يشتغل
بشكر الله على تلك النعمة قوله بالنعمة لان من ينكر السعادة الاخروية
اذا وجد لذة عاجلة دنيوية يزعم انه قد فاز بنهاية السعادة فيفرح
فرحا بها ويفتخر ولا يشتغل بشكر المنعم كما انه لا يلزم الصبر عند البلاء
والشدة قوله ولا يلزم من توقع الشيء لوجه ما يدعو اليه وقوعه
فان لعل في قوله تعالى فلعلك تارك بالنسبة الى المخاطب والمعنى
لعظم ما يدعك على قلبك من تخليطهم تتوهم انهم يزيلونك عن بعض ما انت
عليه من تبليغ ما اوحي اليك فورد عليه ان يقال كيف يصح منه عم ان
يتوقع من نفسه ان يخون في الوحي ويترك تبليغ ما يوحى اليه وقد اتفق
المسلمون على انه لا يجوز للرسول عم ان يخون في الوحي ويترك تبليغ بعضه
والا ارتفع الوثوق من احكامه وبطل فائدة الرسالة فاجاب المص عنه
بان توقع الخيانة لوجه ما يدعو اليه لا يستلزم وقوعها لان مجرد وجود ما
يدعو الى الشيء لا يكفي في وجوده بل لا بد معه من ارتفاع ما يمنع عنه فان ابن تحكم
بارتفاعه حتى ارتفع في الاشكال قوله وعارض لك في احيانا ضيق صدرك
يعني ان قوله تعالى وضائق عطف على قوله تارك وعدل عن ضيق اليه وان
كان ضيق اكثر منه استعمالا لان المقام ليس مقام الدلالة على الثبوت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والاستقرار بل مقام الدلالة على الحدوث والعروض فلذلك عدل الى مايدل عليه
وهو صيغة فاعل فانك اذا اردت السيادة والجود الثابتين المستقرين
قلت سيد وجواد واذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد وكذا الفرق
بين حاسن وثاقل وسامن وبين حسن وثقيل وسمين قوله مخافة ان
تقولوا علة لقوله وضائق حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب
باعرابه محلا وضمير به يعود على بعض مايوحى وقيل بهم يفسره ان يقولوا روى
اهل مكة لما قالوا ات بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا ولا محالفتنا
ايائك فهم النبى عم ان يدع سب آلهتهم طاهرا فانزل الله تعالى
فلعلك تارك بعض مايوحى اليك يعنى سب الآلهة وروى عن ابن عباس رض
ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال
اخرون ايتنا بالملائكة يشهدوا بنبوتك فقال عم لا اقدر على ذلك فنزلت
الآية كانهم قالوا لو كنت صادقا فانك رسول الله الذى تصفه بالقدرة
على كل شئ وغيره عندك فهلا عليك كنزا اى مالا كثيرا ممن شانه ان يجعل
كنزا اى مالا مدفونا فان الكنز اسم للمال المدفون فهو لا ينزل فوجب ان
يكون المراد به ههنا مايكنز وقد جرت العادة بان يقتنى المال الكثير
ايضا بهذا الاسم فكان القوم قالوا فهلا انزل عليك ما تستغنى به وتغنى
اصحابك من الكد والتعب وتستعين به على مهماتك وتعين انصارك
او ان كنت صادقا فهلا انزل الله معك ملكا تشهد لك على صدق قولك
ويعينك على تحصيل مقصودك فتنزول الشبهة من امرك فلعالم يفعل ذلك
فانت غير صادق فاجابهم الله بان بين انه عم رسول منذر بالعقاب
ويبشر بالثواب ولا قدرة له على ايجاد هذه الاشياء والذى ارسله هو القادر
على ذلك فان شاء فعل وان شاء لم يفعل ولا اعتراض لاحد عليه فى فعله وفى حكمه
قوله ام منقطعة لعدم ما تتصل هى به فيكون معادلة معطوفة هى عليه والتقدير
خلاف الاصل وجعلها صاحب التيسير متصلة وقال تقديره ايكذبونك ام يقولون
انه ليس افتريه وقيل تقديره ايكتفون بما اوحينا اليك معجزة ام يقولون انه

بس

ليس من عند الله بل افتريه محمد عم واتى به من عند نفسه وعلى تقدير كونها منقطعة
يكون متقدرة ببل والهمزة اضرب عن شرح صدره عم للاثبات على الانذار
بما اوحى اليه وعلى ان لا يضيق صدره بان يقولوا لولا انزل عليه كنزا ثم انكر
عليهم قولهم ذلك قوله تحداهم اولا بعشر سور تصريح بان هذه السورة
متقدمة فى النزول على آية سورة البقرة وهى قوله وان كنتم فى ريب مما
نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله اى بسورة كائنة من مثل ما نزلنا
وعلى الآية التى فى سورة يونس وهى قوله ام يقولون افتريه فاتوا بسورة
مثله اما تقدمها على سورة البقرة فظاهر لان هذه السورة مكية وسورة
البقرة مدنية واما تقدمها على سورة يونس وان كان كل واحدة منهما
مكية فبدليل ان التحدى بعشر سور ينبغى ان يكون متقدما على التحدى بسورة
اذ لا معنى للتحدى بالعشر بعد التحدى بسورة وتبين عجزهم عن معارضتها
فانه بمنزلة ان يقال لرجل اعطنى درهما فيعجز فيقال له اعط عشرة دراهم
فان هذا الدليل يقتضى ان يكون سورة هود متقدمة فى النزول على سورة
يونس وان كان كل واحدة منهما مكية قوله وتوحيد المثل وجواز ان
يقال جواز كل واحد من الافراد والمطابقة للموصوف من خصايص لفظ المثل
لقوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا وقوله تعالى وحور عين كامثال
اللؤلؤ وقوله ثم لا يكونوا امثالكم والقريض الشعر والقرض قول الشعر
خاصة يقال قرضت الشعر اقرضه اذا قلته قوله وللتنبيه تعليل ثان
لجمع الضمير على وجه تعميم الخطاب قوله ولذلك اى ولكون لكم خطابا له عم
وللمؤمنين اولهم عم خاصة على جهة التعظيم رتب عليه ما بعده بالفاء الجزائية
والمعنى ان لم يستجب هؤلاء المشركون لكم يا محمد ويا اصحاب محمد عم الى ما ادعو
اليه من معارضة القرآن واتيان عشر سور مثله وتبين عجزهم عنه بعد الاستعانة
بمن استطاعوا بالاستعانة منه من دون الله واعلموا اى فاثبتوا على العلم
الذى انتم عليه لتزادوا يقينا وثبات قدم منزلا من عند الله وانه معاجلة المعجزات
الدالة على صدقه عم فى دعوى الرسالة والجزم بصدقه عم يستلزم الجزم

عوهم

بان الشان لا آله الا هو وليس المراد بقوله فاعلموا الامر بالعلم لانه عم والمؤمنين
عالمون بالامرين قبل نزول هذه الآية بل المراد الثبات على العلم او الزيادة
فيه وكذا ليس المراد بقوله تعالى فهل انتم مسلمون الاستفهام عن احداثهم
الاسلام بل المراد تثبيتهم عليه وتقوية نشاطهم للرسوخ والاخلاص فيه قوله
مطلقا اى بالنسبة اليكم والى كل من دعوتموه من دون الله ممن استطعتم
قوله وكلمة ما في قوله تعالى انما انزل بعلم الله تعالى يجوز ان يكون كافة
مهيئة لدخول ان على الفعل وفي انزل ضمير يرجع الى قوله ما يوحى ويعلم حال
اى انزل القرآن ملتبسا بما لا يعلم الا الله تعالى من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب
لا سبيل لهم اليه ويجوز ان يكون مصدرية او موصولة اسما لان وخبرها الجار
بعدها والتقدير فاعلموا ان تنزيله او ان الذى ملتبس بعلم واختار المص الاحتمال
الاول قال الامام فان قلت اى تعلق بين الشرط المذكور في هذه الآية و
بين ما فيها من الجزاء واجاب بان القوم ادعوا كون القرآن مفترى على الله فقال
تعالى قل لهم لو كان مفترى على الله لوجب ان يقدر الخلق على مثله وعالم
يقدر واثبت انه من عند الله فقوله انما انزل بعلم الله كناية عن كونه من عند الله
ومن قبله كما يقول الحاكم هذا الحكم جرى بعلمي قوله ويجوز ان يكون الكل
خطابا للمشركين وذلك لان الآية المتقدمة اشتملت على خطابين احدهما خطاب
الرسول عم وهو قوله تعالى قل فأتوا بعشر سور والثاني خطاب الكفار وهو
قوله تعالى فأتوا وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين في ادعاء
الافتراء فلذلك جاز في خطاب لكم وجهان الاول ما مر من انه خطاب للرسول
والمؤمنين او للرسول خاصة على جهة التعظيم وان المعنى ان الكفار ان لم يستجيبوا
لكم في الاتيان بما يماثله فاعلموا اى فاثبتوا على العلم الذى انتم عليه من انه منزل
من عند الله الذى لا آله الا هو والوجه الثاني انه خطاب مع الكفار والمعنى ان الذين
تدعونهم من دون الله اذا لم يستجيبوا لكم في الاعانة على المعارضة فاعلموا ايها الكفار
ان هذا القرآن انما انزل بعلم الله فهل انتم مسلمون بعد لزوم الحجة عليكم
والقائلون بهذا القول قالوا هذا القول اولى من القول الاول لانكم في القول

الاول

الاول احتجتم الى ان حملتم قوله فاعلموا على الامر بالثبات او على اضمار القول و
على هذا القول لا حاجة الى الاضمار فكان اولى ولان اقرب المذكورين هو الكفار
فرجوع الضمير اليهم اولى قوله وفي مثل هذا الاستفهام يعني ان قوله فهل
انتم مسلمون وان كان لفظه استفهاما فالمراد انه امر وايجاب بليغ للاسلام
لما ذكر من الدليل فان قلنا ان خطاب مع المؤمنين كان معناه ايجاب الثبات
على الاسلام والترغيب في زيادة الاخلاص وان قلنا انه خطاب مع الكفار كان
معناه ايجاب الاسلام عليهم وترغيبهم في التفكر فيما يوجبه من الحجة القاطعة
قوله باحسانه وبشره يعني ان هذه الآية سواء نزلت في المؤمنين الذين
عملوا الصالحات خراراة للخلق او في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم
مع الرسول عم الغنايم من غير ان يؤمنوا بالآخرة وثوابها او في الكفار الذين يعملون
اعمالا في صور الاعمال الصالحة من البر وصلة الرحم والصدقة وبناء القناطر و
تسوية الطرق والسعي في دفع الشرور واجراء الانهار يكون معناها من كان يريد
بما عمله من اعمال البر والاحسان التمتع بلذات الدنيا وطيباتها والانتفاع بخيرا
وشهواتها من ثناء الخلق ونحو ذلك فان جزاء عمله يصل اليه في الدنيا تاما كاملا و
لا ينتفع احد من هؤلاء الطوائف المذكورة في الآخرة بشئ من الاعمال التي اراد بها
الحظوظ العاجلة ولا يستحقون بها الا النار اما المنافقون والكفار فظاهر لانهم
مخلدون في النار واما المراؤون من المؤمنين فلان العمل اذا كان عبادة
بشرط الاخلاص ومن رآى به لم يخلصه لله تعالى بل عمله طلبا لزينة الدنيا ورياء
وسمعة وقد سلمتم في ما يقتضيه صورة عمله الصالح من المنافع التي اراد بها
بعمله ولم يبق له الا اوزار عقابه القبيحة فلا يستحق ان يعذب بها فان شاء ربه
ان يعذبه او يعفو عنه فعل ذلك فقوله تعالى ليس لهم في الآخرة الا النار ان كان
نازلا في حق المرائين من المؤمنين يقتضي بظاهره ان يخلدا هل الرياء في النار وليس
كذلك فلا بد تقييده بان يقال ليس في الآخرة بسبب اعمالهم الرياءية الا النار الآن
يتجاوز الله عنه وليس في الآية ما يدل على انه لا محالة يعذب وانما يدل على انه لا يستحق
بسببها الا النار والمراد بالاطلاق المذكور بقوله مطلقا اطلاق المشار اليه

تها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بقوله اولئك وهو من كان يريد الحيوة الدنيا كائنا من كان من الطوائف الثلث
وقوله في مقابلة ما عملوا اشارة الى ما ذكرنا من وجوب التقييد في حق المرائي روى
عنه عم انه قال اشد الناس عذابا يوم القيمة من يرى الناس فيه خيرا ولا خير فيه
وروى عنه عم ايضا انه قال نعوذ بالله من جب الحزن قيل ما جب الحزن
قال واد في جهنم يتبع فيه القراء المراؤن وروى عنه عم ايضا انه قال اذا
كان يوم القيمة يدعى برجل جمع القرآن فيقال له ما عملت فيقول يا رب قمت به
اناء الليل والنهار فيقول الله كذبت اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل
ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى الم اوسع عليك فما عملت
فيما اتيتك فيقول قد وصلت الرحم فتصدقت فيقول الله كذبت بل
اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ويؤتى بمن قتل في سبيل الله فيقول
قاتلت في الجهاد لله حتى قتلت فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان
جريئ مقدام فارس قال الراوي وهو ابو هريرة رضي الله عنه ثم ضرب
رسول الله صلى الله عم ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك الثلثة اول خلق
تسعر بهم النار يوم القيمة روى ان ابا هريرة ذكر هذا الحديث عند معاوية
فبكى معاوية حتى ظننا انه هالك ثم افاق فقال صدق الله ورسوله من كان
يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وذكر القرطبي ناقلا عن بعض
العلماء ان هذه الآية هو قوله عم انما الاعمال بالنيات وقراء الجمهور نوف
بنون العظمة وتشديد الفاء من وفى يوفى ويوف بياء الغيبة وبناء الفعل
للفاعل وهو ضمير الله تعالى وقرئ يوف بضم الياء وفتح الفاء المشددة
من وفى يوفى مبنيا للمفعول اعمالهم بالرفع على انه قايم مقام الفاعل والجزم
في يوف على هذه القراءات لكونه جوابا للشرط كما في قوله تعالى من يريد حرث
نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وقراء الحسن البصري
يوفي بتخفيف الفاء وبثبوت الياء من اوفى قال ابن الحاجب فان كانا كل
واحد من الشرط والجزاء مضارعا او الاول فالجزم وان كان الجزاء وحده
مضارعا فالوجهان قوله لانه لم يبق لهم ثواب في الآخرة اشارة الى

ان قوله

ان قوله فيها متعلق بقوله حبط والضمير يرجع الى الآخرة اى وظهر حبوط ما صنعوا
في الآخرة لانهم لم يروا له ثوابا فيها وان تعلق فيها بصنعوا يتعين ان يعود الضمير
الى الحيوة الدنيا كما يتعين ان يعود اليها في قوله نوف اليهم اعمالهم فيها
وفي الصحاح حبط عمله حبطا وحبوطا بطل ثوابه وقراء الجمهور وباطل ما كانوا
يعملون برفع الباطل ما على انه خبر مقدم وما كانوا يعملون مبتداء مؤخر وهذه
الجملة الاسمية معطوفة على الفعلية التي قبلها واما على ان باطل معطوف على
حبر اولئك اى اولئك باطل ما كانوا يعملون وقوله ما كانوا يعملون فاعل باطل
والمحض اختيار الاحتمال الاول حيث صرح بكونها جملة واسم الفاعل مع فاعله
لا يكون جملة وقرئ وباطلا بالنصب على انه مفعول به ليعملوا وما ابهامية
ومعنى كونها ابهامية كونها صفة للنكرة قبلها كما في قولهم لآمر ما يسود ممن يسود
والمعنى وباطلا اى باطل كانوا يعملون او على انه بمعنى المصدر لفعل محذوف
اى وبطل بطلانا ما كانوا يعملون قوله والهمزة للانكار ان يعقب من هذا شانه
وهو كونه على بينة من ربه وان يتبع بينته كتاب سماوي يعني ان كلمة من
في قوله تعالى فمن كان شرطية او موصولة مرفوعة المحل على انها مبتداء والخبر
محذوف اعتمادا على دلالة همزة الانكار وفاء التعقيب عليه ووجه دلالتها
عليه انها دخلت على الجملة المصدرة بفاء التعقيب فافادت انكار التعقيب
والتقارب بين مدخول الفاء وبين امر آخر وليس ذلك الامر الا ما ذكر قبل
بقوله افمن كان على بينة كمن يريد الحيوة الدنيا ومثل هذا الحذف في القرآن
كثير منه قوله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا الى كمن هداه الله وقوله
امن هو قانت اناء الليل ساجدا او قائما الى غير ذلك ولما كان همزة الاستفهام
تقتضي صدر الكلام وكان الفاء العاطفة تقتضي المعطوف عليه قدر صاحب
الكشاف المعطوف عليه بين همزة الاستفهام وحرف العطف فقال معناه امن
كان يريد الحيوة الدنيا كمن كان على بينة وهذا التقدير هو القاعدة المقررة عندهم
في مثل هذا الموضع الا ان التقدير الذي ذكره لابد فيه من تقدير فعل ليستقيم المعنى
اى اتذكر اولئك فيذكر هؤلاء او اتيان فيقال والهمزة لانكار هذا التعقيب

والیه اشار بقوله ای لایعقبونهم ولایثیرونهم وبقی الکلام من ان المعطوف علیه
علی تقدیر المض ماهو والظاهر انه هو جملة من کان یرید الحیوة الدنیا کما فی تقدیر صاحب
الکشاف وماذکره من التقدیر لایتعرض فیه لبیان المعطوف علیه بل هو بیان لحاصل
المعنی فان المراد نفی التماثل بین الفریقین فصدر المعطوف علیه بالکاف للتشبیه
لیدل علی نفی المماثلة وانکارها والمستفاد من نظم القرآن هو انکار المعاقبة
والمقاربة فان فاء التعقیب فیه یدل علی اعتبار المعطوف علیه وهمزة الانکار
یدل علی انکار المقاربة والمعاقبة بینهما والتقدیر أمَنْ کان یرید الحیوة الدنیا
کمن کان علی بینة فی السعادة وحسن العاقبة والمعنی ان الفریق الثانی لایعقب
ولایقارب الفریق الاول فیما ذکر بناء علی ان الاستفهام للانکار فیفید انهم
لاتقارب بینهم فضلا عن التماثل قوله ویتبع ذلک البرهان علی ان قوله
یتلوه من التلو لامن التلاوة وقوله ذلک البرهان اشارة الی وجه تذکیر الضمیر
الراجع الی بینة فان الظاهر ان یقال ویتلوها الا انه ذُکِّر ضمیر البینة باعتبار
المعنی وتنوین شاهد للتفخیم وکون القرآن تابعا لدلیل العقل کونه موافقا
له فی المدلول وشاهدا مصدق له قوله وهو حکم یعم کل مؤمن یعنی ان الذی
وصفه الله تعالی بانه علی بینة المراد به کل مؤمن مخلص یتمسک بالبرهان الدال
علی ماهو الحق فیکون الحکم الدال علی انکار المقارنة بینه وبین من قصر همه
وفکره علی الدنیا متنا ولاهم جمیعا غیر مختص بقوم اوبمن اهل الکتاب کعبد
الله بن سلام واضرابه علی ماقیل قوله اولسان الرسول علی ان ضمیر منه له عم
والتالی وان کان ذات الرسول صلی الله عم ولسانه الة التلاوة الا ان
التلاوة اسندت الی الآلة مجازا کما یقال عین باصر واذن سامعة ولسان
ناطق فالمعنی افمن کان علی حجة مُبَیِّنَةٍ وهی القرآن ویقرؤ ذلک القرآن
شاهد من الله وهو جبرئیل من الرسول وهو لسانه وضمیر یتلوه علی تقدیر
ان یکون من التلاوة یتعین ان یکون للبینة بتاویل القرآن وامّا علی تقدیر
ان یکون من التلوّ فیحتمل ان یکون لمن کان علی بینة کما یحتمل ان یکون للبینة
قوله ومن قبله کتاب موسی جملة مبتدأ اذلا وجه لعطفه علی

علی شاهد اذا لم یُرَدّ به القرآن ولاعلی وهو ظاهر فکانت جملة مستقلة غیر
داخلة فی حیز شیء مما قبلها وجعل قراءة النصب فی کتاب موسی مبنیا علی ان
یکون المراد بالبینة القرآن ویکون یتلوه من التلاوة فالمعنی ویتلو القرآن شاهد
ممن کان علی بینة ویتلو کتاب موسی من قبل القرآن وفصل بین العاطف والمعطوف
بقوله من قبله وقوله اماما ورحمة منصوبان علی الحال من کتاب موسی سواء قرئ
مرفوعا او منصوبا والموعد اسم مکان والمریة بکسر المیم وضمها لغتان بمعنی الشک
قوله بان یُحْبَسُوا ویُعْرَضَ اعمالهم اشارة الی انه تعالی لیس فی مکان حتی یعرضون
علیه وان المراد عرضهم علی الموقف المعد للحساب والسؤال وحبسهم فیه الی ان
یفصل الله تعالی بین العباد روی عنه ع انه قال ان الله تعالی یُدْنِی المؤمن
یوم القیمة فیستره من الناس فیقول ای عبدی تعرف ذنب کذا وکذا فیقول
نعم حتی اذا قرّره بذنوبه قال تعالی فانی سترتها علیک فی الدنیا وقد غفرتها
الیوم ثم یعطی کتاب حسناته واما الکفار والمنافقون فیقول الاشهاد
هؤلاء الذین کذبوا علی ربهم الا لعنة الله علی الظالمین یفضحهم بما کانوا
علیه فی الدنیا ویتبینون انهم ملعونون عند الله تعالی بسبب ظلمهم ثم وصفهم
بانهم یمنعون الناس عن دین الله وطریق طاعته بالتخویف وادخال الشبه
والتسبیل مؤنث سماعی فلذلک انث ضمیر یبغونها یقال بغیت الشیء طلبته
وبَغَیْتُکَ الشیءَ طلبته لک وفسر طلب العوج لسبیل الله اولا بوصفهم ایاها
بالانحراف عن الحق بطریق اطلاق اسم السبب علی المسبب وثانیا بطلب
العوج لاهلها علی حذف المضاف قوله وتکریرهم لتاکید کفرهم بالآخرة واختصاصهم به
اما التاکید فمن تکریرهم فان تکریر المسند الیه یفید تاکید شانه فی الاتصاف بمضمون
الخبر واما الاختصاص فلتقدیمهم هم علی الکافرین کما لو قال هم یکفرون وسبب
تضعیف العذاب علیهم انهم ضلوا غیرهم ولانهم کفروا بالله وهو کفر بالمبدإ وبالبعث
وهو کفر بالمعاد ولانهم کانوا یستثقلون سماع الحق وابصار الحق ومایدل علی الحق
من الآیات فیعذبون بکل واحد منهما قوله لتصامهم عن الحق وبغضهم له یقال تصام
ای اری من نفسه انه اصم لما نفی الله عنهم استطاعة سمع الاصوات والحروف وکان

هذا خلاف ما ذهب اليه اهل الحق والمعتزلة فان اهل الحق وان ذهبوا الى
ان افعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله وحدها وليس لقدرتهم تأثير
فيها الا انهم اثبتوا للعبد استطاعة غير مؤثرة فانهم قالوا اجرى الله سبحانه
عادته على ان يوجد في العبد قدرة واختيارا اذا لم يمنعه مانع اوجد فعله
المقدور مقارنا لها فيكون فعل العبد مخلوقا لله تعالى ابداعا واحداثا ومكسوبا
للعبد والمراد بكسبه اياه مقارنة لقدرته وارادته من غير ان يكون هناك تأثير
ومدخل في وجوده سوى كونه محلا له وقال اكثر المعتزلة انها واقعة بقدرة
العبد وحدها على سبيل الاستقلال وقالت طائفة منهم هي واقعة بالقدرتين
معا فظهر ان كل واحد من الفريقين ذاهب الى ان للعبد استطاعة على افعاله
الاختيارية يسمع بها الاصوات والحروف ويبصر بها المبصرات الى غير ذلك اتفقا
على انه يجب تأويل الآية وقالا قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون استعارة تصريحية تبعية شبه تصامهم عن استماع الحق وبغضهم له
بعدم استطاعتهم السمع فاطلق على المشبه اسم المشبه به وكذا شبه تعاميهم
عن آيات الله بعدم ابصارها فاطلق عليه عدم الابصار على سبيل الاستعارة
التصريحية ثم اشتق من اللفظ المستعار قوله ما كانوا يستطيعون السمع
وقوله وما كانوا يبصرون فالمعنى انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم
له كانهم لا يستطيعون السمع وتعاميهم عن ايات الله كانهم لا يبصرونها قوله
وقيل هو بيان نفاه عطف على ما اشار اليه من التأويل اى وقيل لا حاجة الى
التأويل وانما يحتاج اليه ان لو كان قوله ما كانوا يستطيعون من صفات
الكفار وليس كذلك بل هو من صفات الاوثان فعلى هذا يكون قوله يضاعف
لهم العذاب اعتراضا لكونه في حق الكفار وما قبله وما بعده في حق الاوثان
قوله اطمأنوا اليه الاجابة الخضوع والخشوع ويستعمل باللام يقال اخبت
الله واستعمله بالى في الآية لتضمنه معنى الاطمئنان والانقطاع قوله لجواز ان يراد
تشبيه الكافر بالاعمى تعبير عن خلاصة المعنى فان الظاهر ان يقال تشبيه حال الكافر
بحال الاعمى نظرا الى قوله تعالى مثل الفريقين اى حالهما وصفتهما العجيبة فلابد

ان يقدر في جانب المشبه به مثل آخر اى كمثل الاعمى والاصم والبصير والسميع فهو تمثيل
شبه حال الفريقين بحال هؤلاء ولم يشبه انفس الفريقين بانفسهم فانه تعالى
شبه عدم انتفاع الكافر ببصره في اجتلاء الآيات المنصوبة بين يديه وبسمعه
في استماع الآيات المتلوة عليه بعدم انتفاع الاعمى والاصم بحاسة البصر والسمع
وشبه حال المؤمن وهو انتفاعه ببصره وسمعه في ذلك بانتفاع البصير والسميع ببصره
وسمعه الا ان تشبيه حال الشئ بحال شئ آخر لما استلزم تشبيه الشئ الاول
بالثاني تجوز المصنف فقال يجوز ان يراد تشبيه الكافر بالاعمى آخ والفرق بين
هذا الاحتمال والاحتمال الثاني ان كل واحد من الاعمى والاصم مغاير للآخر ذاتا على
الاحتمال الاول ويكون تشبيه الكافر تشبيهين ضرورة تعدد التشبيه بتعدد
المشبه به وكذا الحال في السمع والبصير وتشبيه المؤمن بهما بخلاف الاحتمال
الثاني فان كل واحد من الاعمى والاصم يكون متحدا مع الآخر ذاتا وعطف احدهما على
الآخر من قبيل عطف الصفة على الصفة لا من قبيل عطف الذات على الذات على
ذات آخر كما في الاحتمال الاول فيكون تشبيه كل واحد من الفريقين تشبيها
واحدا حيث شبه الكافر بشخص موصوف بالوصفين بان يشبه حال فريق
الكفار في تعاميهم عن الآيات المنصوبة بين يديهم وتصاميهم عن الآيات المتلوة
عليهم بحال من اجتمع فيه الصفتان العمى والصمم فوابدا في ضبط وضلال لان الاعمى
اذا سمع شيئا ربما يهتدي الى الطريق والاصم ربما ينتفع بالاشارة ومن جمع بينهما
فلا حيلة فيه كذا المؤمن قوله وهذا من باب اللف والتطابق اللف في اصطلاح
البديع ذكر متعدد على التفصيل والاجمال ثم ذكر ما للكل واحد من احاد ذلك المتعدد
وفي الآية الكريمة ذكر الفريقان ثم ذكر ما للكل منهما بقوله كالاعمى آخ والتطابق هو
الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة سواء كان التقابل حقيقيا او اعتباريا
وسواء كان التقابل تقابل الايجاب والسلب او غير ذلك ولا شك ان الاعمى والبصير
وكذا الاصم والسميع اوان متقابلان قوله تمثيلا على ان يكون المثل اسما بمعنى
التمثيل كالسلام بمعنى التسليم ومثلا تمييز منقول من الفاعلية والاصل هل يستوى
مثلهما اى تشبيههما شبه الله احد الفريقين بالاعمى والاصم والفريق الآخر بالبصير

والتمتع ثم انكد استواء التشبيهين ولفظ المثل حقيقة عرفية فى القول السائر المشبه
مضربه بمورده ثم يستعار للصفة العجيبة والحال الغريبة تشبيها لها بالقول
المذكور فى الغرابة فانه لايضرب الا فيه غرابة واعلم ان عادة الله جرت فى
القرآن العظيم على انه اذا اورد على الكافر من دلائل الوحدانية والنبوة اتبعها
بالقصص ليؤكد بها تلك الدلائل فى هذه السورة قصصا متعددة فبدأ بقصة
نوح عم وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى انى لكم بفتح الهمزة على اضمار حرف
الجر اى بانى لكم والجار والمجرور متعلق بحال محذوفة اى ارسلناه ملتبسا
ومبينا لهذا الكلام وقراء البلوتون انى لكم بالكسر على اضمار القول والتقدير
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال لهم انى لكم نذير اى مخوف مبين اى
مظهر ذلك الانذار اكمل طريقة قوله بدل من انى لكم بفتح الهمزة اى
ارسلناه بان لاتعبدوا الا الله اى بالنهى عن عبادة غير الله والامر بعبادة
الله تعالى لان قوله الا الله استثناء من النهى ويجوز على قراءة الفتح ان
تكون ان مفسرة ايضا والمفسر بها اما ارسلنا واما كل نذير لان كل واحد
منهما فى معنى القول وعلى قراءة انى لكم بكسر الهمزة يتعين ان تكون ان مصدرية
منصوبة المحل مع ما فى حيز على انه مفعول مبين او مفسرة متعلقة
بنذير قوله على طريق جد جده ونهارك صايم لف ونشر مرتب فان
اسناد اليوم الى اليوم اسناد الى الظرف كقولك نهاره صايم واسناده الى الغراب
اسناد الى الوصف كقولك جد جده والمتألم حقيقة هو الشخص المدرك
لا وصفه ولا زمانه واذا وصفا بالتألم دل على ان الشخص بلغ فى تألمه الى
حيث سرى ما به من التألم الى ما يلابسه من الزمان والاوصاف ولما حكى الله
تعالى عن نوح عم انه دعى قومه الى عبادة الله وحده حكى عن قومه انهم طعنوا
فى نبوته بثلاثة انواع من الشبهات فالشبهة الاولى انه بشر مثلهم والتفاوت
الحاصل بين الاحاد المتفقة فى الحقيقة البشرية يمتنع انتهاؤه الى حيث يصير
الواحد منهم واجب الطاعة لجميع العالمين والشبهة الثانية كونه بحيث اتبعه الاذل
القوم كالحاكة واهل الصنايع الخسيسة قالوا ولو كنت صادقا لاتبعك

الاكياس والاشراف من الناس ونظيره قوله تعالى فى سورة الشعراء انؤمن لك
واتبعك الارذلون والشبهة الثالثة قولهم وما نرى لكم علينا من فضل لا فى العقل
ولا فى رعاية المصالح العاجلة ولا فى قوة الجدل فاذا لم نشاهد فضلك علينا
علينا فى شئ من هذه الاحوال الظاهرة فكيف نعترف بفضلك علينا فى اشرف
الدرجات واعلى المقامات والاخسار جمع خسيس مثل بنى وانبيار واراذل
يحتمل ان يكون جمع ارذل صفة كاحمر وقياسه ان يجمع على رذل الا انه جمع على
اراذل لجريانه مجرى الاسماء من حيث انه صار هجيرا موصوفة كالابطح والابلة وقيل
هو جمع ارذل الذى للتفضيل كافضل وافاضل وقد جاء اكابر مجرميها واحاسنكم
اخلاقا ومحاجمعا اكبر واحسن ويحتمل ان يكون جمع جمع بان يكون جمعا لارذل
وارذل جمع رذل نحو كلب واكلب واكالب وقيل بل هو جمع لارذال
وارذال جمع لرذل ايضا الجوهرى الرذل الدون الخسيس وقد رذل فلان
بالضم يرذل رذالة ورذولة فهو رذل ورذال بالضم من قوم رذولين وارذال
ورذلاء قوله وتوحيد الضمير آخرا جواب عما يقال قد سبق امران بينة ورحمة
فكان مقتضى الظاهر ان يقال فعميتها عليكم فان نوحا عم لما دعى قومه الى تخصيص الله
تعالى بالعبادة وطعنوا فى نبوته بثلث شبه اجاب عم عن تلك بانى على بينة
ورحمة من ربى وهى مشتبهة عليكم ولا اقدر على الزامكم على قبولها وهو جواب لتلك
الشبه كلها اما عن الاولى فلان الاشتراك فى البشرية لا ينافى الاختصاص بالبينة
والرحمة من عند الله وعن الثانية بان البينة قد اشتبهت على الاشراف لحسدهم
وخوفهم على الجاه فما كانوا يقبلونها الا بالالزام ولا الزام بخلاف الفقراء الذين قبلوها
واتبعوا الحق وقت صدوث بادى الراى فانه لامانع فهم يمنعهم من القبول من كون
الحسد والخوف عن زوال الجاه والرياسة فلذلك قبلوها فى اول الوهلة وعن
الثالثة بان التفاوت فى الفضل انما هو من الله تعالى والله يؤتى فضله من يشاء
فظهر من هذا السوق ان مقتضى الظاهر ان يقال فعميتها عليكم الا انه وحد الضمير
لان البينة والرحمة وان كانتا متغايرتين بحسب المفهوم الا انهما متحدتان
بحسب الذات فان المراد بهما البرهان الدال على نبوته عم وهو بينة باعتبار انه

شاهد على دعواه ورحمة باعتبار انه ينتفع به وعلى تقدير ان تكون متغايرتين
ذاتا ايضا بان يراد بالبينة الحجة الشاهدة بصحة دعواه وبالرحمة نفس النبوة وحد
الضمير ايضا لرجوعه الى البينة ولم يتعرض لعماد الرحمة لاستلزام خفاء البينة
خفاءها او لرجوعه الى الرحمة التي هي النبوة ولم يذكر عماد البينة للاختصار
وتقدير الكلام فعميت النبوة عليكم بعد قيام البينة عليها قوله وقراء
حمزة والكسائي وحفص فعميت بضم العين وتشديد الميم على مالم يسم فاعله واصله
فعماها الله عليكم عقوبة لكم على تقصيركم في ابتغاء الحق ثم بني الفعل للمفعول
وحذف فاعله للعلم به وهو الله تعالى واقيم المفعول وهو ضمير الرحمة او البينة
او كل واحد منهما مقامه وقراء الباقون عميت بفتح العين وتخفيف الميم والمعنى
فعميت عليكم البينة فلم تهتدوا كما لو عمي دليل القوم عليهم في المفازة فكيف يهديهم
فان الحجة كما توصف بالابصار اذا كانت معلومة جلية لانها هادية كالمبصر قال
تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة كذلك توصف بالعمى اذا كانت مجهولة خفية
لكونها لايكون هادية قال تعالى فعميت عليهم الانباء قوله وحيث اجتمع ضميران
آخ قد اجتمع في انلزمكموها بعد الضمير المرفوع ضميران متصلان وقدم الاعرف
منهما وهو ضمير الخطاب وهو اعرف من ضمير الغائب ولو قدم ضمير الغائب لانفصل
ضمير الخطاب وجوبا ثم قال عم لقومه يا قوم لا تهمة علي فيما ادعوكم اليه ولا صورتي
صورة من يطمع في اموالكم والرياسة في امور الدنيا عليكم فتظنوا بي الكذب وما اجري
الا على الله بناء على سعة فضله وكرمه فلله اعمل ومنه ارجو فبأي عذر لا تقبلون ما
دعوتكم اليه والطرد الابعاد على وجه الهوان قوله عطف على عندي لا على قوله
لا اقول اذ لا يستقيم ان يقال لا اعلم الغيب حتى تكذبوني وانما يستقيم ان يقال
لا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني (استبعاد) وانما يستقيم عطفه على لا اقول
ان لو كان المعنى لا اعلم الغيب حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي قوله
وما انتم معجزين بدفع العذاب او الهرب منه قال الامام فان احدا لا يعجزه اي لا يفعل
فما اراد ان يفعله والمعجز هو الذي يفعل ما عنده فيتعذر به مراد الغير فيوصف
بانه اعجزه فقوله تعالى وما انتم بمعجزين اي لا سبيل لكم الى ان تفعلوا ما عندكم

فتمنع

فيمتنع على الله تعالى ما يشاء من العذاب ان اراد انزاله بكم قوله شرط ودليل
جواب يعني ان قوله تعالى ان اردت ان انصح لكم شرط جزاؤه محذوف وما قبله
دليل الجواب وليس بجواب عند البصريين فانهم لا يجوزون تقدم الجزاء على الشرط وكذا
وكذا جواب قوله تعالى ان كان يريد ان يغويكم محذوف حذف لدلالة الجملة الشرطية
المتقدمة عليه وتقدير الكلام ما ذكر فتكون الآية الكريمة نظير قولك ان اتيتني ان كلمتني
اكرمتك فقولك ان كلمتني اكرمتك جواب قولك ان اتيتني وهي مسئلة اعتراض
الشرط على الشرط وفي مثله يكون الجزاء المذكور معلقا على الشرط المذكور اولا وواقعا
عند وقوع ذلك الشرط بشرط حصول الشرط الثاني ولما كان حصول الشرط الثاني
شرطا لكون الشرط الاول مستلزما للجزاء ومن المعلوم ان الشرط مقدم على المشروط
في الوجود وجب ان لا يحكم بتحقق الجزاء الا عند وجود الشرط الاول بعد وجود
الشرط الثاني ففي قولك ان اتيتني ان كلمتني اكرمتك ان اتاه ثم كلمه لا يجب
الاكرام ولكن ان كلمه ثم اتاه وجب الاكرام ولو قال الرجل انت طالق ان دخلت
الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق لانعدام شرط كون الدخول
مستلزما للطلاق ولكن ان كلمت ثم دخلت تطلق قال الامام قوله لا ينفعكم
نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم جزاء معلق على شرط
بعد شرط آخر وهذا يقتضي ان يكون الشرط المؤخر في اللفظ مقدما في الوجود
فقولك لا ينفعكم الرجل اذا قال لامرأته انت طالق ان دخلت الدار كان المفهوم
كون الطلاق من لوازم ذلك الدخول فاذا ذكر بعد شرط آخر مثل ان يقول
ان كلمت الخبز كان المعنى ان لا تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول مشروط
بحصول الشرط الثاني والشرط مقدم على المشروط في الوجود فعلى هذا ان حصل ان
الشرط الثاني تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول واذا لم يوجد الشرط الثاني لم يتعلق
ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول ولهذا المعنى قال الفقهاء ان الشرط المؤخر في اللفظ مقدم
في المعنى والمقدم في اللفظ مؤخر في المعنى قوله وهو جواب لما او بيان ان جداله
كلام بلا طائل مع ان جداله معهم انما هو نصح لهم وارشاد الى اثبات التوحيد والنبوة
والمعاد وازالة لشبهاتهم الواهية ولما كانت هذه الآية حجة لنا على المعتزلة

القائلين بان كفر العبد وغوايته انما هو بقدرة العبد وارادته ولا تعلق به قدرة
الله تعالى وارادته نقالوا ظاهر الآية يدل على انه تعالى ان اراد اغواء القوم لم ينفعوا
بنصح الرسول وهذا مسلم فانا نعرف ان الله تعالى لو اراد اغواء قوم لا ينفعهم
نصح الناصحين لكن لم قلتم انه تعالى اراد هذا الاغواء وليس النزاع الا فيه قوله
اذا بثثم فلك البثم التخمة يقال بثم الفصيل من كثرة شرب اللبن قوله
ام يقولون افتريه الظاهر ان ام فيه منقطعة اضرب الله تعالى عن حكاية جواب
نوح لقومه الى انكارهم قالوا في حقه عم من انه اختلق الوحي الذي بلغه اليهم و
افتعله وجاء به من عند نفسه اي بل يقولون قوم نوح انه اختلق الوحي على ان الضمير
المرفوع المستتر في افتراه لنوح عم والبارز للوحي الذي بلغه اليهم وقال مقاتل
الضمير المستتر فيه يرجع الى محمد عم و وقع هذا الكلام الواقع في قصة محمد عم
في اثناء قصة نوح عم على طريق الاضراب عن بيان قصة نوح الى انكار ما يقوله
اهل مكة في حق نبينا عم واعلم ام يقولون اهل مكة افترى محمد القرآن
واختلقه من تلقاء نفسه قل يا محمد ان اختلقته فعلي جزاء جرمي وانا بريء
مما تجرمون ثم رجع الى قصة نوح والجمهور على كسر همزة اجرامي وهو مصدر
اجرم اذا كسب ذنبا وقرئ في الشاذ اجرامي بفتحها وهو جمع جرم كقفل و
اقفال وقوله ان افتريته لا يدل على انه كان شاكا بل هو قول يقال على وجه الانكار
عند اليائس من القبول وفي الكلام حذف مضاف اي فعلي وبال اجرامي وعقابه
وفيه محذوف آخر فان المعنى ان كنت افتريته فعلي عقاب اجرامي وان كنت
صادقا وكذبتموني فعليكم عقاب ذلك التكذيب وحذف بقية الكلام لدلالة
قوله وانا بريء مما تجرمون عليها قال ابن عباس بعث نوح بعد بلوغ سنه
اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسع مائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان
ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة
سنة وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة وقيل ابن مائتين وخمسين سنة ومكث
يدعو قومه تسع مائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة
فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة قوله على طريق التمثيل لما كان العين

بيان الاختلاف في عمر نوح عم

سببا

سببا لحفظ الشئ بناء على ان من عظمت عنايته بحفظ الشئ يجعله نصب عينيه
صح ان يعبر بها عن الحفظ مجازا وان يعبر بلفظ الاعين عن المبالغة في الحفظ
والرعاية فمن قال علمته بعيني كان مراده بنهاية ما في وسعه من التحفظ لانه لا
يمكن حمل الكلام المذكور على ظاهره لان العين ليست من الآلات التي
يستعان بها على مباشرة العمل فلا يكون من قبيل قولك قطعته بالسكين
فنتعين حمله على المعنى المجازي ولفظ وان كان مجازا عن الحفظ الا ان اضافته
الى المتكلم حقيقة اذا كان المتكلم مركبا من الاعضاء والجوارح واما في حقه
تعالى فانما يصح الاضافة على طريق التمثيل والتشبيه لكونه تعالى منزها عن
الاعضاء والابعاض فيشبه من له اعين كثيرة فكان قوله باعيننا في معنى
محفوظا على انه حال من فاعل اصنع اي اصنعه محفوظا عن ان يمنعك احد من
اعدائك من ذلك العمل وعن ان تزيغ في صنعته عن الصواب وموحا اليك كيف
تصنعها وعد الله له في عمله السفينة امرين ان يحفظه عن جميع ما يمنعه عن
اتمام ذلك العمل على وجه الصواب وان يوحي اليه كيفية عمل السفينة قوله
المراد بالسخرية الاستجهال بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب لان
السخرية مسببة عن الجهل لما فيها من التعرض بسخط الله تعالى وعذابه فالمعنى
ان حكمتم علينا بالجهل فيما نصنع فان نحكم عليكم بالجهل فيما انتم عليه من الكفر و
التعرض لسخط الله تعالى وعذابه فانتم اولى بالسخرية منا قوله او يحل
عليه حلول الدين على ان الكلام من قبيل الاستعارة المكنية شبه العذاب
الاخروي الذي قضى الله به في حقهم بالدين المؤجل الواجب الحلول واثبت
له الحلول الذي هو من لوازمه ليكون تخييلا للتنبيه المضمر في النفس قوله
وحتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء و
معنى كونها حرف ابتداء ان يكون ما بعدها كلاما مستانفا لا تعلق له بما قبلها
من حيث الاعراب ولا يراد به ان يكون ما بعدها مبتدأ لان ذلك لا يطرد اذ قد
يقع بعدها جملة شرطية مستانفة كما في هذه الآية وكونها حرف ابتداء لا ينافي
كون ما بعدها غاية لما قبلها فان صنعة الفلك لما تمت جاء امر الله وفار التنور

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فكانت كلمة حتى واقعة بين انتهاء صنعة الفلك وابتداء مجئ امر الله وهو المراد
من كونها للغاية فالمعنى وكان يصنعها الى ان جاء وقت الطوفان قوله
والباقون اضافوا اى قراء العامة باضافة كل الى زوجين على ان اثنين
مفعول احمل ومن كل زوجين حال من المفعول لانه كان صفة للنكرة فلما
قدم عليها انتصب حالا وعلى قراءة حفص يكون زوجين مفعول احمل واثنين
صفة مؤكدة له كقوله تعالى لاتتخذوا الهين اثنين ومن كل على هذه القراءة
يجوز ان يتعلق باحمل وهو الظاهر وان يتعلق بمحذوف على انها حال مما زوجين
والزوج يطلق فى المشهور على كل واحد مما له ازدواج قال تعالى ومن كل
شئ خلقنا زوجين ويقال للمراة زوج وقال تعالى وخلق منها زوجها يعنى
المراة وقال تعالى فانه خلق الزوجين الذكر والانثى فالواحد يقال له زوج
قال تعالى ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين
ومن البقر اثنين فالزوجان عبارة عن كل اثنين لايستغنى احدهما عن الآخر
ويقال لكل واحد منهما زوج يقال زوج خف وزوج نعل روى ان نوحا
قال يارب احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله اليه السباع والطير فجعل يضرب
بيديه فى كل جنس فيقع الذكر فى يده اليمنى والانثى فى يده اليسرى فيجعلهما
فى السفينة قال الحسن لم يحمل نوح فى السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما
يتولد من التراب كالحشرات والبق والبعوض فلم يحمل منه شيئا وعن ابن عباس
كان فى سفينة نوح ثمانون رجلا احدهم جرثم يقال فى ناحية الموصل قرية لها
يقال لها قرية الثمانين سميت بذلك لانهم لما خرجوا من السفينة بنوا فسميت
بهم وقيل لم يكن فى السفينة الا ثمانية نفر نوح واثنان وثلثة بنيه سام وحام
ويافث ونساؤهم الثلث التى هن كنائن نوح وسام ابو العرب وحام ابو
السودان ويافث ابو الترك وكانت لنوح عم امرأتان احديهما كافرة وهى
واغلة ام كنعان وهو ابنه الذى اعتزل عنه وكان من المغرقين واخرى مؤمنة
وهى التى ذكر الله بقوله واهلك وفاعل قال فى قوله تعالى وقال اركبوا فيها
يجوز ان يكون لنوح ويجوز ان يكون ضمير البارى تعالى اى وقال الله تعالى لنوح

كيف م

مطالب
لم يحمل نوح فى السفينة
الا ما يلد

ومن معه وضمير فيها للسفينة وهو متعلق باركبوا وعدى بفى لتضمنه معنى ادخلوا
وصيروا فيها راكبين قيل انهم ركبوا السفينة يوم العاشر من شهر رجب وكان
يوم الجمعة فاستت السفينة البيت فطافت اسبوعا فسارت بهم مائة و
خمسين يوما واستقرت بهم على الجودى شهرا وكان خروجهم من السفينة
يوم عاشورا من المحرم قوله متصل باركبوا فيكون قوله تعالى اركبوا فيها وقوله
بسم الله جملة واحدة ويكون بسم الله قيدا لاركبوا حالا مقدرة من فاعله والباء
فيه للملابسة اى مستعينين الله وقت الاجراء والارساء او مكانهما ويجوز ان يكون
بسم الله محكيا بالقول المقدر اى اركبوا قائلين بسم الله وقت الاجراء والارساء
او مكانهما فالمجرى والمرسى على التقديرين ظرفان منصوبان بما قدر حالا كما صورناه
ويجوز ارتفاعهما بالبسم الله اى بما تعلق به الباء مما قدر حالا على انهما فاعلان له اى
اركبوا فيها كائنا باسم الله اجراؤها وارساؤها فيكون بسم الله مع متعلقه
المقدر حالا كما تقدم ويكون المجموع جملة واحدة ويدل عليه انه ذكر هذا الوجه
فى ذيل قوله متصلة باركبوا حال من الواو قوله او جملة من مبتدا وخبره
عطف على قوله متصل باركبوا اى ويجوز ان يكون بسم الله مجراها جملة اخرى
على ان يكون مجراها مبتدا وبسم الله خبره او متعلق به وخبر المبتدا محذوف
وعلى تقدير ان يكونا جملتين يحتمل ان يكون الجملة الثانية معترضة اى مرتجلة
منقطعة عما قبلها لاختلافهما خبرا ثم اخبر ان مجراها ومرساها بسم الله فان
الاقتضاب عرفا الخروج من كلام الى آخر لاعلاقة بينهما ويقابله التخلص وهو
الخروج برابطة مناسبة والمناسبة بين الامر بالركوب وبين الاخبار بان مجرى
السفينة ومرساها بذكر الله للانشائية والخبرية ويحتمل ان يكون الثانية حالا من واو
اركبوا او من الضمير المجرور فى قوله فيها وههنا بحث من وجهين الاول ان
هذه الجملة كيف تكون حالا من الواو مع انه قد تقرر ان الحال اذا كانت جملة لابد
فيها من عائد يرجع الى ذى الحال ولا عائد فيها الى ضمير اركبوا الا ان المضمر فى بسم الله
ان جعلته خبر المجراها فانما يعود على المبتدا الذى هو مجراها والثانى ان المصنف
كيف قطع بكون هذه الجملة حالا مقدرة مع ان مضمونها مقارن لملابسة العامل فى ذى

اسم ج

الحال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حقيقة لان المعنى اركبوا وباسم الله اجراؤها ولاشك ان نفس مضمونها واقع
حال ركوبهم لاتقدير فلاتكون متقدرة اللهم الا ان يجعل الجملة فى تاويل مجرا
باسم الله فان اجراءها لم يكن عند الركوب حقيقة بل هو متقدر عند كما تقول
اركب الفرس سائرا باسم الله والاحوال اربعة موطئة ومقدرة ومؤكدة الاحوال اربعة
ومنتقلة لان الحال مابين هيئة العامل اوالمفعول فاما ان يكون مبينة للهيئة
بالذات او بالغير عما يتبعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف
بصفة هى الحال فى الحقيقة كقرانا فى قوله تعالى انا انزلناه قرآنا عربيا
وان كانت مبينة بالذات فاما ان تكون مبينة للهيئة فى الحال اوفى الاستقبال
فان كانت مبينة فى الاستقبال فهى الحال المقدرة وان كانت مبينة فى الحال
فاما ان يكون لازمة لذى الحال اومفارقة والاولى مؤكدة والثانية
منتقلة قوله وجوز ان يكون الاسم متحما والمعنى بابتدائى بقدرته
واحره اجراؤها وارساؤها وتمام البيت فقوما وقولا بالذى قد عرفتما
ولاتحنثا وجها ولاتخلقا الشعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر قاله لبيد بن ربيعة العامرى يوصل ابنتيه
حين حضرته الوفات بالبكاء والندبة عليه قوله وقرئ مرساها
بفتح الميم ايضا الا ان القراء السبعة اتفقوا على ضم ميم مرسيها فالضم
فيهما مبنى على انهما من اجرى وارسا والفتح على انهما من جرى ورسا قوله
على صفتين للدفيه ان اضافة اسم الفاعل الى معموله لفظية فلاتفيد تعريفا
فكيف جاز وقوعه صفة للمعرفة والظاهر انهما بدلان من اسم الله ولم يوصف
بالصفتين النحوى بل ما يكون مفهوما منه قائما بالغير قوله
اى لولا مغفرته لفرطاتكم يريد ان قوله تعالى ان ربى لغفور رحيم جملة مستانفة
جئ بها بيانا لما يوجب الامر السابق ولايصح ان يكون علة لقوله اركبوا لعدم
المناسبة فيقدر مايصح به الكلام بان يقال امتثلوا ما امرتم به ليغفر لكم الله
بمغفرته ورحمته اويقال اركبوا فيها ذاكرين الله ولاتخافوا الغرق بسبب
ما فرط منكم من التقصير لان الله غفور رحيم وفيه ان نجاتهم لم يكن الاستحقاق

الاستحقاق منهم بسبب انهم كانوا مؤمنين بل بمحض رحمة الله وغفرانه كما عليه
اهل السنة قوله متصل بمحذوف يعنى ان قوله تعالى وهى تجرى بهم حال من
شئ محذوف تضمنته جملة دل عليها سياق الكلام كانه قيل فركبوا فيها يقولون
بسم الله وهى تجرى بهم قوله وهم فيها اشارة الى ان قوله بهم متعلق بمحذوف
هو حال من فاعل تجرى اى تجرى ملتبسة بهم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
اى تدوس خيولنا ملتبسة بنا وبخن راكبون عليها جاجم القتلى وتريبهم ولو
جعل الباء للتعدية لم يحتج الى هذا التاويل قوله وما قيل من ان المار طبق اى
ملاء مابين السمار والارض جواب عما يقال اذا ملاء الماء مابين السمار والارض لم
يتصور الموج فيه فما معنى جريها فى الموج واجاب عنه اولا بان الرواية ليست ثابتة
وثانيا بان جريانها فى الموج كان فى زمان وسبحها فى جوف الماء كما تسبح السمكة
كان فى زمان آخر فلاتنافى بين جريانها فى خلال الامواج وسبحها فى جوف الماء
وقراء الجمهور نوح ابنه بكسر تنوين نوح للتقاء الساكنين وقرئ بضم اتباعا
لحركة الاعراب وقراءة العامة ابنه بوصل هاء الضمير بواو وهى اللغة الفصيحة
الفاشية وقراءة ابن عباس رضى الله عنه بسكون الهاء قبل ذلك لغة وقراءة على رضى
الله عنه انها باضافة ابن الى اداة نوح عم وكانه اعتبر قوله تعالى انه ليس
من اهلك وقوله عم ابنى ومن اهل لايدل على بنوته له وانما يدل عليها لو قال منى
وقرئ ابنَهْ بفتح النون والهاء وحذف الالف اكتفاء عنها بالفتحة كما تحذف
الياء اكتفاء بالكسر وقرئ ابناه بالالف وها السكت على صيغة الندبة وهى
اذا كانت عبارة عن التفجع والتحزن للميت الا انه لما راى ابنه مشرفا على الغرق
والهلاك ناداه بصيغة الندبة على وجه الترحم والترحم ولما ورد ان يقال كيف
تحكم بانه على صيغة الندبة والقوم قد نصوا على انه لايجوز حذف حرف النداء مع
المندوب اجاب عنه بانه حكاية ندبته عم وليست ندبة فى نفسها فلهذا استوفى
حذف الحرف قوله تعالى وكان فى معزل فى محل النصب على انه حال من
ابنه والحال يأتى من المنادى لانه مفعول به والمعزل بكسر الزاى اسم لمكان العزل
وهو التنحية والابعاد اى كان بمكان عزل فيه نفسه عن ابيه بناء على ظنه ان الجبل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عن عاصم يا بنيّ بفتح الياء في جميع القرآن والباقون بالكسر ووجه من كسر الباء
ان يكون الكسرة دليلاً على ياء الاضافة المحذوفة فان اصل ابن على ما اختاره
الجوهري بَنَوٌ فحذفت واو، وعوضت منها همزة الوصل فلما صغرت
عادت الواو فصارت بُنَيْوٌ فاجتمعت الواو والياء وسبقت احديهما
بالسكون فقلبت الواو ياءً وادغمت الياء في الياء فصار بنيّ ثم اضيف
الى ياء المتكلم فصار يا بُنَيَّ وقد تقدم في النحو ان الاسم المنادى المضاف
الى ياء المتكلم فيه لغات منها تسكون ياء الاضافة مع كسرة ما قبلها نحو يا غلامي
ومنها فتح ياء الاضافة مع كسرة ما قبلها لان ياء الاضافة اسم والاصل في الاسماء
الاعراب والاصل في الاعراب الحركة فكان المناسب ان يُبنى ما يُبنى منه على الحركة و
اختار الفتح للخفة وهذان الوجهان اعني الفتح والسكون مطردان في غير النداء
ايضا نحو جاريَ غلامي وغلاميَ ومنها ان تحذف ياء الاضافة للتخفيف و
تُجعل كسرة ما قبلها دليلاً عليها نحو يا غلام ومنها ان تقلب الياء الفاً
للتخفيف ايضا فان الالف والفتحة اخف من الياء والكسرة نحو يا غلاما
وهذان الوجهان لا يكونان الا اذا كان الاسم المضاف منادًى وقد جاء
شاذًّا في المنادى ايضا حذف الالف المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحة نحو
يا غلامَ ويا أبَ فظهر بهذا التفصيل ان من قرأ يا بني بكسر الياء من قبيل يا غلام
في حذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة فان اصله يا بنيي ومن قرأ يا بنيَ بفتح
الياء جعله من قبيل يا غلام في حذف الالف المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحة وهذا
الحذف ليس شاذا فيه كما شذ في يا غلامَ مما في هذه الكلمة من الثقل الحاصل
باجتماع ثلث ياءات الاولى ياء التصغير والثانية الياء المبدلة من لام الكلمة
والثالثة ياء الاضافة واعلم ان مجموع ما وقع في القرآن من لفظ بني ستة
الفاظ واحدٌ منها في سورة هود وهو يا بُنَيَّ اركب وثانيها في سورة يوسف
وهو يا بُنَيَّ لا تقصص رؤياك وثالثة مثله منها في سورة لقمان واول ما في
لقمان قوله يا بُنَيَّ لا تشرك وثانية قوله يا بُنَيَّ انها ان تك مثقال حبة وثالثة
قوله يا بُنَيَّ اقم الصلوة وسادسها في الصافات وقوله يا بُنَيَّ اني ارى

يعصمه من الغرق واختلف في انه هل كان ابنا له حقيقة او بيئة فقيل انه
ابنه في الحقيقة لانه تعالى نص عليه بقوله ونادى نوح ابنه ونوح ايضا نص عليه
وقال يا بُنَيَّ وصَرْفُ هذا اللفظ الى انه ربيبه فاطلق عليه هذا الاسم
لهذا السبب صَرْفٌ للكلام من حقيقته الى مجازه من غير ضرورة وانه لا يجوز
ومنهم من خالف هذا الظاهر استبعادا ان يكون ولد الرسول المعصوم كافرا
وليس ببعيد لانه قد ثبت ان والدي الرسول ووالد ابراهيم عليهما السلام
كانوا كافرين فكيف يبعد ان يكون الولد ايضا كافرا فان قيل انه عم لما قال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارًا كيف ناداه مع كفره اجيب عنه بوجوه
الاول انه كان ينافق اياه فظن نوح عم انه مؤمن فلذلك ناداه ولولا ذلك
لما اجاب نجاته والثاني انه عم كان يعلم انه كافر لكن ظن انه لما شاهد الغرق
والاهوال العظيمة فانه يقبل الايمان فصار قوله يا بُنَيَّ اركب معنا بمنزلة
ان يقول يا بني آمن بالله ولعوت جلاله وجماله ولا تكن مع الكافرين في الكفر
واركب مع المؤمنين والثالث ان شفقة الابوة لعلها حملته على ذلك النداء
والذي تقدم من قوله الا من سبق عليه القول كان كالمجمل فلعله جوز ان لا يكون
هود اخلافيه وقيل كان ابن امرأته ويدل عليه قراءة ابنها وهو قول مجاهد
على الباقر وقول الحسن البصري قال قتادة سألت الحسن عنه فقال
والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه انه قال ان ابني من اهلي وانت
تقول ما كان ابنا له فقال لم يقل انه مني ولكن قال من اهلي وهذا يدل على
قولي وقيل انه وُلِدَ على فراشه لغير رشدة احتجاجا بقوله تعالى في امراة نوح
وامراة لوط فخانتاهما وهذا قول خبيث لان منصب الانبياء يجب
ان يكون مصونا عن مثل هذه الفضيحة ولا سيما وهو خلاف نص القرآن واما
قوله تعالى فخانتاهما فليس المراد بخيانتهما الخيانة بما ذكر من السبب
بل المراد الخيانة في الدين حيث سلكتا سبيل النفاق وقيل لابن عباس ما كانت
تلك الخيانة فقال كانت امراة نوح تقول زوجي مجنون وامراة لوط تدل
الناس على ضيفة اذا نزلوا به قوله والجمهور كسروا الياء قراءة حفص

فالجمهور كسروا ياء بنى فى الجميع غير ابن كثير فانه وقف عليها فى اول ما فى لقمان اى
قراءه بياء ساكنة فقال يا بنيْ لا تشرك بالله باتفاق الرواة عنه وكذا فى ثالث
ما فى لقمان فى رواية قنبل فقال يا بنيْ اقم الصلوة بان حذف ياء الاضافة
لكثرة حذفها فى باب النداء استثقل الياء المشددة المكسور فحذفها
وابقى الياء الاولى وهى ياء التصغير ساكنة فنهم من جمع بين اللغات مع
اتباع الاثر ومنهم اختار بعضها مع الاتباع المذكور قوله وعاصم بالجر عطفا
على ابن كثير وقرئ باظهار ياء اركب فى ميم معنا وادغامها وقراءة حفص
الادغام قوله وقيل لا عاصم يعنى لا ذا عصمة على ان يكون عاصم بناء النسبة
فيكون بمعنى المعصوم فيكون من رحم بمعنى المرحومين والاستثناء متصلا لان
المرحوم من جنس المعصوم فيكون من رحم كالمائة متصل على الوجهين الاوليين
ويجوز ان يكون لا عاصم الا الراحم ولا عاصم الامكان المرحومين بتقدير المضاف
لان الراحم من جنس لعاصم وكذا المكان المرحومين واما اذا كان بمعنى لا عاصم
الا المرحوم فيكون الاستثناء منقطعا ويكون المعنى لا عاصم اليوم لكن من رحمه الله
يعصمه ذكر صاحب الانتصاف ان الاحتمالات الممكنة اربعة لا عاصم الا راحم ولا
معصوم الا مرحوم ولا عاصم الا مرحوم ولا معصوم الا راحم فالاولان استثناء
من الجنس والاخران من غير الجنس وزاد الزمخشرى احتمالا خامسا وهو
لا عاصم الا مرحوم على انه من الجنس بتاويل حذف المضاف تقديره لا مكان عاصم
الا مكان مرحوم والمراد بالمنفى التعريض بعدم عصمة الجبل وبالمثبت التعريض
بعصمة السفينة والكل جائز وبعضها اقرب من البعض قوله نود يا
يا ينادى به اولو العلم بامر يخصهما وهو يا ارض ويا سماء وطلبه اقبالها
تشبيها لهما بالعقلاء المميزين المامورين الذين لا ياتى منهم العصيان لكمال
هيئة الافراد خالا لها فى جنس ذلك المامور به على سبيل الاستعارة المكنية
وجعل النداء قرينتها على سبيل التخييلية والامر والبلع ترشيحا للاستعارة
لان كل واحد منهما امر ملائم للمستعار منه اما الامر فظاهر واما البلع فلانه ادخال
الطعام فى الحلق بعمل الجاذبة والمراد بالبلع ههنا ان تنشف الارض ماءها اى

اى تشربه فهو استعارة لغور الماء فى الارض يقال نشق الثوب الورق بكسر الشين
اى شربه والفعل من باب علم واما الاقلاع فهو مشترك بين الحيوانات والجمادات
يقال اقلع الرجل من عمله اذا كف واقلعت السماء بعد ما مطرت اذا امسكت
فليس هو بمجرد ولا مزيدا قوله وغيض الماء نقص يعنى ان الغيض النقصان
يقال غاض الماء يغيض غيضا اى نقل ونضب وانغاض مثله وغيض الماء
فعل به ذلك وغاضه الله يتعدى ولا يتعدى واغاضه الله ايضا ومن المتعدى
هذه الآية لان الفعل لا يبنى للمفعول بغير واسطة حرف الجر الا اذا كان مفعولا
بنفسه قوله وانجز ما وعد يعنى ان القضاء ههنا بمعنى الفراغ كما قيل
قيل ثم امرهم وفرغ من هلاكهم وفى الصحاح وقد يكون القضاء بمعنى الفراغ
يقال قضيت حاجتى وضربته فقضى عليه اى قتله كانه فرغ منه وسمى قاضى
اى قاتل قوله هلاكا لهم يعنى ان البعد ههنا مصدر بعد بكسر العين اذا بعد
بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده وفى الصحاح البعد ضد القرب وقد بعد بالضم
فهو بعيد والبعد بالتحريك جمع باعد مثل خادم وخدم والبعد ايضا الهلاك تقول
منه بعد بالكسر فهو باعد وبعدا فى الآية منصوب على انه مصدر لفعل مقدر
اى وقيل بعدوا بعدا او المعنى الدعاء عليهم بذلك واللام متعلق بفعل محذوف
على سبيل البيان كما فى نحو سقيا لك وهيت لك وهو المتبادر من تقدير النص
ويحتمل ان يتعلق بقوله قيل اى قيل لاجلهم هذا القول قوله وايراد الاخبار
وهى قوله تعالى وقيل وغيض وقضى وقيل على البناء للمفعول للدلالة على غاية العظمة
والجلال بحيث اذا ذكرت هذه الافعال مسندة الى المفعول لا يصرا آليه
قوله وارادة نداء قدر الارادة لان نداء هو قول رب فيلزم عطف الشئ على
نفسه لو لا تقدير الارادة ولو قيل قوله ونادى نوح ربه مجمل وما بعده تفصيل له
وحق التفصيل ان يكون عقيب ذكر الاجمال للكلام الموجه قوله او فما حاله لم ينج
فيكون النداء بعد غرق ابنه طلبا للحكمة فى عدم نجاة مع انه تعالى قد وعده بان ينجى
اهله ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه والمقصود من النداء طلب نجاته والاختار
الخلص ان يكون هذا النداء بعد الغرق لما سبق من انه عم نادى ابنه قائلا يا بنى اركب

معنا وانه امتنع عن الركوب معهم فحال بينهما الموج فكان من المغرقين ثم ذكر
بعد نجاة المؤمنين باستقرار السفينة على الجودي ثم ذكر بعد هذه الآية
فهذا الترتيب يدل على ان نداء ربه في حق ابنه وقع بعد غرق الابن ولانه
قد قرأ انه تعالى قد نهاه عن المخاطبة في الذين ظلموا وهو يستلزم ان يكون
هذا النداء بعد غرق الابن لان كونه قبل الغرق يتضمن سؤال النجاة لابنه مع
انه قد نهي عنه وارتكاب المنهي عنه معصية فلا يجوز في حق الانبياء فان قيل
فكيف جوز النص ان يكون نداء الرب قبل غرق الابن وقيل ان يطلب منه ان
يركب مع المؤمنين مع انه يتضمن استدفاع العذاب عن ابنه الظالم
فالجواب ان المنهي عنه هو المخاطبة عمن علم انه من الظالمين وهو عم انما سأل
النجاة في حق ابنه وهو غير عالم بكفره فان قيل انه لا يعلم كفره حال نداء ربه
فقد علم به بعد ذلك بقوله تعالى انه ليس من اهلك الآية فكيف جاز له ان ينادي
ابنه بعد ذلك قائلا له يا بني اركب معنا طلبا للنجاة مع علمه بحاله فالجواب
انه عم امره بالركوب بناء على ظن ان الابن لما شاهد سبب الغرق والاهوال
العظيمة حاول له ان يعوض عن الكفر ويقبل الايمان فصار امره بالركوب في
الحقيقة امرا له بالايمان ومجانبة الكفار والاشتراك معهم في الكفر والضلال
فالنجاة مع المؤمنين لدخول محل النجاة مع ان هذا السؤال يدل على تقدير ان
يكون نداء الابن متقدما على نداء الرب ويكون نداء الرب بعد الغرق بان يقال
كيف طلب من ابنه الكافر ان يركب مع المؤمنين وينجو من عذاب الكافرين
والحاصل ان امة نوح عم كانوا ثلثة اقسام كافر يظهر كفره ومؤمن يعلم
ايمانه ومنافق مستور حاله وقد كان حكم المؤمنين هو النجاة وحكم الكافرين
هو الغرق وكان ذلك معلوما واما اهل النفاق فبقي حكمهم مخفيا وكان ابن
نوح منهم وكان يجوز فيه كونه مؤمنا وكانت الشفقة المفرطة التي يكون
للاب في حق الابن تحمله على تحمل اعماله وافعاله لا على كونه كافرا بل على الوجوه
الصحيحة فلما رآه يعتزل عن القوم طلب منه ان يدخل السفينة فقال ساوي
الى جبل يعصمني من الماء فوقع الابدال على كفره لجواز ان يكون امتناعه

عما الرضل

عن الدخول لكراهته الاحتباس في السفينة وظنه ان الصعود على الجبال يجري
مجرى الركوب في السفينة وانه يصون من الغرق ايضا وقول نوح لا عاصم
اليوم من امر الله الا من رحم لا يدل على انه علم من ابنه انه كان كافرا لجواز
ان يكون مراده ان يقدر عند ابنه انه لا ينفعه الا الايمان والعمل الصالح فعند
هذه الحالة كان قد بقي في قلبه ظن ذلك الابن مؤمن فنادى ربه طالبا منه
ان يخلصه بطريق من الطرق اما بان يمكنه من الدخول في السفينة واما بان
يحفظ على قلة جبل فعند ذلك اخبر الله تعالى بانه منافق فانه ليس من اهل
دينه فالزلة الصادرة عن نوح عم هي عدم استقصائه في تعرف ما يدل على
نفاق ابنه وكفره قوله لانك اعلمهم واعدلهم علة لكونه تعالى افضل الحاكمين
في الحكم وفي الكشاف وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا افضل
لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ويجوز ان يكون من الحكمة على ان ينبئ من الحكمة
حاكم بلغ النهاية كما قيل دارع من الدرع قوله فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة
في مداومته على العمل الفاسد فان الرجل اذا كثر عمله وكرمه يقال انه عمل وكرم
قالت خنساء اخت صخر تصف ناقة فقدت ولدها بنحر او موت ترعى
اذا غفلت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار اي مقبلة على الجنين
ومدبرة عنه وهي من كثرة الاقبال والادبار كانها نفس الاقبال والادبار
قوله ثم بدل الفاسد بغير الصالح جواب عما يقال ان اثبات الفساد للعمل
ونفي الصلاح عنه متلازمان فلم اوثر الثاني على الاول مع انه اخصر وتقدير الجواب
ان الصلاح صفة اهل نوح وكما نفي عنه كونه من اهل نفي عنه صفتهم ايضا حتى
اذا علم ان عدم صفتهم كان سببا لهلاكه علم منه ضمنا ان صفتهم هي التي كانت
سبب نجاتهم لكونهم من اهل نوح وعبارة الفساد وان دلت على هذا المعنى
ضمنا الا ان التصريح بالمقصود اولى واقرب الى الفهم قوله وقرأ الكسائي
ويعقوب انه عمل على صيغة الفعل الماضي وغير منصوبا على انه نعت لمصدر
محذوف والمعنى ان ابنك عمل عملا غير صالح يعني اشركه وكذب والباقون
قرؤا عمل بفتح الميم وتنوين الكلمة ورفعها على انها اسم وقع خبرا وغير

بالرفع على انه صفة للمرفوع قوله قد دل على الحال وهي ان ابنه ممن سبق
عليه القول واستوجب العذاب فانه تعالى لما قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء
من سبق عليه القول كان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب
لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده
الغرق في انه من المستثنين لامح المستثنى منهم فلذلك عوتب عليه بان اشتبه
عليه ما يجب ان لا يشتبه عليه وجعل سوال ما لا يعرف كنهه جهلا وعناقا ووعظ
ان لا يعود اليه او الى امثاله من افعال الجاهلين قوله وقرا ابن كثير فلا
تسئلنّ بفتح اللام وتشديد النون المفتوحة فلم يجعل الفعل متصلا بياء
المتكلم بل اكد بنون التاكيد الثقيلة وقرا نافع وابن عامر فلا تسئلنّ بفتح اللام
وتشديد النون المكسورة من غير اثبات الياء بعدها وبرواية ورش عن نافع
فلا تسئلني باثبات الياء بعد النون المشددة حال الوصل والباقون بكسر
اللام وكسر النون وتخفيفها باثبات الياء وصلا لابي عمرو وبدون الياء في الحالين
للكوفيين فمن خفف النون جعلها نون الوقاية وحدها ومن شددها
جعلها نون التاكيد ثم انه تعالى لما قال له فلا تسئلني ما ليس لك به علم قال عم
عند ذلك قبلت بارت هذا التكليف ولا اعود اليه الا ان لا اقدر على الاحتراز
منه الا باعانتك وهدايتك فلهذا ابتدا اولا بقوله اعوذ بك ان اسالك فيما يستقبل
ما ليس لي به علم وان اعوذ الى ثلثه ابدا ثم اشتغل بالاعتذار عما مضى فقال والا
تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وحقيقة التوبة تقتضي امرين احدهما العزم
على ترك الفعل في المستقبل واليه الاشارة بقوله اعوذ بك ان اسالك
ما ليس لي به والاخر الندم والاستغفار لما مضى واليه الاشارة بقوله والا
تغفر لي الاية قوله انزل من السفينة مسلما من المكاره اشارة الى قوله
بسلام حال من فاعل اهبط بمعنى انزل اي ملتبسا بسلام ومناصفة لسلام
فيتعلق بمحذوف او امره الله تعالى بان ينزل من السفينة ثم وعده عند الخروج
بالسلامة اولا ثم بالبركة ثانيا ويحتمل ان يكون قوله اهبط او بان ينزل من
جبل الجودي الذي استقرت السفينة عليه الى الارض المستوية والبركات

الخيرات

الخيرات النامية وهي عطف على قوله بسلام فتكون مثله في الاعراب وهو عم
لما خرج من السفينة وعلم انه ليس في الارض مما ينتفع به من النبات والحيوان
صار كالخائف في انه كيف يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من
الماكول والمشروب فلما قال الله تعالى اهبط بسلام بنازال ذلك الخوف
لان ذلك يدل على حصول السلامة من الافات وان لا يكون الا من سعة
الرزق ثم انه تعالى لما وعده بالسلامة اردفه بان وعده بالبركة وبان
موجبات السلامة والراحة والفراغة تكون في التزايد والنماء والثبات
والاستقرار على ان البركة عبارة عن الدوام والبقاء والثبات ومنه
بروك الابل ومنه البركة لثبوت الماء فيها ومنه تبارك الله اي ثبت تعظيمه
وقيل المراد بالبركة الموعودة له عم كونه اب من جاء بعده من البشر الى
يوم القيمة كما قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فانه قد روى
انه عم لما خرج من السفينة مات من كان معه ممن لم يكن من ذريته ولم
يحصل النسل الا من ذريته حتى صار عليه السلام ادما ثانيا وروي ايضا
انه لم يكن في سفينة نوح عم الا من كان نسله وذريته وعلى التقديرين
فالخلق كلهم انما تولدوا منه ومن اولاده لهذا هو المراد من البركات
التي وعد نوح اليه بها قوله وعلى امم هم الذين معك على ان يكون كلمة
من في قوله ممن معك وبان الجنس فيراد بالامم الامم الذين كانوا معه
في السفينة لانهم كانوا جماعات متخيرين وايضا كانوا مبدأ لمن تشعب
منهم من الامم قوله او على امم ناشئة ممن معك على ان تكون من للابتداء الغاية
فالمراد بالامم الامم المؤمنون الى آخر الدهر قوله ان ممن معك امم سنمتعكم
على ان امم مرفوع بالابتداء وسنمتعهم صفته والخبر محذوف لدلالة قوله ممن معك
عليه والمعنى انا السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشاؤن ممن
معك وممن معك امم سنمتعهم بالدنيا منقلبون الى النار فان نوحا عم كان
ابا الانبياء والخلق الحادث بعد الطوفان نشاؤا منه ومن اولاده الذين
كانوا معه في السفينة قوله عطف على قوله نوحا الى قومه يريد ان

شبكة الألوكة www.alukah.net

المنصوب عطف على المنصوب والمجرور على المجرور كانه قيل ولقد ارسلنا
نوحًا الى قومه وارسلنا الى عاد اخاهم فان قيل عاد قبيلة من العرب وهود علم
شخص معين والشخص لواحد كيف يكون اخا للقبيلة والجواب ان الاخوة
بمعنى انتساب شخصين الى صلب واحد اورحم واحد اوالى صلب ورحم
معًا ليست بمرادة ههنا بل المراد انه واحد منهم كما يقال يا اخا تيم ويا
اخا قريش لرجل منهم وهود عم وان لم يكن اخا لعاد في الدين الا انه كان
واحدًا من قبيلة عاد وهم قبيلة من العرب بناحية اليمن كما ان صالحًا كان
واحدًا من قبيلة ثمود قوله ثم توسلوا اليهما بالتوبة لما كانت المغفرة
منوطة بالتوبة وكانت التوبة وسيلة اليها فسر المص قوله تعالى ثم
توبوا اليه بقوله ثم توسلوا اليهما بالتوبة ولزم منه ان تكون كلمة ثم للتراخي
في الاخبار فان هودا عم دعا قومه اولا الى التوحيد ثم كلفهم ان يطلبوا
من ربهم ان يغفر لهم ذنوبهم ثم بين الشئ الذي يتوسل به الى المغفرة و
هو التوبة فقال ثم توبوا اليه فانه لا سبيل الى طلب المغفرة من الله تعالى الا
باظهار التوبة لان المذنب معرض عن طريق الحق والمعرض المتمادي في التباعد عالم
يرجع عن ذلك الاعراض لا يمكنه التوجه الى المطلوب والمطلوب بالذات هو العفو
والغفران والصفح والرضوان الا ان ذلك لا يمكن الا بالرجوع عن المخالفة
والعدوان فثبت ان المغفرة مطلوبة بالذات وان التوبة مطلوبة لكونها
من مبادي المغفرة وما كان آخرا في الحصول كان متقدما في الطلب فلهذا السبب
قدم ذكر الاستغفار على التوبة ثم بين ما يتوقف عليه المطلوب ثم اشار
المص الى ان كلمة ثم للاشارة ان التوبة والتبري عن عبادة غير الله تعالى
متاخر بالذات والرتبة عن الايمان بالله والرغبة فيما عنده وقد اشار المص
في اول السورة الى وجه آخر وهو ان يكون ثم على اصل معناها بان تكون التوبة
التي هي الرجوع عن الضلال مجازا عن التوصل الى المطلوب بطريق اطلاق
اسم السبب على المسبب والوصول الى ما عند الله من الكرامة انما يكون بالاستغفار
عن الشرك وقوله تعالى يرسل السماء مجزوم على انه جواب الامر والمعنى انكم متى

فعلتم

فعلتم ذلك فالله تعالى يكثر النعم عندكم ويقويكم على الانتفاع بها فان انتظام
حال الانسان في معاشه كما يتوقف على وصول نفس النعم والارزاق اليه
يتوقف ايضا على اقتداره على الانتفاع بها فمتى اجتمع الامران فقد بلغت
سعادته العاجلة الى الكمال ومتى فقد احد منهما او كلا منهما فقد اختل
امر معاشه قوله كثير الدر مبنيّ على ان المدرار من ابنية المبالغة
وهو حال من السماء ولم يؤنث لان مفعالا للمبالغة يستوي فيه المذكر و
المؤنث كصبور ولان المراد بالسماء السحاب والمطر فذكر حملًا على المعنى
يقال سحاب مدرار وغيث مدرار اذا تتابع منه الغيث قوله صادرين
عن قولك من صدر صدرًا بمعنى رجع واعرض كانه قيل لا تقبل قولك يا قوم اعبدوا
الله وحده معرضين عنه الى كفر مصروف على ما كنتم عليه من الاعراض عن قولك
لا يحدث منا فيما يستقبل قبول قولك وترك عبادة آلهتنا جعل كلمة عن في
قوله عن قولك متعلقا بقوله تارك باعتبار ما في ضمنه من معنى الصدور والاعراض
وحمل الفعل المذكور اصلًا والمضمن حالا كما في قوله تعالى ولا تتبع اهواءهم
عما جاءك اي لا تتبعها معرضا عما جاءك وان كان الاكثر والاولى في باب التضمين
ان يجعل الفعل المضمن اصلًا والمذكور في اللفظ حالا لما فيه من الاعتناء بشان
المتروك بجعل حرف الجر المذكور مع الفعل الملفوظ صلة للمتروك ومثاله ان يقال
في تقدير قوله تعالى ولا تتبع اهواءهم عما جاءك لا تعرض عما جاءك متبعًا اهواءهم وكلى
الامرين حسن شايع في كلام الفصحاء والارجح الاكثر هو الذي ذكرنا والاول
قليل بالنسبة اليه وهذا ان لم يقبل على قومه مع كثرة عددهم فيقول لهم احتالوا
انتم واوثانكم جميعًا في عداوتي وقصد اهلاكي ولا تمهلوني من اعظم معجزات الانبياء
والفاتك الجريء القاتل والجمع فتّاك والفتك ان يأتي الرجل صاحبه وهو غارّ غافل
حتى يشد عليه فيقتله قوله بهذا الكلام حال من فاعل المواجهة اي مواجهته اياهم
ملتبسًا بهذا الكلام وتثبطهم بالنصب عطف على مواجهة والتثبط عن الامر
الاشتغال عنه والكلاءة الحفظ لما اجاب قوم هود اياه عم بان اقتطوه عن
اجابتهم وتصدوهم اياه وقالوا له ما نقول الا سبب مخالفتك ايانا ودعوتك

شبكة الألوكة www.alukah.net

الى ان نترك عبادة آلهتنا الا ان بعض آلهتنا اصابك بجنون وافسد عقلك
لسبكك ايّاها وصدّك عن عبادتها والا فمن له عقل سليم لايقدم على ما انت
عليه اجاب هود عم بقوله فكيدوني جميعًا ثم لاتنظرون عن قولهم ان نقول
الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وقوله اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون
مقدمة وتمهيد للجواب فانهم لما سمعوها آلهة واثبتوا بقوله لها الضرر نفى هو
بقوله اشهدوا الله الآية كونها آلهة رأسًا ثم نفى الضرر بقوله فكيدوني ثم لاتنظرون
على البلغ ولما ورد ان يقال ان قوله واشهدوا عطف على قوله اشهد ومنع عن
عطفه عليه امران الاول ان الطلب لايعطف على الخبر بالواو والثاني ان عطفه
عليه يستلزم ان يكون الطلب خبرًا وهو غير جايز وبيان الملازمة ان اشهد
خبر لكلمة ان فاعطف عليه يكون خبرا ايضا والظاهر ان يقال اني اشهد الله
واشهدكم اشار الى جوابه ببيان الفرق بين اشهاد الله تعالى واشهاد
اياهم بان اشهاد الله تعالى اشهاد على التحقيق جيئ به ليتوكد به ماذكر من البراءة
عن شركهم وشركائهم بخلاف اشهادهم اياهم على البراءة فانه ليس اشهادًا
على التحقيق اذ لا يقول احد لمن يعاديه اشهدكم على اني بريء منك الا وهو يريد
عدم المبالاة ببراءته والاستهانة بعداوته فلما اختلف الاشهادان في المعنى
خولف بينهما في الصيغة مجيئ بصيغة وان كان المراد بهما الخبر لان الجملتين اذا
اختلفتا خبرًا وطلبًا فلابد ان يقدر الطلب بالخبر او بالعكس قوله والاخذ بالنواصي
تمثيل لذلك فان الناصية عند العرب منبت الشعر في مقدم الرأس ويستعمل الشعر
الثابت هناك ايضا ناصية تسمية له باسم منبته والاخذ بناصية الانسان عبارة عن قهره والغلبة
عليه وكونه في قبضة الاخذ بحيث تناله قدرته كيف شاء والوجه اذا وصفوا انسانا بالذلة
والخضوع لرجل قالوا ما ناصيته الا بيد فلان اي انه مطيع له لان كل من اخذت بناصيته فقد
قدرته فكان اخذ الله تعالى بناصية الخلايق استعارة تمثيلية لنفاذ قدرته فيهم
قوله ان ربي على صراط مستقيم استيناف لبيان مايوجب التوكل عليه والمعنى
انه تعالى مع كونه قادرًا على الخلايق ليس الا على الحق والعدل لايظلمهم ولا يمنعهم
بقدرته عليهم الا مايوجب الحق وقوعه بهم فلا يضيع عند معتصم ولا يفوته ظالم

قوله

قوله تكرير اي ليس المراد بالنجاة الثانية ما يغاير الاولى بالذات وانما يغايرها
بالاعتبار بيّن الله تعالى اولًا انه احسن اليهم بنفس الانجاء ثم بيّن ان ما نجاهم
عنه عذاب غليظ وانه انما احسن اليهم بمثل هذا الاحسان ويجوز ان يكون المراد
بالنجاة الاولى النجاة من عذاب الدنيا وبالنجاة الثانية النجاة من عذاب الآخرة
فلا يكون مفاد قوله ونجيناهم وحكمنا بانهم لايستحقون عذاب يوم القيمة والمراد
بالسموم ما انزل بهم من الريح العقيم التي عذبهم الله بهم سبع ليال وثمانية ايام
تدخل في مناخرهم وتخرج من ادبارهم وتصرعهم على الارض على وجوههم حتى صاروا
كاعجاز نخل خاوية قيل المراد بالرحمة ما هداهم اليه من الايمان وقيل المراد انه
لاينجو احد وان اجتهد في الايمان والعمل الصالح الا برحمة الله تعالى وقصتهم ان
عادا انبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها
صُدَار وصَمُود والهَبَاء فبعث الله اليهم هودا نبيًا وكان اوسطهم واخيرهم
وافضلهم حسبًا فكذبوه وازدادوا عتوًا وتجبروا فامسك الله عنهم القطر ثلث
سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم البلاء توجهوا الى البيت مسلمهم
وكافرهم وطلبوا من الله تعالى الفرج فجهزت عاد الى مكة من اعالبلهم سبعين
رجلًا رئيسهم قيل بن عنز فدخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت
تسقيهم فانشاء الله ثلث سحابات بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه من السماء
يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت
على عاد من واد المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فحارتهم انها
ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها
حتى ماتوا رحمهم الله ثم انه تعالى لما ذكر قصة عاد خاطب قوم محمد عم فقال وتلك
عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه تعالى قال سيروا في الارض فانظروا اليها
واعتبروا او اشارة الى نفس القبيلة الجامعة للاوصاف الثلث المذكورة
جحودهم بدلالة المعجزات على الصدق وعصيانهم الرسل واتباع الرؤساء الجبارين
المعاندين قوله لاغير الحصر مستفاد من تقديم الفاعل المعنوي فان قوله
تعالى هو انشاكم من قبيل قولك انا قمت في انه يجوز ان يقدر ان اصله انشاكم هو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيكون هو فاعلا في المعنى وان كان في اللفظ تاكيدا للفاعل وقوله كونكم منها اشارة
الى ان من للابتداء الغاية بمعنى ابتداء انشائكم منها والخطاب مبنى على تغليب
الحاضرين على الغائبين من نوع البشر فان مادة الجميع هو التراب اما كون
مادة آدم هو التراب فظاهر واما مادة اولاده التراب فلانتهاء تكونهم
الى التراب لان كلهم مخلوقون من صلب آدم وهو كان مخلوقا من الارض
ولان كل واحد منهم مخلوق من المنى ومن دم الطمث والمنى انما تولد من
الدم فبنو ادم كلهم مخلوق من الدم والدم انما يتولد من الاغذية والاغذية
اما حيوانية او نباتية والنباتية انما تتولد من الارض والاغذية الحيوانية
لابد ان تنتهى الى الاغذية النباتية المتولدة من الارض فثبت انه تعالى
انشاء الكل من الارض قوله عمركم فيها واستعماركم على ان بناء استفعل
للتعدية يقال عمر الرجل يعمر عمرا اى عاش زمانا طويلا وهو من باب علم
الا انه مصدر عمرا بفتح العين وسكون الميم واستعمر الله اى اطال
بقاءه ونظيره بقى الرجل واستبقاه الله بمعنى ابقاه قال الفاضل المحقق
شمس الدين الفناري في كتابه الموسوم بامراس الصرف بناء استفعل يجئ
لمعان التعدية كاستذلة قوله او اقدركم على عمارتها وامركم بها
على ان الاستعمار طلب العمارة والطلب المطلق من الله تعالى يحمل على الامر
والايجاب والاقدار على العمارة مدلول استدلالى للامر بها وايجابها و
العمارة متنوعة الى واجب ومندوب ومباح مكروه فالواجب مثل سد
الثغور وبناء القناطر على الانهر المملكة وبناء المسجد الجامع في المصر والمندوب
كبناء القناطر والمدارس والرباط لتيسير الناس لمعرفهم والمباح كالبيوت
التي يسكن فيها ويتمكن بها والحرام كالبنية الظلمة وغيرهم للمباهات واسال الله
التوبة والمغفرة قوله اوجعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها
لغيركم فان الرجل اذا ورث دارا من بعده فكانما اعمره اياها فلما كان
المخاطبون بمنزلة المعمرين كان استعمارهم تمكينا اياهم عبارة عن جعله اياهم
بمنزلة المعمرين ذكر المص في قوله استعمركم ثلثة اوجه كونه من العمر ومن

العمارة

العمارة ومن العمرى بمعنى جعلكم معمرين وذكر صاحب الكشاف وجها آخر على تقدير
كونه من العمرى حيث قال وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر
في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم في الارض دياركم ثم تهوى
وارثها منكم عند انقضاء اعماركم وفي الصحاح اعمرته دارا اوارضا اوبلا
اذا اعطيته اياها وقلت هي لك عمرى او عمرك فاذا مت رجعت الى
والاسم العمرى والموهوب على هذا الوجه يكون للمعمر في حال حيوته ولورثته
من بعده ولا يرجع الى ملك المعير لانعدام اجاز العمرى وابطل شرط المعمر
قوله موقع في الريبة او ذى ريبة يعني ان مريبا اسم فاعل من اراب وارابه
يستعمل متعديا ولازما يقال ارابه اى اوقعه في الريبة واراب الرجل صار ذا ريبة
والشك ان يبقى الانسان متوقفا بين النفى والاثبات والريبة قلق النفس
وانتفاء الطمانينة باليقين واسناد الارابة الى الشك باعتبار معنى كان من المعنيين
المذكورين اسناد مجازى لان المريب بالمعنى الاول هو انتفاء ما يرجح احد طرفى
النسبة او تعارض الادلة لانفس الشك والمريب بالمعنى الثانى هو الشاك لا الشك
القائم به الا انه جعل الشك ذا ريبة على طريق قولهم جد جده قوله ... وحرف الشك
في قوله ان كنت على بينة والحال انه عم كان على يقين في انه على بينة من ربه
وحجة واضحة دالة على انه محق فيما دعى اليه من التوحيد وسائر ما ارسل به باعتبار
حال المخاطبين يعني انه من الكلام المصدر بتقدير جهم ويقول لهم قدروا على زعمكم
اني على حق ثم اني عصيت ربي فلا بد ان الله ينتقم مني فتفكروا هل تقدرون
ان تمنعوا عذاب الله بل ما تزيدونني غير تخسير واهلاك فان التخسير الاهلاك
ويجوز ان يكون معنى التفصيل هنا النسبة ويكون المعنى فما تزيدونني بما تقولون
لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم اى ان انسبكم الى الخسران يقال فسقته وفجرته
اذا نسبته الى الفسق والفجور فكذا خسرته اذا نسبته الى الخسران روى ان ثمود
عمروا بلادا بعد هلاكهم وخلفوهم فيها وكثروا وعمروا اعمارا طويلا لا تفى
بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا
في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه

آية فقال اية آية تريدون فاشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة بقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة على خلقة الجمل والسعة كبيرة الوبر عشراء اذا انت عليها من يوم ارسل الفحل فنها عشرة اشهر فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتومنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولد فانشقت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم انتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع في جماعة وامتنع الباقون فكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فاذا ترغ راسها من البئر حتى تشرب كل مائها ثم تفرج بين رجليها فيحلبون ما شاءوا حتى تملا اوانيهم فيشربون ويدخرون وهذه الناقة كانت معجزة من وجوه احدها انه تعالى خلقها من الصخرة وثانيها انه خلقها في جوف الجبل ثم شق عنها الجبل وثالثها انه تعالى خلقها على تلك الصورة دفعة واحدة من غير ولادة ورابعها انه كان لها شرب يوم ولكل قوم شرب يوم آخر وخامسها انه كان يحصل منها لبن كثير يكفي الخلق العظيم وكل واحد من هذه الوجوه معجز قوي في الاية تعالى اجل في القرآن وجعل نفس تلك الناقة آية ثم قال فذروها تاكل في ارض الله والمراد انه عم رفع عن القوم مؤنتها فصارت مع كونها آية لهم تنفعهم ولا تضرهم ثم انه عم ما خاف عليها منهم لما شاهد من اصرارهم على الكفر فان الخصم لا يحب ظهور حجة خصمه بل يسعى في اخفائها وابطالها باقصى ما يمكن من السعي فلهذا احتاط وقال ولا تمسوها بسوء فان منها بسوء يستتبع عذابا عاجلا وقد كان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون منهم قدار ابن سالف ومصدع بن دهر وكانت في تلك القرية امراة جميلة غنية وكانت تتاذى بالناقة لاجل سائمتها فان الناقة كانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم خاصة على تلك المراة لانها كانت اكثرهم مواشي فقالت ما عقر الناقة ارتاح نفسي منه فخرج قدار بن سالف ومصدع بن دهر فكمن له مصدع في مضيق ممر من مرتها ورماها بسهم فاصاب رجلها فعرقت بقدار وهي تجر

برجلها فضربها بالسيف فعقرها فقتلوها وقسموا لحمها على جميع القرية وكان في القرية تسعة اهل بيت وقال الف وحسمائة **قوله** تعالى فعقروها قوله اي غير مكذوب فيه اولا به لعدم امكان حمله على ظاهره لان الوعد انما يوصف بكونه غير مكذوب اذا كان من شانه ان يكون مكذوبا وليس كذلك لان المصدوق والمكذوب انما كان مخاطبا بالكلام المطابق للواقع وغير المطابق له فلا يوصف بهما الا الانسان العاقل للخطاب فلذلك جعل اصل الكلام وعد غير مكذوب فيه فحذف حرف الجر فاتصل الضمير المجرور باسم المفعول باقامته مقام المفعول به توسعا كما في قوله ويوم شهدناه والاصل شهدنا فيه فاجرى الظرف مجرى المفعول به ويحتمل ان لا يكون من قبيل الاتساع بل يجعل من قبيل الاستعارة المكنية بان يشبه الوعد بالمخاطب فيوصف بغير المكذوب تخييلا وهذا الوجه ان على تقدير ان يكون المكذوب اسم مفعول ويحتمل ان يكون مصدرا كالمجلود والمعقول فانهما مصدران بمعنى العقل والجلد الذي هو الصلابة الجلادة **قوله** ونجيناهم من خزي يومئذ متعلق بمحذوف اي على ان قوله ومن خزي معطوف على نجينا كرر لبيان ما نجاهم عنه وهو هلاكهم يوم اذ جاء امرنا فان اذ مضافة الى جملة محذوفة عوض منها التنوين او هو الذل والهوان الذي نزل بهم في ذلك اليوم ولزمهم حيث بقي ما لحقهم من العار سببه ماثورا عنهم ومنسوبا اليهم الى يوم القيمة فان معنى الخزي العيب الذي يظهر فضيحة ويستحيى من مثله ويحتمل ان يكون يومئذ بدلا من يوم يقوم الناس لرب العالمين وتجد كل نفس ما عملت من الخير والشر حاضرا مجازا عليه كما اشار اليه بقوله او فضيحتهم يوم القيمة فان قيل لم يتقدم ذكر يوم القيمة ولا ما يكون فيها فكيف يكون هذا التنوين عوضا عن الجملة التي تكون في يوم القيمة فالجواب ان تلك الجملة وان لم تكن مدلولا عليها دلالة لفظية لكنها مدلول عليها دلالة معنوية بسياق الذهن اليها عند ذكر الخزي والفضيحة **قوله** بالفتح اي بفتح ميم يومئذ على انها حركة بناء لاكتساء المضاف من المضاف اليه وهو قوله اذ فانه غير متمكن وقرا الباقون بكسر الميم لاضافة الخزي اليه والصيحة فعلة تدل على المرة من الصياح وهي الصوت الشديد يقال صاح يصيح صياحا اي صوت بقوة قال ابن عباس لما امهلهم صالح ثلثة ايام

قالوا ما علامة ذلك قال تصبحوا في اليوم الاول وجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني
محمرة وفي اليوم الثالث مسودة ثم يأتيكم العذاب في اليوم الرابع فكان كما قال
فلما راى قومه تلك العلامات قصدوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين
فلما كان صبيحة اليوم الرابع تكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت
قلوبهم فهلكوا فان قيل كيف يعقل ان تظهر هذه العلامات مطابقة لقول صالح
ثم يبقون مصرين على الكفر والجواب ان الامارات ما دامت ما دامت
غير بالغة الى حد يوجب اليقين لم يمتنع بقاؤهم على الكفر فاذا بلغت الى حد
يوجب اليقين والقطع فقد انتهى الامر الى حد الالجاء والايمان غير مقبول
في ذلك الوقت قوله جاثمين اى خامدين الميتين لا يتحركون وجثومهم سقوطهم
على وجوههم وقيل الجثوم السكون يقال للطير اذا باتت في اوكارها جثمت
ثم ان العرب اطلقوا هذا اللفظ على ما لا يتحرك من الموات قوله تعالى كان لم يغنوا
فيها اى كانهم لم يوجدوا ولم يقيموا فيها والمغنى المنزل والمقام الذي يقيم الحي به
يقال غنى الرجل بالمكان كذا اذا اقام فيه وغنى اى عاش ومن منع صرف ثمود
جعله اسما للقبيلة فمنع صرفه للتأنيث والعلمية ومن صرفه جعله اسما للحي او
للاب الاكبر لما ذكر الله تعالى قصة ثمود ذكر بعدها القصة الرابعة فقال ولقد
جاءت رسلنا ابراهيم وصدرت بكلمة قد لان السامع لقصص الانبياء يتوقع
قصة وقد للتوقع دخلت اللام لتأكيد الخبر ولفظ رسلنا جمع واقله ثلثة
فهذا يفيد القطع بحصول ثلثة والزايد على هذا العدد لا يثبت الا بدليل منفصل
واجمعوا على ان الاصل فيهم كان جبرئيل عليه ثم اختلف الرواية فقيل اتاه جبرئيل
ومعه اثنى عشر ملكا على صورة الغلمان الذين يكونون في غاية الحسن وقال
الضحاك كانوا تسعة وقال ابن عباس كانوا ثلثة قوله سلما عليك سلاما
على ان يكون سلاما في النظم منصوبا على انه مصدر لفعل محذوف فوذلك الفعل
في محل النصب بالقول فلما حذف الفعل واقيم المصدر مقامه قوله انا امركم
سلام او جوابي سلام على ان سلام خبر مبتدا محذوف وان جعل تقديره وعليكم
سلام يكون سلام مبتدا محذوف الخبر فالملائكة سلموا عليه بالجملة الفعلية الدالة

على التجدد والحدوث ورد عليهم سلامهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبات
والاستمرار اجابة لهم بما هو احسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسائي قال سلم
بكسر السين وسكون اللام ويلزم بالضرورة سقوط الالف قال الفراء هما لغتان
كحرم وحرام وحل وحلال وقال الفارسي السلم بالكسر ضد الحرب وناسب
ذلك لانهم لما امتنعوا من تناول ما قدمه اليهم فينكرهم واوجس خيفة قال انا
سلم اى مسالمكم غير محارب فلم تمتنعون من تناول طعامي قال الامام وهذا
بعيد لان على هذا التقدير ينبغي ان يكون تكلم ابراهيم عم بهذا اللفظ بعد
احضار الطعام والقرآن يدل على ان هذا الكلام قبل احضار الطعام لانه تعالى قال
فقالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ والفاء للتعقيب فدل
على مجيئه بالعجل الحنيذ بعد السلام قوله فما ابطاء مجيئه به على ان ما نافية وان
فاعل لبث هو قوله فما ابطاء مجيئه به على ان ما نافية وان فاعل
لبث قوله ان جاء وفاعل جاء ضمير ابراهيم قوله او فما ابطاء في المجيء به على ان ما
ايضا نافية وفاعل لبث ضمير ابراهيم وان جاء على اسقاط الحافظ وهي كائنة
في اوعى اى فما ابطاء في المجيء به او فما تاخر عن المجيء به والرصف الحجارة المحماة
والحنيذ هو المشوي في حفرة من الارض بالحجارة المحماة كفعل اهل البادية
فانهم يشوون في الاخدود بالحجارة المحماة وقيل الحنيذ هو الذي يقطر وسمه
يقال حنذت الفرس اذا القيت عليه الجل حتى يقطر عرقا قوله انكر
ذلك منهم يعني ان نكر بمعنى انكر والنكر والانكار عبارتان عن عدم المعرفة والمراد
بقوله نكرهم انه لم يعرف بسبب عدم تناولهم من طعامه وامتناعهم عنه فلذلك خاف
منهم بناء على ان عادتهم انه اذا مس من يطرق طعامهم امنوه والا خافوه والايجاس
الادراك بناء على ان الوجس هو الحاسة الذي يخطر القلب يقال وجس
في نفسه كذا اى يخطر بها فيكون اوجس بمعنى احس واستشعر قوله سرورا
بزوال الخيفة بسماعها قول الملائكة لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط فان زوال
الخوف سبب للمسرة وما يتبعها من الضحك وايضا انها كانت عظيمة الانكار على قوم
لوط لما كانوا عليه من الكفر والعمل الخبيث فلما سمعت من الملائكة انهم جاؤا

لاهلاك قوم لوط لحقها السرور فضحكت لذلك وقيل ان سارة قالت لابراهيم
عم ارسل الى ابن اخيك وضمّه الى نفسك فان الله لا يترك قومه حتى يعذّبهم
فعند تمام هذا الكلام دخل الملائكة على ابراهيم فلما اخبروه بانهم انما جاؤا لاهلاك
قوم لوط صار قولهم موافقا لقولها فضحكت لشدّة سرورها لحصول
الموافقة بين كلامها وبين كلام الملائكة وقال السدى لما قال ابراهيم لهم
الا تأكلون قالوا لا نأكل طعامًا الا بالثمن فقال ثمنه ان تذكروا اسم الله على
اوله وتحمدوه على آخره فقال جبرائيل لميكائيل لحقّ لمثل هذا الرجل ان يتخذه
ربّه خليلًا فضحكت امرأته فرحا منها بهذا الكلام وقال مجاهد وعكرمة
ضحكت بمعنى حاضت يقال ضحكت الارنب اى حاضت وانكر الفرّاء وابو عبيدة
ان تكون ضحكت بمعنى حاضت قال ابو بكر الانبارى هذه اللغة ان لم يعرفها
هؤلاء فقد عرفها غيرهم حكى الليث فى هذه الآية فضحكت طمثت ومنه
قول الشاعر وعهدى بسلمى ضاحكا فى لبابة ولم تعد حقا بدّها ان تحلّما
يقول وصلتى بسلمى وقعت حالا ما حدث لها الحيض فى ابتداء بلوغها داخلة فى جملة
نساء لبابة اى خالصة عما يكدّر الوانهن وابدانهن من نوائب الزمان فان
لباب كل شئ خالصه ومنه سميت المرأة لبابة والحلمة رأس الثدى وهما حلمتان
والسمرة شجرة يسيل منها صمغ يشبه الدم ولستبعد صاحب الانتصاف
ان يكون ضحكت فى الآية بمعنى حاضت بناء على ان التعجب المذكور بعد يأبى
عنه حيث قال ويبعّد هذا التأويل انها قالت بعديا وبيتا ألدّ وانا عجوز
وهذا بعلى شيخا ان هذا لشئ عجيب فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت
اذ لا عجب فى حمل من يحيض والحيض فى العادة معيار على امكان الحمل ولا
تعجب من الولادة فى زمان الحيض والجواب بان الحيض فى غير اوانه داخل
فى سياق التعجب يأباه اللفظ والمعنى وظاهر كلام ابى البقاء يدل على ان
ضحك بفتح الحاء مختص بالحيض فانه قال بمعنى حاضت يقال ضحكت
الارنب بفتح الحاء قوله نصبه ان نصب لفظ يعقوب بفعل مقدّر
دلّ عليه قوله ببشّرناها كانه قيل فبشّرناها باسحق ومن وراء يعقوب وهبنا

يعقوب وهو من عطف جملة على جملة ولا يكون يعقوب على هذا مبشرا به وقيل
انه منصوب عطفا على محل باسحق لانه موضعه نصب كقوله وارجلكم بالنصب
عطفا على محل برؤسكم وزعم صاحب الكشاف انه معطوف على قوله باسحق
بناء على تضمين ببشّرنا معنى وهبنا وتوهّم انعدام الباء فى قوله باسحق
حيث قال كانه قيل ووهبنا له اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على
طريقة قوله مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها قال
الشاعر عطف قوله ولا ناعب على قوله مصلحين بناء على توهم وجود الباء
فى خبر ليس فجرّه ووجه تشبيه الآية بالبيت انه حمل تقدير الآية ووهبنا له اسحق
ثم عطف عليه يعقوب كما ان الشاعر قدّر انه قال ليسوا بمصلحين فلذلك قال ولا ناعب
بالجرّ فقدّر فى البيت المعدوم موجودا وفى الآية عكسه فكان كلاهما من قبيل
العطف على التوهم وان اختلف طريق التوهم فيهما قوله ورد اى ردّ
كون يعقوب مجرورا بالعطف على لفظ اسحق بناء على ان غير المنصرف
يكون فى موضع الجرّ مفتوحا ووجه الرد ان حرف العطف نائب مناب العامل
والعامل ههنا الجارّ فكما لا يجوز الفصل بين الجارّ والمجرور المعطوف عليه كذلك
لا يجوز الفصل بين حرف العطف والمجرور المعطوف فامتنع ان يكون فتحة
يعقوب صورة الجرّ بعطفه على المجرور وان رفع يعقوب على الابتداء يكون
خبره الظرف السابق مع متعلقه والتقدير ويعقوب مولود من بعده
على ان يكون وراء بمعنى بعد وهو قول الاكثرين لا بمعنى ولد الولد والجملة الاسمية
حال داخلة فى البشارة اى فبشّرناها باسحق متصلا به يعقوب بان يولد منه
قوله وعلى هذا اى على ان يكون وراء بمعنى ولد الولد لا يصح الاخبار عن يعقوب
بانه من وراء اسحق ضرورة انه ليس ولد ولد اسحق بل هو ولد ولد ابراهيم
فلما حكم على من تفرّع من ولد ابراهيم بانه من وراء اسحق بمعنى انه من ولد ولده
وجب تأويله بان يقال انه جعل وراء اسحق من حيث كونه وراء ابراهيم
بان لاحظه من الوراء المضاف الى اسحق مجرّدا البعدية وفيه نظر وتعسف
ظاهر لان الورى على تقدير ان يفسّر بولد الولد يكون التأويل المذكور بعيدا كل البعد

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال الامام القول بان الورى ولد الولد عند شديد التعسف والتفظ لكانه ينبوعنه
قوله والاسماء يعني ان اسمي اسحق ويعقوب يحتمل انه تعالى اختار هما
اسمين للولدين المبشر بهما كما اختار اسم يحيى ويسمى به ولد زكريا وتوفى تسمية به
نشر بقاله كما قال ياذكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ويحتمل انه تعالى ذكرهما
حكاية لما اختار قوم الولدين في تسميتهما به قوله وتوجيه البشارة اليها
مع ان المبشر به نعمة بالنسبة الى ابراهيم عم يصح ان يبشر هو بها ايضا قوله
يا عجبا اصل الويل الحزن يقال ويل لفلان اى حزن له من فظاعة ما ارتكبه عابهو
شتر في حقه ثم اطلق للايذان بورود الامر الفظيع مطلقا شرا كان او خيرا تعجبا
من فظاعته وخروجه عن حد امثاله واصل ياويلتا ياويليتى فابدل من الياء
الالف من كثر الثاء الفتحة لان الفتحة لان الالف مع الفتحة اخف من
الياء مع الكسرة قوله دون القدرة لان التعجب من قدرة يوجب الكفر
لكونه مستلزما للجهل بقدرته بل هو استعجاب من حيث العادة كانها قالت
لم كان امرنا خلاف ما هو المعتاد بين الناس فذلك اجابوا بما منكرين عليها استعجابها
من حيث العادة فقالوا التعجبين من امر الله اى من قدرته وحكمته وقولهم
رحمة وبركاته آه كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب
فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم ثم استانفوا تعليلا
آخر تضمنه قولهم التعجبين من امر الله باعتبار تعليله بقوله رحمة الله وبركاته
عليكم فانه بذلك الاعتبار يتضمن ايجاب الرزانة والوقار والتسبيح والتحميد
والتمجيد عليها مكان التعجب والخفة بارتكاب ما لا يليق لامثالها فعللوا هذا
المتضمن بقولهم انه حميد مجيد اى انه حميد فعل ما يستوجب به الحمد من عباده
لا سيما في حقها مجيد كثير الاحسان الى العباد خصوصا في ان جعل بيتها مهبط
البركات والمجد الكرم والمجيد صيغة مبالغة منه ثم انه تعالى لما فرغ عن قصة
ابراهيم شرع في القصة الخامسة وهي قصة لوط عم فقال فلما ذهب عن
ابراهيم الروع يعني الخوف والفزع الذي اصابه لما لم ياكلوا من العجل فقال راعه
يروعه روعا اى افزعه واما الروع بالضم فهي النفس لانها محل الروع فعرفوا

بين الحال والمحل بحركة الحرف الاول من اللفظ الدال عليهما وفي الحديث ان
روح القدس نفث في روعي والمعنى انه لما زال الخوف وحصل السرور بسبب
مجئ البشرى بحصول الولد اخذ يجادلنا في شان قوم لوط وهلاكهم وقد ذكر انصاف
في قوله تعالى يجادلنا لانه قد صرح في سورة العنكبوت بكون مجادلته عم مع
الرسل قال تعالى في تلك السورة فلما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا
انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن
اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين ولان المجادلة
مع الله تعالى جرءة عليه وسوء ادب فاي عاقل يجادل ربه في تبديل حكمه والمجادلة
مع الملائكة بان يطلب منهم ان يتركوا اهلاكهم قوم لوط وان كانوا لا يخلوا عن
سوء ادب بحسب الظاهر لانه عم لا يخلو اما ان يعتقد ان الملائكة جاؤا من عند الله
انفسهم لاهلاك قوم لوط او يعتقد فيهم انهم جاؤا لذلك بامر الله والاول سوء ظن بهم
لانهم لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وكذا الثاني لان حصول المجادلة ح ان
يطلب منهم مخالفة امر الله وهذا منكر الا انه تعالى مدحه في تلك المجادلة بقوله
ان ابراهيم لحليم اواه منيب ولو كانت المجادلة الواقعة منه عم مذمومة لما مدحه
بهذا المدح العظيم قال المفسرون في بيان مجادلته معهم انهم لما قالوا لابراهيم
انا مهلكوا اهل هذه القرية قال لهم ارايتم ان كان فيهم خمسون من المسلمين
اتهلكونهم قالوا لا قال واربعون قالوا لا فما زال ينقص ويقولون لا حتى قال فواحد
قالوا لا فاحتج عليهم بلوط وقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه
واهله وهذا صورة جدال ابراهيم مع الرسل في شان قوم لوط فالله تعالى
مدحه في جداله جدالا هذا فقال ان ابراهيم لحليم اواه منيب والحليم هو الذي
لا يتعجل في مكافاة من يوذيه ومن كان كذلك فانه يتاوه اذا شاهد وصول
الشدايد الى الغير فلما راى مجئ الملائكة لاهلاك قوم لوط عظم حزنه واخذ يتاوه فو
الله بانه منيب لان من ظهرت منه هذه الشفقة العظيمة على الخلق فانه يتوب
ويرجع الى الله تعالى في ازالة ذلك العذاب اولا ان من الماضع بوقوع غيره
في الشدايد فانه لا يرضى بوقوع نفسه عنهم فيها اولا ولا طريق الى تخليص النفس

ضعه

من الوقوع فى عذاب الله تعالى الا بالتوبة والانابة قوله جئ به مضارعا مع
ان جواب لما ينبغى ان يكون ماضيا لكونها موضوعة للدلالة على وقوع امر فى الماضى
لوقوع غيره فيه يقال لما جاء زيد جاء عمرو فاجاب عن وقوعه مضارعا بوجوه
اربعة الاول انه جئ به مضارعا على حكاية الحال الماضية والثانى بان المضارع
الواقع فى سياق جواب لما يكون بمعنى الماضى الى معنى الماضى كقولك لو فعلت
كذا ليقال لك كذا وكما تقدم كلمة ان الماضية الى معنى الاستقبال والثالث ان
جواب لما محذوف اى فلما كان كذا وكذا اجتراء على خطابنا او شرع فى جدالنا
وقوله يجادلنا فى قوم لوط جملة مستأنفة وهى الدالة على الجواب المحذوف
والرابع انه متعلق بالجواب المحذوف اقيم مقامه والتقدير فلما كان كذا
وكذا اخذا واقبل يجادلنا فقولنا اقبل واخذ هو الجواب المحذوف وقولنا
يجادلنا حال من فاعل اقبل واخذ حذف الجواب واقيم قيده مقامه قوله
قد جاء امر ربك اى عذابه الذى قدر اى تعلق ارادته الازلية بوقوعه
فى وقته قال المصنف فى شرح المصابيح القضاء هو الارادة الازلية والعناية الالهية
المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة
بالاشياء فى اوقاتها قوله ساده مجيئهم قال ابن عباس الرسل الذين بشروا
ابراهيم انطلقوا من عنده الى لوط وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه
على صورة شبان من بنى آدم وكانوا اضياف فى غاية الحسن ولم يعرف لوط انهم
ملائكة الله فظن انهم من الانس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم
فلذلك ضاق بهم ذرعا اى قلبا يقال ضاق ذرعا فلان بكذا اذا وقع فى مكروه
لا يطيق الخروج منه قال الازهرى الذرع بوضع موضع الطاقة والاصل فيه
البعير يذرع بيديه فى سيره ذرعا على قدر سعة خطوة فاذا حمل عليه اكثر من
طاقة ضاق ذرعه عن ذلك فضعف وقد عنفه فجعل ضيق الذرع عبارة
عن قلة الوسع والطاقة فيقال مالى به ذرع ولا ذراع اى مالى به طاقة وشئ
بهم فعل مبنى للمفعول والقائم مقام الفاعل ضمير لوط من قولك ساءنى كذا اى حصل
لى سوء وبهم متعلق به لا بسيئ وذرعا نصب على التمييز وهو فى الاصل مصدر

ذرع

ذرع البعير يذرع بيديه فى سيره اذا سار على قدر خطوة اشتقاقا من الذراع
ثم توسع فيه فوضع موضع الطاقة فقيل ضاق ذرعه اى طاقة قراء
العامة يُهْرَعُونَ مبنيا للمفعول وقرئ بفتح الياء مبنيا للفاعل والاهراع
الاسراع وقال ابو عبيدة قوله تعالى يهرعون اليه اى يستحثون اليه كانه
يحث بعضهم بعضا واهرع الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مُهْرَعٌ اذا كان
يُرْعَدُ من غضب او حمى او فزع فلذلك قيل الاهراع هو الاسراع مع الرعدة
وقيل هو العدو الشديد ثم انه تعالى بين ان اسراعهم انما كان لطلب الفعل الخبيث
حيث قال ومن قبل كانوا يعملون السيئات قوله فتمرنوا بها اى تعودوا
يقال مَرَّنَ على الشئ يمرُنُ مُرُونا ومَرانَةً اى تعوده واستمر عليه روى
انه لما دخلت الملائكة دار لوط عمد مضت امراته فقالت لقومه دخل
دارنا قوم ما رايت احسن وجوها منهم ولا انظف ثيابا ولا اطيب رائحة
فجاء قومه يهرعون اى يسرعون وروى ايضا ان القوم دخلوا دار لوط
واراد وا ان يدخلوا البيت الذى كان فيه جبرائيل فوضع جبرائيل يده
على الباب فلم يطيقوا فتحه حتى كسروه فمسح اعينهم بيده فعموا فقالوا
يا لوط قد دخلت علينا السحرة واظهرت الفتنة قوله فرابهن اضيافه
يعنى المراد بالبنات بناته الصلبية وانه ما دعاهم الى الزنا بهن بل المراد انه دعاهم
الى التزوج بهن بناء على جواز تزويج المؤمنة من الكافر فى شريعته وهكذا
فى اول الاسلام بدليل انه عم زوج ابنته زينب من ابى العاص بن وائل
وزوج ابنته من ابنى ابى لهب عتبة وعتيبة وهم كفار ثم نسخ ذلك بقوله
تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا قوله او مبالغة عطف على قوله كرما
وحمية نقل صاحب التيسير عن الامام انى منصور الماتريدى انه قال يحتمل
ان يكون عرض بناته الصلبية على الاوباش والفجار تعريفا لهم خبث ذلك
الفعل ويكون معنى قوله هن اطهر لكم اى هذا قليل خبثا من ذلك اى الزنا
بالبنات دون اتيان الذكور فى الخبث وكانوا يعتقدون حرمة الزنا
فبين عم ان هذا يزول بالنكاح فذلك لا يزول بحال والاستعاض البعض

مطلب
زوج رسول الله صلعم ابنته
ابا العاص فى اول الاسلام
ثم نسخ ذلك

والانكار يقال معضت من ذلك الامر اعض معضا ومعضا وامتعضت
منه اذا غضبت وشق ذلك عليك وقيل المراد بقوله بناتي نساء قومه
جعل بنات قومه بناته لان النبي ع كالاب لقومه وازواجه امهاتهم
وادلادهم كاولاده قال الامام وهذا القول عندي هو المختار ويدل عليه
وجوه الاول اقدام الانسان على عرض بناته على الاراذل والفجار مستبعد
لايليق باهل المروة فكيف بالكبير الانبياء والثاني انه قال هؤلاء بناتي هن
اطهر لكم وبناته اللواتي من صلبه لاتكفي لجمع العظيم واما نساء امته ففيهن
كفاية للكل والثالث انه قد صحت الرواية انه كان له بنتان والحاق
لفظ البنات على البنتين لايجوز لما ثبت ان اقل الجمع ثلثة قوله
انظف فعلا واقل فحشا لما ورد ان يقال ان لفظ اطهر لكونه افعل التفضيل
يدل على ان اتيان الذكور الذكران فيه طهارة الا ان اتيان الاناث ازيد طهارة
منه ولا طهارة في اتيان الذكران شرعا فاوجب جعلهن اطهر فاجاب المص
عنه بانه ليس المراد بالطهارة كونه حلالا ومشروعا حتى يرد ما ذكر بل المراد
بها النظافة بحسب الفعل وقلة استخباث الطبع فلا شك ان اتيانهن
ازيد في الطهارة بهذا المعنى بالنسبة الى اتيانهم ولم يلتفت المص الى كون
بناء التفضيل هنا للزيادة المطلقة كما في قولنا الله اكبر مما لايخفى وان ذهب
اليه الامام الرازي في الكبير قوله على ان هن خبر بناتي قوله تعالى هؤلاء
بناتي على القراءة المشهورة جملة برأسها وهن اطهر لكم جملة اخرى ويجوز
ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي بدلا او عطف بيان وهن مبتدأ واطهر خبره
والجملة خبر الاول ويجوز ان يكون هن فصلا واطهر خبرا لهؤلاء خبر الاول و
على قراءة اطهر بالنصب يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي مبتدأ ثانيا وهن
خبر الثاني والجملة خبر الاول واطهر حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل
كما في قوله هذا بعلي شيخا ولا يجوز ان يكون هن فصلا بين الحال وصاحبها
لان ضمير الفصل انما يقع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال
قوله ولا تفضحون من الخزي يقال فضحه فافتضح اي كشف مساويه

فزق

فذل وهان ويقال خزي بالكسر يخزى خزيا اي ذل وهان وخزي خزاية اي
استحيا ويقال فجل فجلا اي تحير ودهش من الاستحياء وافجله غيره قوله
لو قويت بنفسي على دفعكم اي لدفعتكم بها عن اضيافي على ان جواب لو محذوف
لدلالة فحوى الكلام عليه وما ذكره المص تصوير لحاصل المعنى فانه قد تقدر في
النحو ان كلمة ان انما تفتح بعد لو لكونها واقعة موقع المفرد لكونها مع ما في
حيزها فاعل فعل محذوف فعلى هذا لو انك قائم معناه لو ثبت قيامك قال
ابو البقا قوله بكم حال من قوة وليس معمولا لها لانها مصدر ولا يتقدم معمول
المصدر عليه والتقدير لو ثبت واستقر لنفسي قوة ثم بكم ويجوز ان يكون
لو ههنا للتمني فلا يحتاج الى الجواب الا ان القول بكونها شرطية حذف
جوابه اولى لامكان تقدير انواع كثيرة من المنع والدفع والتقوى ونحوها
وفي تقدير المص اشارة الى ان قوله او آوي معطوف على ما قبله من حيث
فانه صور معنى ما قبله بان قال لو قويت بنفسي على دفعكم وعطف عليه قوله
او آوي الى ركن شديد وقوله امنعه عنكم وان كان صفة لشديد قوى الاتحاد
فيه اشارة الى تعيين الجواب المحذوف والركن بسكون الكاف وضمها الناحية
من الجبل وغيره والى كل واحد من قوله لو ان لي بكم قوة وقوله او آوي الى ركن
شديد له فائدة غير فائدة الاحرفان المراد بالاول كونه بنفسه قادرا على الدفع
والثاني حضور من يعينه على الدفع قوله عم رحم اخى لوطا كان ياوى الى ركن
شديد اى كان يريد او يتمنى ان ياوى الى ركن شديد وفي قوله رحم الله
اشارة الى ان هذا الكلام من لوط عم ليس مما ينبغي من حيث انه يدل على اقناط
كلي ويأس شديد من ان يكون له ناصر ينصره والحال انه لا ركن اشد من الركن
الذي كان ياوى اليه اليس الله بكاف عبده وان قرئ اوى بالنصب يكون
معطوفا على قوة والتقدير كما ذكرنا لو ان بكم قوة او اوويا الى ركن شديد وهذه الآية
تدل على ان آوى في قراءة الرفع معطوف على قوة ايضا على انه كان منصوبا
في الاصل باضمار ان فلما حذف ان رفع الفعل كقوله ومن ايات يريكم قوله
فضرب بجناحه يعني لما فتح لوط باب بيته فدخلوا تحول جبريل عم الى اصل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صورته فضرب بجناحه وجوههم فاعمى بهم وصاروا لا يبصرون الطريق فانصرفوا
وهم يقولون النجا النجا فان في بيتنا سحرة قوم في الارض سحونا فقال لوط متى
موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فلو اهلكتموهم الآن
فقالوا اليس الصبح بقريب قوله وقرأ ابن كثير ونافع فانهما استقطا بالوصلا
الهمزة من قوله تعالى فاسر باهلك وقوله فاسر بعبادي وقوله ان اسر حال
الوصل واثباتها مكسورة حال الابتداء والباقون قرأوا الجميع بهمزة القطع
تثبت مفتوحة حال الوصل والابتداء والوآء ثان ما خفف ثان من لغتي هذا
الفعل فانه يقال سرى ومنه قوله تعالى والليل اذا يسر وأسرى ومنه قوله
سبحان الذي اسرى وهل هما بمعنى واحد او بينهما فرق فيه خلاف فقيل
هما بمعنى واحد وقيل اسرى الاول الليل وسرى الآخر، واما سار فمختص بالنهار
وليس مقلوبا من سرى والجوهري اختار كون الاسراء والسرى بمعنى حيث
قال وسريت سُرًى ومَسْرًى واسريت بمعنى اذا سِرْتَ ليلا ثم قال وانما
قال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وان كان السُّرى لا يكون الا بالليل
للتاكيد كقولهم سرت امس نهارا والبارحة ليلا والباء في قوله باهلك يجوز ان تكون
للتعدية وان تكون للحال اي مصاحبين لقطع على ان المراد به ظلمة الليل وقيل الصبح قوله ولا يلتفت او ولا ينظر يعني
ان الالتفات يجيء بمعنيين الاول الانصراف كما في قوله تعالى اجئتنا لتلفتنا
اي لتصرفنا فالمراد على هذا النهي عن التخلف لانه انصراف عن امتثال المأمور به
واما ان ينظر الانسان الى ورائه فانظاهر ان المراد على هذا انه كان لهم
في البلد اموال وماشية واصدقاء فالملائكة امروهم بان يخرجوا ويتركوا تلك
الاشياء ويقطعوا تعلق قلوبهم عنها قوله والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى
للوط لما اختاروا ان قوله تعالى الا امرأتك استثناء من الاهل واستلزم
ذلك ان يكون لوط عدم خلتهم مع قومها ولم يخرجها مع جملة من اخرجهم
من اهله وان يتحقق المناقضة بين القراءتين المتواترتين بناء على ان قراءة
الرفع على البدلية من احد تستلزم ان تخرج المراءة مع جملة اهله ولا تكون

منهية

منهية عن الالتفات لما نهى باقي اهله عنه ولا شك ان خروجها معهم بدون كونها
منهية عن الالتفات مناقض لعدم خروجها معهم والقراءات المتواترة بصحتها
لا يجوز حملها على المعاني المتناقضة اشار الى دفع المناقضة بينهما بقوله و
النهي في اللفظ لاحد وهو نوع المعنى للوط عدم لان مكالمة الملائكة انما هي مع
لوط فيكون معنى كلامهم لا تدع منهم احدا يلتفت وتخلف الا امرأتك فدعها
تلتفت وخلها وشانها ولا شك ان هذا المعنى لا يناقض استثناءها من الاهل
ثم بين ان هذا الجواب مبني على ان يأول الالتفات بالتخلف لانه ان فسر
بالنظر الى الوراء يكون المناقضة باقية بحالها سواء جعل النهي لاحد او للوط و
جعل صاحب الكشاف اختلاف القراءتين لاجل اختلاف الروايتين تابعا
له مبنيا عليه وهو فاسد قطعا لان الروايتين متناقضتان يمتنع اجتماع
مدلوليهما وكل واحدة من القراءتين متواترة ثابتة قطعا روى عن ابن الحاجب
انه قال هذا التفسير باطل يعني جعل القراءة بالرفع محمولة على البدل من قوله
ولا يلتفت منكم احد وقراءة النصب محمولة على الاستثناء من الموجب
وقوله فاسر باهلك فان القراءتين ثابتتان قطعا فيمتنع حملهما على الوجهين
احدهما باطل قطعا والقصة واحدة فهو اما ان يكون سرى بها او ما سرى
بها فان كان سرى بها فليس مستثنى الا من قوله ولا يلتفت منكم احد وان
كان ما سرى بها فهو مستثنى من قوله فاسر باهلك وقد ثبت ان احد
التاويلين باطل قطعا فلا يصار اليه احد القراءتين الثابتتين قطعا اي
لا يجوز حملهما على ما يوجب بطلان مقتضى احديهما واجيب عن كلام الشيخ
ابن الحاجب بمنع ان الاستثناء من الاهل ينافي الاستثناء من احد على البدلية
بناء على ان الاستثناء من الاهل يقتضي ان لا يكون لوط عدم مامورا بالاسراء
ولا يمنع انها سرت بنفسها ويكفي لصحة الاستثناء تبين هذا المقدار كيف
ولم ينه عن اخراجها ولكنه امر باخراج غيرها ثم قال الشيخ والاولى من
هذا ان يكون الا امرأتك في الرفع والنصب مثل قوله تعالى ما فعلوه الا
قليل منهم ولا بعد ان يكون اقل القراء على الوجه الاقوى واكثرهم على الوجه

الذى دونه بل قد التزم بعض الناس انه لا يجوز ان ينفق جميع القراء على قراءة
غير الاقوى واختار المصدر اولا ان يكون قوله الا امرأتك استثناء من قوله
فاسر بأهلك لانه كلام موجب والاستثناء الواقع بعد الكلام الموجب
يكون منصوبا ابدا وقوله ولا يلتفت منكم احد كلام غير موجب واختار
فيه البدل فلو جعل الا امرأتك متعلقا بقوله ولا يلتفت منكم احد لكان
الرفع هو الراجح واكثر القراء على النصب فيلزم اطباق الاكثر على الوجه
المرجوح وهو بعيد ثم اتبع بقراءة عبد الله فاسر بأهلك بقطع من الليل الا
امرأتك فان الاستثناء على هذه القراءة من الاهل ليس الا فلم يذكر فى
مصحفه قوله ولا يلتفت منكم احد ثم قال والاولى ان يكون قوله الا
امرأتك على قراءة النصب استثناء متعلقا بغير الموجب وان كان الافصح
حينئذ الرفع على البدلية كما هو متعلق به على قراءة الرفع ليتفق القراءتان
بقدر ما امكن فاذا لم تكن امرأته مستثناة من الاهل جاز له عم ان ينذرى
بها وان ينهى عن ان يدع احدا ممن اسرى بهم من اهله لان يتخلفوا اولان
ينظروا الى وراءهم الا امرأته فان له ان يدعها للتخلف او للنظر فيحصل
اتفاق القراءتين فى حسن انتظام اللفظ والمعنى ولما ورد ان يقال
الاستثناء من غير الموجب بجاب فيلزم ان يكون مأمورة بالالتفات ولا معنى
له اجاب عنه بقوله ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل اللازم عدم نهيها
عنه وذلك لما قرر من ان قوله تعالى ولا يلتفت نهى للوط والاستثناء
من النهى عدم النهى قوله ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع
لان المستثنى المنقطع يجب نصبه عند الاكثرين ولا يجوز البدل الا على لغة تميم
وعليها قوله وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس فان اليعافير
والعيس مستثنى منقطع بعد الا مع رفعه على البدلية من انيس ولا يحسن ان
يحمل اعرابه افصح الكلام على اللغة القليلة وفى قوله لا يحسن اشارة الى
انه يجوز جعل الاستثناء منقطعا على كل واحدة من القراءتين بان لا يقصد
اخراج المرأة من المأمور بالاسراء بهم ولا من المنهيين عن الالتفات بل

يقصد استيناف الاخبار عنها بانه يصيبها ما اصابهم فالمعنى لكن
امرأتك يجرى عليها كذا وكذا قوله ويؤيده الاصل اى يؤيد كون
المراد بقوله امرنا امرا تعالى بالعذاب ان الاصل ان يحمل اللفظ على
الاصلى الحقيقى ولانه لو اريد به العذاب للزم ان يتحد السبب
والمسبب لان الجعل المذكور فى جعلنا عاليها سافلها هو العذاب
فيكون حاصل المعنى فلما جاء عذابنا عذبنا فوجب ان يحمل الامر على
ما هو ضد النهى قوله وكان حقه جعلوا جواب عما يقال لو كان
المعنى فلما امرنا الملائكة بايصال العذاب اليهم لكان الظاهر ان يقال
فلما جاء امرنا جعلوا عاليها سافلها لان الفعل انما صدر عن المأمورين
وتقرير الجواب انه اوثر طريق الاسناد المجازى حيث ثم يسند
الفعل الى المباشر بل اسند الى المسبب لان ما وقع من المباشر
انما وقع بامر الله واقداره تعظيما لشان الفعل الصادر وقوله
عاليها سافلها مفعولا الجعل الذى بمعنى التصيير اى عالى مدائنهم وسافلها
والمعنى وجعل جبرئيل عالى قراهم سافلها بامرنا قوله اوشذاذا اى متفرقة
بها عن جمهور اهل المدن يقال شذ عنه يشذ ويشذ شذوذا اذا
انفرد عن الجمهور وشذاذ الناس الذين يكونون فى القوم وليسوا من
قبائلهم روى ان الحجر تبع شذاذهم ومسافريهم اينما كانوا فى البلاد
ودخل رجل منهم الحرم فكان الحجر معلقا عليه فى السماء اربعين يوما
حتى خرج فاصابه فاهلكه قوله واصله سنكل وهو بالفارسية
حجر وطين وعربت وغيرت حروفه الى ما ترى وينصره ما روى عن ابن
عباس انه قال هو حجر وطين كاجر المطبوخ قوله نضد معد الغاربهم
يعنى ان منضود اسم مفعول من النضد وهو وضع الشئ بعضه على بعض
وصف تلك الحجارة بكونها منضودة لانه تعالى خلقها معدة لها وقد نضد
بعضها على بعض واعدها لاهلاك الظلمة اوكون بعضها فوق بعض فى
النزول اولان كل حجر منها فان ما فيها من الاجزاء منضود بعضه على بعض

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وملتصق بعضها ببعض قوله مسومة منصوب على انه صفة حجارة
وعند اما منصوب بمسومة واما محذوف على انه صفة لمسومة قوله ام
الا هو يعرض بحجر يقال فلان عرضة للناس لا يزالون يقعون فيه وجعلت
فلانا عرضة لكذا اى نصبته له قوله وتذكير العبيد مع ان ما هو على صيغة الفعيل
انما يستوى فيه المذكر والمؤنث اذا كان بمعنى المفعول نحو قتيل وذبيح
ونحو قريب وبعيد بمعنى الفاعل فلا يستويان فيه الا لنكتة قوله اراد
اولاد مدين يعنى ان مدين اسم ابراهيم ثم صار اسما للقبيلة وهى المراد به
فى الآية وكثير من المفسرين ذهبوا الى ان مدين اسم مدينة بناها مدين
بن ابراهيم والمعنى على هذا التقدير وارسلنا الى اهل مدين فحذف المضاف
كما فى قوله واسال القرية اى اهلها قوله تعالى ولا تنقصوا المكيال نقص
يتعدى الى اثنين اوالى اولهما بنفسه والى ثانيهما بحرف الجر وقد يحذف
تقول نقصت زيدا من حقه وحقه وهو فى الآية كذلك اذ المراد لا تنقصوا
الناس من المكيال والميزان اى مما يكال ويوزن بهما على طريق ذكر المحل
وارادة الحال والآية بظاهرها يدل على ان من عليه الايفاء يحرم عليه ان ينقص
حق المستوفى من المكيل والموزون وتدل ايضا على ان المستوفى يحرم
عليه ان يستوفى ما هو ازيد من حقه لانه يستلزم نقص الموفى حقه من المكيل
والموزون قوله لاشتماله عليه اى لاشتمال اليوم على ما وقع فيه من
العذاب وتوصيف زمان الشئ بصفة ذلك الشئ مجاز مشهور كقوله
هذا يوم عصيب قوله صرح بالامر بالايفاء دفع ما يتوهم من ان هذه
الآية وكذا ما بعدها تكرار لقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان ووجه الدفع
ان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن التنقيص وقوله واوفوا
المكيال والميزان امر بايفاء العدل والنهى عن ضد الشئ مغاير للامر به
ثم انهما وان كانا متلازمين لا ينفك احدهما عن الآخر الا انه ذكر احدهما
عقيب ذكر الآخر للمبالغة فى التكليف باقامة العدل فان ذكر احد
المتلازمين عقيب الآخر فى حكم التقرير ولا شك ان التكرير يفيد التاكيد

وشدة العناية والاهتمام ايضا والنهى عن الشئ لما توقف على كونه فعلا اختياريا
للمنهى كان النهى عبارة عن طلب الكف عن مباشرته عمدا وكان التطفيف سهوا
او نسيانا غير منافٍ للعدل بمقتضى قوله تعالى ولا تنقصوا المكيال والميزان
من حيث ان الساهى والناسى لم يباشر انتقاص حق الغير عمدا الا ان شغبيا
عم لم يكتف بتكليفهم بالامتناع عن التطفيف عمدا بل كلفهم ايضا بالسعى فى ايفاء
الحق اى اعطائه تاما كاملا وان استلزم ذلك ان يعطى قدرا زايدا على الحق
حتى يخرج عن العهدة بيقين لكن اعطاء الزيادة ليس بما مورٍ به مما يدخل
لقوله بالقسط فانه حال من فاعل اوفوا ولما وجب ان يكون المامور به مما
يدخل تحت القصد والاختيار كان معنى قوله اوفوا الكيل والميزان اسعوا
فى اعطاء الحق على وجه التمام والكمال بحيث يحصل لكم اليقين بالخروج عن
العهدة ملتبسين بالعدل والسوية فالمامور به وقد يكون محظورا وفوات
اذا كان المعقود عليه من الاموال الربوية واعلم ان العلماء اختلفوا فى ان
الامر بالشئ هل هو نهى عن ضده ام لا وكذا النهى عن شئ هل هو امر بضده
فذهب امام الحرمين والغزالى الى ان الامر بالشئ ليس نهيا عن ضده ولا
يقتضيه عقلا وقال القاضى ابو اسحاق انه نهى عن ضده واليه ذهب الامام
فى المعالم والقاضى فى المنهاج وقال القاضى ابو اسحق والنهى كذلك يعنى انه امر
عن الشئ امر بضده قوله تعميم بعد تخصيص جواب عما يقال البخس النقص
فقوله لا تبخسوا الناس اشياءهم يغنى قوله لا تنقصوا المكيال والميزان فما الفايدة
فى هذا التكرار وتقرير الجواب انه لا تكرير ههنا لان مدلول الكلام الاول النهى
عن البخس فى المقدار وذكر المكيال والميزان لكونهما اكثر الآلات التقدير استعمالا
ومدلول قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم النهى عن البخس فى مطلق ما يستحقه
الناس بعقد المعاوضة والمعنى لا تنقصوا الناس ما يستحقون عليكم بالعقود
اى شئ كان وذكر صاحب الكشاف للبخس ثلثة معان الهضم وهو الظلم وكسر
الحق والثانى النقص والثالث المكس وهو اخذ العشور والخراج وما هو
اليوم فى الاسواق من رسوم الظلم واستشهد على اطلاق البخس على المكس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بقول زعيرا في كل اسواق العراق اتاوة اى خراج وفي كل ما باع امرؤ بخمس
درهم ورُوى بمكس درهم ثم قال وكانوا يأخذون من كل شئ يُباع شيئا
كما تفعل لسماسرة او كانوا يمكسون الناس وكانوا ينقصون من اثمان ما
يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك انتهى قوله فان العثو يعم تنقيص
الحقوق وغيره من انواع الفساد يعنى ان العثو الافساد مطلقا سواء
كان بتنقيص الحقوق او بغيره فهو ايضا من قبيل التعميم بعد التخصيص وفي
الصحاح عثا في الارض يعثو افسد وكذلك عَثِىَ بالكسر يَعْثَى قال تعالى ولا
تعثوا في الارض مفسدين وفي التيسير العَثِىُّ المبالغة في الافساد
من حد علم وجعل جنى المعاملة فسادا في الارض لانه تغيير لما وضعه
الله تعالى من قانون سنن المعاملة بالعدل واصلح به احوال اهل الارض
وقال الراغب العثى والعيث يتقاربان كخوذب وجبذ الا ان العيث
اكثر ما يستعمل في الفساد الذى يدرك حسا والعثى فيما يدرك حكما قوله
وقيل المراد بالبخس شانه الا ان المختار ان يكون البخس عبارة عن نقص
مطلق ما يستحقه المرء بعقد المعاوضة وان يكون العثو عبارة عن الافساد
مطلقا سواء بتنقيص الحق او بغيره قوله وفائدة الحال اشارة الى جواب
ما يقال ان العثى الافساد فيكون قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين بمنزلة
ان يقال ولا تفسدوا في الارض مفسدين فما وجهه وتقرير ان الفساد
خروج الشئ عن الاعتدال اللايق فمعنى الآية لا تخرجوا شيئا مما في الارض عن
الاعتدال اللايق به فذلك الاخراج قد يكون لقصد الاصلاح كما فعله الخضر ع
من قتل الغلام وخرق السفينة وقد يكون لقصد الاضرار والافساد كفعل
الظلمة والمنهى من الافساد منها هو الافساد على الوجه الثاني قيده بالحال
وتقرير الجواب الثاني ان الافساد المقيد المنهى عنه غير الافساد الذى و
قع قيدا لان المراد بالافساد الاول افساد حال الغير وبالافساد الثاني
افساد حال نفسه مما يتعلق باجر دينه ومصالح آخرته فان من سعى في
افساد حال الغير فهو في الحقيقة ساع في افساد حال نفسه ولم يرض

بهذا الجواب

بهذا الجواب لعلة فايدة التقييد بالحال قوله ما ابقاكم من الحلال اشارة
الى ان بقية فعيلة بمعنى المفعول واضافتها للتشريف كما في بيت الله وناقة الله
فان ما بقي بعد ايفاء الكيل والوزن من الرزق يستحق التشريف وشرط
الايمان في خيرية ما بقي بعد الايفاء لان فائدته وهي حصول الثواب والنجاة
من العقاب انما تظهر مع الايمان فان الكافر مخلد في عذاب النيران و
محروم عن الرضوان وثواب الرحمان سواء كان اوفى الكيل والميزان او
سلك سبيل الخوان قوله وان كنتم مصدقين فيما اقول لكم اى تجتنبون
عن التطفيف وتكتفون بما بقي لكم بعد الايفاء فان جواب مثل هذا الشرط
محذوف عند جمهور البصريين وان ذهب آخرون الى ان جوابه هو ما تقدم عليه
وقال مجاهد بقية الله اى طاعة الله خير لكم من ذلك القدر القليل لان منفعة الطاعة
تبقى ابدا جعل لبقية بمعنى الباقية وسمى الطاعة والعبادة التي يقصد بها وجه
الله بقية فيكون الاضافة للتخصيص لبقاء ثوابها للمكلف ابدا ومنه قوله تعالى
والباقيات الصالحات اى التي تبقى ثوابه من الاعمال فان البقاء عبارة عن
ثبات الشئ على الحالة الاولى وبضادة الفناء قوله لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره
تعليل لتقدير المضاف اى لا بد من هذا التقدير لان المأمور بقوله اصلوتك تأمرك
هو شعيب ع والمأمور به بحسب الظاهر هو الترك الذى هو فعل الكفار فابقاء
الكلام على ظاهره يستلزم ان يكون شعيب مأمورا بفعل الكفار وهو محال
فلا بد ان يقدر التكليف ليكون مأمورا بفعل نفسه فالمعنى اصلوتك تأمرك يا
شعيب بتكليفك ايانا ان نترك قوله عطف على ما اذ لا يجوز عطفه على مفعول
تأمرك لفساد المعنى اذ يصير التقدير اصلوتك تأمرك ان نفعل في اموالنا
ما نشاء من بخس الكيل والوزن ومن المعلوم ان هذا المعنى غير مراد قوله
اى وان نترك اشارة الى ان كلمة او بمعنى الواو لان ما كلفهم به شعيب وهو مجموع
الامرين لا احدهما فمن اجابه على سبيل الانكار والاستهزاء انما يقول له اصلوتك تأمر
بتكليفك ايانا بهذين الامرين ولا يقول باحدهما قوله وقرئ بالتاء فيهما
على معنى اصلوتك تأمرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشاء انت على ان يكون

معطوفا على مفعول تامرك قوله تهكموا به يعني ان قومه الحليم الرشيد من قبيل الاستعارة التبعية استعار والحلم والرشد والغواية على التهكم ثم سرت الاستعارة منهما الى الحليم والرشيد قوله وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المالوف والنهي عن دين الآباء فان شعيبا عم دعاهم اولا الى التوحيد ثم دعاهم الى ترك البخس في المكيال والميزان على ما هو دأب الانبياء عليهم من انهم يبتدئون بالدعوة الى التوحيد ثم يشرعون فيما هو الاهم فالاهم وكان المعتاد من اهل مدين البخس والتطفيف دعاهم الى ترك هذه العادة بعد دعوتهم الى التوحيد فانكر عليه ما وقع منه من هاتين الدعوتين بان قالوا اتنهاك بعد ما بدا لك من غير روية وغاد ضال عن الطريق او بان انك تدعا حليما رشيدا في قومك فكيف يليق بك ان تبادر الى تغيير طريقتنا المألوفة في باب المعاملة بالاموال وفي باب عبادة الاوثان فاجابهم شعيب بطريق ارخاء العنان والكلام المنصف كانه قال صدقتم فيما قلتم انى لم ازل مرشدا لكم حليما فيما بينكم لكن ما جئت به ليس غير الارشاد والنصيحة لكم انظروا بعين الانصاف وانتم آبائي ان كنت على نعمة جليلة من عند ربي وكنت نبيا حقيقة و رزقني من عنده رزقا حسنا فكيف يسعني ان لا اقدم على فعلته من النهي عن عبادة غير الله وعن البخس والتطفيف وكذلك من المعاصي مع كثرة ما عندي من نعم الله الجسمانية والروحانية وهو تعالى قد امرني بتبليغ رسالته وبيان ما شرعه من الاحكام المتعلقة بباب العبادات والمعاملات فكيف يتصور مني مع كثرة نعم الله تعالى علي ان اخالف امره وتكليفه قوله يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مؤول عنه على ان يكون الى كذا متعلقا بمحذوف هو حال من فاعل خالفت اى خالفته مائلا الخ هو مؤول عنه فمعنى الآية ما اريد بمخالفتكم مائلا الى ما انهاكم عنه قوله وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس اى اذا وليت عنه وهو قاصده لان مخالفة زيد مولية عن كذا انما يكون بان يقصده زيد قوله وما مصدرية يريد ان الكلمة ما في قوله ما استطعت يحتمل ان يكون مصدرية مأولة بالزمان كما في اتيك

اخفوق النجم وصياح الديك اى مدة استطاعتي ويحتمل ان يكون خبرية اى موصولة بمعنى الذي بدلا من الاصلاح والتقدير ان اريد الا الاصلاح المقدار الذي استطيعه من الاصلاح او الا الاصلاح اصلاح ما استطعته فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه قوله لا يجرمنكم شقاقي اى شقاقكم وعداوتكم اياي ان يصيبكم عذاب الآجلة وهو عذاب الاستيصال في الدنيا مثل ما اصاب من قبلكم من الهالكين وجرم وان كان يتعدى الى واحد والى اثنين الا انه في الاية قد تعدى الى اثنين اولهما الكاف واليم وثانيهما ان يصيبكم يقال جرم زيد ذنبا اى كسبه وجرمته ذنبا اى كسبته اياه فهو مثل كسب في كونه متعديا الى واحد تارة والى اثنين اخرى وانشد الزمخشري على تعديته الى اثنين قوله ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا وقراء العامة لا يجرمنكم بفتح ياء المضارعة على انه مضارع جرم الثلاثي وقرأ بضمها على انه مضارع اجرم المنقول من جرم المتعدي الى واحد والعامة ايضا على ضم لام مثل على انه يصيبكم وقرئ بفتحها وتلك الفتحة فتحة بناء وفوك لان مثل وان كان فاعلا كحاله في القراءة المشهورة الا انه بني على الفتح لاضافته الى غير متمكن كما في قوله تعالى انه لحق مثل ما انكم تنطقون فان مثل وغير مع ما وان مخففة ومشددة يجوز بناؤهما على الفتح واعرابهما كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال الضمير في منها للراحلة اى لم يمنعها من الشرب الا انها سمعت صوت حمامة // فنغرت بديد انها حديثة الحسي فيها فنبع وذكر لحمة حسيها وفوك محمود فيها والاوقال جمع وقل وهي الحجارة اى غصون ثابتة بارض ذات حجارة وقيل الوقيل شجر المقل بني غير على الفتح مع انه فاعل لم يمنع قوله وافراد البعيد مع انه خبر عن الجمع مبني على ان في الكلام مضافا مقدرا والتقدير وما اهلاك قوم لوط او على ان فيه موصوفا مقدرا اى وما هم بشيء بعيد قوله وما يبعد ان يسوى في امثاله من نحو القريب والقليل والكثير بين المذكر و المؤنث اشارة الى جواب ما يقال من ان لفظ القوم مؤنث لقوله تعالى

كذبت قوم نوح فالقياس ان يقال ببعيد فلم ذكر بعيد وما ذكر من كون
امثاله على زنة المصادر جواب ثالث غير تقدير المضاف او الموصوف لانها
جوابان عن هذا السؤال ايضا والصهيل صوت الخيل والشهيق صوت الحمار قوله
يفعل بهم ما يفعله البليغ المودة بين يوده يعني ان الودود بناء مبالغة ومن
وَدَّ الشيءُ يَوَدُّهُ وُدًّا وَوِدَادَةً اى احبه وآثره والمشهور وَدِدْتُ
بكسر العين وسمع الكسائي وَدَدْتُ بفتحها والودود فعول بمعنى المحب
اى يود عباده ويرحمهم وقد تقدم انه تعالى اذا وُصف بما هو من قبيل
الكيفيات النفسانية الانفعالية يراد به غايته فلذلك فسر الحص كونه تعالى
ودودا محبا لعباده بانه يفعل بعباده ما يفعله البليغ المودة بمن يوده
وقيل الودود في اسماء الله تعالى بمعنى المفعول والمعنى ان عباده يحبونه لكثرة
احسانه وافضاله على الخلق قوله وهو وعد على التوبة وبيان لهم
ان سبق الكفر والمعصية منهم لا ينبغي ان يمنعهم من الرجوع الى الطاعة
راعى شعيب عم في جواب قومه ترتيبا لطيفا لانه بين اولا ان ظهور البينة
وكثرة انعام الله عليه في الظاهر والباطن يمنعه عن الخيانة في وحي الله ويصده
عن التهاون في تبليغه كانه قال انما السعي واجتهدت في تبليغ ما اوحي الي
رعاية لحق الله تعالى ثم بين ان سعيه هذا رعاية لحق نفسه ثم بين ان فيه
رعاية لحق الناس ثم لما بين صحة طريقته اشار الى الوعيد على الاصرار
بما هم عليه من الكفر والعصيان وحملهم على الاستغفار والتوبة وعلل
قبول ذلك بانه رحيم ودود وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه فان الرجل
قد يقول لصاحبه لا ادري ما تقول وان كان قد فهم كلامه لكنه لما لم يقبله
واستهان به صار كانه لم يفهم ذلك القول وهذه التوجيهات جواب عما
يقال انه عم كان يخاطبهم بلسانهم فلم قالوا ما نفقه كثيرا مما تقول مع انه
لحسن محاورته مع قومه وكمال اقتداره في مراجعة جوابهم يسمى خطيب
الانبياء فكيف لا يفهمون كلامه والمشهور ان الضعيف من ليس له قوة جسمانية
يمنع بها القوم عن نفسه او من ليس له عزة واتباع يتقوى بها على تحصيل مقاصده

والضعيف عبارة عن الاعمى في لغة حمير وحمله على هذا المعنى غير مناسب للمقام
لان كلامهم يسوق لبيان انه عم يستحق الرجم على زعمهم ولا مانع من قبله عم عن غيرهم
عما اراد وابه ولا يمنعهم عن ذلك الا رهطه وهذا السوق يقتضي ان يكون مرادهم ما
بالضعيف من لا قوة له لا الاعمى وحمله عليه مخالفة للظاهر من غير دليل ومع هذا قوله
فينا يبطله حمله على ذكر المعنى فانه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لكان كلاما فاسدا
لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم قال الامام واعلم ان اصحابنا يجوزون العمى على
الانبياء الا ان هذا اللفظ لا يحسن الاستدلال به في اثبات هذا المعنى لان حمل لفظ
الضعيف على معنى الاعمى ليس بسديد في هذا المقام فكيف يستدل به عليه واما
المعتزلة فقد اختلفوا فيه منهم من قال انه لا يجوز لكونه منفرا فانه لا يمكنه الاحتراز
عن النجاسات ولانه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلان يمنع من النبوة كان اولى
واجاب المنصف عن هذا الاستدلال بقوله والعدق بين وتعلل مراده ان مناط
امر النبوة كون الانسان موحى اليه من قبله تعالى وكونه مبلغا لما اوحي اليه
والعمى لا يخل بهذا المعنى بخلاف القضاء والشهادة فان مناطهما تمييز من له الحق
ومن عليه والعمى مناف له قوله لا نخوف من شوكتهم ليلا يخالف قوله سابقا
او مهينا لاعزك وانما نفى شوكتهم قومه من حيث انهم عشيرته واعلى قومه بالرهط
والجماعة القليلة لا يكون لهم شوكة لكنهم اثبتوا لهم الحرمة لكونهم على ملتهم و
دينهم لم يختاروا شعيبا عليهم ولم يتبعوه دونهم فلذلك قالوا لا تعز علينا
وانما يعز علينا رهطك ومحال كلامهم ان يثبتوا له عم انه لا حرمة له عندهم ولا وقع
له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه لاجل احترامهم رهطه بسبب كون الرهط على
ملتهم والرجم في اللغة عبارة عن الرمي وفلذلك قد يكون بالحجارة عند قصد القتل ولما
كان هذا الرجم سببا للقتل لا جرم سموا القتل رجما تسمية للمسبب باسم السبب قوله
او باصعب وجه اشارة الى احتمال ان يكون رجمناك استعارة تشبيها للقتل
باصعب الوجه بالقتل بالحجارة واطلاقا لاسم المشبه به على المشبه استعارة تصريحية
قوله وهذا ويدل السفيه اى عادته يعني ان جوابهم للشعيب بقولهم يا شعيب ما نفقه
كثيرا مما تقول الى هنا ليس دافعا لما قرن شعيب عم من الدلايل والبينات بل هي

جارية مجرى مقابلة الدليل والحجة بالشتم والسفاهة كما هو دين السفيه المجروح
الى المغلوب بالحجة قوله وفي ايلاء ضميره اى ايلاء الضمير الذى هو عبارة عن شعيب عم
حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه اى على ان التردد واقع في ان العمل لا في الفعل
بان يتفق المتكلم والمخاطب على وجود اصل الفعل لكن المخاطب يخطئ في تعيين
الفاعل والمتكلم يقصد ان يرده الى الصواب وهذا يقتضي ان يكون اصل الكلام
ما عززته انت فقدم انت للاختصاص فانه قد تقرر ان تقديم المسند اليه يفيد
تخصيصه بالخبر اى قصر الخبر عليه ان وقع المسند اليه بعد حرف النفي بلا فصل نحو ما
انا قلت هذا اى لم اقله مع انه مفعول لغيري فالتقديم يفيد نفي الفعل عن المذكور
وثبوته لغيره على الوجه الذى ينفي عن المذكور وانما التزم تحقق التقديم في مثله لان
كلمة ما تنفي الحال والحال له اختصاص بالزمان فالقياس ان يكون مدخولها فعلاً
او شبهه وحيث وجد الاسم بعدها لاسيما الضمير دل ذلك على ان اصل الكلام
ما عززت انت وان تقديم لاجل الاهتمام والاختصاص قال صاحب المفتاح
في تفسير الآية اى العزيز علينا يا شعيب رهطك لا انت لكونه من اهل ديننا
ولذلك قال عم في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله اى من نبي الله قوله
ولذلك اى ولكون مدلول الكلام التخصيص ونفي الفعل عن المذكور مع ثبوته للغير
قال شعيب في جوابهم ارهطي اعز عليكم فانه لو كان معنى قولهم ما انت علينا
بعزيز مجرد نفي العزة عنه ولم يفهم معه اثبات العزة لرهطه لم يكن الجواب
بقوله عم ارهطي اعز عليكم مطابقا للكلامهم لانه يكون معنى كلامهم ح مجرد
نفي العزة عنه عم ويكون معنى جوابه انكار عزة رهطه ومن اين احدهما
من الآخر وانما لفا كان معنى كلامهم اثبات العزة لرهطه مع انتفائها عنه في
يحصل المطابقة بينهما وكان الظاهر ان يقال في الجواب ارهطي اعز
عليكم مني الا انه قيل اعز عليكم من الله للايذان بان تهاونهم به عم وهو نبي
الله تهاون بالله تعالى فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم
من الله قوله ولا تبقون علي لله اى فلا تحفظوني ولا تتركوني لله و
تراعون نسبة قرابتي الى الرهط وتضيعون نسبتي الى الله بالنبوة فكانكم

زعمتم

زعمتم ان القوم اعز من الله حيث تذعنون انكم لو تركتم قتلي الزاما لرهطي
والله تعالى اولى بان يتبع امره كانه يقول حفظكم اياي في الله اولى منه في رهطي
وفي الصحاح ابقيت علي فلان اذا رعيت عليه ورحمته يقال لا ابقى الله
عليك ان ابقيت علي وفيه ايضا ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته
قوله والكسر من تغييرات النسب كقولهم في النسبة الى امس امسي بكسر
الهمزة والى الدهر دهري بضم الدال قوله اعملوا على مكانتكم والمكانة
الحالة التي يتمكن بها صاحبها من عمل والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية
المكنة والقدرة كل ما في وسعكم فطاقتكم من ايصال الشر والاذى وانى ايضا
عامل بقدر ما اتاني الله من القدرة سوف تعلمون اينا الجاني على نفسه والمخطئ
في فعله قوله فهو اى فحذف الفاء لاستلزامه ان يكون الكلام استينافا
جوابا لما يقال فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت على مكانتك
البلغ في باب التهويل من ربط الكلام بما قبله بالفاء السببية الموذنة بكون ما
قبلها سببا لما بعدها فان سلوك طريقة الاستيناف فيه تكثير المعنى بتقليل اللفظ
بالنسبة الى ربط الكلام بكلمة الفاء فانه على الاستيناف يكون المخاطب طالبا
لمعرفة مآل حالهم فيكون الجواب بالتهويل اوقع في ذهنه بخلاف ما لو ربط
الكلام بكلمة الفاء قوله وقيل قياسه ومن هو صادق يعني ان قوله اعملوا
على مكانتكم اني عامل اشتمل على عمل الصادق والكاذب منه ومنهم ولم يذكر
في قوله سوف يعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب الا عاقبة الكاذب
منهم ومنه والآية مسوقة لبيان ذكر عاقبة العاملين من الفريقين وذلك انما
يحصل بان يقال ومن هو صادق بدل ومن هو كاذب لينصرف الاول اليهم
والثاني اليه الا انه عدل عنه الى ما وقع في النظم بناء على ان المراد من قوله من
هو كاذب الصادق لكن ذكر الكاذب موضع الصادق بناء على زعمهم ومن
حيث انه جرى على السنتهم دعاؤهم اياه عم كاذبا وقال صاحب الانتصاف
الظاهر ان الكلام مع جميع الكفار فقوله من يأتيه عذاب يخزيه فيه ذكر جزائهم
وقوله وهو كاذب فيه ذكر جرمهم الذى هو الكذب فيكون من باب عطف

الصفة على الصفة والموصوف واحد لما تقول لمن تهدده ستعلم من
يهان ومن يعاقب وانما تعني المخاطب في الكلامين واذا ثبت صرف
الكلامين اليهم لم يخل ذكر من الدلالة على ذكر عاقبة المحق الصادق
لان احد الفريقين اذا كان مبطلا والآخر محقا فتبين ان احدهما بعينه هو
المبطل تعين ان يكون هو المحق قطعا فذكر لاحدى العاقبتين صريحا يفهم
منه ذكر الاخرى تعريضا والتعريض ابلغ واوقع من التصريح في كثير من المواضع
وهذا منه ولذلك لم يذكر عاقبة شعيب استغناء عنها بذكر عاقبتهم قوله
كما في قصة عاد وهو قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا
معه ولم يسبق ذكر الوعد الجاري مجرى السبب للوفاء به حتى تجيء الفاء
السببية كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت فان قولك فلما
وفاء والوفاء مرتب على الوعد فجيء بالفاء السببية لتدل على سببية الوعد
وترتيب المسبب عليه بل ذكر مجيء العذاب فيهما من غير ان يسبق ذكر الوعد
كانه قصة بنفسها وما قبله قصة اخرى لكنهما متعلقان بقوم واحد فهما مشتركتان
من وجه مفترقتان من وجه آخر فكان المقام مقام الواو التي تعطف بها القصة
على القصة بخلاف قصتي صالح ولوط فانه سبق ذكر الوعد فيهما قال تعالى
في قصة صالح فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب
فلما جاء امرنا نجينا صالحا وقال في قصة لوط ان موعدهم الصبح اليس الصبح
بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها جيء بالفاء السببية فيهما قوله
غير ان صيحتهم كانت من تحتهم روى الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه قال
لم يعذب الله امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح اما قوم صالح فاخذتهم
الصيحة من تحتهم وقوم شعيب اخذتهم من فوقهم قيل بشارت لهم سحابة فيها
عذابهم ولم يعلموا انها سحابة العذاب فصارت عليهم كهيئة الظلة فيها ريح فلما
رأوها انوها يستظلون تحتها من حر الشمس فانتهم صيحة من جهتها فاهلكتهم
فذلك قوله تعالى فاخذتهم عذاب يوم الظلة وقرئ بعدت بالضم الجمهور
على كسر العين من بعدت على انها من بعد يبعد بكسر العين في الماضي وفتحها في

المضارع

المضارع بمعنى هلك يهلك ارادت العرب ان تفرق بين البعد بمعنى الهلاك وبين
البعد الذي هو ضد القرب فرقوا بينهما بتغيير البناء فقالوا بَعُدَ بالضم في ضد
القرب وبَعِدَ بالكسر في ضد السلامة والبعد بالضم والسكون مصدر لهما و
البَعَد بفتحتين انما يستعمل في مصدر بكسر العين وقرئ بَعُدَتْ
بالضم اخذا من ضد القرب لانهم اذا هلكوا فقد بَعُدُوا ومنه قول الشاعر
من كان بيثك في التراب وبينه شبران فهو غاية البعد قوله هو المعجزات
القاهرة على تقدير ان يراد بالآيات التوراة وما فيها من الاحكام والمنع و
لقد ارسلنا موسى باحكام وتكاليف وايدناه بالمعجزات القاهرة والبينات الباهرة
قوله او العصا على تقدير ان يراد بالآيات جملة ما اعطاه الله من المعجزات وهي
تسع آيات بينات العصى واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم ونقص من الثمرات والانفس ومنهم من ابدل نقص الثمرات والانفس
باضلال الجبل وفلق البحر فيكون افراد افراد العصا بالذكر مع اندراجه في الآيات
بالمعنى المذكور لكونه اشهرها والجرها الى اغلبها هذا على تقدير ان يكون الموصوف
بكونه آيات غير ما وصف بانه سلطان ويكون العطف من قبيل عطف الذات ويجوز
ان يراد بهما ذاتا واحدة ويكون العطف من قبيل عطف الصفة مع اتحاد الموصوف
فان ما اظهره من المعجزات القاهرة كما يوصف بانها علائم مضافة اليه تعالى دالة
على نبوته تتوصف ايضا بانها سلطان له اى حجة بينة له يتسلط بها على من خالفه
قال الامام ان قيل ان حملتم الآيات على المعجزات والسلطان على الدلائل والمبين
ايضا معناه كونه سببا للظهور فما الفرق بين هذه المراتب الثلثة قلنا الآيات اسم
للقدر المشترك بين العلامات التي تفيد الظن وبين الدلائل التي تفيد اليقين واما
السلطان فهو اسم لما يفيد القطع واليقين الا انه مشترك بين الدليل القطعي
الذي فيه جلاء وبين ما ليس فيه جلاء والسلطان المبين مخصوص بما فيه جلاء ولما
كانت معجزات موسى عم هكذا الاجرم وصفها الله تعالى بانها سلطان مبين
قوله فاتبعوا امره بالكفر بموسى اى يحتمل ان يكون المراد فاتبعوا امر
اياهم بالكفر بموسى ومعجزاته ويحتمل ان يكون المراد من الامر الطريق والشان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهو انه كان دهريا نافيا للصانع والمعاد وكان يقول لا آله للعالم وانما يجب
على اهل كل بلدان يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبوديته ومن المعلوم ان
كل الرشد في معرفة الله وعبادته فمن كان نافيا لهذين الامرين كان خاليا
عن الرشد بالكلية قوله يقال قدم بمعنى تقدم وفي الصحاح قدم بالفتح
يقدم قدما اى تقدم فالمعنى يتقدمهم ويكون قدامهم وهم خلفه كما كان
قائدهم في الدنيا الى الضلال يكون قائدهم في العقبى الى النار قوله ونزل
النار لهم منزلة الماء يعني ان قوله فاوردهم النار مسبق قبيل الاستعارة بالكناية
والتخييلية حيث شبهت النار في النفس بالماء على سبيل التهكم وجعل اثبات
الايراد لها تخييلا فان الورود عبارة عن المجئ الى الماء والايراد احضار الغير
والمورد الماء قوله فسمى اتيانها موردا اسم المفعول بمعنى الشئ المورد
وهو الماء ويستعمل على انه مصدر ميمي لانه يكون على وزن اسم المفعول في
المشتقات اليها الماء لانه عبر عن احضارهم النار بقوله فاوردهم النار
والورد المورد والمورود الذي وردوه شبه فرعون بمن سبق الماء وليقته
قومه فاستعير الورد للنار استعارة تهكمية والتقدير بئس الورد المورود
وردهم وهو النار يردها فرعون ثم قومه وقيل في حقها بئس الورد لان
المورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده قوله
والاية كالدليل يريد ان الرشيد في قوله تعالى وما امر فرعون برشيد
يحتمل ان يكون بمعنى امر فيه رشد وسداد فيكون الرشد على معناه الحقيقي
وهو خلاف الغي والضلال ويكون قوله يقدم قومه استينافا كانه قيل
لم حكمت عليه بانه ليس في امره رشد بل غي محض فاجيب بانه يقدم
يوم القيمة فيوردهم النار ومن هذا عاقبته كيف يكون في امره رشد ويحتمل
ان يكون الرشيد بمعنى الصالح المرضي الحميدة العاقبة فيكون الترشيد مجازا
عن العاقبة الحميدة ويكون قوله تعالى وامر فرعون برشيد بمعنى وكان
امر فرعون مذموما مسخوطا عليه سيئ الخاتمة فجاء قوله يقدم قومه يوم
القيمة فيوردهم النار موضحا له ومبينا لسوء العاقبة قوله اى يلعنون

ملعون ح

ويطردون من رحمة الله في الدنيا والخذلان اولا وبالغرق اخرا والآخرة
بما فيها من العذاب فان كل معذب مطرود من الرحمة كما ان كل مخذول
محروم عن التوفيق والعناية كذلك قوله بئس العون المعان او العطاء
المعطى فان الرفد قد جاء بمعنى العون وبمعنى العطية تقول رفدته ارفده
رفدا اذا اعطيته وكذلك اذا اعنته والارفاد الاعطاء والاعانة
وسميت اللعنة عونا لانها اذا تبعتهم في الدنيا بتبعتهم في الآخرة لتبعدهم عن
رحمة الله تعالى وتعينهم على ما هم عليه من الضلال ويكون مددا لهم في طغيانهم
وغيهم فسمى رفدا اى عونا لهذا المعنى على الاستعارة التهكمية وانما كونها
معانا فلانها ارفدت في الاخرة بلعنة اخرى لتكونا هاديتين الى طريق
الجحيم كما قال فاهدوهم الى صراط الجحيم والمرفود وان كان قوم فرعون
الا انه اسند المرفود الى الرفد الذي هو اللعنة على الاسناد المجازي نحو جد
جده وضحك مجنون وكذا الحال في قوله او بئس العطاء المعطى حيث اعتبر
فيه الاستعارة التهكمية والاسناد المجازي كما في الاول فانه جعلت اللعنة
عطية لفرعون وقومه ثم جعلت معطى مع ان المعطى هو فرعون وقومه
كذا قيل وقول صاحب الكشاف ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد
وقد رفدت باللعنة في الآخرة يدل على ان تسمية اللعنة رفدا ليس من قبيل
الاستعارة التهكمية وانما تكون من ذكر القبيل ان لو كانت رفد للمعذبين
وليس كذلك بل هي رفد ومدد لنفس العذاب فلا تهكم فيه وايضا ذكر انها
رفد اعين برفد فكيف يكون اسناد المرفود الى الرفد من باب جد جده
نعم لو فسر الرفد بالقطع لكانت تسمية اللعنة به من قبيل الاستعارة
التهكمية الا انه لا يكون الاسناد مجازيا قوله ليعد به ليصير له عمادا
يقال عمد الحائط اذا وضع عماد قوله مقصوص عليك اشارة الى ان قوله
تعالى نقصه عليك خبر بعد خبر لقوله ذلك والمعنى ذلك النبأ بعض انباء القرى
الهالكة مقصوص عليك ويجوز ان يكون نقصه خبرا ومن انباء القرى حالا من
المضمر ويجوز العكس ايضا وثم مضاف محذوف اى من انباء اهل القرى

ولذلك اعيد ضمير العقلاء عليهم في قوله وما ظلمنا هم وقوله تعالى
منها قايم جملة اسمية وقوله وحصيد مبتدا حذف خبره لدلالة خبر الاول
عليه اى ومنها حصيد اى محصود شبّه ما بقى من اثار القرى وجدرانها بالزرع
القايم على ساقه وما عفى منها وبطل بالحصيد والمعنى ان تلك القرى بعضها بقى
منها شئ وبعضها هلك وما بقى منه اثره وقيل القايم ما بقى حيطانه وسقطت
سقوفه والحصيد ما محى اثره وقيل القايم العامر والحصيد الخراب والضمير
المرفوع فى قوله تعالى وما زادوهم للاصنام والمنصوب بعبدتها وعُبّر عن
الاصنام بواو العقلاء لانهم نزلوها منزلة العقلاء قوله غير تتبيب
هلاك تبّ يستعمل لازما ومتعديا يقال تبّ اذ هلك او خسر وتبّه غيره
اذا اهلكه او اوقعه فى الخسران وتفسير التتبيب بالهلاك مبنى على ان
تبّ اللازم بُنِىَ منه فعّل لقصد المبالغة وتكثير الفعل كموظوف البيت
والمعنى ان الكفار يعتقدون فى الاصنام انها تنفع وتدفع المضار ثم انهم
عند احتياجهم الى المعين ما وجدوا شيئا مما اعتقدوا فيها لاجلب نفع ولا دفع
ضر ثم انهم كما لم يجدوا فيها شيئا مما ذكر وصدوا بسببها مضرة عظيمة وهو انه
زال عنهم بسبب ذلك الاعتقاد منافع الدنيا والآخرة وجلب ذلك اليهم مضار
الدنيا والآخرة فذلك من اعظم الهلاك واشد الخسران قوله ومثل ذلك
الاخذ اشارة الى ان الكاف فى محل الرفع على انها خبر مقدم لا مصدر المذكور
بعده فان الجمهور على ان الاول مصدر مرفوع على الابتداء والثانى فعل ماض
وقرى كلاهما فعلين ماضيين قوله اى يجمع له الناس فسّره بما وقع
فى نظم القرآن لان مقتضى الظاهر ان يقال ذلك يوم يجمع له الناس لان فعل الجمع
الذى وُصِفَ به اليوم مترتب بعد لم يتصف اليوم به بالفعل وان الناس
غير مجموعين الآن فلاوجه بحسب الظاهر لان يوصف اليوم باسم المفعول المسند
الى الناس لدلالته على وقوع الاتصاف بالفعل وتعلق الاجتماع بالناس الآن
وكلاهما خلاف الظاهر فثبت ان مقتضى الظاهر ان يقال يوم يجمع له الناس
على وفق قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع اى لاجله ولما فيه من الحساب

والجزاء ثم بيّن النكتة فى مخالفة مقتضى الظاهر وهى الدلالة على ان اليوم موصوف
بذلك الوصف وصفا لازما وان الناس لا ينفكون عن الجمع البتة فان اسم
المفعول دال على ثبات الامرين ولزومهما بخلاف الفعل قوله ومع الجمع له
الجمع لما فيه ضرورة ان جمع الناس ليس لاجل اليوم نفسه قوله فاتسع فيه باجراء الظرف
اى بحذف الجار وتعليق الفعل بالظرف على صورة تعليقه بالمفعول به كقوله
ومشهد قد كفيت الغائبين فى محفل من نواصح الناس مشهود نواصح الناس
اشرافهم والمقدمون منهم يقول رُبَّ مشهد عظيم الشان تكلمت فيه وكفيت
الغائبين عنهم واليوم يوم مشهود فيه رؤساء الناس وامثالهم يقع كشفت
الغمّة بقلب ثابت فمنع قوله تعالى يوم مشهود يوم يشهد فيه الخلايق الموقف
لا يغيب عنه احدٌ فالمشهود هو الموقف والشاهدون الخلايق والمشهود
فيه اليوم قوله ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه جواب عما يقال ما دعاك
الى ان تجعل اليوم مشهودا فيه وان تحمل المشهود من قبيل ما حذف فيه حرف الجر
اتساعا كما فى قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فان الشهر منتصب ظرفا
لا مفعولا به وكذلك الضمير فى فليصم فمن شهد منكم فى الشهر فليصم فيه
على ما مضى فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه فى شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبت
الشهر على انه مفعول به وجعلت الشهر مشهودا كان مدلول الآية ايجاب
الصوم على كل من ادرك الشهر مقيما كان او مسافرا الا ان المسافر والمقيم
كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر فحلا تجعله ابتداء
مشهودا فى نفسه مع ان اليوم كما يصح ان يوصف بانه مشهود فيه بمعنى يشهد
فيه الخلايق من كل ناحية لامر له شان او لخطب يهتمهم كيوم الجمعة والعيد وعرفة
يصح ان يوصف ايضا بانه مشهود اى مُدرَك كما تقول ادركت يوم فلان وشهد
فلان فيهم عيّنت كونه مشهودا على الاتساع وتقدير الجواب ان المقام
مقام تهويل اليوم وتفظيعه وتمييزه عن سائر الايام وهذا المقصود انما يحصل
بجعل اليوم مشهودا فيه لان الايام كلها سواسية فى كونها مشهودا الى الله كما
وليست كذلك فى كونها مشهودا فيها فان الفرق بين الصورتين فى غاية الظهور

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لانه لايقال مشهود فيه الا يوم يشهد فيه الخلايق من كل اوب لامر لشان او لخطب يهتم كيوم العيد والجمعة وعرفة وايام الحروب وقدوم السلطان ويقال يوم ادركه احد قوله اى الجزاء على ان يكون عدم ذكر فاعل ياتى من قبيل الابهام لقصد التعظيم والتهويل كانه قيل يوم ياتى الشئ المهيب الهائل المعظم وتعيين الجزاء مستفاد من سوق الكلام قوله او اليوم فان قيل يوم ياتى اليوم معناه يوم يوجد اليوم لان اتيان اليوم وجوده فيكون للزمان زمان وانه محال وايضا اليوم انما يضاف لاجل تحريم وتعيينه واضافته الى اتيان اليوم تستلزم تحديد الشئ بنفسه واليوم انما يتعين بما وقع فيه لانه اجيب بان الكلام مبنى على تقدير المضاف والمعنى يوم يأتى هوله ووجود هول اليوم ليس وجود نفسه فلا يلزم ماذكر قوله بما ينفع وينجى قيد به لئلا ينافيه الآيات الدالة على انهم يتكلمون بدون سبق الاذن كقوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها بل على انهم يكذبون ويحلفون بالله عليه كقوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فلما ناقض قوله تعالى لاتتكلم نفس من النفوس الا باذنه هذه الآيات بحسب الظاهر خصص الكلام المدلول عليه بقوله لاتتكلم بالكلام النافع المنجى وقرينة التخصيص قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ولا يلزم من كون الكلام المتعلق بجلب النفع او دفع الضر موقوفا على الاذن ان يكون جميع ما صدر من اهل الموقف سبوقا بالاذن ثم لما ورد ان يقال هذه الآية تدل على ان بعض النفوس تتكلم بالاذن وينا قضه قوله تعالى هذا يوم لاينطقون الآية فانه يدل على انهم لاينطقون اصلا ولا يؤذن لهم اجاب عنه بوجهين لايخفى محصولهما قوله تعالى فمنهم شقى وسعيد ظاهره يدل على ان اهل الموقف لايخرجون عن هذين القسمين الذين احدهما مخلد في النار ابدا ماشاء ربك وثانيهما مخلد في الجنة ابدا الا ماشاء ربك فيلزم ان يكون اطفال المشركين والمجانين الذين لم يعملوا صالحا ولا كفرا غير خارج عنهما فان قلت انهم من اهل الجنة فبلا ايمان فان قلت انهم من اهل النار فبلا ذنب روى عن ابى هريرة انه قال سئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن اطفال المشركين انهم من اهل الجنة او من اهل النار فقال عم الله اعلم بما كانوا عاملين من الكفر والايمان ان عاشوا وبلغوا واعلم ان امرهم فيما يتعلق بالامور الدنيوية تبع لاشرف الابوين وهو معنى قوله عم حيث قال من آبائهم وفيما يتعلق بالامور الآخرة من الثواب والعقاب موقوف موكول الى علم الله تعالى لان السعادة والشقاوة ليستا معللتين عندنا بالاعمال بل الله تعالى خلق من شاء سعيدا ومن شاء شقيا وجعل الاعمال دليلا على السعادة والشقاوة وانت تعلم ان عدم الدليل وعدم العلم به لايوجبان عدم المدلول والعلم بعدمه وكما ان البالغين منهم شقى ومنهم سعيد كذلك الاطفال والمجانين قوله فالمراد منهما الدلالة على شدة كربهم فان الانسان اذا عظم غمه وقوى كربه في داخل قلبه انحصرت حرارة العزيزية وروحه الحيوانى وعند ذلك يحتاج الانسان الى ان يرد نفسه الى داخل قلبه على مقدار قوته وقدرته على شدة التنفس حتى يتروح تلك الحرارة القوية بدخول الهواء البارد ثم ان تلك الحرارة لما كانت محصورة في داخل القلب استولت البرودة على الاعضاء الخارجة فربما عجزت النفس عن دفع ذلك الهواء الكثير المستنشق فيبقى ذلك الهواء الكثير منحصرا في الصدر ويقرب من ان يخنق الانسان منع في بحتهد الطبيعة في اخراج ذلك الهواء فعلى قياس قول الاطباء الزفير هو استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة في القلب بسبب انحصار الروح فيه والشهيق هو اخراج ذلك الهواء عند مجاهدة الطبيعة في اخراجه وكل واحدة من هاتين الحالتين يدل على شدة الكرب والغم بطريق دلالة اللازم على ملزومه فكان اثبات الزفير والشهيق لهم تخييلا لتشبيه حالهم بحال من استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه فيكون قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق استعارة مكنية وتخييلية ويحتمل ان يكون الزفير والشهيق مستعارا لصراخهم تشبيها له بصوت الحمار قوله وقرئ شقوا بالضم ان بضم الشين على شقى متعديا حيث يقال شقاه الله كما يقال اشقاه الله والجمهور على فتح الشين على انه من شقى اللازم قوله ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامها يعني ان كلمة ما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في قوله مادامت مصدرية والمصدر المؤول قايم مقام الظرف والمعنى
خالدين فيها مدة دوام السموات والارض ومن المعلوم من النصوص القاطعة
ان مدة بقاءهما متناهية فيلزم ان يكون دوام الاشقياء في النار مرتبطا
بدوامهما فيلزم ان يكون عذابهم منقطعا عند فنائهما او تكونا دائمتين كدوام
عذابهم لان ظاهر هذه الآية يدل على ان مدة عقابهم مساوية لمدة بقائهما و
كلاهما باطل فاجاب المصنف عنه بان ظاهر الآية وان دل على ان دوامهم في النار
مرتبط بدوامهما الا انه ليس المراد من توقيت خلودهم فيها بدوامهما بيان ان
الخلود مقدر بمدة دوامهما او منتهٍ عند فنائهما لان النصوص القاطعة تنفي ان
يكون الامر كذلك بل التوقيت المذكور للتعبير عن التأبيد وعدم الانقطاع
والمبالغة فيه بما كانت العرب يعبرون به عن ذلك كقولهم لا افعل كذا مادامت
السموات والارض وما حنت النيب وما اكلت الابل وما ورق الشجر
وما ينع الثمر وما سال سيل وما جن ليل وما طرق طارق وما نطق ناطق
فانهم يعبرون بمثل هذه الالفاظ عن التأبيد والمبالغة في الدوام على طريق
التمثيل ما قصد تأبيد دوامه بدوام هذه الامور بناء على ان هذه الاشياء
باقية ابدا الآباد فيتمثلون ما قصد تابيد بها في التأبد وعدم الزوال بناء على
اعتقادهم فلما كان هذه الالفاظ بحسب عرفهم يفيد الابد والدوام الخالي عن
الانقطاع خاطب الله تعالى العرب على عرفهم واعتقادهم ولئن سلمنا ان التوقيت
المذكور لبيان ارتباط دوامهم في النار بدوامهما لكن لانم انه يلزم من زوال
عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا انه من قبيل المفهوم لان الآية بمنزلة ان يقال
ان دامتا يدوم عذابهم فيفهم منه ان دوام عذابهم يستلزم دوامهما بحكم ان
تحقق اللازم يستلزم تحقق الملزوم ويفهم منه ايضا ان عدم دوامهما يستلزم
عدم دوام عذابهم بحكم ان عدم الملزوم ملزوم لعدم اللازم وقد تقرر ان المفهوم
لا يعارض المنطوق وهو دوام عذابهم وانقطاع دوامهما قوله وقيل الى
قيل ان التوقيت المذكور لبيان ارتباط دوام عذابهم بدوام سموات الآخرة
وارضها فهو بمنزلة ان يقال ان دامتا يلزم دوام عذابهم وان دام عذابهم

يلزم
دوامهم

يلزم دوامهما فلا محذور قوله وان اهل الآخرة لا يظلهم من مظل ومقل فما
اظلم سماء وما اقلهم ارض لان كل ما علاك فهو سماء وكل ما استقرت عليه قدمك
فهو ارض واعترض المص على الجواب بان دوام السموات والارض انما ينقطع
لو كان المراد سموات الدنيا وارضها وليس كذلك لان الكلام فيما بعد الحشر
بل المراد سموات الآخرة وارضها وهي دايمة بقوله وفيه نظر وبيانه ان محصول
قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض تشبيه عذابهم في دوامه
بدوام السموات والارض ومن المعلوم ان التشبيه انما يفيد اذا كان
اتصاف المشبه به بوجه الشبه اظهر واعرف بالنسبة الى اتصاف المشبه
به وذلك يستلزم ان يكون نفس وجه المشبه به ايضا ظاهرا معروفا والحال
ان اكثر الخلق لا يعرف وجه سموات الآخرة وارضها فضلا عن دوامها ومن
عرف دوامهما فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فيكون اتصاف
المشبه بوجه الشبه اعرف بالنسبة اليه فلا يجدي له التشبيه واجاب عنه صاحب الكشف
بقوله اقول اما اذا اريد ما يظلهم وما يقلهم فهو ظاهر السقوط لان هذا القدر معلوم
الوجود لكل عاقل واما الدوام فليس مستفادا من دليل دوام الثواب والعقاب
بل مما يدل على الدوام الجنة والنار سواء عرف انهما دار الثواب والعقاب وان
اهلها السعداء والاشقياء ومن الناس اولا على انه ليس من باب تشبيه يعرف بما
لا يعرف بل الامر بالعكس انتهى كلامه ووجه كونه من باب تشبيه ما لا يعرف بما يعرف
انه شبه تلك الدار بهذه الدار واثبت لها ما لهذه الدار من المظلة والمقلة
والجامع كونهما جسمين قوله الا ما شاء ربك استثنى من الخلود والمستثنى
منه الزمان المدلول عليه بقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض
اى الا الزمان الذى اوان زمانا شاء ربك فلا يخلدون فيه على ان ما
موصولة او موصوفة ويحتمل ان يكون المستثنى منه الضمير المستتر في خالدين
فيكون كلمة عبارة عمن يعقل على راى من يرى ذلك قيل الحق الذى لا محيد
عنه ان يحمل ما على معنى من لافادة معنى الوصفية وهى المرصونة لتوذن
ان اخراجهم لبعض مشية وسبق رحمة لاستحقاق منهم فينطبق عليه قوله تعالى

ان ربك فعال لما يريد وان قوله خالدين فيها حال مقدرة من ضمير الاستقرار
في الظرف وهو قوله في النار وانت تعلم ان الحال قيد للحكم فاذا انتفى الحكم
عن البعض بالاستثناء ينتفي مقيدا والمعنى ان الذين شقوا مستقرون
في النار مقدرين الخلود الا المرحوم الذي شاء الله لا يستقر مخلدا فيفيد
اما ان لا يستقر فيها مطلقا او يستقر غير مخلد واحوال العصاة على
هذا النهج كما علم من النصوص الصحيحة نقل الامام عن بعض المفسرين
انهم قالوا هذا الاستثناء يفيد اخراج اهل التوحيد من النار لان قوله
تعالى واما الذين شقوا ففي النار يفيد ان جملة الاشقياء محكوم عليهم بهذا
الحكم ثم قوله الا ما شاء ربك يوجب ان لا يبقى ذلك الحكم على ذلك المجموع ويكفي
في زوال حكم الخلود عن المجموع زواله عن بعضهم فوجب ان لا يبقى حكم الخلود
لبعض الاشقياء ثبت ان الخلود واجب للكفار وجب ان يقال ان الذين زال
حكم الخلود عنهم هم الفساق من اهل الصلوة وكذا قوله واما الذين سعدوا
ففي الجنة يفيد ان جملة السعداء محكوم عليهم بهذا الحكم وقوله الا ما شاء ربك
اوجب زوال حكم الخلود في الجنة عن المجموع ويكفي في زواله عن الجميع زواله عن
البعض وما ذلك البعض الا الفساق من السعداء وليس زوال حكم الخلود
عنهم بان يدخلوا الجنة ثم يخرجوا منها الى النار لان الامة قد اجمعوا على انه يمتنع
ان يقال ان احدا يدخل الجنة ثم يخرج منها الى النار وان كل من يدخل الجنة
فهو خالد فيها بعد دخوله فيها بل المراد من زوال حكم الخلود عنهم عدم دخولهم
فيها من اول الامر فهم ما خلدوا فيها تخليدا من دخلها اول وهلة فان الدخول
في مكان كما ينتفي بالانتقال عنه انتهاء ينتفي ايضا بان لا يدخلها ابتداء و
الفساق مفارقون عن الجنة ايام عذابهم قوله اولان اهل نيقلون منها
الى الزمهرير وغيره الخ تعليل ثان لكون الاستثناء من الخلود في النار
معطوف على قوله لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وقوله
او من اصل الحكم عطف على قوله من الخلود في او المراد باصل الحكم كونهم في النار
وهو اصل بالنسبة الى قيده الذي هو خلودهم فيها فكانه تعالى قال فاما الذين

شقوا

شقوا ففي والا وقت وقوفهم في الموقف للحساب فانهم في ذلك الوقت
لا يكونون في الجنة قوله او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ عطف على قوله
زمان توقفهم في الموقف كانه قيل خالدين فيها الا مقدار لبثهم في الدنيا
والبرزخ قوله وقيل هو الاستثناء من قوله لهم فيها زفير وشهيق
كانه قيل لهم فيها زفير وشهيق في جميع ازمنة كونهم في النار الا زمانا ما شاء
ربك ان ينقطع ذلك منهم بان يصيروا ساكتين خامدين قوله وقيل الا بمعنى
بمعنى سوى والمعنى انه تعالى لما قال خالدين فيها ما دامت السموات والارض فهم
منه انهم يكونون في النار في جميع مدة بقاء السموات والارض ثم قال سوى
ما زاد على ذلك من الخلود الدائم ثم ذكر اقلا زوال خلودهم ما ليس عند العرب مدة
الحول منها زاد عليها الدوائم الذي لا آخر بقوله الا ما شاء ربك اي سوى
ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها ثم قال تعالى ان ربك فعال لما يريد
حيث قهر كافة الاشقياء بالخلود في النار واستثنا منهم الذين تعلق مشيته
بمغفرتهم وانجائهم منها وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ليأتين على جهنم
زمان ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة مثله
ومعناه عند اهل السنة انه لا يبقى فيها احد من اهل الايمان واما مواضع الكفار
فممتلئة ابدا واعلم انه تعالى قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما حل بهم
من عذابه ثم اتبعه بذكر ما اعد للاشقياء والسعداء شرح لرسول الله صلى الله
عليه وسلم احوال المشركين من قومه تسلية وعدة بالانتقام منهم وعيدا لهم فقال
تعالى فلا تك في مرية اصله فلا تكن حذفت النون لكثرة الاستعمال ولان النون
الساكنة لم تبق عند التلفظ به الا مجرد الغنة فاذا وقعت في آخر الكلمة الذي هو
محل التغيير تحذف تشبيها لها بحروف العلة والمعنى اذا تبين عندما قصصت
لك من قصص المتقدمين من المشركين فلا تكن في شك من عبادة هؤلاء الحاضرين
من المشركين في انها ضلال يجب العاقبة على ان ما مصدرية ويجوز ان يكون موصولة
اي من حال الذي يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ثم قال على سبيل الاستيناف ما يعبدون
الا كما يعبد آباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال اسلافهم من غير تفاوت بين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحالين قوله لتقييد التوفية يعني ان قوله غير منقوص حال مؤكدة من المفعول
وهو النصيب الموفى فان التوفية الحق اعطاؤه تاما كاملا فالموفى لا يجوز
ان يكون ناقصا فيجب ان يكون سبيل قوله غير منقوص سبيل الحال المؤكدة
وهي ان تقرر مضمون الجملة لدفع توهم التجوز كما في قوله تعالى ثم وليتم
مدبرين فان قوله انا الموفوهم نصيبهم لو لم يقيد بقوله غير منقوص لتوهم
ان قوله لموفوهم يعني لمعطوهم ولو مجازا فلما قيد به اندفع التوهم فكان
حالا مؤكدة ثم انه تعالى لما بين في الآية الاولى اصرار كفار مكة على انكار
التوحيد بين ايضا اصرارهم على انكار نبوة عم وتكذيبهم بكتابه فانزل الله
تعالى قوله ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه تسلية لرسول الله
صلى الله عم كاني قبل ان اختلف فيما أنزل عليك فلا يشقن عليك فقد
اختلف فيما انزل على من قبلك قوله وقرأ ابن كثير وابو بكر ونافع بالتخفيف
اي باسكان النون في قوله وان كلا والباقون بتشديدها وكذا انهم قرؤا لما
بتخفيف الميم فان من قراءه بتشديد اعاصم وابن عامر وحمزة والباقون
يخففون الميم ومن قرأ ان مخففة يجعلها اعتبارا للاصل لان الفعل يعمل بعد
التخفيف كما كان يعمل بدون التخفيف نحو لم يك زيد قائما فكذلك الحرف الذي
يعمل بمشابهة الفعل واعمال المخففة لغة ثابتة على الوجوب سمع من واحد
منهم وهو يقول ان عمرا لمنطلق وقال آخر كان ثديه حقان ووجه تخفيف
لما ما ذكره المص من ان اللام فيه هي الموطئة للقسم واللام في ليوفينهم لام الابتداء
او بالعكس اللام الاولى ابتدائية والثانية لام جواب قسم مضمر والجملة من القسم
وجوابه خبر ان ولما اجتمع اللامان فصل بينهما بما كما فصل بالالف بين النونين
في يضربنان وبين الميم نيابة في آانت فتكون كلمة ما ههنا زايدة بها للفصل
اصلاحا للفظ ووجه في لما ان اصله لمن ما بكسر الميم على انها من الجارة دخلت
على ما الموصولة او الموصوفة والمعنى لمن الذي او الله ليوفينهم او لمن خلق او جماعة
و الله ليوفينهم فلما اجتمعت النون ساكنة مع ميم ما وجب ادغامها فيها فقلبت
ميما وادغمت فاجتمع في اللفظ ثلث ميمات فحذفت اولاهن فصار بما

قوله

قوله وقرئ لما بالتنوين فيكون لما مصدر قولك جئته لما اي جمعته لما وانتصابه
على انه صفة كل على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة والتقدير وان كلا جميعا
ان مجموعا ليوفينهم جزاء اعمالهم والمصدر ههنا بمعنى المفعول اي كلا مجموعا
وصف به الكل للدلالة على الاجتماع فان الكل يحتمل الاجتماع والافتراق ونقل
عن ابي جني انه قال لما بالتنوين مصدر كالذي في قوله تعالى وتأكلون
التراث اكلا لما اي اكلا جامعا للاجزاء الماكول ولكذلك تقدير هذا وان كلا لما
ربك اعمالهم لما اي ليوفينهم توفية جامعة لاعمالهم جميعا ومحصلة لاعمالهم
تحصيلا فهو كقولك قياما لا قوسا وقعودا لا قعدن يعني ان قوله لما في هذه
القراءة منصوب بقوله ليوفينهم كما قيل ما لا قوسا وقال ابو البقاء وانتصابه
على الحال من ضمير المفعول في ليوفينهم ضعيف قوله وان كلا لما عطف على
قوله لما بالتنوين اي وقرئ وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا كما في قوله
تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ اي ما كل نفس الا عليها حافظ بتشديد الميم فالله
والباقون بتخفيفها وصرح المص في سورة الطارق بان لما المشددة بمعنى الا وان
نافية ومعنى الآية ان من عجلت عقوبته ومن اخرت ومن صدق الرسل ومن
خالفهم سواء في انه تعالى يوفيهم جزاء اعمالهم في الآخرة فجمعت الآية الوعد والوعيد
لان توفية جزاء الطاعات وعد عظيم وتوفية جزاء المعاصي وعيد عظيم وقوله
انه بما يعملون خبير تاكيد للوعد والوعيد فانه لما كان عالما بجميع المعلومات كان
عالما بمقادير الطاعات والمعاصي فكان عالما بالقدر اللائق بكل عمل من الجزاء فلم
لا يضيع شيء من الحقوق وفي ذكر نهاية البيان وقراءة العامة يعملون بياء الغيبة
اجراء على ما تقدم من الخطاب في ليوفينهم وقرئ بما تعملون على الخطاب التفاتا من الغيبة
الى الخطاب وقوله تعالى بعيد هذا انه بما تعملون بصير مخالف لهذا فان العامة
قرؤه بتاء الخطاب جريا على الخطاب المتقدم وقرئ بياء الغيبة التفاتا
من الخطاب الى الغيبة قال الامام وعندي لا يجوز تخصيص النص بالقياس
لانه لما دل عموم النص على حكم وجب الحكم بمقتضاه لقوله تعالى فاستقيم
كما امرت والعمل بالقياس انحراف عنه وكذا لما ورد القرآن بالامر باعمال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الوضوء فى الاعضاء مرتبة فى اللفظ وجب الترتيب فيها ولما ورد الامر فى الزكوة
باداء الابل من الابل والبقر من البقر وجب اعتبارها وكذا القول فى كل ما ورد
امر الله به كل ذلك بقوله تعالى فاستقيم كما امرت قوله بقال ولا تكفوا
بفتح الكاف على انه من باب علم فى قراءة العامة وقرئ بضم الكاف ايضا على
انه من باب قتل يقتل وقوله فتمسكم منصوب باضمار ان فى جواب النهى
وقوله وما لكم الآية حال من مح مفعول فتمسكم اى تمسكم حال انتفاء ناصركم
ويجوز ان يكون مستانفة وقوله ثم لا تنظرون جملة فعلية معطوفة على الاسمية
قبلها وقرئ ثم لا تنصر والحذف لنون الرفع عطفا على تمسكم وكلمة ثم فيه اما
لاستبعاد نصرة الله تعالى اياهم مع تحقق سبب العذاب بسبب ركونهم او
لانزله منزلة الفاء السببية فى الدلالة على ان مساس النار بهم حال انتفاء
ناصر بهم سبب لانتفاء كونهم منصورين بالكلية مع الدلالة على استبعاد النصرة
مطلقا ثم انه تعالى لما اوعده عم بالاستقامة فى العقايد والاعمال التى من جملتها
اقامة الصلوة اردفه بالامر باقامتها خاصة تنبيها على ان اعظم العبادات بعد
الايمان بالله هو الصلوة وقوله طرفى النهار ظرف لاقم والظرف وان لم تكن
موضوعة للظرفية الآنة لما اضيف الى الظرف اعرب باعرابه ونظيره قولك
فعلته اول النهار وآخره ونصف الليل فان هذه كلمات منصوبة على
الظرفية لكونها مضافة الى الظرف وقراءة العامة زلفا بضم الزاى وفتح
اللام وهى جمع زلفة بسكون اللام كغرف جمع غرفة وقرئ زلفا
بضمتين وهو جمع زلفة ايضا وضم اللام للاتباع كما قالوا فى جمع بسرة بسر
بضم السين اتباعا لضمة الباء وقرئ زلفا بضمة وسكون على انه مخفف
من القراءة بضمتين كما قالوا بسر وبسر فى جمع بسرة وقرئ زلفى بمعنى زلفة
فان تاء التانيث والفه يتعاقبان فى كثير من المواضع نحو قربى وقربة
وقول المص وساعات منه قريبة من النهار اشارة الى ان الزلفة اول ساعات
الليل وانه منصوب على الظرفية لعطفه على ظرف النهار قال الامام كثرت
الاقوال فى تفسير طرفى النهار والاقرب ان الصلوة التى تقام فى طرف النهار

ما الفجر

هما الفجر والعصر وذلك لان احد طرفى النهار طلوع الشمس والطرف الثانى منه غروب
الشمس فالصلوة التى تقام فى الطرف الاول هى صلوة الفجر والتى تقام فى طرف الثانى
لا يجوز ان تكون صلوة المغرب لانها داخلة فى التى تقام من الليل فوجب
حمل ما تقام فى الطرف الثانى على صلوة العصر اذا عرفت هذا كانت الآية دليلا
على قول ابى حنيفة رح فى ان التنوير بالفجر افضل وفى تاخير العصر افضل
وذلك لان ظاهر هذه الآية يدل على وجوب اقامة الصلوة فى طرفى النهار وبينا
ان طرفى النهار هو الزمان الاول لطلوع الشمس والزمان الاول لغروبها واجمعت
الامة على ان اقامة الصلوة من غير ضرورة غير مشروعة فقد تعذر العمل بظاهر
بظاهر هذه الآية فوجب حمله على المجاز وهو ان يكون المراد اقم الصلوة فى الوقت
الذى يقرب من طرفى النهار لان ما يقرب من الشئ يجوز ان يطلق عليه اسم ذلك
الشئ واذا كان كذلك فكل وقت كان اقرب الى طلوع الشمس والى غروبها كان
اولى بظاهر اللفظ واقامة صلوة الفجر عند التنوير اقرب الى وقت الطلوع من
اقامتها عند التغليس وكذلك اقامة صلوة العصر عند ما يصير ظل كل شئ مثله
والمجاز كلما كان اقرب الى الحقيقة كان حمل اللفظ عليه اولى فثبت ان ظاهر
هذه الآية يقوى قول ابى حنيفة فى هاتين المسئلتين فظهر بهذا مستند قول المص
لان صلوة الصبح اقرب الصلوة من اول النهار ثم قال واما قوله وزلفا
من الليل فهو يقتضى الامر باقامة الصلوة فى ثلث زلف من الليل لان اقل الجمع
ثلثة والمغرب والعشاء وقتان فيجب الحكم بوجوب الوتر حتى يحصل زلف يجب
ايقاع الصلوة فيها واذا ثبت وجوب الوتر فى حق النبى عم وجب فى حق
الامة ايضا لقوله فاتبعوه ونظير هذه الآية بعينها قوله تعالى فسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فالذى قبل طلوع الشمس هو صلوة الفجر والذى
قبل غروبها هو صلوة العصر ثم قال ومن آناء الليل فسبح وهو نظير قوله وزلفا
من الليل قال سعيد بن جبير طرفا النهار الغداة والعشى فصلوة طرف
الغداة صلوة الفجر والتى فى طرف العشى الظهر والعصر وفى الخبر سهى رسول الله
عم فى احدى صلوتى العشاء اما الظهر واما العصر ونقل الامام الواحدى عن ابن

عباس انه قال في قوله تعالى طرفي النهار يريد الصبح والظهر والعصر وهو مجاهد
ومحمد بن كعب وقال الزجاج صلوة طرفي النهار الغداة والظهر والعصر ذهب
ابن عباس وعامة اهل التفسير ان تعريف الحسنات للعهد الخارجي والمراد ان الصلوة
الخمس يكفرن ما بينهن من الذنوب وعن مجاهد ان الحسنات هي قول العبد
سبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قوله
فهلا كان اشارة الى ان كلمة لو لا تحضيضية دخلها معنى التوبيخ عليهم فكان قريبا
من اسلوب قوله تعالى يا حسرة على العباد ومن القرون يجوز ان يتعلق
بكان لانها هنا تامة اذ المعنى فهلا وجد من القرون او حدث ونحو ذلك ويجوز ان
يتعلق بمحذوف على انه حال من اولو بقية لانه لو تاخر عنه لجاز ان يكون نعتا له
ومن قبلكم حال من القرون وينهون حال من اولو بقية لتخصصه بالاضافة
ويجوز ان يكون نعتا لاولو بقية وهو اولى لما بين الله تعالى ان الامم المتقدمين
حل بهم عذاب الاستيصال بين ان السبب فيه احد امرين الاول انه ما كان فيهم
قوم ينهون عن الفساد في الارض ومعنى الآية فهلا كان من القرون التي اهلكناهم
من قبلكم اولو بقية يقومون بالنهي عن الفساد ومعناه مجدا انه لم يكن فيهم اولو بقية
والسبب الثاني لنزول عذاب الاستيصال بهم ما ذكره بقوله واتبع الذين ظلموا
ما اترفوا فيه وقرا العامة بقية بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء
وفيها وجهان احدهما انها صفة على فعلية بفتح فاء ثم غلبت الاسمية عليها
حيث لم يحتج الى ذكر الموصوف واجريها عليه بل جعل عبارة عن كل ما طلق عليه
الخير من العقل والتمييز والتدبير والفضل فلذلك دخلت التاء فيها فانها
قد تدخل على الصفات لتدل على غلبة الاسمية عليها كالنطيحة والذبيحة والوجه
الثاني ان يكون مصدرا بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوا بقاء
على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه قوله وانما استثنى بقية بمعنى
ان البقية بمعنى الصفة الفاضلة والاخلاق المرضية بناء على ان الاستبقاء مما
لوازم الخيرية والجودة فان الرجل انما يستبقي افضل ما يجتل كرجه ويكسبه
قوله لكن قليلا منهم انجيناهم يعني ان قوله الا قليلا استثناء منقطع لانه

على حمل الكلام السابق على ظاهره وهو التحضيض فلو جعل الا قليلا استثناء
متصلا من حكم المحضضين لكان المعنى الا قليلا فانهم لم ينهوا ولم ينهوا
لم كانوا ينهون ولان من شان الاستثناء المتصل ان يصح سلب ما للمستثنى منه
عن المستثنى واثبات ما ليس للمستثنى منه للمستثنى كقولك جاءني القوم الا زيدا
فانه ما جاءني وما جاءني احد الا زيدا فانه ما جاءني وما جاءني احد الا زيدا فانه جاءني
بخلاف ما اذا حمل الكلام على ظاهره بل اريد به النفي اللازم للتحضيض ضرورة
ان التحضيض على الشيء انما يكون بانتفائه فانه ح يصح ان يجعل الاستثناء متصلا
فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا وهو معنى صحيح غاية ما في الباب
انه انتصب المستثنى في غير الموجب مع ان الافصح ان يرفع على البدل والمحذور
فيه كيف وقد قرئ ما فعلوه الا قليل منهم بالرفع وكلمة من في قوله تعالى انجينا
حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض وقولك لا ينبغي البيان والمبين شيء واحد كما في
قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فعلى تقدير جعلها للبيان يكون القليل
الذين نهوا هم الناجون وحدهم اي دون غيرهم ويكون الكثير الذين لم ينهوا محكوما
عليهم بالعذاب وهذا المعنى مطابق لما جاء في سورة الاعراف من قوله تعالى
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب وانما اذا حمل على
التبعيض يكون ممن انجينا بدلا من قليلا فيلزم ان يكون الناهون بعضهم الناجين
ويكون بعض الناجين غير ناهين وليس كذلك على ما مر من ان كلا من هو غير ناه
محكوم عليه بالعذاب قوله ما اترفوا فيه اي انغمسوا فيه من الشهوات
يريد ان الاتراف افتعال من الترف وهو النعمة يقال صبي مترف اي منعم
بسبب البدن وفي شانه وفي الكشاف واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والتترف
من حب الرياسة والتزوي وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك
ونبذوه وراء ظهورهم جعل الشهوات مترفا فيها الى منعما فيها بناء على اعتقادهم
ان تنعمهم في ضمنها قوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام كما مر من ان
التحضيض يدل على انتفاء المحضض عليه ولم يجز عطفه على انجينا لانه صلة لما
ويمتنع وقوع واتبع صلة ولا منع لجعله حالا من انجينا لان انجاء القليل ليس

في حال اتباع الكثير الشهوات فتعين جعله عطفا على مقدر الا ان صاحب الكشاف
جعله معطوفا على نهوا المقدر خبر الا يخفى لكن والمص عطفه على ما دل عليه جملة
التحضيض ولعله نظر الى ان فيما اختار، عطف احد سببي الاستيصال على الآخر الا انه
وضع الظاهر موضع المضمر في قوله واتبع الذين ظلموا للتصريح بان اتباع الشهوات
ظلم منهم وانه هو المؤدي الى الاستيصال وبهذه المناسبة منتفية فيما اختار،
صاحب الكشاف قوله وقرى واتبع بضم همزة القطع وسكون وكسر التاء
على بناء المفعول من باب الافعال ولابد من حذف مضاف اى واتبعوا جزاء
ما اترفوا فيه وما كحوزان يكون بمعنى الذى وهو الظاهر لرجوع فيه اليه ويجوز
ان يكون مصدرية اى جزاء اترافهم فلا يحتاج الى تقدير المعطوف عليه لصحة جعل
الواو للحال بتقدير قد كانة قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاء اترافهم
وهو ترتيب حسن لانة ذكر اولا انجاء الناهين ثم بين هلاك الذين لم ينهوا كانة
قيل وانجينا القليل واتبع الذين ظلموا جزاءهم اى بهلكوا فيكون وصول الجزاء
الى الكثير في مقابلة انجاء القليل وايضا لا يحتاج ح الى تقدير المعطوف عليه بقوله
واتبع لان الواو ح للحال بخلاف ما اذا قرئ واتبع على بناء الفاعل وكان المعنى
واتبعوا الشهوات فانة لا وجه لجعله حالا كما تر الا ان يقدر المضاف على
القراءة المشهورة ايضا ويكون المعنى انهم اتبعوا جزاء اترافهم فح يصح ان
يجعل قوله واتبع الذين ظلموا حالا كانة قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين
ظلموا جزاء اترافهم وهو معنى قول المص ويجوز ان يفسر به المشهور اى
بان يحمل الكلام على تقدير المضاف ويقصد تقدم الانجاء فان تقدم ذكر انجاء
الناهين نيابة ان يتبين هلاك الذين لم ينهوا ثم انة تعالى لما بين ان سبب
اهلاك الامم السالفة امران فشو الظلم فيما بينهم واتباعهم الشهوات بين
انة ليس من شانه ولا يصح له ان يهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين
في المعاملات الواقعة فيما بينهم والحاصل ان عذاب الاستيصال لا ينزل لاجل
كون القوم معتقدين للشرك والكفر بل انما ينزل ذلك العذاب اذا انضاف
في المعاملات وسعوا في ايذاء الخلق وظلمهم ولهذا قال الفقهاء ان حقوق

الله تعالى مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على الضيق
والشح ويقال في الاثر الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم واللام في قوله تعالى
ليهلك لام الجحود وينتصب الفعل بعدها باضمار ان وهي متعلقة بخبر كان المحذوف
والتقدير وما كان الله مريدا الاهلاك اهل القرى بمجرد الظلم والمراد به ههنا الشرك
لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وهذا مذهب البصريين وقال الكوفيون يهلك
خبر كان زيدت اللام فيه دلالة على التاكيد وبظلم متعلق بيهلك والباء فيه سببية
وجوز الزمخشري ان يكون حالا من فاعل ليهلك وقوله واهلها مصلحون جملة
حالية قوله الا اناسا اى اشار الى ان الاستثناء متصل من الضمير في مختلفين
وان جاز كونه استثناء من فاعل يزالون ولا ضرورة تدعو الى جعله استثناء
منقطعا بمعنى لكن من رحم لم يختلفوا قوله واللام للواقية لا للعلة لان افعاله
تعالى غير معللة ولانة تع لو خلقهم للاختلاف واراد منهم ذلك لكان لاكبوا ان
يعذبهم عليه اذ كانوا مطيعين له تعالى بذلك الاختلاف ولان الآية ح تكون
مخالفة لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قوله او اليه والى
الرحمة اى ان كان الضمير للناس يجوز ان يكون الاشارة الى الاختلاف والى
الرحمة كما قال ابن عباس رضه في رواية عطاء يريد انة خلق اهل الرحمة للرحمة
واهل الاختلاف للاختلاف وخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق
لها اهلا وهذا اختيار الفراء والزجاج وقال الزجاج ويدل على صحة هذا قوله
تعالى بعد وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قال الكلبي
يريد من كفار الجن وكفار الانس وهذا تصريح بانة تعالى خلق اقواما للهداية
والجنة واقواما آخرين للضلالة والنار واجمعين تاكيد والاكثر ان يسبق
بكل وقد جاء ههنا بدونها قوله وكلا نقصّ الخ ان كلا منصوب
على انة مفعول به قدم على عامله وتنوينه عوض عن المضاف اليه المحذوف
ومن انباء بيان له او صفة وما نثبت بيان لكلا او منصوب باضمار اعني
او بدل من كلا قوله وفائدة اى فائدة اى اراد قوله ما نثبت به فؤادك
على سبيل البيان او للدلالة التنبيه فانة عم اذا سمع هذه القصص وعلم

ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم مثل حالهم مع امته تستهل عليه تحمل اذى قومه وقومه
امكنه الصبر عليه فان الانسان اذا ابتلى بمحنة وبلية فرآى جامعة يشاركون له
فيها خف على قلبه بليته كما يقال البلية اذا عمت خفت وطابت ومع ذلك يحصل له
عم بسماع تلك القاصيص من زيادة اليقين وطمانينة القلب فيما يتعلق
بكمال قدرة الله تعالى وحكمة ورحمة على عباده ما لا يطلع على كنهه الا هو قوله
او مفعول عطف على قوله بيان لكيلا اى ويحتمل ان يكون ما تثبت مفعول نقص
ويكون كلا منصوبا على المصدر بان يكون تنوين كلا عوضا عن المضاف اليه
المحذوف الذى هو الاقتصاص وذهب اكثر المفسرين الى ان هذا فى قوله
تعالى وجادل الحق فى هذا اشارة الى هذه السورة الكريمة وتخصيصها بالحكم
بمجئ الحق فيها مع ان ما جاء فى جميع السور حق يحق تدبره واذعانه
والعمل بمقتضاه تشريفا لها ورفعا لمنزلتها قوله اشارة الى سائر فوائد
العامة يعنى ان ايراد القصص المذكورة فى هذه السورة له فائدة تامة يختصان به
عم اشار اليهما بقوله وكلا نقص وبقوله وجاءك فى هذه الحق فائدة ثالثة
يعم المؤمنين اشار اليها بقوله وموعظة وذكرى قوله قراءة نافع وحفص يرجع
بضم الياء وفتح الجيم اى يرد وقراءة الآخرون بفتح الياء وكسر الجيم اى يعود
الامر كله اليه حتى لا يكون للخلق امر بوجه ما قوله تعملون انت وهم اشارة
الى انه اختار قراءة نافع وحفص وابن عامر وهى التاء بناء الخطاب على
تغليب الخطاب على الغيبة تمت سورة الهود سورة يوسف عم مكية كلها

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب الحكيم

الظاهر ان الاسم للسورة وانه فى محل الرفع على انه مبتدا وحذف خبره او خبره
مبتدا محذوف اى الر هذه السورة او هذه السورة الدالى مسمى بهذا
الاسم وان ابقيتها على اصل معانيها وهو ان يكون اسماء للحروف التى
تتركب منها الكلم وجعلتها تعديدا للحروف على طريق التحدى ونزلتها منزلة
ان يقال المؤلف من هذه الحروف كائن فى حيز الرفع على الابتداء او الخبرية
والمعنى هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها هذا المتحدى به

وقراءة نافع وابن كثير وعاصم بفتح الراء على التفخيم والباقون بكسرها على
الامالة والاصل فى امثالها ترك الامالة كما تركت فى ما ولا لان الفاتها ليست منقلبة
عن الياء ومن امالها نظر الى ان هذه الالفاظ اسماء للحروف المخصوصة فقصدنا
بالتها التنبيه على انها اسماء للحروف ثم انهم اتفقوا على ان قوله الر وحده ليس
آية واتفقوا على ان قوله طه وحم آية والفرق ان قوله الر لما كان متقاطع
الاى التى بعده بخلاف قوله طه فانه يشاكل متقاطع الآى التى بعده قوله
اى تلك الايات ايات السورة اشارة الى ان تلك مبتدا وما بعده خبره ومن
المعلوم ان المشار اليه لابد ان يتقدم على الاشارة لان الشئ ما لم يوجد
لا يمكن ان يشار اليه الا انه لا يلزم ان يكون موجودا فى الخارج قبل الاشارة بل يكفى
ان يكون موجودا فى ذهن المخاطب قبلها وما نحن فيه من هذا القبيل فان الر
سواء جعل اسم السورة او جعل تعديد الحروف دال على السورة او المتحدى به
المؤلف من الآيات وعلى التقديرين يحضر فى ذهن المخاطب الآيات التى
تضمنتها السورة او المتحدى به فصح ان يشار اليها تلك باعتبار حضورها
ذهنا وان كانت مترقبة بحسب الوجود الخارجى قال صاحب الكشاف فى قوله
هذا فراق بينى وبينك تصور فراق بينهما عند حلول الميعاد فاشار اليه وجعله
مبتدا وخبرا والما ورد على قوله تلك اشارة الى آيات السورة وهى المراد بالكتاب
ان يقال على تقدير ان يكون المراد بالكتاب السورة يكون حاصل الكلام آيات
السورة ايات السورة فلا فائدة فيه اشار الى دفعه بان المراد بالمبتدا الآيات
من حيث حصولها فى ضمن السورة وبالخبر الآيات من حيث كونها موصوفة
بكونها ظاهرة الاعجاز او الهدى او بكونها مظهرة لغيرها مما ينفعه فلما تحقق التغاير بين
الموضوع والمحمول بهذا الاعتبار حصلت الفائدة من الحكم وان اتحدا ذاتا قوله
الظاهر امرها مبنى على ان يكون المبين من ابان بمعنى بان الظهر وضح وقوله
او المبينة مبنى على كون ابان بمعنى بين واوضح فعلى الاول يحتمل ان يكون المراد
بالظهور كونه معجز للعرب موجبا لتبكيتهم او ظهور معانيه للعرب لكونه نازلا بلسانهم
وعلى الثانى لابد من تقدير مفعول وهو كونه من عند الله تعالى لا من كلام البشر او ما

سأله اليهود قوله وهو في نفسه انما توطئة للحال التي هي عربيا لانه في نفسه لا يتبين الهيئة وانما تبينها بالغير وهو ما يتبعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوفة بصفة هي الحال في الحقيقة فقوله تعالى قرانا كذلك ولا يكون مبينا للهيئة بنفسه الا اذا اعتبر كونه بمعنى المفعول قوله احسن الاقتصاص على ان يكون لفظ المصدر باقيا على المعنى المصدري قوله او احسن ما يقص على ان يكون المصدر بمعنى المفعول او على ان يكون القصص فعلا بمعنى المفعول وهو المقصوص فان القصص مصدر يقال قص الحديث يقصه قصصا كقولك سأله يسأله سألا فان اريد به المعنى المصدري يكون المعنى احسن الاقتصاص ويكون انتصابه على انه مصدر مؤكد ويكون المقصوص محذوفا اكتفاء بدلالة قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن عليه وان كان بمعنى المفعول يكون المعنى احسن المقصوص ويكون منصوبا على انه مفعول به جعل الله تعالى اقتصاص هذه القصة على خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم من اقتصاصها على موسى عم في التوريت لما روى ان اليهود تفاخروا بان الله تعالى بين لهم قصة يوسف عم في التورية وهي غير مذكورة في القرآن فنزلت هذه السورة على ابدع طريقة واعجب اسلوب بلغة العرب التي هي افصح من لغة اليهود ليزول افتخارهم على المسلمين وعلى تقدير ان يراد بالقصص المقصوص جعل هذه القصة احسن ما يقص لاشتمالها على العجايب والحكم والآيات والعبر التي ليست في غيرها قال محي السنة سمى الله تعالى قصة يوسف احسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد الاقتدار وغير ذلك من الفوايد ولذلك قيل ان سورة يوسف وسورة مريم تتنافسان بهما اهل الجنة وقيل لا يسمع سورة يوسف محزون الا استروح اليه ثم الظاهر ان ليس المراد ان قصة عم احسن الاقاصيص مطلقا ليلزم كونها احسن من قصة سيد المرسلين بل المراد انها احسن الاقاصيص المفيدة لما تضمنته قصة يوسف من الفوايد كمعرفة سير الملوك والمماليك ومكر النساء وغيرها مما ذكر انفا قوله والاستقامة ليس المراد ان

القصص

القصص مع انه مصدر وما خذ لما يشتق منه من المشتقات مشتق من قص اثر اذا تبعه لان الاشتقاق باب من كان انما يتحقق اذا اتحد المشتق والمشتق منه في اصل المعنى المصدري الذي هو مدلول جوهر الحروف ولم يختلفا الا بمفهوم الصيغة وهيئة ترتيب الحروف والقصص بمعنى الحكاية والرواية ليس بمشتق فضلا عن ان يتحد مع قصة بمعنى اتبعه بل المراد من الاشتقاق التغاير المبني على المناسبة بين المعنى الاصلي والمعنى المنقول اليه فمعنى كلامه ان المعنى الاصلي للقصص هو الاتباع قال الله تعالى وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره وقال فارتدا على اثارهما قصصا اي اتباعا ثم نقل الى الحكاية والرواية فقيل قص الحديث اي حكاه ورواه فوقوله لان حاكي الحديث يتبع يا حفظه شيئا فشيئا كما ان المعنى الاصلي للتلاوة هو الاتباع ثم نقلت لا معنى القراءة لان القاري يتلو اي يتبع ما حفظه شيئا فشيئا وقيل لقصص اتباع الخبر بعضه ببعض والباء في قوله بما اوحينا متعلقة بنقص وما مصدرية والمعنى نقص عليك بوحينا اليك هذا القرآن وضمير من قبله يرجع الى الايحاء او القرآن قوله ان جعل مفعولا اي ان جعل احسن القصص بمعنى احسن ما يقص من المقصوص جاز ان يكون وقت قول يوسف بدلا منه لان المقصوص هو قول يوسف ووقته مشتملة عليه اشتمال الظرف على المظروف واما اذا كان المراد احسن الاقتصاص فلا يجوز الابدال بل يتعين تقدير اذكر لان الاقتصاص انما هو في زمان الوحي الى سيد المرسلين عم وزمان قول يوسف غير مشتمل على ذلك الاقتصاص قوله على التلعب به فان العرب اذا عربت ما ليس بعربي يغيرونه بانواع من التغيير فيصيرون بذكر كانهم يتلعبون به فتفتح السين وان كان على وزن المضارع المبني للمفعول ويكسر ما قبل الياء على وزن المضارع المبني للفاعل من آسف وكان ينبغي ان لا ينصرف لوزن الفعل والتعريف الا انه لما لم يصرف على القراءة المشهورة للعجمة والتعريف لتعين كونه عجمة على غير المشهور ايضا لئلا يلزم كون اللفظ عربيا تارة واعجميا اخرى قوله لتناسبهما في الزيادة اي لتناسب ياء الاضافة وتاء التانيث من حيث كون كل واحد منهما زيادة ملحقة بآخر الاسم قوله ولذلك

اى ولكونها تاء التانيث قلبت هاء الوقف ولكونها عوضا عن ياء الاضافة
لايجوز الجمع بينهما الا ضرورة كقوله يا ابتى لازلت فينا دايما لنا املا ذا العيش ما
كنت عائشا فان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر اجيب بانه
كثيرا ما يوصف المذكر بما فيه تاء التانيث نحو علام يفعة ورجل ربعة
ويقال حمامة ذكر وشاة ذكر الربعة بسكون الباء مربوع الخلق لاقصير ولا
طويل واليفعة بفتح الفاء والعين مرتفع القامة واليفاع ما ارتفع من الارض
وايفع الغلام اى ارتفع من الارض وهو يافع ولايقال موفع وهو من
النوادر وغلام يفع ويفعة ايضا قوله الا ابن عامر استثناء من فاعل
كسروها يعنى ان ابن عامر فتح التاء يا ابت حيث وقع فى القرآن لتدل الفتحة
على حركة ياء الاضافة التى هى اصلها فان ياء الاضافة حقها ان تكون مفتوحة
فالعوض لابد ان ياخذ حكم المعوض عنه فلذلك حركت التاء بحركة اصلها
فان ياء الاضافة اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها فى الاعراب الا انها اسكنت
للتخفيف لانها حرف لين بخلاف التاء فانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم
قوله حفص هنا وفى الصافات بفتح الياء على ان اصله يا بنيتا الذى للصلة
يا بنيتى ابدلت ياء الاضافة الفا كما قيل فى يا غلاما يا غلاما بنا على ان الالف
والفتحة اخف من الياء والكسرة وقراء الباقون يا بنى بحذف ياء الاضافة
اكتفاء بالكسرة كما قيل يا غلام فى يا غلامى فان ابن يصغر على بنيى فاذا اضيف
الى ياء المتكلم قيل يا بنى وقد مر ذلك مفصلا فى اوايل سورة هود عم وقرئ
بالضم لانه نداء مفرد معرفة قوله ثم ان المتخيلة تحاكيه اى تشابه ما متصور به
النفس من المعنى الذى استفادته من عالم الملكوت بصورة تناسبه قال الجوهرى
يقال حكيت فعله وحاكيته اذا فعلت مثل فعله والمحاكاة المشابهة يقال فلان
يحكى الشمس حسنا ويحاكيها بمعنى ثم ان كانت الصورة المخيلة الجزئية شديدة
المناسبة لذلك المعنى الكلى استغنت الرؤيا عن التعبير فانه عم راى سجود
الكواكب والشمس والقمر فاحتاجت الى التعبير حيث قلت الكواكب باخوته
حيث كانوا رجالا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم واولت الشمس بامه

والقمر

والقمر بابيه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وقيل الشمس ابوه والقمر امه قاله
قتادة وقال السدى والقمر خالته لبيان لان امه راحيل كانت قد ماتت وماذا خلت
عليه حال ما كان بمصر ولم يحتج سجود هؤلاء الى التعبير وخرج على عين ما راته
يوسف عم وهو كرؤية ابراهيم عم فى المنام ذبح الولد فخرج الولد على الكبش
وخرج الذبح على عينه فان يوسف عم رآهم يسجدون له انما بحقيقة السجود او
بتواضعهم له وخرولهم تحت امره فخرج الامر على عين ما راى ولفظ السجود يطلق على
وضع الجبهة على الارض سواء كان على وجه التعظيم والاكرام او على وجه العبادة
يطلق ايضا على التواضع والخضوع كما قال الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر
قوله وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه كما فى قوله فكيدونى جميعا فعلى
هذا الظاهر فيكيدون كان اذا عدى باللام لتضمنه معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل
فيكيدون محتالين لكم او فيحتالوا لكم كما ذكره بعض والنكتة فى اعتبار التضمين ان يفيد
تاكيد التخويف وتقويته فانه يفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن
فيكون اكد وابلغ فى التخويف ويكون المقام مقام التاكيد وكونه مقصودا اكد بالمصدر
والكيد الاحتيال للاغتيال وقيل هو طلب ايصال الشر بالغير وهو غير عالم به قوله
وكما اجتباك اى مثل اجتبائك واختيارك واصطفائك من بين اخوتك لهذه الرؤيا
على ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف والمعنى يجتبيك
اجتباء مثل اجتبائك لمثل هذه الرؤيا العظيم وجباية الشئ لتفسير عبارة
عن الاختيار والاصطفاء وكان يعقوب عم قصد بهذا الكلام ان يعبر رؤيا
ابنه الدالة على شرف وعز وكمال نفس وذكر ثلثة امور الاول اجتباؤه لامر عظيم
غير اجتبائه لهذه الرؤيا والثانى ان يعلم تاويل الاحاديث والثالث ان يتم نعمته
عليه ولم يجعل التعليم مشبها باجتبائه للرؤيا الشريفة لفقدان المناسبة بين
الاجتباء والتعليم مثل تحققها بين الاجتباء ولمثل هذه الرؤيا والاجتباء للامور
عظام غيرها ولا شك ان فقدان المناسبة الداعية الى التشبيه مانع من حمل الكلام
على التشبيه قوله من تعبير الرؤيا هكذا فى جميع ما راته من النسخ والظاهر من تعبير
الرؤى على انه جمع الرؤيا لان المقصود تفسير التاويل بالتعبير وتفسير الاحاديث

بالرؤى والجمع لا يفتشر بالجود وقوله لانها احاديث علة لاطلاق لفظ الاحاديث
على الرؤى وقد ورد في كتب الاحاديث ان الرؤيا ثلثة حديث النفس و
تخويف الشيطان وبشرى من الله يقال عبرت الرؤيا اعبرها عبارة فسرتها
وكذا عبرت الرؤيا بتعبيرها كان يوسف عم اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة
لها قوله او من تاويل غوامض كتاب الله آه عطف على قوله من تعبير الرؤى
فجعل بهذه الكلام اشارة الى ان العلم اجل النعم واشرف العلوم تاويل كتاب
الله وتفسير سنن الانبياء نقل عن الراغب ان التاويل من الاول وهو الرجوع
الى الاصل ومنه الموئل للموضع الذي يرجع اليه فالتاويل رد الشئ الى
الغاية المرادة منه علما كان او فعلا والاول كقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله
والثاني كقوله تعالى هل ينظرون الا تاويله يوم يأتي تاويله الا بيانه الذي
هو غايته المقصودة منه قوله وهو اسم جمع للحديث ولم يجعله جمعا للحديث
لان فعيلا لا يجمع على افاعيل بل يجمع على فُعُل نحو قبيل وقُبُل على افعلة نحو قفير
واقفرة وفعلان نحو قفير وقفران وعلى افعلاء نحو نبي وانبياء وعلى فعلاء
نحو شهيد وشهداء وعلى فعال كنوكب يمكن ان يجعل اسم جمع حديث وقطيع قال صاحب
الكشاف في سورة المؤمنين الاحاديث يكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث
رسول الله صلى الله عم ويكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والاعجوبة
انتهى ولا يصح ان يجعل جمع احدوثة في الآية لانها عبارة عما يتحدث به الناس
تلهيا بحيث ملفوظ به وهو الحديث على وجه الشذوذ وقيل انه جمع لواحد وقيل
انه جمع لواحد ملفوظ به وهو الحديث على وجه الشذوذ وقيل انه جمع لواحد غير
ملفوظ به كانهم جمعوا حديثا على احدوثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة
وافاطيع قوله ويتم نعمته عليك بالنبوة مبني على ان يحمل الاجتباء في قوله تعالى
يجتبيك ربك على الاجتباء للامور العظام والدرجات العالية اذ لو حمل على الاجتباء
للنبوة وفتر اتمام النعمة ملهنا ايضا بالنبوة لزم التكرار وقوله وقوله او بان
يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة مبني على ان يحمل الاجتباء هناك على الاجتباء
للنبوة فان من عليه في الدنيا بالنبوة والملك ثم اوصله في العقبى الى الدرجات

الله

العلى فقد اتم نعمته عليه فان اعز المناصب واجل النعم واكملها واتمها في حق
البشر ليس الا النبوة وكل ما سواها فهي ناقصة بالنسبة اليها قوله عليك يجوز
ان يتعلق بقوله يتم وان يتعلق بنعمته وكرر على في قوله وعلى آل ليمكن
العطف على الضمير المجرور قال ابن حاجب واذا عطف على الضمير المجرور
اعيد الخافض مثل مررت به وبزيد والاول وآل وان كان اصله اهل الا انه فدق
في الاستعمال فان الآل لا يستعمل الا في الاشراف يقال آل النبي وآل
الملك ولا يقال آل الحجام ولا آل الحائك بخلاف الاهل فانه يقال الحجام وحوكه
والنسل للولد ذكرا كان او انثى والاول وان كان يعم الاهل والاتباع
من الاولاد وغيرهم الا انه حمله اولا على المختصين بالنبوة حيث قال
يديد به سايير بنيه نبادر على ان المراد من تمام النعمة النبوة ثم حمله على سبله
مطلقا لانهم منعوت في الدارين قوله وقيل على ابراهيم بالخلة آه فعلى
هذا يكون المراد من اتمام النعمة في حق يوسف عم تخليصه مما توجه اليه من
المحن ليصح تشبيه ابويه في انعامه تعالى على احدهما بالنجاة من النار وعلى
الآخر بتخليصه من الذبح ولا يخفى ان حمل اتمام النعمة في حقه عم على تخليصه
من المحن لا يخلو عن بعد والظاهر ان يعقوب عم كان قاطعا بصحة هذه
البشارات التي بشر بها ابنه وتحزنه ليس الا لاجل افتراقه عنه ولعدم وقوفه
على تفاصيل ما اصابه من المحن والبلايا في غربته وخوفه عليه من حسد اخوته
وكيدهم اياه ليس خوفا من اهلاكهم اياه حقيقة بل هو خوف من اضرارهم بما
يسوء ويسلب عنه حضوره وقوله طهم اخاف ان ياكله الذئب عبارة عما
تهاونهم في حفظه بل عن كونهم في حكم الذئب في حقه وبالنسبة اليه في الاضرار به

وجه تسمية يعقوب

قيل انما سمي يعقوب يعقوب لان يعقوب وعيصا كانا توءمين فاقسما
في بطن امهما حين اراد يعقوب ان يخرج فمنعه عيص فقال لئن خرجت
من قبلي لاعترضن في بطن امي فلاقتلنها فتاخر يعقوب فخرج عيص فاخذ
يعقوب بعقب عيص فخرج بعد فلهذا سمي به وسمي الآخر عيصا لما عصى و
خرج قبل يعقوب وكان عيص احبهما الى ابيه وكان يعقوب احبهما الى الله

وكان عيص صاحب صيد وكان يعقوب صاحب غنم فلما كبر اسحق عم وعمى
قال لعيص يا بنى اطعمنى لحم صيد واقترب منى ادع لك بدعاء دعا لى ابى به وكان
عيص رجلا اشعر وكان يعقوب اجرد فخرج عيص لطلب صيد فقالت امه
ليعقوب يا بنى اذهب الى الغنم فاذبح منها شاة ثم اشوها والبس جلدها
وقدمها الى ابيك وقل انا ابنك عيص فنفعل ذلك يعقوب فلما جاء يعقوب
بالشواء وقال يا ابتا كل قال من انت قال ابنك عيص لمسه فقال المس
مس عيص والريح ريح فقالت امه هو ابنك عيص فادع له قال قدم
طعامك فقدمه فاكل منه ثم قال ادن منى فدنا فدعا له ان يجعل الله تعالى
فى ذريته الانبياء والملوك فذهب يعقوب وجاء عيص فقال قد جئتك
بالصيد الذى اردت فقال اسحاق يا بنى قد سبقك اخوك فغضب وقال
والله لاقتلنه فقال اسحق عم يا بنى قد بيتت لك دعوة فهلم ادعو لك
بها فدعا ان يكون ذريته عدد التراب وان لا يهلكهم احد غيرهم فقال ام يعقوب
ليعقوب الحق بخالك فكن عنده خشية ان يقتله عيص فانطلق الى خاله
لبان بن ناهور وكان يعقوب مع خاله وكان له بنتان احديهما لايا وقيل لاوى
وهى اكبرهما والاخرى راحيل وهى اصغرهما فخطبت يعقوب الى خاله بان يزوجه
احديهما فقال لك مال قال لا ولكن اعمل لك فقال نعم صداقها ان تدعنى لى سبع
سنين فقال يعقوب اخدمك سبع سنين على ان تزوجنى راحيل ذلك
بينى وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فزوجه الكبرى وهى لايا فقال له يعقوب
انا خدعتنى انما اردت راحيل فقال له خاله انا لا ننكح الصغيرة قبل الكبيرة
فهلم فاعمل سبع سنين اخرى فازوجك اختها وكان الناس يجمعون بين
الاختين الى ان بعث الله تعالى موسى عم فرعى له سبع سنين اخرى فزوجه
راحيل فجمع بينهما وكان خاله حين جهزهما دفع الى كل واحدة منهما امة تخدمها
اسم احديهما زلفة واسم الاخرى بلهة فوهبتا الامتين ليعقوب فولدت
اربعة بنين وولدت راحيل بنين وولد لكل واحدة من الامتين ثلثة
بنين فبلغت جملة بنيه اثنا عشر ابنا سوى البنات قيل اسماء اولاد

يعقوب مبينة فى التورية رؤبيل وشمعون ويهوذا ولاوى من امراة لايا
ويوسف وبنيامين من امراة راحيل والستة الباقون من الامتين يشجر
وزبالون ودينة ودان ونفتالى وجاذ فاراد يعقوب ان يخرج الى بيت
المقدس ولم يكن له نفقة وكان ليوسف خال له اصنام من ذهب فقالت
لابيوسف اذهب واسترق منه صنما من اصنامه فلعلنا نستنفق منه
فذهب يوسف واخذها وكان يوسف اعطف على ابيه وكان احب الاولاد
اليه فحسده اخوته مما رأوا من حب ابيه له ورأى يوسف فى المنام الى آخر
القصة وبسم لقد كان فى قصصهم آيات للسائلين عنها دالة على قدرة الله
تعالى وحكمته فان من سال عنها وان يحصل له بمجرد سؤاله ومما يدل على كمال
القدرة والحكمة لكن يحصل له ذكر اذا علم تلك القصص بسبب تلاوة رسول الله عم
هذه السورة عليه فانه يظهر له ح ان كبار اولاد يعقوب بعد ما اتفقوا على اذلال
اصغر اولاده يوسف وفعلوا به ما فعلوا قد اصطفاه الله للنبوة والملك وجعلهم
خاضعين له معاديين لحكم وان وبال حسدهم له قد انقلب عليهم وهذا من اجل
الدلايل على قدرة الله تعالى وحكمته وايضا يحصل لذكر السائل بسبب تلاوة
رسول الله صلى الله عم هذه السورة عليه وبيانه ما فيها من قصتهم على وجه
صحيح واقع لما فى الكتب المتقدمة من غير سماعه من احد ولا قراءة كتاب
دلايل دالة على صدقه فى دعوى النبوة ومن قرأ آيات على لفظ الجمع نظر الى ان
امور يوسف عم كانت كثيرة وكل واحدة منها آية بنفسه ومن قرأ بلفظ
الافراد نظر الى ان اسم الجنس يتناول الواحد والمتعدد وبسم لتفصيله
المفصول او لترك التعديل فى المحبة كانه اشارة الى جواب ما يقال انهم كيف
نسبوا اباهم الكريم بكرامة النبوة الى الضلال المبين ومن بالغ فى ذم الرسول
وطعنه فقد كفر لاسيما اذا كان الطاعن ولده فان هتك حرمة الابوة والنبوة
اقبح من هتك احدى الحرمتين فقد وتقدير الجواب ان مرادهم بما نسبوا اليه
من الضلال سهو الضلال عن رعاية مصالح الدنيا والبعد عن طريق الرشد والصواب
فيما يتعلق بها مع ان تضليلهم اياه فى مجرد ترك التعديل فى المحبة ليس تضليلا

في الحقيقة لان المحبة ليست من الامور الاختيارية فان قيل ان الحسد من امهات
الكبائر لاسيما وقد اقدموا بسبب ذلك الحسد على تضييع ذلك الاخ الصالح
والقائه في ذل العبودية وتبعيده عن الاب المشفق والقاءابيهم في الحزن
الدايم وارتكابهم على الكذب الصريح وبالجملة فابقيت خصلة مذمومة الا وقد
اتوابها وكل ذلك بنا في العصمة والتبتل اجاب الامام عنه بقوله الامر كما ذكرتم
الا ان المعتبر عندنا عصمة الانبياء في وقت حصول التبتل فاما قبلها فذلك
غير واجب قوله ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يعني ان قوله ارضا
منصوب على انه ظرف مكان وظرف المكان انما ينصب بتقدير في اذا كان
مبهما غير محدود ولفظ ارض لما كان نكرة غير موصوفة بصفة كان مبهما
من هذا الوجه فلذلك انتصب نصب الظروف المبهمة فان قيل كيف يكون
مبهما وتنكيرها انما حكم توصيفها بكونها مجهولة بعيدة عن العمران وعن ارض ابيه
فزال بذلك ابهامها فانا نقول من المعلوم ان يوسف لم يخل من الكون في ارض فتبين
انهم اراد وا ارضا بعيدة غير التي هو فيها ومثل هذا المكان لا يتعدى اليه
الفعل الا بواسطة فلابد ان يكون انتصابه بمبتنيا على اسقاط الخافض تخفيفا
كما في لاقعدن لهم صراطك المستقيم فالجواب ان الظرف المبهم عبارة عما
ليس له حد وقد تحصره ولا اقطار تحويه وارضا نكرة الآية الكريمة من هذا القبيل
قال ابن الحاجب في الكافية وفسر المبهم بالجهات الست وحل عليه عند ولدى
وشبههما لابهامها ولفظ مكان لكثرته وما بعد دخلت مثل دخلت الدار في
الاصح قوله وقرئ غيبة بالفتحات المتوالية اما على انه مصدر كالغلبة
او على انه جمع غائب نحو ناصر ونصرة فيكون هو في مصحف ابي غيبة بسكون
الياء قيل الغيابة تكون في قعر الجب لان اسفله واسع وراسه ضيق فلا يكاد
الناظر يرى في جوانبه والجب البئر التي لم تطو سميت جبا لانه ليس فيها
غير جب الارض وقطعها ومفعول فاعلين محذوف اى فاعلين بئرا ومشورة
او فاعلين ما يحصل به غرضكم من تبعيد يوسف عن ابيه والسيارة جمع سيار
وهو بناء المبالغة والالتقاط تناول الشئ المطروح ومنه اللقطة قوله

اراد وا به استنزاله عن رايه في حفظ منهم فان يعقوب عم بخاطرهم على يوسف و
يحفظه منهم ثم انهم لما احكموا العزم على تبعيد يوسف عن ابيه اما بالقتل او بالتغريب
الى ارض يحصل به اليأس من اجتماعه مع ابيه ذكروا هذا الكلام لابيه وقالوا لم
تخافنا ونحن نحبه ونريد الخير له وقولهم لا تأمنا حال من الكاف والمشهور
تأمننا بادغام النون الاولى في الثانية واشمامها الضم ومرادهم بالادغام بطريق
الاشمام ان لا يدغم احدى النونين في الاخرى ادغاما صحيحا بل يفصل بين النونين
عن الاخرى بحيث يكون شبيها بالاظهار لكنه ليس باظهار حقيقة كما انه ليس
بادغام صحيح ومثله يسمى اخفاء وهو عبارة عن تصييف الصوت بالحركة والفصل
بين المدغم والمدغم فيه لان يسكن الحرف المدغم راسا بل يختلس حركتها فيقرانا
تأمننا واختلاس بفتح العين ضمة النون الاولى ليدل على ان الفعل مرفوع قال ابو عمر
والداني في التيسير كلهم قرؤا مالك لا تأمننا بادغام النون الاولى في الثانية و
اشمامها الضم وحقيقة الاشمام في ذلك الوقت ان يشار بالحركة الى النون
لا بالعضو اليها فيكون ذلك اخفاء لا ادغاما صحيحا لان الحركة لا تسكن راسا
بل يضعف الصوت فيفصل بين المدغم والمدغم فيه لذلك وهذا قول عامة
اهلنا وقراء بعضهم ذكر بالاشمام بمعنى آخر وهو ان يهيئ الشفتان للضمة
الضمة لتدل على اعراب النون المدغمة بالضمة مع الادغام الصريح وفيه عسير
كثير قالوا ويكون الاشارة الى الضمة بعد الادغام او قبل كماله والاشمام يقع
بازاء معان وهذا من جملتها وقرئ بالادغام الصريح من غير اشمام وقراءة
الحسن ذلك بالاظهار مبالغة في بيان اعراب الفعل والمحافظة على حركة الاعراب
قوله نلعب بالاستباق والانضمال روى انه قيل لابي عمرو كيف يقولون
نلعب وهم انبياء فقال لم يكونوا يومئذ انبياء وايضا جاز ان يكون المراد
من اللعب الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر كما روى عنه عليه السلام
انه قال لجابر رضي الله عنه فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وايضا كان لعبهم الاستباق
ونحو مما يكون الغرض منه تعلم المحاربة مع الكفار ويدل عليه قولهم انا ذهبنا نستبق
وانما سموه لعبا لانه في صورته قوله وقراء ابن كثير يرتع ويلعب بالياء

اسندوا الارتعاء الى انفسهم لانهم كبار بالغون واضافوا اللعب الى يوسف
لصغره والارتعاء افتعال من رعى البعير الكلأ فان رعى وارتعى بمعنى وأرعى
الله الماشية اى انبت لها ما ترعاه الى ياكله والارتعاء فعل المواشى لانهم
اسندوه الى انفسهم لانهم هم السبب فى ارتعائها وقراء نافع كلاهما بالياء
وكسر العين على اسناد كل واحد من الارتعاء واللعب الى يوسف عم بمعنى
انه يباشر رعى الابل تارة ليتدرب بذلك ويباشر اللعب احزى لينشرح صدره
وقراء الكوفيون كلاهما بالياء وسكون العين من الدتع لا من الرعى يقال
رتعت الماشية ترتع رتوعا اى اكلت ما شاءت وتوسعت فيه وقرئ
يرتع بضم الياء من ارتع وقرئ يدتع بكسر العين من ارتعى ورفع يلعب
على الاستيناف اى هو ممن يلعب قوله ان تذهبوا فاعل يحزننى ان يحزننى
ذهابكم فان قيل كيف جاز وقوعه فاعلا له وهو مستقبل لاقترانه بحرف
الاستقبال ويحزننى فعل حالى بناء على ما صرح به النحاة من ان لام الابتداء
الداخلة على المضارع من القرائن المختصة للحال وكون ليحزننى حالا يستلزم
تحقق الفعل قبل تحقق فاعله اجيب عن ذلك بان الفاعل محذوف والتقدير
ليحزننى تصوّر ذهابكم وتوقعه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
والتصوّر موجود فى الحال فزال الاشكال قوله والشفاقة من تذاءبت
الريح نقل عن الاصمعى انه قال قولهم تذاءبت الريح مأخوذ من فعل الذئب
لانه يأتى كذلك واعلم ان الريح اذا كانت كما يأتى الذئب فتكون تذاءبت مأخوذا
من الذئب وقد عكس المص والزمخشرى قوله ضعفاء مغبونون لما كان
حقيقة الخسران والغبن غير مراد ههنا وكانت مسببة عن العجز والضعف
جعل الخسران مجازا عن الضعف المؤدى الى الغبن والخسران فى عقد المعاوضة
او عن استحقاق الدعاء بالهلاك قوله وجواب لما محذوف وفى الاية
محذوف آخر وتقديرها قالوا ليئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون
فاذن له وارسله معهم وقوله فلما ذهبوا به متصل بهذا المحذوف
روى ان يعقوب عم لما ألقى فى الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا

غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لى من امرى فرجا ومخرجا وروى اجعل لى فرجا
ومخرجا وروى اجعل لى فرجا مما انا فيه فما بات فيه قال الحسن التقى يوسف فى الجب
وهو ابن اثنتى عشرة سنة والقى اباه بعد ثمانى عشرة سنة وقيل كان يوسف عم
ابن سبع عشرة سنة وروى ان هو اتم البئير قالت بعضها لبعض لا تخرجن
من مساكنكن فان نبيا من الانبياء ينزل بساحتكن فانجحرن الا الافعى فانها
قصدت يوسف فصاح بها جبرئيل عم فضمت فبقى الضم فى نسلها وعلم جبرئيل
يوسف هذا الدعاء اللهم يا كاشف كل كربة ويا مجيب كل دعوة ويا جابر كل كسير
ويا ميسر كل عسير ويا صاحب كل غريب ويا مونس كل وحيد يا الاله الا انت
سبحانك اسئلك ان تجعل لى فرجا ومخرجا وان تقذف محبتك فى قلبى حتى لا يكون
لى هم ولا ذكر غيرك وان تحفظنى وترحمنى يا ارحم الراحمين قال طائفة عظيمة
من المحققين ان المراد من الوحى المذكور بقوله تعالى واوحينا اليه وحى النبوة
والرسالة وقيل المراد منه الالهام كما فى قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اوحى
الله تعالى الى يوسف تقوية لقلبه فى البئير لتصدقن رؤياك ولتخبرنهم اخوتك
بصنيعهم هذا بعد اليوم وهم لا يشعرون بانك يوسف فى وقت اخبارك اياهم
بامرهم وهو قوله لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وروى انهم حين دخلوا عليه
لطلب الحنطة وعرفهم وهم له منكرون دعا بالصاع فوضعه على يده ثم نقرة
فطن فقال عم ان هذا الجام ليخبرنى انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف
فطرحتموه فى البئير وقلتم لابيكم اكله الذئب قوله وقيل وهم لا يشعرون
متصل باوحينا على انه حال من فاعل اوحينا الى اوحينا اليه ذلك فى حال انهم
لا يشعرون بايحائنا اليه والفائدة فى اخفاء الايحاء عنهم انهم لو عرفوه فربما ازداد
حسدهم فكانوا يقصدون قتله والاحتمال الاول كونه حالا من فاعل لتنبئنهم
او من مفعوله اى تخبرهم وهم لا يعرفونك لبعد المدة وتغير الاحوال واذا حمل
الكلام على هذا الاحتمال كان هذا امرا من الله تعالى ليوسف بان يستر نفسه
عن ابيه طول تلك المدة مع علمه بوجد ابيه عليه فامن مخالفة امر الله تعالى ولعلة
قضى على يعقوب ان يوصل اليه تلك الغموم الشديدة والهموم العظيمة ليصبر على

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قضى على يعقوب ان يوصل اليه تعالى وينقطع تعلق فكره عن الدنيا فيصل الى درجة
عالية لايمكن الوصول اليها الا بتحمل المحن العظيمة قوله آخذ النهار فان العشاء
آخذ النهار الى نصف الليل وانتصابه على الظرفية اى جاؤه فى هذا الوقت
ويكون جملة حالية من فاعل جاؤا اى متباكين وقرئ عُشَيًّا بضم العين وفتح
الشين على انه تصغير عَشِيّ نحو أُصَيْل فى تصغير اصيل وقرئ عُشًّا بضم العين
والقصر على انه جمع اعشى وفيه ضعف لان قد ما بكوا فى ذلك اليوم لايعشوا
منه الانسان قوله على قميصه فى محل النصب على انه حال من قوله بدم لانه
لو تأخر عنه لكان صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا واختلف النحاة فى
جواز تقدم الحال على المجرور قال فى الكافية فلا تتقدم على العامل المعنوى
ولا على المجرور فى الاصح او على انه ظرف بمعنى فوق قميصه وفيه انه لايساعد المعنى
على كونه منصوبا على الظرفية بمعنى فوق لان العامل فيه اذا يكون جاؤا وليس
الفوق ظرفا لهم بل يستحيل ان يكون ظرفا لهم وعن صاحب التقريب ان
كونه ظرفا لمجيئهم مع بقاء المعنى المقصود فيه حزازة ونحوه ان يقال انه حال
من جاؤا بتضمينه معنى الاستيلاء اى جاؤا مستولين على قميصه قوله على
اظفار الاحداث جمع حَدَث بمعنى الشاب يقال رجل حدث ورجال احداث
اى شُبَّان لما كان الكذب بمعنى البياض المذكور يؤثر فى اظافيرهم فيصير كالنقش
فيها شبهه به الدم اللاصق بالقميص لتأثيره فى القميص كتأثير ذلك البياض فى
الاظافير فاطلق اسم الكذب على سبيل التشبيه البليغ قوله ولذلك
اى ولاجل استدلاله بسلامة القميص على كذبهم فى قولهم أكله الذئب قال اضرابا
عن قولهم وابطالا له بل سولت لكم انفسكم امرا عظيما والتسويل استرخاء
ما تحت السرة من البطن قوله وهذه الجريمة جواب عما يقال قد مر ان آل
يعقوب انبياء فكيف صح لهم ارتكاب مثل هذه الجريمة قوله وقيل اضفوا الزنا

الا اضفوا

الى اخوة يوسف وجدانهم اياه فى الجب وقالوا فيما بينهم ان قالوا لكم ما هذا الغلام فان قلنا
التقطناه من الجب شاركونا وان قلنا اشتريناه سارعونا الشركة فيه فالوجه
ان نخفى امره ونقول استبضعنا اياه بعض اهل الماء لنبيعه لهم بمصر والمعنى
على الاول اخفوا نفس يوسف ولم يظهروه لسائر الرفقة قوله واشتقاقه
من البضع وهو القطع يقال بضعت اللحم بضعا قطعته والبضعة القطعة
من اللحم الراغب البضاعة قطعة وافرة من المال تقتنى للتجارة والبضع
فى العدد وهو ما بين الثلاث الى التسع سمى به لكونه مقتطعا من العشرة
والمعنى اسروه حال ما جعلوه بضاعة او حال ما حكموا عليه بانه بضاعة واخفاء
امره فى هذا الحال لايليق بالاخوة اذ ليس مقصودهم تحصيل المال وانما يقصدون
تغييب يوسف عن ابيه فالاولى ان يسند الاخفاء الى الوارد واصحابه قوله
اوضيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم حيث جعل الله ما دبروه لابطال حكم
ما رآه يوسف فى المنام سببا لوصول الى مصر ولتتابع ما جرى عليه من الاحوال
الى ان صار ملك مصر وحصل ذلك الذى رآه فى المنام قوله وفى مرجع الضمير
الوجهان اى وفى مرجع الضمير المرفوع فى شروه يثبت الوجهان المذكوران
فى ضمير اسروه فانه قد ذكر ان ضمير اسروه اما للوارد واصحابه والاخوة واما
كان للوارد واصحابه يكون ضمير شروه ايضا لهم ويكون معناه باعوه قطعا اذ لامعنى
لاشترائهم وقد التقطوه وان كان ضمير واسروه للاخوة يكون ضمير شروه
ايضا لهم ويكون الشراء بمعنى البيع ايضا اذ لا وجه لحمله على الاشتراء قوله و
اشتروه من اخوته اى على تقدير ان يكون ضمير اسروه للاخوة يجوز ان يكون
الشراء بمعنى الاشتراء ويكون ضمير شروه للرفقة قوله بمبخوس يعنى ان البخس
مصدر بخسه حقه يبخسه اى نقصه والثمن لايوصف بالمعنى المصدرى فلذلك
حمله بمعنى المبخوس اما لارادته وغيبته او لنقصان وزنه قوله او الزاهدين
عنه فسر الزاهدين به لان الزهد والزهادة عبارتان عن قلة الرغبة فى الشئ
فضمير كانوا ان كان للاخوة فوجه زهدهم ظاهر لانهم لم يوفوا موضعه من الله ولا
كرامة عليه قوله فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين كقوله تعالى

واحد من المشركين استجاركم والتقدير ولكانوا من الزاهدين فيه والثانى تاكيد للاول قوله وهو العلم المؤيد بالعمل قال القشيرى من جملة الحكم الذى آتيه الله تعالى نفوذ حكمه على نفسه حتى غلب شهوته فامتنع عما راودته زليخا الى نفسه ومن لاحكم له على نفسه لم ينفذ حكم على غيره وقيل قال الله تعالى فى قصة موسى عم ولما بلغ اشده واستوى ولم يقل ملهنا واستوى لان موسى عم اوحى اليه عند منتهى الاشد والاستواء وهو اربعون سنة واوحى الى يوسف عند اوله وهو ثمان عشرة سنة وقال الامام نقلا عن الحسن انه عم كان نبيا من الوقت الذى القى فى غيابة الجب لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم وما كان رسولا ثم انه صار رسولا من الوقت الذى بلغ اشده لقوله تعالى ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما ثم قال ومنهم من قال انه كان رسولا من الوقت الذى القى فى غيابة الجب ثم نقل عن ابن عباس انه قال قوله تعالى ولما بلغ اشده اى لما بلغ ثلثا وثلثين سنة ثم ذكر اقوال العلماء فى تفسير الحكم والعلم فقال اولها ان المراد من الحكمة الحكمة العملية والمراد من العلم الحكمة النظرية وذلك لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اولا الى الحكمة العملية ثم يترقون منها الى الحكمة النظرية واما اصحاب الافكار والانظار العقلية فانهم يصلون اولا الى الحكمة النظرية ثم ينزلون منها الى الحكمة العملية وطريقة يوسف عم هو الاول لانه صبر على البلاء والمكاره والمحن ففتح الله تعالى له ابواب المكاشفات والقول الثانى ان الحكم هو النبوة لان النبى يكون حاكما على الخلق والعلم علم الدين والقول الثالث انه يحتمل ان يكون المراد من الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الامارة بالسوء مستعلية عليها قاهرة لها ومتى صارت القوة الشهوية والغضبية مقهورة ضعيفة فاضت الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس فقوله تعالى ولما بلغ اشده اشارة الى اعتدال الآلات البدنية وقوله آتيناه حكما وعلما اشارة الى استكمال النفس فى قوتيها العلمية والنظرية قوله تعالى وراودته التى هو فى بيتها يعنى امراة العزيز

التى كانت يوسف فى بيتها طلبت منه ان يواقعها والمراودة المطالبة الواقعة بين اثنين بحيث يريد احدهما ان يحمل الآخر على شئ والآخر يريد الآخر فيجرى بينهما بذلك مرافعة ومخالفة مأخوذة من الرود وهو الطلب ومنع عن نفسه اى من اجل نفسه يقال فلان يخاصم عن فلان ويتكلم عن فلان اى من اجله قال الزجاج راودته اى طالبته بما يريد النساء من الرجال قوله والتشديد للتكثير او للمبالغة فى الايثاق اى لتكثير المفعول او للمبالغة فى الاتصاف باصل الفعل كموطوف البيت قوله تعالى هيت لك فيه خمس قراءات للسبعة الاولى هيت لك بفتح الهاء والتاء بينهما ياء ساكنة وهى قراءة الاكثرين والثانية هيت بفتح الهاء وضم التاء بينهما ياء ساكنة وهى قراءة ابن كثير والثالثة هيت بكسر الهاء وفتح التاء بينهما ياء ساكنة وهى قراءة نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان عنه والرابعة هيئت بكسر الهاء وفتح التاء بينهما همزة ساكنة وهى قراءة هشام رواية عن ابن عامر والخامسة هيئت بكسر الهاء وضم التاء بينهما همزة ساكنة وهى ايضا قراءة هشام وفيه ايضا اربع قراءات فى الشواذ هيت بفتح الهاء وكسر التاء بينهما ياء ساكنة وهيت بكسر الهاء والتاء بينهما ياء ساكنة وهيئت بضم الهاء وكسر الياء التى بعدها ياء ساكنة ثم تاء مضمومة وهيت بكسر الهاء وضم التاء بينهما ياء ساكنة ونقل الجوهرى عن الاخفش انه قال وقراء بعضهم هيت بكسر الهاء وضم التاء بينهما همزة ساكنة على مثال هيعت بمعنى تهيأت لك يقال هيت للامر اهيئ هيأة وتهيأت تهيأ بمعنى انتهى كلام الجوهرى فصار الجمع تسع قراءات وهو على جميع القراءات اسم فعل ماض قراءة هيت على وزن حيث فانه على هذه القراءة فعل ماض مبنى للمفعول مسند الى ضمير المتكلم من هاء للامر يهئ اى تهيأ ويحتمل الامر ان على قراءة من قراءة بكسر الهاء وضم التاء فانه يحتمل ان يكون اسم فعل مبنى على الضم كحيث وان يكون فعلا مسندا الى ضمير المتكلم من هاء الرجل يهيئ كجاء يجئ ولو حينئذ معنيان احدهما ان يكون بمعنى حسن هيئته والثانى ان يكون بمعنى تهيأ يقال

هيئت اى حسنت هيئتا وتهيأت وعلى تقدير كونه اسم فعل مبنى على فتح التاء
بناءها على الفتح تخفيفا كخواى وكيف ومن ضمها كابن كثير ضمها تشبيها بحيث
ومن كسرها فعلى اصل التقاء الساكنين كجير وفتح الهاء وكسرها لغتان
وكذا يحتمل الاوجه على قراءة هشام هيت بكسر الهاء وفتح التاء اما
احتمال كونه اسم فعل فظاهر واما احتمال كونه فعلا مسندا الى ضمير المخاطب
فمبنى على ان يكون المعنى حسنت هيئتك لانه لا يجوز ان يكون المعنى تهيأت
لان الخطاب من المراودة ليوسف عم وهو بهتيا طالبك هى تهيأت
له بدليل قوله تعالى وراودته التى وقوله وانى لم اخنه بالغيب واللام
فى هيت لك متعلقة بمحذوف على سبيل البيان كانها قالت لك اقول او الخطاب
لك كما فى قوله سقيا لك ورعيا لك وهذا على تقدير ان يكون اسم فعل واما على تقدير
كونه فعلا فانها متعلق بالفعل المذكور اذ لا حاجة الى تقدير شئ ثم ان المراودة
لما ذكرت هذا الكلام قال يوسف عم معاذ الله وهو منصوب على انه مصدر
فعل محذوف اى اعوذ بالله معاذا يقال عاذ يعوذ عياذا وعياذة ومعاذا
وعوذا طلب عم ان يعيذه من ذلك العمل بان يخلق فيه داعية جازمة له الى
جانب الطاعة وان يزيل عن قلبه داعية المعصية ونظيره ما روى عن النبى
عم انه لما وقع بصره على زينب ام المؤمنين وهى عند زيد قال يا مقلب القلوب
ثبت قلبى على دينك وكان المراد منه تقوية داعية الطاعة وازالة داعية
المعصية قوله او مشارفة الهم عطف على قوله ميل الطبع فان من
شارف الاتصاف بوصف يجعل موصوفا به كما فى قوله قتلته لو لم اخف الله
جعل نفسه قاتلا لكونه مشارفا له فكذا يوسف عم لما شارف قلبه ان يقصد
مخالطتها قال تعالى زجرا وهم بها فانه على تقدير تسليم انه شارف ان يهم
بها لانم انه عم قد هم بها بل كاد بحيث لولا ان رأى برهان ربه لهم بها فان
قوله تعالى هم بها متعلق بالشرط المذكور بعده ولم يرض المصنف باذكر المفسرون
من ان يوسف عم هم بهذه المراءة هما صحيحا كما انها هت به حتى حكموا انها
استلقت له وقعدت بين رجليها واخذ بحل تكته فلما رأى البرهان

من ربه زال عنه كل خاطر او عليه من الشهوة واختاروا ما ذهب اليه المحققون
من المفسرين من انه عم كما انه برئ من ارتكاب نفس الفاحشة والعمل
الباطل فهو ايضا برئ من الهم المحرم نقل عن الامام ابى منصور انه ما قاله
اهل التفسير من انها استلقت له وهم هو بها وصل ازداده واشتال هذا
من الخرافات فهذا كله مما لا يحل ان يقال ويدل على فساد ما قالوه وجوه احدها
راودتنى عن نفسى وثانيها قوله تعالى ولنصرف عنه السوء والفحشاء وثالثها
قوله ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب ورابعها قولها فاعتصم ما علمنا عليه من سوء
وخامسها قوله الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه فهذا كله دليل على انه
لم يكن منه شئ من ذلك وليس فى ظاهر الآية شئ مما قالوه سوى قوله تعالى
وهم بها وله تاويل صحيح وهو انها همت به هم عزم وهو بها همة خطرة ولا
صنع للعبد فيما يخطر بالقلب قوله ليشق الغلمة الشبق شدة الغلمة والغلمة
بالضم شهوة الضراب وقيل قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه دليل على
ان يوسف عم برئ من الهم المحرم لان قوله وهم بها جواب لولا قدم
عليه فيدل على انتفاء الهم لتحقق الروية وطعن الزجاج فى هذا القول
من وجهين الاول تقديم جواب لولا شاذ غير موجود فى الكلام الفصيح
والثانى انه لو لا يجاب باللام فلو كان هم بها جواب لولا لقيل ولهم بها
لولا ان راى بل جواب لولا محذوف لدلالة وهم بها عليه والجواب
عما قاله الزجاج ان مراد القائل ان الجواب محذوف مدلول عليه بما تقدم و
اما قوله لو كان هم بها جواب لولا لاقترن باللام فغير لازم لانه متى كان
جواب لو ولولا مثبتا جاز فيه الامران اللام وعدمها وان كان الاتيان باللام
هو الاكثر قوله اى مثل ذلك التبيين على ان يكون كان كذلك فى محل
النصب بفعل مضمر والثانى على انه مرفوع المحل على انه خبر المبتداء محذوف
وقوله لنصرف متعلق بذلك الفعل الناصب للكاف على الاول وبمحذوف
آخر على الثانى اى فعلنا ذلك لنصرف قوله تعالى وقدت يحتمل ان يكون
معطوفا على استبقا اى استبقا وقدت ويحتمل ان يكون جملة حالية بتقدير قد

وكلمة ما في قولها ما جزاء يجوز ان يكون نافية وان يكون استفهامية وكلمة من
يجوز ان يكون موصولة ونكرة موصوفة والا ان يسجن خبر المبتدا وهو ما جزاء
وما كان ان يسجن في قوة المصدر عطف عليه المصدر وهو قوله
او عذاب قوله ايها ما علة لقولها ذلك وتبرية علة الابهام وتغييره عطف
على تبرية والتغيير من الغيرة اى وعنت ذلك ايقاعا لسيدها في الغيرة على
يوسف واغراء للسيد بيوسف كي تستقم قوله وانما قال ذلك دفعا
لما عرضته اى لما اظهرت المراة زوجها لاجل يوسف وابذرته له اى لم تقل ذلك
في حقها ارادة ان يهتك ستر هاة اول الامر الا انة لما خاف على النفس وعلى
العرض اظهر الامر ولو لم تكذب عليه ابتداء لما اظهره قوله قيل ابن عمها
روى كان لها ابن عم وكان رجلا حكيما ذا الحية واتفق في ذلك الوقت انة كان
مع الملك يريد ان يدخل عليها فقال سمعنا الجلبة من وراء الباب وشق
القميص الا انا لا ندري ايكما قدام صاحبه فان كان شق القميص من قدام فانت
صادقة والرجل وان كان من خلفه فالرجل صادق وانت كاذبة فلما
نظروا الى القميص وراوا الشق من خلفه قال ابن عمها انة من كيدكن وتحيلكن
ان يكون هذا الكلام من قول قطفير زوج المراة وقيل كان صبيا
في المهد وكان ابن خال المراة قال عم ثلثة من الصبيان تكلموا في المهد
شاهد يوسف وابن ماشطة ابنة فرعون وعيسى بن مريم وصاحب جريج
الراهب روى ان ماشطة ابنة فرعون لما اسلمت اخبرت الابنة اياها قصة ماشطة ابنة فرعون
باسلامها فامر بالقائها والفاء اولادهما النار فلما بلغت النوبة الى اخر ولدها
وكان مرضعا قال اصبري يا امة فانكم على الحق قوله ماشطة فرعون
من قبيل اضافة العلابسة وانا صاحب جريج لما روى قصة انة كان يتعبد في صومعة قصة صاحب جريج
فقال يوما لامة لها فتنتني فعرضت له ولم يلتفت اليها فكنت نفسها من
راعي غنم كان ياوي بغنمه الى صومعته فولدت غلاما وقالت انة من جريج
فضربوه وهدموا صومعته فصلى جريج وانصرف الى الغلام وطعنه بالله يا غلام
من ابوك قال انا ابن الراعي قوله والشرطية محكية جواب عما يقال

لكن

كيف جازت حكاية الجملة الشرطية بعد فعل الشهادة مع ان الجملة الشرطية فيها
معنى الترقب والتعليق وفعل الشهادة يقتضي الاداء والانشاء فبينهما
تناف واجاب عنه بوجهين الاول انها محكية بعد القول المحذوف كانة قيل
وشهد شاهد فقال ان كان قميصه الخ والثاني ان ذكر فعل الشهادة
من قبيل اطلاق لفظ الخاص وارادة العام بناء على ان الشهادة نوع من القول
قوله وتسميتها شهادة جواب عما يقال كيف اطلق الشهادة على تقول هذه
الشرطية مع ان الشهادة في عرف الشرع عبارة عن الاخبار بثبوت حق الغير
على غير بلفظ اشهد واجاب عنه بان قوله وشهد من قبيل الاستعارة التبعية
حيث شبه تقول الشرطية بالشهادة فاطلق عليه اسم الشهادة استعارة
اصلية ثم اشتق من الشهادة بالمعنى المجازي لفظ شهد فكان الاستعارة تبعية
ووجه الشبه بينهما ان تقول تلك الشرطية يؤدي مؤدى الشهادة من حيث
انة ثبت به قول يوسف وبطل قولها قوله يعني ان كلمة ان تدل على الاستقبال
وكان على المضي فينبغي ان لا يجمع بينهما الا انة جمع بينهما لان المعنى ان يتعلم انة كان
قميصه قد يعني ان الشرط وان كان ماضيا بحسب اللفظ لكنة في تاويل المضارع
لان المراد ارشاد العزيز الى ان يتتبع الامارة التي تدل على تعيين الصادق
وتمييزه من الكاذب وهو نظير قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك
من قبل لمن يمنن عليك باحسانه فان المعنى ان تمنن علي امنن عليك وان
تعدد احسانك الي فيما مضى فاعدد احساني اليك فيه فلما كان الشرط في
تاويل المستقبل ارتفع المنافات بينه وبين كلمة ان قوله وقرئ من
قبل ومن دبر قراهما الجمهور بضمتين وبالجر والتنوين بمعنى من خلفه ومن
قدامه اى من خلف القميص ومن قدامه او من خلف يوسف وقدامه وقرئ
في الشواذ بثلاث ضمات من غير تنوين وهو مبني على الضم لانة قطع عن
الاضافة والاصل من دبره وقبله فلما قطعا عن الاضافة جعلوهما غاية كقبل
وبعد ومعنى الغاية ان يجعل المضاف غاية نفسه بعدما كان المضاف اليه
غايته والاصل اعرابهما لانهما اسماء متمكنان وليسا بظرف فيها بنيا لمناسبتهما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابنى الاصل فى الاحتياج الى الغير وقرئ من قُبَلَ ومن دُبَرَ بالفتح يجعلهما علمين للجهتين ومنعهما من الصرف للعلمية والتأنيث وقرئ من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ بسكون العين تخفيفا ثم ان من قراء بسكون العين منهم بالجر والتنوين على الاصل ومنهم من جعلها كقبل وبعد فى البناء على الضم قوله وهو حجابه يعنى ان الشغاف جلدة رقيقة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب ومعنى قولك شغف الحب المراة ان الحب اصاب شغافها وشقه واصاب الى فوادها كما يقال كبدته اذا اصبت كبده ورأسته اذا اصبت رأسه وقرئ شعفها بالعين المهملة بمعنى احرق قلبها وفى الصحاح شعفه الحب اى احرق قلبه وشعفت البعير بالقطران اذا اشعلته به ويقال هنأت البعير اهنؤه اذا طليته بالهناء وهو القطران وامراة العزيز مبتداء وتراود خبره خبئين بالمضارع ولم يقلن راودته تنبيها على ان المراودة صارت عادة لها وانها تستمر على المراودة وقوله قد شغفها حبا يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون جملة مستأنفة وان يكون حالا من فاعل تراود وحبا تمييز منقول من الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه صرف الفعل عنه واسند الى الضمير المبهم ثم فسر ذلك الضمير بالتمييز لكون التفصيل بعد الاجمال اوقع فى النفس والذ قوله اولانها استكملت من ان طلبت منهن كتمان سرها فوعدن وما وفين به فيكون الكبر بمعناه من غير مجاز قوله وظللنا بمعنة واتكانا وشربنا الحلال من قلله يقال ظللت افعل كذا بالكسر ظلولا اذا فعلته بالنهار دون الليل واتكانا اى طعنا والكلل جمع قلة وهى الجرة والحلال النبيذ والتقلل ظرفه يقول اشتغلنا طول النهار بالتنعم والاكل الطعام وشرب الشراب وقوله وشربنا ترشيح لمعنى اتكانا قوله وقرئ متكا العامة على ضم الميم وتشديد التاء وفتح الكاف والهمزة وقرئ متكا اصله متكاة فحذفت تخفيفا ومتكاء بالتشديد والمد وهى قراءة العامة الاانه اشبع الفتحة فتولد منها الف كما فى متراح ومتكا بضم الميم وفتحها وسكون التاء

وتنوين الكاف والمتك بضم الميم وفتحها الاترج وقيل بل هو اسم لجميع ما يقطع بالسكين اترجا كان او غيره من الفواكه وقيل هو من متك الشئ بمعنى بتكه اى قطعه فيحتمل ان يكون الميم بدلا من الباء بدلا مطردا فى لغة قوم يقولون ماذلت واثما اى راتبا ويحتمل ان يكون مادة اخرى وافقت هذه المادة فى المعنى وقيل فيه اللغات الثلث اعنى ضم الميم وفتحها وكسرها ومتكاء على وزن مفعلا من تكئ يتكأ اذا اتكاء قوله والهاء يعنى ان ضمير اكبرنه على تقدير ان يكون بمعنى عظمنه وحشن من حسنه ضمير يوسف واما اذا كان بمعنى حضن فالزمخشرى قال فالهاء يكون للسكت ولم يلتفت المصنف اليه بناء على ان تحريك هاء السكت لحن ولو كانت للسكت لسكنت الا ان يقال اجريت هاء السكت مجرى هاء الضمير فى تحريكها واجريت حال الوصل مجرى حال الوقف فى اثباتها واختار ان يكون هاء ضمير فعال والهاء ضمير المصدر المدلول عليه بفعله اى اكبرن الاكبار او ضمير يوسف والمعنى حضن له من شدة الشبوة وهو شدة شهوة الضراب وانشدوا لكوح الاكبار بمعنى الحيض قوله ياتى النساء على اطهارهن ولا ياتى النساء اذا اكبرن اكبارا قوله خف الله واسترذا الجمال يقرقع فاح لحت اى ان ظهرت حاضت الابكار الشواب فى حذور عشاقك وصياكه فاح المراة اذا اغتلمت واشتدت شهوتها سال دم حيضها والعواتق جمع عاتق يقال جارية عاتق اى شابة اول ما ادركت وبلغت فحذرت فى بيت اهلها ولم تبن من اهلها الى زوج قوله كما قراء ابو عمرو وفاتنا قرا حاشا لله بالف حال الوصل فاذا وقف حذفها اتباعا للخط وقراء الباقون بغير الف فى الحالين قوله وهو حرف يفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه اثر كونها حرف جر فى الاصل ثم نقل الى معنى المصدر اى براءة وتنزيه الله مع ان النحاة عدوها من الادوات المترددة بين الحرفية والفعلية وقالوا ان جرت فهى حرف وان نصبت فهى فعل وهى من ادوات الاستثناء ولم يعرف سيبويه فعليتها وان ذهب

اليها غيره ولذلك اختار المص حرفيتها لان حرفيتها ثابتة بالاتفاق بخلاف
فعليتها وما نقل عن ابى على الفارسى من انه فعل وفيه ضمير يوسف وهناه
جانب وبعدها تو قعنا منه لله الخوفه ومراقبته فضعيف لان المنع فى حاشا
لله وحاشى لله وسائر وجوه استعمالاته لا يختلف ولغوات منع التعجب
وما استدل به من انه لا يكون حرفا لدخوله على حرف الجر ولان الحذف
لا يدخل الحروف اذا لم يكن فيه تضعيف فجوابه ان التصرف المذكور انما
لحقه بعد جعله اسما والحذف قد يدخل الحرف من غير تضعيف كقولهم اما والله
وانم والله والدليل على نقله الى منع المصدر اضافته لان حرف الجر لا يضاف
ولا يبتدأ به الكلام وكذا اذا كان حرف الاستثناء فحاشا فى الآية ليست
حرفا ولا فعلا وانما هى اسم مصدر يدل عليه حاشا حال كونه حرف استثناء
وهو معنى التنزيه كانه قيل تنزيها لله وبراءة له وانما لم ينون مراعاة لاصله
الذى نقل منه وهو الحرفية قوله وبشرى الى وقرى بشرى بكسر الباء الجارة
الداخلة على الشرى بمعنى ما هذا حاصلا بالشرى وقراءة العامة فتح الباء على ان
لفظ البشر كلمة واحدة غير مركبة من الاسم والحرف وهى الموافقة لخط المصحف
حيث كتب فيه بالالف والشرى انما يكتب بالباء قوله فهو ذلك العبد
العبد الكنعانى الذى لمتنني فيه الظاهر ان يكون ذلك مبتدأ والموصول
بصلته خبره الا ان ما ذكر من النكتة فى الاشارة بلفظ البعيد الى يوسف
وهو حاضر يقتضى ان يقدر المبتدأ ويجعل ذلك الذى الخ خبره وتقرير النكتة
ان ذكر وان كان هو صنو فعالان يشار به الى الشاهد المحسوس البعيد الا انه
قد يشار به اشارة عقلية الى المحسوس غير مشاهد تنزيلا للاشارة العقلية
منزلة الحسية ومن المعلوم ان المحسوس الغير الشاهد غائب فيكون
فى حكم البعيد فيصح ان يشار اليه بلفظ ذلك قال التحرير المحقق فى شرح
التلخيص ولفظ ذلك للاشارة الى كل غائب عينا كان او معنى بان يحكى عنه
اولا ثم يشار بخو جاءنى رجل فقال ذلك الرجل فلما سمعت زليخا قول النسوة
ان امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى بحيث لم يبق لها صبر وقرار

الا بوصله

الا بوصله فلذلك اشتغلت بمراودته عن نفسه فقد سبق ذكر العبد
الكنعانى الغائب الذى لم تتصوره النسوة بما هو عليه من كمال الحسن
ولطافة المنظر فاشارت اليه بقولها ذلكن وجعلته خبر المبتداء المحذوف
فكانها قالت هذا الذى رايتموه هو ذلك العبد الكنعانى الذى عيرتنى فيه
فاشارت بهذا الى الشخص الحاضر عندها وبقولها ذلكن الى الذى تصورنه
قوله او فهذا هو الذى لمتننى فيه على ان يكون ذلكن مبتدأ والموصول
مع صلته خبره واشير الى المشاهد المحسوس بلفظ البعيد تعظيما للمشار اليه بالبعد
تنزيلا لبعد درجته ورفعة محله منزلة بعد المسافة ولما اظهرت زليخا
عند النسوة عذرها فى شغفها محبتها وهو انهن بنظرة واحدة لحقهن فيما هو
اعظم مما لحقها مع طول زمان كونه عندها كشفت عن حقيقة الحال فقالت
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم يعانونها على الانانية عربية والاستعصام
بناء مبالغة تدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه فى عصمة وهو
يجتهد فى الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع واستجمع الراى قوله
ما آمره به على ان يكون كلمة ما موصولة وان يرجع ضميره الى الموصول بحذف الجار
كانه قيل امرتك الخير وقوله او امرى اياه على ان يكون ما مصدرية قوله
وفاعل ليبدأ مضمر اى يفسره ليسجننه لان ليسجننه فعل والفعل لا يكون مخبرا
عنه فلا يقال ضرب قتل فتقدير الكلام ثم بدا لهم سجنه الآية أفهم هذا الفعل
مقام ذلك الاسم وكلمة ثم فى قوله تعالى ثم بدا لهم تدل على تغيير رأيهم فى يوسف عم
وذلك ان زوج المراة قد ظهر له براءة يوسف فلا جرم لم يتعرض له واحتالت
المراة بعد ذلك بجميع الحيل حتى تحمل يوسف على موافقتها فى مرادها فلم يلتفت
يوسف اليها فلما ايست عنه احتالت فى طريق آخر فقالت لزوجها هذا العبد
العبرانى فضحنى فى الناس يقول لهم انى راودته عن نفسه وانا لا اقدر على
اظهار عذرى فارى ان الاصلح ان تحبسه لينقطع عن الناس ويسقط عنهم
ذكر هذا الحديث وكان العزيز مطواعا لها وجعلا ذلولا ذمامه فى يدها
فاغتر بقولها ونسى ما عاين من الآيات فى سجنه وعمل برايها والحاق

الصغار به كما اوعده به وحتى في قوله حتى حين جارة بمعنى الى كانه قيل ليسجننه
زمانا ذكر في الكتب الفقهية انه لو حلف والله ما اكلم فلانا حينا او زمانا
بلا نية على شئ من الوقت فهو محمول على نصف سنة ومع نية شئ معين من الوقت
فما نوى من الوقت قال اهل اللغة الحين وقت من الزمان غير محدود يقع
على القصير منه والطويل ولا دلالة في الآية على تعيين مدة حبسه وانما
القدر المعلوم انه بقي محبوسا مدة طويلة لقوله تعالى واذكر بعد امة
وفي الآية محذوف والتقدير بدا لهم ان يحبسوه وحذف ذلك لدلالة
قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان قيل هما غلامان كانا للملك
الاكبر يصر احدهما صاحب طعامه والآخر صاحب شرابه رفع اليه ان صاحب الطعام
يريد ان يسمه او ان بسقيه السم وظن ان الآخر يساعد عليه فامر الملك
ان يحبسهما فبلغ ان جماعة من اهل مصر اراد وا الفتك بالملك واغتياله وضمنوا
لهدين ما لا ليسمما الملك في طعامه وشرابه ثم ان الساقي نكل عنه وقيل
الخباز الرشوة فسم الطعام فلما احضر كل واحد منهما طعام الملك وشرابه
قال الساقي ايها الملك لا تاكل الطعام فانه مسموم وقال الخباز لا تشرب
فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب فشرب فلم يضره وقال
للخباز من طعامك فابى فجرب ذلك الطعام على دابة فاكلته فهلكت فامر
الملك بحبسهما قوله اني اراني في المنام يدل على ان المراد ذلك قولهما
نبئنا بتاويله ولو كان المراد رؤية العين لم يكن له وجه وايضا لو كان
المراد حكاية ما طرا عليه حال ليقظته لكفاه ان يقول اعصر ولما احتاج
الى ان يقول اراني واختلف في انهما هل رايا رؤيا او لم يريا شيئا فقال
بعضهم ان يوسف عم لما دخل السجن قال لاهله اني اعبر الاحلام فقال
احد الفتيين هلم فلنجربه هذا العبد العبراني برؤيا نختلقها فسالاه
من غير ان يكونا رايا شيئا وقال آخرون ومنهم المجاهد انهما قد رايا حين
دخلا السجن رؤيا فاتيا يوسف عم وسالاه عنه فقال الساقي ايها العالم
اني رايت كاني في بستان فاذا انا باصل حبلة حسنة فيها ثلثة اغصان

عليها عناقيد من عنب فجنيتها وكان كاس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت
الملك فشربه وقال صاحب الطعام اني رايت كان فوق راسي ثلث سلال
فيها خبز والوان الاطعمة واذا سباع الطير ياكلن من السلة العليا وتنهش
اللحم اخذ بمقدم الاسنان قيل المراد باحسان يوسف عم احسانه في علم التعبير
لانه عم متى عبر رؤيا احد من اهل السجن وقع الامر على ما عبره وروى
ان الضحاك سئل ما كان احسان يوسف فقال انه كان يؤثر الاحسان
ومكارم الاخلاق في جميع الافعال وكان يعود مرضهم ويونس حزنهم واذا
ضاق على رجل مكانه يوسع له وان احتاج احد جمع له ما يحتاج اليه وقال
الفراء والزجاج احسانه كونه من العالمين المذكورين للناس ما ينتفع به
الناس في معاشهم ومعادهم الجوهري يقال هو يحسن الشئ اي يعلمه وقالا
ذلك لانهما سمعا يوسف يذكر الناس ما يعلم منه انه عالم فلما سمع يوسف
قولهما هذا وصل به قوله لا ياتيكما طعام آه ليريهم ان علمه فوق ما يعلم العلماء
وجعل وصف نفسه بالعلم الفائق وسيلة الى ذكر التوحيد فوذلك لان
جواب فتواهم هو قوله يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا
الآية لكن قدم عليه مقدمة الدعوة الى التوحيد لانها اول ما يجب على الانبياء
ولها بعثوا وبها امروا فجعل قوله لا ياتيكما طعام تذرقانه الى قوله
ولكن اكثر الناس لا يشكرون تخلصا الى قوله يا صاحبي السجن ا ارباب
متفرقون فقوله لا ياتيكما طعام مقدمة لاصل الجواب الذي هو تعبير الرؤيا
من حيث ان تاويلها وتعبيرها من قبيل العلم بالمغيبات وهذا القول
منه يدل على علمه بها ويقطع انفسهما لقبول ما يلقيه بعد من الجواب وجعله
مخلصا لمطلوبه وذريعة الى الشروع في اثبات التوحيد ونفي الشرك
عن نفسه لكون ذلك ابلغ في نصحهم وارشادهم الى الحق ولودعاهما
الى التوحيد ابتداء بلا قال طعم من اول الامر ا ارباب متفرقون خير ام الله
الواحد القهار لكبسوا له جلد النمر ولما التفتوا اليه فيفوت غرضه الذي
هو ان ينتفع به في الدين قوله اي بتاويل ما قصصتما على ان يكون

التأويل عبارة عن بيان مال الشئ ومرجعه كما هو المراد منه في قولهما
نبيّنا بتأويله وهو المعنى الاصلي للتأويل وفي النهاية من آل الشئ و
يؤول الى كذا اى رجع وصار اليه وتأويل الآية نقل ظاهر اللفظ عن وضعه
الاصلي الى معنى يرجع اليه المراد من ذكر اللفظ بناء على دليل لولاه لما
ترك ظاهر اللفظ قوله او بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته
والتأويل بمعنى كشف الماهية وبيان كيفيتها ليس من قبيل نقل ظاهر اللفظ
عن وضعه الاصلي الى ما يعود اليه الدليل بل هو يشبه بيان المجمل و
المشكل الذي يحتاج الى تفصيله وكشفه وذلك لان صاحبي السجن
كانا يعلمان على الاجمال ما يحلّ اليهما من الطعام لكن ماهية ذلك الطعام
وكيفيته لم تكن معلومة عندهم اذ ذاك بيّن ذلك لهما فقد فسّر ما هو المبهم
عندهم وسمّى هذا البيان والكشف تأويلا على سبيل المشاكلة لقولهما نبّئنا
بتأويله قوله ولذلك اى ولكون وصف نفسه بما وصفها به من كونه من
اهل بيت النبوة وكون ابيه وجد، وجد ابيه انبياء الله ورسله لاجل
ان تقوى رغبتهما في الاستماع منه والوثوق عليه لكن ذلك من قبيل
التزكية التي نهى عنه بقوله تعالى ولا تزكوا انفسكم فان فضل ابراهيم
ثم فضل اسحق ويعقوب عم كان امرا مشهورا في الدنيا فاذا ظهر انه
ولدهم عظّموه ونظروا اليه بعين الاجلال فكان انقيادهم له اتمّ وتأثر
قلوبهم بكلامه اكمل فلذلك عرّف شرف نسبه ولم يكن ذلك من قبيل التزكية
المذمومة فان قيل قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله يوهم انه عم
كان من هذه الملة اجيب عنه اولا بان الترك عبارة عن عدم التعرض
للشئ وليس من شرطه ان يكون خاض فيه وثانيا انه عم كان عبدا لهم
بحسب زعمهم الفاسد ولعله قيل ذلك كان لا يظهر التوحيد والايمان خوفا
منهم ثم انه اظهره في هذا الوقت وادعى النبوة واظهر المعجزة ومن الاخبار
عن الغيب فكان هذا جاريا مجرى ترك ملة اولئك الكفرة بحسب الظاهر
قوله وتكرير الضمير يعني تكرير ضميرهم وتقديمه على كافرون للدلالة

على الاختصاص والتأكيد والتخصيص يفهم من التقديم والتأكيد من التكرير قوله
اى شئ كان من ملك واتباع وجن فكيف بضم منحوت فالمراد بالشئ
المشرك اى ما كان لنا ان نشرك به شيئا غيره ويجوز ان يكون الشئ بمعنى
المصدر اى شيئا من الاشراك ومن مزيدة على التقديرين قوله يا ساكني
او صاحبي فيه اى يجوز ان يكون يا صاحبي السجن من باب الاضافة
الى الظرف اتساعا كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة غير مسروقة
بل هو مسروق فيها فكذلك السجن ليس مصحوبا بل هو مصحوب فيه ثم انه عم
لما ادعى النبوة في الآية الاولى وكان اثبات النبوة مبنيّا على اثبات الالهيات
لا جرم شرع في تقرير الالهيات وفساد عبادة الاصنام فقال ارباب
متفرقون خير على سبيل الاستفهام الانكاري انكد القول بتعدد الآلهة بناء
على انتفاء لازمه الذي هو اختلال نظام هذا العالم المشاهد المحسوس
فان كثرة الآلهة توجب الفساد والخلل ووحدة الآله يقتضي حسن الترتيب
والانتظام التام ولا شك ان خيرا من الفساد والاختلال فثبت ان ما يقتضي
ذلك هو الخير لا ما يقتضي فساد السموات والارضين واعلم انه عم لما قرّر
امر التوحيد والنبوة عاد الى تأويل رويا هما التي سبق تقريرها فقال
للساقي اما احدكما مارأيت احسن الحبلة فهو حسن حالك واما الاعصان
الثلثة فثلثة ايام يوضع الملك اليك عند انقضائهن فيردك الى عملك فتصير كما
كنت بل احسن وقال للخباز بئس ما رأيت فالسلال الثلث ثلثة ايام يوضع
اليك الملك عند انقضائهن فيصلبك وتأكل الطير من رأسك فقالا ما رأينا شيئا
قال قضي الامر الذي تستفتيان اى فرغ منه يعني سيقع بكما ما عبّرت لكما
صدقتما او كذبتما وانما ختم يوسف عم بوقوع الامر بهما من قبل وحي اتاه من
الله تعالى وبيّن ان عاقبة كل واحد منهما يكون على الوجه المخصوص لانه عم لو بنى
جوابه على علم التعبير لما قال قضي الامر لان علم التعبير مبني على الظن والحسبان
والقضاء هو الالزام الجازم والحكم القاطع الذي لا يصح ابتناؤه على الظن
والحسبان قال الله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وقال ولا يعد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ايضا ان يقال انه عم بنى جوابه ذلك على علم التعبير وقوله قضى الامر الذى فيه تستفتيان لم يعين فيه ان الذى ذكره واقع لا محالة بل عنى به ان حكمه فى تعبير ما سألاه عنه ذلك ذكره قوله الظاهر يوسف عم ان كان ما ذكره من التعبير مبنيا على القواعد المذكورة فى علم التعبير لان تلك القواعد لا تفيد اليقين وانما تفيد الظن والتخمين فيصح اسناد الظن بالمعنى المشهور الى يوسف ع فيكون المعنى وقال يوسف للرجل الذى ظن يوسف انه ناج وامّا اذا كان تعبيره بطريق الوحى فلا يصح اسناد الظن اليه عم لان الوحى انما يفيد اليقين دون الظن فيتعين كونه مسندا الى الناجى ويكون المعنى وقال يوسف للرجل الذى ظن يوسف انه ناج وامّا اذا كان تعبيره بطريق الوحى فلا يصح اسناد الظن اليه عم لان الوحى انما يفيد اليقين دون الظن فيتعين كونه مسندا الى الناجى ويكون المعنى وقال يوسف للرجل الذى ظن ذلك الرجل انه ناج فكان ظانا فى نجاته من حيث انه لم يطمئن قلبه بنبوة يوسف عم لكن كان حسن فى حقه فلذلك غلب على ظنه كونه مصيبا فى التعبير قوله فاضاف اليه المصدر للملابسة له يعنى الظاهر ان يقال ذكره لربه على اضافة المصدر الى مفعوله لان الشائع فى اضافة ان يضاف الى الفاعل اولا الى المفعول به الصريح الا انه اضيف الى غير الصريح للملابسة او هو مضاف الى مفعوله الصريح المقدر اى ذكر اخبار ربه قوله او انسى يوسف اى ويجوز ان يكون ضمير انساه راجعا الى يوسف لا الى الشرابى والمعنى ان الشيطان انسى يوسف ان يذكر ربه وان لا يستعين بغيره من المخلوقين فان اللائق بمنصبه ان لا يتوسل حاجته سوى الله تعالى وان يقتدى بجده ابراهيم عم فانه حين وضع فى المنجنيق ليرمى فى النار جاءه جبرئيل عم وقال هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا ثم قال الى الله فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى قال المفسرون لما استعان بغير الله عاقبه الله تعالى بان حبس سبع سنين بعد الخمس التى حبسها الا وقت قوله اذكرنى عند ربك وروى ان جبرئيل دخل على يوسف عم

فى السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا اخا المنذرين مالى اراك بين الخاطئين فقال له جيرائيل يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك اما استحييت منى اذا استشفعت بالآدميين فوعزتى لا لبثتك فى السجن بضع سنين قال الاصمعى البضع ما بين الثلث الى التسع وعامة المفسرين على ان المراد بالبضع ههنا سبع سنين وهو منصوب على الظرف الزمانى والمهازيل جمع مهزول من الهزال وهو ضد السمن وسمان جمع سمين وسمينة كالكرام جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام والعجف الهزال الذى ليس بعده حد وعجاف جمع عجفاء وجمع على فعال مع ان افعل وفعلاء لا يجمعان على فعلان حملا على سمان لان نقيضه ومن دابهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض قوله اجرى السمان على المميز يعنى جعل السمان مجرورا على انه صفة بقرات ولم ينصب على انه صفة سبع ويكون مميز السبع هو البقرات مطلقا لان المقصود من التمييز رفع الابهام المستقر فى المميز وهذا المقصود انما يحصل بان يميز السبع بالبقرات الموصوفة بالسمن ولو جعل سمان صفة لسبع وجعل بقرات مميزا للسبع الموصوفة بالسمن وقبل رى سبع بقرات سمانا لوقع التمييز بجنس البقرات ولو جعل سمان صفة للتمييز لوقع التمييز بنوع البقرة وهى البقرات السمان ولا شك ان التمييز بالنوع اولى وابلغ من التمييز بالجنس لاشتمال النوع على الجنس فقوله لان التمييز بها اى بالسمان من البقرات لا بجنس البقرات قوله ووصف السبع الثانى بالعجاف اى الم يجعل عجاف مجرورا على انه مميز للعدد بل رفع على انه صفة للسبع لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فوله لان المقصود من التمييز بيان جنس الممز وحقيقته والعجاف صفة لا تدل على الحقيقة وانما تدل على شئ ما متصف بشئ فلا يصلح للتمييز الا اذا كان جاريا على الموصوف فتعين جعله صفة للعدد قوله ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا اى بتفسيرها وتاويلها يقال عبرت الرؤيا اعبرها عبارة اى فسرتها ويقال ايضا عبرت الرؤيا تعبيرا بمعنى فسرتها ايضا ولغة

التخفيف اثبت في السنة الفصحاء بالنسبة الى لغة التشقيل ويقال ايضا
عبرت النهر وغيرة اعبره عبرا وعبورا اذا جاوزته ووصلت الى جانب
الآخر من عرضه وقيل لعابر الرؤيا عابر لانه يتأمل جانبي الرؤيا ويتفكر في
اطرافها وينتقل من احد الطرفين الى الآخر فعابر الرؤيا مأخوذ من عابر
النهر قوله واللام للبيان كانه لما قيل كنتم تعبرون قيل لاي شئ فقيل للرؤيا
كما ان لفظ فيه في قوله ولكم في ذلك من الزاهدين للبيان كانه لما قيل ما الزاهدين
قيل في اي شئ زهد وافقيل فيه قوله او لتقوية العامل فانه وان كان
فعلا قويا على العمل لكن طرأ عليه المص بتقدم معموله عليه فقوي باللام المزيدة
كما يقوى بها اذا كان العامل فرعا كقوله تعالى فعال لما يريد لمثل هذا
اللام لاتتعلق بشئ وانما تزاد لمجرد التقوية وقد تزاد عند فقدان الشرط جميعا كما في قوله تعالى ردف لكم فانه لا وجه فيه ولا تقديم مع انه زيدت اللام
قوله تنتدبون تفتعلون من ندبه لامر فانتدب له اي دعاه للامر فاجاب
ونباء الافتعال فيه لمطاوعة فعل كما في قولك جمعته فاجتمع قوله وهي
تخاليطها اي اباطيلها والكاذبها وفي الصحاح اختلط فلان اي افسد عقله
والتخليط في الامر الافساد فيه قوله فالستعير للرؤيا الكاذبة تشبيها
لها بما جمع وخلط من انواع النبات والحشيش والجامع مع الاختلاط من غير
تمييز بين الجيد والردي وتسمية لها باسم المشبه به واضافة الاضغاث
الى الاحلام قرينة الاستعارة والاحلام جمع حلم وهو بضم اللام وسكونها
الرؤيا اي ما يراه النايم في النوم باطلا كان او حقا فان الاحلام لو لم يتناول
كلا القسمين لما اضيف اليها الاضغاث التي هي الاباطيل اضافة بعض
من فانها يستدعي ان يكون المضاف اليه جنسا يندرج فيه المضاف وغيرها
وقد يخص الرؤيا بالمنام الحق والحلم بالمنام الباطل كما في قوله عم الرؤيا
من الله والحلم من الشيطان قوله وانما جمعوا ينفع جمعوا الضغث و
جعلوه خبرا لهذه الرؤيا مع انها ليست الا رؤيا واحدة لا لدلالة على كثرة
احاد ما يدل عليه مفرد، بل انما جمع للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان

فان لفظ

فان لفظ الجمع كما يدل على كثرة الذوات يدل ايضا على المبالغة كما تقول فلان يركب
الخيل ويلبس عمايم الهند لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة واحدة
مبالغة في الوصف فهؤلاء ايضا بالغوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث
احلام قوله يريدون بالاحلام المنامات الباطلة حاصة على ان يكون
تعريف الاحلام في قولهم وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين للعهد والمعهود ما
صرحوا به من قولهم اضغاث احلام ولم يحمله على تعريف الجنس وهو ما
يعلم كل احد ان الاحلام ما هي لانه حمله عليه يستلزم ان ينفي القوم عن
انفسهم كونهم عالمين بتعبير جنس الرؤيا فيبقى قولهم آنفا هذه اضغاث
احلام ضائعا لا فائدة بخلاف ما اذا حمل على تعريف العهد فانه حينئذ يكون قولهم
ذلك لتمهيد عذرهم في انهم غير عالمين ويكون محصل جوابهم ان الرؤيا على
قسمين منها ما تكون متسقة منتظمة فيتهيأ الانتقال من الامور المتخيلة الى
الحقايق العقلية الروحانية ومنها ما تكون مختلطة مضطربة ولا يكون بينها ترتيب
معلوم وهو المسمى بالاضغاث فالقوم قالوا ان رؤيا الملك من قسم الاضغاث
ثم اخبروا انهم غير عالمين بتعبير هذا القسم فكانهم قالوا هذه الرؤيا مختلطة
من اشياء كثيرة وما كان كذلك فنحن لا نهتدي الى تعبيرها وفيه ايهام ان
الكامل في هذا العلم والمتبحر فيه قد يهتدي الى تعبير مثلها فقولهم وما نحن بتأويل
الاحلام بعالمين يكون بهذا الاعتبار كانه مقدمة بانية للعذر في جهلهم بتعبيرها
كانهم قالوا هذا الرؤيا من قبيل اضغاث الاحلام وما نحن بمتبحرين في علم
التعبير فلا نهتدي الى تعبيرها واعلم ان الملك لما رأى ما رآه من الرؤيا
قلق واضطرب بسبب انه شاهد ان الناقص الضعيف المستولي على الكامل
القوي فشهدت فطرته بان هذه الرؤيا صورة شر عظيم يقع في المملكة الا انه
ما عرف كيفية الحال فيه فاشتاق ورغب في تحصيل المعرفة بتعبير رؤياه
فجمع اعيان مملكته من العلماء والحكماء فقال طلعم يا ايتها الملاء افتوني في
رؤياي ثم انه تعالى اعجز هؤلاء الذين حضروا عنده عن جواب هذه المسئلة
وعماه عليهم ليصير ذلك سببا لخلاص يوسف عم من الحبس فلما اعترف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحاضرون بالعجز عن الجواب جيئ الشرابي بين يدى الملك فقال انا انبئكم
بتأويله فقال الملك وما يدريك يا غلام فلست بكاهن ولا معبر فقص على
الملك ما جرى له مع صاحبه الخباز من انهما رأيا في السجن منامين واخبر كل واحد
رؤياه لرجل مستمى بيوسف وطلب منه تعبير رؤياه فعبرها وصدق في جميع
ما وصف ولم يسقط من تعبيرها شئ فان اذنت مضيت اليه واتيتك من
قبله بتعبير هذه الرؤيا وهو قوله تعالى وقال الذى نجا منهما واذكر بعد امة
مهملة مشددة وهى قراءة العامة اصله اذتكر وهو افتعل من الذكر فوقعت
تاء الافتعال بعد الذال فابدلت دالا فاجتمع متقاربان فابدل اولهما جنس
الثانى وادغم وقول المص تذكر يوسف ليس بيانا لاصل الكلمة والا لقيل اذكر
بتشديد الذال والكاف وقراءة الجمهور بعد أمة بضم الهمزة وتشديد
الميم وتاء منونة وهى المدة الطويلة الحاصلة من اجتماع الايام الكثيرة كما
ان الامة يحصل من اجتماع الجمع العظيم فالامة الطويلة كانها امة من الايام
والساعات وقرئ بعد امة بكسر الهمزة اى بعد نعمة انعم بها عليه وهى خلاصه
من السجن ونجاته من القتل وقرئ بعد أمه بفتح الهمزة والميم الخفيفه و
الهاء المنونة من الامه وهو النسيان يقال امه يأمه امها وامها بفتح
وسكونها حول والجملة اعتراض ويجوز ان يكون حالا من الموصول
وان يكون معطوفا على نجا حول ثم ان الشرابى قرر الرؤيا عند يوسف
عم بعين اللفظ الذى ذكره الملك ونعم ما فعل لان تعبير الرؤيا قد
يختلف بسبب اختلاف اللفظ كما هو المذكور في علم التعبير ثم انه عم ذكر
تعبير تلك الرؤيا فقال تزرعون سبع سنين وهو خبر بمعنى الامر كقوله تعالى
والمطلقات يتربصن وقوله والوالدات يرضعن ويدل على كونه بمعنى
الامر قوله فذروه في سنبله وقوله دأبا قرأ حفص بفتح الهمزة والباقون
بسكونها وهما لغتان في مصدر دأب يدأب اذا دام على الشئ ولازمه
على عادته والمعنى فازرعوا سبع سنين مستمرين على الزراعة ما تعتادونه من الغلة وغاد الارض ورفع شداد في قوله سبع شداد على انه

صفة

صفة سبع ولم يجعل مجرورا لتميز السبع لما قد مر من انه صفة يتعذر التمييز بها
مجردا عن الموصوف بخلاف سنين في قوله سبع سنين والمعنى ثم يأتي
من بعد ذلك سبع سنين شداد اى صعاب مجدبات تشتد على الناس
تأكل تلك السنون ما ادخرتم لاجلهن اى يذهبنه ويفنينه اسند الاكل و
الافناء الى السنة وهى لا تأكل شيئا اسنادا مجازيا على طريق اسناد
الفعل الى زمانه كما في قوله تعالى والنهار مبصرا تطبيقا بين المعبر و
المعبر به فان سبع البقرات السمان في المعبر مؤولة بسبع سنين
مخصبات والسبع العجاف مؤولة بسبع سنين مجدبات وقد اسند
الى هذا السبع العجاف اكل تلك البقرات السمان فكذا اسند في المعبر به
ايضا الى السنين المجدبة مع ان الاكل انما هو حال اهلها تطبيقا بينهما قوله
مما تحصنون الا يجوز ان يكون الف يغاث مقلوبة من الياء على ان يكون
مشتقا من الغيث الذى هو مصدر قولك غاث الله البلاد يغيثها غيثا
اذا انزل بها الغيث وهو المطر وقد غيثت الارض تغاث اذا مطرت
فقوله يغاث الناس معناه يمطرون ويسقون الغيث ويجوز ان يكون
الفها مبدلة من الواو على ان يكون من الغوث الذى هو الفرج وزوال الهم
والكرب وعلى هذا يكون فعله رباعيا يقال استغاث الله فاغاثه اى انقذه
من الكرب الذى هو فيه وهو الجدب في قصة الرؤيا حول او من اعصرت
السحابة اى شارفت ان تقصرها الرياح فتمطر على ان تكون همزته همزة
للصيرورة كهمزة احصد الزرع فان قرئ يعصرون على بناء المفعول على ان
يكون من اعصرت السحابة فلا بد من احد التاويلين لان اعصر بهذا المعنى
لازم لا يتعدى حتى يسند الى المفعول القايم مقام الفاعل حول ولعله عم
علم ذلك بالوحى وذلك لان رؤيا الملك انما يدل على ان كل واحد من السنين
المخصبة والمجدبة سبع وان السنين المجدبة يأكلن ما جمع في السنين المخصبة
وليس فيها ما يدل على ان حال السنة التى يأتي بعد انقضاء تلك السنين المذ
كورة ما هى فتعين انه عم ما علم ذلك الا بالوحى ويجوز ان يعلم من الرؤيا بناء

على ان الملك لما راى ان العجاف سبع دل ذلك على ان السنين المجدبة لا يزيد
على هذا العدد ومن المعلوم ان الحاصل بعد انتهاء زمان القحط ليس لازمان
الخصب فحكم ان العالم لا يخلو عن احد الضدين او فحكم ان سنة الله تعالى جرت
على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم ثم ان الشرابي لما عرض على الملك
التعبير الذي ذكره يوسف عم استحسنه الملك اي تنوفي به فعاد الشرابي الى يوسف
فقال اجب الملك فابى يوسف عم ان يخرج من السجن الا بعد ان يفحص
الملك عن حاله مع النسوة لتنكشف حقيقة الحال وبراءته مما اسند اليه
من الخيانة في حق العزيز واهله وليظهر كمال عقله وصبره ووقاره
فان من بقي في السجن اثنى عشر سنة اذا طلبه الملك واخراجه ولم
يبادر الى الخروج وصبر الى ان يتبين براءته دل ذلك على براءته عن جميع
انواع التهم وعلى ان كل ما قيل فيه كان كذبا وبهتانا روى عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه استحسن حزم يوسف وصبره حين دعاه الملك فلم يبادر
الى الخروج حيث قال لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له
حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه اخبرتهم حتى
اشترطت ان يخرجوني ولقد عجبت حين اتاه الرسول فقال ارجع الى
ربك الآية ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة
وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر ان كان حليما ذا اناة قوله عم
والله يغفر له ونحن مقدمة تذكر امام المقصود تعظيما لما قيل له ذلك وتوقيرا له
لحرمته وهو كما تقول لمن تفضله عفى الله عنك ما صنعت في امري قوله
امره
واما قال فاسأله يفيد انه عم الرسول بان يسأل الملك عن شان النسوة و
حالهن ولم يأمره بان يسأل الملك ان يفتش عن حالهن مع ان المقصود
ذلك لكون الطريق الذي آثره ابلغ في افادة هذا المقصود فلذلك لان
فعل السؤال يتعلق بكلمة ما التي تستكشف بها حقيقة الشئ فاذا قلت
سألته ما الانسان كان معناه طلبت منه ان يبين لي ماهية الانسان
وحقيقته واذا قلت سألته الخبز كان المعنى طلبت منه ان يعطيني الخبز

فلما

فلما قال فاسأله ما بال النسوة فقد امره ان يطلب من الملك كشف حقيقة
حالهن وهذا الطلب يهيج الملك على التفتيش عن حالهن من حيث ان
الانسان حريص على الاطلاع على حقيقة الشئ ويستنكف عن ان ينسب الى
الجهل بها فلا جرم اذا سئل عنها يبذل جهده في التفتيش عنها وتحصيل
العلم بها بخلاف ما لو قيل فاسأله ان يفتش عن حالهن فانه انما يدل على
ان يطلب الرسول من الملك ان يفتش عن حالهن والملك لا يبالي بهذا الطلب
ولا يلتفت اليه الى مثل هذا الطلب من هو ادنى حالا من الملك بمراتب
ذئر بريء مما قذف به اي اتهم به يقال فرقت الرجل اي عبثه ويقال هو
يقرف بكذا اي يرمى به ويتهم فهو مقروف اي متهم فلما اخبر يوسف عم الرسول
بذلك رجع الرسول الى الملك برسالة يوسف فدعا الملك النسوة وفيهن امرأة
العزيز فقال لهن ما شأنكن وقصتكن اذ راودتن وان كانت صيغة
الجمع اثنانا يحتمل ان يكون المراد منه خطاب زليخا على طريق اسناد فعل الواحد
الى الجماعة لوقوعه بينهم ولرضاهم واستحسانهم كما في قوله تعالى قال لهم الناس
ان الناس قد جمعوا لكم ويحتمل ان يكون المراد منه خطاب الجماعة اما لان كل واحد
منهن راودت يوسف عن نفسه لاجل نفسها اولان كل واحدة منهن راودته
لاجل امرأة العزيز فان اللفظ يحتمل كل واحد من هذه الوجوه ولما علمت
امرأة العزيز ان هذه المناظرات والتخصصات انما وقعت بسببها
ولاجلها كشفت القناع وصرحت بما هو الواقع وقالت الآن حصحص
الحق اي وضح وانكشف وتمكن في القلوب والنفوس قال الزجاج اشتقاقه
في اللغة من الحصة اي بانت حصة الحق من حصة الباطل ولما علمت زليخا
ان يوسف راعى جانبها حيث قال ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن فذكر عنهن
ولم يؤكد اياها مع ان الفتن كلها انما نشأت من جانبها وحزمت بان رعاية
ادبها انما كانت تعظيما لجانبها واخفاء للامر عليها فارادت ان تكافئه على
هذا الفعل الحسن فلذلك اعترفت بان الذنب كله كان من جانبها وان يوسف
كان بريئا عن الكل روى ان امرأة جاءت بزوجها الى القاضي وادعت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المهر فامر العاضه بان تكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اداء الشهادة
على وجهها فقال الزوج لاحاجة الى ذلك فانى مقر بصدقها فى دعواها فقالت
المراة ما اكرمتنى الى هذا الحد فاشهدوا انى ابرات ذمتك عن كل حق
كان لى عليك قوله فحصحص فى صم الصفا بفناته وناديه بسلمى نوءة
ثم صمما الصم جمع اصم وهو الحجر الصلب المصمت والصفا جمع الصفاة
وهى الصخرة الملساء وثفنات البعير مباركه وهى خمل الصدر والركبتان و
الرجلان وناء بالحمل اذا نهض مثقلا وصمم فى السير وغيره اى مضى
وحصحص وناء مسندان الى ضمير البعير يقول هذا البعير التى ثفناته فى ذات
حجارة صلب وركبت عليها سلمى ثم قام بسلمى وقصد السفر ومضى فى السفر
قوله الا وقت رحمة ربى على انها مصدرية والمصدر المؤول فى محل
النصب على انه مستثنى مفرغ والتقدير لامارة بالسوء فى كل الاوقات
الا وقت رحمة ربى قوله او الا رحمة الله على ان ما موصولة مستثنى
من الضمير المستتر فى امارة كانه قيل ان النفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها
ربى فانها لا تامر بالسوء فالمراد بالنفس الجنس فلذلك جاز الاستثناء منها
كما فى قوله تعالى ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا ويجوز ايقاع ما على
من يعقل على ارادة الوصف كما فى قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم قوله
عطف على قوله قال يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بجلالة محله ووجه ارتباط
الاناة بما قبلها على تقدير كونها من كلام راعيل انها لما شهدت على براءة يوسف
واعترفت بانه على الحق وانها كانت على الباطل قالت ذلك الذى قلت
ليعلم يوسف انى لم اخنه ولم اكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصحيح و
الصدق فيما سئلت عنه ومع ذلك ما ابرئ نفسى من الخيانة فانى خنته
حين كرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او ودعته
ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف
ان ربى غفور رحيم استغفرت ربها واستر حمته فما ارتكبت ولم يرض
المص بهذا القول الا ليجعل هذا الكلام بقية كلام المراة لان قوله وما ابرئ

نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا من رحم ربى كلام لايحسن صدوره الا ممن
احترز عن المعاصى ثم تذكر هذا الكلام على سبيل كسر النفس وذلك لا يليق
بالمراة التى استقر جهدها فى المعصية قوله يغفرهم النفس على ان
يكون الآية من تتمة كلام يوسف وقوله او يغفر المستغفر على ان يكون من تتمة
كلام زليخا قوله اى فلما اتوا به فكلم اى كلم الملك يوسف وهو الظاهر لان
مجالس الملوك لايحسن لاحد ان يبداء فيها بالكلام واما الذى يبتدا به هو
الملك وان جاز ان يكون الفاعل ضمير يوسف والمفعول ضمير الملك والدهاء
جودة الراى قوله فقال احب ان اسمع رؤياى منك وفى الكشاف
قال انها الصديق انى احب ان اسمع رؤياى منك شفاها قال يوسف
رايت بقرات فوصف له نهرا واحوالهن ومكان خروجهن ووصف
السنابل وما كان منها على الهيئة التى راها الملك من غير ان ينقص
منها حرفا قال المفسرون انه علم لما عبر رؤيا الملك بين يديه قال له الملك
فما ترى ايها الصديق قال ان تزرع فى هذه السنين المخصبة بين يديه
تزرعا كثيرا وتبنى الخزائن وتجمع فيها الطعام فاذا جاءت السنون
المجدبة بعت الغلاة فيحصل بهذا الطريق مال عظيم فقال الملك من لى
بهذا الشغل فقال يوسف هما اجعلنى على خزائن الارض اى خزائن ارض
مصر على ان تقريف الارض للعهد روى عن رسول الله صلى الله عليه انه قال
فى هذه الآية رحم الله اخى يوسف انه لما تانى فى الخروج من السجن ستهل الله عليه
ذلك الامر على احسن الوجوه ولما تسارع فى ذكر الالتماس اخر الله تعالى ذلك
المطلوب عنه ودل هذا على ان ترك تصرف وتفويض الامر بالكلية الى الله
تعالى اولى ولم يحك الله عن الملك انه قال قد فعلت ما التمسته منى الا
انه تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض فذلك يدل على ان الملك اجابه الى ما
سأل الا انه تعالى اسند التمكين الى نفسه ليعلم ان المؤثر الحقيقى ليس الا الله
تعالى وانه هو الذى مكنه فى الارض روى ان الملك توجه بتاج الكرامة
وادخل خاتم الملك فى اصبعه وقلده سيفه ووضع له سريرا من ذهب

مطلب

مُكلّلًا بالدر والياقوت فقال يوسف عم له اما التدبير فاشدد به ملكك واما
الخاتم فاذ تبرّ به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقد وضعته
على رأسك اجلالًا لك واقرارًا بفضلك فجلس على السرير متوجهًا ودانت له
الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف
مكانه ثم ان قطفير هلك في تلك الليالي فزوج الملك يوسف زليخا امراة
قطفير فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خيرًا مما كنت تريدين فقالت
ايها الصديق لا تلمني فاني كنت امراة حسناء ناعمة في ملك ودنيا و
كان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في صورتك فغلبتني نفسي
فلما بني به يوسف وجدها عذراء فاصابها فولدت له ابنين افرائيم
وميشا ابني يوسف قوله تعالى وكذلك مكنا اي ومثل ذلك التمكين الظاهر
الذي التمسه يوسف مكناه في ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخًا
في اربعين ينزل من بلاد ها حيث يهوى لاستيلائه على جميعها ودخوله تحت
ملكه وسلطانه وكانت خزائن جميع بلاد ها بيده وتحت حكمه بعد ما كان
ضُيّقَ عليه بالرق والحبس والتمكين الاقدار واعداء المكنة والمكانة قوله
اي عرفهم يوسف وسبب معرفته اياهم انه تعالى قد اخبره حين القوه
اخوته في الجب لتثبيتهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون فعلم بذلك يصلون
اليه ويدخلون البتة فلذلك كان مترصدا لوصولهم اليه وكان يتفحص
عن كل من وصل الى بابه من البلاد البعيدة ويتعرف احوالهم ليعرف ان
هؤلاء الواصلين هل هم اخوته ام لا فلما وصل اخوته الى داره تفحص عن
احوالهم تفحصًا ظهر له بذلك انهم اخوته واما انهم ما عرفوه فقد ذكر المفسرون
فيه وجوها روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كان بين ان قذفوه في
الجب وبين ان دخلوا عليه اربعين سنة فلذلك انكروه قوله ائتوني باخ
لكم لم يقل باخيكم بالاضافة مبالغة في عدم تعرفه طلبهم فانهم فرقوا بين مررت
بغلامك وبغلام لك فان الاول يقتضي معرفة المخاطب بالغلام دون الثاني قوله
وهو اما نهي او نفي وفي الكشاف ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون

دا خلا في حكم الجزاء مجزوما معطوفا على قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان تأتوني به
تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي انتهى وعلى التقديرين الاسوار كالا
خبرًا او نهيا يكون داخلًا في حكم الجزاء معطوفا عليه كمن جزمه على الكناني بلا الناهية
وعلى الاول بالعطف على ما هو في محل الجزم قوله لا تتوانى فيه على ان قولهم
لفاعلون بمعنى الاستقبال قالوه تاكيدا للوعد ويحتمل ان يكون بمعنى الحال على
ان يكون الفعل مجازا عن القدرة عليه بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب
فيكون تذييلا وتاكيد الفعل المراودة قوله تعالى وقال لفتيته وهي قراءة
العامة على انها جمع قلة على وزن فعلة كاخوة وصبية والفتيان على وزن
فعلان جمع كثرة كاخوان وصبيان والتغليب من الثلثة الى العشرة والحرا
داخلان والكثير ما فوق العشرة والجمع المصحح من جموع القلة على الاشهر
والظاهر ان قوله لغلمانه الكيالين اشارة الى وجه القراءة على جمع القلة بناء
على ان المولى بالكيل جماعة قليلون وقراءة الفتيان يوافق قوله اجعلوا
بناء على ان المامورين بالجعل غير منحصرين في العشرة وما دونها وكذا ضمير
الجمع في نحو اجعلوها لا يختص بما يستعمل فيه جمع القلة والرحال جمع رحل وهو
الوعاء الذي يجعل المسافر اسبابه فيه والظاهر ان رحال الاخوة ليس اقل من
عشر عرات فاذا وكل بكل عرة واحد من الفتيان يكون المامورون
كثيرا زائدا على العشرة وعن ابن عباس ان بضاعتهم التي هي ثمن طعامهم كانت
نعالا واديما وقيل كانت دراهم والكيل المكيال والكيل ايضا مصدر قولك
كلت الطعام اذا اعطيته كيلا وكل واحد من المعنيين يصح في هذا المقام
الا انه اذا كان بمعنى المكيال يكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال يقال
اكتلت عليه اذا اخذت منه كيلا يقال كال المعطي واكتال الآخر واذا قلت
كلته يكون المعنى كلت له اي توليت فعل الكيل لاجله قال تعالى واذا
كالوهم بمعنى كالوهم قوله حكم بمنعه اي بمنع اعطاء الطعام كيلا حيث
قيد فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي قوله لدفع المانع من الكيل فان
عدم اتيان اخيهم لما كان مانعا من الكيل كان ارساله رفعا لذلك المانع

وانما زاد هذا البيان الملازمة بين الارسال والاكتيال فانه اذا ارسل
ارتفع المانع ومقتضى الاكتيال موجود فيحصل المطلوب بارسالم لتحقق
علته التامة بذلك قوله هل آمنكم استفهام انكاري يتضمن معنى
النفي و قوله الا كما امنتكم منصوب على انه نعت مصدر محذوف اى
لا امنكم على بنيامين الا امنا كما امنتكم اياكم على اخيه وقولكم امنتكم على كذا و
ايتمنته بمعنى و قد قالوا في بداءة الاغراب يا ابا مالك لا تأمنا على يوسف الى
قولهم وانا له لحافظون يريد انكم قد ذكرتم هذا الكلام في حق يوسف
ثم خنتم في حفظه فكيف آمنكم على بنيامين اعتمادا على كلامكم هذا بعد
ما شاهدت منكم خلف الوعد وعدم الثبات على القول ثم قال فالله
خير حافظا اى خيركم حفظا او احفظ الله بنيامين خير من حفظكم اياه يريد انى قد
نقتت بكم في حفظ يوسف فكان ما كان فالآن اتوكل على الله في حفظ بنيامين
فتوكل على الله في حقه فدفعه اليهم قال كعب لما قال يعقوب فالله خير حفظا
قال تعالى وعزتي لاردن عليك كليهما بعد ما توكلت علي قوله تعالى
ولما فتحوا متاعهم المتاع يطلق على ما يصلح لان يستمتع به وجوز ان يراد به
ههنا الطعام الذي حملوه وان يراد اوعيته ذلك الطعام وبضاعتهم ما شروا
به الطعام قوله ماذا نطلب على ان يكون كلمة ما في ما ينبغي الاستفهامية
والمعنى اى شيء ينبغي بعد هذا الاكرام حيث اكرمنا كرامة لو كان رجلا من
آل يعقوب لما فعل ذلك ثم باع كل واحد منا حمل بعير من الطعام ورد
علينا ثمن الطعام على احسن الوجوه وعلى ما ذكر بعد هذا يكون ما نافية
اى لا نطلب ورآء ما رأينا من احسانه احسانا اخر ولا نكذب ولا نتقول
فيما نتكلم في وصفه بمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال قوله وهذا بعير اى
حمل بعير وانما قالوا ذلك لان يوسف عم كان لا يكيل لكل رحل الا حمل بعير
فعلى تقدير ان يحضر معهم اخوهم بنيامين لابد وان يزداد له ذلك الحمل قولهم
ونمير اهلنا اى نجلب اليهم الطعام يقال مار اهله يميرهم ميرا اذا اتاهم
بطعام والميرة الطعام الذي يمتاره الانسان اى يجلبه قوله هذا اى الاحتباج

انا نذير

الى تقدير المعطوف عليه انما هو اذا كانت ما استفهامية لان قوله ونمير اهلنا
لا يجوز ان يعطف على الجملة الاستفهامية لاختلافهما خبرا وانشاء و لا
على الجملة الاسمية لعدم الجامع بينهما فيتعين كونه معطوفا على محذوف
واما اذا كانت نافية فلا يجوز الا وان كونه معطوفا على محذوف وكونه
معطوفا على قوله ما ينبغي لكونه خبرية ح والمعنى لا ينبغي ولا نكذب على الملك فيما
وصفنا بالكرم والاحسان ومن جملة كرمه انه رد الينا بضعتنا على احسن الوجوه
ونمير اهلنا قوله ما اتوثق به يعني ان الموثق مصدر ميمي بمعنى الثقة وقد
استعمل في الآية بمعنى المفعول والمعنى حتى تعطوني عهدا موثقا به اعتمد به ومعنى
كون ذلك العهد كائنا من عند الله تعالى كونه مؤكدا باشهاد الله عليه وسبب
القسم بالله عليه ولما كان المعنى حتى تحلفوا بالله وكان قوله عم لتأتنني به
جواب القسم قوله الا ان تغلبوا او تهلكوا جميعا يعني ان كونهم محاطا بهم
كناية اما عن كونهم مغلوبين مقهورين بحيث لا يقدرون على اتيانه البتة
او عن هلاكهم وموتهم جميعا فان من احاط بهم بالعدو يصير مغلوبا عاجزا عن
تنفيذ مراده او هالكا بالكلية ومن استعمال الاحاطة في الهلاك قوله تعالى
واحيط بثمره اى اصابه ما اهلكه فهلك وقوله وظنوا انهم احيط بهم قوله
او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تأويل النفي وفي الكشاف و
الاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي فلا بد من تأويله بالنفي والمعنى
لا تمتنعون من الاتيان به لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط
بكم ونظيره في الاثبات المتأول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت
والا فعلت تريد ما الحاب ممكن الا الفعل وروى عن الزمخشري انه قال اقسمت
اثبات في الظاهر وليس به لانه في معنى النفي وقسم وليس لانه في معنى الاستدعاء
والطلب وظاهر لما الوقت وليس بوقت لانه في معنى الاستثناء وما بعد الا فعل
وليس بفعل لانه في معنى الاسم فالكلام كله اذن ليس على ظاهره بل مأول ولذلك
اعضل على سيبويه حتى قال سألت الخليل عن قول العرب اقسمت بالله لما
فعلت فحاصل كلام الزمخشري ان الاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي

او بما هو مأوّل به فجعل قوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم مقدرا بالنفي وذكر صاحب الانتصاف ما موصولة انما اختص هذا النوع من الاستثناء بالنفي لانه اذا لم يذكر المستثنى منه في كلام المنفي يكون الكلام مشعرا بعموم المستثنى منه لان النفي على وجه الاطلاق انما يصح اذا عم حكم النفي لجميع افراد الحكم المنفي فاذا نفى الاتيان به على وجه الاطلاق مثلا نفى جميع صور الاتيان به ووجوهه فكان الكلام لعمومه ما فيه من النفي كانه مقرون بذكر المستثنى منه ولا كذلك الاثبات فانه لا اشعار له بعموم الاحوال لانه لا يتوقف الا على احدها ثم قال وقد صدقت هذه القصة المثل السائر وهو قولهم البلاء موكل بالمنطق قال يعقوب عم اولا في حق يوسف واخاف ان يأكله الذئب فابتلى من ناحية هذا القول حيث قال اكل الذئب وقال ملهنا لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي الا ان تغلبوا عليه فابتلى ايضا بذلك واحيط بهم وغلبوا عليه والذي يرى من كلام الخصم ان قول الزمخشري والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي ليس على عمومه بل هو منوط على اقتضاء المقام ان يأوّل الاثبات بالنفي حيث جعل قوله الا ان يحاط بكم مستثنى مفرغا من اعم الاحوال من غير ان يأوّل لتأتنني به بالنفي وآن صح ان يجعل المعنى لا تمتنعون من الاتيان به على كل حال الا في حال ان يحاط بكم الاحاطة العظمة والكبرياء تقول تأبه الرجل اذا تكبر قوله وكوكبة واحدة اي جماعة عظيمة كوكب الشئ معظمه وكوكب الروضة نورها قوله فيعانوا اي يصابوا بالعين يقال عنت الرجل اصابته بعينه فانا عائن وهو معين على النقص ومعيون على التمام قوله وللنفس آثار منها العين لما بين ان يعقوب عم انما قال لبنيه لا تدخلوا مصر من باب واحد بناء على انه خاف عليهم من العين لعلم بان العين حق يدل عليها تجارب العلماء من الزمن الاقدم وتطابق السنة الانبياء على حقيقتها حتى روى عن ابن عباس رض الله عنه ان رسول الله صلى الله كان يعوذ الحسن رض ويقول لهما ان اباكما كان يعوذ بهما اسمعيل واسحاق عم اعوذ بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة

وروى عن عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله صلى الله عم في اول النهار فرايته شديد الوجع ثم عدت اليه آخر النهار فرايته معافا فقال ان جبرائيل عم اتاني فرقاني وقال بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن كل عين وحاسد والله يشفيك قال عم فافقت وقال عم العين حق ولو كان شئ يسبق القدر سبقت العين القدر وعن عائشة رض الله عنها يؤمر العائن ان يتوضأ ثم يغتسل منه المعين وهو الذي اصيب بالعين فلما ثبت بمثل هذه الدلائل ان العين حق واطبق المتقدمون من المفسرين على ان يعقوب عم انما قال ذلك لبنيه خوفا عليهم من العين قال الخصم اولا فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحد فيعانوا ثم شرع في بيان سبب تأثير العين قال المعين اذا رآه العائن واستحسنه وتعجب منه فحال وللنفس آثار منها العين يعني ان تأثير المؤثر في غيره لا يجب ان يكون مستندا الى القوى الجسمانية بل قد يكون التأثير نفسانيا محضا ويدل عليه ان الشيخ الذي يكون قلبه الحوض اذا كان موضوعا على الارض يقدر الانسان على المشي عليه ولو كان موضوعا فيما بين جدارين عاليين يعجز عن المشي عليه وما ذاك الا لان خوفه من السقوط يوجب سقوطه منه فعلمنا ان التأثيرات النفسانية موجودة وايضا اذا تصور الانسان كون فلان معوذ يا له حصل في قلبه غضب يتسخن بذلك مزاجه جدا فابتداء تلك السخونة ليس الا لاجل التصور النفساني ولان مبادي الحركات البدنية ليس الا التصورات النفسانية فلما ثبت ان تصور النفس يوجب تغيير بدنه الخاص لم يبعد ايضا ان يكون بعض النفوس بحيث يتعدى تأثيراتها الى سائر الابدان فثبت انه لا يمتنع في العقل ان يكون بعض النفوس مؤثرا في سائر الابدان فان جواهر النفس مختلفة بالماهية فجاز ان يكون بعض النفوس بحيث يؤثر في تغيير بدن حيوان آخر بشرط ان يراه ويتعجب منه والهامة واحدة الهوام وهي الحيات وكل ذي سم يقتل وانما لا يقتل ولا يسم وهو السوام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

و واحدها سانة كالعقرب والذنبور وقد تقع الهدام على كل ما يدب
من الحيوان واللامة الملمة من ألمت به اى نزلت وجئ على فاعله ولم
يقل ملمة للاذ دواج بهامة ويجوز ان يكون على ظاهرها بمنع جامعة
للشر على المعيون من لمة يلمه اذا جمعه يقال ان دارك تلم الناس
اى تجمعهم ثم ان يعقوب عم بعد ما امر بنيه برعاية الاسباب المعتبرة
فى هذا العالم بين لهم انه لا يصل الى العبد الا ما قدره الله واراد وجوده
فقال وما اغنى عنكم من الله من شئ وكان قتادة يفسر الآية باصابة
العين ويقول ليس فى قوله وما اغنى عنكم من الله من شئ ابطال له
لان تاثير العين ليس مشروطا بالاجتماع او الافتراق وكل ما قدره
الله فهو كائن لا محالة قال الامام واعلم ان الانسان مامور بان يراعى
الاسباب المعتبره فى هذا العالم ومامور ايضا بان يجزم بانه لا يحصل
اليه الا ما قدره الله وان الحذر لا ينجى من القدر فان الانسان مامور
بان يحذر من الاشياء المهلكة والاغذية الضارة ويسعى فى تحصيل المنافع
ودفع المضار بقدر الامكان ثم انه مع ذلك ينبغى ان يكون جازما بانه
لا يصل اليه الا ما قدره الله ولا يدخل فى الوجود الا ما اراده الله فينبغى
للانسان ان يجمع بين رعاية الاسباب المعتبرة فى هذا العالم وبين ان
لا يعتمد عليها وان لا يراعيها الا المحض لتعتمد بل يربط قلبه بمشية
الله وفضله ورحمته وان يقطع رجاءه عن كل شئ سواه قوله
لتقدم الصلة بيان لوجه تاتى بينهما فان قوله عليه لو لم يتقدم على
متعلقه لما امكن الجمع بينهما وقوله للاختصاص علة لتقدمها وقوله
كان الواو بيان لفائدة الجمع بينهما قوله تعالى ولما دخلوا فى جواب
لما هذه ثلثة اوجه احدها وهو الظاهر انه الجملة المنفية وهى قوله
ما كان يغنى وثانيها ان جوابها محذوف تقديره امتثلوا وقضوا
حاجة ابيهم الا ان ارتكاب الحذف مع اشتمال الكلام على ما يصلح جوابا
صريحا لا يكاد يعدل عنه وثالثها ان الجواب هو قوله اوى اليه

اخاه،

اخاه قال ابو البقاء وهو جواب لما الاولى والثانية كقولك لما جئتنى ولما
كلمتك جيئتنى وحسن ذلك ان دخولهم على يوسف يعقب دخولهم من الابواب
قوله فسرقوا اى نسبوا الى السرقة واقتضوا بذلك والحراز الاحتراز
والتوقى قوله اى ولكن حاجة اشارة الى ان حاجة منصوبة بالا لكونها
بمعنى لكن وقضاها اشارة خبر لكن والمعنى ان راى يعقوب عم فى حق
بنيهم وهو ان يدخلوا من الابواب المتفرقة واتباع بنيه له فى ذلك الراى
ما كان يدفع عنهم شيئا مما قضاه الله عليهم ولكن يعقوب اظهر بذلك
الراى ما فى نفسه من الشفقة والاحتراز من ان يعانوا ويصابوا به
قوله لعله لم يقله بامر يوسف الخ جواب عما يقال كيف يليق بيوسف عم
وهو الرسول الحق من عند الله ان يتهم اقواما وينسبهم الى السرقة
كذبا وبهتانا وتقرير الجواب الاول ان المنادى فعله من عند نفسه
بناء على ان يوسف وضع السقاية بنفسه فى رحل اخيه واخفى الامر عن الكل
او امر بذلك بعض خواصه وامر باخفاء ذلك عن الكل ثم ان اصحاب
يوسف لما طلبوا السقاية وما وجدوها وما كان هناك احد غير الذين
ارتحلوا غلب على ظنهم انهم هم الذين اخذوها فنادى المنادى
من بينهم على حسب ظنه انكم لسارقون فلتفوا بقولهم تالله لقد
علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه
ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه قال
ابن عباس كانوا فى ذلك الزمان يستعبدون كل سارق بسرقته
وكان استعباد السارق فى شرعهم جاريا مجرى وجوب القطع فى
شرعنا قال اصحاب يوسف فابتدؤا بتفتيش رحالكم فاخذوا والتفتيش
بيراتهم ففتشوا رحل الاخ الاكبر ثم الذى يليه حتى بلغ رحل بنيامين
فوجد الصاع مدسوسا فيه فلما استخرجه منه نكسوا على رؤسهم و
انقطعت السنتهم فاخذوا بنيامين مع ما معه من الصواع ورددوه
الى يوسف عم من عند انفسهم وتقرير الجواب الثانى ان المراد انكم

لسارقون يوسف من ابيه الا انهم لم يصرحوا بهذا المعنى على ما هو الاصل
في باب المعاريض وتقدير الجواب الثالث ان تبعية السقاية واخذها
ثم الفداء بنسبة السرقة اليهم كان برضا بنيامين فلم يتالم قلبه بسبب
نسبة السرقة اليه فخرج عن كونها ذنبا فلذلك ان يوسف عم بما اظهر
لاخيه انه اخوه يوسف قال فانا لا افارقك بعد هذا فقال يوسف
قد علمت اغتمام الوالدين بانقطاعك عنهما بغير سبب يوجبه ولا
يمكنني حبسك الا بعد ان اشتهرك بامر قطيع قال لا ابالي فافعل ما بدا
لك قال فاني ادس صاعي هذا في رحلك ثم انادي عليك بالسرقة
ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم ففعل ذلك برضاه وتقدير الجواب
الرابع ظاهر وهو ان المنفي انتم لسارقون على سبيل الاستفهام
فلا يكون كذبا قوله لانها بعير اي تتر ذو يقال عار في الارض يعير اي
ذهب والعائرة الناقة التي تخرج من الابل الى اخرى ليضربها الفحل
وعار الفرس اذا انفلت وذهب هنا وهنا من مرجه ونشاطه
ويسمى الاسد عيارا لمجيئه وذهابه في طلب صيده والعير بالكسر جمع
عيرة بالفتح واصلها عيرة بضم العين وسكون الياء فكسرت العين لئلا
تنقلب الياء واوا كما فعل ذلك في بيض جمع البيض اصله بيضة كنواحر
حمر قوله وقرئ صاع قبل لا فرق بين الصاع والصواع بناء
على قراءة صاع الملك بكان صواع الملك وقيل الصواع اسم
والسقاية وصف كقولهم كوز وسقاء فالكوز اسم والسقاء وصف
وجمع صواع صيعان كغراب وغربان وجمع صاع اصواع كباب
وابواب قوله وكعم الدواب وهو شد افواهها بالكعام والكعام
شيء يجعل في فم البعير يقال كعمت البعير اذا شددت به فمه في هياجه
فهو مكعوم قوله فتسم فيه معنى التعجب غالبا ومنه قوله تالله تفتؤ
تذكر يوسف والمعنى ما اعجب حالكم انتم تعلمون علما جليا لا ريب فيه
لما شاهدتم من احوالنا اثنا بريؤون مما تنسبونا اليه فكيف

تقولون

تقولون لنا انكم لسارقون قوله فهو جزاؤه تقدير للحكم والزام له حكموا
اولا بان جزاء سرقة الصواع اخذ من وجد في رحله والاسترقاق ثم
قرروا ذلك الحكم والتزموه بقولهم فهو جزاءه اي فاخذ السارق
نفسه هو جزاء سرقته كقولك حق زيد ان يكسى وينعم عليه ثم تقول
فذلك حقه تقدر به ما ذكرته من استحقاقه لذلك وتلزمه به قوله
او خبر من اي ويحتمل ان جزاؤه مبتدا ومن موصولة مرفوعة المحل
على انها مبتدا ثان وقوله وجد في رحله صلتها وقوله جزاؤه خبرها
وزيدت الفاء في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط ويحتمل ان يكون من
شرطية ووجد في رحله فعل الشرط وقوله فهو جزاؤه جواب
الشرط ومن مع ما في حيزه على التقديرين خبر المبتدا الاول وهو
جزاؤه قوله على اقامة الظاهر فهما مقام الضمير جواب عما يقال
كيف يكون قوله من وجد في رحله فهو جزاؤه خبرا للمبتدا الاول ولا عائد
فيها يعود على الاول وتقدير الجواب انه لو قيل من وجد في رحله فهو هو
لتحقق الرابط بان يكون الضمير الاول راجعا الى من والثاني الى المبتدا
الاول وما قيل فهو جزاؤه فقد وضع الظاهر الذي هو جزاء السارق
مقام ذلك الضمير وحصل الرابط بذلك كما تقول لصاحبك من اخو زيد
فيقول لك اخوه من يعقد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من
والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للظاهر مقام المضمر ثم ان اخوة
يوسف لما افتوا بان جزاء السارق الاسترقاق قال المؤذن او يوسف
لا بد من تفتيش اوعيتكم فبدا بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين
لنفي التهمة ثم استخرجها من وعاء بنيامين فحبسه عند بمقتضى فتواهم
قوله بان علمناه اياه واوحينا به اليه فسر الكيد المسند اليه تعالى
بالتعليم والايحاء لان حقيقة الكيد مستحيلة في حقه تعالى وذلك لان الكيد عبارة
عن المكر والخديعة وهو ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه فهو حق الله تعالى
محمول على التمثيل فان صون صنع الله في تعليم يوسف عم ان لا يحكم على

شبكة الألوكة www.alukah.net

اخوته حكم الملك وهو ان يضرب السارق ويغرمه مثلي ما اخذ، بل يحكم عليهم
على سنين مذهبهم وهو ان يستعبد السارق سنة صون صنع من يؤمهم
الغير بخلاف ما يخفيه لان مقصود يوسف ايواء اخيه اليه وكان لا يتم ذلك
الا بهذه الحيلة ولما كان قوله تعالى ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك
الا بهذه الحيلة هو عين الكيد قال المص وهو بيان للكيد قوله فالاستثناء
من اعم الاحوال اى ما كان ليأخذه في كل حال الا في حال كونه ملتبسا
بمشية الله تعالى واذنه للملك ان يجعل ذلك الحكم حكم نفسه ويجوز ان يكون
الا ان يشاء الله كلمة تابيد كما تقول ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ابدا
لانه جار من النصب لمنصب النبوة ان يحكم بدين الكفار كقوله تعالى
وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم محال
ليشاء الله ذلك ابدا وقرأ الكوفيون درجات بالتنوين والباقون
بغير تنوين وقرأ يعقوب بالياء التحتانية في ندفع ونشاء والفاعل
هو الله فان قرئ درجات من نشاء بالاضافة يكون درجات مفعول
ندفع وان قرئ منونا غير مضاف يكون من نشاء مفعول ندفع ويكون
درجات منصوبا على الظرفية او ينزع الخافض اى الى درجات والجملة
استيناف تقدر مضمون قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف وقوله تعالى
وفوق كل ذي علم عليم تذييل لما قبله فان التذييل ان يعقب الكلام
بما يشتمل على معناه تاكيدا له وهو من هذا القبيل فانه تعالى بين اولا ان
اخوة يوسف وان كانوا علماء فضلاء الا انه تعالى فضل يوسف عليهم
في العلم ثم قرر ذلك بقوله ان ندفع درجات من نشاء بسبب العلم
كما رفعنا درجة يوسف ثم اكد ذلك بانه المتفرد بالعلم الكامل وان علوم
جميع الخلايق مستفاد منه فايض عليهم بتعليم اياهم فيكون فوق كل ذي
علم من خلقه قوله واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته لا بعلم زايد
يقوم به وهم المعتزلة الذين يقولون انه تعالى عالم وليس بذي علم لانه لو كان
ذا علم لكان فوقه عليم لعموم هذه الآية وهو باطل واجاب المص بتخصيص

عموم قوله كل ذي علم بذي علم من الخلق لان الكلام فيهم لما ذكرنا في بيان كون
قوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم تذييلا لما قبله وكيف لا يخص هذا العالم
وقد دل سائر الآيات على انه تعالى ذو علم منها قوله تعالى ان الله عنده
علم الساعة وقوله انزله بعلمه وقوله ولا يحيطون بشيء من علمه وقوله
ولا يضع الا بعلمه ولما وقع التعارض بين هذه النصوص وبين ما تمسك به
الخصم وجب تخصيصه بذي علم من الخلايق اعتمادا على قيام قرينة التخصيص
توفيقا بين النصوص ومما يدل على ارادة الخصوص ان العليم كونه صفة مشبهة
مبنية من علم بعد نقله الى فعل بضم العين حتى يكون فعلا لازما من الافعال
الغريزية يدل على المبالغة في اتصاف الذات بما قام به من حيث كونه
امرا مستمرا دايم الثبوت كما هو شان الافعال الغريزية فكان العليم بمن
من له العلم البالغ وهو الله تعالى فاذا كان المتفضل بالعلم هو الله تعالى
يكون المتفضل عليه هو العلماء من الخلايق فيكون المراد بقوله كل ذي
علم من له العلم من الخلق قوله ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء
عليم دليل ثالث على ارادة الخصوص وتقريره ان قوله تعالى كل ذي علم وان
كان يفيد كل واحد على ان يكون كل للاستغراقية لاحاطة الافراد الا انه لا فرق
بينه وبين قولنا كل العلماء عليم على ان يكون كل لمجموعية لا الاستغراقية
ومن المعلوم انه تعالى لا يدخل في كل العلماء والا لما كان فوقه لان من
كان فوق يكون خارجا عنهم لا محالة ثم ان الصواع لما خرج في رحل
بنيامين افتضح الاخوة ونكسوا على رؤسهم فقالوا تبرئة لساحتهم ان
فقد سرق اخ له من قبل يعنون ان هذه الواقعة ليست ببعيدة منه
فان اخاه الذي هلك كان ايضا سارقا وكنا لسنا على طريقتهما و
سيرتهما لانهما من ام اخرى ثم قالوا يا بني راحيل ما اكثر البلاء علينا من
قبلكم فقال بنيامين بل ما اكثر البلاء علينا منكم ذهبتم باخي وضيعتموه
في المفازة ثم تقولون في حق هذا قالوا له فكيف خرج الصواع من رحلك
فقال وضعه في رحلي من وضع البضاعة في رحلكم واختلفوا في السرقة

نسبوها الى يوسف على اقوال الاول انه كانت لابراهيم عم منتطقة بتوارثها
الاكابر ولد، ويتبركون بها فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته عمة يوسف و
كانت اكبر اولاد، وكانت تحب يوسف حبا شديدا بحيث لا تصبر عنه
ولما كبر حضنته بعد وفاة امه فلما شب يوسف اراد يعقوب ان ينتزعه
منها فاحتالت بان شدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وقالت
فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فتفتشوها ووجدوها
مشدودة على يوسف فقالت انه سرقها مني فكان بسلمانها ولكان حكمهم
ان من سرق يسترق فتوسلت بهذه الحيلة الى امساكه عند نفسها
فتركه يعقوب عندها الى ان ماتت والقول الثاني ما روي عن سعيد
بن جبير انه كان جدة ابو امه كانوا يعبدون وثنا فامرته بان يسترق
ذلك الوثن ليستركن عبادته وثنا والعناق الانثى من ولد المعز قوله
وقيل انها كناية شريطة التفسير يعني ضمير اسرها بهم يفسره قوله انتم شر
مكانا فان قال بدل من اسر فيكون مقول القول وهو انتم شر مكانا
مفسرا لضمير اسرها فان الاضمار على شريطة التفسير على ضربين احدهما
ان يفسر بمفرد نحو نعم رجلا زيد ونعم ضمير هو الفاعل ورجلا تفسيره له
ومثله ربه رجلا وثنا بنيهما ان يفسر بجملة نحو قل هو الله احد اي الامر الله
احد وانث الضمير المفسر بقوله انتم شر مكانا لكون المفسر جملة او
كلمة بناء على ان تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة والمعنى قال في نفسه
هذه الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا واغا قال في نفسه
لان هذه الجملة لما وقعت تفسيرا لضمير اسرها وجب ان يقولها يوسف
في نفسه قوله او من المتقدمين الاحسان الجملة على التقدير بين
استيناف قبل لبيان الموجب لان المعنى على الاول فحذا حذفا مكانه
اما على طريق الاستبعاد او على طريق الترحم الى ان يوصل ليك العذار كما
كنت تحسن الينا فيما سلف فيكون هذا الاحسان من تتمة والمعنى على
الثاني اثبات احسانه على العموم في كل الناس قوله هذا اي خذ هذا

فانه

فانه هو المعنى المستفاد من ظاهر النظم الا ان المراد انا نطالبون بالعمل على
خلاف ما اذن الله فيه قوله وزيادة السين والتاء للمبالغة فان السين
للطلب فتدل على انهم كانوا في يأس وهو انتفاء الطمع فطلبوا مع
انفسهم الزيادة على ما هم فيه ونبه باستفعل هنا بمعنى المجرد الا انه
ابلغ منه قوله وانا وحد مع ان ذي الحال جمع لانه مصدر بمعنى
التناجي كالتصهيل والنهيق الاول صوت الفرس والثاني صوت الحمار
يقال صهل الفرس يصهل بالكسر صهيلا او صفة المناجي بمعنى الناجي
كالعشير بمعنى العاشر على وزن فعيل مثل صديق فيوحد لكونه على زنة
المصدر فعومل معاملة المصدر المصدر وعلى تقدير كونه مصدرا يكون
المعنى انهم انفردوا عن الناس وصاروا بحيث لا يخالطهم سواهم كائنين
تناجيا محضا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم
صورة التناجي وحقيقته وكانا تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذ
هبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم قوله وما مزيدة في كلمة
مائة اوجه الاول ان تكون مزيدة فيتعانق الظرف الذي قبلها بالفعل الذي
بعدها والتقدير ومن قبل هذا فرطتم اي قصرتم في حق يوسف وشانه
وزيادة ما كثيرة والثاني ان تكون مصدرية فيكون ما فرطتم في تاويل المصدر
المنصوب او المرفوع محلا ووجه النصب العطف على مفعول تعلموا وهو
ان اباكم قد اخذ اي الم تعلموا اخذ ابيكم الميثاق وتفريطكم في يوسف
من قبل غاية ما في الباب ان قوله من قبل وقع فاصلا بين المعطوف
والمعطوف عليه ولا باس به وان قال بعضهم انه لا يجوز الا في ضرورة الشعر
والوجه الثاني للنصب كونه معطوفا على اسم ان اي الم تعلموا ان اباكم قد
اخذ وان تفريطكم من قبل في يوسف وحينئذ يكون في خبر ان المقدرة وجهان
احدهما هو من قبل والثاني هو يوسف اي وان تفريطكم في حق يوسف واقع
من قبل او وان تفريطكم من قبل هذا واقع في حق يوسف ووجه كون
المصدر المؤول مبتدا ومن قبل خبره قدم عليه اي وتفريطكم

ف شان يوسف واقع من قبل واورد عليه ان الظروف التى هى غايات
اذا بنيت بكونها معطوفة عن الاضافة لاتقع اخبارًا للمبتدا وكذا لاتقع صلةً
ولا صفةً ولا حالًا لانها بذلك تبقى ناقصة فلا يفيد وما لا يفيد لايقع خبرا ولا
شيئًا من ذلك فانك تقول يوم السبت مبارك والسفر بعده ولاتقول
والسفر بعد ونقول زيد عمرو خلفه ولاتقول زيد عمرو خلف والوجه
الثالث فى كلمة ما ان يكون موصولة اسمية بمعنى الذى فيكون التقريط
على هذا الوجه بمعنى التقديم لا بمعنى التقصير ويكون محله ما تقدم على تقدير
كونها مصدرية وهو الرفع على الابتداء وخبرها من قبل والتقدير والذى
قدمتموه فى حق يوسف واقع قبل هذا او النصب عطفا على مفعول
الم تعلموا والتقدير الم تعلموا اخذ ابيكم الميثاق والذى قدمتموه فى يوسف
من قبل ثم انهم لما تناجوا وتفكروا قال كبيرهم ان ابانا قد اخذ علينا موثقا
عظيما من الله وايضا نحن متهمون بواقعة يوسف فليس لنا مخلص عن هذه
الورطة فانا لا افارق ارض مصر الا ان يأذن لى ابى فى الانصراف اليه
او يحكم الله لى واما انتم فارجعوا الى ابيكم واذكروا له كيفية الواقعة
كما وقعت من غير تفاوت فقال ارجعوا الى ابيكم الآية قوله سرق على
ما شاهدناه من ظاهر الامر جواب عما يقال كيف حكموا عليه بانه سرق
بمجرد ظهور الصواع فى رحله مع قيام احتمال ان يضعه فيه غيره لحكمة مع
ان بنيامين قال لهم كيف تنسبوننى الى السرقة بمجرد وجدان الصواع
فى رحلى فان كان هذا القدر صحيحا لنسبة السرقة الى احد يلزم ان يكونوا
سارقين لوجود البضاعة فى رحالكم وتقرير الجواب انهم انما قالوا ذلك
بناء على انهم شاهدوا ما يدل على كونه سارقا بحسب الظاهر فانهم شاهدوا
ان اصحاب الملك اخرجوا الصواع من رحله بعد ما ادعوا السرقة عليهم
فتشوا رحالهم وحكموا بذلك انه سارق واخذوه بحكم فبهذا السبب غلب
على ظنهم انه سرق فشهدوا عليه بانه سرق بناء على الظن ثم بينوا انهم
غير قاطعين بهذا الامر حيث قالوا وما شهدنا الا بما علمنا اى بما رأينا

من انهم اخرجوا الصواع من رحله وحكموا بذلك انه سارق واما حقيقة الحال
فغير معلومة لنا فان الغيب لا يعلم الا الله فالمراد بالغيب على هذا باطن الحال
وقيل المراد به عواقب الامور فلعل ما كنا نعلم ان ابنك سيسرق او انك
تصاب به فتصاب به كما اصبت بيوسف ولو علمنا ذلك لما ذهبنا به الى الملك
ولما اعطيناك موثقا من الله تعالى فى رده اليك ثم انهم لما كانوا متهمين
بسبب واقعة يوسف عم اخوهم كبيرهم بان يبالغوا فى ازالة التهمة عن انفسهم
ويقولوا واسئل القرية التى كنا فيها اى وقولوا لابيكم سئل اهل القرية ليتبينوا
لك صدقنا وقال المفسرون المراد باصحاب العير قوم من الكنعانيين صحبهم
متوجهين الى كنعان فقالوا لابيهم وسئلهم ايضا عن هذه الواقعة ليتبين
لك صحة ما قلنا قوله تاكيد فى محل القسم الا ليس المقصود بقولهم وانا
لصادقون اثبات صدق انفسهم بذلك لانهم اثبات الشئ بنفسه بل المقصود
به تاكيد ما يدل عليه قولهم اسئل القرية واسئل العير فان الانسان اذا
قدم ذكر الدليل القاطع على صحة دعواه يقول بعد ذلك وانا صادق فيما
ادعيته بعد ذلك ان يقول تأمل فيما ذكرته من الدليل يزول عنك الشبهة
فيما ادعيته قوله وقالوا له ما قال لهم اخوهم الكبير اشار الى ان قوله
تعالى ارجعوا الى ابيكم الى قوله وانا لصادقون من كلام كبيرهم ثم ان يعقوب عم
لما سمع من ابنائه ذلك الكلام لم يصدقهم فيما ذكروه فى حق بنيامين كما انه لم
يصدقهم فى واقعة يوسف فقال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل فى هذه
الواقعة كما قال بعينه فى واقعة يوسف الا ان المعس فيه الامر الذى سولته
لهم انفسهم هناك بالامر العظيم الذى لا يقبل الوصف وهو ان يهلكوا يوسف
ويعتذروا اباهم بالباطل وفسره ملنا بان يفتوا الملك ان السارق
يوخذ بسرقته لان ذلك انما هو من دين يعقوب لا من دين الملك ولولا فتواكم
تعليمكم للحكم الملك بذلك والفرق بين الواقعتين انهم فى واقعة يوسف
استصحبوا فى الخروج الى البادية ولم يرجعوا به فناسب ان يفتش الامر
فيها بذلك واما فى واقعة بنيامين فانهم لم يتعمدوا فى حقه سوءا ولم يخبروا

اباهم الا بالواقع على خليته فلم يصح ان يسند احتباس بنيامين عند الملك
اليهم الا من حيث انه كان ذلك على وفق ارادتهم فانهم لما كانوا متهمين
عند يعقوب عم بسبب واقعة يوسف عم اتهمهم ايضا في واقعة بنيامين
بان قال لهم ان الملك انما فعل ذلك بفتواكم له به لغرض لكم فيه و ظن
انهم افتوه بذلك بعد ظهور السرقة ارادة ان يخلفوه عند الملك ويرجعوا
الى ابيهم دونه لان اخذ السارق لم يكن من دين الملك ولكن كان من دين
يعقوب كما قال تعالى ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك تنبيها من الله
تعالى على وجه اتهام يعقوب لهم وكان الواقع انهم استفتوا قبل ان يظهر
الصواع فيهم فذكروا ما عندهم من الجواب حيث قيل فما جزاؤه ان كنتم
كاذبين فقالوا جزاؤه من وجد في رحله فانتم فلم يشعروا ان المراد الزامهم
بما قالوا قوله واخيهما الذي توقف بمصر وهو الذي قال فلن ابرح
الارض الى ان اذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خيرالحاكمين الى ان قال ارجعوا
فانهم حين ذهبوا الى البادية اول مرة كانوا اثني عشر فضاع يوسف وبقي
احد عشر ولما ارسلهم الى مصر عاد التسعة لان بنيامين بقي في حبسه يوسف
واحتبس ذلك ذلك الكبير الذي قال فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم
الله لي فلما بلغ القائلون ثلثة لاجرم قال عسى الله ان يأتيني بهم جميعا قوله
عم يا اسفا الالف فيه منقلبة عن ياء المتكلم والاصل يا اسفي ففتحت الفاء
وصيرت الياء الفا طلبا للتخفيف لان الفتحة والالف لان الفتحة والالف
اخف من الكسر والياء ويحصل امتداد الصوت الذي هو المقصود في
النداء ونداء مثل الاسف والحسرة مجاز والمقصود انشاء التاسف و
التحزن لتحقق ما يوجبهما وقوع ما يدعوا اليهما من الاسباب والعلك كانه يقول
هذا اوانك ايتها الاسف فاحضري قوله وفي الحديث اذا اشار
الى جواب ما يقال ليس لك الا هذا عند نزول المصيبة الشديدة ان يقال
انا لله وانا اليه راجعون حتى يستوجب الثواب العظيم المذكور في قوله
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فلم يسترجع يعقوب عم

بل قال

بل قال يا اسفا وتقدير الجواب ظاهر قوله وقرئ من الحزن بفتحتين
وقراءة العامة بضم الحاء وسكون الزاء وهما لغتان كالعدم والعدم قوله
لكثرة بكائه اشارة الى ان قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن كناية
عن غلبة البكاء فان من غلب عليه البكاء يكثر الماء في عينه فتقصر العين
كانها ابيضت عن بياض ذلك الماء قيل ابيضت عيناه اي ضعف بصره
قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق الى وقت لقائه وكان بينهما
ثمانون عاما وقيل عمي ويؤيد قول الاول قوله من الحزن فان كلمة من
فيه للتعليل لما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا والحزن لا يكون علة لضعف
البصر فضلا عن العمى وانما يكون علة لكثرة البكاء فلو حملنا الابيضاض على
غلبة البكاء فان هذا التعليل حسن بخلاف ما لو حملناه ضعف البصر والعمى
فكان القول الاول اولى قوله فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات
كان على النفي وتفتؤ ههنا جواب القسم في قوله تالله وتقديره لا تفتؤ ويدل
على حذف حرف النفي فيه انه لو كان مثبتا لاقترن باللام الابتداء ونون التاكيد
معا عند عند البصريين نحو والله ليفعلن او باحدهما عند الكوفيين فلو قيل
والله احبك كان المراد لا احبك وهو من قبيل التورية فان كثيرا من الناس
يتبادر ذهنهم منه الى اثبات المحبة وليس كذلك فظهر ان المعنى تالله لا تفتؤ
وتنظيره ان كون حرف النفي مضمرا قول امرئ القيس فقلت لها بالله ابرح
قاعدا اراد المعنى لا ابرح وعامة ولو قطعوا راسي لديك واوصالي الا وصال جمع
وصل بكسر الواو وهو المفصل قيل ان امرئ القيس سرى الى ابنة قيصر
فقالت له تريد ان تفضحني الست تدى السمار والرقباء راقدين حولي
فقال مجيبا لها لا ابرح حتى اتاك واقضي منك حاجتي ولو قطعت ربا اربا
ولا تفتؤ امر من الافعال الناقصة بمعنى لا تزال فترفع الاسم وهو الضمير المستتر
فيه وتنصب الخبر وهو الجملة من قوله تذكر ان لا تزال ذاكرا له ورسمت
هذه اللفظة تفتؤ بالواو والقياس تفتا بالالف ولذلك يوقف لحمزة
بالوجهين اعتبارا بالخط الكريم او القياس قوله وهو في الاصل مصدر

ومعناه الاشفاء على الموت لاختلاف الجسم والعقل وفسادهما لاجل الحزن
او الحب يقال منه حرض الرجل يحرض حرضا بفتح الراء فهو حرض بكسر الراء
ويوصف به المفرد واحدا كان او كثيرا مذكرا كان او مؤنثا ويقال هو حرض
ومما حرض وهي وهما وهن حرض وقد ورد في الآية بفتح النعت على الوجه
المذكور في نحو رجل عدى عدل وهو ان يكون المراد انه ذو حرض فحذف
المضاف او يكون المراد انه لما تناهى في الفساد والضعف صار كانه عين
الحرض ونفس الفساد قال الراغب الحرض ما لا يعتد به ولا خير فيه ولذلك
يقال لاشئ على الهلاك انه حرض ومنه قوله تعالى حتى يكونوا حرضا
قال الامام الاطهر ان الذين قالوا له تالله تفتؤ تذكر يوسف ليسوا هم
الاخوة الذين تولى عنهم بل هم الجماعة الذين كانوا في الدار من اولاد اولاد
وحدثه واراد بهذا القول منعه عن كثرة البكاء كانهم قالوا انت
الآن في بلاء شديد ونخاف ان تحصل ما هو ازيد منه واقوى وحلفوا على
ذلك مع انهم لم يعلموا ذلك قطعا بناء على الظاهر فان تحمل المشاق والاستمرار
عليه يؤدي الى فساد البنية واختلاف القوى غالبا ثم حكى الله عن يعقوب
انه قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله يعني ان هذا الذي اذكره لا اذكره بعلم
وانما اذكره بحضرة الله تعالى وبنائي الشكوى اليه تعالى والتضرع والابتهاء
اليه هو محض العبودية قوله عني الذي لا اقدر الصبر عليه يريد ان البث
اشد الهم لكانه لقوته لا يطاق تحمله فيبثه الانسان اي يفرقه فالبث
هو الهم المبثوث لعدم القدرة على حفظه فان الانسان متى امكنه ان يمسك
لسانه من ذكر ما به من الحزن لم يكن ذلك الحزن مستوليا عليه واما اذا
عظم وعجز الانسان عن ضبطه فانطلق اللسان بذكره شاء ام ابى كان
ذلك بثا والظاهر انه مصدر بمعنى المفعول ويحتمل ان يكون بمعنى الفاعل
اي الذي فرق جمعيتي وحضوري وبث فكري والحزن اعم من البث
واذا عطف على الخاص يراد به الافراد الباقية فيكون اعم لانه ذكر الحزن
العظيم ولا الحزن القليل الا مع الله تعالى قوله من صنعه ورحمته على

ان من تبعيضية وعلى الثاني ابتدائية قوله اي ملك الموت في المنام
فسأله هل قبضت روح ابني يوسف اما بيان لسبب قوله واعلم من الله
ما لا تعلمون ثم ان يعقوب لما طمع في وجدان يوسف عم بما ذكر من
الامارات قال لبنيه على سبيل اللطف يا بني اذهبوا فتحسسوا من
يوسف فان قلت كيف خاطبهم بهذا اللطف وقد تولى عنهم فالجواب
ان التولي عنهم كان تبجيلا الى الله تعالى والشكاية اليه والاعراض عن الشكاية
الى احد منهم ومن غيرهم لانيا في الملاطفة والمكالمة معهم في اواخر قوله
فتحسسوا اي تعرفوا واستقصوا خبره يقال تحسس طلب
الشئ بالحاسة وقوله من حالهما اشارة الى ان من للتبعيضية اي
تحسسوا خبرا من اخباره يوسف وتعرفوا بعض اخباره والجمهور على
فتح الراء من روح الله تعالى عن الاصمعي ان الروح ما يجد الانسان
من نسيم الهواء فيسكن اليه وتركيب الواو والحاء يفيد الحركة و
الاهتزاز فكل ما يهتز الانسان ويلتذ بوجوده فهو روح والمراد به
ههنا رحمة الله تعالى وتنفيسه ومن قرأ بضم الراء جعله استعارة
لرحمة الله تشبيها لها بالروح التي يحيى به العباد قوله بعد ما رجعوا
الى مصر رجعة ثانية اشارة الى ان في الكلام مطويا والتقدير ان يعقوب
لما قال لبنيه اذهبوا فتحسسوا قبلوا من ابيهم هذه الوصية فعادوا
الى مصر ودخلوا على يوسف فقالوا له يا ايها العزيز الآية فان قيل
اذا كان يعقوب امرهم ان يتحسسوا امر يوسف واخيه فلم ذا عدلوا
الى الشكوى وطلبوا ايفاء الكيل اجيب بان التحسس يتوصل الى
مطلوبه بجميع الطرق والاعتراف بالعجز وضيق اليد ورقة الحال وشدة
الحاجة تمايرق القلب فقالوا لعزيز بذكر هذه الامور فان رق قلبه
لما ذكرنا له المقصود والا سكتنا واردفوا بالضر الفقر والحاجة وكثرة
العيال وقلة الطعام وباهلهم من خلفهم قوله ردية او قليلة تردّ
وتدفع يريد ان مزجاة اسم مفعول من ازجيت الشئ اذا دفعته

صورة مكتوب بعنوان الوكيل

اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد
فانا اهل بيت موكل بنا البلا اما جدى فشد بالنار يداه ورجلاه فرمى به
فى النار ليحرق فنجاه الله فجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابى فوضع
السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لى ابن وكان احب اولادى
الى فذهب باخوته الى البرية ثم اتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله
الذئب فذهبت عيناى من البكاء عليه ثم كان لى ابن وكان اخاه من امه
وكنت اتسلى به فذهبوا به اليك ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك
حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على
والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرا يوسف
الكتاب اقشعر جلده ولان قلبه وعيل صبره فقال لهم ذلك وفيه تصديق
لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون قوله
اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه قدر القبح المضاف الى الموصول بناء على انه
لا شك انهم كانوا عالمين بنفس ما فعلوا بيوسف واخيه فلا فائدة فى طلب التصديق
والاقرار بحصول علمهم به مع انه اثبت جهلهم بذلك بقوله اذ انتم جاهلون
والجهل لا يثبت مع العلم فلما قدر متعلق العلم والجهل كان المعنى هل
استمر ذلك الجهل الحاصل زمان صدور ذلك الفعل عنكم المتعلق بقبحه
ام حصل لكم العلم بقبحه الموجب للرجوع عنه وتلافيه بالتوبة فان العاقل
اذا علم قبح فعله بادر الى التوبة وكان علم يوسف يحثه اليها واشار الى سببية
العلم لها بالفاء فى قوله فتبتم قوله ولذلك اى ولكون مقصودهم تحقيق كونه
يوسف وتعريفه اكد الكلام الاستفهامى بان ولام الابتداء تفخيما منه
قوله وقرا ابن كثير على الايجاب اى قرا انك بكسر الهمزة على لفظ الخبر
وقرا الباقون على الاستفهام ثم انهم اختلفوا فقرا نافع ايئنك بهمزة الف
غير ممدود وياء وهو رواية قالون عن نافع وقرا انك بهمزتين وكل ذلك
على الاستفهام واللام فى لانت لام الابتداء وانت مبتدا ويوسف خبره و
الجملة خبر ان قوله بذهابه اى بمنظره وشمائله خصائله والشامة

وَرَدَّدَتْ فقولهم مزجاة بمعنى مدفوعة يدفعها كل احد عنه اما لرداءة على
ما قيل من ان بضاعتهم كانت دراهم زيوفا لا تنفق فى ثمن الطعام
او لقلته قال ابو عبيدة انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة
مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها فان الازجاء فى اللغة السوق و
الدفع قليلا ومنه قوله تعالى الم تر ان الله يزجى سحابا اى يسوقها
بالريح ويقال ازجيت الابل اى سقتها وزجيت الشئ تزجية اذا دفعته
بزفق وفى الصحاح المزجى الشئ القليل وبضاعة مزجاة اى قليلة والريح
تزجى السحاب والبقرة تزجى ولدها اى تسوقه قوله واختلف فى ان
حرمة الصدقة تعم الانبياء جواب عما يقال الاخوة كيف طلبوا الصدقة
وهى محرمة على الانبياء وتقرير الجواب ان من فسر التصدق بالزيادة
على ما يساوى بضاعتهم المزجاة على وجه التصدق لخص حرمة الصدقة
بنبينا عم وانا من قال بعموم حرمتها لجميع الانبياء فانه يفسر بالوجوه
الاخر ويقول التصدق هو التفضل مطلقا سواء كان من قبيل انفاق
المال للمحتاجين او لم يكن فيتناول اطلاق المحسوس والمسامحة فى قبول
الزيف والتطفيل قوله وقيل اعطوه كتابا يعقوب عطف على ما
قبله من حيث المعنى فانهم يفهم من تذييب قوله كما قال هل علمتم ما
فعلتم بيوسف واخيه على ما حكاه الله عنهم من قولهم يا ايها العزيز مسنا
واهلنا الضر ان يوسف عم لما راى اخوته تضرعوا اليه ووصفوا ما هم
عليه من شدة الزمان وقلة الحيلة ادركته الرقة وضعف صبره فاقدم
على ان يعرفهم ويصرح لهم بانه يوسف الا انه آثر حق الله على حق نفسه
فقال مستفهما عن معرفة وجه قبح ما فعلوه بيوسف واخيه هل علمتم ما
فعلتم بيوسف واخيه استعظم ما فعلوه بهما شفقة عليهم وتنصحا فاورد
حيث حملهم به على الاعتراف بالذنب والاستغفار والتوبة عنه ولم يله لذلك
المعاتبة والتثريب وهو التعيير والاستقصار فى اللوم فعطف على
هذا المفهوم قوله وقيل اعطوه كتابا يعقوب وكتب فيه ما يعقوب

اسرائيل

يغفر الله لكم يوقف على قوله لا تثريب عليكم ويبتدأ بقوله اليوم يغفر الله
لكم ويكون محصول الكلام انه نفى عنهم جميع افراد التثريب بنفى حقيقته ثم بشر
بان الله تعالى غفر ذنبهم في هذا اليوم وذلك لانهم لما انكسروا وخجلوا و
اعترفوا بذنوبهم وتابوا قبل الله تعالى توبتهم وغفر لهم ذنبهم فلذلك
قال اليوم يغفر الله لكم وهذا معنى قول المص لانه صفح عن جريمتهم حينئذ
واعترفوا بها حينئذ وفيه اشارة الى ان اليوم فيه يعم الزمان مطلقا قوله
وقيل لقميص المتوارث روى عن انس بن مالك رضه عن رسول الله
صلى الله عم قال انما قوله اذهبوا بقميصي هذا فانه من ثمر وذ الجبار عما التي
ابراهيم في النار ونزل اليه جبريل عم بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة
فالبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه فكسا ابراهيم ذلك
القميص اسحاق وكساه اسحاق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله في
قصبة من فضة وعلقها في عنقه فالقي في الجب والقميص في عنقه فذلك
قوله اذهبوا بقميصي هذا الآية قال مجاهد امره جبريل عم ان ارسل
اليه قميصك فان فيه ريحة الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا صح وعوفي
وقال الحسن لولا ان الله تعالى اعلم لم يدر انه يرجع اليه بصره هذا هو
الموجود في اكثر التفاسير والمص قدم احتمال ان يكون المراد بقوله تعالى
من القميص القميص الذي كان عليه ولعل وجهه انه اختار فيما قبل ان يكون
المراد بقوله تعالى وابيضت عيناه اكثر بكاء بحيث صارت عيناه
كانها ابيضتا ببياض العبرة ولم يرض بما قيل من ان المراد ضعف بصره او
عمي فعلى هذا التقدير ان يوسف عم لما وقع التعارف بينه وبين اخوته
وسالهم عن حال ابيه فاجابوه بان اباك قد ذهبت عيناه يكون مرادهم
انه غرقت عيناه في دموعه منذ فارقته ويكون يوسف عم عالما بان ابا ه
ما صار اعمى ولا ضعف بصره وانه لم يصب الا ضيق القلب والمواظبة على
البكاء وانه اذا اخبره البشير بسلامة ابنه والقى قميصه على وجهه يثلج
قلبه ويسكن بكاؤه وهو الذي اراده بقوله يات بصيرا وهذا المعنى

بتخفيف الميم الخال قوله ذكر توبيخا لنفسه جواب عما يقال انهم سألوا عن
نفسه فكان مقتضى الظاهر ان يقال بلى او انا يوسف فلم اجابهم عنها وعن
اخيه معا على ان اخاه كان معلوما لهم فاجاب بانه لم يذكر اخاه لتعريفه وانما ذكر
لتعريف نفسه به وتفخيما لشان اخيه بانه اشد اتصالا به فانهم سألوه
عن حقيقة كونه يوسف حيث اتوا بالهمزة المؤكدة للتعجب واد خلوا
اللام في الخبر فاجاب بقوله انا يوسف على الحقيقة وهذا المتميز المبتدا
اخي من ابي وامي وفي ذكر الاخ وايراد اسم الاشارة مزيد تقرير وفضل
تعيين له وبيان انه يوسف لا محالة وفي التصريح باسم الشريف وعدم اقتصاره
بان يقول بلى فائز وهي ان ذكر الشيء باسم العلم يفيد تمييزه اكمل التمييز
فكانه قال انا الذي ظلمتموني على اعظم الوجوه حيث القيتموني في البئر
وقصدتم قتلي ثم انه تعالى اوصلني الى اعظم المناصب وصيركم كما ترون
قوله لا تثريب اي لا تعنيف ولا لوم يقال ثربه تثريبا اي عنفه ولامه
لما اعترفوا بذنبهم وبكونهم خاطئين آثمين في امره قال لا تعيير ولا توبيخ
عليكم بعد اليوم قد انقطع عنكم توبيخي عند اعترافكم بالذنب قال عم
اذا ذنبت امة احدكم فليضربها الحد ولا يثربها بالذنا والتثريب ازالة
الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد سمي التعنيف تثريبا تشبيها له بالتثريب
في الشمال كل على معنى التمزيق قوله او بالمقدر للجار اي او هو متعلق بالذي
قدر متعلقا لقوله عليكم فان عليكم خبر لقوله لا تثريب متعلق بمعنى الاستقرار
واليوم ايضا متعلق بما تعلق به هذا الخبر اي لا تثريب مستقر عليكم اليوم
والمنفي بلا التي لنفي الجنس هو ماهية التثريب وحقيقته ونفي الماهية
يقتضي انتفاء جميع افراد الماهية فلا دلالة في اللفظ على كون المنفي تثريب
المتكلم فقط والمص انما حكم بكون المنفي لا اثر بكم بمعونة المقام ثم انه عم لما
ازال عنهم تثريب الدنيا وملامتها طلب من الله ان يغفر الله لهم في الآخرة
فان المراد بقوله يغفر الله لكم الدعاء فعلى هذا يكون الوقف على قوله لا تثريب
عليكم اليوم ويبتدا بقوله يغفر الله لكم وعلى تقدير ان يكون متعلقا بقوله

يغفر الله

على ان الارتداد انقلاب الشئ الى حال كان عليها ومن قال انه كان قد
عمى بالكلية فانه يقول جعله الله في هذا الوقت بصيرا كما كان ومن قال
انه كان قد ضعف بصره من كثرة البكاء وكثرة الاحزان فانه يقول لما
بشره البشير بحيوة يوسف والقى القميص على وجهه عظم فرحه وانشرح
صدره وزالت احزانه فعند ذلك قوى بصره وزال ما فيه من الضعف
والنقصان وكان المص اشار اليه بقوله لما انتعش من القوة الانتعاش
الارتفاع يقال نعشه الله فانتعش اى رفعه فارتفع ويقال انتعش العاثر
اذا نهض من عثرته قوله آخره الى السحر فلما قام الى الصلوة وقت
السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى
عنه واغفر لاولادى ما فعلوا فى حق يوسف فاوحى الله تعالى اليه قد غفرت
لك ولهم اجمعين وقبلت قدم استغفرلهم فى الحال وقوله سوف استغفر لكم
معناه انى ادوم على هذا الاستغفار فيما يستقبل من الزمان فقد روى
انه عم كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة ثلثمائة وعشرين سنة وروى ان
ابناء يعقوب قالوا ليعقوب وقد غلبهم الخوف والبكاء ما يغنى عنا
عفوك ان لم يعف عنا ربنا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف
خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى قل صبرهم
فظنوا انها الهلكة فنزل جبرئيل عم وقال ان الله اجاب دعوتكم وعفا عنكم
بشفاعة بعدك على النبوة كذا فى الكبير قوله روى انه وجه اليه رواحل فقالوا
كان يوسف بعث مع البشير الى يعقوب جهازا ومائتى راحلة وسأله ان يأتيه
باهله وولده اجمعين فتهيأ يعقوب للخروج الى مصر فتوجه مع اولاده
واهاليهم الى مصر على رواحلهم فلما قربوا من مصر واخبر بذلك يوسف تلقيه
ومعه ثلثمائة الف فارس كل واحد منهم جنبة من فضة ورايته من ذهب
الافرس مراكبه والفرسان غلمانه فتزينت الصحراء بهم واصطفوا صفوفا
ولما صعد يعقوب تلا ومعه اولاده وحفدته نظر الى الصحراء مملوة من
الفرسان المتزينة بالوان نظر اليهم متعجبا فقال له جبرائيل عم انظر الى

لا يتوقف معرفته على ورود الوحى بل الفعل يحكم بذلك قوله انتم وابى
على تغليب المخاطبين على الغايب قال الكلبى كان اهل يعقوب نحوا من
سبعين انسانا وقال مسروق دخل قوم يوسف مصر وهم ثلثة وتسعون
ما بين رجل وامراة روى ان يهوذا حمل القميص وقال احزنته بحمل
القميص الملطخ بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر
من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا قوله اوجد الله ريح
ما عبق بقميصه اى لزق والصق به فوجد بمشامة الشم على سبيل
اظهار المعجزة لان وصول الرايحة اليه من المسافة البعيدة امر مناقض
للعادة فيكون معجزة ولكن كونها معجزة يكون لمن منهما والاقرب انه
معجزة ليعقوب عم حيث اخبر به ونسبوه فى هذا الكلام الى ما لا
ينبغى وظهر ان الامر كما ذكر فكان معجزة لم قال اهل المعانى ان
الله تعالى اوصل اليه ريح يوسف عم عند انقضاء مدة المحنة ومجئ
وقت الروح والفرج من المكان البعيد ومنع حال من وصول خبره
اليه مع قرب احدى البلدتين من الاخرى فى مدة ثمانين سنة فوقف
يدل على ان كل سهل فهو فى زمان المحنة صعب وكل صعب فهو فى زمان
الاقبال سهل وذكر فى القصة ان ريح الصبا استاذنت ربها فى ان
تاتى يعقوب بريح يوسف قبل ان ياتيه البشير بالقميص فاذن لها
فاتته بها ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا ويتنسمها المكروبون
فيجدون روحا وقد اكثر الشعراء ذكرها وهى التى تاتى من ناحية المشرق
نفحتها وتنسمها وهيجت الاشواق الى الاحباب والحنين الى الاوطان قال
الشاعر اذا قلت هذا حين اسلو يهيجنى نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر
وقال آخر ايا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنفست على نفس مهموم تجلت همومها
وقال آخر ولقد هتف لى الصبا من ارضها فبلغت من طربها وطيبها
يندى على كبدى وينفع غلتى وينيل حر فؤادى المستعل قوله عاد بصيرا

الهواء فان الملائكة قد حضرت سرورا بحالكم لما كانوا باكين محزونين مدة لاجلك
ثم نظر يعقوب الى الغرسان فقال ايتهم ولدى يوسف فقال جبرائيل هو ذلك
الذى فرق رأسه ظلة فلم يتمالك ان اوقع نفسه من البعير فقال جبرائيل يا يوسف
ان اباك يعقوب قد نزل لك فانزل له فنزل من فرسه وجعل كل واحد
منهما يقدو الى الاخر حتى التقيا فاعتنقا وبكيا سرورا وماج الغرسان
بعضهم فى بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضرب بالطبول
والبوقات فصار كانه يوم القيمة قيل لما دنا كل واحد منهما من صاحبه
قصد يوسف ان يبدأ بالسلام فمنع من ذلك وكان ليعقوب افضل واحق
بذلك منه فابتدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان
قوله ضم اليه اباه وخالته فان اكثر المفسرين فسر ابويه بهما بنا على
ان ما روى ان امه راحيل كانت قد ماتت فى نفاس بنيامين فلما
ماتت امه تزوج ابوه خالته ليا فسماها الله تعالى اما لان الرابة
تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله
انبار يعقوب لابيهم حين قولهم ما تعبدون من بعدى نعبد الهك
واله اباءك ابراهيم واسماعيل واسحاق عدوا اسماعيل من اباء يعقوب
وهو عمه قوله والدخول الاول كان فى موضع خارج البلد حين استقبلهم
جواب عما يقال ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر وليس له حال استقبالهم
اياهم منزل حتى يدخلوا عليه فى ذلك المنزل والجواب ان لا نسلم ذلك لجواز
ان يكون عد حين استقبلهم نزلهم فى خيمة او بيت كما هناك فدخلوا
عليه فى ذلك البيت او الخيمة وضم اليه ابويه واعتنقهما ثم قال لهم
قبل ان يدخلوا مصر ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين قوله والمشيئة
متعلقة بالدخول المكيف بالامن وتقدير الكلام ادخلوا مصر امنين
ان شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ثم اعترض
بالجملة الشرطية بين الحال وعاملها ولم يجعل المشيئة متعلقة بنفس الدخول
اذ ليس المقصود تذييلهم الى مجرد الدخول بل المقصود بيان اتصافهم بالامن

فى دخولهم

فى دخولهم كانة قيل اسلموا وآمنوا فى دخولهم انشاء الله وانما وعدلهم الامن
فى دخولهم مصر لانه كان بلدا فيه كفار وملكهم الذى اقام يوسف مقام نفسه
كان كافرا ايضا واعلموا لا يأمنون من غائلة الكفار عادة فوعد عدم لهم
الامن معلقا بالمشيئة رجاء لذلك من فضل الله والعرش فى اللغة السرير الرفيع
قال تعالى ولها عرش عظيم والمراد بالعرش ههنا معناه ان يوسف عم لكنهم تبايعوا
السرير الذى كان يجلس عليه يوسف قوله ورفع ابويه على العرش
معناه ان يوسف عم لكنهم تبايعوا فى الابواء فانفرد الابوان بالجلوس معه
على سرير الملك بعد ما مر من الجفاء كذلك عادة اذا وصلوا الى الغرباء ليشتركوا
فيه وفى دخول الجنة ولكنهم يتبايعون فى بساط القربة فيختص به اهل الصفاء
دون من اتصف اليوم بالاستواء وما ورد ان يقال كيف جاز السجود
لغير الله على وجه التعظيم وعلى تقدير جوازه كان ليعقوب احق بذلك من يوسف
لان يوسف وان كان نبيا الا ان يعقوب كان اعلى حالا منه من حيث التقدم
فى النبوة والحرمة الابوة ومن حيث الاجتهاد فى تكثير الطاعات ومن حيث
كان شيخا كبيرا والشاب يجب عليه تعظيم الشيخ فما وجه قوله تعالى وخروا له
سجدا اجاب عنه المصنف بقوله تحية وتكرمة له بناء على انهم لم يكونوا نهوا
عن السجود لغير الله تعالى فى شريعتهم وكان تحية الناس يومئذ بعضهم لبعض
بالسجود ولم يزل تحية الناس ذلك الى ان جاء الله تعالى بالاسلام فذهب
بالسجود وجاء بالمصافحة واكثر المفسرين على ان المراد بالخرور سجدا
وضع الوجه على الارض بناء على انه هو المتعارف المتفاهم من طلاقه وقيل
المراد به الانحناء والتواضع فان التواضع قد يسمى سجودا كما فى قوله ترى الامم
فيها سجدا للكوافر فينبغى لهذا القائل ان يقول الخرور ههنا بمنع المرور
كما فى قوله تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا الم يعبروا قوله وقيل معناه
خروا لاجله سجدا لله وهو قول ابن عباس فى رواية عطا فعلى الآية على
حذف المضاف اى خروا له لاجل وجدان يعقوب اباه شكرا فذلك السجود سجود
الشكر والمسجود هو الله تعالى لان ذلك السجود انما كان لاجله تعالى بمقابلة

نعمة وجدان يوسف وقيل خروا اليه سجدا لله شكرا لنعمة وجدانه على ان يجعلوا يوسف كالقبلة ويسجدوا لله تعالى وفذلك كما يقال صليت للكعبة والى الكعبة قال حسان بن ثابت رضه ماكنت اعرف ان الامر ينصرف عن هاشم ثم منها عن ابي حسن اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالاثار والسنن وقوله هذا يدل على انه يجوز ان يقال صلى للقبلة فكذا يجوز ان يقال سجد للقبلة فقوله خروا له اى جعلوه كالقبلة ثم سجدوا لله شكرا لنعمة وجدانه قوله والرفع لم يؤخر عن الخرور جواب عما يقال لو كان المراد بالسجود سجود التحية والتكريم لكان ينبغي ان يسجدوا له قبل الصعود على السرور في اول الملاقات لان ذلك هو وقت التحية وهو خلاف ما يفهم من قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا فانه يشعر بانهم صعدوا ذلك السرير ثم سجدوا له روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان يوسف لما رآى سجود ابويه واخوته له بعالم ذلك واقشعر جلده منه وقال ليعقوب يا ابت هذا تاويل الرؤيا من قبل وهذا يدل على ان يوسف لم يكن راضيا بذلك في قلبه الا انه لما علم ان الله تعالى امره بذلك لحكمة لا يعرفها الا الله كما امر الملائكة بالسجود لادم لحكمة لا يعرفها الا هو سكت وقال ذلك كما قد يقول يا ايت لا يليق بشانك على حالتك في النبوة والدين والامن والشيخوخة والعلم ان تسجد لولدك الا ان هذا امر امرت به وتكليف كلفت به فان الرؤيا للانبياء حق كما ان رؤيا ابراهيم ذبح ولده صار سببا لوجوب ذلك الذبح عليه في اليقظة فكذلك صارت هذه الرؤيا التي رآها يوسف وحكاها ليعقوب سببا لوجوب ذلك السجود قوله ان ربي لطيف لما يشاء تعليل لقوله وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن الخ فان خلاصه من كل واحد مما اصابه من المحن وحصول الاجتماع بينه وبين ابويه واخوانه مع الالفة والمحبة وطيب العيش وفراغ البال وان كان في غاية البعد عن العقول الا انه تعالى لطيف التدبير اذا اراد حصول شئ سهل اسبابه فحصل وان كان

في غاية البعد عن الحصول قوله ليكونوا اشرعا فيه اى سواء قال الجوهري الناس في هذا الامر شرع اى سواء يتحرك ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قوله فتمني الموت اختلفوا في ان قوله توفني مسلما هل هو طلب منه للموت ام لا فقال قتادة سال ربه الحاق به فلم يتمن بنبي قبله الموت فقط وكثير من المفسرين على هذا القول وقال ابن عباس في رواية عطاء يريد اذا توفيتني فتوفني على الاسلام فهذا طلب لان يجعل الله تعالى وفاته على الاسلام وليس فيه ما يدل على انه طلب الوفاة ووجه اتصال قوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين بما قبله ان كفار قريش وجماعة من اليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف عليه السلام على سبيل التعنت فشرحها شرحا شافيا على اعتقاد انه عليه السلام اذا ذكرها فربما آمنوا فلما اصروا على كفرهم حزن عليه السلام لذلك فعزاه الله بقوله وما اكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت على ان تهديهم لانك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء ثم بين ان اصرارهم على الكفر بعد ما شاهدوا منك هذه المعجزة الباهرة ليس بعجب لانه انما نشا من عدم تاملهم في الدلائل الدالة على نبوتك كما هو دأبهم وعادتهم فان العالم مملوء بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وحكمته وهم يمرون عليها ويشاهدونها ولا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها قوله وقرئ والارض الجمهور على جر الارض عطفا على السموات والضمير في عليها للآية فكونهم يمرون صفة للآية او حالا منها لتخصيصها بالوصف بالجار وقيل ضمير عليها للارض ويمرون حال منها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء وخبره الجملة بعده وقرئ بالنصب ايضا على انه من باب الاشتغال والفعل المحذوف مفسر بما يوافقه معنى اى يطؤون الارض او يسلكون الارض يمرون عليها والضمير في هاتين القراءتين يعود على الارض فقط فلما سمع المشركون قوله تعالى وكاين من آية الآية قالوا انا نؤمن بالله الذي خلق هذه الاشياء فانزل الله وما يؤمن اكثرهم بالله الا في اقرارهم بان الله خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك حيث يثبت لم

شريكا في العبودية ويقول العرب في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك
تملكه وما ملك ويقول اهل مكة الله ربنا وصنع لا شريك له والملائكة بناته
فلم يوحدوه بل اشركوا ويقول عبدة الاصنام الله ربنا وصنع والاصنام
شركاؤه في استحقاق العبادة وقالت اليهود ربنا الله وصنع وعزير
ابن الله وقالت النصارى ربنا الله وصنع والمسيح ابنه وليس
المراد بقوله وما يؤمن اكثرهم حقيقة الايمان ولكن المعنى ان اكثرهم
مع اظهارهم الايمان بالله تهم مشركون ثم انه تعالى خوفهم بقوله
افامنوا يعني المشركين قوله يعني الدعوة الى التوحيد الخ جعل هذه
اشارة الى المعنى الحاضر في الذهن وهو الدعوة الى التوحيد والاعداد
للمعاد واخبر عن ذلك المعنى بانه سبيلي وجعل قوله ادعو الى الله
الى قوله وما انا من المشركين جملة مستأنفة لبيان السبيل والظاهر انه
اخذ الدعوة الى التوحيد من قوله وما انا من المشركين فانه عدم كما يدعوا
بقوله يدعوا بفعله ايضا واخذ الدعوة الى الاعداد للمعاد من قوله
ادعو الى الله فان المراد منه الدعوة الى طاعة الله وثوابه الموعود
يوم البعث والحساب وكون الحجة بصيرة عبارة عن كونها واضحة
مرشدة الى المطلوب فان الدليل اذا كان بصيرا يتمكن من الارشاد
والهداية بخلاف ما اذا كان اعمى وذكر في قوله انا ومن اتبعني احتمالين
الاول ان يكون ومن اتبعني عطفا على المستتر في ادعو فلذلك اكد بالضمير
المنفصل وهو قوله انا فالمعنى ادعو الى طاعة الله وثوابه انا كائنا على بصيرة
على ان قوله على بصيرة حال من المستتر في ادعو ويدعو اليها من اتبعني
كذلك اي كائنا على بصيرة والاحتمال الثاني ان يكون انا مبتدأ مؤخرا وعلى
بصيرة خبرا مقدما ويكون من اتبعني عطفا على انا ويكون المعنى انا ومن اتبعني
على حجة وبرهان على ما هو تقليد فتوقف على ادعو الى الله قوله وانزهه
تنزيها على ان سبحان اسم بمعنى التسبيح منصوب بفعل مضمر اي اسبح
الله تسبيحا من الشرك وان قوله وما انا من المشركين حال من فاعل اسبح

المضمر وان جملة سبحان الله عطف على قوله ادعو الى الله وبه يتضح ان يكون الجملة
المعطوفة مع ما عطفت هي عليه استينافا لبيان السبيل قوله رد لقولهم
لو شاء ربنا لانزل ملائكة قالوا تعجبنا وانكارا لنبوة فرد الله تعالى عليهم
بقوله وما ارسلنا من قبلك اي كيف يتعجبون من ارسالنا اياك والحال ان
من قبلك من الرسل كانوا على مثل حالك والآية تدل على انه تعالى ما بعث رسولا
الى الخلق من النسوان ولا من الجن ولا من اهل البادية لان اهل البادية
يغلب عليهم القسوة والجفاء واهل الامصار والقرى اعلم واحلم فلذلك
من بداجفا ومن اتبع الصيد غفل قوله وقرا حفص نوحي بالنون
مبنيا للفاعل وقراء الجمهور يوحى بالياء من تحت مبنيا للمفعول قوله غاية
محذوف يعني ان كلمة حتى تدل على الانتهاء وكون ما قبلها منتهيا بما بعدها
وليس في الكلام شئ يكون حتى غاية له واختلف عبارات المفسرين
في تقدير شئ يكون منتهيا بما بعد حتى فقدر المص اهمل من قبلهم من
المكذبين حتى ايئس الرسل وقدر الزمخشري وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا فترا خى نصرهم حتى اذا استياس وقدر بعضهم وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا موحى اليهم فدعوا قومهم فكذبوهم وطال دعاؤهم قومهم
وتكذيب قومهم اياهم حتى اذا استياس وكل واحد مما ذكروه ينافي
سياق الكلام الا ان ما ذكره المص اخصر واقرب والمعنى ان نصر الرسل
على قومهم تأخر عنهم حتى وقع ما وقع من اليأس والظنون ثم نصروا فانطلك
المكذب فانجي المصدق قوله ان كذبتهم انفسهم او كذبهم القوم بتخفيف
الذال فيهما لان تفسير قوله قد كذبوا بتخفيف الذال وبناء الفعل للمفعول
وهي قراءة الكوفيين ومعناه انتفى اليهم خبر كاذب وقراء الباقون
من السبعة بالتشديد على معنى قد قيل لهم كذبتم قوله وقيل الضمير للرسل
اليهم اي الضمير الثالث في قوله وظنوا انهم قد كذبوا قوله والثاني
للرسل ولو قال وما يعقل للرسل لكان اظهر الا انه يذكر الثاني لان كونه
للرسل يستلزم كون الثالث لهم ايضا قوله وانما لم يعبئهم اي لم يعتبر

عنهم في مقام التعيين بما يخصهم من العنوان للدلالة على ان عنوان من نشاء نجاتهم بخصهم بناء على ان الذبح ستاهلون لان يتعلق بهم مشية الانجاء انما هم هؤلاء دون غيرهم قوله وقراء ابن عامر وعاصم ويعقوب فننجي بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء ومن نشاء قايم مقام الفاعل وباقي السبعة فننجي بنونين الاولى مضمومة والثانية ساكنة وتخفيف الجيم وسكون الياء على لفظ المضارع من انجاه وقرئ فننجي بتشديد الجيم من نجاه وكلا هما على حكاية الحال الماضية لان القصة قد وقعت فيما مضى وقرئ فنجا على لفظ الماضي من الثلاثي مسوس لوسوس عم

سورة الرعد

قيل مدنية بالاجماع سوى قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال وقيل مكية سوى قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وقوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا الآية د ـــــــــ م الله الرحمن الرحيم

قوله المر قيل معناه انا الله اعلم وارى على ان يكون هذه الحروف التي جعلت فاتحة هذه السورة الكريمة مختصرة من كلمات تركبت هي منها كما اختصر الشاعر قوله قاف من وقفت حيث قال قلت طعا قفي فقلت لي قاف والظاهر ان المر كلام مستقل والتقدير هذه السورة المر او السورة مسماة بالمر ثم اشار الى اياتها وحكم عليها بانها آيات الكتاب الكاملة يعني ايات السورة الكاملة وصفة الكمال مستفادة من اضافة الآيات الى الكتاب المعرف بلام الجنس فان خبر المبتداء اذا كان معرفا بلام الجنس ومضافا الى المعرف بها يفيد انحصار الجنس في ذلك المبتداء وانه نفس ذلك الجنس لا نوع من انواعه فاذا حصر جنس ايات السورة في آيات هذه السورة افاد ان اياتها آيات كاملة بلغت في الكمال الى حيث لا يستحق هذا الاسم غيرها فكان آيات السورة ليست الا هي وان لم يكن اياها من الآيات ليس من افراد جنس ايات السورة

قوله عطف العام على الخاص على ان يراد بالكتاب السورة فان ما انزل

اليه عم من ربه اعم من السورة قوله او احدى الصفتين على الاخرى على ان يراد به القران فان الكتاب بمعنى الكلام المنظوم الذي من شانه ان يكتب صفة مغايرة لصفة المنزل من الرب تعالى فيكون من قبيل قول من مدح قومه بعدم الفرار من العدو لا يبعدن قومي الذين هم سمّ العداة وافة الجزر النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الازر فان عطف الطيبين على النازلين ومعاصفتان لقوم معينين وقول الآخر الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم قوله والجملة كالحجة على الجملة الاولى لانه اذا انحصر جنس الحق فيما انزل اليه عليه السلام حصر الكمال من حيث بلوغه في متانة النظم والاشتمال على مهمات الحقايق في باب الاعتقاد واعمال الدنيا والآخرة الى حيث صار ساير الكتب الآلهية بالنسبة اليه كالناقص بحيث كان ذلك كالحجة الدالة على ان ايات هذه السورة هي التي استحقت بان يسمى ايات السورة الا ان مضمون الجملة الاولى مفصل من حيث انها تفيد تفصيل آيات سورة معينة ومضمون الثانية يفيد تفضيل جملة ما انزل اليه عم فيكون بمثابة كبرى الشكل الاول قوله وتعريف الخبر وآن دل على اختصاص المنزل وغيره لا عن غير المنزل بكونه حقا دون غير المنزل ومن المعلوم ان انحصار الحق في حكم المنزل من عند الله تعالى يستلزم ان لا يكون الاحكام الثابتة بالقياس والاجماع حقا فيلزم ان يكون بالجملة لقوله تعالى فاذا بعد الحق الا الضلال فيلزم ان لا يكون القياس ونحوه من الادلة الشرعية الدالة على الحق والصواب الا ان المنزل من عند الله اعم من الحكم المنزل صريحا كالاحكام الثابتة بصريح نص القرآن ومن الحكم المنزل ضمنا كالتي تثبت بالسنة والاجماع والقياس فان الحكم المثبت بواحد منها وان لم يثبت بنص القرآن صريحا لكنه يثبت به ضمنا من حيث كونه اصلا يستند اليه كل واحد من الآية الثلثة المذكورة وينطبق بحسن اتباع كل واحد منها ويقرر حجيتها قال الامام ومن الناس من تمسك بقوله تعالى و الذي انزل اليك من ربك الحق في نفي القياس فقال الحكم المستنبط

بالقياس غير نازل من عند الله والا لكان من لم يحكم به كافرا لقوله تعالى ومن
لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون مع انه لا يكفر بالاجماع فثبت
ان الحكم المثبت بالقياس غير نازل من عند الله واذا كان كذلك وجب
ان لا يكون حقا لان قوله تعالى والذى انزل اليك من ربك الحق يقتضى
انحصار الحق فى المنزل من عند الله فانه لا حق الا ما انزله الله فكل ما لم
ينزل الله وجب ان لا يكون حقا واذا لم يكن حقا وجب ان يكون باطلا
لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ثم قال ومثبتوا القياس يجيبون
عنه بان الحكم المثبت بالقياس نازل ايضا من عند الله لانه ما اقر العمل
بالقياس الا لان الحكم الذى يدل عليه القياس نازلا من عند الله انتهى ثم انه
تعالى لما ذكر ان المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحق بين ان
اكثر الناس لا يؤمنون به وبكونه حقا منزلا من عند الله على سبيل الزجر
والتهديد ثم ذكر عقيبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد وهو قوله الله
الذى رفع السموات بغير عمد ترونها اى انشاءها مرفوعة لانها كانت
موضوعة فرفعها ولكن جعلها فى الابتداء كما تقول للخياط وسع كم القميص
والحافر البئر ضيق فم البئر ودلالته على التوحيد ظاهر فانه لا يقدر على
رفع سقف فيه سعة وبعد بغير عمد لا ترى الا الواحد القهار القادر
على كل شئ واما دلالته على المعاد فلان من قدر على رفع السماء مع
سعتها وبعدها بلا عمد ترى لقادر على اعادة الخلق واحيائهم بعد الموت
بل رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد اكبر من اعادة الشئ بعد
فنائه اذ فى الشاهد من قدر على اعادة ما فنى ولا يقدر على رفع سقف
ذى سعة وبعد بغير عمد قوله او عمود كاديم واديم جعل فعول
كقعبد فى ان يجمع على فعل بفتحتين وفيه بحث لان كل وزن له خصوصية
يختص بها فلا يلزم من جمع فعيل على فعل ان يجمع عليه فعول وان قرئ
عمد بضمتين يكون مفرده عماد كتاب وكتب وشهاب وشهب وقوله
بغير عمد فى محل النصب على انه حال من السموات اى رفعها خالية عن عمد

ترونها فى محل الجر على انه صفة لعمد فيكون الضمير المنصوب فيه راجعا
الى عمد والمعنى رفعها خالية عن عمد مرئية وانتفاء العمد المرئية يحتمل ان
ان يكون لانتفاء العمد والرؤية جميعا اى لا عمد لها فلا ترى ويحتمل ان يكون
لانتفاء الرؤية فقط بان يكون لها عماد غير مرئى وهو القدرة فانه تعالى
يمسكها مرفوعة بقدرته فكانها عماد لها فقوله بغير عمد مرئية معناه بعمد
غير مرئية فكلمة النفى وان كان متقدمة فى الذكر فهى متأخرة فى المعنى وكونها
مرفوعة بعماد غير مرئى مثل كونها مرفوعة بغير عماد اصلا وكونه ذلك الرفع
عجيبا خارجا عن دائرة الفعل والخيال فانا لا نتعقل ارتفاع السقف
الواسع الرفيع السمك بغير عمد واساطين مرئية ونظير الآية فى الاحتمالين
قولك ما رايت رجلا صالحا فان صدقه يحتمل ان يكون الانتفاء الرجل والصلاح
جميعا او لانتفاء الصلاح وحده قوله او استيناف للاستشهاد فان
الضمير المنصوب فى ترونها على تقدير ان يرجع الى السموات يكون ترونها
كلاما مستأنفا لا محل لها من الاعراب كانه قيل ما الدليل على ان السموات
مرفوعة بغير عمد فاجيب بانكم ترونها غير معمودة او مرفوعة بلا عمد فاشهد
على كونها مرفوعة بغير عمد برؤية الناس اياها كذلك قوله وهو الدليل
على وجود الصانع ووجه دلالته عليه ان ارتفاعها على سائر الاجسام ليس
مقتضى جسميتها ولا مقتضى ذوات احيازها والا لكان كل جسم
كذلك ولا مقتضى خصوصيتها النوعية لانا ننقل الكلام الى اختصاصها
بتلك الخصوصية ونقول اختصاصها بها ليس لاجل جسميتها والا لكان جميع
الاجسام كذلك ونقين ان يكون المخصص الخارجى ولا بد ان لا يكون ذلك
المخصص الخارجى جسما او جسمانيا والا لكان له حيز يشغله بذاته او
بتبعية موضوعه ويمتنع ان يكون حصوله فى ذلك الحيز مقتضى ذاته او ذات
حيزه لما بينا ان الاجسام والاحياز متساوية فى تمام الماهية فلا بد ان يكون
ذلك المخصص فاعلا مختارا يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته
قوله بالحفظ والتدبير اشارة الى ان الاستواء على العرش

عبارة عن الاستيلاء على الملك والتصرف فيما رفعه بلا عمد بناء على ان العرش
في الاصل سرير الملك فصح ان تجعل الاستيلاء عليه كناية عن نفاذ الامر
والتدبير كيف يشاء والظاهر ان كلمة ثم لمجرد العطف والترتيب مع قطع
النظر عن مضي التراخي لان استيلاءه تعالى على التصرف فيما رفعه بمراحل
عن رفعه ويحتمل ان تجعل لمجرد العطف مع قطع النظر عن الترتيب ايضا
بناء على ان يراد بالملك مطلق التصرف فان الاستيلاء على الملك مطلقا
غير مرتب على رفع السموات قال الامام المراد استواؤه على عالم الاجسام
بالقهر والقدرة والتدبير يعني ان ما هو كائن من فوق العرش الى ما تحت
الثرى في حفظه وتدبيره وفي الاحتياج اليه ولم وعلى هذا المنهاج سائر
ما ذكر من الآيات اي من الآيات الدالة على وجود الصانع الحكيم فانه
تعالى استدل عليه باحوال السموات وباحوال الشمس والقمر وباحوال
الارض وباحوال النبات استدل عليه اولا باحوال السموات حيث قال
الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وبين الوجه دلالتها عليه
وثانيا باحوال الشمس والقمر حيث قال وسخر الشمس والقمر فان اختصاصهما
بالحركة الدائمة على وجه مخصوص من البطؤ والسرعة وشكل معين دون
السكون ودون الحركة على سائر الوجوه مع كون الاجسام متماثلة لابد له
من مخصص الى آخر ما ذكر سابقا ثم انه تعالى لما قرر الدلايل السماوية
اردفها بتقرير الدلايل الارضية فقال وهو الذي مد الارض اي انشاءها
ممدودة لانها كانت مجموعة في مكان فبسطها وهو كما ذكر من رضع
السماء ونحوه ووجه الاستدلال بامتداد الارض ان كونها ممدودة ان ذات
امتداد من الطول والعرض والعمق على قدر معين مع جواز كونها ازيد
مقدارا مما هو الآن عليه او انقص منه لابد له من مخصص قال ابوبكر الاصم
المد هو البسط الى ما لا يدرك البصر منتهاه فقوله هو الذي مد الارض يشعر
بانه تعالى جعل حجم الارض حجما عظيما كبيرا لا يقع على منتهاه فان الارض لو كانت
اصغر مما هي الآن عليه لما يحل الانتفاع به ومد الارض على اي وجه كان

لا ينافي كرويتها لان الكرة اذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها يشاهد
كالسطح والتفاوت الحاصل بعينه وبين السطح لا يحصل الا في علم الله تعالى
ثم استدل عليه بحصول جبال ثابتة فيها غير منتقلة عن اماكنها فان حصول
الجبل في بعض جوانبها دون البعض مع كون طبيعة الارض واحدة لابد وان
يكون بتخصيص فاعل مختار الحكيم وكذا حصول الانهار في بعض جوانبها دون
بعض لابد ان يستند اليه ثم استدل عليه بعجايب خلقة النبات حيث قال
ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين فان الجنة اذا وقعت في الارض
وانبت فيها نداوة الارض ربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق اعلاها
واسفلها فتخرج من شق الاعلى الشجرة الصاعدة وتخرج من الشق الاسفل
العروق الغائصة في اسفل الارض وهذا من العجايب لان طبيعة تلك الجبة
واحدة وتاثير الطبايع والافلاك والكواكب فيها واحد ثم انه خرج من
احد جانبي تلك الجبة جرم صاعدا الى الهواء ومن جانبها الآخر منها جرم غائصة
عائص في الارض ومن المحال ان يتولد من طبيعة واحدة طبيعتان متضادتان
فعلمنا ان ذلك انما كان بسبب تدبير الحكيم ثم ان الشجرة النابتة من
تلك الجبة بعضها يكون خشبا وبعضها يكون نورة وبعضها يكون ثمرة ثم ان
تلك الثمرة ايضا يحصل اجسام مختلفة الطبايع والجوز اربعة انواع من القشور
قشره الاعلى وتحته القشرة الخشبية وتحته القشرة المحيطة باللب وتحت
تلك القشرة قشرة اخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز
واللوز طلبا وايضا فقد يحصل في الثمرة الواحدة الطبايع المختلفة فالعنب
مثلا قشره وعجم بارد يابس ولحمه وماؤه حار رطب فتولد
هذه الطبايع المختلفة من الجبة الواحدة مع تساوي تاثيرات الطبايع
وتاثيرات الانجم والافلاك لابد وان يكون لاجل تدبير الحكيم القدير ثم
استدل باحوال الليل والنهار حيث قال يغشى الليل النهار وان الانعام
لا تبلغ بكمالها الا بالليل والنهار وتعاقبهما ولم يجري لملوك معينة اي ليسير
في منازله الى وقت لا يجاوزه قال ابن عباس للشمس مايه وثمانون منزلا

كل يوم طالما منزل وسيرها في تلك المنازل يتم في ستة اشهر انها تعود مرة
اخرى الى واحد واحد منها في ستة اشهر اخرى وكذلك القمر له ثمانية و
عشرون منزلا فالمراد بقوله كل يجري لاجل مسمى هذا وقيل المراد به كونهما
متحركين الى يوم القيمة وعند مجئ ذلك اليوم تنقطع هذه الحركات قوله
امر ملكوته اى امر ملكه وسلطنته فان الملكوت من الملك كالرهبوت
من الرهب يقال له ملكوت العراق وهو الملك والعز ولفظ الجلالة
في قوله تعالى الذى رفع السموات بغير عمد ان كان مبتداء والذى
رفع خبره يكون يدبر جملة مستأنفة على تقدير سؤال كانه قيل الذى رفع
السموات على هذه الصفة والستوى على العرش وسخر الشمس والقمر فما اذا
حكمته في انشائها وتسخيرها والاستواء عليه فاجيب يدبر الامر يفصل
الآيات الدالة على وجود منشئها وحكمة مخترعها ليوقن المكلفون بان
مرجعهم اليه وانه لابد من لقائه ليثيبهم ويعاقبهم على ما كلفوا به كما اشار اليه
بقوله لعلكم بلقاء ربكم توقنون وقوله ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
وان كان الذى رفع السموات صفة لفظ الجلالة يكون قوله يدبر خبرا
للمبتداء ويفصل خبرا بعد خبر كما اشار اليه ويكون المقصود من توصيف
المسند اليه باسم الموصول جعله ذريعة ووسيلة الى التعريض بتعظيم
شان الخبر الذى هو التدبير والتفصيل كما في الغرر دق ان الذى
سمك السماء بنا لنا بيتا دعايه اعز واطول فان في قوله ان الذى
سمك السماء ايماء الى ان الخبر المبني عليه امر من جنس الرفعة والبناء
فكذا قوله في الآية الذى رفع السماء بغير عمد ترونها الى آخر الصلات
ذريعة وايماء الى ان الخبر المبني عليه امر عظيم الشان يليق ان يصدر
عمن هذا شانه قوله يفصل بينها وبينها منفصلة على ان يكون بالآيات
آيات القرآن ويكون المراد بتفصيلها انزالها مفرقة على حسب
تجدد المصالح والثاني على ان يكون المراد بها الدلايل الدالة على وجود
الصانع وعلمه وقدرته وحكمته وتفصيلها احداث بعضها عقيب بعض

على سبيل

على سبيل التمييز والتفصيل قوله والتاء للتأنيث جواب عما يقال
على قولهم جبال ثوابت وهو ان رواسي اذا كانت صفة جبال يكون
معزده وهو راسية صفة جبل وهو مذكر فاوجه دخول التاء في صفته
وتقدير الجواب انا لانم ان راسية صفة جبل بل هو صفة أجبُل وهو
جمع واجمع لكونه في تاويل الجماعة يعامل به معاملة المؤنث وفيه بحث
وهو ان الرواسي لما كان جمع راسية التي هي صفة اجبل لزم ان يكون
الجبال الرواسي جمع الجمع وليس كذلك بل كل واحد من الجبال والاجبل
جمع جبل الاول جمع كثرة والثاني جمع قلة فالاول هو الجواب الثاني
وهو ان راسية صفة جبل والتاء فيه ليست للتأنيث بل هي للمبالغة
كما في علامة قوله ضمنها الى الجبال جواب عما يقال كل واحد من الرواسي
والانهار واختصاصه ببعض جوانب الارض دون بعض دليل مستقل على وجود
الصانع الحكيم فلم جمعهما وعلق بهما فعلا واحدا حيث قال وجعل فيها رواسي
وانهارا اى خلق فيها اياهما والوجه في كون الجبال اسبابا لتولد الانهار
ان الحجر جسم صلب فاذا تصاعدت الابخرة من قعر الارض ووصلت
الى الجبال حتبست هناك فلا تزال تتراكم وتتضاعف حتى تحصل بسبب
الجبل مياه عظيمة ثم انها لكسرتها وقوتها تنقلب الجبل وتخرج ووقيل
على وجه الارض فهذا هو السبب في تولد الانهار من الجبال فلما كان بينهما
هذه العلاقة ندرى في اكثر الاحيان تعالى اينما ذكر الجبال قرن بها ذكر الانهار
مثل ما في هذه الآية ومثل قوله تعالى وجعلنا فيها رواسي شامخات وسقيناكم
ماء فراتا قوله متعلق بجعل على انه حال من مفعوله اى وجعل فيها
زوجين اثنين حال كونهما من جميع انواع الثمرات قدمت على ذى الحال
لكونه نكرة قوله يغشى الليل اما مستانف لبيان الحكمة في انشاء الشمس
والقمر وتسخيرهما او حال من ضمير اسم الله المستتر في الافعال المذكورة
قبلها وهي رفع وسخر ويدبر ويفصل ومد وجعل قوله يلبسه
مكانه يعني ان الاغشاء البس الشئ ولما كان البس الليل النهار وتغطية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

النهار به غير معقول لانهما متضادان لا يجتمعان والباس لابد ان يجتمع مع
الابس قدر المضاف وهو مكانه ومكان النهار هو الجو وهو الذى يلبس
ظلمة الليل شبه احداث الظلمة فى الجو الذى هو مكان الضوء بالباسها اياه
وتغطيته بها فاطلق عليه اسم الاغشاء والالباس فاشتق منه لفظ يغشى
فصار استعارة تبعية قوله ولا تخصيص قادرا اشارة الى ان
المقصود من قوله تعالى وفى الارض قطع متجاورات الآية اقامة الدليل
على انه لا يجوز ان يكون حدوث الحوادث فى هذا العالم مستندا الى الفعالات
الفلكية والحركات الكوكبية فوذلك لان قطع الارض مختلفة فى صفاتها
مع اشتراكها فى الطبيعة الارضية وكونها متجاورة متقاربة بحيث يكون
تأثير الشمس وسائر الكواكب فيها على السوية وقوله من حيث انها
متضامة متشاركة فى النسب والاوضاع علة لاشتراك تلك القطع فيما
يعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية قوله نخلات اصلها
واحد تفسير للصنوان على وجه يشير الى ان صنوان جمع صنو كقنوان
جمع قنو عن ابن عباس رضه انه قال صنوان ما كان من نخلين او ثلاث
او اكثر اصلهن واحد وغير صنوان يريد به المتفرق الذى لا يجمعه اصل واحد
قوله وقراءة ابن كثير الا قوله بالرفع عطفا على وجنات لا نخ الا المرفوع
بالعطف على جنات انما هو قوله وزرع ونخيل واما الرفع قوله صنوان
وغير صنوان فلكونه تابعا للنخيل والنخيل والنخل بمعنى واحد وقراءة الباقون
بجر الالفاظ الاربعة عطفا على اعناب قوله على تأويل ما ذكر اى يسقى
ما ذكر مع القطع المتجاورة والجنات والنخيل المتفقة الاصول والمختلفة
الاصول بماء واحد ونفضل بعض هذه الاشياء المذكورة على بعض فى الثمر
من جهة الاكل والقدر والرائحة والطعم ويحتمل ان يكون قراءة يسقى
بالياء التحتانية بناء على تأويل كل واحد منها او على تغليب المذكر
على المؤنث والاكل الثمر الذى يؤكل وقيل الاكل ما هيئ للاكل ثمرا كان
او غيره ويؤيد قوله تعالى فى صفة الجنة اكلها دايم وهو عام فى جميع

المطعومات

المطعومات وقراءة الباقون تسقى بالتاء الفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير
جنات او الى الاشياء المذكورة ويؤيد هذه القراءة قوله تعالى ونفضل بعضها
ان بعض هذه المذكورات ومن قراءة يفضل بالياء التحتانية على بناء الفاعل
عطفه على قوله يدبر ويفصل ويغشى ومن قراءة ونفضل بنون العظمة قال
تقديره ونحن نفضل وقراءة نافع وابن كثير الاكل ساكنة الكاف فى جميع
القرآن والباقون مضمومة الكاف وهما لغتان قوله حقيق بان
يتعجب منه ان فقد عجبت فى موضع العجب لما قدر وفصل من الدلائل ما يدل
على وجود المبدء القادر على كل شئ وكانت تلك الدلائل دالة على صحة الاعادة
ايضا استبعد قول من انكرها فقال وان تعجب من انكارهم البعث
فقد عجبت فى موضع العجب والتعجب حالة انفعالية تعرض للنفس عند ادراك
ما لا يعرف سببه فهو مستحيل فى حق الله تعالى فكان المراد وان تتعجب
عندك قوله بدل من قولهم بدل الكل من الكل لان هذا هو نفس قولهم
والاظهر ان هذه الجملة الاستفهامية منصوبة المحل على انها محكية بالقول
واذا هنا ظرف محض وليس فيها معنى الشرط والعامل فيها المقدر يفسره
قوله لفى خلق جديد والتقدير ايذا كنا ترابا نبعث او نحشر ولا يجوز
ان يكون العامل فيه كنا لانه مضاف اليه فلا يعمل فى المضاف ولا يعمل
فيها ايضا خلق جديد لان ما بعد اداة الاستفهام ولا ما بعد ان لا يعمل
فيما قبله ولما حكى الله تعالى هذه المقالة عنهم وقال ان تعجب منها فقد
تعجب فى موضع التعجب حكم عليهم بثلثة اشياء اولها قوله اولئك الذين
كفروا بربهم لان من انكر البعث والقيامة انما يكفر لانكاره صدق من
صدقه الله باظهار المعجزات القاهرة على يده وحكم عليهم ثانيا بقوله واولئك
الاغلال فى اعناقهم والاغلال جمع الغل وهو طوق يقيد به اليد الى العنق
يقال منه غل الرجل فهو مغلول والمصر فسر الاغلال بما هم عليه من سوء
الاعتقاد وقبايح الاعمال شبهها بالاغلال فى لزومها لهم ومنعها اياهم
عن الالتفات الى غير ما يقال للرجل هذا غل فى عنقك للعمل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الردى ومعناه انه لازم لك لابرح خلاصك منه ثم فسره بمعناه الحقيقي
الاصلح وحمل الكلام على الحقيقة وان كان اولى الآن المض قدم التفسير
الاول في الذكر لان ظاهر الآية يقتضي حصول الاغلال في اعناقهم في الحال
والغل الحقيقي غير حاصل في الحال بل هو امر سيحصل يوم القيمة بخلاف
معنى الكفر والضلال فانه حاصل في الحال فحمل الكلام عليه رعاية لجانب
الحقيقة من بعض الوجوه فلا رجحان لاحد الحملين على الآخر من هذا الوجه
ورجح الوجه الاول لانه يفيد تقبيح حالهم في الدنيا وقوله واولئك اصحاب
النار يفيد تقبيح حالهم في الآخرة فلذلك كان انسب بهذا المقام وعلى الوجه
الثاني يكون المعنى اولئك يفعلون يوم القيمة واولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون على معنى هم الموصوفون بالخلود في النار لا غيرهم
وان خلودهم انما هو في النار لا في غيرها لان كل واحد من توسيط ضمير
الفصل وتقديم فيها يفيد الحصر فثبت ان اهل الكبائر لا يخلدون في النار
قوله وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء
وقالوا متى جئتنا بهذا العذاب استعجلوا نزوله على سبيل الطعن فيه و
انكار ان الذي يقوله الكلام لا اصل له فلهذا السبب حكى الله عنهم انهم
يستعجلون الرسول بالسيئة قبل الحسنة الا بنزول العقوبة المهلكة قبل
احسان الله معهم بالانظار والامهال فانه تعالى صرف عمن بعث اليهم
محذوم عقوبة الاستيصال واخر تعذيبهم مكذبيه الى يوم القيمة فذلك التاخير
هو الحسنة في حقهم فهؤلاء طلبوا منه عدم نزول تلك العقوبة ولم يرضوا بما
هو حسنة في حقهم سميت العقوبة سيئة لانها يسوءهم ويؤذيهم ويجوز ان
يكون المراد بالحسنة الثواب الموعود لهم في الآخرة وحصول النصر و
الظفر في الدنيا بشرط الايمان فانه عم كان بعد بهم ذلك على الايمان فالقوم
طلبوا منه عدم نزول العذاب بدل ما وعد لهم على الايمان من النصر والظفر
واعلم انه عم كان يهددهم تارة بعذاب القيمة وتارة بعذاب الدنيا
والقوم كلما هددهم بعذاب القيمة انكروا القيمة والبعث وهو الذي تقدم

ذكره

ذكره وقوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا وكلما هددهم بعذاب
الدنيا استعجلوه وقالوا متى جئتنا به استهزاء وهو قوله تعالى ويستعجلونك
قوله قبل الحسنة متعلق بالاستعجال ظرف له ويجوز ان يتعلق
بمحذوف على انه حال مقدرة من السيئة قوله وقد خلت حال
من المستعجلين والعامة على فتح الميم وضم الثاء المثلثة في المثلات
وهي جمع مَثُلَة بفتح الميم وضم الثاء ايضا كسمرة وسُمُرات وهي العقوبة
الفاضحة ويقال لها مَثُلَة ايضا بضم الميم وسكون الثاء مثل صَدُقَة و
صُدُقَة ويجمع على مثلات بسكون الثاء المَثْلَة العقوبة المبقية في المعاقب
شيئا وهو تغيير تبقى الصورة معه قبيحة وهو من قولهم مثل فلان بفلان
اذا قبح صورته او قطع اذنه او انفه او سمل عينه او بقر بطنه فهذا هو
الاصل ثم يقال للعار الباقي في المخزي اللازم مَثْلَة قال الواحدي اصل هذا
الحرف المثل الذي هو الشبه ولما كان الاصل ان يكون العقاب مشابها
للمعاقب عليه ومماثلا له لزم من هذا الاسم وقرئ المُثُلات بضمتين
لاتباع الفاء العين والمُثُلات بضم الميم وسكون الثاء جمع مُثُلة فيه لغة
الحجاز والمُثُلات بضم الميم وسكون الثاء على ان يكون المثلة بالضم والسكون
لغة اصلية او مخففة من المثلة بضمتين وهو قول بالتخفيف بعد الاتباع
وقرأ الاعمش ومجاهد المَثَلات بفتحتين جمع مَثَلَة على وزن صدقة او جمع
مُثْلَة كركبة وركبات قوله مع ظلمهم انفسهم يعني ان قوله تعالى على ظلمهم
معناه حال الاستغلاظ بالظلم كما يقال رايت فلانا على اكله والمراد حال اشتغاله
بالاكل قوله والعامل فيه المغفرة يعني انه هو العامل في صاحبها والا فمتعلق
الجار والمجرور محذوف لان المستمرين على ظلمهم ولا شك ان المستمر على الظلم
والمشتغل به لا يكون تائبا عنه فدلت الآية على جواز العفو بدون التوبة
ولما لم تكن معمولا بها في حق الكفار للنصوص الدالة على عدم العفو عنهم بقيت
معمولا بها في حق اهل الكبيرة فيكون قوله وان ربك لشديد العقاب
في حق الكفار او من حق ما شاء عقابه من عصاة المؤمنين ثم انه تعالى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لما استعجب من الكفار انكارهم البعث والجزاء المستلزم لانكار النبوة حكى عنهم انهم طعنوا في نبوته ﷺ ولم يعتدوا بما شاهدوه من المعجزات وطلبوا منه ﷺ معجزات قاهرة مثل فلق البحر وقلب العصى ثعبانا فقال ويقول الذين كفروا الآية فلقن الله تعالى اياه ﷺ ان يجيبهم بان يقول ليس على اتيان كل ما يقترح علي وانما علي الانذار عن مخالفة حكم الله تعالى وما يتوقف عليه ذلك الانذار وهو اتيان ما تثبت به النبوة من جنس المعجزات فان اتيت المعجزة واحدة فقد تم المقصود فكيف فيكون طلب الباقي تحكما على مدعي النبوة فلما يلتفت اليه لتمام الحجة بدون اتيان الباقي وايضا فتح هذا الباب يفضي الى اتيان ما لا نهاية له لانه كلما اتى بمعجزة جاء واحد اخر فطلب منه معجزة اخرى وذلك يوجب سقوط دعوة الانبياء عم وانه باطل قوله بنبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يعني ان تنكير هاد للافراد والمعنى ان لكل قوم من الاقوام هاد على حدة مغائر لهداة سائر الاقوام وان الهداة مختلفة على حسب اختلاف الاقوام الا ان المراد باختلاف الهداة اختلاف معجزاتهم على حسب اختلاف طرق الاقوام في مناحجهم ولكل امة منهم فانه تعالى وان سوى بين جميع الانبياء في اظهار المعجزة الا انه تعالى خص نبي كل قوم بنوع من المعجزة مناسب لطريق ذلك القوم وما تميزوا به من سائر الاقوام من الكمالات فلما كان الغالب في زمان موسى عم هو السحر جعل معجزته ما هو اقرب الى طرقهم ولما كان الغالب في ايام عيسى عم الطب جعل معجزته ما يناسب الطب وهو احياء الموتى وابراء الابرص والاكمه ولما كان الغالب في ايام نبينا عم الفصاحة والبلاغة جعل معجزته ما كان لايقا بذلك الزمان وهو فصاحة القرآن وبلوغه في باب البلاغة الى حد خارج عن قدرة الانسان فلما لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع انها اقرب الى طريقهم واليق بطباعهم فبان لا يؤمنوا عند اظهار سائر المعجزات اولى قوله او قادر على هدايتهم عطف على قوله نبي مخصوص والمعنى

ان قومك ان لم يصدقوك ولم يعتمدوا على ما اظهرته من المعجزات فلا يضيق قلبك بسببه فانه ليس عليك الا الانذار وانا الهداية فهي الى الله تعالى فانه هادي كل قوم يهدي من يشاء قوله ثم اردف ذلك الخ اي اردف ما ذكر ما حكى عنهم من انهم طلبوا آيات اخرى غير ما اتى بها الرسول عم بذكر ما يدل على كمال علمه والمقصود بيان وجه انتظام هذه الآية بما قبلها وهو انه تعالى حكى عنهم اولا انهم طلبوا ايات اخرى غير ما شاهدوه من الآيات ثم احتج على كمال علمه بانه يعلم ما تحمل كل انثى وكذا وكذا تنبيها على انه تعالى يعلم من حالهم انهم هل طلبوا الآية الاخرى للاسترشاد اولاجل التعنت والعناد فلو علم انهم طلبوا ذلك للاسترشاد ومزيد الطمانينة لاظهر ذلك وما منعه عنهم ولكنه ما علم منهم انهم لم يقولوا ذلك الا لمحض العناد لاجرم منعه عنهم قوله ان حملها او ما تحمله يعني ان كلمة ما في قوله ما تحمل وما تغيض وما تزداد يحتمل ان يكون مصدرية والمعنى يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شئ من ذلك في الازمنة واوقاته واحواله ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذي منصوبة المحل بيعلم والعائد محذوف والمعنى انه يعلم ما تحمل من الولد انه ذكر او انثى تام او ناقص حسن او قبيح طويل او قصير الى غير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ايضا ما تغيضه لازما ومتعديا يقال غاض الماء يغيض غيضا اذا قل ونضب كما يقال انغاض ويقال ايضا غاضه الله ومنه قوله تعالى وغيض الماء وكذا ازداد فانه يقال زدته فزاد بنفسه وازداد ويقال اخذت منه حتى وازددت منه كذا واختلفوا فيما تغيضه الارحام وما تزداده فقيل هو جثة الولد فانها قد تكون كبيرا وقد تكون صغيرا وقد تكون تام الاعضاء وقد تكون ناقصة وقيل هو مدة ولادته فانها قد تكون تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربعة عند الشافعي والى خمسة عند مالك وقيل هو عدد الولد فان الرحم قد يشتمل على ولد واحد على التثنية وثلثة واربعة روي ان شريكا وهو احد فقهاء المدينة كان رابع اربعة في بطن امه وقيل هو دم الحيض فانه تقل وتكثر قوله فانهما لله على تقدير كونهما

ن شخص واحد بناء على ان كلمة من عبارة عن الاثنين كانه قيل سواء منكم اثنان
مما مستخف بالليل وسارب بالنهار وعلى الوجهين تكون كلمة من موصوفة
لا موصولة فتحمل الاوليان ايضا على ذلك ليتوافق الكل وانما وقع كلمة من
عبارة عن المتعدد ما وقع في بيت العرزدق تمر مثل من ياذيب يضطجعان وقبله فقلت له لما تكشر ضاحكا وقائم سيفي من يدي بكاظة تعالى
فان عاهدتني لا تخونني تكن مثل من ياذيب يضطجعان تكشر اي ابدا انسا نه
وقائم السيف وقايته بقبضته والمعنى وانا قابض قائم سيفي قبضا قويا
ليس بعده شئ من القوة يظهر تجلده وشجاعته يخاطب ذئبا اتاه ويقول له
ان عاهدتني على ان لا تخونني كنا مثل رجلين يصطجعان فقوله يصطجعان صلة
من وياذيب نداء اعترض بين صلة والموصول قوله له لمن استره يعني
ان الضمير في له عايد الى من في قوله سواء منكم من استر القول وقيل الى اسم الله المذكور
في قوله عالم الغيب والشهادة والمعنى لله معقبات قوله من عقب مبالغة
عقبه فيكون صيغة التفعيل للمبالغة والتكثير كما في قولك طوف البيت
وقيل للملائكة معقبات لكثرة تعاقب بعضهم بعضا او لكثرة انهم يعقبون
افعال المكلفين واقوالهم فيكتبونها فيكون الحاق المعقبة على الملك كالحاق
التاء والعلامة على الرجل في ان التاء فيها ليست للتانيث قوله او
اعتقب عطف على قوله عقب فيكون معقبات اصله معتقبات فادغمت
التاء في القاف قوله والتاء للمبالغة جواب عما يقال الملك لا يوصف
بالذكورة والانوثة فلم جمع وصفه جمع الاناث فقيل معقبات فاجاب
عنه اولا بان التاء ليست للتانيث وثانيا بانها للتانيث بناء على ان
المعقبة صفة لجماعة الملائكة فلما جمعت اريد بها الجماعات قال جمهور
المفسرين المراد بالمعقبات الملائكة والحفظة وصح وصفهم بالمعقبات
اما لاجل ان ملائكة الليل يعقب ملائكة النهار وبالعكس واما لاجل انهم
يعقبون اعمال العباد واقوالهم ويتبعونها بالحفظ والكتبة وكل من عمل
عملا ثم عاد اليه فقد عقب فعلى هذا المراد من المعقبات ملائكة الليل

استعد يبين اولا فيها على تقدير كونها لازمين فان كل واحد من الفيوض و
الزيادة ليس لنفس الارحام بل لما فيها قوله فانه تعالى خص كل حادث الخ
اشارة الى ان قوله وكل شئ عنده المراد منه ان كل شئ في حكم وارادته
مختص بوقت وحال وقيل يحتمل ان يكون المراد من الغندية العلم والمعنى
انه تعالى يعلم كمية كل شئ وكيفيته على الوجه المعين فيمتنع وقوع التغيير
في تلك المعلومات ثم انه تعالى لما اصبح على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات
بقوله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام الآية اكد بيان احاطة علمه
بجميع المعلومات فقال سواء منكم من اسر القول الآية قوله من اسر القول
مبتداء ومن جهر عطف عليه وسواء خبر المبتداء ومنكم حال من الضمير المستتر
في سواء لانه بمعنى مستو ولم يثن الخبر مع انه خبر عن شيئين لانه في الاصل
مصدر وان كان هنا بمعنى مستو والاستواء يقتضي شيئين فمعنى الآية
الاسرار سواء كان اضمر القول في نفسه او اظهر بلسانه وسواء كان مستخفيا
في الظلمات او ظاهرا في الطرقات فعلم الله تعالى محيط بالكل قوله
وهو عطف على من او على مستخف صح ان يعطف سارب على قوله مستخف
مع انه يستلزم تحقق الاستواء في شخص واحد له صفتان الاستخفاء و
البروز فذلك لان جملة قوله من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار
معطوف على جملة قوله من استر القول منكم ومن جهر وقد مر ان من
استر ومن جهر مبتدا حكم عليهما بالاستواء فلما عطف عليه قوله ومن هو
مستخف سارب لزم ان يكون هذا المعطوف ايضا محكوما عليه بالاستواء
وهو شخص واحد له صفتان فحق العبارة ان يقال ومن هو مستخف
بالليل ومن هو سارب بالنهار ليتحقق شيآن يحكم عليهما بالاستواء
واجاب عنه بوجهين تقدير الاول ان ما ذكر انما يلزم ان لو كان وسارب
معطوفا على قوله مستخف وليس كذلك بل هو معطوف على من فتحقق شيآن
كانه قيل سواء منكم انسان هو مستخف وآخر سارب وتقدير الوجه
الثاني سلمنا انه معطوف على مستخف لكن لانم استلزامه لكون الاستواء

اخذه في الكشاف وذاب الادب نسبه عليه
ابن الحاجب رحمه الله سهوا

والنهار قوله وقرئ معاقب جمع معقب بسكون العين وكسر القاف
كمقاديم جمع مقدم ومطاعيم جمع مطعم ومعقب اسم فاعل من قولهم
ذهب فلان فاعقبه الله اذا خلفه وهو مثل عتبه قوله من جوانبه اى كائنين
او محيطين من جوانبه او بجائبون من جوانبه على ان يكون قوله من بين
يديه متعلق بمحذوف على انه حال من الضمير المستتر فى الظرف الواقع
خبرا او على انه صفة لمعقبات ويجوز ان يتعلق بنفس معقبات بان يكون
من لابتداء الغاية وعلى التقادير يتم الكلام عند قوله ومن خلفه ويجوز
ان يتعلق بيحفظونه اى معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه
فلا يتم الكلام ح عند قوله ومن خلفه فان قيل كيف يتعلق حرفان متحدان
لفظا ومعنى بعامل واحد وهما من الداخلة على بين ومن الداخلة على
امر الله فالجواب ان من الثانية مغايرة للاولى فى المعنى بان يكون معنى الثانية
يحفظونه من اجل امر الله اياهم بذلك او بسبب امره وقيل من امر الله خبر
مبتدا محذوف اى ذلك الحفظ من امر الله اى انما امر الله تعالى به لانهم تقدروا
على ان يدفعوا شيئا مما قضى الله وقدره قوله او من الاعمال ما قدم
وأخر والظاهر ان كلمة من على هذا تعليلية اى له معقبات يعقب
بعضهم بعضا فى النزول الى الارض لاجل ما بين يديه من الاعمال ولاجل
ما خلفه اى لاجل ان يكتبوا اما قدموه وما اخروه من الاعمال والاقوال
وقوله تعالى يحفظونه يجوز ان يكون صفة اخرى لمعقبات وان يكون
حالا من الضمير المستكن فى الجار والمجرور الواقع خبرا وقوله من امر الله
متعلق به والمعنى يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له
وسؤالهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب ويتوب او يحفظونه من
المضار ويدل عليه ما روى عن مجاهد انه قال ما من مسلم ينام الا وكل به
وكلاوه من الملائكة يحفظونه من الجن والهوام فاذا اراده شئ منها
قالوا وراك وراك الا شئ قد قضى له ان يصيبه وما روى عن عمرو
بن ابى جندب قال كنا جلوسا عند سعيد بن قيس بصفين فاقبل على

يتوكأ على عنزة له بعد ما اختلط به الظلام فقال سعيد امير المؤمنين قال
نعم قال اما تخاف ان يغتالك احد قال انه ليس من احد الا ومعه من الله تعالى
حفظة من ان يتردى فى بئر او يخر من جبل ويصيبه حجر او يصيبه دابة فاذا
جاء القدر خلوا بينه وبين القدر قوله وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة
وفى الصحاح الحرس حرس السلطان وهم الحراس الواحد حارس لانه قد صار
اسم جنس فينسب اليه ولا تقول حارسى الا ان تذهب الى معنى الحراسة
والحفظ دون الجنس وقال الجلواز الشرطى والجمع الجلاوزة وهم اعوان
السلطان فالمقصود من الكلام على هذا التوبيخ للغافل المتمادى فى غروره
والتهكم به على اتخاذ الجلاوزة والحرس بناء على توهم انهم يحفظونه من امر الله
وقضائه شيئا كما يشاهد من بعض الملوك والسلاطين يتخذون الحرس و
الشرط لذلك والعاقل يعلم ان القضايا الالهية والنوازل المقدرة مما لا يمكن
التحفظ منه فانظروا رأيهم وما ذهبوا اليه قوله وانتصابها على العلة بتقدير
المضاف واصبح الاقتدار لان الخوف من صواعق البرق وطمع غيثه ليسا
بفعل فاعل الفعل المعلل لان الارادة فعل الله تعالى والخوف والطمع فعل
المخاطبين قوله او الحال اى ويحتمل ان يكون انتصابها على ان يكونا مصدرين
واقعين موقع الحال اما من المفعول الاول لقوله يريكم ان يريكم البرق
خائفين صواعقه طامعين مطره واما من مفعوله الثانى وهو البرق اى
يريكم اياه حال كونه ذا خوف وطمع او مخوفا ومطمعا قوله وقيل يخاف
المطر من يضره آه عطف على قوله خوفا من اذاه وطمعا فى الغيث اختار
ان يكون المخوف منه والمطموع فيه شيئان المختلفان وضعف ان يكون
المراد منهما شيئا واحدا بالنسبة الى شخصين واعلم انه تعالى لما خوف العباد
بانزال ما لا مرد له اتبعه بذكر آيات دالة على وجوه الصانع القادر
على ما يشاء فقال هو الذى يريكم البرق الآيات والبرق دليل عجيب
على قدرة الله تعالى وبيانه ان السحاب لا شك انه جسم من اجزاء رطبة
مائية ومن اجزاء هوائية لا شك ان الغالب عليه الاجزاء المائية والماء

جسم بارد رطب والنار جسم حار يابس وحصول الضد من الضد على خلاف
العقل فلابد من صانع مختار يظهر الضد من الضد والنوع الثاني من
دلايل وجود الصانع وقدرته احداث السحاب للثقال بالماء وخلقه لان
هذه الاجزاء المائية المشوبة بالاجزاء الهوائية انما حدثت وتكونت في جو
الهواء بقدرة المحدث القادر على ما يشاء والعقل بان تلك الاجزاء تصاعدت
من الارض فلما وصلت الى الطبقة الباردة من الهواء بردت وثقلت
فرجعت الى الارض بالمطر لان الامطار مختلفة فتارة تكون قطراتها كبيرة
وتارة تكون صغيرة متقاربة واخرى تكون متباعدة وتارة تدوم زمانا
طويلا وتارة لا تدوم فاختلاف الامطار في هذه الصفات مع ان طبيعة
الارض واحدة وكذا طبيعة الشمس المسخنة للبخارات واحدة لابد ان يكون
بتخصيص فاعل مختار وايضا فالتجربة دلت على ان للدعاء والتضرع
في نزول الغيث اثرا عظيما ولذلك كان صلوة الاستسقاء مشروعة
فعلمنا ان المؤثر فيه هو قدرة الفاعل لا الطبيعة والحاجة والنوع الثالث
من الدلايل المذكورة في هذه الآية الرعد اختلف العلماء في الرعد
والبرق فقال بعضهم الرعد اسم ملك من الملايكة وهذا الصوت المسموع
هو صوت ذلك الملك بالتسبيح والتهليل فلذلك ايضا يسمى بالرعد ويؤيد
هذا القول ما روى عن ابن عباس رضه انه قال ان اليهود سالت النبي
عم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملايكة موكل بالسحاب معه مخاريق
من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا فما الصوت الذي
يسمع قال زجرة السحاب فاذا اشتدت سحابة ضمها واذا اشتد
غضبه طارت طارت منه نار هي الصاعقة وقيل الرعد ملك والبرق
سوطه الذي يزجي به السحاب وروى عنه عم انه قال ان الله ينشئ السحاب
فينطقه احسن النطق ويضحكه احسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق
وهذا القول غير مستبعد عقلا فلذلك لان البنية ليست شرطا للحيوة عند
اهل السنة فلا يبعد من الله ان يخلق الحيوة والعلم والقدرة والنطق

اختلاف العلماء في الرعد والبرق

في اجزاء

في اجزاء السحاب فيكون هذا الصوت المسموع فعلا له والمخاريق جمع مخراق
وهو في الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا والمراد به
ههنا آلة يسوق بها الملايكة السحاب وقال بعضهم ان الرعد اسم
لهذا الصوت المخصوص ولما كان سببا حاملا لمن يسمعه على ان يسبح الله
ويحمده اسند اليه التسبيح والحمد اسنادا مجازيا فقيل ويسبح الرعد بحمده
قوله او يدل الرعد بنفسه عطف على قوله ويسبح سامعوه يعني ان معنى تسبيح
الرعد وتحميده على تقدير ان يكون المراد من الرعد الصوت المخصوص
ان يسبح ويحمد بنفسه حقيقة بناء على ان التسبيح والتقديس وما يجري
مجراهما ليس الا وجوه ما يدل على حصول النزاهة والتقديس لله تعالى فلما
كان حدوث هذا الصوت دليلا على وجود موجد متعال عن النقص
والزوال موصوف بنعوت الفضل والجلال كان ذلك في الحقيقة
تسبيحا وتحميدا لله تعالى فلذلك قيل في حق الرعد بمعنى الصوت المخصوص
انه يسبح بحمده ربه فقول المص ويسبح سامعوه مبني على ان يكون
المراد بالرعد هذا الصوت المخصوص ثم اشار الى احتمال ان يكون المراد
منه الملك الموكل بالسحاب بحكاية ما روى عن ابن عباس وقوله الاحتمال
الاول بناء على ان عطف قوله تعالى والملايكة من خيفته على الرعد يوذن
بان الرعد ليس بملك لان العطف يقتضي التغاير بين المعطوف والمعطوف
عليه ولمن ذهب الى ان المراد بالرعد الملك الموكل بالسحاب ان
يقول الرعد وان كان من جنس الملايكة الا انه افرد بالذكر على سبيل
التشريف وقد اشتهر بين العلماء ان العام اذا عطف على الخاص يراد به
الافراد المتغايرة لذلك الخاص وروى عن ابن عباس رضه ان الملايكة
خايفون من الله وليس خوفهم كخوف ابن آدم فانه لا يوف احدهم من عليه
يمينه ومن على يساره ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا
شيء اصلا والنوع الرابع من الدلايل المذكورة في هذه الآية ما ذكر الله
تعالى بقوله ويرسل الصواعق الخ فان امر الصاعقة عجيب جدا فلذلك

شبكة الألوكة www.alukah.net

لانها نار تتولد في السحاب مع ان طبيعة النار حارة يابسة ضد طبيعة
السحاب فيجب ان يكون طبيعتها في الحرارة واليبوسة اضعف من طبيعة النيران
الحادثة عندنا على ما يقتضيه العقل وليس الامر كذلك بل هي اقوى نيران
هذا العالم فانها اذا انزلت من السحاب فربما غاصت في البحر واوقدت
الحيتان تحت البحر فنظهر ان اختصاصها بمزيد تلك القوة لابد وان
يكون سبب تخصيص الفاعل المختار اياها بذلك ثم انه تعالى لما بين دلايل
كمال علمه بقوله يعلم ما تحمل كل انثى الآية ثم بين دلايل كمال قدرته بذكر
ما ذكره من الآيات قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله اي هؤلاء الكفار
مع ظهور هذه الدلايل يجادلون في الله والواو التي في هذه الجملة ان كانت
للحال يكون المعنى يصيب بالصاعقة من يشاء في حال جدالهم في الله
فان اربد بن ربيعة لما جادل في الله احرقته الصاعقة وان كانت
لعطف الجملة على الجملة اي لعطف جملة وهم يجادلون على جملة قوله تعالى
الله يعلم ما تحمل كل شئ الى آخر الآيات يكون وجه انتظام هذه
الجملة بما قبلها انه تعالى اخبر اولا عن علمه الشامل وقدرته الكاملة
بقوله تعالى يعلم ما تحمل كل انثى الى قوله الكبير المتعال ثم اخبر
عن استواء الظاهر والخفي عنده بقوله سواء منكم من اسر القول ومن
جهر به ثم اخبر عما دل على قدرته الغالبة وحكمته الباهرة بقوله ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له
ثم اخبر عن وحدانية الله تعالى وتفرده بالالوهية بقوله وهو الذي يريكم
البرق وقوله ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثم قال انهم
مع ذلك يجادلون في الله اي في شان الله من علمه وقدرته ونفوذ
جلاله وجماله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه من القدرة على البعث
بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ومن الوحدانية باتخاذهم الشركاء
ويجعلهم اياه تعالى بعض الاجسام حيث قالوا الملائكة بنات الله وغير
ذلك قوله عذة كعذة البعير وموت في بيت سلولية يدوى

وفرعين

مرفوعين بتقدير اصابتني عذة كعذة البعير وموت في بيت سلولية وسلول
قبيلة من العرب اقلهم وارذلهم قال فقلت اقطعوها بارك الله فيكم وا
فاني كريم غير مدخل اهلها رجلي كانه عار ايقول ابليت باوبر كل واحد منهما
شرا من الآخر احدهما اعذتني عذة مثل عذة البعير وان موتي موت في بيت
ارذل الخلايق والعذة الطاعون للابل وقلما تسلم منه يقال اعذ البعير
اذا صار ذا عذة وهي طاعونه قال محي السنة ان عارا اتاه وقد هاربا ارسل
الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فاراده في التراب وخرجت على ركبته في
الوقت عذة عظيمة فعاد الى بيت سلولية وهو يقول عذة كعذة
البعير وموت في بيت سلولية ثم عاد بفرسه ثم اجراه حتى مات
على ظهره فاجاب الله تعالى دعاء رسوله بقوله اللهم اكفنيها بما شئت
فقتل عارا بالطاعون واربد بالصاعقة وقال وانزل الله تعالى في هذه
القصة قوله سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف
بالليل وساربٌ بالنهار له معقبات يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من امر الله قوله تعالى وهو شديد
المحال في محل النصب على انه حال من الجلالة الكريمة اي وهم يجادلون في الله
والحال انه شديد المكر والكيد لاعدائه ثابتهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون
هذا على تقدير ان يكون الواو في قوله وهم يجادلون في الله لعطف الجملة
على الجملة واما ان كانت حالية فلا يكون هذه الجملة وما بعدها استينافا
لتعليل قوله فيصيب بها من يشاء وسيشير المصنف اليه بقوله والمراد بالجملتين
الخ الجوهري المحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلاء يقال
امحل القوم واممحل البلد اذا اصابهم القحط والمحك المكر يقال محكه به اذا
سعى به الى السلطان وفي الدعاء ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا اي خصما
مجادلا مصدقا او ساعيا مصدقا على ان يكون قولهم محل بفلان الى السلطان
اذا سعى به البه فبل تمامه اللهم اجعله لنا شافعا مشفعا والضمير للقرآن
يعني ان اتبعه وعمل بما فيه فانه شافع له مقبول الشفاعة ومصدق عليه

شبكة الألوكة www.alukah.net

بما يدفع من مساوية اذا ترك العمل به والمحاولة المحاكرة والمحابرة فعلى
هذا يكون الميم في المحال اصلية ويكون وزنه فعال وقوله وقيل فعال من
المحل بمعنى القوة عطف على قوله ويعل اصله المحل بمعنى الخط ويعل الوجه
في ترجيح ما اختاره ان المحل بمعنى القوة ليس مشهور فلذلك لم يذكره
في الصحاح قوله وقيل مفعل من الحول او الحيلة فيكون ميمه زايدة
كما في مكان من الكون ولما ورد على هذا القول ان يقال لو كان مفعلا
من الحول او الحيلة لظهرت الواو كما في مزود ومحور ومقود اجاب عنه
بقوله اعل على غير قياس وفي الصحاح الحيلة بالكسر من الاحتيال وهو
من ذوات الواو وكذلك الحيل يقال لا حيل ولا قوة بمعنى لا حول
ولا قوة واستشهد المصنف على كون المحال من الحول او الحيلة بقراءة
من قرأ بفتح الميم فانه مصدر بمعنى الاحتيال والاصل في القراءات ان يفسر
بعضها بعضا قوله وجوز ان يكون بمعنى النقار وهو عود الظهر فان
المحال لغة فيه ايضا وفي الاساس فرس قوي المحال اي قوي النقا والعاصم
محالة والميم اصلية ذكره في النهاية وفي حديث البحيرة ساعذ الله اشد
وهو ساء احد ثوار اد الله تعالى تحريمها بشق اذانها كخلتها كذلك فانه
يقول لها كن فيكون قوله له الدعاء الحق فيكون من باب اضافة الموصوف
الى الصفة والمعنى ان الدعوة التي هي التضرع والعبادة فسحان ما يكون
حقا وصوابا وما يكون باطلا وخطأ فالتي حقا منها مختصة به تعالى لا يشاركه
فيها غيره وقد اشتهر بين النحاة ان مثل هذه الاضافة يحتاج الى تأويل
فهم يأولونه بنحو ان يقال له عبادة اهل الحق او عبادة طالب الحق
الا انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ليكون الكلام مشعرا
باختصاصه تعالى بما يكون حقا من الدعوة والعبادة الى بالدعوة
المختصة بكونها حقا فاضيف الدعوة الى الحق لكون الاضافة مفيدة
لاختصاص المضاف بالمضاف اليه قوله اولد الدعوة المجابة على ان
الحق بمعنى الثابت الغير الضايع الباطل وعلى الاول بمعنى الحقيق اللايق

الغير

الغير الباطل وعلى اي معنى كان يكون الحق ما ينافي قضي الباطل ويكون بينه وبين
الدعوة ملابسة الوصفية والموصوفية المصححة لاضافتها اليه قوله وقيل
الحق هو الله فيه اشكال لان الكلام ح يكون من قبيل لنا الله دعوة الله ولا معنى
له ويعل مراده بقوله الحق هو الله ان الحقيق للدعاء والمستحق للعبادة
هو الله الذي لا يسمع دعاء من دعاه ويرى على عبادة من عبده فلا يخيب
سائله ولا يضيع عمل من عبده فيكون كل دعاء توجه اليه دعوة الحقيق
للدعاء فقوله له دعوة الحق معناه ان دعوة الحقيق مختصة به تعالى
واغايه الاشكال ان لو كان المراد بقوله الحق هو الله تعالى ان الحق
اسم من اسماء الله تعالى وليس المراد ذلك قوله والمراد بالجملتين
وما قوله وهو شديد المحال وله دعوة الحق يعني ان اتصالهما قبلهما
على تقدير كون الآية نازلة في عامر واربد بان يكون قوله تعالى وهم
يجادلون في الله حالا من مفعول يصيب اي كل واحد منهما استيناف
على طريق تعليل قوله فيصيب به من يشاء وهو عامر واربد وعلى تقدير
كونها نازلة في عامة المجادلين بان يكون قوله وهم يجادلون في الله جملة معطوفة
على جملة ما تقدم عليه من قوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى الى آخر الآيات
يكون كل واحد منهما وعيد العامة المجادلين قوله فحذف الراجع الى
الموصول وهذا الراجع هو مفعول يدعون فالموصول ان كان عبارة عن الاصنام
يكون المحذوف الراجع والمفعول وفاعل يدعون ضمير المشركين والعائد
المحذوف ضمير الاصنام وكذا ضمير يستجيبون وان كان عبارة عن المشركين
يكون المحذوف المفعول فقط لان ضمير يدعون يرجع الى الموصول وفاعل
قوله لا يستجيبون ضمير عائد على مفعول يدعون المحذوف وعاد عليه ضمير
العقلاء لمعاملتهم اياه معاملة العقلاء والتقدير والمشركون الذين يدعون
الاصنام لا يستجيبون لهم الاصنام الا استجابة مثل استجابة باسط كفيه
الى الماء ليبلغ فاه والماء جماد
لا يشعر ببسط كفيه ولا ببسطه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه

المحذوف

ويبلغ فاه وكذلك مايدعونه جماد لايحس بدعائهم ولاستطاعة اجابتهم ولايقدر
على نفعهم قوله الا استجابة كاستجابة بسط كفيه الاستثناء مفرغ من اعم
عام المصدر اى لايستجيب لاصنام شيئا من الاستجابة الا استجابة مثل
استجابة من بسط كفيه الى مثل استجابة الماء من بسط على اضافة الاستجابة
الى مرجع قبيل اضافة المصدر الى مفعوله فاعلها الماء ومن بسط
مفعولها والاستجابة بمعنى الاجابة كما فى قوله وداع دعى من يجيب الى الندى
ولم يستجبه عند ذلك مجيب والتشبيه من المركب التمثيلى شبه حال الاصنام
مع من دعاهم من المشركين وهى عدم استجابتهم دعاء المشركين وعدم فوز
المشركين من دعائهم الاصنام شيئا من الاستجابة والنفع بحال الماء الواقع
ببراءة من العطشان الذى يبسط اليه كفيه يطلب منه ان يبلغ فاه وينفعه من
احراق كبده ووجه الشبه عدم استطاعة المطلوب منه اجابة الدعاء وخيبة الطالب
بل ما هو ابعد منه من المطلوب وهذا الوجه كما ترى منتزع من عدة امور قوله
وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لها عبر عن العدم بالقلة مبالغة فى انتفاء
الصدق وايثارا لطرف التهكم وهو عطف على قوله الا استجابة الخ اى شبه
المشركون الذين يدعون الاصنام ويعبدونها بمن اراد يغترف الماء ليشربه
فبسط كفيه ناشرا اصابعه فى عدم انتفاع كل واحد منهما بسعيه فهو من تشبيه
المفرد المقيد بآخر مثله كقولك لمن لايحصل من سعيه على شئ هو كالراقم على الماء
فان المشبه هو الساعى مقيدا بكونه سعيه كذلك والمشبه به هو الراقم
مقيدا بكون رقمه على الماء وكذلك فيما نحن فيه وليس من المركب العقلى
فى شئ على ماذهب اليه الطيبى نعم وجه الشبه عقلى اعتبارى والاستثناء
مفرغ من اعم عام الاحوال اى لايستجيب الاصنام لهؤلاء المشركين فى حال
من الاحوال الا فى حال كون المشركين مشبهين بمن بسط كفيه ولم يقبضهما
وأنهما مبسوطتان الى الماء فلم يحصل على شئ لان الماء يحصل بالقبض
عليه لا بالاصابع واللام فى قوله تعالى ليبلغ فاه متعلق بباسط وفاعل
ليبلغ ضمير الماء ولفظ هو فى قوله وما هو ببالغه ضمير الماء والضمير فى

ببالغه

ببالغه للفم لان الوعاء يبالغ فيه ويجوز العكس لان وعاء الفم يبالغ الماء اذ كل واحد
منهما لايبلغ الآخر على هذه الحال فنسبة الفعل الى كل واحد منهما صحيحة قوله
وقرئ تدعون بالتاء الفوقانية وحينئذ يتعين ان يكون قوله الذين عبارة
عن الاصنام بحذف العايد الذى هو مفعول تدعون ولعل المص انما قدم
هذا الوجه لتاييد هذا القراءة اياه قوله والمراد بهما الدوام لان السجود
سواء اريد حقيقته او الانقياد والاستسلام لااختصاص له بالوقتين
فاتح البارئ قوله بالغدو الخ اى يسجد له ماذكر فى هذين الوقتين قوله
وتخصيص الوقتين مع ان انتفياء الظلال وميلانها من جانب الى جانب
وطولها بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاع الشمس لاتختص بوقت
دون وقت بل هى مستلمة منقادة لله تعالى فى عموم الاوقات ثم انه تعالى
لما قرر ان جميع الكائنات ينقاد له ويخضع اجلالا له وتوقيرا له عاد الى الرد
على المشركين باب امر الرسول عم ان يسالهم سؤال التقرير فقال له قل من
رب السموات والارض ولما تعين لهم ان يجيبوا بالاقرار باب لارب لها
سواء نحاج الله تعالى رسوله ان يجيب عنهم بذلك تنبيها على انهم يقرون
بذلك ولايكرونه البتة فكانه حكاية لاعترافهم به وتاكيدا له عليهم ثم الزمهم الحجة
فقال افاتخذتم من دونه اولياء ثم ضرب مثلا للذى يعبد
الاصنام وللذى يعبد الله تعالى فقال قل هل يستوى الاعمى والبصير يعنى
المشرك والمؤمن ام هل يستوى الظلمات والنور يعنى الشرك والايمان
فانه تعالى لما احتج على ضلالهم وفساد رائهم فى اتخاذهم اولياء يدعونهم
من دون الله بكونها جمادات لاتحس بدعائهم اياها ولاتدرك مقصودهم
من الدعاء ولاتقدر على ان تجيب دعائهم وثانيا بانها لاتملك ان تجلب
لنفسها نفعا وان تدفع عنها ضرا فضلا عن غيرها بين بعد ذكر هاتين الحجتين
ان الجاهل بمثل هذه الحجة يكون كالاعمى وان العالم بها كالبصير ثم ذكر
ان الجهل بمثل هذه الحجة كالظلمات وان العلم بها كالنور ولما ان كل واحد
يعلم بالضرورة ان الاعمى لايساوى البصير وان الظلمة لاتساوى النور كذلك

يعلم كل واحد بالضرورة ان الجاهل بهذه الحجة لا يساوي العالم بها وهو المراد
بقوله قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل يستوي الظلمات والنور قوله
وقراءة حمزة والكسائي وابو بكر يستوي الظلمات بالياء من تحت
والباقون بالتاء من فوق باعتبار ان الفعل اسند الى ظاهر المؤنث
الغير الحقيقي وفي مثل هذا الفعل يجوز التذكير والتأنيث والفاء
في قوله تعالى قل افاتخذتم سببية مرتبة للكلام الثاني على الاول
وادخل همزة الانكار بين السبب والمسبب انكارا على تعكيس الامر
وهو ان من علم انه تعالى رب السموات والارض وجب عليه ان يعبده
ويوحده فهم جعلوا ذلك العلم سببا للاشراك به ادخلت همزة الانكار
على الفاء لان المنكر الاتخاذ بعد العلم والاقرار فانه اقبح من الاتخاذ
بدونه قوله والهمزة للانكار واعلم ان همزة الاستفهام اذا كانت
للانكار يكون الانكار على احد معنيين الاول لم كان كذا والثاني لم يكن
كذا والانكار هنا بالمعنى الثاني كما اشار اليه بقوله والمعنى انهم ما اتخذوا
لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله و
خلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة
لذلك فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما نعبد الله اذ لا فرق بين خالق وخالق
ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا
ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق ومعنى الاضراب المستفاد من كلمة بل
التي تضمنتها ام المنقطعة انه تعالى عنف عليهم ووبخهم على تعكيس الامر
حيث قال افاتخذتم من دونه اولياء وذيل ذلك التعنيف والتوبيخ
بضرب المثل بالاعمى والبصير والظلمات والنور ثم اضرب عن ذلك
الى انكار اتخاذهم شركاء يذهب الوهم الى صلاحيتهم له وبيان ان تعكيسهم
ذلك لم ينشأ عن شبهة فضلا عن حجة بناء على ان حكاية ذكر انهم ادخل في
ذمهم واهتم في هذا المقام بالنسبة الى ما ذكر اولا قوله بمقدارها الذي
علم الله انه نافع غير ضار لما كان المقصود تمثيل الحق واهله بالماء الذي ينزل

من السماء

من السماء ويسيل في الاودية وينتفع به الناس بوجوه الانتفاع ومن المعلوم
ان بعض المياه السائلة في الانهار يتضرر به الناس لكونه جافيا يذهب
بكل شيء يمر هو عليه فلذلك ناسب ان يفسر قوله بقدرها بالقدر الذي
لا يتضرر له الناس ويؤيد هذا التفسير انه تعالى عبر عن هذا الماء السائل
في الاودية في مقام التفصيل بقوله واما ما ينفع الناس فدل هذا التفصيل
على ان المراد بالمجمل ما يكون مطرا خالصا للنفع خاليا عن المضرة ليحصل
التطابق بين المجمل والمفصل فلذلك قدم هذا التفسير ثم قال او
بمقدارها في الصغر والكبر اي ان صغر الوادي قل الماء وان اتسع
الوادي كثر الماء فيكون الضمير المجرور في قوله بقدرها راجعا الى المعنى
الحقيقي للفظ اودية على طريق الاستخدام لان قول المص واستعمل الماء
الجاري فيه يدل على ان لفظ اودية مجاز مرسل من قبيل ذكر المحل وارادة
الحال قوله رفعه اشارة الى ان احتمل بمعنى حمل فان افتعل قد يكون
بمعنى فعل كاجتذب واجتال وتوظيف السيل للاشارة الى حصة معينة مع
حقيقة السيل لتقدم ذكرها كناية بذكر الفعل الدال عليها وهو قوله فسالت
قوله وصف الغثاء ان الخبث والوسخ المجتمع بالغثاء والظاهر ان قيد
غثاء بناء على الغالب لان الذي يسم للحق ما علا وجه الماء من رغوة وغيرها سواء
حصل بالغثاء او بغيره قوله فعالى وما توقدون خبر مقدم لقوله زبد
ومثله صفة للمبتدأ مصححة للابتداء بالنكرة ومن في مما لابتداء الغاية اي زبد مثل
الماء ينشأ مما توقدون عليه او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد وتلخيص المعنى
الموقد عليه من جواهر الارض له زبد مثل الزبد الذي يكون على الماء يعلو عليه
اذا اذيب فالقائي ينتفع به كما ينتفع بالماء وزبده يبطل كما يبطل زبد الماء
والغلدات جمع فلذ بكسر الفاء واللام وتشديد الذال وهو ما في الارض من الجواهر
المعدنية كالذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها قوله وعلى وجه التهاون
بها وجه التهاون انه عدل عن التعبير عنها بالاسم الظاهر مثل ان يقال فلذات
الارض او الجواهر المعدنية او نحوها وعبر عنها بما يدل على حالة هي احط حالات

هذه الجواهر وهي كونها توقد عليها النار وتذاب بها وما ورد ان يقال جعل
هذا التعبير مبنيًا على ارادة التهاون بها لانها انسب المقام لان المقصود تمثيل
الحق بها وتحقيرها لانها انسب باشارة الى جوابه بقوله اظهارا لكبريائه يعني ان
حقارتها عند خالقها لانها في غاية قدرها عند المخلوقات قوله تعالى عليه
متعلق بيوقدون قوله في النار يحتمل ان يكون متعلقا به ايضًا وان
يكون متعلقا بمحذوف اي كائنا او ثابتا فيها قوله ابتغاء حلية مفعول له
ويجوز ان يكون مصدرا في موضع الحال اي متزينين حلية تتزينون
بها قوله او متاعًا عطف على حلية والمتاع كل ما يتمتع به وقرأ حمزة
والكسائي وحفص بوقدون بياء الغيبة اي ما يوقد الناس والباقون
بتاء الخطاب قوله جفاء حال اي باطلا مرميا به الجوهر الجفاء ما نفاه
السيل يقال جفا الوادي جفئًا اذا رمى بالقذا والزبد وجفى القدر
اذا رمى بزبده عند الغليان وأجفأ لغة فيه والجفال بالضم ما نفاه السيل
وجفالة القدر ما اخذته منها بالمعرفة انتهى والكاف في قوله
تعالى كذلك في محل النصب اي مثل ذلك الضرب والبيان يضرب الله و
يبين مثل الحق والباطل لان العرب كانت عادتهم انهم يتبينون المقصود
بالمثل وقد انزل تعالى القرآن بلغة العرب فاوضح لهم الحق وميزه عن
الباطل بالمثل كما اوضح المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها وميزه
عن الموحد العالم بذلك بالمثل الاول بالاعمى والثاني بالبصير وكذا ميز الشرك
عن التوحيد بالمثل الاول بالظلمات والثاني بالنور فكذلك ضرب هنا
للشرك والتوحيد مثلا آخر فمثل الحق والتوحيد بالماء الصافي وبالفلز و
مثل الباطل والشرك بالزبد وما وبين وجه الشبه بما اثبته للمشبه به وهو الذهاب
بالطلاطم وما والثبات نافعًا مقبولا قوله واللام متعلقة ببيضرب
يعني ان قوله للذين استجابوا متعلق ببيضرب فيكون فريقا المؤمنين
الذين استجابوا لربهم والكافرين الذين لم يستجيبوا له مضروبا لهما ضرب
الله تعالى لهما المثل والمضروب له في الحقيقة شأنهما لانفسهما وشأنهما هو استجابة

احد الفريقين

احد الفريقين وعدم استجابة الآخر فقول المص ضرب المثل لشأن الفريقين مفعول
اول لجعل وقوله ضرب المثل لهما مفعوله الثاني وجعل الحسنى صفة لمصدر
استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى فيكون تعالى لوان لهم كلامًا مبتدا لبيان
ما أعد لغير المستجيبين وقيل قوله للذين ليس بمتعلق بقوله يضرب بل تم الكلام
عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستأنف بان يكون الحسنى
مبتدا وخبره للذين استجابوا قدم عليه واعلم لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة
وهي قوله والذين لم يستجيبوا مبتدا وخبره قوله لوان لهم ما في خبره و
والظاهر ان هذا القول اولى من الذي اختاره المص لان ثواب المستجيبين
يكون مذكورًا على هذا القول كما ذكر لغير المستجيبين من العقاب بخلاف
ما اختاره المص ولان فيما اختاره يكون الاستجابة مقيدة بالحسنى والاتقابل
بينها وبين عدم الاستجابة مطلقا والمذكور في الآية نفي الاستجابة مطلقا
والمهاد فعال بمعنى الممهود المبسوط كالليباس بمعنى الملبوس والكتاب بمعنى
المكتوب من مهدت الفراش مهدًا اي بسطته أطلع مدنا بمعنى المستقر مطلقا
ثم انه تعالى لما مثل المشرك الجاهل بالاعمى ومثل الموحد بالبصير ومثل نفس
الكفر والباطل تارة بالظلمات واخرى بالزبد الماء والفلز ومثل نفس الايمان
والحق تارة بالنور واخرى بالماء والجوهر الصافي عن الزبد قال بعد ذلك
افمن يعلم كمن لا يعلم بادخال همزة الانكار على الفاء السببية الدالة على
كون ما بعدها كلامًا مترتبًا على ما قبلها كأنه قيل بعد ما علمتم مثل العالم المحق
والجاهل المبطل هل بقيت شبهة المشابهة بين الفريقين ومن يذهب
الى وهم تحقق المشابهة بين الاعمى والبصير وبين العالم والجاهل ثم ذكر
انه لا ينتفع بهذه الامثال الا اولو الالباب الذين ينتقلون من كل صورة
الى معناها ومن ظاهر كل حديث الى ما هو سرّه ولبابه قوله اوما
عهد الله عليهم في كتبه عطف على قوله الذي عقدوه والضمير على النفهم
بلسان استعدادهم فعهد الله على الاول هو العهد الذي اخذه الله تعالى
على جميع ذرية آدم فانه تعالى خلقهم مستعدين للاقرار بربوبية الله تعالى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

و وحدانيته ثم قال لهم الست بربكم فاقروا واعترفوا بلسان الاستعداد
فمن اقر بذلك بلسان العيان ايضا فقد وفى بذلك العهد السابق وعلى
الثانى ما الزمه الله تعالى على كل امة بالكتب المنزلة عليهم بالسنة الرسل
والميثاق اسم لما يتيقن به الوثاقة والاحكام وهو ان اضيف الى الله يراد به ما
وثق الله به عهد من الآيات والكتب وان اضيف الى العباد يُراد به ما
وثقوا به من الالتزام والقبول قوله وهو تعميم بعد تخصيص ليفيد ان عدم
نقض الميثاق اعم من الوفاء بعهد الله فانك لانه فسر عهد الله باعترافهم
بربوبيته تعالى وفسر الميثاق بكل ما وثقوا على انفسهم مما كلفوا به من
حقوق الله تعالى وحقوق العباد اتى بلفظ الميثاق المحلى بلام الجنس
على عمومه وعطف على قوله ويخشون ربهم على قوله يصلون من قبيل عطف العام
على الخاص ايضا لان خشية الله ملاك كل خير من اتيان ما ينبغى وترك ما لا
ينبغى واما عطف على قوله ويخافون سوء الحساب على قوله يخشون فهو من
عطف الخاص على العام كما اشار اليه بقوله عموما وخصوصا وكذا عطف و
اقاموا الصلوة واتفقوا على قوله صبروا قوله لمن لا يعرف بالمال كانه
جعل سرا مصدرا واقعا موقع المفعول به لقوله انفقوا اى ان جعل مجهول
الحال كانه نفس السر مبالغة قال الحسن المراد الزكوة المفروضة فان لم
يتهم بترك ادآء الزكوة فالاولى اداءها سرا وان اتهم بترك ادائها
فالاولى ادائها فى العلانية وقال آخرون المراد ما يعم الزكوة الواجبة و
الصدقة التى يؤتى بها على صفة التطوع فقوله سرا يرجع الى التطوع و
قوله علانية يرجع الى الزكوة الواجبة قوله يدفعون بها لدفع ما يرد عليهم
من سيئ غيرهم بالكلام الحسن واعطاء من حرمهم وعفو من ظلمهم ووصل
من قطعهم قوله اويتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اى يدفعون
ويحون بالعمل الصالح الشر من العمل كما روى عنه عم انه قال لمعاذ بن جبل
اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها معوا انهم كلما اذنبوا تابوا ليدفعوا
بالتوبة مغفرة الذنب روى ان شقيق بن ابراهيم البلخى دخل على عبد الله

بن المبارك

المبارك متنكرا فقال له عبد الله من اين اتيت فقال من بلخ فقال وهل
تعرف شقيقا قال نعم فقال وكيف طريقة اصحابه فقال اذا منعوا صبروا
وان اعطوا شكروا فقال عبد الله طريقة كلابنا هكذا فقال وكيف ينبغى ان
يكون الا فقال الكاملون هم الذين اذا منعوا شكروا وان اعطوا آثروا
قد ذكر الله تعالى فى صلة قوله الذين تسعة امور ووعد لمن اتصف
بها ثلثة امور الاول عقبى الدار التى هى جنات عدن والثانى ان يضم اليه
من آمن من اهله وان لم يعملوا مثل عمله والثالث دخول الملائكة عليه من
كل باب مبشرين بدوام السلامة قوله عاقبة الدنيا الى التى تخلف
الدنيا وتجئ بعدها وكل ما خلف بعد شئ فهو عاقبة والتاء للتانيث الموصوف
وهو الجنة فانها هى التى اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها و
النار وان كانت عاقبة الدنيا بالنسبة الى الكفار لقوله تعالى وعقبى الكا فرين
النار الا انها انما كانت عاقبة لها بالنسبة اليهم بسوء اختيارهم وليس كونها
عاقبة لها مقصودا بالذات قال الواحدى العقبى كالعاقبة ويجوز ان يكون
مصدرا كالشورى والقربى والرجعى اضيف الى فاعله والمعنى اولئك لهم
ان يعقبوا اعمالهم الدار التى هى الجنة قوله والجملة وهى قوله اولئك
لهم عقبى الدار خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وجعلة جملة اما باعتبار
ان عقبى الدار مبتدا ولهم خبره قدم عليه والجملة خبر اولئك واما باعتبار
ان لهم خبر اولئك وعقبى فاعل للاستقرار الذى قام الجار والمجرور مقامه
قوله انه يلحق بهم من صلح من اهلهم اى من آمن منهم وقد روى ذلك
عن مجاهد قال الامام وفى قوله من صلح قولان الاول قال ابن عباس يريد
من صدق باصدقوا به وان لم يعمل مثل اعمالهم والثانى قال الزجاج
بين الله تعالى ان الانساب لا تنفع اذا لم يحصل معها اعمال صالحة
بل الآباء والازواج والذريات لا يدخلون الجنة الا بالاعمال الصالحة قال
الواحدى والصحيح ما قاله ابن عباس فلذلك ان الله تعالى جعل من ثواب
المطيع سرور بحضور اهله معه فى الجنة فذلك يدل على انهم يدخلونها

فزيل

كرامة للمطيع الآتي بالاعمال الصالحة وبوجودها بالاعمال الصالحة لم يكن في ذلك
كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان صالحا فهو يدخل الجنة ثم قال
الامام واعلم ان هذه ضعيفة لان المقصود بشارة المطيع بكل ما يزيد سرورا
وبهجة فاذا بشر الله المكلف بانه اذا دخل الجنة فانه يحضر معه ابوه واولاده
واهله الصلحاء ولا شك انه يعظم سرور المكلف بذلك ويقوى بهجته به ويقال
ان من اعظم سرورهم ان يجتمعوا فيتذاكروا احوالهم في الدنيا ثم يشكرون
الله تعالى على الخلاص منها والفوز بالجنة فتحول المص والوصلة في دخول الجنة
زيادة في انسهم جواب عما يقال لو كان المراد بقوله ومن صلح الموصوفين بتلك
الصفات من اعلهم لما طرت الفائدة في وعد المطيع به لان دخولهم الجنة
ليس من ثمرات بل هو من ثمرات الحاقة اهله قوله من كل باب من
ابواب المنازل بان يكون لمقامهم ومنازلهم ابواب فيدخل عليهم من كل باب.
ملك قوله بان يكون الباب بمعنى النوع ويكون المعنى من كل نوع من
الفتوح والتحف بان يأتي كل ملك بتحفة غير التحفة التي اتى بها الملك الآخر
على اختلاف خبراتهم وقدر اعمالهم قوله متعلق بعليكم اى بما تعلق به
عليكم قوله او محذوف اى ويحتمل ان يكون بما صبرتم خبر مبتدا
محذوف اى هذا الثواب الجزيل ثابت لكم بما صبرتم وما مصدرية اى
بسبب صبركم او بدل صبركم ولا يتعلق بسلام لان المصدر لا يفصل
بينه وبين معموله قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر جواب
عما يقال على قوله والذين ينقضون عهد الله الى قوله اولئك لهم اللعنة
ولهم سوء الدار وهو ان من نقض عهد الله لو كان ملعونا في الدنيا ومعذبا
في الآخرة لما فتح الله تعالى عليهم ابواب النعم والتذاذ في الدنيا وتقرير الجواب
ان فتح باب الرزق في الدنيا لا تعلق له بالكفر والايمان بل هو متعلق بمجرد
مشيئة الله تعالى فقد يضيق على المؤمن امتحانا لصبره وتكفيرا لذنوبه
ورفعا لدرجاته ويوسع على الكافر استدراجا قال الواحدي المنع القدر
في اللغة قطع الشيء عما ساواه غيره من غير زيادة ولا نقصان فمعنى

يقدر

يقدر ههنا انه تعالى يعطيه رزقه بقدر كفايته لا يفضل عنه شيء قال صاحب
الكشاف الله يبسط الرزق الا الله وضع هو يبسط الرزق ويقدره دون
غيره ولم يعترض له المص لان مثل هذا التركيب عند صاحب المفتاح
نص في افادة تقوى الحكم ولا يحتمل التخصيص البتة لان المبدأ فاتر في مكالمة
وليس مثل انا عرفت في احتمال التخصيص والتقوى قوله كعجالة
الراكب وهي ما يتعجله من تمرات او شربة سويق او نحو ذلك وفي
الصحاح العجالة بالضم ما تعجلته من شيء والتمر على عجالة الراكب
والاعجالة ما تعجله الداعي من اللبن الى اهله قبل الحلب قوله وقوله
استيناف اخبار وليس بمعطوف على صلة الذين قبله لانه يستلزم تخلل
الفاصل بين ابعاض الصلة وهو الخبر وايضا هو ماض وما قبله مستقبل
ولا بد من التوافق قوله في الآخرة اى في جنب الآخرة ولا يجوز
ان يكون ظرفا للحيوة ولا للدنيا لا يتعان في الآخرة وانما هو حال و
التقدير وما الحيوة القديمة كائنة في جنب الآخرة الا متاع قوله
وهو جواب يجري مجرى التعجب جواب عما يقال ما وجه انطباق هذا
الجواب لقول الكفرة يا محمد ان كنت رسولا فأتنا بمعجزة قاهرة
ظاهرة مثل معجزات موسى وعيسى عم فما وجه كون قوله تعالى
قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب جوابا عن سؤال الكفرة
وتقرير الجواب انه كلام يجري مجرى التعجب من قولهم فذلك لان الآيات
الباهرة التي ظهرت على رسول الله صلى الله عم بلغت في الكثرة
وفوق الدلالة الى حيث استحال ان تصير مشتبهة على العاقل فتغلب
آيات اخرى بعد ذلك موضع لغاية التعجب والاستنكار فكانه قيل
لهم ما اعظم عنادكم اهـ وفي الصحاح اناب الى الله اى اقبل اليه وتاب
وقول المص اقبل الى الحق اشارة الى ان ضمير اليه في قوله تعالى ويهدي
اليه راجع الى الحق فان الاضلال والهداية انما هو بالنسبة اليه قوله
انسا به واعتمادا عليه لان الاضطراب والقلق انما يكون بسبب الوحشة

او بسبب العجز عن كفاية المهمات ومن ذكر الله تعالى واليقين بكونه منزها
بجميع صفات الكمال منزها عن جميع صفات النقصان احبه ومن احبه لاجرم
يستانس به ويطمئن قلبه اى يسكن اليه ويترك القلق والاضطراب
وايضا يستيقن بكون علمه محيطا بجميع احواله وبكمال قدرته وسعة فضله
ورحمته فلاجرم لايعتمد الا عليه ولايرجو الا منه قوله او بذكر رحمته بعد
القلق منه من خشيته فان المؤمن اذا ذكر عظمة الله تعالى وعلو شانه
وعز سلطانه لاجرم يغلب عليه الخوف والخشية كما قال تعالى في سورة
الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل ضد
الاطمئنان ثم اذا ذكر سعة رحمته وفيضان بحار فضله واحسانه على جميع
خلقه سكن قلبه وزال وجله واضطرابه وايضا القلوب لاتحصل لها
طمانينة اليقين الا بذكر ما نصبه الله تعالى من الدلايل الدالة على وجوده
ووحدته فلم يذكر القلب هذه الدلايل يبقى في قلق الشك والتردد
فهذان الوجهان مبنيان على تقدير المضاف في قوله بذكر الله قوله
او بكلامه مبني على ان يكون المراد بذكر الله كلامه فيكون الكلام تعريضا
بالكفار الذين قالوا لولا انزل عليه آية من ربه فانهم انما قالوا ذلك لعدم
تفكرهم فيه ووقوفهم على كونه معجزة باهرة بخلاف المؤمنين فان قلوبهم
تطمئن به ولاتطلب معجزة سواه قوله ويجوز الرفع والنصب
لما ذكر ان محله طوبى لهم في محل الرفع على انه خبر المبتدا بين ان لفظ
طوبى يجوز ان يكون مرفوعا على الابتداء ولهم خبره والجملة خبر الاول
وجاز الابتداء بطوبى اما لانها علم لشئ بعينه واما لانها نكرة في حكم
الدعاء كسلام عليك وويل له كانه قيل خير لهم وغبطة او حسنى لهم او نعمى لهم
يقال طوبى لك اى اصبت خيرا ووجه كونه علما لشئ بعينه ما قيل ان طوبى
اسم الجنة بلسان الحبشة وقيل بنو لهم شجرة في الجنة اصلها في دار رسول
الله صلى الله عليه وسلم واغصانها في دور اهل الجنة فعلى هذا يكون وجه الآية ان
اهل الكتاب اذ عوا لتلك الشجرة لانفسهم فاخبر الله تعالى انها للذين آمنوا

لالهم ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر اى وجعل لهم طوبى وآيد هذا الوجه
بقراءة من قرأ وحسن مآب بالنصب وان كان طوبى مصدرا من طاب
كبشرى وزلفى يحتمل الرفع والنصب ايضا كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما
لك وسلام لك قوله مثل ذلك اشارة الى ان الكاف في محل النصب بالفعل
الذي بعده وان الاشارة الى ما هو حاضر في ذهن المخاطب من ارسال الرسل
المتقدمين الى امم شبه ارساله عم الى امته بارسال سائر الرسل الى امم
كانه قيل كما انه قد خلت من قبلك امم ارسلنا اليهم ارسلناك ايضا الى هذه الامة
قوله وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم الخ عطف على ما يليهم من قوله
وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة وهو ان يكون معنى الآية انا ارسلناك الى هذه
الامة لتتلو عليهم القرآن وتزينهم بحلية الايمان وحالهم انهم يكفرون بالله
ولايعرفون قدر رحمته وانعامه اليهم بارسالك وانزال القرآن العظيم
وعلى ما قبل يكون معنى الآية وهم يكفرون باطلاق اسم الرحمن على الله تعالى
ويقولون الرحمن لايعرف الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب ولاشك
ان المفهوم من قوله وهم يكفرون بالرحمن انهم يكفرون بالله البليغ الرحمة
لا انهم يكفرون باطلاق هذا الاسم عليه قوله والمراد منه تعظيم القرآن
على ان يكون الجواب المحذوف قوله لكان هو هذا القرآن وقوله او
المبالغة في عناد الكفرة على تقدير ان يكون الجواب قوله لما امنوا به والتقاطيع
جمع قطيعة وهي الارض التي تزرع فيها قوله وقيل الجواب متقدم عطف
على قوله حذف جوابه اى قيل جواب لو هو جملة قوله وهم يكفرون بالرحمن آخر
الشرط وقدم جوابه عليه كانه قيل لو لا ان قرآنا عظم الشان الذي لايكتنه كنه
ظهر بتلاوته هذه الامور لاضروا على كفرهم بمنزله الرحمن وهو في الحقيقة
دال على الجواب وليس نفس الجواب قوله وتذكير كلم خاضعة جواب عما
يقال لم حذفت التاء في قوله او كلم به الموتى واثبتت في الفعلين المذكورين
قبله مع استواء الجميع في اسناده الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي وتقدير الجواب
ان الموتى لما اشتملت على المذكر الحقيقي وغيره غلب المذكر على غيره بخلاف الجبال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والارض واعلم ان قوله تعالى ولوان قرانا سيرت به الجبال ان كان المراد به
تعظيم شان القرآن يكون من جملة مقول القول اى قل هو رتى وقل لو
ان قرانا وان كان المراد به المبالغة فى عناد الكفرة بان يكون الجواب
المقدر قوله لما امنوا يكون الآية متصلة بقوله ويقول الذين كفروا
لولا انزل عليه آية من ربه فى كونها بيانا لغلط عنادهم وشدة شكيمتهم
ويكون قوله وقيل ان قريشا الخ تاييدا لهذا الوجه لانه لا يخالف هذا
الوجه الا تفسير تقطيع الارض وسيجئ الافتراح قال الواحدى فى تفسير الآية
لما قالت قريش للنبى عم ما ذكر، الخص انزل الله ولوان قرانا سيرت
به الجبال اى حملت تسيرا وقطعت به الارض اى شققت فجعلت
انهارا وعيونا او كلم به الموتى اى احيوا حتى تكلموا وجواب لو محذوف
قال الفراء تقديره لكان هذا القرآن والمعنى ولوان قرانا ما فعل به
ما التمسوا لكان ذلك هذا القرآن وقال الزجاج جوابه لما آمنوا و
هو قول ابن عباس رضى الله عنه قال يريد لو قضيت ان لا يقرأ
القرآن على الجبال لاسارت وعلى الارض لاخترقت ولا على الموتى
لاحيوا وتكلموا لما آمنوا لما سبق عليهم من علمى وقوله تعالى بل لله الامر
جميعا معناه دع ذكر الذى قالوه من تسيير الجبال وغيره فالامر لله جميعا
لو شاء ان يؤمنوا لآمنوا واذا لم يشاء لا ينفع تسيير الجبال وسائر ما
اقترحوه من الآيات ثم اكد ذلك بقوله افلم ييئس الذين آمنوا ان لو يشاء
الله لهدى الناس جميعا قال ابن عباس معناه افلم يعلم وقال الكلبى
ييأس بمعنى يعلم فى لغة النخع الا ههنا كلام الواحدى وهل يكون اليأس بمعنى
العلم قول الشاعر الم ييأس الاقوام انى انا ابنه وان كنت عن ارض
العشيرة نائيا الا الم يعلموا واصل اليأس قطع العلم عن الشئ والقنوط
عنه وهو مسبب عن العلم بان ذكر الشئ لا يكون واطلاق لفظ المسبب وارادة
السبب مجاز شايع قوله وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفى فان
قوله تعالى لوان قرانا على ان معنى كان يتضمن معنى النفى اما ان كان المراد من

تعظيم

تعظيم شان القرآن فلان المعنى يكون حتى لوان قرآنا ما فعل به هذه الافاعيل
لكان ذلك هذا القرآن المنزل عليك لكن لم يفعل بشئ من الكتب المنزلة
على الرسل ذلك فلم يفعل ذلك بقرآنك ايضا بل لله الامر جميعا اى بل جميع
ما ذكر من الامور وغيرها انما يكون من الله تعالى يفعل ما يشاء بقدرته وان
كان المراد منه المبالغة فى عنادهم يكون المعنى ايضا لوان قرآنا ما او قرآنك
هذا فعل به هذه لما امنوا لكن لم يفعل بشئ من القرآن ذلك للاجل عدم
قدرتنا عليه بل لله الامر جميعا وكذا ان كان جوابه ما تقدم عليه من قوله
وهم يكفرون بالرحمن قوله ويؤيد ذلك الخ ويؤيد ان المراد تلين شكيمتهم
بسبب اتيان ما اقترحوه فلا يؤمنون فلذلك لم تتعلق ارادته تعالى
بذلك قوله ولذلك الخ ويكون المراد من اليأس العلم مجازا جعل ان المخففة
مع ما فى حيزها فى محل النصب على انها مفعول اليأس بمعنى العلم فان ان
مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان والجملة الامتناعية بعدها خبرها
وكلمة لو لما كانت لامتناع الشئ لامتناع غيره كان محصول الكلام افلم
يعلم الذين آمنوا ان الله تعالى لا يهدى الناس جميعا لعدم تعلق مشيته
باهتداء الجميع لعلمه بان بعضهم يختار الكفر والضلال فيكون هذا الكلام
سواء كان ان لو يشاء الله متعلقا باليأس بمعنى العلم او بمحذوف او بآمنوا
مؤيدا لكون المراد بقوله تعالى بل لله الامر جميعا انه قادر على اتيان ما
اقترحوه الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بان اتيانه لا يؤدى الى
اهتدائهم وان كان قوله ان لو يشاء الله لهدى متعلقا بآمنوا يكون
فى محل النصب بنزع الخافض لان آمن يعدى بالباء ويكون التقدير
افلم يقنطوا عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بان الشان لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا فلما كان ان لو يشاء مفعول آمنوا كان مفعول
الم ييأس محذوفا اى الم ييأس عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا
بهذه القضية قبل ان طائفة من المسلمين قالوا يا رسول الله اجب
هؤلاء الكفار الى ما اقترحوا من الآيات فعسى ان يؤمنوا فقال الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تعالى فلم ييأس الذين آمنوا الآية وهو استفهام بمعنى الامر والفاء فيه عاطفة دالة
على تفرع ما بعدها على امر معلوم قبلها الم ييأسوا بعد ما راوا كثرة عنادهم
بعد ما شاهدوا الآيات قوله ملاوة من الزمان الجوهري المدة
عند ملاوة من الدهر بفتح الميم وضمها وكسرها اى حينا وبرهة منه قوله
والخبر محذوف يعني ان كلمة من في قوله افمن هو قايم موصولة مرفوعة
المحل على الابتداء وقوله هو قايم صلتها وخبرها محذوف حذف لدلالة
قوله وجعلوا لله شركاء عليه فانه استيناف جيء به للدلالة على الخبر
المحذوف ولابد من وجه ارتباط هذه الجملة بما قبلها وتفرعها عنه ليصح
موقع الفاء ووجهه انه تعالى لما ذكر قوله بل لله الامر جميعا ليس
لاحد منه شئ هدى واضل واصطفاك وخذل من عاداك وعقبه بقوله افلم
ييأس الذين آمنوا اثر شيء لهذا المعنى وتنصيصا على تصميمهم وعنادهم
واتبعه بذكر وعيدهم متدرجا الى تسلية من واجهوه بالتكذيب والانكار
اورد على المشركين ما يجري مجرى الحجاج وما يكون توبيخا لهم وتعجيبا من
سخافة عقولهم فقال افمن هو قايم وهو استفهام بمعنى النفي اى ليس من
هو قايم على كل نفس بما كسبت اى قايم بالتدبير لجزائها وقيل الى بجزاء
ما كسبت وقد علم ذلك بما مر من انه تعالى لم يرد جميع النفس ولم يتعلق به
مشيته لسوء اختيار البعض ومن انه يجازي الكفرة بالقوارع ابدا ومن انه تعالى
ينصر رسله ويأخذ من عاندهم واستهزأ بهم بعدما املى لهم وهذه الامور
تفصيل لقوله تعالى لله الامر جميعا وبيان لكونه تعالى هو المتولي للامور
خلقة والمحصي لاعمالهم ومجازيهم على حسبها وهو معنى القيام على كل نفس بما
كسبت فلما بين ذلك كله قال بعده افمن هو قايم الخ قوله وقيل الآية
نزلت في كفار مكة حين اجاب التعريف للعهد الخارجي وهو اولى من حيث المعنى حيث يفهم
من كلامه السابق ان التعريف للاستغراق وقيل يحفظها ويدر ارزاقها
ومعنى القيام عليها التولي للامور خلقة والتدبير للارزاق والآجال واحصاء
الاعمال للجزاء وتخصيص لمعنى افمن هو مجازي كل نفس بما كسبت لكمن ليس

بهذه الصفة من الاصنام التي لا يضر ولا ينفع قوله او عطف على كسبت
ان جعل ما مصدرية اى بكسبها وبجعلها لله شركاء قوله تنبيه على ان هؤلاء
الشركاء لا يستحقونها الى العبادة يعني ان المقام مقام الاحتجاج على بطلان
مذهبهم وليس قوله تعالى قل سموهم صريحا في ابطاله بل هو تنبيه على
بطلانه كانه قيل سموهم واذكروا ما لهم من الاوصاف الثابتة لهم في نفس
الامر لا على طريق تسمية الذبح كافورا فانظروا هل تجدون فيها ما يستحقون
به ان يعبدوا ويتخذوا شركاء قوله بل اتنبئونه اشارة الى ان ام هذه
منقطعة مقدرة ببل والهمزة اضرب عن الزامهم الحجة بان يطلب منهم ان
يصفوهم فينظروا هل يجدون فيها ما يدل على استحقاق العبادة منهم
بقوله ام تنبئونه اى اتخبرون الله تعالى بشركاء له يستحقون العبادة
لا يعلمهم الله يعلم انهم شركاء له وهذا نفي للشركاء على وجه بليغ لانه كناية
والاستدلال بنفي اللازم على نفي الملزوم هذا على تقدير ان يكون كلمة ما عبارة
عن الشركاء المستحقين للعبادة ويحتمل ان يكون عبارة عن صفاتهم التي
يستحقون العبادة لاجلها ويكون المعنى ام تخبرون الله بصفات لهم يستحقون
العبادة لاجلها لا يعلمها الله تعالى فيكون نفيا لتلك الصفات عنهم بنفي اللازم
ثم اضرب عن قوله سموهم بوجه آخر آخر فقال ام بظاهر من القول وهو انكار
وتوبيخ انكر عليهم اتخاذهم الشركاء بانكم لغرط جهلكم وسخافة عقولكم تسمونهم
شركاء وهذه التسمية قول لا حقيقة لها ان هي الا اسماء سميتموها انتم و
آباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ولا شك ان هذا احتجاج على اسلوب بديعة
قوله ثم خالوها اى ظنوها يقال خلت الشئ اى ظننته ومنه من يسمع يخل
قوله وقرأ ابن كثير وقراء الكوفيون وصدوا مبنيا للمفعول من صد المتعدي
على قراءة غيرهم يحتمل ان يكون متعديا بحذف مفعوله اى صدوا غيرهم وانفسهم
وان يكون لازما بمعنى اعرضوا وتولوا قوله وقرئ بالكسر على انه مبني للمفعول
اصله صدد وا بضم الاول فنقلت كسرة الدال الى الصاد كما في قيل وبيع ومثل
هذا النقل في الفعل الصحيح شاذ قوله من عذابه او من رحمة من واق

يعني ان قوله تعالى ما لهم من الله من واق فيه وجهان من الثانية في كلا الوجهين
زائدة ومن الاولى متعلقة بواق في الوجه الاول ومتعلقة بمحذوف
على انه حال من واق في الوجه الثاني اي ما استقر لهم كائنا من رحمته
واق قدم الحال لكون ذي الحال نكرة قوله التي مثل اي كالمثل السابر في
الغرابة على ان قوله هي مثل كقولك زيد اسد في كونه من قبيل التشبيه
البليغ فان لفظ المثل بمعنى المثل لغة كالشبه والشبه ثم انه خص في العرف
العام بالقول السابر الذي شبهت مضربه بمورده ثم استعير لكل ما فيه غرابة
تشبيها له بالقول السابر في الغرابة فانه لا يضرب من الاقوال الا ما فيه
غرابة قوله على طريقة قولك صفة زيد اسمر جواب عما يقال كيف
يصح ان يكون المثل ههنا بمعنى الصفة ثم يكون مبتدأ خبره تجري من تحتها
الانهار فان المثل اذا كان بمعنى الصفة كان تقدير الكلام صفة الجنة
فيها انهار والحال انه لا معنى لقولنا صفة الجنة فيها انهار لان الانهار
في نفس الجنة لا في صفتها وتقدير الجواب انها ذكر انما يلزم ان لو كان
ضمير فيها راجعا الى الصفة وليس كذلك بل هو راجع الى الجنة والمعنى صفة
الجنة جريان الانهار فيها كما اذا قيل صفة فلان اسمر لا يجد ان يقال
الاسمر نفس زيد لا صفته لانه انما يجد ان لو كان ضمير اسمر راجعا الى الصفة
وليس كذلك بل هو راجع الى نفس زيد كانه قيل صفة الستمرة فيه
قوله او على حذف مضاف فيكون لفظ المثل باقيا على معناه اللغوي
الاصلي اي شبه الجنة جنة كذا ولا يكون مستعارا للصفة العجيبة من القول
السابر ولا يجد ان يقال ان الشبه بمعنى المشابهة وهي احداث والجنة عين
واسم العين لا يكون خبرا عن اسم المعنى لانه انما يجد ان لو كان المثل بمعنى
المماثلة هنا وليس كذلك بل هو ههنا بمعنى المثل والمشابهة عرفك الله لنا
الجنة التي ترها جارية انهاره وشاهدناه في الدنيا لتفهمها بعض الفهم فانه
قد ليس في الجنة شيء مما في الدنيا الا الاسماء قوله وهو على قول سيبويه
حال من العائد المحذوف من الصلة والتقدير وعدها المتقون متقدرا

جريان

جريان انهارها قوله او عامتهم بالنصب عطفا على المسلمين من اهل
الكتاب والمراد بالكتاب على التقديرين التورية والانجيل فان قيل كيف
يصح ان يراد باهل الكتاب في هذا الموضع عامتهم اهل الكتاب وهم الكفرة
وحكم عليهم بانهم يفرحون بما انزل اليك مع ان ما انزل يعم جميع ما انزل
اليه عم ومعلوم ان عامتهم لا يفرحون بكل ما انزل اليه والجواب
ان ما انزل مطلقا يتناول الكل والبعض وليس عاما مستغرقا لجميع
ما يصدق عليه انه منزل بدليل جواز ادخال لفظ الكل والبعض عليه
ولو كانت كلمة ما للعموم لكان ادخال لفظ الكل عليه تكرارا وادخال لفظ
البعض عليه نقضا فجاز حملها على البعض بحسب القرينة فلذلك قال المقص
فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم قوله يحكم في القضايا اشار الى
ان الحكم مصدر بمعنى الحاكم لما كان جميع التكاليف الشرعية مستنبطا من
القرآن كان سببا للحكم فاسند اليه الحكم اسنادا مجازيا ثم جعل نفس الحكم
على سبيل المبالغة قوله التي يدعونك اليها فانه روي ان المشركين كانوا
يدعونه عم الى اتباع ملة آبائهم المشركين وكان اليهود يدعونه الى الصلوة
الى قبلتهم بعد ما حول عنها جعل ما يدعون اليه من الدين الباطل والطريق
الزائغ هواء وهو ما يميل اليه الطبع وتهويه النفس بمجرد الاشتهاء
من غير سند مقبول ودليل معقول لكونه هواء محضا قوله وتهدد
لاطماعهم وتهييج للمؤمنين يعني ان الخطاب وان كان لمنع النبي عليه السلام
الا ان المراد التعريض لغيره لان صلابته عم في امر الدين بلغت الى حيث
لا يحتاج معها الى البعث على التصلب والثبات ووجه التعريض ان من
سمع تحذير سيد الخلايق وتهديده على عدم التثبت والتصلب ان
كان ممن يطمع منه عدم ذلك انقطع طمعه بالكلية وان كان ممن يتوهم
منه ذلك قويت عزيمته وصحت على الثبات في الدين علما منه بان من
هو ارفع منزلة اذا حذر هذا التحذير فهو بذلك احق واولى قوله
بشرا مثلك يعني ان من انكر نبوته عم تمسكوا بشبهة في ابطال نبوته منها

قولهم ان الرسول لابد ان يكون من جنس الملائكة كما حكى عنهم بقوله لو ما
تأتينا بالملائكة وبقوله لولا انزل عليه ملك ومنها قولهم مال هذا الرسول
يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ومنها انهم عابوا رسول الله عم بكثرة الزوجات
وقالوا لو كان رسولا من عند الله لما كان مشتغلا بامر النسوان بل كان
معرضا عنهن مشتغلا بالزهد والعبادة فاجاب الله تعالى عن شبههم
بقوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فلما
جاز ذلك في حقهم فلم لا يجوز مثله ايضا في حقه فقد روى انه كان لسليمان
عم ثلثمائة امراة حرة وسبعمائة سرية وكان لداود مائة امراة
وكان من شبههم انهم قالوا لو كان رسولا من عند الله لكان عليه ان يأتي
الى شئ طلبنا منه من المعجزات ولا يتوقف فيه ولما لم يكن الامر كذلك
علمنا انه ليس برسول فاجاب الله تعالى عنه بقوله وما كان لرسول
ان ياتي بآية الا باذن الله فان المعجزة
الواحدة كافية في اثبات الحجة وما زاد عليه فهو مفوض الى مشية الله
تعالى ان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها ولا اعتراض لاحد عليه في
ذلك قوله لكل اجل حكم يكتب يعني ان الكتاب يتضمن الحكم المكتوب
المفروض على المكلفين بالشرايع والاحكام كان الطاعنين في نبوته
عم قالوا لو كان صادقا في دعوى النبوة لم ينسخ الاحكام التي نص
الله على ثبوتها في الشرايع المتقدمة بنحو التورية والانجيل لكنه نسخها
وحرفها نحو تحريف القبلة ونسخ اكثر احكام التورية والانجيل فوجب
ان لا يكون نبيا حقا فاجاب الله تعالى عنه بقوله لكل وقت حكم يليق
بصلاح حال اهله فان الحكمة تقتضي اختلاف الاحكام على حسب اختلاف
الاعصار والامم وعلى حسب تخصيص المشية الالهية اهل كل عصر بحكم
على حدة كما قال تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت ان قيل ما ذكره
المص بقوله ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما يقتضيه حكمته
قال الامام في هذه الاية قولان الاول انها عامة في كل شئ كما يقتضيه

كان لسليمان ثلثمائة امراة وسبعمائة سرية

وقت وحـ

ظاهر اللفظ قالوا ان الله يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا في الاجل والسعادة
والشقاوة والايمان والكفر وهو مذهب عمر بن مسعود والقائلون
بهذا القول كانوا يدعون ويتضرعون الى الله تعالى في ان يجعلهم سعداء
لا اشقياء وهذا التاويل رواه جابر عن رسول الله صلى الله عم وروى
عن عمر رض الله انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت
كتبتني في اهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني في اهل الشقاوة
فامحني فاثبتني في اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت
وعندك ام الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود ايضا والقول الثاني
ان هذه الاية خاصة في بعض الاشياء دون البعض وعلى هذا التقدير
ففي الاية وجوه الاول المراد من المحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم
واثبات حكم آخر بدلا عن الاول وقد روى عن سعيد بن جبير وقتادة
يمحو الله ما يشاء من الشرايع فينسخه ويثبت ما يشاء فلا ينسخه وهذا
القول اختيار ابي علي الفارسي قال هذا والله اعلم فيما يحتمل النسخ والتبديل
من الشرايع الموقوفة على المصالح على حسب الاوقات فاما ما كان من غير ذلك
فلا يمحى ولا يبدل والثاني انه تعالى يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة
ولا سيئة فذلك لانهم مأمورون بكتبة جميع ما يقوله الانسان ويفعله فاذا
كان يوم الاثنين والخميس يعارض ما كتبه الحفظة بما في اللوح المحفوظ فما يلحق
من كتاب الحفظة ما لا جزاء له من ثواب وعقاب ويثبت ما له جزاء من احد هما
ويترك مكتوبا كما هو والثالث ان من اذنب ذنبا اثبت الله تعالى
ذلك الذنب في ديوانه فاذا تاب عنه يمحو ذكره عن ديوانه وقال عكرمة
يمحو الله سيئا التائب ويثبت بدلها حسنات قال تعالى الا من تاب
وامن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات والرابع يمحو الله
ما يشاء وهو من جاء اجله ويذر من لم يجئ ويثبته وقيل ان الله تعالى يمحو
ما يشاء ويثبت الا الشقاوة والسعادة والموت والحيوة والرزق والاجل
ويدل على صحة هذا القول ما روى انه عم قال اذا مضت على النطفة خمس

شبكة الألوكة www.alukah.net

واربعون ليلة يدخل الملك على تلك النطفة فيقول يارب اشقى ام سعيد
فيقضى الله تعالى ويكتب الملك على تلك النطفة فيقول يارب اذكر
ام انثى فيقضى الله تعالى ويكتب الملك فيقول عمله ورزقه واجله
فيقضى الله ويكتب الملك ثم يطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها
وقال ابن عباس هما كتابان كتاب سوى ام الكتاب يمحو منه ما يشاء و
يثبت وام الكتاب الذى لا يغير منه شئ فان قيل السنة تدعون ان المقادير
سابقة قد جف بها القلم فكيف يستقيم مع هذا المعنى المحو والاثبات
اجيب بان ذلك المحو والاثبات ايضا مما جف به القلم فلا يمحو الا ما سبق
فى علمه وقضاءه ومحوه سمى اللوح المحفوظ ام الكتاب لكونه اصلا لجميع الكتب
والعرب تسمى كل ما يجرى مجرى الاصل للشئ اما له ومنه ام الرأس
للدماغ وام القرى مكة وجميع حوادث العالم العلوى والسفلى مثبت
فى اللوح المحفوظ قال عم كان الله ولا شئ ثم خلق اللوح واثبت فيه
احوال جميع الخلق الى قيام القيمة قال المتكلمون الحكمة فيه ان يظهر للملائكة
كونه تعالى عالما بجميع المعلومات على سبيل التفصيل وعلى هذا التقدير
فعند الله تعالى كتابان احدهما الكتاب الذى يكتبه الملائكة على الخلق
وذلك الكتاب هو محل المحو والاثبات والكتاب الثانى هو اللوح
المحفوظ وهو الكتاب المشتمل على نفس جميع الاحوال العلوية والسفلية
وهو الباقى الذى لا يتغير وقيل المراد بام الكتاب هو علم الله تعالى
فانه تعالى يعلم جميع المعلومات من الموجودات والمعدومات فانها
وان تغيرت الا ان علم الله تعالى بها باق منزه عن التغير فالمراد بام
الكتاب هو ذاك والله اعلم قوله ارينك بعض ما اوعدناهم
تفسير وتفصيل للحال الدائرة الى سواء ارينك بعض ما اوعدناهم او توفينك
قبله فالواجب عليك تبليغ احكام الله تعالى واداء امانته ورسالته
والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ كالسراح والاداء قوله لا تحتفل اى
لا تبال يقال حفلت بكذا اى باليت به لما اوعد الله تعالى المكذبين

بقوله لهم

بقوله لهم عذاب فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اشق وما
لهم من الله من واق قال بعده وما نرينك يعنى ابتلاءهم بما اوعدوا
به غير مشروط بحيوتك بل هو واقع بهم مت او بقيت حتما وعلى كل
حال فالواجب عليك ليس الا البلاغ وعلينا الحساب فلا تبال باعراضهم
ولا تستعجل بعذابهم والطلايع جمع طليعة الجيش وهى ما يبعث ليطلع
حال العدو وتهيئهم والمعنى هذه الحال التى ننقص ارض الكفرة
من اطرافها طلايع تخويف ما اوعدهم الله من تعذيبهم فانه تعالى لما وعد
رسوله عم ان يريه بعض ما وعدهم فكان الكفرة قالوا عند ذكر ابن ما
وعد ربك ان يريك فقال تعالى عند ذكر اولم يروا انا نأتى الارض اى
بايتها امرنا وقوله ننقصها حال اما من فاعل نأتى من او مفعوله فان ما زاد
فى بلاد المسلمين باستيلاءهم عليها قهرا وجبرا انقص من ديار الكفرة وهو
من طلايع تحقق تلك المواعيد وعلاماتها فانه تعالى اذا قدر على جعل بعض
ديار الكفر للمسلمين فهو قادر على ان يجعل الكل لهم افلا يعتبرون بهذا
ثم انه تعالى اكد هذا المعنى فقال والله يحكم لا معقب لحكمه اى يحكم نافذا
حكمه غالبا عن المدافع والمعارض والمنازع ثم سلى رسول الله عم بان اخبر
ان كفار الامم الماضية كفروا برسلهم ومكروا بان همموا قتلهم واهلاكهم
وابطال دينهم الذى دعوا اقوامهم اليه مثل نمرود مكر بابراهيم عم
وفرعون مكر بموسى عم واليهود مكروا بعيسى عم ثم بين ان مكرهم
كلا مكر بالاضافة الى مكر الله تعالى حيث قال فلله المكر جميعا ثم بين
قوة مكره وكماله بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن
عقبى الدار فان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها وكان
قادرا على امضاء ما اعده من الجزاء فى الدنيا والاخرة لاجرم يأخذ المجرمين
بالنواصى والاقدام وهم فى غفلة فما يزاد بهم ان بطشه لشديد اذا
اخذ الظالم لا يفلته قوله مع ما فى الاضافة الى الدار اى مع الدلالة
الكائنة فى اضافة العقبى الى الدار فان الاضافة لتفخيم المضاف فتدل

على ان المعنى ما ينبغى ان يكون عاقبة للدنيا وما دلالاتها وليس هو الا الجنة.
قوله فانه اظهر من الادلة على رسالتى اى يعنى ان المراد بشهادته
الله تعالى ليس الا اظهار المعجزات الدالة على صدقه فى دعوى الرسالة
فسئل الكتاب لا بالقرآن فيكون المراد بقوله والذى عنده علم الكتاب
المؤمنين وثانيا بجنس الكتب المتقدمة وثالثا باللوح قوله اى
كفى بالذى يستحق العبادة اى لما ورد على تقدير ان يكون المعنى ومن عنده
علم اللوح وهو الله تعالى ان يقال كيف يصح ان يراد بمن عنده الله مع كونه
معطوفا على قوله بالله وهو عطف الشئ على نفسه اشار الى دفعه بان
اول اسم الذات بما يعطيه من معنى استحقاق العبادة لكون لفظ الجلالة
مختصا بالمعبود بالحق المتصف بجميع صفات الكمال واول من عنده بالذى
لا يعلم ما فى اللوح الا هو ليكون من قبيل عطف الصفة على الصفة كما فى
الشاعر بالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآئب وقراءة الجمهور
من عنده بفتح ميم من وهى موصولة فى محل الجر عطفا على لفظ الجلالة اى
بالله وبمن عنده علم الكتاب او فى محل الرفع عطفا على محل الجر الجلالة
اذ هى فى محل الرفع بالفاعلية وعنده علم الكتاب يحتمل ان يكون جملة
ظرفية بان يكون علم الكتاب فاعل عنده لاعتماده على الموصول ويحتمل ان
جملة اسمية بان يكون علم الكتاب مبتدا وعنده خبره قدم عليه والجملة
على التقديرين صلة من وان قرئ من عنده بكسر الميم على انه حرف جر شبيه
ان يكون علم الكتاب مرفوعا على الابتداء وما قبله خبره وقرئ من بالكسر
وعلم على بناء المفعول تمت الشروع

سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد سيد المرسلين وعلى آله واصحابه اجمعين قوله كتاب اما على تقدير ان يكون الراسما للسورة ويكون التقدير هذا بالرغم السابق قوله كتاب اشارة الى فخامة شانها وعظم قدرها بانها كتاب عظيم الشان تولينا بانزاله وبلغ في الفصاحة والبلاغة الى حيث تخرج الناس بسبب اتيانه من الظلمات الى النور واذا كانت سورة من القرآن العظيم بهذه المثابة فما ظنك بمجموع القرآن واما على ان يكون الرتعويذا للحروف قرعا للعصى وتقدمة لدليل الاعجاز ولا يكون له محل من الاعراب قوله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب اي مجاز مرسل علاقته اطلاق الملزوم وارادة اللازم فان لفظ الاذن حقيقة في الاطلاق ورفع الحجر ويلزمه التسهيل والتيسير فان الدخول في حق الغير وملكه متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان التسهيل من لوازم الاذن صح استعمال لفظ الاذن فيه مجازا فالمراد بقوله مستعار الاستعارة اللغوية لا ما هو مصطلح اهل البيان وقوله لتخرج متعلق بانزلناه وقوله باذن ربهم يجوز ان يتعلق بالاخراج اي لتخرجهم بتسهيله وتيسيره وان يتعلق بمحذوف على انه حال من ضمير الفاعل اي ماذونا لك او من الناس اي ماذونا لهم شبه الكفر بالظلمات لانه نهاية ما يتحير الرجل فيه ولا يهتدي به الى الحق والصواب وشبه الايمان بالنور لانه نهاية ما يتجلى به الحق المطلوب وجمع الظلمات لتعدد طرق الكفر وانواعه قوله بدل من قوله الى النور ولا يضر الفصل بقوله باذن ربهم لانه من معمولات العامل في المبدل منه قوله او استيناف فيتعلق بمحذوف كانه قيل الى اي نور اخرجهم فقيل الى صراط قوله اما لانه مفعول ايجابا اما لان الله تعالى هو المقصد من ذلك الصراط واما لانه تعالى هو المظهر لذلك الصراط وهذا اقدر من الملابسة يكفي في صحة الاضافة واضيف الصراط الى العزيز للتنبيه على انه صراط عزيز لا يذل سالكه واضيف الى الحميد للتنبيه على انه صراط كثير الخير لا يخيب سالكه قوله هيا قراءة نافع وابن عامر

(1) من اتخذه سبيلا ،

فانها

فانها قراءة برفع لفظ الجلالة على انه مبتدا خبره الموصول بعده او على انه خبر مبتدا محذوف اي هو الله ومثل هذا يسمى الرفع على المدح فعلى هذا يكون الموصول مع صلته في محل الرفع على انه صفة الجلالة وآلبافون بجره على انه عطف بيان للعزيز الحميد لان لفظ الجلالة وان كان في اصل الوضع اسما مشتقا الا انه صار في العرف جاريا مجرى الاسم العلم لذات الله تعالى فخرج بذلك عن ان يكون مفهومه صالحا لوقوع الشركة فيه فجاز كونه تابعا لما قبله للايضاح والتعيين والذي يدل على كونه جاريا مجرى الاسم العلم انه لو كان مشتقا لكان مفهومه شيئا ما حصل له المشتق منه وهذا المفهوم مفهوم كلي صالح من حيث هو هو لوقوع الشركة فلا يكون قولنا لا اله الا الله موجبا للتوحيد لان المستثنى يكون امرا كليا صالحا وهو خلاف الاجماع لان الامة قد اجمعوا على ان قولنا لا اله الا الله كلمة توحيد وذلك يوجب كون لفظ الجلالة جاريا مجرى الاسم العلم لذاته المخصوصة فعلى هذا كان الظاهر ان نذكر الاسم ثم نذكر عقيبه الصفات كما في قوله تعالى هو الله الخالق البارئ واما ان يعكس هذا الترتيب فيقال هو الخالق البارئ الله فذلك ترتيب بعيد عما هو الشايع المتعارف فمن قطع لفظ الجلالة عما قبله وقراه مرفوعا اما على الابتداء او الخبرية بمحذوف فلا كلام في قراءته واما من قراه بالجر عطفا على العزيز الحميد فيرد عليهم ان اتباع الاسم للصفة خلاف الترتيب الشايع بين القوم فلهم ان يقولوا انه تعالى لما اراد تفخيم الصراط الذي يدعوا الناس اليه اضافه الى العزيز الحميد ثم لما وقعت الشبهة في ان ذلك العزيز الحميد من هو بناء على ان الكفار دعا وصفوا الصنم بكونه عزيزا حميدا عطف عليها عطف بيان قوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض ازالة لتلك الشبهة وايضاحا للمشبوح قوله لكنه رفع على انه مبتدا وللكافرين خبره وجاز الابتداء بالنكرة لانه دعاء كسلام عليكم مع انه موصوف بقوله من عذاب شديد فانه متعلق بمحذوف وهو صفة ويل ولا يجوز ان يتعلق بنفس ويل لاجل الفصل بينهما بالخبر وقد تقرر في النحو انه لا يجوز الفصل بين المصدر ومعموله قوله فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليه فان استحباب الشئ طلب محبته عبر عن اختيار الشئ

(2) لتخرجهم بتسهيله وتيسيره

(3) لانه خبر ويل وعلى هذا من عذاب لتقرير استحقاق الكفار

(4) لانه دعاء

(5) لانه خبر ويل وعلى هذا من عذاب لتقرير استحقاق الكفار

(6) لانه دعاء

(7) لانه خبر ويل وعلى هذا من عذاب لتقرير استحقاق الكفار

(8) لانه دعاء

جميع الناس من ظلمة الكفر الى نور الايمان فاجاب عنه بانا ما ارسلنا من رسول الا الايم
الخ اختلفت السنتهم الا بلغة قومه الذى هو منهم اذ لا حاجة الى ان ينزل الى كل
قوم كتاب ملتبس بلغة ذلك القوم لان ذلك يتعب ويكفى عن التطويل الازم
من ذلك فاذا نزل بلسان واحد من الاقوام كان اولى الالسنة لسان قوم الرسول
لان قومه اقرب الناس اليه فكان حقهم عليه اقدم فكان الاولى ان يدعوهم الى الحق اولا
وينذرهم على المخالفة والعصيان حتى اذا فاهموا عنه وتبينوا ما ارسل به اليهم
يترجم لغيرهم ما فاهموه عنه فيفتقر دعوته بذلك الى اطراف العالم قوله تعالى الا بلسان
قومه فى موضع النصب على الحال اى الا متكلما او ملتبسا بلسان قومه وقرأ العامة
بلسان على وزن كتاب وقرئ فى الشواذ بلسن قومه بكسر اللام وسكون
السين وهو لغة فى اللسان وقيل اللسان يطلق على العضو المعروف وعلى اللغة
ايضا واما اللسن فانما يطلق على اللغة خاصة وقرئ بلسن بضم اللام والسين
وهو جمع لسان كلكتاب وكتب وقرئ بضم اللام وسكون السين وهو تخفيف
القراءة بضمتين نحو رسل فى رسل قوله تعالى فيضل الشيطان اخبار بان فهو
يضل ولا يجوز نصبه عطفا على ما قبله لان المعطوف كالمعطوف عليه فى المعنى فيكون
المعنى ليبين فيضل والرسل انما ارسلت للبيان لا للاضلال قال الزجاج ولو
قرئ بنصبه على ان اللام لام العاقبة جاز والمعنى فيه تفصيلية والمعنى ان الله
تعالى ارسل الرسول الى اقوامهم ليتبين لهم طريق الهداية وطريق الضلالة فعند
ذلك حصل الاختلاف فبعضهم اختاروا الهداية وبعضهم الضلالة او نقول انزلنا
الكتاب للتبيين فمنهم من تعداه بذلك البيان ومنهم من جعلناه حجة عليه
قوله بايانا حال اى ارسلناه ملتبسا بايانا وان فى ان اخرج يجوز ان تكون
مفسرة لوقوعها بعد فعل فى معنى القول وان تكون مصدرية واختلف النحاة
فى انه هل يجوز ان تكون صلة ان المصدرية امرا او نهيا او غيرهما مما فيه معنى
الطلب او لا يجوز والمشهور عدم الجواز واجاز سيبويه كون صلة ان المصدرية
ذلك على ان يكون معنى قولك امرته ان قم اى بان قم اى بالقيام وقال ابو على فى قوله
تعالى ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله يجوز ان تكون كلمة ان فيه مصدرية

ان لان ارسالة بلغة قومه خاصة

باستحبابه لما فى اختيار من شائبة طلب كونه احب اليه من غيره والظاهر ان استحباب
الشئ ابلغ من اختياره فى الدلالة على كون ذلك الشئ محبوبا لان اختيار الشئ
انما يدل على مجرد ترجيح ذلك الشئ وعده خيرا بخلاف الاستحباب فانه يدل
على كون محبة الشئ مطلوبا له ومحبوبا عنه وهو نهاية المحبة فقوله الذين
يستحبون الحيوة الدنيا يدل على كونهم فى نهاية المحبة للحيوة الدنيا وهو
وهو نهاية الضلال لانه انما نشأ عن الغفلة عن حقيقة الحيوة الاخروية وعن
معايب الحيوة العاجلة وادنى معايبها ان ما فى هذه الحيوة من اللذات لا حاصل لها
فى الحقيقة الا دفع الآلام بخلاف اللذات الاخروية فانها فى انفسها لذات محضة
ثم انه تعالى زاد على ما يدل على ضلالهم فى انفسهم فقال ويصدون فان من كان موصوفا
باستحباب الدنيا فهو ضال فى نفسه ومن منع الغير من الوصول الى سبيل الله تعالى
ودينه فهو مضل ثم زاد على وصفهم باضلال الغير بصده من الوصول الى الصراط
المستقيم فقال ويبغونها عوجا فان السعى فى الغاية الشكوك والشبهات فى
المذهب الحق والجد فى تقبيحه بكل ما يقدر عليه من الحيل فهو نهاية الضلال والاضلال
قوله والبعد فى الحقيقة اه جواب عما يقال القرب والبعد لا يوصف بهما الا الاماكن
او المتمكن فيها والضلال ليس منها فكيف وصف بقوله بعيد اجاب عنه اولا بان
البعد فى الحقيقة للضال لانه هو الذى يتباعد عن الطريق والمقصد فوصف به فعله
اسنادا مجازيا على طريق جد جده وثانيا بان البعد صفة للامر الذى به الضلال
عن الحق تنزيلا له منزلة المكان الذى وقع فيه الضال فاسند البعد اليه لسببه
للملابسة بينهما قوله الا بلغة قومه الذى هو منهم وبعث فيهم خص قوم الرسول
بمن هو منهم وبعث فيهم لظهور ان ليس المراد منه جميع من بعث اليهم من امة
دعوته لان رسولنا صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة بل الى الثقلين مع
انه لم يرسل الا ملتبسا بلسان العرب خاصة والذى يخطر ببالى فى انصال هذه
الاية بما قبلها انها جواب عما يرد على قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس
وجه ان تعريف الناس للاستغراق لقوله تعالى قل يا ايها الناس انى رسول الله
اليكم جميعا وما انزل اليه عز وجل انزل بلسان العرب خاصة فكيف يتيسر له تخرج

جميع

فتكون مع ما خبرها بدلا من ما او من الهاء في به او خبر مبتدا محذوف اي هو ان العبدوا
الله وان تكون مفسرة واختار المصنف قولها حيث قال فان صيغ الافعال سواء
في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة الا انه تسامح في العبارة
حيث جعل ان الداخلة على فعل الامر ناصبة والمراد فيصح ان يوصل بها ان التي
لو دخلت على الفعل المضارع لكانت ناصبة ولو قال ان يوصل بها ان المصدرية
لم يحتج الى هذا التاويل ثم انه تعالى لما ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم على سبيل المنة
انه انزل اليه كتابا عظيما شانه ليخرج به الناس من الظلمات الى النور اتبع ذلك
بشرح بعثته سائر الانبياء الى اقوامهم وكيفية معاملة اقوامهم معهم ليكون ذلك
تعزية له عما اذى قومه وارشادا له الى كيفية مكالمته مع قومه فذكر قصة موسى
عليه السلام فقال ولقد ارسلنا موسى بايتنا الآية امر الله تعالى موسى عليه السلام
في هذا المقام بشيئين احدهما ان يخرجهم من ظلمات الكفر والضلال وثانيهما
ان يذكرهم بايام الله والتذكير العظة اي عظهم بايام الله واختلف فيها والمراد بايام
الله فقيل المراد بها ما انعم الله تعالى عليهم في الايام الماضية كانه قيل قل لهم يا قوم
كم من خير قد اعطاه الله لكم وكم من شر قد صرفه الله عنكم وكم من كرب قد نفسه
الله عنكم وكم من غم قد فرجه الله عنكم اما تذكرون ما انتم عليه مما اصابكم
من قبل فرعون من انواع العذاب ثم انه اهلك عدوكم بتدبير عجيب وخلصكم
من عذابه وانزل عليكم المن والسلوى وانعم عليكم جميع ما انتم عليه
الان من صنوف نعمائه فبادروا الى شكر هذه النعم وقيل المراد بايام الله وقايعه
في الامم السالفة اي ذكرهم كيف اهلك الله تعالى الامم السالفة بما كذبوا الرسل
وقيل المراد بها جميع ما وضع فيها من النعماء والبلاء والمعنى عظهم بالترغيب
والترهيب والوعد والوعيد فالترغيب والوعد ان يذكرهم ما انعم الله عليهم
وعلى من قبلهم ممن امنوا بالرسل فيما سلف من الايام والترهيب والوعيد ان
يذكرهم بائس الله وعذابه وانتقامه ممن كذب رسله فيما سلف من الايام
مثل ما نزل بعاد وثمود وغيرهم ليرغبوا في الوعد فيصدقوا ويحذروا
من الوعيد فيتركوا التكذيب والفساد ويؤيد هذا القول الجمع بين الصبار والشكور

وانما هو تفصيل لقوله ولقد ارسلنا موسى من رسولا الآية ان قوله فان موسى كان ينبغي ان يقول وقد ارسلنا موسى وقد ارسلنا فرعون ونحو ذلك

ويؤيد ايضا جمع الايام فانها تقتضي اختلاف انواعها

في قوله تع

في قوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ومن حمل الايام على معنى
الوقايع استدل عليه بان التذكير بالايام اكثر ما يستعمل في التخويف والانذار
قوله وقيل المراد لكل مؤمن عطف من حيث المعنى على قوله بصبر على بلائه ويشكر لنعمائه
فعلى الاول الصبار والشكور يراد بهما كل من قام به الصبر والشكر وعلى الثاني
عبارتان عن معبر واحد كما تقول في الكناية عن الانسان حي مستوي القامة عريض
الاظفار قوله اي واذكروا النعمة وقت انجائه اياكم يعني ان قوله اذ انجاكم ظرف للنعمة
بمعنى الانعام ثم قال ويجوز ان ينتصب بعليكم اي بما تعلق به عليكم على تقدير ان
لا يكون صلة للنعمة بل يكون متعلقا بالاستقرار بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة
عليكم وقت انجائكم فعلى هذا يكون النعمة بمعنى العطية لا بمعنى الانعام ولو جعل
عليكم صلة للنعمة بمعنى الانعام فح لا يجوز ان ينتصب الظرف بعليكم
لان المفعول فيه عبارة عما فعل فيه فعل مذكور فلا يعمل فيه الا فعل او شبهه وعليكم
على تقدير كونه صلة للنعمة لا يكون فعلا ولا شبهه قوله احوال من ال فرعون
او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما ويجوز ان يكون
مستانفا لبيان ما انجاهم منه قال تع في سورة البقرة واذ نجيناكم من ال فرعون
يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وكذا في
الاعراف الا انه وقع فيه بدل يذبحون لفظ يقتلون وكل واحد منهما في سورتيه
بغير واو فلما وقع في هذه السورة ويذبحون بواو العطف اشار المصنف الى الفرق
بان الجملة حيث ذكرت بغير واو يكون بدلا من قوله يسومونكم سوء العذاب
على طريق التفسير والبيان وحيث ذكرت بالواو يكون الكلام من قبيل عطف الخاص
على العام على تقدير ان يراد بالعذاب جنس العذاب ويعطف عليه التذبيح للاشارة
الى انه بلغ في الفضاعة والشدة الى حيث صار كانه جنس مغاير للعذاب او من عطف
احد المتقابلين على الآخر على تقدير ان تحقق العذاب بالتعبيد وهم واستعمالهم
بالاعمال الشاقة وقوله من حيث انه باقدار الله تع اياهم لما جعل الاشارة الى فعل آل
فرعون بهم وارد ان تعالى كيف يكون فعل آل فرعون بلاء من ربهم فاجاب عنه بان
فعلهم لما كان باقدار الله تع اياهم وامره لهم فيه صار ابتلاء من الله تع فانه تعالى

وحمهم المؤمن فاه الاعان
نصفان نصف صبر ونصف
شكر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يبتلي عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة قوله ايضا من كلام موسى عليه السلام فيكون
معطوفا على قوله اذ انجاكم فيكون معمولا للنعمة بمعنى الانعام او للاستقرار الذي
تعلق به عليكم او على قوله نعمة الله فيكون معمولا لقوله اذكروا والنعمة
الزائلة بالشكر هي النعم الروحانية والجسمانية اما النعم الروحانية فهي ان الشاكر
يكون ابدا في ملاحظة اقسام نعم الله وانواع فضله وكرمه له وتلك الملاحظة
تستجلب محبة العبد الله تعالى ومقام المحبة اعلى مقامات الصديقين ثم قد يترقى العبد
من تلك الحالة الى ان يصير حبه للمنعم شاغلا من الالتفات الى النعم ومعرفتها
فثبت ان الاشتغال بالشكر يجلب النعم الروحانية واما ازدياد النعم الجسمانية
بالشكر فلان الاستقراء دل على ان من كان اشتغاله بشكر نعم الله اكثر كان وصول نعم
الله تعالى اليه اكثر ثم ان موسى عليه السلام لما بين ان الاشتغال بالشكر يوجب
تزايد المبرات في الدنيا والآخرة وان كفران النعم يوجب العذاب الشديد وحصول
الآفات في الدنيا والآخرة بين بعد ان منافع الشكر ومضار الكفران لا تعود
الا الى صاحب الشكر وصاحب الكفران واما المعبود والمشكور فانه غني عن
ان ينتفع بالشكر او يتضرر بالكفران فهو تعالى انما امر بهذه الطاعات لمنافع
العباد كما قال فان الله لغني حميد لان من كان ذاته كافية في وجوده وجمع كمالاته
يكون غنيا لا يفتقر الى شكر شاكر وحميدا يستحق الحمد لذاته لكونه مستجمعا لجميع
الكمالات بالفعل قوله من كلام موسى عليه السلام لقومه يذكرهم احوال المتقدمين
ويحذرهم بها ليعتبروا ويجتهدوا في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وقبل هو
ابتداء خطاب من الله تعالى لاهل عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذكر اقواما ثلثة
وهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم نوح بدل من الذين من قبلكم او عطف بيان له
ثم قال والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله وذكر المصنف فيه احتمالين الاول ان
يكون قوله والذين من بعدهم مبتدأ وقوله لا يعلمهم الا الله خبره ويكون الجملة
الاسمية معترضة بعد تمام الكلام على ما جوزه صاحب الكشاف او بين الحال وصاحبها
ان جعل قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات حالا من الذين من قبلكم على ما ذهب من
يجوز انتصاب الحال من المضاف اليه وفايدة الاعتراض التنبيه على كثرة الامم

المتقدمين

المتقدمين كانه قيل ان من بعدهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله فكيف بالمجموع
والاحتمال الثاني ان يكون قوله والذين من بعدهم معطوفا على ما قبله وهو قوم نوح
وعاد وثمود ويكون قوله لا يعلمهم الا الله اعتراضا لبيان كثرة من قبلهم والمعنى
الم يأتكم انباء الجم الغفير الذي لا يعلم عددهم الا الله لكثرتهم وقول المصنف والمعنى
انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله بيان للمعنى على الاحتمالين لكن تختلف مرجع
ضمير انهم بحسب الاحتمالين فان المعنى على الاحتمال الاول ان الدين من بعدهم من الكثرة
بحيث لا يعلم عددهم الا الله فيكون المقصود الترقي في بيان كثرة من قبلهم كانه قيل
الم يأتكم نبأ هؤلاء ومن لا يحصى عددهم ممن بعدهم فهو بمنزلة ان يقال دع التفصيل
فانه لا مطمع في الحصر وفيه لطف من حيث انه يوهم الجمع بين الاجمال والتفصيل ولهذا قدم
هذا الاحتمال في الذكر والمعنى على الثاني ان الذين من قبلكم لكثرتهم لا يعلمهم الا الله
فيكون حاصل المعنى ما مر من قولنا الم يأتكم انباء المتقدمين بحيث لا يعلم عددهم
الا الله كان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعني انهم
يدعون علم الانساب ويتصلون به الى آدم عليه السلام وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد
حيث بين ان فيمن قبلكم اقواما كذبوا رسلهم فاهلكوا ولم يبلغ الينا خبرهم
فلا يعلمهم الا الله وتظير هذه الآية قوله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا تتبيرا
وقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قيل وعلى هذا
القول لا يمكن القطع بمقدار السنين من لدن آدم عليه السلام الى هذا الوقت
لانه ان امكن ذلك لم يبعد ايضا تحصيل العلم بالانساب الموصولة ثم انه تعالى
حكى عن هؤلاء الاقوام المذكورة انه لما جاءتهم رسلهم بالبينات اي المعجزات
آتوا بامور اولها ما هو قوله فردوا ايديهم في افواههم وثانيها قولهم انا كفرنا
بما ارسلتم به وثالثها قولهم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه وذكر المصنف فيه
ثلث احتمالات الاول انهم ردوا ايديهم انفسهم في افواه انفسهم والثاني ردوا
ايدي انفسهم في افواه الانبياء والثالث انهم ردوا ايدي الانبياء في افواه
الانبياء على ان الايدي بمعنى الايادي وذكر في الاحتمال الاول وجه الاول ان يكون
رد الايدي الى الافواه عبارة عن عضها غيظا من شدة تعجبهم من رؤية الرسل

الجم الغفير الى هو له والذكر اى ويكون المعنى على الاحتمالين تكثيره

نبأ هؤلاء ويجوز ان يكون قوله والذين من بعدهم الى آخره على الاحتمالين
الكلام هو قوله الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود وقوله
بقوله موسى اجمالا الكلام في قصة موسى وفصلها بما ارسلتم به الى آخره

او من استماع كلامهم والثاني ان يكون عبارة عن وضعها على الافواه اما لانهم
لما سمعوا كلام الانبياء تعجبوا منه غاية التعجب فحملهم ذلك على ان يضعوا
ايديهم في افواههم او لانهم لما سمعوه غلب عليهم الضحك على سبيل السخرية
والاستهزاء فوضعوا ايديهم على افواههم كما يفعل ذلك من غلبة الضحك
او لانهم لما سمعوه وضعوا ايديهم على افواههم مشيرين بذلك الى الانبياء ان
كفوا عن هذا الكلام والثالث ان يكون عبارة عن الاشارة بايديهم
الى جوابهم الذي قالوه بالسنتهم وهو قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا
جوابنا الذي نقول بافواهنا فقول المصنف الى السنتهم توطئة لقوله وما
نطقت به والمراد اشارتهم الى كلامهم ثم انه يحتمل ان يكونوا اشاروا
بايديهم الى ان هذا هو الجواب ثم قرروه ويحتمل انهم كانوا قرروا جوابهم
ثم اشاروا بايديهم الى ان هذا هو الجواب لان قوله تعالى وقالوا انا كفرنا بما
ارسلتم به معطوف على ما قبله بالواو عطف قوله فردوا على ما جاء انهم بغاة
التعقيب لا يرجح احد الاحتمالين لانه انما يدل على انه لما جاءهم الرسل بالبينات
ما امهلوا بل عقبوه بالتكذيب والانكار ولا دلالة فيه على تقدم الاشارة
على الجواب وتاخره واشار الى الاحتمال الثاني بقوله او ردوها في افواههم الانبياء
والى الثالث بقوله وقيل الخ قوله وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا بان يمثل الهيئة
الحاصلة من دعوة الانبياء اياهم الى التوحيد والايمان باظهار المعجزة والبرهان
ورد هؤلاء ما سمعوا منهم وما رأوا بلفظ الرد والانكار بالهيئة الحاصلة
من مباشرة احد بان يتكلم بمراده ويمنعه الاخر عنه بان يضع يده على فم
صاحبه بقسره على السكوت فاذن لا يد ولا فم هناك قوله الايدي بمعنى الايادي
انما قال بمعنى الايادي لان الايادي غلب في النعم والايدي في الجوارح قال
الشاعر سأشكر عمرا ان تراخت منيتي ايادي لم تمنن وان هي جلت
قوله لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه اشارة
الى ان رد الايدي الى الافواه من قبيل التمثيل قطعا على تقدير ان يكون المراد رد
ايادي الانبياء الى افواههم لامتناع رد اكمام الانبياء وشرائعهم الى افواههم

حقيقة

بما ارسلتم به كما لا يقرون به

حقيقة فوجب حمل الكلام على الاستعارة التمثيلية على نحو ما ذكرنا قوله على تقدير
يعني ان المعنى انا كفرنا بما زعمتم ان الله ارسلكم به انما قالوا ذلك لانهم لا يقرون
بانهم ارسلوا قوله موقع في الريبة على ان يكون مريب من ارابني فلان اذا اوقعك
في الريبة ورابت منه ما انكرهه وقوله او ذي ريبة على ان يكون من ارابه الرجل
بمعنى صار ذا ريبة قيل قولهم وانا لفي شك بعد ما قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به
شكل لان الشك ينافي الجزم بالكفر بقولهم انا كفرنا سيما وقد اكدوا كفرهم
بان واجيب بان الواو ههنا بمعنى اوايا احد الامرين لازم وهو الكفر برسالتكم
جزما وان لم ندع هذا الجزم والبقية فلا اقل من ان نكون شاكين مرتابين
في صحة نبوتكم وعلى التقديرين فلا سبيل الى الاعتراف بنبوتكم ويندفع
الاشكال رأسا بان يقال تحقق الكفر والجزم به لا ينافي شكهم في
نبوته عم وفي حقية ما دعاهم اليه لان الشاك لا ايمان له فيكون كافرا قطعا
كالمنكر فيكون قولهم وانا لفي شك بعد تحقيق كفرهم بقولهم انا كفرنا للبيان
ان طريق كفرهم هو الشك دون الانكار قوله ادخلت همزة الانكار على الظرف مع
ان الظاهر ان يقال أشك في الله لان تقديم الظرف يوهم الاختصاص فيكون
مدلول الكلام انكار تحقق الشك في الله واثباته في غير الله ولا شك ان
اثبات الشك في غير الله ليس بمقصود من الاية وانما المقصود نفي الشك في
الله تع والعبارة المؤدية لهذا المعنى هي ان يقال أشك في الله فلم قدم
الظرف وادخلت همزة الانكار عليه فحاصل الجواب ان تقديم الظرف ليس
للاختصاص بل للاهتمام فان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك لان الشك
موجود لا محالة فلا وجه للانكار وانما المنكر ثبوته في الله تع فكان الاهم
من الشك والمشكوك فيه هو المشكوك فيه فلذلك قدم الظرف واستلزم
ذلك دخول الهمزة عليه قوله وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على حرف الاستفهام
ولا وجه لكونه مرفوعا بالابتداء وكون الظرف المتقدم خبره لانه يستلزم الفصل
بين الصفة والموصوف باجنبي وهو المبتدأ بخلاف الاول فان الفاصل حينئذ
لا يكون اجنبيا لانه فاعل والفاعل كالجزء من رافعه وكون فاطر السموات عطف

بيان اقرب من كونه بدلا لان الابدال بالمشتقات قليل قوله يدعوكم الى الايمان
ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة تقدير في الاول منصوبا به وهو قوله الى الايمان
فيكون المدعو اليه الايمان وقوله ليغفر لكم تعليلا وعلى الثاني اقام المفعول له
مقام المفعول به وجعل المغفرة مدعوا اليها لا بان يكون اللام بمعنى الى فانه من
ضيق العطن بل لان معنى الاختصاص ومعنى الانتهاء كلاهما واقعان وحاق
الموقع فجاز ان قيل يدعوكم الى المغفرة لاجلها لا لغرض آخر وحقيقته ان الاغراض
غايات مقصودة تنبعث معنى الانتهاء وزيادة هي كون المنتهى اليه مطلوبا
بالذات فاذا ليس كل ما ينتهي اليه الشيء مطلوبا كذلك قوله ويؤخركم الى وقت
سماه الله وجعله اخر اعماركم قيل معناه يؤخر الله تعالى موتكم الى الاجل المسمى ان آمنتم
والا عاجلكم بعذاب الاستيصال وقال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى يمتعكم
في الدنيا باللذات والطيبات الى الموت فان قيل ليس انه تعالى قال فاذا جاء اجلهم
لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف قال ههنا يؤخركم الى اجل مسمى
والجواب والله اعلم لعل المراد بقوله يؤخركم الى اجل مسمى الاجل المسمى على تقدير
الايمان والطاعة ويدل عليه ما رواه الواحدي في الوسيط في تفسير سورة الانعام
بقوله قال ابن عباس ان الله تعالى قضى لكل نفس اجلين من مولد الى موته ومن
موته الى مبعثه فاذا كان الرجل صالحا واصلا لرحمه زاد الله له في اجل الحياة
ونقص من اجل الممات الى المبعث واذا كان غير صالح ولا واصل رحمه نقصه الله من اجل
الحياة وزاد في اجل المبعث وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا
في كتاب انتهى ما في الوسيط ولا يلزم منه ان يكون للانسان اجلين كما ذهب
اليه المعتزلة لانه تعالى عالم بما يكون منه من الامور التي يزداد به العمر وينتقص
بمقتضى اجل كل شخص على حسب علمه بما يكون منه قال الامام ابو منصور الماتريدي
تعلقت المعتزلة بظاهر قوله تعالى ويؤخركم الى اجل مسمى وقالوا ان لكل انسان
اجلين في حال اذا كان مطيعا كذا واجل في حال آخر اذا كان فعل كذا وكذا ولكن ما قالوه
فاسد لان جعل الاجلين انما يكون لجهل في العواقب والله تعالى عالم بما كان
ويكون فلا يحتمل ان تجعل له اجلين وانما جعل اجله بالذي علم انه يكون منه في الوقت

الذي

الذي جعل والله اعلم قوله لا فضل لكم علينا يعني ان الاشخاص الانسانية متساوية
في تمام الماهية ولوازمها فيمتنع ان يكون الواحد منهم متميزا عن الباقين بان
يكون رسولا من عند الله مطلعا على الغيب مخالطا لزمرة الملائكة ويكون الباقون
غافلين عن كل هذه الافعال وايضا كانوا يقولون ان كنت قد فارقتنا في هذه
الاحوال العالية وجب ايضا ان تفارقنا في الاحوال الخسيسة وهي الحاجة الى الاكل
والشرب والحدث والوقاع وهذه الشبهة هي المراد بقولهم ان انتم الا بشر
مثلنا فالله تعالى حكى عن الانبياء جوابهم عن هذه الشبهة بانهم سلموا ان الامر
كذلك لكنهم بينوا ان التماثل في البشرية لا يمنع من اختصاص بعض البشر
بمنصب النبوة بناء على ان هذا المنصب عن الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده
فان اهل السنة والجماعة تمسكوا بهذه الاية فمالوا اليه من ان النبوة
عطية من الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده ولا يتوقف حصولها على امتياز
ذلك الانسان عن سائر الناس بمزيد اشراق نفساني وقوة قدسية
فانه تعالى بين في هذه الآية ان حصول النبوة ليس لا بمحض المنة من الله
والعطية وايضا انهم ذهبوا الى ان لا مؤثر في الوجود الا الله ولا دخل
لشيء مما سواه في الوجود وانه ترجح بعض الجائزات على بعض بمشيته
وقال جماعة من حكماء الاسلام الانسان ما لم يكن في نفسه وبدنه مخصوصا
بخواص شريفة قدسية فانه يمتنع عقلا حصول النبوة له واجابوا عن قول
الاشاعرة بانهم لم يذكروا فضائلهم النفسانية والبدنية وامتيازهم
بها عن سائر الناس تواضعا بل اقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده بالنبوة لعله باتصافهم بالفضائل التي لاجلها استوجبوا ذلك
التخصيص كما قال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته واجابوا عن قولهم فاتونا
بسلطان مبين بمثل قولهم وما كان لنا ان نا تيكم بسلطان الا باذن الله
ثم ان الانبياء لما اجابوا عن شبهات الكفرة بتلك الاجوبة فالظاهر ان
الكفرة اخذوا في السفاهة وتخويف الانبياء ووعيدهم فعند ذلك قالت
الانبياء عليهم السلام لا نخاف من تخويفكم ولا نلتفت الى تهديدكم

بل نتوكل عليه ونعتمد على فضله ونقطع رجاءنا عما سويه الله تعالى الا انهم عمموا
الامر بالتوكل حيث قالوا وعلى الله فليتوكل المؤمنون للاشعار بان موجب
التوكل هو الايمان وقصدوا بلفظ المؤمنين انفسهم قصدا اوليا بدليل قولهم
ومالنا ان لا نتوكل على الله بعد ما علمنا ان الامور كلها بيده فان من فاز بشرف
العبودية ووصل الى مقام الاخلاص والمكاشفة والمعارف الربانية يقبح
له ان يرجع في امر من الامور الى غير الحق سواء كان فلكا او ملكا او روحا او جسما
ثم انه تعالى لما حكى عن الانبياء عليهم السلام انهم اكتفوا في دفع شرور اعدائهم
بالتوكل عليه والاعتماد على حفظه حكى عن الكفار انهم بالغوا في السفاهة واقسموا
على انهم ليخرجن الانبياء واتباعهم من ارضهم او ليعودن في ملتهم واعلم
قدروا على تقوله هذه المقالة القبيحة بناء على ان اهل الباطل في كل زمان
يكون كثيرا بالنسبة الى اهل الحق وانهم يتعاضدون ويتعاونون في تخطئة
اباطيلهم فلهذا السبب قدروا على هذه السفاهة ولما ورد ان يقال قولهم
اولتعودن يوهم ان الانبياء كانوا على ملتهم في اول الامر حتى يصح ان يقال
لتعودن في ملتنا اجاب عنه اولا بان العود هنا بمعنى الصيرورة واستعمال
عاد بمعنى صار كثير في كلام العرب وثانيا بان الخطاب وان كان مع الرسل
ظاهرا الا ان المقصود بهذا الخطاب كل رسول مع اتباعه واصحابه فغلب
اتباع الرسل على انفسهم في حكم العود فقيل اولتعودن اذ الظاهر ان الاتباع
كانوا قبل ذلك حاصلين اولئك الكفار ومع هذا ان من قال اولتعودن هم
الكفار ولا يجب ان يكونوا صادقين في كل ما قالوه فلعلهم توهموا كون
الانبياء على ملتهم اولا بناء على انهم نشأوا في بلاد الكفرة وما اظهروا
مخالفة الكفار فلذلك ظن الكفرة انهم كانوا في اول الامر على دينهم
فقالوا اولتعودن في ملتنا ولما ذكر الكفار هذه السفاهة قال الله تعالى
فاوحى اليهم ربهم بناء التعقيب الدالة على ان هذا الوحي لم يتاخر عن سفاهتهم
قوله موقفي يعني ان المقام يحتمل ان يكون اسم مكان الوقوف والمعنى ذلك الامر
حق لمن خاف مكان الوقوف بين يدي يوم الحساب ونظيره واما من خاف مقام ربه

اي موقفه

اي معرفة الذي يقيم فيه المتكلفين ويحتمل ان يكون مصدرا مضافا الى فاعله
ويحتمل ان يكون مبنيا والمعنى لمن خافني كما يقال سلام على مجلسكم العالي والمراد
سلام عليكم وهو بعيد لان اقحام الاسم قليل نادر وقوله سألوا من الله
الفتح على اعدائهم والقضاء والفتاح بمعنى ان الاستفتاح طلب الفتح والفتح قد يراد به
النصرة على العدو كما في قوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقد يراد به الحكم
والقضاء كما في قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقوله قال رب ان قومي
كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا وكلا المعنيين صحيح ههنا والمعنى على الاول
ان الرسل استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما يئسوا من ايمانهم
قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال موسى ربنا اطمس
على اموالهم وقال لوط انصرني على القوم المفسدين وعلى الثاني ان الامم طلبوا
الحكومة والقضاء من الله بان قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين
فعذبنا كما قال كفار قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء وكما قال آخرون ائتنا بعذاب الله ان كنت من
الصادقين وقيل ان الرسل سألوا الله الحكم بنصرهم واهلاك اعدائهم
فضمير استفتحوا اما ان يرجع الى الرسل الكرام او الى الكفار اللئام وقيل
يرجع الى الفريقين لان كلا منهما طلب النصر على صاحبه والحكم باهلاك صاحبه واختار
المصنف كونه راجعا الى الرسل حيث قطع يكون واستفتحوا معطوفا على فاوحى
كانه قيل فاوحى الذين كفروا بما قالوا فاذن للرسل بالاستنصار فسألوا الله ذلك
الفتح والنصر فنظروا وظفروا بمقصودهم وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم
فالظاهر انه لم يكن معطوفا على قوله قال الذين كفروا رجوعا عما من مخاطبة الرسل
الى طلب الحكومة من الله تعالى وان كان ضمير استفتحوا للكفرة فيكون قوله تعالى
وخاب معطوفا على مقدر وهو فنصروا ويكون المعنى ان الكفار استفتحوا
على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد
منهم وما افلح بسبب استفتاحه على الرسل وكذا ان كان الضمير للجميع الفريقين
فيكون قوله وخاب معطوفا على استفتحوا ومن ورائه جهنم جملة في محل الحال

على انها صفة لجبار ويجوز ان يكون الصفة قوله من ورائه وحل وجهنم فاعل
مرفوع به لاعتماده على الموصوف لما حكم الله تعالى عليه بالخيبة والحرمان
ووصفه بكونه جبارا عنيدا وصف كيفية عذابه بامرين الاول قوله من
ورائه جهنم ولفظ الوراء يستعمل للخلف والقدام فقال ابن عباس واكثر
المفسرين انه ههنا بمعنى القدام والمعنى ان جهنم امام ذلك الجبار وهو يرد
ويدخلها قوله فانه مرصد بها اختلفت النسخ في هذه الكلمة ففي بعضها مرصدا بها
بفتح الميم وبالباء في بها اي فان للجبار موضع للترصد والترقب بسبب جهنم تتيقنه
ملائكة العذاب ليدخلوه جهنم يقال رصدته ارصده اذا قعدت له على طريقه
تترقبه وفي ظهر بعضها من صد لها بضم الميم وبالام في لها والمعنى على القلب
لان جهنم مرصد اي معدة له من قولك ارصدت له العقوبة اذا اعددتها له
وحقيقته جعلتها على طريقه كالمترقبة له وفي بعضها مترصد بها اي موضع الترصد
بسببها فهو مكان في النسخة الاولى من حيث المعنى حمل لفظ الوراء ههنا على معنى
الامام مع انه من الاضداد يطلق على القدام والخلف لانه في الدنيا وجهنم معدة
له في الاخرة ومن اطلاقه على الامام قول الشاعر عسى الكرب الذي امسيت فيه
يكون وراءه فرج قريب اي يكون امامه فرج ويصح في تاء امسيت الفتح على
خطاب صاحبه المكروب بان يبشره بالفرج القريب وزوال الحزن ويصح فيه الضم
ايضا على تسلية نفسه وحذف من الفعل المذكور بعد عسى كلمة ان وهو قليل
ومنه قوله تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا اي امامهم وقيل
ايضا الموت وراء كل احد وقال ابن الانباري وراء ههنا بمعنى بعد كما في قول من
قال وليس وراء الله للمرء مطلب اي ليس بعد الله فانه تعالى لما حكم على كل جبار
بالخيبة في قوله وخاب كل جبار عنيد قال بعده من ورائه جهنم اي من بعد
هذه الخيبة يدخل جهنم قوله وحقيقته ما توارى عنك اي سواء كان خلفك
او قدامك اشارة الى وجه اطلاق لفظ الوراء على كل واحد من القدام والخلف
فان كل واحد منهما لما كان متواريا عنك اي خفيا غير شاهد لك صح اطلاق
لفظ الوراء على كل واحد منهما قوله لا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه يس بد

ان كاد

ان كاد من افعال المقاربة نفوله لا يكاد يسيغه بدل على نفي المقاربة من الاساغة
وانتفاء المقاربة من الاساغة يستلزم انتفاء الاساغة قطعا فان قيل كيف
تحكم بان الاساغة منتفية البتة مع ان قوله تعالى يتجرعه يدل على انهم اساغوا
الشئ لان التجرع عبارة عن تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار ايضا
قوله تعالى يصهر به ما في بطونهم يدل على حصول الاساغة لان الصهر لا يحصل بدون
الاساغة فالجواب ان ما ذكرتم من الدليل انما يدل على وصول بعض ذلك الشراب
الى جوف الكفار وذلك لا يستلزم حصول الاساغة لانها عبارة عن اجراء الشراب
في الحلق بسهولة وقبول نفس والستطابة للمشروب والكافر انما يتجرع ذلك
الشراب في كراهية ولا يسيغه اي لا يستطيبه ولا يشربه بسهولة مرة واحدة
ثم انه تعالى بعد ما ذكر انواع عذاب الجبابرة المعاندين بين بعده ان اعمالهم
باسرها تصير ضائعة لا ينتفعون بشئ منها فقال مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعمل
للصفة التي فيها غرابة تشبيها لها بالمثل السائر في الغرابة وهو مبتدأ حذف خبره
وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة لبيان صفتهم كانه قيل كيف مثلهم وصفتهم
الغريبة فقيل كيت وكيت ويجوز ان يكون مثل مبتدأ واعمالهم مبتدأ ثانيا وكرماد خبر
الثاني والثاني وخبره خبر الاول فان قيل كيف يجوز ان تكون هذه الجملة خبرا للمبتدأ الاول
ولا رابط فيها يربطها بالمبتدأ وليست نفس المبتدأ حتى تستغني عن رابط قلنا
لانم انها ليست نفس المبتدأ بل هي نفس المبتدأ فان نفس مثلهم هو نفس
اعمالهم كرماد في ان كلا منهما لا يفيد شيئا ولا يبقى له اثر فهي كالجملة الواقعة خبرا
عن ضمير الشان والمراد باعمالهم المشبهة اما المبرات التي لو عملوها مقرونا بالايمان
لانتفعوا بها او ما رءوه مبرة من عبادة الاصنام والكفار لا ينتفعون بشئ منها
اما بالذات فظاهر واما بالاولى فلعدم ابتنائه على الاساس ومن الظاهر المعلوم
انه اذا صح تشبيه كل واحد من القسمين بالرماد الموصوف صح تشبيه كلي القسمين
به ايضا فلا حاجة بعد ذلك في التردد ووجه المشابهة بين هذه الاعمال وبين الرماد
الموصوف بهذه الريح العاصف تطير الرماد وتفرق اجزاءه بحيث لا يبقى لذلك
الرماد اثر ولا خبر فكذلك كفرهم ابطل اعمالهم واحبطها بحيث لم يبق من تلك الاعمال

منهم خبر" ولا اثر ثم انه تعالى لما مثل اعمالهم بالرماد الموصوف وبين ان الكفر يضيع
الاعمال التي كانت في انفسها خيرات ولا يبقى لهم الا الحسرة والاسف على خيبتهم
فيما افنوا فيه اعمارهم بين كمال قدرته تعالى واستدل به على قدرته على افناء قوم
وايجاد آخرين بدلهم بعثا وتحريضا للمكلفين على الايمان بالله تعالى والرغبة في طاعته
كما اشار اليه بقوله ومن هذا شانه كان حقيقا بان يعبد لا قوله يبرزون من قبورهم
لان الله لما كان البروز عبارة عن الظهور بعد الاستتار ومن المستحيل ان
يستتر شيء من الاشياء عنه تعالى حتى يظهر له بعد الاستتار وجب تاويل قوله تعالى
وبرزوا لله وذكر في التاويل وجهين الاول ان ليس المراد البروز لله بل
المراد البروز للخلق بخروجهم من القبور لامر الله وحكمه والثاني ان المراد
بالاستتار الملحوظ في ضمن البروز الاستتار في ظنهم فانهم كانوا يستترون من
العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ما فعلوه في الخلوات يخفى على الله
فيكون انكشافهم لله تعالى يوم القيمة بروزا بالنسبة الى ظنهم لما بين الله تعالى ما يصيب
الكفار يوم القيمة من انواع العذاب وحرمانهم عن ثواب ما عملوه من الخيرات
وهددهم ببيان قدرته على اهلاكهم وانشاء خلق جديد بدلهم بين ما سكون
بين رؤساء الكفرة وانباعهم من تمسك الاتباع للرؤساء قائلين انا اتبعناكم
لتنتفع بانباعكم عذاب الشديد وكيفية افتضاح الرؤساء عندهم معترفين
بالعجز التام والخزي العظيم وهذا نوع آخر من العذاب اشد من العذاب الجسماني
المذكور قبله قوله اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله فان قلت كيف طابق هذا
التقدير قوله من الاولى للبيان والثانية للتبعيض وما معنى كون الاولى واقعة
موقع الحال والثانية واقعة موقع المفعول وحق من البيانية ان يتقدم عليها
ما تبينه ولا تاخر عنها فكيف جعلت الاولى بيانية قالجواب ان ما ذكره المصنف
توجيه من حيث المعنى فان المعنى هل تغنون عنا من شيء من عذاب الله على ان
من عذاب الله صفة لشيء وبيان له فلما تقدم عليه انقلب اعرابه من الوصفية
الى الحالية لان الصفة لا تتقدم على الموصوف واما معنى البيان فهو باق بحاله
لم يتغير وكذا كون من شيء مفعولا مغنون باق بحاله فقوله من عذاب الله حال من شيء

قدمت

قدمت عليه لكون ذي الحال نكرة والحال وصاحبها صفة وموصوفا في الحقيقة وذو الحال
مفعول والحال بيان له وهذا الاعراب لا يتغير على تقدير كون كل واحد من كلمتي من
تبعيضية والفرق بينهما ان المعنى على الاول هل انتم مغنون عنا بعض عذاب الله تعالى
وعلى الثاني هل انتم مغنون عنا بعض بعض عذاب الله ومن عذاب الله على التقديرين
متعلق بمحذوف لانه في الاصل صفة لشيء فلما تقدمت عليه انتصب على الحال وعلى
تقدير كون الاولى مفعولا لا يكون متعلقا بنفس مغنون ويكون من شيء واقعا
موقع مصدر مغنون بمعنى بعض الاغناء وقول الاتباع والعوام للسادة الكبراء
انا كنا لكم تبعا توبيخ وتقريع لهم على استتباعهم لان الكبراء عرفوا ذلك فلا فائدة
لهم في هذا الاخبار وقولهم فهل انتم مغنون عنا ليس بطريق ان يطلب الاتباع
منهم دفع العذاب عنهم وكيف يطلبون منهم ذلك وقد رأوا وعلموا في العذاب والو قدروا
على دفع ذلك عنهم لدفعوه اولا عن انفسهم وانما قالوه على سبيل التبكيت
والالزام لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجاب الكبراء عن
معاتبتهم بان قالوا لهم انما دعوناكم الى الضلال لان الله اضلنا بسبب اختيارنا
ما اشتهيه انفسنا ولو هداكم لدعوناكم الى الهدى بسبب ذلك منهم الى الله
تعالى واحالوه على ما فعل بهم من عدم توفيقه للاهتداء وخلق الاهتداء فيهم فكلام
الكبراء على هذا التقرير يكون جوابا للتوبيخ الاتباع بقولهم انا كنا لكم تبعا وعلى
قوله او لو هدانا الله طريق النجاة الخ يكون جوابا عن قولهم فهل انتم مغنون عنا
ومعنى الاية على الاول لو وفقنا الله للايمان في دار الدنيا لهديناكم اي بينا لكم
طريق الهدى وعلى الثاني لو هدانا الله اليوم الى طريق التخلص من العذاب لهديناكم
اليه ثم يقولون لا حيلة لنا فيما قدر وقضى فيه لا يخفى علينا العذاب بالصبر ولا يرقى لنا
بالجزع فكلاهما سواء علينا وقال مقاتل يقولون ذلك في النار فيقولون تعالوا
نصبر فيصبرون خمسمائة سنة فلا ينفعهم الصبر الخ قوله مستويان علينا الجزع
والصبر اشارة الى ان قوله اجزعنام صبرنا في محل الرفع على الابتداء والجملة
مستانفة الى آخر الاخبار عنها اذا كانت نسبتها ملحوظة تفصيلا واما اذا اريد بها اللفظ او
مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهي كالاسم في الاضافة والاسناد اليه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وان قوله سواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر والمحض المنجا
بالقصر وهو فعل يكون مصدرا كالمغيب والمشيب وقد يكون مكانا كالمبيت
والمصيف يقال حاص عنه وحاض عنه بمعنى واحد اى هرب عنه قصدا للخلاص
ثم انه تعالى لما ذكر المناظرة الواقعة بين رؤساء الكفر واتباعهم اردفه
بذكر المناظرة الواقعة بين الشيطان واتباعه من الانس فقال وقال الشيطان
لما قضى الامر اى فرغ منه وقضى الله بين العباد واستقر اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار يأخذ اهل النار في لوم ابليس وتوبيخه فيقوم فيما
بينهم خطيبا ويقول ما اخبر الله تعالى عنه بقوله وقال الشيطان لما قضى الامر
وقيل المراد بقضاء الامر انقضاء الحساب والاول اولى لان الفراغ مما
يتعلق بامر الحساب انما يكون باستقرار كل فريق فيما اعد له من المقر وقيل
المراد به انقطاع ما يتعلق بالحساب بالكلية بانتهاء الاحوال المتغيرة ولا
يبقى في النار الا ما يخلد فيها فان مذهبنا ان عصاة المؤمنين يخرجون من
النار ويدخلون الجنة فلا بعد ان يكون المراد من قوله لما قضى الامر ذلك الوقت
لان في ذلك الوقت ينقطع الاحوال المتغيرة المتعلقة بالحساب ولا يحصل بعد
الا دوام ما كان على ما كان قوله وعدا من حقه ان يخبر عنه ان وعد الحق مصدر
وعدكم اضيف الاول لفاعله والثاني لمفعوله على اختصاصه به بحيث يستحق به ان يخبر كما يقال لرجل
صدق وكوم للدلالة على ان شانه ذلك وانه ملازم له قوله او وعدا انجزه على انه
من اضافة المصدر الى مفعوله الذي هو الحق بمعنى الثابت وهو البعث والجزاء
والاصل وعدكم الحق ثم ذكر المصدر للتاكيد قوله ولكنه عاطر نفة قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع ابو علي بن ادعاء ضد الشيء من انواع ذلك الشيء للنكتة وهي ههنا
تقرير انتفاء تسلطه عليهم وتحقيقه كما في قول من قال ولا عيب فيهم غير
ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ادعى كون ان سيوفهم ذوات فلول
من قبيل العيب ليحقق به براءتهم من جميع العيوب فكذا ما تحية بينهم الا الضرب الوجيع
فقد ادعى كون الضرب من انواع التحية للدلالة على ان لا تحية بينهم اصلا فكذلك اللعين
ادعى كون التسويل والتزيين من انواع القهر والتسلط ليقرر ان لا تسلط له عليهم اصلا

قوله اسر عنهم

قوله اسر عنهم اجابني امكن الا ان استجاب واجاب وان كانا بمعنى واحد الا ان استجاب
ابلغ كما مر في قوله فاستعصم ونهاية مقالة اللعين وحاصل الزامه هي قوله ما كان
مني الا الدعاء والوسوسة وقد كنتم سمعتم دلائل الله تعالى وشاهدتم مجيئ
انبيائه الله تعالى فكان من الواجب عليكم ان لا تغتروا بقولي ولا تلتفتوا
الى دعوتي ووسوستي فلما رجحتم قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم عليكم
في هذا الباب فالسلطان هنا بمعنى الحجة والبرهان اى لم يكن مني الا مجرد الدعاء
والوسوسة من غير اقامة حجة وبرهان على ما دعوتكم اليه وقد كان مع الرسل
حجج وبراهين فتركتم اجابتهم لما دعوكم اليه بالحجج والبراهين واستجبتم لي بلا حجة
وبرهان ويحتمل ان يكون المراد من السلطان الملك والقهر والغلبة ويكون المعنى
ما كان لي عليكم من قهر وغلبة اقهركم واغلب عليكم الا الدعاء والوسوسة
فاستجبتم لي طوعا وخالفتم حكم الله تعالى ودعوة النبي الصادق المصدق باختياركم
فاتركوني وحالي واشتغلوا اليوم انفسكم ولا بد في توضيح هذا المقام من بيان ان
مدخل الشيطان في اي شيء مما يصدر عن الانسان باختياره ليتميز ما يلام عليه الانسان
عما يلام عليه الشيطان فاعلم ان ما يستند الى الانسان من الترك والاتيان
يتوقف على امور مرتبة يترتب بعضها على بعض ترتبا ضروريا الاول الشعور
بذات الشيء الذي يتوجه اليه ايقاعه او تركه ويترتب عليه تصور كونه خيرا ملائما له
او شرا منافرا له او كونه غير ملائم ولا منافر ويترتب على تصوره باحد الوجوه
المذكورة الميل الجازم الداعي الى الفعل او الترك وعدم حصول الميل الى احدهما فانه
اذا حصل له الشعور بكونه ملائما له يترتب عليه الميل الجازم الى الفعل وان حصل
الشعور بكونه منافرا له يترتب عليه الميل الجازم الى الترك وان لم يحصل الشعور لا بهذا
ولا بذاك لم يحصل الميل لا الى الفعل ولا الى الترك بل يبقى الانسان كما كان ويترتب
على حصول ذلك الميل الجازم مع انضمام القدرة والاستطاعة اليه وقوع الفعل وهذه
الامور المرتبة لا مدخل للشيطان في شيء منها الا في ان يذكر شيئا كان الانسان
غافلا عنه مثل ان الانسان كان غافلا عن شان امراة وصورتها فيلقي الشيطان
حبها في خاطره والشيطان لا قدرة له الا في هذا المقام وهو عين ما حكي الله تعالى

عنه انه قال ما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم ای ما كان لي الا
مجرد هذه الدعوة وامابينة المراتب فلم تصدر مني وما كان لي فيها اثر البتة فظهر
منه ان الشيطان الاصلي هو النفس لانه لولا الميل الحاصل بسبب الشهوة والغضب
والجبال لم يكن لوسوسته تاثير البتة قوله واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على
الاستقلال البعيد بافعاله قائلين ان الكفر والمعصية لو كان من الله تعالى لوجب
ان يقول فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله تعالى قضى عليكم الكفر واجبركم عليه
وضعفه ظاهر وظاهر الآية يدل على ان الشيطان لا قدرة له على تفريع الاناة
وعلى تقويح اعضائه وعلى ازالة العقل عنه كما يقوله العوام قوله بمصرخكم من العذاب
اي بمنقذكم منه فان الصارخ هو المستغيث والمصرخ المغيث يقال صرخ فلان
اذا استغاث وقال واغوثاه واصرخته اي اغثته قوله او على لغة من يزيد ياء اه
عطف على قوله على الاصل في التقاء الساكنين فهو توجيه فان لقراءة حمزة بعد توجيهها
بان ياء الاعراب ساكنة وياء المتكلم اصلها السكون فلما التقيا كسرت ياء المتكلم
لالتقاء الساكنين وتقرير الوجه الثاني لقراءة الكسرات ياء المتكلم تشبه هاء الضمير
وكان الخطاب في ان كل واحد منهما ضير على حرف واحد وايضا ياء المتكلم لا تخلوا
من ان تكون في موضع النصب او الجر كما في اني وغلامي فالياء في النصب والجر
كالهاء فيهما وكالهاء في اكرمتك وهذا لك والهاء توصل بالواو اذا كانت
مضمومة نحو هذا لهو وضربهو وبالياء اذا كانت مكسورة نحو بهي
وتحركت ما قبلها وتكسر بعد الكسرة والياء الساكنة نحو به وعليه فتزاد
الياء بعد ياء المتكلم ايضا فيقال مصرخيّ كما يقال بهي وفيهي ثم تحذف
الياء اكتفاء بالكسرة او تقول كسرت ياء المتكلم بعد الكسرة كما كسرت الهاء
بعد ما في نحو به وكذلك قد تلحق الزيادة بعد كاف الخطاب فيقال اعطيتكاه
واعطيتكيه فكذا تزاد الياء بعد ياء المتكلم تشبيها لها بالكاف فيما ذكر ثم
تحذف الياء كما ذكر وقيل زيادة الياء بعد ياء المتكلم لغة بني يربوع يقولون
فيّ فيزيدون ياء اجراء لها مجرى الهاء والكاف حيث زادوا على الهاء الواو وعلى
الكاف الالف والياء نحو منهو واعطيتكاه واعطيتكيه فالاصل في قراءة

حمزة

حمزة اثبات ياء بعد الياء المشددة فحذفت الاخيرة الزائدة تخفيفا واكتفاء
بالكسرة فبقي مصرخيّ واستشهد على زيادة الياء بعد ياء المتكلم بقول من
قال قال لها هل لكِ يا تافيّ قالت له ما انت بالمرضيّ ابو هل لكِ باهنِ رغبةٌ
فيّ فان تافي قوله يا تا اسم اشارة للمؤنث قوله كما في قولهم سبحان ما سخركن
لنا يريد ان ما على تقدير ان يكون موصولة يراد بها الله تعالى وجل وكلمة ما
لا تستعمل في ذوي العلم الا باعتبار الوصفية فيه وتعظيم شانه كقولهم سبحان
ما سخركن لنا اي سبحان العظيم الشان الذي سخر امثالكن لنا وان تنباطقوا
اللعين انكفرت بما اشركتموني بالمقام على تقدير كون ما مصدرية ظاهر لانه
لما عين عاين ما عاينه من الشدايد فتبرا منهم ومن اشراكهم واما
على تقدير كونها موصولة وكون المعنى انكفرت بالله الذي اشركتموني به من
قبل كفركم فوجه ارتباطه به انه تعليل وتاكيد لقوله فلا تلوموني كانه يقول لا
تاثير لوسوستي في كفركم بدليل انكم كفرتم بالله قبل ان وقعت في الكفر وما كان
كفركم بوسوسة اغوى والا لزم التسلسل فثبت بهذا ان سبب الكفر شيء آخر
سوى الوسوسة وهو تركهم العمل بالحجة والبرهان والاتباع لشهوات النفس
وترجيح حظوظها الباطلة ويحتمل ان يكون تعليلا لقوله وما انتم بمصرخيّ كانه
يقول لا تقدرون على اعانتي لان كفركم قديم كونت قبل كفركم قوله وقرئ
ادخلي بمعنى ان العامة قرؤا وادخل على لفظ الماضي المبني للمفعول يعطف على برزوا
او على قوله فقال الضعفاء وقرئ على لفظ المضارع المسند الى المتكلم فمقوله باذن
ربهم على قراءة العامة يتعلق بادخل او بقوله خالدين ولا وجه لتعلقه بادخل
في القراءة الاخرى لان قولك وادخل انا باذن ربهم لا وجه له لان المتكلم هو الله
تعالى ولا معنى لادخال الله تعالى باذن نفسه فالوجه ان يتعلق بما بعده فان تحيتهم
مصدر مضاف لمفعوله اي يحييهم الله او الملائكة او الى فاعله اي تحيي بعضهم
بعضا واتيا ما كان يجوز ان يتعلق للجار وفيه بحث وهو ان معمول المصدر لا يتقدم
عليه قال الحسن ما روي عن ابن جني انه قال قوله وادخل الذين امنوا على فعل
المتكلم قطع للكلام واستيناف قال الله تعالى وانا ادخلهم جنات تجري من تحتها

الانهار

باذن ربهم اي باذنه الا انه اعاد ذكر الرب على سبيل الالتفات من التكلم الى
الغيبة ليضيفه اليهم فانه اضى عليهم وادخل في الاكرام والتقرب منه او تعلق
انه متعلق بخالدين لان الخلود غير الدخول كذا قيل والظاهر ان تعلقه
بخالدين لا يدفع المغايرة لان خلاصة الكلام ح يكون هكذا وانا ادخلهم
جنات مقدرا خلودهم باذن ربهم وانه كلام دكيك لا ينبغي ركاكته الا بما
روي عن ابن جني قوله كيف اعتمل اي نصبه عاملا يعتمد عليه افهام المعنى يريد
ان ضرب متعدية الى واحد لكونه بمعنى اعتمد مثلا ووضعه وكلمة على هذا منصوبة
بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة والجملة تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك
شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون انتصابها
على انها بدل وقوله كشجرة ح اما في محل النصب على انه صفة كلمة او في محل الرفع
على انه خبر مبتدا محذوف ثم اشار الى ان ضرب يحتمل ان يتعدى الى مفعول ين
كونه بمعنى صير وجعل عند استعماله مع لفظ المثل خاصة وان قرئ كلمة
بالرفع يكون مبتدا خبره كشجرة قوله ويجوز ان يريد وفروعها عطف على
قوله اعلاها يعني ان الفرع يجوز ان يحمل على اعلى الشجرة او على اغصانها بان
يكتفى باسم الجنس عن الجمع للجوهرية فرع كل شئ اعلاه قوله والاول على اصله
اي كون اصلها مبتدا وثابت خبره موافق لاصل المعنى وهو اثبات وصف الثبات
لما هو له وهو الاصل دون الشجرة فان المخبر عنه بالثبات في الحقيقة انما هو الاصل
سواء جعل الاصل مبتدا وثابت خبره او جعل ثابت صفة لشجرة ورفع اصلها
على انه فاعل ثابت وتوصيف الشجرة بثابت من قبيل توصيف الشئ بحال سببه
فيكون اجراء للوصف على غير ما هو له بخلاف ما لو جعل اصلها مبتدا وثابت خبره
فانه توصيف للاصل بحال نفسه واجراء للوصف على ما هو له فيكون الكلام 2
جاريا على اصله قوله ولعل الله ابلغ لان ثابت اصلها صفة لشجرة واصل
الصفة ان تكون اسما مفردا لان الجملة اذا وقعت صفة حكم على موضعها بانها
المفرد فاذا قيل كشجرة طيبة ثابت اصلها فقد جرت الصفة على اصلها واذا قيل
اصلها ثابت فقد وضعت الجملة موضع المفرد وهو خلاف الاصل واعلم ان كون

الشجرة

الشجرة طيبة يكون بكونها طيبة الصورة والمنظر وبكونها طيبة الرائحة وبكونها طيبة
الظل والثمرة بان يكون ظلها كثيفا قويا وثمرها لذيذا مستطابا كثير الخواص
والمنافع ولا وجه لتخصيص بعض هذه الوجوه بالارادة ومثل هذه الشجرة اذا
كان اصلها راسخا في الارض يكون واجدا آمنا من هلاكها وانقطاع الانتفاع بها
فيعظم فرحه وسروره بسبب التوقع ثم ان ارتفاع اعلاها واغصانها يدل
على كمال تلك الشجرة من وجهين الاول ان ارتفاع الاغصان وفورها يدل على
ثبات الاصل ورسوخ العروق والثاني انها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت
كانت بعيدة عن عفونات الارض وفاذوراتها فيكون ثمرها نقية طاهرة
عن جميع الشوائب واذا انضمت الى هذه الصفات كون ثمرها حاضرة دائمة
في جميع الاوقات تكون في غاية الشرف والكمال بحيث يعظم رغبة كل عاقل في
تحصيل مثلها فشبه الله تعالى الكلمة الطيبة بهذه الشجرة ترغيبا للمكلفين
وتحصيلها ثم قال ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون فان في ضرب
الامثال زيادة افهام لان المعاني العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم
فاذا ذكر ما يماثلها من المحسوسات تركب الحس والخيال المنازعة وسلم
القوة العاقلة عن المنازعة والمدافعة فيحصل الفهم التام ثم شبه الكلمة
الخبيثة التي لا تعضدها حجة ولا يؤيدها عقل ولا نقل بالشجرة الخبيثة الكثيرة
المضار الخالية عن المنافع واشار الى كثرة مضارها بقوله خبيثة والى خلوها
عن المنفعة بقوله اجتثت من فوق الارض مالها من قرار والكشوثيت
يتعلق باغصان الشجر من غير ان يضرب بعروقه في الارض قال الشاعر هو هو
الكشوث فلا اصل ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر والكلمة التي تضرب
عن الحق تثبت اصلها ودليل حقيتها في قلب المؤمن ويرتفع ما يترتب عليها من
الاعمال الصالحة الى السماء ويغتنم المؤمن ببركاتها وثوابها في كل وقت وزمان
والكلمة الخبيثة تخالفها في جميع ذلك لما مثل الله تعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الموصوفة
بهذه الامور بين انه تعالى يثبت المؤمن بسببها في الدنيا وفي الاخرة فقال يثبت الله الذين
امنوا الآية والباء في قوله بالقول الثابت للسببية وهو متعلق بقوله يثبت

وكذا قوله في الطبوة الدنيا وفي الاخرة والمقصود بيان ان الثبات على الكلمة
الطيبة يوجب الثبات في الثواب والكرامة من الله في الدنيا والاخرة روي ان
جريج كان من العوابد من اصحاب عيسى عليه السلام علم الله الاسم الذي
يحيي به الموتى وكان بارض الموصل حتار يعبد الصنم فدعاه جريج الى عبادة
الله تعالى ونهاه عن عبادة الصنم فامر به فشدت رجلاه ويداه ودعا بالمشاط من الحديد
فشرحت بها صدره ويديه ثم صب عليه ماء الملح فصبره الله تعالى عليه ثم دعا بمناشير
من حديد فنشرت به عينيه واذنيه فصبره الله عليه ثم دعا بحوض من نحاس فاوقد
تحته حتى ابيض ثم القى فيه واطبق رأسه فجعله الله تعالى له بردا وسلاما وزاده
حسنا وجمالا ثم قطع اعضاءه زرباريا فاحياه الله ودعاهم الى الله واحيى
الموتى ولم يؤمن الملك فاهلكه الله تعالى مع قومه بان قلب المدينة عليهم وجعل
عليها سافلها واما شمعون العابد فانه كان من زهاد النصارى وكان رجلا
شجاعا يحارب عبدة الاصنام من اهل الروم ويدعوهم الى الدين الحق وكان
يكسر بنفسه جنودا مجتمعة واحتال عليه ملك الروم بانواع من الحيل ولم يقدر
عليه الا ان خدع امراته بمواعيد فسالته في وقت خلوة عن حاله كيف تغلب عليه
فقال ان انشد بشعوري في غير حال الطهارة فاني لم اقدر على الفتح فاحاطوا به
في منامه وشدوه كذلك واقوه من قصر الملك فهلك واما اصحاب الاخدود
فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ختم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه
راهب فمال قلبه اليه فراى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا
وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتل هذه الحية وكان الغلام
بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس الملك فاتاه بهدايا كثيرة
فسأله الملك عن امره فقال ربي فغضب الملك فعذبه فدل على الغلام فعذبه
فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا
فرجف فهلكوا ونجا واخذه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه
فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتاخذ سهما من
كنانتي وتقول باسم رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوق السهم في صدغه فمات

فآمن

فآمن الناس فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى
جاءت امراة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا امتاه اصبري فانك على الحق
فاقتحمت قوله فلا يتلعثمون اي لا يكثرون يقال تلعثم الرجل في الامر اذا تمكث
فيه وتاتي قوله اي شكر نعمته فحذف المضاف لان الكفر المذكور بجنب النعمة يراد به
الكفران ومقابلة الشكر واعلم ان بدل بتعدي الى مفعولين الى اولهما بنفسه
والى ثانيهما بواسطة الباء وان المجرور بالباء هو المتروك والمنصوب هو الحاصل
المختار وقد تحذف حرف الجر فيتعدى الفعل اليهما بنفسه كما في هذا المقام والمجرور
بالباء ههنا هو النعمة لانها هي المتروكة والذي يتعدى الفعل اليه بنفسه هو الكفران
وهذا المفعول الاول قوله تعالى واحلوا قومهم وقوله وجعلوا لله انداد معطوفان
على الصلة وهي قوله بدلوا نعمة الله وصنفهم اولا باثنا كفران نعم الله تعالى على
شركهم وثانيا بانهم اضلوا قومهم وحملوهم على الكفر الذي اداهم الى جهنم
وثالثا بانهم جعلوا لله المستجمع بجميع صفات الكمال اشباها وشركاء والمراد
من هذا الجعل الحكم والاعتقاد والقول واللام في ليضلوا سواء قرئ بفتح
الياء او ضمها لام العاقبة لان كل واحد من الضلال والاضلال يترتب اتخاذ
الانداد وعاقبته قوله وفي التهديد بصيغة الامر ما كانت صيغة الامر موضوعة
لطلب الفعل ولو عا طريق الندب او الاباحة وكان التمتع بالشهوات غير
مطلوب بوجه ما فضلا عن ان يكون وسيلة الى مطلوب آخر وهو كون المصير
الى النار جعل المصنف صيغة الامر للتهديد كقول الطبيب للمريض الذي خالف
امره وترك الاحتماء بعد ما امره الطبيب به مرات كل ما شئت فان مصيرك
امرك الى الموت يريد به التهديد ليرتدع المريض عما هو عليه ويقبل قول الطبيب
فكذلك الله تعالى خذل الكفار وخلاهم وانفسهم قائلا تمتعوا والمقصود
ردعهم عن تلك الحالة ثم بين قائلا تحقيق صيغة الامر لتاديه معنى
التهديد وهو امر ان الاولى ايذان ان قوله تمتعوا استعارة تمثيلية
شبه حال المخاطب في انهماكه في التمتع المؤدي الى النار بحال من امر بالتمتع
من قبل الآمر المطاع الذي ليس في وسعه المخاطب مخالفته فاطلق عليه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الواقعة في حق المشبه به فقيل في تهديد تمتعوا والثانية ايذان ان كلا واحد
من المهدد عليه وبه واقع لامحالة بحيث يترتب الثاني على الاول قوله ويجوز ان
يقدر اللام الامر اه عطف على قوله ومفعول قل محذوف اي ويجوز ان لايكون
مفعوله محذوفا بان يجعل يقيموا وينفقوا مجزوما بين بلام الامر المقدرة ويكون
التقدير قل لهم ليقيموا وليتفقوا ليصح كونها مفعولي القول كما تقول قل لزيد
يضرب عمرا بمعنى ليضرب عمرا فانه قد تحذف اللام ويبقى عملها كما تحذف الجار
ويبقى عمله وقد مر ان يقال كيف يجوز حذف لام الامر مع ان اهل اللغة
وضعوا لامر المخاطب صيغة مخصوصة وعينوا اللام للدلالة على ان المامور
ليس بمخاطب فلا يجوز ان يقال يضرب زيد ويراد امر زيد بالضرب لان المعنى
انما يستفاد من الالفاظ الموضوعة للدلالة عليها وعند حذف الدليل كيف
ينتقل الذهن الى المدلول واجاب عنه بقوله وانما حسن ذلك اي انما
حسن حذف لام الامر في هذه الاية مع انه لايحسن حذفه في نحو قول
الشاعر محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من شئ تبالا بريد لتفد
لدلالة قل عليها اي على ان المراد امر الغائب يعني حسن حذف اللام هنا لقيام ما
يقوم مقامها في الدلالة على ان المراد امر غير المخاطب وهو قوله قل فانه امر
للمبلغ الحاضر فهو يدل على ان المامور بقوله ليقيموا وينفقوا غير المخاطب فيكون
قايما مقام اللام في الايذان بان الامر لغير المخاطب فحسن حذف اللام فيه
لذلك وليس في نحو قوله تفد نفسك ما يقوم مقامها فلم يحسن حذف اللام فيه
وفي قوله ويجوز اشارة الى ضعفه لان حذف الجازم وابقاء عمله نادر كحذف الجار
فالمختار هو الوجه الاول وهو ان يكون ليقيموا وينفقوا مجزوما وبين على انها
جواب قوله قل وبدلا على ما مفعوله المحذوف والمعنى قل لهم اقيموا الصلوة
وانفقوا فانكم ان تفعلوا لهم ذلك يقيموا وينفقوا فرطا وعنهم الله اياكم
واضعف الوجوه ان يكون مجزوما وبين على انها جواب اقيموا وانفقوا المحذوفين
والتقدير اقيموا وانفقوا يقيموا وينفقوا ووجه ضعفه ان الاول ان جواب
الشرط لابد ان يخالف نفس الشرط اما في الفعل او في الفاعل او فيهما ولا يجوز كونه

مثل الشرط

٣١٧

مثل الشرط في الفعل والفاعل كقولك قم تقم والتقدير على هذا الوجه ان يقيموا
يقيموا وان ينفقوا ينفقوا ولا وجه له والامر الثاني انها على تقدير كونها جوابا
الامر المقدر يكون من قبيل اسلم يسلم في ان جواب امر المخاطب بلفظ الغيبة
وهو انما يجوز اذا كان فاعل الشرط مضمرا فاعل الجزاء واما اذا اتحدا كما في ما نحن
فيه فلا يجوز ويرد على هذا الوجه ان ما ذكر من عدم الجواز انما هو على تقدير
ان لا يكون امر المواجهة محكيا بالقول كما في قولك اسلم يسلم واما اذا
كان محكيا به كما في فيما نحن فيه فيجوز ان يجاب بلفظ الغيبة كما تقول قل لعبدي
اطعني يطعك قوله اي انفاق سر وعلانية على الاضافة البيانية فان كلا واحد
من السر والعلانية لما كان نوعا من الانفاق جاز وقوعه موقع الانفاق قوله اي
ذوي سر وهو احد التاويلات الثلثة المذكورة في رجل عدل ويجوز فيه
التاويلان الآخران ايضا وهما ان يجعلوا نفس السر والعلانية مبالغة
وان يقام سرا وعلانية مقام مسترين ومعلنين قوله فيبتاع المقصر ما يتدارك
تقصيره اشارة الى فائدة تقييد الانفاق بقوله من قبل ان ياتي يوم يعني
ان المعنى من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق
لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامح اخلاؤكم به اي
تنفقونه وقوله او بذبه بالنصب عطف على قوله يتدارك اي ليس فيه بيع حتى
يتباع ما يعطيه فداء لنفسه فيتخلصها من العذاب وليس فيه مخالة ومصافاة
حتى يشفع خليل لخليله فينجيه من العذاب قوله او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع
فيه بمبايعة ومخالة لما كان اهل الدنيا ينتفعون بالانفاق الواقع في عقد المعاوضات
بان يقطعوا شيئا من المال لياخذوا ما يرغبون فيه عوضا عنه وفي عقد التبرعات
الواقعة بين الاصدقاء على طريق المهاداة بان يقطعوا شيئا على وجه الهدية ليتجروا
بذلك ما هو خير منه وانفع حث الله تعالى على الانفاق لوجه الله تعالى باشعار ان المنفعة
انما تترتب على هذا الانفاق لا على الانفاق الواقع في عقد المعاوضة والمهاداة
فالمنفي بقوله تعالى لا بيع فيه ولا خلال هو غايتها والمنفعة المترتبة عليها فعلى هذا
المقصود من الآية الحث على الانفاق لوجه الله تعالى بتصوير يوم ينفع فيه هذا الانفاق

الواقع في عقد المعاوضة والمهاداة

ولا ينتفع فيه الانفاق الواقع في عقد المبايعة ومهاداة الاخلاء ونفي الانتفاع
في ذلك اليوم بها كناية عن الانتفاع بمقابلها وتحصول المعنى على الوجه الاول
ان الانفاق امر مطلوب في نفسه فليبتدروا به قبل ان يأتي يوم يفوت فيه هذا
المطلوب ولا يدركه الطالب وعلى الثاني ان الانفاق الذي يتصور منكم في الدنيا
يكون على ثلثة اوجه ولا تنتفعون بشيء منها في الآخرة الا بما يكون على الوجه الثالث
والخلال المخالة وهي المصاحبة والصداقة يقال خالّه خلالاً ومخالة وقيل
الخلال جمع خلة كبرمة وبرام فان قيل كيف نفيت المخالة في هذه الآية مع
انتهائها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فالجواب
الآية الدالة على نفي المخالة محمولة على نفي المخالة بسبب ميل الطبيعة ورغبة النفس
والآية الدالة على حصول المخالة محمولة على المخالة بسبب عبودية الله ومحبة
الله ثم انه تعالى لما ذكر احوال السعداء واحوال الاشقياء وكانت معرفة احوالهما
منوطة بمعرفة الصانع بذاته وصفاته ختم وصف احواله بذكر الدلايل
الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وذكر ههنا عشرة انواع من الدلايل
خلق السموات وخلق الارض واخراج الثمرات بسبب انزال الماء من السماء
وتسخير الفلك لتجري في البحر وتسخير الانهار وتسخير الشمس وتسخير القمر
وتسخير الليل وتسخير النهار واعطاء البعض من جميع ما تطلبه قوله وانزل من السماء
ماء فيه قولان الاول ان الماء ينزل من السحاب وسمي السحاب سماء اشتقاقا من
السمو والارتفاع والثاني انه ينزل من نفس السماء وهو بعيد لان الانسان
ربما يكون واقفا على قلة جبل عالٍ ويرى الغيم اسفل منه فاذا نزل من ذلك
الجبل يرى الغيم ماطرا عليه واذا كان هذا مما يشاهد بالبصر كان النزاع فيه
انكارا للمحسوس ولفظ الثمرات يطلق في الاغلب على ما يحصل من الاشجار
ويطلق ايضا على الزروع والنباتات قوله تعيشون به اشارة الى ان الانتفاع
في التعيش معتبر في مفهوم الرزق فان الرزق عند الاشاعرة اسم لما يسوقه
الله تعالى الى الحيوان لينتفع به سواء كان بالتغذي او بغيره مباحا كان او حراما
مملوكا كان او غير مملوك وهذا التفسير اشمل من تفسير بما يسوقه الله

الى الحيوان

قوله من السماء يجوز ان يتعلق بانزل ومن لابتداء الغاية وان يتعلق بمحذوف على انه حال من الثمرات فيما

الى الحيوان ليأكله لاختصاصه بالمأكول ومن تفسيره بما يتغذى به الحيوان لزكم
وخلوه عن معنى الاضافة الى الله مع انه معتبر في مفهوم الرزق وعند المعتزلة
الحرام ليس برزق لانهم فسروه تارة بمملوك يأكله المالك وتارة بما لا يمنع
من الانتفاع به وذلك لا يكون الا حلالا ويلزم على التفسيرين الاولين ان لا يكون
ما يأكله الدواب رزقا وعلى التفسيرين يلزم ان من اكل الحرام طول عمره لم
يرزقه الله تعالى اصلا قوله تجعلون معه انتفاعكم يعني ان اصل التسخير تذليل
الحيوان بجعله منقادا لما يريد منه وهو في غير الحيوان مجاز عن جعله معرضا لان
ينتفع به على حسب مشيئة من يريد الانتفاع به فيصير بذلك كأنه حيوان
مسخر للانتفاع به قوله بدءا بان اي بدأ وبان وبتشديد ان لا يغترّ ان ابدا
في ما يسند اليهما من الافعال يقال دأب فلان في عمله دؤوبا اي جد وتعب
قوله المسؤول عنه في الاولى ازالة الخرق عنه لاجعله بلدا الان هذا في قوله اجعل
هذا البلد آمنا اشارة الى البلد والمشار اليه لابد ان يكون موجودا في وقت
الاشارة وهو وقت الدعاء فيكون البلد به موجودة وقت الدعاء فلا تكون
داخلة تحت الطلب وانما المطلوب صفة الامن فقط كما اذا قلت اجعل هذا الخاتم
حسنا فان المطلوب انما هو صفة الحسن ولا يكون جعل المادة خاتما داخلا
تحت الطلب لانه طلب تحصيل الحاصل واذا قلت اجعل هذا بلدا آمنا يكون
المطلوب البلدية مع صفة الامن فلا يكون هذا اشارة الى بلد بل يكون
اشارة الى موضع معين والمعنى اجعل هذا الموضع بلدا آمنا وطلب
جعله من البلاد الآمنة لا يستلزم ان لا يكون في وقت الدعاء بلدا
بل يجوز ان لا يكون بلدا ويكون المسؤول ان تجعله بلدا موصوفا بالامن
ويجوز ان يكون بلدا والمسؤول مجرد صفة الامن كما يقال كن رجلا فقيها
ويكون المطلوب مجرد الاتصاف بالفقاهة ويكون ذكر رجلا للتصريح بالذات
التي يجري عليها الاسم المشتق وهو فقيها ثم ان كان الدعاء واحدا وعبر عنه
بعبارتين مختلفتين فلا بد ان نحمل ما في سورة البقرة على ما في هذه السورة
ونجعل المطلوب صفة الامن فقط وان تعدد الدعاء يكون اجعل هذا البلد دعاء

في وقت تحقق البلدية وقوله اجعل هذا بلدا آمنا يجوز ان يكون في وقت
عدم تحقق البلدية ويكون المطلوب البلدية مع صفة الامن ويجوز ان يكون
في وقت تحقق البلدية ويكون المطلوب صفة الامن فقط قال صاحب الكشف
في تحقيق المقام اذا قلت اجعل هذا خاتما حسنا فقد اشرت الى / المادة
وسألت ان يشكب منها خاتم حسن واذا قلت اجعل الخاتم حسنا فقد
حدث نحو الحسن دون الخاتمية وذلك لان محط الفائدة هو المفعول
الثاني الكائن بمنزلة الجزء ثم قال وفيه ان المصنف قد فرغ في البقرة هذا
البلد بلدا آمنا فلا يلوح فرق والجواب ان المسؤل البلدية مع الامن
فقوله في التقدير هذا البلد اشارة الى الحاضر في الذهن لا الى الكائن
في الخارج بخلاف ما نحن فيه قوله وقربي واجنبني بقطع الهمزة من اجنب
يقال جنبه شرا واجنبه شرا ثلاثيا ورباعيا وهي لغة نجد وجنبه شرا
مشددا وهي لغة الحجاز قوله وهو بظاهره لا يتناول احفاده اي اولاد
اولاده جمع حافد وهو ولد الولد يعني ان قوله وبني اراد به بنيه من صلبه
لان حضرته لو دخلوا في دعائه عم لما اشرك احد منهم مع ان كفار قريش
كانوا من حضرته ثم انهم كانوا يعبدون الاصنام بناء قال الامام في هذه الاية
اشكال من وجوه احدها ان ابراهيم عليه السلام دعا ربه ان يجعل مكة آمنا
وما قبل الله تعالى دعاءه لان جماعة خربوا الكعبة واغاروا على مكة وثانيها
ان الانبياء عليهم السلام لا يعبدون الوثن البتة واذا كان كذلك فما
الفائدة في قوله واجنبني عن عبادة الاصنام وثالثها من انه طلب من الله تعالى
ان لا يجعل ابناءه من عبدة الاصنام والله تعالى لم يقبل دعاءه لان كفار قريش
كانوا من اولاده ثم انهم كانوا يعبدون الاصنام فان قالوا انهم ما كانوا ابناء
ابراهيم عليه السلام وانما كانوا ابناء ابنائه والدعاء مخصوص بالابناء
فنقول ان كان المراد بقوله وبني ابناءه من صلبه وهم ما كانوا الا اسماعيل
واسحاق وهما كانا من اكابر الانبياء وقد علم ان الانبياء لا يعبدون الصنم
وقد عاد الاشكال فانه ما الفائدة في ذلك الدعاء ثم اجاب عن السؤال الاول من وجهين

الاول

الاول انه نقل ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة ذكر هذا الدعاء والمراد
منه جعل تلك البلدة آمنة من الخراب والثاني هو ان المراد جعل اهلها آمنين
كقوله واسأل القرية اي اهلها وهذا الوجه عليه اكثر المفسرين فان مكة قد اختصت
بمزيد الامن الا يرى ان الخائف وصاحب الجريمة كان اذا التجاء الى مكة أمن وكان
الناس مع شدة العداوة بينهم يتلاقون بمكة فلا يخاف بعضهم بعضا ومن
أمن الوحوش فانهن لا ينفرن اذا كن بمكة ويستوحشن على الناس خارج
مكة فهذا النوع من الامن حاصل في مكة فوجب حمل الدعاء عليه والجواب
عن السؤال الثاني قال الزجاج معناه ثبتني على اجتناب عبادتها كما قال
واجعلنا مسلمين لك اي ثبتنا على الاسلام ثم قال وقائل ان يقول السؤال
باق لانه لما كان من المعلوم انه تعالى يثبت الانبياء عليهم السلام على الاجتناب
عن عبادة الاصنام فما الفائدة في هذا السؤال ثم قال والصحيح عندي في
في الجواب وجهان الاول انه علم وان كان يعلم انه تعالى يعصمهم من عبادة الاصنام
الا انه ذكر ذلك هضما للنفس واظهارا للحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى
في كل المطالب والثاني الصوفية يقولون الشرك نوعان شرك جلي وهو
ما عليه المشركون وشرك خفي وهو تعلق القلب بالوسايط والاسباب
الظاهرة والتوحيد المحض هو ان يقطع العبد نظره عن الوسايط ولا يرى
متوسطا بينه تعالى وبين الممكنات الحادثة فيحتمل ان يكون مراده بقوله واجنبني
وبني ان يعصمه عن هذا الشرك الخفي والله اعلم بمراده والجواب عن السؤال
الثالث من وجوه الاول ما قاله صاحب الكشاف من ان قوله وبني اراد به
بنيه من صلبه والفائدة في هذا الدعاء عين الفائدة التي ذكرناها في واجنبني
والثاني ان بنيه يتناول اولاد اولاده الذين كانوا موجودين في حال الدعاء
ولا شك ان دعوته مجابة فيهم والثالث ما قاله مجاهد من انه لم يعبد احد من ولد
ابراهيم عليه السلام صنما وانما عبدوا الوثن فان الصنم هو التمثال المصور
وما ليس بمصور فهو وثن وكفار قريش ما عبدوا التماثيل وانما كانوا يعبدون
احجارا مخصوصة واشجارا مخصوصة وهذا الجواب ليس بقوي لانه عم لا يجوز

ان يريد بهذا الدعاء الاعبادة غير الله والحق كالصنم في ذلك والرابع ان هذا
الدعاء مختص بالمؤمنين من اولاده والدليل عليه انه قال في آخر الآية تبعني
فانه مني وذلك يدل على ان من لم يتبعه على دينه فانه ليس منه ومن اولاده
والخامس انه عم وان دعى في حق ابناء الصلبية وحفرته الا انه تعالى
اجاب دعاءه في حق البعض دون البعض وذلك لا يوجب تخصيص
الانبياء عليهم السلام وتطبيق قوله تعالى في حق ابراهيم قال انى جاعلك
للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين الى هنا كلام الامام
قوله فانه مني ان بعضي لا يريد ان من في قوله مني تبعيضية وان صرح بلفظ
البعض بل هي اتصالية كما في قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض ولهذا فسر معنى البعضية بقوله لا ينفك عني في امر
الدين ان فكان بذلك كانه بعض مني قوله وفيه دليل على ان كل ذنب قابل
لان يغفره لان هذا الكلام من ابراهيم عليه السلام شفاعة منه في حق
اهل العصيان مطلق بان يغفر لهم ويرحمهم باي وجه كان ولا شك
ان مطلق المعصية يتناول الشرك وما دونه فلو كان مغفرة الشرك مما يستحيل
منه تعالى لما وقعت هذه الشفاعة منه عم كانه يقول فانك تقدر على ان
تغفر وترحم للمشرك مع عظم جرمه فضلا عن سائر العصاة فاسالك ان تغفر
وترحم من لا يكون مغفرتهم ورحمتهم مخالفا لحكمتك وفي الوسيط قال
السدي قوله عم ومن عصاني فانك غفور رحيم معناه ومن عصاني ثم تاب
فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني في ما دون الشرك فانك غفور
رحيم وقال ابن الانباري ويحتمل ان هذا كان قبل ان تعلمه الله انه لا يغفر
الشرك كما استغفر لابيه وقال الامام هذا القول من ابراهيم عم في حق اصحابه
الكبائر ممن آمن منهم لانه في اسقاط عقاب الكفر والشرك لانه عم قال في مقدمة
هذه الاية واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ولما تبرا عن الكفر بهذا التضرع
والدعاء دل ذلك على ان مراده بهذه الاية الشفاعة في حق عصاة من آمن به
وايضا فقد انعقد الاجماع على انه لا يجوز الشفاعة في اسقاط عقاب الكفر

قوله

قد ذكر علما ان ليس مراده الشفاعة في حق المشركين قوله الذي حرمت التعرض له
ذكر لتوصيف البيت بالمحرم ثلثة اوجه مبنى الوجه الاول كون المحرم من التحريم
الذي هو ضد التحليل وصف البيت بكونه محرما مبالغة في توصيفه بحرمة اهانته
والتعرض له بسوء ومبنى الوجهين الاخيرين كونه من التحريم بمعنى المنع تقال
حرمه الشيء واحرمه وحرمه اذا منعه اياه قال تعالى وحرمنا عليه المراضع
فانه ليس من التحريم بمعنى لا يحل له المراضع بل هو بمعنى المنع اي منعناه عن ثدي
الامة فكذا قوله عند بيتك المحرم اي الممنوع عن الخلق حتى لم يقدر احد من
الغزاة والملوك الغلبة عليه او الممنوع منه الطوفان قوله ولو دعا بهذا
الدعاء اول ما قدم جواب عما قال اسكان لخليل اسماعيل بمكة كان قبل بناء
الكعبة فكيف يصح منه ان يقول اسكنت بواد غير ذي زرع توصيف
مراده عند بيتك الذي سيحدث في هذا الوادي فقوله غير ذي زرع توصيف
للوادي باعتبار ما كان عليه وقت قدومه وقوله عند بيتك توصيف له
باعتبار ما سيحدث فيه والشرع في تقرير هذا الجواب بجواز ان يكون دعاؤه
هذا بعد بناء البيت حال كبر اسماعيل عليهما السلام وفي التيسير قيل
ان هذا الدعاء كان بعد بنائه البيت وقيل كان قبل بنائه لكن كان الله تعالى اباان
له موضع البيت فصح اشارته اليه قوله ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع
من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة البلقع الارض القفر التي لا شيء
بها والقفرة مفاعلة لا نبات بها ولا ماء والارتفاق الانتفاع والمرتفق يحتمل ان
يكون مصدرا ميميا بمعنى المنعول اي من كل ما ينتفع به ويحتمل ان يكون بمعنى
محل الانتفاع والحصر المدلول عليه من الاستثناء بعد النفي مستفاد من تقدير
محذوف مؤخر يتعلق به هذا المذكور اي ليقيموا اسكنتهم هذا المكان البلقع
اخبرا او لانه اسكنهم بواد قفر وادمج فيه حاجتهم الى الوافدين واشار بقوله
عند بيتك المحرم ان وجه الايثار انما هو شرف الجوار ثم صرح ثانيا بانه انما آثر
ذلك الموضع ليعمروا حرمه المحرم باقامة الصلوة المعروفة وما تشتمل
عليه من الاذكار والدعوات اوبادائهم العبادات والقربات مطلق وتخصيص

هما

ذكر الامام في جواب السؤال الاول من انه نفى
ان ابراهيم عليه السلام طلب من ربه ان يغفر ذكر هذا الدعاء

الصلوة بالذكر من قبيل الاكتفاء بذكر معظم افراد الطبيعة النوعية عن ذكر الكل
وبنى على اسكانهم فى الوادى المذكور لهذا الغرض فى ذلك الدعاء بقوله فاجعل
افئدة من الناس وتبدل على ان قوله ليقيموا غير متعلق باسكنت المذكور
تخلل ربنا تاسيا بين الفعل ومتعلقه وهذا بين الآن قول المصنف وتكرير
النداء وتوسيطه صريح فى انه متعلق بالمذكور فلا يكون الكلام ح مشتملا على
شئ من طرق الحصر فلا يستفاد الحصر الآ من اسلوب الكلام وسياقه فانه لم
ينو اولا ان يكون اسكانهم فى ذلك الوادى لاجل التوسيع فى اسباب
المعيشة حيث وصف موضع الاسكان بكونه غير ذى زرع ثم لما وصفه بكونه
عند بيت الله المحرم دل ذلك على انه انما اثر ذلك الموضع للاسكان للانقطاع
لعبادة الله تعالى والتبتل اليه والتبرك بشرف جواره بيته ثم انه لما كرر ذكر قوله
ربنا اشعر ذلك بان له كمال الاهتمام بشان المطلوب المدعوله وبجملة ما من
الامور المعللة باسكانه فى الوادى المذكور بقوله ليقيموا دل ذلك على ان
المقصود من الاسكان فيه ليس الا التقرب الى الله تعالى بالاشتغال بالصلوة
الخ هكذا عماد الدين قوله او للابتداء كقولك القلب منى سليم اى القلب الكائن
منى وافئدة كائنة من الناس والمصنف نكر لفظ الناس حيث قال اى افئدة
ناس مع انه فى الآية معرف باللام لان الافئدة فى الآية وصفت منكرة وعلى اراد
تصوير كون القلوب مبتدئة من الناس اضاف الافئدة اليهم ونكر الناس
ليحفظ معنى تنكير افئدة فى الآية فان تنكير المضاف اليه يفيد ما يستفاد من
تنكير المضاف فى مقام الاثبات من البعضية وعدم الاستغراق والعموم
وناس اسم جمع بمعنى افئدة ناس افئدة مما يطلق عليه لفظ ناس وهو بمعنى
قوله افئدة من الناس وان كان لفظ الناس المعرف باللام فى هذا التعبير
محمولا على العموم قوله وقرأ هاهنا افئدة بقلب حصلت الياء بالشباع
كسرة الهمزة وردّ بان الاشباع انما يرتكب لاجل ضرورة الشعر فكيف يحمل
عليه افصح الكلام وقيل ان هشاما انما قرأ بتسهيل الهمزة بين بين وظنها
الراوى زيادة ياء بعد الهمزة وليس بشئ لان الرواة اجل من ان يسند اليهم مثل هذا

وقرئ

وقرئ آفدة على وزن عابدة اما على تقديم الهمزة على الفاء وقلبها الفا او على ان
يكون اسم فاعل من أفِدَ الرجل بالكسر يأفَدُ أفَدًا اى عجل فهو آفِدٌ على فاعِل
اى مستعجل وافد النزّال اى دنا وازف فقوله آفدة على هذا صفة محذوف
اى فاصيل جماعة آفدة يرتحلون اليهم ويتعجلون نحوهم وقرئ أفِدَة على ان
اصلها افدة طرحت الهمزة للتخفيف فصار افدة وان كان الوجه فيه اخراجها
بين بين قيل فيه نظر لان الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها حرف صحيح انما
يكون تخفيفها بنقل حركة الهمزة الى ما قبلها وحذفها كما فى مسئلة وخبء فى
مسئلة وخب ء ولا يجوز جعلها بين بين لانه شبه ساكن واجتماع ساكن
وشبه ساكن كاجتماع ساكنين قوله ويجوز ان يكون من أفِدَ يأفَدُ أفَدًا
منهوآفِدٌ على وزن فعل كزمِن فالمعنى فاجعل جماعة افدة يعجلون نحوهم
قوله تعالى تهوى اليهم مفعول ثان للجعل وقراءة العامة بكسر الواو من هَوِىَ
بفتح الواو يَهْوِى بالكسر هَوِيًّا اى سقط من اعلى الى السفل والمراد ههنا
تسرع اليهم وقيل تحنّ اليهم وقيل تنزع اليهم وقرئ تَهْوِى بفتح الواو
من هَوِىَ بكسر الواو يَهْوَى بفتحها هَوًى اى احبّ وهو يتعدى بنفسه وعدى
بالى لتضمينه معنى تنزع وتميل وقيل بحالة الى زائدة والمعنى تهواهم وقرئ
تهوى بضم التاء وفتح الواو على بناء المفعول من اهوى المنقول من هَوِىَ
اللازم اى يسرع بها اليهم قوله الحمد لله الذى وهب لى على الكبر الآية قاله ابراهيم
عليه السلام فى وقت آخر لا عقيب ما تقدم من الدعاء لان الظاهر انه عليه السلام
بذلك اول ما قدم بها جرواياها وهى ترضعه ووضعها عند البيت واسحق
ما ولد فى ذلك الوقت فقد روى انه عليه السلام وضعها عند البيت وليس بمكة يومئذ
احد ولا ماء وانطلق ابراهيم نحو الشام فتبعته هاجر وقالت يا ابراهيم
تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولا شئ فلم يلتفت
اليها فقالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم غاب ابراهيم
عن نظرها واستقبل البيت ودعا بهؤلاء الدعوات من قوله ربنا انى اسكنت
الى قوله وما يخفى على الله من شئ وآن اشار المصنف بقوله آنفا ولو دعا بهذا

وضع ابرهيم هاجر عند البيت

الدعاء اول ما قدم الا احتمال ان يكون الدعاء ايضا في وقت آخر والله اعلم وكلمة
على في قوله على الكبر يحتمل ان يكون للاستعلاء المجازي اي وهب لي وانا متمكن
على الكبر وان يكون بمعنى مع كما في قوله ان علي ما ترين من كبري اعلم من اين
تؤكل الكتف وهو في موضع الحال من الياء في قوله وهب لي والمعنى وهب لي
وانا كبير وفي حال الكبر كذا في الكشاف ومعنى البيت اني مع ما ترين من كبري
وتغير احوال الحواس مني اعرف الاشياء حق معرفتها لاني جربتها ومارستها
فان قوله اعلم من حيث تؤكل الكتف مثل في التجربة لان المجرب باخذ الكتف
من اعلاه ليجذب اللحم منه وقيل تؤكل من السفلى ليسهل قوله ان ربي لسميع
جواب عما يقال ان ابراهيم دعا ربه وحد على اجابته فكان المناسب ان يقول
ان ربي يجيب الدعاء لانه لا يسمع الدعاء اجابه او لم يجبه
قوله وقد تقدم عذر استغفاره لها وكانا كافرين وهو ان المنع من استغفار
الكافر لا يعلم الا بالتوقيف والعلم لم يجد المنع منه ح فظن كونه جائزا او يحتمل
ان يكون المراد من سؤال المغفرة لها سؤال ما يكون سببا لمغفرتها وهو
الاسلام فانه سبب لصيرورة الانسان اهلا للمغفرة فطلب الشئ طلب
لما يتوقف حصوله عليه وهذا المراد بقول نوح عليه السلام لقومه المشركين
استغفروا ربكم انه كان غفارا فان قيل كيف طلب المغفرة لنفسه وطلبها
بدون سابقة الذنب ولا يصدر الذنب من الانبياء سوى ترك الاولى
ونحوه مما يعلم ان الله تعالى يغفر ذلك منهم فيكون طلبهم المغفرة لانفسهم طلبا
لما علم حصوله واجيب بان المقصود منه الالتجاء الى الله وقطع الطمع الا من فضله
وكرمه ورحمته قوله استعار من القيام على الرجل بان شبه ثبات الحاسب
بقيام القائم على الرجل فاستعير القيام لذلك الثبات ثم اطلق يقوم واريد
يثبت فهي استعارة تبعية كما استعير القيام على الساق لثبات الحرب ويمكن
ان يقال شبه الحساب في الثبات والاستقرار بالقائم على الرجل فاثبت له القيام
على سبيل التخييل فهي استعارة مكنية قرينتها التخييلية فالمجاز
على التقدير بن في المفرد وعلى الثالث في الاسناد والمجاز على الثاني لانه مبني على تقدير

المضاف

المضاف قوله والمراد به تثبيته عم على ما هو عليه جواب عما يرد على قوله ان خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو انه تعالى منزه عن السهو والغفلة وانه عم اعلم
الناس بما يستحيل في حقه تعالى فكيف نهاه الله تعالى نهيا مؤكدا عن الحسبان المذكور
قوله والوعيد عطف على قوله تثبيته اجاب عنه اولا بان المراد من النهي المذكور
تقوية نشاطه على الثبات على ما هو عليه من الاعتقاد الصحيح في حقه تعالى وثانيا
بانه كناية او مجاز في المرتبة الثانية عن التهديد والوعيد بعقوبة الظالمين
على ظلمهم كقوله والله عليم بما تعملون فانه كناية عن المجازاة قوله وقيل انه
تسلية للمظلوم وتهديد للظالم عما ان يكون للخطاب عاما لكل مكلف ولا يختص به
الرسول صلى الله عليه وسلم والا من توهم غفلته فان الناس لا يخلوا عن المظلوم
والظالم فاذا سمع المظلوم ان الله تعالى عالم بما يفعله الظالم وينتقم له كان على
ظلمه والظالم اذا تصور ان الله تعالى عالم بما يفعله ولا بد ان يجازيه على ظلمه ربما ارتدع
عن ظلمه خوفا من العقوبة فقوله تنبيه ولا تحسبن على جميع التقادير دليل على انه لا بد
من وجود يوم للحساب فان اطلاعه على ما يفعله الظالمون يستلزم ان ينتقم للمظلوم
من الظالم والا لزم اما ان يكون راضيا بذلك الظلم او عاجزا عن الانتقام وكل
واحد منهما مستحيل في حقه تعالى فلا بد من البعث والحساب قوله وعن ابن عمر وبالنون
على طريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وقراءة العامة بالتاء على خطاب
اسم الله وقوله تشخص ابصارهم اي لا جل يوم فاللام للعلة وقيل بمعنى الى اي للغاية وتشخص
صفة لليوم وشخوص البصر ارتفاعه وعدم استقراره في مكانه من حد النظر
وقيل بقاؤه مفتوحا بحيث لا يغمض ولا يرتد اليه طرفه الجوهري شخص بالفتح
شخوصا اي ارتفع وشخص بصره فهو شاخص اذا فتح عينيه وجعل لا يطرف
قوله قال زهير كان الرحل منها فوق صعل من الظلمان جؤجؤه هواء الصعل
الصغير الرأس من الرجال والنعام من غير قصر العنق والظلمان جمع ظليم وهو
النعامة والجؤجؤ من الطائر ما فيه صدره يهمز ولا يهمز بصف مطبنة
بالفتح بقوله كان رحل هذا الملطى فوق ظليم اي نعامة لا فوق في قلبه ولا اجراة فان
النعام يضرب به المثل في الجبن قيل لحق الحاج وصفاله بالجبن اشد علي في الحرب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نعما منه تنفر من صغير الصاغر قوله تو مهطعين مقنعي رؤسهم حالان من المضاف
اليه المحذوف اذ التقدير تشخص فيه ابصارهم ويجوز في مقنعي ان يكون حالا من
الضمير في مهطعين فيكون حالا متداخلة واضافة مقنع غير حقيقية فلذلك
وقعت حالا وقوله لا يرتد اليهم في محل النصب على انه حال من الضمير في مقنع والطرف
في الاصل مصدر اطلق هنا على الفاعل وهو العين لقولهم ما فهم عين يطرف والطرف
للجفن ايضا تعالى ما يطبق طرفه اي جفنه على الآخر والطرف ايضا تحريك الجفن ويجوز
ان يكون كل واحد من قوله لا يرتد اليهم طرفهم وقوله وافئدتهم هواء استيفاقا
وان يكون حالا وافرد هواء وان كان خبرا عن جمع لانه في معنى فارغة وخالية ثم انه
تع لما اوعد الظالمين بانه لا تخفى عليه شئ من احوالهم وافعالهم ولكن يؤخرهم
لاجل يوم القيمة الذي من صفته انه تشخص فيه الابصار وكذا وكذا امر رسوله صلى
الله عليه وسلم ان ينذر الناس يوم يأتيهم ذلك العذاب الموعود على ان يوم يأتيهم
مفعول ثان لانذر ولا يجوز ان يكون ظرفا لانذر لان الانذار لا يكون في ذلك اليوم
قوله او اخر آجالهم هذا على تقدير ان يكون المراد باليوم يوم موتهم معذبين بشدة
السكرات وما نالهم بمعاينة ملائكة العذاب وايقنوا بسوء عاقبتهم والاول
على تقدير ان يراد باليوم يوم القيمة قوله على ارادة القول اي القول الجاري من قبلهم
بلسان المقال والمعنى اولم تكونوا قائلين بلسان المقال والحال ما لنا من زوال
وان كان المتبادر من ظاهر العبارة ان يكون المراد من القول قول الله تعالى
او قول الملائكة في جواب قول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب ويكون
المعنى والتقدير فيقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ اولم تكونوا الآن عطف
قوله اوذل عليه حالهم يدل على ان المراد منه القول الجاري من قبلهم كانه قيل اولم تكونوا
اقسمتم بلسان المقال صريحا او بدلالة الحال وشهادة الافعال هذا هو المفهوم
من تقرير الكشاف ويحتمل ان يكون مراد المصنف من قوله على ارادة القول ما ذكرنا انه
المتبادر الى الذهن ويكون قوله اوذل عليه حالهم معطوفا على قوله اقسموا بطرا وفخرا
ويكون مقصوده انه لما حكى عنهم انهم اقسموا على انهم باقون في الدنيا لا يزالون
عنها بالموت ورد ان يقال كيف يقسمون عليه وليسوا بمجانين اجاب عنه بقوله

والعلهم

هذا الكتاب هو الموقوف على مكتبة شيخ الاسلام محمد العمري رحمه الله عليه السلام

ولعلهم اقسموا عليه بطرا وفخرا اوذل عليه حالهم قوله تع وسكنتم في مساكن الذين
عطف على قوله اقسمتم اي اولم تكونوا سكنتم فهو تقريع ثان للذين ظلموا فانهم
لما سكنوا في مساكن من كفر وعصى قبلهم وتبين لهم ما حال بهم بسبب كفرهم وتكذيبهم
الانبياء ولم يعتبروا فقد استوجبوا الذم والتقريع قوله واصل سكن الخ اشارة الى
وجه تعدية سكن تارة بفي كما في هذه الآية وتارة بدونها وقراءة العامة وتبين فعلا
ماضيا وقرئ وتبين بضم النون الاولى والثانية على انه مضارع بين وهو خبر مبتدا محذوف
والجملة حال اي ونحن نبينه وفاعل تبين مضمر لدلالة الكلام عليه اي وتبين لكم حالهم
وخبرهم وهو هلاكهم بطريق الاستيصال وكيف في موضع النصب بفعلنا ولا يجوز
ان يكون جملة الاستفهام فاعلا لتبين لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وايضا الجملة
لا يكون فاعلا قوله اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر فيكون لكم متعلقا بمحذوف وفي محل
النصب على انه حال من الامثال والتقدير ضربنا امثال احوالهم ثابتة لكم والمراد
بالامثال معناه اللغوي وعلى الثاني يكون الامثال مستعارا لصفات ما فعلوا
وما فعل بهم تشبيها لها بالامثال المضروبة في القرابة قوله المبالغ فيه جهدهم
من المبالغة والاهتمام بالمكر مستفاد من اضافة المكر اليهم لان صناديد قريش
لما اشتهروا بشدة الشكيمة والتمادي في الطغيان كان ما اضيف اليهم من المكر المتعلق
بابطال الحق وتقرير الباطل مكرا مبذولا فيه غاية جهدهم ونهاية قدرتهم قوله
ومكتوب عند فعلهم مبني على ان يكون المكر مضافا الى فاعله كالمكر الاول والمعنى
ان مكرهم الذي مكروه مكتوب عند الله وقوله او عند ما بمكرهم به على ان يكون
المصدر مضافا الى مفعوله ومكر الله تعذيبه اياهم وسمي مكرا للمشاكلة قوله
مستوي لازالة الجبال ومعدا لها على ان تكون كلمة ان شرطية حذف جوابها لدلالة
قوله وعند الله مكرهم عليه والتقدير وان كان مكرهم معدا لازالة امثال الجبال
الرواسي وهي المعجزات والآيات فالله تع يجازيهم بمكر هو اعظم من مكرهم قوله
وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها اي للنفي المستفاد منها فان اللام ح هي لام الجحود التي
ينتصب الفعل بعدها باضمار ان لوقوعها بعد كون منفي وخبر كان محذوف عند
البصريين متعلق به هنا اللام والتقدير وما كان مكرهم مريدا لازالة ما هو

ماهو كالجبال من الشرايع والايات الدالة على حقيقتها وهذا ابلغ واكد من ان يقال
ماكان مكرهم تزول منه الجبال لان انتفاء ارادة الفعل اكد من انتفاء نفس الفعل
وهو معنى قوله اللام موكدة لان النافية كما ان قوله ماكان الله مريدا لتعذيبهم
اكد من قولك ماكان الله يعذبهم وعلى تقدير كونها مخففة من الثقيلة يكون اللام
فارقة بين النافية والمخففة ويكون المقصود تعظيم مكرهم لان ما فعل لازالة ماهو كالجبال
الراسية في الثبات والقوة يكون في غاية الشدة والقوة بخلاف ما اذا كانت نافية
فان المعنى ح تحقير مكرهم ببيان انه ماكان مكرهم بحيث يزول منه الشرايع التي هي
كالجبال لانه تع وعد نبيه صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على كل الاديان فكيف يزول
امره الذي هو دين الاسلام بمكرهم فان مكرهم اوهن واضعف من ان يزول
منه الجبال الراسيات التي هي دين محمد صلى الله عليه وسلم ودلايل شريعته وتؤيد
صحة هذا المعنى قوله تع بعد هذه الاية فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان قدر
وعده الظهور عليهم فلا تخلف وعده بمكرهم وقوله تع فلا تحسبن على جميع التقادير
الظاهر انه جواب شرط محذوف اي اذا تقرر ان مكرهم مكتوب عند الله فهو مجازيهم
عليه فلا تحسبن اواذا تقرر ان مكرهم اوهن من ان يزول منه امرك الذي هو اثبت
واقوى من الجبال الراسيات فلا تحسبن قوله مثل قوله انا لننصر رسلنا يعني ان المراد
بالوعد قوله تع في غير هذا الموضع انا لننصر رسلنا وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي
ويحتمل ان يكون المراد به ما بينهم من قوله في هذا الموضع وعند الله مكرهم فانه على كل
التقديرين يدل على انه تع مجازيهم على مكرهم وينصر رسوله عليهم قوله واصله مخلف
رسله وعده لان فعل الاخلاف يتعدى الى مفعولين اولهما الموعود له وهو ههنا
الرسل وحق المفعول ان يقدم على الفاعل اخلفه ما وعد والاخلاف ان ينزل
شيئا ولا يفعله بعد وههنا قدم المفعول الثاني واضيف اليه اسم الفاعل تخفيفا
نحو هذا كاسي اليه اسم جبة زيدا مثل ما تعدى الفعل اليهما لم يبال بالتقديم والتاخير
قوله ابدا اما بانه لا تخلف الوعد اصلا اعترض عليه بانه لما كان رسله مفعولا كان اخلاف
الوعد مقيدا به سواء قدم على الوعد او اخر فلم يكن اخلاف الوعد مطلقا ثم قيد برسله
واجيب بان المفعول الثاني حقه التاخير فلما قدم دل انه اهم والعناية بشانه اتم فالمقصد

الاصلي

الاصلي من الكلام ليس الا نفي اخلاف الوعد والذي سيق له الكلام ليس الا بيان انه
تع ليس من شانه خلف الوعد واما نفي خلف وعد الرسل فهو شيء متفرع على ذلك
لانه لما لم يكن من شان الله تع اخلاف الوعد كان عدم اخلافه وعد من هو خيرته
وصفوة عبيده تابعا له وثابتا بطريق الاولى ونظيره في تقديم المفعول
الثاني على الاول للاهتمام بشانه قوله تع في سورة الانعام وجعلوا لله
شركاء الجن فانه قدم الشركاء ليدل على ان المقصود الاصلي استعظام اتخاذ
الشركاء ونفي شركة الجن تابع لهذا المقصود متفرع عليه قوله قرن بعضهم مع
بعض يعني ان قوله تع مقترنين فيه ثلثة اوجه الاول ان بعض الكفار قرن ببعض
على حسب تجانس ما اكتسبوه من العقايد الزايغة والملكات الباطلة المتجانسة
من حيث الجزاء ايضا يجمع اصحابها فان الجنسية سبب لاجتماع الامور المتجانسة
والثاني قرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة قال تع ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا فهو له قرين والعاشي عن سواء السبيل لما كان يتبع الشيطان ويأتمر
بامره حشر معه مقرونا في سلسلة واحد او مع ما اكتسبه من العقايد الزايغة
والملكات الباطلة التي هي بمنزلة الشيطان بالنسبة اليه في كونها سببا لتاذيه
نفسه منها وخروجها عن الاعتدال اللايق بها والثالث قرنت ايديهم وارجلهم
الى رقابهم بالاغلال اما على الحقيقة واما على ان تكون الايدي والارجل عبارة عن
عن الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء على طريق اطلاق اسماء اسباب
الاكتساب على الامور المكتسبة بتلك الاسباب ويكون مقارنة تلك
الامور الارتكاب عبارة عن مواخذته اياهم بها يقال قرنت الشيء بالشيء
اذا وصلته به وجاء ههنا على التشديد لكثرة او لتلك القوم فان نباء التفعيل
قد يكون لتكثير المفعول نحو فتحت الابواب والاصفاد جمع الصفد وهو القيد
قال عطاء بن يسار سلاسل الحديد والاغلال وكل من شددته شدا وثيقا فقد
صفدته الراغب الصفد والصفاد الغل وجمعه اصفاد وفي الصحاح صفده يصفده
صفدا اي شده واوثقه وكذلك التصفيد والصفاد ما يوثق به الاسير من قيد
وغل والاصفاد القيود وبيت سلامة يدل على انه اطلق الصفاد على ما

يتناول

كل واحد من الغل والقيد فان الغل يوضع على الساعد والعنق والقيد يوضع على
الرجل وظاهر الآية يدل على ان صفاد ا واحدا بعض وجمع تلك الثلث فكانه
نوع من الغل يجمع فيه الرجل واليد ويشدان على العنق وزيد للتمثيل اسم رجل من
قبيلة طي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وسماه صلعم زيدا للخير ومات منصرفه من
عند النبي صلى الله عليه وسلم محموما قوله تع وبرزوا معطوف على قوله تبدل الارض
وهو ماض يراد به الاستقبال كقوله تع ونادى اصحاب النار وقوله مقرنين حال من
المجرمين ان كانت الرؤية بصرية ومفعول ثان لها ان كانت علمية وفي الاصفاد
اما ظرف لغو متعلق بمقرنين اوظرف مستقر متعلق بمحذوف حال من ضمير المجرمين
وقوله سرابيلهم من قطران حال ثانية من المجرمين اوحال من الضمير في مقرنين وكذا قوله
وتغشى وجوههم النار على معنى انها معطوفة على الحال لا انها حال والواو للحال لانه
مضارع مثبت الا ان الاخريين حالان مقدرتان او جملتان مستانفتان
لا محل لهما من الاعراب منقطعتان من حكم الرؤية لان قوله مقرنين بيان لحالهم
في الموقف الى ان يكبت بهم في النار والحالان الاخيرتان لبيان حالهم بعد
دخول النار كان قوله مقرنين حريا من السامع ان يقول واذا كان هذا شانهم
وهم في الموقف فكيف حالهم وهم في جهنم خالدون فاجيب بقوله سرابيلهم
من قطران واوثر الفعل المضارع في قوله وتغشى ولم يجعل جملة اسمية كما
قبله لاستحضار الحال والدلالة على تجدد الغشيان حالا فحالا قوله وجاء
قطران لغتان فيه يعني ان قراءة العامة قطران بفتح القاف وكسر الطاء
وجاء فيه لغتان خير هما احديهما قطران بفتح القاف وسكون الطاء على وزن
سكران والاخرى قطران بكسر القاف وسكون الطاء على وزن عنبر خان
وهو ما يتحلب اي يستخرج من شجر يسمى الابهل والعرعر ايضا فيطبخ
ويطلى به الابل الجرباء ويخرج الجرب بحرته وحدته والسربال القميص
وسربلته فتسربل اي البسته السربال وجمعه سرابيل فلذلك قال
المصنف قمصانهم وهو جمع قميص ويحتمل ان يكون قوله تع سرابيلهم من
قطران استعارة تمثيلية مبنية على تشبيه الهيئة الحاصلة لجوهر النفس

من احاطة

من احاطة الملكات الردية والهيئات القبيحة بها بحيث يترتب على تلك
الاحاطة اغتمام النفس بانواع من الغموم والآلام بالهيئة الحاصلة من سربال
البدن سربالا من القطران بحيث يترتب على ذلك التسربل ما ذكر من
الانواع الاربعة للعذاب ومن لدغ القطران بحرارته وحدته لونه
قوله وعن يعقوب قطران بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء وآن على وزن
رام فيكون قطرآن كلمتين والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني اسم فاعل
من اني يأني اذا اتى تناهى في الحرارة قال تع وبين حميم آن قوله لن تنالوا
اي بحب على قراءة وتغشى بتشديد الشين ان تحمل الكلمة على المضارع بحذف
احدى التائين للتوافق المشهور فيكون تفعل بمعنى فعل نحو تبشر بمعنى
يبشر كما ان غشاه بمعنى غشيه فقوله تتفشاها بمعنى تعلوها وتغطيها قوله
كما تطلع على افئدتهم يعني انه تع خص القلب والوجه بظهور آثار العذاب
فيهما حيث قال في القلب نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وقال
في الوجه وتغشى وجوههم النار لان الحكمة في خلق المكلفين انما هي معرفة
ربهم وخالقهم بمعاينة ما يدل على كمال علمه وقدرته واستعمال المشاعر
والحواس المجتمعة في الرأس والوجه ليؤدي استعمالها الى المعرفة التي موضعها
القلب ليخضعوا لعظمته وكبريائه ويرغبوا في طاعته ومرضاته ويجتنبوا
عن سخطه وعقابه ويفوزوا بذلك بسعادة الدارين فمن اهمل هذه القوى
التي هي اسباب السعادات كلها فجدير بان يكون معظم ما يتعلق به من العذاب
ظاهرا في محال تلك القوى ونظيره قوله تع افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
فان من اصاب وجهه اذى في الدنيا يتقي عنه بيده والمجرمون لما كانت ايديهم
مغلولة الى اعناقهم لا يقدرون على ان يتقوا النار بايديهم فلا جرم يتقونها
بوجوههم قوله ليجزي بفعل بهم ذلك ليجزي يعني ان اللام متعلقة بمحذوف ولما
ورد ان يقال تعذيب المجرمين كيف يصح تعليله بمجازاة كل نفس بما كسبت فان
علة ليست الا مجازاة انفسهم فقط لا مجازاة عامة النفوس اشار الى دفعه
بوجهين الاول ان المراد بكل نفس النفوس المجرمة والثاني ان تعذيب المجرمين

لاجرامهم لما استلزم انابة المطيعين لطاعتهم كان قوله بفعل بهم ذلك متضمنا
للكل واحد من انابة والتعذيب ففيه تعليله عجازا كل نفس على العموم ثم اشار
الاجواز كون اللام في ليجزي متعلقة بقوله وبرزوا الخ لا حاجة الا تخصيص كل
نفس بالمجرمين بل سعين ابقائه وه على عمومه قوله ذكر لهذا البلاغ ثلث
فوائد ذكر المقاصد الثلثة الاولى بقوله وليندروا به وذكر الثانية بقوله
وليعلموا انما هو اله واحد والثالثة بقوله وليذكر واعلم ان النفس الناطقة
لها قوتان قوة نظرية تتكمل بها النفس بمعرفة الموجودات باقسامها التي
هي الواجب لذاته وصفاته وآثاره الممكنة من الجواهر الزاكية والعنصرية
ومعقولات الاعراض القائمة بها حتى تصير النفس بتلك المعرفة عالما آخر
ارتسمت فيه صور جميع الموجودات من اجناسها وانواعها واصنافها مضاهيا
للعالم الكبير الذي تحققت فيها اعيان الموجودات المذكورة واجل هذه
المعارف معرف ذات الواجب بصفات جلاله وجماله وقوة عملية تتمكن
النفس بها على اعمال جوارحها وقواها الظاهرة والباطنة والاستعانة
بها في تحصيل المقاصد الدنيوية والاخروية التي هي الاعمال الصالحة وهي
التي عبر عنها المصنف بالتدرع بلباس التقوى والمراد بالتقوى ههنا
التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك فقوله تع وليعلموا انما هو اله واحد
اشارة الى ما يجري مجرى الرئيس لكمال حال القوة النظرية وقوله وليذكر اولوا
الالباب اشارة الى ما يجري مجرى الرئيس لكمال حال القوة العملية فان غاية
هذا التذكر وفائدته هي الاعراض عن الاعمال الباطلة والاقبال على الاعمال
الصالحة وهذه الايات مشعرة بان التذكر بهذه المواعظ والنصايح يوجب
الوقوف على التوحيد والاقبال على العمل الصالح والوجه فيه ان من سمع هذه
التخويفات والتحذيرات عظم خوفه واشتغل بالنظر والتامل والتفكر
يوصل الى معرفة التوحيد والنبوة والاشتغال بالاعمال الصالحة
واعلم ان هذه الاية الكريمة دالة على ان العقل اشرف ما يتوصل به الى الحق
لان اعز المطالب واكرم المواهب هو هداية الله تع بانزال الكتب وبعثة

الرسل وقد تبين بهذه الاية ان من ينتفع به ويتذكر هم اولوا الالباب فظهر به
ان من لا لب له هو كالبهايم اللهم اجعلنا من المهتدين بنور العقل والمتذكرين
بنصائحك ومواعظك يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين

سورة الحجر مكية الا ها بالاجماع

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قد مر ان فواتح السور يحتمل ان
تكون اسماء لها وان تكون مذكورة على نمط التعديد للتحدي وتقدمه دليل الاعجاز
اما من جهة ان المتحدى به مركب من جنس ما يؤلفون منه كلامهم فلو كان من جنس
كلامهم للمع واعن اتيان مثله فعلى هذا يكون تقدير الكلام المتحدى به مؤلف
من جنس هذه الحروف واما من جهة ان من ياتي بهذه الفواتح امي لم يكتب
ولم يقرا، ولم يخالط اهل المكتب فعلم اسامي حروف المباني من مثله من جملة
المعجزات الخارقة للعادة فعلى هذا لا يكون لها محل من الاعراب والذي يلوح
من تقرير المصنف ان يكون الر اسما لهذه السورة الكريمة ويكون كلاما
مستقلا تقديره هذه الر مثل قولك هذا زيد اي مسمى بزيد ويكون تلك
اشارة الى ما في ضمنها من الايات مرفوعة المحل على الابتداء وايات الكتاب
خبره ووصف الكتاب بكونه كاملا مستفاد من التعريف للجنس فان تعريف
الخبر في مثل زيد الشجاع يفيد الحصر فيدل على ان زيدا لكماله في الشجاعة لا ينبغي
ان يعد احد بجنبه شجاعا فكذا اذا كان الخبر مضافا الى المعرف بلام الجنس
فاذا اخبرت عن آيات هذه السورة بانها ايات السورة فقد افدت ان
آيات هذه السورة بلغت في الكمال الى حيث لا يسوغ ان يوصف ما عداها
بكونها آية السورة وتفصيل الشيء على غير ما وعاه لا يستلزم ان يكون
ما عداه منفصلا بالنسبة اليه حقيقة واذا كان المراد بالقرآن ايضا السورة
يكون عطفه على الكتاب من قبيل عطف الصفات بان يكون الكتاب عبارة
عن السورة الموصوفة بالكمال والقرآن عبارة عن السورة الموصوفة بانها
المعز والمبين والواو المتوسطة بين الصفات تفيد الجمع بينها والمبين من ابان

المتعدي وتنكير قرآن مبين للتفخيم فيرجع المعنى إلى أنه قرآن جامع لفخامة الشأن وغرابة البيان ولما كان في التعريف نوع من الفخامة وفي التنكير نوع آخر وكان الغرض الجمع بينهما عرف الكتاب ونكر القرآن وإن كان الافتتاح بقوله الر للايقاظ وتقدمة دليل الاعجاز فمحتمل أن يكون تلك اشارة إلى ما يعم كما في قولك هذا أخوك فانه نقل عن الزمخشري أن هذا لا يكون اشارة إلا إلى غير الأخ وإن أشير إليه لا يجب أن يكون موجودا حاضرا بل يكفي أن يكون موجودا في ذهنك وجملة تلك آيات الكتاب لا محل لها إن قيل الرُ كلام مستقل وجيء به لمجرد التنبيه والايقاظ وفي محل الرفع على الخبرية إن قيل إن الر مبتدأ، قوله حين عاينوا حال المسلمين اختلف في وقت وداد تهم ذلك والاصح ما قاله الزجاج فانه قال الكافر كلما رأى حالا من أحوال العذاب ورأى حالا من أحوال المسلم ودّ لو كان مسلما وروينا عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيمة واجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لهم ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا في النار فيغضب الله تعالى بفضل رحمته فيأمر بإخراج كل من كان من أهل القبلة من النار فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال الراوي ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقيل وقت وداد تهم حين حلول الموت ونزول ملائكة العذاب فانهم إذا شاهدوا علامات العذاب ودّوا لو كانوا مسلمين وقيل يودون ذلك يوم القيمة إذا اسودت وجوههم وسمعوا الذين آمنوا قالوا اليوم أيها المجرمون قوله وما كافة اعلم أن رب حرف جر يلحقها ما يعلى وجهين أحدهما أن تكون نكرة بمعنى شيء كما في قول الشاعر ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال فكلمة ما فيه اسم بمعنى شيء ونكرة النفوس صفته بحذف العائد والتقدير رب شيء تكرهه النفوس ولعلا

انها اسم لما جاز عود الضمير إليه والوجه الثاني أن تكون كافة تكفّ رب عن العمل ولما صارت مكفوفة عنه تهيأت وصلحت للدخول على ما لم تكن تدخل عليه قبل كونها مكفوفة فان رب حال كونها عاملة انما تدخل على الاسم المفرد ونحوه كقولك رب رجل كريم لقيته ولا تدخل على الفعل فلما دخلت عليها ما هيأتها للدخول على الفعل كما في هذه الآية ثم انهم اتفقوا على ان كلمة رب اذا دخلت على الفعل لا تدخل الا على الماضي كما يقال ربما قصدني عبد الله لانها لتقليل ما يثبت وتخفيفه وقيل هي للتقليل المحقق فلا معنى لدخولها على المستقبل ولا يتنقض ذلك بدخولها على المستقبل في قوله ربما تكره النفوس لما مر من انها داخلة على الاسم النكرة والناعية انما هي فما اذا دخلت على الفعل لكنها تنتقض لهذه الآية حيث دخلت فيها على المستقبل على تقدير كون ما كافة قال الامام قول النحويين انه لا يجوز دخول رب على الفعل المستقبل لا يمكن تصحيحه بالدليل العقلي وانما المرجوع فيه الى النقل والاستعمال ولو انهم وجدوا بيتا مشتملا على هذا الاستعمال لقالوا انه جائز صحيح وكلام الله تعالى اقوى والكل في الاستدلال بالجواز فلم لم يتمسكوا بدخولها على المستقبل في هذه الآية على جوازه ومحته ثم قال اجاب النحويون عن النقض المذكور بوجهين الاول قالوا المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ودّوا والثاني ان كلمة ما في قوله ربما يود الذين كفروا اسم ويود صفته والتقدير رب شيء يوده الذين كفروا قوله ومعنى التقليل فيه جواب عن سؤال مبني على مقدمة وهي انهم اتفقوا على ان رب موضوعة للتقليل وهي في التقليل نظيرة كم في التكثير فاذا قال الرجل ربما زارنا فلان دل بربما على تقليل الزيارة قال الزجاج ومن قال ان رب يعني بها الكثرة فكلامه لما يعرفه اهل اللغة والسؤال المتقرح عليها ان تمني الكافر الاسلام كثير دائم فلا يليق به لفظة ربما التي تفيد التقليل وتقرير الجواب انه لا شك في كثرة وداد تهم الاسلام لكنها صورت بالقلة لكون التقليل ابلغ في التهديد والمعنى ان وداد تهم الاسلام وتمنيهم ذلك لو كانت قليلة بل مرة لوجب مسارعتهم الى الاسلام فكيف اذا كانت كثيرة مستمرة في كل ساعة وقوله فبالحري يستدعي ان يسارعوا

شبكة الألوكة www.alukah.net

والباء زيدت لمكان قولك بحسبك درهم والتقدير بالجر اي للتكليف المذاعة
اليه والفاء في فتكليف جواب شرط محذوف تقديره اذا كنى وداد تهم منهم في المذاعة
الى الاسلام فتكليف لا يسارعون اليه والحال انهم يودون في كل ساعة فان قلت
قوله يودون لا بد له من مفعول فما مفعوله فالجواب انه محذوف اي يودون اسلامهم
فحينئذ يكون كلمة لو في قوله لو كانوا مسلمين امتناعية ويكون جوابها محذوفا فالتقدير
لو كانوا مسلمين لسروا بذلك ويختص اسما هم فيه ويحتمل ان يكون لو مصدرية
لوقوعها بعد فعل دال على معنى التمني فحينئذ يكون المصدر المؤول مفعولا للبود اي
يودون كونهم مسلمين وقد ذكر في شرح الرضي ان كلمة لو في قوله تعالى يودون لو انهم
بادون بمعنى ان المصدرية وليست بشرطية لمجيئها بعد فعل دال على معنى التمني وهذا
على تقدير ان يكون ما كافة واما ان جعلناها نكرة موصوفة فحينئذ يكون مفعول يود
ضميرا محذوفا يعود الى النكرة الموصوفة ويكون لو مع المصدرية مع ما في حيزها
بدلا من ما قوله وقيل تدهشهم اهوال القيمة اي صلف في وجه تقليل وداد ة
الكافر الاسلام ان غلبة الدهشة عليهم تجعلهم مبهوتين متحيرين بحيث
تمنعهم غلبة الحيرة عليهم من تمني الاسلام الا في زمان افاقتهم عما هم فيه من
السكرة والدهشة ومن المعلوم ان زمان افاقتهم في غاية القلة فلا جرم تقل
وداد تهم الاسلام قوله والغيبة في حكاية وداد تهم يعني ان قوله تعالى لو كانوا
مسلمين حكاية لوداد تهم بتقول مقدر والتقدير يود الذين كفروا قائلين لو كانوا
مسلمين فالظاهر ان يقال لو كنا مسلمين لتكون الحكاية مطابقة للمحكي الا
انه جيء بها على لفظ الغيبة ليطابق اللفظ الذي ذكروا به وهو قوله الذين كفروا
واعلم ان قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين الى قوله وما استأخرون
جملة معترضة بين قوله الوتلك آيات الكتاب وقرآن مبين وبين قوله يا ايها
الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فانه تعالى لما بالغ في وصف آيات هذه السورة
الكريمة بما ينبئ عن بلوغها الى اقصى درجات الكمال وحكى عن المشركين انهم بالغوا
في التكذيب حتى قالوا على سبيل خطاب المواجهة يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون
تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ربما يود الذين كفروا والمعنى هذه آن على نفسك فانك

بالغت

بالغت في الارشاد والانذار وهم ايضا افرطوا في التكذيب والانكار فهم قوم جهلة
عديمو الدراية والاعتبار فانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا
اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة واذا كان كذلك فاقطع طمعك عن ازعوانهم
ودعهم عن النهي عما هم عليه من الاغترار بالحظوظ العاجلة وعدم الالتفات
الى ما يؤدي الى سعادات الآخرة واللذة الباقية بل مثل علم بالاكل كما يأكل
الانعام والتمتع فيها انما قلائل فسوف يعلمون سوء صنيعهم قوله وفيه الزام
للحجة اي في قوله ذرهم مع تخصيص الاكل والتمتع بالمشتهيات والتلهي بالامل
بالذكر فان تخلية الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم وبين ما يشتهون وصده عن
انذارهم ودعوتهم الى الحق لا يكون الا عند تكرر الانذار والجحود الى ان حصل اليأس
عن الايمان كما انه قيل قد ابلغت في الانذار والزمت الحجة فذرهم بعد ذلك الى ان يعاينوا
اجزاء اصرارهم وعنادهم فقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ليس امر تكليف بل
هو على طريق التهديد والتوعد والابلاغ في الوعيد والتأكيد كقولك دعه يفعل ما
شاء انه بما تعملون بصير قوله تعالى ويلههم الامل اي يشغلهم ما يأملون من امور
الدنيا عن الاخذ بحظهم من الايمان والطاعة يقال ألهاه الشيء اي شغله
وانساه ثم انه تعالى لما هدد المكذبين المعاندين بقوله فسوف يعلمون بين ان تأخير
العذاب ليس مبنيا على الاهمال بل هو امهال لهم ليبلغوا الاجل المقدر لتعذيبهم
فقال وما اهلكنا من قرية اي من اهل قرية قبل ان يبلغوا اجلهم فهذا الامهال
لا ينبغي ان يغتر به العاقل لان العذاب مدخر وان كل امة له وقت معين لنزوله
لا يتقدم ولا يتأخر قوله والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية لان قوله الا ولها كتاب
استثناء مفرغ من الصفة وتقدير الكلام وما اهلكنا من قرية على صفة الا على صفة
ان لها كتاب معلوم ولا بد في قوة قوله اهلكنا قرية لها كتاب معلوم او وما اهلكنا
قرية ليس لها كتاب ولا شك ان الجملتين الايجابية والسلبية صفتان لقرية قوله والاصل
ان لا تدخلها الواو ومعنى ان القياس ان لا يتوسط العاطف بين الصفة والموصوف
لشدة اتصالها به لكن لما كانت الصفة كالحال في المعنى وان كان بينهما فرق من بعض
الوجوه جاز ان تدخل الواو عليها فلك ان الواو تدخل على الجملة الواقعة حالا لذلك تدخل

شبكة الألوكة www.alukah.net

على الجملة الواقعة صفة لكن ان معنى الحالية لا يتغير اذا قلت جائني زيد عليه ثوب وجائني وعليه ثوب كذلك معنى الوصفية لا يتغير بدخول الواو عليها وعدم دخولها لكن ان الواو الداخلة على الحال انما تدخلها لمجرد الربط كذلك الواو الداخلة على الصفة وذلك لان الاصل في الجملة الواقعة موقع الحال ان لا تدخلها الواو لفوات المقارنة لان حكم الحال حكم الخبر مع صاحبها حكم الخبر عنه والخبر ليس موضعا لدخول الواو وكذا الحال وانما يدخلها لمجرد الربط لا سيما اذا كانت جملة اسمية فانها اشد افتقارا الى الربط فكذا حكم الصفة الا ان الصفة مرتبطة بالموصوف فيكون الواو الثانية تأكيد ذلك الارتباط واعترض على جعل الجملة صفة لقرية بان توسيط الواو بين الصفة والموصوف غير معهود وكذا توسيط كلمة الا بينهما لم يعرف ان احدا من النحاة ذهب اليه جوازا ولا وجوبا وزانها وزان الصفة اذ حقها الواو وأجيب بان من جعلها صفة لقرية ولم يجعلها حالا نظر الى تنكير ذي الحال وهو قرية وليس بشيء اذ يجوز ان يقال عمرها يصح كونها والحال كما في المبتدا نحو ما احد خير منك وهذا المعترض قد تبع صاحب المفتاح حيث قال فالوجه عندي هو ان الواو الخ كتب معلوم حال لقرية كما في حكم الموصوفة اي قرية من القرى لا وصف لها وحمله على الوصف سهو لا خطأ ويجب في السهو قوله لكن لما شابهت صورتها صورة الحال قال المصنف في تفسير قوله تعالى وينقلون سبعة وثامنهم كلبهم ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت انتهى فان قيل لما كان قوله تعالى الا ولها كتاب معلوم صفة لقرية كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فما الفرق بينهما حتى اكد لصوق الصفة بالموصوف في احدهما ولم يؤكد في الاخرى فالجواب ان الوصف المذكور في هذه الاية الصق بالموصوف من الوصف المذكور في قوله الا لها منذرون لان الوصف فيما نحن فيه لازم عقلي وثم لازم عادي جرت عليه سنة الله تعالى فان وجود الحوادث في اي وقت كان على سبيل الاتفاق لا يقتضيه العقل والحكمة بل هما يقتضيان ان يكون لكل حادث وقت مقدر وكتاب معلوم لا يتقدم عليه ولا يتأخر بخلاف لزوم سبق وجود المنذر على الاهلاك

فان لزومه

٣٢٩

فان لزومه لم يجد جريان عادة الله تعالى على ذلك قوله تعالى من امة فاعل تسبق ومن مزيدة للتأكيد وحمل على لفظ امة حيث انث تسبق لاسناده الى امة وافرد الضمير المجرور وانث في قوله اجلها وعلى معناها في قوله وما يستأخرون فجمع وذكر وحذف متعلق يستأخرون تقديره وما يستأخرون عنه للدلالة عليه ورعاية للفواصل قوله لمعشيين اي على سبيل البدل اما الامتناع او التحضيض فان قوله لولا على لهلاكك عمر ليس فيه سوى الامتناع وقوله تعالى لو ما تاتينا ليس فيه سوى التحضيض والفرق بين التحضيضية والامتناعية هو ان التحضيضية لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا كما في قوله تعالى تعدون عقر النيب افضل بمجد بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا او لولا تعقرون الشجاع المتقنع بالات الحاي والامتناعية لا يليها الا الاسم لفظا او تقديرا عند البصريين وفي قوله ما تنزل الملائكة اربع قراءات ما ينزل على لفظ المضارع المعلوم المسند الى ضمير الغائب وتنزل بنونين اولهما مضمومة وثانيهما مفتوحة وكسر الزاي ونصب الملائكة فيها على المفعولية وتنزل بضم التاء وفتح النون والزاي ورفع الملائكة على انه قائم مقام الفاعل وتنزل بفتح التاء والنون والزاي على ان اصله تتنزل فحذفت احدى التائين ورفع الملائكة على الفاعلية وقوله الا بالحق مستثنى مفرغ من اعم عام المصدر اي ما تنزل الملائكة تنزيلا ما الا تنزيلا ملتبسا بالحق وقوله بالحق متعلق بمحذوف منصوب على انه نعت لمصدر محذوف قوله ولا حكمة بي ان يأتيكم بصور لح على ان يكون قولهم لو ما تاتينا بالملائكة بمعنى لو ما تاتينا بهم ليصدقوك فيما تدعيه من الرسالة حتى تزول الشكوك والشبهات في ذلك بشهادتهم عندنا وقوله ولا معاجلتكم بالعقوبة على ان يكون معناه لو ما تاتينا بالملائكة الذين ينزلون علينا بذلك العذاب الذي تخوفنا به على تقدير عدم ايماننا بك كما قالوا ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب قوله وما لهذا الوحي او العذاب عطف على قوله اي بالوجه الذي قدرته فالمعنى على هذا ما تنزل الملائكة الا لاجل تبليغ الوحي او لاجل العذاب الاستيصال وتصديق المدعي والشهادة بصدقه في دعواه ليس شيء منهما فلا تنزل لهم لذلك ولا لزيد عذاب الاستيصال لهذه الامة قوله اذن جواب لهم وجزاء فان اذن اذا يذكر حيث خاطبك احد بشيء

وتريد ان تجيبه فتقول في جواب كلامه اذن يكون كذا كما اذا قال لك انسان
انا اتيك فتقول اذن اكرمك فهو جواب لما قاله واما الجزاء فهو ان مدخوله معلق
بشرط محقق او مقدر كما نحن قلت ههنا ان كان الامر كما ذكرت اكرمك فكذا
ههنا الاية قوله رد لانكارهم واستهزائهم فان الكفرة حين قالوا يا ايها
الذي نزل عليه الذكر فقد انكروا ان ينزل عليه ذكر من ربه واستهزؤا
به حيث نادوه بهذا العنوان زاعمين انه عم غير موصوف به فكانهم قالوا
يا ايها المفتري ان الله تعالى لم ينزل عليك الذكر وهذا الذي تزعم انه من
عند الله ليس منه بل هو من القاء الجن وانك مجنون فرد الله عليهم بقوله
انا نحن نزلنا الذكر واكده من وجوه تصدير الجملة بان وتوسيط ضمير
الفصل بين اسمها وخبرها والتعبير عن المتكلم الواحد بضمير الجمع للتعظيم
والاجلال وبتكرير الاسناد للتقوية للحكم وتقرير وتسمية الجملة فان قيل قد
حصل رد انكارهم واستهزائهم بقوله انا نحن نزلنا الذكر فما وجه اتصال
قوله وانا له لحافظون به اجيب بان اتصاله من قبيل اتصال الدليل بالمدلول
فان حفظ الله تعالى اياه يدل على كونه من عند الله لانه لو كان من عند غيره
لما كان مصونا من الزيادة والنقصان بل مجرد كونه من عند الله تعالى يستلزم
كونه محفوظا ما لم يحفظه الله وبتكفل بحفظه الا يرى انه لم يتفق لشئ من
الكتب مثل هذا الحفظ فانه لا كتاب الا وقد دخله التحريف والتغيير اما
اما في الكثير منه او في القليل فبقي هذا الكتاب مصونا عن جميع جهات
التحريف مع ان دواعي الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على
ابطاله وافساده من اعظم المعجزات وذكر بعض حفظ الله تعالى اياه
وجهين الاول جعله اياه معجزا مبائنا لكلام البشر فان الخلق عجزوا
بذلك عن الزيادة فيه والنقصان لانهم لو زادوا فيه او نقصوا
لتغير نظم القرآن فظهر لكل العقلاء ان هذا ليس من القرآن فصار كونه
معجزا كالخاتمة السور بالمدينة في كونه سببا للحفظ والصيانة والثاني
ما اشار اليه بقوله او نفي تطرق للخلل فانه مصدر معطوف على قوله بان جعلناه

فانه

فانه في تاويل المصدر فانه تعالى ما دام واستمر على ضمان لحفظه لم يتطرق
للخلل اليه وكان ذلك طريقا لحفظه وكلمة ما في قوله كما نفى ان يطعن فيه معجزته
والباء في قوله بانه المنزل له متعلقة واشار به الى بيان المناسبة بين قوله
انا له لحافظون وبين قوله انا نحن نزلنا الذكر ليصح عطف احدهما على الاخر
وهو كون كل واحد من الجملتين متعلقا بالذكر قوله وقيل الضمير في له للنبي صلى
الله عليه وسلم والمعنى وانا لمحمد حافظون وصح ارجاع الضمير اليه لانه لما ذكر
الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه فحسن ارجاع الضمير اليه لكونه امرا
معلوما كما في قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر فان ضمير انزلناه للقرآن
مع انه لم يتقدم ذكره وحسن ذلك لما ذكر فكذا ههنا ثم ان القوم لما اساؤا
في الادب وخاطبوه عم خطاب السفاهة حيث قالوا له انك لمجنون قال الله
تعالى سلي رسوله صلى الله عليه وسلم وقال ان عادة الجهال مع جميع الانبياء
كانت هكذا وكانوا يصبرون على اذى الجهال وسفاهتهم ويستمرون على
الدعوة والانذار فاقتد بهم في ذلك وهو قوله تع ولقد ارسلنا
من قبلك اي ارسلنا من قبلك رسلا الا انه حذف ذكر الرسل لدلالة
الارسال عليه وشيعت الفرقة المتفقة على طريق ومذهب شيعة لكون
بعضهم يشايع بعضا ويتابعه والشيع التباع واحدهم شيعة وشيعة
الرجل اتباعه والاضافة كقوله حق اليقين وجانب الغربي والاصل في الشيع
الاولين والبصريون يؤولون مثله على حذف المضاف اليه اي في شيع الامم
الاولين وجانب المكان الغربي وقوله تع وما ياتيهم من رسول الا كانوا به
يستهزؤن نظيره قوله تع وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فيكون
المستثنى فيه صفة لرسول على ما اختاره المصنف لانه في قوة ان يقال اتاهم
رسول مستهزا به ولم ياتهم رسول غير مستهزا به ويكون حالا من مفعول
ياتيهم على ما اختاره السكاكي والكاف في قوله تع كذلك منصوب المحل على انه
صفة مصدر محذوف او حال منه اي سلكنا الاستهزاء في قلوبهم سلكا
مثل هذا السلك او حال كونه مثل هذا السلك ويحتمل ان يكون مرفوع المحل

قيل شيع الاولين من باب اضافة الموصوف الى صفته

على انه خبر مبتدا محذوف اى الامر كذلك ونسلكه نستانف قوله وقيل للذكر فان
المعتزلة لما ابوا من ارجاع ضمير نسلكه الى الاستهزاء المدلول عليه بقوله يستهزؤن
بناء على ان الاستهزاء بالانبياء كفر وضلال والله تعالى لا يخلق الباطل في قلب
العبد على زعمهم قالوا ان الضمير للذكر واستدلوا عليه بان الضمير في قوله
لا يؤمنون به عائد الى القرآن بالاجماع فوجب ان يكون ضمير نسلكه ايضا عائدا
اليه لانهما ضميران متعاقبان فيجب عودهما الى شئ واحد وايضا قوله
لا يؤمنون به حال من ضمير نسلكه فلو كان ذلك الضمير للاستهزاء لكان المعنى
نسلك الاستهزاء في قلوبهم حالكونهم لا يؤمنون بذلك الاستهزاء
وذلك يوجب التناقض لان الكافر لا بد وان يكون مؤمنا بكفره واستهزائه
والذي لا يؤمن ولا يصدق بالكفر هو المسلم العالم ببطلان الكفر او هو بيان
وتفسير لجملة كذلك نسلكه فينبغي ان يكون المبين مشتملا على ما يشتمل
عليه البيان واجاب المصنف عن وجوه احتجاجهم بان الاصل في الضمائر ان يرجع
الى اقرب المذكورات وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر بعيد وقوله يستهزؤن
قريب والاصل المذكور يقتضي ان يرجع ضمير نسلكه الى الاستهزاء المدلول عليه
باقرب المذكورين ولا مانع من اعتبار هذا الاصل في ضمير نسلكه فقلنا انه
راجع الى الاستهزاء ولما تحقق المانع من اعتبار ذلك الاصل في الضمير الثاني
وهو لزوم التناقض قلنا ان الضمير الثاني يرجع الى الذكر المذكور اولا وتفريق
الضمائر المتعاقبة على الاشياء المختلفة ليس بقليل في القرآن فان تعاقب الضمائر
لا يستلزم عودها الى شئ واحد بل الامر فيه موقوف على الدليل ولما دل الدليل
في هذه الاية على ارجاع الضمير الاول الى الاقرب ورجوع الضمير الثاني الى الا
بعد علمنا بمقتضى الدليل واجاب عن قولهم ان لا يؤمنون به حال من ضمير نسلكه
فلو كان ذلك الضمير للاستهزاء للزم التناقض بقوله ولا يتعين ان يكون
الجملة حالا من الضمير لجواز ان التناقض انما يلزم على تقدير كون ضمير نسلكه
للاستهزاء وكون الجملة حالا عنه وذلك غير لازم لجواز ان تكون حالا من المجرمين
بل ويجوز ان لا يكون لها محل من الاعراب بان تكون جملة مستانفة لبيان حالهم

جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب

يدخول

يدخول الاستهزاء في قلوبهم ويكون المعنى لا يؤمنون بسببه واجاب عن قولهم كون
كون الجملة انشائية بيانا للاولى يستدعي ان يكون ضمير نسلكه للذكر وبيانا في كونه
للاستهزاء بقوله ولا بيانا في كونه مفسرة للمعنى الاول بل يتوجه فان تمكن الاستهزاء
بالرسل في القلب جبارة عن الامتناع عن الايمان بهم بسبب ذلك الاستهزاء
فيصلح ان يكون لا يؤمنون به تفسيرا لقوله كذلك نسلكه الاستهزاء في قلوبهم قوله
والمعنى نبأنا رجالا فيهم جواب عما يقال الاصل في فعل الارسال ان يتعدى بالى
فينبغي ان يقال ولقد ارسلنا من قبلك الى شيع الاولين فكيف عدي بكلمة في
ويكفي في الجواب ان يقال عدي بفي لتضمين ارسلنا معنى نبأنا الا انه زاد قوله رجالا
للاشتمال لان مفعول ارسلنا محذوف تقديره ارسلنا رسلا فيهم وزاد قوله
وجعلنا هم رسلا فيما بينهم اتماما لمعنى ارسال الرسل لما تقرر من ان الرسول
من له معجزة باهرة وكتاب سماوي والنبي صاحب المعجزة فقط وليس له كتاب سماوي
فلو اقتصر على قوله نبأنا رجالا فيهم لكان المذكور بعض معنى ارسلنا وهو بصدد
بيان تمام معناه فدل بقوله نبأنا هم فيما اعطيناهم المعجزة وبقوله وجعلنا هم
رسلا فيما بينهم على ما صيرناهم صاحب كتاب وشريعة مستقلة والفائدة
في ارتكاب ما يحوج الى اعتبار التضمين الاعلام بمزيد تمكن الرسل واستقرارهم
فيما بين الامم قوله بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم قدم هذا المعنى لكونه اكثر ارتباطا
بما ذكر قبله وعلى المعنى الثاني يكون تهديدا لكفار مكة قوله عليا هؤلاء المقترحين
من كفار مكة فانه تعالى حكى عنهم توغلهم في الكفر والعناد بقولهم وقالوا يا ايها الذي
نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين
وقد حكى الله تعالى في مواضع اخر انهم كانوا يقترحون الآيات ويعلقون
اسلامهم على مجيئها نحو قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن
بها فكان المسلمون يظنون انهم صادقون مسترشدون في ذلك الاقتراح فكانوا
يشفعون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسأل ربه من الله تعالى ان يعطيه الآيات
التي سألوها لعلهم يؤمنون فبين الله تعالى انهم في ذلك الاقتراح متعنتون
غير مسترشدين حتى لو فتحنا عليهم بابا من السماء لاصروا على العناد والمكابرة

فلا تلتفتوا الى قولهم لو ما تاتينا بالملائكة ونظائره قوله تعالى ولو نزلنا عليك
كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
وقوله قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون
قوله تعالى فظلوا من الافعال الناقصة واسمه مستتر فيه راجع الى الكفار
المفتح لهم الباب وقيل راجع الى الملائكة وقد اشار اليه المصنف بقوله
او يصعدون الملائكة فالمعنى لو كشف لهؤلاء عن ابصارهم حتى عاينوا بابا
في السماء مفتوحا فظلوا الملائكة ينزلون منه ويصعدون فان الصعود لا يكون
بدون النزول فكان ذكره ذكرا لهما فوائد كل الى انهم سحروا ولاجل
كفرهم ولم يؤمنوا فعلى هذا يكون النظم من قبيل ما تعاقب فيه الضمائر
مع اختلاف المرجع المرجع اليه والظلول فعل الشيء نهارا يقال ظل يفعل كذا
اذا فعله بالنهار وبات يفعل كذا اذا فعله بالليل فقوله ظلوا فيه يعرجون عطف
يصعدون في بيان وقت النهار ليكونوا مستوضحين لما يرون قوله سكرت من
الابصار من السكر بفتح السين وسكون الكاف وهو مصدر سكرت النهر
اسكر اذا سددته وهو من باب نصر والسكر بالكسر العرم والسكر بضم
السين وسكون الكاف اسم للسكر من الشراب وفعله من باب علم يقال
سكر يسكر سكرا مثل بطر يبطر بطرا وهذا لازم والاول متعد فيكون بناء
التفعيل في الاول للتكثير وفي الثاني للتعدية وقرأ ابن كثير سكرت بتخفيف
الكاف وبناء المفعول وباقي السبعة قرؤا على بناء المفعول ايضا الا انهم
شددوا الكاف والفعل على قراءة الجمع من السكر بمعنى الستر بشهادة قراءة
ابن كثير فانه لو لم يكن من السكر المتعدي لما بني الفعل للمفعول وذلك يدل على
انه في باقي القراءات ايضا من المتعدي وان التضعيف للتكثير قوله او حيرت
من السكر بالضم عطف على قوله سدت فعلى هذا يكون التضعيف للتعدية قوله
وفي كلتي اللفظ والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له اما دلالة كلمة
اللفظ عليه فلانها تدل على ان سكرا تعلق بنا تسكيره وحيرتنا الا ان ذلك التسكير
والتحيير لم يتعلق الا بابصارنا ولم يتعلق بعقولنا فنحن وان تخيل في ابصارنا

من الاشياء لكن نعلم بعقولنا ان الحال بخلافه ولا يخفى ان هذا بيان بان ما يرونه
لا حقيقة له واما دلالة كلمة الاضراب عليه فلانهم لما اضربوا عن الطعن في الابصار
وقالوا بل نحن قوم سحرت ابصارنا حيرت عقولنا وان سحر السحرة كما حيرت ابصارنا حيرت عقولنا
ايضا فقد حكموا بانه كما لا اعتماد على شهادة حواسهم لا اعتماد ايضا على شهادة
عقولهم لكون الكل حيرى بسكرى فهو بين بان ما يرونه بابصارهم ويحكمون به
بعقولهم امور ممتهنة لا حقيقة لها قال الامام فان قيل كيف يجوز في الحكمة
العقلية ان يصير واشاكن في وجود ما يشاهدونه بالعين السليمة في النهار
الواضح ولو جاز حصول الشك في ذلك كانت السفسطة لازمة ولا يبقى حينئذ
اعتماد على الحس والمشاهدة ثم قال واجاب عنه القاضي بانه تعالى ما وصفهم
بالشك فيما يبصرونه وانما وصفهم بانهم يقولون هذا القول وقد يجوز ان يعلم
الانسان على الكذب على سبيل العناد والمكابرة وقال بعضهم ثم سائل
نفسه افيصح من الجمع العظيم ان يظهروا الشك في المشاهدات واجاب بانه
يصح ذلك اذا جمعهم غرض معتبر من المواطاة على دفع حجة او غلبة خصم وايضا
فهذه الحكاية انما وقعت عن قوم مخصوصين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزال الملائكة وهم رؤساء القوم وكانوا قليلي العدد واقدام العدد القليل
على ما يجري مجرى المكابرة جائز قوله مختلفة الهيئات والخواص الشان الى
وجه دلالة جعل السماء ذات البروج على وجود الفاعل المختار وكمال قدرته
وعلمه فانه تعالى لما اجاب عن شبهة منكري النبوة وبين تورطهم في المكابرة
والعناد وقد تقرر ان القول بالنبوة متفرع على القول بالتوحيد اتبع ما يدل
على حقية امر النبوة بذكر دلائل التوحيد فبدا بذكر الدلائل السماوية
فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا الآية واصل البرج للحصن والقصر قال تعالى
ولو كنتم في بروج مشيدة اي ابنية عالية قيل لها البروج لظهورها من بعيد
فان اصل البروج الظهور ومنه قوله تعالى غير متبرجات بزينة اي غير ظاهرات
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد ببروج السماء منازل الشمس
والقمر فانه تعالى جعل لكل واحد منهما منازل لا ينزل في كل ليلة في منزل على حدة وقيل

هي النجوم الكبار وقيل يحتمل ان يكون المراد بها مطالع الشمس والقمر والنجوم
ومغاربها وقيل ان البروج اثنى عشر واسماؤها للحمل والثور والجوزاء والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت
قوله المعتبرين المستدلين فان ما يقع في العين منظرا لا يتفكر الناظر فيه ولا ينظر
اليه فرتبها الله تعالى ليحملهم ذلك على النظر اليها والتفكر فيها فيعلموا ان ذلك تدبير
العزيز العليم حيث دبر نظام العالم على احسن تقويم وجعل منافع السماء متصلة
بمنافع الارض مع بعد ما بينهما قوله بدل من كل شيطان اي الا من استرق فيقبل
فيه نظر لان النحاة قدروا ان المستثنى بالا لغير الصفة اذا وقع في كلام موجب
تام يجب نصبه ويمتنع البدل لاقتضائه فساد المعنى لان المبدل منه في حكم الساقط
فيكون تقدير جائني القوم الا زيدا مثلا جائني الا زيد ويفهم منه ان مجيئ اليه
جميع العالم غير زيد وهو معنى فاسد واجيب عنه بان قوله تعالى وحفظناها من كل
شيطان في معنى النفي كانه قيل لا يغربها شيطان الا من استرق ولو قيل انه
في محل النصب على انه مستثنى متصل لان من استرق من جنس الشيطان والمعنى
انا حفظناها من قرب كل شيطان الا من استرق السمع فانا لم نحفظها من قربه
لم يتوجه النظر المذكور ولم يحتج في دفعه الى تكلف فان المستثنى من كلام تام
موجب يجب نصبه على الاستثناء بالاتفاق ومن جعله منقطعا لعله نظر الى ان
قوله وحفظناها معناه انا حفظناها من دخول الشيطان لان قربه آياها وان من
استرق السمع ممنوع من دخول السماء فاسترقة السمع لا يخرج السماء عن كونها
محفوظة من دخول الشيطان فلا يحتج الا ستثناء الا على سبيل الانقطاع قال الامام
فان قيل ما معنى قوله او حفظناها من كل شيطان والشيطان لا قدرة له على هدم
السماء فلا حاجة الى حفظ السماء منه واجاب بانه تعالى لما منعه من القرب منها فقد
حفظ السماء من مقاربة الشياطين فيكون حفظ الله تعالى السماء منهم كما نحفظ
منازلنا من يتجسس ونخشى منه الفساد قوله واستراق السمع اختلاسه يقال
استرقت السمع اي تغفلت قوما حتى يسمعت حديثهم وهم لا يعلمون
نقل الامام عن ابن عباس انه قال في قوله الا من استرق السمع يريد به الخطفة اليسيرة

وذلك

وذلك ان المارد من الشيطان يعلو فيرمى بالشهاب فيحرقه ويقتله ومنهم من
يخبله الشهاب اي يفسد فيصير ذلك الشيطان غولا فيضل الناس في البراري
وقال الامام ابو الليث كان الشيطان المارد منهم يصعد ويكون الاخر اسفل
منه فاذا سمع قال للذي اسفل منه قد كان من الامر كذا وكذا فيهرب الاسفل
ويرمى الذي استمع بالشهاب ويأتي الذي هو اسفل بالامر الذي سمع
الى كهنتهم فذلك قوله الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين اي تبعه
ولحقه شعلة نار ساطعة اي مرتفعة لا يخطئه الشهاب ان يصيبه فاما ان
يأتي على نفسه واما ان يخبله حتى لا يعود الى الاستماع الى السماء والمعنى
جعل استراق السمع استعارة لاستلاب الشياطين من سكان
السموات امورا يسيرة من غير توسيط حاسة السمع اصلا بل اما تبلغي
الشياطين منهم تلقيا معنويا بانا على ما بينهما من المناسبة في الجوهر
واما بطريق الاستدلال باوضاع الكواكب وحركاتها قوله في الارض او
فيها وفي الجبال قدم الاحمال الاول لان انواع النبات المنتفع انما تتولد
في الارض واما الفواكه الجبلية فليست بكثيرة النفع وقيل رجوع الضمير الى الجبال
الرواسي اولى لان المعادن انما تولد في الجبال والاشياء الموزونة في العرف
والعادة من المعادن لا النبات قال الكلبي وابن شنا في الجبال من كل شيء موزون
وهو الاجساد السبعة وغيرها كالذهب والفضة والنحاس قوله وقرئ بالهمز
يعني ان الاصل في لفظ معايش ان يتلفظ بياء صريحة لكونها بازاء اصلية بمنزلة
الصاد من مناصر لكون الكلمة من العيش بخلاف نحو الشمائل والخبائث فان
تصريح الياء فيها خطاء والصواب الهمز لان الهمز فيها زائدة لبناء فعائل
كما في نحو قبيلة وقبائل وسحابة وسحائب وحمالة وحمائل فمن قرأ معائش
بالهمز فوجه قراءته تشبيه الكلمة بالشمائل قوله او على محل لكم وهو النصب
لانه مفعول به كانه قيل جعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين لكن حذف
الجار واوصل الفعل واما قال على محل لكم لانه لا يجوز العطف على لفظ الضمير لما تقرر
في النحو من انه لا يجوز العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار في حال السعة

والاختيار عند البصريين ويجوز تركه لا عادة حال الفعل ون كما في قوله فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب وآجاز الكوفيون تركه لا عادة في حال السعة بقوله تعالى ولون به والارحام بالجر في قراءة حمزة اذا تقرر هذا فتظهر الفرق بين العطف على الضمير المجرور والعطف على محل مجموع الجار والمجرور الذي يجوز البصريون في حال السعة هذا الاول دون الثاني قوله وسايرما يظنونهم انهم سرقوتهم اشارة الى ان كلمة من يراد بها ما يعم العقلاء وغيرهم من الدواب المنتفع بها على سبيل تغليب العقلاء على غيرهم قوله اي ما من شيء يعني ان كلمة ان نافية ومن مزيدة في المبتدا وعندنا خبره وخزائنه فاعل للظرف لاعتماده على المبتدا ويجوز ان يكون خزائنه مبتدا ثانيا وعندنا خبره قدم عليه والجملة خبر للمبتدا الاول والخزائن جمع خزانة كما انه وحائل وهي اسم للمكان الذي تخزن فيه الاشياء اي تحفظ فان كان تحصل المعنى ما من شيء من الممكنات الغير المتناهية الا وخزائنه عندنا يكون للخزائن استعارة تصريحية للقدرة تشبيه اقتدار على ايجاد الممكنات باسرها بالخزانة فاطلق عليه اسم الخزانة وجمع مع ان قدرة الله تعالى لا تتعدد فيها فضلا عن القدرة المتعلقة لكل واحد من الاشياء المقدورة اينما بان كثرة ما عند الله تعالى من القدرة ليست باعتبار كثرة ما وجد من تلك الاشياء المقدورة فقط بل بجمع تعلقها باضعاف ما وجد منه كما اشار اليه بقوله وفائدة العدول الى المجاز الايذان بان مقدورات الله تعالى كانها حاصلة موجودة بالفعل ومن الفائدة لا تحصل بان يقال وان من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه وان كان تحصل المعنى ما من شيء من الاشياء المقدورة الا وهو مخزونة عندنا كان من قبيل التشبيه البليغ حيث شبه مقدورات بالاشياء المخزونة والجامع عدم الاحتياج في اظهارها الى كلفة واجتهاد والبقاع ما ارتفع من الارض واضافة المبقع الى القدرة بيانية والماكان تنزل الشيء عبارة عن تحريكه من اعلى الى اسفل شبه القدرة بالارض المرتفعة واشار به الى ان قوله وما ننزله ترشيح للاستعارة الخزانة للقدرة لكون التنزيل مما يلايم المستعار منه قوله لواقح حال مقدرة من الرياح ثم فعل اللواقح

جمع

جمع ملقح لانه من القح يلقح فهو ملقح فحذفه ملاقح بمنزلة القحت الريح السحاب كما يقال القح الفحل الانثى اذا القى الماء فيها فحاملة فكذلك الرياح جارية مجرى الفحل للسحاب وكونه لواقح جمع ملقح من النوادر ونظيره كون الطوابح جمع مطبحة او مطرحة بمنزلة طاح يطوح ويطيح اي هلك وكذلك اذا زاله في الارض واطاح وطوحه اي نوحه وذهب به ههنا وههنا فتطوح في البلاد اي تحير ورمى بنفسه ههنا وههنا والمطاوح المغاذف وطوحته الطوابح فزفته القواذف ولا بمنزلة المطرحات والمطيحات فكذا بمنزلة لواقح ولا بمنزلة ملاقح قال ليبيك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوابح وقيل اللواقح جمع لاقح بمعنى حامل يقال لقحت الريح اذا حملت الماء قال الازهري لواقح اي حوامل تحمل السحاب والماء قال تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اي حملت فعلى هذا تكون الريح لاقحة اي حاملة تحمل السحاب والماء حقيقة وتشبه الحامل التي تحمل الجنين فسميت باسمها فتقبل لها لاقحة والمصنف قدم هذا الاحتمال لما فيه ابقاء لفظ اللواقح على ظاهره حيث جعلت الرياح لواقح في انفسها لا ملقحات لغيرها مع ان ضد هذه الرياح العقيم وهي التي لا تحمل الماء وهو يرجح ان تكون اللواقح على ظاهرها وهو كونها بمعنى الحوامل قوله فجعلناه لكم سقيا اي جعلنا لكم ماء المطر معدا للسقي انفسكم وانعامكم ومواشيكم هذا على قول من فرق بين سقاه واسقاه فقال سقاه اذا اعطاه ما يشرب به في الحال فيسكن به عطشه واسقاه اذا جعل له شربا يتمكن من الانتفاع زمانا وقيل هما لغتان بمعنى قوله وذكر ايضا يدل على المدبر لكم اي حمل قوله تم استقيناكموه على معنى وجعلناه مخزونا محفوظا معدا لانتفاعكم به زمانا وما انتم له بخازنين بدل على وجود المدبر لكم كما دل عليه حمل على معنى انا دبرنا لصلاح احوالكم والنظام امر معاشكم هذا التدبير العجيب حيث تزوننا نخلق الماء في السماء وانزاله منها وجعله لكم سقيا ترجعون اليه كلما احتجتم الى الماء وما انتم قادرين على شيء منها وقوله فان طبيعة الماء يقتضي الغور الخ علة لدلالته على ما ذكر وقوله كما يدل حركة الهواء الخ معترضة بين العلة والحكم المعلل بها والمقصود بيان ان فذلكة قوله تعالى

شبكة الألوكة www.alukah.net

وارسلنا الرياح لواقح الاية مثل فذلكه الاية المتقدمة على اى معنى من المعنيين
المذكورين حملت قوله وما انتم له بخازنين قوله وقد اول للحيوان عايم للحيوان
والنبات اى قوله نحن منهم من حمله على القدر المشترك بين احياء الحيوان
والنبات ومنهم من يقول وصف النبات بالاحياء مجاز فوجب تخصيصه
باحياء الحيوان واياما كان تصلح الاية دليلا على وجود الاله الفاعل المختار
لما ثبت بالدلايل العقلية انه لا قدرة على خلق الحيوان بالمعنى الاعم المتحقق
في الحيوان والنبات ولا بالمعنى المختص للحيوان الا الله القادر على كل شئ
قوله وتكرير الضمير للدلالة على الحصر وهكذا لان قوله لان قوله تعالى نحن نحيي
قبيل قولك انا قمت من حيث ان نحن مبتدا ونحيي خبره والجملة خبر قوله
انا وقد تقرر في علم المعاني ان تقديم المسند اليه يفيد الاختصاص بشرطين
الاول ان يجوز تقديره كونه في الاصل مؤخرا على انه فاعل معنى فقط وان كان في
اللفظ تاكيدا للفاعل والثاني ان يقدر ذلك وان لم يوجد الشرطان لا يفيد
التقديم الا تقوى الحكم وقد وجد الشرطان ههنا اما الاول فظاهر واما الثاني
فلكون الاية سوقة لتقرير دليل اثبات الصانع وذلك يقتضي اعتبار الحصر
والتخصيص وما يتوقف اعتباره عليه ويحتمل ان يكون نحن تاكيدا للاسم ان
ونحيي خبرها وذلك لا يمنع تحقق الشرطين ايضا كما لا يخفى ولا يجوز ان يكون
نحن فصلا لان ضمير الفصل لا يكون الا بين الاسمين ونحن ههنا لم يقع بين
الاسمين قال ابو البقاء نحن ههنا هنا لا يكون فصلا لوجهين احدهما ان
ما بعدها فعلا والثاني ان اللام معها انتهى كلامه والوجه الثاني غلط فان لام التاكيد
لا يمتنع دخولها على ضمير الفصل نص النحاة على ذلك ومنه قوله تعالى ان هذا لهو
القصص جوزوا فيه ان يكون هو ضمير فصل مع اقترانه باللام قوله الباقون
اذا مات الخلايق كلها يعني ان الوارث من يخلف الميت ويقوم مقامه في تملك
تركته بعد موته وهو مستحيل في حقه تعالى لانه تعالى مالك للموجودات بالسرمدية اصالة
لا خلافة فوجب جعله مستعارا لمعنى الباقي بعد هلاك الخلق تشبيها له تعالى بوارث
الميت في بقائه بعد فنائه ومنه قوله عم في دعائه وجعله الوارث منا وآله

اللهم

اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا وجعله الوارث منا قيل ضمير
اجعله راجع الى السوابق باعتبار المذكور والمعنى اجعلها سالمة لازمة معنا الى
الموت فبولغ فيه وقيل اجعلها كانها تبقى بعدنا لان الوارث يبقى بعد المورث
وقيل الضمير يرجع الى التمتع المدلول عليه بقوله متعنا اى اجعل التمتع بما ذكر
كانه الوارث لما انحل من القوى النفسانية عند الكبر والباقي بعد زوالها دون
انه عم ما كان يقوم من مجلس حتى يدعو بهذا الدعوات لاصحابه رضوان
الله تعالى عليهم اجمعين قوله تضعيف صلى يقال صل اللحم يصل بالكسر صلولا
اى انتن مطبوخا كان او نيئا والحمأ الطين الاسود وكذلك الحماة بالكسر
يقال حميت البئر حما بالتحريك اى كثرت حمأتها والحمأ المسنون المتغير المنتن
وسنة الوجه صورته قال ذو الرمة تريك سنة وجه غير مقرفة ملسا ليس
بها خال ولا ندب والمسنون المصور على صورة ومثال وقد سنثته السنة
سنا اذا صورته وسنثت التراب صببته على وجه الارض صبا سهلا
حتى صار كالمسناة الكل من الصحاح عن ابن عباس انه تعالى خلق آدم من اديم الارض
فالقى على الارض حتى صار طينا لازبا وهو الطين الملتزق ثم تركه حتى صار حمأ
مسنونا وهو المنتن ثم خلقه الله تعالى بيده وكان اربعين يوما مصورا
حتى يبس وصار صلصالا كالفخار اذا ضرب عليه صلصل ومن في قوله
من صلصال لابتداء الغاية او للتبعيض ومن الاية ايضا سوقة لاثبات
الصانع وكمال قدرته فانه قد ثبت بالدلايل القاطعة انه يمتنع القول بوجود
حوادث لا اول لها بل يجب انتهاء الحوادث لاحادث هو اول الحوادث
فلزم من ذلك ان ينتهي الناس الى انسان هو اول الناس فذلك الانسان
لا يكون مخلوقا من الابوين فيكون مخلوقا لا محالة بقدرة الله تعالى فقوله تعالى
ولقد خلقنا الانسان اشارة الى ذلك الانسان الاول وقد اجمع المفسرون
على ان المراد منه آدم عليه السلام وقد دل قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل
آدم خلقه من تراب على انه تعالى خلق آدم من تراب ودلت آية اخرى على انه هو مخلوق
من طين وهي قوله تعالى اني خالق بشرا من طين وجاء في هذه الاية انه هو مخلوق من صلصال

كائن من حمأ مسنون وقال في موضع آخر انا خلقناهم من طين لازب اي لازم وهو
الملتزق والظاهر ان ليس المراد انه تعالى خلقه من هذه المذكورات المتحدة في
حالة واحدة لقيام التنافي بين هذه الاوصاف في شئ واحد في زمان واحد فيشبه
ان يكون المراد ان كل واحد من هذه المذكورات مبدأ لخلق آدم عليه السلام
على اختلاف الاحوال والاوقات بان يكون مبدأ التكوين في اول الحال ترابا وفي
حال آخر صار طينا لازبا وفي حال آخر صار حمأ مسنونا وهو الذي اسود وتغير
لطول مكثه وفي حال آخر صار صلصالا كالفخار فقيل ان يخلق فيه اللحم والعظم
وركب فيه الجوارح والاعضاء كان على هذه الاحوال المذكورة على ما اخبر الله تعالى
من تغير احوال اولاده حيث قال فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة
ثم من مضغة وكذا ان اولاده كان على هذه الاحوال قبل ان يخلق فيهم لحما
وعظما فاذكر في حق آدم عليه السلام من انه خلق من تراب وطين لازم وحمأ
مسنون وصلصال يحمل على ما ذكر في اولاده قال المفسرون خلق الله آدم من
طين فصوره وتركه في الشمس اربعين سنة فصار صلصالا لا يدري احد ما
يراد منه ولم ير شيأ من الصور شبهه الى ان نفخ فيه الروح وحقيقة
كلامهم انه تعالى خلق آدم من طين على صورة الانسان مجوفا فكانت الريح
اذا مرت به يسمع له صلصلة ولذلك سماه الله تعالى صلصالا وهو الطين
اليابس الذي يتصلصل اي يصوت وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار
قوله والجان ابا الجن قال عامة المفسرين الجان ابو الجن كما ان ابليس ابو الشياطين
سمي جانا لتواريه عن الاعين يقال جن الشئ اذا استتر فالجان يستر نفسه
عن اعين بني آدم قوله من نار الحر الشديد الظاهر ان المراد بالحر الشديد حر النار
وان المراد من حر النار لهب النار الذي لا دخان له كما انه قيل من نار اللهب الشديد
الحر وقوله انا قدرنا في المام اشارة الى صفاء ذلك اللهب وخلوه عن الدخان
فلما كان من طبع لهب النار العلو والارتفاع ومن طبع التراب التنزل
والسفل كان خلق ما خلق من كل واحد منهما مناسبا لما دونه فقيل السموم اسم من
اسماء جهنم اجاره الله تعالى انه خلق للجان من نار جهنم وقيل السموم لهب النار

وليس

وليس له دخان وهو المارج من نار وقيل السموم حر النار كانه اراد لهبها وقيل السموم
الريح الحارة التي تقتل قال آلكلبي هي نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وقال ابن
مسعود من نار الريح الحارة قال وهذا السموم جزء من سبعين جزءا من السموم
التي خلق منها الجان وتلا هذه الآية ومعنى السموم في اللغة الريح الحارة وفيها نار
وفي الخبر انها من لفح جهنم كذا في الوسيط وقول المصنف من نار لها الشديد يدل على
ان السموم عبارة عن الحر المفرط سواء كان من شمس او ريح او نار وان ما فيه من
النار ريح شديدة ولطافته يدخل المسام فيقتل وقيل السموم ما كان ليلا والحرور
ما كان نهارا وقيل نار السموم من اضافة الموصوف الى صفته وكلمنا من في قوله
تعالى من قبل من نار السموم متعلقتان بخلقنا لاختلاف معنا هما لان الاولى
لابتداء الغاية والثانية للتبعيض قوله ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة
جواب عما قال لا تتصور الحيوة بدون تركيب يتوقف عليه البنية واعتدال المزاج
فكيف تخلق في الجسم البسيط ولا سيما في الجوهر الذي يكون في غاية الحرارة والجواب
ان البنية ليست بشرط الامكان حصول الحيوة فانه تعالى قادر على خلق الحيوة
والعقل والعلم في الجوهر الفرد وفي الجسم الذي يكون في غاية الحرارة قوله وعما كان
الروح اي النفس الناطقة تتعلق اولا بالبخار اللطيف الذي هو الروح الحيواني
لكونه اقبل لها بالنسبة الى سائر ما في البدن من الاعضاء للمناسبة بينهما في
اللطافة وهو جواب عما يقال النفخ اجراء الريح في جوف شئ اخر ولا ريح
هنا ولا نفخ فما وجه قوله تعالى ونفخت فيه وتقرير الجواب انه من قبيل الاستعارة
التبعية شبه تعلق الروح بمعنى النفس باجراء البدن بواسطة سريان الروح
الحيواني فيها جاريا في مجاوف الشرايين بجريان الريح في جوف آخر فاطلق على
المشبه اسم النفخ واشتق منه نفخت ويحتمل ان يكون المراد بالروح الروح
الحيواني السار في البدن بتوسط الشرايين فيشبه اجراء هذا الروح
في البدن وهو سبب للحيوة باجراء الريح في الشئ وهو النفخ بل هو اظهر لان
اضافة التشريف في قوله من روحي يستدعي ان يراد به النفس الناطقة التي
هي المشرفة بمعرفة الله تعالى والمكلف بطاعته قوله تعالى فقعوا له امرا من الوقوع

وفاء التعقيب فيه بدل على انه تعالى كما نفخ الروح في آدم عليه السلام وجب على
الملائكة ان يسجدوا له سجود التحية والتعظيم وقيل المسجود له هو الله تعالى
وكان آدم كالقبلة لذلك السجود امروا بان يتوجهوا اليه في سجودهم لله تعالى
تعظيما له بجعلهم اياه وسيلة الى عبادة الله تعالى وتعظيم حين عاينوا قدرته
تعالى في خلق البشر السوية من الماء المسنون اخبر الله تعالى للملائكة انه سيفعل
امرا كذا وامر لهم بالسجود له اذا فعل فيكون امرا بالسجود لآدم قبل خلقه
ليفعلوا ذلك حين ما عاينوا انه تعالى عدل صورته وسواه بالصورة الانسانية
ونفخ فيه الروح سمي الانسان بشرا لكونه حيوانا ظاهر البشرة لا شعر
عليه ولا وبر ولا صوف وقيل لكونه جسما كثيفا يباشر اي يمس ظاهر جلده
والملائكة والجن لا يباشرون لرقة اجسامهم والبشرة ظاهر جلد الانسان
قوله اكد تاكيدين يعني ان قوله تعالى اجمعون لا يفيد الا ما يفيد كلهم وهو انهم سجدوا
باسرهم ولا يفيد الاجتماع في الوقت كما ذهب اليه البعض فيكون الفائدة في تكرير
التاكيد المبالغة في الدلالة على سجود الكل فانه لو قيل فسجد الملائكة من غير تاكيد
لاحتمل ان يكون الساجد بعض الملائكة فلما قيل كلهم زال هذا الاحتمال وظهر
انهم سجدوا باسرهم ثم كرر التاكيد للمبالغة في ازالة احتمال كون الساجد
بعضهم وقيل كل واحد من اللفظين يفيد غير ما افاده الاخر فان الاول يفيد
ان الساجد كل الملائكة لا بعضهم والثاني يفيد ان الكل سجدوا في وقت واحد
غير متفرقين واعترض عليه المصنف بانه لو كان الامر كذلك لكان الثاني حالا
لا تاكيدا وقد فرض انه كل واحد منهما تاكيد جيء به ليفيد فائدة جديدة غير
ما يفيده الاخر وفيه بحث لانه ان اراد بقوله لكان الثاني حالا لا تاكيدا ان الثاني
لا يكون تاكيدا فممنوع اذ لا شك ان اجمعون يؤكد ما دل عليه لفظ الملائكة
معرفا بلام الاستغراق وان اراد به انه مع انه تاكيد يفيد فائدة الحال والتاكيد
لا يفيد فائدة الحال فهو ايضا ممنوع اذ لا منافاة بينهما بالنسبة الى المعنى الاخير
انه يجوز ان يقال جاؤني جميعا مع افادته معنى التاكيد قوله ان جعل منقطعا بان
بان يكون الاستثناء لكن فحينئذ يكون آتى خبره اتفق المفسرون على ان ابليس كان مامورا

بالسجود

بالسجود لآدم عليه السلام الا انهم اختلفوا في انه من الملائكة والاستثناء متصل
او ليس منهم بل هو كان جنيا لي صغيرا من بين الجن وتشاغل عن الملائكة فلما أمر
الملائكة بالسجود لآدم تناول ذلك الامر به ايضا لكونه ملحقا بهم الا انه لما لم يكن
منهم حقيقة كان الاستثناء منقطعا وقوله لم اكن لاسجد مشتمل على دليلين
احدهما ان كونه بشرا يشعر بكونه جسما كثيفا لان الانسان انما سمي بشرا
لظهور جلده لما مر ان البشر والبشرة ظاهر جلد الانسان فكانه يقول البشر
جسماني كثيف وانا روحاني لطيف والجسماني الكثيف ادون حالا من الروحاني
اللطيف والادون لا يجوز ان يكون مسجودا للاعلى وثانيهما انه مخلوق من
صلصال وابليس مخلوق من النار وما يكون مخلوقا من الاشرف فهو اشرف
والاشرف لا يجوز ان يسجد للادون والمصنف اشار اليهما بقوله استنقص
آدم باعتبار النوع والاصل قال المصنف في سورة الاعراف قد غلط اللعين
في ذلك حيث رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل
كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وباعتبار الصورة حيث
سوّاه الله تعالى ونفخ فيه من روحه وباعتبار الغاية فانه اعلم منهم وان له خواص
ليست لغيره والحق انه تعالى نص على السجود وما قاله ابليس قياس ومن عارض
النص بالقياس كان رجيما ملعونا قوله لان من يطرد يرجم بالحجر بيان لوجه انتقال
الذهن من المرجوم الذي هو المرمي بالحجر الى معنى المطرود من الرحمة والكرامة
وتوضيحه ان الرجيم كناية عن كونه مطرودا ملعونا لان الطرد مستلزم للرجم
غالبا فالملزوم اللازم على الملزوم قوله او شيطان يرجم بالشهب اي ويحتمل ان يكون
الرجيم بمعنى المرجوم بالشهب ويكون كناية عن الشهب بهذا الوصف وهو
الشيطان كقولك جاء المضياف وتريد زيدا لشهرته بالمضيافية قوله وهو وعيد
اي الاخبار بانه رجيم بانه بمعنى كان وعيدا ما ان كان بمعنى المطرود من الخير والكرامة
فلان معظم الخير ما يكون يوم القيمة ولا وعيد اعظم من الحرمان عن الخير فيه واما ان كان
بمعنى الشيطان المرجوم بالشهب فلان الشيطان لا يخلو اما ان يكون من شطن بمعنى بعد
او من شاط بمعنى هلك وكل واحد منهما ينبئ عن الوعيد واما كونه متضمنا للجواب عن شبهته

فلان المرجومية كناية عن الملعونية او الشيطانية اللتين هما غاية الخزي لان الرجم ان
فيكون ابطالا لادعائه التفضل والرجحان فوله فانه منتهى امد اللعن جواب عما يقال
من ان كلمة الى لانتهاء الغاية فيلزم زوال اللعن وانتهائه عند يوم القيمة الذي
هو يوم الدين والجزاء واجاب عنه اولا بان المراد باستمرار اللعنة عليه الى يوم
الجزاء لانه اول من عصى الله ان يكون مخذولا غير موفق للاهتداء الى طاعة الله تع
ودينه ومن هذا شانه يكون مطرودا عن رحمة الله تع لان اصل الرحمة ما يكون
ايام التكليف والتي يكون زمان الجزاء فانها وان كانت بطريق التفضل والاحسان
الا انها جزاء نظرا الى الوعد فلما كان المرجوم من وفق للاهتداء ايام التكليف
والملعون من كان مخذولا غير موفق له زمان التكليف ظهر ان اللعنة بهذا
المعنى تنتهي بانتهاء زمان التكليف ثم استشعر ان يقال كيف يكون اللعنة
عبارة عن الابعاد عن الرحمة زمان التكليف وقد قال تع في حق اهل موقف
الحساب فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فاجاب عنه بان اللعنة تطلق
على معنيين ثالث جعلها الله تع منتهية بيوم الجزاء هي اللعنة بمعنى الطرد عن الهداية
الى الحق والية اشتهاء يوم الجزاء هي اللعنة بمعنى آخر تنسى عندها هي ثم نقل جوابين
آخرين على سبيل التضعيف والتمريض الاول ان اللعن وان صح بيوم الجزاء
الا ان المراد به التابيد وذكر يوم الدين لكونه ابعد غاية يذكرها الناس في مقام
التابيد كقوله تع ما دامت السموات والارض والثاني ان قوله تع وان عليك
اللعنة الى يوم الدين قال الكلبي معناه يلعنك اهل السماء واهل الارض الى يوم
الحساب لانك اول من عصى الله ثم اذا جاء يوم الجزاء عذب عذابا يستصغر معه
اللعن فيصير اللعن في كالزائل بسبب ان شدة العذاب تذهل عنه وتنسيه
فكانت مذمة للملائكة اياه ودعاؤهم عليه باللعن كانها مختصة بزمان التكليف
ومنتهية عند مجيء يوم الجزاء فلذلك قال الى يوم الدين قوله والفاء متعلقة
بمحذوف تقديره اذا جعلتني رجيما ملعونا الى يوم القيمة فانظرني طلب ان يبقيه
الله تع الى يوم البعث عند يأسه من سعادة الآخرة طلب اصل الانظار ليجد فسحة
في الاغواء فطلب كون الانظار المطلوب منتهيا الى يوم البعث لئلا يموت لعلمه بان الموت

بعد

بعد يوم الحشر فانظره الله تع الى يوم الوقت الذي يسمى ويعين عند الله تع حلول اجله
فيه ولم يبين له ذلك الوقت ولم يطلعه عليه الا بريء الى قوله تع حكاية عنه واني جار لكم
فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون
اني اخاف الله اخبر تع انه يخاف الله ولو كان يتقي له الوقت المعلوم لكان لا يخاف
هلاكه قبل ذلك الوقت وقبل الوقت المعلوم هو الوقت الذي عين في علم الله
تع انقراض الناس كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى على ما روي انه اذا نفخت
النفخة الاولى مات الخلائق كلهم ومات ابليس معهم فوله لما عرفت من ان الحكمة
في الشر ان يجازى الخلائق باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر او ما هو آنفا من ان
المقصود تحديد اللعن بمعنى الابعاد عن رحمة التوفيق للطاعة والحد المناسب
له هو انتهاء ايام التكليف ومجيء يوم الجزاء فوله وثانيا بيوم البعث لكونه
صالحا لان يكنى به عن مقصود اللعين وهو ان يمتد الانظار الى وقت انقطاع
التكليف وحصول الياس عن اغواء بني آدم وتضليلهم ولا شك ان يوم البعث
ينتقل منه الذهن الى الوقت المذكور فيعبر به عن ذلك الوقت لهذا الاعتبار
وعبر عنه ثالثا بالمعلوم لانه لما ذكر في علامة تع بيوم الدين وفي كلام اللعين
بيوم يبعثون صار معلوما معينا ولما ورد ان بقاءه كونه منظرا الى يوم القيمة
يستلزم ان لا يموت ابدا لانه يموت بعد يوم البعث اشار الى جوابه بقوله
فلعله يموت اول اليوم لانه اثنانه والذي تقرر انتفاؤه هو الموت في
اثناء ذلك اليوم لانه اوله الذي هو الجزء المنتهي اليه فوله وهذه المخاطبة الخ
جواب عما يقال ظاهر الآية يدل على انه تع تكلم مع ابليس بغير واسطة وكيف
يعقل هذا مع ان مكالمة الله تع بغير واسطة من اعظم المناصب واشرف المراتب
فلا يليق بحال رؤوس الكفرة ورئيسهم وتقرير الجواب ان مكالمة الله تعالى
بغير واسطة انما يكون منصبا عاليا اذا كان على سبيل الاكرام والاعظام
واما اذا كان على سبيل الاهانة والاذلال فلا فوله والمعنى اقسم باغوائك
ونظيره قوله تع حكاية عنه فبعزتك لاغوينهم الا انه في هذا الموضع اقسم
بعزة الله وهي من صفات الذات وفي قوله بما اغويتني اقسم باغواء الله عز هو

وفي هذا رد على اليهود الذين يقولون ان الموت يجوز على الله تع
في الاسبوع الذي لا يموت فيه غير موته والله اعلم

ومن صفات الفعل والفقهاء قالوا القسم بصفات الذات صحيح واما القسم
بصفات الافعال فقد اختلفوا فيه وذكر في شرح الوافية قال العراقيون الحلف
بصفات الذات كالقدرة والعظمة والعزة والجلال والكبرياء يمين وبصفات
الفعل كالرحمة والسخط والغضب والرضا ليس بيمين وصفة الذات ما لا
يجوز ان يوصف بضده وصفة الفعل ما يجوز ان يوصف بضده فانه تعالى يرضى
بالايمان ولا يرضى بالكفر قال الشارح والمذهب عندنا ان صفات الله
تعالى لا هو ولا غيره وكلها قديمة فلا يستفهم الفرق قوله لازينن لهم المعاصي
في الدنيا اشارة الى ان مفعول ازين محذوف وهو المعاصي وعدى الفعل بفي
بناء على ان يراد بالارض جهة السفالة وهي الدنيا كما في قوله تعالى اخلد الى
الارض اي ركن الى الدنيا قوله والمعتزلة فانهم لما ابوا عن القول بانه تعالى
يحدث الغواية والضلال في العبد بناء على زعمهم ان بعض الافعال قبيح
في حقه تعالى اولوا قوله اغويتني بقولهم تسببتني الى الغي وسميتني بذلك
او يكون تعالى سبب الغيه فانه تعالى لما امرهم بالسجود واقضى ذلك الى غيته بالاباء
عن السجود كان له تعالى مدخل في غيته فاسند الاغواء اليه تعالى على طريق اسناد
الفعل الى السبب فانظر الى ابليس انه علم انه تعالى هو الذي يخلق فعل الغواية
والضلال فيمن يختار ذلك ولم يعلم المعتزلة ذلك وايضا اولوا الاغواء
بالاضلال عن طريق الجنة اي كما اضللتني عن طريق الجنة اضلهم انا بالدعاء الى
المعصية وضعف هذا التاويل انه كيف اقدم على الكفر باختياره فقد خيب
نفسه عن رحمة الله تعالى واضل نفسه عن طريق الجنة فكيف يحسن اضافته
الى الله تعالى وايضا لما توجه عليهم ان قوله تعالى انك من المنظرين مخالف لمذهبهم
لانه لما سأل الله تعالى هذا العمر الطويل مع انه تعالى اعلم منه بانه لا يستفيد من هذا
العمر الطويل الا زيادة الكفر والمعصية وبسبب تلك الزيادة يزداد استحقاقه
لانواع العذاب الشديد كان هذا الامهال سببا لمزيد عذابه وذلك يدل على انه
تعالى اراد به ان يزداد عذابه وعقابه اعتذروا عنه بانه لا مدخل لامهاله في ازدياد
عذابه وعذاب من يتبعه لانه تعالى امهله تلك المدة الطويلة لعلمه بانه لا يتغاوت حاله

معلم
العوض بين صفة الذات وصفة الفعل

ولا حال

ولا حال من يتبعه في الاستحقاق للعذاب الشديد بالامهال وعدم الامهال لانه
قد تقرر في علم الازل بانه وكل من يتبعه في الكفر والضلال يموت على الكفر
ويخلد في العذاب الشديد فلا يكون بامهاله مزيدا لتعذيبهم ويدل على ضعف
الادلة النقلية والعقلية اما النقل فمثل قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما
وسببية في تلك الافعال واما الدليل العقلي فان بداهة العقل شاهدة
بانه ليس حال من ابتلي بمحالة شخص يرغبه ابدا في القبايح وينفره عن الخيرات
مثل حال شخص كان حاله على ضد حاله فظهر بهذه الدلايل ان القول بعدم تفاوت
الحال بين وجود الشيطان وامهاله وعدم ذلك وبين وجوده وسوسته
وعدمها ضعيف وان ليس للمعتزلة اعتذار يعتد به قوله ولاضلنهم اشارة
الى ان اسناد الاغواء اليه من قبيل اسناد الفعل الى السبب الحامل والاستثنى
المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم وانهم لا يقبلون منه فلو لم يذكر
الاستثناء لكان كاذبا في قوله فابليس مع كونه ابليسا لما احترز عن الكذب
ظهر ان الكذب في غاية الخساسة بحيث لا يرضى به سعيد ولا شقي ثم ان ابليس
لما استثنى المخلصين من الغاوين باغوائه قال تعالى هذا اشارة الى الاخلاص
المدلول عليه بلفظ المخلصين صراط مستقيم من سلكه يسر علي ايي على مرضاتي
وفضلي واحساني ومن مرتعا مرضاتي فكانه مر علي وقبل على هنا بمعنى الى
والمعنى انه يؤدي الي مرضاتي وكرامتي والمصنف قدم احتمالا كونه اشارة
الى ما استثناه ابليس وهو انه لا يغوي عباده المخلصين وهم الذين لا يختارون
اتباع ابليس فيكون على متعلقا بمحذوف وهو حق ويكون استقامته كناية عن
عدم الانحراف عن رعايته قوله وقرئ علي بالرفع والتنوين على انه صفة
لقوله صراط قوله تصديق لابليس صدقه الله تعالى في قوله الا عبادك منهم
المخلصين وبين انه لا يقدر على اغواء المخلصين الا انه تعالى غير الوضع بان
جعل ما استثناه ابليس مستثنى منه على غير الوضع الذي استثناه ابليس
فان الاضافة في قوله الا عبادي للتعريف الجنس وتخصيصه بالمخلصين انما
استفيد من الوصف اي في قوله تعالى ان عبادي لتعريف العهد والمعهود المخلصون

مطلب
استثناء ابليس عن الكذب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المذكورون لتعظيم المخلصين باضافتهم اليه ولان المقصود انما يحصل
بتغيير الوضع وجعل التعريف للعهد وعلى هذا يكون قوله تعالى الا من اتبعك بمعنى
لكن من اتبعك لعدم دخول متبعي ابليس في المخلصين قوله او تكذيب له فيما
اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص فان قوله ابليس لاغوينهم اجمعين
الاعباد ك منهم المخلصين يوهم ان له سلطانا على عباد الله تعالى الغير المخلصين
لانهم هم الباقون بعد استثناء المخلصين فتصينوا انذلك لان يكونوا متعلق
اغوائه في قوله لاغوينهم وهو يوهم ان يكون له سلطان على اغوائهم فكذبه
الله تعالى حيث بين بهذه الآية انه ليس له سلطان عليه ثم استدركه فقال
لكن من اتبعك منهم باختياره فهو من الغاوين الا ان اغوائه ليس لاجل
ان ابليس يقهره على تلك المتابعة ويجبره عليها بل هو مختار في ذلك
كما قال تعالى حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
فظهر بهذا التقرير كون الاستثناء الا من اتبعك منقطعا لان اتباع ابليس
لا يخرجون باتباعهم اياه عن كونهم موصوفين بان ليس للشيطان سلطان
عليهم ويمكن ان يجعل الاستثناء متصلا بان يحمل العباد في قوله تعالى ان عبادي
على العموم من المطيعين والعصاة ويكون السلطان بمعنى التمكن من الوسوسة
والدعوة لا الفضلا في قوله وعلى الاول اي على ان يكون الاية تصديقا لابليس
وتوضيح المقام يتوقف على بسط الكلام فاعلم ان الاصوليين اتفقوا على ان
الشرط في الاستثناء المتصل ان لا يكون المستثنى مستغرقا للمستثنى منه فيبطل
ان يقال مثلا على اخمسة الا اثنين لانه ينقض الا للغو وشرط الحنابلة مع ذلك
ان لا يزيد المستثنى على نصف المستثنى منه وقالوا الا يصح نحو ان يقال له علي
عشرة الا ستة ويصح الا خمسة وشرط القاضي ابو بكر ان ينقص المستثنى
على نصف المستثنى منه فلا يصح على عشرة الا خمسة ويصح الا اربعة واحتج
على مذهبه بان قال القياس يقتضي ان لا يصح الاستثناء اصلا لان الحكم
على المستثنى منه يتناول جميع ما يندرج تحته وذكر الاستثناء بعد يمنعه لانكار
بعد الاعتراف الا انه خولف هذا القياس فيما اذا كان المستثنى اقل لمعنى لم يوجد فيما

اذا كان

اذا كان مساويا او اكثر وهو ان الاقل قد ينسى لعدم الاعتداد به وقلة
التفات النفس اليه فيستدرك بالاستثناء فلم يلزم من صحة استثناء
الاقل صحة استثناء الاكثر والمساوي فقوله تعالى الا من اتبعك ان جعل
مستثنى متصلا من جنس العباد واردا لتصديق ابليس في قوله لاغوينهم
عبادك الا المخلصين لزم اندفاع ما ذهب اليه القاضي من وجوب كون
المستثنى اقل من الباقي ووجه اندفاعه كونه مفضيا الى ان يكون كل واحد
من المخلصين والغاوين اقل من الآخر وذلك لان استثناء المخلصين من
جنس العباد يستلزم ان يكون المخلصون اقل من الغاوين الذين هم
الباقون بعد استثناء المخلصين من جنس العباد واستثناء الغاوين
من جنس العباد في قوله تعالى الا من اتبعك يستلزم ان يكون الغاوون
اقل من المخلصين فيكون كل واحد منهما اقل مما هو اقل من نفسه فيكون
كل واحد منهما اقل من نفسه بدرجتين وما هو الا تناقض باطل قوله او حال
اي من الضمير في موعدهم وهذا على راي من يجوز الحال من المضاف اليه فان
جعلت الموعد مصدرا يجوز ان يعمل في الحال الا انه لا بد من حذف مضاف
اي مكان موعدهم لان جهنم ليست نفس المعنى المصدري وان جعلت
الموعد اسم مكان لا يحتاج الى تقدير المضاف الا ان اسم المكان لا يعمل
فلم يكون العامل في الحال معنى الاضافة قوله او طبقات ينبغي لونها بمعنى
اختلف في ان المراد بابواب جهنم ما هو فقيل انها سبع طبقات بعضها
اسفل من بعض وسميت تلك الطبقات بالدركات وبدل على كونها كذلك
قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقيل ان اهل
النار سبع فرق لكل فرقة باب معين وقد فصل المصنف اسامي طبقات
النار فقال اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم
ثم الهاوية وقال الضحاك الطبقة الاولى فيها اهل التوحيد يعذبون على قدر
اعمالهم ثم يخرجون والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين
والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وهو

مطلب

وهو قوله تعالى لكل باب منهم جزء مقسوم اي لكل صنف من الابواب التي يدخلونها جزء مقسوم اي حظ معين معلوم من الغاوين او لكل منزل وطبقة جزء كائن من اهل النار على ان قوله منهم حال من جزء لانه في الاصل صفة له فلما قدمت عليه انتصب حالا وعلى الاول يكون منهم حالا من الضمير المستتر في قوله لكل باب والعامل في هذه الحال ما هو العامل في هذا الجار والمجرور ولا يجوز ان يكون منهم حالا من المستكن في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف وقوله لها سبعة ابواب يجوز ان يكون جملة مستأنفة وهو الظاهر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا فقيل جهنم من قول العرب بئر جهنام اي بعيدة القعر ولظى من اللظظ وهو التوقد ولحطمة من الحطم وهو الكسر لانها تحطم عظام الكفار ان تكسرها وسقر لانها تذيب عظامهم ولحومهم يقال سقرته الشمس وصقرته اي اذابته والسعير لانها تسعرت اي التهبت والجحيم لانها نار عظيمة وهاوية لانها تهوي بهم اي تسقطهم قوله وقرأ ابو بكر جزء بالتثقيل اي بضمتين والباقون بسكون الزاي ثم انه تعالى لما شرح احوال اهل العقاب اتبعه ببيان احوال اهل الثواب فقال ان المتقين في جنات وقد مر ان التقوى له ثلث مراتب الاولى تقوى عامة المؤمنين وهو التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك والثانية تقوى الخواص وهو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك والثالثة تقوى اخص الخواص وهو التنزه عما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشره والمصنف حمل التقوى المذكور ههنا على المرتبة الثانية منه حيث قال المتقين من اتباع ابليس في الكفر والفواحش لكون الحمل المذكور انسب بهذا المقام لما مر ان الناس فريقان المخلصون والغاوون وان جهنم مقسوم سبعة اقسام وان الدركة الاولى منها لعصاة المؤمنين يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها فاذن لا بد من تفسير المتقين في هذا المقام بما يتميزون به عن الغاوين الذين قيل في حقهم وان جهنم لموعدهم اجمعين لكل طبقة منها صنف معين من الغاوين حتى يكون المتقون بذلك التفسير مقابلا للغاوين ومرادنا

مطلب مراتب التقوى

للمخلصين

٢١ ٣٤٧

للمخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وطهرهم من شوائب معصيته غاية ما في الباب ان لا يعلم من هذه الاية خروج عصاة المؤمنين من النار وكونهم من اهل الجنة بالاخرة ولا محذور فيه لكونه معلوما من نصوص اخر وقال جمهور المعتزلة القائلين بوجوب عقاب اصحاب الكبائر وخلودهم في النار المتقون هم الذين اتقوا جميع المعاصي لانه اسم مدح فلا يتناول الا من يكون كذلك وقال جمهور الصحابة والتابعين وهو المنقول عن ابن عباس ان المتقين هم الذين اتقوا الشرك والكفر بالله تعالى ووجهه ان المتقي من اتصف بالتقوى في الجملة وليس من شرط الاتصاف به ان يكون الشخص آتيا بجميع انواع التقوى بحيث لا يشترط في توصيفه بانه ضارب كونه آتيا بجميع انواع الضرب وكان القياس من انواع التقوى اي نوع كان الا ان الامة اجمعوا على ان التقوى عن الكفر شرط في صحة الحكم بانه في جنات فوجب ان يعتبر في التقوى خصوص الاتقاء عن الكفر وقد تقرر ان تحقق شيء من انواع التقوى في الشخص يكفي في توصيفه بانه متقي فلا يشترط في توصيف الشخص بالتقوى ان يتحقق فيه شيء زايد على الاتقاء عن الكفر هذا كلام الامام ولا يخفى ان لبس الكلام في كفاية تحقق الاتقاء عن اكثر الكفر في صحة التوصيف بانه متقي بل الكلام في رعاية المناسبة بالمقام وهي تقتضي اعتبار التوقي عن سايه الكبايير ايضا فيها فلذلك حمل التقوى في هذا المقام على المرتبة الثانية منه قوله او لكل عدة منها فيكون لكل واحد اربع جنات بمقتضى الآيتين واربعة انهار بمقتضى قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى هذا على تقدير ان يكون العيون المذكورة بقوله في جنات وعيون الانهار المذكورة في هذه الاية ويحتمل ان يكون المراد من هذه العيون منابع مغايرة لتلك الانهار ثم انه يحتمل ان يكون كل واحد من المتقين له عيون تخصه وينتفع به هو وكل من في حمايته من الحور والولدان ويحتمل ايضا ان تجري تلك العيون من بعضهم الى بعض لانهم مطهرون عن الحقد والحسد قوله على ارادة القول اي يقال لاهل الجنة

ادخلوها ويحتمل ان يكون القائل هو الله تع ويحتمل ان يكون بعض الملائكة
فان قيل قد حكم الله تع بان المتقين في جنات وعيون واذا كانوا فيها فكيف يمكن
ان يقال لهم ادخلوها اجيب بانه لعل المراد انهم لما ملكوا الجنات الكثيرة فكانما
اراد وا ان ينتقلوا من جنة الى اخرى قيل لهم ادخلوها مع السلامة من كل الآفات
في الحال ومع قطع القطع ببقاء هذه السلامة والامن من زوالها وبسلام
حال اي ملتبسين بالسلامة او مسلما عليكم وآمنين حال اخرى بدل من الاولى
بدل الكل او الاشتمال لان من دخل الجنة سلم عليه من الملائكة او بالعكس قوله وقرئ بقطع
الهمزة ابي مضمومة على انه ماض مبني للمفعول بمعنى ان الملائكة عليهم وصل الهمزة تنبيها
على انه امر من دخل يدخل ويجوز كسر تنوين عيون لالتقاء الساكنين ويجوز
ضمها ايضا بالقاء ضمة الهمزة عليها وحذف الهمزة حال الوصل وعلى
تقدير ان يقرأ بقطع الهمزة لا يجوز كسر التنوين لانه لم يلق ساكنا ويجوز
ضمها بالقاء ضمة الهمزة عليها واسقاط الهمزة اجراء لها مجرى همزة الوصل
في الاسقاط قوله ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم بان التقوا على ما
يقتضيه الاسلام من الاخلاق الحسنة والافعال المرضية بعد ما كانوا
عليه من الكفر وخصائل الجاهلية من اتباع الشهوة والغضب كما قال تعالى
فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار بسبب اجتماعكم
على الكفر والاحوال المناسبة له كانه قيل ان المتقين في جنات بسبب انا طهرنا
قلوبهم في الدنيا عن الكفر وما يناسبه من الكدورات الطبيعية والملكات
الرديئة قوله او في الجنة بان ينسى الله تع ما كان بينهم من الجفاء والعتوف لان ذكر
الجفاء والمخالفة ينقص النعم التي في الجنة فيجتمعون فيها على التلذذ والتنعم بنعيمها
مع صفاء القلوب بريء ان المؤمنين يحاسبون على باب الجنة فيقتص بعضهم
من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نقى الله قلوبهم من الغل والغش والحقد
والحسد والسرر بضمتين والاسرة جمع سرير قيل انه مجلس رفيع مهيأ للسرور
فهو ماخوذ منه لانه مجلس سرور وروي ان كل سرير سئل ما بين صنعاء الى
الجابية قوله لانه يمنع منصافتن وتاويل الجامد بالمشتق البعيد منه لا يخلو

عن بعد

عن بعد قوله تحقيقا لها بما يبشرون به فانه تعالى لما ذكر ان ضيف ابراهيم بشروه
بالولد بعد الكبر وبانجاء المؤمنين من قوم لوط من عذاب الاستيصال واهلاك
الآخرين على اسوء الاحوال كان ذلك تحقيقا وتقريرا لما قبله من انه غفور رحيم
للمؤمنين وان عذابه عذاب اليم على حق الكفار والتضيف في الاصل مصدر ضاف يضيف
اذا اتى انسانا لطلب القرى ثم سمي به واطلق ذلك على الملائكة على جاءة شبههم
ضيفا مع امتناعهم من الاكل وطلب القرى من حيث ان ابراهيم عليه السلام ظنهم
اضيافا لذا حق لهم عليه على ما صدر عن الاضياف قوله تعالى اذ دخلوا فيه وجهان احدهما
انه مفعول به لفعل مقدر اي اذكر اذ دخلوا والثاني انه ظرف محذوف اي اذكر خبر ضيف
اذ دخلوا او ظرف للضيف بناء على انه كان في الاصل مصدرا فاعتبر ذلك فيه وبناه
على اعتبار مصدريته بعد جعله اسما وصف به عدم مطابقته لما قبله تثنية وجمعا
وتانيثا في الاغلب قوله اولانهم امتنعوا من الاكل فانه قد كانت عادتهم انه اذا
مس من يطرقهم طعامهم امنوا والا خافوا قوله وقرئ لا تاجل العامة على فتح تاء
توجل من وجل يوجل كشرب يشرب وقرئ لا تاجل والاصل لا توجل كقراءة العامة
الا انه قلبت الواو الفا لانفتاح ما قبلها وان لم تكن هي متحركة كقولهم تابه وصامة
في توبة وصومة وسمع اللهم تقبل تابي وصامي وقرئ ايضا لا توجل مبنيا للمفعول
من الايجال وقرئ لا تواجل ايضا قوله وقرا حمزة تبشرك بفتح النون وسكون
الباء من بشرت الرجل ابشره بشرا او بشورا من البشرى وكذلك الابشار
والتبشير ثلث لغات وقرا الباقون بنشرك بضم النون وفتح الباء من التبشير
بشروه بامرين احدهما ان الولد ذكر والثاني انه عليم واختلفوا في تفسير العليم
فقيل بشروه بنبوته بعد وقيل بشروه بانه عليم بالدين وما يتعلق به قوله
او انكاره اذ لا مجال لحمله على الاستفهام حقيقة اذ لا وجه للاستفهام عن تحقيق
البشارة حال الكبر بعد ان قالوا انا نبشرك بغلام عليم وكذا لا وجه للاستفهام
عن المبشر به بعد ما بينوه بانه غلام عليم فلذلك حمل الاستفهام في الموضعين على
التعجب او الانكار لان المبشر به غير متصور بحسب العادة وكذا الاستفهام
في قوله فبم تبشرون فان معناه على الاول فبأي اعجوبة تبشروني وعلى الثاني

قوله وقرئ بصيغة ذات الفاعل فانك فرد ضعيف
بالتعريف ايضا حيث كان وان عذابه فكذلك فرد ضعيف
لان الاضافة لا تكون فيها او في ملابسته معهما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انا لمنجوهم على تقدير ان يكون الاستثناء متصلا جملة منقطعة عما قبلها على تقدير
سؤال سائل فيبعد من البليغ ان يجعل ما في حيزه متعلقا بما قبله وقال صاحب
الكشف قوله انا يكون فيما اتحد الحكم اي شخصا وعددا فلا يرد ان الارسال
اذا كان بمعنى الاهلاك كان قوله انا لمنجوهم وقوله الا آل لوط في معنى واحد ؛؛
فالاستثناء من الاول وانما يشترط الاتحاد لان المتصل كاسمه لا يجوز تخلل
جملة بين العصا والمخاط وكذلك في المنقطع قوله وانما علق ودليل تعليقه
ان قوله انها لمن الغابرين في موضع المفعول لقدرنا والمعنى قضينا انها تتخلف
وتبقى مع البقين حتى تهلك مع الهالكين فلما كسرت ان مع وقوعها في حيز المفعول
علمنا ان الفعل قبلها معلق عما بعد فان ان المكسورة من المعلقات اذا لم
يمكن فتحها وذلك اذا جاءت في حيزها لام الابتداء نحو علمت ان زيدا لقائم فان لام
الابتداء لا تدخل الا مع المكسورة واما اذا تجردت ان عن اللام فانها لا تعلق
لامكان فتحها وجعلها معمولة للفعل واصل الكلام قدرناها من الغابرين ثم جيء
بلام الابتداء فصار قدرنا انها لمن الغابرين ثم جيء بان فاخر لام الابتداء الى
الخبر فحصل قدرنا انها لمن الغابرين ومعنى التقدير في اللغة جعل الشيء على مقدار
غيره يقال قدر هذا الشيء بهذا اي جعله على مقداره وقدر الله تعالى الاقوات اي
جعلها على مقدار الكفاية ويستعمل في معنى القضاء فيقال قدر الله عليه اي قضى
عليه بذلك قضاء كائنا على قدر ما تقتضيه الحكمة وقيل قدرنا بمعنى كتبنا وقيل
بمعنى دبرنا فان قيل لم اسند الملائكة فعل التقدير الى انفسهم مع انه لله
تعالى فالجواب انهم انما ذكروا هذا العبارة لما لهم من القرب والاختصاص
بالله تعالى كما يقول خواص الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر
هو الملك لا هم وانما يريدون بهذا الكلام اظهار ما لهم من الاختصاص
بذلك الملك فكذا هذا قوله لنقضين معنى العلم فان تقدير الشيء يبتنى على
العلم به ويستلزمه فعومل معاملة العلم في التعليق بسبب تلك العلاقة
والمعتزلة ينكرون تقدير الله تعالى اعمال العباد بالعلم بها ويجحدون
القضاء والقدر لامتناعهم عن القول بتعلق قدرة الله تعالى بالمعاصي فالتقدير

جاءني شيء بشر وبي وعلى الوجهين يكون الباء بشر وبي تعاقبه فولد لك بشرته
بقدوم زيد ويجوز ان لا يكون صلة لبشر بل يكون كالباء في فولد لك ضربته بالسوط
والمعنى باء طريقة تبشر وبني بالولد ابحصل ذلك مني حال كوني باقيا على صفة
الشيخوخة او اصير واغلب لا الشباب ثم يحصل الولد مني وكل ذلك بعيد بحسب
العادة وامر عجيب وكذا قوله بالحق يحتمل ان يكون الباء فيه صلة اي بشرناك بما
يكون لا محالة او بالبقين الذي لا لبس فيه اي بالامر المتيقن الذي لا لبس في تحققه
ويحتمل ان لا يكون صلة اي بشرناك بطريقة هي حق وهي ان يحصل الولد منك حال
بقائك على صفة الشيخوخة التامة بقوله الله تعالى وامره فانه تعالى قادر على ان
يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر والقنوط اليأس
من الخير وقول ابراهيم عليه السلام ومن يقنط من رحمة الله ربه الا الضالون
يدل على انه وهم لم يكن قانطا ولكنه استبعد ذلك باعتبار العادة فظنت ؛؛
الملائكة به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه واخبر ان القانط من رحمة ربه ضال جاهل
والاستفهام في قوله ومن يقنط بمعنى النفي ولذلك وقع بعده الايجاب بالا قوله
ولعله علم ان جواب عما بقال الملائكة لما بشروا بغلام عليم تبين فرضهم من المجيء
فكيف سألوه عما بعد ذلك بقوله ما خطبكم قوله ويدل عليه اي على ان ارسال الملائكة
الى المجرمين لاجل اهلاكهم الاستثناء في بقوله انا لمنجوهم اجمعين فانه لما قيل انا ارسلنا
الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم توجه ان بقال فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم
فانه صريح في ان المقصود من ذلك الارسال اهلاك القوم المجرمين قوله لاختلاف الحكمين
فان آل لوط مستثنى من حكم الاجرام وامرأته مستثنى من حكم التنجية والاستثناء
لا يصح الا فيما اتحد الحكم مثل ان بقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته وما نحن فيه ليس
كذلك الا ان يجعل انا لمنجوهم معترضة بين الاستثناء الثاني والاول نقل عن صاحب
عن صاحب التقريب انه قال وقد يتوهم ان الارسال اذا كان بمعنى الاهلاك فلا اختلاف
اذ التقدير الا آل لوط لم نهلكهم فهو بمعنى منجوهم وجوابه ان الاستثناء من الاستثناء
شرطه ايضا ان لا يتخلل لفظ بين الاستثنائين مستقد ويصلح مستثنى منه وههنا تخلل
انا لمنجوهم فلو قال الا آل لوط الا امرأته لجاز ذلك وقال الطيبي قلت لا سيما ان قوله

فالتقدير عندهم هو العلم لا الارادة فقوله مخافة ان يطرقوني بشر وذلك لان
الملائكة كانوا على صور شبان مرد حسان الوجوه فخاف ان يتعرض قومه عليهم بفتنة
بسبب طلبهم فقال هذه الكلمة لذلك ويحتمل ان يكون المراد بقوله انكم
قوم منكرون اني لا اعرفكم ولا اعرف انكم من اي الاقوام ولاي غرض دخلتم
علي وذلك لان النكرة ضد المعرفة الا ان قولهم بل جئناك بما كانوا فيه يمترون
يؤيد ما ذكرنا قوله اي ما جئناك بما تنكره لاجله اشارة الى ان قولهم
بل جئناك اضراب عن المقول المحذوف والتقدير ما ذكرنا قوله فاسر يوصل
الهمزة يقال سريت اسرى ومسريت واسريت وهما لغتان بمعنى واحد
اي سرت ليلا قوله وقيل في آخره كلمة في هنا مستدركة لان القطع آخر
الليل لانه آخر الجزء القطع ظلمة آخر الليل ومنه قوله تع فاسر باهلك
بقطع من الليل وقال الاخفش بسواد من الليل ثم اورد قول الشاعر
افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم اي كم بقي علينا من
اخر الليل المظلم كان القائل طال عليه الليل فخاطب ضجيعته بذلك او كان تحت
طوله للوصال فقال لها ذلك والبهيم المظلم الذي لا يخالطه شيء من الضيا
يقال فرس بهيم مصمت وهو الذي لا يخلط لونه شيء سوى لونه قوله تذودهم
اي تسوقهم ليكون مسيره مسير الهارب الذي يتقدم اهله حال فراره ويفوت
به عما وراءه من المكروه وتشرع بهم اعتماما لامر خلاصهم ومسارعة الى
امتثال قوله تع فاسر باهلك وتطلع على حالهم لئلا يتخلف احد منهم لغرض
له في ورائه فيصيبه العذاب ومن فوائد الامر باتباع ادبار اهله
واما فوائد النهي عن الالتفات بمعنى النظر الى ورائه فامران الاول ان
الالتفات بذلك المعنى ربما يؤدي الى رؤية ما لا يطيقه من الهول ويكون
ذلك سببا لهلاكه والثاني انه ربما يؤدي الى رؤية هلاك قومه وان تحمل تلك
الرؤية الى شرحهم والرقة عليهم في مقام البغض لله فيصاب بما اصاب بهم
وان كان الالتفات المنهي عنه بمعنى الانصراف والتخلف لغرض فظاهر النهي عنه
ظاهر وهي الاحتراز عن اصابة العذاب قوله الى حيث امركم الله اشارة الى ان حيث

على بابها من كونها ظرف مكان مبهم ولابهامها تعدى الفعل اليها من غير واسطة
ثم صرح بهذا في قوله فعدي وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف
على الاتساع يعني ان حيث من الظروف الغير اللازمة الظرفية لكونه مفعولا به
في قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته وقد يتوسع في الظروف الغير
اللازمة الظرفية فيجعل مفعولا به فحينئذ يسوغ ان يقع مستغنيا عن لفظ
في نحو قولك يوم الجمعة صمته وان يضاف اليه المصدر والصفة المشبهة
كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقول من قال يا سارق الليلة اهل
الدار وقد اتفقوا على ان معناه متسعا فيه وغير متوسع فيه سواء
لا يخرج عن كونه ظرفا لعامله وحث على تقدير انتصابه على الظرفية لا يخالف
الى في لانه مبهم وقد تقرر ان ظرف المكان المبهم منصوب غير مجرور
بنى بخلاف الموقت فان حكمه حكم ما ليس بظرف فيحتاج الى في وكذا الضمير
في تؤمرون ظرف مكان مبهم لكونه راجعا الى حيث فلذلك عدي الفعل
اليه اتساعا على طريق تعديته الى المفعول به ولو كان موقتا لقيل تؤمرون
فيه قوله ولذلك اي ولكون قضينا متضمنا معنى اوحينا عدي بالى والا
فمفعول القضاء لا يتعدى بالى قال تع وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وقد
عدي ههنا الى لوط عليه السلام بكلمة الى باعتبار المضمن والى اسم الاشارة
باعتبار نفسه فان قوله ذلك مفعول قضينا وهو اشارة الى ما وعد من
اهلاك قومه والامر منصوب على انه عطف بيان له وجملة ان دابر هؤلاء
مقطوع في محل النصب على انه بدل من ذلك بدل اشتمال اسم قريه قوم لوط عم
والاستبشار اظهار السرور لما جاء الملائكة دار لوط عليه السلام
اشتهر خبرهم وهو انه نزل بلوط ثلثة من المرد في غاية الحسن فذهب
القوم الى دار لوط طلبا لهم فقال لهم لوط لما قصدوا اضيافه هؤلاء ضيفي الخ
قوله هؤلاء بناتي يجوز فيه ثلثة اوجه احدها ان يكون هؤلاء منصوب المحل على
انه مفعول فعل مقدر اي تزوجوا هؤلاء وبناتي عطف بيان له او بدل منه
والثاني ان يكون هؤلاء بناتي مبتدا وخبرا الخ لا بد من شيء محذوف ليتم الكلام

ايا فتنزوجوهن والثالث ان تكون هؤلاء مبتدا وبناتي بدلا او عطف بيان والخبر محذوف اي هن اطهر لكم كما صرح به فيما هو نظير لهن من الآية قوله لعمرك مبتدا محذوف الخبر وجوبا وقوله انهم مع ما في حيزه جواب القسم تقديره لعمرك قسمي او يميني انهم لفي الخ والعمر والعمر بفتح العين وضمها بمعنى واحد هو البقاء فاذا اقسموا فتحوا العين لانه اخف وهم يكثرون القسم بالعمري ولعمرك فاختاروا الاخف والعمر بفتح العين متى اقترن بلام الابتداء التزموا فيها الرفع بالابتداء وحذفوا خبره لسد جواب القسم مسده قوله والمخاطب في هذا القسم هو النبي صلى الله عليه وسلم لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ما رأيت وعيشك يا محمد وعنه انه قال ما خلق الله نفسا اكرم عليه من محمد عليه الصلوة والسلام وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد الا بحياته قال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وقيل ان هذا القسم مع جوابه كلام الملائكة للوط حكاه الله تعالى عنهم بقول مقدر اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم كذا قوله او شدة غلمتهم وهو بضم الغين وسكون اللام شهوة الفراب وقوله الخ ازالت عقولهم صفة لكل واحدة من الغواية وشدة الغلمة وبيان لوجه الشبه بين ما هم عليه من الغواية او شدة الغلمة وبين السكرة وهو كون كل واحدة منها سببا لزوال العقل فلا جل هذه المشابهة اطلق لفظ السكرة على كل واحدة منها على سبيل البدل على وجه الاستعارة التصريحية قوله وقيل الضمير لقريش عطف من حيث المعنى على ما يفهم من الكلام السابق وهو ان المخاطب في قوله لعمرك سواء كان لوطا او نبينا محمدا عليه الصلوة والسلام وعليه يكون الضمير في قوله انهم لفي سكرتهم يعمهون لقوم لوط وعطف على هذا المفهوم قول من قال ان الضمائر المرفوعة في قوله انهم لفي سكرتهم يعمهون راجعة الى قريش على تقدير ان يكون خطاب لعمرك لنبينا صلى الله عليه وسلم فعلى هذا تكون جملة القسم مع جوابه معترضة في خلال قصة قوم لوط بخاطب الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فيقول لعمرك ان قومك الذين هم قريش لفي سكرتهم وغوايتهم التي هي كحال سكر السكران يعمهون

ايا يترددون في الباطل غافلين عما اعد الله تعالى لاهل معصيته نظرا لما انزله بقوم لوط وهذا الرجل يذكر قصتهم فخرجوا على السلطان فاخذوا وقتلوا فاذا ذكر بعض القصة وهو يريد ان يسمعه قوم مثلهم فعلوا كذلك ولم يعاقبوا بعد فقال قبل تمام القصة اسمع فان هؤلاء في غفلة لا يدرون ماذا يجلب بهم ثم يعود الى تمام القصة قوله وقيل صيحة جبرائيل عليه السلام ضعفه لانه ليس في الآية ما يدل على ان تلك الصيحة صيحة جبرائيل فان ثبت بالدليل القوي لذلك قيل به والا فليس في الآية الا ما يدل على انها جاءتهم صيحة عظيمة مهلكة وانه تعالى عذبهم بثلثة انواع من العذاب احدها الصيحة الهائلة المنكرة وثانيها ما ذكره بقوله فجعلنا عليها سافلها وثالثها قوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وقوله مشرقين حال من مفعول اخذتهم وشروق الشمس طلوعها يقال شرقت تشرق شروقا لكل ما طلع من جانب الشرق واشرقت الشمس اي اضاءت قيل كان ابتداء العذاب حين اصبحوا وكان تمامه حين اشرقوا فلذلك قال اولا ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقال ههنا مشرقين قوله ثابت تفسير لقوله متقيم والمعنى ان مدينة قوم لوط بطريق ثابت لا يندرس ولا يخفى يسلكه من يريد ان يمر من الحجاز الى الشام والمقصود ان الاعتبار بها ممكن قوله ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله فان كل من آمن بالله ورسله عرف ان ما ذكرناه كان بان الله تعالى انتقم لانبيائه منهم اولكل الجهال واما الذين لا يؤمنون بالله ورسله انتقم فانهم يجعلون ذلك على حوادث العالم ووقايعه وحصول القرانات الكوكبية والانفصالات الفلكية ذكر الله تعالى اولا ان فيما ذكر من هذه القصة آيات للمتوسمين ولم يبين انه من اي جهة يكون فيه آيات لهم وذلك يحتمل وجوها الاول ان في ذلك اية تدل على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه عرف قصة ابراهيم ولوط عليهما السلام على ما كانت وهو لم يشهدها ولم يقرأ كتابا ولم يخالط اهل العلم والاخبار فكان ذلك آية على صدقه في دعوى الرسالة والثاني ان في هلاك من اهلك منهم ونجاة من انجى منهم آية للمتوسمين ان من هلك منهم هلك

المتوسم المتفرس
بالفتح على السنة الرائين على الفتح

بالتكذيب ومن نجا منهم نجا بالتصديق ويستدلون بذلك على ثبوت الصانع القادر
العليم الحكيم وعلى حقيقة امر البعثة والنبوة وحقية ما جآء به الانبيآء والمرسلون
من الشرايع والاحكام وقيل انا جميع الآيات للمؤمنين اشارة الى ان ما تقدم
من قصة ضيف ابراهيم وقصة لوط وقلب المدينة وامطار الحجارة عليها وعلى
من غاب عنها من قوم لوط كل واحد منها آية للمعتبرين ووحد الآية للمؤمنين
بنآء على ان لفظ ذلك اشارة الى وقوع القرية الهالكة بسبيل مقيم والله اعلم
قوله فاهلكوا بالظلة روى انه تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام فبعث
الله تعالى سحابة فالتجأوا اليها يلتمسون منها الروح فبعث الله تعالى عليهم
منها نارا فاحرقتهم فذلك قوله تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة قوله ومن
كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع جواب عن ان ثمود انما كذبوا
رسولهم صالحا فكيف قيل كذب اصحاب الحجر المرسلين وتقرير الجواب ان صالحا
كان يدعوهم الى ما كان دعا سايرالرسل اليه فاذا كذبوه صاروا كانهم
قد كذبوا الرسل جميعا ولان كل رسول كان يدعوا الى الايمان بالرسل جميعا
فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الكل وقيل الرسول من أتى الكتاب بعد
اظهار المعجزة وكل من لم يصدق هذا المعنى ورده فقد اعم التكذيب والرد
قوله ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه بطريق تغليب صالح
على امته المؤمنين قوله او معجزاته يحتمل انه تعالى اعطاه آيات ومعجزات سوى
الناقة وان لم تذكر في القرآن ويحتمل ان تكون الناقة وحدها آيات من حيث
انها خرجت من الصخرة وتحركت الصخرة لخروجها وولادتها سقيها من حين
خروجها والتقلب والتعقب الذكر من ولد الناقة والانثى لسقيه ومن حيث انها
ترد الماء يوما وتذر يوما ومن حيث كثرة درها ولبنها حتى كان يكفيهم جميعهم
ومن حيث انتصابها لهم حتى يحلبوها ومن حيث عظم خلقها حتى لم تشبهها ناقة
فلذلك كانت تصدر من طريق غير الطريق الذي وردت منه لانه كان يضيق
عنها وغير ذلك من امورها التي كل واحد منها آية على حدة وان كانت الآيات
عبارة عن الادلة والحجج فوجه جمعها ظاهر واضافة الايات اليهم وان كانت الناقة آية

لصالح لانها آيات رسولهم قوله او من العذاب فانهم كانوا آمنين عما وعد به
صالح من عذاب الله حيث قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين كما
كانوا آمنين من انتهدام ما نحتوا اعتمادا على حذاقتهم في صنعة النحت قال تعالى
وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين على ما وبخ حاذقين قوله الا خلقا ملتبسا
بالحق اشارة الى ان قوله بالحق صفة مصدر محذوف وان الاستثناء مفرغ من
اعم عام المصدر واشار الى وجه انتظام هذه الآية بما قبلها بما محصوله انه
تعالى بين اولا انه اهلك الكفار لاصرارهم على الكفر والعناد ثم ذكر انه ما
خلق الخلق عبثا مهملا عن التعبد بقبيح التكليف حتى يعمل كل نفس ما تشتهيه
وانما خلقهم وهيأ لهم اسباب معاشهم وبين لهم دلائل الرشد والهدى
وما يؤدي الى الهلاك والردى ليعرفوا خالقهم ورازقهم وحق احسانه اليهم
ويشتغلوا بشكره وطاعته ويفوزوا بالجزآء الحسنى والدولة العظمى يوم لقائه
فمن اعرض عن النظر في الدلائل البينات واصر على الاستهزاء بالحج والآيات ورغب
في ارتكاب المعاصي والسيئات فقد استحق لان يعاقب بانواع العقوبات
فلذلك اهلك من آثر سبيل الضلالات والجهالات اخلاء لوجه الارض عن تلك
الحالات ولم يكتف باهلاكهم بل اعد دار الجزآء لينتقم فيها من الاعدآء وينيب
فيها الاولياء فان الدنيا ليست بدار الجزآء بل هي دار التكليف والابتلاء
فلا بد من يوم الدين والجزاء ليصل الى كل ذي حق حقه كما قال تعالى انه يبدأ
الخلق ثم يعيد ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا
لهم شراب من حميم وعذاب اليم ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومه رغبه بعد
ذلك في الصفح عن سيئآتهم فقال فاصفح الصفح الجميل اي فاعرض عنهم واحتمل
ما تلقى منهم اعراضا جميلا ملتبسا بالحلم والاغضاء ولا تكافئهم بما آذوك قولا
وفعلا فان الساعة آتية فانا اكافئهم عنك ووصف الصفح بالجميل للدلالة على
معنى لا تشكهم ودعآءهم الى الحق مع ذلك والصفح لهذا المعنى لا يقبل
النسخ والذي يقبله هو الصفح بمعنى الاعراض عن قتالهم وقيل هو منسوخ
بآية السيف وهو بعيد لان المقصود من ذلك ان يظهر للخلق الحلم والعفو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والصفح تكليف يصير منسوخا فانه عم كان مامورا بالصفح في موضع وبالقتال
في موضع قوله او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم عطف على قوله الذي خلقك
وخلقهم فالوجه الاول على ان يفسر الصفح بالمعاملة بالخلق الحسن في تبليغ
الرسالة والصبر على ايذائهم بلسانهم وفعلهم فح يكون الاية متعلقة بقوله
وان الساعة آتية والوجه الثاني مبني على ان يفسر الصفح بالاعراض عن قتالهم
فيكون الآية ح متعلقة بقوله فاصفح قوله وهو يصلح للقليل والكثير فان صيغة
فاعل موضوعة لمن يقوم به الفعل على وجه الحدوث سواء كان متعلق الفعل
واحدا او كثيرا وصيغة فعال انما يطلق اذا كان متعلق الفعل كثيرا ثم انه تع
لما صبره على اذى قومه وامره بالصفح الجميل اتبعه بذكر ما خصه من النعم
الجليلة لان الانسان اذا تذكر نعم الله عليه سهل عليه الصفح والتجاوز فقال
ولقد آتيناك سبعا من المثاني والسبع يحتمل ان تكون المراد منه سبع آيات
او سبعا من السور او سبعا غيرهما من الفوايد وليس في اللفظ ما يدل على
التعيين والمثاني صيغة جمع واحد اما مثناة موضع الثنى او مثنية اسم
فاعل والتانيث لكونها صفة آية فان الاية اما ان تتلى مكررة او هي مثنية
كانها تثنى على الله بصفاته الحسنى على الاسناد المجازي او الاستعارة
المكنية فقوله تع سبعا من المثاني مفهومه سبعة اشياء من جنس الآيات
التي هي مواضع الثنى والتكرير او مواضع التلى والعطف والاشياء
المثنية وهذا القدر مفهوم مجمل لا سبيل الى تعيين المراد منه الا بدليل
منفصل فذهب اكثر المفسرين الى ان المراد منه فاتحة الكتاب وروي عنه
عليه السلام انه قرا فاتحة الكتاب وقال هي السبع المثاني ووجه التسمية انها
سبع ايات وانها تثنى في كل صلوة بمعنى انها تقرا في كل ركعة ولانها تثنى
بما يقرا بعدها ولانها قسمين نصفها ثناء ونصفها دعاء كما ورد في الحديث
انه ع قال يقول الله تع قسمت الصلوة اي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين
الى آخره فان النصف الاول منها حق الربوبية وهو الثناء والنصف الثاني حق
العبودية وهو الدعاء ولان كلماتها مثناة مكررة مثل الرحمن الرحيم اياك واياك

الكراد

الصراط صراط عليهم ولفظ غير في قراءة عمر رضي الله عنه فانه قرا غير المغضوب
عليهم وغير الضالين وقيل انها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة فلذلك
سميت مثاني وقال الزجاج سميت الفاتحة مثاني لاشتمالها على الثناء على الله
تع وهو حمد الله تع وتوحيده وملكه ونحو ذلك وعلى تقدير ان يكون المراد بقوله
تع سبعا من المثاني هو الفاتحة دلت الاية على ان هذه السورة الكريمة افضل سور
القرآن من وجهين احدهما ان افرادها بالذكر مع كونها من جملة القرآن لا بد ان
يكون لاختصاصها بمزيد الشرف والفضيلة والثاني انه تع انزلها مرتين دلة ذلك
على زيادة فضلها وشرفها ويدل عليه ايضا قوله ع لا صلوة الا بفاتحة الكتاب
وانه ع واظب على قراءتها في جميع الصلوات طول عمره وما اقام سورة
اخرى مقامها في شئ من الصلوات وقيل المراد من السبع المثاني السبع الطول
والطول جمع طولى تانيث الاطول كالكبر والكبرى وهي البقرة وآل عمران
والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع التوبة وقيل سابعها
التوبة بدون الانفال وقيل سابعها يونس بدل الانفال والتوبة وسميت
هذه السور مثاني لانه تثنى فيها حدود القرآن وفرايضه وامثاله وعبره
وعامة احكامه فان عامة الاحكام في هذه السبع واعترض على هذا القول
بان هذه الآيات مكية واكثر هذه السور السبع مدنية فكيف يمكن حمل هذه
الاية عليها واجيب عنه بان الله تع انزل القرآن كله الى السماء الدنيا وقضى
في علمه ان ينزله على نبيه صلى الله عليه وسلم نجوما فما نزل عليه صار هذا
الاعتبار كانه قرأه واتاه وانزله عليه فلذلك قال تع في حق ما سينزله بعد ولقد
آتيناك قوله او للمواليم عطف على قوله الطوال يعني على تقدير ان يجعل سبعا
على سبع سور يحتمل ان يراد بتلك السور السور الطوال السبع وان يراد
للمواليم السبع بناء على انه قد ثنى فيها القصص وبعض الاحكام قوله وقيل
سبع صحايف عطف على قوله وقيل سبع سور وهذا هو القول الثالث في بيان
تميز قوله تع سبعا والصحايف جمع صحيفة بمعنى الكتاب فان القرآن العظيم سبعة
اسباع كل سبع صحيفة وكتاب ومثناة ومثنية فعلى هذا القول السبع المثاني

على انه موضع الثنى او الثناء

هذا القرآن كله ودليل هذا القول قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني ووصف كل القرآن بالمثاني لانه كرر فيه دلايل التوحيد والنبوة والتكاليف وانه مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثنى على الله بما هو اهله فعلى هذا يكون عطف قوله والقرآن العظيم على السبع من قبيل عطف الصفات مع وحدة ذات الموصوف كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم ويكون المعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين الوصفين ونظير هذه الآية في القرآن قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء اي كتابا جامعا بين هذين الوصفين ثم انه تعالى امتن على رسوله بان آتاه اشرف النعم وابقاها ثوابا ولذة نهاه عن الالتفات الى ما اتاه بعض الكفرة من نعيم الدنيا وادامة النظر اليها فقال ولا تمدن عينيك وازواجا منصوب بمتعنا والزوج في اللغة الصنف قال ع لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدري ما لاقى بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت بعذاب النار وقال ع ليس منا من لم يتغن بالقرآن اي من لم يستغن على ان يكون التغني من الغنى المنصور وهو اليسار وقد جاء التغني بهذا المعنى في الحديث الصحيح وهو قوله ع ان الخيل لرجل اجر ولآخر ستر وعلى الثالث وزر ثم قال واما الذي هو ستر فرجل ربطها تغنيا وتعففا ثم لم ينس حق الله تعالى في رقابها ولا في ظهورها فحمله على الحسن الصوت يجعله من الغناء الممدود فان التغني بهذا المعنى اشهر كيف وقد قيل لبعض رواة هذا الحديث اي محمد ارايت اذا لم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع وتشهد له الحديث الآخر زينوا القرآن باصواتكم وقيل المراد من التغني بالقرآن الافصاح بالفاظه وقيل اعلانه والجهر به وقيل قراءته على خشية من الله ورقة من فؤاده وقيل معناه كشف الغموم بتلاوته وذلك ان الانسان اذا اصابه غم ربما تغنى بالشعر فطلب بذلك فرجا مما هو فيه والصديقون همهم هم المعاد وضيق صدورهم عما يشغلهم عن الله ولا يتفرجون من كربهم الا بذكر كلام ربهم واليه الاشارة بقوله ع من لم يتغن بالقرآن فليس منا اي من لم يتفرج من غمومه بتلاوة القرآن والتدبر فيه فليس منا خلقا وسيرة

قوله انه ع

قوله انه ع وانى باذرعات سبع قوافل اي صادف واتى فيها فلا يكون المقصود من ايراد هذه الرواية بيان سبب نزول الاية لان الآية مكية وهو ع انما سافر وما راى الشام بالمسلمين في آخر عمره بل المقصود مجرد بيان ان سبعا من المثاني خير من الدنيا وان التقرب بها افضل وانفع من التقرب بانفاق الدنيا في سبيل الله تعالى وروايته الكشاف والكبير هكذا وافت من بقرى واذرعات سبع قوافل اي اتت يقال وافى فلان اي اتى وحق يحتمل ان يكون هذه الواقعة متقدمة على نزول الاية ويكون سببا لنزولها واذرعات بكسر الراء موضع بالشام تنسب اليه الخمر وبقرى موضع بالشام ايضا تنسب اليه السيوف قوله انهم لم يؤمنوا علة لنهيه ع عن التحزن على المشركين ان نزل بهم العذاب نهاه اولا عن الالتفات الى اموالهم ثم نهاه عن الالتفات الى انفسهم كانه قيل كيف يضيق صدرك مما اصابهم من بأس الله تعالى وعذابه والحال انهم لم يؤمنوا فيتقوى بهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون قوله وقيل انهم الممتعون به اي قيل انه ع مارأى قوافل الكفار وكثرة اموالهم خطر بقلبه ع ان اصحابه ليس لهم قدر لحاجة ولا عوز الله بهذه الاموال الكثيرة انزله الله عليه فقوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهو خير مما يتمتعون به ايا ما فلا بل ثم ينزل عنهم عن قريب ثم قال ولا تحزن عليهم اي ولا تحزن لاجل فقرآء المسلمين حتى تكون رقة قلبك لاجلهم تؤدبك الى الالتفات الى المتاع القليل الزايل عن قريب لانهم الممتعون به ايا لان ما في ايدي الكفرة سيصير الى اصحابك عن قريب فيتمتعون به زمانا قليلا والله اعلم قوله وتواضع لهم يعني ان جناح الانسان يد كما قال تعالى لموسى عليه السلام واضمم اليك جناحك والخفض ضد الرفع قال تعالى في صفة القيمة خافضة رافعة اي انها تخفض اهل المعاصي وترفع اهل الطاعة وخفض الجناح ههنا كناية عن اللين والرفق والتواضع فهو تعالى لما نهاه عن الالتفات الى الاغنياء من الكفرة امره بالتواضع لفقرآء المسلمين ثم امره بان يقول للقوم اني انا النذير المبين اي الآتي بجميع البيانات الكافية والبينات الوافية قوله فهو وصف لمفعول النذير يعني ان الكاف اسم بمعنى

المثل منصوب المحل على انه صفة لمحذوف هو مفعول النذير تقديره النذير عذابا
مثل العذاب الذي انزلناه على المقتسمين وهم نفر من قريش بعثهم الوليد بن
المغيرة ايام الموسم فاقتسموا مداخل مكة مطرفة يقولون لمن سلكها لا تغتروا
بالخارج منا والمدعي للنبوة فانه مجنون وكانوا ينفرون الناس عن رسول الله صلى
عليه وسلم ويقول كل واحد منهم في شانه هم شانه من المطاعن مثل كاهن ر
وساحر وشاعر ومفتر ومجنون فانزل الله تعالى بهم خزيا فماتوا شر ميتة
وقيل هم الذين تقاسموا وتحالفوا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام فدمرتهم
الملائكة بالحجارة فتقتلوهم والقصة مذكورة في تفسير قوله تعالى قالوا تقاسموا
بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وعلى هذا يكون
الاقسام من القسم لان القسمة وعلى القولين المشبه محذوف وهو مفعول
النذير حذف لدلالة المشبه به عليه كما تقول رايت انسانا كالقمر ليلة البدر
في الحسن والتقدير عاما وهو انا النذير المبين عذابا مثل العذاب الذي انزلناه
على المقتسمين ثم ذكر احتمالا آخر وهو ان لا يكون كما انزلنا واقعا في حيز
النذير بل يكون واقعا في حيز آتيناك من حيث المعنى فان معنى اتيناك انزلنا
اليك فيكون الكاف منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف مدلول عليه باتيناك
والتقدير انزلنا اليك سبعا من المثاني والقرآن العظيم انزالا مثل انزالنا
على المقتسمين وهم اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا
ببعضه وجهلهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل
مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل او اقتسموا القول فيه فقال بعضهم انه
سحر وبعضهم كهانة او شعر او اساطير الاولين او افتراء فهو تعالى شبه انزاله
على رسوله عليه الصلوة والسلام بانزاله عليهم تسلية له عم عن تكذيبهم وعداوتهم
وتوسط قوله تعالى ولقد آتيناك الى قوله كما انزلنا بين المشبه والمشبه به
اعتراضا بما هو مدار لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى اموالهم والتاسف
على كفرهم ويحتمل ان يكون المراد بالقرآن كتبهم بان تكون بمعنى المقروء الذي يقرؤونه
ويكون المعنى على المقتسمين من اهل الكتاب الذين جعلوا ما يقرؤونه من الكتاب

مقسوما

مقسوما منهم فامنا بان آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعض فما وافق هواهم خذوه
وما لم يوافق غيروه وبدلوه كما قال تعالى تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا
قوله واصلها عضوة من عضوته اي فرقته لان المشركين فرقوا اقاويلهم في القرآن
فجعلوه كذبا وسحرا وكهانة وتخوذ كل وقيل نقصانه الهاء واصله عضهة لان العضة
والعضين في لغة قريش السحر وهم يقولون للساحر عاضه وللساحرة عاضهة
روي انه صلى الله عليه وسلم لعن العاضهة والمستعضهة فقوله تعالى جعلوا القرآن عضين على هذا
القول جعلوه اسحارا او قال الكسائي العضة الكذب والبهتان وجمع عضون مثل
عزة وعزون فقوله تعالى جعلوا القرآن عضين معناه جعلوه مفتريا وعلى القولين
جمعت العضة جمع ما يعقل لما لحقها من الحذف فجعل الجمع بالواو والنون عوضا عن المحذوف
قوله وقيل هو عام في كل ما فعلوا وعلى القولين ضمير لنسالنهم يرجع الى المقتسمين
لانه الاقرب ويحتمل ان يرجع الى جميع المكلفين لتقدم ذكرهم في قوله وقل اني انا
النذير المبين اي بجميع الخلق فان قيل كيف الجمع بين قوله فوربك لنسالنهم اجمعين
وبين قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان اجيب عنه بوجوه الاول ان
المنفي لا يسالون سؤال الاستفهام لانه تعالى عالم بكل اعمالهم بل يسالون سؤال
تقريع فيقال لهم لم فعلتم كذا وهو ضعيف لانه لو كان المراد من قوله فيومئذ
لا يسال عن ذنبه نفي سؤال الاستفهام لما كان في تخصيص هذا النفي بقوله
فيومئذ فائدة لان مثل هذا السؤال محال على الله تعالى في كل الاوقات والثاني
ان يصرف النفي الى بعض الاوقات والاثبات الى وقت آخر لان يوم القيمة يوم
طويل وفيه مواقف يسالون في بعضها ولا يسالون في بعضها ونظيره قوله تعالى
هذا يوم لا ينطقون وقال في آية اخرى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون
والقائل ان يقول قوله تعالى فيومئذ لا يسال الاية صريح في انه لا يحصل السؤال
في ذلك اليوم فلو حصل السؤال في جزء من اجزاء ذلك اليوم لحصل التناقض
والوجه الثالث ان قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه الاية يفيد عموم النفي
والضمير في قوله فوربك لنسالنهم يرجع الى المقتسمين فيكون خاصا والخاص
مقدم على العام قوله واصله الابانة والتمييز اصل الصدع الشق فيقال صدعته

فانصدع اى شققته فانشق ويستعمل بمعنى التفرقة ايضا كقوله يومئذ يتصدعون
وقوله فاصدع بمعنى فافرق بين الحق والباطل وافصل بينهما قال الزجاج معناه
اظهر ما امرت به اخذ من الصدع وهو ضوء الصبح قال الشماخ كان بياض غرته
صدع وقال المفسرون معناه اجهر بامرك وما مصدرية اى فاصدع بامرك
وشانك وهو تبليغ الرسالة والدعوة الى التوحيد وما يتفرع عليه من الاحكام
قالوا وما زال النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الاية فقوله
فمن يثبت الى اى برجل يضع السهام والنبل السهم والاخص ما دخل من باطن
القدم بحيث لا يصيب الارض قوله تعالى فسيح جواب شرط محذوف اى ان ضاق
صدرك عما يقولون بمقتضى الجبلة البشرية والمزاج الانسانى فالتجئ الى الله
تعالى فيما نابك بالاشتغال بهذه العبادات وهى اربعة اشياء التسبيح والتحميد
والصلوة والملازمة عليها ما دام حيا قال المحققون فى بيان كون هذه المذكورات
سببا لزوال ضيق القلب والحزن ان الانسان اذا اشتغل بهذه العبادات
انكشفت له اضواء عالم الربوبية ومتى حصل له ذلك الانكشاف صارت الدنيا
بالكلية حقيرة عنده فيستوى عنده وجدانها وفقدانها فلا يستوحش من
فقدانها ولا يستريح بوجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم بالكلية قوله واعبد
فاعبد ما دمت حيا اى مع التقييد بقوله حتى يأتيك اليقين مع ان كل احد
يعلم انه اذا مات سقطت عنه العبادات التكليف بالاستمرار والمواظبة
على العبادة ابدا ما دام حيا لانه لو قيل اعبد ربك من غير توقيت لجاز اذا عبد
الانسان مرة ان يكون مطيعا ممتثلا للامر بناء على ان الامر لا تقتضى التكرار
فلما قيل حتى يأتيك اليقين فقد امر بالاقامة ابدا ما دام حيا روى
انه صلى الله عليه وسلم قال ما امرت ان اجمع اعمالى واكون من التاجرين ولكنى اوحى
الى ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين تمت السورة والحمد لله

سورة النحل مكية غير ثلث آيات فى آخرها

فانها نزلت بالمدينة بعد قتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وهى قوله تعالى وان عاقبتم
الى آخره السورة قوله ويقولون ان صح عطف على قوله يستعجلون ان كان اول حالهم

٣٠

استعجال ما اوعدوا به استهزاء وتكذيبا له وكانوا يقولون بعده ان صح لنا فاجاب الله
تعالى عن استعجالهم بان ما امر الله به من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة لكونه متحقق
الوقوع ومقررا فى علم الله تعالى وقضائه بمنزلة الواقع بالفعل فلذلك اقول فى حقه اتى
فدانى اجراه مجرى الواقع كما يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاء الغوث
فلا نخرج ولا نستعجل واجاب عن قولهم ان صح كونه واجب الوقوع وجاريا مجرى
الواقع فانعبده من الاصنام شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فنتخلص منه بسبب
شفاعتهم بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون اى عن اشراكهم به غيره فانى يكون
لمدبر السموات والارض شريك فى تصرف ملكه فضلا عن ان يشاركه فى ذلك اخس
خلقه قوله عليه السلام روى انه لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار
فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تفعلون حتى
يأتى ما هو كائن فلما تأخر قالوا ما نرى شيئا فنزل قوله تعالى اقترب للناس
حسابهم فاشفقوا وانتظروا وقوعها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا
مما تخوفنا به فنزل قوله تعالى اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع
الناس رؤسهم فنزل قوله فلا تستعجلوه انتهى كلام يعنى انه لما نزل اتى امر الله
ظنوا انها قد اتت حقيقة ففزعوا وخافوا فلما نزل قوله فلا تستعجلوه اطمأنوا
وسكنوا فعلى قراءة حمزة والكسائى يكون الخطاب فى الموضعين للكفار وعلى قراءة
الباقين يحتمل ان يكون الغيبة مبنيا على الالتفات وان يكون الخطاب فى قوله
فلا تستعجلوه للمؤمنين اولهم وغيرهم ويكون الغيبة على ظاهرها قوله فانه اى فان
اى فان كل واحد من الوحى والقرآن يحيى به القلوب بيان لوجه الشبه بين الروح
وبين كل واحد منهما شبههما اولا بالروح من حيث كونهما سببا لحيوة القلوب
مثل كون الروح سببا لحيوة الجسد وشبههما ثانيا بالروح ايضا لكونهما
بالنسبة الى الدين بمنزلة الروح للجسد فكما ان قوام الجسد وزينته بالروح
فكذلك قوام الدين وزينته بالوحى والقرآن اذ بهما يكمل اعمارف الربانية والتكاليف
الالهية فالروح الاصلى ليس الا القرآن من حيث ان ارتقاء الجسد عن درجة البهيمية
لا يحصل الا بهما ثم عبر بالمشبه به عن المشبه فصار استعارة تصريحية تحقيقية

ثم انه تعالى لما بين بلسان الرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ما توعدهم به
لكونه محقق الوقوع في حكم الواقع وانه تعالى منزه عن الشر كاى والانذار
بين لهم الطريق الذى علم به الرسول صلعم تحقق ما توعدهم به و دفعه
وازال استبعادهم اختصاصه عم بالعلم به فقال ينزل الملائكة بالروح
الاية ان ملتبسين بالوحى او القرآن او ينزلهم ومعهم الروح على ان يكون
الباء للمصاحبة كما في قولهم خرج زيد بعشيرته فان هذه الجملة مستأنفة
لبيان ما ذكر من طريق علمه عم بذلك ولازالة استبعادهم اختصاصه عم
بالعلم المذكور كانهم قالوا سلمنا انه تعالى قضى على بعض بالسراء وعلى
آخرين بالضراء ولكن كيف يمكننا ان نوقف على الامور التى لا يعلمها الا الله
وكيف حرت بحيث توقف اسرار الله واحكامه في ملكه وملكوته فاجاب الله
تعالى عنه بقوله ينزل الملائكة بالروح من امره وتقرير هذا الجواب انه تعالى
ينزل الملائكة على من يشاء من عباده ويأمرهم ذلك العبد ان يبلغ الى سايرين
للخلق ان له العالم كلفهم بالتوحيد والعبادة ويبين لهم انهم ان فعلوا
ذلك فازوا بخير الدنيا والاخرة فبهذا الطريق صار مخصوصا بهذه
المعارف من دون سايرين للخلق وقراءة العامة ينزل بضم ياء الغيبة وكسر
الزاى المشددة ونصب الملائكة اى ينزل الله الملائكة وقرأ ابن كثير
وابن عامر ينزل بضم ياء الغيبة وسكون النون وكسر الزاى المخففة
ونصب الملائكة وقرئ تنزل بتاء واحدة فوقانية مفتوحة وتشديد
الزاى على بناء الفاعل والاصل تتنزل بتاءين حذفت احديهما وقرئ
تنزل بضم التاء الفوقانية وفتح النون والزاى المشددة على انه مضارع
مبنى للمفعول من التنزيل ورفع الملائكة على انه قائم مقام الفاعل قيل
المراد بلفظ الملائكة جبرئيل وحده وقد يطلق لفظ الجمع على الواحد اذا
كان ذلك الواحد رئيسا معظما ومنه قوله تعالى انا ارسلنا وانا انزلناه
وانا نحن نزلنا الذكر والمراد بالروح ههنا الوحى او القرآن كما مر وقيل المراد به
ههنا جبرئيل عليه السلام والباء في قوله بالروح بمعنى مع كما في قولهم خرج زيد

بعشيرته

بعشيرته اى ومع عشيرته والمعنى ينزل الملائكة مع الروح وهو جبرئيل عليهم
السلام فانه عم ما ينزل وحده في اكثر الاحوال بل كان ينزل مع جبرائيل اقوام
من الملائكة كما في يوم بدر وفي كثير من الغزوات وفي سايرالمصالح والمهمات
قوله بامره من اجله يعني ان كلمة من في قوله من امره للتعليل والتعليل كما في
قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا والمعنى ان ذلك التنزيل والنزول لا يكون الا
بامر الله كما قال تعالى وما نتنزل الا بامر ربك وقال لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون وغير ذلك مما يدل على ان الملائكة لا يقدمون على عمل من الاعمال
الا بامر الله تعالى واذنه والمراد بالعباد في قوله تعالى على من يشاء من عباده
الانبياء الذين يخصهم الله تعالى برسالته والانذار هو الاعلام مع التخويف
يقال نذر القوم بالعدو بكسر الذال اذا علموا وكثيرا ما يستعمل الانذار
في مجرد التخويف كما اشار اليه المصنف بقوله او خوفوا عطفا على قوله ان
اعلموا والمخاطب بقوله تعالى انذروا هو الانبياء عليهم السلام الا انه تعالى
انما خاطبهم بواسطة الملائكة المرسلة فانهم هم الذين يتلقون الوحى
من الله تعالى من غير واسطة سواء كان ذلك الوحى وحيا متلوا مكتوبا
في المصاحف او كان من قبيل الالهام والقاء الكلام الخفى ثم ان الملائكة
يوصلون ذلك الوحى الى الانبياء عليهم السلام فلذلك قال تعالى في آخر
سورة البقرة والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فبدأ
بذكر الله تعالى الذى هو اول ما يجب ان يؤمن بوجوده ووحدانيته ثم ذكر
الملائكة الذين يتلقون منه تعالى الوحى من غير واسطة ثم ذكر الكتب
التى يتلقاها الملائكة منه تعالى ثم ذكر الرسل في الدرجة الرابعة لانهم
الوسايط في تلقى المكلفين احكام الله تعالى وحدوده الى اجلها الله تعالى
في قوله انه لا اله الا انا فاتقون فانه يدل على ان الروح المشار اليه بقوله تعالى
ينزل الملائكة بالروح من امره ليس الا ما يدل عليه هذه الكلمة الجامعة
وهو التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذى
هو اقصى كمال القوة العملية فان النفوس البشرية لها نسبة الى عالم الغيب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تستعدها لقبول صور الموجودات والتخلي بالمعارف والادراكات من ذلك العالم ونسبة الى عالم الشهادة تستعدها لان يتصرف في اجسام هذا العالم وتسمى استعداداتها الحاصلة لها باعتبار النسبة الاولى قوة نظرية والاستعدادات باعتبار النسبة الثانية قوى عملية واشرف كما ستأتي القوة النظرية معرفة انه لا اله الا هو واشرف كما ستأتي القوة العملية الاتيان بالاعمال الصالحة الواقية عن خزي يوم القيمة وقدم قوله لا اله الا انا على قوله فاتقون للدلالة على ان ما يستند الى القوة النظرية اعلى كما لا مما يستند الى القوة العملية والكمال الانساني باعتبار هاتين القوتين يسمى كمالا نفسانيا وللانسان كمالات غير ما ذكر وهي كما لاتها الجسمانية البدنية وهي صحة جسده وكمال قواه الحيوانية وهي تسع عشرة قوة وذلك لان قواه الحيوانية لا تخلوا اما ان تكون محركة او مدركة او لا تكون محركة ولا مدركة والمحركة منها قوتان شهوية وغضبية والمدركة منها عشر قوى للحواس الظاهرة والباطنة والتي لا تكون محركة ولا مدركة تسع وتسمى القوى النباتية وهي الغاذية والنامية والمولدة والجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة والمجموع تسعة عشر وفي بدن الانسان ثلث قوى غير ما ذكر وهي الروح الحيواني والروح الطبيعي والروح النفساني اما الروح الحيواني فهو البخار اللطيف المتولد من غليان الدم المنبث في التجويف الايسر من اللحم الصنوبري واما الروح الطبيعي فهو الذي انتقل من هذا البخار الى جانب الكبد ووصل اليه واصلح حاله من التغذي والطبخ ونحو ذلك والروح النفساني هو ما دخل الشرائين من هذا البخار وتصاعد حتى وصل الى الدماغ والبخار في هذه الدرجة تكون في غاية اللطافة ويتفرع عليه الافعال الحيوانية فيكون لغاية لطافته ساريا الى جميع الاعضاء والعروق نافذا في اعماق البدن فان اتفق ان ظهرت السرة في شيء من الاعضاء سقط ذلك العضو عن العمل لعدم نفوذ الروح النفساني اليه بسبب السرة والله اعلم

النفساء

قوله وان مفسرة ذكر في كلمة ان ثلثة اوجه الاول ان تكون مفسرة لان الوحي فيه ضرب من القول وفي الصحاح الوحي الكتاب والوحي ايضا الاشارة والكتابة

والرسالة

والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما القيته الى غيرك يقال وحيت اليه الكلام واوحيت وهو ان تكلمه بكلام تخفيه والاصح ان تكون مصدرية وهي التي من شانها ان تنصب المضارع ووصلت ههنا بالماضي كما في قوله كتبت اليه بان قم فان فعل الامر تأول على المصدر كالمضارع صح ان يدخل عليه ما يجعله في تأويل المصدر والثالث ان تكون مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المحذوف تقديره بنزل الملائكة بان الشان اقول لكم انذروا واعلموا بانه لا اله الا انا ويدل على التقدير اقول لان الامر لا يقع خبرا للمبتدأ فان ضمير ان مبتدأ وانذروا خبره وهو انا آخذا بد من تقدير القول ليصح حمل الانا على المبتدأ فان قلنا انها مفسرة لا يكون لها محل من الاعراب وان كانت مخففة او ناصبة تكون في محل الجر اما على انها بدل من الروح كما اختاره الزجاج وقال ان بدل من الروح والمعنى ينزل الملائكة بان انذروا ان اعلموا الخلائق انه لا اله الا انا واما على اسقاط الخافض فمضى وابقاء عمله كما هو مذهب بعض النحاة او في محل النصب بنزع الخافض كما ذهب اليه الآخرون والاصل بان انذروا قوله وان النبوة عطائية لا يختصها بواحد دون آخر بسوى بتعلق المشية بدل عليه قوله تعالى على من يشاء من عباده ثم انه تعالى لما بين ان اصل السعادات ومنتهى كمال القوة العلمية معرفة الصانع شرع في تقرير الدلائل الدالة على وجود الصانع ووحدته ووجه دلالة المصنوعات على وجود الصانع انها لو خلت عنها تحتاج لا محدث ولا امكانها تحتاج الى مرجح يرجح احد طرفي وجودها وعدمها على الآخر فالذي وقع في القرآن هو الاستدلال بحدوثها وتغير احوالها فابتدا الله سبحانه وتعالى في هذه السورة في الاحتجاج على وجود الاله المختار بايجاد اجرام السموات والارض فان كل واحد منها محدثة لما بينا ان كل جسم متناه وكل ما كان متناهيا في الحجم والقدر كان اختصاصه بذلك القدر المعين دون الازيد والانقص مع جواز الكلام لا بد له من مقدر ومخصص وكل ما كان مفتقرا الى الغير فهو محدث وكذا كل جسم له شكل معين ووضع معين وصفات مختلفة مع تساوي نسبة جميع الاشكال والاوضاع والصفات بالنسبة لذاته فلا بد له من مخصص

يخصص بعض تلك الاشكال والاوضاع والصفات لذلك الجسم ثم انه تعالى
ثنى بذكر الاستدلال باحوال الانسان ثم ثلث بذكر الاستدلال باحوال الحيوان
ثم ربع بذكر الاستدلال باحوال النبات ثم خمس بذكر الاستدلال باحوال العناصر
الاربعة فاى شيء منها لا يقدر عليه غيره تعالى قوله عما يشركون منها الخ اشارة الى
ان قوله تعالى عما يشركون ليس تكريرا لما ذكر في اول السورة لانه ذكر اولا لابطال
قول من يزعم ان الاصنام تشفع لمن عبدها في دفع ما اراد الله به من العقاب
وقد اشار المصنف اليه هناك بقوله فيدفع ما اراد بهم وذكر ههنا لكونه
نتيجة متفرعة على ما ذكر قبله من دليل الوحدانية كانه قيل خالق السموات
والارض كيف يكون له شريك يعني ان ما يتصور ان يكون شريكا له اما شيء منها
او شيء يفتقر اليها او شيء لا يقدر على خلقها وشيء منها لا يصلح ان يكون شريكا له
فثبت انه تعالى هو الواحد المتعالي عن الشركاء والاضداد وهذا التقرير مبني على
ان يكون كلمة ما في قوله عما يشركون موصولة والمعنى تعالى عن الاشياء التي يشركونها
بمن هو خالق السموات والارض القادر على كل شيء قوله وفيه دليل اي في قوله خلق
السموات والارض ووجه دلالته على ما ذكر ان من هو خالق اصول الاجرام كيف
يكون من قبيل الاجرام المحدثة المحتاجة الى موجد ومخصص يخصص لها بعض المقادير
والاشكال والاوضاع والاوصاف ولما كان اشرف الاجسام بعد الافلاك هو
الانسان وكان الانسان مركبا من بدن ونفس استدل على وجود الصانع الحكيم
باعتبار كل واحد من بدنه ونفسه بعد الاستدلال عليه بخلق الافلاك فقوله
خلق الانسان من نطفة اشارة الى الاستدلال عليه باعتبار بدنه وقوله
فاذا هو خصيم مبين استدلال عليه باحوال نفسه فان خلق الجد الحاس المتحرك
بالارادة من الماء المهين لا يقدر عليه سوى الاله القادر وايضا النفوس
الانسانية في اول النشوة اقل فهما وذكاء وفطنة من نفوس الحيوانات الا ترى
ان ولد الدجاجة كما خرج من قشر البيضة يميز بين الصديق والعدو فيهرب
من الهرة ويلتجئ الى الام ويميز بين ما يوافقه من الغذاء وما لا يوافقه بخلاف
ولد الانسان فانه حين انفصاله عن بطن الام لا يميز البتة بين الضار والنافع

ثم انه

ثم انه حال كبره ينمو عقله ويكمل فهمه بحيث يقدر على تعقل العلوم الدقيقة والعلوم الغامضة
ويتمكن من ان يخاصم ويناظر ويجادل مع من ينازعه في جميع المطالب والمباحث فانتقال
نفس الانسان من تلك المرتبة الدنية الى هذه الكيفية المتوفرة لابد ان يكون
بتدبير اله مختار قادر على ما يشاء فهذا هو المراد من قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين
وقيل معناه فاذا هو خصيم لربه ينكر ما اخبر به خالقه من البعث والجزاء مبين ظاهر
للخصومة والمخاصمة المخاصمة مواجهة ومشافهة والصحيح ان الاية عامة لكونها مذكورة
للتقرير الاستدلال على وجود الصانع وكمال قدرته لا للتقرير وفاقة الناس وتمادتهم
في الكفر والغواية قوله بعد ما قد رمم اي بلى وتفتت يقال رمم العظم يرمم بالكسر
رمة اذا بلي فهو رميم والغالب على من يحيي العظام وهي رميم والقياس رميمة
لان فعيلا وفعولا قد يستويان فيهما المذكر والمؤنث والجمع مثل رسول وعروس وصديق
ولما كان اشرف الاجسام الموجودة في العالم السفلي بعد الانسان الحيوانات التي
ينتفع بها الانسان وهي الانعام ذكرها بعد ذكر الانسان والانعام عبارة عن
الارواح الثمانية وهي الضأن والمعز والابل والبقر والغنم اسم للجنس المشتمل
للضأن والمعز والدف السخونة واللام في قوله تعالى لكم فيها دف يجوز ان يتعلق
بخلقها اي خلقها لاجلكم ولمنافعكم ويكون قوله فيها دف جملة اسمية قدم فيها
الخبر على المبتدا ويجوز ان يكون لكم هو الخبر وفيها متعلقا بما تعلق به الخبر او يكون فيها
حالا من دف لانه لو تاخر لكان صفة له قال الواحدي تم الكلام عند قوله والانعام
خلقها ثم ابتدا وقال لكم فيها دف ويجوز ايضا ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم
ثم ابتدا وقال فيها دف وقيل احسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها
ويبتدا بقوله لكم فيها دف لتناسب قوله ولكم فيها جمال فانه معطوف عليه
والتقدير لكم فيها دف ولكم فيها جمال قوله وتقديم الظرف جواب عما يقال تقديم
الظرف في قوله ومنها تاكلون يفيد الحصر وليس الامر كذلك فانه قد يؤكل من غير
الانعام كالدجاج والبط وصيد البر والبحر والحبوب والثمار ومحصول الجواب
ان المراد حصر الاكل المعتاد المعتمد عليه في المعاش والحصر بهذا المعنى صحيح قوله
الى مراحها بضم الميم وهو اسم للمكان الذي تاوي اليه الابل والغنم بالليل يقال راح

أبله

ای ردها الی المراح وذلک لایکون الا بعد الزوال ویقال سرح القوم ابلهم سرحا
اذا اخرجوها بالغداة الی المرعی قوله حافلة الضروع ای ممتلئة یقال احتفل الوادی
بالسیل ای امتلا قوله لم تکونوا بالغیه ان لم تکن الانعام ولم تخلق لاشئ الا جواب
ما یقال کیف ناسب قوله لم تکونوا بالغیه قوله وتحمل اثقالکم فان المناسب للامتنان
بخلق الانعام لحمل الاثقال ان یوصف البلد بان یقال لم تکونوا حاملیها الیه فان للحمل
شئ والبلوغ شئ آخر والمناسب بالمقام هو الاول دون الثانی وتقریر الجواب ان
بینهما مناسبة من حیث المعنی وذلک لان تنکیر بلد للتفخیم والتهویل والمعنی
الی بلد بعید غایة البعد بحیث لا یبلغ الانسان الیه بالمشی علی رجلیه فضلا
عن ان یبلغه وهو یحمل اثقاله علی ظهره ولما کان المقام مقام توصیف البلد
بالبعد وتحقیق بعد حسن توصیفه بقوله لم تکونوا بالغیه الا بشق الانفس
ویلزم منه ان لا یکونوا حاملی اثقالهم الیه بالطریق الاولی کما اشار الیه بقوله
فضلا عن ان تحملوها علی ظهورکم قوله تعالی لم تکونوا صفة لبلد والا بشق حال من
الضمیر المرفوع فی بالغیه ای لم تبلغوه الا ملتبسین بالمشقة والعامة علی کسر
الشین وقری بفتحها فقیل هما مصدران بمعنی واحد وهو المشقة وقیل الشق
بالکسر کما یکون بمعنی المشقة یکون ایضا بمعنی نصف الشئ ویجوز حمل اللفظ علی
کل واحد من المعنیین ههنا اما حمله علی المعنی الاول فظاهر وان حملناه علی نصف
الشئ کان المعنی لم تکونوا بالغیه الا عند ذهاب نصف قوتکم وتقصانها قوله
ولتتسرینوا بها زینة یعنی ان زینة منصوب علی انه مصدر فعل محذوف وقیل انها
مفعول من اجله معطوفة علی محل قوله لترکبوها ولم ینصب الاول لفقدان شرط
نصبه وهو اتحاد الناعل فان الخالق هو الله تعالی والراکب المخاطبون بخلاف
قوله وزینة فان فاعله الزائن الذی هو الخالق فاتحد الفاعل قوله واستدل به علی
حرمة لحومها حیث قیل منفعة الاکل اعظم من منفعة الرکوب فلو جاز اکل لحم الخیل
لکان بیان هذه المنفعة اولی من بیان منفعة الرکوب وحیث لم یذکر الله تعالی
هذه المنفعة علم منه حرمة لحوم هذه المذکورات وان تمام المقصود من خلقها
هو الرکوب والزینة فقط واکل لحومها لیس من جملة منافعها قوله لما فصل الحیوانات

فان الانعام

فان الانعام وما ذکر بعدها من الخیل والبغال والحمیر وان کان الانسان یحتاج الیها
غالبا الا ان احتیاجه الی الانعام ضروری لانها تی له ان یعیش بدونها لکونها مبادی
ماکولاته وملبوساته بخلاف ما ذکر بعدها من الانواع الثلث فان الاحتیاج الیها
لیس من ضروریات الانسان فبقی من الحیوانات ما لا ینتفع به الانسان غالبا فذکرها
علی سبیل الاجمال بقوله ویخلق ما لا تعلمون قوله وعلی الله بیان سبیل مستقیم الطریق
علی تقدیر المضاف وان یکون القصد مصدرا بمعنی الاستقامة والعدل وصف به السبیل
علی طریق قولک رجل عدل فهو بمعنی قاصد یقال سبیل قصد وقاصد ای مستقیم
کانه یقصد الوجه الذی یؤمه السالک لا یعدل عنه لما شرح الله تعالی دلایل التوحید
قال وعلی الله قصد السبیل ای حق علیه بیان ما یکون مستقیما من السبیل وما یکون
جائرا عنها ولیس کلمة علی ههنا للوجوب اذ لا یجب علی الله تعالی شئ لکن بیان الرشد
من الغی مما تقتضیه الحکمة الالهیة کانه قیل انما ذکرت هذه الدلایل وشرحتها
ازاحة للعذر وازالة للعلة لیهلک من هلک عن بینة ویحیی من حی عن بینة قوله
او اقامة السبیل وتعدیلها ای ویجوز ان یکون المعنی وحق علی الله تعدیل الطریق
وجعلها مستقیمة فان قصد السبیل بمعنی لغة الاستقامة الطریق وکون هذه
الاستقامة علی الله تعالی معناه انه حق علیه تعالی تعدیل طریق المکلفین بان یهدیهم
الی ما یوصل الی مرضاته قوله او علیه قصد السبیل ان او یمر علی فضل الله ورضوانه
مستقیم الطریق یعنی ان من سلکه یصل الی ذلک لا محالة فعلی هذا یکون قوله تعالی
ومنها جائر یعنی ومن الطرق ما هو حائد مائل عن الله ورضوانه یؤدی من سلکه
الی غضبه وعقابه قوله وتغییر الاسلوب یعنی الظاهر ان یقال وعلیه جائرها او علیها
الجائر عن الحق ومعنی وعلیه بیان العادل المعوج منها وعدل عن هذا الاسلوب بناء
علی ان مقتضی الحکمة انما هو بیان الطریق المستقیم المؤدی الی السعادة الابدیة
او بیان ما یمر علیه ویوصل الیه قوله تعالی ولو شاء لهداکم اجمعین صریح فی انه تعالی
ما شاء هدایة الکفار ومراده منهم الایمان لان کلمة لو تفید انتفاء غیره فمعنی الایة
ما شاء هدایتهم فلا جرم ما هداهم لعله بان بعضهم لا یختار ذلک بل یختار ما یوافق
هواه ثم انه تعالی لما قرر الاستدلال علی وجود الصانع الحکیم بعجایب احوال الحیوانات

الشئ والانشاء ره

ذكر بعد الاستدلال عليه بعجايب احوال النبات لان اشرف ما في العالم السفلي بعد
الحيوان هو النبات فقال هو الذي انزل من السماء ماء قوله ولكم صلة انزل اي متعلق
فيكون شراب مبتدا ومنه خبره قدم عليه والجملة صفة لقوله ماء قوله وتقديمها يوهم حصر
المشروب فيه اي في المطر لان معناه منه لا من غيره مع انا قد نشرب ماء الينابيع والآبار
ولا باس به لان مياه الارض من جملة ماء المطر فسكن هناك قوله ومنه شجر اي
بسببه ينبت الشجر فان من في قوله تعالى ومنه شجر للسببية ويدل عليه قوله ينبت
لكم به الزرع والذي ينبت في الارض بسبب ماء السماء نوعان نجم وشجر فالنجم
كل ما ينجم اي يظهر ويطلع من الارض مما ليس له ساق والشجر ما له ساق وقوله
تعالى فيه تسيمون اي في الشجر تخلون مواشيكم ترعى يقتضي ان يراد بالشجر الاشجار التي
ترعاها الماشية ويمكن اسامتها فيها فان الابل تقدر على رعي اوراق الاشجار الكبار
فلهذا قال المصنف يعني الشجر الذي يرعاه الماشية مما له ساق ثم عطف عليه قوله
وقيل كل ما نبت على الارض شجر سواء كان له ساق او لم يكن والمستدل على صحة
هذا القول بان الشاعر تعلقها اللحم اذا رعت الشجر والخبيل في اطعامها اللحم ضرر
يقول للخيل خذيها اللحم الذي هو الفرع بانا بسقيها اللبن المحلوب منه اذا جدبت
الارض وقل الكلاء فانه اطلق الشجر على الكلاء قوله ترعون ان ترعون مواشيكم
من قولهم رعيت الابل ازعاها رعيا اذا خليتها ترعى وانت ترقبها ويقال رعى
البعير الكلاء بنفسه والرعي بهذا المعنى لا يصلح ان يذكر في تفسير تسيمون بضم
التاء من اسام ماشيته اذا ارسلها وخلاها للرعي وسامت هي تسوم سوما
اذا رعت بنفسها حيث شاءت قال الزجاج اخذوها من الوسامة وهي العلامة
وتاويلها انها تؤثر في الارض برعيها علامات قوله ولعل تقديم ما يسام فيه الخ

ويزيتون الخ

يعني ان النبات قسمان احدهما معد لرعي الانعام وقد ذكره بقوله فيه تسيمون
وثانيهما مخلوق لان يكون غذاء للانسان وهو المراد بقوله ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب وقدم في هذه الاية ما يكون مرعى للحيوان على
ما يكون غذاء للانسان مع ان الظاهر ان تقدم غذاء الانسان على غذاء سايير
الحيوان كما في قوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم لان نحو الزرع والزيتون وان صح كان ياكله

الانسان ولا ياكل ما يكون مرعى للحيوانات من النبات الا ان مرعى الحيوان بسبب
اكل الحيوان اياه وكونه جزءا منه يصير غذاء حيوانيا وهو اشرف من الاغذية
النباتية نحو الزرع والزيتون لان تغذي اعضاء الانسان من الاغذية الحيوانية
اسهل من تغذيها من الاغذية النباتية لان المشابهة هناك اتم واكمل من
المشابهة الكائنة بين اعضاء الانسان والاغذية النباتية فبهذا الاعتبار
يكون مرعي الحيوان اشرف مما ياكله الانسان فلذلك قدم الاول على الثاني لان
الغذاء الحيواني انما يحصل من اسامة الحيوانات والسعي في تنميتها بواسطة
الرعي ثم الغذاء النباتي قسمان حبوب وفواكه فهو تعالى اشار الى الحبوب
بلفظ الزرع والى الفواكه بقوله والزيتون والنخيل والاعناب والاشكال ان
الحبوب اشرف في الغذائية بالنسبة الى الفواكه واشرف الفواكه الزيتون
والنخيل والاعناب فلذلك خص هذه الفواكه الثلث بالذكر مع كثرة الفواكه
واشرف هذه الثلث هو الزيتون لانه فاكهة من وجه وادام من وجه لكثرة
منافعه من الدهن ومنافع الادهان كثيرة حيث تصلح للاكل والطلي واشعال
السرج واشرف الباقيين هو النخيل فلذلك قدم الزيتون على النخيل وقدم النخيل
على الاعناب قوله ان تنفعكم بها حال كونها مسخرات له جواب عما يقال كيف يكون
مسخرات حالا من الجميع مع انه يستلزم ان يكون المعنى سخر هذه الاشياء
حال كونها مسخرات بامره وهو تحصيل الحاصل وتقييد الشيء بنفسه وتكرار بلا
فائدة وتقرير الجواب ان سخرها لكم بمعنى تنفعكم بها عبر عن النفع بالتسخير لكون
النفع غاية للتسخير مترتبا عليه والتعبير عن الشيء بغايته المطلوبة منه مجاز مشهور
فيندفع الاشكال المذكور قوله خلقها ودبرها اشارة الى ان الامر في هذه الآية
امر تكوين لا امر تكليف بناء على ان الافلاك والكواكب جمادات على ما ذهب
اليه اكثر المسلمين فالامر المتعلق بها امر تخليق وتدبير والامر بمعنى الشان
والفعل كثير ومنهم من يقول انها ليست جمادات فهم يحملون الامر على الاذن
والتكليف قوله دفعا للدور والتسلسل فانه لو اسند حوادث العالم السفلي
الى الحركات الفلكية والكوكبية والاشكال ان الحركات الكوكبية والفلكية لا يمكن استنادها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى افلاك وكواكب اخر يه والا لزم الدور او التسلسل وكلاهما محالان ولا يمكن استناد
تلك الحركات والاوضاع الى ذوات الافلاك والكواكب من حيث انها اجسام لان
الاجسام متماثلة فلو كان جسم معين من تلك الاجسام علة الصفة ووضع
معين لكان كل جسم واجب الاتصاف بتلك الوضع والصفة ولا متنع اختلاف
الصفات والاوضاع فثبت ان الجسم يمتنع ان يكون مسخرا لكونه جسما فبقي ان
يكون مسخرا لغيره وذلك الغير اما ان يكون فوق قائمة به او امرا مبايناً عنه والاول
باطل لان البحث المذكور يعود بان يقال ان ذلك الجسم بعينه لم اختص بتلك القوة
بعينها دون سايرالاجسام فتعين ان يكون تلك الحركة مستندة الى امر مباين
عنه وذلك المباين لا يخلو اما ان يكون موجبا بالذات او فاعلا بالاختيار
والاول باطل لان نسبة ذلك الموجب بالذات الى جميع الاجسام على السوية
فلا يكون بعض الاجسام بقبوله بعض الآثار المعينة اولى من بعض فتعين ان
يكون فاعلا مختارا قادرا على ما يشآء وهو الله تعالى وان الحوادث السفلية على
تقدير استنادها الى الحركات الفلكية ثبت ان الحركات الفلكية حادثة بتخليق
الله تعالى وتقديره وتكوينه وكان هذا اعترافا بان الكل من الله تعالى وباحداثه
وتخليقه وهذا هو المراد من قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر
والنجوم الآية يعني ان كانت تلك الحوادث السفلية لاجل تعاقب الليل والنهار
وحركات الشمس والقمر فهذه الاشياء لا بد وان يكون حدوثها بتخليق الله تعالى
وتسخيره قطعا للتسلسل ولتمام هذا الدليل في هذا المقام ختم الآية بقوله ان
في ذلك لآيات لقوم يعقلون يعني ان كل من كان عاقلا يعلم ان التسلسل والقول
بما يؤدي اليه ويستلزمه باطل بل لا بد من الانتهاء في آخر الامر الى الفاعل
المختار القديم تعالى شانه من غير احتياج الى تفكر وتامل فجعل الاستدلال باحوال
النبات على وجود الله موجد الكائنات فان احوال النبات وان كانت دالة عليه
الآن دلالتها على وجوده تحتاج الى التفكر والتامل فانه لما ذكر انه تعالى انزل من
السمآء ماء فانبت به الزرع والزيتون ونحوهما بتوسط ان قال لاتم انه هو الذي
انبتها ولم لا يجوز ان يقال ان هذه الاشياء انما حدثت بسبب اختلاف الفصول

الاربعة

الاربعة وتأثيرات الشمس والقمر والكواكب فلما لم يتم الدليل على فساد هذا الاحتمال
لا يكون الاستدلال باحوال النبات وافيا بافادة هذا المطلوب قاطعا للمنكر كما
والريوب بل يكون الاحتياج الى التفكر والتامل باقيا بعد فلهذا السبب ختم الاستدلال
باحوال النبات بقوله ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وختم الاستدلال باختلاف
الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والنجوم بما خلقن له بقوله ان في ذلك لايات
لقوم يعقلون تنبيها على ان هذا الدليل وافٍ لافادة هذا المطلوب لمن له عقل
سليم ولا يحوجه الى مزيد التفكر والتامل فان من تعقل ان اختلاف الفصول
والاوضاع الفلكية والكوكبية لا يستند الى افلاك واوضاع اخر ومن
بطلان التسلسل يقطع بان جميع الحوادث مستندة اليه تعالى ابتدآء وانتهآء
وجمع لفظ الاية للدلالة على اختلاف انواع الدلالة قوله او جمع مصدر ميمي
عطف على قوله حال من الجميع فيكون مسخرات منصوبا مطلقا على ان يكون مسخرة
بمعنى التسخير لان المصدر الميمي من المزيدات يكون على وزن اسم المفعول من
ذلك الباب ويجوز ان يجمع المصدر للدلالة على اختلاف الانواع والمعنى انه سخرها
انواعا من التسخير على اسلوب قولك ضربه ضربات قوله ورفع ابن عامر
فانه قرا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع في الاربعة وقرا حفص
برفع النجوم ومسخرات فقط والباقون بنصب الجميع وكسرنا مسخرات فان قيل
التسخير انما يتعلق بمن له حيوة وقدرة يصح منه الانقياد والمخالفة حتى تثبت
وبسخر تكوين يصح ان يتعلق التسخير بما هو من قبيل الاعراض كالليل والنهار
وما هو من قبيل الحادثات كباقي المذكورات فالجواب ان تسخير هذه الاشياء
عبارة عن انه تعالى خلق هذه الاشياء ودبرها كيف شآء من غير ان يتوهم
الامتناع والمخالفة من قبلها فهذه مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها كيف شآء
او هو عبارة عن انه تعالى جعل فيها منافع للخلق نصل اليها تلك المنافع شيئين
او ايقين ولم يجعل لهذه ما يمتنع على الخلق استيفآء تلك المنافع منها بسبب
فهذه مسخرات لما خلقن له بايجاده وتقديره وعلى الوجهين فالمراد بالامر
التكوين والتقدير لا امر التكليف والحاصل انه تعالى لما كون هذه الاشياء على وجه

ملائم

لمصالح العباد فتكونت على وفق ارادته صارت شبيهة بالعبد المنقاد والمطواع
فاطلق عليها هذا التكوين والتدبير لفظ التسخير على طريق التمثيل فصبع المشتقات
التي من الاستعارة تبعية كانت قرينة للاستعارة المكنية قوله يتذكرون ان اختلافها
ليس الا بصنع صانع اشارة الى انه تعالى ختم الاستدلال باختلاف اصناف ما ذرأ بقوله
لقوم يذكرون تنبيها على ان خلاصة هذا الدليل راجعة الى ما ذكر في الاستدلال باحوال
النبات من الحبة الواقعة في الارض بشق السفلها تخرج منه عروق الشجرة وينشق
اعلاها فيخرج منه ساقها ثم تمتد وتخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار الى
قوله علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار فيكون الاستدلال باختلاف الوان ما ذرأ
مبنيا على تذكره محصول ما ذكر في الاستدلال باحوال النبات فلذلك قال ان في ذلك
لاية لقوم يتذكرون ثم انه لما احتج على اثبات الصانع بالاجرام العلوية والسفلية
من السموات والارض وخلق نوع الانسان وانواع الحيوانات والنباتات شرع الآن في
الاستدلال عليه بعجائب احوال العناصر فبدأ منها بالاستدلال بعنصر الماء واعلم ان
علماء الهيئة قالوا ثلثة ارباع كرة الارض غائصة في الماء الذي هو البحر المحيط وهو
كل عنصر الماء وحصل في هذا الربع المكشوف سبعة من البحار كما قال تعالى والبحر يمده
من بعده سبعة ابحر والبحار التي سخرها الله تعالى للناس هي هذه البحار ومعنى تسخير
الله تعالى اياها للخلق جعلها بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بها اما بالركوب او بالغوص
لاستخراج ما فيها من اللؤلؤ والمرجان واصطياد ما فيها من اللحوم الطرية ونحو ذلك
والماء الزعاق هو الماء الاجاج اي المر قوله وتمسكك به مالك حيث قال كيف لا يحنث
باكل السمك مع انه تعالى نفى عليه كونه لحما في هذه الاية وليس فوق بيان الله تعالى بيان
روي ان ابا حنيفة لما قال لحم السمك ليس بلحم حتى لو حلف لا ياكل اللحم فاكل لحم السمك
لا يحنث وسمعه سفيان انكر عليه واحتج عليه بهذه الآية فبعث اليه ابو حنيفة وسأله
عن رجل حلف لا يصلي على الباطنج على الارض فهل يحنث ام لا فقال سفيان لا يحنث
فقال السائل اليس الله تعالى قال والله جعل لكم الارض بساطا قالوا فعرف سفيان ان
ذلك كان بتلقين ابي حنيفة قوله تشقه بجيم ومهملة اي بوسط صدرها قال اهل اللغة
تخر السفينة تشق الماء بصدرها ومن القرآن المخصوص بحرب الفلك ومنه في قوله

تع

تع لنا كلوا منه لحما يجوز ان يتعلق بقوله لنا كلوا وان يتعلق بمحذوف على ان يكون حالا
من النكرة بعده وكذا منه في قوله وتستخرجون منه حلية يحتمل الوجهين المذكورين
والحلية اسم لما يتحلى به قوله تع وترى الفلك جملة معترضة بين التعليلين وهما
قوله لنا كلوا منه مع ما عطف عليه وقوله ولتبتغوا واما قلنا انها معترضة لانه
خطاب لواحد وقع بين خطابين لجمع قوله بركوبها للنجاة اضافة الركوب الى ضمير
الفلك يشعر ان يكون قوله تع ولتبتغوا معطوفا على علة محذوفة وان يكون
تقدير الكلام لتنتفعوا بكونها مواخرة ولتبتغوا الربح والنماء من فضل الله
بركوبها للنجاة فاذا وجدتم ما تبتغونه من فضل الله تع واحسانه فلعلكم تؤدون
حق تشكرون اذ لو جعل معطوفا على قوله تعالى لنا كلوا منه لحما وجعل قوله وترى الفلك
اعتراضا بين التعليلين كما هو الظاهر لكان المناسب تذكير الضمير بان يقال بركوبه
للنجاة قوله كراهة ان تميل بكم يعني ان الميد المميل والحركة والاضطراب يمينا وشمالا
لا ينال ما يميد ميدا قوله وان تخرق بادغام احدى التاءين في الاخرى سبب للتحريك كالسفينة اذا القيت
على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت احمال ثقيلة
في تلك السفينة استقرت على وجه الماء واستوت لان تلك الاحمال بسبب
ثقلها تتوجه نحو المركز وتمنع السفينة عن ان تضطرب يمينا وشمالا فكذلك
الجبال بالنسبة الى الارض فانها بمنزلة الاوتاد بالنسبة الى الالواح كما قال تعالى
وجعلنا الجبال اوتادا على طريق التشبيه البليغ قوله ما هي بمفرد احد على ظاهرها
كذا في رواية من النسخ والظاهر ان يقال بمفردة احدى بتانيث مفردة لهو
او غير مئونة لكونها خبرا عن ضمير الارض قوله لان القى فيه مفعول جعل فان الالقاء
حقيقة هو طرح الشئ من اعلى الى اسفل ولا يخفى ان اثبات الجبال الرواسي في وجه
الارض ليس بطريق الالقاء بل بطريق الجعل والخلق ويدل عليه قوله تع في آية
اخرى وجعل فيها رواسي من فوقها ولما كان قوله في هذه والقى في الارض رواسي
بمعنى وجعل فيها رواسي ثم عطف قوله وانهارا وسبلا على قوله رواسي كان المعنى
وجعل فيها انهارا وسبلا ومعنى القاء السبل وجعلها في الارض انه تع اظهرها
وبينها ليهتدي بها من يسافر فيها الى مقصده ووضع فيها علامات اي معالم

وهو جمع معلم وهو الاثر الذي يستدل به على طريق من جبل وسهل وبحر ونحوها مما يستدل به في النهار والعلم ببعض الديار نهبت فيه الريح من جهة واحدة فيستدل بها على الطريق كما يستدل بالجبل ونحوه قال الامام ورايت جماعة يشمون التراب وبواسطة ذلك الشم يتعرفون الطرقات قوله ولعل الضمير لقريش يعني غير اسلوب الخطاب العام في قوله ان تميد بكم الى طريق الغيبة في قوله وبالنجم هم يهتدون وخص اولئك الغائبون بالاهتداء دون غيرهم بدلالة تقدمهم على يهتدون وخص اهتداؤهم بالنجم دون غيره حيث قدم بالنجم على عامله الذي هو يهتدون فلعل المراد بهؤلاء الغائبين قريش فانهم لما امتازوا من بين جملة الناس بكثرة الاسفار للتجارة ومن سافر في الديار المحارة يكون اكثر سفره واقعا في ظلمة الليالي فيكون اهتداؤه مختصا بالنجوم فعدل عن طريق الخطاب لجميع الناس للطريق الغيبة اشارة الى قريش لكون هذا المعنى فيهم اتم واكمل ثم انه تعالى قرر الدلائل الدالة على وجود الآله القادر ووجوه نعمه واحسانه اتبعه بذكر ما يدل على بطلان عبادة غير الله الذي هو المتفرد بخلق هذه الآثار البديعة والمتولي لجميع هذه النعم الجليلة فقال افمن يخلق كمن لا يخلق قوله انكار بعد اقامة الدلايل الانكار مستفاد من الهمزة والبعدية من الفاء وكان المقصود من هذا الكلام الانكار على من يجعل غير الخالق مثل الخالق في تسميته باسم الآله وفي الاشتغال بعبادته كان الظاهر ان يقال افمن لا يخلق كمن يخلق ليتم الالزام والتجهيل في جعلهم العاجز بالقادر الآله تعالى عكس هذا النظم للتنبيه على كمال جهالة المشركين فانه لا سيرة في انحطاط شان من لا يخلق شيئا وهم يخلقون بالنسبة الى خالقهم فمن سلك سبيل الاشراك يلزمه ان يجعل الخالق القادر مما لا مثلا لهؤلاء المخلوقات العجزة وهو غاية الجهالة والغواية فانكر عليهم في هذه الجهالة فقال افمن يخلق عبر عن الاصنام التي هي جمادات بلفظ حقه ان يطلق على اولي العلم اما لاجرائهم مجرى اولي العلم اولان كلما او للمبالغة في انكار المماثلة بين الخالق والاصنام فانه

اذا

اذا امتنع المماثلة بين الخالق وبين من لا يخلق من اولي العلم كان امتناعها بين الخالق وبين من لا يخلق ولا يعلم بطريق الاولى قوله فانه تجلانه كما حاصل يعني ان قوله تعالى افلا تذكرون استعارة تبعية شبه ادراك الصورة الجلية الغير الحاصلة بتذكر الصورة المخزونة التي ذهل عنها فاطلق عليه اسم التذكر بناء على تلك المشابهة ثم اشتق منه تتذكرون او هو استعارة مكنية شبهت الصورة الجلية الغير الحاصلة بالحاصلة المخزونة تشبيها بمفراغ النفس وجعلت نسبة التذكر اليها تخييلا قوله بادي تذكر الظاهر ان تقال بادي بدء قوله فضلا عن ان تطيقوا القيام بشكرها يعني ان الاشتغال بشكر النعم مشروط بعلم العبد بتلك النعم على سبيل التفصيل فان ما لا يكون معلوما امتنع الاشتغال بشكره واذا كان عقل الانسان قاصرا عن احصاء نعم الله تعالى والاحاطة بها تفصيلا امتنع منه ان يشتغل بشكرها على الوجه الذي يكون ذلك الشكر لائقا بتلك النعم فلما كان احصاء النعم والعلم بتفاصيلها من لوازم الطاقة على القيام بشكرها كان انتفاء الاحصاء مستلزما لانتفاء الطاقة على الشكر فان قيل اذا لم يكن القيام بالشكر مما لا يطيقه الانسان فكيف امرهم الله تعالى بذلك فالجواب ان الشكر المامور به هو الاشتغال بالعبادة على حسب الطاقة بان يلاحظ كمال عظمة الله تعالى وكبريائه وكثرة ما انعم به عليه من وجوه فضله واحسانه ويجتهد في رعاية حدوده وتكاليفه على حسب طاقته واستطاعته قوله وتنزيه للشركة باعتبار العلم يعني انه تعالى رتب الشركة وعبادة الاصنام في الاية الاولى باعتبار القدرة على الخلق والانعام ورتبه في هذه الآية باعتبار العلم كانه قال ان الآله يجب ان يكون عالما بالسر والعلانية والاصنام جمادات لا شعور لها بشئ اصلا فكيف يحسن عبادتها وقرا العامة تسترون وتعلنون بتاء الخطاب وقراءة عاصم في رواية حفص يسرون ويعلنون والذين يدعون كلهن بياء الغيبة وكذلك الكسائي وروي عن عاصم يدعون خاصة بياء الغيبة والباقون كلهم بتاء المخاطبة كذا في تفسير التيسير وليس في تيسير القراءة الا قوله قرا عاصم والذين يدعون بالياء والباقون بالتاء قوله لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق اشارة الى جواب ما يقال من ان قوله تعالى في اول الآية افمن يخلق

كمن لا يخلق بنبيد ان من الاصنام لا يخلق شيئا فيكون قوله ههنا لا يخلقون
شيئا تكرارا محضا فاوجه وقوعه في القرآن وتقرير الجواب ان ما ذكرا وّلا لا بد له
على ما ذكر بعد من كل واحد منهما مقدمة مستقلة لدليل بطلان القول بالاشراك
وترتيب الدليل هكذا الآلهة الذين يعبدهم المشركون من دون الله لا يخلقون
شيئا وكل شيء ممن لا يخلق بشيء مما مثل للخالق فلا شيء من الاصنام بشيء
للخالق فلا كل تكرار قوله هم اموات لا يعتريهم الموت اشارة
الى ان قوله اموات خبر مبتدإ محذوف والى دفع ما يقال من ان قوله اموات
يفيد كونهم غير احياء فما الفائدة في ذكر قوله غير احياء بعد ذكرهم اموات
دفعه اوّلا بان قوله غير احياء صفة مخصصة لقوله اموات فان من الاموات
ما يعتريه الموت بعد زمان كالنطفة والبيضة ونحوهما ومنها ما لا يعتريه الموت
ابدا والاصنام من قبيل الثاني فكيف يكون شريكا للآلهة الحق الذي هو حي
لا يجوز ان يعتريه الموت ابدا وثانيا ان الميت الذي لا يعتريه الموت
ابدا في غاية البعد عن الحي الذي لا يعتريه الموت ابدا او يمتنع ذلك في حقه
قطعا ودفعه ثانيا بان المراد بقوله اموات ما يتناول الاموات حالا
كالاصنام وعيسى وعزير والاموات مآلا كالملائكة الذين يعبدهم طائفة
من المشركين والاموات بهذا المعنى يلزم ان لا يكون احياء بالذات الا انها
وصفت بانها غير احياء بالذات للتأكيد كما في قوله نفخة واحدة فانه لما كان
المقصود نفي الآلهية عن شركاء المشركين اقتضى المقام الاهتمام بنفي لوازم
الالوهية عنها وتوصيفها بما ينافي الالوهية فلذلك اكد كونها امواتا حالا او
مآلا بكونها غير احياء بالذات فانه تعالى وصفهم بثلث صفات كل واحد
منها تنافي الالوهية وهي انهم غير خالقين ومخلوقون وانهم اموات غير احياء
وانهم لا يعلمون وقت البعث والمقصود منه نفي الالوهية عنهم لوجوب كون
الآلهة خالقا غير مخلوق حيا لا يموت عالما بالغيب كعلمه بالشهادة فالذي يكون
موصوفا باضداد هذه الاوصاف لا يكون آلها قطعا قوله ولا يعلمون وقت يبعثهم
او يبعث عبدتهم اشارة الى ان ضمير يشعرون للمعبودات البتة وان ضمير يبعثون

يحتمل

يحتمل ان يكون للمعبودات ايضا ويكون المعنى الاصنام لا يشعرن متى يبعثها الله تعالى
قال ابن عباس ان الله تعالى يبعث الاصنام ولها ارواح وهو شيطانها فتتبرأ
من عابديها فيؤمر بالكل الى النار ويحتمل ان يكون للعابدين ويكون المعنى
ان الاصنام وسائر المعبودات من دون الله لا يشعرون وقت بعث
عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم قوله وفيه تنبيه ان
في قوله وما يشعرون ايان يبعثون تنبيها على انه لا بد من البعث وان البعث
من لوازم التكليف على معنى ان من شأن المعبود ان يجازي عابده الذي كلفه
بعبادته والدنيا دار تكليف لا يتأتى المجازاة فيها فلا بد من دار للجزاء يبعث
الخلق للثواب والعقاب ثم انه لا بد للآلهة من العلم بما صدر من المكلف وبما يعادله
من الثواب والعقاب وبالوقت المقدر للجزاء والذي لا يعلم شيئا من ذلك كيف
يكون آلها وقوله تعالى ايان منصوب بما بعده لا بما قبله وهو يشعرون لانه استفهام
والاستفهام معلق ليشعرون قوله تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج يعني ان قوله تعالى
الهكم اله واحد مذكور للسبق واعادة للمدعى بعد اقامة الحجج عليها مفصلا كرره ليكون
توطئة لما ذكر بعده من بيان ما لاجله امر الكفار على التولي بالشرك وانكار التوحيد
والفاء في قوله فالذين جواب شرط محذوف كانه قال اولا قد ثبت بالدلايل
الواضحة ان الآلهية مختصة بالله تعالى وانه واحد متفرد بالوهية ثم قال واذا
كان كذلك فمن حقه ان يخص بالعبادة ويتبرأ من الشريك فمن اصر على الشرك
بعد اقامة هذه الدلايل انما لم ينتفع بهذه الدلايل واستمر على ضلاله القديم
لاجل انه لا يؤمن بالآخرة بل ينكرها فلذلك لا يرغب في الثواب ولا يرهب عن
الوقوع في العقاب فيبقى قلبه منكرا لكل كلام يخالف هواه ومستكبرا عن الرجوع
الى قول الناصح وقبوله فلا جرم يبقى مصرا على الجهل والضلال قوله وانكار قلوبهم
عطف على قوله عدم ايمانهم بالآخرة وكذا قوله والاستكبار عطف عليه ايضا والمراد
بالاول عدم الايمان بالآخرة فانه هو العمدة في باب الاصرار على الضلال وبالآخرين
انكار القلوب والاستكبار وكونها مرتبين على الاول وقوعها خبرا للمبتدإ
المتضمن لمعنى الشرط قوله لا جرم صفا نقل للجوهري عن الفراء ان قولهم لا جرم كلمة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كانت في الاصل بمعنى لابد ولا محالة ثم جرت على ذلك وكثرت حتى تحولت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب عن القسم بها الا تراهم يقولون لا جرم لآتينك وقيل لا رد للكلام معها وجرم بمعنى حق ووجب بعنى ان لا نافية للكلام متقدم تكلم به الكفرة فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله لا كما تزعمون لا هذا اذا وقعت قبل القسم في قوله لا اقسم وقوله فلا وربك لا يؤمنون ثم ابتدأ بعدها بجملة فعلية وهي جرم ان لهم كذا اي حق ووجب ان يكون الامر كذا فيكون ما بعد جرم مرفوعا بالفاعلية وقيل ان لا جرم لفظ مركب من لا النافية وجرم جعلها لفظا واحدا مبنيا بناء خمسة عشر وصارا بعد التركيب بمعنى حق فيرتفع ما بعدهما بالفاعلية ايضا فقوله تعالى لا جرم ان لهم النار معناه حق وثبت كون النار مثوى لهم او استقرارهم لها وقيل ان لا جرم بمنزلة لا بد لا رجل في كون لا نافية للجنس وجرم اسمها مبني معها على الفتح وهي واسمها في محل الرفع بالابتداء وما بعدهما خبر لا النافية وصار معناها لا محالة ولا بد ان الله تعالى يجازيهم على ما حسب عليه بما اسروا واعلنوا قوله فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده يعني ان المستكبرون يعم كل من عرف الحق واستكبر عن قبوله وعرف النعم واستكبر عن شكرها ويدخل في هذا العام من سبق له الكلام دخولا اوليا وهم المشركون الذين يستكبرون عن التوحيد وجاز ان يكون لفظ المتكبرين من وضع الظاهر موضع المشركين المستكبرين عن التوحيد فقط ويكون النكتة في العدول عن الضمير الاشعار بالعلة للحكم عليهم بانه تعالى لا يحبهم ثم انه لما بالغ في تقرير دلايل التوحيد وبطلان مذاهب عبدة الاوثان حكى مطاعن منكري النبوة وبين ان عاقبة طعنهم كانت ان يحملوا الاوزار فانهم لما اضجروا عما صدقه في دعوى النبوة بانزال القرآن المعجز عليه طعنوا في القرآن وقالوا انه اساطير الاولين وليس هو من قبيل المعجزات فقال تعالى انما قالوا ذلك ليحملوا اوزارهم كاملة واللام فيه لام العاقبة لانهم لم يصفوا القرآن بانه اساطير الاولين لاجل ان يحملوا [illegible] الاوزار ولكن لما كانت عاقبة ذلك التوصيف ان يحملوها شابه الحال المذكور بالغرض المطلوب من الفعل فحسن ادخال لام العلة عليه كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم

عدوا

عدوا او حزنا قوله ماذا في محل الرفع على الابتداء وقوله انزل ربكم خبره اي اي شيء انزله ربكم غاية ما في الباب ان يكون التركيب من قبيل زيد ضربت في حذف العائد المنصوب والمسئلة مختلف فيها بين النحاة والصحيح جواز والقائم مقام الفاعل لقوله قيل هو الجملة من قوله ماذا انزل ربكم لانها هي المقولة والبصريون يابون ذلك ويجعلون القائم مقامه ضمير المصدر لان الجملة لا يكون فاعلة ولا قائمة مقام الفاعل واختلفوا في قائل هذا القول وفاعله المحذوف بعد اتفاقهم على ان المقول هم المشركون الطاعنون في القرآن وكونه منزلا من الله تعالى فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفد الحاج عما انزل الله تعالى على رسوله كذا في الكشاف وفيه تسامح والمراد انه قول الوافدين على المقسمين او قول الوافدين على المشركين كما اختاره المصنف الا انه على تقدير ان يكون هذا قول بعض المشركين لبعض يكون قوله ماذا انزل ربكم مبنيا على التهكم لانهم منكرون للانزال والنبوة وقوله اساطير الاولين خبر مبتدا محذوف اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وارتفاع اساطير دليل على ان ماذا مرفوع على الابتداء لانه لو كان منصوبا على انه مفعول انزل على معنى اي شيء انزل ربكم لكان المناسب ان يكون اساطير ايضا منصوبا على انه مفعول فعل محذوف ليطابق الجواب السؤال فان جواب المرفوع ينبغي ان يكون مرفوعا وجواب المنصوب منصوبا ولم يقرأ احد اساطير الاولين بالنصب قوله وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التبعيض يعني ان كلمة من في قوله تعالى ومن اوزار الذين تبعيضية فكما ان الرؤساء في كمال الضلالة حيث جمعوا بين الضلال عن الحق بانفسهم وبين الضلالة التي يتعدى اثرها الى الغير وهي ضلالة الاضلال فلما كانت ضلالتهم كاملة فلا جرم حملوا اوزار ضلالهم كاملة فكذلك الاتباع فان لهم ضلالة متسببة من اضلال الرؤساء اياهم ولهم ضلالة غيرها فالرؤساء يحملون من اوزار الاتباع ما هو حصة الضلال الحاصل فيهم باضلال الرؤساء اياهم ولا يحمل الرؤساء جميع اوزار الاتباع وهذا لا يخالف ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى هدى فاتبع كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم
شيئا، ومن دعى الى ضلال فاتبع كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص
ذلك من آثامهم شيئا، لان المراد ببعض اوزار من ضل هو وزر ضلاله الذي
تسبب فيه المضل وكذلك الآثام المذكورة في الحديث غاية ما في الباب
ان يقدر المثل ويقال تقدير الآية ومثل بعض اوزار ضلال الاتباع
قال الامام واعلم انه ليس المراد انه تعالى يوصل العقاب الذي يستحقه الاتباع
الى الرؤساء وذلك لان هذا لا يليق بعدل الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى وان ليس
للانسان الا ما سعى وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى بل المعنى ان الرئيس
اذا وضع سنة قبيحة استحق بذلك عقابا عظيما حتى يكون ذلك العقاب ساريا
لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع ثم نقل عن الواحدي انه قال ولفظ من في قوله
من اوزار الذين يضلونهم ليست للتبعيض لانها لو كانت للتبعيض لكان عن
الاتباع بعض اوزارهم وذلك غير جائز لقوله عم من غير ان ينقص من اوزارهم
شيء ولكنها للجنس اي ليحملوا من جنس اوزار الاتباع انتهى كلامه ولا يخفى ان من التي
يكون لبيان الجنس لا يكون تقديرها هكذا بل الظاهر ان يقال في تقديرها ومثل الاوزار
الخ هي اوزار الذين يضلونهم قوله حال من المفعول ويجوز ان يكون حالا من الفاعل
فالمعنى يضلونهم جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال الا
ان الاول من المتفرعة على كونه حالا من المفعول تفوت حينئذ فانه تعالى لما وصف الذين
لا يعلمون انهم ضلال بالضلال وبكونهم حاملين للاوزار حيث اضاف اليهم
الاوزار وقال في حقهم الذين يضلونهم والاضلال لا يتحقق بدون الضلال علم
منه ان جهلهم بذلك لا يخرجهم عن كونهم ضلالا حاملي الاوزار في انفسهم
واعلم انه تعالى حكى عن المشركين انهم وصفوا القرآن بانه اساطير الاولين اي
احاديثهم واباطيلهم ولم يجب عنهم ببيان حقيقته وكونه كلاما الهيا معجزا
بل اقتصر على مجرد الوعيد بناء على ما تكرر بيان ذلك في مواضع متعددة من القرآن
ثم انه عز وجل تأسف من قول المشركين في حق القرآن انه اساطير الاولين وجعلهم
هذا القول وسيلة الى التكذيب في دعوى الرسالة نزل قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم

الآية

الآية والمراد بالمكر ههنا التدبير الفاسد اي قد مكر الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء
المشركين بانبيائهم كما مكر بكل هؤلاء فلم يقدح ذلك بالانبياء بل ابطل الله تعالى
مكرهم ورد في نحورهم كيدهم وتحقق فيهم معنى ما قيل من حفر لاخيه جبا وقع
فيه ملكيا والمنصوبات جمع منصوبة وهي للنخلة يقال سوق نخلان منصوبة وهي
في الاصل صفة للشبكة او الجبال فجرت مجرى الاسماء كالدابة والعجوز وفسر
الزجاج القواعد بالاساطين التي تعمد البنيان اي تقيم يقال عمدت الشيء
فانعمد اي اقمته بعماد يعتمد عليه والعمد بضمتين جمع عماد قوله بان ضعضعت
اي انهدمت القواعد للجوهري ضعضعه اي هدمه حتى الارض وهو استعارة
تمثيلية شبه حالهم في انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الانبياء فجعلها الله
سبب هلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان
من الاساطين بان ضعضعت تلك الاساطين فسقط عليهم السقف وهلكوا
واليوم في قوله تعالى ان الخزي اليوم معمول للخبر وقد عمل فيه المصدر المعرف
بالالف واللام او هو معمول للخبر وهو قوله على الكافرين كائن على الكافرين
اليوم وفصل بين العامل ومعموله بالمعطوف اتساعا في الظرف قوله وقرا حمزة بالياء
التحتانية اذ لا تانيث في الملائكة ومن قرا بالتاء الفوقانية نظر الى لفظ الملائكة قوله
وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلثة الجر على انه صفة لما قبله والنصب بتقدير اعني
والرفع بتقدير هم الذين وعلى التقادير يكون قوله تتوفاهم واردا على حكاية
الحال الماضية لان الذين اوتوا العلم يقولون هذا القول حين يرون خزي الكفار
وفضاحتهم يوم القيمة على طريق اظهار الشماتة وزيادة الاغاظة لهم ومن الظاهر ان
توفي الملائكة اياهم امر ماض بالنسبة الى يوم القيمة فيكون التعبير عنه بلفظ المستقبل
مبنيا على حكاية الحال الماضية فقوله فالقوا السلم يجوز ان يكون معطوفا على تتوفاهم
لكونه بمعنى الماضي وان يكون معطوفا على قوله قال الذين اوتوا العلم فيكون المسالمة
المذكورة من جملة احوالهم الواقعة يوم القيمة ولا يكون من جملة مقالة اولي العلم بخلاف ما
اذا كان معطوفا على تتوفاهم الآن قول المصنف واخبتوا حين عاينوا الموت يدل على
انه جعله معطوفا على تتوفاهم فيكون المعنى ان الذين اوتوا العلم وصفوا الكفار بان الملائكة

توفهم مشركين وبانهم استسلموا واقروا الله تعالى بالوحدانية عند الموت وقالوا
ماكنا نعمل من سوء والاحبات الخشوع بقال اخبت لله اى تواضع واصل الالقاء
في الاجرام استعمل ههنا في اظهارهم الانقياد استعارة الغاية خضوعهم وانكسارهم
وانها كالشيء الملقى بين يدي الغالب القاهر وقوله ماكنا نعمل من سوء مفعول قول مضمر
منصوب على انه حال من فاعل القوا اى فالقوا السلم قائلين ذلك ومن سوء مفعول
نعمل زيدت فيه من ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم الذي القوه لانه بمعنى القول
الدال على الاستسلام والانقياد والاقرار لله تعالى بالربوبية كما قال في الآية الاخرى
فالقوا اليهم القول كانه قيل فالقوا ما يدل على الاستسلام وقالوا ماكنا نعمل من سوء
هذا الاستسلام وانكار الاشراك ان وقع من المشركين يوم القيمة بان قالوا فيه ماكنا
نعمل في الدنيا من سوء على سبيل الكذب كما ان صحة ذلك على قول من يجوز صدور الكذب
من اهل القيمة لفرط الخوف والدهشة ظاهرا واما الذين قالوا ان الكذب لا يجوز
عليهم فانهم قالوا معنى الآية على تقدير ان يكون المراد منها حكاية كلام المشركين
يوم القيمة ماكنا نعمل من سوء في الدنيا عند انفسنا وفي اعتقادنا وقوله تعالى بلى حرف
لقد لهم ماكنا نعمل من سوء وايجاب له ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم ماكنا نعمل
من سوء ولا يبعد ان يكون قائل هذا القول هو الله تعالى او بعض الملائكة او الذين
اوتوا العلم والمعنى انه تعالى عالم بما كنتم عليه في الدنيا فيجازيكم عليه ولا ينفعكم
كذبكم هذا ثم صرح بذكر العقاب فقال فادخلوا ابواب جهنم قوله وقيل قوله فالقوا
السلم عطف ما يفهم من التقرير السابق فانه يفهم منه ان قوله تعالى فالقوا حكاية
لشرح حال الكفار عند القرب من الموت ومعاينته وعلى هذا القول يكون قالوا استينافا
يتم كلام الذين اوتوا العلم عند قولهم ظالمي انفسهم ويكون قوله قال الذين اوتوا
العلم الى قوله انفسهم جملة معترضة بين قوله تعالى ثم يوم القيمة يخزيهم وبين قوله
فالقوا السلم قوله وفي نصبه دليل على انهم لم يتلفظوا الا في الجواب واطبقوه على السؤال

معرفتين بالانزال قد اشتهر ان في نحو ما ذا صنعت وجهين احدهما ان تكون
ما استفهامية بمعنى اى شيء ويكون ذا بمعنى الذي فيكون الكلام جملة اسمية تقديره
اى شيء الذي صنعته فحق ما ذكر في جوابه ان يكون مرفوعا على انه خبر مبتدا محذوف

لتكون

ليكون الجواب مطابقا للسؤال وثانيهما ان يكون ما ذا بمنزلة اسم واحد معناه اى شيء
منصوب المحل على انه مفعول صنعت لانه غير مشتغل عنه بضميره فيكون الكلام جملة
فعلية فحق جوابه النصب على ان يكون منصوبا لفعل مقدر ليطابق السؤال وفي هذه
الآية الكريمة قد اجاب المؤمنون بالانزال بالنصب حيث قال خيرا اى انزل خيرا
بخلاف المنكرين للانزال فانهم اجابوا بالرفع حيث قالوا اساطير الاولين لكون اللائق
بحال كل واحد من الفريقين ان يجاب بما اجاب به فان اللائق بالمنكرين ان يتعللوا
ولا يجعلوا جوابهم مطابقا للسؤال فلذلك اجابوا بالرفع فان قولهم اساطير
الاولين وان كان مطابقا للسؤال من حيث ان كل واحد منهما جملة اسمية الا انه
غير مطابق له من حيث ان السؤال يدل على كون اصل الانزال معلوما
للمخاطب وقد اجاب المخاطب بانه غير مسلم حتى يدعي نزوله او المنزل
اساطير فلم يتطابقا وبيانه موقوف على الفرق بين ان يكون السؤال جملة اسمية
وبين كونه فعلية وهو ان من سئل قائلا اى شيء انزل ربكم فقد تقرر عنده اصل
الانزال واغا يسأل عن تعيين المنزل ولا دلالة فيه على كون المخاطب مقرا بالانزال
او منكرا له بخلاف ما اذا سئل بان يقال اى شيء الذي انزله ربكم فان السؤال
بهذا الطريق يدل على كون المخاطب معترفا بالانزال لما تقرر ان الجملة التي تقع صلة
للموصول حقها ان يكون مضمونها معلوما للمخاطب فلما اجاب المخاطب بان ما
تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين فقد خالف السائل فيما زعمه
من ان اصل النزول محقق مسلم عنده فكان جوابه مخالفا للسؤال ومطابقا لما
يقتضيه حاله ولو اجاب بالنصب لكان موافقا للسائل في الاعتراف بكون اصل
النزول مسلما عنده ولكان مناقضا لنفسه في توصيف ما اعترف بكونه منزلا
من ربه بانه اساطير اذ من المعلوم ان المنزل من قبله لا يكون اساطير بخلاف المقر
فان اللائق بحاله ان يحمل السؤال على الجملة الفعلية ويجيب بالنصب لانه لما كان
مقرا بالانزال كان اللائق بحاله ان لا يتعللهم ويوافق السائل في الاعتراف باصل
النزول ويجيب بتعيين ان المنزل ما هو فلو اجاب بالرفع وقال المنزل خير
لكان موافقا للسائل في الاعتراف باصل النزول الا انه يكون متعللا في الجواب بتغيره

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اسلوب السائل فانه سأل بالجملة الفعلية طالبا لتعيين المفعول وهو قد اجاب بتحقيق
كون المنزل خيرا قوله وهو عن ابن قوله تع للذين احسنوا الآية كلام منقطع عما قبله
ايس من جملة كلام الذين اتقوا بل هو ابتداء كلام من الله تع يبين به ان من احسن
اعتقادا وعملا فله حسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة والذي يفهم من تقرير المصنف
انه جعل قوله في هذه الدنيا متعلقا بقوله احسنوا وحمل قوله حسنة على المكافاة
الواقعة في الدنيا بقرينة قوله بعد ذلك ولدار الاخرة خير ويجوز ان يتعلق بمحذوف
على انه حال من حسنة اذ لو تاخر عنها لكان صفة لها ولا يجوز جعله متعلقا بنفس حسنة
لتقدمه عليها ويدخلونها صفة جنات وتجري اما صفة اخرى او حال من مفعول يدخلونها
وقوله لهم فيها ما يشاؤن جملة اسمية والخبر امالهم واما فيها واما بها كاعراب
الجملة التي قبلها قوله وهو يؤيد الوجه الاول وهو كون قوله تع للذين احسنوا الى
اخره الآية عدة للذين اتقوا على قولهم في حق القران انه خير وقوله تع الذين تتوفاهم
الملائكة صفة للمتقين وطيبين حال من المفعول ويقولون حال من الفاعل اي يقبضون
ارواحهم مسلمين عليهم او مبلغين سلام الله اليهم ويحتمل ان يكون الذين مبتدا ويقولون
خبره فلا بد من عائد محذوف اي يقولون لهم وكلمة ما في قوله بما كنتم مصدرية او
بمعنى الذي فالعائد محذوف ثم انه تع لما وصف جزاء الذين اتقوا على قولهم في حق
القران انه خير عاد الى بيان ان اولئك الكفار الذين طعنوا في القران بان قالوا انه
اساطير الاولين ما ينتظرون في الايمان بك وبما انزل اليك الا الوقت الذي لا ينفعهم
الايمان في ذلك الوقت قوله تع فاصابهم معطوف على قوله فعل الذين وما بينهما
اعتراض قوله انما قالوا ذلك استهزاء ذكر الامام الواحدي في الوسيط ان الزجاج
قال انهم قالوا هذا على التهزي ولو قالوه معتقدين لكانوا مؤمنين ولكنهم قالوا
ذلك مستهزئين انتهى وزاد المصنف انهم قصدوا بذلك الطعن في النبوة والتكليف
متمسكين في ذلك بالقول بالجبر وقالوا الكل من الله تع ولو شاء الله منا الايمان والتوحيد
يحصل لنا ذلك سواء بعث الرسول او لم يبعث فلا فايدة في البعث قال الامام
في الجواب عن شبهة الكفار ان قولهم لما كان الكل من الله تع كان بعثة الانبياء عبثا اعتراض
على الله فان قولهم اذا لم نكن في بعثة الرسل مزيد فائدة في حصول الايمان والدفاع الكفر

والعصيان

والعصيان كانت بعثة الانبياء غير جائزة من الله تع هذا القول منهم جار مجرى طلب
العلة في احكام الله تع وفي افعاله وذلك باطل بل لله تع ان يحكم في ملكه ما يشاء
ويفعل ما يريد ولا يجوز ان يقال له لم فعلت هذا ولم تفعل ذاك فهذا القول من الكفار
من حيث دلالته على تعليق جميع الحوادث بمشية الله صحيح والفساد والانكار انما يتوجه
اليه من حيث انهم قصدوا به الاعتراض على الله وطلبوا العلة في احكامه وافعاله وبدل
عليه انه تع صرح في اخر هذه الآية بهذا المعنى فقال ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا
الله واجتنبوا الطاغوت فبين تع ان سنة الله في جميع ارسال الرسل اليهم
وامرهم بعبادة الله ونهيهم عن عبادة الطاغوت ثم قال فمنهم من هدى الله ومنهم
من حقت عليه الضلالة والمعنى انه تع وان امر الكل بالايمان ونهى الكل عن الكفر والعصيان
الا انه تع هدى البعض واضل البعض فهذه سنة قديمة لله تع مع عباده ونحن
منه ذلك بحكم كونه الها منزها عن اعتراضات المعترضين فثبت انه تع انما حكم على
هؤلاء الكفار باستحقاق الذم واللعن لانهم كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من
دونه من شيء بل لانهم قالوا ذلك بناء على اعتقاد ان كون الامر كذلك يمنع جواز بعثة
الانبياء والرسل وتكليف العباد بالاوامر والنواهي فلاجرم استحقوا على هذا
الاعتقاد مزيد الذم واللعن فهذا هو الجواب الصحيح في امثال هذه الشبهات قوله
وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلق بل بالسبب قدره لما كانت خلاصة شبهة
الكفار ان تعلق مشية الله كافية في تحقق الحوادث فلا حاجة الى بعثة الرسل اشار
تع بقوله فهل على الرسل الا البلاغ الى ان المؤثر في حصول الاهتداء ليس الا الله تع
والاتيان بما فيه لتبليغ الرسل الا ان له مدخلا فيه من حيث توسط بينه تع وبين المكلفين
وتعلق مشية الله تع بوجود الحوادث وان كان يوجبها الا انها لا تتعلق بوجود
شيء منها الا عند تحقق اسبابها العادية التي من جملتها سعي المكلف ومباشرته لاسباب
حصولها باختياره ومن جملتها بعثة الانبياء بالنسبة الى الاهتداء من اهتدى وضلالة
من ضل فان كون الدنيا دار التكليف والكسب والاختيار يستدعي ان يجعل الحوادث
مرتبطة بالاسباب العادية وذلك من كمال الحكمة الالهية والا فلا حاجة الى توسط
الاسباب في نفاذ قدرته ومشيته فلا حق واسطة في حصول امور الآخرة مما انكر عليه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الشرع قبيح شرعا وواقع بقدرة الله ومشيئته عند كسب العبد واختياره اياه واحتج
اهل السنة في بيان ان الهدى والضلال من الله تع بقوله وبعثنا في كل امة رسولا
ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وهذا يدل على انه تع كان ابدا في جميع الامم
آمرا بالايمان وناهيا عن الكفر ثم قال فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة
اي من وجبت ولزمت الضلالة عليه للزوم الضلالة واختياره اياها يعني فمنهم
من هداه الله الى الايمان واتباع الحق لاختياره ذلك ومنهم من اضله عن الحق واياه
عن الهدى واوقعه في الكفر والضلال وهذا يدل على ان امر الله تع لا يوافق ارادته
بل قد يأمر بالشيء ولا يريده وينهى عن الشيء ويريده وهذا مذهب اهل الحق والمعتزلة
يقولون الامر والارادة متطابقان ونحن نقول ان الامر والارادة قد يختلفان
ولفظ هذه الآية صريح في قولنا وهذا ان الامر بالايمان عام في حق الكل واما ارادة
الايمان فخاصة ببعض دون البعض قوله باس بعبادة الله اشارة الى ان ان في
قوله ان اعبدوا الله مصدرية اي بعثناه بان اعبدوا الله والباء المقدرة متعلقة
بمحذوف منصوب المحل على حال من رسولا واختلف في الطاغوت قال بعضهم كل ما
عُبِدَ دُونَ اللهِ تعالى فهو طاغوت وقال لي الطاغوت الشيطان والمراد من اجتنابه
اجتناب ما يدعو اليه مما نهى عنه شرعا كما ان المراد من قوله لا تعبد الشيطان
النهي عن طاعته في ارتكاب ما نهى عنه شرعا ولما كان ذلك الارتكاب بامر الشيطان
ووسوسته سمى ذلك عبادة للشيطان ثم انه تع لما بين ان البعثة كالغذاء الصالح
يكون سببا لهداية قوم وضلال آخرين امرهم قوم بان يسيروا في الارض
ويعاينوا آثار هلاك من ضل بتكذيب الرسل ليعتبروا بذلك ويعلموا ان العذاب
نازل بهم كما نزل بأولئك لاجل ضلالهم وتكذيبهم كأنه قيل وقوع الحوادث بمشيئة
الله لا ينافي كون بعضها قبيحا شرعا ومستوجبا لان يعاقب عليه فاحذروا
واعتبروا احوال من خالف الشرع قبلكم ثم بين ان من حقت عليه الضلالة فانه
لا يهتدي فقال ان تحرص على هداهم الآية وقرأ الكوفيون لا يهدي بفتح الياء
وكسر الدال فقوله من يضل منصوب لا يهدي وفاعله مضمر فيه راجع الى الضلالة والعائد
على من محذوف اي الذي يضله الله تع وقيل يجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي

فان

فان هدى يكون متعديا يكون ايضا لازما يقال هديت الرجل اي اهتديت والمعنى ان الله
تع اذا اضل احدا لم يصر ذلك مهتديا فقوله من يضل فاعل يهتدي بمعنى يهتدي والباقون
لا يهدي بضم الياء وفتح الدال على بناء المفعول ومن قائم مقام فاعله وعائد محذوف
ايضا فيكون الآية نظير قوله تع من يضلل الله فلا هادي له وقوله فمن يهديه من بعد
الله اي من بعد اضلال الله تع اياه وهذا بليغ في نفي الهداية عنه قوله انكروا البعث
مقسمين عليه وجعلوا انكاره ذريعة الى انكار النبوة لانهم انما يدعوا الى طاعة الله تع
ورعاية حدوده وانكارهم بسبب ترغيبه في ثواب الآخرة والترهيب من عقابه
الكائنين بعد البعث فاذا بطل القول بالبعث بطل نبوة من دعى الى الاقرار به
لكونه داعيا الى الباطل ثم انهم ادعوا البديهة في انكارهم البعث وقالوا الانسان
ليس الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزاؤه وبطل ذلك المزاج
والاعتدال امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم وفنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة
يعرف بها فالذي يعود يجب ان يكون شيئا مغايرا للاول ولا يكون عينه واشاروا
الى ادعائهم الضرورة في ذلك الانكار بالاقسام واليمين ولم يصرحوا بتفريع بطلان
القول بالنبوة على بطلان القول بالبعث لكون تفرعه عليه جليا مستغنيا عن التفرع
به قوله مصدر مؤكد لنفسه فان وعدا وقع مضمون الجملة التي دل عليها بلى وتلك الجملة لا تحتمل
شيئا من المصادر الا ذلك المصدر الذي هو الوعد فقوله وعدا يؤكد الوعد المدلول
عليه بقوله يبعثهم المدلول عليه بقوله بلى واللام في قوله ليبين متعلق بالفعل
المقدر بعد حرف الايجاب اي بلى يبعثهم ليبين لهم بالبعث الذي اختلفوا فيه مع
المؤمنين وذهبوا فيه الى خلاف ما ذهب اليه المؤمنون قوله بين الامرين بين اولا
ان البعث مقتض للحكمة فان الحكمة تقتضي التمييز بين المحق والمبطل وبين المظلوم
والظالم بمجازاة كل احد على حسب عمله وذلك التمييز لا يكون الا بالبعث والجزاء
وقد مر ان البعث من توابع التكليف ومقتضياته ثم بين امكان البعث وان
اقسامهم على نفيه وانكاره انما نشأ من قصر نظرهم على ما الفوا به من استمرار
الميت على الموت وعدم طريان الحيوة عليه وعدم التفاتهم الى ما دل على امكانه ومحته
فقال انما قولنا لشيء الآية تحقيقه ان مكونه بما قولنا مرفوع على الابتداء وان نقول

خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا حدوث
شيء لم يكن وسماه شيئا وان كان معدوما قبل الوجود فليس الا ان نقول له
احدث فهو يحدث عقيب ذلك من غير توقف والكلام في قوله لشيء وفي له لام
التبليغ كما في قولك قلت له قم وجعلها الزجاج للسبب فيها اي انما قلنا لاجل
شيء ان نقول لاجله وليس بواضح وقرأ الجمهور فيكون برفع النون وقرأ
ابن عامر والكسائي بنصبها قال الفراء والقراءة الرفع ووجهان الاول ان نجعل
قوله ان نقول له كن كلاما تاما اخبر عنه بان سيكون كما تقول ان زيدا يكفيه
ان امر فيفعل برفع تولك فيفعل والثاني ان تجعله كلاما مبتدأ اي فهو
يكون ووجه قراءة النصب ان يكون معطوفا على ان نقول والمعنى ان نقول
فيكون ويبعد كونه منصوبا على انه جواب كن لان قوله كن وان كان على
لفظ الامر فليس القصد به ههنا الامر بل المقصود بيان ان تكوين الله تعالى
لا يحتاج الا سبق المادة والمدة فان قيل قوله كن ان كان خطابا مع المعدوم
فهو محال وان كان خطابا مع الموجود كان امرا بتحصيل الحاصل وهو محال
والجواب انه لا قول ثمة ولا خطاب بل المقصود بيان سهولة خلق الاشياء
عليه وانه متى اراد شيئا كان مثل الله تعالى تكوينه للمكونات بمجرد تعلق
ارادته من غير توقف وامتناع بامر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع
المسارع في الامتثال فعبر عن سرعة تكوينه على الوجه المذكور بالامر المستلزم
للامتثال فانه تعالى لو اراد خلق الدنيا والآخرة بما فيهما من السموات والارض
والجنة والنار وما فيها في قدر لمحة البصر لقدر على ذلك ولكن خاطب الخلق بما
يفهمون والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع
عليه البعث الذي هو اهون من الابداء بالنسبة الى عقولنا ثم انه تعالى
لما حكى عن الكفار انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم على انكار البعث والقيامة
وجعلوه ذريعة الى تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وآل ذلك على انهم يعادون
المسلمين ويوذونهم ايذاء بليغا طائفة منهم الى الهجرة عن الاهل والاوطان
فبين الله تعالى ما للمهاجرين من الحسنة في الدنيا والآخرة فقال والذين

هاجروا

هاجروا في الله من بعد ما ظلموا الآية وقوله في الله يدل على ان الهجرة اذا لم تكن
لله لم تكن لها قدر واعتبار وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد قوله مبوأة
حسنة او دارا حسنة او بلدة حسنة وهي المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم
اشار الى ان قوله حسنة صفة لموصوف محذوف مفعول ثان لقوله لنبوئنهم
لانه يتضمن معنى لنعطينهم والمباءة منزل القوم وعلى قوله او لنبوئنهم حسنة
يكون حسنة صفة لمصدر محذوف قوله اي ارسلنا بهم بالبينات على ان قوله بالبينات
متعلق بمحذوف جوابا لسؤال مقدر كانه قيل بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات
والزبر قوله داخلا في الاستثناء مع رجالا حال من فاعل يتعلق فان تعلقه بما ارسلنا
يتصور على وجهين احدهما ان يتعلق به غير داخل مع رجالا في الاستثناء بان
يكون المستثنى المفرغ رجالا فقط ويكون بالبينات قيدا للمستثنى منه المقدر
ويكون على نية التقديم على اداة الاستثناء ويكون التقدير وما ارسلنا جماعة
من الجماعات بالبينات والزبر الا رجالا يوحى اليهم كما في قول الشاعر نبئتهم
عذبوا بالنار جارتهم وهل يعذب الا الله بالنار اي لا يعذب بالنار الا الله
على ما يقتضيه سياق الكلام ومثل هذا التركيب ضعيف لان الاصل ان يذكر
المستثنى منه مع جميع ما يتعلق به ثم يستثنى منه وفي مثل هذا الصورة
قد تأخر بعض قيود المستثنى منه عن المستثنى وثانيهما ان يتعلق الجار والمجرور
بقوله وما ارسلنا حال كونه داخلا مع المستثنى في حكم الاستثناء بان يتعدد
المستثنى المفرغ ويكون التقدير ما ارسلنا جماعة من الجماعات بشيء من الاشياء
الا رجالا بالبينات والضعف الذي يتوجه على ما تعلقه بما ارسلنا على الوجه الاول
لا يتوجه على ما تعلقه به بهذا الوجه فلهذا احترز عن تعلقه به على الوجه الاول
بقوله داخلا في الاستثناء مع رجالا وكذا تقدير قولك ما ضربت الا زيدا
بالسوط ما ضربت احدا بشيء من الاشياء الا زيدا بالسوط ويضعف
ان يكون تقديره ما ضربت احدا بالسوط الا زيدا لما فيه من ذكر الاستثناء
قبل تمام المستثنى منه بجميع قيوده والوجه الثالث ان يكون بالبينات صفة
لرجالا فيتعلق بمحذوف اي الا رجالا ملتبسين بالبينات مصاحبين لها

شبكة الألوكة www.alukah.net

والوجه الرابع ان يتعلق ببوحى على انه مفعول به غير صريح له اى يوحى اليهم بالبينات
كما يقال اوحى اليه بحق والوجه الخامس ان يتعلق به ايضا على انه حال من القائم مقام
فاعله وهو اليهم اى يوحى اليهم ملتبسين بالبينات والزبر ومعنى تعلقه ببوحى
مع انه انما يتعلق بمحذوف كون يوحى هو العامل فى متعلقه وقوله تع فاسئلوا
يكون اعتراضا على جميع الوجوه المتقدمة والمعنى على الوجه الاول فاسئلوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون انا ارسلنا هم بالبينات وعلى الثانى فاسئلوهم ان كنتم
لا تعلمون انا ما ارسلنا جماعة ما بشرى ما الا رجالا بالبينات وعلى الثالث
فاسئلوهم ان كنتم لا تعلمون انا ما ارسلنا الا رجالا ملتبسين بالبينات
وعلى الرابع ان كنتم لا تعلمون ان الذين ارسلنا هم يوحى اليهم بالبينات
وعلى الخامس يوحى اليهم ملتبسين بالبينات والوجه السادس ان يتعلق
بقوله لا تعلمون على معنى فاسئلوهم ان لم يكن عندكم علم البينات والزبر
فان من قدر على اقامة البينات على صحة ما قاله او كان عنده كتاب ناطق
بصحته فانه يستغنى عن السؤال قوله على ان الشرط للتبكيت والالزام يعنى
ان الاصل فى الشرط الذى يعلق به الحكم بجلية ان ان يكون محتمل الوقوع
وقد استعملت ههنا فى امر معلوم مقطوع به لان الكلام مع قريش لقول
المفسرين ان هذه الاية رد لقولهم قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا
ولا شك ان قريشا لم يكونوا من علم البينات والزبر فى شئ فالمقصود من
تعليق السؤال بمثل هذا الشرط التبكيت والالزام اى لا ارتياب فى انكم
غير عالمين بالبينات والزبر واحتمال عدم علمكم بها يستلزم السؤال فكيف
اذا كنتم غير عالمين بها البتة ولستم ايضا ممن يسألون عنهم لانكم تعلمون انهم
لا يجيبونكم الا بما ذكرنا من انا ما ارسلنا من قبل ارسال هذا الرسول الا رجالا
نوحى اليهم فلم يبق لكم طريق سوى التسليم والاذعان وعليه قول الاجهر
ان كنت علمت لكى فاعطنى حقى وقرأ حفص نوحى اليهم بالنون وكسر الحاء
والباقون بالياء وفتح الحاء وحمزة والكسائى يميلها نحو اصلها فوله بتوسط
انزلنا اليك بيان لوجه قوله ما نزل اليهم مع ان القرآن منزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم

على والزبر بيان

ودفع

ودفع للاشكال من ان كونه عم مبينا لما نزل يقتضى ان يكون القرآن كله مجملا لان
المفتقر الى البيان يكون مجملا مع ان بعضه محكم والمحكم يجب ان يكون مبينا ووجه
الدفع ان القرآن المشتمل على الاحكام المتعلقة بهم لما كان منزلا اليه عم بالذات
ليبلغه اليهم ويبين احكامه لهم لم يكن البيان بمعنى بيان المجمل بل بمعنى تبليغ
ما كلفوا به اليهم ولو سلم انه بمعنى بيان المجمل فالمراد ببيان ما نزل بيان ما كان
مجملا منه بقرينة ان المحكمات لا يحتاج الى البيان قوله والتبيين اعم الخ جواب عن
تمسك نفاة القياس بهذه الاية فى اثبات مذهبهم بان قالوا قد دلت هذه الاية
على ان المبين لجميع التكاليف والاحكام هو الرسول صلى الله عليه وسلم فعلمنا منها
ان القياس ليس بحجة لانه لو كان حجة لكان تعيين الرسول صلى الله عليه وسلم لبيان
جميع ما نزل اليهم لجواز ان يبين المكلف بعض الاحكام بطريق القياس وتقرير
الجواب ان شارع جميع التكاليف والاحكام هو الله تع والقياس هو المظهر لبعض
منها وهو عم مرشد الى ما يكون طريقا لاظهاره فصار بذلك مبينا لجميع ما نزل
اليهم فان التبيين اعم من ان ينص بما هو المقصود من الاحكام او يرشد الى ما
يدل عليه ويؤيد هذا الجواب عطف قوله ولعلهم يتفكرون على قوله لتبين فان
الاحكام المنصوص عليها لا يحتاج الى التفكر ثم انه تعالى لما رد قول قريش
فى استبعاد ان يكون البشر رسولا من الله تع وفصل مجاد رسالة عم ليبين
للناس ما نزل اليهم شرع فى تهديد ماكريه والسيئات منصوب على
انه صفة مصدر محذوف او ان يخسف مفعول امن وخسوف المكان ذهاب به
فى الارض يقال خسف الله به الارض فخسف اى غاب به فيها هددهم الله تع
اولا بتركهم وثانيا بان يأتيهم ملائكة العذاب من جانب السماء فيهلكهم بغتة
وثالثا بان يأخذهم العقوبة فى اسفارهم فانهم لا يعجزون الله تع بسبب
ذهابهم فى البلاد البعيدة بل يدركهم الله تع حيث كانوا وآيا ما يأخذهم
بالعذاب لكن لا يأخذهم به ابتداء بل يخفيهم اولا ثم يعذبهم بعد فانه تع
اذا اهلك قرية فخاف اهل بلدها زمانا طويلا يكون ذلك الا خافة نوعا من التعذيب
ثم اذا اهلكهم بعد ذلك يكون ذلك الاهلاك اشد عليهم وافضع من اهلاكهم

مظلمهم ان يقدر لهم او

ابتداء او بان ياخذهم جميعا بالعذاب على تنقص شيئا بعد شئ فى انفسهم واموالهم
بان يظهر فيهم القتل او الموت او الغارة فياخذ منهم شيئا فشيئا حتى يأتى
الاخذ على جميعهم والحاصل انه تعالى خوفهم بخسف يحصل فى الارض او بعذاب ينزل
من السماء او بآفات تحدث دفعة واحدة حال مالا يكونون حالمين بعلامات تدل
عليها او بآفات تحدث قليلا قليلا الا ان يأتى الهلاك على جميعهم فقوله تخوف
الرجل منها ناقته اى تخوف عود النبعة السفن وذلك ان يظهر بها شئ من النبعة
بدل عود النبعة تخوف اى تنقص منها آى من الناقة والناقة السنام
والقرد ما تلبد من الصوف للجربى سحاب قرد يركب بعضه بعضا والنبع
شجر يتخذ منه القسى والتخوف بالتحريك الحديدة التى ينحت بها ويطلق على
المبرد وايضا يصف ناقة اثر الرحل فى سنامها وتنقص كما تنقص المبرد
من العود ويقول تنقص الرحل منها سنامها شرفا مرتفعا مكتنز اللحم ركب
بعضه فوق بعض قوله ثم لا يضلل مجزوم على انه جواب الامر وهو عليكم لانه بمعنى
الزموا اى لا يضل الديوان ويروى لا تضلوا اى لا تضلوا فى تفسير كتاب
الله تعالى وديوان فعال من دون الكتب اذا جمع لانه قطع من القراطيس مجموعة وديوان
الشاعر مجموع متفرقات اشعاره ثم انه تعالى لما هدد المشركين بانواع عذابه ادرفه
بذكر ما دل على كمال قدرته ليعلموا انه لا يعجز عن ايصال ما ذكره من انواع العذاب
فقال اولم يروا الا نه قرأ حمزة والكسائى اولم تروا بالتاء على الخطاب جريا على
اسلوب قوله فان ربكم والباقون بالياء جريا على قوله افامن الذين مكروا وقرأ
ابو عمرو وتتفيؤ بتاءين والباقون بياء وتاء وكلمة ما فى قوله ما خلق الله
موصولة مبهمة ومن شئ بيان لها فان قيل كيف يبين الموصول وهو مبهم
بشئ وهو مبهم مثله بل هو ازيد ابهاما مما قبله فالجواب ان شيئا لما وصف
بقوله يتفيؤ ظلاله اختص بالمخلوقات التى لها ظلال متفيئة من الجبال والاشجار
والابنية ونحوها من الاجرام الكثيفة فصلح بذلك لان يكون مبينا لما خلق الله
فلما كان البيان بالحقيقة مستندا الى ما وقع صفة لشئ قال المصنف بيانها
يتفيؤ ظلاله وقوله يتفيؤ يتفعل من الفئ يقال فلا الظل يفئ فيئا اذا رجع

وعاد

٣٦٧

وعاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخه فان ظل الارض ينبسط على وجه الارض بغروب
الشمس فاذا طلعت الشمس ينتسخ من الظل ما كان فى جانب المشرق من الاجرام
الكثيفة الى ان ينتصف النهار فاذا مالت الشمس الى جانب المغرب يرجع الظل
الذى نسخته الشمس فى جانب المشرق الى ذلك الجانب ايضا فذلك الظل يسمى فيئا
فالظل اعم من الفئ حيث يطلق الظل على ما كان قبل الزوال وبعده والفئ لا يطلق
الا على ما كان بعد الزوال قال الازهرى تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف
النهار فالتفيؤ لا يكون الا بعد شئ بسبب انصراف الشمس عنه والظل ما يكون
بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقيل الفئ والظل مترادفان فان يطلق كل واحد منهما
على ما كان قبل الزوال وما كان بعده واستدل عليه بقول الشاعر فسلام الا له يغدوا
عليهم وفيؤ الغرديس ذات الظلال فان الشاعر اطلق لفظ الفئ فى هذا البيت على
ما لم ينسخه الشمس لان ما فى الجنة من الظل دائم لا يحصل بعد ان كان زائلا بسبب ضوء
الشمس لقوله تؤكلها دائم وظلها واضيف لفظ الظلال الى ضمير مفرد لان مرجع الضمير
وان كان مفردا فى اللفظ وهو قوله ما خلق الله لكنه كثير فى المعنى ونظيره قوله تعالى
لتستووا على ظهوره فانه اضيف الظهور الى ضمير مفرد لرجوعه الى ما هو كثير فى المعنى
وهو قوله ما تركبون ثم قيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك الذى المشرق شماله
وهو المغرب تشبيها لجانب المشرق لاقوى جانبى الانسان وهو جانب يمينه من حيث
ان اقوى الحركات الفلكية التى هى الحركة اليومية آخذة من المشرق الى المغرب فلذلك
جعل المشرق يمين الفلك والمغرب شماله ووجه تفيؤ الظلال من يمين الفلك الى الشمال
وبالعكس ظاهر وهو ان الشمس عند طلوعها الى وقت انتهائها الى وسط الفلك تقع
الاظلال فى الجانب الغربى فاذا انحدرت الشمس من وسط الفلك الى الجانب الغربى
ترجع الاظلال الى الجانب الشرقى وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الاجرام التى
لها اظلال فان اظلالها تتفيؤ من جانب يمينها الى جانب شمالها وبالعكس وعلى
القولين يكون اطلاق لفظ اليمين والشمال جانبى الاشياء المذكورة على سبيل
الاستعارة التقريبية وعلى سبيل التخييل للاستعارة المكنية لانها لا يطلقان
على سبيل الحقيقة الا على جانبى الانسان والظاهر ان قوله عن اليمين يتعلق بتتفيؤ

الفئ والظل مترادفان

اي يتجاوز الظلال عن اليمين الى الشمال وبالعكس والتعريف اللامي في الاعيان والشمائل بدل من التعريف الحاصل بالاضافة والمضاف اليه اما المخلوقات التي لها ظلال او كل واحد منها والمصنف اشار الى الاول بقوله عن اعيانها وشمائلها والى الثاني بقوله او عن جانبي كل واحد منها واشار بايراد لفظ عن اعيانها بدل اللفظ المزد المطابق لما في نظم القرآن الى ان لفظ اليمين وان كان مفردا فهو اسم جنس يتناول جميع مسمياته فعبر به عن الجمع لخفة المفرد كما في قوله تعالى ويولون الدبر اي الادبار قوله لاعتبار اللفظ والمعنى فان لفظ ما خلق الله مفرد ومعناه كثير فافرد لفظ اليمين اعتبارا لافراد ما اضيف هو اليه من حيث اللفظ وجمع لفظ الشمائل اعتبارا لكثرة معنى ما خلق الله فان قوله عن اليمين والشمائل بمعنى عن يمين ما خلق الله وشماله وسجدا جمع ساجد كراكع وركع قوله وهما حالان من الضمير في ظلاله والمعنى يتفيؤ ظلال ما خلق الله في حال كونها ساجدين لله تعالى متواضعين منصاغرين منقادين لحكمه والجمهور وان كانوا لا يجوزون انتصاب الحال من المضاف اليه الا ان منهم من جوز ذلك اذا كان المضاف جزءا من المضاف اليه نحو صلفت راسي زيدا قائما او كالجزء منه كما في قوله تعالى اتبعت ملة ابراهيم حنيفا وظل الشيء بمنزلة الجزء منه او هو ناشئ عنه والعامل في مثل هذا الحال معنى الاختصاص والاتصاق المستفاد من الاضافة والعامل الواحد اذا نصب حالين يكون الثانية بدلا من الاول فان كان السجود بمعنى التذلل والانقياد يكون وهم داخرون بدل الكل من الكل وان كان بمعنى الوقوع على الارض يكون بدل اشتمال لاشتمال السجود على الدخور قوله او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله فالمعنى ظلالهم ساجدة وهم في انفسهم متواضعون صاغرون قوله او واقعة على الارض يعني جعلت الظلال ساجدة اما لكونها منقادة لارادة الله تعالى خاضعة لتقديره وتدبيره او لكونها واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد ولما كان هيئة الاظلال شبيهة بهيئة الساجدين اطلق عليها لفظ السجود على سبيل الاستعارة وكان للحسن ان يقول اما ظلك فيسجد لربك واما انت فلا تسجد له لنفس ما صنعت وعن مجاهد ظل الكافر

يصلي

يصلي وهو لا يصلي وقيل ظل كل شيء يسجد لله تعالى سواء كان ذلك الشيء ساجدا ام لا قوله عطف جبرائيل على الملائكة عليهم السلام بناء على ان اسم الدابة يتناول الاجسام اللطيفة السماوية والدواب الكثيفة الارضية من حيث ان كل واحد من النوعين له دبيب يليق به فيكون عطف الملائكة على المبين به من قبيل عطف الخاص على العام اظهارا للشرف وان جعل اسم الدابة مختصا بالحيوان الجسماني الذي يتحرك ويدب وجعل الملائكة ارواحا محضة مجردة عن الدبيب والحركة الجسمانية يكون من عطف احد المتباينين على الآخر فان صاحب الكشاف فان قلت هلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء على غيرهم والمصنف اجاب عنه بان استعمال كلمة ما في القبيلين حقيقة فهو اولى من سلوك طريق التغليب الذي هو من باب المجاز وقوله تعالى وهم لا يستكبرون يجوز ان يكون استينافا اخبر بذلك عنهم وان يكون حالا من فاعل يسجد وقوله يخافون بهم من باب حذف المضاف اي يخافون عذاب ربهم ومن فوقهم صفة للمضاف المقدر اي الكائن من فوقهم وصف العذاب بذلك لان اكثر ما من ما يأتي العذاب المهلك اغا ياتي من فوق ويجوز ان يكون من فوقهم حالا من ربهم اي يخافون ربهم حالا عليهم علو الرتبة في القدرة قاهرا لهم كيف شاء ويدل على صحة هذا المعنى قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده واحتج الطاعنون في عصمة الملائكة بهذه الآية فقالوا انه تعالى وصفهم بالخوف فلو لا انهم يجوزون من انفسهم الاقدام على الذنب لما حصل لهم الخوف واجيب عنه بوجهين الاول انه تعالى حذرهم من العقاب حيث قال ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فللخوف من العقاب يتركون الذنب والثاني ان ذلك للخوف خوف الاجلال كقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكقوله عليه السلام اني لاخشاكم لله فانه يدل على انه كلما كانت معرفة الله اكمل والهيبة من كماله اكمل كان الخوف اشد واعظم وبهذا ظهر جواب عما يقال انما يحتاج الى ذكر القيد حيث لا يتعين العدد بدلالة المعدود عليه وذلك انما يكون اذا كان المعدود وراء الواحد والاثنين واما نحو رجل ورجلان فانهما يدلان على الوحدة والاثنينية فلا حاجة الى ذكر شيء زائد يدل على الوحدة والاثنينية معهما فاوجه قوله تعالى الهين اثنين انما هو لاجل

وصف العذاب بذلك لان اكثر ما يأتي العذاب المهلك من فوق وقوله تعالى من فوقهم

الاخوف ص

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وذكر المصنف لذكر العدد فائدتين الاولى الدلالة على ان الكلام مسوق للنهى
عن اتخاذ الاثنين من الآلهة فان لفظ الهين حامل لمعنى الجنسية اعنى الآلهية
ومعنى العدد اعنى الاثنينية وكذا لفظ آلة حامل لمعنى الجنسية والوحدة والغرض
المسوق له الكلام فى الاول النهى عن اتخاذ الاثنين من الآلهة لا من اتخاذ جنس
الاله وفى الثانى اثبات الواحد من الاله لا اثبات جنسه فوصف الهين باثنين
وآلة بواحد ايضاحا لهذا الغرض وتقريرا فان حق الكلام ان يجرد لما سيق له
الكلام من الغرض وذلك قد يكون بحذف ما يخيل غرضا آخر او زيادة ما يزيل
ذلك التخييل والاول كما تقول اللباس طويل واللابس قصير اذا رايت
لباسا طويلا على امرأة قصيرة والثانى كما نحن فيه فانه زيد فيه لفظ واحد
واثنين مع افهام معنى الوحدة والاثنينية من لفظ الموصوف بهما اعتناء
بشانهما ودلالة على انهما الغرض المسوق له الكلام فكل واحد من لفظى
اثنين وواحد وصف صناعى جيئ به لبيان الغرض وتقريره كما فى قوله تعالى
وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه حيث جعل فى الارض صفة لدابة
ويطير بجناحيه صفة لطائر ليدل على ان القصد الى الجنس دون الوحدة
فالآيتان تشتركان فى ان الوصف فيهما للبيان وتفترقان من حيث انه فى الهين
اثنين وآلة واحد لبيان ان القصد الى العدد دون الجنس وفى دابة فى الارض
وطائر بجناحيه لبيان ان القصد الى الجنس دون العدد وللخطيب الدمشقى
اورد هذه الآية فى باب الوصف وذكر انه للبيان والتقرير واورده السكاكى
فى باب عطف البيان معرجا بانه من قبيل التابع الذى يراد به البيان والتقرير
وذهب العلامة الى ان مذهب صاحب الكشاف ان الهين اثنين ونحن واحدة
من التاكيد الصناعى بناء على قوله شئ اسم آلة والهين بما يؤكده للدلالة على ان
المعنى بهما العدد لا الجنس ولا خلاف بينهم اذ ليس فى كلام السكاكى ما يدل على انه عطف
بيان صناعى وكذا ليس فى كلام صاحب الكشاف ما يدل على انه تاكيد صناعى كيف وانه
لا يكون الا بتكرير لفظ المتبوع او بالفاظ محفوظة وكلا الامرين منتفيان فيهما والفائدة
الثانية لذكر العدد فى هذه الآية ما اشار اليه بقوله او اياما بان الاثنينية تنافى الآلهية

٣٦٩

وجه الايماء ان توصيف الهين باثنين يشعر بان علة النهى عن الاثنينية وكونها
منافية للالهية ووجه المنافاة انا لو فرضنا تعدد الواجب لذاته لكانا مشتركين
فى الوجوب الذاتى ومتباينين بالتعين وما به المشاركة غير ما به المباينة فيكون
كل واحد منهما مركبا من جزئين وكل مركب ممكن وقد فرض ان كل واحد منهما
واجب لذاته هذا خلف ولانا لو فرضنا الهين فلا يخلوا اما ان يكون كل واحد
منهما علة مستقلة لكل واحد من الممكنات الموجودة او يكون لكل واحد منهما
معلول مغاير لمعلول الآخر والاول يستلزم توارد العلتين المستقلتين
على معلول شخصى والثانى يستلزم التمانع والتنازع ولانه لو حاول احدهما تحريك
جسم مثلا والآخر تسكينه فاما ان يحصل مراد كل واحد منهما وهو محال لاستلزامه
اجتماع الضدين فى موضع واحد او لا يحصل مراد واحد منهما فيلزم عجزهما
والعاجز لا يكون الها او يحصل مراد احدهما دون الآخر فلا يكون الآخر الها فثبت
ان الاثنينية تنافى الالهية وانتظام قوله تع وقال الله لا تتخذوا الها قبله انه
معطوف على قوله خلق الله من شئ على اسلوب قوله علفتها تبنا وماء باردا
وقوله متقلدا سيفا ورمحا اى وحاملا رمحا اى او لم ينظروا الى ما خلق
الله من الدلايل الدالة على كمال قدرته او لم يسمعوا الى ما قال الله وأوحاه
فى الكتب المنزلة من بيان التوحيد ونفى الشركاء قوله وتصريحا بالمقصود
وهو ان الآلة الذى ثبت وحدته هو متكلم هذا الكلام ليبادر الى التامل لكلامه
ويتيقظ بما فيه من وجوه الهدى والرشاد وقوله فاياى منصوب بفعل مقدر
يعين يفسره هذا الظاهر اى اياى ارهبوا فارهبون والواو فى قوله وله ما
فى السموات عاطفة على قوله الله واحد وهو مفرد فيجب ان يؤول الجملة المعطوفة
ايضا بالمفرد لانها عطفت على الخبر كانت هى ايضا خبرا ويجوز كونها معطوفة
على الجملة باسرها وهى قوله انما هو اله واحد ويجوز ان تكون واو ابتداء واستيناف
فانه قد يؤتى بالواو اول كلام من غير ان يقصد بها عطف وتشريك وقوله واصبا
حال من الدين والعامل فيها الاستقرار الذى تعلق به الجار الواقع خبرا والواصب
الدايم قال تع ولهم عذاب واصب قيل ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع

ذكى الدين والطاعة بسبب في حال الحبوة او بالموت الالحق تعالى فان طاعته لازمة
ابدا لان علة كونه تعالى مطاعا وهي تفرده بالالوهية ثابتة لازمة له ابدا فيدوم
له معلولها الذي هو الطاعة والانقياد قوله وقبل واصبا من الوصب وهو التعب
ويكون بناء فاعل للنسب بمعنى ذا وصب لان الدين فيه تكاليف ومشاق على العباد
قوله وان شئ اتصل بكم من نعمة على ان ما شرطية وفعل الشرط بعدها محذوف وقوله
تمنى الله جواب الشرط فالفراء التقدير وما مكن بكم وقدر ذا هذا الوجه بانه لا يحذف
فعل الشرط الا بعد ان خاصة في موضعين احدهما ان يكون في باب الاستغال
نحو وان احد من المشركين استجارك لان المحذوف في حكم المذكور والثاني
ان يكون ان مشفوعة بلا النافية وان يدل على الشرط ما تقدمه من الكلام كقوله
فطلقها فلست لها بكفء والا يعل مفرق الحمام اي والا تطلقها اضرب راسك
بالسيف فحذف لدلالة قوله فطلقها عليه فان لم توجد لا النافية او كانت الاداة
غير ان لم يحذف الا في ضرورة الشعر ويجوز ان تكون كلمة ما موصولة ويكم صلتها
في فهي مبتدا وقوله من الله خبرها زيدت الفاء في الخبر لتضمن الموصول معنى الشرط
من نعمة بيان للموصول والتقدير والذي استقر بكم من نعمة فهو من الله والما كان مضمون
الصلة في مثله سببا لحصول مضمون الخبر كما في قولك الذي ياتيني فله درهم ليس
استقرار النعمة بالمخاطبين سببا لحصولها من الله بل الامر بالعكس بين
المصنف ان الوجه في كون مضمون الصلة شرطا لمضمون الخبر كون مضمونها سببا
للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى بين
اولا انه يجب على العاقل ان لا يتقي غير الله ثم بين في هذه الاية انه يجب عليه
ان لا يشكر احدا الا الله اذ لا منعم غيره تعالى ثم بين انه اذا اتفق لاحد مضرة توجب
زوال شئ من تلك النعم فالى الله يجار اي يرفع صوته بالاستغاثة والتضرع لعلم
بانه لا مفزع للخلق الا هو فكانه تعالى قال لهم فاين انتم عن هذه الطريقة في حال
الرخاء والسلامة ثم بين انهم عند كشف الضر وسلامة الاحوال يفرقون ففريق
منهم يبقى على مثل ما كان عليه حال الضر اي لا يفزع الا الى الله وفريق منهم تتغير
حالهم فيشركون بالله تعالى غيره وهذا غاية الجهل والضلالة لانه لما شهدت فطرته

الاصلية

الاصلية عند نزول البلاء والقرآن لا مفزع للعبد الا الله تعالى فعند زوال البلاء
يجب ان لا ينصرف عن ذلك الاعتقاد ومقتضاه وهذا التقرير مبني على ان يكون
منكم صفة لفريق ومن للتبعيض وهذا انما يكون اذا كان للخطاب في قوله وما بكم
من نعمة عاما ويكون المراد بالفريق فريق الكفرة وان كان خاصا بالمشركين يكون
من للبيان ويجوز ان يكون للتبعيض ويكون المراد بالفريق من اعتبروا قصدت
في دين الله واستمر على ما كان عليه حال مس الضر به قوله كانهم قصدوا بشركهم
كفران النعمة اشارة الى ان اللام في قوله تعالى ليكفروا لام العاقبة كما في قوله فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا لما كان شركهم مؤديا الى كفران النعمة صار الكفران
كانه غرض مطلوب من الشرك فادخل عليه لام العلة تشبيها للعاقبة التي بعلته
وقيل انها لام كي متعلقة بيشركون والمعنى ان اشراكهم سببه كفرهم به بما اتاهم من القرآن
وما جاء به محمد عليه الصلوة والسلام من النبوة والشرائع على ان يكون المراد بنعمه
تعالى بما اتيناهم القرآن والنبوة وما يتفرع عليها قوله وقرئ فيمتعوا بضم الياء
التحتانية وسكون الميم وفتح التاء مضارع منع مبنيا للمفعول فسوف يعلمون بالياء
التحتانية ايضا وهذا المضارع في هذه القراءة يجوز ان يكون حذف النون فيه
للنصب عطفا على ليكفروا وان كانت اللام فيه لام كي او لام الصيرورة واما للنصب
ايضا ولكن على جواب الامر ان كانت اللام لام الامر الوارد للتهديد كما في قوله
تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فحينئذ لا يكون الفاء عاطفة بل فاء جواب الامر
ويجوز ان يكون حذف النون فيه للجزم عطفا على ليكفروا ان كانت اللام فيه للامر
قوله او الذين لا يعلمون فاعل يعلمون ويجعلون لانهم الذين ليس اعتقادهم في حقها
على ما فانهم يعتقدون انها آلهة وانها تنفع وتضر وان ظن عنهم اياها تنفعهم
واعراضهم عنها يضرهم وليس شئ من هذه الاعتقادات علما لكونها مخالفة للواقع
فصح ان يقال انهم لا يعلمون فان من رأى شبحا واعتقد انه انسان وهو شجر او حجر
صح ان يقال له انه لا يعلم ذلك الشبح مع انه يعرف ذاته ولو كان لا يعلمون بمعنى لا يحصل
صورها في اذهانهم لفسد المعنى لانه يستحيل ان يجعل الشخص نصيبا من رزقه لمن
لا يعلمه قوله او جهلهم معطوف على قوله اي لانهم والمعنى ويجعلون لعدم علمهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نصيبا والمجعول له هو الآلهة وحذف للعلم به والجعل بمعنى التصيير ونصيبا هو المفعول
الاول للجعل والجار قبله هو الثاني ومما رزقناهم يجوز ان يكون نعتا لنصيبا وان
يتعلق بالجعل فمن على الاول للتبعيض وعلى الثاني للابتداء وكانوا مشركوا
العرب يجعلون لاوثانهم جزءا من اموالهم لقوله تعالى في حقهم انهم قالوا هذا
لله بزعمهم وهذا لشركائنا اي يجعلون نصيبا من الحرث والانعام لله تعالى
يتقربون به اليه ونصيبا للاصنام يتقربون به اليها وقبل المراد بهذا النصيب
البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ثم انه تعالى لما حكى عن هؤلاء المشركين قولهم
الفاسد بطريق الغيبة التفت اليهم وخاطبهم مقسما على انه قائلا انكم
لتاؤلون سؤال تهديد وتوبيخ على ما تتقولون على الله تعالى من انه امركم بذلك
قوله ويجوز في يشتهون الرفع اي يجوز ان يكون قوله تعالى ولهم ما يشتهون
جملة اسمية اخبر الله تعالى ان لهم ما يشتهون بعد ما حكى عنهم انهم يجعلون
لله البنات ويجوز ان يكون ما منصوبة المحل عطفا على البنات ولهم
عطفا على الله اي ويجعلون لهم ما يشتهون وهذا الوجه يقتضي ان يكون واو
يجعلون عبارة عن المشركين وكذا الضمير المجرور في لهم عبارة عنهم ايضا
وقد تقرر في النحو انه لا يجوز اتحاد ضميري الفاعل والمفعول الا في باب ظننت و
اخواتها من افعال القلوب وفي علم وفقد ولا فرق بين ان يتعدى الفعل الى
الضمير بنفسه او بحرف الجر فلا يجوز زيد ضربه اي ضرب نفسه ولا زيد مر به اي مر
بنفسه ويجوز زيد ظنه قائما وزيد فقده وعدمه اي ظن نفسه قائما وفقد نفسه
وعدمها اذا تقرر هذا فجعل ما منصوبة عطفا على البنات يؤدي الى اتحاد ضميري
الفاعل والمفعول الذي عدي اليه الفعل بحرف الجر فالامام اجاز الزاء في ما وجهين
الاول ان تكون في محل النصب عطفا على ويجعلون لانفسهم ما يشتهون والثاني
ان يكون رفعا على الابتداء لانه تم الكلام عند قوله سبحانه ثم ابتداء فقال
ولهم ما يشتهون يعني البنين وهو كقوله ام له البنات ولكم البنون ثم الاختيار
الوجه الثاني لانه لو كان في محل النصب ينبغي ان يقال ولانفسهم ما يشتهون
لانك تقول جعلت لنفسك كذا وكذا ولا تقول جعلت لك والى الزجاج اجازة

العرج

الوجه الاول وقال ما في موضع رفع لا غير والتقدير ولهم الشيء الذي يشتهون
ولا يجوز النصب لان العرب لا تقول جعل لنفسه ما يشتهي ولا يقول جعل له ما يشتهي
وهو معنى لنفسه انتهى ما ذكره الامام بعبارته والحاصل ان الممتنع هو اتحاد ضمير
الفاعل مع ضمير المفعول بان يكونا عبارتين عن شيء واحد لا اتحاد ضمير الفاعل مع
المفعول الذي هو اسم ظاهر بان يكونا عبارتين عن شيء واحد فلا يمتنع ان يقال
زيد ضرب نفسه وضرب نفسه زيد ولا امتناع اتحاد الضمير شرط آخر وهو ان يكون كل
واحد من الضميرين متصلا اذ لو كان ضمير المفعول منفصلا جاز اتحاده مع الضمير
المرفوع ذاتا نحو زيد ما ضرب الا اياه وما ضرب زيدا الا اياه والمصنف فرق بين
اتحاد ضمير الفاعل مع ضمير المفعول المذكور ابتداء وبين اتحاده مع ضمير المفعول
المذكور معطوفا على المفعول المذكور ابتداء وجعل الممتنع هو الاتحاد على الوجه
الاول دون الثاني قوله اخبر بولادتها يعني ان التبشير ههنا بمعنى الاخبار
مطلقا وان كان في عرف اللغة مختصا بالاخبار بالخبر الذي يتبدل السرور
والاخبار بولادة الانثى عالم يتبدل السرور حمل على مطلق الاخبار قوله صار
او دام النهار كله يعني ان ظلول الشيء على صفة قد يعبر به عن كونه عليها في تمام
النهار وقد يكون بمعنى صيرورته عليها مطلقا وعلى التقديرين يكون ظلول الافعال
ان قصد به وجه اسمها ومسودا خبرها قوله واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام
لكون اسوداده وغبرته من لوازم الغم كما ان اشراقه واستنارته من لوازم
الفرح فان الانسان اذا قوي فرحه انبسط روح قلبه الى الاطراف فيستنير وجهه
واذا قوي غمه تحتبس الروح في داخل قلبه فلا يبقى منه اثر قوي في ظاهر الوجه فلا جرم
يصفر وجهه ويظهر فيه اثر الارضية والكآبة والتشوير التجميل يقال شتورته فتشور
اي اجللته فتجمل فالمناسب التشور بدل التشوير ولعله سهو من قلم الناسخ قوله
محترقا نفسه اشارة الى ان الجملة الاستفهامية معمولة لشيء محذوف هو حال
من فاعل يتوارى وهو مراد من قال انها في موضع الحال لان النحاة قد نصوا على ان
الحال لا تقع جملة طلبية فالمعنى يتوارى محترقا نفسه او مفكرا ايمسكه على هون
وتذكير ضمير يمسكه وبدسه اعتبارا بلفظ ما في قوله ما بشر به وقوله على هون يحتمل

يحتمل ان يكون حالا من الفاعل المحكى او من المفعول اى بمكة او ذليلة مهانة
والدس اخفاء الشئ والمراد به ههنا الوأد وهو دفن المولودة حيا وكانت
العرب يدفنون البنات احيآء خوفا من الفقر عليهن وطمع غير الاكفاء فيهن
عن صحيح مسلم انه عم قال من ابتلى من البنات بشئ فاحسن اليهن كن له سترا من
النار وقال عم من عال جاريتين حتى تبلغا جآء يوم القيمة انا وهو كهاتين وضم
اصابعه اخرجهما مسلم قوله المدفونة بالموت وصف الاحتياج لا الولد لبيان كونه
صفة سوء فان الافراد الانسانية لو لم يتطرق عليهم الموت والفنآء لما احتاجوا
الى التوالد فان الحكمة فى التوالد ليست الا ابقآء النوع وحفظه عن الانقراض الآبد
ان الملائكة لا تتوالد لكونهم بنيتهم مصونة عن تطرق الفنآء اليها قوله او من دابة
قوله او من دابة ظالمة عطف على قوله من دابة فطفعل الاول التنكير فى دابة للجنس
وعلى هذا للنوح لما دل ظاهر الآية على ان ظلم الناس يوجب اهلاك جميع الدواب
ظالمة كانت او غير ظالمة ولا وجه لاهلاك غير الظالمة منها اشار المصنف الى ان الآية
على ظاهرها وان اهلاك الجميع بسبب شؤم ظلم الناس وآثر بما روى عن ابن مسعود
قيل فى طريق اهلاك الجميع انه تع يمسك القطر بشؤم ظلمهم وانقطاعه يوجب
انقطاع النسل فكان لا يبقى على ظاهرها دابة قط وقيل لو اهلك الا باآء بكفرهم لم
يكن الابنآء وذلك يستلزم ان لا يبقى فى العالم احد من الناس وذلك لانه من
المعلوم انه لا احد الا وفى اباآئه من يستحق العذاب فاذا اهلكوا فقد انقطع
نسلهم فيلزم ان لا يبقى فى العالم احد من الناس وذلك يستلزم ان لا يبقى احد
من الدواب ايضا لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم واذا لم يبق
من ينتفع بها فقد انتهت الحكمة فى بقائها فوجب اهلاكها ووجه انتظام الآية
بما قبلها انه تع حكى عن القوم عظم كفرهم وقبيح قولهم بين انه يمهلهم
ولا يعاجلهم بالعقوبة لحكمة توجب ذلك قوله ولا يلزم من عموم الناس آه جواب
عن احتجاج الطاعنين فى عصمة الانبياء عليهم السلام بهذه الآية قائلين انه تع اضاف
الظلم الى ما يعبر به عن جميع اولاد آدم من الانبياء وغيرهم للولا ان كل واحد منهم
اتيا بالذنب والمعصية لما صحت اضافة المعصية الى كافة الناس وتقرير الجواب

انا لانم دلالة اضافة الظلم الا الناس على كون كلهم ظالمين لجواز ان يضاف الحكم الصادر
عن بعض القوم الى كلهم نحو بنو فلان قتلوا زيدا مع ان القاتل واحد منهم فلما جاز ذلك
فبالاولى ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم واجيب عنه ايضا بانه قد ثبت
بالدلايل القاطعة ان كل الناس ليسوا بظالمين فنحو قوله تع ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولو كان
المقتصد والسابق ظالمين لنسب ذلك التقسيم فعلمنا ان المقتصدين والسابقين ليسوا
ظالمين فثبت بهذا الدليل انه لا يجوز ان يقال كل الناس ظالمون فوجب ان يخصص الناس
المذكورون فى قوله تع ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بالعصاة الذين استحقوا
العقاب او ان يحمل التعريف فيه على العهد والمعهود المشركون الذين تقدم ذكرهم والذين
اثبتوا لله البنات وعلى التقديرين يسقط استدلال الطاعنين فى عصمتهم بهذه
الآية قوله والاستفهام واراذل الاموال معطوفان على البنات فانهم كما يكرهون
البنات والشركاء فى رياستهم يكرهون ايضا ان يستحق رسلهم وان يخصوا
بر ذايل الاموال وان يخص شركاؤهم فى رياستهم بكرايم الاموال ثم انهم يجعلون
لله تع جميع هذه المكروهات عندهم فانهم يسمون الملائكة بنات الله ويثبتون
له شركاء فى الوهيته ويستخفون رسله ويجعلون له ارذل اموالهم والاصنام
اكرمها قوله مع ذلك اى مع ذلك الجعل المشتمل على القول والفعل القبيحين الجمهور
على ان الكذب منصوب على انه مفعول به وان لهم الحسنى بدل منه بدل كل من كل ان نصف
وتبيين الستهم معنى كاذبا غير مطابق للواقع وهو ان لهم الحسنى عند الله فى الآخرة
فان قيل كيف يحكمون بذلك وهم كانوا منكرين للقيمة اجيب بان جميعهم لم ينكروا
القيمة بل كان فى العرب جمع يقرون بالبعث والقيمة حتى روى انهم كانوا يربطون
البعير النفيس على قبر الميت ويتركونه الى ان يموت ويقولون ان ذلك الميت
اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه واجيب ايضا بان حكمهم بذلك لا يستلزم اعتقادهم
بالبعث والقيمة لجواز ان يكونوا منكرين لها ويكون حكمهم بذلك مبنيا على الفرض
والتقدير بان يقولوا ان كان محمد صادقا فى قوله بالبعث والنشور فانه يحصل لنا
الجنة والثواب بهذا الدين الذى نحن عليه ويؤيد هذا الجواب ما حكاه الله تع عنهم بقوله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولئن رجعت الى رأيك ان لى عنك للحسنى فان كلمة ان انما تستعمل فى الامور المحتملة
التى لا قطع بتحققها والاصل ان فرقا من الكفار يدعى الاشتراك مع المؤمنين فى نعيم
الآخرة كما كان لهم اشتراك معهم فى نعيم الدنيا لقوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء
ما يحكمون ومنهم من ادعى ان نعيم الآخرة لانفسهم خاصة وان النار للمؤمنين لما يرون
اكثر المؤمنين على الفقر والقلة ويرون انفسهم اصحاب السعة فى انواع الاموال
فيحتمل ان يكون قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه حق الذين ادعوا
ان الجنة لانفسهم خاصة ثم اكذبهم الله تعالى فى قولهم بان لهم الحسنى فقال لا جرم ان لهم
النار اى حقا ان لهم النار وقيل لا رد لقولهم اى ليس الامر كما وصفوا وزعموا جرم فعلهم
اى كسب ذلك القول ان لهم النار فعلى هذا ان مع ما فى حيزه فى محل النصب بوقوع
الكسب عليه قوله من افرطته فى طلب الماء اذا قدمته وهو منقول بالهمزة من فرط اليه
كذا اى تقدم اليه وجعل صاحب الكشاف فعل وافعل بمعنى حيث قال فالمفتوح بمعنى
متقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته فى طلب الماء اذا قدمته
والمعنى على قراءة نافع انهم متجاوزون الحد فى معاصى الله تعالى وافرط بمعنى تجاوز
الحد لازم فلا يجئ منه اسم المفعول ويقال فرط فى الامر بالتشديد اذا افرط فيه ثم
انه تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم
فقال تالله لقد ارسلنا الاية وختم تسليته بما يدل على انك لم تبعث الا لتبلغ
وتبين للناس ما هو الحق من العقايد والاحكام لا لان تلتفت الى سفاهات
قومك وجهالاتهم وتغتم لاجلها فقال وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه
تقرير دلايل الوحدانية وتقريرها فقال والله انزل من السماء ماء الاية تنبيها على
ان دلايل حقية ما دعوت اليه واضحة وآيات من خالفك فارغا بخالفتك عنادا فلا تحزن
عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون قوله ولا لة تعبرها اشارة الى ان العبرة مصدر
بمعنى العبور اطلق على ما يعبر به الى العلم مبالغة فى كونه سببا للعبور فكانه عين العبور
قوله فان الانعام اسم جمع خلافا لقوله اللفظ والمعنى يعنى ان انعاما اسم مفرد بمعنى الجمع
مثل اشمال واخلاق واكياش واعشار فانها اسماء مفردة حيث يوصف بها المفرد

يقال

يقال ثوب اسمال واخلاق اذا كانت للخلوقة والتسمول فيه لحلة خلق الثوب وسمل اى
بلى وثوب اكياش وهو ضرب من الثوب يغزل غزله مرتين وفى المثل عليك بالثوب الاكياش
فانه من ثياب الاكياس ويقال ايضا بزمة اعشار وقيل ذكر الضمير بطونه مع ان الظاهر
ان يقال فى بطونها لرجوعه الى الانعام لكون المراد بعضا منها وهو الاناث لان الذكر
لا البان لها فكان العبرة انما هى فى بعض منها وقيل ذكر باعتبار ما ذكر ومن فى قوله
مما فى بطونه يجوز ان يكون للتبعيض لان اللبن بعض ما فى بطونها ويجوز ان يكون
فرث لابتداء الغاية لان الاستقاء يبتدئ من المكان الواقع بين الفرث والدم ولبنا
مفعول نسقيكم ويجوز ان يكون الاول لابتداء الغاية فيكون مجرورا الثانية
بدلا من مجرور الاول لئلا تتعلق حرفا جر متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد وهو نسقيكم
وهو من بدل الاشتمال لان المكان مشتمل على ما حل فيه ومن فتح النون فى قوله نسقيكم
فدليله واضح اذ يقال سقيته ماء ولبنا وما كان للشربة فهو بفتح النون ومن ضم النون
جعله من قولهم اسقاه اذا جعل له شربا كقوله تعالى واسقيناكم ماء فراتا اى جعلته
شربا لكم قال الفارسى سقيته حتى روى واسقيته نهرا كذا اذا جعلته له شربا
وقيل سقى واسقى كلاهما بمعنى قوله فانه تخلق من بعض اجزاء الدم بيان لوجه كون اللبن
بين الدم وقوله وهو بعض الاشياء المأكولة بيان لوجه كونه بين الفرث والفرث سرجين
الكرش والكرش لكل مجتر بمنزلة المعدة للانسان قال المصنف الفرث بعض الاشياء
المأكولة ثم قال الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله
وهو الفرث قال الامام القول الصحيح فى كيفية تولد اللبن ان الحيوان اذا تناول الغذاء
وصل ذلك العلف الى معدته والى كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبخ وحصل
الهضم الاول فيه فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء
ثم ذلك الذى حصل منه فى الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك الهضم الثالث ويكون
ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية اما الصفراء فتذهب الى المرارة
والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة واما ذلك الدم فانه يدخل فى
الاوردة وهى العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد
والقروح عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى القرح والقرح لحم غدد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

رخوة ابيض فيتقلب الله عز وجل الدم عند انصبابه الى اكل اللحم الغدد الابيض
من صورة الدم الى صورة اللبن فاذا تقرر هذا ظهر ان الدم واللبن لا يتولدان البتة
في الكرش وينبغي ان يحس ايضا فان من الحيوانات تذبح ذبحا متواليا وما راى احد
في كرشها لا دما ولا لبنا ولو كان تولد الدم واللبن في الكرش لوجب ان يشاهد ذلك
في بعض الاحوال والشيء الذي دلت المشاهدة عليه فاسد وقد لم يجز المصير اليه نقول من
قال ان المراد من قوله تع من بين فرث ودم هو ان الثلثة تتولد في موضع واحد
فالفرث يكون في اسفل الكرش والدم يكون في اعلاه واللبن يكون في الوسط فقوله مخالف
للحس والتجربة وايضا لو تولد الدم في اعلى المعدة والكرش كان يجب اذا قاء الحيوان
ان يبقى الدم وذلك باطل قطعا فذلك ذهب المحققون الى ان المراد من قوله تع نسقيكم
من بين فرث ودم لبنا ان تسقيكم لبنا متولدا من الاجزاء التي كانت حاصلة فيما بين
الفرث اولا ثم كانت حاصلة فيما بين الدم ثانيا فصفاه الله تع عن تلك الاجزاء الكثيفة
الغليظة وخلق فيها الصفات التي باعتبارها صارت لبنا موافقا لبدن الطفل واعلم ان
ان مادة اللبن كانت حاصلة فيما بين الفرث اولا وفيما بين الدم ثانيا بناء على ان اللبن
انما يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو
الاشياء المأكولة الحاصلة في الكرش قوله ومن تدبر صنع الله الخ وبيانه من وجوه الاول
انه تع خلق في اسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء
او شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شيء من ذلك الماكول
والمشروب الا ان بكمل انهضامه في معدة ويتجذب ما صفى منه الى الكبد ويبقى الثفل
هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه الثفل فحصول الانطباق تارة
والانفتاح اخرى لهذه الحاجة وتقدير المنفعة مما لا يتأتى الا بتقدير الحكيم العليم
والثاني انه تع اودع في الكبد قوة تجذب الاجزاء اللطيفة الحاصلة في ذلك
الماكول والمشروب ولا تجذب الاجزاء الكثيفة وخلق في الامعاء قوة تجذب تلك الاجزاء
الكثيفة التي هي الثفل ولا تجذب الاجزاء اللطيفة البتة ولو كان الامر بالعكس لاختلت
مصلحة البدن ولفسد نظام هذا التركيب والثالث انه تع اودع في الكبد قوة هاضمة
طباخة تنطبخ بها تلك الاجزاء اللطيفة في الكبد وتنقلب دما ثم انه تع اودع في المرارة

مما لخص

قوة

قوة جاذبة للصفراء وفي الطحال قوة جاذبة للسوداء وفي الكلية قوة جاذبة للزيادة
المائية حتى يبقى الدم الصافي الموافق لتغذية البدن وتخصيص كل واحد من هذه
الاعضاء بتلك القوة الحاصلة فيها لا يمكن الا بتقدير العليم الحكيم والرابع ان في الوقت
الذي يكون الجنين في رحم الام ينصب من ذلك الدم نصيب وافر اليه حتى يصير مادة لنموه
اعضاءه ذلك الولد وازدياده فاذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب
الى اجانب الثدي ليتولد منه اللبن الذي يكون غذاء له فاذا كبر الولد لم ينصب ذلك النصيب
لا الى الرحم ولا الى الثدي بل ينصب على مجموع بدن المغتذي فانصباب ذلك الدم في كل
وقت الى عضو آخر انصبابا موافقا للحكمة والمصلحة لا بناء على الا بتقدير الفاعل
المختار الحكيم والخامس انه تع جعل الثقوب والمسام التي احدثها في حلمة الثدي ضيقة
جدا بحيث اذا اتصل المص او الحلب بتلك الحلمة لا يخرج منها الا ما كان في غاية الصفاء
واللطافة واما الاجزاء الكثيفة فانه لا يمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى
محتبسة في الداخل فكانت حلمة الثدي بسبب ضيق المنافذ كالمصفاة فبهذا الطريق
يصير ذلك اللبن خالصا موافقا لبدن الصبي سائغا للشاربين والسادس انه تع
الهم ذلك الصبي وهداه الى المص فان الام لما التقمت حلمة الثدي في فم الصبي ياخذ
الصبي في الحال في مصها فلولا ان الفاعل المختار الهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل
المخصوص لما حصل بتخليق ذلك اللبن في الثدي فائدة الاخبر ذلك من غرايب الحكم
ودقايق الفضل والرحمة فسبحان من شهد جميع ذرات العالم الاعلى والاسفل
بكمال قدرته وبدايع حكمته له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين قوله والسكر مصدر
سكر يسكر سكرا وسكرا سمي به الخمر تسمية للشيء باسم سببه فان قيل الخمر محرمة فكيف
ذكرها الله تع في معرض الانعام اجيب عنه بان هذه السورة مكية وتحريم الخمر نزل
في سورة المائدة وهي مدنية فكان نزول هذه الاية قبل كونها محرمة وقيل السكر
هو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد
وهو حلال عند ابي حنيفة قدس الله روحه الى حد السكر واحتج عليه بان هذه الاية
تدل على ان السكر حلال لانه تع ذكره في معرض الانعام والمنة وبقوله عم الخمر حرام
لعينها والسكر من كل شراب وباخبار حجة قبل ان ابا علي الجبائي صنف غير كتاب

في تحليل النبيذ فلما تشيخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فاذا قيل له قد صنفت في تحليله فعال تناولته الدعارة فسمح بالمروة اي يشربه اصحاب الدعارة وهي الخبث والفجور تقبح في المروة التشبه بهم بنال رجل داجر اي خبيث فاجر وفيه دعان والكلام على حذف المضاف اي تناولته اصحاب الدعارة قوله والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدلالته على كراهتها بطريق التعريض حيث عطف قوله ورزقا حسنا على السكر وما يكون مقابلا للرزق الحسن لا يجوز يكون قبيحا ومكروها قوله والاية ان كانت نازلة بعد تحريمها تكون جامعة بين العتاب والمنة بان يكون ورود قوله تتخذون منه سكرا بطريق العتاب وقوله رزقا حسنا بطريق المنة كانه تعالى وبخهم على الجمع بين السكر والرزق الحسن قوله وقيل الطعم اي قبل السكر الطعام واحتج عليه بقوله جعلت اعراض الكرام سكرا اي جعلت ذمتهم وغيبتهم طعاما وتقلا التقل بالضم ما يتنقل به على الشراب وقيل هذا البيت الشبه منه بالطعام والمعنى جعلت تتخم باعراض الكرام جعل شعفه بغيبتهم وتمزيق اعراضهم جاريا مجرى شرب الخمر وقيل السكر ما يسد الجوع من السكر بفتح السين وسكون الكاف وهو مصدر سكرت النهر اسكره اذا سددته قوله يتعقلون ر عقولهم يعني ان قوله يعقلون لم يقصد تعديته الى المفعول بل هو منزل منزلة اللازم قوله الهمها وقذف في قلوبها اي سخرها وقررفي نفوسها هذه الاعمال التي يعجز عنها العقلاء من البشر وان كانوا في غاية الذكاء والكياسة قوله وقذف عطف تفسير لقوله الهمها فان الالهام عبارة عن القاء المعنى في القلب بطريق الفيض ومعنى الهام البهائم ان يسخرها الله تعالى وينشأها على طبايع يصدر عنها ما يصدر عن الامور الغريبة من غير ان يعلمها احد كسياحة الاوز في الماء وطيران الطير في الهواء بطبعها من غير تعلم بل مجرد ان يخلق الله فيها ذلك من غير ان يكون منها في ذلك تفكر وسابق تدبير فدل ذلك على ان غيرا القى في قلوبها ذلك كما يلقي الشيطان وسوسته والهامه الملك بني آدم اشياء من غير ان علموا ان احدا دعاهم الى ذلك او القى في قلوبهم الا انها لما وقعت في قلوبهم من غير ان يسبق منهم فكر وتدبير علم ان هناك ملقيا قال القرطبي الالهام هو ما يخلقه الله تعالى في القلب ابتداء من غير سبب ظاهر قال تعالى

ونفس

ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ومن ذلك البهايم وما يخلقه الله تعالى فيها من ادراك منافعها واجتناب مضارها وتدبير معاشها الا ترى الى حذاقة النحل في صنعتها وبنائها البيوت المسدسة من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض فانها لو كانت مربعة بقيت منها فرج ضائعة عند دخولها فيها ولو كانت مستديرة بقيت الفرج التي بين البيوت ضائعة والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل تلك البيوت الا بآلات وادوات مثل المسطرة والبركار وبالجملة لو كانت تلك البيوت مشكلة بما عدا الشكل المسدس من الاشكال لبقي في داخلها او فيما بينها فرج خالية ضائعة فامتد اذ ذلك للحيوان الضعيف الى هذه الصنعة المشتملة على الحكمة اللطيفة واخراج العسل المصفى من لعابه دليل قاطع وبرهان ساطع على ان لهذا العالم الها قادرا عليما حكيما يفعل ما يشاء قوله ولعل ذكرها ذكرا ولا ان البيت هنا مستعار للنحل تشبيها له بما يبنيه الانسان ويبيت فيه من الابنية في اشتماله على حسن الصنعة وصحة التدبير ثم قال لعل النكتة في سلوك سبيل الاستعارة التنبيه على ما في العسل من الصنايع العجيبة التي لا يقدر عليها المهندسون الا بالالات والانظار الدقيقة قوله من كل ثمرة تشبيها اشار الى ان الاستغراق المدلول عليه بقوله من كل الثمرات المراد به الاستغراق العرفي كما في قوله تعالى واوتيت من كل شئ فان بلقيس لم يؤت جميع ما يطلق عليه اسم الشئ بل المراد انها اوتيت من كل شئ اوتي الملوك اياه ومن للتبعيض اي كل بعض كل ثمرة تشتهيها ويجوز ان يكون لابتداء الغاية فقوله تعالى ان اتخذي من الجبال ثم قوله كلي من كل الثمرات فيه طباق وهو الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة حيث اورد في الاول من التبعيضية وفي الثاني كلة كل وفيه ارشاد لها الى وجوه العمل وترتيبه حيث سخرها الله تعالى لان تسوي البيت ثم ناداها خذي للجلوس للفسل قوله فاسلكي ما الكلت في مسالكه التي هي اجوافك وعروقك على ان قوله فاسلكي امر من سلكت الشئ في الشئ فانسلك اي ادخلته فيه فدخل وهو متعد ولهذا قدر قوله ما الكلت ليكون مفعولا والسبل مجاز عن مسالك حالة الغذاء وهي الاجواف والعروق فقوله من اجوافك بيان للمالك قوله او فاسلكي الطرق على ان قوله

فاسلكى لازم من السلوك والسبيل مجاز والمراد سبيل على العسل وقوله اوفاسلكى راجعه على ان فاسلكى لازم والسبيل حقيقة والمراد سبيل الرجوع الى البيوت فهذه ثلثة اوجه وزاد صاحب الكشاف احتمالا احتمالا رابعا وهو ان يكون المراد بالسبل سبل الذهاب الى طلب الثمار ويكون المعنى ثم اقصدى اكل الثمار فاسلكى فى طلبها فى مطانها سبل ربك ولعل الوجه فى عدم التفات المصنف اليه كونه مستلزما لان يكون قوله ثم كلى عطفا ثم اقصدى اكل الثمار والفاء فى فاسلكى على هذا الوجه للعطف والتعقيب وعلى الوجه الاخر جواب شرط محذوف اى اذا اكلتها فاسلكى قوله وانت ذلل جمع الخبر يجمع ان المبتدأ مؤنث لان الخطاب فى قوله تعالى فاسلكى سبل ربك لنحل النحل بدليل قوله تعالى واوحى ربك الى النحل وقد اشار اليه المصنف بقوله وتانيث الضمير على المعنى يعنى ان الجنس فى معنى الجماعة قوله كانه عدل به عن خطاب النحل يعنى ان مطلع الاية خطاب النحل على طريق الامر والتكليف اظهارا لكمال قدرته ووحدانيته وتخلص منه الى خطاب الناس وامتنانهم بما انعم عليهم بخلق النحل والهامه لاجل انتفاعهم والظاهر ان توجه الامر والتكليف الى البهائم كما فى هذه الاية وفى قوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم على طريق التمثيل شبه خلق الله تعالى ايا ها على غرائز وطبايع توجب ما اسند اليها من الاحوال بامرها وتكليفها فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به وان كان لا يبعد ان يكون لهذه الحيوانات عقول تصلح بها لان يتوجه اليها من الله تعالى امر ونهى ثم انه لما كانت النحل نوعين احدهما ما يسكن فى الجبال والغياض جمع غيضة ولا يكون تحت تصرف احد من الناس وثانيهما ما يسكن فى بيوت الناس وما يعرشونه اى يبنونه ويرفعونه من سقوف البيت ويكون فى نصر فهم فالاول هو المراد بقوله تعالى اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر والثانى هو المراد بقوله تعالى ومما يعرشون اى يعرشه الناس والعرش سرير الملك وعرش البيت سقفه والعرش والعريش ما يستظل به وعرش يعرش ويعرش عرشا اى بنى بيتا من خشب ونحوه والمراد بما يعرشه الناس ههنا اما ما يبنونه لانفسهم من البيوت ويؤمر النحل بان تتخذ بعضا منها بيوتا تعسل فيها واما ما يبنون للنحل من الاماكن وهى خلايا النحل قوله

الطرق الموصلة الى على العسل ٥

واحيج به

مطلب كيفية العسل

٣٧٦

واحيج به اى بقوله تعالى يخرج من بطونها اعلم انهم اختلفوا فى كيفية حصول العسل فالمشهور ان النحل ناكل من الازهار والاوراق المعطرة فاكلها ينقلب فى جوفها وداخل بدنها عسلا ثم تقيئ اذا اختار الشتاء فهو العسل ومنهم من يقول يحدث فى الهواء طل لطيف فى الليالى فيقع على اوراق الاشجار والازهار فقد يكون كثيرة يجتمع منها اجزاء محسوسة وتنعقد كالترنجبين وقد يكون الاجزاء الطلية صغيرة لطيفة فالنحل تلتقط تلك الذرات اللطيفة من الازهار والاوراق بافواهها وبغتذى بها فاذا شبعت التقطت شيئا آخر من تلك الذرات وذهبت بها الى بيوتها كانها تدخر غذائها الشتاء فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير من تلك الاجزاء الطلية ينعقد عسلا ومال الامام الى هذا المذهب وقال انه اقرب الى العقل والاستقراء ومال المصنف الى ما هو المختار عند المحققين من الحكماء حيث قال اولا فاسلكى ما اكلت فى اجوافك التى تحيل النور المرعى وهو تصريح بان ما اكلته النحل انما ينقلب عسلا فى اجوافها ومنافذ ما اكلها لا فى خلاياها ومعاسلها ثم قال من ذهب الى المذهب الآخر فقد احتاج الى تفسير البطون بالافواه وتبدل على ضعف هذا المذهب ايضا قوله تعالى ثم كلى فانه دال على ان لمعدة النحل تاثيرا فى تكون العسل ومن جعل العسل نباتا محضا وفسر البطون بالافواه فليت شعرى ماذا يصنع بقوله تعالى ثم كلى قوله اما بنفسه او مع غيره اشارة الى جواب ما يقال من ان تعريف الناس يفيد العموم فدلت الآية على ان العسل شفاء من كل داء مع انه يضر الصفراوى والمحموم والمحرور وتقرير الجواب ان ما يكون علاجا للصفراوى ايضا انما يتم ويكمل بالعسل فيكون شفاء من كل داء بهذا الاعتبار ثم اجاب بمنع دلالة الاية على ان العسل شفاء لكل مرض لانه لم يقل انه شفاء لكل ناس ولكل داء وفى كل حال بل اشار بتنكير شفاء الى ان فيه بعض الشفاء وان جاز ان يكون التنكير فيه لتعظيم ما فيه من الشفاء وما روى عن قتادة رضه انما يدل على كونه شفاء فى الجملة لا على كونه شفاء لكل داء لجواز ان يكون استطلاق بطن الرجل من فضلة بلغمية فاحتاج الى شرب العسل لانضاجها ودفعها وقوله عه وكذب بطن اخيك معناه ان بطنه لم يأخذ من العسل ما ينضج

شبكة الألوكة www.alukah.net

ماوته ويصلح مزاجه الا انه لما ذكر في جنب قوله صدق الله حسن ان يقال كذب بطن اخيك
روما للف كلمة قوله كما تما انشط من عقال اي تخلص يقال نشطت للبل انشطه
نشطا اي عقدته والنشطة اي حلّلته وقد يقال كما تنشط من عقال وليس بحجيج
قوله وضل الضمير للقرآن فيتم الامتنان على الناس بخلق النحل والهامه طريق
قوله العسل منه عند قوله يخرج من بطونه شراب مختلف الوانه ثم ابتدأ وقال
فيه شفاء للناس اي في هذا القرآن شفاء للناس او في ما بيّن الله تعالى
من احوال النحل شفاء لهم من آفة الكفر والبدعة ولم يرض المصنف بهذا القول
لان الاصل في الضمير ان يرجع الى اقرب المذكورات قبله وما ذلك الا قوله شراب
مختلف الوانه وارجاعه الى ما لم يذكر قبله بعيد ولان قوله ع م في حديث قتاده
صدق الله وكذب بطن اخيك يدل على انه ع م جعل ضمير فيه للشراب المذكور قبله
فلا وجه لجعله راجعا الى القرآن ثم انه تعالى استدل على ان هذا العالم لا بد له من
اله واجب الوجود لذاته ببعض احوال النبات ثم ببعض عجايب الحيوان
اتبعه بذكر اختلاف اعمار الناس ومراتبها واختصاص كل مرتبة بحكم تخالف حكم
باقي المراتب والعقلاء ضبطوا مراتب اعمار الانسان في اربع المرتبة الاولى
سن النشو والنماء ونهايته الى الثلثين سنة او الى خمس وثلثين سنة والمرتبة
الثانية سن الوقوف وهو سن الشباب ونهايته الى ان يتم اربعون سنة
من عمره والمرتبة الثالثة سن الكهولة وهو سن الانحطاط اليسير للقوى وتمامه
الى ستين سنة والمرتبة الرابعة سن الشيخوخة وهو سن الانحطاط العظيم الظاهر
وتمامه عند الاطباء الى مائة وعشر سنة فاختلاف احوال البدن للحيواني بالزيادة
والوقوف والانحطاط للخفي والجلي مع التسوية احوال التربية والتدبير الكائنين
من قبل نفسه يدل على انه تدبير الفاعل المختار قيل الارتداد الى ارذل العمر
وارد له مختص بالكافر لان المسلم لا يزداد بسبب طول العمر الا كرامة عند
الله ولا يجوز ان يقال في حقه انه تعالى رده الى ارذل العمر لقوله تعالى ثم رددناه
اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانه صريح في ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات لا يردون الى اسفل سافلين وعن عكرمة ان من قرأ القرآن

مطلب
مواليد الانسان
اربع

لم يرد

لم يرد الى ارذل العمر قوله ليصير الى حاله اللام في هذه العبارة لام كي المفيدة للتعليل
والفعل بعدها منصوب باضمار ان المصدرية ويحتمل ان تكون لام العاقبة وهي التي
في نظم القرآن لا يجوز ان تكون لام كي لان كي بعدها مذكورة صريحا هنا اما لام العاقبة
واما اللام التي تكون للجحود والتعليل من غير ان يضمر بعدها ان المصدرية وكي بعدها مصدرية
ناصبة بنفسها للفعل بعدها وهي مع منصوبها في تأويل مصدر مجرور باللام
المتعلقة بقوله يرد والاشعار لكي بالتعليل في هذا الموضع قال ابو البقاء شيئا
منصوب بالمصدر على قول البصريين وبيعلم على قول الكوفيين انتهى يعني انه من قبيل
ما تنازع فيه عاملان لانه قد تقدمه عاملان يعلم وعلم فعلا راي البصريين وهو
المختار يكون منصوبا بيعلم وعلى راي الكوفيين يكون منصوبا بعلم وقوله تعالى
للكيلا يعلم بعد علم شيئا كناية عن النسيان لان الناس يلزمهم ان يعلم شيئا ثم
ينساه فلا يعلم بعد ما علم وهذه صفة الاطفال والهرم بالكسر الشيخ الفاني
قوله فمنكم غني ومنكم فقير وليس غنى المكثر من كياسته وموفور عقله وكثرة سعيه
واجتهاده ولا فقر المقل من بلادته ونقصان عقله وقلة سعيه فانك ترى اكيس
الناس واكثرهم عقلا وفهما يفني عمره في طلب القليل من الدنيا ولا يتيسر له ذلك
وترى اجهل الناس واقلهم عقلا وفهما تنفتح عليهم ابواب الدنيا ولو كان
الغنى منوطا بالسعي وكمال العقل لما وجد في اكمل الناس عقلا واكثرهم سعيا في تحصيل
الدنيا من هو اقل نصيبا منها فلا ريب ان الاعقل الافضل سعيا اقل نصيبا والاخس
الاجهل اوفر نصيبا علمنا ان ذلك بسبب قسمة القسام الذي يفعل ما يشاء كما قال
تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا روي عن الشافعي رحمه الله انه
قال ومما يدل على ان القضاء والقدر حق يؤنس اللبيب وطيب عيش الاحمق وهذا
التفاوت غير مختص بالمال بل هو حاصل في الذكاء والبلادة والحسن والقبح والصحة
والسقم ونحو ذلك اسند الله تعالى تفاوت ارزاق عباده الى نفسه ويلزم منه كونه
تعالى هو الرازق للجميع على وجه تفضل بعضهم على بعض في الرزق ثم فرع عليه ان
المتفضلون في الرزق ليسوا رازقين مما يملكهم شيئا من الرزق الكائن من قبلهم
بل الرازق للجميع هو الله تعالى وحده لكنه اجرى رزق المماليك على ايدي الموالي فقوله تعالى

فاما الذين فضلوا لازم لما قبله وقوله فهم فيه اى امر الرزق وفى كون رزق الجميع من الله سواء لازم للجملة المنفية متفرع عليها او مقرر مؤكد لها ويجوز ان يكون جوابا للسئل المذكور قبله ردا على المشركين قوله وقرا ابو بكر وقراء الباقون بياء الغيبة مراعاة لقوله فما الذين فضلوا وقوله فهم فيه سواء ثم انه تعالى استدل على وجود الآله العليم القادر المختار بنوع آخر من احوال الناس فقال مخاطبا للكل والله جعل لكم ايها الناس خلق انسانا لتتزوج بهن الذكور وجعل ازواجهم من جنسهم ليتناسلوا بهن ومن جعل خطاب الجمع فى قوله جعل لكم من انفسكم للتعظيم وحمله على خلق حوا من نفس آدم فقد ارتكب خلاف الظاهر من غير ضرورة قوله فان الحافد هو المتشرع فى الخدمة يعنى ان الحفدة وان كانت اعم من البنات والعام لا دلالة له على الخاص الا ان البنات لكونهن اكمل افرادها يتبادر الذهن من لفظ الحفدة اليهن عند الاطلاق قال الواحدى اصل الحفدة من الحفد وهو الخفة فى الخدمة والعمل يقال حفد يحفد حفدا وحفودا اذا اسرع ومنه ما فى دعاء القنوت واليك نسعى ونحفد فالحفدة جمع الحافد والحافد كل من يخدم فى خدمتك ويسرع فى العمل بطاعتك فمعنى الحفدة فى اللغة الاعوان والخدم ثم يجب ان يكون المراد من الحفدة الاعوان الذين حصلوا للرجل من قبل المراة لانه تعالى قال وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة فالاعوان الذين لا يكونون من قبل المراة لا يدخلون تحت هذه الاية فلذلك فسل بهم الاختان وقيل بهم الربائب وقيل بهم الاصهار وقيل ولد الولد والاولى دخول الكل فيه لما بينا من ان اللفظ يحتمل الكل من حيث كونه موضوعا للقدر المشترك بين الكل ثم انه تعالى لما ذكر انعامه على عبيده بالمنكوح وما فيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بطيبات النعم نباتية كانت او حيوانية فقال ورزقكم من الطيبات ثم قال افبالباطل يؤمنون والهمزة فيه للانكار والتوبيخ والفاء للدلالة على ان صدور ما اسند اليهم من القبايح عنهم بعد تقرر ما ذكر قبلها اشنع قباحة وضلالة والمراد بالباطل اعتقادهم ان الاصنام ينفعهم او اعتقادهم ان من الطيبات ما يحرم عليهم وكذا الكلام فى قوله تعالى أفبنعمت الله يجحدون والمراد بنعمت الله ما انعم به على جميع عباده من الرزق وسوى فيه بين الموالى والمماليك وبجحودها اضافة بعضها

الى الشركاء

الى الشركاء وانكارهم كونه من الله تعالى او ما انعم به عليهم من ايضاح الدلايل الدالة على تفرده تعالى بالالوهية وتنزهه عن الشركاء والانداد وبجحودهم وعدم الالتفات الى تلك الدلايل وتركهم التامل فيها بالانهماك فى تقليد الآباء الضالين بين الله تعالى انه هو الرزاق لجميع عباده من الموالى والمماليك ثم فرع عليه توبيخ المشركين على اتخاذهم الشركاء وانكر عليهم بقوله افبنعمة الله يجحدون باضافة بعض ما رزقه الله لهم الى تلك الشركاء ومحودانه من عند الله او اوضح لهم دلايل الحق ثم وبخ عليهم لعدم التفاتهم اليها واعتبارهم بها الى الحق ثم فصل لهم بعض ما انعم به عليهم فذكر اولا انعامه بالمنكوح وما يتفرع عليه من المنافع ثم ذكر انعامه عليهم بلذايذ النعم او حلالا طيبا ثم اعاد التوبيخ على المشركين فيما هم عليه من الاعتقاد الباطل والمذهب الزايغ وقدم المعمول على عامله فى الموضعين لاقتضاء المقام ذلك وهو ههنا اما الاهتمام ووجه ان الغرض الذى يسيق له الكلام فى الاول ليس انكار نفس الجحود بل الغرض انكار كون متعلق الجحود نعمة الله تعالى فكان محل الاهتمام هو المفعول فقدم لذلك واما ايهام التخصيص مبالغة فان تقديم المفعول به يفيد الحصر والتخصيص فكانه قيل افلا يجحدون الا نعمة الله وافلا يؤمنون الا بالباطل ولما كان يستتم ارادة حقيقة التخصيص كان ايراد ما يفيد التخصيص لابهامه لا لدليل على التخصيص حقيقة ولما كان نسبة جحود نعمة الله اليهم كافيا فى توبيخهم كان نسبة تخصيص الجحود بها اليهم ابلغ فى التوبيخ وكذا نسبة الايمان بالباطل كاف فى التوبيخ فكان نسبة ذلك اليهم بطريق يفيد التخصيص ابلغ فيه وقوله وبنعمت الله هم يكفرون داخل فى حيز الاستفهام الانكارى ويفهم من تقرير المصنف ان قوله تعالى ويعبدون من دون الله معطوف على قوله يكفرون بيانا وتفسيرا لكفرهم بنعمت الله لقوله فان اتخاذ الشركاء يقتضى ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله قوله ورزقا ان جعلته مصدرا فمنتصب به على معنى لا يملكون ان يرزقوا شيئا وان كان بمعنى المرزوق المنتفع به كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ولا كثيرا او من السموات والارض متعلق بقوله رزقا ان كان مصدرا او المعنى لا يملكون لهم ان يرزقوا من جانب السماء المطر ومن جانب الارض النبات والثمار التى تخرج منها او متعلق بمحذوف

الرزق ما ينتفع به والجمع الارزاق والرزق العطاء وهو مصدر قولك رزقته رزقا

هو صفة لرزقا ان كان اسما لما يرزق قوله ولا يستطيعون ان يملكوه الخ جواب عما يقال من ان قوله لا يستطيعون فعل متعد بنفسه فما معنى قوله لا تقدرين ولا يستطيعون انه ومعناه بعينه معنى قوله لا يملك لهم رزقا فهو عطف الشيء على نفسه وتقرير الجواب انا لا نسلم ان لا يستطيعون يستدعي تقدير ضمير يرجع الى الرزق بل اجري مجرى اللازم كقولك فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع فالمعنى انهم لا يملكون رزقا وليس لهم استطاعة اصلا سلمنا انه يستدعي ذلك لكن لا نسلم ان ذلك الضمير يرجع الى الرزق بل هو راجع الى ملك الرزق والمعنى انهم لا يقدرون على ملك الرزق فضلا عن ان يملكوه بالفعل قوله فلا تجعلوا له امثالا تشركون به او تقيسونه عليه يعني ان المقصود نهيهم عن الاشراك بتفريعه على قوله ويعبدون من دون الله الخ فانه تعالى لما وصف المشركين بانهم يعبدون ما لا يملك شيئا من الرزق ولا استطاعة لهم اصلا فرع على ذلك نهيهم عن ان يجعلوا له امثالا يشركونه به تعالى الالوهية او يقيسون تعظيم على تعظيم ذلك المثل بان يتولوا الملك مثلا له تعالى في استحقاق التعظيم فكما ان عبادة عبيد الملك ادخل في تعظيم من عبادة نفسه بالذات فكذلك عبادة عبيد الله تعالى من الملائكة والاصنام ادخل في تعظيم الله تعالى بالنسبة الى عبادته بالذات فالمثل على الاول ما يعبد دونه من الشركاء وعلى الثاني ما يتبعونه تعالى به مما يعظم شأنه عندهم قوله فساء ما تقولون عليه اي تعتمدون عليه في ان تجعلوا له مثلا ومن القياس بيان ما قوله وجعله فيما اي توصيف العبد بانه مملوك لا يقدر على شيء ثم جعله قسيما لقوله ومن رزقناه لا يدل على ان المملوكية بنافي الملكية فان الفقهاء احتجوا بهذه الآية على ان العبد لا يملك شيئا ووجه دلالتها عليه انه ثبت في اصول الفقه ان الحكم المذكور عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الوصف علة لذلك الحكم وكونه عبدا وصف مشعر بالذلة والمقهورية وقوله لا يقدر على شيء حكم مذكور عقيبه فهذا يقتضي ان يكون العلة لعدم القدرة على شيء هو كونه عبدا مملوكا فثبت ان العبد لا يملك شيئا وان ملك والآية تدل على ما ذكرنا من وجه آخر وهو انه تعالى قال بعد ذكر العبد ومن رزقناه منا رزقا حسنا فوجب ان لا يحصل هذا الوصف للعبد حتى يحصل

الامتياز

الامتياز بين القسم الثاني والاول فانه لو ملك العبد لكان الله تعالى قد اناه رزقا حسنا لان الملك الحلال رزق حسن سواء كان قليلا او كثيرا فلا تكون احد القسمين قسيما للآخر قوله وقيل هو تمثيل للكافر المخذول فالمعنى على الاول لا يستوي عندكم العبد المملوك العاجز عن التصرف بالحق المالك الذي قد رزقه الله المال فهو يتصرف فيه وينفق كيف يشاء فكيف يستوي من عدم الانفاق والانعام على التوالي والدوام وهو المعبود الحق بمن لا يملك شيئا من ذلك وهو المعبود الباطل وعلى الثاني لا يستوي عندكم العبد والحر المذكور بن فكيف يستوي المؤمن الموفق للطاعات والخيرات والاعمال الصالحة التي يجزيء المؤمن ويجنيها في بينه والكافر المخذول الذي حرمه الله التوفيق فهو لا يحصل منه عمل صالح ولا يوفق لباب من ابواب الطاعات والانفاق قد يعبر به عن العمل الصالح حتى ذهب بعض المفسرين في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الى ان المعنى حتى تعملوا الطاعات فان العامل المطيع ينفق قواه وجوارحه ابتغاء لوجه الله تعالى والانفاق سرا وجهرا اتيان ما يجب به من الاعمال كالصلوات المفروضة والحج والجهاد والاعمال التي تظهر للناس واتيان ما يخفى من الاعمال كالنوافل التي يفعلها المرء في بيته والاعمال القلبية ثم انه تعالى لما بين امتناع المساواة بين العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء وبين الحر الكريم الغني على الاطلاق عقبه بقوله الحمد لله للدلالة على انه تعالى هو الغني المطلق القادر على الانفاق والافضال وان من يعبد الاصنام التي لا يملك ولا يقدر على شيء البتة في غاية الجهالة والضلال قوله تعالى ايما يوجهه لا يأت بخير مجزوما على انها شرطية وجزاؤه وقرئ اينما يوجهه بالهاء الواحدة الساكنة وبناء الفعل للمفعول وقرئ يوجه بالهاء الواحدة الساكنة وكسر الجيم وفاعله ضمير الابكم فيكون يوجه لازما بمعنى يتوجه يقال وجه وتوجه بمعنى مثل قدم بمعنى تقدم وقد اشتهر ان المعدية بمعنى المتقدمة قولهم ايما اوجه التي استعدا مثل يضرب لمن يتلقى الشر ايما يتوجه وكان اصله ان رجلا اسمه اضبط كان سيد قومه فاصابه منهم جنوة فارتحل عنهم الى آخرين فرآهم يصنعون بسادتهم مثل صنيع قومه فقال اينما اوجه التي سعدا او سعدا كان رجلا شريرا والنجح والنجاح الظفر بالحوائج وفي الكلام حذف ما يقابل قوله احدهما اكلم كانه قيل والآخر ناطق متقن

قادر على الصنايع والتدابير بكمال عقله وسلامة اعضائه وهو خفيف على مولاه
لا يتحمل التعب المؤونة من قبله اصلا اينما يوجهه يأت بخير ونجح ودل
عليه قوله هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وقوله ومن يأمر مرفوع معطوف على
الضمير المرفوع في يستوي وسوغه الفصل بالضمير المنفصل وقوله وهو على صراط مستقيم
اما استيناف او حال قوله واما قابل تلك الصفات الاربع وهي انها ابكم وانها عاجز
لا يقدر على شيء وانه كل ثقيل على مولاه وان مولاه اينما يرسله لا يأت بخير وهي
صفات الاصنام لانها لا تسمع ولا تنطق وانها عجزة لا تقدر على شيء وانها كل على
عابدها تحتاج الى ان تحملها وتضعها وتمسح عنها ما وقع عليها من الاذى وتخدمها
ولا اينما يوجهها عابدوها لا تأت بخير قابل تعالى تلك الصفات الاربع بهذين
الوصفين وهما كونه آمرا بالعدل وكونه في نفسه على صراط مستقيم لانها كمال
ما يقابل تلك الصفات الاربع لان كونه آمرا بالعدل يتضمن كونه ذا فهم منطيقي
قادرا على كفاية الناس وارشادهم الى ما فيه صلاح حالهم في الدارين بحثهم على
العدل الشامل لجامع الفضايل وكونه على صراط مستقيم وسيرة صالحة سنية
يتضمن كونه بحيث الى اي مطلب يتوجه يبلغه ويظفر به باقرب سعي فالرجل الموصوف
بتلك الصفات الاربع اذا لم يكن مساويا في الفضل والشرف لمن اتصف بهذين
الوصفين مع استوائهما في الخلقة والصورة والبشرية فلا ان يحكم بان الجماد
لا يكون مساويا لرب العالمين في المعبودية كان اولى او فلا ان لا يكون الكافر
مساويا للمؤمن كما اولى بين الله تعالى بضرب هذا المثل ان الذي لا ينطق بالحق
ولا يأمر بالعدل ليس كالذي يأمر بالعدل مع كونه في نفسه متصفا بالعدل
متباعدا عن الظلم والجور وبين في المثل الاول ان الذي لا يملك الانفاق ليس كالذي
يملكه قوله يختص به على وجه ارتباط هذه الاية بما قبلها انه مثل نفسه بالذي يأمر بالعدل
وهو على صراط مستقيم ومعلوم ان احدا لا يكون كذلك الا اذا كان كاملا في العلم والقدرة
فبين بقوله ولله غيب السموات والارض كونه كاملا في العلم وبين كمال قدرته بقوله
وما امر الساعة الا كلمح البصر والساعة هي الوقت الذي تقوم فيه القيمة تسمية ساعة
لانها تفجأ الانسان في ساعة فيموت للخلق بصيحة واحدة وقوله او هو اقرب ليس المراد

منه الشك

منه الشك بل المراد بل هو اقرب اخبارا عن تشبيه امر قيام الساعة في السرعة برجع الطرف
من اعلى الحدقة الى اسفلها ولا شك ان الحدقة مؤلفة من اجزاء لا تتجزأ ولمح البصر عبارة عن
مرور الجفن على جملة تلك الاجزاء التي منها تتركب الحدقة فيكون الزمان الذي يحصل فيه لمح
البصر مركبا من آنات لا تتجزأ وازمان متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيمة في زمان واحد من
تلك الازمان فلذلك اضرب عن التشبيه الاول الى الحكم بانه اقرب تنبيها على ذلك وقال الزجاج
المراد الابهام على المخاطبين انه تعالى يأتي بالساعة في زمان لمح البصر او هو فيما هو اقل
منه لان المراد من تشبيه امر قيامها بامر لمح البصر تشبيه زمان الاول بزمان الثاني
وهذا هو الذي اراد المصنف بقوله او للتخيير لانه تعالى ابهم الامر عليهم فقد
خيرهم بين الامرين وعلى الوجهين يكون المقصود من الآية تسهيل وقوعها وقيامها
وعلى ما ذكره بقوله وقيل معناه يكون المقصود تقريب وقوعها وان كان بعيدا
بالنسبة الينا فقوله والها مؤيدة يعني ان اصل امرها انكم انتم لا انه زيدت
الها فيه كما زيدت في اهراق اصله اراق وقوله لا تعلمون شيئا حال من مفعول
اخرجكم اي اخرجكم غير عالمين وقوله شيئا منصوب اما على المصدرية اي شيئا
من العلم او على انه مفعول به والعلم ههنا العرفان فينعدي الى واحد قوله مستعينا
جهل الجمادية اي لا الجهل الذي هو عدم العلم عما من شانه ان يكون عالما لان
الجنين حال خروجه من بطن امه في حكم الجماد لخلوه عن العلوم الاولية رأسا فضلا
عن العلوم النظرية المكتسبة بترتيب العلوم الاولية فان النفس في مبدا الفطرة
كانت خالية عن جميع العلوم الا انه تعالى لما خلق لها قوى وحواس ظاهرة وباطنة
توسلت بها الى ان ترتسم فيها ماهيات المحسوسات وتنتسبها بما بينها من المشاركات
والمباينات وان تنتزع منها صورا كلية تصورية تتمكن بترتيبها على وجه خاص
من اكتساب المجهولات التصورية وتتمكن بادراك النسبة بين بعض تلك الصور
التصورية مع بعض من ايقاع تلك النسبة وانتزاعها وادراك انها واقعة او
ليست بواقعة كادراك ان الكل اعظم من الجزء ومثل هذه الادراكات علوم
تصديقية تتمكن النفس بترتيبها على الوجه الخاص من اكتساب المجهولات التصديقية
فظهر ان السبب الاول لحدوث العلوم في النفس هو انه تعالى اعطى هذه الحواس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والبه اشار تعالى بقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل
لكم السمع والابصار والافئدة ليصير حصولها سببا لانتقال نفوسكم من الجهل
الى العلم بالطريق المذكور فان قيل قوله وجعل لكم السمع والابصار عطف على
قوله اخرجكم ويفهم منه ان يكون جعل السمع والبصر متأخرا عن الاخراج من البطن
وليس كذلك فالجواب ان حرف الواو لا يقتضي الترتيب وايضا اذا حملنا
السمع على الاستماع والابصار على الرؤية زال السؤال وهذا اذا جعلنا
قوله وجعل معطوفا على اخرجكم فيكون داخلا فيما اخبر به عن المبتدا ويجوز
ان يكون مستانفا كما قال البغوي ثم الكلام عند قوله لا تعلمون شيئا ثم
ابتدا فقال وجعل لكم السمع الاية لان الله تعالى جعل هذه الاشياء لهم
قبل الخروج من بطون الامهات قوله والاسباب المواتية له اي الموافقة
للطير ان يقال آتيته على ذلك الامر مواتاة اذا وافقته وطاوعته والعامة
تقول واتيته قال الامام هذا دليل على كمال قدرته فانه لولا انه تعالى خلق الطير
خلقة يمكنه معها الطيران وخلق الجو خلقة يمكنه معها الطيران فيه لما امكن ذلك
فانه تعالى اعطى الطير جناحا انبسط مرة وتكسره اخرى مثل ما يعمل السابح في الماء
وخلق الهواء خلقة لطيفة رقيقة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه ولو لا ذلك
لما كان الطيران ممكنا قوله وقرأ الحجازيان وممانا فيع وابن كثير وابو بكر
وهما ابو عمرو ويعقوب يوم ظعنكم بفتح العين والباقون بسكونها وهما
لغتان كالشعر والشعر والنهر والنهر واعلم ان البيوت التي يسكن
الانسان فيها على قسمين احدهما البيوت المتخذة من الخشب والطين والحجر
والآلات التي بها يمكن تسقيف البيوت واليها الاشارة بقوله تعالى والله
جعل لكم من بيوتكم سكنا اي مكانا تسكنون فيه والجعل بمعنى الخلق فيتعدى الى واحد
وهو سكنا ومن بيوتكم متعلق بمحذوف على انه حال من سكنا قدم عليه لكونه نكرة
ويجوز ان يكون بمعنى التصيير فيكون سكنا مفعوله الاول واحد الظرفين قبله
مفعوله الثاني والقسم الثاني من البيوت القباب والخيام والفساطيط واليه
الاشارة بقوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها وهذا القسم

من البيوت

من البيوت يمكن نقلها وتحويلها من مكان الى مكان والظعن في الاصل سير البادية
لنجعة او حضور ماء او طلب مرتع وقد يطلق الظاعن على كل خارج للسفر والتكنن
المسكن وانشد الفراء جاء الشتاء وقد اخذ سكننا يا ويح نفسي من حفر القبر
والبيت ما يأوي الانسان اليه ليلا ليبيت فيه وجعل السكن بعضا من البيوت
يدل على ان السكون المعتبر في السكن هو عين الاقامة التي هي ضد السفر ويؤيده ان
المصيف فسر السكن بقوله موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم فكان هذا قرينة
على ان المراد بالسكن البيوت المتخذة من الحجر والمدر والخشب قال المفسرون الاثاث
انواع متاع البيت من الفرش والاكسية من قولهم شعر اثيث اي كثير واث
النبت يث اثا اذا كثر والنث والاثاث واحد كما ان الشعر والشعر واحد
المتاع على الاثاث لما اقتضى المغايرة بينهما اشار المصنف الى الفرق بينهما بان
حمل المتاع على ما يتجر به والاثاث على ما لا يقصد به التجارة بل يقصد به الخدمة من
الاكتساء والتفرش والاستئناس وقوله اثاثا الظاهر انه منصوب عطفا على بيوتا
اي وجعل لكم من اصوافها اثاثا فيكون قد عطف المجرور على المجرور والمنصوب على المنصوب
قوله والسربال يعم كل ما يلبس سواء كان لبسه للتوقي عن الحر والبرد او عن الشدة
في الحرب ولا يخص بالاول بدليل انه تعالى جعل ما يقي عن شدة الطعن والضرب والرمي
من قبيل السرابيل قوله وقرئ تقلون بفتح التاء واللام مضارع سلم وهو مناسب
لقوله تتمكم بأسكم فان المراد الدروع الملبوسة في الحروب الا ان المصنف لم يرض
بكونه مربوطا به واختار كونه مربوطا بقوله كذلك يتم نعمته عليكم كما انه مرتبط به على
قراءة العامة قوله وهو من اقامة السبب مقام المسبب يعني ان ما هو جواب الشرط
حقيقة محذوف وهو فانت معذور ولما كان تبليغه عذرا سببا لكونه معذورا اقيم
هذا السبب مقام المسبب وجعل جواب الشرط وقوله تعالى يعرفون نعمة الله استيناف
لبيان حالهم في توليهم عن الايمان وذمهم بانهم يعرفون جميع ما انعم الله تعالى
عليهم من النعم المذكورة في هذه السورة وغيرها ويعترفون بان جميعها من الله
ثم ينكرونها بان يقولوا رزقنا الله اياها بشفاعة آلهتنا فيكرونها والتولي
عن الايمان بهذا الطريق العالم يستلزم مجاهرة الكفر عنادا فجواز ان لا يعلم المتولي

المذكور

بطلان اعتقادهم انما نعم الله تعالى عليه انما هو بشفاعة الآلهة قال واكثرهم الكافرون
ترقيا في ذمهم بمعنى انهم مع كونهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها يكفرون جهارا
عنادا فلا يبعد ان يقال ضمير اكثرهم يرجع الى الذين تولوا عن الايمان حال كونهم
يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وهم كلهم كافرون فما معنى قوله واكثرهم الكافرون
لانه لما حمل الكافر على الجاحد المعاند خرج من تولى جاهلا بصدق الرسول صلى
الله عليه وسلم عنه لكونه غير معاند ولانه كثيرا ما يراد الجمع بلفظ الاكثر كما في
قوله تعالى الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ثم انه تعالى لما ذكر الذين تولوا عن الايمان
ووصفهم بما وصفهم اتبعه بالوعيد فذكر حال يوم القيمة فقال ويوم يبعث
اي اذكر يوم نبعث قوله يثنون اي يبتلون للجوهري مثنوثة ومنيته اذا
ابتليته قوله ولا هم يستعتبون هو من الاعتاب لا من الرضا اي لا يطلبون
الارضاء على ان الاستعتاب بطلب العتبى وهو اسم بمعنى الاعتاب الذي هو
ازالة العتب فقوله تعالى ولا هم يستعتبون معناه لا يطلب منهم الاعتاب
اي ازالة عتاب ربهم وغضبه بان يتوبوا وينزجروا عما هم عليه من الكفر
والمعاصي لان الآخرة ليست بدار تكليف وعمل وانما يطلب ذلك منهم في الدنيا
وفي الصحاح يقال اعتبني فلان اي عاد الي مسترضيا راجعا عن الاساءة فظهر
بما ذكرنا ان تفسير الاستعتاب بالاسترضاء وتفسير الاعتاب بالارضاء تفسير
بالملازم قوله وكذا قوله واذا راى الذين ظلموا يعني انه ايضا منصوب بمحذوف اي
اذا راوه وقعوا فيما وقعوا او بحيق بهم ما يحيق والفاء في قوله تعالى فلا يخفف
ليست فاء جواب اذا بل هي عاطفة ما بعدها على الجزاء المقدر ولم يجعل قوله فلا يخفف
جواب اذا لان جواب كم منع كان مضارعا لا يكون مصدرا بالفاء سواء كان موجبا
كما في قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف او منفيا نحو اذا جاءك زيد لا يكرمك
وانما يصدر بالفاء اذا كان جملة اسمية نحو اذا جاءني زيد فانا اكرمه وتقدير المبتدا
في الآية بان يجعل تقديرها فهو لا يخفف خلاف الظاهر وقوله تعالى الذين ظلموا مظهر
وقع موقع المضمر للاشعار بان العذاب لا يخفف عنهم بسبب ظلمهم قال الامام تحقيق
هذه الآية ما يقوله المتكلمون من ان العذاب يجب ان يكون خالصا عن شوائب النفع

وهو المراد

وهو المراد من قوله تعالى لا يخفف عنهم العذاب وجب ان يكون دائما وهو المراد من قوله
ولا هم ينظرون قوله اين شركائي الذين دعوتم شركائي يريد المشركون الاصنام لان الله تعالى
يبعثها لفائدتين الاولى ان يشاهدها المشركون في غاية الذل والهوان والثانية
ان تكذب تلك الاصنام المشركين في قولهم انها شركاء الله تعالى في استحقاق العبادة
اقل واحد منها مما يوجب الغم والحسرة في قلوبهم ومن قال ان المراد بالشركاء الشياطين
الذين دعوا الكفار الى الكفر انما ذهب الى هذا القول لانه تعالى حكى عن اولئك الشركاء
انهم القوا الى الذين اشركوا انكم لكاذبون والاصنام جمادات فلا يصح منها هذا
القول فوجب ان يكون المراد من الشركاء الشياطين حتى يصح منها هذا القول ودليله
هذا ضعيف لانه تعالى قادر على ان يخلق الحيوة والعقل جواب عما يقال ما الفائدة
في قول المشركين ربنا هؤلاء شركاؤنا مع ان فائدة الخبر ولازمها كلاهما معلومان لله
تعالى وتقرير الجواب الاول ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور تلك الاصنام
مع انه لا ذنب لها واعترافا بانهم كانوا مخطئين في عبادتها وتقرير الثاني ان المشركين
انما قالوا ذلك احالة لهذا الذنب على تلك الاصنام وظنوا ان ذلك ينجيهم من عذاب
الله او ينقص من عذابهم بان يجعل شطر منه على الاصنام فعند هذا تكذبهم تلك الاصنام
وهو قوله تعالى فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون في قولكم في حقنا انهم شركاء الله في
المعبودية او في استحقاق العبادة او في انهم حملوا المشركين على الكفر وقوله
تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال ابن عباس رضي الله عنهما
يعني الذين كفروا واتبعه بوعيد
من ضم الى كفره صد الغير عن سبيل الله فان رؤساء الكفرة وقادهم ضلوا بانفسهم
وضلوا اتباعهم فلهم العذاب الدايم بكفرهم بانفسهم وزيادة العذاب باضلالهم
غيرهم ثم انه تعالى ذكر نوعا آخر من التهديدات المانعة للمكلفين عن المعاصي فقال
ويوم نبعث اي اذكر يا محمد يوم نبعث في كل جماعة نبيا يشهد عليهم من كذب وعصى
قوله تعالى وجئنا بك شهيدا تخصيص بعد التعميم كقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح قوله بيانا بليغا اشارة الى ان التبيان اسم في معنى البيان
كالتلقاء في معنى اللقاء كما نقل عن الزجاج الا انه روى ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن
عن البصريين انهم قالوا لم يأت من المصادر على تفعال الا حرفان تبيان وتلقاء فعلى هذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يجب ان يكون المصادر التي يكون على تفعال كلها منتوح التاء كالتبيار والتذكار
والتكرار والتهذار والتلعاب وان يكون ما هو مكسور التاء غير التبيان والتلقاء
اسماء نحو التماح والتمثال وقوله بليغا اشارة الى ان صيغة تفعال سواء كانت
منتوح التاء او مكسورها اذا كانت مصدرا او اسما بمعنى المصدر تكون من ابنية
المبالغة وتكريره الفعل كالتكرار والتذكار والتلعاب بمعنى كثرة الكر والذكر واللعب
قال المفسرون القرآن تبيان لكل شئ يحتاج اليه من الامر والنهي والحلال والحرام
والحدود والاحكام وقال قتادة القياس دلت هذه الآية على ان القرآن تبيان لكل
شئ اي لكل شئ من العلوم الدينية لان غير ذلك لا التفات اليه وعلوم الدين اما
اصول واما فروع فاما علم الاصول فهو بتمامه موجود في القرآن واما علم الفروع فالاصل
برآءة الذمة الا ما ورد على سبيل التفصيل في هذا الكتاب وذلك يدل على انه لا تكليف
من الله تعالى الا ما ورد في هذا القرآن واذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلا وكان
القرآن وافيا ببيان كل الاحكام وامّا الفقهاء فانهم قالوا القرآن انما كان تبيانا
لكل شئ لانه دل على ان الاجماع حجة وكذا كل واحد من القياس وخبر الواحد فضلا
عن السنة المتواترة واذا ثبت حكم من الاحكام باحد هذه الاصول كان ذلك الحكم
ثابتا بالقرآن روي عن علي رضي الله عنه انه قال كل شئ علم في القرآن الا ان ادراك
الرجال يعجز عنه فبعضه مبين فيه بان نص عليه صريحا وبعضه مبين على وجه الاجمال
باحالته على ما يوجب العلم من بيان النبي صلى الله عليه وسلم او اجماع المسلمين او القياس
على ما نص عليه للاشتراك في علة الحكم ثم انه تعالى لما استقصى في شرح الوعد والوعيد
والترغيب والترهيب اتبعه بقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية وهي اجمع
آية لوجوه ارشاد المكلفين وهدايتهم الى ما فيه صلاح حالهم في الدارين امر الله تعالى
في هذه الآية بثلثة اشياء وهي العدل والاحسان وايتاء ذي القربى ونهى عن
ثلثة اشياء وهي الفحشاء والمنكر والبغي اما العدل فهو عبارة عن الامر المتوسط
بين طرفي الافراط والتفريط ورعاية العدل واجبة في جميع الاشياء لا سيما فيما يتعلق
بالاعتقاد وفيما يتعلق بافعال الجوارح وفيما يتعلق بالاخلاق النفسانية واجل
وجوه العدل اعتقاد الاعتقاد بوحدة الاله فان نفي الاله تعطيل محض واثبات الاله واحد

والاعتقاد

٣٨٣

واعتقاد انه لا اله الا الله وايضا الاعتقاد بان العبد ليس له قدرة ولا اختيار بحيث
والاعتقاد بانه مستقل بافعاله قدر محض وهما مذمومان والعدل ان يقال ان العبد
يفعل الفعل بواسطة انه تعالى يخلق فيه قدرة كاسبة تدعوه الى الفعل والقدرة المؤثرة
ليست الا لله تعالى والعدل فيما يتعلق بافعال الجوارح كالتعبد باداء الواجبات المتوسط
بين البطالة والترهب فان قوما من اهل البطالة وقاة التكاليف يقولون لا يجب
على العبد الاشتغال بشئ من الطاعات ولا يجب عليه الاحتراز عن شئ من المعاصي
وليس لله عليه تكليف اصلا وقال قوم من الهند ومن المانوية انه يجب على الانسان
ان يجتنب عن كل الطيبات وان يبالغ في تعذيب نفسه وان يحترز عن كل ما يميل
الطبع اليه حتى ان المانوية يخصون انفسهم ويحترزون عن التزوج وعن اكل الطعام
الطيب والهندي يجزون انفسهم ويمرون انفسهم من شاهق الجبل فهذان الطريقان
مذمومان والعدل الوسط هو هذا الشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان
الزيادة على العدل في باب الفعل بحسب الكمية قد يكون احسانا الى النفس اذا كانت
على الوجه الذي استحسنه الشرع وندب اليه كالتطوع بالنوافل بعد اداء الواجبات
وقد يكون اساءة اذا كانت على خلاف الوجه المشروع وكذا الزيادة بحسب الكيفية
وبالجملة فالمبالغة في ادآء الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية هو الاحسان
والاحسان بهذا المعنى يدخل فيه التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ومن الظاهر
ان الشفقة على خلق الله اقسام كثيرة اشرفها واجلها صلة الرحم فقوله وايتاء ذي القربى
من قبيل التخصيص بعد التعميم ايذانا لشرف الخاص ومبالغة في الحث عليه قوله عن الافراط
في متابعة القوة الشهوانية اعلم انه تعالى اودع في النفس البشرية قوى اربعة وهي
الشهوانية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية
والثلث الاول هي المداخل التي يأتي الشيطان من قبلها لخلاف القوة الرابعة اعني القوة
العقلية الملكية فان الشيطان لا يقوى الانسان من قبلها اذ لا مناسبة بينها وبين
الشرور الشيطانية فلا وجه لان يتوسل الشيطان بها الى اغواء بني آدم بخلاف القوى
الثلث الاول فانها مبدء الشرور والقبايح وداعية اليها فان آلفحشاء اثر القوة الشهوانية
والمنكر اثر الغضب والبغي اثر القوة الوهمية فان القوة الشهوانية انما ترغب في تحصيل

مطلب
تفصيل قوى البشر

قال فما الذي بلغني عنك يا علي قلت معذرة الى الله تعالى واليك وتركت ما كنت عليه وكان
الى اذا خطب وقال من علي فالجلج في كلامه فقلت يا ابتي انك تمخض في خطبتك فاذا انتهيت
الى ذكر علي وقفت منك تقصيرا قال اوحطت ذكره قلت نعم قال يا بني ان الذين حولنا
لو يعلمون من علي ما نعلم لتفرقوا عنا الى اولاده فلعلي ولي الخلافة لم يكن عنه من الرغبة
في الدنيا ما يرتكب بسببها هذا الامر العظيم فترك ذلك وكتب بتركه وقرأ عوضه ان الله
يامر بالعدل والاحسان الآية فجعل هذا الفعل عند الناس محلا عظيما واكثروا مدحه بذلك
قوله تعالى بعظكم الظاهر انه مستانف في قوة التعليل للامر بما تقدم من ان الوعظ سبب
لما تقدم من الامر والنهي المذكورين ويبعد جعله حالا من فاعل ينهى اذ لا وجه لتخصيص
الحال بهذا الفاعل دون فاعل يامر فان الوعظ يكون بكل واحد من الاوامر والنواهي ولا
خصوصية له بالنهي ثم انه تعالى لما جمع جميع المامورات والمنهيات في هذه الآية على سبيل
الاجمال ذكر بعد ذلك بعض تلك الاقسام على سبيل التفصيل فبدا بالوفاء بعهد الله فقال
واوفوا بعهد الله وهو معطوف من حيث المعنى على قوله ان الله يامر بالعدل الآية عطف
الخاص على العام اهتماما بوفاء العهد والثبات عليه واستشهد المصنف بقوله تعالى
ان الذين يبايعونك على ان عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد الله واحد ولم يرد
ان هذه الآية واردة في تلك البيعة اعني بيعة الرضوان لان هذه السورة مكية
نزلت حين كان المسلمون مستضعفين فيما بين قريش وانما هذه البيعة هي البيعة
الاولى وكل من دخل في الاسلام فقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البيعة
قوله وقيل كل امر يجب الوفاء به اي العمل بمقتضاه فعهد الله يتناول الادلة العقلية
والسمعية عند هذا القائل وان لم تكونا من العهود التي يلتزم الانسان باختياره
نفسه لانها اوكد في لزوم الوفاء بما يدلان على وجوبه بالنسبة الى البين وسايره العهود
ولذلك لا يصح في هذين الدليلين التغير والاختلاف ويصح ذلك في غيرهما وربما يدب
فيه ترك الوفاء فان اليمين انما يجب الوفاء به اذا لم يكن الصلاح في خلافه لقوله ع من حلف
على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه ولم يرض المصنف
بهذا القول وقال لا يلائمه قوله اذا عاهدتم لانه يدل على ان المراد بعهد الله ما يلتزمه
الانسان باختياره ومعنى الوفاء به الثبات عليه كانه قيل اثبتوا على ما عاهدتم الله عليه

اللذات الشهوانية والتي خرجت منها عن الحد المأذون فيه شرعا فهي المسماة بالنخاء
واما القوة الغضبية السبعية فهي ابدا تسعى في ايصال الشر والبلاء والايذاء الى
سائر الناس ولا شك ان الناس ينكرون تلك الحالة فالمنكر عبارة عن الافراط
الحاصل في آثار القوة الغضبية فقول المصنف والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة
القوة الغضبية معناه ان المنكر من آثار القوة الغضبية هو الحد الخارج عما يقبله
الناس في اثارة القوة الغضبية وتهييجها واما القوة الوهمية الشيطانية فهي
ابدا تسعى في الاستعلاء على الناس والترفع واظهار الرياسة والتقدم وذلك
هو المراد من البغي فانه لا معنى للبغي الا التطاول على الناس والترفع عليهم فظهر
بما ذكرنا ان هذه الالفاظ الثلثة منطبقة على احوال هذه القوى الثلثة قوله وصارت
سبب اسلام عثمان بن مظعون روى عن ابن عباس ان عثمان بن مظعون قال ما
اسلمت اولا الا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتقرر الاسلام في
قلبي فخفقته دم ذات يوم فبينا هو يحدثني اذ رأيت بصره شخص الى السماء ثم خفضه
عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسألته فقال بينا انا احدثك اذ جبرئيل عليه السلام نزل
عن يميني فقال يا محمد ان الله يامر بالعدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان القيام
بالفرايض وايتاء ذي القربى اي صلة الرحم وينهى عن الفحشاء الزنا والمنكر ما لا تعرفه
في شريعة ولا سنة والبغي الاستطالة قال عثمان فوقع الايمان في قلبي وانبت
ابا طالب فاخبرته فقال يا معشر قريش اتبعوا ابن اخي فلئن كان صادقا او كاذبا
فانه لا يامركم الا بمكارم الاخلاق فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمه اللين
قال يا عماه انما امرت ان يتبعني وتدع نفسك وجهد عليه فابى ان يسلم فنزل
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء روي ان بني امية ايستذلوا امير
المؤمنين علي بن ابي طالب في الخطابة في الخطبة رضي الله عنه الى ان ولي عمر بن عبد العزيز
الخلافة فترك ذلك وكتب الى العمال في الآفاق بتركه وكان سبب محبته عليا انه قال
كنت بالمدينة اتعلم العلم وكنت الزم عبد الله بن عبد الله بن عتبة فبلغه عني شيء من ذلك
فاتيته يوما وهو يصلي فاطال الصلوة فقعدت انتظر فراغه فلما فرغ التفت الي وقال مني
علمت ان الله تعالى غضب على اهل بدر وبيعة الرضوان بعد ان رضي عنهم فقلت لم اسمع بذلك

وبايعتم به رسوله صلى الله عليه وسلم وقد تؤكد تلك البيعة بالايمان التي يحلفون بها عليها
الثبات عليها والتوكيد مصدر وكد يوكد بالواو وفيه لغة اخرى اكثر كوروا بالهمزة ونظيره
قولهم وَرَّخْتُ الكتاب واَرَّخْتُ قال الراغب وكدت القول والعهد واكدته بمعنى
احكمته وكل واحد منهما لغة اصلية وليست الهمزة بدلا من الواو ولا انها مساوية لها
في الاستعمال فليس ادعاء كون احدهما اصلا والاخرى منقولة منها اولى من حكم وذهب
المصنف الى ان الكلمة واوية وان الهمزة مبدلة من الواو على ما هو مذهب الزجاج
والواو تؤكدها مصدر مضاف الى مفعوله وقوله وقد جعلتم حالا امن فاعل تنقضوا
واما من فاعل المصدر وان كان محذوفا وقوله ثم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها
عام وخلة التخصيص لما تقدم من قوله ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم الآية
الذي هو خبر وليكفر عن يمينه قوله شاهدا بتلك البيعة وبما يترتب عليها من الثبات
عليها والعمل بمقتضاها ومن نقضها والعمل بما ينافيها فان من حلف بالله تعالى على امر
فقد منع نفسه عن اتيان ما يخالفه احترازا عن هتك حرمة اسم الله تعالى وما يترتب
عليه من اليم عذابه فصار بذلك كانه جعل الله تعالى شاهدا عليه يراقب انه هل
يحنث في يمينه ام يحفظه ويبر فيه والشاهد بهذا المعنى ما شابه الكفيل من حيث
ان الكفيل مراع لحال المكفول به رتيب عليه عُبِّر عن الشاهد بالكفيل فقوله كفيلا
من قبيل التشبيه البليغ ثم انه تعالى مثل نقض العهد بنقض الغزل بعد ابرامه
واحكامه تاكيدا لوجوب الوفاء وتحريم النقض فقال ولا تكونوا كالتي نقضت
غزلها من بعد قوة انكاثا والنكث بالكسر مصدر قولك نكثت الحبل اذا نقضت
فتله والانكاث هنا جمع نكث بمعنى منكوث اي منقوض قوله والمراد تشبيه الناقض
بمن هذا شانه كائنا من كان لا تشبيهه بشخص معين يفعل ذلك وهو امراة اسمها
ريطة وذلك لان المقصود من الامثال صرف المكلف عن الفعل اذا كان قبيحا والدعاء
اليه اذا كان حسنا وذلك يتم بدون التعيين وان تحقق في الخارج من اتصف به قوله
تعالى دخلا مفعول ثان للتتخذون ويحتمل ان يكون مفعولا من اجله ودَخَل الفساد
والدغل وهو الغش والخيانة وقيل هو ان تظهر الوفاء وتبطن الغدر والنقض
وقيل الدَّخَل الداخل في الشيء وليس منه وقيل ما ادخل في الشيء على فساد وقال الجوهري

دَخَلاً

وقال الجوهري دخلا بينكم ابي مكرا وخديعة وهم دخلة دَخَلٌ في بني فلان اذا انتسبوا
وليسوا منهم هذا من كلمات القوم في بيان مفهوم لفظ الدخل والمصنف اختار منها كونه
بمعنى الفساد وجعل اتخاذ اليمين فسادا عبارة عن جعلها موضعا للنقض والافساد
فيكون جعل ما عقد للافساد عين الفساد للمبالغة في النهي والتقبيح وقوله تع ان تكون
ابي بسبب ان تكون متعلق بقوله تتخذون وقوله تكون يجوز ان يكون تامة وامة فاعلها
وان تكون ناقصة وامة اسمها وقوله هي على التقدير بن مبتدا وان خبره والجملة في محل
النصب على الحال على الوجه الاول وعلى انها خبر كان على الثاني وجعل الامام قوله تع تتخذون
ايمانكم استئنافا على سبيل الانكار والمعنى اتتخذون ايمانكم دخلا بينكم بسبب
ان تكون امة ازيد في القوة والكثرة من امة اخرى ولم يلتفت المصنف اليه لان ارتكاب
تقدير الهمزة مع صحة المعنى وانتظامه من غير ارتكاب التقدير قول بلا دليل قوله تصريح
بالنهي عنه بعد التضمين فان قوله تع ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا
متخذين ايمانكم مفسدة وموضع الدخل والمكر والخديعة يتضمن النهي عن اتخاذ الايمان
دخلا من حيث ان مضمونه النهي عن مشابهة تلك المراة حالة اتخاذ الايمان دخلا
وقد تقرر ان النهي عن المقيد يرجع الى قيده فيكون المنهي عنه حقيقة هو القيد فيكون
قوله ولا تتخذوا معطوفا على قوله ولا تكونوا مع قيده وقوله انما يبلوكم الله به
وليبينن تعليلا لقوله ولا تكونوا وقوله ولو شاء الله معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه
تاكيدا لمعنى الابتلاء وانه تع بحكم الالهية يخبر قليل العدد والعدد بالقوي ذي الشوكة
والمال كما انه بحكم الالهية يضل من يشاء ويهدي من يشاء وذكر في آخر الجملة المعترضة
قوله ولتسئلن معطوفا على قوله يضل من يشاء ليقابل قوله وليبينن معطوفا
على قوله يضل من يشاء ليقابل قوله وليبينن معطوفا على قوله يبلوكم وقوله تع
فتزل قدم منصوب باضمار ان في جواب النهي قوله بصدودكم على ان ما مصدرية وان
صدودكم لازم من الصدود وهو الاعراض وقوله او صدكم غيركم على انه متعد من الصد
وهو المنع ومفعوله محذوف ثم انه تع اكد هذا النهي والتحذير فقال ولا تشتروا
بعهد الله ثمنا قليلا اي لا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عرضا قليلا من الدنيا ولكن
اوفوا بها فان ما عند الله من الثواب على الوفاء هو خير لكم ثم ذكر دليلا قاطعا على ان ما

عند الله خ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حاقفال ماعندكم ينفد ايي يذهب ويفنى قوله بما ترجح فعلم اشارة للجواب ما يقال من ان
كلمة ما مصدرية واحسن بناء التفضيل فيكون المعنى لنجزينهم اجرهم بمقابلة احسن اعمالهم
ويفهم منه ان لا يجازى المرء بمقابلة اعماله الحسنة وهو خلاف ما يدل عليه قوله تعالى ومن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره وتقرير الجواب ان صيغة احسن هنا ليست للتفضيل بل هي صفة
بمعنى الحسن الذي ترجح على تركه من الواجبات والمندوبات فان المؤمن يثاب بكل واحدة
منها بخلاف المباحات التي لا يترجح احد طرفيها على الآخر فان المؤمن لا يثاب بها ولا نسلم
سلمنا انها للتفضيل لكن لا نسلم ان الموصوف بالحسن هو العمل بل الموصوف به هو
الجزاء المقدر واضافة احسن بمعنى من ثم انه تعالى لما بالغ في النهي عن نقض العهود
والايمان وبيان ما يترتب عليه من عذاب الدنيا والاخرة عقبه بالترغيب في الصبر
على شاق الثبات على بيعة الاسلام والوفاء بعهد الله الذي هو البيعة لرسول الله
مع فقرهم وقلة عددهم وكون الكفرة اذ ذاك منهم عدوا وشوكة ومالا او على شاق
التكاليف الشرعية مطلقا الذي من جملتها الوفاء بالعهد ببيان انه تعالى يجازيه على اعماله
الحسنة واجبة كانت او مندوبة او ببيان انه تعالى يجازيه بجزاء هو احسن من اعماله
ثم ان كان المراد بالصبر الصبر على شاق الاحتراز عن نقض ايمان البيعة يكون قوله تعالى
من عمل صالحا الآية ترغيبا في اتيان كل ما كان من شرائع الاسلام بان وعد على
اتيانه سعادة الدنيا والآخرة وان كان المراد به الصبر على شاق التكاليف
بمعنى توطين النفس على رعاية حق الربوبية وتحقيق مقتضى العبودية وقهر النفس
الامارة بالسوء بمخالفة مقتضياتها وحظوظها الطبيعية يكون قوله من عمل صالحا
الآية ترغيبا في الاعمال الظاهرة البدنية بعد الترغيب في الاخلاق النفسانية والفضائل
القلبية وتصريحا بان كون الاعمال الصالحة مؤدية الى الحيوة الطيبة وثواب الآخرة
مشروط بالايمان فان قيل كيف يكون مشروطا به مع ان قوله تعالى فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره يدل على ان العمل الصالح يفيد الاجر مطلقا قلنا لا نسلم ذلك فان رؤية
لا تستلزم كون العامل مثابا بعلة لجواز ان يكون فائتة علة تخفيف العقاب فانه
لا يتوقف على الايمان واليه اشار المصنف بقوله وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب
قوله بينه بالنوعين جواب لما يقال من ان كلمة من تفيد العموم فما الفائدة في ذكر الذكر

والانثى

والانثى وتقرير الجواب ان لفظ من وان صح اطلاقه على النوعين الا انه لو لم يبين بهما لتوهم
اختصاص الحكم بالذكر بناء على ان الاناث لا يدخلن في اكثر الاحكام كالولاية والقضاء
والجهاد واقامة الجمعة واكثر فروض الكفاية قوله وقيل في الاخرة لعل وجه ضعفه
انه تعالى عقبه بقوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ولا شبهة في
ان المراد به ما يكون في الاخرة فينبغي ان يحمل الحيوة الطيبة على ما يكون في الدنيا
وايضا لو حمل الحيوة الطيبة على ما يكون في الاخرة لزم ان لا يعذب المؤمن الذي عمل عملا
واحدا من الاعمال الصالحة بعذاب الاخرة اصلا لان من عذب بقدر ذنوبه كيف
يصح ان يقال في حقه انه تعالى احياه حيوة طيبة في الآخرة فان قوله من عمل صالحا يصدق
على من اتى بعمل واحد مما يمكن اجراء حكم الاسلام عليه وذلك لا يستلزم ان لا يعذب
اصلا بل امره منوط بمشية الله تعالى ان شاء عذبه بقدر ذنوبه وان شاء عفى عنه
وان كان مصيره على التقديرين الجنة تخلاف ما لو حمل على ما يكون في الدنيا فان من
عمل عملا واحدا مما يصح ان يجري عليه حكم الاسلام بسببه يكون حيوته في الدنيا طيبة
بسلم في نفسه وماله ويستقيم في اموره وهذا ادنى مراتب طيب حيوته في الدنيا
ثم انه يجري في الآخرة بعلة ذلك قيل للطيبة الطيبة في الدنيا عبادة الله تعالى
مع اكل الحلال وقيل القناعة فانه يطيب في الدنيا العيش القانع واما الحريص
فانه يكون ابدا في الكد والعناء ولا شك ان عيش المؤمن في الدنيا اطيب من عيش
الكافر لان المؤمن يعرف ان رزقه انما حصل بتدبير الله تعالى ويعرف انه ممن كرهم
لا يفعل الا الصواب فيكون راضيا بكل ما قضاه وقدره لعلمه بان مصلحته في ذلك
والكافر لا يعرف شيئا من الاصول فكان ابدا في الحزن والعناء وايضا المؤمن يعلم ان
خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة التقلب فلو تغيرت وانتقلت لم تضر من غيره اليه
فلا جرم لا يعظم فرحه بوجدانها ولا غمه بفقدانها ويصرف جل همته الى تحصيل اللذات
الباقية والسعادات الاخروية واما الجاهل فلا يعرف سعادة اخرى تغاير هذه
اللذات العاجلة فلا جرم يعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها ثم انه تعالى لما ذكر
انه يجازي على الاعمال الصالحة ارشد الى طريق تخلص الاعمال عن وساوس الشيطان
وهو الاستعاذة بالله من الشيطان والغاية الوساوس في القلب وتحقق قراءة

القرآن بالذكر

من بين الاعمال الصالحة لانها داعية الى كل عمل صالح من الاعمال القلبية والقالبية فكانت بذلك راس الاعمال الصالحة ولما كانت القراءة في قوله فاستعذ بالله للتعقيب دل ظاهر الآية على ان يكون الاستعاذة بعد قراءة القرآن كما ذهب اليه جماعة من الصحابة والتابعين وقالوا انه لو لم يات بالاستعاذة بعد القراءة لربما يوسوس اليه الشيطان انك قد اتيت من العمل الصالح ما يمحو الله تعالى به ذنوبك كذا وكذا سنة فيعتمد على عمله فيضيع ثواب قراءته واما اذا استعاذ بعد القراءة فح تندفع الوساوس ويبقى الثواب الموعود مصونا عن الخلل الا ان الاكثرين من علماء الصحابة والتابعين قد اتفقوا على ان الاستعاذة متقدمة على القراءة وقالوا معنى الآية اذا اردت ان تقرا القرآن فاستعذ بالله وليس معناه استعذ بعد القراءة ونظيره قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم اذا اكلتم فقل بسم الله واذا سافرت فتاهبت وقد روى ائمة القراءة مسندا عن نافع عن جبير بن مطعم انه عم كان يقول قبل القراءة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وعن معقل بن يسار انه عم قال من قال حين يصبح ثلث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقرا ثلث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي وفي شرح الشاطبية اجمع القراء وجمهور الفقهاء على ان الاستعاذة حال الشروع في القراءة ودل الحديث على ان التقديم هو السنة فنقل سيبويه القراءة الها والفاء فاستعذ لما دلت على السببية قدرت الارادة لتصح معنى السببية قوله اقرا باسم ربك الذي خلق عن اللوح المحفوظ هكذا رواه القراء في كتب القراءة وينبغي ان لا يكون المراد بالقلم القلم الاعلى لانه مقدم في الرتبة على اللوح بالنص وانما يراد به القلم الذي يستنسخ به من اللوح ونزل به جبرئيل عليه السلام دفعة الى السماء الدنيا قوله كلا ليتوهم ان له سلطانا فان القارئ لما امر بان يقول الله تعالى ان يعيذه من وسوسته توهم منه ان له تسلطا وولاية على اغواء بني آدم كلهم فبين الله تعالى انه لا تسلط له على المؤمنين بالله والمتوكلين عليه بعصمة الله تعالى اياهم عن اطاعته وقبول وسوسته فقوله تعالى انه ليس له سلطان الآية في معرض التعليل للامر بالاستعاذة واشارة الى ان الاستعاذة المامور بها ليست عبارة عن مجرد القول

الفارغ

٣٨٧

الفارغ عن الالتجاء الا عصمة الله تعالى وتفويض الامر اليه معتقدا بانه لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمته ولا قوة على طاعته الا بتوفيقه وهذا الالتجاء والاعتقاد انما يكون بالايمان به اولا والتوكل عليه ثانيا فمن جمع بين الامرين لا يكون للشيطان اليه سبيل البتة قوله يتولونه ويطيعونه يقال توليته اذا واليته واطعته ومنه قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله ويقال ايضا توليت عنه بمعنى اعرضت عنه يتعدى بنفسه اذا كان بمعنى الاطاعة والموالاة وبكلمة عن اذا كان بمعنى الاعراض قوله بالله او بسبب الشيطان يعني ان ضميره يحتمل ان يرجع الى ربهم ويكون الباء صلة مشركون قدم عليه لابهام الاختصاص او لرعاية الفواصل ويحتمل ان يرجع الى الشيطان ويكون صلة مشركون محذوفا اي هم مشركون بالله من اجل الشيطان وبسبب حمله اياهم على الشرك والعصيان قوله لفظا او حكما يعني ان تبديل الآية مكان الآية قد يكون بان ينسخ تلاوة آية وينزل آية اخرى تتلى بدلها وقد يكون بان ينسخ حكم آية من غير ان ينسخ تلاوة لفظها ويشرع مكانه حكم اخر والتبديل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه والمراد به ههنا النسخ واعلم انه تعالى شرح من ههنا فصاعدا حكاية شبهات منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم روي عن ابن عباس رضه انه قال كان المشركون اذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية اخرى هي ألين منها يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يامرهم اليوم وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه فانزل الله تعالى هذه الآية والظاهر ان قوله تعالى والله اعلم بما ينزل اعتراض من الشرط وجوابه جيء به توبيخا للكفار على قولهم انما انت مفتر اي اذا كان هو اعلم بما ينزله من المصالح فالهم ينسبونه الى الافتراء بناء على تبديله اية مكان آية ونسخ بعضها ببعض مع ان ذلك مقتضى الحكمة البالغة والمصلحة اللايقة بكل وقت وزمان ويحتمل ان يكون جملة حالية من فاعل يبدل اي يبدلنا عالمين بجانب التبديل من الحكمة والمصلحة عدل عن التكلم الى الغيبة للاشارة الى علة العلم والمشركون نسبوه عم الى الافتراء بانواع من المبالغات وهي تصدير الجملة باداة الحصر على طريق قصر الموصوف على الصفة والخطاب والجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار وحذف مفعول لا يعلمون للعلم به اي لا يعلمون حكمة الاحكام وما فيه تبديلها من المصالح والحكم قوله كقولهم خاتم للجود

بمعنى حاتم جواد او صاحب جود وكذا روح القدس بمعنى روح مقدس او صاحب قدس اضيف الموصوف الى صفته للاشعار باختصاصه بها وان ليس له شان سوى الاتصاف بها قوله وقد ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله متدرجا على حسب المصالح مما يقتضى التبديل يعنى ان بناء فعل ههنا للتعدى المتكرر فى مهلة ابو لوجعه اصله شيلا فشيلا كدرجته الى كذا اذا بلغته اليه درجة درجة فتنزيل القرآن تدريج نزوله الى الاوقات بانزاله متدرجا على حسب المصالح وذلك يقتضى ان ينسخ حكم آية ويبدل مكانه حكم آخر وذلك لان المصالح تختلف باختلاف الاوقات فلا جرم يكون انزاله متدرجا على حسب اختلاف المصالح مستلزما للنسخ والتبديل ومقتضيا لما يبنى المشركون قولهم انما انت مفتر على اشتمال القرآن على النسخ والتبديل وكان قوله تعالى نزله روح القدس واردا لبيان فساد سندهم كان ايثار اللفظ الدال على تدريج النزول للتنبيه على حقية النسخ والتبديل بالاشارة لا ما يقتضيها والمعنى ان جبرئيل ينزل بالقرآن من كلام ربكم ملتبسا بالامر الحق الصحيح الثابت ليثبت الذين امنوا بما فيه من الحجج والايات فيزدادوا تصديقا ويقينا وقرئ ليثبت محققا من اثبت قوله وفيه تعريض لهم ان اوانى اثبات التثبيت والهدى والبشارى للمؤمنين تعريض لحصول اضدادها لهم المشركين وذلك لان قوله قل نزله روح القدس الاية جواب عن قولهم انما انت مفتر فانهم اردوا بقولهم انما انت مفتر ان هذا ليس من كلام الله تعالى لان الله تعالى لا يسخر من احد بان يامره اليوم بشئ وينهاه غدا عنه بل هو من تلقاء نفسك واجيبوا بان هذا من الله تعالى وزيد فى التصوير بان قيل نزله روح القدس ثم زيد قوله بالحق دفعا لطعنهم بالطف الوجوه اى تنزيلا ملتبسا بالحق والحكمة ومصلحا للخلق ثم نعى عليهم قبيح افعالهم بان قيل ليثبت الذين آمنوا الى آخره تعريضا بان اضدادهم الحاصلة فيهم وانهم متزلزلون ضالون موبخون منذرون بالخزى والنكال واللعن فى الدنيا والآخرة وان اعداءهم على خلاف ذلك ليزيد فى غيظهم وحنقهم ما احسن هذا البيان ثم انه تعالى حكى شبهة اخرى عن طاعن بنبوته عليه السلام فقال ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنى انهم اتهموه عليه السلام بانه يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يظهرها من نفسه

ويزعم

وينه عم انه انما عرفها بالوحى وهو كاذب فيه ثم انه تعالى اجاب عنه بان قال لسان الذى يلحدون اليه اعجمى الاية واللسان وان كان اسما لجارحة التكلم الا ان العرب يطلقونه على اللغة والالحاد فى اللغة الميل يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ومنه يقال للعادل عن الحق ملحد وقرأ حمزة والكسائى يلحدون بفتح الياء والحاء اى يميلون من الميل وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء والالحاد قد يكون بمعنى الامالة قال صاحب الكشاف يقال لحد القبر والحده وهو ملحد وملحد اذا مال حفره عن الاستواء والاستقامة فحفر فى شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقيل لحد فلان فى قوله والحد فى فعله ودينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها فعلى هذا يكون كل واحد من لحد والحد متعديا وقاصرا الآية الالحاد فى هذه الاية بالقولين قال الفراء يميلون من الميل وقال الزجاج يميلون من الامالة فيقدر له مفعول اى يميلون اليه القرآن او يميلون قولهم عن الاستقامة اليه وكون اللغة العجمية عبارة عن كونها مبهمة لا يتضح المراد منها والاعجم الذى لا يفصح مراده ولا يبين كلامه وان كان عربيا واشار المصنف اليه بقوله لغة الرجل الذى ذكروه لسان اعجمى غير بين قوله ما تلقفه اى اخذه وتناوله بسرعة يقال لقفت الشئ بالكسر اللقفه ولقفا وتلقفته اذا تناولته بسرعة بين المصنف بطلان ما زعم المشركون من انه عليه السلام تعلم القرآن من بشر ثم ادعى انه اوحى اليه بواسطة الملك بوجهين الاول ان القرآن المبين كيف يكون ماخوذا ممن لسانه اعجمى غير بين ومن المعلوم ان المعانى البينة الواضحة لا تؤخذ ممن لا تعرف لغته ولسانه والثانى انا سلمنا انه اخذ تلك المعانى باستماع الكلام الاعجمى الذى لا يفهم هو ولا انتم لكن لا نسلم انه اخذ منه لفظ القرآن ايضا لان لفظه كما هو فى اعلى درجات الفصاحة والبلاغة يمتنع ان يكون كلام البشر ثم اشار الى بطلان ذلك بوجوه احدها الاول ان تعلم ما فى القرآن من العلوم الكثيرة والمعانى الدقيقة لا ينبغى ان يحصل فى بعض اوقات مرور المتعلم على المعلم بل يحتاج الى ملازمته مدة متطاولة ولو كان الامر كذلك لاشتهر فيما بين الخلق انه عليه السلام تعلم من فلان وفلان ولم يتفوه بذلك احد سواهم والثانى ان تعلم تلك العلوم الكثيرة المتعلقة باحوال جميع المكلفين فى النشئتين لا يتصور الا من معلم بلغ فى غاية الفضل والتحقيق الى حيث تكون مشارا اليه بالبنان وتخضع له

اهل الدنيا باجمعهم تكيف يذم سب الدهم لا تعقلها من غلام سبوتي يدعى بعنبر فلان
باستماع كليمات اعجمية لعلها لم يعرفا معناها فقوله لا يهديهم الله الى الحق لعنادهم
ومكابرتهم لانهم كانوا يعاندون بايات الله ويكابرونها ويكذبون مع علمهم
انها ايات الله وانها حق ويحتمل ان يكون في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ويموتون
عليه فمن علم الله منه ذلك لا يهديه فقوله او لئك اشارة الى الذين كفروا لانهم المذكورون
بقوله الذين لا يؤمنون او الى قريش لان سياق الكلام فيهم لانهم الذين قالوا انما
انت مفتر وقالوا انما يعلمه بشر والمشار اليه على الاول واحد كان متنبأ والا قريش
وغيرهم الا انهم يدخلون فيه دخولا اوليا وقد ورد ان تعالى انه تعالى اثبت افترا
الكذب للذين لا يؤمنون حيث قال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون فما فائدة
قوله بعد ذلك واولئك هم الكاذبون اليس هو مستدركا خاليا عن الفائدة ووجه
الكلام على وجه يندفع الاستدراك ووجه اندفاعه على تقدير ان يكون الاشارة
الى قريش ظاهر لانهم لما نسبوا الكذب والافتراء اليه عم بقولهم انما انت مفتر
تكذيب الله تعالى ذلك الامر عليهم وجعل قوله انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون مقدمة
كلية يتفرع عليها المقصود كانه قيل انهم لا يؤمنون بايات الله وكل من لا يؤمن بها
فهم الذين يفترون الكذب فقريش هم المفترون الكاذبون لا انت فلا استدراك
ووجه اندفاعه على تقدير ان يكون الاشارة الى الذين لا يؤمنون بايات الله ان
مضمون الجملة الاولى ان افتراء الكذب لا يصدر الا عن الذين لا يؤمنون بايات الله
ولا يصدر عن امن بها لان خوف العقاب يزدجه عنه ومضمون الثانية حصر الجماعة
الذين يعرفهم المخاطب انهم الكاذبون في الذين كفروا بايات الله على ان يكون تعريف
الكاذبين للعهد الخارجي واشار المصنف اليه بقوله هم الكاذبون على الحقيقة وان كان
التعريف الذي فيه تعريف الجنس والحقيقة بان يكون الكاذبون اشارة الى ما يعرفه
كل احد من حقيقة الكاذبين وخصوصياتهم يكون مضمون الثانية حصر تلك الحقيقة
فيهم مبالغة كما في قولك عمرو الشجاع ابو الكامل في الشجاعة تبرز الكلام في صورة
توهم ان الشجاعة منحصرة فيه لا تتجاوزه الى غيره لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها
عن رتبة الكمال فكذا الحال في قوله تعالى واولئك هم الكاذبون واليه اشار بقوله او الكاملون

في الكذب

في الكذب وعلى التقديرين تفيد الجملة الثانية غير ما تفيده الاولى فلا استدراك وكذا
ان اريد بالثانية اولئك الذين عادتهم الكذب والتمرن عليه بناء على انه عبر عن المسند
في الجملة الاولى بلفظ الفعل الدال على الحدوث وعدم الدوام وفي الثانية عدل الى الجملة
الاسمية الدالة على الاستمرار والوجه الرابع لاندفاع الاستدراك ان ما اثبت للذين
كفروا في الجملة الاولى هو مطلق الكذب وما اثبت لهم في الثانية هو الكذب المخصوص
الواقع في قولهم انما انت مفتر وانما علمه بشر وفي الاية دليل على ان الكذب من اكبر
الكبائر والفحش الفواحش لان كلمة انما للحصر فدلت على ان الكذب والفرية لا يقدم
عليه الا من كان كافرا بايات الله تعالى وهذا تهديد عظيم روى الامام محيي السنة في
تفسيره ان عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك
قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى
انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله فقوله بدل من الذين لا يؤمنون
فان قلت كيف يكون بدلا منه مع ان قوله تعالى انما يفتري الكذب رد لقولهم انما
انت مفتر وهم ما كفروا بعد الايمان اجيب عنه بان قوله تعالى من بعد ايمانه المراد
منه من بعد تمكنه من الايمان كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فانه ليس معناه انهم اشتروا الضلالة بما لهم من الهدى اذ لا هدى لهم بل بتمكنهم من
الهدى والاعراض عن الايمان بعد التمكن منه على سبيل العناد والتمرد ابلغ في ابطال
مقالهم كانه قيل انما يفتري الكذب من كفر بالله عنادا بعد تمكنه من الايمان الصحيح
المستند الى الدليل القاطع والبرهان الساطع والمستثنى منه المكره فلم يدخل تحت من
افترى الكذب قوله او مبتدأ خبره محذوف تقديره فعليه غضب حذف لدلالة ما بعد
من الثانية عليه وكذا ان كانت من شرطية حذف جوابها اعتمادا على دلالة ما بعد من
الثانية عليه تقديره من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره لكن من شرح بالكفر صدرا
فعليهم غضب ابو فتح صدره ووسعه لقبول الكفر وطابت به نفسه واصل الشرح بسط
اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحت الكلام المشكل اي بسطته واظهرت معانيه
ومنه شرح الصدر وصدرا منصوب على التمييز والاصل شرح صدره فاسند الفعل
الى المضاف اليه وانتصب صدرا على التمييز وقال الامام انتصب صدرا على انه مفعول للشرح

والتقدير ولكن من شرح بالكفر صدره وحذف الضمير لانه يشكل بصدر غيره او البشر
لا يقدر على شرح صدر غيره فهو نكرة يراد به المعرفة قوله استثناء متصل لان من اكره
على كلمة الكفر داخل في جنس من كفر لان الكفر لغة يعم القول والعقد قوله وقلبه مطمئن
جملة حالية اي الا من اكره في حين الحالة ووجه الاستدراك في قوله ولكن من شرح ان قوله
الا من اكره يوهم ان المكره مطلق اي سواء اجرى كلمة الكفر على لسانه من غير اعتقاد
او مع اعتقاد والعياذ بالله مستثنى من استحقاق الغضب والعذاب العظيم وقوله
وقلبه مطمئن لا ينفي ذلك الوهم فاحتيج الى الاستدراك لدفع ذلك الوهم روي عن مجاهد
انه قال اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وحباب
وصهيب وبلال وعمار وسمية رضوان الله عليهم اجمعين فمنعه ابو طالب واما ابو بكر
فمنعه قومه واخذ الاخرون والبسوا ادرع الحديد ثم اجلسوهم في الشمس فبلغ منهم
الجهد بحر الحديد والشمس واتاهم ابو جهل يشتمهم ويوبخهم ويشتم لسمية ثم طعن
بالحربة في فرجها وقال الاخرون ماتالوهم غير بلال فانهم جعلوا يعذبونه ويتعولا
احدا حتى ملوه فتركوه قال عمار كلنا نتكلم بالذي اراد وا غير بلال فانت عليه
نفسه فتركوه وقال خباب لقد اوقدوا لي نارا ما اطفاها الا ودكي ظهري قال الامام
قوله تعالى فعليهم غضب معناه انه تعالى حكم عليهم بالعذاب ثم وصف ذلك العذاب
فقال ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه يعني ان الغضب لكونه من الكيفيات
النفسانية المستحيلة في حقه تعالى يراد غايته وهي العذاب فيكون قائلة قوله
ولهم عذاب عظيم توصيف ذلك العذاب بالعظيم قوله اي الكافرون في علمه قائلة
انه تعالى لا يهدي الا ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصم عن الزيغ والميل عن الحق من علم
الله انه يختار الكفر وان يموت عليه واذا كان كل واحد من ايثار الامور الدنيوية
وعدم هداية الله تعالى الا ما يوجب الثبات على الحق سببا للكفر بعد تبين الحق
وقبوله يكون سببا لما يترتب عليه من العذاب العظيم ثم انه تعالى بين طريق عدم هدايتهم
لا ما يوجب الثبات على الحق بقوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم اي خلق في قلوبهم
ومشاعرهم ما يمنع عن ادراك الحق وقبوله فصارت بذلك كانها قد طبع عليها حقيقة فان
القلوب والمشاعر لا تقبل حقيقة الطبع ثم وصفهم بكمال الغفلة حيث هو حقيقة الغفلة

فيهم

فيهم بحيث لا تجاوز ذهم الى غيرهم وذلك انما يكون بكونهم كاملين في الغفلة بحيث
لا يعد غفلة غيرهم غفلة في جنب غفلتهم فان من اتصف بما ذكر من الاستحقاق
بغضب الله تعالى وعذابه العظيم وايثار الحيوة الدنيا على حيوة الآخرة والحرمان
عن هداية الله تعالى وكونه مطبوعا على قلبه ومشاعره ثم غفل عما اراد به من العذاب
الشديد الدايم في الآخرة تكون غفلته اشد واكمل وتكون عن الطاعات وتحصيل
اسباب السعادات الابدية ابعد فلا جرم تكون في الآخرة اخسر ثم انه تعالى لما ذكر
حال من كفر بالله بعد ايمانه وحال من اكره على الكفر فاظهر الكفر حذرا عن الهلاك ذكر
بعد حال من اظهر الكفر مكرها اذا ما جر وجاهد وصبر وحال من آذى المسلمين
واكرههم وحملهم على الارتداد على القراءتين في قوله من بعد ما فتنوا فقال ثم ان ربك
للذين هاجروا الآية قوله بالولاية والنصرة اشارة الى ان قوله تعالى للذين هاجروا
خبر ان لا تقول ان زيدا لك اي هو لك لا عليك بمعنى هو ناصرك لا خاذلك قوله
تجادل عن ذاتها اشارة الى ان النفس الثانية عبارة عن ذات الشخص وعينه وحقيقته
والنفس الاولى عن جد الشخص وجلته والافليس للنفس نفس اخرى تضاف
احدهما الى الاخرى روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار خوفنا
قال يا امير المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت القيمة بعمل سبعين نبيا لاتت
عليك تارات وانت لا يهمك الا نفسك وان لجهنم زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي
مرسل الا وقع جاثيا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يا رب لا اسالك
الا نفسي وان تصديق ذلك قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها ومعنى
المجادلة عنها الاعتذار عنها والسعي في خلاصها قوله اي جعلها مثلا اشارة الى ان
ضرب عدي الى مفعولين اولهما القرية الموصوفة وثانيهما مثلا لتضمين ضرب معنى
جعل فان ضرب المثل اعتماله وصنعه من ضرب اللبن والخاتم فلا يتعدى الا الى
مفعول واحد فلما عدي ههنا الى مفعولين احتيج الى اعتبار التضمين والمراد بالقرية
اهلها بقرينة ما اسند اليها من كفران النعم والجوع والخوف وقوله بما كانوا يصنعون
لما هدد الله تعالى الكفار بالوعيد الشديد الواقع في الآخرة هددهم ايضا بآفات الدنيا
وهي الوقوع في الجوع والخوف اعلم ان المثل قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة سواء

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كان ذلك الشئ موجودا اولم يكن لان المثل انما يضرب لترغيب المخاطب في الاتصاف بتلك الصفة او التنفير عنه ولا مدخل في ذلك الترغيب والترهيب لتحقق تلك الصفة في شخص بعينه كما مر في قوله تع ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها وقد يضرب بشئ موجود معين فالمقصود بضرب القرية الموصوفة مثلا سوآء كان ترهيب كل من كفر النعم الله عليهم فكفروا فانزل الله تع بهم نقمته او ترهيب كفار مكة بخصوصهم لا يلزم ان يكون القرية الموصوفة الممثل بها قرية موجودة متصفة بما ذكر من الصفات بل يجوز ان تكون موجودة في قرى الاولين قرية كانت حالها كذلك فضرب الله مثلا لاهل مكة او لكل قوم شانهم كشان اهل مكة وان لا يكون موجودة في قرى الاولين مثلها بل تقدر قرية على هذه الصفة فيضرب بها المثل ثم ان اهل مكة قد ابتلاهم الله تع بما ذكر من المحن فانهم كانوا آمنين لا يغار عليهم والوب كانوا يحرم نهم ويخطفون من حولهم بالتعظيم والتكريم لكونهم اهل حرم الله مع انهم كانوا يغير بعضهم على بعض وكانوا مطمئنين في بلدهم من حيث ان هواء ذلك البلد كان ملائما لامزجتهم فاطمأنوا اليه والستقوا فيه من غير اضطراب وانزعاج وكان ياتيهم رزقهم رغدا من كل مكان ومن النعم الثلث جمعها من قال ثلثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية تقوله تع آمنة اشارة الى الامن وقوله مطمئنة اشارة الى الصحة وقوله يأتيها رزقها اشارة الى الكفاية والمفهوم من كلام المصنف ان يكون الاطمئنان اثر الامن ولازما من حيث ان الخوف يوجب الانزعاج وينافي الاطمئنان ثم انه تع زاد على هذه النعم المذكورة فرحق اهل مكة حيث بعث فيهم رسولا من انفسهم ينذرهم عما يوجب العذاب الاليم ويدعوهم الى النعيم المقيم فكفروا به وبالغوا في ايذائه فسلط الله عليهم البلاء وابتلاهم بالجوع سبع سنين وقطعت الوب عنهم الميرة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا واكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعلهز وهو الوبر الذي يعالج بالدم وابتلاهم الله تع ايضا بالخوف حيث كان عمرو بن لحي بعث اليهم السرايا فيغيرون عليهم فقوله استعار الذوق لما كان في الاية اشكالا من حيث انه تع اوقع الاذاقة على اللباس مع ان اللباس ليس مما يدرك بالذوق ثم انه تع اضاف اللباس الى الجوع والخوف وليس لهما لباس فكيف صحت اضافة اللباس اليهما اشار المصنف الى دفع الاشكال

المذكور

المذكور باه جعل الذوق مستعارا لادراك اثر الضرر بان يشبه ادراك الانسان اثر ما يضره باحساس طعم الشئ المر بالغم الذي هو الذوق فاطلق على المشبه الذي هو امر عقلي اسم المشبه به وهو الذوق وجعل اللباس مستعارا لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف بان شبه ما يغشى الانسان ويلتبس به اثر الجوع والخوف باللباس للحقيق والجامع بينهما كونهما مشتملين على الانسان وغاشيين له ثم اطلق اسم اللباس على ما يغشى الانسان من اثرهما وجعل اضافته اليهما قرينة صارفة عن ارادة المعنى الحقيقي فكل واحد من الاذاقة واللباس استعارة مغايرة للاستعارة الاخرى ثم اوقعت الاذاقة المستعارة على اللباس المستعار باجعل اللباس مفعولا للاذاقة بالنظر الى المستعار له يعني ان الاذاقة بمعنى الاصابة والاتصال وان لم تكن ملائمة للمعنى الذي استعير منه اللباس لكنها ملائمة للمعنى الذي استعير له اللباس وهو اثر الخوف والجوع الذي يغشى الانسان كما يشاء فاوقعت الاذاقة بمعنى الاصابة على اللباس بالمعنى المجازي بطريق التجريد لكونها ملائمة للمستعار له لما هو اثر الجوع والخوف فان الاستعارة على ثلثة اقسام مطلقة ومجردة ومرشحة فالمطلقة ما لم تقرن بصفة ولا تفريع كلام مما يلايم المستعار له او المستعار منه والاستعارة المجردة ما قرن بما يلايم المستعار له كقوله عز الردآء ابن كثير العطا استعير الردآء للعطا من حيث انه يصون عرض صاحبه كما يصون الردآء ما يلقى عليه ثم وصف الردآء بالغم الذي يلايم العطا دون المعنى المستعار منه وهو الردآء الحقيقي تجريدا للاستعارة والاستعارة المرشحة ما قرن بملا بما يلايم المستعار منه كقوله ينازعني ردآئي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر بي الشط الذي ملكت يميني ودونك فاختطف منه بشط استعار الردآء للسيف والاعتجار لف العمامة على الراس من غير ادارة تحت الحنك ثم اوقع الاعتجار على شط الرداء بالنظر الى المستعار منه لكونه ملائما للرداء الحقيقي ومعنى البيت يجاذبني سيفي عبد عمرو برير ان ياخذه مني فقلت له رويدك فلي الشط الاعلى من السيف وهو طرفه الذي في يميني وخذ انت الطرف الآخر منه فاعتجر ابن لئ براسك قوله غلقت لضحكة رقاب المال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي يثبت رقاب الرهن في يد المرتهن ولم ينات للمدروح فكه منه بنال غلق الرهن
اذا استحق المرتهن وذلك اذا لم ينفك في الوقت المشروط بقول اذا فكك محكمة
ايتن السائل انه بذلك التسبم يستغلق رقاب ماله ويعطى بلا خلاف قوله بعد ان زجرهم
عن الكفر اه اشارة الى ان الفاء في قوله تع فكلوا للتفريع ما بعدها على ما ذكر قبلها من
التمثيل وما حل بهم من العذاب حال التباسهم بالظلم كانه قيل اذا تبين لكم
مضمون التمثيل وتحقق عندكم ان ما حل بكم انما حل بسبب التباسكم بالظلم فاتركوا
الشرك والظلم حتى تاكلوا وتشكروا او امتنعوا صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة
بعد ما علمتم وخامة عاقبتها قوله عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم اعلم ان تع
حصر المحرمات في هذه الاربعة في هذه السورة وحصرها ايضا في هذه الاربعة في سورة
الانعام حيث قال قل لا اجد في ما اوحي الي محرما على طاعم وهاتان السورتان مكيتان
وحصرها ايضا في هذه الاربعة في سورة البقرة وحصرها ايضا في هذه الاربعة في سورة
المائدة فانه تع قال في اوائل تلك السورة احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم فاباح
الكل الا ما يتلى عليهم واجمعوا على ان المراد بقوله الا ما يتلى عليكم هو قوله تع في تلك
السورة حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فذكر تلك الاربعة
المذكورة في تلك السورة الثلث ثم قال والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما
اكل السبع الا ما ذكيتم وهذه الاشياء داخلة في الميتة ثم قال وما ذبح على النصب
وهذه الاصناف الداخلة تحت قوله وما اهل لغير الله به فثبت ان هذه السور
الاربع دالة على حصر المحرمات في هذه الاربعة سورتان مكيتان وسورتان مدنيتان
فان سورة البقرة مدنية وسورة المائدة من آخر ما نزل بالمدينة فمجموع ما نزل في مكة
والمدينة دل على ان انحصار المحرمات في هذه الاربعة شرع ثابت مقرر لا يصح القول
بزيادة المحرمات عليها الا بدليل شرعي يثبت الحكم به وما ذهب اليه الكفار من
زيادة المحرمات على هذه المحرمات تارة ونقصانها عنها اخرى قول مزيف فانهم
كانوا يحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وكانوا يقولون ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ويحرم على ازواجنا فتجيء هذه الى زيادة المحرمات
بما هو آثامهم وجهالاتهم متجاوزا عن اتباع ما شرعه الله تع على لسان انبيائه وزادوا

ايضا

ايضا في المحللات حيث حللوا الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فبين
الله تع ان المحرمات هي هذه الاربعة واكد هذا البيان بالنهي عن التحريم والتحليل
بمجرد اهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب قال تع حلالا طيبا قال بعض
بعضهم الحلال والطيب واحد كانه قال كلوا مما احل لكم فهو كقوله تع فانكحوا ما طاب لكم
اي ما حل لكم وقال بعضهم الطيب ما تستطيبه النفس وتتلذذ به لان من الحلال
ما لا تتلذذ به النفس بل تكرهه فانه تع جعل غذاء البشر ما هو طيب والزوجية
للبهائم والانعام ما هو اخبث واخشن ولا شك ان ما هو طيب والذ نعمة واذى
الى الشكر قوله تع فمن اضطر غير باغ اي فمن اضطر الى تناول ما ذكر الى تناوله وقيل معناه
غير باغ على الوالي ولا معتد على الناس بالخروج لقطع الطريق ففعل هذا لا يباح تناول
شيء من المحرمات في سفر المعصية قوله وانتصاب الكذب بلا تقولوا على انه مفعول به
ويحتمل ان يكون مفعولا مطلقا فان القول قد يتعدى وقد لا يتعدى فان تعدى
فهو مفعول به والا فمفعول مطلق فعلى هذا تكون ما موصولة واللام صلة لتقول لا
تقولوا الكذب في قولكم ولا تقولوا لما احل الله تع هو حرام كانه قيل لا تقولوا الكذب
لما تصفه السنتكم من البهائم وذلك الكذب هو ان تقولوا في حق هذا حلال
وهذا حرام قوله او متعلق بتصف عطف على قوله بدل من ايها ويجوز ان يكون قوله
هذا حلال وهذا حرام متعلقا بتصف بان يكون مسوقا لبيان الوصف الذي تتبينه
الالسنة قالفاء في قول المصنف فتقول كالفاء التي في قوله تع فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا
انفسكم فان الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ما قبلها في
الذكر لا ان مضمون ما بعدها واقع عقيب مضمون ما قبلها في الزمان كقوله تع او خلوا
ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وقوله واورثنا الارض نتبوء
من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين فان ذكر ذم الشيء ومدحه انما يصح بعد ذكره
ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل على المجمل كقوله تع ونادى نوح ربه فقال
رب ان ابني من اهلي فان موضع ذكر التفصيل بعد الاجمال ومنه قوله تع وكم من قرية
اهلكناها فجاءها باسنا بياتا فان تبييت البأس تفصيل للاهلاك المجمل وما نحن فيه
من هذا القبيل فان قول الالسنة هذا حلال وهذا حرام تفصيل للوصف الذي اسند اليها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٢٩٣

بمعنى الكذب قال والمرء ينفعه كذا به اى كذبه وقرئ الكذب بضمتين ونصب الباء
بتقدير اعنى قصدا لذم الالسنة او بمعنى الكلم الكواذب اى على انه مفعول به والعامل
فيه اما تصف واما القول على معنى اى لا تقولوا الكلم الكواذب او لما تصف السنتكم
الكلم الكواذب قوله تعليل لا يتضمن الغرض يعنى ان اللام فيه لام العاقبة والصيرورة
لا للتعليل الصريح اذ ليس الافتراء على الله غرضا لهم من التحريم والتحليل من غير حجة
بل كانوا يبتغون بذلك التحريم والتحليل اليه ﷺ ويقولون انه ﷺ امرنا بذلك فكان
عاقبة قولهم هذا افتراء على الله ﷺ ثم انه تعالى اوعد المفترين فقال ان الذين يفترون
على الله الكذب لا يفلحون ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب
فقال متاع قليل اى ما يتمتعون به من نعيم الدنيا شئ قليل فى ذاته وبحسب مدة
الانتفاع به بل متاع كل الدنيا قليل ثم انه تعالى لما بين ما يحل ويحرم لاهل الاسلام
اتبعه ببيان ما خص اليهود بتحريمه فقال وعلى الذين هادوا حرمنا قصصنا عليك من
قبل اى من قبل تحريمنا على اهل ملتك ما عددناه من المحرمات قوله كى تكون للمغفرة
اى بلطفه ما حرمنا من اكله فان ما حرمنا على المسلمين لم يحرم عليهم الا صونا لهم عن مضرته
بخلاف اليهود فانه حرم عليهم ما حرمنا جزاء لبغيهم وعقوبة على ظلمهم قال تعالى فى سورة
النساء فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقال ايضا ذلك جزيناهم
ببغيهم ثم انه تعالى لما بالغ فى تهديد المشركين على انواع قبايحهم من انكار البعث
والنبوة وكون القرآن العظيم من عند الله وتحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه ونحو ذلك
بين ان امثال تلك القبايح لا يمنعهم من قبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة اذا ندموا
على ما فعلوا وامنوا واطاعوا ولم يقدر للجهالة معلق لنعم كل جهالة وكل من يفعل
السوء فانما يفعله ملتبسا بالجهالة اما الكفر فلان احدا لا يرضى به مع العلم بكونه
كفرا فانه ما لم يعتقد ان ما هو عليه حق لا يختاره ولا يثبت عليه واما المعصية
فما لم تقر الشهوة غالبة على النفس والعلم لم تصدر فثبت ان كل من عمل السوء فانما
يقدم عليه بسبب الجهالة فلذلك قيل كل من عصى الله فهو جاهل ثم انه تعالى لما زيف
فى هذه السورة مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة وتحريم ما احله الله
تعالى ذكر الله فى آخر السورة ما هو رئيس الموحدين ووصفه باوصاف شريفة وطريقة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فكلم ما ايضا موصولة واللام لتقولوا لا تقولوا قوله او مفعول لا تقولوا عطف
على قوله بدل منه ايضا وقوله لوصف السنتكم الكذب اشارة الى ان اللام فى قوله
لما تصف للتعليل والمعنى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لاجل وصف السنتكم
الكذب اى لاجل قوله تنطق به السنتكم من غير حجة فان قيل حمل الآية على هذا الوجه
يؤدى الى التكرار لان قوله لتفتروا على الله الكذب عين قولكم لاجل وصف السنتكم
الكذب فالجواب ان قوله لما تصف السنتكم الكذب ليس فيه بيان انه كذب على الله
فاعاد قوله لتفتروا على الله الكذب ليفيد هذا البيان الزايد ونظيره فى القرآن
كثير فانه تعالى ذكر كلاما ثم يعيده بعينه مع فائدة زائدة قوله ووصف السنتهم
الكذب جواب عما يقال الكذب مصدر كالكذب والالف واللام فيه للتوكيد كالحقيقة
والسنتهم لا تصف اى لا توضح ولا تبين حقيقة الكذب وماهيته بل تتكلم كلاما
موصوفا بالكذب فما وجه كون الكذب مفعول تصف وتقرير الجواب نوعان مقتضى
الظاهر ان يقال لما تصف السنتكم الكلام الكاذب وتظهره الا انه جعل الظاهر
المتبادر بالسنتهم نفس الكذب وحقيقته مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب
فان اصل الكلام تصف السنتكم الكلام الكاذب ثم عدل عنه فقيل الكلام الكذب
مبالغة على طريق رجل عدل ثم حذف الموصوف واقيم الكذب مقامه فقيل لما تصف
السنتكم الكذب كما يقال وجهها يصف الجمال مع ان وجهها انما يظهر الشكل المخصوص
الموصوف بالجمال لا نفس الجمال وحقيقته الا ان وجهها لما كان فى غاية الحسن والجمال
كانه عين حقيقة الجمال فاذا وصف الشكل الجميل صح ان يقال انه وصف نفس الجمال وكذلك
العين لما كانت شبيه الساحر وقصفه كمال المشابهة والتوصيف صح ان يقال انها تصف
نفس السحر قوله وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما قال ابو البقاء ويقرأ بفتح الكاف وكسر
الزاى والباء على البدل من ما سوغه جعلها مصدرية او بمعنى الذى انتهى اى لا تقولوا
لوصف السنتكم الكذب او للذى تصف السنتكم الكذب والمراد من كونه بدلا من المصدرية
كونه بدلا منها مع ما فى حيزها اى من المصدر المنسبك منها وهو وصف السنتكم قوله والكذب
اى وقرئ الكذب بضم الكاف والزاى ورفع الباء على انه صفة الالسنة جمع كذوب كصبور
وصبر او جمع كاذب كشارف وشرف او جمع كذاب نحو كتاب وكتب وهو مصدر

بمعنى الكذب

حسنة مقبولة لدى ارباب العقول ليكون ذكره حاملا لهؤلاء المشركين على الاقرار
بالتوحيد والاقتداء به في الاتصاف بجمله من الفضايل والكمالات فقال ان ابراهيم
كان امة قانتا لله الاية الامة الجماعة ويقال لكل جنس من الحيوان امة لكثرة افراده وفي
الحديث لولا ان الكلاب امة لامرت بقتلها جعل الله تعالى ابراهيم عليه السلام وحده امة
تشبيها له بالامة من حيث استجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في جماعة فان ذلك
ليس ببديع من قدرة الله تعالى كما قال الشاعر ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
يعني ان الله تعالى قادر على ان يجمع في واحد ما في الناس من انواع الفضل والكمال
والدامغة اسم لشجة بلغت نفس الدماغ والآمة هي التي بلغت أم الدماغ
وهي الجلدة التي تجمع الدماغ شبه المذاهب الزايغة باشخاص لها رؤس
مشتملة على الدماغ وشبه ابطال الحجج تلك المذاهب بشجها شجة دامغة فاطلق
اسم الدمغ على الابطال المذكور ثم اشتق من الدمغ بمعنى الابطال لفظ الدامغة
بمعنى المبطلة فجعل هذه الاستعارة التبعية تخييلا لما اضمر من تشبيه المذاهب
الزائغة بالاشخاص المذكورة وهذا التشبيه المضمر في النفس هو الاستعارة
بالكناية عند الخطيب الدمشقي قوله ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب
المشركين اي ولاجل كونه عدم رئس الموحدين جعل الله تعالى ذكره عدم بحيث
يعقب التزييف ويخلفه على ان قوله تزييف ثاني مفعولي عقب يقال عقبه
يعقبه بمعنى خلفه يخلفه وعاقب كل شيء آخره الذي يخلفه ويكون بعده وبالتضعيف
يتعدى الى اثنين وان شئت قلت عقب ذكره تزييف بان تجعل عقب ثانيا
وذكره مرفوعا على انه فاعل عقب وتزييف منصوبا على المفعولية قوله اولا انه كان
وحده مؤمنا تتميم للامة الكافرة فلما كان هو وحده تمام الامة المؤمنة جعل
امة والرحلة بالضم الوجه الذي ترتحل نحوه يقال انتم رحلتي الذين ارتحل اليهم
والنخبة المنتخب يقال جائني في نخب من اصحابه اي خيارهم فان كان أمة فعلة
بمعنى المفعول يكون اما بمعنى المأموم اي المقصود الذي يؤمه الناس اي يقصدونه
ليأخذوا منه الخير كالهمزة والأمّ بالفتح القصد يقال امه وامّه اذا قصد واما
بمعنى المؤتم به اي المقتدى كالهمزة أممت القوم في الصلوة إمامة وأممت به

اي اقتدى

اي اقتدى وصف الله تعالى ابراهيم عليه السلام بتسع صفات الصفة الاولى انه كان
امة اي كالامة من حيث استجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في الجماعة
والثانية كونه قانتا لله تعالى اي مطيعا له قائما بما امر الراغب القنوت لزوم
الطاعة مع الخضوع وفسر بكل واحد منهما في قوله تعالى كل له قانتون قيل خاضعون
وقيل طايعون والثالثة كونه حنيفا اي مائلا عن الملل كلها الى ملة الاسلام
والرابعة انه لم يكن من المشركين وكيف يكون مشركا وقد كان اكبر همته في حال
صغره وكبره مصروفا الى تقرير دلايل ثبوت الصانع ووحدته حتى قابل ملك
زمانه واقام عليه الحجج والبراهين الدالة على وجود الاله القادر على كل شيء مثل
قوله ربي الذي يحيي ويميت وقوله ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
ثم ابطل عبادة الاصنام والكواكب بقوله لا احب الآفلين ثم كسر تلك الاصنام
حتى آل الامر الى ان القوه في النار ثم طلب من الله تعالى ان يريه كيفية احياء الموتى
ليحصل له مزيد الطمانينة ومن وقف على علم القرآن علم ان ابراهيم عليه السلام
كان مستغرقا في بحر التوحيد والخامسة كونه شاكرا لانعمه روي انه عليه السلام كان لا يتغدى
الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بقوم من الملائكة في
صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت
مواكلتكم شكرا لله تعالى على انه عافاني مما ابتلاكم فلولا قوة عزيمتكم على الصبر على
ما اصابكم لما ابتلاكم بهذا البلاء والسادسة مدلول عليه قوله اجتباه الى اصطفاه
للنبوة واختاره للخلة والسابعة مدلول عليه قوله وهداه الى صراط مستقيم يعني
الدعوة الى الله والترغيب في الدين الحق والترهيب والتنفير عن الدين الباطل
والثامنة مدلول عليه قوله واتيناه في الدنيا حسنة قال قتادة ان الله تعالى
حببه الى كل الخلق وكل اهل الاديان يتولونه اما المسلمون واليهود والنصارى
فظاهر واما كفار قريش وساير العرب فانه لا فخر لهم الا به وذلك لانه تعالى اجاب
دعاءه في قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين حتى قال لا تزال تصلي ملائكتي
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم والتاسعة قوله وانه في الآخرة لمن الصالحين
اجاب الله تعالى دعاءه في قوله رب هب لي حكما والحقني بالصالحين وكونه من الصالحين

ان ابراهيم كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بقوم من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام

كلام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لائق كونه في اعلى مقامات الصالحين ثم انه تعالى لما وصفه بهذه المدائح التي وصفه
بخصلة عاشرة هي اشرف واجل من المدائح السابقة وهي ان يكون سيد
الانبياء والمرسلين عليه وعليهم صلوات الله وسلامه اجمعين مأمورا باتباع
ملته فكملة ثم للتنبيه على ان منزلة رسول صلى الله عليه وسلم اعلى من منزلة عدم
وكون نبينا صلى الله عليه وسلم مأمورا باتباع ملته لاينافي اختصاصه بفضايل
اخر يفضل بها على جميع الانبياء عليهم السلام واصل الملة الدين لقوله عم لانتوارث
اهل ملتين اي اهل دينين قوله حنيفا في التوحيد اشارة الى ان قوله حنيفا
حال من المضاف اليه وما قيل من امتناع الحال من المضاف اليه ليس على اطلاقه
وانما يمتنع اذا لم يكن بين المضاف والمضاف اليه ملابسة قوية مثل ان يكون
المضاف جزءا من المضاف اليه او بمنزلة الجزء منه والملة ههنا بمنزلة الجزء من ابراهيم
فلذلك كان انتصاب الحال منه بمنزلة انتصابها من الملة والعامل فيها معنى الاضافة
وقوله تعالى انما جعل السبت الاية كالجواب عما يقال انه عم لما امر باتباع ابراهيم
عليه السلام فكيف خالفه باختيار يوم الجمعة فان الظاهر ان ابراهيم قد اختار
في شرعه تعظيم يوم السبت بشهادة ان قوم موسى عليه السلام يعظمون يوم
السبت ويدل ذلك على ان تعظيم شريعة متوارثة من يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم
عليهم السلام روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال امرهم موسى عليه السلام
بالجمعة وقال تفرغوا لله تعالى في كل سبعة ايام يوما واحدا وهو يوم الجمعة ولا تعملوا
فيه شيئا من اعمالكم فابوا ان يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله تعالى
فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم ثم جاءهم عيسى
عليه السلام ايضا بالجمعة فقالت النصارى لا نريد ان تكون عيدهم بعد عيدنا
فاتخذوا الاحد وروي ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله اليه فالناس لنا فيه
تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد فقوله تعالى على الذين اختلفوا فيه ليس معناه
ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود متفقون
على ذلك بل معناه انهم اختلفوا على نبيهم من حيث انه امرهم باختيار الجمعة وخالفوه

باختيارهم

باختيارهم يوما آخر وتمايل عقلا على ان يوم الجمعة سيد الايام واجدر للاختيار
ان اهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم في ستة ايام وبدأ بالخلق والتكوين
في يوم الاحد واتم في يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم الفراغ فقال اليهود فنحن نوافق
ربنا في ترك الاعمال فعينوا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدأ الخلق والتكوين
يوم الاحد فنجعل هذا اليوم عيدا لنا فهذا وجه الفريقين في اختيار اليومين ونحن نقول
يوم الجمعة هو يوم التمام والكمال وتمام النعمة وكمالها هو الموجب لكمال الفرح والسرور
الموجب للاشتغال بالشكر والخضوع فكان يوم الجمعة افضل بالنسبة الى سايرالايام
من هذين الوجهين وفضله عليها من هذا الوجه يصلح ان يكون وجها عقليا لتخصيصه بجعل
يوم العيد والعبادة الزايدة وقيل معنى اختلافهم في السبت انهم احلوا الصيد
فيه تارة وحرموه اخرى ولم يتفقوا على كلمة واحدة مع انه تعالى امرهم بتعظيمه
والامتناع عن الصيد فيه قال قتادة استحل الصيد فيه بعضهم زمن داود فيعني اهل
ايلة فجعل السبت عليهم حيث عوقبوا بتركه كتحريمه بان لعنوا ومسخوا قردة
دون الذين نهوا اياهم عن ذلك ثم انه تعالى لما امر عم باتباع ابراهيم عليه
السلام بين في اي شئ يتبعه فقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة الخ قوله بالمقالة
الحكمة اشارة الى ان المراد بالحكمة البراهين القطعية المفيدة للمعارف الحقيقية
والعلوم اليقينية وبالموعظة الحسنة الامارات الظنية والدلايل الاقناعية
وبالدلايل الجدلية الدلايل التي يكون المقصود من ذكرها الزام الخصم والخصام
ثم ان الجدل على قسمين احدهما هو الدليل المركب من مقدمات مشهورة مسلمة
عند الجمهور او من مقدمات مسلمة عند الخصم وهذا القسم هو الجدل الواقع على الوجه
الاحسن والقسم الثاني ما يكون مركبا من مقدمات فاسدة الا ان المستدل يرد دها
وبرد وجها دفعا لشغب الخصم وسفاهته بسلوك الطرق الغامضة عند المناظرة وهذا
القسم لا يليق بالعقلاء وانما اللايق بهم هو القسم الاول وذلك هو المراد بقوله تعالى
وجادلهم بالتي هي احسن فهو تعالى حث على الحجج والدلايل الصادرة عن العقلاء في هذين
الاقسام المذكورة في الاية الكريمة والذين يدعون الى الحق بطريق المناظرة ثلثة طوايف
الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية ولا يقنعون بالظن الغالب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمكالمة مع هؤلاء لابد ان يكون بالدلايل القطعية وهي الحكمة والقسم الثاني الذين
يغلب عليهم المشاغبة والمخاصمة لاطلب الحق واليقين والمكالمة اللائقة بهم المجادلة
التي تفيد الافحام والالزام فهاتان الطائفتان هما الطرفان الاول منهما هم الكاملون
في الاستكمال بحسب القوة النظرية والثاني هم الناقصون الذين لم يستعدوا للاستكمال
بحسب القوة النظرية والقسم الثالث هم المتوسطون بين الطائفتين حيث لم يبلغوا
في الكمال الى درجة الحكماء المحققين ولا في النقصان الى حد المشاغبين بل هم اقوام
بقوا على الفطرة الاصلية والسلامة الخلقية وما بلغوا الى درجة الاستعداد لفهم الدلايل
اليقينية والمعارف الحكمية والمكالمة مع هؤلاء لا تمكن الا بالموعظة الحسنة والدلايل
الاقناعية الظنية فكانه قيل ادع الاقوياء الكاملين الى الدين الحق بالحكمة وهي
البراهين القطعية اليقينية وعوام الخلق بالموعظة الحسنة وهي الدلايل الاقناعية
الظنية وتكلم مع المشاغبين بالجدل على الطريق الاحسن ودلت هذه الاية الكريمة
على ان الدعوة لابد ان تكون بالدلايل القطعية التي هي الحكمة والا فبالدلايل الظنية
وهي الموعظة واما الجدل فهو ليس من طرق الدعوة بل المقصود منه فرض آخر
وهو الالزام والافحام واليه اشار المصنف بقوله وجادلهم معاندهم بالطريقة
الخ هي احسن طرق المجادلة ثم انه لو قال ما معناه انكي يا محمد مكلف بالدعوة الى الله
بهذه الطرق المذكورة واما حصول الهداية فلا تتعلق بكل فهو تعالى اعلم بالضالين
واعلم بالمهتدين فان جواهر النفوس البشرية مختلفة بالماهية فبعضها نفوس
مستنيرة صافية قليلة التعلق بالجسمانيات كثير الانجذاب الى عالم الروحانيات
وبعضها مظلمة كدرة قوية التعلق بالجسمانيات عديمة الالتفات الى الروحانيات
ولما كانت هذه الاستعدادات من لوازم جواهرها لاجرم يمتنع انقلابها وزوالها
فلهذا قال تعالى اشتغل انت بالدعوة ولا تطمع في حصول الهداية للكل فانه تعالى
هو العالم بخصوصيات استعدادات النفوس فلكل نفس فطرة مخصوصة كما
قال فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله قوله لما امره بالدعوة الخ
بيان لارتباط هذه الاية بما قبلها فان المحقين لما امروا بالدعوة الى الدين الحق
وكانت الدعوة المذكورة تتضمن امر المبطلين بالرجوع عن دين آبائهم واسلافهم

والحكم

والحكم عليه بانه كفر وضلالة وكان ذلك مما يشوش قلوبهم ورجما يحملهم ذلك على ايذاء الداعي
بنحو الشتم والضرب والقتل وكان يؤدي المحقين الى تاديب هؤلاء السفهاء المشاغبين
بالضرب والقتل ونحو ذلك فلاجرم امر الله تعالى المحقين في هذا المقام برعاية العدل
والانصاف وترك الزيادة فقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اي ان اردتم
في استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم
وهو تعالى لا يرضى بالظلم وفي الآية دلالة على ان الاولى ترك المعاصة فانك اذا قلت
للمريض ان كنت تاكل الفاكهة فكل التفاح فانه يفهم منه ان الاولى لك ان لا تاكل ثم
انه تعالى عدل عن طريق التعريض الى التصريح حيث قال ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
فانه تصريح بان الاولى ترك الانتقام ولما كان الصبر شاقا شديدا ذكر بعد ما يفيد
سهولته لمن اختار العفو فقال وما صبرك الا بالله ولما كان السبب الحامل على الغضب
والانتقام لا يخلو عن امرين احدهما فوات نفع كان في الماضي والاخر توقع ضرر
يكون في المستقبل نهى عن الالتفات الى السبب الاول بقوله ولا تحزن عليهم اي
على الكافرين بسبب اعراضهم عنك واستحقاقهم للعذاب الدايم او على المؤمنين
وعن الالتفات الى السبب الثاني بقوله ولا تك في ضيق مما يمكرون اي اثبت
على دعوتك ودع ما اصابك منهم من الاذى قوله وقرا ابن كثير في ضيق بكسر الضاد
والباقون بفتحها وهما لغتان بمعنى وقيل المفتوح مخفف من ضيق المشدد كميت
في ميت اي في امر ضيق امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بان يدعو الخلق
الى سبيل رب العالمين باحد الطرق الثلثة كل طائفة بما يليق بها من طرق الدعوة
ثم قال ان ادت الدعوة المذكورة الى مناصبة المبطلين لا تزيد وافي الانتقام
على قدر ما عندهم ورمز في هذه المرتبة الى ان ترك الانتقام هو الاولى ثم عدل من
الرمز الى التصريح حيث قال ولئن صبرتم لهو خير ثم امر في المرتبة الثالثة بالصبر
على سبيل البت واللزم حيث قال واصبر ثم ترقى في المرتبة الرابعة الى التهديد علي
استيفاء الزيادة فقال ان الله مع الذين اتقوا عن المعاصي التي يدخل فيها
استيفاء الزيادة دخولا اوليا والذين هم محسنون في افعالهم التي يدخل فيها
الصبر على اذى السفهاء وترك اصل الانتقام منهم ومن تامل هذه الآية الكريمة وترتيبها

عرف ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب ان يكون على هذا الوجه وان القرآن العظيم
يجل ساحته قيل لبعض العلماء عند قرب وفاته أوص فقال انما الوصية من المال
ولا مال لي ولكني اوصيكم بخواتيم سورة النحل تمت سورة النحل والحمد لله على جزيل الآلاء

سورة بني اسرائيل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله وقد يستعمل علما يعني ان اكثر استعماله على انه اسم مضاف غير علم لان الاعلام
لا تضاف الا ان يقع فيه الاشتراك اتفاقا وان استعماله علما شاذ نادر فلم يمنع من
الصرف للتعريف والالف والنون المزيدتان في آخره كعثمان والدليل على ان السبحان
علم للتسبيح قول الشاعر قد قلت لما جائني فخره سبحان من علقمة الفاخر فانه لولا انه علم
لوجب صرفه لان الالف والنون في غير الصفات انما يمنع مع العلمية والعرب تقول
سبحان من كذا اذا تعجبت منه وقوله سبحان من علقمة الفاخر معناه العجب اذ يجيء
السبح السريع في الماء او في الهواء يقال سبح سبحا وسباحة والسفير لمر النجوم
في الفلك كل في فلك يسبحون وجرى الفرس والسابحات سبحا وسرعة الذهاب
في العمل وان لك في النهار سبحا طويلا والتسبيح تنزيه الله واصل المر السريع في
عبادة الله وسبحان الله معناه التنزيه لله نصب نصب المصدر كانه قال أبرئ الله
من السوء براءة وهو في الآية على معنى الامر اي نزهوا الله وبرئوه من قول المشركين
ومن العجز عما اراده ومن جملته اسراء عبده في بعض من الليل من المسجد الحرام إلى المسجد
الاقصى ثم الى ما شاء الله قوله وائتمر وسري يعني يقال سريت سريت وسريت
واسريت بمعنى اذا سرت ليلا والذي بالالف لغة اهل الحجاز والفعل على اللغتين لازم
وعدي في الآية بالباء في بعبده ولما ورد ان تعالى الاسراء لا يكون الا بالليل فالفائدة
في قوله ليلا اجاب عنه بقوله وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء يعني ان اسم
الجنس اذا استعمل منكرا يكون تنكيره اما للافراد شخصا او نوعا فيكون المعنى اسرى
بعبده ليلا واحدا من الليالي او نوعا واحدا من انواعها دفعا لتوهم ان يكون الاسراء
في ليال متعددة كما في قوله سيروا فيها ليالي واما للتعظيم والتهويل اي تعظيم زمان
الاسراء كانه قيل اسرى بعبده ليلا اي ليل ليل وفي فيه المحب الى المحبوب وفاز في مقام الشهود

بالمطلوب

بالمطلوب واما للتكثير او التقليل فكان ليلا المنكر بمنزلة اللفظ المشترك الذي لا يتعين
المراد منه الا بالقرينة المعينة للمراد وتصدير السورة بالكلمة الدالة على التعجب التبليغ
قرينة دالة على ان الوارد بعدها امر خارق للعادة وآية عظيمة لا يقدر عليها الا الله
عز وجل فلما قيل بعدها ليلا تعين بتلك القرينة ان المراد منه بعض الليل فان التبعيض
قريب من التقليل فكانه اسرى بعبده في بعض من الليل من مكة الى بيت المقدس
مسيرة اربعين ليلة فتعين بهذه القرينة ان المراد تقليل مدة الاسراء والدلالة على الاسراء
وقع في بعض الليل قوله ليطابق المبدأ المنتهى علة لكون المراد من المسجد الحرام الحرم المحيط
عاطبق شمية احد الملابسين باسم الآخر فانهم اتفقوا على ان المراد بقوله الى المسجد
الاقصى بيت المقدس وكلمة الى فيه لانتهاء الغاية وسمي بالاقصى لبعد المسافة بينه وبين
المسجد الحرام فدل قوله الى المسجد الاقصى انه وصل الى حد ذلك المسجد فاما انه دخل
المسجد ام لا فليس في اللفظ دلالة عليه فلما كان المراد بالمنتهى الحد الملتبس بالمسجد
الاقصى كان المناسب ان يكون المراد بالمبدا ايضا الحد الملتبس بالمسجد الحرام ليطابق
المبدا والمنتهى وقوله واستنعته اي طلبوا منه ان يبين لهم نعت بيت المقدس
والمسجد الاقصى فجلى اي ظهر له في الحال فطفق ينظر اليه وينعته لهم روي عنه عليه
انه قال سألتني قريش عن اشياء لم اتبينها فكربت كربا ما كربت مثله قط حتى
فرفعه الله لي انظر اليه ما سألوني عن شيء الا انبأتهم به قوله ولذلك تعجب قريش
واستحالوه بناء على ان ارتفاع المسجد من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى ما فوق
العرش في مقدار ثلث الليل مما لا يقبله العقل قال الامام ومما يدل على جوازه عقلا انه
ثبت في الهندسة ان قرص الشمس يساوي كرة الارض مائة وستين مرة وكذا وكذا مرة
ثم انا نشاهد ان طلوع القرص يحصل في زمان لطيف سريع وذلك يدل على ان ملوخ الحركة
في السرعة الى الحد المذكور امر ممكن في نفسه غاية ما في الباب انه يبقى التعجب الا ان مثل
هذا التعجب يختص بهذا المقام بل هو حاصل في جميع المعجزات فمجرد التعجب لا يستلزم
الانكار والبطلان وايضا كما يستبعد في العقل صعود الجسم الكثيف من مركز العالم
الى ما فوق العرش فكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحاني من فوق العرش الى
مركز العالم فان كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة ممتنعا كان

كان القول بنزول جبرائيل عليه السلام من العرش الى مكة في اللحظة الواحدة ممتنعا ولو
حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعنا في نبوة جميع الانبياء عليهم السلام والقول بثبوت
المعراج متفرع على تسليم جواز اصل النبوة فثبت ان القائلين بامتناع حصول حركة
جسمانية سريعة الى هذا الحد يلزمهم القول بامتناع نزول جبرائيل عليه السلام في
لحظة واحدة من العرش الى مكة ولما كان ذلك باطلا كان ما ذكر ايضا باطلا فان قالوا
نحن لا نقول ان جبرئيل جسم ينتقل من مكان الى مكان وانما نقول المراد من نزول
جبرائيل عليه السلام هو زوال الحجب الجسمانية عن روح محمد صلى الله عليه وسلم حتى يظهر
في روحه من المكاشفات والمشاهدات بعض ما كان حاضرا منجليا في ذات جبرائيل
قلنا تفسير الوحي بهذا الوجه هو قول الحكماء فاما جمهور المفسرين فهم يقولون بان
جبرئيل جسم وان نزوله عبارة عن انتقاله من عالم الافلاك الى مكة وان كان كذلك
كان الالزام المذكور قويا وهذا تقرير ما ذهب اليه الاكثرون من طوائف المسلمين وذهب
الاقلون الى انه عدم ما اسري الا بروحه روي عن حذيفة انه قال كان ذلك رؤيا وانه
ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اسري بروحه وحكي هذا القول عن
عايشة رضي الله عنها وعن معاوية والذي ذهب اليه اهل التحقيق انه تعالى
اسرى بروح محمد عليه الصلوة والسلام وجسده من مكة الى المسجد الاقصى
واختلف العلماء في ان الاسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة او كل واحد في ليلة
فمنهم من زعم ان الاسراء وقع في اليقظة والمعراج في المنام وذهب اخرون الى
ان الاسراء وقع مرتين مرة بروحه مناما ومرة بروحه وجسده يقظة وذهب آخرون
الى تعدد الاسراء في اليقظة وقال انها اربع اسراءات لتعدد الروايات في الاسراء
واختلاف ما ذكر فيها فبعضهم يذكر شيأ لم يذكره الآخر وبعضهم يسقط شيأ ذكره
الآخر وهذا لا بد له من التعدد لان بعض الرواة قد يحدث بعض الخبر لعلة به ونسيانه
البعض الآخر او يذكر ما هو الاهم عنده او يسقط تارة فوق المخاطب كلمة وتارة يحدث
المخاطب بما هو الانفع له قوله وصرف الكلام من الغيبة يعني ان الجمهور قرؤا لنريه بنون
العظمة على اسلوب قوله باركنا فيه لها التفات من الغيبة في قوله اسرى بعبده الى التكلم
في باركنا وفي لنريه ثم التفت من التكلم الى الغيبة في قوله انه هو السميع فهي الكلام التفاتان

وقرئ

٢٩٨

وقرئ ليريه بياء الغيبة وعلى هذه القراءة تكون في الآية اربع التفاتات لانه التفت اولا
من الغيبة في قوله الذي اسرى بعبده الى التكلم في قوله باركنا ثم التفت ثانيا من التكلم
في باركنا الى الغيبة في ليريه على هذه القراءة ثم التفت ثالثا من هذه الغيبة الى التكلم في
اياتنا ثم التفت رابعا من هذا التكلم الى الغيبة في قوله انه ثم التفت خامسا من هذه
الغيبة الى التكلم في قوله واتينا موسى الكتاب وهو معطوف على الجملة السابقة الدالة
على تنزيه الله تعالى خاطب تعالى عطفا للجملة على الجملة ذكر الله تعالى اكرامه محمدا صلى الله عليه وسلم
بانه اسرى به وذكر في هذه الآية انه اكرم موسى عليه السلام قبله بالكتاب الذي آتاه
والضمير المنصوب في جعلناه يجوز ان يكون للكتاب وهو الظاهر وان يكون لموسى عليه
السلام قوله على ان لا تتخذوا اي على ان يكون الامر مركبة من ان المفسرة ولا الناهية
على طريقة قولك كتبت اليه ان افعل كذا فان ان فيه مفسرة للمفعول المقدر للفظ كتبت
اي كتبت اليه شيأ هو افعل كذا فالمعنى ان حرفا دال على ان افعل كذا تفسير للمفعول
المقدر لكتبت الدال على معنى القول والمدى معناه فكذا ان التي في الآية مفسرة بمعنى
اي تفسر ما تضمنه الكتاب من التكاليف فان نهي بني اسرائيل عن تتخذوا من دوني
وكيلا ايرادا بكلون اليه امورهم في معنى تكليفهم بان يتعبدوا بامتثال جميع ما
كلفهم الله تعالى به من الاوامر والنواهي ولا يلتفتوا الى ما يدعو اليه نفوسهم وطباعهم
ورؤساؤهم الضالون وقرأ ابو عمرو الا يتخذوا بياء الغيبة جريا على قوله لبني
اسرائيل والباقون بناء للخطاب التفاتا وكلمة ان في قراءة ابي عمرو مصدرية ناصبة
للفعل بعدها على حذف الخافض اي وجعلناه هدى لبني اسرائيل وهديناهم به قوله ذرية
على الاختصاص والاوجه ان تكون ان مفسرة على القراءة بياء الغيبة لان في حيز المفسرة
مقول من حيث المعنى والذي يلقى اليه القول لا بد ان يكون مخاطبا كالاوجه لكونها مصدرية
على قراءة للخطاب لان بني اسرائيل غيب قوله نصب على الاختصاص يتخذوا وكلا آي من
دون الله قوله او النداء فالمعنى لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح في
السفينة وهم مؤمنو قومه وبنو اسرائيل من نسل سام بن نوح وبنى النصابة
على النداء على قراءة الا تتخذوا بتاء الخطاب لان النداء انما يكون للحاضر لا لمن غيب
عنهم بقوله الا يتخذوا بياء الغيبة ويحتمل ان يكون انتصاب ذرية على انه مفعول اول
لتتخذوا

وقوله واكبلا ثانيها قدم على الاول وهو ان كان مفردا للفظ الا انه في معنى الجمع والمعنى
لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكلاء كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
ارباباً ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهم السلام قوله او بدل من واو
يتخذوا قال ابو البقاء هذا على القراءة بالياء لانهم غيب يعني قوله ذرية لكونه اسما ظاهرا
منزل منزلة الغائب فلا يصح ابداله من ضمير المخاطب قال ابن الحاجب في الكافية ولا
يبدل ظاهر من مضمر بدل الكل الا من ضمير الغائب نحو ضربته زيدا فان الابدال انما يكون
لتبيين الذات المرادة وتوضيحها فيجب ان يكون البدل اوضح تعريفا وابين دلالة
عليها وضمير المتكلم والمخاطب لتعين مدلولها حسا وعقلا ابين واوضح من الاسم الظاهر
لان مدلوله انما يتعين بحسب الفعل فقط فلو ابدل الظاهر من ضمير المتكلم والمخاطب
لكان المقصود بالنسبة اقل تعيينا ودلالة على الذات المرادة من غير المقصود وهذا
وذا لا يجوز فلهذا جاز ضربته زيدا ولم يجز مررت بي المسكين ولا عليك الكريم قوله
وقيل ايضا اشارة الى وجه ارتباط قوله انه كان عبدا شكورا بما قبله يعني انه استيفاء
لبيان علة ما ذكر قبله وحث الذرية على الاقتداء به قوله واوحينا اليهم وحيا
مقتضيا مبتوتا اشارة الى ان القضاء اتمام الشيء على وجه البتوا لاحكام وضمن
ههنا معنى الايحاء لاقتضاء كلمة الى لما ذكر الله تعالى انعامه على بني اسرائيل بانزال
التورية هدى لهم بين انهم ما اهتدوا بها بل وقعوا في الفساد فقال وقضينا
الى بني اسرائيل اي اعلمناهم واخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون
ومفعول لتفسدن محذوف اي لتفسدن ما كلفتم به بارتكاب المعاصي ومخالفة احكام
التورية ويجوز ان لا يقدر له مفعول اي لتوقعن الفساد وقوله افسادين اشارة
الى ان مرتين منصوب على المصدرية وكذا علوا كبيرا فانه مصدر علا يعلو قوله وقتل شعيا
قد كان عادة الله تعالى انه اذا ملك الملك على بني اسرائيل بعث معه نبيا يسدده ويرشده
لانتزال عليهم الكتب وانما يؤمرون باتباع الاحكام التي في التورية فملك الله تعالى فيهم
ملكا يدعى صدقة فبعث معه شعيا وهو الذي بشر ببعثة عيسى ومحمد بن صلى الله
عليه وسلم وعليهم فملك ذلك الملك بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت
فيهم الاحداث فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل معه ست مائة الف راية فاصل سائرا

حتى نزل

٣٩٩

حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه فوحى الله تعالى الى شعيا
النبي ان ايت ملك بني اسرائيل فمره ان يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء
من اهل بيته فاتى شعيا ملك بني اسرائيل فاخبره ما اوحى اليه فقال الملك الملك لله
رضيت بقضاء الله فاستقبل القبلة فصلى ودعا وبكى بكاء الانابة والتسليم
فطلب الرحمة في الدنيا والآخرة وكان عبدا صالحا فاوحى الله الى شعيا ان يخبر
الملك بان ربه قد رحمه واخر اجله خمسة عشرة سنة وانجاه من عدوه سنحاريب فاتاه
شعيا فاخبره به فخر الملك ساجدا متضرعا فشفى الله تعالى قرحته واصبح جل العدو
كلهم موتى الا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه احدهم بخت نصر فخرج رجل على
باب المدينة يا ملك بني اسرائيل ان الله تعالى قد كفاك عدوك فاخرج فان سنحاريب
ومن معه قد هلكوا فخرج الملك وفتشوا اهل بني منهم احدا فلم يوجد سنحاريب في
الموتى فافترق طالبوه فوجدوه مع اصحابه في خمسة مغارة فجعلوهم في الجوامع
ثم ابوابهم ملك بني اسرائيل فلما رآهم الملك خر ساجدا من حين طلعت
الشمس الى العصر ثم رفع راسه فامر امير عسكره ان يبيدهم بالاغلال وبطاف بهم
حول بيت المقدس وابليا فطاف بهم سبعين يوما متعبدا فاوحى الله تعالى الى شعيا
النبي ان قل لملك بني اسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم
وليكرمهم وليجملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعيا الملك بذلك ففعل فخرج
سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات
والسخلق تحت نصر ابن ابنه ثم قبض الله تعالى ملك بني اسرائيل صدقية فخرج امر
بني اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وبقيهم شعيا معهم لا يقبلون
منهم منه مجمعهم يوما وقام فيهم خطيبا يا بني الله قال الله تعالى خطبة بليغة
ووعظهم وامرهم ونهاهم وحذرهم عقابه تعالى ان اصروا على ما هم عليه فلما فرغ
شعيا من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت
له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ هدبة من ثوبه فادامهم اياها فوضعوا
المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله تعالى
على بني اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشية بن امرص وبعث لهم ارميا

بن حلقيا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نبيا وكان من سبط هرون عليه السلام وذكر انه لخفر واسمه ادما سمي خفر لانه جلس
على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتز خضرا فبعث الله ارميا الى ذلك الملك يسدد
ايرشد ثم عظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم
فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ايت قومك من بني اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به
وذكرهم نعمي وعرفهم باحداثهم فقام ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله عز وجل
في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في اخرها عن الله
عز وجل وانى حلفت بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم
جبارا قاسيا لبه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد
الليل المظلم ثم اوحى الله الى ارميا اني مهلك بني اسرائيل بساقت اهل بابل
فسلط الله عليهم بخت نصر فقتل علماءهم واحرق التوراة وخرب المسجد والتي
فيه الجيف وسبى سبعين الفا وذهب بهم الى بابل فكانوا بها سبعين سنة ثم لما اراد
الله هلاك بخت نصر اتبعت فقال لمن في يديه من بني اسرائيل اراتيم هذا البيت الذي
اخربت والناس الذين قتلت بين يديهم وما هذا البيت قالوا هذا بيت الله وهؤلاء
اهله كانوا من ورائي الانبياء فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وقد
كان ربهم ورب الخلق اجمعين يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم وسلط
عليهم غيرهم فاستكبر وظن انه بجبروته فعل ذلك بهم فاخبروني
كيف لي ان اطلع الى السماء العليا فاقتل من فيها واتخذ بها ملكا فاني قد عرفت من
في الارض فقالوا ما يقدر عليها احد من الخلايق قال لتفعلن او لاقتلنكم من آخركم
فبكوا وتضرعوا الى الله فبعث الله عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت
بأم دماغه فكان يضرب ولا يسكن حتى يوجأ رأسه بالمطارق فمات
شق راسه فوجد البعوضة عاضة في ام دماغه ليرى الله العباد قدرته ونجى الله
تعالى من في يديه من بني اسرائيل فرد وهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على
احسن ما كانوا عليه ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى
وكانت التوراة قد احرقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع
الى الشام يبكي عليها ليلا ونهارا وقد خرج من الناس وهو كذلك اذا قبل اليه رجل

وقال له

وقال له يا عزير ما يبكيك فقال ابكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين اظهرنا الذين لا نقيم
دينا ولا آخر لنا خبره قال افتحب ان ترد اليك ما فات قال نعم قال ارجع فقم وتطهر
وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزير فصام ونظر وطهر ثيابه ثم عمد
الى المكان الذي وعد فجلس فيه فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله
اليه فسقاه من ذلك الاناء فمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل فوضع
لهم التوراة فاحبوه حتى لم يحبوا احدا قبله شيئا قط ثم قبضه الله وجعلت بنو اسرائيل
كانوا فريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من انبيائهم
زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فمات زكريا وقيل
قتل زكريا ويحيى وقصد واقتل عيسى عليهم السلام وهذا هو المرة الثانية
من افسادهم فسلط عليهم الفرس مرة اخرى ثم انهم اختلفوا فان الصابئين الذين
بعثهم الله على بني اسرائيل حين تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وسفكوا الدماء
الذين هم اول الفاسدين من بني اسرائيل فقتل فيهم بخت نصر وجنوده وقتل فيهم جالوت
وجنوده سلطهم الله تعالى عليهم حتى حتى اهلكهم وفرقهم الى ان رد الله تعالى
عليهم الكرة بتقوية طالوت محاربة جالوت فلما التقى العسكران تقدم جالوت
وطلب من يقابله فقتله داود وقيل سخارب فال الامام لا يتعلق كثير غرض
في معرفة الاقوام باعيانهم بل المقصود من هذه الآيات بيان ان بني اسرائيل
افسدوا في الارض بكثرة المعاصي فسلط الله عليهم قوما قهروهم بالقتل والسبي
وتخريب الديار ثم رد الله تعالى اليهم الدولة وامدهم باموال وبنين ثم افسدوا
مرة ثانية فرجع الله اليهم بالقهر وان عادوا الى الافساد عاد الله تعالى اليهم بالقهر
والتعذيب والجوس بفتح الجيم وضمها مصدر جاس يجوس اي فتش وطلب
الشئ باستقصاء كما يجوس الرجل الاخبار ويطلبها والخلال هو الانفراج بين
الشيئين والديار بيت المقدس ثم انه تعالى لما بين ان افسادهم الاولى ادت
الى ان بعث الله تعالى عليهم قوما اولي باس شديد فقهروهم بالقتل والاسر
ونحوهما بين عاطف الاستبشار ان ضرر اساءتكم وعصيانكم لا يتعدى
اليغيركم فان حقيقة الحال انكم ان احسنتم واطعتم الله تعالى فمنفعة ذلك الاحسان

لا ترجعوا الا اليكم وان اسأتم فمنفرتها لا تتعدى عنكم الى غيركم روى علي رضى الله عنه
قال ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه قوله فحذف لدلالة ذكره اولا اى حذف جواب
اذا وهو قوله بعثناهم لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله بعثنا عليكم عبادا لنا وكذا
حذف موصوف الآخرة فان التقدير وعد المرة الآخرة للعلم به قوله اى ليجعلوه باديه
آثار المساءة فيها يعنى ان المساءة وهى الحزن من الاعراض النفسانية القلبية ولا
تتعلق بالوجوه الا انها عدّيت الا الوجوه لكون اثرها باديا فيها فانه اذا حصل الفرح
فى القلب ظهرت النضرة والاشراق فى الوجه وان حصل الحزن والخوف فى القلب ظهر
الكلوح والغبرة والسواد فى الوجه فلهذا عدّيت المساءة الى الوجه فى هذه الآية قوله
قرئ ليسوءن على الاوجه الاربعة بنون العظمة وبنون التاكيد المخففة والمثقلة
وبياء الغيبة ونون التاكيد واللام مكسورة فى الجميع على انها لام الامر والجملة جواب
اذا ولكن على حذف الفاء اى فليسوءن ان لما تقرر فى النحو من ان الجزاء اذا لم يكن ماضيا
بغير قد لفظا او معنى ولم يكن المضارع منفيا بلا وجب دخول الفاء فى الجزاء
سواء كان جملة اسمية كقوله تع افان مت فهم الخالدون او امرا كقوله تع قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعونى او نهيا كقوله تع فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن
الى الكفار او غير ذلك وقرئ ليسوءن على الاوجه الاربعة بفتح اللام على انها لام القسم
وهو جواب قسم مقدر لفظا وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه والتقدير
والله ليسوءن وجوهكم ان بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد فسرنا اليكم
فسؤنا وجوهكم ولا يجوز ان يكون جواب القسم والشرط معا فلا حاجة الى تقدير جواب ولا يجوز
ان يكون قوله وليدخلوا المسجد معطوفا على ليسوءن بل يتعلق بمحذوف معطوف
عليه تقديره وبعثناهم ليدخلوا وانما اتى بالواو وليعلم انه معطوف على جواب الشرط
وبالجملة من جعل اللام الاولى لام كى جعل اللام التى فى قوله وليدخلوا ايضا لام كى
معطوفة عليها عطف علة على اخرى ومن جعلها لام امر او لام قسم جعل اللام فى
ليدخلوا لام التعليل متعلقة بمحذوف وان جعلت الاولى لام امر يجوز ان تكون
الثانية ايضا كذلك وقوله كما دخلوه صفة مصدر محذوف قوله ما غلبوه على ان يكون
ما موصولة منصوب المحل على انه مفعول به اى ليهلكوا الذى علوه وغلبوا عليه وظفروا
به وقوله مرة علوهم على ان تكون مصدرية قائمة مقام الوقت كما فى قولك آتيك خفوق
النجم اى زمان خفوقه فيكون حذف ذكر المفعول اما لقصد التعميم او لتنزيل الفعل منزلة اللازم

نحو هو يعطى ويمنع وقوله تتبيرا مصدر مؤكد كما فى قوله تع وكلم الله موسى تكليما اى
حتما لا شك فيه قوله وذلك بان سلط الله يعنى بعث العباد اولى البأس الشديد عند
افسادهم مرتين ثانيتهما بقتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام وقيل بان
سلط الله تع عليهم الفرس مرة اخرى حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم فذلك
قوله تع ليسوءوا وجوهكم الاية وقوله تع عسى ربكم ان يرحمكم من جملة ما قضاه الله
تع الى بنى اسرائيل فى التوراة والمعنى لعل ربكم يا بنى اسرائيل ان يرحمكم ويعفو عنكم
بعد انتقامه منكم مرة ثانية ثم عاد الله عليهم برحمته حتى كثروا وانتشروا ثم انهم قد
عادوا بالتكذيب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فعاد الله تع عليهم بالتعذيب
على ايدى الروم فجرى على بنى النضير وقريظة وبنى قينقاع وبهود خيبر ما جرى
من القتل والجلاء ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لا ملك لهم ولا سلطان ابدا
قوله محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابدا جواب عما يقال ان قوله حصيرا فعيل بمعنى
فاعل وقد اجرى على جهنم وهى مؤنث سماعى فينبغى ان يقال حصيرة بالتاء لما
تقرر من ان فعيلا بمعنى فاعل يلزم تأنيثه وبمعنى مفعول يجب تذكيره وما جاء
شاذا من النوعين يجب تأويله وتقرير الجواب ان جهنم مؤول بالسجن والحبس
وقيل انها فى معنى الفراش والبساط ويجوز ان يقال تانيث جهنم مجازى فلذلك
ذكر صفته ثم انه تع لما شرع فى معاملته مع عباده المخلصين وهو اسرار سيد
المرسلين وابتداء التوراة لموسى عليه الصلوة والسلام وبين ما فعله فى حق
العصاة بتسليط من يعذبهم عليهم وتبين بهذا ان طاعة الله تع توجب كل خير
ومعصيته توجب كل بلية وضرر لا جرم اثنى على القرآن فعال ان هذا القرآن
يهدى الاية قوله للتى صفة لمحذوف اى للطريقة التى هى اقوم الطرق وعدل الى
اللام مع ان الذكر هو الاصل ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يهدى اليه
القرآن من وجود الخير فان ابهام الموصوف وعدم تعيينه بنحو الملة او الطريقة
او الحالة او الخصلة يؤدى الى ان يشتغل الذهن بالهوا الى ما يشاكلها فكانه قيل
يهدى لما لا يدخل تحت الوصف والظهر بخلاف ما لو ذكر واحد من الامور المذكورة
فان ذلك يتعين ح وصيغة اقوم ههنا للزيادة المطلقة كما فى قولنا الله اكبر لان

لان ما يهدي اليه القرآن من الملل والشرايع لا يشاركه سايرالاديان والملل في اصل
الاستقامة حتى يقال حصولها في هذه الملة اكثر واكمل من حصولها في غيرها وصف الله
تعالى القرآن بثلثة اوصاف اولها انه يهدي للتي هي اقوم وثانيها انه يبشر المؤمنين
الذين اهتدوا بما يهدي اليه القرآن من الطرق بالاجر الكبير لان من سلك اقوم الطرق
لابد ان يفوز باعز المقاصد ولما كان الاجر الكبير مبشرا به وجب ان يكون تقدير
قوله تعالى ان لهم اجرا كبيرا بان لهم وحذف حرف الجر من ان وان كثير شايع
والصفة الثالثة قوله تعالى وان الذين لا يؤمنون الاية فانه ان كان معطوفا على قوله
ان لهم اجرا كان المعنى ويبشر المؤمنين بان لاعدائهم عذابا اليما وان كان معطوفا
على يبشر باضمار يخبر يكون المعنى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر
المؤمنين بكذا ويخبر بان الذين لا يؤمنون كذا فان قيل هذه الاية في شرح
احوال اليهود وهم ما كانوا ينكرون الاتيان بالآخرة فكيف يليق بهذا الموضع
قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما اجيب عنه بوجهين
احدهما ان اكثر اليهود ينكرون الثواب والعقاب الجسماني والثاني انهم يؤمنون
بالاخرة على خلاف ما هي عليه كقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة فمثل هذا
القول ليس ايمانا بحقيقة الاخرة ثم انه تعالى لما بين شان القران وكونه مدارا
لمنافع الدارين بين ان الانسان قد يعدل عن التمسك بشرايعه والرجوع
الى بيانه وتقدم على ما لا فايدة له فيه فقال ويدع الانسان بالشر في الموضعين
متعلقة بالدعاء اي يدعو الله عند غضبه بما يعلم انه شر او بما يحبه انه خير
وهو شر له مثل دعائه بما هو خير في نفسه وفي علم الله ان يثبت واو
يدعو لانه في موضع الرفع الا انه لما وجب سقوطها لفظا لاجتماع الساكنين
اسقطت في الخط ايضا على خلاف القياس ونظيره سندع الزبانية وسوف
يوت المؤمنين قوله صبرا اي مصبورا يقال قتل فلان صبرا اذا حبس على
القتل حتى يقتل قوله تدل على القادر الحكيم كانه اشارة الى وجه انتظام الاية
بما قبلها فانه لما سبق ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وكان اقوم الاحوال
المتعلقة بالاعتقاد الاعتقاد بان هذا العالم لا بد له من صانع قادر حكيم ذكر ما يكون

هاديا

هاديا ودليلا يؤدي الى هذا الاعتقاد قوله مضيئة لما كان الابصار عبارة
عن ادراك الشئ بحاسة البصر وذلك لا يتصور في النهار جعل الابصار مجازا
عن الاضاءة على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب حيث ان الاضاءة سبب
لحصول الابصار ويجوز ان يكون بناء ابصر للتعدية يقال بصرت بالشئ
اذا علمته قال تعالى بصرت بما لم يبصروا به فلا يكون ابصرت الشئ بمعنى رايته
بل بمعنى بصرته وعرفته فيكون اسناد الابصار الى النهار من قبيل الاسناد
للحكم الى سببه قوله او مبصرا اهله على ان يكون تركب ابصر الرجل لاسناد
الفعل الى فاعله والمراد اسناده الى من يلابس ذلك الفاعل كما يقال اضعف
الرجل اذا اضعفت ماشيته واجبن الرجل اذا كان اهله جبناء فقوله كما
ابصرت النهار معناه ابصر اهلها وهذا على تقدير ان يكون المعنى وجعلنا نفس الليل
والنهار آيتين وقيل ليس المراد بالآيتين نفس الليل والنهار بل ما فيهما
من النيرين الشمس والقمر على حذف المضاف امامن الاول والتقدير وجعلنا
منيري الليل والنهار آيتين واما من الثاني او وجعلنا الليل والنهار ذوي
آيتين فعلى هذا لا يكون اضافة آية الليل وآية النهار بيانية بل يكون بمعنى
اللام وقوله تعالى وكل شئ فصلناه منصوب على الاشتغال ورجح نصبه لتقدم
جملة فعلية وكذلك وكل انسان الزمناه وذكر المصدر وهو قوله تفصيلا
لاجل تاكيد الكلام وتحقيقه كانه قيل فصلناه حقا واليه اشار المصنف
بقوله بيانا غير ملتبس لما بين الله تعالى من اول السورة الى هنا ان سعادة
الانسان دائرة على طاعة الرحمن وشقاوته منوطة بالعصيان وبين
ايضا شان القران وانخطاط شان الانسان وان من جملة ما في القرآن
من البيان بيان ان الليل والنهار آيتان اتبعه بقوله وكل شئ فصلناه تفصيلا
ثم صرح بان من جملة ما بينه الله تعالى ان كل ما قدر الله تعالى على الانسان وحكم به
عليه في سابق علمه لازم له اي يجب حصوله له ويمتنع زواله عنه فقال وكل انسان
الزمناه طايره اي عمله وسائر ما قدر له من السعادة والرزق والمصايب وكونه
طويل العمر او قصيره سليم الاعضاء او معيبها ونحو ذلك قوله كما قد طير اليه من عش

الغيب

وذكر القدر اشارة الى ان الطائر مستعار لعمل الانسان وما قدر له تشبيها له بالطائر
الحقيقي في وصوله الى الانسان من المرّ الاصلي كما ان الطائر للحقيقي يأتي الى كل ما يأتي
اليه منتقلا من عشه وذكره لذلك للحوادث تنتهي الى الانسان بعد شروعها في علم الله
تعالى وعالم الغيب وذكر الطائر عشه حيث ما كان من شجر او جبل وعُشّ الطائر
موضعه الذي يجمعه من دُقاق العيدان وغيرها في افنان الشجر فاذا كان في جبل
او جدار او نحوهما فهو وكر والاضافة في قوله عُشّ الغيب وذكر القدر بيانية
والقضاء هو الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص
والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء في اوقاتها استعير العش والوكر لعالم الغيب
والتقدير العلمي قوله لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون ايّ لما جعلوا الطائر سببا
للخير والشر والسنوح اليه باعتبار سنوحه وبروحه استعير الطائر لما كان سببا لهما
وهو قدر الله وقسمته وعمل العبد وكسبه فان رحمة الله تعالى ونعمته يترتب على
كل واحد من تقديره الازلي وعلى العبد فكانا سببي الخير والشر وسنوح الطائر
عبارة عن مروره من ميامن الانسان الى ميامنه وبروحه عبارة عن ضد ذلك
يتيمنون بالاول ويتشاءمون بالثاني شبّه المصنف المقدرات المكتسبة
والتقدير الازلي بالطائر على ذوق العرب وجعل هذا التشبيه طريقا لاطلاق
اسم الطائر عليها بعد ما اشار الى تحقق المشابهة بين الاعمال والطائر من وجه
آخر وهو المجيء من المرّ الاصلي قوله لزوم الطوق في عنقه الظاهر ان ليس المراد به
تقدير متعلق قوله في عنقه لان اللزوم والالزام لا يتعديان بفي بل
المقصود الاشارة الى ان قوله في عنقه جيء به بعد تمام الكلام بقوله الزمناه
لمائرة للدلالة على كمال الالزام بحيث لا سبيل الى ان ينفك عنه ما قدر له من الخير
والشر اصلا فانه اذا قصدت المبالغة في الزام الشيء لاحد يقال جعلت هذا
الشيء في عنقك اي قلدتك اياه والزمتك حفظه لان من حظيت رغبته في حفظ
الشيء يربطه على عنقه ويجعله في موضع العلاوة قال اهل المعاني انما خص العنق
من بين سائر الاعضاء بكونه محل الالزام لان ما علق عليه يكون لزوم بالشخص
لان الذي عليه اما خير بيّن او شر بيّن وما يتزين به يكون كالطوق والحلي

وما يتشين يكون كالغل وكل واحد منهما مما يلازم صاحبه وانا اقول الظاهر ان يقال
الزمناه عنقه بالنصب على انه بدل من مفعول الزمناه الا انه جيء بجملة في للدلالة
على كمال الالزام حتى كان الطائر كائنة شيء حال في عنقه لا امر معلق عليه قوله ونصبه
اي نصب كتابا يحتمل ان يكون على انه مفعول به لنخرج بنون العظمة مضارع اخرج ويحتمل
ان يكون على انه حال من المفعول المحذوف اذ التقدير ونخرجه لكتابا اي يخرج الطائر
ويعضده قراءة ونخرج بفتح الياء وضم الراء اي نخرج الطائر كتابا وكذا قراءة
يخرج بضم الياء وفتح الراء اي يخرج الطائر كتابا قال الحسن يا ابن آدم بُسطت
لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ
حسناتك واما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت
صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى يخرج لك يوم القيمة فعلى هذا قوله تعالى ونخرج
له معناه نخرج من قبره قوله لقيته كفاحا وهو منقول بتضعيف العين من لقيت
الشيء فيتعدى الى اثنين قال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا قوله لكشف الغطاء هذا
على ان يكون المراد بالكتاب المخرج له يوم القيمة نفس المنتقشة بآثار اعماله
فان كل عمل يصدر من الانسان كثيرا كان او قليلا قويا كان او ضعيفا
فانه يحصل بسببه في جوهر النفس الانسانية امر مخصوص فان كان ذلك الاثر
اثرا يجذب الروح من حضرة الحق الى الاشتغال بالحق كان ذلك من موجبات
الشقاوة والخذلان وان كان يجذبه الى التمثل والانقطاع اليه تعالى كان
موجبا للسعادة والايمان الا ان تلك الآثار تحتجب ما دام الروح متعلقا
بالبدن لان اشتغال الروح بتدبير البدن يمنع من انكشاف هذه الاحوال
وظهورها واذا انقطع تعلق الروح عن تدبير البدن وتخلص عن كدورة
تحجبه بحجاب البدن فحينئذ يزال الغطاء وانكشف الحجاب فيخرج من عش
البدن المظلم حال كونه كتابا منتقشا بآثار الاحوال الصادرة في الدنيا
ويكون قوله اي كفى نفسك فعلى هذا ينبغي ان يؤنث الفعل التأنيث فاعله
كما في قوله تعالى وما يتهم من اية الا انه ذكر لكونه مسندا الى ظاهر المؤنث الغير
الحقيقي وفي مثله يجوز الامران ويكون هذا الكتاب في هذا الوقت كأنه منشورة

بعد ان كانت مطوية مغمورة في ظلمة البدن وعند ذلك تشاهد القوة العقلية جميع
تلك الاشياء مكتوبة بالكتابة الذاتية في جوهر الروح فيقال له في تلك الحالة اقرأ
كتابك ثم يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فان كانت تلك الآثار من موجبات
الشقاوة حصلت الشقاوة لا محالة واعلم انه تعالى جعل كل ما يصدر من العبد
باختياره من قول وفعل ولحظة وفكرة ونحو ذلك مما تعلق به الارادة الازلية
والعناية الالهية كالطير الذي يطير اليه وذلك لانه تعالى قدر لكل احد في الازل
مقدارا من الخير والشر فذلك الحكم الذي سبق في علم الازلي لا بد وان يصل اليه
فذلك الحكم الآن كانه طائر يطير اليه من الازل الى ذلك الوقت فاذا حضر ذلك الوقت
وصل اليه ذلك الطائر وصولا لا خلاص عنه البتة ولا انحراف عنه فاذا علم
الانسان ان كل ما حدث من ذلك بمنزلة طائر طيره الله تعالى على منهاج معين
وطريق مخصوص وانه لا بد وان يصل اليه ذلك الطائر فعند ذلك يعرف ان الكفاية
الابدية لا تتم الا بالعناية الازلية والارادة السابقة ثم ان كل طائر وصل اليه
من عالم الغيب محفوظ في صحيفة عمله او انتقش منه اثر في جوهر روحه
يلقى اليه ذلك الكتاب منشورا ويجازى على حسب ما فيه كما به ثم انه تعالى بين
ان ثواب العمل الصالح وعقاب العمل السيئ يختص بفاعله لا يتعدى منه الى غيره
فقال من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ثم قرر ذلك
بقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الزجاج وزر يزر وزرا فهو وازر
معناه اثم يأثم اثما فهو آثم عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة قال اتبعوني
وانا احمل اوزاركم فقال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم انه تعالى لما بين انه لا يعذب
احدا بما يعلم منه من اختياره المعاصي واتباعه الشهوات ما لم يجعل به اليه لا يجعل
علم حجة على من علم منه انه اذا امر عصاه بل يبعث اليه رسولا يمهد له
الشرائع فاذا خالف ما أمر به من الطاعات وظهر عصيانه منه للناس
فحينئذ يعذبه لانه تعالى الزم عليهم الحجة ببعثة الرسل ولم يبق للناس على الله
حجة بعد بعثتهم قال تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لو لا
ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى وقال ههنا وما كنا

معذبين

القضاء والقدر

معذبين حتى نبعث رسولا يلزمهم الحجة اعلم ان طريق تعذيبه من قضى عليه الشقاوة
في الازل وعلم منه اختيار الضلالة فقال واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها
قضى الله تعالى باهلاكها لعلمه بان اهلها يختارون الضلالة على الهدى فان الحوادث
كلها مسبوقة بقضاء الله تعالى وقدره والقضاء عبارة عن الارادة الازلية والعناية
الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر عبارة عن تعلق
تلك الارادة بالاشياء في اوقاتها لانفاذ القضاء السابق امرنا مترفيها اي عظماءها
الذين ابطرتهم النعمة وسعة العيش بطاعة الرسول الذي بعث اليهم حتى اذا
عصوه عنادا ومكابرة فعند ذلك يهلكون ولا يهلكون بمجرد علمنا بانهم لا يعبدون
لا يقدمون الا على المعصية ولا يختارون الا متابعة الهوى والشهوة فمعنى
الآية اذا اردنا امضاء ما سبق من القضاء باهلاك قوم امرنا المتنعمين المغترين
الظانين ان اموالهم واولادهم وانصارهم شر ذب عنهم باسنا بالايمان والعمل
بشرائع دين على ما يبلغهم عن رسول ففسقوا اي خرجوا عما امرهم الله
فاستحقوا العذاب فحق عليهم القضاء السابق باهلاكهم لظهور معاصيهم
فحينئذ يدمرناهم والحاصل ان المعنى واذا اردنا ان نهلك قرية بسبب علمنا بانهم
لا يقدمون الا على المعصية لم نكتف في تخريبها ذلك الاهلاك بمجرد ذلك العلم
بل امرنا مترفيها ففسقوا واذا ظهر منهم ذلك الفسق فحينئذ تقع العذاب الموعود به
وهذا كالتقرير لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان
ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا وقوله وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم واهلها غافلون فلما حكم الله تعالى في هذه الآيات انه لا يهلك قرية حتى
يخالفوا امر الله لاجرم ذكر ههنا انه يأمرهم فاذا خالفوا الامر فعند ذلك
استوجبوا العذاب والاهلاك المعبر عنه بقوله فحق عليها القول فدمرناها
تدميرا اي اهلكناها اهلاك الاستيصال والدمار اهلاك الاستيصال فقوله
لانفاذ قضائنا السابق اشارة الى دفع ما يقال انه تعالى كيف يريد اهلاك قوم
ابتداء الا ان من غير ان يسبق منهم ما يستحقون الاهلاك بسببه مع انه تعالى قال
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال وما كنا مهلكي القرى الا واهلها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واهلها فاسلمون ثم اشار الى دفعه بوجه آخر وهو ان المراد باراده اهلاكها توقت
هلاكها تشبيها له توقت الشئ باراده له من كونه كالسبب المؤدي اليه كما يقال
اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة واذا اراد التاجر ان يفتقر اتاه
الخسران من كل جهة وليس المراد ان المريض يريد ان يموت حقيقة والتاجر يريد ان
يفتقر حقيقة بل الارادة مجاز عن دنو الوقت لكونه كالارادة في التأدي الى الموت
والفقر فكذا الحال ههنا قوله ودل على ذلك ما قبله وما بعده يعني انه تعالى قال امرنا مترفيها
ولم يصرح بما ذا يأمرهم فاختلف العلماء في ان المأمور بهم ما هو فذهب الاكثرون
الى ان المراد به الطاعة وذهب صاحب الكشاف الى ان المراد به الفسق وان المعنى
امرناهم بالفسق ففسقوا وجعل امرهم بالفسق مجازا عن ان يصيب عليهم انواع
النعم حتى وجدوا ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فصاروا بذلك كانهم
مأمورون بالفسق والا فلا وجه لامرهم بالفسق حقيقة بان يقال لهم افسقوا
وشدد النكير على من جعل المعنى امرناهم بالطاعة ففسقوا وقال انه تقدير
شئ لا دليل عليه هيهات الاعراض عن تقدير ما يدل عليه الدليل فان قوله تعالى امرنا
مترفيها ففسقوا فيها يدل على ان المعنى امرناهم بالفسق ففسقوا فانه قبيل امرته
فقام وامرته فقرأ الا يفهم منه الا ان المأمور به قيام او قراءة فكذا فيما نحن فيه
لا يفهم الا ان المأمور به هو الفسق لا امر آخر فتقدير الطاعة تقدير شئ لا دليل
مع العدول عما يقتضيه الدليل ومنع المصنف كونه تقديرا بلا دليل وقال ان ما
بعد وما قبله يدل على ان المقدر هو الطاعة اما دلالة ما بعده عليه فلان الفسق
هو الخروج عن الطاعة الخ واما دلالة ما قبله عليه فلان الرسول انما يبعث ليطاع
ويعمل بالشرايع التي يبلغه الرسول عن الله تعالى اليهم فيطيعوا ربهم فيما امرهم به
فيدل ذلك دلالة ظاهرة على ان المعنى امرنا مترفيها بان يطيعوا الرسول الذي
بعث اليهم قوله او التسبب له لا معنى لكلمة او ههنا لان الحمل على الفسق لا يحمل له
سوى التسبيب قوله وقيل معناه كثرنا قراءة الجمهور امرنا بالتخفيف والقصر وفيه
وجهان احدهما انه من الامر الذي هو ضد النهي وقد مر ما يتعلق بهذا الوجه وثانيهما
ان امرنا بمعنى كثرنا فالواحدي قال العرب تقول امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا حج

ويستعمل ايضا متعديا بمعنى امر بالمد ابي كثر واستعمل في الاية متعديا فيكون فعل
وافعل بمعنى وهو معنى قول المصنف يقال امرت الشئ وامرته نامس اذا كثرته واستدل
على استعمال الثلاثي متعديا بقوله عم خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة
اي مكثرة كثر الله ولدها فلولا ان الثلاثي متعد يبنى منه اسم المفعول وقرئ
امرنا بكسر الميم بمعنى امرنا بالفتح روي عن ابن زيد امره الله وامره بفتح الميم
وكسرها وقرئ امرنا بالمد والهمزة فيه للتعدية حكى الجوهري عن ابي عبيدة
ان آمرته بالمد وامرته لغتان بمعنى كثرته ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة
او سكة مأبورة اي كثيرة النتاج والنسل وامر هو اي كثر فخرج على تقدير قولهم
علم فلان ذلك واعلمته انا ذلك قال يعقوب لم يقله احد غيره قال الحسن امر ماله
بالكسر اي كثر وامر القوم اي كثروا وآمر الله ماله بالمد وانما قيل مهرة مأمورة
للازدواج والاصل مومرة على مفعلة كما قالوا في دم للناقة ارجعن مازورات
غير ماجورات وانما هو موزورات من الوزر فقيل مازورات للازدواج
بقوله ماجورات وقرئ ايضا آمرنا بالتشديد وفيه وجهان احدهما ان يكون
التضعيف للتعدية عدي الفعل تارة بالهمزة واخرى بتضعيف العين والثاني
ان يكون بمعنى جعلناهم امراء وفي الصحاح امر فلان وآمر ايضا بالضم اي صار اميرا
والمصدر الامرة بالكسر والامارة والمهر ولد الفرس والجمع امهار ومهار
والانثى مهرة والجمع مهر ومهرات وفرس ممهر اي ذات مهر والسكة الطريقة
المصطفة المقطعة من النخل وسكة مأبورة اي ملقحة يقال ابر فلان نخله
ابرا لقحه واصلحه وتابير النخل تلقيحه قوله وهو ايضا مجاز من معنى الطلب اي كما ان
امرناهم بالفسق مجاز من الحمل عليه والتسبب له فكذا امرناهم بمعنى كثرناهم ايضا
مجاز من قبيل اطلاق ما يدل على السبب وارادة المسبب فانك اذا قلت امر الله
المهرة او امر الله المترفين واردت معنى كثرهم فقد استعملت الامر الذي هو
ضد النهي لازم معناه فانه تعالى اذا قال للمهرة كوني كثيرة النتاج او قال للمترفين
كونوا كثيرة الاعوان والاموال وكثرة العدد والعدد تكون كثرتهم لازمة له متفرعة
عليه لامحالة قوله بحمله او بظهور معاصيهم الاول على ان يكون قوله فحق عليهم

القول للتفريع لكم على السبل السبب المؤدي اليه والثاني على ان يكون التركيب من قبيل
قولك اطعمته فاشبعته وسقيته فاروته فان الاشباع ليس حكما مترتبا على الاطعام
وكذا الارواء ليس امرا مغايرا للسقي فان كلمة الفاء في مثلها للتفسير ما قبلها وتبيينه
فيكون تحقق كلمة العذاب السابقة عبارة عن ظهور فسقهم ومعاصيهم الثابتة
في العلم الازلي والقضاء السابق وهذا على ان يكون امرنا من الامر الذي هو ضد النهي
وان كان عن كثرة فان يكون قوله فحق عليها القول بيانا لانها كلهم في المعاصي لان تكثير
المترفين وتسليطهم على الضعفاء وتفريع الفسق عليه يستلزم اهلاك الجميع
في الفسق ثم انه تعالى لما بين طريق اهلاك قوم يستحقون الاهلاك وهو ترتيب
الاهلاك على ظهور معصيتهم الثابتة في العلم الازلي بين ان الاهلاك على الطريق
المذكور كان عادته مع الذين فسقوا وتمردوا من القرون الذين كانوا بعد نوح
عليه السلام تخويفا لكفرة مكة فقال وكم اهلكنا الآية قوله كم منصوب باهلكنا
ومن القرون تمييز لكم ومن في من بعد نوح لابتداء الغاية ولما اختلف معنيهما
جاز اتحاد متعلقهما والقرن مائة وعشرون سنة وبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اول قرن آخره يزيد بن معاوية وقيل مائة سنة وقيل ثمانون
سنة وقيل اربعون سنة قوله بذنوب عباده متعلق بخبيرا قدم على عامله
والخبير هو الذي لا يغرب عنه الاخبار الباطنة فلا يجري في الملك والملكوت شيء
ولا يتحرك ذرة ولا تسكن ولا يضطرب نفس ولا تطمئن الا ويكون عنده خبره
وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة سمي خبرة وصاحبه
خبيرا كذا في المقصد الاقصى للامام الغزالي رحمه الله وما كان متعلق الخبير بواطن
الامور ومتعلق البصير ظواهرها قدم الخبير على البصير لكون البواطن متقدمة
بالشرف على الظواهر قوله متصورا عليها اهم اغافيده به لقوله تعالى ثم جعلنا له جهنم
ومن المعلوم ان من يريد الدنيا والاخرة معا لا يكون حكمه كذلك ومن في من كان
شرطية ومجلنا جوابها وما نشاء مفعوله ولمن نريد بدل بعض من كل من ضمير له
باعادة العامل تقديره لمن نريد تعجيله له وقوله تعالى ثم جعلنا له جهنم جعل هنا
تصييرية ومفعولاها له جهنم لانعقاد الجملة عنهما وقيل ثانيهما محذوف اي مصيرا

ومأوى

ومأوى ويصلاها حال امامن الضمير في له وامامن جهنم ومذموما حال من فاعل يصلاها
قوله وقيل الاية في المنافقين فيكون المعنى من كان يريد العاجلة بعمل الآخرة كالجهاد
والصوم والصلوة وهو معطوف من حيث المعنى على قوله متصورا عليها هم فانه يتناول
المنافق والكافر المجاهر والمراد بالعاجلة الدنيا لانها تكون قبل الآخرة قيل هذه
الآية مرتبطة بقوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره اي ما قدر له وما طير اليه
من غيب الغيب بين اولا ان ما قدر له من الاعمال يصدر عنه لا محالة ثم بين ان ذلك
العمل محفوظ بلقاه مكتوبا يوم القيمة فهو يجازى على حسب عمله وبين ههنا ان
العمال في الدنيا قسمان منهم من يريد بعمله الدنيا وينصرف عليها فحاله انا نعجل
القدر الذي نشاء تعجيله في الدنيا لا القدر الذي يشاؤه العامل لمن نريد ان
نعجل له شيئا فيها الا ان عاقبته جهنم ندخله فيها فيصلى بحرها مذموما اي ملوما
مدحورا اي منفيا مطرودا عن رحمة الله تعالى استثنى الله تعالى به الا ان عقوبة من
قصر همه على الدنيا مقرونة بالذم والاهانة وان تلك المغفرة دائمة خالية
عن شوب المنفعة فقوله ثم جعلنا له جهنم يصلاها اشارة الى المغفرة العظيمة وقوله
مذموما اشارة الى اقترانها بالذم والاهانة وقوله مدحورا اشارة الى البعد
عن رحمة الله تعالى وذلك يستلزم ان يكون تلك المغفرة خالية عن شوب النفع
والرحمة بكونها دائمة غير مبدلة بالخلاص والراحة قوله حقها من السعي
اشارة الى ان قوله سعيها مفعول مطلق للنوع وهذا المعنى مستفاد من
اضافة السعي الى ضمير الاخرة وعبر بالاولئك وان لهم كانوا يرون عموم
انهم انما يسعون فيما عملوه طلبا لمنافع الاخرة ويقولون انه العالم اجل واحكم
من ان يقدر الواحد منا على اظهار عبوديته وخدمته بل غاية قدرتنا ان نشغل
بعبادة بعض المقربين من عباد الله كالملك والكوكب ونحوهما ثم ان ذلك
المقرب يشغل بعبادة الله تعالى فانهم لا يتقربون الى الله تعالى بهذا الطريق
بل هو تقرب بما يخترعون بآرائهم الفاسدة واللام في لها لام العلة اي سعى
لاجل الآخرة وهو بدل على ان السعي انما يثاب على سعيه اذا كان سعيه مقرونا
بالنية والاخلاص وحاصل الآية ان القسم الثاني من العمال من تحقق فيه اربعة امور

والطد

الراغب الدواء والطرد والابعاد والخلع والقذف
من كل جانب وصرا بمعنى واحد وهو مصدر
وابعد مصدر ابعد في الحج ٧ ٧

شبكة الألوكة
www.alukah.net

احدها ان يريد الآخرة ليؤتيها ومنافعها ولا يقصر همته على الدنيا وثانيها ان يسعى
سعيا يليق بالآخرة وثالثها ان يكون سعيه مقرونا بالنية والاخلاص لا كمن تاجر
الى المدينة لاجل ان يتزوج بامرأة فيها ولا كمن تاجر لاجل ان ينال منفعة الدنيا والآخرة
ورابعها ان يكون هذه الامور المذكورة مسبوقة بالايمان الصحيح فعند اجتماع هذه
الشرائط يكون السعي مشكورا والعمل مبرورا وشكر العبد عبارة عن ان يجعل جوارحه
وجنانه ولسانه مشغولا بالافعال الدالة على تعظيم المنعم بان يعتقد بجنانه
ان المنعم يحسن فيما انعم عليه ويثني عليه بلسانه ويأتي بافعال تدل على كونه المنعم
معظما عند ذلك الشاكر كما قيل افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا
والله تعالى عامل المطيعين بهذه الامور الثلثة فانه تعالى عالم بكونهم محسنين في تلك
الافعال وانه يثني عليهم بجلاله القديم وانه تعالى يعاملهم بمعاملات دالة على كونهم
مطيعين عند الله ولما اتصف الله تعالى بهذه الامور الثلثة بالنسبة الى المؤمن
المطيع وصف تعالى نفسه بانه شاكر وجعل المؤمن مشكورا على طاعته من قبل الله تعالى
ثم انه تعالى بين ان من يريد العاجلة يعجل له فيها القدر الذي يشاء الله تعجيله ومن يريد
الآخرة يثاب على سعيه وطاعته بين ان كلا من الفريقين يعطى ما قسم له من
الاموال والاولاد ونحوهما مما ينتفع به في الدنيا على وجه يكون آلة مدد السالفة
ولا يحرم عن العاجلة من اراد الآخرة وان كان يحرم من الآخرة من قصر همته على العاجلة
فان العطايا الدنياوية لا يمنع عن احد مؤمنا كان او كافرا لان الكل مخلوق في
دار التكليف والعمل توجب ازاحة العذر وازالة العلة عن الكل بايصال متاع
الدنيا الى الكل على القدر الذي تقتضيه الحكمة ثم انه تعالى امره عليه السلام بان ينظر ويرى
تفاوت اهل الدنيا في متاعها ويعلم ان تفاوت درجات الآخرة ودركاتها وتفاوت
اهلها فيها اكبر من تفاوت اسباب الدنيا وتفاوت اهلها فيها فان نسبة المتفاوتين
في درجات منافع الآخرة ودركات عقابها الى التفاوت في امور الدنيا كنسبة نفس
الآخرة الى نفس الدنيا ثم انه تعالى لما بين ان سعادة الآخرة منوطة بارادة الآخرة
وبان يسعى سعيا موافقا لطلب الآخرة وبان يكون مؤمنا شرع في تفصيل هذه الامور
المجملة فبدأ بشرح حقيقة الايمان وبيان ما هو العمدة فيه وهو التوحيد والنبوة

عن الشرك

عن الشرك فقال لا تجعل مع الله الها آخر ثم ذكر عقيبه سائر الاعمال التي تكون من عمل بها ساعيا
سعي الآخرة فقوله او لكل احد قبيل هذا الاحتمال اولى لانه تعالى عطف عليه قوله وقضى ربك
الا تعبدوا الا اياه الى قوله اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما وهذا لا يليق بالنبي صلى
الله عليه وسلم لان ابويه ما بلغا عند الكبر فعلمنا ان المخاطب بهذا النوع الانسان فقوله
او تتجر يعني ان قوله فتقعد يجوز ان يكون بمعنى فتصير فينتصب ما بعده على الخبرية وان
يكون على اصل معناه ويكون كناية عن ملزومه الذي هو العجز فان القادر المتمكن من
تحصيل الخيرات يسعى في تحصيلها والسعي انما يتأتى بالقيام على الرجل بخلاف العاجز
عن تحصيلها فانه لا يسعى بل يبقى جالسا قاعدا عن السعي والطلب فلما كان القعود
من لوازم العجز والضعف صح ان يكنى به عنه فيكون مرفوعا منصوبا على الحالية قوله تعالى
فتقعد منصوب باضمار ان بعد الفاء جوابا للنهي كقولك لا تنقطع عنا فتجفوك
اي لا يكن منك انقطاع فيحصل ان تجفوك فما بعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة بحرف
الفاء الذي هي حرف العطف وسماه النحويون جوابا لكونه مشابها للجزاء في ان الثاني
مسبب عن الاول الا ترى ان المعنى ان انقطعت جفوتناك فكذلك تقدير الآية
ان جعلت مع الله الها آخر صرت مذموما بكل لسان مخذولا من قبله تعالى لانه يخذل
الا من اتخذه شريكا له ولا نصر عنده ولا عون او عجزت عن دفع ما توجه اليك من
المكاره لانه تعالى لا يقهر كما ومن المعلوم ان الشركاء لا يقدرون على النصر والشفاعة
قوله واسرا مقطوعا به يعني ان القضاء في اصل اللغة اتمام الشيء والفراغ عنه
واتمام وفرغ عنه يلزمه ان يتقرر ولا يقبل النسخ والتغيير فاذا استعمل القضاء
في موضع الامر والالزام كما في هذه الآية يفهم منه كون الايجاب والالزام امرا
مقررا مقطوعا به لا يقبل النسخ والتبديل وان استعمل في مقام الايجاد والتكوين
يدل على ان الايجاد على ذلك الوجه دون الاخر امر مقرر موافق للحكمة كما في قوله تعالى
فقضاهن سبع سموات وقد يطلق القضاء على تعلق الارادة الالهية بوجود
الشيء من حيث انه يوجبه ويطلق ايضا على وجود جميع الموجودات في اللوح
المحفوظ اجمالا والقدر هو تفصيل قضائه السابق بايجاده في الموادات في اللوح
الخارجية واحد ابعد واحد كما ذكر في الآية ما هو الركن الاعظم في الايمان وهو التوحيد الثاني

بذكر ما هو من الشرائع المترتبة عليه وهو انواع النوع الاول تخصيص العبادة
بالله تعالى والاحتراز عن عبادة غيره قوله ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا ناهية
بمعنى ايلا تعبدوا الوقوع بعدها هو معنى القول واما ان جعلت مصدرية ناصبة
لما بعدها فلم يكون لا ناهية لان صلة ان المصدرية لا تكون شيئا مما فيه معنى
الطلب على الاصح وان اجاز سيبويه كون صلة المصدرية ذلك فقال يجوز ان يقال في تقدير
امرته ان قم امرته بان قم اي بالقيام واختار المصنف في بعض المواضع قوله
واما ان نحسنوا على ان قوله احسانا واقع موقع فعله المحذوف والجملة معطوفة على
جملة قوله الا تعبدوا على تقدير ان تكون كلمة ان فيها مصدرية عطف الجملة المثبتة
على المنفية وقوله او احسنوا بالوالدين احسانا على ان يكون قوله احسانا
واقعا موقع فعل الامر المحذوف ويكون بالوالدين متعلقا بذلك المحذوف
على التقديرين ويكون هذه الجملة الامرية معطوفة على قوله الا تعبدوا
على ان يكون ان فيها مفسرة ولا ناهية عطف الجملة الامرية على النهي وترجح
المناسبة بين تخصيص العبادة به تعالى وبين بيره بالوالدين ان السبب الحقيقي
لوجود الانسان هو الله تعالى والسبب الظاهري هو الابوان فامر بتعظيم
السبب الحقيقي ثم اتبعه بالامر بتعظيم السبب الظاهري قوله او بدل على قراءة
حمزة والكسائي فانهما قرآ يبلغان بالف التثنية قبل نون التاكيد المشددة
المكسورة على ان الالف ضمير الوالدين لتقدم ذكرهما فيكون احدهما بدلا منه بدل
البعض من الكل ويكون او كلاهما بدلا منه ايضا لكونه معطوفا على البدل وهو
بدل الكل من الكل لان كلاهما مراد فالف التثنية ولا يجوز ان يكون الاول بدلا
والثاني تاكيدا معطوفا على البدل لان عطفه على البدل بدل على ان تاكيد التثنية
غير مراد والحاصل ان بين ابدال الاول بدل البعض وبين تاكيد المبدل منه بكلاهما
تدافعا لان فائدة التاكيد دفع توهم ارادة احدهما وامّا الاعتراض بانه لا اندفاع
بناء على ان المعنى اما يبلغان احدهما او يبلغان كلاهما فمراد البدل اولا والتاكيد
ثانيا فمدفوع بانه اذا كان كذلك يخرج الكلام عن كون كلاهما معطوفا على احدهما الى عطف
الجملة على الجملة وهو معنى قول المصنف ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف

اي ولاجل

اي ولاجل ان يكون كلاهما معطوفا على البدل الذي هو احدهما على قراءة يبلغان لم يجز ان
يكون كلاهما تاكيدا للالف لان التاكيد يجب ان يكون محمولا على المؤكد فلما ابدل
احدهما عن المؤكد بدل البعض كان المقصود بالنسبة هو البعض فينافيه تاكيده
بالكل وان قدر فعل آخر مسندا الى ضمير التثنية وكان كلاهما تاكيدا للذكر الضمير
لزم الخروج عن المبحث لان المفروض كونه تاكيدا للفاعل المذكور قوله وقيل
هو اسم الفعل الذي هو اتضجر عطف على قوله وهو صوت اي قيل انه ليس من قبيل
الاصوات بل هو اسم للفعل المضارع وهو اتضجر وهو قليل فان الاكثر في باب اسماء
الافعال ان يكون اسما للامر نحو رويد فانه اسم لامهل وتلك اسم لدع وقد يكون
اسما للفعل الماضي نحو هيهات اسم لبعد ولم يذكر ان الحاجب ما كان اسما للفعل
المضارع حيث قال في الكافية اسماء الافعال ما كان بمعنى الامر او الماضي نحو رويد
زيدا اي امهله وهيهات ذاك اي بعد قوله وهو مبني على الكسر لانه لدبني على
السكون لاجتماع ساكنان لان الفاء الاولى ساكنة وفيه سبع قراءات ثلث
في المتواتر واربع في الشاذ فقرأ نافع وحفص بالكسر والتنوين وابن كثير وابن
عامر بالفتح دون تنوين كتم والباقون بالكسر دون تنوين ولا خلاف بينهم في
تشديد الفاء وقرأ نافع في رواية اف بالرفع والتنوين وقرأ بالضم من غير
تنوين وبالنصب والتنوين واف بالسكون قوله فيما سابطن الاولى اي بواسطة
القياس الجلي الذي يكون من باب الاستدلال بالادنى على الاعلى وقيل النهي عنه يدل
على المنع من سائر انواع الايذاء دلالة لفظية من حيث ان اهل العرف اذا قالوا
لا تقل لفلان اف عنّفوا به لا تتعرض له بنوع من انواع الاذى كقولك فلان لا يملك النقير
والقطمير فانه يدل بحسب العرف على انه لا يملك شيئا النقير النقرة التي في ظهر النواة
والقطمير القشرة الرقيقة التي تكون على النواة قوله ولذلك اي ولكون النهي عن
التافيف يدل على المنع من سائر انواع الايذاء اما بالاستدلال بحرمة الادنى على حرمة
الاعلى او لكونه دالا عليه ودلالة لفظية بحسب العرف الشرس والشراسة سوء
الخلق يقال رجل شرس اي سيئ الخلق شديد للخلاف قوله تذللا لهما وتواضعا لهما
يريد ان خفض الجناح استعارة تمثيلية استعير للتذلل والتواضع لان العائر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اذا قصد المبالغة بسط جناحه واذا هم بالنزول خفض الجناح فشبه ما يتصور من الانسان
في حال التواضع من الانخفاض بما يشاهد من الطائر عند انحطاطه من العلو فخم كثر استعماله
فيه حتى صار عبارة عن التواضع واما الوجه في اضافة الجناح الى الذل وليس له جناح
فكونه دليلا على الاستعارة بالكناية متعينا كون الذل من جنس الطائر وبسبب اثبات
الامر المختص بالمشبه به للمشبه استعارة تخييلية فانه شبه الذل بالطائر تشبيها
مضمرا في النفس ولم يصرح من اركان التشبيه شيء سوى المشبه وهو الذل ودل
على ذلك التشبيه المضمر في النفس بان اثبت للذل المشبه ما يختص بالمشبه به وهو الجناح
من غير ان يتحقق في الذل شيء يجري عليه اسم الجناح بل الوهم يخترع له صورة
شبيهة بالجناح فاثبت تلك الصورة المخترعة له ليكون اثباتها له قرينة للاستعارة
بالكناية ونظيره قول لبيد وغداة ريح قد كشفت وقرة اذا اصبحت بيد الشمال
زمامها فانه شبه الشمال بالانسان واضاف اليه ما يلازم الانسان وقت اشتغاله
بالعمل وهو اليد على سبيل الاستعارة التخييلية وكذلك شبه القرة بالناقة واثبت
لها ما به قوام انقيادها وهو الزمام على سبيل التخييل هذا على ان يكون ضمير زمامها
للقرة ويحتمل ان يكون للغداة بل هو الظاهر فيكون الاستعارة بالكناية هي
تشبيه الغداة بالناقة والقرة والقر البرد ويقول كم من غداة تهب الشمال
وهي ابرد الرياح وقرة قد ملكت الشمال زمامها فهي في قبضتها متصرفة على
حكم ارادتها قد كشفت واذهبت عادية البرد عن الناس بايقاد نار القرى ونحر
الجزر ولحمها وتحرير المعي كم من برد كشفت عادتي باطعام الناس فيه فعلا هذا يكون
اضافة الجناح الى الذل لتفيد غاية المبالغة في التذلل لان خفض الجناح عبارة عن التذلل
والتذلل الذل الصادر منه غاية التذلل فقوله اوارادوا جناحه عطف على قوله جعل للذل
جناحا فيكون هذا وجها ثانيا لاضافة الجناح الى الذل مع ان الذل لا جناح له والتقرير
ان اضافة الجناح الى الذل ليست بمعنى اللام حتى يستبعد ويقال ما معنى اضافة الجناح
اليه بل المراد من الجناح جناح المخاطب واضافته الى الذل من قبيل اضافة الموصوف
الى صفته كانه قيل واخفض لوالديك جناحك الذليل كما يقال حاتم الجود ويقال حاتم
الجواد قوله وقرئ الذل بالكسر مثل الذل بالكسر في الدابة ضد الصعوبة وبالضم للانسان

ضد العز والمكان ما يلحق الانسان باشد واكثر وقعا بالنسبة الى ما يلحق
الدابة وهو كونها ذلولا منقادا لصاحبها فرقوا بينهما فاختاروا الفم التي هي
اقوى للحركات لما يلحق الانسان والكسر الضعيف لما يلحق الدابة للاشارة
الى ما بينهما من الفرق قوله من فرط رحمتك عليهما اشارة الى ان كلمة من
للتعليل كما في قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا اي واخفض جناحك
من اجل الرحمة وقوله رحمة مثل رحمتهما علي اشارة الى ان الكاف
في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف ولم يقل رحمة مثل تربيتهما
الى يحتمل ان المذكور في القرآن هو التربية للاشارة الى ان التربية لكونها
ناشئة من الرحمة كانها عين الرحمة قوله وان كانا كافرين اشارة الى
رد ما قيل من ان الآية منسوخة بقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا
ان يستغفروا للمشركين فلا ينبغي للمسلم ان يستغفر لوالديه اذا كانا
مشركين ولا يقول لهما رب ارحمهما ووجه الرد انهما وان كانا كافرين
فله ان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما بعد
حصول الايمان قوله وقال بعد كي مفعول له لقوله تعالى ارحمهما قال ع م
الراحمون يرحمهم الرحمن وقال عليه رضى الله في رضى الوالد وسخطه
في سخط الوالد وقال لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر قال الامام
قوله تعالى وقل رب ارحمهما امر وظاهر الامر للوجوب وانه لا يفيد التكرار
فيكفي في العمل بمقتضى هذه الآية ذكر هذا القول في العمر مرة واحدة
وسئل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه في اليوم مرة او في الشهر
او في السنة فقال نرجو ان يجزئه اذا دعا لهما في اواخر الشهرات كما
قال تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه فكانوا يرون ان التشهد
يجزئ من الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى واذكروا الله في
ايام معدودات يكبرون في ادبار الصلوات قوله وفيه تشديد عظيم
وكيف لا وقد وعد مغفرة ما فرط منهم على سبيل المبادرة في حق من كان
اوابا وهو صيغة مبالغة فتقتضي الكثرة والمراودة كما روي عن سعيد بن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان الاواب هو الرجل الذي كلما اذنب بادر بالتوبة قوله تعالى واتبع ذا القربى
نوع آخر من انواع السعي الموافق لطلب الآخرة المدلول عليه بقوله تعالى وسعى
لها سعيها وهو معطوف على قوله وقفى الا تعبدوا الى هذا الموضع والمعنى
انك بعد فراغك من بر الوالدين يجب عليك ان تشتغل ببر سائر
الاقارب الاقرب فالاقرب ثم باصلاح احوال المساكين وابناء السبيل
وذوو القربى ان كانوا محارم وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا
حقهم ان ينفق الرجل عليهم بقدر الحاجة خلافا لابي حنيفة رحمه الله وقال الشافعي
لا يجب الانفاق الا على الولد والوالدين فحسب وان كانوا مياسير ولم يكونوا
محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمواددة والزيارة وحسن المعاشرة
والمواظبة في السراء والضراء ونحو ذلك قوله امثالهم في التشارع يعني ان الاخوان
مستعمل بمعنى الامثال بجاز كما روي ان الشيخان رضي الله عنهما كانا يتكلمانه عم
كاخ السرار اي يتكلمانه كلاما مثل الكلام الذي يسار به وكذا يستعمل مجازا بمعنى
الاصدقاء والاتباع تشبيها لعلاقة المودة ومناسبة الطبيعة بعلاقة القرابة
واما كان لفظ الاخوان استعارة بالكناية قوله تعالى واما تعرضن عنهم الآية
قيل انها نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب رضي الله عنهم وكانوا
يسألون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحايين ما يحتاجون اليه ولا يجدون ما
يدفعه اليهم فيعرض عنهم حياء منهم ويسكت ولا يجيبهم حياء من التعريج ببردهم قال
تعالى واما تعرضن عنهم ولم يكن لترتيب قوله فقل لهم قولا ميسورا ايجابا تحقق
الاعراض المترقب منهم في المستقبل وجه لانه في قوة قولك ان لم يجبهم فاجبهم
بقول فيه يسر قال في توجيه الآية وان اعرضت عنهم اي فيما مضى فاجبهم من بعد
بقول ميسور فيكون قوله تعرضن على حكاية الحال الماضية ثم عطف على هذا
التأويل قوله ويجوز ان يراد بالاعراض الحال اي ويجوز ان يكون الاعراض كناية
عن عدم النفع بدفع ما يحتاجون اليه لعدم الاستطاعة عليه بناء على ان الاعراض
بالوجه من لوازم عدم النفع فح يكون ترتب الجزاء المذكور عليه ظاهرا قوله لانتظار رزق

من الله

من الله يعني ان قوله ابتغاء رحمة منصوب له لقوله تعرضن وعلة للاعراض بان يكون
الابتغاء بمعنى الانتظار فانه يصح ان يكون علة حاملة على الاعراض ويجوز ان يكون
انتصابه على انه مصدر واقع للحال من فاعل تعرضن او من ضميرهم قوله وقيل
معناه لفقد رزق اي قوله تع ابتغاء متعلق بالشرط منصوب به الا انه لا يجوز
اجراء الكلام على ظاهره لان الاعراض عن المحتاج ليس لابتغاء رحمة الله تعالى
بل هو مجاز عن فقد الرزق لانه سبب لابتغاء فهو من قبيل اطلاق المسبب
على السبب ثم قال ويجوز ان يكون ابتغاء متعلقا بالجواب منصوبا به على معنى
فقل لهم قولا سهلا ابتغاء وهذا الجواز مبني على قول من يجوز اعمال ما بعد
الفاء الجزائية فيما قبله وقد ثبت ذلك في قوله تع فاما اليتيم فلا تقهر الآية فان
اليتيم وما بعده منصوبات بما بعد فاء الجواب قوله والميسور من يسر الامر يعني
انه اسم مفعول من يسر كالمسعود والمنحوس كذلك يقال يسعد الرجل فهو
مسعود ونحس فهو منحوس ثم ذكر احتمال ان يكون الميسور مصدرا بمعنى اليسر
ويكون المعنى قل لهم قولا يذكر فيه يعني اليسر ويدل على طلب اليسر لهم مثل اعناكم
الله ورزقنا الله واياكم وفي الصحاح المجلود مصدر بمعنى الجلادة كالمحلوف و
المعقول يقال عقل يعقل عقلا ومعقولا ويقال حلف اي اقسم يحلف حلفا
ومحلوفا وهو احد ما جاء من المصادر على مفعول مثل المجدود والمعقول والميسور
قوله تمثيلان لمنع الشحيح اي لامتناع البخيل عن انفاق ماله على المحاويج
مثل حاله بحال من يده مغلولة الى عنقه فلا يقدر على شيء من التصرف وحال
من تصرف بحال من يبسط يده كل البسط فلا يبقى شيء في كفه ثم استعمل
الفاظ الممثل به في الممثل والمعنى لا تجعل يدك في الانقباض عن الانفاق
كالمغلولة الممنوعة عن الانبساط ولا تتوسع في الانفاق توسعا بحيث
لا يبقى في يدك شيء وحاصل الكلام ان الحكماء ذكروا في كتب الاخلاق ان لكل
خلق طرفي افراط وتفريط وهما مذمومان والخلق الفاضل ما هو العدل الوسط
بين الطرفين فالبخل افراط في الامساك والتبذير افراط في الانفاق وهما
مذمومان والمعتدل هو الوسط قوله نادما او منقطعا بك الطريق حسيرا

على الشئ بالكسر بحسر وحسرا او حسرة فهو حسير اذا تلهف وتحزن على الشئ
الفايت وحسر البعير يحسر حسورا اعيى والسحتر وتحتسر مثله وحسرة انا حسرا
يتعدى ولا يتعدى وقطع بفلان فهو مقطوع به وانقطع به فهو منقطع به اذا عجز عن
سفره من نفقة ذهبت او من راحلة عطبت او اتاه امر لا يقدر بسببه
على ان يتحرك قوله حسرة السفر اذا بلغ منه يقال بلغ منه المرض اذا اثر فيه تاثيرا بليغا
قوله فقال من ساعة الى ساعة فقد البنا قيل كلمة من متعلقة بمحذوف اي اخرسوا لكل
من ساعة ليس لنا فيها درج الى ساعة يظهر لنا فيها درج ودرج المراة قميصها وهذا
القول مبني على ما روى انه اكث فوهى كذا من ساعة الى ساعة يظهر فقد البنا وعلى تكلف
الرواية يحتمل ان يكون متعلقة بيظهر قوله ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق
الظاهر انه ليس مقصودا ان الاية نازلة لتسلية عم مخصوصة على خشية من الاعسار
والاضافة بل المراد بها نازلة لتسلية المعسرين مطلقا وحصل له عم التسلية وضمن
هذه التسلية العامة وذلك لان للخطاب في قوله تعالى وآت ذا القربى عام للكل
بقرينة كونه معطوفا على قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وان قيل انه خطاب
له عم مخصوصة امره الله تعالى ان يؤتي اقاربه المفروض الخ وجبت لهم في مال النبي
والغنيمة واوجب عليه ايضا ان يؤتي حق المساكين وابنا السبيل من هذين المالين
كما اشار اليه المصنف بقوله وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول صلى الله عليه
وسلم ولما كان الخطاب في هذه الايات يعم الكل وامر الله تعالى المعسرين منهم
بالانفاق سلى المعسرين بان الله يبسط الرزق ويقدر اي يضيق بحسب مشيته
وهي تابعة للحكمة والمصلحة عند المعتزلة وبالعكس عندنا وليس اعسار المعسر
لكونه مهانا عند الله ولا لبخل منه تعالى عليه بل هو لكون مصلحة فيه او في شئ هذه
التسلية العامة تحصل تسلية عم ايضا فقوله بمشيته التابعة للحكمة ليس معناه
ان افعاله تعالى معللة بالحكمة والمصلحة وان رعاية ما هو الاصلح على العبد
واجبة عليه بل المراد ان مشيته تعالى موافقة للحكمة ولا تخلوا عنها وانه تعالى منزه
عن ان يفعل ما لا حكمة فيه ولا مصلحة قوله ويجوز ان يرجع الى اشارة الى وجهين اخرين
لانتظام هذه الاية بما قبلها وعلى كل واحد من الوجهين يكون هذه الاية تعليلا

للاية

للاية الناطقة بالنهي عن التبذير المفرط والبسط المفرط والامر بالاقتصاد تقرير الاول
ان القبض المفرط والبسط المفرط كل واحد منهما مختص بالله فاقتصدا انت واترك
ما هو مختص به تعالى وتقرير الثاني انكم اذا تحققتم وتاملتم فيما بسط الله وقبض
وامعنتم النظر فيه وجدتموه مقتصدا يقبض تارة ويبسط اخرى فاقصدوا انتم
والستة البسته قوله وان يكون تمهيدا من حيث انه يدل على انه تعالى متكفل لارزاق
العباد على حسب مشيته المتضمنة للحكم والمصالح ليحسن ان يبنى عليه النهي عن
قتل الاولاد خشية الاملاق فان العرب كانوا يقتلون البنات لعجز من عن الكسب
وقدرة البنين عليه بسبب اقدامهم على النهب والغارة وايضا كانوا يخافون
ان يكون فقر البنات ينفر اكفاء من عن الرغبة فيهن فيحتاجون الى انكاحهن
من غير الاكفاء وفي ذلك عار شديد قوله الخطا بكسر الخاء وسكون الطاء والهمزة
بعدها مصدر خطئ يخطا بمعنى اثم ياثم وكلاهما من باب علم يعلم وهو قراءة
الجمهور وقراءة ابن ذكوان عن ابن عامر خطاء بفتح الخاء والطاء من غير مد وفيه
وجهان الاول ان يكون اسم مصدر من اخطا يخطئ اخطاء اذا اتى ما ليس بصواب
فهو مغاير للخطا الذي يقابل العمد والثاني ان يكون لغة في الخطا بمعنى الاثم كمثل
ومثل وحذر وحذر فالمعنى على هذين القراءة ان قتلهم ليس بصواب وقراءة ابن
كثير خطا بكسر الخاء وفتح الطاء والمد وفيه ايضا وجهان الاول ان يكون لغة
بمعنى الاثم مثل دبغ ودباغ ولبس ولباس والثاني ان يكون مصدر خاطا
يخاطئ خطاء مثل قاتل يقاتل قتالا وخاطاء وان لم يسمع لكنه جاء تخاطا ومجيئه
يدل على وجود خاطا لان تفاعل مطاوع فاعل كما عرفته فتبا عدونا ولاية الشئ
فتنا ولي تخاطا والقناص صنع وجدته وفرطومه في منقع الماء راسب القناص
الصياد ومنقع الماء بالفتح الموضع الذي يحبس فيه الماء اي فقده الصياد وما ان
فرمنه وخاطاه فمعنى هذا معنى الاية ان الذين يقتلون اولادهم كان قتلهم الاولاد
خطاء اي عدولا عن الحق والصواب وقراءة خطاء بالفتح والمد وهو اسم مصدر
اخطا كالعطاء اسم للاعطاء وقرئ خطأ بفتح الخاء والطاء المنونة اصله خطاء كقراءة
ابن ذكوان الا انه سهل الهمزة بابدالها الفا ثم حذفها لالتقاء الساكنين كقوله وقرئ خطا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بكسر الفاء كرر نا قوله الا باحدى ثلث اشارة الى ان قوله تعالى بالحق متعلق بلا تقتلوا كانه
قيل لا تقتلوا النفس التي عصمها الله تعالى وحقن دمها بالاسلام او بالعهد بسبب
من الاسباب الا بان يستحق القتل بارتكاب شئ مما يوجب قتلها الا ان قوله
تعالى الا بالحق مجمل ليس فيه بيان ان ذلك الحق ما هو وان الشئ الذي
يستحق المرء بسببه لان يقتل اي شئ هو فبينته عم بقوله لا يحل دم امرئ
مسلم الا لاحد معان ثلثة كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس
بغير حق وقوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون
في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا ادل على ان قطع الطريق من جملة
الاسباب التي يحل بها دم المرء وقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
ولا باليوم الاخر وقوله اقتلوهم حيث وجدتموهم دل على ان الكفر مع الحرب
من جملة الاسباب المبيحة لقتل النفس ومن جملة الاسباب المبيحة للقتل
عندالشافعي ترك الصلوة عمدا مجانة معتقدا لفرضيتها وعمل اللواطة وقول
الساحر قتلت فلانا بسحري والقتل بالمثقل فانه يوجب القصاص عند خلافا
لابي حنيفة في الجميع والجملة الاصل في الدماء الحرمة والحل انما يثبت باسباب
عارضة بين الشارع كونها محللة لها وقوله تعالى الا بالحق بين على سبيل الاجمال
ان قتل النفس قد يباح بسبب ما وقد فصل بعض تلك الاسباب بنص القرآن
وبعضها بالاحاديث المشهورة قوله تعالى سلطانا بالمؤاخذة بمقتضى القتل يعني
من عليه لما جعل ثبوت التسلط لولي القتيل متفرعا على مجرد كون القتيل
مقتولا ظلما مع قطع النظر عن كون ذلك القتل عمدا عدوانا موجبا للقصاص او خطأ
موجبا للدية جعل الجزاء المتفرع على ذلك الشرط ان يثبت للوارث التسلط بالمؤاخذة
بمقتضى القتل سواء كان ذلك المقتضى ثابتا على القاتل ان قتل عمدا وهو ان
يقتص منه وان يعطى دية القتيل فان اولياء المقتول مخيرون بين امرين ان احبوا
قتلوا وان احبوا اخذوا الدية في ماله او كان ثابتا على القاتل ان كان القتل
خطأ ثم اشار الى جواز ان يكون المراد على الشرط وهو ان يقتل مظلوما ان يقتل
عمدا عدوانا فح يكون المراد بالتسلط المتفرع عليه التسلط على القاتل بان يقتص منه

قوله فلا يسرف

قوله فلا يسرف القاتل اي اذا تقرر انه تعالى جعل لولي المقتول فلما تسلطا على القاتل
في الاقتصاص منه فلا يسرف القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فيقتل
فيكون قد اسرف في القتل حيث كان سببا لهلاك نفسه وهلاك غيره وفي الارتداع
عنه سلامة نفسه وسلامة نفس الغير فعلى هذا يكون الضمير في قوله انه كان منصورا
للمقتول اي لا يسرف القاتل المبتدئ لان من قتل مظلوما كان منصورا
في الدنيا بايجاب القود على قاتله بقتص له والية فان لم يكن له ولي فالسلطان
والية وفي الاخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله قوله او الولي بالمثلة وقتل
غير القاتل عطف على قوله القاتل يعني يحتمل ان يكون المنوي في قوله فلا يسرف
ضمير الولي واسراف الولي يكون على وجهين احدهما ان لا يكتفي بقتل القاتل بل يقتله
ثم يمثل به ويقطع اعضاءه وثانيهما ان لا يكتفي بقتل القاتل بل يقتل به جماعة
غيره وكل ذلك كان يفعله اهل الجاهلية كانوا يقتلون غير القاتل اذا كان المقتول
شريفا لا يكون القاتل كفوا له وكانوا يمثلون بالمقتول فنهى عن كل منهما
قوله والضمير اما للمقتول واما للولية على تقدير ان يكون لكم المعلل فلا يسرف
القاتل قوله واما للذين يقتله الولي اسرافا على تقدير ان يكون المعلل فلا يسرف
الولي بالمثلة وقتل غير القاتل فان الذي قتله الولي اسرافا منصور بايجاب
القصاص على المسرف ان كان اسرافه بقتل غير القاتل وبايجاب التعزير
والوزر عليه ان كان اسرافه بالمثلة ثم انه تعالى لما نهى عن اتلاف النفوس
اتبعه بالنهي عن اتلاف الاموال فقال ولا تقربوا مال اليتيم الاية وخص مال
اليتيم بالذكر لانه لضعفه وكمال عجزه يعظم ضرره باتلاف ماله ونظيره قوله
تعالى ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا اي مخافة ان يكبروا فياخذوا اموالهم
منكم ومبادرة في الكلام قوله غاية لجواز التصرف لا للنهي عنه اولا يجوز للولي
ان يتصرف في مال الصبي بعد بلوغه اشده اي بعد بلوغه اليا حيث يمكنه بسبب
عقله ورشد القيام لمصالح ماله وعند ذلك لا يبقى ولاية غيره عليه وذلك
حد البلوغ واذا بلغ غير كامل العقل لم يزل الولاية عنه قبل اشد الرجل غير
اشد اليتيم وان كان لفظهما واحدا الان قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده آنستم منهم رشدا

انما هو الاكتهال وذلك ثلثون سنة واشتد الغلام ان يشتد خلقه وذلك
يبلوغه ثمانى عشرة سنة قوله يا عاهدكم الله على ان العهد بمعنى الوصية
والتكليف قال الزجاج كل ما امر الله به ونهى عنه فهو من العهد قوله اوما عاهد
عهد عاهد تموه وغيره على ان يكون العهد بمعنى العقد والالتزام كما للنذر
والشروع فى النوافل والمعاملات الواقعة بين العباد فتقتضى هذه الآية ان
كل عقد وعهد يجرى بين انسانين كعقد البيع والشركة والصلح وغيرها فانه
يجب عليهما الوفاء بمقتضى ذلك العقد قوله يطلب من المعاهد ان لا يضيعه
يعنى ان توكل سمى السالة الشئ معناه طلبته منه وليس المراد من كون العهد
مسئولا كون ذاته مطلوبا بل المعنى ان عدم تضييع العهد كان مطلوبا من
المعاهد اوان وفاء المعاهد كان مسئولا مطلوبا منه فحذف المضاف والمضاف اليه
وهما العدم والتضييع وكذا المطلوب منه اعنى واحدا لالة المقام على المراد
قوله او مسئولا عنه فان صاحب العهد اذا سئل لم تكثث العهد وما وفيت
به يكون العهد مسئولا عنه فحذف الجار واوصل مسئولا الى الضمير قوله او يسأل
العهد لم تكثث بان يكون ضمير مسئولا راجعا الى العهد وينسب اليه السؤال
على طريق الاستعارة التمثيلية بان يشبه العهد بمن نكث عهده وسئل
عن نكث عهده واستعمل عبارة المشبه به فى المشبه او يشبه العهد بمن نكث
عهده تشبيها مضمرا فى النفس ويجعل نسبة السؤال اليه تخييلا للاستعارة
بالكناية والاستشهاد بسؤال الموؤدة بان ذنب قتلت فى مجرد السؤال
لان سؤالها بعد الاحياء يوم القيمة وهو سؤال على التحقيق وسؤال العهد
على التخييل ولا تبكيت فى الكلام على الوجه الاول وانما هو فى الوجه الثانى
والثالث قوله ولا تتبع فان قوله تعالى لا تقف مأخوذ من قولهم قفوت اثر
فلان اقفوه قفوا وقفوا اذا اتبعت اثره وسميت قافية الشعر قافية لانها
تعقب البيت وسمى القفا قفاء لانه مؤخر بدن الانسان كانه شئ يتبعه
ويقفوه والقافة جمع قائف وهو من يتبع آثار اقدام الناس ويستدلون
بها على احوال الانسان فمعنى الآية لا تتبع ما لا علم لك به من قول او فعل وحاصله

والوفاء بالعهد حم

يرجع

يرجع الى النهى عن الحكم بما لا يكون معلوما لحكم المشركين فى باب الالهيات والنبوات
بما يعتقدونه بسبب تقليد اسلافهم او اتباع اهوائهم رجما بالغيب قوله واصح به
من منع اتباع الظن اى العمل بالقياس لان قال القياس لا يفيد الا الظن والظن
بقاء العلم فالحكم فى دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم فوجب ان لا يجوز بمقتضى
هذه الآية واجاب عنه بان الظن قد يسمى علما كما فى قوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات
مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن
الى الكفار ومن المعلوم انه انما يمكن العلم بايمانهن بناء على اقرارهن وامارات
تدل عليه وذلك لا يفيد الا الظن وقد رايت انه تعالى سمى هذا الظن علما
وقيل انه مخصوص بالعقايد فالمنهى عنه هو اتباع الادلة الظنية فى الاعتقاديات
فلا يلزم جواز اتباعها فى العمليات كيف وقد ثبت ان الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين قد تمسكوا فى الحوادث بآرائهم وشاوروا فى امورهم وولى ابو بكر
وعمر رضى الله عنهما الخلافة باجماع الصحابة بغير نص من الرسول صلى الله عليه وسلم
وجعلها عمر شورى ولم ير وذلك عن النبى ولا يقال انهم فعلوا ما فعلوا وقالوا ما
قالوا مخالفين لمقتضى هذه الآية تاركين اياها فدل ذلك على ان قوله تعالى ولا تقف
ما ليس لك به علم ليس بداخل فيه الاجتهاد فى الاحكام وشبيه الفروع بالاصول
المنصوص عليها فان الامة قد اجمعوا على ان العمل بالظن جايز فى صور كثيرة
منها العمل بالشهود فانه عمل بالظن ومنها العمل بالشهادة فانه عمل بالظن ومنها
توجه المصلى الى جهة تحرى بما اداه اليه اجتهاده وهو عمل بالظن ومنها تعيين
قيم المتلفات وارش الجنايات فانه لا سبيل اليه الا بالظن ومنها الصلوة
على الميت ودفنه فى مقابر المسلمين وتوريث المسلم منه بناء على اسلامه
وهو مظنون ومنها الاكل الذبيحة بناء على اعتقاد انها ذبيحة مسلم وهو
مظنون وستدل الاجماع فى مثل هذه الصور قوله ولم تحكم بالظاهر والله
يتولى السرايره وذلك يصح فى ان الظن معتبر فى باب العمل فلذلك خص هذه
الآية بالعقايد وقيل انها مخصوص بالرمى وشهادة الزور ومعناها لا تشهد
ولا تقتل ما ليس لك به علم نقل عن محمد بن الحنفية ان احدا ومنه شهادة الزور

وقال ابن عباس لا تشهد الا بما رأته عيناك وسمعته اذناك ووعاه قلبك
ومن هذا القبيل قذف المحصن والمحصنة ورميهما بالكاذب فليكن ومن هذا
القبيل قذف المحصن والمحصنة ورميهما بالكاذب فان بعض الناس يتكرون
مثالب الناس وعيوبهم ويهجونهم ويبالغون فيه فالمقصود النهي عنه
وعن امثاله وتؤيد كون الاية مخصوصة بالرمي قوله ﷺ من قفا مؤمنا بما ليس
فيه حبسه الله في ردغة الخبال والردغة بفتح الدال وسكونها وبالغين المعجمة
الماء والطين والوحل الشديد وفي الحديث الخبال عصارة اهل النار وهو
في الاصل الفساد وقوله حتى يأتي بالمخرج ويروى حتى يخرج مما قال اي حتى يخرج
من عهدة ما قاله وقوله الكميت والارمي البريء بغير ذنب ولا أقفو
الخواصن ان قفينا الخواص جمع خاصنة بمعنى محصنة وهي المرأة العفيفة
قفينا اصله قفين فوله في ثلاثتها وهي كان وعنه ومسؤولا ولا يبعد ان
يخلق الله تعالى الخيوط والعقل والنطق في هذه الاعضاء ثم انه تعالى يوجه السؤال
اليها ويأباها ان صاحبها في اتي امر استعملها اي في الطاعة او في المعصية
ويحتمل ان يكون التقدير ان صاحب السمع والبصر والفؤاد هو المسؤول
بناء على ان السؤال لا يليق الا ممن يكون عاقلا ناطقا وهذه الجوارح ليست
كذلك بل العاقل الفاهم هو الانسان فيقال له لم سمعت ما لا يحل لك سماعه
ولم نظرت اليه ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه
قوله ان ذا مرحا اشارة الى ان المرح بفتح الراء مصدر واقع موقع الحال
بتقدير المضاف والمرح شدة الفرح يقال مرح يمرح مرحا فهو مرح
المصدر بفتح الراء والنعت بكسرها والمراد من الاية النهي عن ان يمشي
الانسان مشيا يدل على الكبر والعظمة اي لا تمش في الارض مختالا فخورا
وقرأ ابو مرحا بكسر الراء وان كان ابلغ في الدلالة على المعنى المراد وهو
نهي المخاطب عن المشي بالتكبر والتعظيم الا ان المصدر آكد اي اكثر تقريرا
للاتصاف بالمرح وفيه بحث لان المصدر انما يكون آكد للاتصاف اذا تركه
على حاله كما في رجل عدل واما اذا أول المصدر بقوله ذا مرح كما فعله المصنف

فح لا يكون فرق بين الترآتين ولما كانت مشية المرح مشتملة على شدة الوطأة
والتكبر على الارض عشيه عليها وعلى التطاول والتعظيم قال تعالى في تعليل النهي
عنها كيف تتكبر على الارض ولن تقدر على ان تجعل فيها خرقا وشقا وكيف
تتعظم وتتطاول وليس تبليغ الجبال طولا فانت احقر واضعف من كل واحد
من الجماد بن فكيف يليق بك التكبر قوله يعني المنهي عنه فان الكوفيين وابن عامر
قرؤا سيئة بضم الهمزة والهاء وذكر الكلمة من غير تنوين باضافة شيء
الى الضمير الراجع الى قوله كل ذلك مشيرا بقوله ذلك الى جميع ما تقدم وفي السيئ
والحسن حكم على شيء ما تقدم وهو المنهي عنه بانه كان عند ربك مكروها
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب سيئة بفتح الهمزة وتاء
التانيث منصوبة منونة فح يكون ذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة ويحتمل
ان يكون اشارة الى مصدري قوله تعالى لا تقف ولا تمش وهما قفوا ما ليس
لك به علم والمشي في الارض مرحا على طريق قوله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين
ذلك قوله والمراد به المبغوض جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الاية على
ان هذه الامور المنهية ليست مرادة ومخلوقة لله تعالى وتقريره ان هذه
الاية دلت على ان هذه الافعال مكروهة عند الله تعالى والمكروه لا يكون مرادا
فهذه الافعال لا يكون مرادة لله تعالى فنبطل قول من يقول كل ما دخل في الوجود
فهو مراد لله تعالى واذا ثبت انها ليست بارادة الله تعالى وجب ان لا يكون مخلوقة
لله تعالى لان كونها مخلوقة لله تعالى يستلزم كونها مرادة له قوله ذلك اشارة الى
الاحكام المتقدمة وهي للفصال الخمسة والعشرون بعضها اوامر وبعضها
نواهي وسماها حكمة لان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير للعمل به
فالاول بالتوحيد من القسم الاول وباقي التكاليف من القسم الثاني فانها
خيرات بتعليم لاجل العمل بها قوله ورتب عليه اي على قوله ولا تجعل مع الله الها
آخر ما هو غاية الشرك في الدنيا حيث قال فتقعد مذموما مخذولا والذم
والخذلان يحصلان في الدنيا والقاؤه في جهنم ملوما مدحورا يحصل يوم القيمة
وهذا الكلام لا يتضح الا ببيان الفرق بين المذموم والمخذول وبين الملوم

والمدحور

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فمعقول كونه مذموما معناه ان يذكر ان الفعل الذي اقدم عليه قبيح
ومنكر فهذا معنى كونه مذموما واذا ذكر ذلك له يقال له لم فعلت مثل
هذا الفعل وما الذي حملك عليه وما استفدت من هذا الفعل الا
لحاق الضرر بنفسك فهذا هو اللوم فثبت ان اول الامرين ان
يصير مذموما وآخرها ان يصير ملوما واما الفرق بين المخذول
وبين المدحور فهو ان المخذول عبارة عن الضعيف يقال تخاذلت
اعضاؤه اي ضعفت واما المدحور الذي هو المطرود فهو
عبارة عن الاستخفاف والاهانة قال تعالى ويخلد فيه مهانا
فكونه مخذولا عبارة عن نسبته اعانته وتفويضه الى نفسه وكونه
مدحورا عبارة عن اهانته والاستخفاف به فثبت ان اول الامر
ان يصير مخذولا وآخره ان يصير مدحورا ثم انه تعالى لما امر
بالتوحيد ونهى عن اثبات شريك لله تعالى واوعد عليه اتبعه
بذكر فساد طريقة من اثبت الولد لله تعالى لاسيما ان يكون ذلك
الولد اخس الاولاد فقال أفأصفاكم ربكم بالبنين اي تزعمون
انه تعالى اختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه الاخس بان اختاركم
بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا وتقولون ان الملائكة بنات الله
والهمزة فيه للانكار والمتوبيخ والحض والتقبيح باختيار مذهب
ظاهر الفساد وقوله تعالى واتخذ يجوز ان يكون معطوفا على اصفاكم
فيكون داخلا في حيز الانكار ويجوز ان يكون الواو فيه للحال وقد مقدرة
عند قوم واتخذ يجوز ان يكون متعديا الى اثنين قال ابو البقاء
اناثا مفعوله اول لاتخذ وثانيهما محذوف اي اولادا واختار
المصنف ايضا حيث قال واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه
فيكون من الملائكة متعلقا باتخذ او بمحذوف على انه حال من النكرة
بعده وفي ما ذهب اليه ابو البقاء نظر لانه يستلزم ان يبتدا بالنكرة
من غير مسوغ لان ما يقع مفعولا اول في هذا الباب يجب ان يصح وقوعه

مبتدا

مبتدا وما لا يصح ان يكون مبتدا لا يصح كونه مفعولا اول بل الظاهر ان يقال
المفعول الثاني هو من الملائكة قدم على الاول كما في قولك في الدار
رجلا ان او يقال ان اتخذ ههنا متعدية الى واحد كما في قوله تعالى
وقالوا اتخذ الله ولدا قوله كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير
اشارة الى ان مفعول صرفنا محذوف وهو قوله هذا المعنى والمراد به ابطال
اضافتهم البنات الى الله تعالى والمراد من تقريره صرفه تقريره من وجه
الى وجه آخر وتلخيصه تكريره تقريره وتبيينه بوجوه مختلفة في مواضع
من التنزيل قوله ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه
تعالى بان يطلق القرآن على المعنى بطريق اطلاق اسم الدال على المدلول
ح يقدر لصرفنا مفعول وهو القول ووجه طرفية هذا المعنى للتصريف
القول كونه محلا لتغيير القول وصرفه من اسلوب الى اسلوب آخر قوله من
الذكر الذي بمعنى التذكر وهو التفكر والتامل فان الذكر قد يجيء بهذا
المعنى كقوله تع خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه والتذكر الاعتبار
والاتعاظ قال الواحدي التذكر ههنا اشبه من الذكر لان المراد منه
التذكر والتدبر وليس المراد منه الذكر الذي يحصل بعد النسيان
ثم ان المقصود من الذكر والاتعاظ ان يطمئن قلوبهم الى هذا المعنى
الذي كرر تقريره بوجوه مختلفة بقرينة قوله وما يزيدهم الا نفورا
فان النفور مقابل للطمانينة كانه قيل كررنا القول في هذا المعنى
او كررنا هذا المعنى في القرآن المنزل ليتعظوا ويطمئنوا اليه فما يزيدهم
الا نفورا وفيه تعكيس لما ينبغي من حيث ان حق هذا الذكر ان يزيدهم
اتعاظا وطمانينة قلب ومع هذا قد زادهم نفورا وعنادا والكاف في
قوله تعالى كما تقولون في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي كونا مثل
قولكم وقوله وتعالى عطف على ما تضمنه المصدر تقديره تنزه وتعالى وعن
متعلقة به قوله حيث بدل بامكانهم وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته
هذا التعليل مبني على ان قوله تع بسبح استعمال بقيته شبيه ودلالة ما ذكر

عما تنزه عنه الله تعالى عما لا يجوز عليه من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بالتسبيح فاستعمل بسبح مكان ينزه كما في قولهم نطق الحال بما ابطل الله تعالى قول الذين قالوا الملائكة بنات الله ونزه ذاته عما نسبوا اليه عقبه بقوله يسبح له السموات السبع دلالة على ان الاكوان باسرها دالة شاهدة بتكلم النزاهة ولكن اياها المشركون لا تفقهون دلالتها عليها لا خللا لكم بالنظر الصحيح قوله ويجوز ان يحمل التسبيح الخ عطف على ما سبق من حيث المعنى فان التسبيح للحقيقي وهو ان يقول المسبح بلسانه سبحان الله مثلا لما لم يتصور من الجمادات لتوقفه على الفهم والنطق حمل التسبيح اولا على الدلالة على وحدانية الله تعالى وتنزهه عما لا يليق بالالوهية شيئا فشيئا لدلالة الحال بالتسبيح للحقيقي والتسبيح بهذا المعنى المجازي حاصل في جميع الموجودات والحي المكلف كما يسبح الله تعالى بهذا التسبيح المجازي يسبح ايضا بالقول ثم قال ويجوز ان يحمل التسبيح على عمومه المجاز بان يراد منه مطلق الدلالة سواء كانت دلالة للحال او دلالة اللسان لانسنا ده الى ما يتصور منه اللفظ وهو الملائكة والثقلين والى ما لا يتصور منه ذلك وهو السموات والارض ولا يجوز ان يحمل على المعنيين جميعا الا عند من يجوز كون الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز قوله وقرا ابن كثير وابن عامر ونافع وابو بكر يسبح بالياء المنقوطة من تحت لاسناد الفعل الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي ولوجود الفصل بين الفعل وفاعله المؤنث والباقون بناء التانيث قوله حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء تحكم جواب عما يقال كيف يصح ان يجعل خطاب لا تفقهون للمشركين ولا يخاطب بالحكم والمغفرة الا المؤمنون وتقرير للجواب ان قوله تعالى انه كان حليما استيناف في موضع التعجب كانه قيل ما احلمه واعظم غفرانه حيث يعلم من هؤلاء المعاندين ما هم عليه ثم لا يعاجلهم بالعقوبة قوله مستورا ذا ستر على ان مستورا بناء النسب كقولهم مكان مهول وجارية مفتوحة اي ذا مهول وذات افتح ورجل مرطوب اي ذو رطوبة ووحده تعالى ما في بعض ذوا تبيان لانه يؤتى اليه وسيل مقعم

بفتح

بفتح العين الجوهري الغم المتلئ يقال ساعة قمة وافعمت الاناء ملأته وانعم الملك البيت ملاه بريحه والحجاب ليس بمستور بل المستور ما وراءه فلذلك جعل المستور للنسب ويحتمل ان يكون توصيف الحجاب بكونه مستورا عبارة عن كونه غير مرئي على اطلاق الملزوم وارادة لازمه لان ما يكون مستورا يلزمه ان لا يرى قوله او بحجاب اخر بان يكونوا محجوبين بالحجاب الاول عن فهم ما يقرؤه عليهم وبالحجاب الثاني حجبوا عن فهم كونهم محجوبين عن فهم ما تلى عليهم وهو قوله لا يفقهون ولا يعقلون انهم لا يفقهون فوله نفى عنهم ان يفقهوا ما انزل عليهم بيان لوجه ارتباط هذه الاية بما قبلها وذلك انه تعالى ابطل مقالة المشركين ونزه نفسه عما نسبوا اليه تعالى ثم قال يسبح له السموات السبع الا يعني ان جميع الكائنات تدل على تنزهه عن جميع لوازم الامكان والحدوث ولكن لا تفقهون الدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق ثم قرر ذلك بقوله واذا قرات القرآن الاية وقوله تعالى ان يفقهوه اما مفعول له بتقدير المضاف او مفعول به على تقدير ومنعنا هم ان يفقهوه لدلالة الجملة على قوله ومنعنا هم قوله واصله بحد وحن فحذف الفعل الذي هو الحال واقيم المصدر مقامه ولو قيل المصدر بمعنى الفاعل كانه قيل واحدا كان وجها قوله هربا ونفرة او تولية الاول على ان يكون انتصاب نفورا على انه مفعولا له اي تركوا مجلس الذكر هربا عن استماعه والثاني على انه مفعول مطلق من غير لفظ الفعل لان النفور بمعنى وان كان جمع نافر يكون حالا من فاعل ولوا او لواقا لكنهم كانوا عند استماع القرآن على حالتين فاذا سمعوا من القرآن ما ليس فيه ذكر الله تعالى بقوا مبهوتين متحيرين لا يفهمون منه شيئا واذا سمعوا اياته فرحا وذكر الله تعالى وذم المشركين تركوا ذلك المجلس وولوا هاربين مدبرين ثم ان القوم لما وصفوه عليه السلام بكونه مسحورا فاسد العقل ذكروا ما يدل على خلافه عقله عليه السلام بحسب زعمهم وهو قولهم انه عليه السلام يدعي ان الانسان بعد ما يصير عظاما ورفاتا يعود حيا طريا كما كان فحكى الله تعالى عنهم ذلك تعجبا لهم وابطالا لمقالتهم فقال وقالوا ايذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون الهمزة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الهمزة الثانية لانكار نفس البعث والاستبعاد والاولى لانكاره وقت
كونهم عظاما ورفاتا قال الواحدي الرفت كسر الشئ بيدك يقال رفته والرفته
كما وزن ضربه واضربه بكسر العين في المضارع اذا كسرته كما يكسر المدر والعظم
البالي والرفات الاجزاء المتفتتة من كل شئ بال رفت رفتا فهو مرفوت
مثل حطم حطما فهو محطوم ورفاتا ومعنى والحطام اسم بمعنى المحطوم كالجذاذ والرضاض والفتات قوله وخلقا مصدر على غير لفظ الفعل اي انا لمبعوثون
بعثا جديدا او حال بمعنى مخلوقين فالقوم لما استبعدوا ان يردوا الى حال
الحيوة بعد ان صاروا عظاما ورفاتا بنوا على ما زعموا من امتناع العظام
المرفوتة عن قبول الحيوة لغلبة اليس عليها اجابهم الله تعالى بما معناه تعجبوا
بعد الموت الى اية صفة تزعمون انها اشد مناقاة للحيوة والبعد عن قبولها
كصفة الحجرية والحديدية ونحوهما مما هو ابعد عن قبول الحيوة بالنسبة الى الحال
كونكم عظاما مرفوتة فانه تعالى يعيد الحيوة اليها ويجعلها حيا عاقلا كما كان والدليل
على صحة ذلك ان تلك الاجسام قابلة للحيوة والعقل اذ لو لم تكن قابلة لها
لما قبلت ابدا معادا في اول الامر والله العالم عالم بجميع الجزئيات فلا يشتبه
عليه اجزاء بدن زيد المطيع باجزاء بدن عمرو العاصي وقادر على كل الممكنات
واذا ثبت ان عود الحيوة الى تلك الاجزاء ممكن في نفسه وثبت ان آله العالم
عالم بجميع المعلومات قادر على كل الممكنات كان عود الحيوة الى تلك الاجزاء
ممكنا متعلقا سواء صارت عظاما ورفاتا او صارت شيئا ابعد من العظام
المرفوتة في قبول الحيوة نحو ان تصير حجارة او حديدا فقوله تعالى كونوا حجارة
ليس المراد منه الامر بل المراد انكم لو كنتم كذلك لما عجز تم الله تعالى عن الاعادة
وذلك كقول القائل للرجل اثلجي وتغلظ على وانا فلان فيقول كن مثل
شئت كن ابن الخليفة فاطلب منك حق فكذا ههنا كونوا على اية صفة كانت
فالاعادة للحيوة اليكم ممكنة قوله فسيقولون ينغض راسه ينفضه انغاضا
اذا حركه انكارا او استبعادا واما انغض ثلاثيا ينغض بفتح الغين وضمها
لمعناه تحرك وهو لا يتعدى قوله وان اسم عسى او خبرها والاسم مضمر اعلم ان عسى

يرفع الاسم وينصب الخبر كما كان تقول عسى الغوير ابؤسا وعسيت
صياما الا ان خبرها في الاغلب يكون ان مع الفعل كقولك عسى زيد ان يخرج
فان زيدا فيه مرفوع على انه اسم عسى وان يخرج منصوب المحل على انه خبرها
والتقدير عسى زيد الخروج اي ذا الخروج واحتيج الى تقدير المضاف لئلا يلزم
كون الحدث خبرا عن الجثة ويستعمل على وجه اخر وهو ان يتم بمرفوعها الذي
هو ما كان منصوب المحل في الاستعمال الاول وتستغني عن الخبر لاشتمال الاسم
على المنسوب والمنسوب اليه كقولك عسى ان يخرج زيد فالآية التي نحن فيها يحتمل ان
يكون عسى فيها تامة بمرفوعها والاسم يكون ضمير البعث المستتر فيها وقريبا خبرها
ويحتمل ان يكون ناقصة ويكون اسمها مستترا فيها راجعا الى البعث ويكون
كلمة ان مع ما في حيزها خبر عسى كما في قولك عسى زيد ان يخرج والظاهر ان يكون
لفظ يكون تامة ويكون التقدير عسى البعث ان يقع او عسى ان يتبع البعث
في زمان قريب والمعنى عسى ان يقع البعث في زمان قريب وان يكون قوله يوم يدعوكم بدلا من قريبا والمعنى عسى ان يقع
البعث يوم يدعوكم وهو يوم النفخة الاخيرة ويحتمل ان يكون منصوبا باذكر
جعل قوله تعالى يدعوكم فتستجيبون مجازا على طريق التمثيل كما في قوله كن فيكون
لان حقيقة الدعاء والاجابة غير معقولة في حق الاموات فالظاهر انه لا دعاء
هنا ولا اجابة ولا خطاب ولا مخاطب شبه بعث المكلفين من لدن آدم عليه
السلام الى يوم النفخة الاولى ومطاوعتهم للجمع لارادة الباعث وانبعاثهم انبعاث
شخص واحد منقاد لامر الآمر المطاع بالدعوة والاجابة فعبر عن الحالة المشبهة
بما يعبر به عن المشبه به والاستجابة في الاصل موافقة الداعي فيما دعى اليه وهي
الاجابة الا ان الاستجابة تقتضي طلب الموافقة فهي اوكد من الاجابة
وقد ورد في الاخبار ان اسرافيل عليه السلام يقوم على صخرة بيت المقدس
يدعو اهل القبور في قرن ابيها العظام البالية واللحوم المتفرقة والعروق
المنقطعة اخرجوا من قبوركم فيخرجون وظاهره يدل على ان الدعاء دعاء بالقول
والاجابة اجابة القول والعمل فلا ينبغي لنا الا ان نقول آمنت بالله وبما جاء
من عند الله على مراد الله وآمنت برسول الله وبما جاء من عنده على مراده وقوله تحمدون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حال من فاعل تجيبون اي تجيبون اذ ملتبسين بثنائه وحمده مقرين
بانه على كل شئ قدير حين عاينتم عظيم قدرته فقولوا اليوم ما تقولونه فستذكرون
ما اقول لكم قوله واستغفرون مدة لبثكم في القبور ينبغي ان يراد من اللبث
في القبور لبثهم فيها بين النفختين الاولى والثانية فانه يزال عنهم العذاب
في هذا الوقت كما روي ذلك عن ابن عباس فانهم لما بعثوا وعاينوا اهوال
القيمة استقصروا مدة لبثهم في القبور فيما بين النفختين استقصارا من اماتة
الله مائة عام ثم بعثه وقال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم انما قلن هذا
لان الكلام مع من ينكر البعث ويقول متى هو فلا جرم يكون هو في العذاب
الشديد من حين مات فكيف يمكنه ان يستقصر جميع تلك المدة كالذي
مر على قرية فان من كان مبتلى بالعذاب الشديد في القبر لا يستقصر مقامه
فيه يوم يبعثه الله فينبعث الا ان يقال يوم البعث والانبعاث يوم
ممتد يتناول الزمان الذي قاسا فيه شدائد عذاب النار واهواله فان
من عانها وابتلي بها بحيث منه ان يستقصر مدة لبثه في القبر ويستحقر ما ابتلي به
فيه بالنسبة الى ما ابتلي به بعد البعث فان من كان في بلاء وشقاء اذا نزل
به ما هو اشد منه واعظم استقصر ما كان فيه قبل ذلك فكذا المشركون اذا
عاينوا عذاب القيمة واهوالها استقصروا ما كان بهم من العذاب في القبر ونسوه
ذلك ثم انه تعالى لما بين صحة المعاد بقوله قل الذي فطركم اول مرة امر النبي
صلى الله عليه وسلم بان يقول للمؤمنين اذا اردتم ايراد الحجج الدالة على صحة
الحشر والمعاد على النحو الذي ذكرناه فاسلكوا بالطريق الاحسن
وهو ان لا يكون ذكرها مخلوطا بالشتم والسب اذ لو اختلط بذكرها شئ
من السب لقابلوكم بمثله كما قال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا بغير علم ويزداد الغضب ويكامل النفرة ويمتنع حصول
المقصود بخلاف ما اذا اقتصر على ذكر الحجة بالطريق الاحسن الخالي عن الشتم
والايذاء فان ذكرها على هذا الوجه يؤثر في القلب تاثيرا شديدا قوله تعالى
هي احسن فيكون المراد بقوله قل لعبادي المؤمنين ويكون قوله ربكم اعلم

بكم خطابا

بكم خطابا مع الكفار على انه مقول لمقوله ليقولوا وقوله التي هي احسن توطئة وتمهيد لقوله ان الشيطان اعتراض وقوله وما ارسلناك عليهم وكيلا كالتذييل للجواب
محادثة مع المشركين وامره المؤمنين بها من قوله وقالوا الذا كنا عظاما
الاية ويكون المعنى ايها المشركون ان يشا ربكم يرحكم بان يوفقكم للايمان
والمعرفة وان يشا يمتكم على الكفر فيعذبكم الا ان تلك المشية غائبة عنكم
فاجتهدوا وانتم في طلب الدين الحق ولا تقروا على الجهل والباطل لئلا تصيروا
محرومين عن السعادات الابدية وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض
بين المفسر والمفسر ثم انه تعالى لما قال ربكم اعلم بكم قال بعده وربك اعلم بمن
في السموات والارض يعني ان علمه غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل علمه متعلق
بجميع الموجودات وجميع ذرات الكائنات فيعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به
من المصالح والمفاسد فلهذا السبب فضل بعض النبيين على بعض واتى موسى
التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل وخص كلا منهم بما يقتضيه علمه ومشيته
فيه فلم يبعد ايضا ان يؤتي خاتم النبيين القران ويفضله على جميع افراد نوع
الانسان وان يخص اصحابه الغرة للجوع بشرف صحبته وكل ذلك لاجل انه تعالى
لا ينظر الى الصور وظواهر العلائق الجسمانية وانما ينظر الى جواهر الباطن
والاستعداد للتحلي بالفضائل النفسانية والمعارف الذوقية الربانية والحاصل
انه تعالى رد اولا على المشركين في استبعادهم البعث بقولهم ائذا كنا عظاما
ورفاتا انا لمبعوثون وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم ويجادلهم
بالطريق الذي امره به ثم امر المؤمنين بان يجادلوا معهم بالطريقة التي هي احسن
ولا يجادلوهم لكلام يفوت المقصود ثم قال في اخره كيف تخاشنهم انت
والمؤمنون وما ارسلناك عليهم وكيلا تقسرهم على الايمان ثم انه تعالى رد على المشركين
في استبعادهم امر النبوة بعد الرد عليهم في استبعادهم البعث بمثل قولهم
كيف يكون يتيم ابي طالب نبيا ويكون الغرة للجوع اصحابه فقال وربك اعلم بمن في
السموات والارض على معنى انهم ان كانوا لا يعلمون وجه استحقاق محمد للنبوة واستحقاق
اصحابه للتقدم في اتباعهم والاهتداء به فربكم اعلم انه ربكم اعلم باحوال من في السموات

والارض

وبما يستأصل كل واحد منهم من الفضل والتقدم ولذكر تفاوت مراتب الانبياء
بعضهم افضل من بعض وليس ذكر التفاضل مبنيا على كثرة الاموال والاتباع
والاتصاف بالملك وتشييد القصور والبقاع حتى ان داود عليه السلام مع
كونه ملكا عظيما لم يذكر الله تعالى ما اتاه من الملك وذكر آتاه من الكتاب للتنبيه
على ان المراد مما ذكره من تفضيل بعض النبيين على بعض هو التفضيل بالعلم
والدين والفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بالمال
والجاه فظهر بما ذكرنا من التقرير ان ليس المراد بالبعض في قوله تعالى ولقد فضلنا
بعض النبيين البعض المعهود بل المراد به البعض المطلق والكلام مسوق
لتقرير ما اجمل في قوله وربك اعلم بمن في السموات والارض فان علمه بمن فيهما
عبارة عن انه تعالى انما يفضل منهم من يفضله على حسب علمه بحاله ومشيته في
حقه وقوله وآتينا داود زبورا انما ذكر في هذا المقام للتنبيه على ان المراد
بتفضيل بعض الانبياء على بعض التفضيل بالفضائل النفسانية والعلوم
الدينية لا بالملك وسعة المال حتى انه تعالى لم يتعرض من فضائل داود عليه
السلام بما سوى ما شرفه به من ايتائه الزبور فقوله فضل هو ان قوله تعالى ولقد
فضلنا الآية اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني فضل ان المراد
بالبعض البعض المعهود وان قوله وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله
ووجه دلالته عليه انه تعالى عطف وآتينا داود زبورا على قوله فضلنا ولما لم
يكن وجه تفضيل ذلك البعض المعهود مبينا وذكر هذا المعطوف في مقام
تبيينه وكان الزبور مشتملا على وجه تفضيله وهو انه عم خاتم الانبياء
وان امته عم خير الامم فان ذلك مكتوب في زبور داود عليه السلام قال الله
تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون
والمراد بهم نبينا صلى الله عليه وسلم وامته كان عطفه عليه تنبيها على وجه التفضيل
قوله وتنكيره ههنا يعني ان الزبور علم لكتاب داود عليه السلام نكيف عرف
تارة ونكر اخرى والتعريف العلمي يغني عن التعريف اللامي واجاب عنه اولا بانه
ليس من الاعلام المرتجلة بل هو من الاعلام المنقولة فانه منقول عن اسم صفة كخاتم

وعباس

٤١٩

وعباس او عن اسم عين كنضل لانه في الاصل فعل بمعنى مفعول كحلوب او بمعنى المصدر
كقبول وبعد ما نقل الى العلمية جاز توفه تليحا واشارة الى اصله وجاز تنكيره اعتبار
العلمية كعباس والعباس وفضل والفضل وثانيا بانه ليس من الاعلام بل هو
اسم جنس بمعنى المزبور وهو المكتوب فاذا اريد به المعهود المعين يحتاج الى
توفيه باللام كما في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر وان اريد به فرد
من جنس المزبور عظم الشان كما مر في كونه كتابا يستعمل نكرة كما في قوله تعالى
وآتينا داود زبورا وكذا ان اريد به قطعة من قطيع الزبور المعهود بان يكون
زبور اسما مشتركا بين الكل والبعض فكما يطلق على الكل يطلق على كل بعض منه
كما يطلق على بعض القرآن قرآن فلا قصد به فرد مما يصدق عليه زبور بمعنى قطعة
من الزبور نكر كما في قوله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل بين قوله انها الهة
اشارة الى ان كل واحد من مفعولي زعمتم محذوف لدلالة المقام عليه اي زعمتموهم
الهة او زعمتم انها الهة قوله كالملائكة والمسيح وعزير لم يذكر الاصنام لانه تعالى
قال في صفتهم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ابتغاء
الوسيلة الى الله تعالى لا يليق بالاصنام البتة فينبغي ان يكون الآية نازلة في
قوم عبدوا الملائكة من المشركين زاعمين انه ليس لنا اهلية ان نشتغل
بعبادة الله تعالى فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله تعالى وهم الملائكة
فاتخذوا الملك الذي عبدوه تمثالا وصورة واشتغلوا بعبادة ذلك التمثال
حاذين انه تمثال ملك فانزل الله تعالى هذه الآية احتجاجا على بطلان قولهم
ووجه الاحتجاج ان الآلهة المعبود هو القادر على ازالة الضر وايصال النفع
والاشياء التي تعبدونها لا يقدرون على كشف الضر ولا على تحصيل النفع
غاية شان الملائكة انهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
فوجب القطع بان شيئا منها ليس بالهة وروي عن ابن عباس ومجاهد انها نزلت
في الذين عبدوا المسيح وعزيرا والملائكة والشمس والقمر والنجوم وفي الوسيط
قال المفسرون ان المشركين من قريش واهل مكة اصابهم قحط شديد سبع
سنين حتى اكلوا الكلاب والجيف واستغاثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى قل للمشركين ادعوا الذين ادعيتم زعمتم انها آلهة
من دون الله قوله اولئك الآلهة يبتغون اشارة الى ان اولئك مبتدأ الشيء به
الى الذين زعمهم المشركون انهم آلهة من دون الله وقوله الذين يدعون
صفة للمبتدأ، وفاعل يدعون ضمير المشركين وعائد الصلة محذوف والمعنى
اولئك الآلهة الذين يدعوهم المشركون ليكشف ضرهم او يدعونهم الهة
مفعولها او مفعولا ها محذوف ويبتغون خبر المبتدأ والوسيلة القربة
وايهم موصولة بمعنى الذين حذف صدر صلتها وهي بدل من الضمير في يدعون
والتقدير ما ذكره بقوله يبتغي من هو اقرب الى الله الوسيلة اي التقرب
اليه تعالى فكيف بغير الاقرب قوله بالموت والاستيصال فان الهلاك قد يستعمل
في الموت كقوله تعالى ان امرؤا هلك ابي مات عن قتادة انه قال هذا قضاء
من الله تعالى لم نسمعه ليس منه بد اما ان يهلكنا بموت كقوله كل نفس ذائقة
الموت او يهلكنا بعذاب مستأصل اذا نزلوا امره وكذبوا رسله محل
الاهلاك على الامانة من غير تسليط احد على المبت والتعذيب الشديد على
الاهلاك بعذاب الاستيصال وقال الزجاج ما من اهل قرية الا وسيهلكها
اما بموت واما بعذاب يستأصلهم وقال مقاتل اما الصالحة فبالموت
واما الطالحة فبالعذاب وهذه كلمات متقاربة سكت المصنف عنها لانه
تعالى جعل التعذيب قسيما للاهلاك فلابد ان يكون ادنى حالا من الاهلاك
فلاوجه لحمله على عذاب الاستيصال بخلاف قتل الرؤساء واصابة انواع
البلاء فانه ادنى حالا من الاهلاك والله اعلم لما قال تعالى في الاية المتقدمة
ان عذاب ربك كان محذورا بين ان كل قرية من اهلها لابد ان يرجع حالها
الى احد امرين اما الاهلاك واما التعذيب وقيل المراد من قوله وان من قرية
قرب الكفار ولابد ان يكون عاقبتها احد الامرين اما الاستيصال بالكلية وهو
المراد من الاهلاك واما العذاب الشديد من قتل كبرائهم وتسليط المسلمين
عليهم بالسبي والغنائم والاموال واخذ الجزية فيصير القرية كلها في حكم اهل الاسلام
على ما قال بعض اهل التاويل في قوله تعالى اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها

من اطرافها

من اطرافها قالوا معناه ان مهلك اهل الكفر فيجعل مكان اهل الكفر اهل الاسلام
فذلك نقصانها من اطرافها لا يزال ينقص اهل الكفر قرية قرية وبلدة
حتى تصير الارض كلها لاهل الاسلام وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي
لي منها فذلك والله اعلم تاويل قوله تعالى الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها
عذابا شديدا ان مهلك اهل الكفر ويشبه ان يكون المراد من الآية انه يفني جميع
من كان على وجه الارض ويجعل الارض مستوية لا بناء فيها ولا ارتفاع حيث قال
كل من عليها فان وقال ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا
صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقال وبست الجبال بسا فكانت هباء
منبثا ونحو ذلك وجميع ذلك يدل على انه لا يبقى عليها احد ولا بناء فيصير كلها
صفصفا لا عوج فيها ولا امت فذلك هلاكها وتعذيبها والله اعلم كذا في شرح
التاويلات قوله واستوجبوا الاستيصال وذلك لانه تعالى قد انزل لاثبات
رسالة كل رسول من الآيات ولجج ما لا تحتاج الامة بعدها الى انزال آية اخرى
فاذا سألوا الشيء من الآيات بعد ذلك يكون ذلك السؤال سؤال تعنت وعناد
لا سؤال استرشاد واستهداء وقد جرت سنة الله تعالى ان كل من سأل تعنتا
وتمردا شيئا من الآيات واظهر الله تعالى ما سأله ولم يعتبر بها ويكفر بعد رؤيتها
ولم يؤمن بسببها يحل بهم عذاب الاستيصال الا ترى ان قوم عيسى عليه السلام
سألوه ان يأتيهم بمائدة من السماء تكون لهم آية فأتاهم
فاخبره تعالى انه ينزلها عليهم ثم اخبر ان من كفر منهم بعد انزالها عليهم فانه يعذبه
عذابا لا يعذبه احدا من العالمين وذلك لان سؤالهم كان مبنيا على التمرد والعناد
وروي ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل الله تعالى لهم
الصفا ذهبا وان ينزل عنهم الجبال التي في حوالي مكة حتى يزرعوا تلك الاراضي
فطلب عم ذلك من الله تعالى فقال تعالى ان شئت فعلت ذلك لكن بشرط انهم ان كفروا
اهلكتهم فقال عم لا اريد ذلك فنزلت هذه الآية وكانت كفار قريش يقترحون
منه عم اظهار معجزات قاهرة غير ذلك مثل قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض

شبكة الألوكة www.alukah.net

بنبوءة وقولهم لهم انك تزعم انه كان قبلك انبياء فمنهم من سخرت له الريح
ومنهم من كان يحيي الموتى فأتنا بشيء من هذه المعجزات فاجاب الله تعالى عنه بقوله
وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون اي ما منعنا ان نرسل
بها الا علمنا بان الاخرين يكذبون بها كما كذب بها الاولون فيستوجبون
بذلك التكذيب عذاب الاستيصال على ما جرت عليه السنة الالهية وقد
سبق من وعده ان لا يهلك هذه الامة بعذاب الاستيصال رحمة منه وفضلا
وتكرما لنبيهم الذي ارسله رحمة للعالمين بل اخر جزاءهم الى يوم القيمة
وقوله بينة ذات ابصار اشارة الى ان مبصرة حال من الناقة والاسناد
مجازي لان الابصار قائم بمن اعتبرها والمسند والناقة سبب لابصار الحق
وتصديق الرسول فقوله مبصرة بناء الكثرة اي ذات ابصار على معنى ان
فيها ابصارا لمن تاملها يبصر بسببها الحق او بينة ذات بصائر وهو جمع بصيرة
بمعنى الحجة الواضحة فان للحجة تسمى بصيرة على الاسناد المجازي لكونها سببا
للابصار والناقة ان كانت شيئا واحدا لكنها مشتملة على ايات كثيرة من
ظهورها من الصخرة الصماء وظهور سقبها عقيب خروجها منها وعظم جثتها وكثرة
درها وغير ذلك قوله او جاعلتهم ذوي بصائر على ان يكون همزة ابصر للصيرورة
فيكون مبصرة بمعنى بينة مصيرة اياهم ذوات بصائر الخ قوله وقرئ بالفتح
اي بفتح الميم والصاد بمعنى محل ابصار كقولهم عم الولد مبخلة مجبنة على اجراء
هذه الاشياء مجرى الامكنة على طريق ارض مسبعة قوله اي الايات المقترحة
فان اصل الآيات يظهرها الله تعالى لان يستدل بها على صدق مدعي النبوة واما
الآيات التي اقترحها القوم بعد ظهور ما يكون كافيا في الدلالة على صدق المدعي
فليس ارسالها لاجل ان يهتدي بها القوم لكونهم متعنتين غير طالبين
للرشاد وانما يرسلها الله تعالى لاجل ان يخافوا من نزول العذاب المستاصل
وبعدوا بما لمقدمة الجيش وطليعته من حيث معاينتهم كمال قدرة الله تعالى حال
تعنتهم ومخالفتهم آثره قوله او بغير المقترحة فان قيل المقصود الاعظم من
اظهار الآيات ان يستدل بها على صدق المدعي فكيف قيل المقصود من اظهارها

ليس الآ

ليس الآ التخويف فالجواب ان ظهور الآية الى رفقة للعادة انما يؤدي الى التصديق
والايمان من حيث دلالتها على ان من لم يتفكر فيها ولم يستدل بها على الصدق يستحق
العذاب الشديد فهذا الخوف هو الذي يحمله على التفكر والتأمل في تلك المعجزة
والباء في قوله بالآيات اما مزيدة في المفعول او التقدير وما منعنا ارسال الرسل ملتبسين
بالآيات والمعجزات الا تخويفا وقوله تعالى واذ قلنا لك كالتعليل لما خطر ببال الامة
من عدم ارساله ما اقترحه القوم من الآيات وهو ان يزداد عنادهم الى حيث يمنعه
من تبليغ رسالته واظهار دينه قبل لا نتوهم ذلك واذكر ما اوحي اليك من ان الناس
في قبضته قدرته نصره واعصمك فلن على ما انت عليه قوله او عام الحديبية عطف
على قوله ليلة المعراج اي المراد رؤياه التي رآها في حق عمرة الحديبية فانه عزم
رأيا انه يدخل مكة واخبر بذلك اصحابه فلما منع من البيت الحرام عام الحديبية كان
ذلك فتنة لبعض القوم حتى قال عمر لابي بكر رضي الله عنهما قد اخبرنا رسول
صلى الله عليه وسلم انا ندخل البيت ونطوف به فقال ابو بكر انه لم يخبرنا ان نفعل
ذلك في هذه السنة تستفعل ولكن في سنة اخرى فلما جاء العام المقبل دخلها
وانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وكون الوقعة مدنية لا ينافي
كون رؤيتها كما ان رآه ليلة المعراج كان فتنة للناس من حيث انه عم لما ذكر
لهم قصة الاسراء كذب به وكفر به كثير ممن كان قد آمن به وازداد المخلصون ايمانا
قوله ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر وما قيل من ان تلك الوقعة مدنية
والسورة مكية فجوابه ما ذكرنا من ان كونها مدنية لا ينافي ان تتبع رؤية ما يتعلق بها
في مكة قوله ان من قدرته ان يجري البر السمندر وهو دويبة تكون في بلاد الترك لا تؤثر
فيها النار ويتخذ من وبرها مناديل فاذا اتسخت المنديل القيت في النار فينذهب
الوسخ وتبقى المنديل قوله ولعنها في القرآن جواب عما يقال ليس في القرآن لعن هذه
الشجرة فكيف وصفت بانها ملعونة في القرآن اجاب عنه اولا بان اسناد اللعن
الى الشجرة اسناد مجازي من قبيل اسناد وصف حاملها من الكفرة والظلمة اليها
وثانيا بان اللعن في اللغة التبعيد فلما كانت هذه الشجرة مبعدة عن جميع وجوه
الخير حيث كان موضع استقرار اصل الجحيم سميت ملعونة وثالثا بان تسميتها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ملعونة مبتية على عرف العرب فانهم يقولون لكل طعام مكروه ضار بالانسان
مكروه ضار بالانسان انه ملعون وقد
وصفها الله تعالى في القرآن بكونها خبيثة مكروهة وهو المراد بكونها ملعونة في القرآن
قوله وقد أزلت بالشيطان عطف على قوله ومن شجرة الزقوم اي وقيل المراد
بالشجرة الملعونة في القرآن الشيطان لما روي عن ابن عباس ان الشجرة الملعونة
في القرآن المراد بها بنو امية بن الحكم بن ابي العاص قال راى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المنام ان ولد مروان ينزوا ولون منبره فغضب رؤياه على ابي بكر وعمر
وقد خلا في بيته معها فلما تفرقوا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم يخبر
برؤيا رسول الله فاشتد ذلك عليه وانهم عمر في اخراجه سنة ثم ظهر ان الحكم
كان يتسمع اليهم فنفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواحدي هذه القصة
كانت بالمدينة والسورة مكية فيبعد هذا التفسير الا ان يقال هذه الاية
مدنية ولم يقل به احد ومما يؤكد هذا التاويل قول عائشة رضي الله عنها لمروان
لعن الله اباك وانت في صلبه فانت البعض من لعنة الله فقيل في وجه ارتباط ذكر
الرؤيا وذكر الشجرة التي جعلها الله تعالى فتنة للناس بهذا المقام ان النوم
لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتيان بالمعجزات القاهرة واجيبوا بانه
لا مصلحة في اظهارها لانها لو ظهرت ولم يؤمنوا انزل الله تعالى عليهم عذاب الاستيصال
وقد رفع ذلك عن هذه الامة صار عدم ظهورها شبهة لهم في انه عدم ليس بصادق
في دعوى الرسالة والا لما امتنع عن اظهارها وكانت شبهتهم هذه مظنة
ان تورث نوع اضطراب في قلب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية
تسلية لهم كانه قيل هذه الشبهة لا توهن امرك ولا تصير سببا لضعف حالك
الا ترى ان ذكر تلك الرؤيا صار سببا لوقوع الشبهة العظيمة وكذا ذكر الشجرة
الموصوفة ثم ان قوة تلك الشبهات ما اوجبت ضعفا في امرك ولا فتورا في اجتماع
المحقين عليك فكذلك هذه الشبهة لما صار سبب عدم ظهور هذه المعجزات
المقترحة لا توجب فتورا في حالك ولا ضعفا في امرك ثم انه تعالى وصفهم بقسوة
القلب والتمادي في الغي والطغيان حيث قال وتخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا
اشارة الى وجه آخر لعدم اظهار ما اقترحوه من الآيات والمعجزات فان من لم تنبأ ثمر

من التخويف

من التخويف بمخاوف الدنيا والآخرة كيف ينتفع باظهار ما اقترحوه من الآيات تعنتا
وعنادا قيل قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية متصل بقوله ان
الشيطان كان للانسان عدوا مبينا فانه تعالى بين به انه عدو لهم من قديم الزمان
وبين ههنا سبب عداوته وانه من اي وقت كان عدوا لهم قوله وهيئ اي من
في قوله طينا سواء كان انتصابه بنزع الخافض او على انه حال من عائد الموصول
او من نفس الموصول اياما لان الانكار المدلول عليه بقوله اسجد مبني
على كون اصله اشرف من اصل آدم عليه السلام كانه قال كيف اسجد له وسجود
الاشرف للادنى غير معقول قوله والمعنى اخبرني اطلق لفظ الاستفهام واريد
الامر بجامع الطلب واطلق الرؤية التي هي سبب للاخبار واريد الاخبار المسبب
عنها ففي لفظ ارايت مجازان من وجهين قوله مع التقرير اي مع انه تعالى قرر قولهم
هذا ولم ينكر عليهم في ذلك القول قوله او تقريرا من خلقه فانه عرف انه مركب من
قوة بهيمية شهوانية وقوى سبعية غضبية وقوة وهمية شيطانية وقوة عقلية
ملكية وعرف ان القوى الثلثة اعني الشهوانية والغضبية والوهمية هي المسئولة
في اول الخلقة ثم ان القوة العقلية انما تكمل في اخر الامر ومتى كان الامر كذلك علم
اللعين بالفراسة ان اغواءه يؤثر فيهم قوله امهلني لما قصده يعني ان قوله تعالى اذهب
ليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء وانما معناه امهلني واخرني الى يوم القيمة
اقبض لشانك الذي اخرته والمقصود التخلية وتفويض الامر اليه قوله باضمار فعله
اي تجازون جزاءا وحال موطئة كقولك جاء زيد رجلا صالحا ولك الحال الموطئة اسم جامد
موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة وذلك الاسم كانه وطأ وطريق لما هو حال حقيقة
لمجيئه قبلها موصوفا بها كثيرا في قوله تعالى انا انزلناه قرآنا عربيا قوله واستخف
ولرقال واستخف بكسر الاداغم لكان اوفق للمفسر بقوله استفزه للخوف
او الفرح اي استخفه وافزعه واز عجته وطيرت فؤاده
ورجل فز اي خفيف ومن في من استطعت موصولة في محل النصب على انها
مفعول استفزز اي استفزز الذي استطعت استفزازه منهم قال ابن عباس
صوت ابليس دعاؤه الى معصية الله تعالى وقيل المراد بصوته الغناء واللهو واللعب

ومعنى الامر ههنا التهديد كما يقال اجهد جهدك فسنرى ما ينزل بك قوله من
الجلبة وهى الصياح وقيل فعل وافعل بمعنى ههنا يقال اجلب على العدو اجلابا اذا
جمع عليه الخيول والمعنى ح اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدك والباء فى قوله
بخيلك زائدة على هذا القول قوله والخيل الخيالة اى اصحاب الخيول يعنى ان الخيل
مطلق على الفرسان كما فى قوله عم ياخيل الله اركبى اى يا اصحاب خيل الله وقد
يقع على نفس الافراس كما فى قوله تع والخيل والبغال والحمير لتركبوها والمراد به
ههنا الاول والمراد بخيل ابليس ورجله كل راكب فى معصية الله تع وراجل
ويدخل فيهما كل من شاركه فى الدعاء الى المعصية من راكب وماشى قوله ويجوز
ان يكون تمثيلا اى ان يكون قوله واستفزز من استطعت واجلب عليهم بخيلك
ورجلك تمثيلا لحال الشيطان فى تسلطه واغوائه من غير ان يكون هناك استفزاز
وصوت وخيل ورجل بحال مغوار قدر فيه هذه الامور المذكورة فاستعمل
فى حال الشيطان ما استعمل فى حال المغوار اى كثير الغارات اثبت لابليس
اولا صوتا يستفزبه العصاة وهو دعاوه اياهم الى المعصية والفساد واعوانا
من الخيالة والرجالة يصيح بهم على العصاة ويحتمل ان يكون لابليس جند من
الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل والاقرب ان يكون الكلام من قبيل
الاستعارة التمثيلية بان يشبه حال ابليس بحال المغوار الذى يجتهد فى امره
بالصوت والاعوان للخيالة والرجالة فان قيل كيف امر الله تع ابليس بهذه
الاشياء وهو يقول ان الله لا يامر بالفحشاء فالجواب انه ليس امر تكليف
بل هو امر تهديد كقوله اعملوا ما شئتم ويتضمن تعجيز ابليس وتعريفه ان ذلك
لا يغير الله شيئا ولا ينقص من ملكه شيئا وان سلطان ابليس انما يجرى
على الجهال الذين قد اخرجهم الله تع عن جملة من شرفهم بعبوديته قوله اعتراض
اى هو كلام وقع فى اثناء ما خوطب به ابليس لبيان حال مواعيده وليس
من جملة ما خوطب به ابليس والا لقيل وما تعدهم انت قوله والغرور تزيين
الخطاء فان قيل مواعيد الشيطان ليس نفس التزيين فلم فكيف قيل وما
بعدهم الا غرورا فالجواب ان تقدير الكلام ما يعدهم الا وعدا ذا غرور ا

وجعل

وجعل مواعيده نفس الغرور مبالغة كما فى رجل عدل ويحتمل ان يكون قوله
الا غرورا مفعولا من اجله اى ما يعدهم شيئا من الاماني الكاذبة الا لاجل
الغرور ثم انه تع لما مكن ابليس من ان يأتى اقصى ما يقدر عليه فى باب الوسوسة
وكان ذلك سببا لحصول الخوف الشديد فى قلب الانسان قال وكفى بربك
وكيلا والمعنى ان الشيطان وان مكنه الله تع على ذلك الا ان سلطانه ولايته
مقصورة على من استبعد هويه واسترته الحظوظ العاجلة الخسيسة واختار
اتباع الشيطان على اتباع رضا الرحمن وتولاه كما قال تع انما سلطانه على
الذين يتولونه واما من لازم طريق العبودية واستعبده محافظة حق الربوبية
واتخذ ربه مفزعا يفزع اليه ومعتمدا يعتمد عليه فى جميع اموره فانه تع يدفع عنه
كيد الشيطان وبعضه من اضلاله واغوائه واتبع ذلك على طريق الاستيناف
قوله وكيلا الذى يزجى تعليلا لكفايته وبيانا لقدرته على عصمة من توكل عليه فى امور
وروى فى الخبر ان الله تع لما لعن ابليس وطرده قال يا رب اسالك ان تعينني
على ادم قال يا ابليس لا يولد له ولد الا ولد له عشرة قال يا رب زدنى قال تجرى
فيه وفى ذريته مجرى الدم قال يا رب زدنى قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك
وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم فاستغاث آدم بالله تع وقال انك
جعلت بينى وبين ابليس عداوة وقرينة على فاعنى عليه يا رب فقال
اذا عملت حسنة فلك عشر وان عملت سيئة فواحدة قال يا رب زدنى
قال لا اغلق باب التوبة على احد من ذريتك حتى يغرغر فقال يا رب زدنى
قال اغفر والا ابالى فقال آدم حسبى يا رب والخطاب فى قوله ربكم وفى قوله انه
كان بكم رحيما عام فى حق الكل والمراد من الرحمة منافع الدنيا والا فرجا آسوق
الشئ حالا بعد حال والمعنى ربكم الذى يسير الفلك على وجه البحر لتبتغوا من فضله
قوله وقيل استعتم على ان يكون اعرضتم من العرض مقابل الطول من قولهم اخرض
الشئ وعرضه اذا جعله عريضا او صار ذا عرض كما فى قوله فاعرض فى المكارم
اى صار عريضا فيها والتسع قوله ان يقلبه الله وانتم عليه اى ان يقلب الله تعالى
جانب البر مصحوبا بكم على ان يكون جانب البر مفعولا به لقوله يخسف كالارض فى قوله تع

لعن الله ابليس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ذلك التعريف باستعمال آلة اللسان او بغيره كما في الانسان الاخرس فانه يمكنه ذلك
بطريق الاشارة وبطريق الكتابة ومن كرامات الانسان أن اناط للخط وذلك
لان ما استنبطه كل انسان من العلوم قليل فاذا اودع الانسان ما علم في الكتب
وجاء انسان آخر واستعان بذلك الكتاب وضم اليه من عند نفسه اشياء اخر
ثم جاء ثالث وفعل كذلك ثم لا يزالون يتعاقبون ويضم كل متأخر مباحث كثيرة
لا علم المتقدمين كثرت العلوم والفضايل وانتهت المباحث العقلية والمطالب
الشرعية الى اقصى الغايات واكمل النهايات ومعلوم ان هذه النعمة والسعادة
لا تتاتى الا بواسطة الكتابة ولهذه الفضيلة الثابتة في الخط والكتابة قال
تعالى اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم والتسلط على ما
في الارض فان نفس الارض بالنسبة الينا كالام الحاضنة تكفلنا احياء واموانا
ونقتفع بالماء العذب بالشرب وسقي الاشجار والبساتين وبالبحر ايضا كما قال
تعالى وسخر لكم البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى
الفلك مواخر فيه وبالهواء لانه مادة حيوتنا ولولا هبوب الرياح لاستولى
النتن على هذه العمارة وبالنار اذ بها طبخ الاغذية والاشربة والاستضاءة
بضوئها في الليالي المظلمة وهي الدافعة لقر البرد هذا وجه انتفاعنا بالبسيط
الارضية واما المركبات من المعادن والحيوان والنبات فالانسان هو المستولي
عليها والمنتفع بها وبالجملة جميع منافع هذا العالم مصروفة الى الانسان
والانسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع وسايل الحيوانات بالنسبة
اليه كالعبيد وكل ذلك يدل على انه تعالى خصه من عنده بمزيد التكريم والتفضيل
والتكريم جعل الشخص مكرما باعطائه ما يكون مكرما بسببه ولا يعتبر في مفهومه
الاضافة الى الغير بخلاف التفضيل قوله بالغلبة والاستيلاء فالازم ان لا يكون
الانسان مفضلا على طائفة قليلة من المخلوقات بالغلبة والاستيلاء ولا شك
ان الامر كذلك فانه لا استيلاء للانسان على الجن والملك ونحوهما وان اريد بتفضيله
عليها التفضيل بالشرف والكرامة يكون المراد بالقليل الذي لا يكون الانسان
مفضلا عليهم بالشرف الملائكة فيلزم القول بان الانسان ليس افضل من الملائكة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فخسفنا به وبداره الارض ويكون بكم حالا من المفعول بتقدير مصحوبا بكم وقوله او
يقلبه بسببكم على ان تكون الباء السببية متعلقة بيخسف قوله لا معقل اي
لا ملجا قوله رجا خصب وفي الصحاح الخاصب الريح الشديدة التي تثير الخصباء
وهي الحصباء يقال حصبته الرجل احصبه بالكسر اي رميته بالحصباء والقصف
الكسر يقال قصفت الريح السفينة وريح قاصف اي شديدة وريح قاصف
شديدة الصوت قوله مطالبا يتبعنا بانتصار او حرف على ان تبيع من بلازم
الغير لمطالبة حق اي لا تجدوا لكم من يتبعنا بانكار ما نزل بكم وانتقامه
منا بسببه ولا من يتبعنا بصرفه عنكم ومنعه ايانا من انزاله بكم قوله بحسن
الصورة فان صورة الانسان احسن من صور جميع الحيوانات قال تعالى وصوركم
فاحسن صوركم وانه تعالى لما ذكر خلقة الانسان قال فتبارك الله احسن الخالقين
وقال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم والمزاج الاعدل ويدل عليه انه تعالى
جعل ارزاقهم اطيب الارزاق وجعل لغيرهم ما خبث منها وما فضل منهم
واعتدال القامة اي بالنسبة الى سايل الحيوانات فان في الاشجار من بائلة في
جهة القامة والتمييز بالعقل فان الانسان يشارك سايل الحيوانات والنباتات
بعائلة من جهة القامة فيما لا من القوى فان النفس النباتية لها قوى ثلث قوة
الاغتذاء والنمو وتوليد المثل والنفس الحيوانية لها قوتان زائدتان على هذه
الثلث وهي القوة الحساسة سواء كانت ظاهرة او باطنة والقوة المحركة
بالاختيار فهذه القوى الخمس اعني قوى الاغتذاء والنمو والتوليد والحس
والمحركة الاختيارية حاصلة للنفس الانسانية ثم ان النفس الانسانية مختصة
متميزة بقوة اخرى وهي القوة العاقلة المدركة لحقايق الاشياء كما هي وهي
التي تتجلى بها نور معرفة الله تعالى وصنوا كبريائه فهذه القوة لا نسبة لها بسايل
الشرف والتفضل الى القوى النباتية والحيوانية والافهام بالنطق والاشارة
والخط فان ما سوى الانسان من الحيوانات عاجزة عن تفهيم ما حصل في باطنها
من لذة او الم تولدا تاما وافيا بخلاف الانسان فانه يمكنه تعريف غيره كل ما عرفه
ووقف عليه واحاط به فكونه قادرا على هذا التعريف هو المراد بكونه ناطقا سواء كان

ذلك التعريف

بل يكون الملك افضل من الانسان وهذا القول مذهب ابن عباس واختيار
الزجاج كما رواه الواحدي في البسيط قول المستثنى جنس الملائكة او الخواص
منهم يعني ان المخرج بقوله تع على كثير ممن خلقنا وهو القليل الذي لا يكون الانسان
مفضلا عليه اختلف في تعيينه فقيل انه جنس الملائكة وقيل انه خواصهم
كجبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام قال الامام يحيى
السنة وفي تفضيل الملائكة على البشر اختلاف قال قوم فضلوا على جميع الخلق
وعلى الملائكة كلهم وقد يوضع الاكثر موضع الكل كما قال الله تع ما انبئكم
على تنزل الشياطين الى قوله واكثرهم كاذبون الى كلهم وفي الحديث
عن جابر رفعه قال لما خلق الله تع آدم وذريته قالت الملائكة ربنا انك
اعطيت بني آدم دنيا يا كلون فيها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطنا ذلك
في الاخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقته بيدي كمن قلت له كن
فكان وقال ابو هريرة المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده كذا اورده
الواحدي في البسيط وقال قوم الملك افضل من البشر على الاطلاق تمسكا
بهذه الاية قال الامام الرازي وهو في الحقيقة تمسك بدليل الخطاب لان تقرير الدليل
ان يقال تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان للقليل بالضد وذلك تمسك بدليل
الخطاب وذهبت الاية الكريمة الى ان خواص بني آدم وهم المرسلون افضل
من جملة الملائكة وعوام بني آدم من الانبياء والزهاد افضل من عوام الملائكة
وخواص الملائكة افضل من عوام بني آدم وقال الكلبي فضل بنو آدم على الملائكة
كلهم الا على طائفة من الملائكة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واشباههم
قال الامام يحيى السنة والاول ان يقال عوام المؤمنين افضل من عوام الملائكة
وخواص المؤمنين من خواص الملائكة قال الله تع ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك هم خير البرية وروي عن ابي هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من
الملائكة وقال الامام ابو منصور الماتريدي الكلام في تفضيل البشر على
الملائكة والملائكة على البشر فانا لا نتكلم فيه لما لا نعلم ذلك وليس لنا الى
معرفته حاجة فالامر فيه الى الله قوله ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس ان يجنس بني

آدم

ادم يعني سلمنا ان قوله تع وفضلناهم على كثير يدل على ان جنس بني آدم ليسوا
مفضلين على جنس الملائكة او على الخواص منهم بناء على ان الكثير لم يعتبر به عن الكل
وان المراد بالتفضيل التفضيل بالشرف والكرامة لكن اللازم منه ان لا يكون
جميع افراد بني آدم مفضلا على ما ذكره وذلك لا ينافي ان يكون بعض الافراد
مفضلا عليه وذلك لان الاضافة في بني آدم ليست للعهد الخارجي ولا الذهني
لان الكلام ليس في تكريم بعض الافراد وتفضيله ولا التعريف نفس الحقيقة
بترتيبه ذكر بني آدم في مقابلة كثير من الخلق وذكر الحقيقة في مقابلة الفرد غير
معقول فتعين الجنس عدم تفضيل بعض افراده ثم انه تعالى لما ذكر ان
الشيطان ليس له سلطان على المخلصين من عباد الله تع وانه كاف في عصمة
من يتوكل عليه واتبعه بذكر ما يدل على كمال قدرته من ازجاء الفلك لهم
في البحر لابتغاء منافع الدنيا وان تكريمه لبني آدم ليس من جهة تسخير
الفلك لهم فقط بل انه تع كرمهم من وجوه شتى من جملتها انه حملهم في البر
والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من المخلوقات حرضهم على
الاجتهاد في اكتساب الخيرات المؤدية الى سعادة الاخرة فقال يوم ندعوا
الاية قراءة الجمهور بنون العظمة وقرئ بدعو بياء الغيبة والسناد الفعل
الى ضمير الجلالة او الملك وكل اناس على القراءتين منصوب على انه مفعول به
وقرئ بندعا مبنيا للمفعول وح كل مرفوع لقيامه مقام الفاعل وقرئ بدعو
بضم الباء وفتح العين بعدها واو نقل عن الفراء انه قال اهل العربية لا يعرفون
وجها لهذه القراءة ولعل القارئ قرأ بدعا بفتحة ممزوجة بالضمة فظن الراوي
انه قرأ بدعو والمصنف ذكر لها وجهين الاول ان الاصل بدعا على بنا المفعول
الا ان القارئ قلب الالف واوا حال الوقف على لغة قوم يقولون هذا الغزو
والعصو وضربوه الأغزو والعصى والحبل ثم اجرى الوصل مجرى الوقف وكل
مرفوع لقيامه مقام الفاعل والوجه الثاني ان الفعل مفرد واصله بدعا ابدلت الواو
من الالف لتدل على ان الفاعل جمع والبست ضمير جمع بل الفعل ماق على افراده كما في
قولهم الكلوني البراغيث واعراب الفعل بالحركة التقديرية ومنع كون الواو علامة

بجمع انها حرف جيء بها للدلالة على ان الفاعل جمع كما تؤتى بالتاء للدلالة على ان الفاعل مؤنث
تعلق هذا الكل مرفوع على انه قايم مقام الفاعل قوله او ضمير واو ويحتمل ان يكون الواو
ضمير الجمع والاصل يدعون فحذفت نون الرفع لعلة المقالات بها فان علامة
الرفع قد يكون مقدرة كما في نحو يغزو و يرمي ويدعا فان دفعها بالحركة التقديرية
فعلى هذا الوجه يكون الكل مرفوعا على انه بدل من الواو التي هي ضمير الجمع وجعل الواو
ضميرا اولى من جعلها علامة الجمع لان جعلها علامة يستلزم ارتكاب حذف لام الفعل
من غير سبب وذلك غير معهود في قواعد العربية والباء في قوله تعالى بامامهم
متعلقة بقوله ندعوا اي ندعوهم باسم امامهم الذي يامنون به ويعتدون
فيقال يا امة فلان او يا اهل القرآن مثلا ويجوز ان يكون بامامهم في موضع
الحال والباء متعلقة بمحذوف اي ندعوهم ملتبسين بكتابهم والامام من
يؤتم به ويقتدى والمراد به نبيهم وقيل كتابهم السماوي الذي انزل عليهم
فان كل امة يقتدي بكتابهم كما يقتدى بنبيهم وقيل رئيسهم الذي كان
يدعوهم في الدنيا الى هدى او الى ضلالة فيقال يا اصحاب عالم كذا و فاضل
كذا و يا اتباع نمرود و يا اتباع فرعون من رؤساء كل قوم في امر الدين
محقين كانوا او مبطلين وقيل كتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير
ويا اصحاب كتاب الشر فيقام الامتياز بحسب الاعمال مقام الامتياز بالاسماء
وقيل القوى الحاملة لهم على عقايدهم وافعالهم كالقوة النظرية والعملية والقوة
الغضبية والشهوية سواء كانت شهوة النفوس او شهوة الضياع او شهوة
الجاه والرياسة والقوة العقلية الداعية الى العفة والشجاعة والكرم والصبر
والقناعة وغير ذلك من الاخلاق الزكية والمحامد وما يدعو اليها من القوى النفسانية
فان كل ذلك بمنزلة الامام للناس والملك المطاع والرئيس المتبوع لهم
فيوم القيمة يدعى كل اناس باسم ما هو الحاكم فيه و بمنزلة المتبوع له وقيل امامهم
امهاتهم والمعنى ان كل اناس يدعى يوم القيمة بامهاتهم دون اسماء
آبائهم والحكمة في ذلك ثلثة امور منها اجلال عيسى عليه السلام اذ لم يكن له اب
يدعى باسمه فلا جرم يدعى بامه ان قدعى سايه الناس ايضا بامهاتهم انباعا

لهم به ع م

على نفصد اقصى اعلى

ع ٢٢٢

لهم به ع م واجلالا له وتعظيما قوله ولا يظلمون من اجورهم ادنى شيء يعني ان المراد
من المظلومية المنفية نقص ما يستحقونه من الثواب الموعود بازاء اعمالهم وان
الفتيل مستعار للشيء التافه الحقير وهو في الاصل اسم للقشرة الرقيقة التي تكون
على ظهر النواة كالقطمير وسمي فتيلا لانه اذا اراد الانسان استخراجه انفتل
وقيل الفتيل هو الوسخ الذي يفتله الانسان بين سبابته وابهامه وهو فعيل
بمعنى مفعول قوله وجمع اسم الاشارة والضمير جواب عما يقال اسم الاشارة وضمير
يقرؤن كتابهم عبارة عما يعبر عنه بضمير قوله كتابه بيمينه فلم افرد الاول وجمع
الثاني و تقرير الجواب انه حمل اولا على لفظ من اوتي فافرد الضمير الراجع اليه وحمل
ثانيا على معناه فجمع ما هو عبارة عنه قوله وتعليق القراءة باتيان الكتاب باليمين
مع ان من اوتي كتابه بشماله يقرأه ايضا مبني على ان اصحاب الشمال يشغل
السنتهم فيعجزون عن القراءة الكاملة المبينة بسبب ما خشيهم من الخجلة والحيرة
حين معاينتهم ما فكتب بهم من القبايح بخلاف اصحاب اليمين فان حالهم على العكس
ذلك فلا جرم انهم يقرؤن كتابهم على احسن الوجوه وابينها ثم انهم لا يكتفون
بقراءة انفسهم بل يقولون لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه تظهر
الفرق قوله ولذكر لم يذكرهم اي ولكون قوله تعالى فاولئك يقرؤن كتابهم بدلا
عما حال مقابليهم وانهم لا يقدرون على قراءة كتابهم على طريق الابتهاج والتبجح التنفي
عن ذكر حال مقابليهم قوله اعمى القلب ابو لهب المراد بالاعمى في قوله ومن كان
في هذه اعمى البصر عمى البصر لما روي انه لما نزلت هذه الاية جاء ابن ام مكتوم
وكان ضريرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتارك الدنيا اعمى
افاكون في الاخرة اعمى فانزل الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي
في الصدور بل المراد منه عمى القلب ولا يمكن حمل العمى في قوله فهو في الاخرة اعمى على
الجهل بالله تعالى وبحقيقة ما جاء من عنده لان اهل الاخرة يعرفون الله تعالى بالضرورة
فكان المراد منه العمى عن طريق الجنة والنجاة عن النار وقيل المراد بالعمى الثاني
عمى البصر لقوله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت
بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى قوله ونخرج لهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يوم القيمة عاوجد بهم عميا وبكما وصما وهذا العمى من جملتهم عقوبتهم قوله لزوال
الاستعداد يعنى انه وان كان فى الدنيا ضالا عن الصراط المستقيم الا ان ضلاله فى
الاخرة اشد واقوى بالنسبة الى ضلالة الكافر فى الدنيا لانه يمكنه الاهتداء
فى الدنيا بالتوبة عما هو فيه وبالخروج عن جهله وعماه بالتفكر فى الادلة وتحصيل
ما كلف به من الايمان بالغيب والاعمال الصالحة بخلاف ضلاله فى الاخرة فانه
لا يمكنه الخروج عنه لما ذكره من زوال الاستعداد للاهتداء الى الحق الذى كلف به
والزوال الالة والمهلة قوله وقيل الثانى للتفضيل يعنى ان لفظ اعمى فى قوله
تعالى فهو فى الاخرة اعمى ليس افعل الذى للصفة بل هى صيغة التفضيل بمعنى
اشد عمى والذكر عطف عليه قوله واضل سبيلا من عمى بقلبه يقال رجل عمى
القلب اى جاهل وامرأة عمية القلب على فعلة واختلف فى تقريب المعنى حتى يصح
هذا اشارة الى النعم المذكورة فى الايات المتقدمة من قوله تعالى هو الذى يزجى
لكم الفلك الى قوله لتفضيلا فالمعنى من كان فى هذه النعم التى رآها وعاينها
اعمى ولم يعلم كونها نعمة الهية وصلت اليه بقدرة الله تعالى ورحمته فهو فى الاخرة
التى لم يرها ولم يعاينها اشد عمى وضلالا وقيل هذا اشارة الى الدنيا والمعنى
من كان فى الدنيا اعمى عن معرفة كون العالم المشاهد من السماء والارض
والبحار والجبال والناس والدواب اثر قدرة الله تعالى والاستدلال به
عليها فهو فى الاخرة ايضا فى امرها اشد عمى واضل سبيلا والبعد عن تحصيل العلم
به وعلى التقديرين يكون العمى عن الامرين حاصلا فى الدنيا والعمى المفضل هو عمى
القلب عن معرفة احوال الاخرة والمفضل عليه هو عمى القلب عن معرفة كون هذا
العالم وما فيه من النعم من آثار قدرة الفاعل المختار للخلق لما يشاء الفعال لما
يريد وقيل هذا اشارة الى الدنيا ايضا والمعنى من كان فى الدنيا ضالا كافرا فهو
فى الاخرة اعمى واضل سبيلا لانه فى الدنيا تقبل توبته وفى الاخرة لا تقبل توبة وفى
الدنيا يهتدى الى التخلص عما يهلكه من المهلكات بازالة عماه وجهله بالتفكر
فى الدلايل المنصوبة وفى الاخرة لا يهتدى الى ذلك البتة واضل سبيلا لان ضلاله
فى الاخرة لا سبيل له الى الخروج عنه بخلاف ضلاله فى الدنيا قوله ولذلك لم يجعله ابو وكون

الثانى للتفضيل قرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر عن عاصم من كان فى هذه اعمى بالامالة
والكسر فهو فى الاخرة اعمى بالفتح والتفخيم وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر فى رواية
بالامالة فيهما لكون الكلمة من ذوات الياء والباقون وهم ابن كثير ونافع وابن عامر
وحفص عن عاصم بالفتح والتفخيم فيهما لانه الاصل وابو عمرو فرق بينهما فامال الاول
لانه ليس افعل تفضيل فالفه متطرفة لفظا وتقديرا والاطراف محل التغيير غالبا
فاميل اعتبارا لكون الكلمة من ذوات الياء وايضا اخر الكلمة موضع الوقف والالف
تخفى فى الوقف فاذا املت تخفى بها نحو الياء فتظهر بخلاف ما اذا كانت فى وسط
الكلمة كالف اعمى فانه ليس محل الوقف فابقيت الالف فيه على اصل حالها واما الثانى
فانه للتفضيل فالفه فى حكم المتوسط لان تمام افعل التفضيل من الداخلة على
المفضول فهى فى حكم الملفوظ لكونها شديدة الاتصال بما قبلها فلما لم تكن الالف
واقعة فى الطرف كانت مصونة عن التغيير فبقيت على حالها وردّ هذا الوجه بانهم
اماليوا قوله ولا ادنى من ذلك مع التصريح بمن فلان يميلوا اعمى مقدرا معه من اول
واجيب قوله لا تنشر والا تحشر ولا تجبى فى صلوتنا ان اشترطوا ان لا يؤخذ عشر
اموالهم وقيل اراد وا بالعشر الصدقة الواجبة ويجوز ان يسمى آخذ ما يجب على
المسلمين من ربح العشر عاشرا لاضافة ما يؤخذ منهم الى العشر ونصف العشر وقد يؤخذ
العشر بتمامه وهو زكوة ماشيته السماء واشترطوا ايضا ان لا يحشروا اليهم ان لا
يبعثوا الى المغازى وقتال الكفار والتجبية ان يقوم الانسان قيام الراكع وفى
حديث ابن مسعود فى ذكر القيمة حين ينفخ فى الصور فيقومون تجبيون بجبية رجل
واحد فيقال لرب العالمين قال ابو عبيد التجبية تكون فى حالين احدهما ان يضع يديه
على ركبتيه وهو قائم والوجه الاخر أن ينكب على وجهه باركا وهو السجود وقولهم
ولا تجبى به يريدون به ولا تصلى تسمية للصلوة باسم جزئها والحاصل انهم شرطوا
ان لا يكون عليهم زكوة وجهاد وصلوة وان كل ربوا يستحقونه على غيرهم فهو لهم
وكل ربوا يستحقه غيرهم عليهم فهو موضوع وان يأذن لهم فى عبادة الاصنام
سنة بشرط ان لا يعبدوها بعد تمام السنة وبشرط ان لا يكسروها بايديهم عند راس
الحول وان يتركوا عامنا من قصدوا دهم المسمى بوج فيعضد شجرها وينبح حيوانها

كما حرم حرم مكة شرفها الله ولو التبعت مرادهم اشكل ان اذن حرف جواب وجزاء
فاقام اداة الشرط مقامها دلالة على تضمنها معنى المجازاة وقوله لا تحزن كي جواب
قسم محذوف تقديره اذن والله لا تحزن كي وليس مراد المصنف ان كلمة لو مقدرة
في النظم وان لا تحزن كي جواب لها اذ لا حاجة لا لتقديرها وانما المراد تقدير المعنى
لا توجيه الاعراب واصل الفتنة الاختبار يقال فتن الصائغ الذهب
اذا ادخله النار واذاب ليميز جيده من رديئه ثم استعمل في كل من ازال
الشيء عن حده وجهته فقال لو افتنه اي جذعه وحرفه عما هو عليه فقوله
ان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك اي ليزيلونك ويصرفونك
عن الذي اوحينا اليك وهو القرآن اي عن حكمه وذلك لان في اعطائهم
ما ارادوا مخالفة لحكم القرآن وقوله لتفتري علينا غيره اي بان تقول الله امرنا
بذلك قوله عذاب الدنيا هو عذاب الآخرة اخر العذاب وجعل للموت والممات
عبارتين عن الدنيا والآخرة لان العذاب يوصف بالضعف كما في قوله تعالى
فآتهم عذابا ضعفا من النار اي عذابا مضاعفا وقوله من قدم لنا هذا فزده
عذابا ضعفا في النار قال لكل ضعف اي عذاب مضاعف وحاصل المعنى انك
لو مكنت خواطر الشيطان من قلبك وعقدت على التركون اليه بعض الكون
لاستحقت تضعيف العذاب عليك في الدنيا والآخرة ولصار عذابك مثل عذاب المشرك
في الدنيا ومثلي عذابه في الآخرة والسبب في تضعيف هذا العذاب ان اقسام
نعم الله تعالى في حق الانبياء عليهم السلام اكثر فكانت ذنوبهم اعظم فلذلك
كانت العقوبة المستحقة عليهم اكثر ونظيره قوله تعالى يا نساء النبي من يأت
منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وقوله فوحق الامام فعليها
نصف ما على المحصنات من العذاب لان الرق منقص للنعمة قوله وان كادوا اهل مكة
اي وان الشأن قرب اهل مكة ليزعجونك من ارض مكة على ان ان مخففة واللام
فارقة والاستفزاز هو الازعاج بسرعة جعل اسم كاد مشركي مكة وحمل الارض
على ارض مكة على ما قاله مجاهد وقتادة لان الآية مكية وما قبلها اخبار عن احوال
اهل مكة ولقد هم المشركون ان يخرجوه من مكة فكفتهم الله تعالى عنه وامره عز بالهجرة

فخرج بنفسه فان قيل قال الله تعالى وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك
يعني مكة والمراد اهلها وهو صريح في انهم اخرجوه منها وذكر ههنا وان كادوا
ليستفزونك من الارض فكيف الجمع بينهما على قول من قال المراد بالارض ههنا ارض
مكة اجيب بان قوله اخرجتك من قبيل اسناد الحكم الى سببه فانهم هموا باخراجه
منها الا انه لم ما خرج باخراجهم وانما خرج بامر الله تعالى فزال التناقض قوله وقرئ
لا يلبثوا بحذف النون قراءة الجمهور لا يلبثون برفع الفعل واثبات النون بعد
اذن ولم يعملوا اذن لكونها متوسطة بين المعطوف والمعطوف عليه فانها لا يلبثون
معطوف على قوله ليستفزونك وهو مرفوع لخلوه عن الجازم والناصب واقع موقع
خبر كاد فيكون واقعا موقع الاسم واذا كان لا يلبثون عطفا عليه يكون ايضا
مرفوعا واقعا موقع الاسم فلا يعمل اذن فيه وايضا اذا كان خبر كاد يكون معتمدا
على اسمه واذا اعتمد ما بعد اذن على ما قبلها لا يعمل فيه لاختلاط ما بعدها على ما قبلها
ح فيصير اذن لغوا واذا قرئ لا يلبثوا بغير النون لا يكون معطوفا على خبر كاد
ليلزم الغاء اذن بل يكون جملة قوله اذن لا يلبثوا معطوفة على جملة قوله وان كادوا
ليستفزونك واذن جواب وجزاء لشرط مقدر اي وان كان كذا اذن لا يلبثوا
قوله عفت الديار خلافهم فكاعا بسط الشواطب بينهن حصيرا عفت اي
اندرست وخلافهم اي بعدهم والشواطب النساء اللواتي يشققن الجريد لتعمل
منه الحصير والشطبة السعفة للغراء الرطبة والجمع الشطب وشطبت المرأة الجريد
سطا شطبا اذا شققته لتعمل منه الحصير يصف دروس ديار الاحباب بعدهم
وانها غير مكنوسة تشبه ما يبقى بعد ترحل الاهل في الديار بالشطب التي تفتش حال
نسج الحصير فقال فكاعا بسط الشواطب بين تلك الديار ما يتسج منه الحصير لنسجه
لا انهن يبسطن نفس الحصير للجلوس عليه فانه لا يناسب الاسناد الى الشواطب
ثم انه تعالى لما قال له عز يوم ندعو كل اناس بامامهم الآية امره بالمواظبة على
الطاعات التي اشرفها بعد الايمان الصلوة فقال اقم الصلوة الآية ويجوز ان يرتبط
بقوله وان كادوا ليستفزونك من الارض الآية فكانه قيل له لا تبال بسعيهم
في اخراجك من بلدك ولا تلتفت اليهم واشتغل بعبادة الله تعالى والمداومة عليها وآثر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الصلوة فانه تعالى يدفع مكرهم وشرهم عنك ويجعل يدك فوق ايديهم ودينك غالبا على
اديانهم ونظيره قوله تعالى في سورة طه فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل
طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله
تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اختلف اهل اللغة والمفسرون في معنى دلوك الشمس
على قولين احدهما ان دلوكها غروبها روي عن علي رضي الله عنه انه قال دلوك الشمس
غروبها وروي هذا القول عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم والقول الثاني ان دلوك
الشمس هو زوالها عن كبد السماء وهو اختيار اكثر الصحابة والتابعين ويدل
على صحة هذا القول وجوه الاول ما روي عن جابر انه قال ظهر طعم عذيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال عم هذا
حين دلكت الشمس والثاني ما روي عنه عم انه قال اتاني جبريل عليه السلام
لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى الظهر والثالث قول اهل اللغة
معنى الدلوك في كلام العرب الزوال والدلك قيل للشمس اذا زالت نصف النهار
دالكة وقيل لها اذا أفلت دالكة لانها في كبد السماء ذاهبة هكذا قاله الازهري وقال
الفراء اصل الدلوك الميل يقال مالت الشمس للزوال ويقال مالت للغروب
قال الازهري الاولى حمل الدلوك على الزوال في نصف النهار والمعنى اقم الصلوة
ايها الانام من وقت زوال الشمس الى غسق الليل وعلى هذا التقدير يدخل فيه
الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال وقرآن الفجر فاذا حملنا الدلوك على
الزوال دخلت الصلوات الخمس في هذه الاية وان حملناه على الغروب لم يدخل فيه
الا ثلث صلوات وهي المغرب والعشاء والفجر وحمل كلام الله تعالى على ما يكون اكثر
فائدة اولى فوجب ان يكون المراد من الدلوك الزوال قوله وكذا لحل تركيب من الدال
واللام فان جميع ذلك يتضمن معنى الانتقال كدرج اي مشى بحمله غير منبسط للحظو
لثقله عليه ودلج يدلج دلوجا من باب دخل يدخل دخولا وهو بالجيم المعجمة والاولى
بالحاء المهملة ومعناه اخذ الدلوج وهي سير الليل يقال ادلج بالتخفيف اذا سار
من اول الليل وادلج بالتشديد اذا سار من آخره ولا يبعد ولا يبعدن ودلف الشيخ اذا مشى وقارب الخطو والدلة
التحير وذهاب العقل من الهرم يقال دلهه الحب تدليها اي حيره واذهله
ودلهه هو بنفسه بدله اي تحير والمصنف فسر دلوك الشمس بزوالها ثم نقل انه
يفسر بغروبها ثم اشار الى وجه كل واحد من التفسيرين فقال واصل التركيب
للانتقال يعني ان الدلوك في اصل اللغة ينبئ عن التغير والانتقال من حال
الى حال وهو حاصل في كل واحد من الغروب والزوال فكان كل واحد منهما نوعا
من انواع الدلوك فصح اطلاقه على كل واحد منها اطلاق الكلي على كل واحد من افراده
وجزئياته ثم نقل ما يرجح ان يكون المراد به الزوال وهو كون الدلوك مشتقا من
دلك والدلوك بهذا المعنى صفة الناظر الى الشمس لكونها حاملة للناظر اليها على ان يديل
عينيه ليدفع ما تأثرها من شعاع الشمس وذلك التأثر انما يحصل فيها عند النظر الى
الشمس وقت دنوها من الزوال فظهر ان مراد من نقول الدلوك من الدلوك بيان
ان الدلوك بمعنى الزوال قوله وصلوة الصبح عطف على ما قبله واقم صلوة الصبح لان قوله وقرآن
الفجر معطوف على الصلوة فيكون المعنى واقم قرآن الفجر اي صلوته وتسميتها بالقرآن
بعض اركانها قوله يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار يعني ان ملائكة الليل وملائكة
النهار يجتمعون في صلوة الصبح خلف الامام ينزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلوة
الغداة قبل ان تعرج ملائكة الليل لقيام شئ من ظلمة الليل بعد فاذا فرغ الامام من
صلوته عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت
قالت يا رب انا تركنا عبادك يصلون لك ويقول ملائكة النهار ربنا اتينا عبادك
وهم يصلون فيقول الله تعالى لملائكته اشهدوا اني قد غفرت لهم قوله واسواهد
القدرة عطف على قوله ملائكة الليل والمعنى ان قرآن الفجر يشهده دلايل القدرة
الباهرة فان الانسان اذا شرع في ادآء صلوة الصبح في اول وقتها الذي هو وقت
بقاء الظلمة التوبة في العالم واطلال ما فيها من القرآءة بالتدبر والترتيل بتقلب حال العالم
من الظلمة الى الضياء وهو في اثناء الصلوة بعد والظلمة مناسبة للموت والعدم والضوء
مناسب للحيوة والوجود فالضياء يشاهد في اثناء صلوة انقلاب كلية هذا العالم
من الظلمة الى الضياء فكما تحولت من العدم الى الوجود ويشهد على عقله السليم

معلم اجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار

شبكة الألوكة www.alukah.net

بان هذا التقليب والتحويل لا يقدر عليه الا الحق سبحانه وبستير باطنه بنور بين المعرفة
وقوة اليقين قوله او كثير من المصلين اي بشهد كثير من المصلين في العادة وقوله
او من حقه ان يشهد لهم التغيير فيما هذا يكون المقصود الترغيب في ان تؤدي
هذه الصلوة بالجماعة ووجه الفرق بينها وبين سايرالصلوات ان تاثيرهذه الصلوة
في تصفية القلب وفي تنويره اكثر من تاثير سايرالصلوات فاذا حضر جمع من المسلمين
لاداء هذه الصلوة استنار قلب كل واحد منهم بسبب ذلك الاجتماع كانه ينعكس
نور معرفة الله تعالى ونور طاعته في ذلك الوقت من قلب كل واحد الى قلب الآخر فيصير
ارواحهم كالمرايا المتقابلة اذا وقعت عليها انوار الشمس فانه ينعكس
النور من كل واحد من تلك المرايا الى الآخر فكذا في هذه الصورة ولهذا السبب كل
من له ذوق سليم اذا اوتي هذه الصلوة بالجماعة وجد من قلبه نسخة ونورا قوله
بيان لمبدا الوقت ومنتهاه وذلك لان اللام في قوله لدلوك الشمس للتاقيت وقوله
الى غسق الليل متعلق باقم وكلمة الى لانتهاء غاية الاقامة وغسق الليل تراكم
ظلمته واشتدادها والظلمة المتراكمة انما تحصل عند غيبوبة الشفق الابيض
والحكم الممدود الى غاية يكون مشروعا قبل حصوله تلك الغاية منتهيا عندها
فيكون قوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيانا لمبدا الوقت ومنتهاه وقوله من
الليل متعلق بتهجد اي تهجد بالقرآن بعض الليل كما يشعر به قوله وبعض الليل
فاتركه الهجود والاظهر ان يكون متعلق بمقدر عطف عليه قوله فتهجد لان القائم
لابد لها من المعطوف عليه والتقدير وقم من الليل اي في بعض الليل فتهجد بالقرآن
والمراد منه الصلوة المشتملة على القرآن عبر عنها باسم بعض اركانها والمعروف في كلام
العرب ان الهجود عبارة عن النوم بالليل يقال هجد فلان اذا نام بالليل ثم لما راى بنو
عرف الشرع انه يقال لمن انتبه بالليل من نومه وقام الى الصلوة انه متهجد فوجب
ان يعلم ان سمي ذلك متهجدا من حيث انه الفى الهجود عن نفسه كما قيل للعابد متحنث
لانه نحث عن نفسه وهو الاثم ويقال فلان متحرج ومتاثم ومتحوب اذا القى
الحرج والاثم والحوب عن نفسه ونافلة مصدر كعاقبة وزن العافية والعاقبة منصوب
بفعل المقدر اي تنفل نافلة لك على الصلوات المفروضة او بتهجد لانه في معنى تنفل او على

انه حال

انه حال من ضمير به اي حال كونه صلوة نافلة لك والنافلة في اللغة الزيادة على الاصل ومعناه
في هذه الاية ايضا الزيادة وفي تفسير كونها زيادة قولان مبنيان على ان صلوة الليل
هل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فمنهم من قال انها كانت واجبة
عليه بقوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا ثم نسخت فصارت نافلة اي تطوعا
وزيادة على الفرايض وقال آخرون ان صلوة الليل كانت واجبة عليه وعلى امته
نافلة له على التخصيص انها فريضة زائدة له وعلى الصلوات الخمس واختار المصنف
هذا القول لان فتهجد امر وصيغة الامر للوجوب فوجب ان يكون التهجد واجبا عليه
ومن قال ان صلوة الليل ليست بواجبة عليه بل هي تطوع في حقه كما هي تطوع في حق
امته قال في وجه قوله نافلة لك بلام الاختصاص انه تعالى غفر للنبي صلى الله عليه وسلم
ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكل طاعة ياتي بها سوى المكتوبة فانه لا يكون تاثيرها
في كفارة الذنوب البتة بل يكون تاثيرها في كفارة الذنوب البتة بل يكون تاثيرها
في زيادة الدرجات وكثرة الثواب فلما كانت نوافلها لزيادة المثوبات سميت
نافلة بمعنى زيادة المثوبات بخلاف الامة فان لهم ذنوبا محتاجة الى الكفارات فهم
يحتاجون الى النوافل لتكون الذنوب والسيئات لا لمحض زيادة المثوبات فلا لالة
الى هذا المعنى جعل تطوعا تعم زوايد ونوافل في مثوباته بخلاف تطوعات الامة قوله
ولا شفاعة عطف على قوله لما روي فهو وجه ثان لكون المراد بالمقام المحمود مقام
الشفاعة وتقريره ان كون المقام من حيث هو مقام محمود اشعر بكون القائم في ذلك
المقام محمودا من حيث كونه منعما على الحامد لان الحمد يكون على الانعام وذلك الانعام
لا يجوز ان يراد به تبليغ الدين والهداية الى الشرع القويم والصراط المستقيم لان
ذلك الانعام كان حاصلا الآن وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا تطمع ولا
معنى لتطميع الانسان في الشيء الذي حصل عنده الان فوجب ان يكون ذلك الانعام
الذي لاجله يصير محمودا انعاما يصل منه عن الى الناس بعد ذلك وما ذاك الا الشفاعة
عند الله تعالى فظهر بهذا ان قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اشعر بكون
المراد منه مقام الشفاعة واتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله تدخل فيما هو
قطعي الوقوع لان لفظ عسى يفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شيء ثم حرمه كان عارا عليه

والله تعالى اكرم من ان يطمع واحدا في شئ ثم لا يعطيه قوله ابو في القبر قدم هذا الوجه واختار
كونه مناسبا لذكره عقيب قوله حسن ان يبعثكم والعامة على ضم الميم في قوله مدخل ومخرج
لوقوعها بعد فعل رباعي وجعلها المصنف مصدرا ان ميميان وان جاز ان يكونا اسمي
مكان وقرئ بفتح الميم فيهما على ان كل واحد منهما مصدر ميمي من الفعل الثلاثي منصوب
بفعل مقدر موافق لهما تقديره فادخل مدخل واخرج مخرج والاضافة فيهما للتبيين
مدخل الصفة كانه سأل الله تعالى ادخالا حسنا مرضيا واخراجا حسنا لا يكره فيه
ما يكرهه وان كان المعنى ادخلني مكة ظاهرا عليها يكون المأمور به ان يسأل الله
تعالى ان يفتح له مكة ويدخله فيها ادخالا مرضيا وان كان المراد ادخالي المدينة والاخراج
من مكة يكون الاية مرتبطة بقوله وان كادوا ليستفزونك من الارض والمعنى ان كفار
مكة لما ارادوا اخراجه عزم من مكة امر الله تعالى بالهجرة الى المدينة وقال له رب ادخلني
مدخل صدق وهو ادخاله المدينة واخرجني مخرج صدق وهو اخراجه من مكة او ادخاله
الغار واخراجه منه قوله ومن للبيان فان قيل من البيانية لا بد ان يتقدمها ما يحتاج
الى البيان لا ان تتقدم هي عليه وهنا قد تقدمت هي عليه فكيف يكون بيانية فالجواب
ان المبين لا يجب تقدمه لفظا بل يكفي تقدمه رتبة وهو حاصل ههنا فان قوله من
القرآن بيان للموصول تنزل وهو قوله ما هو شفاء وحال منه كما ان من الاوثان في قوله
تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان حال من الرجس وبيان له وذو الحال مستقدم من
حيث الرتبة على الحال وان كانت تبعيضية يكون من القرآن مفعولا به وما هو شفاء
بدلا منه شبه المؤمنون بالمرضى من حيث احتياجهم في تقويم دينهم وعقايدهم واصلاح
نفوسهم واخلاقهم الى ما يعينهم ويصلح شأنهم في البابين وشبه القرآن بالدواء الشافي
من حيث كونه قالعا ومزيلا لضعف العقايد والاخلاق الرديئة ويصلح شأن المؤمن
في باب العقايد والاعمال والاخلاق فعبر عن المشبه باسم المشبه به فقيل وننزل ما
هو شفاء ثم بين المراد بهذا اللفظ المستعار بقوله من القرآن وان شئت قلت
ذكر طرفي التشبيه مانع من حمل الكلام على الاستعارة بل هو من باب التشبيه البليغ
وجعل كون القرآن بمنزلة الشفاء بالنسبة الى المؤمنين تخييلا للاستعارة المكنية
التي هي تشبيه للمؤمنين بالمرضى ثم انه تعالى لما وصف القرآن بانه شفاء ورحمة للمؤمنين

وانه لا يزيد

وانه لا يزيد الظالمين الا خسارا بين ان شأن نوع الانسان انه ان فاز بالنعمة
والدولة اغتر بها ونسي ذكر الله وان حرم منها اشتد عليه الحزن والاسف ولم يتفرغ
لذكر الله فهذا المسكين ابدا يكون محو ما عن ذكر الله تعالى والاشتغال بهم ثم اتبع
ذلك بقوله قل كل يعمل على شاكلته ابي على حسب طريقته ومذهبه الخ كلمة لما هو
عليه من الهدى والضلال فالكافر يعمل ما يشبه طريقته من الاعراض عن الشكر عند
الانعام ومن اليأس من روح الله عند الشدة والمؤمن يفعل ما يشبه طريقته من
الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء ويدل على هذا قوله تعالى فربكم اعلم بمن هو اهدى
سبيلا اي المؤمن الذي لا يعرض عند النعمة ولا يتيأس عند المحنة ثم ذكر وجها
اخر وهو ان يكون المراد بشاكلته ما يشاكل جوهر روحه والمعنى كل احد يفعل
على وفق ما يشاكل جوهر نفسه ومقتضى روحه فان كانت نفسا مشرقة طاهرة
علوية صدرت عنه افعال فاضلة كريمة وان كانت نفسه نفسا كدرة خبيثة
سفلية ظلمانية صدرت عنه افعال خسيسة قال الامام اختلف العقلاء في ان
النفوس الناطقة البشرية هل هي مختلفة بالماهية ام لا منهم من قال انها مختلفة
بالماهية وان اختلاف افعالها واحوالها لاجل اختلاف جواهرها وماهياتها ومنهم
من قال انها متساوية في الماهية واختلاف افعالها لاجل اختلاف امزجة بدنها ثم قال
والمختار عندي هو القسم الاول والقرآن مشهود بذلك وذلك لانه تعالى بين في الاية المتقدمة
ان القرآن بالنسبة الى البعض يفيد الشفاء والرحمة وبالنسبة الى البعض الآخر يفيد
الخسار والخزي ثم اتبعه بقوله قل كل يعمل على شاكلته ومعناه ان اللائق بتلك
النفوس الطاهرة ان يظهر فيها من القرآن آثار السعادة والكمال وبتلك النفوس
الكدرة ان يظهر فيها من القرآن آثار الخزي والضلال كما ان الشمس يعقد الملح ويلين
الدهن وتبيض ثوب القصار وتسود وجه وهذا الكلام انما نيم المقصود منه
اذا كانت الارواح والنفوس مختلفة بماهياتها فبعضها مشرقة صافية يظهر
فيها من القرآن نور على نور وبعضها كدرة ظلمانية فيظهر فيها من القرآن ضلال وخبال
على خبال انتهى كلامه والمصنف اشار الى القول الاول بقوله او جوهر روحه والى الثاني
بقوله واحواله التابعة لمزاج بدنه من غير تعرض لترجيح احد القولين على الاخر ويحتمل ان يكون

قوله هذا ترجيحا للقول الاول ويكون عطف قوله واحواله التابعة للاشارة
الى ان اختلاف جوهر الروح بالماهية انما يقتضي اختلاف الافعال بواسطة اختلاف
تدبيره في مادة بدنه قوله وقد تسترت الشاكلة بالطبيعة فالمعنى على هذا كل من خلق
على طبيعة من الطبايع فانه يعمل ويختار من الافعال ما يوافق تلك الطبيعة وعلى الثاني
كل من تعود بعادة فانه يعمل على وفق عادته ثم من اعتاد استعمال عقله واتباع الادلة
القاطعة وتدبر القرآن والاستشناء به فانه يعمل في دينه بما تقتضيه الادلة والحجج
ومن اعتاد ان يرفي عنان نفسه الامارة وان يتبع نفسه هواها فانه يعمل على وفق
عادته الباطلة وعلى الثالث كل من اختار دينا ومذهبا فانه يعمل على حسب دينه
ومذهبه قوله من الابداعيات اي من الامور المخترعة لا على مثال والسؤال عن الروح
وان كان يقع على وجوه كثيرة احدها ان يقال اي شئ ماهية الروح وحقيقته اهو
متحيز او حال في المتحيز او موجود غير متحيز ولا حال في المتحيز وثانيها ان يقال الروح
هل هو قديم او حادث وثالثها انه هل يبقى بعد موت الاجسام او يفنى ونحو ذلك من احواله
الا ان الظاهر انهم سالوه عن حقيقة الروح وانه عم اجابهم بان بين لهم ذات
الروح ببعض عوارضه واحواله وهو قوله تع قل الروح من امر ربي يعني انه موجود
بامر الله تع وتكوينه وانه ليس من عالم الخلق حتى يمكن تعريفه لاهل الظاهر البين فانه
لا يتجاوز ادراكهم عن عالم المحسوسات وما يدرك كونه من المعاني المعقولة ليس الا صورا
منتزعة من جزئيات عالم المحسوسات على حسب الاستعدادات المختلفة بل هو من عالم
الامر اي الابداع الذي هو عالم الذوات المجردة عن الهيولى والجواهر المقدسة
عن الشكل واللون والجهة والاين فلا يمكنكم ادراكه ايها المحجوبون بالكون لقصور
ادراككم عنه فالجواب المذكور ابلغ لان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض
تميزه عما يلتبس به ولذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلام في
جواب رب العالمين بذكر بعض صفاته وان ارادوا بسؤالهم عن الروح
انه هل هو قديم او حادث يكون الجواب بانه من امر ربي معناه انه حادث بتكوينه
وموجود بامره اي بقوله كن ولفظ الامر قد جاء بمعنى الفعل كما في قوله تعالى وما امر
فرعون برشيد اي وما فعله برشد وقوله فلما جاء امرنا اي فعلنا قوله تعالى

قل الروح من امر ربي اي من فعل ربي وانه حادث حصل بفعل الله وتكوينه وايجاده
قوله وقيل مما استاثر الله بعلمه الظاهر ان يقال مما استاثر الله بعلمه بدون
الضمير بمعنى استبد وتفرد بعلمه والاستعمال متعديا بغير معهود في اللغة ومعنى
الجواب ح قل معرفة الروح من شان الله تع لا من شان غيره على ان يقدر المضاف
بعد قوله قل ويكون الامر بمعنى الشان وهذا التوجيه يطابق قوله وما اوتيتم من العلم
الا قليلا ولم يرض المصنف بهذا الوجه لان معرفة الروح ليس اعظم شانا من معرفة
الله تع واذا كانت معرفته تع ممكنة بل حاصلة فاي مانع يمنع من معرفة الروح
مع ان مسئلة الروح يعرفها اوساط العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين فكيف
يليق بالرسول الذي هو اعلم العلماء وافضل الفضلاء ان يقول انا لا اعرف
هذه المسئلة وانما علمها من امر ربي وشانه فلذلك اختار ان يكون السؤال
عن حقيقة الروح او عن قدمه وحدوثه وانه عم اجاب عن ذلك السؤال بان بين
لهم ما سالوه قوله وقيل الروح جبرئيل بدليل انه تع سمى جبرئيل بالروح في قوله
نزل به الروح الامين على قلبك وفي قوله فارسلنا اليها روحنا فسالوا الرسول
صلى الله عليه وسلم كيف جبرئيل في نفسه وكيف قيامه بتبليغ الوحي فقال تعالى
قل الروح من امر ربي اي انه من عالم الامر او موجود بامره وتكوينه او ينتزل
ويبلغ بامر ربه كما قال جبرئيل عليه السلام وما نتنزل الا بامر ربك قوله وقيل
خلق اي الروح المسؤل عنه في هذه الاية ملك من ملائكة السموات وهو اعظمهم
قدرا وفوقا وهو المراد من قوله تع يوم يقوم الروح والملائكة صفا روي عن
علي رضي الله عنه انه قال هو ملك له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان
لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تع بتلك اللغات كلها ويخلق الله تع
من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة الى يوم القيمة قالوا ولم يخلق الله تعالى
خلقا اعظم من الروح غير العرش ولو شاء ان يبتلع السموات السبع والارضين
السبع وما فيهن بلقمة واحدة لفعل صوت خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه
على صورة وجه الآدميين يقوم يوم القيمة عن يمين العرش وهو اقرب الخلق الى
الله تع اليوم عشر الحجب السبعين ويقرب الى الله عز وجل يوم القيمة وهو شفيع لاهل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحرق اهل السموات من نور وجهه وقيل المراد
بالروح المسؤول عنه في هذه الاية القرآن لانه تعالى سمى القرآن في كثير من الآيات روحا
قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقوله تنزل الملائكة بالروح من امره
ولان القرآن تحصل به حيوة الارواح والعقول اذ به تحصل معرفة الله ومعرفة ملائكته
وكتبه ورسله واحوال الاخرة والارواح انما تحيى بهذه المعارف مع ان اللائق بهذا
الموضع القرآن لانه تقدمه قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
وجاء بعده ولو شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك الى قوله قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا فلما كان ما قبل هذه الاية وما بعده ناطقا بوصف القرآن ناسب ان يكون المراد
بالروح المذكور في هذه الاية ايضا القرآن ولما استعظم القوم امر القرآن وسألوا
انه هل هو من جنس الشعر او الكهانة اجابهم الله تعالى بانه ليس من جنس كلام البشر
وانما هو كلام ظهر بامر الله تعالى ووحيه وتنزيله فقال قل الروح من امر ربي اي القرآن
انما ظهر بامر ربنا ووحيه قوله ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس جواب عما يقال سلمنا
ان علم الانسان مقتصر على ما يستفيد بواسطة حواسه لكن كيف يلزم منه ان يكون
معلومه شيئا قليلا نذرا بالنسبة الى معلومات الله تعالى ومعلومات النفوس المجردة
عن الحجب الطبيعية والعلوم والفوائد الجسمانية وآثار بقوله المعرفة لذاته الى ان
الانسان يجوز له ان يعلم شيئا من الابداعيات على سبيل التشبيه والمقايسة
بما شاهده في عالم الشهادة كما يعلم الملائكة واحوال الاخرة بهذا الطريق قوله
ومحوناه عن المصاحف والصدور اشارة الى جواب من زعم ان هذه الاية تدل على
ان القرآن مخلوق لان القديم لا يقبل الازالة والاذهاب لما تقرر من ان ما ثبت قدمه
يمتنع عدمه وتقرير الجواب ان المراد بهذا الاذهاب ازالة العلم به عن القلوب
وازالة النقش الدال عليه عن المصاحف وذلك لا يوجب كون ذلك المعلوم المدلول
عليه محدثا روى محيى السنة في تفسيره عن عبد الله بن مسعود انه قال اقرؤا القرآن
قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل كيف هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور
الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون

في المصاحف

في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة
حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب تعالى
مالك فيقول يارب أثلا ولا يعمل به أثلا ولا يعمل به فقوله بمعنى ولكن رحمة من ربك
استثناء منقطع مذهب سيبويه يعني انه على تقدير ان يكون الاستثناء منقطعا يكون استدراكا
عما قوله ولو شئنا لنذهبن وعلى تقدير ان يكون متصلا يكون المستثنى منه قوله
وكيلا بناء على ان الرحمة من جنس الوكيل مندرجة فيه قال ابو البقاء الا رحمة مفعول له
اي حفظناه عليك للرحمة ويجوز ان يكون مصدرا اي لكن رحمناك رحمة قوله ولولا
اي لولا اللام الموطئة وان القسم مقدرة معها فلا يجوز ان يكون قوله لا يأتون جواب الشرط
غير مجزوم بناء على ان حرف الشرط اذا لم يعمل فما هو اقرب منها فلان لا يعمل في الابعد
اولى كما في البيت فانه رفع بقوله فيه مع انه جواب الشرط على ما ذكرنا قوله والعلم لم يذكر
الملائكة لا يعني ان هذه الاية دلت على وقوع التحدي مع الجن والانس فلما ظهر عجز
كل واحد من الفريقين عن اتيان مثله ظهر ان القرآن ليس من نظم هذين الفريقين
ولم يلزم منه كونه وحيا الهيا لجواز كونه من نظم الملائكة وانما يظهر ذلك لو ذكر الملائكة
ووقع التحدي مع جميع الفرق الثلث فلم لم يذكر الملائكة اجاب عنه اولا بان المقصود
من تحقيق اعجاز القرآن شبهة القوم باحتمال كونه كلام البشر او الجن ولم يذهب
احد منهم الى احتمال كونه تاليف الملائكة ونظمهم فلا حاجة الى تحقيق كونه معجزا بالنسبة
اليهم فلذلك لم يذكر الملائكة في مقام التحدي وثانيا بانه لا وجه لذكر الملائكة في هذا
المقام من حيث كونهم وسائط في اتيانه ونزوله الى البشر قوله ويجوز ان تكون الاية
تقريرا لاثباتنا لكونه معجزا بعد الامتنان بتنزيله ثم ببقائه كما يفهم ذلك من التقرير
السابق قوله كررنا بوجوه مختلفة من كل معنى اشارة الى ان قوله تعالى من كل مثل مفعول
حذفنا وكلمة من فيه زائدة في المفعول وقد جوز الكوفيون والاخفش زيادتها في
الاثبات والمعنى والغرض فيه تقرير كل معنى من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد
والمواعظ وتقرير الدلايل الدالة على حقية ما هو الحق في باب الاعتقاد والعمل وبطلان
ما هو الباطل منها من وجه الى وجه اخر وكررنا تقريره بوجوه مختلفة ليتذكر او يذعنوا
للحق فان اكثر اهل مكة الاجحود الحق واصرارا على الكفر والعناد قوله وانما جاز ذلك يعني

قوله من يقول كلمة اصلي بمعنى يقول كلما
مولاها على ما يستفاد من كلام
والله اعلم بحق حق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان قوله الا كفورا مستثنى مفرغ في الكلام الموجب وقد تقرر ان حكم المستثنى منه انما
يجوز في غير الموجب ولا يجوز في الموجب لفوات المعنى فكان القياس ان لا يجوز ان يقال
الا اكثر الناس الا كفورا الا انه جاز من حيث ان قوله الا اكثر الناس في قوة
لم يفعلوا ولم يرضوا الا كفورا او فسر الكفور بالجحود لانه تعالى اثبت نبوة النبي صلى
الله عليه وسلم ببيان كون القرآن معجزا او انه عدم اظهره على وفق دعواه وحيث الدليل
على كونه نبيا صادقا لان كل من ادعى النبوة واظهر المعجزة على وفق دعواه فهو نبي
صادق فيصح انه عدم نبي صادق وليس من شرط كونه نبيا صادقا تواتر المعجزات
الكثيرة وتواليها لانه يستلزم ان لا ينتهي الامر فيه الى حد ينقطع عنده عناد المعاندين
لانه كلما اتى الرسول بمعجز اقترحوا عليه معجزا آخر لا الى نهاية فكفار مكة بعد ان ظهر لهم كون
القرآن معجزا التمسوا منه عدم ستة انواع من المعجزات فالتماسهم هذا ليس الا تعنتا
وتحكما قوله وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم خفيفة
مضارع فجرت الماء فانفجر عن بجسته فانبجس وتؤيد هذه القراءة كون الينبوع
واحدا قرأ الباقون بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم المشددة مضارع فجر للتكثير
واتفقوا على ان الثانية بالتشديد للتفريح بمصدرها قوله لا ينضب ماؤها بضم الضاد
اي لا ينقطع في الارض ولا يستفل ونبع الماء ينبع نبوعا اي خرج واليعبوب الفرس
الكثير الجري والنهر الشديد الجرية وعب الماء اذا زخر وكثر وارتفع يقال زخر الوادي
اذا امتلأ وارتفع ماؤه وبحر زاخر والعباب بالضم معظم الماء وكثرته وارتفاعه اقترح
القوم وقالوا له عم أزل عنا جبال مكة وفجر لنا الينبوع ليسهل علينا امر الزراعة
والحراثة ثم قالوا مت انك لا تفجر هذه الانهار لاجلنا فنجد كما من اجلك ثم قالوا
فان لم تكن تستطيع انظار لنا فيها فاظهر الشر ما تزعم انك تسقط السماء كما زعمت علينا
كسفا اي قطعا جمع كسفة وهي القطعة مثل قربة وقرب وانتصابه على الحال من
السماء قوله وحفص فيما عدا الطور الظاهر انه معطوف على ابن كثير كما ان قوله وابن
عامر وقوله ونافع وابو بكر معطوفات عليه فيكون المعنى وسكنه حفص فيما عدا الطور
وهو مخالف لما ذكره الامام الرازي في تفسيره وهو قوله قرأ ابن عامر كسفا بفتح السين
ههنا وفي سائر القرآن بسكونه وقرأ نافع وابو بكر عن عاصم ههنا وفي الروم

بفتح السين

بفتح السين وفي باب القرآن بسكونها وقرأ حفص في سائر القرآن بالفتح الا في الطور
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي في الروم بفتح السين وفي سائر القرآن
بسكون السين هذا عبارة الامام في الكبير وفي تفسير الامام ابي الليث وحاشية
الطيبي وتيسير القراءة هكذا قرأ نافع وعاصم وابن عامر كسفا بفتح السين والباقون
باسكانها والله اعلم فمن فتح السين جعله جمع كسفة نحو قطعة وقطع وكسرة
ومن سكنها جعله ايضا جمعا على وزن فعل بفتح العين لكنه سكن عينه تخفيفا كما
خفف سدر اصله سدر بفتح الدال جمع سدرة او جعله فعلا بمعنى المفعول
كالطحن بمعنى المطحون والكاف في قوله كما زعمت صفة مصدر محذوف اي اسقاطا
مثل مزعومك على ان ما مصدرية والمصدر بمعنى المفعول والمراد بمزعومه عدم
ما حكى عنه تعالى من قوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا
من السماء وقوله وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم اي
لا يصدقون انها كسف ساقطة للعذاب فعلم منه ان ما حكى عنهم في هذه السورة
من قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا انما يقولونه عنادا وتمردا
لا لتحصيل اليقين قوله كفيلا او مقابلا او جماعة فسر القبيل بثلثة اوجه الاول
الكفيل يقال قبل به يقبل ويقبل قبالة والثاني المقابل كالعشير بمعنى المعاشر
والثالث الجماعة يكون من الثلثة فصاعدا من قوم شتى كالروم والزنج والعرب
والقبيل بهذا المعنى يجمع على قبل ومنه قوله تعالى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا اي قبيلا
قبيلا واذا كان قبيلا بمعنى كفيلا كان التقدير او تاتي بالله قبيلا او بالملائكة
قبلا واذا كان بمعنى مقابلا كان التقدير تاتي بالله مقابلا وبالملائكة مقابلين
وعلى الوجهين يكون قبيلا حالا من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالة المذكورة
عليها كما حذف خبر قبارغ في قوله فمن يك امسى بالمدينة رحله فانى وقيار بها
لغريب اي فانا لغريب وقبارك كذلك وان كان قبيلا بمعنى جماعة يجوز ان يكون حالا
من الله والملائكة معا وان يكون حالا من الملائكة فقط اي فوجا بعد فوج وكل جند من
الجن والانس قبيل قوله في معارجها قدر المضاف لان هذا الفعل اذا عدي بكلمة في
انما يعدى لما هو آلة الارتقاء يقال ارتقى في السلم وفي الدرجة والمرقى الصعود

يقال رَقِيَ بكسر العين يرقى بالفتح ورُقيًّا على وزن ضربا وذُقيًّا على وزن فُعول اصله رقويّ فادغم بعد قلب الواو ياء ولن نؤمن لاجل رقيك وحكى عن عبد الله بن ابي امية انه قال لن نؤمن لك حتى تضع على السماء سلما م ترقى فيه وانا انظر اليك حتى تاتيها ثم تاتي معك بصكّ منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك ان الامر كما تقول فقال تعالى قل سبحان ربي قوله حتى تفجر وتها على اي حتى تتحكموا على باختياركم فيقال تخيّر عليه اذا اقترح عليه في اختيار المغير قوله باظهار المعجزة على وفق دعواي متعلق بقوله تعالى شهيدا فانه تعالى لما اظهر المعجزة على وفق دعواه علم كان ذلك شهادة منه تعالى على كونه صادقا في دعوى الرسالة ومن شهد الله تعالى على صدقه فهو صادق فكل من قال بعد ذلك يجب ان يكون الرسول ملكا لا انسانا يكون كلامه تحكما محضا لا يلتفت اليه قوله لا يبصرون ما يقترحونه اشارة الى جواب ما يقال كيف يحشرون عميا وبكما وصما وقد قال تعالى واذا رأتهم النار وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال ادعوا هنالك ثبورا وقال يوم ياتي كل نفس تجادل عن نفسها وقال حكاية عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فثبت بهذه الايات انهم يرون ويسمعون وينطقون فكيف قال ههنا عميا وبكما وصما اجاب عنه المصنف اولا بان المعنى انهم يحشرون عميا بحيث لا يرون شيئا يسرهم صما لا يسمعون شيئا يلتذون بسماعه بكما لا ينطقون بحجة ثم اشار الى الجواب بقوله ويجوز ان يحشروا الخ يعني انهم يكونون رائين سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لما قدروا على ان يطالعوا كتبهم ولا ان يسمعوا الزام الحجة الله عليهم الا انهم اذا اخذوا يذهبون من الموقف الى النار يجعلهم الله تعالى عميا وبكما وصما قوله مؤوف في القوي من الافة يقال اف الزرع على عالم يسم فاعله اي اصابته آفة فهو موؤف قوله توقدا اشارة الى ان السعير مصدر بمعنى التسعر وهو التوقد والتلهب كالنذير والنكير بمعنى الانذار والانكار ويجوز ان يكون السعير بمعنى النار المسعورة يقال سعرت النار بمعنى هيجتها والتهبت وقد يشدد العين للتكثير والمبالغة فان قيل قال تعالى لا يخفف عنهم العذاب وقوله كلما خبت يدل على ان العذاب يخفف عنهم في ذلك الوقت اجيب بان قوله كلما خبت يقتضي سكون لهب النار في بعض الاوقات وذلك لا يستلزم تخفيف العذاب وقيل كلما خبت معناه كلما اراد

ان تخبو

ان تخبو زدناهم تسعرا وتلهبا قوله تعالى ذلك جزاؤهم مبتدا وخبر والباء في قوله بانهم كفروا بآياتنا السببية اي ذلك العذاب الموصوف المذكور فيما تقدم جزاؤهم بسبب انهم كفروا بآياتنا الدالة على صدق مدعي النبوة مكابرة وعنادا وعطف على كفرهم بالآيات المذكورة قولهم ائذا كنا عظاما الخ يعني انهم كما انكروا بالنبوة انكروا البعث والحشر واستبعدوا ان يعود الانسان بعينه بعد ان يصير عظاما ورفاتا واجاب الله تعالى عن هذا الاستبعاد بقوله اولم يروا الخ يعني ان من خلق السموات والارض كيف يستبعد منه ان يقدر على اعادتهم باعيانهم واراد بخلق مثلهم خلق انفسهم ثانيا فان مثل الشيء لما كان مساويا له في حالته جاز ان يعبر به عن الشيء نفسه الا ترى انه يقال مثلك لا يفعل هذا واريد انك لا تفعله وقيل المراد انه قادر على ان يخلق عبدا اخر يوحدونه ويقرون بكمال حكمته وقدرته ويتركون ذكر الشبهات الفاسدة وما اختاره المصنف انسب بالمقام ونعم الجواب عند قوله قادر على ان يخلق مثلهم ثم عطف قوله وجعل لهم اجلا على جملة الجواب وهي قوله اولم يروا الخ فانه في قوة قدرا او فلم يعجزوا خلافا لمن جعله الانكار بل هو معطوف على جملة يراسهم وقوله لا ريب فيه صفة لاجل اي اجلا غير مرتاب فيه فان اريد به اجل القيمة فوجه الافراد واضح وان اريد به اجل الموت فوجه الافراد انه اسم جنس والانكل انسان له اجل بخصه فان اريد به اجل الموت يكون من الجملة المعطوفة جوابا لما استعجلوا من العذاب كما ان ما قبلها جواب عن استبعاد البعث وان اريد به اجل القيمة يكون المقصود من هذه الجملة بيان ان لا قدرة ولا دخول في الوجود وقتا معلوما عند الله بعد بيان انه في نفسه امر ممكن الوجود بناء على ان اعادة امثالهم اهون في عقولهم من خلق السموات والارض ابتداء قوله وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده وليس بمرفوع على الابتداء لان كلمة لو للشرط والتعليق والمعلق عليه لابد ان يكون من الاحوال المتغيرة القائمة بالذوات ولا يجوز ان يعلق الحكم بنفس الذوات فكان من حقها ان تختص بالافعال لان الاسم يدل على الذوات والفعل هذا الذي يدل على المعاني والاحوال فلا بد ان يلي الفعل ظاهرا او مضمرا ولما وقع الاسم بعدها في الاية وجب ان يقال ان ذلك الاسم مرفوع بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر والاصل لو تملكون

لحذف الفعل لدلالة ما بعده عليه فانفصل الضمير وهو الواو واذ لا يمكن بقاؤه متصلا
بعد حذف رافعه ونظيره في وجوب تقدير الفعل قوله وان احد من المشركين اي
وان استجارك احد وقول الشاعر لو ذات سوار لطمتني اي لو لطمتني ذات سوار
لان لو طالبة للفعل فلا بد لفظا جعل مقدرا والمعنى لو لطمتني من كان كفوا لي لهان
علي ولكن لطمتني من هو دوني وقيل اراد لو لطمتني حرة فكني بكون اللاطمة ذات سوار
عن حريتها لان العرب فلا يلبسون الاماء السوار فالمعنى لو كانت اللاطمة حرة لكان ر
اخف علي وذكر المعدول عن ظاهر الى طريق الحذف والتغيير فائدتين الاولى المبالغة
في ترتب الجزاء على الشرط لان تكرر الشرط يقتضي تكرر تعليق الجزاء عليه والثانية الدلالة
على الاختصاص وذلك ان انتم وان كان فاعلا لفعل مقدر الا انه لما كان عبارة عن
ضمير يمكون المتأخر ومتحدا معه بالذات كان من حيث المعنى فاعلا له قدم عليه وقد
تقرر في علم المعاني ان تقديم الفاعل المعنوي يفيد الاختصاص فقوله تعالى لو انتم تملكون
يدل على انهم المختصون بهذه الحالة الخسيسة والشح الكامل فانه من المعلوم ان خزائن
الله تعالى غير متناهية لا تتصور نفادها بكثرة الانفاق فمن ملكها واستبد بها من غير
منازع ومزاحم ثم امسكها ولم ينفق منها حاجة احد من المحتاجين يكون في غاية الشح
ونهاية البخل قوله لبخلتم اشارة الى ان امسكتم لا يقدر له مفعول وجعل لازما فتضمنه
معنى بخلتم ويجوز ان يجعل متعديا ويقدر له مفعول اي لامسكتم المال والجزائن التي
ملكتموها الا انه لما حصل المقصود بدون التقدير استغنى عنه وخشية الانفاق ر
مفعول له لقوله امسكتم وقيل انه مصدر في موضع الحال اي لامسكتم خاشين الانفاق
وفيه نظر لان المصدر المعرف لا يقع موقع الحال الا سماعا نحو جهده وطاقته وارسلها العراك
ولا قياس عليه والانفاق مصدر انفق اي اخرج المال وجعله المصنف مصدر انفق بمعنى
انفد وفي الصحاح نفق الزاد ينفق نفقا اي نفد وانفق الرجل اي افتقر وذهب ماله
فعلى هذا خشية الانفاق معناه خشية الفاقة والافتقار قوله اذ لا احد الا ويجتار
النفع لنفسه جواب عما يقال كيف يصح ان يخاطب الانسان خطابا عاما ويصفهم بالبخل
المفرط بهذه المبالغة العظيمة مع ان في الانسان من هو جواد كريم وتقرير الجواب وصف
كافة الانسان بالبخل لان الاصل فيهم البخل من حيث انه خلق محتاجا اليما ينتظم به احواله

والمحتاج

والمحتاج لا بد وان يحب ما به ينتفع حاجته وان يمسك لنفسه ولا يؤثر به غيره وان انفق
الايثار به غيره انما يفعل ذلك لطلب عوض ينفق ما انفق به مثل ان يحمد ويذكر بالجميل
او يخرج عن عهدة الواجب او يتقرب به الى الله تعالى فلما لم ينفق الا لعوض فائق يصل اليه
كان في الحقيقة بخيلا فان الجود هو العطاء تفضلا من غير داع يدعو اليه سوى الكرم ودفع
حاجة المحتاج ثم اشار الى وجه آخر وهو انه وصف الكل بالبخل على اقامة الاكثر مقام الكل
لان البخلاء اغلب فيهم وقيل للخطاب في قوله تعالى قل لو انتم تملكون الآية ليس للكل
بل هو خطاب للذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فانهم لما طلبوا
اجراء الانهار والعيون في بلدهم ليكثر اموالهم فاجابهم الله تعالى بانكم لو تملكون
خزائن رحمة الله لبقيتم على بخلكم وشحكم ولما اقدمتم على ايصال النفع الى احد فلا
فائدة في اسعافكم بما طلبتموه قوله تعالى قتورا اي بخيلا ممسكا يقال قتر على عياله
يقتر ويقتر قترا وقتورا اي ضيق عليهم في الانفاق وقتر وكذلك التقتير والاقتار
ثلث لغات قوله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل اذ لو اريد بها الاحكام
المطلقة سواء كانت عامة او خاصة لما كان الجواب مطابقا للسؤال لان الآيات
المذكورة في الجواب عشر والسؤال عن تسع كانه قيل اعلموا معاشر اليهود
ان الآيات التي اوتي موسى عليه السلام ولم ينسخها شريعة وتكون نحن
وانتم فيها سواء هذه المذكورات لكن له آية اخرى تختص بكم وهي هذه الآية
العاشرة قيل في ارتباط هذه الآية بما قبلها انها جواب عن قولهم لن نؤمن لك
حتى تأتينا بهذه المعجزات القاهرة وتقريره انه تعالى قال انا قد آتينا موسى معجزات
مساوية لهذه الاشياء التي طلبتموها بل اقوى منها واعظم فلو حصل في علمنا ان
جعلها في زمانكم مصلحة لفعلناها كما فعلنا في زمان موسى لكن لما علمنا انه ر
لا مصلحة في فعلها في زمانكم لم نفعلها وقوله تعالى بينات يجوز ان يكون منصوبا
على انه صفة للعدد وان يكون مجرورا على انه صفة للمعدود وقوله فقلنا له سلهم
من فرعون على ان يكون قوله تعالى فاسئل خطابا لموسى عليه السلام اذ لو كان
الخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم لما احتيج الى تقدير القول فالمسؤل هو فرعون
والمسؤل عنه انقاذ بني اسرائيل من ايدي القبط فانهم كانوا بمنزلة الاسرى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في يد فرعون وقومه والمعنى ولقد اتينا موسى تسع اايات بينات فارسلناه
الى فرعون وملائه وقلنا له اذ جاءهم سل بني اسرائيل من فرعون انه قال له ارسل
معي بني اسرائيل وخلهم وشانهم فاسئل بمعنى الطلب من قولهم سالته
الشئ لا من قولهم سالته عن الشئ واذ جاءهم متعلق بقلنا المقدر قوله
وسلهم من حال دينهم على ان يكون الخطاب ايضا لموسى عليه السلام بتقدير
القول الآتي المسؤول ح بنوا اسرائيل والمسؤول عنه شان دينهم والمعنى فقلنا
لموسى سل بني اسرائيل اذ جاءهم عن حال دينهم وقل لهم هل انتم ثابتون
على ملة ابراهيم عليه السلام ام دخلتم في دين فرعون واذ متعلقة بقلنا المقدر
ايضا قوله ويؤيد اي يؤيد كون الخطاب عليه السلام بتقدير القول ووجه التاكيد
ان تلك القراءة صريح في ان السائل هو موسى عليه السلام لان ضمير سالهم عائد
اليه والمعنى فطلب موسى بني اسرائيل من فرعون او سالهم عن حال دينهم
واذ جاءهم في هذه القراءة متعلقة بسال قوله او قال يا محمد صلى الله عليه
وسلم عطف على قوله فقلنا له سلهم من فرعون اي ويجوز ان يكون السائل
سيد المرسلين والمسؤلون مؤمنة اهل التوراة من بني اسرائيل والمسؤل عنه
ما جرى بين موسى وفرعون بعد ان اظهر موسى اياه ما آتاه الله تعالى من المعجزات
التسع اي سلهم ان فرعون هل قتل آيات موسى وآمن بها ام انكرها واصر عليها
الكفر لتسلي نفسك ولا تضطرب من تعنت المشركين او سلهم عن الآيات القاهرة
الغير المنسوخة التي آتاها الله تعالى موسى فانه امر محقق عندهم ثابت في كتابهم
ليس المقصود حقيقة السؤال بل بيان كونهم اعني اكثر المسؤلين من اهل علم
ولهذا يؤثر مثله عنهم بالسؤال عنهم قوله وعلى هذا كان اذ نقضيا بالتناظر فاله
ويكون قوله فاسئل بني اسرائيل معترضة بين الظرف وعامله وفائدة الاعتراض
ازدياد اليقين فان تظاهر الادلة يوجب طمانينة القلب او هو من باب التهييج
والالهاب وزيادة التثبيت والطمانينة على اسلوب قوله تعالى فان كنت في
شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك والمعنى ولقد آتينا
موسى تسع ايات بينات اذ جاء بني اسرائيل او فرعون وملائه فاسئل ذلك عن مسلمي

اهل الكتاب

اهل الكتاب يخبرك به كما اخبرتك قوله او باضمار يخبرك الذي هو جواب قوله
فاسئل بني اسرائيل فلا يكون اذ جاءهم ظرفا ليخبرك اذ لا يتصور وقوع اخبارهم
عن حال الايات التي لنبينا صلى الله عليه وسلم في زمان مجئ موسى عليه السلام
الى بني اسرائيل بكون مفعولا به واخبارهم اياه مما وقع في ذلك الزمان عبارة عن
اخبارهم اياه ما وقع في ذلك الزمان من القصة بتمامها والمعنى سل بني اسرائيل
عن حال الايات التسع فانهم يخبرونك القصة بتمامها من لدن مجئ موسى
من مدين الى مصره عند ايابه اليهم وهم اسراء بيد فرعون وملائه ثم ذهابه الى
فرعون وطلبه منه ارسال بني اسرائيل معه وادعائه النبوة واظهاره تلك الايات
القاهرة باسرها ومجئ فرعون وعناده الا انه يجب ان يكون قوله اذ جاءهم
بمعنى اذ جاء آباءهم بتقدير المضاف لان للخطاب لسيد المرسلين صلى الله عليه
وسلم وبنوا اسرائيل هم الموجودون في زمانه وموسى عليه السلام ما جاء آباءهم
بل جاء اباءهم وان كان اذ جاءهم منصوبا باضمار اذكر علما انه مفعول به جاز
ان لا يجعل فاسئل اعتراضا بان يجعل اذكر بدلا من السئل لما سبق من ان
المقصود من السؤال بيان كون المسؤلين من اهل علم والفاء في قوله فقال له
فرعون على هذين الاوجه فاء فصيحة والمعنى اذ جاءهم فذهب الى فرعون
فادعى النبوة واظهر المعجزة وكيت فقال قوله وقرا الكسائي بالضم والقراءة
بفتح التاء اجود لان احتجاج موسى عليه السلام على فرعون بعلم فرعون اوكد
من الاحتجاج بعلم نفسه قوله فان ظن فرعون كذب بحت فانه وصف موسى بكونه
مسحورا مؤوف العقل ولا شك انه كذب بحض لا دليل عليه ولا امارة وموسى
وصف فرعون بكونه مثبورا اي مصروفا عن الخير اوهالكا وتصديقه الامارات
المتظاهرة وهي ان موسى عليه السلام اثبت نبوته بالمعجزات القاهرة التي لا يقدر
العاقل في انها من عند الله تعالى وانه تعالى انما اظهرها على يده تصديقا له في دعواه وكل
من انكرها لا يجحد على الانكار الا الحسد والعناد والجهل وحب الدنيا ومن كان كذلك
يكون عاقبته الهلاك والثبور قوله وقرئ ان احالك مضارع قولك خلت الشئ
خيلا وخيلة ومخيلة اي ظننته وفي المثل من يسمع يخل وهو من باب ظننت وتقول

ف مستقبله اخال بكسر الهمزة وهو الافصح وبنو اسد تقول اخال بفتح الهمزة وهو
القياس ثم انه تعالى لما بين اعجاز القرآن وكفايته في الدلالة على صدق مدعي
النبوة عاد الى تعظيم القرآن وبيان شانه فقال وبالحق انزلناه وبالحق نزل
اي ما اردنا بانزاله الا تقريره للحق وتبيينه فكان اردنا هذا المعنى بانزاله وقع
وحصل نزوله بسبب الحق فعلى هذا يكون بالحق متعلقا بانزلنا والباء سببية
وعلى ما ذكره المصنف يكون الباء متعلقة بمحذوف والجار والمجرور في محل النصب
على انه حال من مفعول انزلناه وفاعل نزل والحق الاول عبارة عن الحكمة
الداعية لانزاله والحق الثاني هو الثابت الذي لا يزول كما ان الباطل هو الزائل
الذاهب وكل ما اشتمل عليه هذا الكتاب الكريم من دلايل التوحيد وصفات
الجلال والاكرام وكون الملايكة عبادا مكرمين وتقرير نبوة الانبياء واثبات
الحشر والنشر ونحو ذلك امور ثابتة لا تقبل الزوال فقوله الا محفوظا بالرصد تفسير
لقوله بالحق وبيان لكونه منصوبا على انه حال من المفعول وكل واحد من لفظي الحق
على هذا عبارة عن الثابت المقابل للباطل والذي لا يكون انزاله ونزوله الا
حال كونه ثابتا غير باطل لا يكون كذلك الا بان يكون بينك لحالين محفوظا بالرصد
وهو جمع راصد كالحرس جمع حارس ثم انه تعالى لما بين اعجاز القرآن وعظم شانه
قال لنبي آمن بك واتبع دينك بما اظهرته من المعجزات ان فقدا هتدى ومن عاند
واقترح معجزات اخر فلا علينا من كفرهم بشيء لانك ما ارسلت الا مبشرا
وانذر ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراههم على الدين او نحو ذلك وقرانا
منصوب على الاشتغال اي على انه مفعول فعل محذوف يفسره فرقناه اي
وفرقنا قرآنا فرقناه فان قيل النصب على الاشتغال انما يجوز حيث يجوز
في الاسم المذكور الرفع بالابتداء وقرانا نكرة لا يصح الابتداء به فكيف
يجوز فيه النصب على الاشتغال فالجواب ان التنكير فيه للتعظيم فكان في حكم
المخصص بالوصف فكانه قيل وقرانا اية قرآن بمعنى قرآن عظيم فرقناه
قوله على مكث متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل لتقراه ثم انه تعالى خاطب الذين
اقترحوا تلك المعجزات العظيمة على وجه التهديد والانكار فقال قل امنوا به اولا تؤمنوا

اي فقد انذر الله تعالى وبلغ الرسول فاختاروا ما تريدون وهو في معنى الامر بالاعراض
عنهم كانه قال له اتركهم ولا تبال بهم والفرق بين كون قوله تعالى ان الذين اوتوا
العلم من قبله تعليلا لقوله امنوا به اولا تؤمنوا وبين كونه تعليلا لقل هو ان المقصود
بقوله ان الذين اوتوا العلم على الاول هو تحقير اهل مكة وتجهيلهم وما حصل من
تسلية عدم ايمان العلماء انما حصل في ضمن هذا المقصود والمقصود على الثاني
انما هو التسلية وما حصل من تجهيل القوم وعدم المبالاة بهم انما حصل تبعا وضمنا
قوله وذكر الاذقان جواب عما يقال المقصود من قوله تعالى ويخرون اي يسقطون
حكاية الهيئة الحاصلة لهم عند استماع القرآن التي هي هيئة السجود وهي انما
تحصل بالسقوط على الجبهة والانف فالظاهر ان يقال ويسجدون او يخرون على وجوههم
او عاجبا على وجوههم والوقوف فما وجه ذكر الاذقان هنا واجاب عنه بان الذقن اول
ما يلقى الارض من وجه الساجد وفيه بحث لان الظاهر ان اول ما يلقى الارض
من وجه الساجد هو الجبهة والانف دون الذقن الا ان يقال المراد بكون الذقن
اول ما يلقى الارض كونه اقرب الى الارض واقدم من سايرما يلقى الارض من اجزاء
وجه الذي هو بصدد السجود فالاولية بمعنى الاقدمية فتعبر عن خرور الساجد بخرور
اقرب اجزاء وجهه الى الارض واقدمها قوله واللام فيه للاختصاص للخرور به فيه بحث
لان اختصاص الخرور بالذقن عبارة عن كون سقوط الساجد مقصورا على الذقن
لا يتعدى الى سايرالاعضاء على منوال قول صاحب الكشاف في قوله تعالى الملك
يومئذ الحق للرحمن قدم الظرف فان ليدل على اختصاص الملك والحمد بالله تعالى ومن المعلوم
انه لا اختصاص لخرور الساجد بالذقن الذي هو مجتمع اللحيين الا ان يقال ليس
المقصود من الاية بيان انهم يسجدون حقيقة اذا تلى عليهم القرآن بل المقصود
بيان انهم ينقادون لما سمعوا ويخضعون له كمال الانقياد والخضوع فاخرج الكلام
على سبيل الاستعارة التمثيلية بان شبهت الهيئة الحاصلة من كمال الانقياد
والخضوع بهيئة من يخص الخرور بالذقن من حيث ان هيئة الخرور على الوجه اقصى
هيئات الخضوع ثم ان الذقن مع كونه ابعد شيء من الارض من اجزاء وجه من خر على
وجهه اذا خص الخرور به كان وصول سايراجزاء الوجه الى الارض لزوما واولى فتعبر عن

المشبهة بما يعبر به عن المشبه بها تصويرا للغاية خضوعهم وتقريرا لذ كون الكلام محمولا
على التمثيل دون الحقيقة قوله تعالى انقلبتم على اعقابكم وقوله فنبذوه وراء
ظهورهم قوله وهو اجوب ليكون المراد من الآية انه لا رجحان لاحد الاسمين
على الآخر بل هما سيان في حسن الاطلاق والاقتضاء الى المقصود اجب
لما ذكر بعد وذلك لان اعتراض اليهود كان تعيين المسلمين على ترجيح
احد الاسمين على الآخر واعتراض المشركين تعييرا على الجمع بين
اللفظين فنقول اتيا ما تدعو مطابق للرد على اليهود لان المعنى اي اسم
من الاسمين سميتموه به فهو حسن لا رجحان لاحدهما على الاخر في
الحسن ولا يظهر كونه ردا على من يقول كيف نعبد وثنين ونمنعهم
عنها قوله فحذف اولهما في الموضعين لان المنصوب الاول هو المسمى وهو محذوف
فيهما واما المذكور فيهما هو المنصوب الثاني وهو الاسم والتقدير سموا معبودكم
الله او سموه الرحمن اتى بهذين الاسمين تدعوه وتسموه فهو حسن فقوله
ايا منصوب بتدعوا على انه مفعول ثان له والظاهر ان قوله او للتخيير مبني
على كون الآية مسوقة للرد على اليهود الذين رجحوا تسمية الله باسم الرحمن
فطعنوا المسلمين بتقليلهم ذكر هذا الاسم فان الجواب بالتخيير انما يناسب
الرد على من زعم رجحان التسمية باحد الاسمين ولو كانت الآية مسوقة للرد
على المشركين الذين حظروا الجمع بين الاسمين لكان المناسب ان يجعل كلمة او على
الاباحة فانها وان كانت لاحد الشيئين او الاشياء الا انها اذا وقعت حيث
يحصل بالجمع بين الفعلين او الافعال فضيلة وشرف في الغالب تحمل على الاباحة
نحو تعلم الفقه او النحو وجالس الحسن او ابن سيرين وان وقعت حيث لا يحصل
ذلك تحمل على التخيير نحو اضرب زيدا او عمرا ولا شك انها اذا وقعت في جواب من
منع الجمع بين الاسمين يكون حملها على الاباحة انسب لكون المقام مقام الترغيب
في الجمع بينهما فيه ايذان بان المصنف ما رأى ايكونه ردا على البهود اشار
اليه بقوله وهو اجوب وذكر في شرح الرضي ان او اذا كان في الامر فله معنيان التخيير
والاباحة فان حصل للمأمور بالجمع بين الامرين فضيلة وشرف في الغالب فهي للاباحة

نحو تعلم

نحو تعلم الفقه او النحو والا فهي للتخيير نحو اضرب زيدا او عمرا والفرق بينهما ان الاباحة
يجوز فيها الجمع بين الفعلين والاقتصار على احدهما وفي التخيير يتحتم احدهما ولا يجوز
الجمع قوله بقراءة صلوتك بتقدير المضاف او على اطلاق اسم الكل وارادة الجزء فان
الصلوة عبارة عن مجموع الافعال والاذكار والجهر والمخافتة من عوارض الصوت
يقال خفت صوته يخفت خفتا وخفوتا اذا ضعف وسكن وصوت خفيت اي ضعيف
خفي روي انه ﷺ كان يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن
انزله ومن جاء به فانزل الله تعالى هذه الآية قوله وفيه تنبيه وجه التنبيه انه تعالى
امره ﷺ بان يخص الحمد والثناء بالاله المنزه عن جميع سمات النقصان المتفرد بالملك
المنعم على الاطلاق ثم امره بان يصفه بصفة الكبرياء المطلق في ذاته وصفاته وافعاله
واحكامه ويعتقد انه واجب الوجود لذاته غني عن كل ما سواه ويعتقد ان كل
ما كان صفة له فهو من صفات العظمة والجلال والفر والكمال وان كل واحد من تلك
الصفات ازلية قديمة سرمدية منزهة عن التغير والزوال وان كل واحد
منها متعلقة بالانهاية له من المتعلقات ويعتقد ان كل ما جرى في ملكه وسلطانه
واقع بقضائه وقدره ومشيته وقالت المعتزلة انا نكبر الله تعالى ونعظمه عن ان
يكون فاعلا لهذه القبائح والفواحش بل نعتقد ان حكمته تقتضي التنزه والتقدس
عنها وعن ارادتها قال واحد من رؤساء المعتزلة يقال له القاضي عبد الجبار
الهمداني حين رأى الاستاذ ابا اسحق الاسفرائني سبحان من تنزه عن الفحشاء
فقال الاستاذ ابو اسحق سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء ويعتقد انه ملك
مطاع وله الامر والنهي والرفع والخفض ولا اعتراض لاحد عليه في شيء من احكامه
ثم انه تعالى اكد التكبير الماموربه فقال تكبيرا واقصى ما يقدر عليه الانسان الضعيف
ان يجتهد ويبالغ في تعظيم ربه جل جلاله بقدر وسعه قدرته ثم يعترف بان عقله وفهمه
لا يفي بمعرفة جلال الله تعالى ولسانه لا يفي بشكره وثنائه وجوارحه واعضاؤه
لا تفي بخدمته فيكبر الله عز وجل عن ان يكبره تكبيرا يليق بوجهه ومحل قوله اذا
افصح الغلام اي فهم ما يقوله في اول ما يتكلم وخلص كلامه عن اللكنة والمراد بهذه
الآية قوله تعالى وقل الحمد لله الى آخر السورة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال قول العبد الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اكبر من الدنيا وما فيها قبل افتتاح التوراة بثلاثة سنين الانعام واختمت بخاتمة
بخاتمة هذه السورة والحمد لله رب العالمين

سورة الكهف مكية

قوله رتب السخاوي للحمد اشارة الى ان ليس تقدير الكلام قولوا الحمد لله اه بل هو جملة
اسمية لا محل لها من الاعراب ناطقة بان حقيقة الحمد او جميع افراده مختصة به تعالى
وانه المستحق لها لانه الذي وصلت الى كل احد نعمة وان الذي وصلت النعمة عايده
طريق لوصولها الى الكامل وذلك الغير وان استحق الحمد ايضا في مقابلة سعيه واجتهاده
في قضاء حاجة المحتاج الا ان التمكين والاقدار على ذلك السعي ليس الا من الله تعالى وتوفيقه
فالمتوجه الى ذلك الغير من الحمد فهو بالحقيقة راجع اليه تعالى لانه تعالى مستحق لذلك الغير
في ايصال نعمته الى العبد الا ان الحمد لا يجب ان يكون بمقابلة النعمة البتة بل قد يكون بمقابلة
الفضائل الغير المتعدية كما اشار اليه بقوله في آخر السورة السابقة ورتب
الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات ويدل عليه ايضا
انه تعالى ما ذكر الحمد لنفسه الا وذكر على اثره ما يدل على قدرته وسلطانه كقوله الحمد
لله الذي لم يتخذ ولدا وقوله الحمد لله فاطر السموات والارض او ما يدل على انعامه
وافضاله كقوله للحمد لله رب العالمين وقوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب
قوله وهو في المعاني قال ابن السكيت كل ما ينتصب كالحايط والعود قيل فيه عوج
بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض او دين او معاش ينال في دينه عوج كذا في
الصحاح قوله اقيما بصالح العباد يقال فلان قيم المسجد اذا كان قائما بمصالح المسجد
متعهدا لشانه وكذا قيم الاطفال فالقرآن لما كان سببا لهداية الخلق قائما لاصلاح
الارواح البشرية كان كالقيم المشفق القائم بمصالح الاطفال قوله او على الكتب
عطف على قوله بمصالح العباد فان بعض اهل الله وبل فسر القيم بالشاهد وقال القرآن
قيم على الكتب المتقدمة وشاهد عليها في الزيادة والنقصان وفي التغيير والتحريف
مبين ما زادوا فيها وما نقصوا وما حرفوا وغيروا والحاصل ان قيما اذا لم يقدر له
متعلق كان بمعنى مستقيما ويكون ذكره بعد قوله ولم يجعل له عوجا للتاكيد فان كل
ما لا يكون له عوج يكون مستقيما وكل ما يكون مستقيما يكون غير ذي عوج الا ان من عادة

العرب

العرب تكرار الكلام واعادته على التاكيد كقوله تع محصنات غير مسافحات فانهن اذا كن محصنات
لم يكن مسافحات واذا كن مسافحات لم يكن محصنات فهما يؤديان بمعنى واحد الا انه
كرر بناء على عادة العرب واكذا قوله تع لينذر بأسا شديدا فان البأس هو الشديد والشديد
هو البأس وكرر للتاكيد هذا اذا لم يقدر لقوله قيما متعلق واما اذا قدر له متعلق
فاما ان يقدر على ما في قوله تع افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت اي رقيب حافظ
شهيد فيكون تتميما لقوله ولم يجعل له عوجا لان المعنى حينئذ انه كامل في نفسه مكمل لغيره
فيكون بالغا في الاستقامة حدا او يقدر له الباء على نحو قولهم فلان قيم بهذا الامر
اي قائم بمصالحه فيكون تكميلا بمعنى انه مستقيم في نفسه قيم بامور غيره قوله تقدير جملة قيما
بزيادة بل ايضا اي ولم يجعل له عوجا بل جعله قيما سواء كان منصوبا بمضمر او
على انه حال من الضمير في له يكون قوله ولم يجعل له عوجا معطوفا على جملة الصلة بخلاف ما اذا
كان قيما حالا من الكتاب فانه ح لا يكون قوله ولم يجعل له عوجا معطوفا على قوله انزل
الكتاب لئلا يلزم الفصل بين الحال وذي الحال باجنبي فان الحال من تمام المعطوف عليه
وبعض منه والمعطوف اجنبي فاصل بينهما ولا يجوز الفصل بين الحال وذي الحال باجنبي
قوله وذلك اي ولكون قيما حالا من الكتاب يستلزم الفصل بين الحال وذي الحال باجنبي
على تقدير ان يكون قوله ولم يجعل معطوفا على انزل قال بعض اهل الله وبل الكلام
على التقديم والتاخير اي انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا واحسن الوجوه
ان يجعل قيما منصوبا بمضمر لان الظاهر ان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فلو جعل قيما
حالا من الكتاب لزم العطف قبل تمام الصلة وحمل الكلام على التقديم والتاخير من غير
نكتة بعيد وكذا جعل قوله ولم يجعل حالا من الكتاب كانه قيل انزله منتفيا عنه العوج
مستقيما بعيد خلاف الظاهر واعلم ان حفصا وقف على تنوين عوجا سهلة الفاء
سكتة لطيفة من غير قطع نفس اشعارا بان قيما ليس متصلا بعوجا وانما هو
من صفة الكتاب وغيره لم يبال بهذا الوهم فلم يسكت اتكالا على فهم المعنى وفعل
حفص في مواضع من القرآن مثل ما فعله ههنا من سكتة لطيفة نافية لوهم فاسد لعلمها
انه يقف عامر قرنا ويبتدئ بعدا ما وعبد الرحمن للتلا يتوهم ان بعدا صفة لمرقدنا
ويتبين بالوقف ان كلام الكفار قد انقضى وان ما بعد كلام غيرهم قيل انهم الملائكة وقيل

وقيل المؤمنون ومنها انه يقف عليها في قوله تعالى حتى اذا بلغت التراقي وقيل من راق
ويبتدئ بها راق لئلا يتوهم انها كلمة واصل على فعال اسم مبني للمبالغة من مرق يمرق
فهو مراق ومنها انه يقف عليها على قوله تعالى بل ران ويبتدئ ران لما تقدم قوله صادرا
من عتل اشارة الى ان من لدنه متعلق بمحذوف منصوب على انه نعت لباسا او حال
من الضمير في شديدا وان لدن بمعنى عند قوله وقرأ ابو بكر لنهيء بإسكان الدال
واشمامها شيئا من الضم وبكسر النون والهاء موصولة بياء ووجهه انه سكن
الدال تخفيفا كتسكين عين عضد وسبع والنون ساكنة فالتقى ساكنان فكسر النون لالتقاء
الساكنين وكان حقه ان يكسر الاول على القاعدة المعروفة الا انه يلزم منه العود الى ما
فر منه ثم لما كسرت النون كسرت الهاء ايضا اتباعا ووصلها بياء واشم الدال شيئا من
الضم اشارة الى اصلها وقرأ الباقون لدنه بضم الدال واسكان النون وضم الهاء وابن
كثير يصلها بواو ويقرأ لدنهو نحو منهو وعنهو وغيره لا يصلها بشيء قوله استعظاما
لكفرهم فان الخاص قد يعطف على العام للتنبيه على مزية الخاص وتنزيل تلك المزية التباين
فكأنه لا يعلم حكم احد المتباينين ببيان حكم المباين الآخر بل لا بد من ذكر الآخر بعده
والتنصيص على حكمه فكذا يعطف الخاص على العام ويبين حكمه قصدا واصالة بناء
على تنزيله منزلة المباين بالنسبة الى العام المذكور قبله بطريق التنزيل التغايري في الوصف
منزلة التباين في الذات وقوله تعالى ما لهم به من علم لا يستدعي تحقق المعلوم في
نفسه لان انتفاء العلم بالشيء قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون لانه
في نفسه محال لا يمكن تعلق العلم به وما نحن فيه من قبيل الثاني وهذا معنى قوله بل لونان
عن جهل مفرط لا يحكم به عقولهم ولا يؤدي اليه فكرهم البتة لكونه في غاية الفساد
والبطلان بل هو مجرد تعلقه لسان يجري على السنتهم ليس في قلوبهم من معناه شيء
الكلمة بالخروج الذي هو قولهم فانهم كانوا يطلقون الاب لكل من هذا الاطلاق كان جائزا
في شريعة من قبلنا كما يجوز في شريعتنا نسبة الغضب والرحمة ونحوهما الى الله تعالى على ارادة
غاياتها الا انه لم يجز في شريعتنا اطلاق الاب عليه تعالى ولا اطلاق الابن على بعض عبيده
لايهامه معاني فاسدة من صفات الاجسام بناء على ان الاصوات والحروف والكلمات
المركبة منها انما تحدث بسبب خروج النفس من الحلق فوصفت الاعراض المذكورة بوصف

ما يكون

ما يكون سببا لحدوثها والا فالاعراض لا يصح عليها الخروج والانتقال قوله وكلمة نصب
على التمييز لانها بمعنى الابهام المستفاد من ذات مفردة ومن النسبة الملحوظة في قولك
كبرت المقالة او الكلمة فانها مبهمة لان من سمع تلك الجملة يجوز ان يكون المراد ان تلك
المقالة كبرت كذبا او جهلا او افتراء فلما قيل كلمة تعين المراد وارتفع الابهام فعلى
هذه القراءة فاعل كبرت مضمر فيه يفسره ما اذا قدرت برفع الكلمة على الفاعلية فانه
لا يضمر فيه شيء حينئذ بل تلك عظم فلان وعلى تقدير الاضمار يكون ذلك الضمير راجعا
على مقالتهم المفهومة من قوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا اي كبر مقالهم ذلك كلمة ومعنى
الكلام التعجيب اي ما اكبرها كلمة وقوله تخرج من افواههم صفة لكلمة تزيدن استعظامها
لان بعض ما يخطر بالبال لا يجري الانسان على اظهاره بالنطق قوله وقيل صفة محذوف
يعني قيل ان كبرت بمعنى بئس وفاعله مضمر مفسر بالنكرة المنصوبة بعده على التمييز
كما في قولك بئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت كلمة خارجة من
افواههم وقرئ كبرت بسكون الباء واشمام الضم وهي لغة تميم قوله فاعلها البخع
الاهلاك يقال بخع الرجل نفسه بخعا وبخوعا اي اهلكها غما ووجدا والمقصود من
الاية تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تعظم حزنك والسكك بسبب كفرهم
فانا بعثناك منذرا ومبشرا واما تحصيل الايمان في قلوبهم فلا قدرة لك عليه والفاء
في قوله فلعلك قيل جواب الشرط وهو قوله ان لم يؤمنوا قدم عليه ومعناه التاخير
وقال الجمهور جواب الشرط محذوف لدلالة قوله فلعلك قيل كلمة لعل هنا للاشفاق
على ما يجيء وقيل للاستفهام الانكاري اي لا تبخع بمرتبة قوله تعالى في اية اخرى فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات والظاهر انها للاشفاق الذي يقصد به التسلي والحث على ترك
التحزن والتاسف ثم قيل الاسف هو النهاية في الغضب لقوله تعالى فلما اسفونا انتقمنا
منهم قال اهل التاويل المعنى فلما اغضبونا وقيل الاسف هو النهاية في الحزن لقوله
تعالى يا اسفى على يوسف اي يا حزنا فانه عم كادت نفسه الكريمة تزهق حزنا عليهم
واشفاقا من ان تتلف انفسهم في النار بتركهم الايمان وفيه دلالة على انه عم لم يكن
يقاتل الكفرة للقتل والاتلاف وانما يقاتلهم ليسلموا ويتخلصوا من الهلاك الابدي
فان من كاد يبخع نفسه اشفاقا عليهم من الهلاك كيف يقاتلهم للاهلاك وقوله تعالى على آثارهم

متعلق بقوله باخع ايها باخع نفسك من بعد هلاكهم بقال مات فلان على اثر فلان اي بعده
ما بعد في زمان قريب من زمان موته حال بقاء آثار الميت الاولى وعلاماته وعدم
اندراسها بالكلية فانه يصح ان يقال مات الذي على اثره اي حال بقاء اثره قوله وقرئ
ان بالفتح قرأ الجمهور ان لم يؤمنوا بكسر الهمزة على انها شرطية فعلى هذه القراءة يكون
باخع للاستقبال فيصح لان ان الشرطية للاستقبال كانه قيل لعلك تبخع نفسك
الآن او غداً ان لم يصدر منهم ايمان وقرئ شاذاً بفتح الهمزة على حذف الجار اي لان
لم يؤمنوا فعلى هذه القراءة المناسب ان يكون باخع للمضي لان لم يؤمنوا ماض
ولا ضرورة تدعو الى صرفها عن معناها فلا يصح الا اذا جعل حكاية حال ماضية
كانه قيل لعلك تبخع نفسك لاجل ان لم يؤمنوا فجيء باسم الفاعل لتصوير تلك
الحالة في ذهن السامع واستحضارها وان لم يحمل على حكاية الحال الماضية لا يصح
فيجب اضافة الما بعد قوله وفيه تسكين اي تسكين لوجده واغتمامه على عدم
ايمانهم ووجه التسكين ان الاية لما دلت على ان اهل الارض لم يعط لهم ما عليها
من الزينة لينتفعوا به مجانا وانما اعطى لهم ذلك ابتلاء واختبارا ليظهر منهم
ما علم الله تعالى ان ذلك يكون منهم فيجازي كلا واحد من اكثر للدنيا وزينتها ومن
اكثر رضى الرحمن وطاعته على حسب قصده ونيته ظهر له عدم ان شانه وما يليق به
لبس الابشان المطيع وانذار العاصي وانه تعالى هو المطلع على اعمالهم ونياتهم
ومن يستحق ان يخلق فيه الاهتداء والضلالة فيسكن بذلك وجده وغضبه
والزهد خلاف الرغبة يقال زهد في الشيء وعن الشيء عفه واحدا يلم يرغب فيه
ولم يرغب فيه والصعيد التراب وقيل الصعيد المستوي من الارض وقيل هو وجه
الارض مطلقا والجرز الذي لا نبات به ولا ماء قوله بل اجب اشبان الى ان ام منقطعة
مقدرة بل والهمزة وبل هنا للانتقال لا لابطال ما سبق والهمزة للانكار
ذكر الله تعالى اولا من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس
التي لا حصر لها ثم ذكر انه سيزيل ذلك كله ويجعله كان لم يكن ثم اخبر عنه وقال ام
حسبت كانه قيل تتعجب من قصة اصحاب الكهف ولا تتفكر في سائر الايات فان
تزيين الارض بانواع المعادن والحيوان والنبات وازالتها بالكلية بعد اخذت الارض

زخرفها

زخرفها وازينت اعظم واعجب من قصة اصحاب الكهف والانسان عادته ان
يتعجب من شيء قل اتيانه به وان كان الذي يحقره اعجب منه قال الامام القوم
تعجبوا من قصة اصحاب الكهف وسألوا محمدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
على سبيل الامتحان فقال الله تعالى ام حسبت انهم كانوا عجبا من آياتنا فقط
فلا تحسبن ذلك فان آياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق السموات
والارض ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد
ذلك صعيدا جرزا خاليا عن الكل كيف يستبعد من قدرته حفظ طائفة مدة
ثلاث مائة سنة واكثر في النوم روي ان قريشا بعثوا الى المدينة رهطا
وقالوا لهم سلوا احبار اليهود عن محمد وصفته واخبروهم عن قوله فانهم
اهل الكتاب الاول وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرج الرهط
حتى قدموا المدينة فسألوا احبار اليهود عن احوال محمد صلى الله عليه وسلم
فقال احبار اليهود سلوه عن ثلاث عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان
من امرهم فان حديثهم عجب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض
ومغاربها ما كان نبأه وسلوه عن الروح ما هو فان اخبركم عن اثنين
ولم يخبر عن الثالث فهو نبي والا فهو متقول فلما قدم الرهط مكة قالوا
قد جئناكم بفصل ما بيننا وبين محمد واخبروا ما قالت اليهود فجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسألوه فقال عليه السلام اخبركم بما سألتم عنه غدا
ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون
خمس عشرة ليلة حتى ارجف اهل مكة به وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم
خمس عشرة ليلة وشق عليه ذلك ثم جاء جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل
بسورة اصحاب الكهف وفيها معاتبة الله تعالى اياه على حزنه عليهم وفيها خبر
اولئك الفتية وخبر الرجل الطواف وعجبا في قوله تعالى كانوا من اياتنا عجبا
خبر كان ومن آياتنا حال منه لانه في الاصل صفة فلما قدم صار حالا قوله قال
امية بن ابي الصلت ليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في
الكهف همدا استشهد به على ان الرقيم الكلب وهذا يدل على ان قصة اصحاب الكهف

كانت من علم العرب وان لم يكونوا عالمها على وجهها الوصيد فناء البيت وهو
مفعول مجاورا والهمد جمع هامد بمعنى الراقد والنائم يعني ان اجساد الكهف
كانوا رقودا في الغار وكلبهم مجاور لوصيدهم كما قال تعالى وكلبهم باسط
ذراعيه بالوصيد قوله او لوح رصاصي فيكون الرقيم بمعنى المرقوم وهو المكتوب
قال تعالى كتاب مرقوم اي مكتوب قوله تعالى اذ اوى الفتية منصوب بمحذوف
المقدر لا بقوله ام حسبت لانه كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم مدة
طويلة فلا يجوز ان يقع حسبانه عليه في ذلك الوقت الذي اووا فيه الى الكهف
اي صاروا اليه وجعلوه مأوى لهم وكانوا فتية اي شبانا متقاربين
في الاسنان من اولاد عظماء الروم آمنوا بربهم وكان ذلك الايمان جهرة
وتذكر امنهم في عظمة الله تعالى وملكه وقدرته لم يأتهم بذلك وحي ولم يقرؤا كتابا
ولم يدركوا زمان نبوة وكانوا في زمن فترة قبل ان يبعث الله تعالى عيسى
عليه السلام ثم بعثه الله تعالى وهم في الكهف راقدون ولبث في امته ثلثمائة
وثلثين سنة ثم رفعه الله ومضى بعد زمان طويل ثم بعثهم الله تعالى وايقظهم
واطلع اهل ذلك العصر على حالهم ليعلموا ان وعد الله تعالى بالبعث حق وان
الساعة اتية قوله او جعل امرنا كله رشدا يحتمل ان تكون كلمة من في قوله من
امرنا تجريدية كما في قولك رايت من زيد اسدا اي تجرد من الامر رشدا او هو الامر
بعينه مبالغة في رشاده ولهذا قال اجعل امرنا كله رشدا والتجريد
من المحسنات البديعية المعنوية وهو ان ينتزع من امر ذي صفة
امرا آخر مثله لذلك الامر ذي الصفة في تلك الصفة لاجل المبالغة في كمال
تلك الصفة في ذلك الامر ذي الصفة حتى كانه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة
الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة فان جعلت كلمة من
في الاية تجريدية يكون مطلوبهم ان يبلغ امرهم في الرشد والهداية حدا
يصح معه ذلك اي ان يستخلص منه امرا آخر مثله في الرشد وفي الوجه الاول
تكون من متعلقة بيهيئ ويكون المعنى انهم لما هربوا الى الكهف وفارقوا الناس
طلبا لسلامة الدين سألوا ربهم ان يهيئ لهم الرشد والاستقامة في الدين

من مفارقتهم

من مفارقتهم الكفار قوله تعالى فضربنا على اذانهم اي نمناهم نوما لا ينبههم الاصوات يعني ان ضرب
الحجاب المانع من ان تصل الاصوات المقرقعة الى آذانهم واسماعهم كناية عن الايقاظ
الثقيلة وانما صح كناية عنها لان الصيحات والتنبيه طريق من طرق ازالة النوم
فسد طريقه يدل على استحكام النوم وثقله وخصت الاذان دون العيون
مع ان النوم يتعلق بها دون الآذان لان ضرب الحجاب على العين لا يصلح كناية
عن المبالغة في النوم لان سد الابصار انما يدل على ابتداء النوم لا على
استحكامه وكماله وانما يدل على كماله ان لا يكون ما هو طريق لازالته مؤثرا
في زواله قوله بنى على امرأته اي بنى عليها القبة ونحوها فان العرس كان يبنى
على اهله خباء فقولهم بنى فلان على اهله كناية عن دخوله عليها قوله ظرفان لفربنا
الاول ظرف مكان والثاني ظرف زمان والمعنى انمناهم فيه سنين ذوات عدد وقد
بينها الله تعالى بقوله وليشوا فيه كهفهم ثلثمائة سنين واز دادوا تسعا قوله لنبتليهم
علمنا تعلقا حاليا لما كان قوله تعالى لنعلم متعلقا بقوله بعثناهم دل الكلام على ان يكون
علم تعالى حادثا مترتبا على ايقاظهم دفعا لذلك الاحتمال بما يدل على ان علمه تعالى
ازلي سرمدي لا يجوز عليه التغير والزوال وانما التغير في المعلومات وانه تعالى
عالم بها في الازل على ما ستكون عليه في اوقات حدوثها وبقائها وكلما تجدد لها
حال من الاحوال يتعلق علمه تعالى بذلك الحال تجددا فالتجدد والتغير انما هو
في تعلقات العلم لا في نفسه وقال بعضهم انه تعالى لا يعلم الحوادث قبل وقوعها
ولا يعلمها الا عند حدوثها واحتج عليه بهذه الاية قوله المختلفين منهم او من غيرهم
اشارة الى ان اهل الكتاب اختلفوا في الحزبين قال مجاهد الحزبان من الفتية
لان اصحاب الكهف لما التبسوا اختلفوا انهم كم ناموا ويدل عليه قوله تعالى
وقال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فاحتج
الكهف كانوا حزبين استقل احدهما مدة لبثهم واستطالها آخرون وهم الذين
قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وقال الفراء اي طائفتين من المسلمين اختلفوا في مدة
لبثهم في الكهف بعد خروجهم من بين قومهم فبعثهم الله تعالى ليتبين ذلك ويظهر
وليس لنا حاجة الى تعيين ما ابهم الله بيانه قوله ولما لبثوا حال من اي من قوله امرا لانه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لانه لو نا اخر عنه لكان نعتا له فلما قدم عليه صار حالا والمعنى ضبط امدا كائنا لزمان لبثهم فى الكهف وان كانت اللام لام العلة يكون المعنى لنعلم اى الحزبين احصى للسبب الذى لبثوا فيه لاجله قوله وقيل احصى اسم تفضيل لم يرض به لان افعل من كذا لا يبنى من باب افعل بفعل وقولهم ما اولاه للخير وما اعطاه للمال ثمن الشواذ وان ذ النادر لا يقاس عليه والمذلق بروى بالدال والذال وهو رجل من بنى عبد الشمس وابوه واجداده يعرفون بالافلاس قال الاخفش فى حقه فانكل اذ ترجو تميما ونفعها كراجى الذرى والعرف عنز المذلق قوله وامدا انتصب بفعل دل عليه ابدل احصى الذى هو للتفضيل على ذلك الفعل المضمر من جنسه واحتيج الى الاضمار لان افعل التفضيل لا يعمل فى مظهر واول البيت ولم ار مثلى الحى حيا مصبحا ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا اكر واحمى للحقيقة منهم واضرب منا بالسيوف القوانسا المصبح المغار عليه وقت الصبح وحقيقة الرجل ما يحق على الرجل ان يحميه والدفاع عنه من اهل بيته والقوانس جمع قونس وهو اعلى البيضة من الحديد ويطلق على ما بين اذنى الفرس ايضا يصف بهذا الفريق اعداءه واحماه بقوله لم ار مغارا عليهم مثل الذين صبحناهم ولا مغيرين مثلنا يوم تقينا هم وصف المغار عليهم بكمال الشجاعة ليكون ادل على شجاعة من غلب عليهم فالقوانس فى البيت منصوب بفعل مقدر من جنس افعل التفضيل اى يضرب القوانس لا بنفس افعل التفضيل لانه لا يعمل فى المظهر فكذا فيما نحن بصدده فان قيل انه انما لا يعمل فى مظهر فاعل او مفعول به فلم لا يجوز ان يكون اميرا منصوبا على التمييز ويعمل فيه احمى كما فى اكثر مالا واحسن وجها اجيب بان التمييز فى امثال ذلك انما هو فاعل فى المعنى لان المال هو الذى كثر والوجه هو الذى حسن وليس الامر هو الذى احمى قوله وقوينا ها بالصبر يعنى ان قوله تعالى ربطنا على قلوبهم استعارة تبعية شبه تثبيت قلوبهم وتقويتها وحملها على الصبر على الشدايد التى تحملوها بربط الدابة وشدها بالرباط وهو الحبل فان ربط الدابة شدها بالرباط والمربط هو الحبل ومن المجاز ربط الله على قلبه بمعنى صبره ورجل رابط الجاش كذا نقل عن الاساس واصل الكلام ربط قلبه لانه يتعدى بنفسه الا انه نزل منزلة اللازم وزيدت على للاستعلاء للمبالغة

والدلالة

والدلالة على كون الربط والتقوية مستولين على قلوبهم مستقرا عليها كما فى قوله يخرج فى عراقيبها نصلى قوله تعالى امنوا بربهم فيه التفات من التكلم الى الغيبة اذ لو جاء على نسق قوله نحن نقص لقيل امنوا بنا وقوله زدناهم وربطنا التفات من الغيبة الى التكلم ايضا وقوله اذ قاموا منصوب بربطنا والمعنى قويناها قلوبهم اذ قاموا بين يدى ملكهم دقيانوس حين عابتهم على تركهم عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض اقروا بربوبية الله تعالى بين يدى ذلك الجبار بتقوية الله تعالى اياهم على مخالفته وعصيانه وقيل انهم كانوا عظماء المدينة فخرجوا منها ذات يوم فاجتمعوا ورأوا المدينة من غير ميعاد فقال اكبرهم انى لاجد فى نفسى شيئا وهو ان ربنا رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك نجد فى انفسنا فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض قوله والله لقد قلنا قولا اذا شططا يعنى ان قوله تعالى للذين قالوا جواب قسم مقدر وشططا مصدر شطت الدار تشط اى بعدت وشط الرجل اى بعد عن الحق والشطط مجاوزة القدر فى كل شئ والتصابه على انه صفة مصدر محذوف اى قولا ذا شطط او جعل القول نفسه شططا مبالغة ولا بد من ان يقدر فى الكلام شرطا لان اذن جواب وجزاء اى لقد قلنا قولا ذا شطط ان دعونا من دونه آلها وقوله لولا يأتون تخضيض فيه معنى الانكار وقوله عليهم تقديره على عبادتهم او على اتخاذهم فحذف المضاف للعلم به ولم يكتفوا بالانكار على اتخاذهم الشركاء وعبادتهم اياها من غير ان يقيموا برهانا قطعيا يدل على صحته بل قالوا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعنون ان الحكم بانه تعالى شريك وولد امع انتفاء ان ما يدل عليه ظلم وافتراء عليه تعالى بحيث لا احد اظلم منه قوله تعالى وما يعبدون ذكر فيه ثلثة اوجه الاول ان يكون ما بمعنى الذى والعائد محذوف اى واعتزلتم الذى يعبدونه اشار اليه بقوله ومعبوديهم وقوله الا الله مستثنى متصل من الذى يعبدونه والثانى ان يكون ما مصدرية وان يكون الا الله مستثنى منقطعا ايضا بتقدير المضاف اى واذ اعتزلتموهم اى تركتموهم وعبادتهم الا عبادة الله والثالث ان تكون نافية وان يكون الجملة من كلام الله تعالى وقعت معترضة بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم والا الله مستثنى مفرغ اخبر الله تعالى عن الفتية انهم لا يعبدون غيره قوله مرفقا قرأه الجمهور

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بكسر الميم وفتح الفاء وقراة نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء فقيل هما لغتان
بمعنى واحد وهو ما يرتفق به اي ينتفع به من الامر وليس لشئ منها بمصدر وقيل
هو بكسر الميم مرفق اليد وبفتحها الامر المنتفع به وقد يستعمل كل واحد منهما في موضع
الاخر وقيل هما لغتان فيما يرتفق به واما المرافقة فبكسر الميم فقط وقوله من امركم
متعلق بالفعل قبل ومن لابتداء الغاية او للتبعيض وقيل هي بمعنى بدلا كما في قوله تعالى
رضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة ويجوز ان يكون حالا من مرفقا فيتعلق بمحذوف
قوله لنصوح بينهم اي لملوص بينهم عن شوب الشك والناصح الخالص من كل شئ
قوله لو رأيتهم يعني ان قوله تعالى وترى ليس المراد به الاخبار ان المخاطب يرى هذه
الصورة بل المقصود بيان ان باب ذلك الكهف الى جهة الشمال بحيث تقع
الشمس تميل عنهم طالعة وغاربة لا تدخل عليهم فتؤذيهم حرها وتغير ألوانهم فالمعنى
انك لو رأيته رأيته على هذه الصورة ثم اخبرانهم كانوا في متسع من الكهف بنالهم
فيه برد الريح ونسيم الهواء فقال وهم في فجوة منه اي من الكهف والفجوة متسع
في مكان الراغب في فجوة اي في ساحة واسعة قوله لان الكهف كان جنوبيا كانت
ساحة الغار وداخله في جانب الجنوب وذلك انما يكون بكون بابه في جانب الشمال
قوله او لان الله تعالى قدر ذلك عنهم يعني ان المفسرين في تفسير الاية قولين الاول
ان باب ذلك الكهف كان الى جانب الشمال مستقبل بنات نعش لا يقع فيه شعاع
الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما بين ذلك من حيث ان الشمس اذا ظلعت
تطلع عن يمين الكهف واذا غربت تغرب بشماله فضوء الشمس ما كان يصل الى
داخل الكهف وكان الهواء الطيب والنسيم الموافق يصل اليهم فلا جرم بقيت
اجسامهم مصونة عن العفونة والفساد والقول الثاني ان الله تعالى منع صفة
الشمس من الوقوع عليهم عند طلوعها وعند غروبها وكان ذلك فعلا خارقا للعادة
وكرامة عظيمة خص الله تعالى اصحاب الكهف قاله الزجاج واصح هذه المحتملات بقوله
ذلك من آيات الله قال ولو كان الامر كما ذكره اصحاب القول الاول لكان ذلك
امرا معتادا مألوفا ولم يكن من آيات الله واما اذا حملنا الآية على الوجه الثاني
كان ذلك كرامة عجيبة من آيات الله قوله واصله تتزاور وذلك لانه اختار قراءة

من قراء

من قراء تتزاور بفتح الزاي المشددة والف بعدها فكان اصله تتزاور فاسكنت التاء
الثانية فادغمت في الزاي وقرا الكوفيون تزاور بحذف احدى التائين للتخفيف
وابن عامر ويعقوب تزور بسكون الزاي وتشديد الراء من الازورار وهو
العدول عن الشئ والزور بالتحريك الميل يقال ازور عنه ازورارا واز وازعنه
از وبرارا وتزاور عنه تزاورا كله بمعنى عدل عنه وانحرف قوله وحقيقة الجهة
ذات اسم اليمين يعني ان خلاصة المعنى ان الشمس حين طلوعها تميل عن كهفهم جهة
اليمين الا ان ذات اليمين صفة اقيمت مقام الموصوف لما تقرر ان كلمة ذو وذات
موضوعة لان يوصف بها النكرة ولعل تعريف الجهة للعهد الذهني فيكون كالنكرة
معنى ولو قال جهة ذات اسم اليمين لكان اظهر قوله والمراد به اما الثناء عليهم بانهم
تفكروا في دلايل واحدانية الله تعالى وعظمته في ملكه وقدرته فامنوا بالله تعالى ووحدوه
واعتزلوا اهل الشرك والضلال واثروا المواضع الخالية في الجبال على طيب العيش
في الاوطان والاموال طلبا لمرضاة الملك المتعال من غير ان يأتيهم بذلك وحي الهي
ومن غير ان يقرؤا كتاب سماوي وان يجالسوا اهل التوحيد والمعرفة لكونهم
في زمان فترة من الرسل قبل ان يبعث الله تعالى عيسى عليه السلام فيكون قوله تعالى
من يهد الله فهو المهتدي كالتذييل للكلام السابق وجيء به عاما في كل من
سلك طريق المهتدين ومن آثر الغواية وقلد اسلافه الضالين ليدخل اصحاب
الكهف في الاولين دخولا اوليا ويدخل دقيانوس الضال في الاخرين كذلك
والتذييل ان يقطع الكلام بما يشتمل على معناه تاكيدا ولا محل له من الاعراب
قوله او التنبيه الخ عطف ان يكون قوله من يهد الله فهو المهتدي مرتبطا بقوله ذلك
من آيات الله وفي التيسير قيل ذلك من آيات الله اي ما اخبرنا من قصتهم آية
صدقك في دعوى النبوة فمن هداه الله تعالى صدقك ومن اضله الله كذبك قوله تعالى
وتحسبهم قراة نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائي بكسر السين ومعناه كما ذكر
في قوله وترى الشمس اي ولو رأيتهم لحسبتهم ايقاظا وهو جمع يقظ ويقظ بضم القاف
وكسرها وهو اليقظان ورقود جمع راقد كقاعد وقعود قوله او كلب راعي مر وابه
اي مر وابراعي غنم فقال لهم اين تذهبون فقالوا الى مدينتنا من هذا الجبار فقال

الراعي ما انا اغنى عن رياء منكم فتركه غنمه والحق بهم فتبعه كلبه قوله وقيل الوصيد الباب
وقيل العتبة الكهف لا يكون له باب ولا عتبة والمراد موضع الباب والعتبة قوله
وقرئ لو اطلعت بضم الواو فراعا للمجهور بكسر الواو وعلما هو الاصل في التقاء
الساكنين وقرئ بضم الواو وتشديد اللام بواو الضمير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
غزا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمروا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف
فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك
ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لولّيت منهم فرارا
ولملئت منهم رعبا فقال معاوية لا انتهى حتى اعلم علمهم فبعث رجالا فقال لهم
اذهبوا فادخلوا الكهف فبعث الله عليهم ريحا فاحرقتهم كذا في الوسيط
قوله ليسأل بعضهم بعضا فيتعرّفوا حالهم فانه يجوز ان يكون السؤال على طريق
التنازع والاختلاف في من لبثهم حكمة مستدعية لبعثهم لانه ينكشف لهم بذلك
امور غريبة تدل على كمال قدرة الله تعالى فيزدادون هدى واستبصارا وفي شرح
التأويلات اخبر الله تعالى انه اغابعثهم للسؤال لانه لما علم منهم ما يكون عند
بعثهم من السؤال يكون بعثهم لذلك وكذلك جميع ما يخلق ويشاء انما يخلق
لما يعلم انه يكون منهم فيظهر ما علم على ما علم وهو كقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا
من الجن والانس ذرأهم لما علم انه يكون منهم وهو ان يجعلوا على اهل جهنم
فيصيروا اليها وعلى هذا قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون معناه
ان من علم انه يعبد ويعمل عمل اهل الجنة خلقه لذلك والحاصل ان كل ما يخلقه الله تعالى
انما يخلقه لما يعلم انه يكون منه اذ لا يجوز ان يخلق لغير ما يعلم انه يكون منه اذ يخرج
الفعل لذلك يخرج الجهل او الجهل بالعواقب فاذا كان الله تعالى عالما بما كان ويكون
ويتعالى عن ان يكون فعله عبثا لم يجز ان يخلق شيئا لغير ما علم انه يكون وهكذا
في الشاهد فان من عمل عملا لغير ما علم انه يكون فهو عابث او جاهل بعاقبة عمله وكم
في قوله تعالى كم لبثتم استفهامية منصوبة بالفعل الذي بعدها على الظرفية كما في قولك
كم يوما صمت لان الفعل الذي بعدها غير مشتغل عنها بضميره وفي مثله يكون كم معربة على
حسب اقتضاء العامل والتمييز محذوف تقديره كم يوما لبثتم حذف لدلالة الجواب عليه

واو في قوله

واو في قوله او بعض يوم للشك منهم لما ذكره من ان جوابهم هذا مبني على غالب الظن
قيل انهم دخلوا الكهف اول النهار فنظروا حين استيقظوا فاذا هو آخر النهار
فقالوا لبثنا يوما ثم رأوا من الشمس بقية فقالوا او بعض يوم وهم في هذا الجواب
وان كانوا مخطئين الا انهم لما بنوا هذا الجواب على غالب الظن وكان الامر عندهم
كذلك لم يوصفوا فيه بالكذب ولم يؤاخذوا به قوله ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى
يدل على ان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
وان ما بعده يدل منه وعلى الاحتمال الثاني يكون اصحاب الكهف ثلث فرق قال واحد
منهم كم لبثتم واجاب جماعة منهم بان قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وانكر عليهم الآخرون
بان قالوا ربكم اعلم بما لبثتم روي ان ابن عباس استدل بهذه الاية على ان
الصحيح من الاقوال في عددهم انهم سبعة لانه تعالى قال في اول الاية حال قائل منهم
وهذا واحد وقال في جواب قول هذا القائل قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقالوا
بفعل الجمع واقله ثلثة ثم قال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وهذا قول جمع آخرين سواهم
خاطب هذا الجمع الجمع الاول بان قالوا ربكم اعلم فكان المجيبون ستة والمجموع سبعة
قوله ثم ما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم بيان لوجه
ارتباط قولهم فابعثوا احدكم الآية بقولهم الله اعلم الذي هو تذاكر حديث مدة اللبث مع
انه لا مناسبة بينهما بحسب الظاهر وتقريره ان الاية من باب الاسلوب الحكيم
كقوله أأنت تشتكي عذرية مزاولة القرين وقد رأت الضيفان ينحون منزلي
فقلت كما سمعت كلامها لهم الضيف جر في قراهم ومجلي وكقول القبعثري للحجاج
وقد قال للحجاج له متوعدا لاحملنك على الادهم يعني القيد مثل الامير حمل على الادهم
والاشهب اي على الفرس الادهم وهو الذي غلب سواده والاشهب الذي
غلب بياضه فان المتكلم قد يتلقى المخاطب بغير ما ينبغي تنبيها على ان الاولى للمخاطب
ان يعير كلامه على الوجه الذي ساق كلامه لاجله الوجه آخر قوله وقرأ ابو عمرو الى
قوله بالتخفيف اي باسكان الراء وفتح الواو والباقون بكسر الراء وقرأ ابن كثير
بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وقرئ بالتخفيف اي باسكان الراء
وكسر الواو وبادغام القاف في الكاف وبعدم ادغامها قوله وحملهم له اي حمل اصحاب الكهف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

للورق يدل على ان امساكهم الزاد امر مشروع لا ينافي التوكل قوله من العود
بمعنى الصيرورة كما يقال الآخرة معاد فانه من العود بمعنى التحول لا من العود بمعنى
الرجوع الى الامر الاول قوله ان دخلتم في ملتهم قد يكون اذن جوابا وجزاء
فان قيل ليس انهم لو اكرهوا على الكفر حتى اظهروه لم يكن عليهم معرة فكيف قالوا
ولن تفلحوا اذن ابدا اجيب بانه يحتمل ان يكون المراد انهم خافوا من انهم لو ردوا
الى الكفر وبقوا مظهرين لذلك الكفر من لرتجا يميل قلوبهم الى ذلك الكفر ويصيرون
كافرين في الحقيقة فلهذا الاحتمال خافوا وقالوا ذلك قوله اطلعنا عليهم اي على
احوالهم غيرهم بمثال عثرت على كذا اي علمته واختلفوا في السبب الذي عرف الناس
لاجله واقعة اصحاب الكهف على وجهين الاول انه طالت شعورهم واظفارهم
طولا مخالفا للعادة وظهرت في بشرة وجوههم آثار عجيبة تدل على ان مدتهم
قد طالت طولا خارجا عن العادة والثاني ان ذلك الرجل الذي يبعثونه الى المدينة
لما ذهب الى السوق ليشتري الطعام اخرج الدراهم التي عليها اسم دقيانوس
فقال صاحب الطعام هذه النقود غير موجودة في هذا اليوم فانها كانت موجودة
قبل هذا الوقت بمدة مديدة ودهر داهر فلعلك وجدت كنزا فاجتمع الناس
عليه وحملوه الى ملك البلد فقال الملك من اين وجدت هذه الدراهم فقال
بقيت هؤلاء من شبابهم من التمر وخرجنا فرارا من الملك دقيانوس فعرف ذلك
الملك انه ما وجد كنزا بل الله تعالى بعثه بعد موته قوله ليعلموا ان وعد الله بالبعث
حق ان الوعد مصدر على حاله اي ليعلموا ان ما اخبرهم الرسل من بعث الاموات ليس
اختراعا من عند انفسهم بل كونه وعد الله تعالى وخبرا منه حق فان القوم لما علموا
انه تعالى انامهم مدة طويلة وابقاهم من غير طعام ولا شراب في تلك المدة على خلاف
سنة الانس لانهم لا يبقون من غير طعام ولا شراب في مدة السبوع فضلا عن مثل تلك
المدة علموا ان من قدر على حفظهم من كل ضرر واذى وابقائهم فيها لقادر على البعث
والاحياء بعد الموت ولا يعجز عن شيء يريد كونه قوله حين اماتهم الله ثانيا فان
الملك وقومه لما رأوا اصحاب الكهف ووقفوا على احوالهم عاد القوم الى كهفهم فاماتهم
الله تعالى هذا اختلف الناس فقال قوم انهم ينامون كالكرة الاولى وقال آخرون بل الآن ماتوا

قوله او قال

قوله او قال طائفة تبنى عليهم بنيانا عطف على قوله فقال بعضهم والحاصل ان ضمير امرهم
ان كان لاهل المدينة كضمير يتنازعون يحتاج الى تقدير المضاف اي امر دينهم ويكون
الفاء في قوله فقالوا فصيحة كانه قيل اعثرنا عليهم اذ يتنازعون امرهم فازتفع
الخلاف وتعين ان الاجداث تبعث فامنوا ثم اهتموا شان اصحاب الكهف وشاوروا
في تشهير حالهم وابقاء آثارهم فقالوا ابنوا عليهم اي على باب كهفهم وان كان
ضمير امرهم اي شانهم لاصحاب الكهف يحتمل ان يكون المراد من شانهم المتنازع
فيه انهم ناموا نومهم اول مرة او ماتوا فلا يحتاج الى تقدير المضاف وتكون الفاء
فصيحة كانه قيل ثم نزعوا من التنازع في شانهم واهتموا باجلال قدرهم وشهر حالهم
ويحتمل ان يكون المراد منه امر شهرهم فح يكون الفاء للتعقيب او للسببية عن
قوله اذ يتنازعون لان قوله فقالوا نتيجة لما دبروا في شانهم واتفق على ذلك
بعد الاختلاف فيه وقوله بنيانا يجوز ان يكون مفعولا به جمع بنيانة وان يكون مصدرا
قوله وقيل لما انتهوا الى الكهف اي وروي ان الملك واهل المدينة لم يدخلوا عليهم
وعمى عليهم مكانهم حين دخله الفتى وهو يمليخا وانما علم اهل المدينة حقيقة البعث
وقيل استدلالا باخبار يمليخا عنهم وثبت عندهم صدقه بما شاهدوا من حاله
وما به قوله قيل هو قول اليهود وهذا القول يستدعي ان يكون اطلاع اهل المدينة
لحال اصحاب الكهف قبل بعثة موسى عليه السلام لان علم اليهود باحوالهم يستلزم
ان يكون احوالهم مذكورة في التورية وذكر في شرح المآويلات انه اختلف في
وقتهم قال بعضهم كان فيما بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه وقال
بعضهم كان ذلك قبل بعث موسى عليه السلام وهو قول الحسن وابن بكر وغيرهما
وهذا اشبه لانهم انما سالوا عنه اهل التورية وهم اليهود فلا يحتمل ان يكون
بعد عيسى وهم لا يؤمنون بعيسى وبالانجيل قوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم
اي على امر اصحاب الكهف قيل المراد به الملك المسلم وقيل اولياء اصحاب الكهف وقيل
رؤساء البلد لان لهم الغلبة في هذا النزاع لا بد ان يكون احد هؤلاء ذكر في القصة
ان الملك جعل على باب الكهف مسجدا وجعل عنده عيدا عظيما وامر ان يؤتى كل سنة
وعن الزجاج انه قال هذا يدل على انه لما ظهر امرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور

مطلب
اختلاف في وقت نبي
اصحاب الكهف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لان الساجد للمؤمنين به ثم انه تعالى اخبر انه سيقع نزاع في عددهم وقد وقع ذلك
لما وفد نصارى نجران الى النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقالت
اليعقوبية منهم كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية منهم كانوا خمسة سادسهم
كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم ولفظ سيقولون في المواضع الثلثة
جميعا للاستقبال اما الاول فلتكرره مصدرا بين الاستقبال واما الاخيران
فلكونهما معطوفين على سيقولون الاول فيكونان داخلين في حكم السين لان الواو
لما كان لمطلق الجمع كان سيقولون ويقولون في حكم ان يقال سيحصل منهم الاقوال
الثلثة فلو قيل سيقولون بعد سيقولون لكان تكرارا مما يدل على الاستقبال
وان جعل الاخيران معطوفين على قوله سيقولون يحملان ايضا على الاستقبال
لاشتراك لفظ المضارع بين الحال والاستقبال واختصاصه في هذا الموضع
للاستقبال بقرينة المقام كاختصاص الاول به بواسطة السين قوله يرمون رميا
بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به اشارة الى ان رجما منصوب بمقدر
من لفظه اي يرجمون رجما وان الرجم معناه الرمي واتيان الكلام والتكلم به
من غير تدبر وعلم بحقيقة كلامه قوله وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة
فان الجملة اذا وقعت صفة للنكرة تجاز ان يدخلها الواو لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف
فان للصفة نوع انفصال بالموصوف فاذا اريد تاكيد ذلك الاتصال واللصوق
وسط بينهما بهن الواو ليوذن ان بهن الصفة غير منفكة عن الموصوف لازمة
غير مفارقة عنه كما تتوسط بين الجملة الواقعة وبين ذي الحال تاكيدا لما بينهما من
اللصوق والاتصال تشبيها لهن الجملة بالجملة الواقعة حالا ووجه المشابهة
بين الجملة الواقعة صفة للنكرة والواقعة حالا عن معرفة ان الحال في الحقيقة صفة
لا فرق بينهما الا في الاعتبار الا يرى ان ما وقع صفة للنكرة اذا تقدم عليها
وهي بعينها تصير حالا ولم تكونا متحدتين معنى لما كان كذلك ثم قولك جاءني رجل
ومعه آخر وقولك مررت بزيد ومعه اخر لما كان سواء في الصورة الا في اعتبار
المعرفة والنكرة وفي المعنى ايضا لما ذكرنا فلما توسطت الواو بين الجملة والمعرفة
التي قبلها لمجرد الربط وتاكيد الاتصال توسطت بين الجملة والنكرة ايضا لذلك

وما قيل

٤٢٨

وما قيل من ان دخول الواو بين الصفة والموصوف غير مستقيم لاتحاد الصفة
والموصوف ذاتا وحكما وتاكيد الشيء يقتضي شيئين مبنيا على ان تكون
الواو في مثل هذا الموضع عاطفة مقتضية للمغايرة وليست كذلك بل هي
تجردت لمحض الجمعية والوصف فان واو العطف تقتضي المغايرة وتتضمن
معنى الجمعية فاذا اريد منها معنى الجمعية دون المغايرة كان من باب اطلاق اسم
الكل على الجزء كهن في الاستفهام في قوله تعالى سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون فان الهمزة فيه مسلوب الدلالة على معنى الاستفهام متمحضة
لمجرد الاستواء وكما تمحض الهمزة في قولك انا نفعل كذا انتهاء العصابة لمجرد
الاختصاص مسلوبا عنه معنى طلب الاقبال وقيل انها واو الثمانية فان السبعة
عند العرب لما كانت متميزة عن سايرا سماء العدد من حيث دلالتها على الكثرة
والمبالغة في العدد قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة على معنى ان تكثر الاستغفار
لهم غاية الاكثار فاذا ذكروا السبعة جاؤا بالواو لتدل على ان السبعة تمت وان
مدخلها ثامن فلما كانت السبعة اصلا في المبالغة في العدد عندهم كانوا اذا
وصلوا الى الثمانية ذكروا لفظا يدل على الاستيناف فقالوا وثامنهم وكان
قريش اذا عدوا يقولون واحد اثنان ثلثة اربعة خمسة ستة سبعة وثامنهم
تسعة فيدخلون الواو على عقد الثمانية خاصة وكان العقد عندهم سبعة
كما انه اليوم عقد عشرة فاذا جاوزوا السبعة جاؤا بالواو والدالة على
الاستيناف ونظيره قوله تعالى التائبون العابدون الى قوله والناهون
عن المنكر وقال في حق ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عسى ربه ان طلقكن ان
يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات الى قوله وابكارا فان قوله والناهون
عن المنكر هو الثامن من قوله التائبون وكذا قوله وابكارا ثامن ما تقدم
ومنه قوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها بالواو لان ابواب الجنة ثمانية وابواب
النار سبعة ولم يذكر المص هذا الوجه لان هذه الواو لم تثبت في اللغة وقد
انكرها حذاق النحاة قوله واسماؤهم عليها ومكتسبينا ومشتلينا هو لاء
اصحاب يمين الملك ومترتوش ودير تؤش وشاؤتوش اصحاب يساره وكان

وكان الملك يستشير هؤلاء الستة وكانوا ينظرون في مهمات امره في السابع
الراعي الذي وافقهم حين مر بوادي ملكهم دقيانوس قيل اسمه كفشيطيطيونس
وروي عن ابن عباس ان اسماءهم مكسلمينا ويليخا ومرطونس
ويتيسونس وساريونس وذونواس وكفشيطيطيونس
قال عبد الله بن عمر اذا وقع الحرف في موضع فكتبت هذه الاسماء على
قطعة رق وطرحت في الحريق طفئ باذن الله تع قوله فلا تجادل في شان
الفتية فان المراء في اللغة الجدال يقال ماريته يماريه مراراة ومراء اي جادله
والمراد بكون الجدال ظاهرا ان لا يتعمق فيه بان يكون بان يكذب من خالفه
في تعيين العدد ويجهله ويرد عليه بل يقتصر على ما اوحي اليه في القرآن وهو
انه لا يعلم عددهم الا القليل ويقول لهم هذا التعيين لا دليل عليه فوجب
التوقف وترك القطع ونظيره قوله تع ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي
هي احسن ونقل عن القراء انه اتاه عالم فرنجان من نصارى نجران يعتقد في
ونظري فسالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن عدد اصحاب الكهف
فنهاه عنه بقوله تع ولا تستفت فيهم منهم احدا قوله ولم يستثن اي لم يقل
ان شاء الله سمي قولك ان شاء الله كلمة الاستثناء لانه عبر عنها بقوله الا
ان يشاء الله فنزل احتباس الوحي بعد خمسة عشر يوما وفي رواية اربعين
يوما ثم نزلت بعد الاية قوله الا بان يشاء الله الى قوله او الا وقت ان يشاء
الله ان تقوله جعل قوله الا ان يشاء الله متعلقا بالنهي وذكر لتعلقه به وجهين
الاول ان يجعل الا ان يشاء الله مستثنى مفرغا من اعم الاحوال بان يقدر
بعد الا بان يشاء الله ملابسا بحال لا تقولن ذلك الا ملتبسا بذكر مشيته
الله تع ذكر الفعل بحذف المضاف بعد الباء المقدرة بعد الا وبحذف مفعول
المشية وهو الضمير الراجع الى الفعل المدلول عليه بقوله اني فاعل ذلك اي
لا تقولن اني فاعله غدا في حال ما الا في حال كونك ملتبسا بذكر مشيته الله
تع ذلك الفعل اي الا ان تقول اني فاعله ان شاء الله او ما في معناه كقولك
اني فاعله بمشية الله تعالى والثاني ان يجعل مستثنى مفرغا من اعم الاوقات

اي لا تقولن

اي لا تقولن ذلك من تلقاء نفسك في وقت ما الا وقت ان يشاء الله ان تقوله
من تلقاء نفسك والى يشاء الله ان تقوله من تلقاء نفسك فلا تقولنه من تلقاء
نفسك ابدا فيحمل الاستثناء على تاكيد النهي والمبالغة فيه فهو وجه تعلقه به
قوله ولا يجوز تعلقه بما قبل لان قوله تع الا ان يشاء الله ان كان متصلا بقوله
اني فاعل لا يخلو اما ان يكون المستثنى اقتران المشية بالفعل او اعتراضها
قبله ولا وجه لشيء منهما اما الاول فلان المشية المقترنة بالفعل سواء كانت
مشية الفعل او مشية الترك لا يصح استثناؤه كما من قوله اني فاعل ذلك بكل
حال لان اقتران مشية الفعل بالفعل يوجب الفعل ولا ينافيه حتى يصح استثناؤه
من قوله اني فاعل ذلك بكل حال ومشية الله تع ترك الفعل لا يمكن اقترانها
بفعل العبد حتى يصح استثناؤه منه واما الثاني فلانه لو كان المراد اني فاعل
ذلك غدا بكل حال الا في حال ان يعترض مشية الله تع بترك الفعل قبل ان
اباشر الفعل لصار هذا القول منهيا عنه ولا وجه لان ينهى العبد عن ان
يقول اني فاعل ذلك فيما يستقبل الا ان يشاء الله تع مني ترك الفعل لان
تمكن العبد من الفعل متوقف على انتفاء مشية الترك فكيف ينهى عن تقييد
الفعل بانتفائها وتعليقه عليه فلا امتناع تعلقه بقوله اني فاعل تعين تعلقه
بالنهي على احد الوجهين نهى الله تع نبيه ان يعد الانسان عدة ولا يستثني
فيها لان العدة اضافة الفعل الى نفسه وهو لا يستبد في افعاله فلذلك
امر بان يلحق التنبيه بها لئلا يلحقه مرة الخلف في الوعد اذا لم يفعل ما وعد
فقول الواعد ان شاء الله يدفع عنه حنث خلف الوعد على تقدير عدم وفائه
بعهده لان ارادة الله تع غالبة على ارادة العبد وما لم تتعلق به ارادة الله
تع لا يقدر العبد على ايقاعه فلا يحنث بتركه الا انهم اختلفوا في ان الاستثناء
هل يجب ان يكون متصلا بما قبله في اللفظ لدفع الحنث او لا يجب فذهب ابن عباس
ومن تبعه الى انه لا يجب ان يكون متصلا به حتى اذا نسي ان يقول ان شاء الله
ثم تذكر بعد سنة وقاله كفى في دفع الحنث واحتج عليه بقوله تعالى واذكر ربك
اذا نسيت وذلك لان الظاهر انه كلام منفصل بما قبله والتقدير انه اذا نسي

شبكة الألوكة www.alukah.net

ان يقول ان شاء الله فليذكره اذا تذكر وقوله واذكر غير مختص بوقت معين بل
يتناول كل الاوقات فوجب ان يكون دافعا للحنث في ايه وقت ذكره واعلم
ان استدلال ابن عباس ظاهر في ان الاستثناء لا يجب ان يكون متصلا واما الفقهاء
فقالوا انا لو جوزنا ذلك لزم ان لا يستقر شيء من العهود والايمان حكى انه بلغ
المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المتصل فاستحضره
لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك فانك تأخذ البيعة بالايمان كي
يقول المبايع اذا بعكل على السمع والطاعة ثم يؤكدها بالايمان بان يقول والله لا اخرج
من هذه البيعة فلو جاز اتصال الاستثناء لجاز ان يخرج من عندك ويستثني بان
يقول الا ان يشاء الله اذا او يوم كذا او لا مر كذا او ان يفعل كذا فاستحسن المنصور
كلامه ورضي عنه قال الامام حاصل كلامهم يرجع الى تخصيص النص بالقياس وفيه
ما فيه وايضا فلو قال ان شاء الله في نفسه خفية بلسانه بحيث لم يسمعه احد فهو
معتبر ودافع للحنث بالاجماع مع ان المحذور الذي ذكروه حاصل فثبت ان الذي
عولوا عليه ليس بقوي والاولى ان يحتج على وجوب كون الاستثناء متصلا بدليل
اخر قوله وذكر جوز ابي لما ذكر من الاية ولما روي عن عكرمة قال ايشاء الله لما نزل
قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت ولما روي عن ابن عباس استدل المصنف
بها على جواز تاخير الاستثناء عن القول السابق ثم ذكر دليل عامة الفقهاء
على عدم جوازه على سبيل المعارضة لدليل المجوز ثم اجاب عن دليل
المجوز بقوله وليس في الاية والخبر وتقريره ان معنى الاية على تقدير كونها
متصلة بما قبلها وكون معناها واذكر مشيئة ربك واستثن اذا نسيته
قل ان شاء الله اذا سبق منك وغرة وفرط القول السابق ان لو كان الاستثناء
المتدارك به من القول السابق ولا نعلم ذلك لم لا يجوز ان يكون استثناء من مقدر
يدل عليه القول السابق مثلا اذا قال اكرمك فيما يستقبل وانسي الاستثناء
ثم تذكره بعد زمان فقال ان شاء الله جاز ان لا يتعلق هذا الاستثناء بالوعد السابق
بل بمقدر يدل عليه ذكر الوعد وكذا الحال فيما روي من الخبر فان قولها عم ان شاء الله
ليس متعلقا بقوله سابقا غدا اخبركم بل بمقدر يدل هو عليه ولم يندفع به حنث

خلف الوعد

خلف الوعد الذي هو من قبيل ترك الاولى والافضل قوله ويجوز ان يكون المعنى عطف
على قوله مشيئة ربك جواب اخر من قبل عامة الفقهاء يمنع ان يكون معنى الاية واذكر
مشيئة ربك واستثن اذا ذكرته وباحتمال عدم اتصالها بما قبلها وضبط ما ذكره
من الوجوه ان قوله واذكر ربك اذا نسيت اما ان يكون متعلقا بما قبله اولا يكون
بل يكون كلاما مستانفا فان تعلق بما قبله فله احتمالان الاول ان يكون المعنى
اذا نسيت ان تقول ان شاء الله حين وعدت فقله اذا تذكرت والثاني ان يكون
المعنى اذا نسيت ذلك استغفر الله وتب اليه ويكون المقصود من الامر بالاستغفار
المبالغة في الحث على الاستثناء على سبيل التغليظ والتشديد على تاركه بانهم
ان تركه من الذنوب التي يجب فيها التوبة والاستغفار وان لم يتعلق بما قبله
بل كان كلاما مستانفا ففيه قولان فعلى الاول يقدر مفعول نسيت لا على التعيين
بل يجري مجرى اللازم وفسر قوله اذا نسيت في القول الاول بقوله اذا تركت
بعض ما امرك به لان النسيان قد يستعمل في الترك مجازا بطريق اطلاق اسم
المسبب وارادة السبب لان الترك سبب للنسيان فالنسيان المذموم هو
ما كان مستندا الى السبب الاختياري والمعذور منه نحو ما روي في الحديث
رفع عن امتي الخطأ والنسيان هو ما لم يستند الى السبب كذلك وهناك قول
ثالث وهو ان يحمل قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت على اداء الصلوة المنسية
عند ذكرها والظاهر هو الاحتمال الاول وهو ان يكون قوله واذكر ربك اذا نسيت
متعلقا بما قبله لانه على تقدير ان يكون كلاما مستانفا يلزم جواز عدم ارتباط
بعض الايات ببعض وهو بعيد قوله واظهر دلالة عطف تفسير لقوله اقرب
رشدا فسر اقرب بالظهر ووجه ظاهر وفسر رشدا بقوله دلالة والرشد
مصدر رشد يرشد من باب علم ومعناه عند الغواية لا الدلالة التي هي ارشاد
الغير فتفسيره بالدلالة يستلزم ان يكون الرشد بمعنى سبب الرشد وان يكون
تسمية المعجزة بالرشد للمبالغة في كونها سببا له او مجازا وبل انها ورشد
وجعل لفظ هذا في قوله لاقرب من هذا رشدا اشارة الى ان اصحاب الكهف
فكان المعنى ايها المشركون انكم قد استعظمتم الاخبار عن حالهم وبيان نبأهم

مقدرا وهذا دار الصلوة صح فيكون مفعول نسيت

وقصتهم وقد بينتها لكم على ما اوحى الي وانى لا اطمع من ربي ان يعطيني من الآيات الدالة على نبوتي ما هو اعظم في الدلالة عليها ويؤيد هذا التاويل قوله تع ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا افتتح القصة بتقليل شانها ثم قوله اولا قرب رشدا واوفى خيرا من المنسي فعلى هذا يكون قوله تع وقل عسى مرتبطا بقوله واذكر ربك لا بمجموع القصة بان يكون معطوفا على ما هو العامل في قوله اذ اوى الفتية الى الكهف على معنى اذكر اذ اوى الفتية الخ وقل عسى ان يهديني ربي ويكون المعنى على الوجه الثاني واذكر ربك اذا نسيت شيئا واطمع منه ان يهديك لشئ آخر بدل المنسي وقل عسى ربي ان يهدين لشئ اخر هو اقرب رشدا ومنفعة من المنسي فيكون لفظ هذا اشارة الى المنسي قوله وهو بيان لما اجمله اي بتوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا فانه تع اجمل قصتهم بقوله اذ اوى الفتية الى قوله نحن نقص عليك نباءهم ثم شرع في تفصيلها بقوله نحن نقص وساق الكلام في تفصيلها الى ان عين في آخر مدة لبثهم في كهفهم احياء ناعين قوله وقيل انه حكاية عطف على قوله وهو بيان قوله على وضع الجمع موضع الواحد فانه لاوجه لتراءة الاضافة سوى ان يكون سنين تمييزا وحق مائة ان يضاف الى مميزه مفردا ويقال ثلثمائة سنة كما يقال ثلثمائة رجل وثلثمائة سنة قال ابن الحاجب ومميز مائة والف وتثنيتها وجمعه مخفوض مفرد فقد ظهر ان الاصل في الاستعمال افراد مميز مائة لكن وضع الجمع مكانه مبالغة في الدلالة على الكثرة كما وضع الجمع موضع الواحد في قوله تع بالاخسرين اعمالا فان الاصل فيه بالاخسر عملا لاستقلاله بحصول الفائدة مع كون المفرد اخف لكن اوثر الجمع مبالغة وتنصيصا على الانواع وان كل نوع كاف حسن مستقل بكونه خسرانهم هذا هو الوجه العام لوضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا امران الاول ان ما في لفظ سنين من علامة الجمع ليست متمحضة لكونها علامة الجمع بل هي جبر لما حذف من لفظ سنة فكانت كانها من تمام بناء الواحد قيل اصل سنة سنهة مثل جبهة لانها من سنهت النخلة وتسنهت اذا اتت عليها السنون وقيل المحذوف منه الواو ويشهد لها قولهم اسنتوا العرب على كل واحد من القولين فانهم يقولون تسنيت عندي وتسنهت

عندي

عندي واستناءجرة مسناة ومسانهة وتقول في التصغير سنيهة وسنيهة والثاني ان الاصل ابو القياس المرفوض في العدد اضافته الى الجمع كعون المعدود جاءت الا انه قد يعدل عنه الى المفرد لغرض فلما اضيف الى الجمع استعمل على الاصل المرفوض قوله ومن لم يضف ابدل السنين من ثلث وجعله صاحب الكشاف عطف بيان له وهو الظاهر لان جعله بدلا يستلزم ان لا يكون تعيين مدة لبثهم مقصودا وليس كذلك بل المقصود ذلك الا انه لما قيل ثلثمائة لم يعرف انها ايام او شهور او سنون فبين انها سنون وقوله تع تسعا منصوب به لقوله ازدادوا على وزن افتعلوا ابدلت تاء افتعل دالا لوقوعها بعد الزاي وقلبت الياء الفا فصار ازداد واو كان زاد متعديا الى اثنين نحو زادهم الله مرضا وزدناهم هدى فلما نقل الى باب الافتعال عدي الى واحد والاصل ازدادوا تسع سنين فحذف المميز لدلالة ما تقدم عليه اذ لا يقال عندي ثلثمائة درهم وتسعة الا وانت تريد تسعة دراهم ولو اردت تسعة ثيابا ونحوها لم يجز لانه الغاز فلما نزل قوله تع ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا قالت نصارى نجران اما الثلثمائة فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها فنزلت قوله تع قل الله اعلم بما لبثوا اي انه تع اعلم بمقدار مدة لبثهم من اهل الكتاب المختلفين فيها لانه المنفرد بعلم ما غاب في السموات والارض عن العباد وادراكهم فيكون عالما بمدة لبثهم لا محالة قوله ومحل الرفع على الفاعلية فان المعنى ما ابصر الله بكل موجود واسمعه لكل مسموع زيدت الباء في الفاعل اصلاحا للفظ قال نجم الدين الاستراباذي في شرح الكافية واما احسن بزيد فعند سيبويه لفظ افعل صورته امر ومعناه الماضي من افعل اي صار ذا فعل كالحم اي صار ذا لحم والباء بعد زائدة في الفاعل وضعف قوله بان الامر بمعنى الماضي مما لم يثبت بل جاء الماضي بمعنى الامر نحو اتقى امرؤ ربه وبان افعل بمعنى صار ذا كذا قليل وبان زيادة الباء في الفاعل قليل والمطرد زيادتها في المفعول قوله والنصب اي ومحل النصب على المفعولية فان قولك احسن بزيد امر للمخاطب بان يجعل زيدا حسنا اي بان يصفه بالحسن فكانه قيل صفه بالحسن كيف شئت فان فيه كل ما عكن ان يكون في الشخص وهذا معنى مناسب للتعجب بخلاف تقدير سيبويه وايضا همزة الجعل اكثر من همزة صار ذا كذا فان لم يكن شئ

منها مناسبا مطردا هذا اصل هذا التركيب ثم انحى منه معنى الامر والخطاب وصار لمحض
انشاء التعجب فهمزته افعل على هذا للجعل والتعدية والباء مزيدة في المفعول
ولو كانت الهمزة للصيرورة لكانت الباء للتعدية مثله وقرا ابن عامر بتاء
الخطاب والجزم عطفا على قوله ولا تقولن لشئ وقوله واذكر ربك اذا نسيت
وقوله وقل عسى ان لا تشركه انت ايها الانسان وقرا الباقون بالياء التحتانية
ورفع الفعل على انه نفي محض مسند الى ضمير الباري تعالى اي لا يشركه الله في حكمه وقضائه
احدا من خلقه فلا يجوز ان يحكم حاكم بغير ما انزل الله وحكم به وليس لاحد ان يحكم
من ذات نفسه فيكون شريكا لله تعالى في حكمه قوله امره ان مداومة درسه وان يلازم
اصحابه فان كفار قريش لما سالوه عن قصة اصحاب الكهف وقالوا له ان اخبرتنا
بما سالناك صدقناك واتبعناك واخبرهم بها قالوا له نعم ان اردت ان نجالسك
فاطرد عنك هؤلاء الفقراء والسفلة الذين اجتمعوا عندك لتتبعك فانزل الله
واتل ما اوحي اليك حتى بلغ انا اعتدنا للظالمين نارا يحدق بهم النار فقام عنهم
يلتمسهم حتى اصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى فقال الحمد لله الذي لم يمتني
حتى امرني ان اصبر نفسي مع رجال من امتي معكم المحيا ومعكم الممات قال الامام
من هذه الاية لاقته موسى والخضر كلام واحد نزل في قصة واحدة وهي ان
اكابر كفار قريش اجتمعوا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردت ان
نؤمن بك فاطرد من عندك هؤلاء الذين امنوا بك فنهاه الله تعالى عن ذلك ومنعه منه
وبين في جملة هذه الآيات ان الذي اقترحوه والتمسوه مطلوب فاسد ثم قال قوله تعالى
واتل بيانا ولما تلا القرآن وبينا ولا اتباع ايضا فيكون المعنى الزم قراءة الكتاب
الذي اوحاه اليك ربك والزم العمل به قوله لا احد يقدر على تبديلها غيره يعني ان
قوله لا مبدل لكلماته لا يناقض نظر الفسخ اليه مع ان الفسخ ليس بتبديل في
الحقيقة من حيث انه بيان لانتهاء الحكم الاول فان المنسوخ ثابت في وقته الا وقت
ظهور بيان الناسخ فان نسخ كان لغاية له فكيف يكون تبديلا قوله وفيه ان غدوة علم
في الاكثر والاعلام لا تدخلها الالف واللام للجوهري الغدا اصله غدو فحذفوا الواو
بلا عوض قال لبيد وما الناس الا كالديار واهلها * يوم حلوها وغدوا بلاقع

فجاء به على اصله والغدوة ما بين صلوة الغداة وطلوع الشمس يقال اتيته غدوة
غير هرو فيه لانها معرفة مثل سحر قوله وتعديته بعن جوابه على ما يقال من ان قوله تعالى
ولا تعد عيناك خاسب من عداه اذا جاوزه وهو يتعدى بنفسه كما اشار اليه بقوله ولا
تجاوزهم نظرك الى غيرهم فالظاهر ان يقال ولا تعدهم عيناك فلم جئ بكلمة عن
واجاب عنه بان عدى لما ضمن معنى ما عدتي تعديته يقال نبى الشئ عني ينبو
اي تجافى وتباعد ونبى بصري عن الشئ اذا قصر ولم يعلق به ويقال اقتحمته
عيني اي ازدرته واعتبر التضمين ليحصل مجموع المعنيين معنى المجاوزة ومعنى
الاقتحام والازدراء فانه لو قيل ولا تعدهم عيناك لفهم معنى المجاوزة ولا يفهم
معنى الاقتحام ولو قيل ولا تنبُ عيناك عنهم لفهم معنى الاقتحام ولا يفهم معنى
المجاوزة فجمع بين مادة العدو وكلمة عن ليحصل مجموع المعنيين وذلك ابلغ من
افادة المعنى الواحد قوله والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال اليه تعالى يعني ان
اصحابنا احتجوا بهذه الاية على انه تعالى هو الذي يخلق الجهل والغفلة في قلوب الجهال لان
قوله اغفلنا يدل على هذا المعنى فالمعنى من خلقنا غافلة الكفر في قلبه باختيارهم الكفر
وقالت المعتزلة ليس المراد بقوله تعالى اغفلنا خلق الغفلة وايجادها في القلب
بل هو من قبيل قول مقرب كرب لبني سليم قاتلكم فاجبناكم وسالناكم فما
ابخلناكم ومجوناكم فما افحمناكم اي ما وجدناكم جبناء ولا بخلاء ولا مفحمين فان
كلمة الهمزة فيه للوجدان لا للايجاد وكذا في الاية ويحتمل ان يكون الهمزة في هذه
الافعال لنسبة الفاعل الى اصل الفعل فكذا في الاية واحتجوا على ان بناء الافعال
في الاية ليس للايجاد والتكوين بقوله تعالى بعده واتبع هواه فانه لو كان المعنى اوجدنا
الغفلة في قلبه حقيقة لكان المناسب ان يقال فاتبع هواه ليدل على ان الاغفال
سبب في الاتباع فلما اسند الاتباع اليهم وعطف بالواو ولم يترتب عليه بالفاء
دل ذلك على استقلالهم في الغفلة والاتباع وانهم بانفسهم تتبعون اهواءهم
وشهواتهم لا بمشية الله تعالى واراداته وقد مر مرارا ان القدرة المؤثرة ليست الا لله
تعالى فلذلك يقال كل من عند الله وان العبد له قدرة كاسبة يصح اسناد افعاله الاختيارية
اليه ليسيء والعامة قرؤا من اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى المتكلم المعظم نفسه ونصب قلبه

عالما نه مفعول به اقرئ اغفلنا قلبه بفتح اللام وزفهو قلبه على النا علية عا معنى حسبنا
قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا وانت الاية على ان شرا حوال الانسان
ان يكون قلبه خاليا من ذكر الحق ويكون مملوأ من الهوى الداعي الى الاشتغال بالخلق
قوله ايه تقدما على الحق يعني ان اصل الكلمة ينبئ عن العجلة والسبق يقال فرط منه
قول قبيح اذا سبق وفرس فرط اي سريعة تتقدم الخيل وفي الصحاح فرط عليه اي
عجل وعدا ومنه قوله تعالى ان نخاف ان يفرط علينا وفرط اليه مني قول اي سبق
وفرط القوم افرطهم فرطا اي سبقتهم الى الماء فانا فارط والجمع فراط
وفراط القطا متقدماتها الى الوادي والماء وافرط في الامر اي جاوز فيه الحد
والاسم منه الفرط بالتسكين والفرط بالتحريك الذي يتقدم الواردة فيهيئ لهم
الارسان والدلاء ويصلح الحياض ويستقي لهم وهو فعل بمعنى فاعل مثل تبع
بمعنى تابع ومنه قيل للطفل الميت اللهم اجعله لنا فرطا اي اجرا يتقدمنا وامر فرط
اي مجاوز فيه الحد ومنه قوله تعالى وكان امره فرطا الى هنا كلام الجوهري فالفرط على قوله
فعل بمعنى المفعول والمعنى لا تطع من كان امره الذي يلابسه مجاوزا فيه الحد
والحق بحيث كان منبوذا بين وراء ظهره قوله ومنه الفرط يجوز ان يكون الفاء فيه
مفتوحة والراء ساكنة وان تكونا مفتوحتين قوله الحق ما يكون من جهة الله يعني
ان الحق مبتدأ ومن ربكم خبره والجملة مقول القول ووجه ارتباط الاية بما قبلها انه تعالى
لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان لا يلتفت الا اولئك الاغنياء الذين
قالوا ان طردت الفقراء من عندك وخليت لنا مجلسك نؤمن بك ونجالسك معك
امره بعد ذلك بان يقول لهؤلاء الحق ما يكون من عند الله لا ما يقتضيه الهوى فان
خالفتم اهواءكم وقبلتم الحق الذي جاءكم من عند الله اصبتم وعاد نفعه عليكم وان
لم تقبلوه عاد ضرره عليكم ولا مدخل في اصابة الحق والاهتداء به لكون اهل مجلسكم
فقراء او اغنياء خاملين او مشهورين بالعزة والجاه ثم انه تعالى رتب عليه وعيد
من كابر عقله وعاند ربه وترك الحق الصريح ووعد من اذعن للحق وآمن وعمل
بمقتضاه بقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وعلل ذلك بقوله انا اعتدنا
للظالمين نارا الى آخر الايات قوله ويجوز ان يكون الحق خبر لمحذوف نحو هذا الحق او الذي

اتيتكم به الحق كائنا من ربكم والخبر هو العامل في الظرف والمبتدأ المقدر عبارة عما ذكر
من اول السورة الى هنا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيا ما كان
يكون قوله قل الحق من ربكم كالتذكرة لما ذكر من مفتتح السورة الى مجيء ما جاؤوا به ثم
رتب ما يعرض عليه بانا اعلمنا ما جئتكم به من حديث الكتاب النيم المعرى عن كل
الاعوجاج الظاهر الاعجاز الكاشف عن المغيبات المحتوى على مكارم الاخلاق
المزيح للعلل والاعذار المزيل للريب والشبهات حق كائن من الرب العزيز الحكيم
قوله وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله جواب عن قول المعتزلة ان قوله تعالى فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر صريح في ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية مفوض
الى العبد واختيار فمن انكر ذلك فقد خالف صريح القرآن وتقرير الجواب ان صريح الآية
وصريح العقل ايضا وان دل على ان نحو الايمان والكفر وسائر الافعال الاختيارية يمتنع
حصوله بدون مشية العبد وقصده اليه واختياره لا ان لكل مشية والقصد
ليست بمشية اخرى سابقة عليها والا لزم ان يكون كل قصد ومشية مسبوقا بقصد
آخر الى غير نهاية وهو محال فوجب انتهاؤه الى قصد واختيار لا يكونان بقصد
يخلقه الله تعالى من غير قصد سابق عليه وما توقف فعل العبد على ذلك القصد الذي
لا مدخل له فيه كيف يصح ان يقال ان العبد مستقل في فعله بل يجب القول بان الكل
من عند الله قوله شبه به ما يحيط بهم من النار فيكون الاضافة في سرادقها بمعنى
من كما في خاتم فضة فان الاغنياء الذين يتفاخرون في الدنيا باتخاذ السرادقات
في اسفارهم ومصائفهم قبحها قبحهم الله تعالى بان يجعل لهم من النار ما يشبهها وما
يشبه كل ما يتفاخرون به في الدنيا من اللباس والطعام والشراب وغير ذلك
كما قال سرابيلهم من قطران وقال ليس لهم طعام الا من ضريع وقال في حق ثمارها
يانعوا بما آكلهم والله اعلم والحجرة كل مكان محجور عن الغير اي ممنوع عنه من الحجر
وهو المنع اثبت الله تعالى للنار شيئا شبيها بما يحيط بهم من جميع الجهات بحيث
لا مخلص لهم منها ولا فرجة يتفرجون بالنظر الى ما وراءها من غير النار بل هي
محيطة بهم من كل الجوانب وقيل المراد من هذا السرادق الدخان الذي وصفه الله
تعالى في قوله الى ظل ذي ثلث شعب وقالوا حين الاحاطة بهم انما تكون قبل دخولهم النار

فيغشاهم هذا الدخان ويحيط بهم كالسرادق حول السلطان قوله وقيل حائط من نار
روي عنه ﷺ انه قال سرادق النار اربع جدر كثف كل جدار مسيرة اربعين سنة
والمعنى انهم ورأى هذه الجدر فهي محيطة بهم قوله كالجد المذاب يعني قبل ان
المهل كل شيء اذيبَ من الاجساد السبعة المعدنية كالذهب والفضة والنحاس
والرصاص وغيرها وقيل هو دردي الزيت قوله وهو خاطبة قوله فاغسلوا
بالصيلم يعني ﷺ قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وارد خاطب التهكم بهم وتحقير هم
حيث ذكرت الاغاثة عاهم فيه من شدة العطش واريد ما يضاد الاغاثة وهو
ان يؤتوا بماء كالمهل اذا قرب اليه شوى وجهه وسقطت فروة راسه واذا
يشرب منه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره فالمعنى ان يستغيثوا اي يطلبوا الغوث
والمدد مما هم فيه من شدة العطش يؤتوا بماء كالمهل مكان ما يغاث به المستغيث
من العطش فسمي ايتاء ذلك اغاثة على سبيل التهكم والتحقير كما في قوله
غضبت تميم ان يقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم والنار بكسر النون
ماء لبني عامر والصيلم الداهية والامر العظيم واعتبوا اي ارضوا وازيل غضبهم
جعلت الداهية لهم مكان الاعتاب الذي يجري بين الاحبة تهكما لهم والمشتى
الانضاج بالنار من غير مرفقة يكون معه ذلك الشيء المشوي قوله واصل الارتفاق
نصب المرفق وهو موصل الذراع والعضد فستر المرتفق في الاية بالمتكأ وهو
موضع الاتكاء على الطريقة ثم قال اصل الارتفاق اي معناه الاصلي المعنوي
الاتكاء على مرفق بان ينصبه ويجعله دعامة لخده وذلك انما يكون للاستراحة
والاستراحة لاهل النار فلا اتكاء قوله وهو لغة قوله وحسنت مرتفقا يعني
اثبات المرتفق لاهل النار يوجب انه لا ارتفاق لهم مبني على المثل كلمة لقوله تعالى
ارأيتك اهل الجنة وحسنت مرتفقا فان الاية الثالثة المقابلة لهذه الاية لما كانت
منفصلة بذكر الارتفاق جعلت هذه الاية ايضا منفصلة بذكره لاجل المثل كلمة بين
الايتين المتقابلتين وان تاخر المتبوع عن التابع في الذكر الا انه متقدم عليه من
حيث الشرف والرتبة فجعل متبوعا كما تاخر في الذكر لذكره ولولا المثل كلمة لكان اثبات
مرتفقا للكفرة مبنيا على التهكم كاثبات الاغاثة لهم في قوله تعالى يغاثوا بماء كـ

كالمهل ثم انه تعالى ذكر وعيد الظالمين اردفه بوعد الصالحين فقال ان الذين امنوا الاية
وقوله ﷺ انا لا نضيع يجوز ان يكون خبر ان الذين امنوا لحذف العائد اي منهم او تنزيلا
العموم منزلة العائد كما في قولك نعم الرجل زيدا على قول من جعل المخصوص مرتفعا بالابتداء
وما قبله خبرا وهو المختار فان قولك نعم الرجل جملة فعلية والجملة الواقعة خبرا لابد ان
يكون مشتملة على الضمير العائد الى المبتدا واستغني عنه في باب نعم لتنزيل استغراق
الرجل عمومه للمبتدا ولغيره منزلة العائد واما على قول من جعل المخصوص خبر
مبتدا محذوف وجعل الكلام مبنيا على تقدير سؤال وهو انه لما قيل نعم الرجل مثلا
قيل من هو فقيل زيدا اي هو زيد فح يكون الكلام جملتين ليس في شيء منهما خبر جملة
حتى تحتاج الى العائد او باقامة قوله من احسن عملا مقام الضمير لكونه عبارة عن الذين
امنوا وعملوا الصالحات ومتحدا معهم في المعنى وفي مثله يستغني عن العايد كما في الجملة
الواقعة خبرا عن ضمير الشان فانها لما كانت عبارة عن الضمير المذكور استغنى فيها عن
العايد قوله اولئك عطف على قوله هن الثانية بما في حيزها قوله اوجز ثانا عطف
على قوله استيناف قوله وهو جمع السوءة والسوءة جمع سوار وهو زينة
تلبس في الزند من اليد وهو من زينة الملوك يتسورون في ايديهم ويتوجون
على رؤسهم وقال ابو عبيدة اساور جمع اسوار على حذف الزيادة اصله
اساوير وقوله في جمع سوار احتراز عن قول من قال ان اساور جمع اسوار
بكسر الهمزة اوضح في الصحاح وقد يكون اساور جمع اسوار واسوار قال
تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب وقال ابو عمرو بن العلا واحدها اسوار
قال الشاعر والله لولا اخبية صغار كانا وجوههم اخاف ان نصيبهم
اقتار او لاظم ليس له اسوار لما رأى ملك جبار بابه ما طلع النهار والمعنى
انه تعالى يحليهم ذلك او يحليهم الملائكة قيل على كل واحد منهم ثلثة اسورة
سوار من ذهب لاجل هذه الاية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا اساور
من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله تعالى ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير فان قيل
ما السبب في انه تعالى قال في الحلي يحلون على فعل مالم يسم فاعله وقال في السندس
والاستبرق ويلبسون باسناد اللبس اليهم قلنا يحتمل ان يكون اللبس اشارة

لما استوجبوه بعملهم بمقتضى الوعد الالهي وان يكون للملى اشارة لما تفضل به
عليهم ابتداء تفضلا زائدا على مقدار الوعد ثم انه تعالى ما بين عاقبة الظالمين الذين
اغتروا بزينة الدنيا وزخارفها وافتخروا بها على فقراء المسلمين وآثروها على
عند الله تعالى من الثواب الجزيل وبين ايضا عاقبة من آمن بالله تعالى وبالبعث
والجزاء وعمل بمقتضى ايمانه مثل حال الرجلين بحال رجلين موصوفين تصويرا
للامر المعقول بصورة المحسوس لزيادة الايضاح والبيان فقال واضرب
لهم مثلا الاية فبين به ان كثرة الاموال والاتباع لا يصلح لان يفتخر بها لاحتمال
ان يصير الفقير غنيا والغني فقيرا بل الفخر انما هو بطاعة الله التي هي خرقة المؤمنين
وقوله تعالى جعلنا لاحدهما جنتين ان كان بيانا وتفسيرا للمثل لا يكون له محل
من الاعراب وان كان صفة لرجلين يكون في محل النصب وقوله مؤزرا بالهمز
كوعد اي ملتفا وهو الاساس ومن المجاز الزرع يوازر بعضه بعضا اذا
تلاحق والتف وتآزر النبت اي التف وتلاصق وقوله ليكون كل منهما جامعا لكل
للافات والفواكه لاشتماله على الكروم المحفوفة بالنخل وكون كل واحد منتهيا
في احد جوانبه الى الارض المزروعة فيكون بذلك جامعا لما ذكر ومتواصل العمارة
وتكون منفعته دائمة متواصلة لانتيانه في كل وقت بمنفعة جديدة وثمرة
مرغوبة وقوله وافرد الضمير في آتت والظاهر ان يقال آتتا مبنيا على ارجوعه
الى كلتا وهو مفرد اللفظ وان كان مثنى المعنى فاعتبر جانب اللفظ والمعنى
اعطت كل واحدة من الجنتين أكلها اي ثمرها تاما ولم تظلم اي لم تنقص منه
شيأ والظلم النقصان يقال ظلمني حقي اي نقصني ولما وصفها بوفاء الثمار
وتمام الأكل من غير نقصان وصفها بما هو اصل الخير ومادته وهو امر الشرب
فقال وفجرنا خلالهما نهرا والعامة على تشديد الجيم للمبالغة في وفائه بشربها
لها فانه وان كان نهرا واحدا الا انه لما كان يمتد ويصل الى جوانب كلتا
الجنتين ويدوم في كل وقت كان كالانهار وقرئ بالتخفيف على الاصل لانه
نهر واحد والعامة على فتح الهاء نهر وقرئ بسكونها قراءة عاصم وكان له اي لصاحب
البستان ثمر بفتح الثاء والميم فيهما وفي قوله واحيط بثمره وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب

وقرأ ابو عمرو

وقرأ ابو عمر وبضم الثاء وسكون الميم فيهما والباقون بضم الثاء والميم فيهما
ومن ضمهما يقول انه جمع جمع يقال ثمرة وثمار وثمر كخشبة وخشب كالحمار والحمر
والكتاب والكتب ويجوز ان يكون ثمر بضمتين جمعا لثمر بفتحتين كخشب
وخشب وبالسكون كاسد واسد وذكر اهل اللغة انه بالضم انواع المال
من الذهب والفضة وغيرهما وبالفتح حمل الشجر وكان ابن عباس يقرأ
بالضم ويقول هذه انواع المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد ان الثمر
هو الذهب والفضة خاصة وقيل هو المال والولد فقوله تعالى فقال لصاحبه
يعني فقال صاحب البستان للمؤمن وقوله وهو يحاوره يجوز ان يكون حالا
من الفاعل ومن المفعول مبينة للهيئة اذ لا يلزم من القول المحاورة
اذ المحاورة مراجعة الكلام من جاراه اذا رجع فقوله انه ظن ان لن تبور
وقال امرؤ القيس وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ
هو ساطع والنفر العشيرة الذين يذبون عن الرجل وينفرون معه والمعنى
ان الكافر ترفع على المؤمن بجاهه وماله ثم اراد ان يظهر للمؤمن كثرة
ماله وصنوف ما يملكه مما يوجب البهجة والسرور فاخذ بيد اخيه المؤمن
يطوف به فيها يريه بهجتها وحسنها وهو قوله تعالى ودخل جنته الخ قوله لان المراد
ما هو جنته اي ما يقال له انه جنته فلان على ان التعريف فيه للعهد الذهني
والمعهود هو الفرد الملحوظ بالاضافة اليه مع قطع النظر عن كونها قطعتين
بينهما مزارع او قطعة واحدة ومن غيران يراد بها ما شاهده وقت
الدخول او يراد دخول كل واحدة منهما على حدة ومن غير اعتبار كونهما
بمنزلة جنة واحدة نظرا الى اتصالها لخلوها عن نكتة يعتد بها قوله تعالى
وهو ظالم حال من فاعل دخل ولنفسه مفعول ظالم واللام فيه مزيدة لتقوية
العامل لكونه فرعا وقوله قال ما اظن الظاهر انه مستانف جيء به
بيانا لسبب ظلمه فانه لما رافه واعجبه حسنها وزهرتها توهم انها لا تفنى ابدا
وما اكتفى بهذا الكفر بل ضم اليه قوله وما اظن الساعة قائمة فجمع بين كفرين فان
قيل هب انه شك في البعث والقيمة فكيف قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا مع

مع ان للتنزيل على ان ما في الدنيا كلها في معرض الزوال والفناء اجيب بان
مراده لا تبيد مرة حيوة قوله واما القسم بذلك فمن ان الكافر بنى جزمه
بذلك على مقدمتين الاولى انه تعالى انما اعطاه المال والجاه في الدنيا لكونه اهلا
مستحقا لذلك والثانية ان الاستحقاق باق بعد الموت والمقدمة الاولى
كاذبة لان فتح باب الدنيا على الانسان يكون كثيرا ما للاستدراج والتخلية
قوله لانه اصل مادتكم نظرا الى ان النطفة تتولد من الدم المتولد من الاغذية
النباتية المتولدة من التراب فكان التراب مادة بعيدة للانسان والاغذية
الحيوانية لابد ان تنتهي الى الاغذية النباتية المنتهي الى التراب قوله او مادة
اصلكم فان آدم عليه السلام مخلوق من التراب وخلقه سبب في خلق كل احد
قوله والذكر اي ولكونه منكرا كونه بالبعث شكه في كمال قدرة الله تعالى فانكاره
على كونه بالله تعالى بانتفاء قدرته تعالى لا بانتفاء وجوده ثم ان المؤمن وبخ
الكافر على كفره بان قال له ولولا اذ دخلت لما تقرر من ان حرف التحضيض اذا
دخل على الماضي يكون للتوبيخ وكلمة ما ان كانت شرطية يكون في محل النصب
على انها مفعول شاء قدمت عليه وجوبا واحتج اصحابنا بهذه الآية على ان
كل ما اراده الله واقع وما لم يرده لم يقع فثبت انه تعالى لم يرد ايمان الكافر
وطاعة العاصي فكانت حجة لنا على المعتزلة ومعنى الآية هلا قلت عند دخولك
جنتك ورؤيتك ما انعم الله تعالى به عليك ما شاء الله من ابتنائها واقتنائها كائن
معارض لمشيته وشكرت على انعامه عليك بدل الاشتغال والافتخار بالنعمة
عن المنعم وملاحظة التمتع بها دهرا طويلا بناء على طول الامل وتمادي الغفلة
والاغترار في المهلة روي عنه عليه السلام انه قال من اعطي خيرا من اهل او مال فقاله
عند ذلك ما شاء الله لا قوة الا بالله لم ير فيه مكروها كذا في الكواشي قوله
يحتمل ان يكون ان فصلا لهذا الاحتمال على تقدير ان تكون الرؤية علمية لانها ان
كانت بصرية تعين ان تكون انا تاكيدا للياء المتكلم لان ضمير الفصل شرطه ان يقع
بين المبتدا والخبر وبين ما اصله المبتدا والخبر قوله وهي الصواعق وقيل
الحسبان سهام صغار يرمى من القسي الفارسية سميت حسبانا لكونها سهاما

معدودة محسوبة تجمع فترمى بمرة واحدة وقيل للحسبان العذاب الا ان ابا بكر
الاصم قال عذابا على حساب ما عملوا وقيل اصاب الارض حسبان اي جراد وتعلل
اصل للحسبان السهام التي تشبهها والطلاقة على الصواعق على سبيل الاستعارة
تشبيها للصواعق بها ومن قال انه مصدر كالغفران والبطلان ينبغي ان يجعله
بمعنى اسم المفعول اي شيئا مما يعد اي يدخر للعذاب ويعتد به من انواع
العذاب المرتبة على الكفر الا ان المتبادر من عبارة المصنف ان يكون المراد
بالحساب الحكم الازلي والتقدير الالهي المتعلق بتخريب الجنة وباد ساله وقوع
المعلوم المقدر عند تعلق الارادة بوقوعه او يكون للحساب على اصل معناه ويراد
بارساله ارسال عذاب على حساب الاعمال السيئة ومقدارها على ان يكون
قوله او عذابا معطوفا على قوله التقدير وقوله حساب الاعمال منصوبا بنزع
الخافض ففي اي بحاسبها والصعيد وجه الارض والزلق والغور في الاصل مصدران
وصف بهما مبالغة والمعنى حسبان ان يصبح ماؤها وهو النهر الذي في خلالها غائرا
ذاهبا في الارض بحيث لا يبقى له اثر حتى تقدر على ان تطلبه وتتردد في رده
الى موضعه وخلاصة كلام المؤمن ارجو ان ازرق ما هو خير وافضل من جنتك
وان تهلك جنتك قوله ظهرا البطن منصوب على انه مفعول مطلق اي يقلب كفيه
تقليبا خاصا بالنادمين المتلهفين فان قوله يقلب كفيه كناية عن الندم لان النادم
يفعل ذلك فلما كان قوله يقلب متضمنا لمعنى يندم عدي بعلى قوله او حال عطف
على قوله متعلق بيقلب والمعنى او متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل يقلب
اي متحسرا على ما سبق قوله او حال من ضميره على اعتبار حذف المبتدا لتكون الجملة اسمية
اي يقلب وهو يقول لما تقرر من ان الجملة الحالية ان كانت جملة فعلية والفعل مضارع
مثبت امتنع دخول الواو عليها قوله كانه تذكير موعظة اخذه من قوله انت كافرا بالله
لكني مؤمن الخ قوله ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله تعالى ان يقلب ما بي
وما بيدي من الفقر والغنى ويرزقني لا يمانه جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك ما
انعم به عليك ويخربستانك قوله وقراحرة والكلي بالباء اي بباء التذكير في
لم يكن لتقدم الفعل ولوجود الفصل واقامته مقام علامة التانيث وجمع فاعل بفعلون

جلا عا معنى فئة ولو حمل على لفظها لافرد كما في قوله تعالى في سبيل الله قوله
النفرة له وحده يعني ان الولاية بالفتح بمعنى تولي الامر والنفرة والمعنى في ذلك
الموضع وذلك لحال التي يريد الله تعالى اظهار كرامة اوليائه واذلال اعدائه لا يتولى
الامر احد غير الله تعالى ينصر من يشاء اعزاز ويذل من يشاء اذلاله وقرأ حمزة
والكسائي الولاية بكسر الواو والمعنى هنالك اي في مثل تلك الحالة الشديدة
السلطان والغلبة لله تعالى ولا يغلب اولا يعبد غيره بل يلتجئ اليه كل مضطر مغلوب
فيه فلذلك قال ذلك الكافر يا ليتني لم اشرك بربي احدا جزعا مما ساقه اليه شؤم
كفره ولو كان ندمه على الشرك ورغبته في التوحيد مبنيا على النظر في الادلة وامتثالا
لامر الله وقصد بذلك كله وجه الله لكان ايمانا مقبولا عند الله لكن كان ندمه وتوبته
عند مشاهدة البأس ومبنيا على اعتقاده انه لو كان موحدا غير مشرك ومتعظا
بموعظة اخيه لبقيت عليه جنته فلم يعمل ولم يجد به مؤمنا لكونه لاجل طلب الدنيا
لا خالصا لوجه الله تعالى فالاية بهذا المعنى نظير قوله واذا ركبوا في الفلك دعوا
الله مخلصين له الدين وهنالك في محل النصب على انه ظرف معمول لما تعلق به خبر
الولاية وهو قوله لله ووجه كون هنالك اشارة الى الاخرة انه تعالى ذكر قبل ذكر قصة
الاخوين ما اعد للكافرين وللمؤمنين يوم القيمة ورتب عليه ذكر هذه القصة ثم عاد
لا بيان حال ذلك اليوم تعالى هنالك الولاية لله العقب والعقب بضم القاف
وسكونها والعقبى كلها بمعنى العاقبة والمراد ان عاقبة طاعة الله تعالى خير مطلقا
لا بالنسبة الى عاقبة طاعة غيره وكذا ثوابه تعالى فانه خير مطلقا لا بالنسبة الى
ثواب غيره قوله واذكر لهم اي للمشركين الذين استكبروا على فقراء المسلمين وافتخروا
باموالهم واعوانهم يريد انه يجوز ان يجعل اضرب بمعنى اذكر فيتعدى الى واحد
فعلى هذا يكون كمثل انزل لنا خبر مبتدا محذوف اي هو كمثل وان يكون بمعنى صير فيكون
كمثل مفعولا ثانيا قوله اونجع في النبات اي ينفرز فتكون الباء فيه للتعدية للسببية
الا ان الملائم لرفعته هو الذي ينفرز في النبات ولا ينفرز النبات في الماء فكان حق
العبارة ح فاختلط بنبات الارض ونجع فيه بقال نجع فيه الدواء اذا نفعه ونجع
الطعام اذا هنأ وورق النبات رفيفا اذا اهتز نضارة وثلاثا لواقوله مشرقا

من الهشيم

من الهشيم وهو كسر الشئ اليابس والهشيم من النبات اليابس المتكسر قوله من
الصلوات الخمس الاقرء عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم ان
الباقيات الصالحات هن الصلوات الخمس وهن الحسنات يذهبن السيئات
وعن سعيد بن جبير انها الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان والحج
الى الحج وعن الضحاك انها الفرائض وفي رواية عن ابن عباس انها الكلام الطيب
وفي رواية عنه انها جميع الاعمال الحسنة فان جميعها باقيات لبقاء اجرها ونفعها
وصالحات لانتفاء الفساد عنها وعن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لجلسائه خذوا جنتكم قالوا احضر عدو قال خذوا جنتكم من النار قولوا سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فانهن المقدمات
وهن المنجيات وهن المعقبات وهن الباقيات الصالحات وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عجزتم عن الليل ان تكابدوه وعن العدو
ان تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
فقولوهن فانهن الباقيات الصالحات قوله لا يجب احدا حذرا اشارة الى ان
اصطفاقهم عبارة عن ظهورهم متميزين بحيث ترى جماعتهم كما يرى كل واحد قوله
صفا حال من مرفوع عرضوا وهو في الاصل مصدر يقال صف يصف صفا ثم يطلق
على الجماعة المصطفين واختلفوا في صفا هنا هل هو مفرد وقع موقع الجمع والمراد
صفوفا بدليل ما ورد في الحديث الصحيح وهو انه يجمع الله الاولين والاخرين
في صعيد واحد صفوفا وفي حديث آخر اهل الجنة مائة وعشرون صفا انتم منها
ثمانون صفا وتظيره في وقوع المفرد موقع الجمع قوله تعالى ثم نخرجكم طفلا اي اطفالا
وقيل بل كل للثلاثين يكونون صفا واحدا وهو ابلغ في القدرة واما الكرنبان فيحملان
على اختلاف الاحوال يوم القيمة لانه يوم طويل مقداره خمسين الف سنة فمكان
يكونون فيه صفا واحدا ومكان صفوفا وقيل صفا هنا بمعنى قياما كقوله تعالى
فاذكروا اسم الله عليها صوافا اي قياما قوله على وجه يكون حالا اي معترضوا وقيل
لهم لقد جئتمونا او حاملا في يوم تسير اي تنقل لهم يوم تسير الجبال لقد جئتمونا
كما خلقناكم وليس المراد تشبيه حال البعث من القبور بحال النشاة الاولى

من محل وجه لانهم خلقوا صغار الاعقل لهم ولا قدرة بل المراد تتريع المشركين المنكرين
للبعث المفتخرين عليه آخر آية المؤمنين بالاموال والاعوان بان يقال لهم لقد جئتمونا
حفاة عراة بغير اموال ولا اعوان او لقد بعثتم وشاهدتم ان البعث والقيمة
حق واقع كما وقع خلقكم اول مرة قوله ويل للخروج من قصة الى قصة اخرى يعني ان
الاضراب ههنا ليس لابطال القصة الاولى بل للانتقال الى ما هو اهم منها فانه
تعالى لما بين خساسة الدنيا بتمثيل حالها بحال النبات الذي يكون بعد حدوثه رزا
اخضر وارفا ثم هشيما تذروه الرياح فيصير كان لم يكن انبعه ببيان احوال القيمة
ثم اضرب عن بيانها وانتقل عنه الى توبيخ الكفار الذين سيكونون منكرون البعث
والحساب وان في قوله ان لن نجعل مخففة من الثقيلة اي بل زعمتم ان ان لن نجعل
لكم موعدا للبعث تبعثون فيه وتحاسبون قوله هضة صغيرة الهضة يكنى بها عن الخصلة
السوء يقال في فلان هضات اي خصلات شر ولا يقال ذلك في الخير قوله يا ويلتا دون هلكتهم
التي هلكوا بها الويل والويلة الهلكة لما رأوا اعمالهم محصاة عليهم في كتبهم وعلموا
انهم يجازون بها ويهلكون بسببها نادوا بالويل والهلاك فان كلا من وقع في
الهلكة يدعو بها فانثه كما في قوله تعالى يا حسرة على العباد فانه نداء للحسرة عليهم
كانه قيل لها تعالي يا حسرة فان هذا من الاحوال التي حقك ان تحضري فيها الا
انهم لما نادوا الويلة المضافة الى انفسهم حيث قالوا يا ويلتنا كانت المنادى
هلكتهم التي هلكوا بها لاجل الهلاك قوله قرر ذلك اي قرر قبح الكبر والافتخار ببيان
انه من ابليس فانه لما امتنع عن السجود لآدم استكبارا وافتخارا بان اصله
نار واصل آدم تراب والنار علوي نوراني لطيف فيكون اشرف من التراب الذي هو
سفلي ظلماني كثيف وادى ذلك الكبر الى ان صار ملعونا مخلدا في النار بعد ان كان رئيس
الملائكة ومقدمهم ومعلمهم واشدهم اجتهادا في العبادة حتى لم يبق في سبع سموات
ولا في سبع ارضين موضع شبر الا وقد سجد لله تعالى عليه سجدة حتى امتلأ
من العجب بنفسه حين لم ير احدا مثله فابى ان يسجد لآدم استكبارا فقال انا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين فلعنه الله تعالى وطرده والملائكة لما خلقوا من
النور الروحاني العلوي كان من طبعهم الانقياد لاوامر الله تعالى والطاعة والعبودية

فلذلك

فلذلك لما امروا بالسجود لآدم لم يتعللوا في ذلك وسجدوا طوعا ورغبة امتثالا لامر
الله تعالى والتقيا والحكمة كما قال تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون بخلاف
ابليس فانه تعالى لما خلقه للضلالة والغواية والاضلال والاغواء خلق من النار التي
طبعها الاستعلاء والاستكبار وان نظم الله تعالى في سلك الملائكة منذ خلقه وكساه كسوة
الملائكة وانه قد تشبه بافعالهم تقليدا لا تحقيقا حتى عد من جملتهم وذكر في زبرهم
بل زاد عليهم في الاجتهاد بالاعتبار لا بالاعتقاد فاتخذوه ربا ومعلما اراه ومنه استراد
او استزاده في الاجتهاد بالاراءة دون الارادة فلما امتحن بسجود آدم في جملة
الملائكة ظهر ما تقتضيه الجبلة وخلع عنه كسوة اهل الرغبة والرهبة بميز الله الخبيث
من الطيب فطاشت عنه تلك المخادعات وتلاشت منه تلك العبادات وعاد
الميسوم الاطبعه حين نبتين الرشد من اهله فسجدت الملائكة واما ابليس واستكبر
من غيبة وظهرانه كان من الجن وانه طبع كافرا والعياذ بالله وهذا الكلام مبني على
ما روي عن الحسن انه قال ما كان ابليس من الملائكة قط طرفة عين بل كان من الجن
الذين توالدوا من الجان وهو اب الجن واصله واول من عصى ربه كما ان آدم
عليه السلام اول الانس وابوهم وروي انه تعالى لما خلق الارض خلق الجان
من مارج من نار يعني من لهب من نار لا دخان لها فكثر نسله وهم الجن بنو الجان
فاسكنهم الارض فعبدوا دهرا طويلا في الارض ثم ظهر فيهم البغي والحسد
فاقتتلوا وافسدوا فبعث الله تعالى اليهم جندا من الملائكة فهبطوا الى الارض
وحاربوا الجن وهزموهم وطردوهم عن وجه الارض الى شعوب الجبال وجزائر
البحور وروي ان الملائكة سبوا ابليس وهو صغير من بين الجن وتشاء عند
الملائكة وكان معهم اسيرا مغلوبا بالالوف منهم فتعلبوا عليه فلما كان ابليس داخلا
فيهم بالتغليب تناوله امر الملائكة بالسجود لآدم فكان قوله تعالى فسجدوا الا
ابليس استثناء متصلا نظرا الى دخوله فيهم بالتغليب ويجوز ان يكون منقطعا
وقيل الاستثناء متصل بناء على انه قد كان ملكا من جملة الملائكة فغير الله تعالى
صورته وطبعه وسيرته الى صورة الجن وطبعهم وسيرتهم بعد ابائه واستكباره
وكفره فصار ممسوخا كما مسخ الله تعالى بعض بني آدم فصاروا قردة وخنازير

ان ابليس ما كان من
الملائكة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الا انه لما سأل النظرة الى قيام الساعة بقي وصار ذليلا والحال ان سايه الممسوخات
لا تبقى بعد ثلثة ايام ولا يصير ذليلا فعلى هذا يكون قوله كان من الجن بمعنى صار من
الجن بان مسخت صورته الى صورة الجن وكذا قوله وكان من الكافرين اى صار من
الكافرين وقيل معناه كان في علم الازل انه يكون من الجن وقت عصيانه ربه
واباءه السجود وكذا قوله وكان من الكافرين معناه انه كان في علم الله تعالى انه سيكفر
لان جمهور المحققين ذهبوا الى ان ابليس لم يكن كافرا من اول الامر بل انه كان
مؤمنا ثم صار كافرا بردة امر الله تعالى واستقباحه كما ان عبدة الاصنام كانوا
كفرة وقت عبادتهم ثم صاروا مؤمنين بالتبري عنها الا انه لما كان الاعتبار
في الايمان والكفر بالخواتيم وموافاة الموت قيل ان الذي علم الله من حاله انه
يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة وان صلى وصام قبله اذ العبرة بالخواتيم
وان كان يحكم للحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى الشيخ الاشعري رحمه الله
قوله اعقيب ما وجد منه تتخذونه اولياء حكى الله تعالى اولا عداوة ابليس وذريته
لاولاد آدم ثم انكر على الكفار الذين افتخروا على اقرار المسلمين بشرف الانسان
وكثرة الاموال والاتباع في تركهم الدين الحق بناء على التكبر والترفع فكانه
تعالى قال لهم انكم في هذا الفعل اقتديتم بابليس في تكبره على آدم وعلمتم ان ابليس
عدو لكم فكيف تقتدون به في طريقته المذمومة وكل من كان غرضه في اظهار
العلم والمناظرة التفاخر والتكبر والترفع فهو مقتد بابليس فيدخل في هذا
الانكار والنعي ما روي عن الشعبي انه قال كنت جالسا يوما اذا قبل رجل فقال اخبرني
هل لابليس زوجة قال نعم قلت ان ذكل لتعرس ما شهدته ثم ذكرت قوله تعالى افتتخذونه
وذريته اولياء فعلمت انه لا يكون له ذرية الا من زوجة فقلت نعم وعن قتادة انهم
يتوالدون كما تتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق
البيضة عن جماعة من الشياطين والله اعلم ثم انه تعالى لما قرر ان القول الذي قاله
في الافتخار على الغير آثم والاستكبار عليهم اقتداء بابليس عاد بعده الى التهويل
باحوال يوم القيمة فقال ويوم يقول اي اذكر يوم يقول عطفا على قوله واذ قلنا للملائكة
ليعلموا احوالهم واحوال آلهتهم يوم القيمة اذ يقول الله لهم نادوا شركائي اي ادعوا

من زعمتم

من زعمتم انهم شركائي حتى احتكموهم للعبادة فقوله فدعوهم للاعانة بان قالوا لهم
انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار فقوله فدعوهم للاعانة يشترك فيه على ان
يكون الموبق اسم مكان يعني ان الله تعالى يدخل هؤلاء المشركين في موضع الهلاك وهو
النار ويجعل آلهتهم في موضع آخر مثل ان يجعل عيسى عليه السلام في الجنة ويجعل الملائكة
الذين ادعوا انهم شركاء الله تعالى في موضع اراد الله تعالى من دار الكرامة فتكون جهنم
موبقا بين هؤلاء الكفار وبين الملائكة وعيسى عليه السلام هذا على ان يكون المراد
بالشركاء في زعمهم هؤلاء المكرمين والظاهر ان المراد بهم الاصنام او ابليس واعوانه
ومعنى جعل الموبق بينهم او خالهم جميعا موضع الهلاك وجعله مشتركا بينهم وهو مراد
المصنف قوله او عداوة هي في شدتها هلاك على ان يكون الموبق مصدرا وجئ عن
العداوة بالهلاك اما على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة في استلزامها للهلاك
واما على المجاز باعتبار ما يؤل اليه كانه قيل جعلنا بينهم عداوة تجرهم وتودي بهم
الى الهلاك والتلف كقوله ولا يفضكل تلغابيه ولا يكن بفضكل بحيث يجر الى التلف
والهلاك والكلف من كلفت بهذا الامر اي اولعت به استدل الحوفي الهابة الكلف
الولوع بالشئ مع شغل قلب ومشقة ومنه قول عمر رضي الله عنه عثمان كلف بقارابه
اي شديد اللعب لهم قوله وقيل البين الوصل فلا يكون ظرفا بل يكون مفعولا اولا
لجعلنا ويكون موبقا مفعولا ثانيا وان جعل ظرفا يكون موبقا مفعولا اولا
للجعل ويكون الظرف المقدم مفعولا ثانيا له ويجوز ان يجعل جعلنا بمعنى خلقنا
فيتعدى الى واحد ويتعلق الظرف بالجعل او بمحذوف على انه حال من موبقا قوله
مخالطوها فسر المواقعة بالمخالطة لان مخالطة الشئ لغيره اذا كانت قوية تامة
يقال لها مواقعة قوله من كل جنس يحتاجون اليه لما كان لفظ المثل في اصل اللغة بمعنى
الشبه وفي عرف الناس بمعنى المثل السائر المشبه مضربه بمورده ويطلق مجازا
في كل حالة غريبة وصفة وقصة عجيبة شبهت بالمثل السائر في الغرابة والذي
تكرر تقريره في القرآن بوجوه مختلفة ليس المثل باحد هذين المعاني الذي تكرر فيه هو
تقرير دلايل التوحيد والنبوة وتحقيق احوال البعث والقيمة وبيان الاحكام والوعد
والوعيد والقصص والامثال وهذه الامور ليست من قبيل المثل المفسر باحد التفاسير

المذكورة الا انها لما كانت امورا مهمة تحتاج الانسان الى بيانها اشد الاحتياج
صح اطلاق لفظ المثل عليها تشبيها لها بالقول الذي له فلذلك قال المصنف في تفسير
الاية من كل جنس تحتاجون اليه والظاهر ان مفعول حرقنا محذوف وقوله من كل
مثل صفة لذلك المحذوف والمعنى ولقد حرقنا في هذا القرآن للناس معاني من كل
جنس تحتاجون اليه ويجوز ان يكون من كل مثل هو المفعول على ان يكون كلمة من زائدة
على راي الاخفش والكوفيين وشيء في قوله تع اكثر شيء جدلا موضوع مقرر
الاشياء والاصل اكثر الاشياء التي بناء منها الجدال ان فصلتها واحدا واحدا
والمعنى ان الانسان اكثر جدلا من كل شيء يجادل والتفضيل مستفاد من اضافة
افعل التفضيل الى النكرة فانه اذا اضيف لبيان كون صاحب افعل زائدا على ما اضيف
اليه في المعنى المدلول عليه بالمصدر الذي اشتق منه افعل التفضيل يجب ان يكون
المفضل داخلا فيمن اضيف اليهم فردا منهم ليحصل المقصود من الشركة والزيادة
فاذا اضيف الى النكرة المفردة نحو زيد افضل رجل والشيء يجب ان يكون
النكرة بمعنى الجنس المتناول للمفضل وامثاله ليكون المفضل بعضا منهم
ومشاركا معهم في اصل الفعل وزائدا عليهم فيها فاذا قيل زيد افضل
رجل وهما افضل رجلين وهم افضل رجال كان معناه زيد افضل من كل رجل
قيس فضله بفضله وهما افضل من كل رجلين قيس فضلها بفضلهما وعلى هذا
وذكره في شرح الرضي في بحث الاضافة ومذهب سيبويه ان اضافة افعل
التفضيل حقيقية مطلقا وذكر انه في حال الاضافة على ضربين احدهما ان يكون
بعض المضاف اليه كان فيدخل فيه دخولا تاما فما اضيف اليه والمعنى فيه ان صاحبه
مفضل في المعنى الذي وضع له المصدر المشتق هو منه على كل واحد واحد مما بقي
بعد من اجزاء المضاف اليه فان زيدا في قولك زيد افضل الناس مفضل في
الفضيلة على كل واحد ممن بقي بعد زيد من افراد الناس فالمعنى زيد بعضهم
الزايد في الفضيلة على كل واحد ممن بقي منهم بعد ولا يلزم منه تفضيل الشيء
على نفسه لانك لم تفضل على جميع اجزاء المضاف اليه بل على ما بقي من المضاف
اليه بعد خروج هذا المفضل منه فالاضافة في هذا المعنى بتقدير اللام كما في قولك

بعض

بعض القوم وثلثهم وجزؤهم واحدهم فاذا كان اضافته بهذا المعنى كاضافة
بعض القوم يكون بتقدير اللام مثله فيكون محضة بدليل قوله تع فتبارك الله
احسن الخالقين وثانيهما ان يكون صاحب افعل مفضلا على جميع افراد نوعه
مطلقا ثم تضيفه الى شيء للتخصيص سواء كان ذلك الشيء مشتملا على امثال
المفضل نحو زيد افضل اخوته او لم يكن نحو زيد افضل بغداد اي افضل افراد
نوع الانسان وله اختصاص ببغداد فالاضافة اليه لاجل التخصيص كما في غلام
زيد ومصارع مصرا للتفضيله على اجزاء المضاف اليه فهي الاضافة محضة
اتفاقا بمعنى اللام ثم تقول افعل بالمعنى الاول اما ان تضيفه الى المعرفة او النكرة
فان اضفته الى المعرفة لم يجز ان يكون مفردة نحو افضل الرجل وافضل زيد اذ لا
يمكن كونه بعض المضاف اليه بلى اذا كان ذلك الواحد من اسماء الاجناس
التي يقع لفظ مفرد ها على القليل والكثير نحو اكبر بني الطيب التمر جايز والرجل
ليس جنسا بهذا المعنى فتقول زيد افضل الرجلين اي احدهما المفضل
على الاخر وافضل الرجال اي احدهم المفضل على كل واحد من الباقين واما
اذا اضفته الى النكرة فيجوز اضافته الى الواحد والمثنى والمجموع نحو زيد افضل
رجل والزيدان افضل رجلين والزيدون افضل رجال فيتطابق صاحب
افعل والمضاف اليه افرادا وتثنية وجمعا وانما جاز ان رجل هو واتى رجلين
هما واتى رجال هم ان المحور في جميعها ليس في الظاهر جملة معينة يكون المضاف
بعضا منها لان المراد بكل واحد من هذه المجرورات الجنس المستغرق المجتمع
من المسؤل ومن امثاله فيكون في الحقيقة منقسمة الى المسؤل وامثاله فمعنى
اتى رجل اي قسم من اقسام الرجل اذا قسموا رجلا رجلا واتى رجلين اي
اتى قسم من اقسام هذا الجنس اذا قسم رجلين رجلين وكذا يجوز يد افضل
رجل اي افضل اقسام هذا الجنس اذا كان كل قسم منه رجلا وهكذا غيره
الى هنا كلام الرضي رحمه الله قوله خصوصا بالباطل فان القرآن الكريم الذي كرر
الله تعالى تقريره جميع ما يحتاج اليه الانسان في كل واحد من الشأنين بوجوه
مختلفة واسالب عجيبة يتحير الناظرون فيها بالتأمل والاستبصار من اجل

شبكة الألوكة www.alukah.net

فضل الله تعالى ورحمته لعباده ومع هذا فانهم لا يتدبرون دلائله وما فيه من
الهدى والبيان لكونهم مجبولين على المجادلة والمخاصمة والعناد وبها يقطعون
الطريق على انفسهم فتارة يجادلون مع الانبياء ولا يقبلونهم بالنبوة
والرسالة حتى يقاتلونهم وتارة يجادلون في الكتب المنزلة ويقولون ما انزل
الله على بشر من شيء وتارة يجادلون في متشابهاتها وتارة في ناسخها ومنسوخها
وتارة في تفسيرها وتاويلها وتارة في اسباب نزولها وتارة في قراءتها وتارة
في فهمها وحدودها ونحو ذلك والتعرض الى المجادلة الى المجاملة والمجاهدة ومن
المنازعة الى التسليم والمطاوعة لامتلأت قلوبهم بنور المعرفة والهداية وتوصلوا
بذلك الى عز الدارين وكان الاتيان ظلوما جهولا قوله من الايمان او رد كلمة من
لتوضيح المعنى ولا خروج الى التقدير كما لان منع قد يتعدى الى مفعوله الثاني بنفسه
تقول اعطيته مالا ومنعته شرا فان قوله تعالى ان يؤمنوا منصوب المحل على انه
مفعول ثان لمنع وقوله الا ان تاتيهم مرفوع المحل على الفاعلية واوظرف لمنع قوله
وهو الاستيصال اي سنة الله تعالى في المصرين على الكفر والعناد بعد قيام الحجة
فظهور الآيات ان يعذبوا بعذاب الاستيصال وذلك لم يتحقق بعد في حقهم
حتى يجعل مانعا من ايمانهم فوجب تقدير المضاف وهم لا يجعلون ايمانهم موقوفا
عاينوه على عذاب الاستيصال او عذاب الآخرة لان العاقل لا يرضى بحصول هذين
الامرين الا انه قيل في حقهم انهم يزعمون ان الايمان متوقف عاينوه على احد الامرين
واعلم حصول الموقوف عليه مانع من حصول الموقوف تشبيها لحالهم بحال من
يعتقد توقف الايمان على احدهما ويترتب نزوله ليؤمن منه ومحصول المعنى
لم يمنع الناس من الايمان الا التعنت والعناد لانه قد ظهر لهم من الحجج والآيات
ما لو لم يعاندوا ولابكابروا لآمنوا بها والتصديق لكن الذي منعهم من
الايمان ما ذكر من عنادهم وقيل معنى الآية ما منع كفار مكة من الايمان بعد قيام
البرهان الا انه قدرت في حقهم ما هو سنتي فيمن قبلهم من المكذبين من التعذيب
فيكون الآية نازلة فيمن قتل من المشركين يوم بدر وأخذ قوله وهو لغة فيه للجوهري
رايته قبلا وقبلا بالضم اي مقابلة وعيانا ورايته قبلا بكسر القاف اي عيانا

والقبيل

والقبيل الكفيل والقبالة والجماعة من الثلثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج
والعرب والجمع قبائل وقوله تعالى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا قال الاخفش اي قبيلا قبيلا
وقال الحسن عيانا قوله استهزاء من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة والانذار هم او العقاب المنذر به ليس شيء منها استهزاء فانما بالمستهزئين للجوهري
الهزؤ والهزء والسخرية تقول منه هزئت منه وهزئت به واستهزأت به وتهزأت به
وهزأت به ايضا هزءا وهزأة ورجل هزأة بالتسكين اي يهزأ به وهزأ بالتحريك
اي يهزأ بالناس قوله على تقدير قوله مالا ادعوهم متعلق بقوله وجواب وقوله فان
حرصه على اسلامهم بيان لما يدل على المقدر يعني ان الجملة الشرطية جواب لقوله عدم المعلول
علته بما هو عليه من حرصه على اسلامهم فانه عدم لما قيل له انا جعلنا على قلوبهم اكنة وفي
آذانهم وقر فانهم منه انه قيل له انهم مؤدوا القلوب والآذان فاعرض عنهم واتركه
دعوتهم فنزل الكمال حرصه على اسلامهم منزلة من يسأل ويقول مالي لا ادعوهم
وقد بعثت للدعوة فاجيب عن هذا السؤال المقدر بانك ان تدعهم الى الهدى
لا يهتدوا ان يدعوك اذن ابدا في تلك الحال وهي كونهم مطبوعا على قلوبهم
وآذانهم وانما اشتمل للجواب على الشرط الذي هو سبب كان ما بعد اذن جزاء
سببا عنه فصح ان اذن جواب وجزاء قوله ولا بد من تقدير مضاف في احدهما
اما في تلك او في القرى اي اهل تلك القرى او تلك اصحاب القرى قوله لاهلاكهم
اشارة الى ان المهلك بضم الميم وفتح اللام على وزن اسم المفعول مصدر اهلك
ومن قرأه بفتحتين جعله مصدرا ميميا من الثلاثي على القياس قوله مقدر باذكر عطفا
على قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اي واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين المتكبرين على
فقراء المسلمين قصة موسى وتواضعه للذي ذهب اليه يتعلم منه وفيه تقريعهم على
تكبرهم ومدح المؤمنين على تواضعهم وفيه ايضا تعريف اهل الكتاب والمشركين
ان خفاء حال اصحاب الكهف وذي القرنين على محمد صلى الله عليه وسلم وتاخر الوحي
عنه لا يدل على انه ليس بنبي فان موسى عليه السلام كان نبيا اصطفاه الله تعالى
بكلامه وبانزال التوراة عليه ثم ذهب يتعلم من العلم ما علم غيره واي بعد في ان
يكون العالم الكامل في اكثر العلوم يجهل بعض الاشياء فيحتاج في تعلمها الى من دونه

قوله وقيل للمبرد لا نبرح كان الخبر محذوف والتقدير لا نبرح عن طلبه حتى نبلغ

شبكة الألوكة www.alukah.net

فلذلك ارشل موسى عليه السلام الى الخضر وقال له هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا فظهر ان هذه القصة مع كونها قصة مستقلة في نفسها فهي نافعة في تقرير المقصود من القصتين المتقدمتين قوله وقوله حتى ابلغ مجرور بالعطف على المجرور بالاضافة في قوله لدلالة حاله وقوله عليه ابو علي للخبر متعلق بالدلالة وتوضيح المقام ان لا ابرح يجوز ان يكون من الافعال الناقصة المستدعية خبرا منصوبا من قولهم لا ابرح افعل ذاك اي لا ازال فعله من زال يزال ولن يكون من الافعال التامة الغير المحتاجة الى الخبر من قولهم برح مكانه اي زال عنه وصار لا البراح وهو المتسع من الارض لا زرع فيه ولا شجر من زال يزول زوالا وازاله غيره فذكر المصنف اولا انه من الافعال الناقصة لكن حذف خبره لان الحال والكلام يدلان عليه مقاما اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مفروضة تستدعي ما هي غايته له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح ولا ازال اسير واسافر حتى ابلغ ثم ذكر وجها آخر كونه من الافعال الناقصة وهو ان الكلام حذف مضاف تقديره لا يبرح مسيري او لا يزيل المسير مسيري حتى ابلغ ثم حذف المسير واقيمت يا المتكلم مقامه فانقلبت مرفوعة مستترة بعد ان كانت مجرورة المحل بارزة وبنى حتى ابلغ خبرا على حاله الا ان قوله على ان ابلغ هو الخبر محل بحث وهو ان هذه الجملة خالية عن ضمير يربطها ويعود الى قوله مسيري فكيف تكون هذه الجملة خبرا عن مسيري بل الاصل والضمير الذي فيها يعود الى ضمير المتكلم الذي اضيف اليه المسير وذلك لا يكتفى به رابطا الا ان يقال العائد محذوف في تقديره حتى ابلغ به او مسيري او يقال جعلها خبرا على طريق التوسع والمبالغة اذ ما هو غاية للخبر متمم للخبر والتقدير لا يبرح مسيري حاصلا او مستمرا حتى ابلغ وفرقه من الوجه الاول مع اشتراك الوجهين في حذف الخبر ان حذف الخبر في الوجه الثاني متفرع على حذف المضاف من الاسم لانه في الوجه الاول فيهما متقاربان في التخريج النحوي وان اتحدا في الاحتياج الى حذف الخبر ثم ذكر وجها وهو ان يكون لا ابرح تامة بمعنى لا ازول على حذف الصلة اي لا ازول على ما انا عليه من السير ولا افارقه ولا اتركه حتى ابلغ وعلى هذا الوجه وان لم يحذف الخبر لكن حذف المفعول به الغير الصريح فالحذف لا بد منه على كل واحد من التقديرين

وكذا انقلب عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم ح

قوله وعند

قوله وعند الصخرة في الخضر روي ان موسى عليه السلام سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علم عسى ان يصيب كلمة تدل على هدى او ترده عن ردى فقال موسى ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادلني عليه فقال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه واذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان حتى بلغا مجمع بينهما فرقد موسى عند الصخرة فاضطرب الحوت فخرج الى البحر وسارت وفي كيفية خروجه روايات فقيل ان الفتى غسل السمكة لانها كانت مملحة فخرجت وسارت وقيل ان يوشع توضأ بذلك الماء من عين تسمى ماء الحيوة لا يصيب ذلك الماء شيأ الا حيي فانتضح الماء على الحوت الحالي فعاش ووثب في الماء وقيل انفجر هناك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة وهي في المكتل فاضطربت وعاشت فوثبت في البحر والحاصل انه وقع بين موسى عليه السلام ان هذا العالم موضعه مجمع البحرين وما عين له موضعا بعينه لكن جعل انقلاب الحوت حيا علامة دالة على ما هو المعين قوله والمعنى حتى ينبغ اما بلوغ المجمع على ان يكون كلمة او لاحد الشيئين ويكون قوله او امضي معطوفا على ابلغ اي لا ازال اسير حتى يكون احد الامرين اما بلوغ المجمع او مضي الحقب وحقبا منصوب على الظرفية قوله او حتى ابلغ الآن على ان يكون كلمة او بمعنى الآن اي لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين الآن امضي زمانا اتيقن معه فوات مجمع البحرين وهذا اخبار من موسى بانه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد في طلب ذلك العالم لعلمه بفضل ذلك العالم ان المتعلم لو سار المسافة الى المغرب لطلب مسئلة واحدة لحق له ذلك قوله فاعجب بها اي استحسنت تلك الفطنة لبلاغتها واشتمالها على المعارف والعلوم الكثيرة من قولهم اعجبني هذا الثوب لحسنه قوله وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وهو من اولاد سام بن نوح نبي ابراهيم عليه السلام وطاف المدنيا والخضر على مقدمته وسد على يأجوج ومأجوج وبنى الاسكندرية واما ذو القرنين الاصغر فهو اليوناني الذي قتل دارا وسلب ملكه وتزوج ابنته واجتمع له ملك الروم وفارس وطاف الدنيا وبلغ الظلمات وطلب عين الحيوة فلم يجدها ورجع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى العراق ومات بشهرزور وكان عمره ستا وثلثين وقال الامام اختلف الناس
في ان ذا القرنين من هو وذكروا اقوالا الاول انه هو الاسكندر بن فيلقوس اليوناني
والدليل عليه ان القرآن دل على ان الرجل المسمى بذي القرنين بلغ ملكه الى المغرب بدليل
قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة وايضا بلغ ملكه الى المشرق
بدليل قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وايضا بلغ ملكه اقصى الشمال بدليل ان
ياجوج وماجوج قوم من الترك يسكنون في اقصى الشمال وبدليل ان السد المذكور
في القرآن يقال في كتب التواريخ انه مبني في اقصى الشمال فهذا المسمى بذي القرنين قد
دل القرآن على ان ملكه بلغ اقصى المغرب والمشرق والشمال وهذا هو تمام القدر
المعلوم المحدود من الارض ومثل هذا الملك البسيط لا شك انه على خلاف العادات
وما كان كذلك وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الدهر وان لا يبقى مستترا والملك
الذي اشتهر في كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا الحد ليس الا الاسكندر وذلك
لانه لما مات ابوه فيلقوس جمع ملكوك الروم بعد ان كانوا طوائف ثم جمع ملوك المغرب
وقهرهم وامعن حتى انتهى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها
باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وزار بيت المقدس وذبح
في مذبحهم ثم انعطف الى ارمينية ونال الابواب ودانت له العراقيون والقبط
والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرات الى ان قتله صاحب حرسه فاستولى
الاسكندر على ممالك الفرس ثم قصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع
للخراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها فلما
ثبت بالقرآن ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية او ما قرب منها وثبت
بعلم التواريخ ان الذي هذا شانه ما كان الا الاسكندر وجب القطع بان المراد
بذي القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس اليوناني ثم قال الامام الا ان فيه اشكالا
قويا وهو انه كان تلميذ ارسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه في تعظيم الله تعالى
اياه يوجب الحكم بان مذهب ارسطاطاليس حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه
واجيب عنه بما روي من ان الخضر كان على مقدمة ذي القرنين فدعاه الخضر عليه السلام
الى الاسلام فاسلم وكان حاملة الخليل عليه السلام وقد اسبوزره فعمل منه بسببه

وبهذا

قالوا وهو ذو القرنين لقب الاسكندر الرومي صحاح

وبهذا يندفع الاشكال المذكور ان صح والله اعلم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كان للخضر ابن ملك من الملوك فاراد ابوه ان يستخلفه من بعده فلم يقبل وهرب
منه ولحق بجزائر البحر فطلبه ابوه فلم يقدر عليه قوله ابى بمجمع البحرين يعني ان ضمير
بينهما للبحرين وان حق الاجتماع ان يضاف الى البحرين لا الى البين وانما اضيف الى
البين توسعا قال الامام اجمع المفسرون على ان المعنى انطلق الى ان بلغا مجمع البحرين
بار جاع ضمير بينهما الى البحرين ويحتمل ان يرجع الى موسى والخضر عليهما السلام ويكون
المعنى ولما بلغا الموضع الذي هو مجمع موسى وصاحبه الذي كان يقصده لان ذلك
الموضع الذي وقع فيه نسيان الحوت هو الموضع الذي كان للخضر يسكن فيه او
يكثر بقربه والظاهر ان لفظ البحرين على هذا الاحتمال باق على اصل معناه لا كما
قبل من ان البحرين موسى وخضر عليهما السلام قوله لفتاه موسى ان يطلبه ويتعرف
حاله قيل النسيان فعل يوشع وحده والكلام على حذف المضاف اي نسي احدهما
كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمصنف لم يرض به بل جعل النسيان مسندا
اليهما على معنى نسيا امر الحوت نسي موسى تعرف حاله ونسي يوشع ان يذكر
لموسى ما شاهد من الحوت وهو اضطرابه ووثبته في البحر ذاهبا وقدر المضاف
لان من المعلوم ان نسي المراد من نسيان الحوت نسيان ذاته بل نسيان حاله
قيل انها خرجا من الشام وذهبا نحو ارمينية فانتهيا الى الصخرة التي قبل لموسى
انك تجد عندها العبد الصالح الذي تطلبه فلما انتهيا اليها وضع موسى عليه السلام
راسه فنام فاضطرب الحوت ووثب في البحر وشاهده يوشع ورآه ولم يره
موسى وارتحلا من ذلك الموضع ونسي يوشع ان يذكر ذلك لموسى وتوضيح
الفرق بين قوله نسي موسى ان يطلبه وبين قوله وقيل نسيا تفقد امره اما ينوقف
على بيان مقدمة وهي انه تبين لموسى عليه السلام ان موضع الخضر مجمع البحرين ثم
ان ذلك المجمع لما كان مكانا متسعا ويضا لا يتعين ان موضع ملاقاة الخضر من ذلك
المكان المتسع اي موضع هو جعل فقدان الحوت المشوي علامة ودلالة على الظفر
بالمطلوب وتعيين مكانه من بين ذلك المكان المتسع الذي عبر عنه بمجمع الامرين فلما
بلغا ذلك المجمع الذي يتعين به مسكن الخضر بنوع تعين كان على موسى عليه السلام ان يطلب

ما به يتعين خصوص مسكنه ويتعرف حاله هل هو باق في المكتل او مفقود فاجاب
وكان على يوشع ان يذكر له ما رآى من حاله فنسى كل واحد منهما ما هو اللائق بحالهما
وارتحلا من ذلك الموضع من غير ان يطلب موسى الحوت ويتعرف حاله ومن غير ان
يذكر يوشع ما رآى من حيوة الحوت ودخوله البحر وهذا ما اختاره المصنف وذكره
بقوله نسى موسى ان يطلبه الخ ولم يرض بقول من قال ان ما نسيه كل واحد منهما
امر واحد هو تفقد ما كان امانة على الظفر بالمطلوب من احوال الحوت لان هذا
هو الذي نسيه موسى واما يوشع فقد شاهد من الحوت هذه الامانة وانما نسي
ان يذكرها لموسى قوله سربا على ان السرب مصدر كالطلب اريد به الموضع والمذهب
الذي يتسرب فيه اي يسلك ويذهب من قولهم تسرب اي ذهب على وجهه في الارض
والسرب ايضا بيت في الارض لا منفذ له واذا كان له منفذ فهو نفق للجوهر
النفق سرب في الارض له مخلص الى مكان فقيل ومنه السرب في الاية روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال معنى الاية جعل سبيله في البحر كالسرب على معنى انه دخل
في البحر كما يدخل في السرب كان الماء ارتفع بعضه فصار كالطاق والكتة فذهب الحوت
فيه فصار الماء على الحوت مثل الطاق فصار للحوت في البحر كالمنفذ في السرب قوله ما نتغدى به
الغداء ما يؤكل بالغداة والعشاء ما يؤكل بالعشية قوله قيل لم ينصب حتى جاوز
الموعد فيكون كلام هذا اشارة الى تعليل ما بعد المجاوزة وكان هذا السير اتعب
لهما مما سبق لان مجاوز المطلوب يوجب البعد والخيبة بعد التعب ولهذا اورد
في الحديث ان موسى لم ينصب الا بعد مجاوز الموضع الذي حده الله تعالى قوله ارايت
ما دهاني اذ اوينا معنى ان قوله ارايت بمعنى اخبرني حذف مفعوله الذي هو المستخبر
عنه وهو المظروف لقوله اذ اوينا وهو ايضا سبب لقوله فاني نسيت الحوت وحذف
لدلالة مقام الخبرة عليه ونهر الزيت علم لنهر هناك سمي نهر الزيت لكثرة اشجار
الزيت على شاطئه قوله تعالى وما انسانيه قراءة حفص بضم الهاء فيه وفي قوله تعالى سورة
الفتح عليه الله في الوصل والباقون بكسرها فيهما وان اذكره في محل النصب على انه
بدل من هاء انسانيه بدل الاشتمال اي انساني ذكره قوله سبيلا عجبا على ان يكون فاعل اتخذ
ضمير الحوت وسبيلا اول مفعولي اتخذ وفي البحر يجوز ان يتعلق بقوله اتخذ وان يتعلق بمحذوف

على انه حال

على انه حال من المفعول الاول والثاني وعجبا صفة لمحذوف هو ثاني المفعولين قوله واتخذ
عجبا على ان عجبا صفة لمحذوف هو مفعول مطلق لاتخذ وفي البحر هو المفعول الثاني له
قوله او موسى يجوز به عطف على المستتر في قال للفصل مقام التاكيد
اي قال فتى موسى في آخر كلامه عجبا اي عجبت عجبا فحكى الله تعالى ذلك منه او قال موسى
ذلك في جواب فتاه فحكى الله تعالى ذلك منه وهذا الاحتمال الاخير ليس مما يقول عليه
لان موسى عليه السلام لما قال ليوشع آتنا غداءنا اجابه بقوله ارايت اذ اوينا
الى الصخرة وهي كلمة تعجب فلما بلغ قوله واتخذ سبيله في البحر تعجب موسى من ذلك فحكى الله تعالى
تعجبه ولا ارتياب في نقله وبعده من بلاغة التنزيل بل ينبغي ان يكون عجبا مفعول فتى
موسى قوله يقتصان قصصا على ان قصصا مصدر منصوب بفعل مقدر من لفظه او
مصدر لقوله فارتدا على آثارهما لان معناه اقتصا على آثارهما قوله او مقتصين
على انه مصدر بمعنى اسم الفاعل فنصبه على الحال قوله مما يختص بنا فان قوله تعالى من لدنا يدل
على ان ذلك العلم حصل عند الخضر من عند الله تعالى من غير واسطة والصوفية سموا
العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم اللدنية قوله تعالى علما مفعول ثان لعلمناه
ولو كان مفعولا مطلقا لقيل تعليما وقوله من لدنا يجوز ان يتعلق بالفعل قبله او بمحذوف
على انه حال من علما قوله وهو في موضع الحال من الكاف في اتبعك اي اتبعك باذلا علمك
قوله او مصدر باضمار فعله اي علمك ان تعلمني وترشدني رشدا او مما علمت وانشدت
رشدا قوله فانسي جهلك فان قوله على ان تعلمني اقرار منه على نفسه بالجهل وعلى اتصافه
بالعلم وقوله مما علمت كلمة من فيه للتبعيض فطلب منه تعليم بعض ما علم كانه يقول
لا اطلب منك ان تجعلني مساويا لك في العلم بل اطلب منك ان تفيدني بعض ما علمت
دون انه لما قال موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال له الخضر كفى بالتوراة
علما وبني اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله امرني بهذا فحينئذ قال له انك لن تستطيع
معي صبرا واغا قال ذلك لانه علم انه سيرى امورا كثيرة منكرة بحسب الظاهر ولا يجوز
للانبياء ان يصبروا عن المنكرات ثم بين عذره في تركه الصبر فقال وكيف تصبر على
ما لم تحط به خبرا وخبرا تمييز لنقله لم تحط وهو منقول من الفاعلية اذ الاصل بما لم تحط
به خبرك ابو علي ويجوز ان يكون مفعولا مطلقا من غير لفظ الفعل لان قوله لم تحط به

شبكة الألوكة www.alukah.net

بمعنى لم تخبره بخبر الجوهري من اين خبرت هذا الامر ايه من اين علمت والاسم
الخبر بالضم وهو العلم بالشئ وقولهم لاخبرنّ خبرك ايه لاعلقن علمك قوله وفيه دليل
على ان افعال العباد واقعة بمشية الله فان الصبر في مقام التوقف واجب ما امر به
فلو كان جميع ما امر الله به واوجبه على العبد اراد الله تعالى لما كان لتعليق صبره
بمشية الله وجه فان كلمة ان تفيد الشك فقوله ستجدني ان شاء الله صابرا
ستجدني صابرا ان شاء الله كونه صابرا وهذا يقتضي وقوع الشك في ان الله
تعالى يريد كونه صابرا ام لا وكونه مشكوكا فيه يدل على انه تعالى قد لا يريد من العبد ما
اوجبه عليه وانه تعالى قد يامر بالشئ مع انه لا يريده الا كما زعمت المعتزلة من
ان الامر يستلزم الارادة ولما كان تحقق مشية الله تعالى غيبا لا يعلم حصولها
الا اذا علمنا حصول متعلقها كان تعليق ما التزمه من الصبر بحصولها موهما لكونه
غير عازم عليه ومعلوم انه عازم على الصبر فيكون تعليق الوعد بالمشية اما للتيمن
او لعله بصعوبة الامر لاكدنه غير عازم على الصبر كتعليق من قال انت طالق
ان شاء الله فانه لا يقع الطلاق به والا يكون الزوج عازما على الطلاق بهذا القول
ومقصود المصنف من هذا الكلام دفع ما يقال من ان ما حكاه الله تعالى من الخضر
وموسى عليهما السلام يستلزم صدور الكذب عن احدهما فان الخضر قال لموسى
انك لن تستطيع معي صبرا وقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا وكل واحد من
هذين القولين يكذب الآخر فيلزم لحاق الكذب باحدهما وصدور الكذب من
احدهما بنافي عصمة الانبياء وتقرير الجواب انه لم يصدر الكذب عن واحد منهما
اما عن الخضر فلتحقق عدم الصبر من موسى باستنكاره عما رآه من الخضر وانكره نظرا الى
ظاهره واما عن موسى فلانه قد استثنى في جوابه فقال ستجدني ان شاء الله صابرا
فان التعليق بالمشية يدفع الحنث وينافي الكذب قوله وقيل انه من معاريض
الكلام بان لا يكون النسيان بمعنى الترك بل يراد به ما يقابل الذكر الا انه لا يراد به
نسيان وصيته بل النسيان في الجملة اذ الانسان لا يخلو عن نسيان ما روي
عن ابن عباس انه سمي نسيانا لانه عهد اليه فنسي والتعريض خلاف التصريح وذلك
يكون بان تقرح بذكر شئ وتميل كلامك الى عرض وناحية لم تذكر كقولك ما اقبح البخل تعرض به

المتى طلب

المتى طلب انه يحمل فعل الاول فكان موسى نسي وصيته للخضر حقيقة ونهاه عن المواخذة
معتذرا بالنسيان المانع عنها وعلى الثاني لم ينس في نفس الامر بل نهاه عن اخذه
بالنسيان موهما ان ما صدر عنه انما صدر عن نسيان وانما احتيج الى جعل الكلام
من قبيل المعاريض او حمل النسيان على الترك لان المواخذة بالنسيان حقيقة مما
لا يصدر من النبي فلا يحتاج الى النهي عنها وجعل صون النهي في الوجه الاول طريقا
الى الاعتذار بالنسيان الناشئ عن قلة التحفظ قوله ولذكره ابو وكون الفعل اقبح
والاعتراض عليه ادخل فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا فان النكر اعظم من الامر
في القبح لان ما يشتد ويعظم من الامور لا يلزم ان يكون منكرا والشئ انما يكون نكرا
اذا انكرته العقول ونفرت عنه الطباع والنفوس قوله قد في نقر الخبيبين قدي
اكتف بتحريك الدال من قدني عن نون الوقاية والخبيبان عبد الله بن الزبير وابنه
خبيب وقيل هو واخوه مصعب ومن روى الخبيبين على الجمع اراد ثلثتهم وقرأ
من بقي من نافع وابن بكير لدني بضم الدال وتشديد النون عن الزجاج قال اجود
القراءات تشديد النون لان اصل لدن الاسكان فاذا اضفته الى نفسك زدت
نونا للسلم سكون النون الاصلية فتقول من لدني كما تقول مني وعني ومن قال لدني
لم يجز له ان يقول مني وعني بتحريك نون الوقاية لان لدن اسم غير متمكن فلا يغير في تحريك
آخره بخلاف من وعن فانها حرفان والدليل على ان الاسكان جائز فيها حذف النون قولهم
قدني قد فان قد اسم غير متمكن قال الكسائي سمعت بعض العرب بعد ما ذكر ان كلمة قد حرف لا تدخل
الا على الافعال واما قولهم قدك بمعنى حسبك فهو اسم تقول قدني وقدني ايضا بالنون
عاصم غير العباس لان هذه النون انما تزاد في الافعال وقاية لها عن صورة الجر مثل ضربني
وشتمني قوله تعالى استطعما اهلها ابيا سماهم لاكمهم الطعام فان آخر كب للجائع الاقدام
على المسئلة والاستطعام وهو امر مباح في كل الشرايع وربما يجب ذلك عند خوف التلف
والخبر الشديد عن اتى بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كانوا اهل قرية لئام
قال الامام رايت في كتب الحكايات ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية
استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل من الذهب وقالوا يا رسول
الله نشتري بهذا الذهب ان تجعل انها راحتي فصير القرآن هكذا فانتوا ان يبيعوها

حكايه غريبه

اي اثنتين لان يقضيه موسى ابا كان اتيان اهل تلك القرية اليهما لاجل الضيافة وقالوا
غرضنا منه ان يندفع عنا هذا اللوم فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان
تفسير هذه النقطة يوجب دخول الكذب في كلام الله وذلك يوجب القدح في الالهية
فعلمنا به ان تفسير النقطة الواحدة يوجب بطلان الربوبية والعبودية قوله فاستعفر
الارادة فانها لكونها من صفات الاحياء لا يوصف الجدار به حقيقة فشبه مشارفة الجدار
للانقضاض بالارادة لجامع الميلان فاستعيرت لها فهنا استعارتان تبعيه قوله
يلفق شمل ايجمع ما تشتت من امرهم وجملها اسم محبوبته يقول ان دهرا يجمع بيني
وبين محبوبتي دهر مثله الاحسان لا الاساءة شبه مساعدة الزمان لاجتماعه مع
محبوبته بالتهام فاستعير لها قوله وقرئ ان ينقض على بناء المفعول من النقض
بمعنى الهدم يقال نقض البناء ينقضه اذا هدمه وان ينقاض من قاضه ينيضه
اي كسره وتقول العرب انقاضت السن اذا انشقت طولا قوله ليتعاقبا اي
ليتقوبا وبه تتعاون الخياط الفرون يقال نعشه الله اي رفعه وانتعش
العائر اذا نهض من عثرته نفى عنه مشية اتخاذ الاجر على عمله نحو يضيائه على اخذه
كانه قال لم تشاء ذلك وقد ترى حالنا وحالهم قوله او تقريعا بانه اي باعتبار الاشتغال
باصلاح الجدار فضول اي فعل زائد لا يهمنا لانك لا تفعل لاخذ الاجر وليس لنا في نفس
اقامة الجدار فائدة فهي من فضول العمل قوله واتخذ افتعل من تخذ عاوزن علم والظاهر
انه افتعل من اخذ اصله ائتخذ ابدلت الهمزة ياء ثم ابدلت الياء تاء ثم ادغمت التاء
في التاء وذلك لان مادة تخذ لم تذكر في البحر هي بل قال الاتخاذ افتعال من الاخذ
الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال الياء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال
توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل وقالوا اتخذ يتخذ وقرئ لتخذت
عليه اجرا وقولهم اخذت كذا يبدلون الذال تاء فيدغمونها في التاء هذا كلامه الا
ان البحر بين لم يجعلوه من الاخذ بناء على انه لما جاء في بعض القراءات لتخذت علم ان هذه
اللغة واقعة في كلام العرب وكانت التاء الاولى في اتخذ دائرة بين الاصالة والانقلاب
عن الهمزة ولا شك ان الاولى تحمل على الاصالة فلهذا قطعوا بانه ليس من الاخذ قوله
الاشارة الى الفراق الموعود فان الخبر اليه لا يجب ان يكون موجودا حاضرا وقت الاشارة

بل يكفي

بل يكفي ان يكون موجودا اذ هنا ويدل عليه قوله تلك الدار الآخرة وهي معدومة
وقت نزول القرآن ولما وعد موسى عليه السلام انه ان حدثت منه مسئلة ثالثة
ان يفارقه ولا يلح عليه في المصاحبة فلما وقع منه الاعتراض علم انه ترك الاجر وحل مبعاد
الفراق الموعود فصور الخضر عليه السلام ذلك الفراق المعهود فاشار اليه وجعله مبتدا
واخبر عنه عاطريق قولك هذا اخوك فان لفظ هذا فيه لا يشار به الى غير الاخ فكذا
في الآية فوضح الاعتراض الثالث بكونه سبب الفراق دون الاولين لان لموسى عليه
السلام في السؤالين الاولين عذرا وهو كون ظاهرهما كان منكرا بخلاف الاعتراض الثالث
فانه غير مبني على امر منكر وانما بناه على طمعه الذي هو منكر في نفسه فان الطمع اردأ الخصال
فلما نطق موسى عم ما بيني على الطمع قال له الخضر هذا فراق بيني وبينك وجعله سببا
للفراق واصله هذا فراق بيني وبينك فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به
قوله سأنبئك بتأويل الباطن لك ايا بالحكمة التي خفي عليك فيما توليته من الامور سميت
تأويلا لكونها مرجعا ومصير الشكل الامور من قولهم آل الامر الى كذا اي صار اليه وذلك
لحكمة خفيت على موسى لان احكام الانبياء عليهم السلام مبنية على الظواهر كما قال
عم نحن نحكم بالظواهر والله يتولى السرائر والامور وبواطنها هو الله تعالى والظاهر في
اموال الناس ونفوسهم ان يستبدوا بها وان لا يكون لغيرهم ولاية التصرف فيها
والخضر لما تصرف في اموال الناس ونفوسهم من غير سبب ظاهر يصح ذلك التصرف
كان ذلك التصرف منكرا في حكم الشرع الا انه تعالى لما آتى الخضر فوق عقلية قدر بها على ان يطلع
على بواطن الامور ويقف على الاسرار الكامنة التي هي اسباب معتبرة في نفس الامر
لما ذكر من التصرفات فعل ما فعل لتلك الاسرار الخفية ولتلك الحكم الكامنة فظهر بهذا تفاوت
ما بين موسى والخضر عليهما السلام في باب العلم وان مرتبة الخضر كانت فوق مرتبة موسى فيه
فان قيل ظهر بما ذكرتم انه تعالى خص الخضر بعلمه من العلوم اللدنية وان مرتبته فوق مرتبة
موسى باختصاصه بتلك العلوم والاطلاع على بواطن الاشياء وحقايقها الا ان هذا النوع
من العلم لا يمكن تعلمه وموسى عليه السلام انما ذهب اليه ليتعلم منه العلم فكان من الواجب
على الخضر ان يظهر له على يمكن تعلمه ومن المسائل الثلث علوم لا يمكن تعلمها فما الفائدة
في ذكرها واظهارها فالجواب ان العلم بالاسرار الكامنة وان كان لا يمكن تعلمه بنفسه

من البشر الا انه يمكن ان يتعلم ان طريق حصوله تصفية الباطن وتجريد النفس
وتطهير القلب عن العلايق البدنية ثم ان موسى عليه السلام لما استكمل بمعرفة
الشرايع الطاهرة بعثه الله تعالى الى هذا العالم ليعلم ان كمال الانسان بان يشتغل
من علوم الشريعة المبنية على الظواهر الى علوم البواطن والحقايق المبنية على
التنزه عما يشغل سره عن الحق والتوجه بشراسره الى جناب القدس وعالم
الغيب قوله فدامهم او خلفهم يعني ان لفظ وراء من الاضداد يطلق على كل واحد
من جهتي الامام والخلف قال تعالى من ورائهم جهنم اي امامهم وقال ويذرون وراءهم
يوما ثقيلا وذلك ان وراء وان كان ظرف مكان الا انه ماخوذ من التواري وهو
الستر والاختفاء يقال واريت الشيء اي اخفيته وتواري هو اي تستر
وكل ماغاب عنك فقد توارى عنك وانت متوار عنه فيصح ان يقال لكل
ماغاب عنك فقد انه وراءك وما كان امام الشيء او قدامه اذا كان غائبا عنه
لايبعد ان يطلق عليه لفظ وراء وكون الوراء في الآية بمعنى القدام اصح لورود
في القرآن بذلك المعنى وقراءة ابن عباس وكان امامهم ملك وان كان الملك
الغاصب في جهة خلفهم لابد ان يكون مرجع السفينة عليه حتى تكون خرقها فائتة
وقوله كل سفينة غصبا يحتمل ان تكون مصدرا في موضع الحال وان يكون مفعولا
مطلقا لبيان نوع الاخذ ثم رجع التقهقري قوله وانما قدم للعناية يعني قدم السبب
الذي هو ارادة التعييب على السبب وهو خوف الغصب مع ان حق السبب
ان يترتب على السبب وتاخر عنه لوجهين احدهما العناية بتقديمه ووجه
العناية ان موسى عليه السلام بنى انكاره على خرق السفينة على كون خرقها
مؤديا الى اغراق اهلها فمتى خرقها فانما يريد اغراق اهلها فكان الاهم بالنسبة
الى المجيب ان يدفع مبنى انكاره فدفعه اولا بان خرقها لارادة تعييبها لا لاجل
الاغراق وثانيهما ان السبب ليس مجرد خوف غصب السفن الصحيحة بل كون
السفينة للمساكين جزء من سبب التعييب بل هو اقوى الجزئين وادعاهما الى
التعييب فلذلك قدم ورتب عليه ارادة التعييب وذكر الخرق الاخر عقيبه
على سبيل التقييد لانه حال من فاعل اردت باضمار قد قوله او يقرن باحدهما

عطف على

عطف على قوله فيلحقهما شرا يعني ان انباءه الطغيان واغشاءه اياهما يحتمل ان يكون
المراد به ان يوذيهما ويلحقهما شرا بسبب عقوقه وان يجمع بين كفره وايمانهما
في بيت واحد يقال قرنت الشيء بالشيء اي وصلته به ويقال غشيه غشيانا
اي جاءه واغشاه اياه غيره كذا في الصحاح قوله او يعديهما بعلته عطف على
ما قبله ايضا وهو من العدوان بمعنى تجاوز نحو الجرب عن صاحبه الى غيره
يقال انخذرني فلان فلانا من خلفه او من علة به او جرب اي وجب ويحتمل ان يكون
المراد باغشاءه الطغيان اياهما ان يحملهما حبه على ان ينابعاه على دينه او يتقولا
باضلاله والمماراة المماحكة يقال ماراه مماراة اي ساعره
عليه وشاغبه قوله اي فكره كراهة من خاف على ان يكون قوله نخاف استعارة
تبعية متفرعة على المجاز المرسل حيث اطلق اسم السبب وهو خوف
العاقبة على المسبب الذي هو الكراهة واسندت الكراهة المبتنية على
الخوف اليه تعالى تشبيها لكراهته تعالى بكراهة الخائف قوله ويجوز ان يكون قوله
فخشينا حكاية لقوله الله عز وجل عطف على قوله واما خشي ذلك والمعنى
ان الله تعالى اعلم بحال الغلام واطلعه على سره وقال له اقتل الغلام لان نكره
كراهة من يخاف سوء العاقبة ان يرهق الغلام والديه المومنين طغيانا
وكفرا وانما قال للخضر اما الغلام فكان ابواه مؤمنين ورجح قول الله تعالى
فخشينا في اثناء كلامه ولم يقل فخشيت ايماء الى اضمحلال ارادته في ارادة
الله تعالى واعلاما بان علمه مقتبس من المشكوة القدسية ولا سبب فيه لرأيه
وتحقيقا لقوله تعالى وآتيناه من لدنا علما كما قال جبرائيل عليه السلام لمريم
لاهب لك غلاما والواهب هو الله تعالى وهو مبلغ الكلام الله تعالى اياها قوله
وبين الاب الذي حفظا فيه ابر روي جانبها لاجله وكرامته المغرب للحفظ خلاف
النسيان وقد يجعل عبارة عن الصون وتركه الابتذال قوله ومبنى ذلك ان
مبنى ما فعله الخضر في المسائل الثلثة تحمل ادنى الضررين لدفع اعلاهما اما المسئلة
الاولى فلان الخضر علم انه لو لم يعب تلك السفينة بالتخريق لغصبها ذلك الملك
وفاتت منافعها عامة ملاكها بالكلية وان خرقها ينتقص بعض ماليتها وهو اهون

بالنسبة الى الضرر الاول فوجب تحمله دفعا لما هو اعظم منه فكذا المسئلة الثانية فان
قتل ذلك الغلام حيا كان مضرة للوالدين في دينهما ودنياهما وهو اعظم
بالنسبة الى ضرر قتله ولولا ذلك لما اقدم على قتله وكذا المسئلة الثالثة لان
المفسدة الحاصلة بسبب الاقدام على اقامة ذلك الجدار المائل السهل من المفرة
الحاصلة بسبب ترك اقامته لان ذلك الجدار لو سقط لضاع مال اولئك الايتام
وفيه ضرر شديد وقيل كان تحت الجدار لموسى حين قال له اخرقتها لتغرق اهلها قد القتل
انك في البحر فلم تغرق فلم خفت الغرق عليهم مع حفظ الله وقال قتلت
نفسا زكية بغير نفس قال انك قتلت القبطي بالوكزة فلم تعاتبوك فلم تعاتبني
بهذا وقال له لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال انك سقيت لابنتي شعيب
فلم تطلب لذلك اجرا فلم تامرني بذلك فكان له وجوه تنبيه في هذه القصة
قال وهب ثم انطلق الخضر وموسى حتى قعدا على الصخرة فاقبل طائر فغمس
منقاره في البحر ثم اخرجه فمصه على جناحه فقال الخضر انه يقول ما علم المخلوق في
علم الله الا بقدر ما حملت بمنقاري وقال موسى للخضر حين اراد ان يفارقه
اوصني فقال يا ابن عمران اياك والحاجة ولا تكن مشاءا في غير الحاجة ولا تضحك من غير
عجب ولا تعير الخاطئ بخطيئته وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم لغد
وروي ايضا ان موسى لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لا تطلب العلم
لتحدث به واطلبه لتعمل به قوله يعني اسكندر الرومي فيه نظر لان الاسكندر
الرومي هو ذو القرنين الثاني والذي ذكر في القرآن هو الاول وبينهما ازيد
من الفي سنة وذو القرنين الاول كان مؤمنا عبدا صالحا وقيل كان نبيا وقد
اسلم على يد ابراهيم عليه السلام وكان وزيره الخضر وهو اول ملوك التبابعة
وكانت مدة ملكه الفي سنة لانه كان في دين الخليل الى ان ادركه سن العدم
وما بعده وكانت امه رومية وكان يقال له فيلسوف العقل وذو القرنين الثاني
كان فيلسوفا حكيما مشركا كافرا وكان وزيره ارسطاطاليس فيلسوف كذا نقل
من تاريخ ابن كثير وفي تفسير الكواشي انه لما سئل عن ذي القرنين فقال لم يكن نبيا
ولا ملكا كان عبدا احب الله فاحبه الله وناصح الله فناصحه واسمه عبد الله والاسكندر

من القرون

من القرون الاول من ولد يونان بن يافث بن نوح او كان بعد ثمود قالوا وعاش
الفا وستمائة سنة قوله قرنا من الناس الجوهري القرن من الناس اهل زمان
واحد ويطلق القرن ايضا على ثمانين سنة وقيل على ثلثين سنة وعلى ما
جاء في الستن تقول هو على قرن ابي على سني وعلى جانب الراس ايضا قيل
ومنه سمي ذو القرنين قد ذكرنا في اول هذه السورة ان اليهود امروا المشركين
ان يسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة اصحاب الكهف وعن قصة ذي
القرنين وعن الروح فالمراد من قوله ويسالونك عن ذي القرنين هو ذلك
السؤال وعن عقبة بن عامر قال ان نفرا من اهل الكتاب جاؤا بالصحف او الكتب
فقالوا يا رسول الله استاذن لنا عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم لنرخل عليه فانصرف اليه
فاخبرته بمكانهم فقال عم مالا ولهم يسالونني عما لا اعلم انما انا عبد لا علم لي الا
ما علمني ربي ثم قال ائتيني وضوءا توضأ به فتوضا ثم قام الى مسجد في بيته
وركع ركعتين فانصرف حتى بدا السرور في وجهه ثم قال اذهب فادخلهم ومن
وجدت بالباب من اصحابي قال فادخلتهم فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال
لهم ان شئتم اخبرتكم بما اردتم ان تسالوني عنه وان شئتم غير ذلك فافعلوا
فهذا ان ثبت يدل على انه نزل بناء ذي القرنين وخبره قبل ان يسالوا عنه
واما اهل التاويل فانهم قالوا جميعا انه سئل قبل ان ينزل عليه خبره ثم نزل
ذلك بعد السؤال قوله وصلة اي ما يتوصل به كالقربة بمعنى ما يتقرب به قالوا
السبب في اصل اللغة عبارة عن الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به الى المقصود
فهو يتناول العلم والقدرة والآلة فالمعنى واعطيناه من كل شئ من مقاصد
واغراضه الامور التي يتوصل بها الى تحصيل ذلك الشئ فانه تعالى اعطاه من اسباب
كل شئ يحتاج اليه في فتح الممالك وضبطها وتدبير امرها ما يتوصل به الى تحصيل ذلك
المراد فالمقصود اراده حيا الله له ما يوصله اليه فيتبعه قرأ نافع وابن كثير
وابو عمرو فاتبع سببا بوصل الهمزة وتشديد التاء وكذلك ثم اتبع ابن سلمة
وسلام وقرأ الكوفيون وابن عامر فاتبع ثم اتبع في الثلثة بقطع الهمزة وتخفيف
التاء فقيل هما بمعنى واحد فيتعدى بان الى مفعول واحد وقيل اتبع بالقطع متعد

الى اثنين حذف احدهما تقديره فاتبع سببا سببا اخر او فاتبع امره سببا فمعنى الآية
انه تعالى لما اعطاه من كل شئ سببه فاذا اراد شيئا اتبع سببا يوصله اليه قوله
او حمئة عطف على قوله حارة او يجوز ان يكون حامية بالالف بدون الهمز بمعنى حان
من قولهم حمى النهار بالكسر وحمى التنور حميا اذا اشتد حره ويجوز ان يكون
بمعنى حمئة بهمزة من غير الف اى ذات حمأة وهى الطين الاسود على ان يكون
ياء حامية مقلوبة عن الهمزة فيكون قراءة حمئة وحامية بمعنى واصل قوله ولعلم
بلغ جواب سؤال مقدر وهو ان يقال قد تقرر ان الشمس فى السماء الرابعة ولها
فلك خاص يدور بها فى السماء فكيف يكون غروبها فى عين حمئة وتقرير الجواب انه
تعالى لم يخبر بان غروبها فى الحقيقة فى عين حمئة وانما اخبر بان ذا القرنين يجدها ويظن
انها تغرب فيها حيث قال وجدها تغرب فى عين حمئة فانه لما بلغ موضعا من المغرب
لم يبق بعده شئ من العمارات وجد الشمس كانها تغرب فى عين العين المظلمة
وان لم تكن كذلك فى الحقيقة كما ان راكب البحر يرى الشمس كانها تغيب فى البحر
اذا لم ير الشط وهى فى الحقيقة تغيب وراء البحر ولا شك ان البحار الغربية قوية
السخونة فهى حامية وهى ايضا حمئة لكثرة ما فيها من الماء ومن الحمأة السوداء
فقوله تغرب فى عين حمئة اشارة الى ان الجانب الغربى من الارض قد احاط البحر به
وهو موضع شديد السخونة قال اهل الاخبار فى صفة ذلك الموضع اشياء
عجيبة قال ابن جريج هناك مدينة لها اثنى عشر الف باب لولا اصوات اهلها
لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب واسمها رومية وفى رواية لسمعوا صوت
حرها فى السماء كصوت المنشار فى الخشب وروى ان الله تعالى خلق مدينتين
احدهما بالمشرق واسمها بالسريانية برقيا وبالعربية جابلق والاخرى بالمغرب
واسمها بالسريانية برجيا وبالعربية جابل وهى التى تقول لها الناس جابلسا
وعلى كل مدينة منها عشرة آلاف باب بين كل باب بين مسيرة فرسخ يبيت كل يوم على كل
باب من هذه الابواب عشرة آلاف رجل لا يعودون فى التوبة ابدا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لولا كثرة ما تين المدينتين وصيحتهم
لسمع اهل الدنيا سقوط الشمس حين تسقط وحين تطلع ومن وراء ما تين المدينتين

اربع امم ناسك ومنسك وهابل وناوبل ومن دونهم يأجوج ومأجوج وقد انطلق ذو القرنين
لبلة اسرى فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله فاجابوا ان يجيبوني فحشر في النار مع من
عصى من ولد آدم وولد ابليس ثم انطلق الى المدينتين فدعوتهم الى الله فاجابوني
فهم اخوانا في الدين من احسن منهم فهو معي بحسنكم ومن اساء منهم فهو معي بسيئكم
ثم انطلق الى الامم الاربع فدعوتهم الى الله تعالى فابوا وكذبوا وكفروا فهم مع يأجوج ومأجوج
في النار وقد قبل من ورائهم هؤلاء الامم الاربع امم آخرون وكل هؤلاء الذين ذكرناهم
من اولاد يافث بن نوح قوله مخبرة الله تعالى بقوله قلنا يا ذا القرنين وهو يدل على انه تعالى
تكلم معه من غير واسطة وذلك يدل على انه كان نبيا وحمل هذا اللفظ على ان المراد انه
تعالى خاطبه على لسان بعض الانبياء عدول عن الظاهر والقول بان القول بمعنى الالهام
لا يخلوا عن بعد فنقل الامام الواحدي عن ابن الانباري انه قال ان كان ذو القرنين
نبيا فان الله تعالى قال له كما يقول للانبياء اما بتكليم او بوحي ومن قال لم يكن نبيا قال
معنى قلنا الهمنا لان الالهام ينوب عن الوحي كقوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان
الهمنا فاما قوله تعالى اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا فاختار فراء من عدا حفص وحمزة والكسائي وهى
رفع جزاء من غير تنوين باضافته الى الحسنى على ان جزاء مبتدا والخبر قبله خبره والحسنى
صفة لمحذوف اى فله جزاء فعلته الحسنى وهى الايمان والعمل الصالح قوله وقد يسر
ذا التيسر يعنى ان تيسرا صفة مصدر محذوف اى قولا ذا تيسر وتبيين بقوله من امرنا
للدلالة على انه لا يأمر بالعنف الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج
ونحوهما ثم ان ذا القرنين لما وصل الى اقرب الاماكن الممكنة من مغرب الشمس انصرف
عنه وقصد اقرب الاماكن الممكنة من مطلع الشمس حتى بلغ طرفا يوصله اليه والعامة
على كسر اللام من مطلع وهو اسم مكان بحسب استعمال العرب ومن فتح اللام لا يريد
المكان لانه خلاف ما تواطأ عليه اهل اللغة بل يريد المصدر فيحمل الكلام حينئذ على
اضمار المضاف الا ان عبارة ابى البقاء تشعر انه لا فرق بين فتح اللام وكسرها
في جواز حمل الكلمة على المعنيين حيث قال مطلع الشمس يجوز ان يكون مكانا وان
يكون مصدرا والمضاف محذوف اى مكان طلوع الشمس قوله لغراية لغتهم اى لكونهم
لا يعرفون من غير لغة انفسهم فما كانوا يفقهون اللسان الذى يتكلم به ذو القرنين وقوله

وقوله تعالى من دونهما يعني امام السدين قوله اي قال مترجمهم لما وصفهم الله تعالى بانهم
لا يفقهون قولا ولا يفقهون غيرهم احتاج ذو القرنين في فهم كلامهم وتفهيم
كلامه اياهم الى من يترجم بينه وبينهم ووجود ذلك المترجم من جملة الاسباب
التي اتاه الله تعالى اياه قوله تعالى حتى اذا ساوى بين فيه اضمار اي فاتوه بها فنضدها اي
وضع تلك الزبر بعضها على بعض حتى صارت بحيث سد ما بين الجبلين الى اعلاهما
وصارت الزبر المنضودة مساوية لهما كالحشو فيما بينهما ثم وضع المنافخ عليها
فنفخ فيها حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فالتصق
بعضه ببعض وصار جبلا صلدا قوله بين جانبي الجبلين سمي كل ناحية من ناحيتي
الجبلين صدفا كونه مصادفا ومقابلا للاخر من قولك صادفت الرجل اي لاقيته
وقابلته واعلم ان هذا يعجز قاهر لان هذه الزبر الكثيرة اذا نفخ عليها حتى صارت
كالنار لم يقدر الحيوان على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها فكانه
تعالى صرف تاثير تلك النار العظيمة عن ابدان اولئك النافخين عليها فقيل بعد ما بين
السدين مائة فرسخ وطوله الاساس حتى بلغ اعلاه وجعل عرضه خمسين ذراعا
وارتفاع ماتي ذراع وجعل حشو الاساس الصخور وطينه النحاس يذاب فيصب
عليها فصار كانه عرق من جبل تحت الارض فلما ساوى حشو الاساس على هذا
الوجه وبلغ وجه الارض جعل بناء السد من زبر الحديد بينها للطب والفحم تضد
الزبر صفا ووضع عليها للطب والفحم صفا ثم تضد الزبر صفا آخر وتضد فوقها
للطب والفحم وهكذا الى ان بلغ ارتفاع السد مائتي ذراع وصار السد في ارتفاع
مساويا للجبلين ثم قال للعملة انفخوا على الزبر المبنية بالكير فجعلوا ينفخون
كالنار فان الحديد اذا حمي يصير كالنار فاكلت النار ما في خلال الحديد من الفحم والقطب
وصب عليه القطر وهو النحاس المذاب الصالح لان يقطر كالماء فصار النحاس
مكان القطب وتخلل خلال الحديد والصق كل واحد منهما بالاخر وامتزجا بحيث
صار المجموع جبلا صلدا املس قوله وتمسك به البصريون اه فانهم يقولون
المختار اعمال الثاني من المتنازعين مع تجويزا عمال الاول ايضا والكوفيون يختارون
اعمال الاول مع تجويزا عمال الثاني ثم انهم اتفقوا على انه اعمل الاول واقتضى ان المفعول

اضمر ذلك

اضمر ذلك المفعول لعدم استلزام الاضمار قبيل الذكر مع انه يندفع به التباس المفعول
بغيره وان جاز الحذف ايضا كسائر المفاعيل فوجه استدلال البصريين على مذهبهم
بهذه الآية انه لو اعمل الاول لقيل آتوني افرغه بالضمير الراجع الى قطر اذ بناء على ان
المختار ان لا يحذف ضمير المفعول في الثاني لانه يؤدي الى اللبس وحذف المفعول
وان جاز لكن لا يليق بفصاحة القرآن حمله على خلاف المختار قوله تعالى هذا رحمة من ربي
يعلم منه ان الله تعالى من كمال حكمته وقدرته جعل لوجود كل شيء سببا من الاسباب
السموات والارض وبلطفه وبلوغ كل احد الى مقام من مقامات الدنيا والآخرة
والى قربة من قربات المعرفة الالهية سببا مناسبا له فاذا اراد بلوغ احد الى مقام
او قربة يؤتيه سببه ذلك ويوفقه لاتباع ذلك السبب فلما آتى ذو القرنين من كل
شيء سببا ووفقه لاتباع الاسباب فاتبع سببا حتى بلغ به مشرق الارض ومغربها
واجابتها له وسخر الخلق وحصل مقاصد الملك والسياسة باتباع اسبابها كذلك
آتى للرسول ونبي وولي ومؤمن ومسلم وفاسق ومنافق وكافر اسبابا
بلوغه الى الرسالة والنبوة والولاية والايمان والاسلام والفسق والنفاق
والكفر ووفقه لاتباع الاسباب حتى يبلغ مقامه من القربة والجنة والنار فكل
الخلق قد بلغوا باتباع الاسباب التي آتاهم الله تعالى الى مقاماتهم ودركاتهم
ودركاتهم قوله تعالى ونفخ في الصور للاخبار انذكار السد وخروج ياجوج وماجوج
من علامات قيام الساعة ذكر الله تعالى بعد النفخ في الصور لقيام الساعة قبل
الصور قرن من نور يجعل فيه الارواح يقال ان فيه من الثقب على عدد الارواح
للخلايق عن مجاهد انه كالبوق ذكره البخاري فاذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة
الثانية ذهب كل روح الى جسده فاذا هم من الاجداث اي من القبور ينسلون
اي يخرجون سراعا وقد روي ان الله تعالى خلق الصور حين فرغ من خلق السموات والارض
وان عظم دارة فيه كقدر السموات والارض وفي حديث ابي هريرة والذي نفسي
بيده ان عظم دارة فيه كعرض السموات والارض وروي ان اسرافيل واضع بالمشرق
وراسه بالمغرب والله اعلم واختلف في عدد النفخات فقيل ثلثة نفخة الفزع لقوله تعالى
ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فكل انوه داخرين

معالم نفخات

ونفخة الصعق ونفخة البعث لقوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في
الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وهذا اختيار ابن العربي
وقيل هما نفختان ونفخة الفزع هي نفخة الصعق لان الامرين لازمان فانهم اذا فزعوا
فزعا ماتوا وقيل اتفقت الروايات على ان بين النفختين اربعين سنة وذلك بعد
ان يجمع الله ما تفرق من الاجساد في بطون السباع وحيوانات الماء وبطن الارض
وما اصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق وما أكلته الشمس وذرته الرياح
فاذا جمعها الله واكمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح جمع الارواح في الصور وامر
اسرافيل عليه السلام فارسلها بنفخ من ثقب الصور فرجع كل ذي روح الى جسده باذن
الله تعالى وقد انكر بعض اهل الزيغ ان يكون الصور قرنا قال ابو الهيثم من انكر ان يكون
الصور قرنا فهو كمن ينكر العرش والميزان ويطلب لهما تاويلات قوله عن آياتي التي
ينظر اليها فاذكر يعني ان النظر الى آيات الالوهية والمصنوعات الدالة على القدرة
الباهرة لما كان سببا لذكر الله تعالى عند مشاهدتها كما قال ربنا ما خلقت هذا باطلا
سبحانك اطلق المسبب واريد السبب وانما احتيج الى حمل الآية على المجاز
المرسل لان المقصود وصف الكافرين بالعمى والصم اما العمى فبقوله الذين كانت
اعينهم في غطاء عن ذكري والذكر لا يقال فيه اعينهم في غطاء عنه بل انما يناسبه
الصم قوله كانهم اصمت مسامعهم اي ابطلت وادنيت قذا هم الى امعة من قولهم
اصمت الصيد اذا رميته فقتلته وانت تراه وفي بعض النسخ اقصمت اي جعلت
مصمتة لا جوف لها قوله اتخاذهم الملائكة والمسيح يعني ان قوله ان يتخذوا في محل النصب
على انه اول مفعولي حسب وثانيهما محذوف وان المراد بقوله عبادي الملائكة وعيسى
عليهم السلام وقال ابن عباس يعني الشياطين تولوهم واطاعوهم من دون الله
وقال مقاتل يعني الاصنام سماها عبادا كما في قوله ان الذين تدعون من دون الله
عباد امثالكم قوله قرئ أفحسب بسكون السين ورفع الباء على انه مبتدا وان
مع ما في حيزها خبره فحسب مبتدا مضاف الى الذين كفروا وان يتخذوا واخبره ويجوز ان تكون
حسب بمعنى المحسب والكاف وان يتخذوا فاعله بناء على ان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة
ساوى الفعل في العمل قوله وجمع لانه من اسماء الفاعلين ايلا نه تمييز للاخسرين بمعنى

للاخسرين كقولك الله اكبر بمعنى الكبير يعني ان اسم الجنس وان كان يتناول الواحد والجمع
الا انه لا يدل على اختلاف فاعله ولا على تنوع مدلوله فجمع العمل ليدل على احد الامرين
قوله الامر ذلك على ان يكون ذلك خبر مبتدا محذوف والمعنى الامر ذلك الذي ذكرت
من حبوط اعمالهم وحاسة اقدارهم ويجوز ان يكون ذلك مبتدا مشارا به الى ما
ذكر من اعمالهم الباطلة وجزاؤهم مبتدا ثانيا وجهنم خبره وهو مع خبره خبر الاول
والعائد محذوف اي جزاؤهم به كذا ويجوز ان يكون ذلك مبتدا مشارا به الى الجزاء
الحاضر ذهنا ويكون جزاؤهم بدلا منه وجهنم خبره لما بين الله تعالى سوء صنيعهم
بقوله اولئك الذين كفروا بايات ربهم وفرع عليه قوله فحبطت اعمالهم فلا نقيم
لهم يوم القيمة وزنا انتقل الذهن الى ما عني بالجزاء ما شير اليه بقوله ذلك وجعل جزاؤهم
بدلا منه واخبر عنه بقوله جهنم ويجوز ان يكون ذلك مبتدا ايضا وجزاؤهم خبره
وجهنم بدل او عطف بيان للخبر ثم انه تعالى لما بين وعيد الكفار وان جهنم نزل لهم
اتبعه بوعد المؤمنين وبيان ان جنة الفردوس نزل لهم واضافة جنات الى
الفردوس اضافة تبيين عن قتادة والفردوس وسط الجنة وافضلها وعن
كعب ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن
المنكر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين
مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها درجة وفيها الانهار الاربعة والفردوس
من فوقها فاذا سالتم الله الجنة فاسئلوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه
تفجر انهار الجنة قال بعضهم انه تعالى جعل الجنة بكليتها نزلا للمؤمنين والكريم اذا اعطى
النزل اولا فلا بد وان يتبعه بالتحفة والكرامات الزائدة وليس بعد الجنة بكليتها الا
رؤية الله تعالى وكذا في الآية الاولى لما جعل الله تعالى جملة جهنم نزلا للكافرين لم يبق
عذاب آخر بعد جملة جهنم الا كونهم محجوبين عن رؤية الله تعالى كما قال كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون قوله وهو اسم ما يمد به الشيء اي يزاد وقال امددت الجيش بمدد
والاستمداد طلب المدد والمِدَاد اسم خاص لما يوضع في المِدَادَة ويكتب به والمِداد
يطلق على كل ما يمد به غيره كالحبر للدواة والزيت للسراج قال ابن الانباري سمي
الحبر مدادا لان مداده الكاتب واصله من الزيادة ويجيء الشيء بعد الشيء ويقال للزيت

شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي يوقد به السراج مداد لكونه مَدَدًا لما فني منه بالاشتعال والمعنى لو كان البحر مدادًا
للقلم والقلم يكتب كلمات علم الله وحكمته لنفد البحر قبل ان ينفد تلك الكلمات فان
كلماته تعالى غير متناهية والبحر كيف ما فرض في الاتساع والعظم متناه والمتناهي
لا يفي البتة بغير المتناهي قيل في سبب نزول هذه الاية انهم لما سألوا عن الروح
وعن كذا وكذا ونزل في جواب الروح في آخر الاية وما اوتيتم من العلم الا قليلاً
قالت اليهود انا يقول انا قد اوتينا الحكمة ثم يقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرًا كثيرًا فكيف يجتمع هذا مع قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الاية
اي وان كانت الحكمة وهي القرآن خيرا كثيرا وقد آتانيه الله تعالى وكلمته قطرة من بحر
كلمات الله فانه كما لا غاية لذات الله تعالى ولصفات كماله في علمه وحكمته كذا لا غاية
للكلمات الدالة عليها قوله وقرئ بالياء اي عن ابن عامر وحمزة والكسائي قراءة ينفد بالياء
من تحت لكون تانيث الكلمات غير حقيقي والباقون بالتاء من فوق لتانيث اللفظ
والعامة على مدادا بفتح الميم وقرئ بكسر الميم ونصب الكلمة على التمييز على انها جمع مدة
وهي اسم ما استمد به من المداد على القلم وجواب لو جئنا محذوف للعلم به تقديره
لنفد قوله بالمثل حسن لفائدة قيد المثل مستفاد من قوله يمد جوز لان الرجاء ظن المنافع
الواصلة اليه كما ان الخوف ظن المضار الواصلة اليه قوله فقال ان الله لا يقبل ما شورك
فيه وروي انه عم قال في جواب جندب لكل اجراء اجر الستر واجر العلانية فالرواية
الاولى محمولة على ما اذا قصد بعمله الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا
قصد ان يقتدى به كي هو واب الكاملين والحمد لله رب العالمين روى عنه عم انه من
قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم الى ستة ايام من كل فتنة تكون فان خرج الدجال عصم منه

سورة مريم مكية الا آية السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله امال ابو عمرو الهاء اماله الالف ضد تفخيمها واشباعها وهي ان تنحو بالالف
نحو الياء وبالفتحة نحو الكسرة ليتجانس الصوت فان سبب ذلك ان تقع بعد الالف
كسرة سواء كانت الكسرة متقدمة على الالف كما في عماد او متاخرة كما في عالم وكذا بعد
الالف اذا كانت بعدها ياء كما في شيبان وكذا اذا كانت الالف منقلبة عن حرف مكسور

كما في خاف او عن ياء كما في غاب وباع ورمى وكذا اذا كانت صائرة ياء في موضع كما في دعى
فان الفها تصير ياء في دعي وكما في حبلى لتوكد حبليان ولا خلاف في الاسماء الثلثة وهي كاف
وعين وصاد فانها لا تمال بالاتفاق وذلك لان اسماء حروف التهجي على نوعين ثنائي
وثلاثي وقد جرت عادت العرب على ان ينطقوا بالثنائيات منقوصة عما بعدها
ومماثلة فيقولوا با تا طا وكذلك امثالها وعلى ان ينطقوا بالثلاثيات التي وسطها
الالف باشباع فتحها فيقولوا دالا كافا صادا وكذلك امثالها واما اسم الراء
فقد اختلفوا في التلفظ به فمنهم من اظهر الياء بعد الالف وجعله ثلاثيا فهو لا يميله
ومنهم من لم يظهر الياء وجعله ثنائيا فهو يميله والاصل في جميع المواضع الشباع الفتحة
والامالة فرع عليه ولهذا جوز اشباع كل ممال ولا يجوز امالة كل مشبع من المفتوحات
والعامة على تسكين او اخر اسماء هذه الحروف حيث ان بعضا من القراء يقف على كل
واحد منها وقفة يسيرة وينفصل بعضها عن بعض بادنى سكتة مبالغة في تمييز بعضها
عن بعض ثم انهم اختلفوا في امالة ياوها وتفخيمها مع كونها ثنائيين فاختار
ابو عمرو امالتها وتفخيم يا بناء على ان اشباع الفتحة اصل والامالة وان كانت
فرعا الا انه فرع مشهور كثير الاستعمال فاشبع احد الاسمين واميل الآخر ليكون
القارئ جامعا بين مراعاة الاصل والفرع المشهور وهو احسن من مراعاة احدهما
وتضييع الآخر وخص ها بالامالة فرقا بينه وبين ها الذي للتنبيه فانه لا يمال قط
وقولا المصنف لان الفاتها اسماء النهجي يا آت محل بحث لان هذه الاسماء لا اشتقاق
لها حتى يحكم بان الفاتها يا آت في الاصل ولان هذا التعليل يستدعي امالة كلمة يا ايضا
فلا بد من الفرق بين كلمتي ها ويا حيث خص الاولى بالامالة دون الثانية لذكر الا ان
مقال مراده ان هذه الالفات لما لم تكن لها اصل حملوها على المنقلبة عن الواو تارة فلم
يميلوها وعلى المنقلبة عن الياء اخرى فاموالها فجوزوا الامرين دفعا للتحكم وخصوا
الاعتبار المؤدي الى الامالة بكلمة ها فرقا بينها وبين ها التنبيه قوله وابن عامر وحمزة
اليا يعني انهما اماليا الياء وفخما الهاء جمعا بين مراعاة الاصل والفرع المشهور وخصا
الياء بالفرع لان الكسرة من جنس الياء فامالة حركة الالف الى ما يجانسها وهو الكسرة
اولى من امالة حركة الهاء الياء ومن اماليها جميعا نظر الى الوجه الذي اعتبره ابو عمرو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في ها وابن عامر وحمزة في يا ومن الشيعة فتحها فقد تمسك بالاصل قوله ونافع بين
بين يعني انه اتى الالف لجعلها بين مخرج الالف ومخرج الياء على السواء لا ان يجعل امالتها
نحو الياء اكثر ثم ان نافعا وابن كثير وعاصما يظهرون دال صاد قبل ذال ذكر لانه
الاصل واد غمها فيها الباقون قوله فانه مشتمل عليه اي فان ما قبله وهو كهيعص
سواء اوّل بالسورة او القرآن مشتمل على ذكر رحمة الله عبده ذكريا فيصح ان يحكم
على كهيعص بانه الذكر بمعنى انه ذاكر ومبين لها او ذو الذكر والبيان وهو كما
جواب عن قول ابي البقاء من ان قول القرآء ان قوله تعالى ذكر رحمة ربك خبر لحروف
المقطعة بعيد لان الخبر هو المبتدا في المعنى وليس في الحروف المقطعة ذكر الرحمة
الا في ذكر الرحمة معناها وذكر مصدر مضاف فيحتمل الى مفعوله وهو الرحمة والرحمة
في نفسها مصدر ايضا مضاف الى فاعله وعبد مفعول به ممدوله رحمة وفاعل الذكر
غير مذكور لفظا والتقدير ان ذكر الله رحمته عبده ذكريا وقيل بل ذكر مضاف
الى فاعله على الاتساع ويكون عبده منصوبا بنفس الذكر والتقدير ان ذكرت
الرحمة عبده فجعلت الرحمة ذاكرة له مجازا وذكريا بدل او عطف بيان او منصوب
باضمار اعني هذا على قراءة ذكر بصيغة المصدر وفيه قراءات اخرى وهي ان يقرا
على صيغة الماضي بتخفيف الكاف وتشديدها وان يقرا على صيغة الامر من باب
التفعيل ولتنظر رحمة على هذه القراءات الثلث منصوب على انه مفعول به
للفعل المقدم الا ان رحمة على قراءة التشديد مفعول ثان قدمت على الاول
وهو عبده والفاعل اما ضمير القرآن او ضمير الباري تعالى والتقدير ذكر القرآن
المتلو او ذكر الله عبده رحمته اياه جعل العبد مذكر رحمته ويجوز على المجاز المتقدم
ان يكون رحمة ربك هو المفعول الاول والمعنى ان الله جعل الرحمة ذاكرة للعبد
على قراءة التخفيف يكون رحمة منصوبا على انه مفعول به وعبده مرفوعا على
انه فاعل للفعل قبله وذكريا مرفوعا على انه بدل او بيان او على انه خبر مبتدا
محذوف وعلى قراءة ذكر بلفظ الامر الظاهر ان يكون مفعوله الاول محذوفا ورحمة
منصوبا على انه المفعول الثاني وعبده منصوبا على انه مفعول رحمة اي ذكره امتثالا
امر ربك عبده زكريا والمراد بالرحمة اجابة الله تعالى دعاءه حين سأل الولد

في امان الكبر

في ايان الكبر وقته وايان الشيء بالكسر والتشديد وقته بمنزلة محل الفاكهة في آبانها
اي في وقتها قوله اولان ضعف العظم اخفى صورته معطوف على قوله لان الاخفاء والمكر
يعني انه اذا نافى ما قدر عليه من رفع الصوت الا ان ذلك الصوت كان خفيا في الواقع
لانه ضعيف بسبب الكبر فعلى هذا يكون قوله نادى ربه ماضيا على ظاهره فالنداء
هو طلب الاقبال بالجهر ورفع الصوت قال الجوهري ناداه مناداة ونداء اذا صاح به
وما كان من ذكريا كان صيحة ونداء نظرا الى قصده فعبر عنه بالنداء لذلك ووصف
بكونه خفيا نظرا الى كونه خفيا في الواقع واما ان قيل ان ذكريا قصد اخفاء دعائه
من قومه للملابسة على طلب الولد في زمان الكبر او من موالية الذين خافهم فالوجه
في تسمية ذلك الدعاء نداء مع انه لا جهر فيه ان الجهر لا يشترط في نداء الله تعالى بل هو
شرط في نداء المخلوق الذي يحتاج في الاطلاع على ضمير من يطلب اقباله الى ان
يسمع منه صوتا والاعلام ما في ضميره والية اشار المصنف بقوله لان الاخفاء
والجهر عند الله سيان قوله تفسير للنداء يعني لم يعطف على ما قبله لكمال اتصاله به
من حيث كونه تفسيرا وبيانا لما له قوله ولانه اصلب ما فيه الفرق بين العرجين
وسائر الشتراكهما في ان كلا واحد منهما كناية عن وهن جميع البدن وضعف ان الوجه
الاول يستلزم ضعف جميع البدن من حيث كون العظم عماد البدن واصل بنائه
والوجه الثاني يستلزمه من حيث كونه اصلب ما في البدن مع قطع النظر عن كونه
عمادا له واصل بنائه ولما كان كل واحد من كون العظم عمود البدن وكونه اشد
ما فيه واصليه ينتقل منه للاضعف جميع البدن من غير ملاحظة الآخر كان كل
واحد منهما دليلا مستقلا لتخصيص العظم بالذكر وقيل في الفرق بينهما ان الاول
كناية مترتبة على تشبيه البدن بالبيت وتشبيه العظم بالعمود كما يشعر به قوله
لانه دعامة البدن واصل بنائه والثاني ليس كذلك ورد بان العظم عمود للبدن
على الحقيقة واصل لبنائه وقد ذكره علماء التشريح لاسيما عظام الصلب فليس الوجه
الاول مبنيا على التشبيه قوله وتوحيده لان المراد به الجنس ذلك لان المراد
المبالغة في وهن جزء بطريق الكناية ببيان ان هذا الجنس الذي هو عمود
الجسد قد اصابه الوهن او الذي هو اشد ما يتركب منه الجسد قد اصابه الوهن فلما

اصاب

الرهن لا يقوم به الاعضاء وما هو اصلب الاجزاء كان اصابته لسايه الاجزاء والاعضاء
اولي ولا دخل لجمع العظام في افادة هذا المعنى ولو جمع لكان الغرض المسوق له الكلام
ح العدد لا الجنس ولا مدخل لاعتبار العدد في هذا المقام قوله شبه الشيب
شبها مضمرا في النفس شواظ النار بلهبها الخالص عن الدخان واقتصر من طرفي
التشبيه على ذكر المشبه وهو الشيب كما اقتصر على ذكر المشبه به في قوله اشتعل المنية
اظفارها ودل على هذا التشبيه باثبات الاشتعال للشيب كما دل على تشبيه
المنية بالسبع باثبات الاظفار لها فتشبيه الشيب بالشواظ استعارة
بالكناية واثبات الاشتعال له استعارة تخييلية وشبه انتشار الشيب
في شعر الراس باشتعال النار في سرعة الانبساط والانتشار ثم اخرج التشبيه
الاول مخرج الاستعارة بالكناية حيث اقتصر من طرفي التشبيه على ذكر المشبه
ودل عليه باثبات لازم المشبه به له واخرج التشبيه الثاني مخرج الاستعارة
التصريحية التبعية حيث اطلق اسم المشبه به وهو الاشتعال على المشبه الذي
هو انتشار الشيب ثم اشتق من الاشتعال بهذا المعنى المجازي لفظ اشتعل
فكان استعارة تصريحية تبعية وكان هذه الاستعارة قرينة للاستعارة
بالكناية فان قيل اللفظ المستعار في الاستعارة التخييلية يجب ان لا يتحقق
معناه لا حسا ولا عقلا بل يكون معناه صورة وهمية محضة كلفظ الاظفار
في المثال المذكور فان الوهم اخترع للمنية صورة شبيهة بصورة الاظفار
المحققة ثم عبر عن تلك الصورة المتخيلة باسم المشبه به وهو الاظفار فمعناه
صورة وهمية محضة لا تحقق له حسا ولا عقلا والمعنى الذي عبر بلفظ اشتعل
ليس صورة وهمية بل هو امر ثابت للشيب فالجواب ان الاشتعال بمعنى الانتشار
والفشو وان كان امرا محققا ثابتا للشيب حسا الا ان الاشتعال الحقيقي الذي
هو من لوازم المشبه به وهو الشواظ انما يثبت له باختراع الوهم وهذا القدر
كاف في كونه استعارة تخييلية وقرينة للاستعارة بالكناية وكونه صورة
وهمية لا تحقق لها حسا ولا عقلا قوله واسند الاشتعال الى الراس بعني ان
الاشتعال بمعنى الانتشار والفشو حقه ان يسند الى الشيب لانه من الصفات

القائمة به

القائمة به لكنه اسند الى مكان الشعر الذي هو محل الشيب للمبالغة في الدلالة على شمول
الاشتعال الراس فان قولك اشتعل الراس شيبا بمنزلة قولك اشتعل البيت
نارا فانه يفيد شمول الاشتعال البيت وقولك اشتعل شيب راسي بمنزلة قولك
اشتعل نار بيتي فانه لا يفيد شمول الاشتعال البيت واعلم ان اصل الكلام
ومتعارف الاوساط في هذا المقام ان يقال اني شخت فعدل عنه الى ما هو ابلغ
منه وهو شاب راسي لانه كناية عن الشيخوخة والكناية ابلغ من التصريح ثم عدل
عنه الى ما هو ابلغ منه وهو اشتعل شيب راسي فانه ابلغ من شاب راسي اذ
ليس فيه تعرض الانتشار الشيب ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ منه وهو اشتعل
راسي شيبا فانه ابلغ من قولك اشتعل شيب راسي من جهات احدها اسناد
الاشتعال الى الراس لافادة شمول الاشتعال الراس اذ وزان اشتعل شيب
راسي واشتعل راسي شيبا وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نارا
والفرق بين وثانيها ما في التمييز من التفصيل بعد الاجمال وثالثها تنكير شيبا
لافادة الكمال ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ منه وهو اشتعل الراس شيبا لما فيه
من مزيد التقرير لان التفصيل فيه على شاكلة العقل دون اللفظ فالاشتمل
الكلام على هذه اللطائف ثم ترقى الى اعلى درجات البلاغة قوله ايضا للمقصود
فان شيبا تمييز منقول من الفاعلية اذ الاصل اشتعل شيب الراس فلما قصد
سلوك طريق التفصيل بعد الاجمال ابهم ما هو المشتعل حقيقة ثم ميز بقوله
شيبا لتعيين ان المشتعل هو الشيب قوله بل كلما دعوتك اشارة الى ان قوله
بدعائك من اضافة المصدر الى مفعوله اي بدعائي اياك وقوله شقيا اي خائبا
فان العرب يقول سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي بها اذا خاب ولم ينلها قوله
بعني بني عم بناء على ان تعرف الموالي للعهد الخارجي وان المولى وان كان يراد به
الناصر وابن العم والمالك والصاحب الا ان المراد به في الآية ابن العم قال الشاعر
مهلا بني عمنا مهلا موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا وقوله اني خفت
وان خرج على لفظ الماضي لكنه يفيد انه في المستقبل ايضا كذلك تقول ان خفت
وخشيت ان يكون كذا تريد انا خائف بعد لانه قد زال الخوف وكذا قوله

وكانت امراته عاقرا قوله وعن ابن كثير قرأ الجمهور وزاى بالموالى بهمزة مكسورة
بعدها ياء ساكنة وعن ابن كثير وابان احدهما بالمد كالجمهور والاخر بالقصر
اى بدون الهمزة وفتح الياء فى كل واحد من قرائتى المد والقصر قوله ومتعلق يحذر
يريد بالمتعلق الظرفية لا المتعلق للمفعولية لان خفت اخذ مفعوله وهو الموالى وهو
لسيبويه ظرف خالصت لنيابة المفعول وهو كون خوفه من الموالى كائنين فى الحال واقعا
بعد موته لان معنى من ورائى بعد موتى والتقدير على ان يكون ظرفا للمحذوف خفت
فعل الموالى بعد موتى وعلى ان يكون ظرفا لمعنى الولاية خفت الذين يلون الامر بعد
موتى قوله وقرئ خفت الموالى بفتح الخاء والفاء المشددة من الخفة بمعنى الغلبة
او بمعنى الاسراع فى السير والذهاب والنظر ورائى على الاول بمعنى بعدى وعلى الثانى
بمعنى قدامى ويقال درج القوم اذا انقرضوا الدرج فى الاصل بمعنى الطى كالسفر
للموت والموالى فى هذه القراءة مرفوع على انه فاعل خفت وفى قراءة العامة
منصوب على انه مفعول به وقوله تعالى من لدنك يجوز ان يتعلق بهب ويجوز ان
يتعلق بمحذوف على انه حال من ولدا لانه فى الاصل صفة للنكرة فتقدم عليها قوله
الدعاء صلبى قال بعض المفسرين طلب زكريا من يلى امر الدين ويقوم مقامه فى
رعاية امره ولدا كان او غيره وقال الاكثرون انه طلب ولدا من صلبه استشهادا
بقوله تعالى فى سورة آل عمران حكاية عنه فاهب لى من لدنك ذرية طيبة واصح
ذلك البعض بعموم لفظ الولى وبانه لما بشر بالولد استعظم وقال انى يكون لى
غلام ولو كان دعاؤه لاجل ان يهبه الله تعالى ولدا لما استعظم ذلك بشر به
والظاهر ان هذا الدليل لا يعارض دليل الاكثرين لانه ليس استعظاما لسؤالا عن
جهة حصول الولد كانه قال هل تهبه لى من امرأتى وهى على حالتها من الهرم
والضعف او بان تحولها شابة او تهبه لى من امراة غيرها فحصول دعائه
هب لى ولدا وارثا منى ومن آل يعقوب ما فيه صلاح ونفع فى الدين وذلك يتناول
النبوة والعلم والسيرة الحسنة والمنصب النافع فى الدين والمال الصالح
ومن جزم الفعلين قصر السببية على معنى ان تهب يرث ومن رفعهما لم يقصد
وجعلها صفة لولدا فيفيد ان يكون يرث من جملة المطلوب فلهذا لم يرض به صاحب

المفتاح

المفتاح وجعله استبطاء لان الانبياء مستجاب الدعوة فلو دعى زكريا ربه ان
يهبه وليا يرثه لاجاب الله دعاءه وهو يوجب وليا كذلك لهلاك يحيى
قبل زكريا عليهما السلام ولو جعل يرث مستانفا لا يكون من جملة المطلوب بل
يكون بيانا للغرض وعرض الانبياء يجوز ان لا يحصل وجعل صاحب الكشاف والمص
صفة لان الثابت عند هلاك زكريا قبل يحيى ذكره فى سورة بنى اسرائيل فى تفسير
قوله لتفسدن فى الارض مرتين حيث قال اولاهما قتل زكريا والاخرة قتل يحيى
بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عليهم السلام وقتل لا غضاضة فى ان
يستجاب للنبى بعض ما سأل دون بعض فانه روى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال سأل الله تعالى ثلاثا فاعطى اثنين منع واحد قوله وهو يعقوب
بن اسحق عليهما السلام قال الامام اكثر المفسرين على ان يعقوب ههنا هو يعقوب
بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام لان زوجة زكريا عليه السلام من اتباع اخت
مريم بنتى عمران بن ماثان وكانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهودا بن يعقوب
واما زكريا عليه السلام فهو من ولد هرون اخى موسى عليهما السلام وهما ابنا عمران
بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق وكان بين عمران بن ماثان
وعمران بن يصهر الف وثمانمائة سنة صرح به المصنف فى اول سورة آل عمران وكانت
النبوة فى سبط يعقوب بن اسحق عليهما السلام وقال بعض المفسرين ليس المراد
من يعقوب ههنا ولد اسحق ابن ابراهيم بل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران
بن ماثان ابى مريم وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا لما ثبت ان ام يحيى هى
ايشاع بنت عمران بن ماثان فيكون قرابة آل يعقوب ليحيى من قبل امه فيكونون
اخواله وعلى تقدير ان يكون يعقوب اخا زكريا يكون آل يعقوب اعماما ليحيى قال
الكلبى كان بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رأس الاحبار
يومئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته ويرث بنى ماثان ملكهم قوله او يرث وهو
تصغير وارث والاصل اورث بواوين وجب قلب اولاهما همزة لاجتماعهما
متحركتين فى اول الكلمة كما فى اويصل اصله وصل تصغير واصل والواو الثانية
بدل عن الف فاعل قوله وهذا اسم التجريد اما هذا الصنيع وهو ان ينتزع

من امر دون صفة امر آخر مثله فهنا ايذانا بكمالها فيه بجورايت بتلان اسوا ولقيني منه
فان قرئ فهب يا من لدنك ولي يرثني وارث من آل يعقوب فلابد ان يقدر الباء
التجريدية او من التجريدية ليتضح معنى التجريد بان يجرد ولي يرثني منه او به وارث من
آل يعقوب انتزع من الولي وهو الوارث نفسه وادعائا آخر ايذانا بكمال الوارثة
فيه وقد يكون التجريد بكلمة في كقوله تعالى في صفة الجنة لهم فيها دار الخلد وهي بنفسها
دار الخلد فكانه جرد منها دارا آخر ايذانا بكمال صفة الخلود فيها واعلم ان زكريا عليه السلام
قدم على سؤال الولد امورا ثلثة احدها استيلاء الضعف عليه وعلى امرأته وذلك
مايزيد الداعي تاكيدا لما فيه من الانكال على حول الله وقوته والتبري عن الاسباب
الظاهرة وثانيها انه تعالى عوده بالاجابة ولم يرد دعاءه قط والكريم اذا عود احدا
بالاحسان لا يقطعه بالآخرة لاسيما في زمان كونه احوج اليه وثالثها كون المطلوب
منتفعا به في امر الدين وهو قوله واني خفت الموالي وفرع سؤال الولد على هذه
الامور الثلثة وقوله تعالى يازكريا فيه اختصار اي فاستجبنا دعاءه وقلنا يازكريا
فعلما هذا كان النداء من الله تعالى وذهب اليه اكثر المفسرين لانه ذكر قبل هذه الآية
ان زكريا نادى ربه نداء خفيا وسأله الولد وذكر بعدها انه عم قال رب اني يكون
لي غلام ولما كان ما قبل هذه الآية وما بعدها خطابا مع الله تعالى وجب ان يكون
نداء يازكريا من الله تعالى والا لتفسد النظم وقيل هو نداء الملك لقوله تعالى في سورة
آل عمران فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى
والجواب ان حصول البشارة من الملائكة لا ينافي حصوله من الله تعالى لقوله وهو شاهد
اي مدح يحيى بانه لم يكن له سمي قبل شاهد بان التسمية بالاسامي النادرة الغريبة
تنويه اي رفيع لقدر المسمى بعالي شان الشيء بنوه اي ارتفع ونوهته تنويها اذا
رفعته ونوهت باسمه اذا رفعت ذكره قوله تعالى كقوله تعالى هل تعلم له سميا اي مثلا وشبيها
في صفات الجلال والكمال فان اول الاية فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا
ومعلوم ان مجرد تفرده بالاسم لا يوجب عبادته فان قيل لو كان السمي في الاية بمعنى
المثل للزم تفضيل يحيى على الانبياء الذين كانوا قبله كآدم ونوح وابراهيم وموسى
عليهم السلام وذلك باطل اجيب بان المراد هل تعلم له شبيها فيما خص به من الاوصاف

وهو ان كل

وهو ان كل الناس انما يسمونهم آباؤهم وامهاتهم بعد دخولهم في الوجود واما يحيى
عليه السلام فان الله تعالى هو الذي سماه قبل دخوله في الوجود فكان ذلك من خواصه
ولم يكن له شبيه في هذه الخاصية وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا
لا يقرب النساء حصر النفس اي منعها من الشهوات ولا يقرب اللعب واللهو قوله
لانه حيي به رحم ام وذال عمره الذي هو بمنزلة الموت وقيل سمي يحيى لان الله تعالى
احيى قلبه بالايمان والطاعة فانه تعالى سمى المطيع حيا والعاصي ميتا لقوله تعالى او من كان
ميتا فاحييناه قيل ان يحيى اول من آمن بعيسى فصار قلبه حيا بذلك وذلك ان ام
يحيى كانت حاملا به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها ام يحيى يا مريم
احاملا انت فقالت لها اذا تقولين كذا فقالت اني اريد ما في بطني يسجد لما في بطنك
وقيل احيى الله تعالى اياه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية لما روي عن ابن عباس
انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وقد عصى او هم بمعصية الا يحيى
بن زكريا فانه لم يهم بها ولم يعملها قوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا حال من ياء المتكلم
في قوله اني يكون لي غلام معطوفة على قوله وكانت امرأتي وقد مقدرتين فيها والمعنى اني يكون
لي غلام حين بلوغي عتيا مع ان العمر صفة قديمة لامرأتي لم يولد منها غلام حال
شبابي وحال كهولتي لكون امرأتي عاقرا من ابتداء نشأتها فكيف تلد حال شيخوختي
مع قدم عقرها وتمكن هذه الصفة فيها وضعف بدني وسقوط قوتي قوله جاوزت
اي بلغت وانحدارا يقال جلس الشيخ جثوا اي بلغ غاية السن وتحلل الشيء تحولا اي
يبس وتحلل الشيخ تحلابس جلد على عظم قوله ثم قلبت الثانية ياء وادغمت
فصار عتيا بضم العين وكسر التاء وهي قراءة غير حمزة والكسائي وحفص فانهم
قرؤا عتيا وصليا وجثيا بكسر اولها للاتباع وقرأ حمزة والكسائي بكتيا بكسر
الباء والباقون بضم اول ذلك كله قوله واما استعجب الولد اه جواب عما يقال الظاهر
ان الاستفهام في قوله اني يكون لي ولد ليس استبعادا وانكارا بل هو استفهام تعجبي
وما وجه تعجبه مع انه هو الذي طلب الولد في حال كبره وعقر امرأته وطلبه ذلك يستلزم
علمه بكونه تعالى قادرا على اعطاء الولد لها فما وجه تعجبه حال مباشرة مع علمه بقدرة الله
تعالى عليه وتقرير الجواب ان علمه بامكان حصول الولد من مثلها وبكونه تعالى قادرا

على كل الممكنات لا ينبغي ان يتعجب ويستعظم كمال قدرة الله تعالى على تكوين الاشياء
غير توسط الاسباب والوسايط اكوتكوين بآلات سترحوالت جه آلت بود در تكوين
آلت قوله والذكر اى ولكون قول زكريا عم اى لكون لى غلام اعترافا بكمال قدرة الله
تعالى وبان تأثيرها لا يتوقف على الاسباب والوسايط صدقه الله تعالى في ذلك الاعتراف
اوصدقه الملك المبلغ للبشارة بان قال كذلك على ان محل الكاف رفع على انه خبر
مبتدا محذوف والتقدير الامر كذلك وقوله قال ربك ابتداء كلام مستأنف
به جواب لما عسى يقال فماذا قال الله تعالى بعد تصديقه زكريا فاجيب قال ربك هو على
هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وقد تقرر ان الكاف الذي بمعنى مثل في كذلك
يكون مؤخرة للتاكيد كما يزاد لفظ المثل في قولهم مثلك لا يبخل معناه انت لا تبخل فالمعنى
في الآية قال ذكر الكلام وهو هو على هين فيكون الكاف هو بمعنى مثل زيادة في الآية
قوله ويؤيده الاول وهو ان يكون كذلك خبر مبتدا محذوف وتكون الجملة مقولا
قال الاولى قراءة من قرا وهو على هين بالواو فان تخلل الواو بين الجملة وذلك يمنع
من كون ذلك اشارة الى مبهم وكون الجملة تفسيرا له لان المفسر لا يعطف على المفسر
فتعين ان كون ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وهو قوله ذكر يا رب اني يكون لي
غلام الخ او ما عسى الله تعالى اياه بقوله ياذكريا انا نبشرك بغلام الخ فجملة هو على هين
معطوفة على مقول قال الاول وهو الذي فسره المعنى بقوله اي الامر كما قلت الخ
ومقول قال الثاني محذوف اعتمادا على دلالة مقول الاول عليه وان جعل الكاف
منصوبة بقال الثانية يكون قال الثانية مع ما في حيزها مقولا قال الاول والمحاصل
القول الثاني لما ذكر في قراءة الواو وتكرار قوله اولكما وعدت لا فائدة يعتد بها فيه
غير ان الاول بفتح التاء والموعود له هو ان يحصل له الغلام المبشر به في المستقبل
فيكون هين بمعنى وكون الكاف منصوبا بقال الثانية بمعنى يهون حصوله علي والثاني
بضم التاء والذي وعد الله تعالى بالنسبة اليه تعالى هين ازلا وابدا وان كان بالنسبة
للاذكريا يهون تحليه تعالى قوله بل كنت معدوما فاوجدتك فمن قدر على الخلق والايجاد من العدم
الصرف فان قادرا على تبديل صفات الشيخ الضعيف والشيخة العاقرة بان يعيد اليهما
القوة التي عنها يتولد المني الذي تخلق من اجتماعهما الولد والمعدوم ليس بشيء عند

اهل السنة

اهل السنة وبعض المعتزلة خلافا لبعضهم ومن قال المعدوم ليس بشيء حمل الاية على
ظاهرها ومن قال المعدوم شيء اولها بانه ليس شيئا يعتد به قوله علامة اعلم بها وقوع
ما بشر بني به فان البشارة بالولد وقعت مطلقة فلا بعرف وقتها بمجرد البشارة فطلب
آية يعلم بها وقت وقوع ذلك الغلام فدحرامه ليزداد في الشكر والدعاء السلامة
واتفقوا على ان تلك الاية هي تعذر الكلام عليه فان مجرد السكوت مع القدرة
على الكلام لا يكون معجزا ثم اختلفوا على اقوال احدها انه اعتقل لسانه اصلا والثاني
انه امتنع عليه الكلام مع القوم على وجه المخاطبة مع انه كان ممكنا من ذكر الله تعالى
ومن قراءة التوراة واختار المصنف هذا القول حيث قال والتجرد للذكر والشكر
قوله تعالى سويا حال من فاعل تكلم اي لا تكلم الناس في هذه المدة حال كونك صحيحا
سويا والمحراب يطلق على المسجد وعلى الغرفة وقوله ان سبحوا يجوز ان يكون
تفسيرا للاوحى وان يكون بمعنى المصدر المنصوب على انه مفعول اوحينا وبكرة
وعشيا ظرفان للتسبيح قوله وقيل كتب لهم على الارض لم يرض به لقوله تعالى في سورة
آل عمران آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا والرمز لا يطلق على الكتابة روي
عن ابن عباليه ان البكرة صلوة الفجر والعشي صلوة العصر فيحتمل ان يكون قومه
يصلون معه في محرابه كانت الصلوة بان يخرج اليهم فيأذن لهم بل انه في دخول محرابه
فلما اعتقل لسانه خرج اليهم على عادته فاذن لهم بالاشارة بدل الكلام وفيه دلالة
على ان الصلوة كانت في الامم الماضية في ختم الليل والنهار قوله على تقدير القول
اي قولنا لهم له يحيى وقلنا له بعد ولادته في حال طفولته يا يحيى وصف الله تعالى
يحيى في هذه بصفات كثيرة الصفة الاولى كونه مخاطبا من الله تعالى بقوله خذ الكتاب
قول ذكر على انه تعالى بلغ يحيى المبلغ الذي يجوز ان يخاطب بذلك والصفة الثانية
قوله وآتيناه الحكم صبيا فان صيرورة الصبي في حال صغره عاقلا قوي القلب
بحيث يقدر على قراءة التوراة بالفهم والاستبصار ويجري بكلمات الحكمة على لسانه
كما يجري على السنة الحكماء ليس اغرب من اشتقاق القمر وانفلاق البحر والصفة الثالثة
قوله تعالى وحنانا من لدنا وزكوة وهو معطوف على الحكم اي وآتيناه تحننا والحنان
الرحمة واللبن وحنين الناقة صوتها اذا اشتاقت الى ولدها والصفة الرابعة

قوله تعالى وزكوة اي وآتيناه زكوة اي عملا صالحا زاكيا او كونه متصدقا به على ابويه
والصفة الخامسة قوله تعالى وكان تقيا يتقي عما نهى الله عنه وينجنبه واولى الناس
بهذا الوصف من لم يعص الله تعالى ولا هم بمعصيته والصفة السادسة وبرا بوالديه
والاعبادة بعد تعظيم الله تعالى مثل تعظيم الوالدين ولهذا قال تعالى وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه وبالوالدين احسانا والصفة السابعة قوله ولم يكن جبارا والمراد
وصفه بالتواضع ولين الجانب والصفة الثامنة قوله عصيا وهو ابلغ من العاصي
كما ان العليم ابلغ من العالم والصفة التاسعة قوله وسلام عليه ايي امان من الله
تعالى له وسلامة وهو عطف على آتيناه قيل اوحش ما يكون الخلق في ثلثة مواطن يوم
الدين يرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يبعث
فيرى محشرا عظيما فاكرم الله تعالى يحيى عليه السلام بخصه بالسلامة والسلام عليه
في هذه المواطن الثلثة ثم انه تعالى لما ذكر ولادة يحيى عليه السلام من شيخ فان وعجوز
عاقر ذكر ولادة عيسى عليه السلام من غير اب وقدم القصة الاولى على الثانية على طريق
الترقي مما هو اقرب الى العقل والعادة الى ما هو ابعد عنهما فقال واذكر في الكتاب
مريم اذا انتبذت وذكر لكلمة اذا اربعة اوجه الاول كونها بدلا اشتمال من المحذوف
المضاف الى مريم والثاني كونها بدلا كل منه بناء على ان يراد بالظرف ما وقع فيه والثالث
ان يكون ظرفا للمضاف المقدر اي اذكر قصة مريم او خبرها او نبأها اذا انتبذت
والرابع ان يكون بمعنى ان المصدرية فيكون بدل اشتمال اي واذكر مريم انتباذها
وتقدير المثال اكرمك لان لم تكرمني اي لعدم اكرامك ولا يجوز ان تكون ظرفا لاذكر
لان الذكر ليس في ذلك الوقت والنبذ اصله الطرح والالقاء والانتباذ افتعال منه
وانتبذت اي اعتزلت وتباعدت وانفردت على سرعة الى مكان بلى ناحية
الشرق من بيت المقدس او من داره ثم انها لم تتقصر على ذلك بل اتخذت من دون
اهلها حجابا اي حائلا يحول بينها وبينهم ثم لا بد في احتجابها من ان تكون لغرض صحيح
وليس بمذكور في القرآن واختلف المفسرون فيه على وجوه احدها انها لما رات الطهر تباعدت
عن مكانها المعتاد للعبادة تنظر الطهر لتغتسل وتعود فلما طهرت جاءها جبرئيل عليه
السلام وقيل احتجبت عن اهلها للتخلي للعبادة والاشتغال عنها وقيل كان لها في منزل

زكريا

زكريا محراب عال حتى تسلقه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها الباب فتمنت ان تجد خلوة في
الجبل لعلي راسها فانفجرت السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فاتاها الملك
وقيل عطشت فخرجت الى المفازة لتستقي والله اعلم والمشرقة موضع تقعد في الشمس
وضم الراء وفتحها لغتان فيه وفيه لغتان اخريان مشراق ومشرقة بفتح الشين وسكون
الراء قوله لتستانس بكلامه فانه لو ظهر في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع
كلامه وفعل تمثله في تلك الصورة البهية بهيج شهوتها لخلق الروح عاجبرائيل عليه السلام
تشبيها له بالروح في انه سبب لحيوة البدن وهذا استعانة
في مجرد الروح ثم اضيف الروح الى ضمير المتكلم ليعلم ان المراد منه ليس روح البدن فهو
قرينة الاستعانة قوله وتخنثل اي تتعرف وتذهب يقال خنثله فاختنثل اي جذبته
عن مكانه فانجذبت قوله ويجوز ان تكون للمبالغة في عوذتها بالرحمن وهو عطف على ما قبله
من حيث المعنى فان محصول ما قبله ان قوله ان كنت تقيا للتقييد للحكم المدلول عليه
بما قدر جزاء ثم قال ويجوز ان لا تكون المقصود منه تقييد الحكم بل تكون للمبالغة في عوذتها
بالرحمن كانها قالت اني عائذة منك ان كنت تقيا فكيف ان لم تتق كقوله ان كنتم مؤمنين
صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فان الشرط فيه للمبالغة في نفي العصيان على معنى انه
لو لم يخف منه تعالى لم يعصه فكيف اذا خاف منه ثم ان جبرائيل عليه السلام لما علم خوفها
قال انما انا رسول ربك على طريق قصر الموصوف على الصفة ليزيل عنها ذلك الخوف
اي ليس لما تخافين مني لاجله وانما شان الرسالة من قبل ربك في هيبة الغلام لك
واسند الهبة اليه لكونه سببا في هبته من حيث انه تعالى وهب الغلام
لمريم بواسطة نفخ الملك في درعها ويجوز ان يكون ضمير اهب لله تعالى على ان يكون
الملك حاكيا لها كلام ربها بقول مضمر كانه قال انما انا رسول ربك لا بلغ اليك ما قاله
الله تعالى في حقك وهو قوله اهب لك غلاما قوله ولم يمسسني بشر في رجل بالحلال جواب
عما يقال قولها ولم يمسسني بشر كاف في مقصودها وهو ان يقول الولد انما يكون
بمس البشر وليس في ذلك فلم قالت بعده ولم اكن بغيا وتقريره للجواب انها حملت
المس على المس المشروع وهو ما يكون مسبوقا بالنكاح فلذلك احتاجت الى ان
تقول ولم اكن بغيا كانها قالت الولد لا يكون الا بنكاح او سفاح ولم يتحقق شيء

منها عندي وخواتمها والمباشرة والتربان مما يكنى به عن الفشيان وان كان
بحسب اللغة يعم المشروع وغيره الا ان المؤمن انما يطلق مثل هذه الكنايات
على الوطئ المشروع ولا يكنى عن الزنا الا بما فيه تعيير وتقبيح كمرخبث ٢ وفجر
قوله ولذلك لم يلحقه التاء اي وكذلك فعول لا بمعنى الفاجرة التي تتبع الرجال لم يلحقه
التا لان الفعول بمعنى الفاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث فيقال صبور للذكر
والمؤنث ويفرق بينهما بالتاء اذا كان بمعنى المفعول مع لان ناقة حلوبة مثلا ٢ آن
جعل البغي فعيلا بمعنى فاعل ينبغي ان يكون نباء التانيث كما مر امراة بصيرة ٢
وقد يقال الا انه لم يلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كذا قاله ابو البقاء وتبعه
المصنف ولعل وجه التعليل بهما ان التاء انما تلحق اسماء الفاعلين حملا لها على
الفعل وانما يحمل عليه اذا كان جاريا عليه وموافقا له لفظا ومعنى والذي يكون للمبالغة
او النسب لا يوافق الفعل معنى لان الفعل يكون للحال او الاستقبال والفعيل الذي
يكون للمبالغة او النسب يكون للدوام والثبوت لا للحال ولا للاستقبال فلا
لم يجر على الفعل لفظا ولا معنى لم يلحقه التاء فرقا بينه وبين ما يجري عليه لفظا ومعنى
وكذا لا يلحق التاء ما كان للنسب مما هو على فاعل كخوتامر ولابن وحايض اذا
اريد بها ذات تمر وذات لبن وذات حيض فكذا بغي اذا كان بمعنى ذات بغي
وتعليل الاستواء بكون الصيغة للمبالغة مطلق لا وجه له لانهم صرحوا بان
ابنية المبالغة من الثلاثي ثلثة اقسام الاول ما يفرق بين المذكر والمؤنث
مطلقا ابى صواء كان جاريا على الموصوف او لا يكون كصبار وصديق وامير
وجعلوا نحو امير مما يلحقه التاء مطلقا والثاني ما يستويان فيه مع الموصوف
ويفترقان بدونه كمطعام ومسكين وفعول الذي لا يكون بمعنى مفعول
كقولهم ناقة ركوب والثالث ما يستويان فيه مطلقا كضحكة وعلامة قوله اي وتفعل
ذلك لنجعله يعني ان قوله ولنجعله علة لمعلل محذوف وجملة التعليل مع
المعلل معطوفة على قوله هو على هين قوله او لنبين به قدرتنا ولنجعله على ان
يكون معطوفا على علة مضمرة عطف مفرد على مفرد وحمل الكلام على اخر اضمار المعلل
اولى لان اضماره يغني عن اضمار العلة بخلاف اضمار العلة فانه لا يغني عن اضمار المعلل

اذ لم يذكر

اذ لم يذكر قبل العلة الغرة ما يصح تعليلها ٢ اذ لا يصح ان يقال هو على هين لنبين
به قدرتنا لا بد ان يجعل التقدير هو على هين نفعل ذلك ونهيء لنبين به
قدرتنا والظاهر ان الضمير في قوله هو على هين راجع الى خلق ذكر الغلام بغير
ذكر وكذا ضمير نجعله اية فان ذكر الخلق آية على كمال قدرة الله تعالى لانه قد تقرر انه
تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وخلق حوى من ذكر بلا انثى وما خلق عيسى
من انثى بلا ذكر وقد خلق سائر الخلق من ذكر وانثى ظهر انه تعالى قادر على انواع الخلق
يخلق كيف يشاء وانه على كل شيء قدير الا ان عطف قوله ورحمة منا على قوله آية
يستدعي ان يكون ضمير نجعله للغلام لان من كان رحمة للعباد هو الغلام فانه النعمة
لمن تبعه على دينه وآمن به قوله اي تعلق به قضاء الله اي حكمه قال تعالى وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه وما حكم الله بوقوعه يجب وقوعه لانه لو لم يقع لانقلب علم الله جهلا وهو محال
قوله او قدر وسطر في اللوح على ان يكون القضاء بمعنى التقدير ومنه القضاء والقدر
قوله او كان امرا حتميا بان يقضي ويفعل على ان يكون القضاء بمعنى الصنع والفراغ
يقال قضيت حاجتي وقال تعالى فقضاهن سبع سموات ولما كان نفس خلقه وايجاده
رحمة للعباد وكان خلقه على هذا الوجه علامة دالة على كمال قدرة الله تعالى كان امرا
حتميا بان يقضي ويفعل فصار بذلك كانه امر مقضي ومفعول فلذلك مثل في حقه قبيل
ان يولد انه كان امرا مقضيا قوله بان نفخ في درعها قيل ان جبرئيل عليه السلام رفع
درعها فنفخ في جيبها فحملت حين لبست وقيل نفخ جبرئيل من بعد فوصل الريح
الها فحملت بعيسى في الحال وقيل مد جيب درعها باصبعيه ثم نفخ في الجيب حتى
وصلت النفخة الى الرحم وقيل نفخ في ذيلها قال السدي اخذ بكميها فنفخ في جيب
درعها فدخلت النفخة صدرها فحملت فجاءت امراة زكريا وهي حامل
بيحيى تزورها فلما التزمتها عرفت انها حبلى وذكرت مريم حالها لها فقالت امراة
زكريا اني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى في حق يحيى عليه السلام
مصدقا بكلمة من الله وقيل ان النفخة كانت في فيها فوصلت الى بطنها فحملت في الحال
وعلى التقادير ظهر ان في الكلام حذفا وهو وكان امرا مقضيا فنفخ فيها فحملت اي
حملت عيسى في بطنها قوله وهو في بطنها يعلم ان الباء في به للملابسة وان الجار والمجرور

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في محل النصب على انه حال من فاعل انتبذت اي انتبذت ملتبسة به مصحبة له
كما ان بناء فعل المتبنى حال من فاعل تدوس اي تدوس للجاجم وتحن عليها الدوس
الوطئ بالارجل واصل البيت كان خيولنا كانت قدعا تشئ في محو فهم للحليبا غمرت
غير نافرة عليهم تدوس بنا الجاجم والتريبا القحون جمع قحف وهو العظم الذي فوق
الدماغ والحليب اللبن والضمير في محو فهم للاعداء والجاجم للاعداء والجاجم جمع جمجمة
وهي عظم الراس المشتمل على الدماغ والترائب عظام الصدر والعرب تسقي اللبن
كرائم خيولهم فيقول كان خيلنا تسقي اللبن في اقحاف رؤس الاعداء فالفت بها
فكانت خيولنا تمر عليهم وتدوس اي تطاء بارجلها جاجمهم وترابهم ونحن عليها
ولم تنفر عنهم فان قلت لم لم يجعل الباء في قوله فانتبذت به للتعدية قلت لان
المفعول الذي يتعدى الفعل اليه بالباء يجب ان يكون بحيث لا يستلزم صدور
الفعل من الفاعل تعلقه به كما في قولك ذهبت بزيد وصدور الانتباذ من الحامل
يستلزم انتباذ ما في بطنه من الجنين فلا فائدة في ايراد حرف التوبيخ والقصي
البعيد يقال مكان قاص وقصي بمعنى مثل خاص وعصي واصل في علة الانتباذ
عاوجوه احدها ما رواه الثعلبي عن وهب انه قال ان مريم لما حملت بعيسى
عليه السلام كان ابن عم لها يسمى يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي
عند جبل صهيون فكان مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من اهل زمانها
احد اشد اجتهادا وعبادة منهما واول من عرف بامر مريم يوسف فتحير في امرها
فكلما اراد ان يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا
اراد ان يبرئها راى الذي ظهر بها من الحمل فاول ما تكلم ان قال لها انه قد وقع في
نفسي شئ من امرك وقد حرصت على كتمانه فغلبني ذلك ورايت ان الكلام فيه
اشفى لصدري فقالت قل قولا جميلا فقال اخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير
بذر وهل نبتت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر فقالت نعم الم تعلم
ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر وهذا البذر انما حصل من الزرع الذي
انبته الله تعالى من غير بذر الم تعلم ان الله انبت الشجر بغير غيث وبالقدرة جعل
الغيث صيرة الشجر بعد ما خلق كل واحد منهما على حدة اولم تعلم ان الله تعالى خلق آدم

وامراته

وامراته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك زالت التهمة عن قلب يوسف فكان يذب عنها في خدمة
المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وتضييق القلب فلما دنى نفاسها اوحى
الله تعالى اليها ان اخرجي من ارض قومك لئلا يقتلوا ولدك فاحملها يوسف الى ارض مصر
على حمار له فلما بلغت تلك البلاد وادركها النفاس الجاها المخاض الى اصل نخلة وذلك
في زمان برد فاحتضنتها فوضعت عندها وثانيها انها استحيت من ذكر ما فذهبت
الى مكان بعيد لئلا يعلم بها ذكريا عليه السلام وثالثها انها كانت مشهورة في بني اسرائيل
بالزهد لنذرها وتشاح الانبياء في تربيتها وتكفل زكريا بها ولان الرزق يأتيها
من عند الله فلما كانت في نهاية الشهرة استحيت من بني الواقعة فذهبت الى مكان
بعيد ورابعها انها خافت على ولدها لو ولدته فيما بين اظهرهم واعلم ان بين الوجوه
كلها تحاملة وليس في القرآن ما يدل على شئ منها فالاولى السكوت عنها قوله كما لمتعالم
اسم مفعول من تعالم للجمع اي علموه قوله من تحتها عيسى عم قدم هذا الاحتمال لان
من تحتها بفتح الميم انما يستعمل اذا كان قد علم قبل ذلك ان تحتها احد والذي علم
كونه تحتها هو عيسى عليه السلام فوجب ان يكون هو المراد به ولان ذلك الموضع
موضع اللوث والنظر الى العورة فلا يليق بالملك ان يكون في ذلك الموضع
بمنزلة القابلة فالمعنى انه تعالى انطقه لها حين وضعته تطييبا لقلبها وازالة
للوحشة عنها حتى تشاهد في اول الامر ما يبشرها به جبرئيل عليه السلام من علو شان
ذلك الولد ومن قال المنادي هو جبرئيل عليه السلام قال انه ارسل اليها ليناديها
بهذه الكلمات كما ارسل اليها في اول الامر تذكيرا للبشارات المتقدمة والنداء
هنا للخطاب لا للصيحة ورفع الصوت كما في قوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا وعلى
هذا الكلام مبنيا على ان يكون المعنى من تحت مريم عطف عليه احتمال ان يكون المعنى
من تحت مكانها بان يكون المنادي في مكان السفل من مكانها وفيه وجهان الاول
ان يكون معها في مكان مستو ويكون هناك مبدا معين كتلك النخلة فكل من كان
اقرب منها كان فوق وكل من كان ابعد كان تحت وعلى هذا الوجه قال بعضهم
انه نادها من اقصى الوادي والثاني ان يكون موضع احدهما اعلى من موضع الاخر
فيكون صاحب العلو فوق صاحب السفل وعلى هذا الوجه روي عن عكرمة انها كانت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حين ولدت عمارابية وجبرئيل عليه السلام كان اسفل منها والرابية للاكمة المرتفعة من
الارض قوله ابى لا تحزني عليا ان تكون ان مفسرة لتقدمها ما هو بمعنى القول وكلمة لا على
هذا ناهية وحذف نون تحزني للجزم وقوله او بان لا تحزني عليا ان يكون ان مصدرية
لا نافية وحذف النون للنصب قوله هكذا ذو بمر مرفوعا وروى انه عدم سئل عن السرى
فقال هو الجدول وهو النهر الصغير وسمى سريا لان الماء يسرى فيه ويؤيد هذا التفسير
قوله تعالى فكلى واشربى فان تذكيره عاد ذكر السرى وتساقط الرطب للجنى انما تحسن
بان يراد بالسرى الجدول حتى يجيء تسليتها بين الماء والرطب فتؤمر بان تفال تكلى
واشربى قال صاحب الكشف فان قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى
بالسرى والرطب قلت لم تقع التسلية بها من حيث انها طعام وشراب ولكن من حيث
انها معجزتان شريفتان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما تفوه
به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة من العادات خارقة لما الفوا واعتادوا حتى يتبين
لهم ان ولادتها من غير فحل ليس ببدع من شانها قوله وقيل سيدا من السرو يقال
سرى يسرو سروا من باب قعد وسرى يسرا من باب علم وسرو وسرى وسراوة
من باب حسن والجمع على صار سريا ابى سيدا وجمع السرى سراة وجمع السراة
سرواة والمراد بالسرى ههنا عيسى عليه السلام ويؤيد هذا القول ان النهر
لا يكون تحت الانسان بل يكون الى جنبها ومن قال السرى هو النهر استشهد بما
روى عن ابن عباس انه قال ضرب عيسى او جبرئيل بعقبه الارض فظهرت ماء عذب
فجرى النهر الياس وقيل انه كان هناك ماء جار والاول اقرب لان قوله قد جعل
ربك تحتك سريا يشعر بالحدوث في ذلك الوقت ولان الله تعالى ذكر ذلك تعظيما
لشانها وذلك لا يثبت الا على الاول قوله واميلى اليك اشارة الى ان الهز بمعنى التحريك
لا يتعدى بالى فضمن معنى الامالة بل يتعدى بنفسه غالبا وزائدة في المفعول كما في قوله
تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والتقدير حركى جذع النخلة مميلة ذلك اليك قوله او افعلى
الهز والامالة بها على ان ينزل الفعل المتعدى منزلة اللازم للمبالغة على طريق قولهم
فلان يعطى ويمنع ثم يعدى كما يعدى الفعل اللازم فيكون الباء للظرفية فلا تكون زائدة
بل تكون للتعدية كما في قول الشاعر فان تعتذر بالمحل عن ذى ضروعها الى الضيف يجرح

في عراقيبها نصلي

في عراقيبها نصلي فانه جعل الجرح لاذعا ثم عداه بنى اراد بذى ضروعها اللبن الذى يكون في
الضرع والمحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلاء ويجرح جواب
الشرط ونصلي ناعلة والمراد بالنصل السيف والعراقيب جمع عرقوب وهو العصب
الغليظ فوق عقب الحيوان ومعنى البيت اذا اعسرت الناقة الى الضيف من قلة
اللبن بسبب المحل وخلو الارض من الكلاء اذبحها للضيفان قوله او هزى النخلة
بهزة اى بسبب هز الجذع على ان يكون مفعول الهز محذوفا ويكون الباء للاستعانة
كما في قولك كتبت بالقلم فان قبل وقع الهز والتحريك على الجذع اصالة وعلى الثمر تبعا
فتقدير الثمر يستلزم ان يجعل الاصل تبعا والتبع اصلا فلا وجه لارتكابه مع قيام
المعنى الصحيح الحاصل بان يجعل الباء صلة لتاكيد التعلق قلنا هز التمر وان كان تابعا
بحسب الوجود الا انه اصل بالنظر الى ان المقصود هو الثمر قوله وخرفها حرة اى تسا
تساقط بفتح التاء وتخفيف السين وفتح القاف والتى اختارها المصنف تتساقط
بفتح التاء وتشديد السين بادغام تاء التفاعل فيها وقرا يعقوب بتساقط بفتح الباء
التحتانية وادغام تاء التفاعل وقرا حفص تساقط على انه مضارع ساقط بمعنى اسقط
وكره للجوهري وقرئ تتساقط باظهار التائين على الاصل وقرئ تسقط ويسقط بضم
حرف المضارعة وفتح السين من التاء في الاولى والياء في الثانية وسكون السين وكسر القاف
من اسقط وقرئ تسقط ويسقط بفتح حرف المضارعة التي هي التاء في الاولى والياء
في الثانية وسكون السين وضم القاف ورفع الرطب بالفاعلية بناء وله بالتمر على قراءة
التاء فالجمع شيع قراءات قوله لما فيه من المعجزات اى لمريم على ان سراء بالمعجزة مطلق
الامر الخارق للعادة فتتناول الكرامة ويحتمل ان يراد انها معجزات لعيسى عليه السلام
على ما قيل انه عوض اعطى النبوة في حال طفولته والا فالوجه ان تكون ذلك ارهاصا لنبوة
عيسى وكرامة لامه لان المعجزة هي الفعل الخارق للعادة الصادر عمن يدعي النبوة على
وجه التحدي والادعوبة والتحدي من احد منهما والارهاص ما يظهر على الانبياء قبل نبوتهم
كما ظلل الغمام لنبينا صلى الله عليه وسلم في طريق الشام وارتجاس ايوان كسرى ليلة ولد
قوله او من الرطب وعصيره على ان سراء بالسرى السيد والاول على ان مراده بالجدول قوله
او من القرب بضم القاف وهو البرد ويطلق على القر ايضا والسخنة للحرارة قوله تعالى فاما ترين

شبكة الألوكة www.alukah.net

ينقلب ياء الضمير همزة على لغة من يقول لبأت بالحج اصله لبيت بالحج تلبية اى قلت لبيك
اللهم لبيك بنية للحج فجريان التاء بين الهمزة وحروف اللين فى الابدال حيث قلبت
الهمزة حرف لين تارة كما فى راس ولوم وبير وقلبت حرف اللين همزة اخرى كما فى اجوه
واقتت فلما استحكمت التاء بينهما فى الابدال ابدلت ياء تشبيها همزة من غير ان يكون
هناك ما يوجب الابدال قوله صمتا اوصيا مالانسكن ان المعنى فاما ترين من البشر احدا ر ر
فسأكلك الكلام معه فتقول كذا ولا تكلمهم فى امر كذا فالامساك عن الكلام مراد
من الصوم لا محالة وذلك اما بان يكون الصوم عبارة عن الامساك عن الكلام فقط
او يكون عبارة عن الامساك عن المفطرات الثلث والكلام جميعا وكل واحد من
المعنيين محتمل فى الاية فان الصوم فى اللغة هو الامساك عن الطعام والكلام مالا
سيما كان فى بنى اسرائيل من اذا اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن
الطعام فلا يكلم حتى عيسى فعلى هذا يكون النذر بالصوم نذرا بالامتناع عن الكلام
قصدا وعلى الاول ضمنا وقوله بعد ان اخبر تكم بنذرى اشارة الى جواب ما نبا بالى
النزعت اللهث كيف يصح منها ان تقول انى نذرت للرحمن صوما وهذا كلام منها وترك
لما نذرت به من الصوم وحاصل الجواب انها كانت مامورة بهذا الكلام عند رؤيتها
اياهم بسألونها عن سبب ولادتها لقوله تعالى فقولى وبه تكون ناذرة وجب السكوت
عليها بعد هذا الكلام فهى ليست عالمة بان تنذر فى الحال بل هى مامورة بان تصير
الى ان ياتيها قومها فيتهمونها فتقول لهم انى نذرت للرحمن صوما وقيل فى الجواب
انها ما تكلمت معهم لانها كانت مامورة بان ياتى هذا النذر عند رؤسهم فاذا اتت
بهذا النذر فلو تكلمت معهم بعد ذلك لكانت تاركة للوفاء بنذرها وما تركت بل سكتت
واشارت بانها نذرت الصوم فالمراد بالقول فى قوله فقولى انشاء النذر بالقول لاجل
القوم واعلامهم بنذرها قوله وانما اعلم الملائكة وانا جرى مفهوم قوله لن اكلم اليوم
السابق نفت عن نفسها التكليم المتعلق بالانس قوله وامرها بذلك يعنى امرها الله تعالى
بان تنذر الصوم ولا تباشر الكلام مع من يتهمها لوجهين الاول كراهة مجادلة
السفهاء فان ذلك على السكوت عن الشبهة واجب قيل ما اول الناس سفيها لم يجد
عاما فيها والثانى الاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام لكون كلامه اقوى فى ازالة التهمة

من كلامها

من كلامها قوله مع ولدها اشارة الى ان به فى محل النصب على انه حال من فاعل اتت اى
مصاحبة به مخرجا بشيا به ابو مسلم بانها قوله حاملة اياه يحتمل ان تكون حالا مقارنة
من فاعل اتت وان تكون حالا من الهاء فى به قوله بعد ما طهرت من النفاس بناء على ما
روى عن ابن عباس ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها وانتهى بها الى غار فادخلها
فيه ومكثوا به اربعين يوما حتى طهرت من النفاس ثم اتت به قومها يحملونه فكلمهم عيسى
فى الطريق فقال يا امه انى عبد الله ومسيحه قوله بدل ما من قولهم فلان يفعل
الفرى اذا كان يأتى بالعجب فى عمله وظاهر اللفظ يحتمل ان يراد انك قد جئت شيا عجيبا
خارجا عن العادة من غير قصد التصوير والذم الا ان المصنف حمله على الذم حيث اتبعه
بقوله منكرا قولهم بعد يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء فان ظاهر هذا القول
التوبيخ قوله وكانت من اعجب من كان معه اى كانت مريم ممن يعجب هرون النبى
عليه السلام فى طبقة الاخوة بان تكون مريم من نسل اخت هرون او اخيه وقيل بيت
من نسل اخت هرون او اخيه بل كانت من نسل نفسه عم وانما قيل لها اخت هرون
بمعنى انها واحدة من قبيلة هرون بان يراد بهرون القبيلة الى هو ابوها كما يقال
يا اخا همدان اى يا واحدا منهم و همدان اسم قبيلة قوله او لما رأوا قبيل من صلة
عطف على قوله تهكما يعنى انهم شبهوها بالرجل الصالح المسمى بهرون وسموها باسمه
اما على سبيل الاستعارة التهكمية المبتنية على تشبيه احد الضدين بالآخر
بجامع الضدية تنزيلا للتضاد منزلة التناسب بواسطة التهكم او على سبيل
الاستعارة التحقيقية على ما مر غير مرة فى الصلاح قوله او سموها به عطف
على قوله شبهوها به الاول تنشر لقوله هو رجل صالح والثانى لقوله او طالح والمعنى انت
فى الحال مثله ونداء الشخص بان يقال له يا شبيه الفاسق سبب له روى انه كان فى بنى
اسرائيل رجل صالح يسمى هرون ينسب اليه كل من عرف بالصلاح وذكر ان هرون الصالح
تبع جنازته اربعون الفا كلهم مسمون هرون تبعا له وباسمه قوله وصبيا حال وليس
بخبر كان لان كان الزائدة لا ينصب الخبر والمعنى كيف نكلم من استقر فى المهد حال كونه
صبيا وقيل كان تامة بمعنى وجد وصبيا حال من الضمير فيه وقيل انها دابة ايرنا قصة
عيسى بما فيها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضى من غير تعرض للانقطاع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وان لكل يعتبر عنها بانها تتراد فلم يزل ولفظ كان وان كان يفيد مضمون الجملة بالزمان الماض مطلقا الا ان المراد منه في الآية الزمان القريب بقرينة المقام والمعنى كيف نكلم من كان بالامس وقريبا من هذا الوقت في المهد وغرضهم من ذلك استمزاج حال الصبي به عيسى لم يبرح بعد عنه ولو قيل من هو في المهد لم يكن فيه تلك الوكادة من حيث ان السابق كالمشاهد عاد ذلك قوله او بمعنى صار اي كيف نكلم من صار في المهد صبيا وصبيا على هذا خبر ما قبل المهد بحر امها لما روي انها اخذته في خرقة فاتت به قومها فلما رأوه ما قالوا ما قالوا واما المهد بطلق على المتر مطلقا كما في قوله تعالى وجعل لكم الارض مهدا وقيل هو مهد الصبي اي كيف نكلم صبيا سبيله ان ينام في المهد ومن اجله وان لم يكن في تلك الحال موضوعا فيه فان قيل كيف عرفت مريم من حال عيسى انه يتكلم اجيب بان جبرئيل او عيسى عليهما السلام نادى من تحتها الا تحزني وامرها عند رؤية الناس بالسكوت فصار ذلك كالتنبيه لها على ان المجيب هو عيسى او لعلها عرفت ذلك بالوحي الى زكريا او بالوحي اليها على سبيل الكرامة لها قوله ولم يرد عما من يزعم ربوبيته يعني ان الحاجة في ذلك الوقت وان كانت الى دفع تهمة الزنا عن امه الا ان الله تعالى انطقه اول ما تكلم بان يقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل لئلا يتخذه النصارى الها كما انه تعالى جعل ازالة النهمة عن ذاته المقدسة اولى من ازالة التهمة عن من يتم فلذلك انطقه اول ما تكلم بقوله اني عبد الله قوله تعالى معللا للتخريض بنتفع اصحاب الآفات بسبب دعائه فانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص وانه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم الى الطريق الحق فان ضلوا فمن قبيل انفسهم لا من قبيله قوله وامرني بالصلوة متعلق قوله واوصاني بالصلوة والزكاة لا يدل على انه تعالى اوصاه بادائهما في الحال بل بعد بلوغه حد التكليف وحصول شرائط الوجوب والاداء ولا يبعد ان يجعل الله تعالى الفصل عن امه قوي التركيب كامل العقل بحيث يمكنه اداء الصلوة والزكوة مع صغر جثته ويستنبأه ويؤتيه الكتاب وسائر ما خصه به من الفضائل بل هو الاوفق لقوله ما دمت حيا فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه اليه في جميع زمان حيوته والآية تدل ايضا على ان تكليفه لم يتغير حين كان في الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل مرة اخرى قوله ولم يجعلني جبارا الشقيا من فرط

بكبره لما كان المقصود من عطف هذه الجملة على ما قبلها تأكيد مضمون ما قبلها كان المعنى وجعلني برا خاضعا متواضعا لامي ولم يجعلني عاتيا متكبرا مضيعا لحقها والذي الذي تأكد حقها لقيامها مقام الوالدين الا انه غير عن هذا المعنى بما يستلزمه وهو كونه جبارا شقيا في علم الله لكون الكناية ابلغ من الصريح قوله والتعريف للعهد والمعهود هو السلام المذكور في قصة يحيى عليه السلام وهو قوله تعالى وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا فالمعنى والسلام الموجه اليه في المواطن الثلثة موجه الي ايضا لكن كون السلام المعين الذي توجه الى يحيى يستحيل ان يتوجه الى شخص اخر وغاية الامر ان يتوجه اليه مثله وهو غير معهود بل ليس ذلك السلام المتوجه الى يحيى ايضا معهودا بين عيسى وبين قومه اذ لم يجر بينهم ذكره فكان حمل اللام على العهد خفيا والاظهر ان يحمل على الجنس والتعريض باللعنة على من اتهم مريم بالزنا ووجه كونه للتعريض ان اللام للجنس فكأنه قال وجنس السلام على اصاله وعلى اتباعي بنعا فقد عرض بان ضد ذلك على من عاداه روي عن عيسى عليه السلام انه قال ليحيى انت خير مني سلم الله عليك وسلمت على نفسي واجاب الحسن فقال ان تسليم يحيى عليه تسليم الله عليه لانه انما علم باذن الله قال الامام واعلم ان اليهود والنصارى ينكرون ان عيسى عليه السلام تكلم في زمان الطفولية واحتجوا عليه بان هذا من الوقايع العجيبة التي تتوفر الدواعي على نقلها فلو وجدت لنقلت بالتواتر ولو كان كذلك لعرفه النصارى لا سيما وهم اشد الناس بحثا عن احواله واشد الناس غلوا فيه حتى زعموا كونه الها فلما لم نعرفه النصارى مع شدة الطلب وكمال البحث عن احواله علمنا انه لم يوجد ولان اليهود اظهروا عداوته لما اظهر ادعاء النبوة فلو انه تكلم في زمان الطفولية وادعى الرسالة لكانت عداوتهم معه اشد ولكان قصدهم قتله اعظم فحيث لم يحصل شيء من ذلك علمنا انه ما تكلم واما المسلمون فقد احتجوا من جهة العقل على انه تكلم بانه لولا كلامه الذي دلهم على براءة امه من الزنا لما تركوا اقامة حد الزنا عليها فنفي تركهم لذلك دلالة على انه عليه السلام تكلم في المهد واجابوا عن الشبهة الاولى بانه ربما كان للحاضرين عذر كلامه قليلين فلذلك لم يشتهر وعن الثاني

ومن حجج الشارح على المعتزلة ان الكلام من المعجزات والخاطب منه معجز ابن الكلم

بقولهم لعل اليهود ما حفروا هنا كما وما سمعوا الكلام وانما سمع كلامه اقاربه فلذلك
لم يشتغلوا بقصد قتله انتهى كلامه قوله وهو تكذيب لهم فيما يصفونه من انه ابن الله
او هو الله او ثالث ثلثة ووجه التكذيب انه تعالى اشار اليه عم بقوله ذلك اى ذلك
الموصوف بهذه الصفات المذكورة بقوله انى عبد الله آتانى الكتاب الخ واخبر عنه بانه
عيسى بن مريم ونفى عنه انه ولد من المرأة وقد ذكر قبل ان امه لما نتبذت مكانا
شرقيا ارسل اليها روحنا فوهب لها غلاما زكيا بان نفخ فى قميصها فحملته او صفته
عند جيب التخلة وهذه المذكورات توصيف له عم باضداد ما يصفه النصارى به فهو
تكذيب لهم بما يكون برهانا على كذبهم فهو ابلغ من ان يقال لهم كذبتم فيما وصفتموه
به قوله عم على الحكم فانهم حكموا بانه عم هو الله او ابنه فقال تعالى ما كان لله ان يتخذ من
ولد مرح بنفى الولد عنه واحاله اى لا يصح له ذلك ولا ينبغى بل يستحيل واكل بقوله
سبحانه ثم بين استحالة ذلك بقوله اذا قضى امرا فان قضى هنا بمعنى خلق كما فى قوله
تعالى فقضيهن سبع سموات والمراد انه اذا اراد خلق شئ فكل ارادة تكون من غير توقف
على سبب وآلة ووجه الدلالة ان من كان شانه ذلك كان منزها عن اتخاذ الولد
لاحتياجه الى الانثى قوله والاضافة للبيان اى هى من اضافة الموصوف الى صفته
ابو البقاء الحق كقوله وعد الصدق ابو الوعد الصدق والمحكوم عليه بانه القول
الحق هو القول بان عيسى عليه السلام ابن مريم او تمام قصة مريم الى هنا قوله ومعناه
كلمة الله ابو معنى قوله قول الحق سواء كان صفة عيسى او بدلا منه او خبرا بعد خبر كلمة
الله على ان الحق اسم الله تعالى فلا فرق بين قولنا عيسى كلمة الله وبين عيسى قول الحق
وسمى عيسى عليه السلام قولا كما سمى كلمة لانه انما تكون بكلمة كن وتشاء عنها فسمى
المسبب باسم سببه قوله حالا انه مصدر مؤكد للمضمون الجملة التى لا يحتمل غيره اى اقول
قول الحق كقولك هذا عبد الله الحق وقولك رجع القهقرى المصدر فى كليهما مؤكد
لما يحتمل غيره الا ان المحتمل فى الاول جملة وفى الثانى مفرد غير مجرى الفعل مع قطع النظر
عن نسبته الى الفاعل وقولك لافعلنه البتة من قبيل الاول اى قطعت بالفعل
وجزمت به قطعة واحدة ابو البقاء ترددت بحيث اجزم ثم ابدو لى ثم اجزم به مرة
اخرى فتكون قطعتان او اكثر بل هو قطعة واحدة لا تثنى فيها النظر ويحتمل ان يكون

منصوبا

منصوبا على المدح ان جعل القول بمعنى الكلمة والحق من اسماء الله قال صاحب الكشاف
ثم انه تعالى بين استحالة اتخاذ الولد على الله تعالى بان من اذا اراد شيئا من
الاجناس كلها او جده بكن فكان منزها عن شبه الحيوان الوالد والقول ههنا
مجاز ومعناه ان ارادته للشئ يتبعه كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر
الآمر المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل انتهى قوله من موصولة صلتها اذا اراد
الخ وقوله اذا اراد شيئا تفسير لقوله تعالى اذا قضى وقضى بمعنى خلق ومعنى قضى
امرا اراد قضاءه امر ايجاده خلقه وايجاده كقوله تعالى اذا قرأت القرآن اى اذا اردت
قراءته فالمعنى اذا اراد ايجاد شئ فكل ارادة تكون لا محالة ولا يتوقف تكونه
على اسباب وادوات وقوله تعالى كن حيان من فاذ قدرة الله تعالى ومشيئته
فى الممكنات فان تعلق الارادة الازلية بالمراد من حيث كونه موجبا الوقوع بجرى
مجرى امر الآمر المطاع ووقوع المراد عقيب تعلق تلك الارادة به بجرى مجرى امتثال المأمور
المطاع المنقاد لا وامر مولاه فعبر الله تعالى عن هذا المعنى بهذه العبارة على سبيل
الاستعارة التمثيلية ومن الناس من اجرى الآية على ظاهرها وزعم انه تعالى
اذا احدث شيئا قال له كن وهذا ضعيف لانه تعالى اما ان يقول له كن قبل حدوثه
او حال حدوثه فان كان الاول كان ذلك خطابا مع المعدوم وهو عبث وان كان
الثانى فهو حال حدوثه قد وجد بالقدرة والارادة فاى تاثير لقوله كن فيه ومنهم
من زعم ان المراد بقوله كن هو التخليق والتكوين وذلك لان القدرة على الشئ
غير وكون الشئ غيرا فانه تعالى قادر فى الازل وغير مكون فى الازل ولانه الآن
قادر على عوالم سوى هذا العالم وغير مكون لها فالقدرة غير المكونية والتكوين
ليس هو نفس المكون لانا نقول المكون انما حدث لان الله تعالى كونه واوجده
فلو كان التكوين نفس المكون لكان قولنا المكون انما وجد يكون الله بمنزلة
قولنا المكون انما وجد نفسه وذلك محال فثبت ان التكوين غير المكون فقوله
كن اشارة الى الصفة المسماة بالتكوين قوله لسبق تفسيره وهو ان المقصود
من هذا الكلام دعوة الخلق الى الحق وهو الاستكمال بحسب كل واحد من القوة
النظرية والعملية وان يجعل الاستكمال بحسب القوة النظرية اصلا يتفرع عليه الآخر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فاشار الى الاستكمال بالاعتقاد للحق الذى عمدته الاعتقاد بوجود الآله المستجمع
لجميع صفات الجلال والجمال وبوحدته فقال ان الله ربى وربكم وفرع عليه الاستكمال
بحسب القوة العملية الكائن بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء
عن المناهى فقال فاعبدوه ثم ان قائل وان الله ربى وربكم لا يصح ان يكون هو
الله تعالى فنقول ان الاولى ان قائله هو سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم
اى قل يا محمد ان الله ربى وربكم بعد ظهور ان عيسى عبد الله المولود من مريم
والثانى ان قائله هو عيسى وان الواو غ وان الله هو ربى لعطف ما بعدها
على قوله انى عبد الله آتانى الكتاب وفيه ضعف لانه يقتضى وقوع قوله
ذلك عيسى بن مريم لا قوله كن فيكون وهو كلام الله اعتراضا بين كلامى عيسى
والاعتراض انما يكون من كلام المتكلم ومن قرا وان الله بفتح الهمزة بناها
على حذف حرف الجر متعلق بما بعده والتقدير ولان الله ربى وربكم فاعبدوه
كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا ولان المساجد لله فلا تدعوا واللام
متعلقة بلا تدعوا والتقدير فلا تدعوا مع الله احدا فى المساجد لان المساجد
لله فعلى هذا يجعل ما بعد الفاء السببية فى ما قبلها بخلاف الوجه الاول وقيل فى وجه
من قرا وانه معطوف على الصلوة فى قول عيسى واوصانى بالصلوة بتقدير
الباء المتعلقة باوصانى والتقدير واوصانى بالصلوة وبان الله ربى وتؤيده
ما فى مصحف ابى وبانه الله ربى باظهار الباء الجارة وهذا القول ضعيف لكثرة
الفواصل بين المتعاطفين ولا يؤيد ظهور الباء فى مصحف ابى لانها باء
السببية والمعنى وسبب ان الله ربى وربكم فاعبدوه فهى كاللام ومن قرا وان
بكسر الهمزة جعله كلاما مستانفا ويؤيده قراءة ابى انى ان الله بكسر الهمزة
بدون الواو وترتيب الامر بالعبادة على وصف الربوبية فى قوله تعالى هو ربى
وربكم فاعبدوه يدل على انه اعلم مما عاده الله تعالى لكونه ربانا ومنعما
علينا بانواع النعم لما تقرر من ان ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية
لا سيما اذا كان الترتيب بالفاء السببية وسمى القول بالتوحيد ونفى الولد
والصاحبة صراطا مستقيما تشبيها له بالطريق من حيث انه يؤدى الى الجنة قوله اليهود

والنصارى

والنصارى قالت اليهود انه ساحر كذاب ولد لغير رشدة وانه ابن يوسف النجار
والنصارى يختلفون فيما بينهم فى شانه قال قتادة اجتمع بنو اسرائيل بعد ما
رفع عيسى عليه السلام الى السماء فاخرجوا منهم اربعة نفر فاخرج كل قوم عالمهم
فاختلفوا فى شانه فقال احدهم هو الله هبط الارض فاحيا من احيى واماتا
من اماتا ثم صعد الى السماء فهم اليعقوبية فقالت الثلثة كذبت ثم قال الثانى
منهم الثالث قل فيه مقالى هو ابن الله اظهره ما شاء ثم ارفعه الى السماء وهم
النسطورية فقال له الاثنان كذبت ثم قال احد الاثنين منهم للاخر قل فيه فقال
هو ثالث ثلثة الله اله واته اله وهو نفسه اله ثالث وهم الاسرائيلية ملوك
النصارى وقال الرابع هو عبد الله ورسوله وكلمته القى الموحد قال اما
تعلمون ان عيسى كان يطعم وينام وان الله تعالى لا يجوز ذلك عليه فخصمهم وكان
لكل رجل منهم اتباع على ما قال فاقتتلوا فظهر واعلى المسلمين منهم قوله ان شهود
يوم عظيم هو له يعنى ان مشهدا من الشهود بمعنى الحضور او من الشهادة واتيا ما
كان فاما ان يكون مصدرا ميميا او اسم مكان او اسم زمان واذا كان من الشهادة
فالمراد اما الشهادة عليهم او شهادتهم فى حق عيسى عليه السلام فهى تسعة اوجه
واضافة مشهد الى يوم فى الجميع بمعنى فى كقوله بل مكر الليل والنهار او من وقت الشهود او من
مكانه فيه اى من زمان شهودهم هول الحساب فى يوم القيمة او من مكان شهودهم
اياه فى ذلك اليوم قوله وقيل هو ما شهد وابه ان فسر المراد بالمشهد اما خوف
من الشهادة ما شهد وابه فى حق عيسى واما لما شهد به عليهم الملائكة والانبياء
وجوارحهم وعلى هذا ان كان المشهد مصدرا ميميا يكون المعنى ويل لهم من عقوبة
شهادتهم فى حقها فى ذلك اليوم والاوجه ان يكون اسم زمان او مكان ح الا يتكلف
بعيد وعلى تقدير جعله مصدرا ميميا وان كان يصح المعنى الا ان المصنف لم يرض به
لان تخصيص المشهود به بما شهدوا به فى حق عيسى وامه لا يناسب التعبير عنهم
بقوله الذين كفروا فانه يشعر ان استحقاقهم للويل معلل بمطلق الكفر قوله تعجب
فان التعجب له صيغتان احدهما ما افعله والثانى افعل به فى قوله تعالى اسمع بهم وابصر
معناه الظاهر ما اسمعهم وما ابصرهم والتعجب على الله تعالى محال لانه استعظام الشئ

مع الجهل بسبب عظيم فلا يتجه الامن يجوز عليه الجهل فذكر لتوجيه هذه الصيغة في هذا المقام
ثلثة اوجه الاول ان المرجع التعجب الى العباد والمعنى ان اسماعهم وابصارهم يؤمئذ
جديرة بان يتعجب منها بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا والثاني انه ليس المراد التعجب
بل المراد التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ مما يسوءهم فعلى الوجه الاول
متعلق الاسماع والابصار منسي ليعم كل ما يصح ان يسمع ويبصر وعلى هذا الوجه
هو منوط وهو ما يسوءهم ويصدع قلوبهم والثالث ان هذه الصيغة وان اشتهر
استعمالها في معنى التعجب الا انها في الاصل لفظ امر وقد استعملت ههنا في اصل معناها
والمامور هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اسمع الناس وابصرهم مواعيد
ذلك اليوم والباء زائدة في المفعول كما في قوله ولا تلقوا بايديكم قوله والجار والمجرور على
الاول اما على ان يكون هذه الصيغة للتعجب على احد الوجهين في موضع الرفع على الفاعلية
وذلك لان اكرم بزيد مثلا اصله اكرم زيدا اي صار زيد ذا كرم كما عد البعير بمعنى
صار ذا عدة الا انه اخرج لفظ الماضي الذي معناه الخبر على لفظ الامر كما اخرج على لفظ
الخبر ما معناه الامر والدعاء كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن والمراد
الامر وقولنا رحم الله والمراد الدعاء والباء زائدة لازمة اصلا للفظ
لانه لو لم تزد الباء لكان ما هو على لفظ الامر لحاضر مسندا الى الاسم الظاهر وقد
تقرر ان فاعله لا يكون الا ضميرا مستترا والتنبيه على نقله الى معنى انشاء التعجب
غالبا وزائدة في المفرغ كما في قوله تعالى وكفى بالله شهيدا فيكون الجار والمجرور في
موضع الرفع على الفاعلية قوله وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين فان لكن استدراك
عن قوله اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا فالمعنى لكنهم اليوم صم عمى لا يسمعون ولا ينظرون
وعبر عن اغفالهم هذا بالضلال المبين قوله يوم يجيء الناس الظاهر ان يوم الحسرة
مفعول انذرهم لا ظرف اذ ليس المعنى انذرهم في هذا اليوم اذ الانذار لا يكون الا في
دار التكليف وانما المعنى انذرهم من هذا اليوم وما يقع فيه مما لا تطيق لسماعه
الاذان ولا يسعه لتصوره الاذهان ويوم الحسرة قيل هو يوم الموت وقيل هو يوم
القيمة وقيل هو حين يذبح الموت وقيل هو حين يخرج آخر فريق من المسلمين من النار
ثم نشر طبقاتهم وكل هذه الايام يصدق عليه انه حين قضي الامر اي اتم وامضي وفرغ منه

فان يوم

فان يوم الموت قد صار الامر فيه بحيث لا يتدارك ويوم القيمة يستقر كل احد في منزلة الذي
هو معرض للخلود وحين يذبح الموت يتقطع ما يؤمله الكفار من الشفاعة عند ايهام بطريان
الموت عليهم كي يشتهي عذاب الدنيا بدل كل وبذبحه يتم الامر وينقطع الامل وكذا حين
اخرج آخر المؤمنين والظاهر ان الموت عرض لا يصير جسما حيوانيا فالمراد بذبحه
بمنظر الفريقين اعلامهما انه لا موت بعد ذلك البتة وطريق الاعلام غير معلوم لنا
قوله متضمنة للتعليل اي تعليل الامر بالانذار فان للحال وصف لذي الحال ومعلوم ان
ان تعقيب الامر بالوصف مشعر بعليته له قوله ملك ولا ملك الملك بالضم هو التصرف
في المملكة بالامر والنهي ومنه اشتق الملك بحاوزن كيد وهو المتصرف بالامر والنهي
والملك بالكسر اختصاص رقبة العين بالانسان بحيث يستقل في منافعها ويتمكن من
التصرف فيها والوراثة الاستعلاء بالتملك والتصرف خلافة عن الغير وحاصل الوجه الاول
ان الارث مجاز عن الاختصاص الملكي والملكي بقي مقصورا على الله تعالى بحيث لم يبق
لاحد على الارض وعلى من عليها ملك ولا ملك كما كان يدعي في دار التكليف ان لفلان
ملكا ولفلان ملكا وحاصل الوجه الثاني انه مجاز عن تلوي الارض ومن عليها بالافناء
والاهلاك تلوي الوارث لارثه وعلى الوجهين الظاهر ان الارض محمولة على العموم
لا العهد قوله ملازما للصدق كثير التصديق يعني ان الصديق من ابنية المبالغة
للصادق وكون الشخص مبالغا في الصدق يكون بحسب الكم وبحسب الكيف ومن لازم
الصدق في اقواله وافعاله واخلاقه ولم يصدر عنه الا ما يطابق الحق والواقع وكثر
ايضا تصديقه بجميع ما ورد من عند الله تعالى قولا وعملا بحيث لم يقع منه توقف ومهلة
في قبول شيء مما ظهر له من الحق فكان مبالغا في الصدق كما وكيفا فلذلك قال تعالى
في حقه انه كان صديقا وقال ايضا واسمعيل الذي وفى وقال واذ ابتلى ابراهيم
ربه بكلمات فاتمهن والصدق اصل كل فضيلة وملاك كل كمال وخير وانما كان الصديق
اعم من النبي لان كل نبي يجب ان يكون صديقا ولا يجب ان يكون كل صديق نبيا لانتقال
من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا على سبيل الترقي لما كذب الله تعالى النصارى فيما
فيما زعموه في حق عيسى عليه السلام بين ضلالهم بالشروع في قصة ابراهيم
عليه السلام فانه عليه السلام كان ابا العرب وكانوا مقرين بعلو شانه وحقيقة دينه على ما قال تعالى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ملة ابيكم ابراهيم فكانه تعالى قال للعرب ان كنتم من المقلدين لاباكم كما تقولون انا وجدنا اباءنا على امة فمعلوم ان اشرف آبائكم واجلهم قدرا هو ابراهيم فقلدوه في ترك عبادة الاوثان وان كنتم من المستدلين فانظروا فيما اقام من الدليل الدال على بطلان الشرك لتعرفوا فساد عبادة الاوثان قوله ولا تقال ما ابتي ليلا يجمع بين العوض عنه وبقاله يا ابتا تكون الالف بدلا من الياء قوله دعاه الى الهدى واحتج عليه وتم دعاه وتم ضبطه امور متعاطفة وقوله ابلغ احتجاج منصوب على انه مفعول مطلق للنوع وقوله والرشاقة عطف عليه والرشاقة اللطافة يقال رجل رشيق القدامى لطيفه والركون الميل اليسير والعبادة في قوله لم تعبد المراد بها معناه المتعارف وهو غاية التذلل والخضوع لمن هو في غاية التفضل والافضال نعم في قوله يا ابت لا تعبد الشيطان ليس المراد بها العبادة بالمعنى المذكور بل المراد بها الطاعة لانهم ما كانوا يعبدون الشيطان بذلك المعنى فوجب حمله على الطاعة فقوله لا تعبد الشيطان بمعنى لا تطعه فيما يوسوس اليك ويسوله لك واشار المصنف اليه بقوله ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص حيث عبر عن عبادة الشيطان بمطاوعته فيما امر به واشار الى ان قوله عصيا بناء المبالغة بقوله ان الشيطان مستمر ايا بالغ في العصيان كانه يطلب من نفسه ان يعفي ربه وعبدة الاوثان وان كانوا يعتذرون في عبادتها بانها تماثيل الكواكب المدبرة لهذا العالم او انها تماثيل اشخاص معظمة عند الله يصلحون لان يكونوا شفعاء عنده تعالى ونحو ذلك من الاعذار التي نسخ فما ذكره ابراهيم عليه السلام في حق تلك التماثيل من انها لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن عابدها شيئا من الاغناء لا يبطل اعذارهم بحسب الظاهر الا انه عم احتج عليهم بذلك بناء على انهم يزعمون ان عبادتها انتفعهم وان طريقتهم مقبولة مستحسنة فبين عدم انه لا منفعة في طاعتها ولا مفرة قوله اوثانا على موالاته ايا على الدخول في جملة اشياعه واوليائه وعدم الخروج عنهم بالدخول في زمرة اولياء الله فالثبات على الموالاة الشيطان عبارة عن ثبات حكم الموالات الواقعة بينهما في الدنيا وثباتها بهذا المعنى لا ينافي قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو قوله فانه اكبر من العذاب ايا كونه قرينا له اوثانا على موالاته اكبر من العذاب نفسه جواب عما يقال رتب الله تعالى كونه

والتبا للشيطان

ولتبا للشيطان على مس العذاب بالقاء السيئة وهو يستدعي ان يكون ولاية الشيطان اسوء حالا واعظم عقوبة من مس العذاب بنفسه حيث حصل هو موصولا الباء وجعلت هي نتيجة له والظاهر ان الامر بالعكس فان الموالاة موصولة اليه وهو نتيجة له فتدبر وتقرير الجواب ان موالاة الشيطان باتت معنى فكان مقابلا للرضوان وقد قال تعالى في حق الرضوان انه اكبر من الثواب نفسه فيكون ما يقابله اسوء حالا من العقاب نفسه فلذلك رتب ولاية الشيطان على العذاب نفسه بالقاء السيئة وجعلها اعظم محذورا واسوء حالا منه قوله وذكر اللذف والمس وسكر العذاب جواب عما يقال المقام يقتضي ان يقال اعلم وانبئكم لان عذاب المشرك معلوم به وان المس والتنكير يدلان على تقليل عذاب المشرك مع ان عذابه عذاب غليظ واجاب عنه بان ذلك مبني على المعاملة بالجميل وترك التغليظ او على عدم علمه بان اباه سيموت على الكفر فانه يجوز ان يؤمن فيصير من اهل الثواب وهذا الجواز يمنع القطع في امر قوله ولعل اقتصاله الخ جواب عما يقال الشيطان وصفان كل واحد منهما يصلح علة للنهي عن عبادته احدهما عصيانه لله تعالى بترك سجوده لآدم المستفاد حالا مره تعالى اياه بذلك وثانيهما عداوته للانسان فالاول يقتضي ان لا يسجد والا ابليس من كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو فلم اقتصر ابراهيم عليه السلام من هذين الوصفين على ذكر العصيان واجاب عنه بثلثة اوجه الاول انه علم لم يلتفت الى معاداته لآدم وذريته بل اقتصر على جنايته على ذكر ما يختص منها برب العزة لعلو درجته في كونه ربانيا اي متألها عارفا بالله وبما يليق بشانه فلم يرض بجنب ما ارتكبه الشيطان في حق الله تعالى جناية اخرى والثاني ان عصيانه للرحمن ملاك جناياته كلها واصلها الذي يتفرع عليه غيره فان ملاك الشيء ما يتفرع عليه الشيء ويقوم به والثالث ان عصيانه منبه على معاداته لآدم وعلم من حيث انه شيء من حسد لآدم ومعاداته اياه قوله وقدم الخبر على المبتدا جعل قوله اراغب خبرا مقدما وانت مبتدا مؤخرا ان جاز ان تكون اراغب مبتدا لاعتماده على همزة الاستفهام وانت فاعل سد مسد الخبر بل هو الاولى لوجهين احدهما انه ليس فيه تقدم ولا تاخير اذ رتبة الفاعل التاخر عن رافعه والثاني انه لا يلزم منه الفصل بين العامل

ومعموله

بما ليس معمولا للعامل وذلك لان قوله عن الهنى متعلق براغب فاذا جعلت انت فاعلا
فقد حصل الفصل بما هو كالجزء من العامل بخلاف جعله خبرا واما لو جعل مبتدا فانه
يكون اجنبيا غير معمول لراغب ولعل المصنف اراد بالخبر المحكوم به وبالمبتدا
المحكوم عليه فان راغب ان جعل مبتدا، لا يكون مسندا اليه بل يكون المسند اليه
فاعليه ويكون هو محكوما به مفيدا فائدة الخبر والمعنى انت معرض عن الهنى
وعباراته قوله زمانا طويلا اعلم ان مليا منصوب على انه ظرف زمان والملاوة تجوز
في ميمها الحركات الثلث يقال اقمت عنه ملاوة من الدهر اي حينا وبرهة
ومضى ملى من النهار اي ساعة طويلة قوله او مليا بالثوب عنى اي سليما
مطيقا به من قولهم فلان ملى بكذا اي مطيق به قادر عليه فيكون منصوبا على انه
حال من فاعل اهجرني اي اهجرني هاربا او بلدي حين تقدر عليه والاخر بكى
واتحنك حتى لا تقدر عليه قوله واضافته لي الصدق لحاظ طريق اضافة الموصوف الى الصفة
فان المراد باللسان ما يوجد به من الاثنية بطريق ذكر السبب واراده المسبب او ذكر
المحل واراده الحال وتكل الاثنية لكونها صادقة لا كذب فيها توصف بالصدق
مبالغة كانه قيل وجعلنا لهم ثناء صادقا بذكرهم الامم كلها الى قيام الساعة
بما لهم من الخصائل المرضية ويصلون على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في الصلوات
الى قيام الساعة وعلو تلك الاثنية عبارة عن امتدادها وعدم انقطاعها الى قيام
الساعة فالكلام نشر على ترتيب اللف قوله ولذكر اي ولكون الانبياء مشتركا
على الارسال في الوجود سواء كان الارسال ارسال نفس النبي او ارسال من
هو اقدم فان الرسول هو الذي ينزل عليه الوحي والكتاب والنبي ينبي ويخبر
عن تأويل ذلك الكتاب سواء نزل عليه او على من قبله فكل رسول نبي من غير
عكس بيع اشتراكهما في ان كل واحد منهما صاحب وحي اي موحى اليه قوله وهي التي
تلي عين موسى يعني ان الايمن صفة للجانب والمراد بالجانب الايمن يمين موسى
عليه السلام لان الطور جبل بين مصر ومدين وليس للجبل يمين ويسار فوجب
ان يكون اليمين راجعا الى يمين الذي يأتيه والمعنى وناديناه من الجانب الذي كان
على يمين موسى وهو متوجه الى الطور واضيف الجانب الايمن الى الطور للملابسة قوله

شبهه

٤٨١

شبهه بمن قربه الملك لما كان الاصل في القرب قرب المكان ولا تتصور القرب المكاني
بالنسبة الى الله تعالى جعل التقريب مجازا عن التشريف والتكريم شبه تشريف الله تعالى
اياه بان كلمه بما لم يكلم به غيره وناجاه بحيث لم يطلع على ذلك غيره بما تقرب الملك بعض
خواصه لمناجاته فاطلق اسم القرب عليه استعارة اصلية وسرت الاستعارة
الى المشتق تبعا قوله من النجوة للجوهري النجوة والنجاة المكان المرتفع الذي تظن
انه نجا وكه لا يعلوه السيل قوله صريف القلم اي صريره وصوته تعالى صر القلم والباب
يصر صريرا اي صوت وصريف البكرة صوتها عند الاستقاء، وكذلك صريف الباب وصريف
ناب البعير وفي الكشاف حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة والواح
التوراة كتبت قبل خلق آدم باربعين سنة على ما في الحديث الصحيح الوارد في
شان محاجة آدم وموسى عليهما السلام وكتبها في اللوح المحفوظ اقدم وافدم
ولعل الكتبة التي سمع موسى صريرها كتبة ثالثة ولا يبعد قوله فانه كان اسن
علة لتقدير المضاف في قوله معاضدة لان هرون لما كان اسن من موسى عليهما
السلام لا يكون نفس هرون موهوبا لموسى لان الموهوب يجب ان يكون
اقل سنا من الموهوب له كما في قوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب قوله وعد
الصبر على الذبح قوله وروي عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان
فانتظره سنة وروي ان عيسى عليه السلام قال له رجل انتظرني حتى آتيك قال له
عيسى نعم وانطلق الرجل ونسي الميعاد ثم جاء لحاجته الى ذلك المكان وعيسى
هناك للميعاد وعن رسولنا صلى الله عليه وسلم انه واعد رجلا ونسي ذلك الرجل
الميعاد فانتظره من الضحى الى قرب من غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل
يعد ميعادا الى اين وقت ينتظر قال ان واعد به نهارا فكل النهار وان واعد به
ليلا فكل الليل قوله اشتغالا بالاهم تعليل للابتداء باجعلني في الامر بالعبادة
البدنية والمالية فان المقصود من ذكر الاحكام المقيدة ليس بيان نفس صدور
الفعل من فاعله بل المقصود بيان كونه مقيدا بالقيد المذكور فالمقصود بقوله
تعالى وكان يأمر اهله بيان انه عليه السلام بمن هو اقرب الناس اليه في الامر بالعبادة
لكون تكميلهم اهم بالنسبة اليه لكثرة حقهم عليه بالنسبة الى حق سائر امته فيكمل

اولا يجعلهم قدوة لمن سواهم ولم يرض بما قيل من ان المراد باهله جميع امته التي
هي قبيلته جرهم فانه عم كان رسولا اليهم لانه خلاف الظاهر قوله وهو سبط شيث
اي من نسله وولد اولاده قال ادريس هو اخنوخ بن يرد بن مهلابيل بن
قينان بن الأنوش بن شيث بن آدم وينتمي اليه نسب نوح عليه السلام فانه
نوح بن ملك بن متوشلخ ابن اخنوخ الذي هو ادريس وكان خياطا واول من
من خاط الثياب فلبسها وكان من قبله يلبسون الجلود واول من اتخذ السلاح
وقاتل الكفار قوله يعني شرف النبوة يعني قيل المراد بالمكان العلي رفعة المكانة
والمنزلة عند الله تعالى وقيل المراد به المكان الرفيع حتى وذلك المكان اما
الجنة واما السماء ومن قال بالاول قال انه اذيق الموت ساعة ثم احيي ثم
ادخل الجنة ولم يخرج منها فهو حي هناك لا يموت بعد واختلف الذين قالوا انه في
السماء انه حي في السماء ام مات فقيل هو ميت وقيل حي فقيل اربعة من الانبياء
احياء، اثنان في الارض الخضر والياس واثنان في السماء ادريس وعيسى عليهم
السلام وقصة ادريس آخر القصص ثم انه تعالى اثنى عاكلا واحدا ممن تقدم ذكره
من الانبياء بالثناء الشامل لهم بعد ما اثنى عاكل واحد منهم بما يخصه من الثناء
قوله سبحانه للموصول يعني ان كلمة من في قوله من النبيين بيانية لان المنعم عليهم
يجوز ان يكون نبيا وغير نبي والانبياء كلهم منعم عليهم والخاص يتبين العام
وحملها على التبعيض باطل لان المنعم عليهم ليس بعض النبيين بل كلهم الا
ان المنعم عليهم بعض من ذرية آدم فيجوز ان يكون من الثانية للتبعيض كما
جاز ان تكون للبيان بدلا من البيان الاول اخبر الله تعالى عن الانبياء المذكورين
في هذه السورة او وصفهم بانهم الذين انعم الله عليهم وبينهم بقوله من
النبيين فوجب ان يحمل تعريف الموصول على الجنس للمبالغة كما في قوله تعالى
ذلك الكتاب او ان يقدر مضاف كما ان تقول اولئك بعض الذين انعم الله عليهم
من النبيين وجمعهم في هذه الصفة العامة ثم جمعهم في كونهم من ذرية آدم ثم خص
بعضهم بانهم من ذرية من حمله الله تعالى في السفينة مع نوح وقال ومن حملنا مع نوح
والذي اختص بكونه من ذرية آدم من غير ان يكون ممن ذرية من حمل مع نوح هو ادريس

عليها السلام

اربعة من الانبياء احياء

عليهما السلام فانه كان سابقا على نوح كما مر من انه جد اب نوح واسماعيل واسحاق
ويعقوب من ذرية ابراهيم كما قال ومن ذرية ابراهيم ثم خص بعضهم بانهم من ولد
اسرائيل وهو يعقوب النبي عليه السلام وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى
من قبيل الام كما قال تعالى واسرائيل عطفا على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكلهم من
ذرية آدم ولكن جعل من قرب من آدم من ذريته وجعل من بعد منه من ذرية من قرب
منه تنشيرا للكل واحد باب يقرب منه قرب الله تعالى احوال الانبياء الذين ذكرهم
على هذا الترتيب تنبيها بذلك على انهم كما تفضلوا باعمالهم فلهم منزلة في الفضل بعد لا
من هؤلاء الانبياء ثم بين انهم من جملة من هدينا هم الى الحق واجتبيناهم اي
اصطفيناهم تنبيها بذلك على انهم اختصوا بهذه المنازل بهداية الله تعالى لهم وانه
تعالى اختارهم للرسالة وقوله تعالى ومن هدينا يحتمل العطف على ما قبله الاول والثانية
والمعنى على الاول انعم الله عليهم من النبيين ومن هدينا واجتبينا وعلى الثاني
انعم الله عليهم من النبيين الذين هم بعض ذرية آدم وبعض من حملنا مع نوح
وبعض من هدينا واجتبينا قوله والبكي جمع باك على خلاف القياس والقياس
في جمع اسم الفاعل من الفعل ان يجمع على فعاة نحو قاض وقضاة ورام ورماة
ولم يسمع بكاة في جمع باك بل المستعمل في جمعه بكي واصله بكوي مثل شاهد وشهود
وقاعد وقعود ومن قال في بكيا انه مصدر فقد اخطأ لان سجدا جمع ساجد وبكيا
معطوف عليه وسجدا حال مقدرة لانهم حال الخرور ليسوا ساجدين والمراد بايات
الله تعالى ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة عليهم مما يتضمن الوعد والوعيد والترغيب
والترهيب والمعنى ان الانبياء المذكورين مع اما انعم الله عليهم بانواع النعم كان
شانهم اذا تتلى عليهم ايات الله وكتبه المنزلة عليهم يخرون سجدا وبكيا خضوعا
وخشوعا وخوفا وطمعا ثم انه تعالى لما وصف هؤلاء الانبياء بصفات المدح ترغيبا
لنا في التأسي بطريقتهم ذكر بعدهم من هو بالضد منهم فقال فخلف من بعدهم خلف
اي جاء من بعد هؤلاء الانبياء خلف بن اولادهم يقال خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب
الخير خلف بفتح اللام وفي عقب الشر خلف بالسكون كما قالوا في خلف الخير وخلف في
الشر وعيد قال الشاعر خلفت خلفا ولم تزح خلفا لبئس بهم كان لابك الخلف قوله كثر

للشر

عن ابن عباس قال الذين اتبعوا الشهوات هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة
وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب قوله وركب المنظور ابن الفرس والبغل
للحمير دليل لاجل ما نيط اليه قوله كقوله فمن يلق خيرا قابل الفتى بالخير فدل به على انه
اراد بالفتى الشر وما قبل البيت أبني لئيم اصبحت ثنكث واجما وقد يعبر الاحلام
من كان نائما تقال نكث في الارض اذا جعل يخط وينكر باصبعه وهو كناية عن المهتم
لان المهتم يفعل ذلك والواجم الحزين يقول أبني اجلي اضغاث احلام تصبح عجبا
تنكث في الارض ومن كان نائما يعبر له الاحلام ثم قال فمن يلق خيرا يحمد الناس امره
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما اي ومن يفعل الشر لا يعدم من يلومه عليه ومن يغو
بالكسر من غوى وبالفتح من غوى يغوى غيا وغواية فهو غاو قوله استثناء
الا من تاب وآمن يدل على ان الاية في الكفرة لانه لا يقال آمن الا لمن كان كافرا الا
بحسب التغليظ كما روي عن قتادة ان المراد بالخلق المذكور بقوله تعالى فخلق من
بعدهم خلف اليهود وعن مجاهد انهم النصارى وقيل هم مشركو العرب وهم اولاد
اسماعيل عليه السلام وقيل الاية نزلت في حق المسلمين الذين يؤخرون الصلوات
عن اوقاتها وعلى قول من حمل الاية على الكفار يكون قوله تعالى الا من تاب وآمن استثناء
منقطعا والمعنى الا من رجع عن كفره وآمن على شرطه وعمل صالحا بعد ايمانه وعلى قول
من حملها على المسلمين يكون متصلا يكون المعنى الا من تاب عن ذنوبه ودام على ايمانه
فاولئك يدخلون الجنة فان قيل الاستثناء دل على ان التوبة والايمان والعمل
الصالح لابد منها لجواز الدخول الجنة والنجاة من النار وهو محل بحث لان من تاب
عن كفره ولم يدخل وقت الصلوة او كانت المراة حايضا فانه لا يجب عليها الصلوة
والزكوة ايضا غير واجبة وكذا الصوم فيها لو ماتا في ذلك الوقت كانا من اهل
النجاة مع انه لم يصدر منها عمل فما وجه ترتيب النجاة على العمل الصالح اجيب
بان من الصلوة الصوم نادرة والاحكام انما تناط بالاعم الاغلب قوله
ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم لفظ شيئا في هذا التركيب منصوب
على انه مفعول به على اقامة المفعول به المنصوب بنزع الخافض مقام الفاعل فان
نقص قد يستعمل لازما وقد يستعمل متعديا الى واحد تقال نقص الشيء نقصا

وانتقصانا وانتقصته انا وقد يتعدى الى ثان بواسطة حرف الجر فيقال نقصت من زيد
حقه وقد ينصب زيد بنزع الخافض فيقال نقصت زيدا حقه وقد تقرر في النحو
انه اذا وجد المفعول به تعين للقيام مقام الفاعل واذا لم يوجد فالجميع سواء ويجوز
قيام المنصوب بنزع الخافض مع وجود المفعول به بدون حرف الجر ذكره في شرح الرضي
منع الجزولي نيابة المنصوب بسقوط الجار مع وجود المفعول به المنصوب بدون
حرف الجار كما في امرتك الخير والوجه الجواز لاتفاقهما بالمفعول به الصريح انتهى قوله
ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدرية اي شيئا من الظلم وفي قوله تعالى شيئا منكرا
في سياق النفي اشارة الى ان اعمالهم الخير التي فعلوها في حال الكفر يثيبهم الله تعالى
عليها كمثل الصدقة وصلة الرحم قال محي السنة في شرح السنة اذا اسلم الكافر
يثيبه الله تعالى على اعماله الخير التي عملها في حال الكفر كما يتجاوز عنه ويعفو عما
فعل في حال الكفر من السيئات قوله وعدن علم كما جعل جنات عدن بدلا من المعرفة
ولا يحسن ابدال النكرة من المعرفة الا موصوفة كما في قوله تعالى بالناصية ناصية
كاذبة وايضا لما وصف جنات عدن بقوله التي وعد الرحمن عباده ولا توصف
النكرات بالمعارف احتيج الى تعريف جنات عدن ولا سبيل الى تعريفها الا بتعريف
عدن ولفظ عدن ليس فيه شيء من التعريف بسور العلمية وسور وقوعه مضافا اليه
اليه في العلم فان ما كان مضافا اليه في العلم لابد ان يكون معرفة مثل عبد الله وعبد
مناف وعلى علمية عدن اولا بد وقوعه مضافا اليه في العلم وثانيا بكونه علما
للعدن بمعنى الاقامة اي الحقيقة بمعنى الاقامة وجنس فان اعلام الاجناس موضوعة
للحقايق الذهنية المتعلقة كاسامة فانه علم للحقيقة الذهنية الاسدية وكلفظ
برة فانه اسم للبرة المعرف بلام الجنس وكذا لفظ عدن فانه علم لمعنى العدن
المعرف بتعريف الجنس قوله اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم على ان الاية في قوله
بالغيب للملابسة وهو حال من المفعول المحذوف لوعداي وعدهم وهي غائبة عنهم
او من المفعول الثاني وهو عباده قوله او وعدهم بايمانهم على ان الباء فيه للسببية
بتقدير المضاف والمعنى وعدهم عباده بسبب تصديقهم بالغيب وايمانهم به قوله
وعد الذي هو الجنة جعل الوعد بمعنى الموعود لئلا يحتاج الى جعل الفاء في بمعنى الآتي

وهو اسم مفعول من اتيته فانه لو جعل الوعد بمعنى المصدر لاحتيج اليه لان الوعد بمعنى
المصدر يأتي ولا يؤتى بخلاف الجنة فانها مأتية بانيها واهلها وقيل الوعد بمعنى المصدر
والمأتي اسم مفعول على بابه من اتى اليه احسانا اذا فعله والمعنى ان الرحمن كان وعد
لعباده بالجنة مفعولا منجزا الامتناع الخلف في وعده تعالى انجز وعده اذا وفى به
فهو تعالى وعد بهم بامر غائب عنهم فذلك الامر كانه حاضر حاصل لهم فقوله فصل
كلام وهو الكلام الذي سبيله ان يلقى ويطرح لحكاية عن الفائت نزه الله تعالى
داره التي لا تكليف فيها عن مثل هذا الكلام تكليف اذا كان الدار دار تكليف وجعل
الاستثناء آتيا لا منقطعا لان السلام سواء كان بمعنى التسليم او بمعنى القول الذي
لا يتطرق اليهم العيب بسببه ليس من جنس اللغو ثم حمله على الاتصال اما بان يفرض
ان السلام من جنس اللغو ثم يستثنى منه كما فرض كون الغلول من جنس الغيب
ثم استثنى منه او لان السلام بمعنى الدعاء بالسلامة لغو ظاهرا في حق اهل الجنة
لكونها دار السلامة من الآفات وان لم يكن لغوا في الحقيقة لافادته الاكرام والتعظيم
فان اصل السلام الدعاء بالسلامة قال المبرد السلام دعاء الانسان صاحبه بان
يسلم من الآفات في دينه ونفسه ويتخلص من المكروه ثم قيل استعمل في الاكرام
حتى لا يفهم منه غيره ولهذا لو تركته حملك صاحبك على الاهانة قوله على عادة المتنعمين
جواب عن سؤال مقدر وهو ان المقصود من هذه الآيات وصف الجنة باحوال مستعظمة
ووصول الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور المستعظمة فما الوجه في مدح الجنة
به واجاب عنه بوجهين الاول ما روي عن الحسن من انه تعالى اراد ان يرغب كل قوم
بما احبوه في الدنيا فلذلك ذكر اساور الذهب والفضة ولبس الحرير وهي من عادة
العجم والاترجة التي هي من الجبال المفروية على الاسترة وكانت عادة اشراف اليمن والاتنى
كان احب الى العرب من الغداء والعشاء فوعدهم بذلك والثاني انه كناية عن اعتدال احوال
اهل الجنة من حيث المطاعم والمشارب فان اعدل احوال الطاعم والبعد ما من الضرر
هو التقدير والعشي وهي عادة محمودة متوسطة بين الزيادة عن الطعام والتفريط
بالاكل في اليوم والليلة مرة وهي الغاية والافراط فيه وهي الاكلة مع جمرة بعد
اخرى ثم نقل جوابا ثالثا وهو ان ذكر البكرة والعشي لبيان دوام رزق اهل الجنة لا لبيان

ان الرزق انما يحصل لهم في هذين الوقتين المعلومين كما يقال انا عند فلان صباحا ومساء يريد
وعشيا ويراد دوام الحضور عنده في كل وقت فان قيل كيف يتحقق البكرة والعشي بالنسبة
الى اهل الجنة ولا صباح ولا مساء ولا ليل ولا نهار بالنسبة اليهم قال تعالى لا يرون فيها
شمسا ولا زمهريرا وقال عليه السلام لا صباح عند ربكم ولا مساء بل هم في نور ابدا
واجيب بان المراد انهم يأكلون في مقدار يوم وليلة من ايام الدنيا مرتين مرة في اوله
ومرة في آخره لان في الجنة غدوة وعشيا اذ لا ليل فيها فيل يعرفون مقدار النهار بضوء
الحجب ومقدار الليل بارخائها وروي ان بين غدائهم وعشائهم ست ساعات قوله
بشهد بها عليهم من ثمرة تقوى شبه اعمال المتقي بالمورث وشبه ثمرة تلك الاعمال بتركة
المورث كما ان المورث اذا قضى نحبه يبقى للوارث ماله كذلك اعمال المتقين تنقضي
وتبقى ثمرتها لهم وهي الجنة فعبر عن ابقاء تلك الثمرات لهم بالايراث واشتق منه
يورث فصار استعارة تبعية ونكتة العدول الى المجاز التنبيه على ان تمليك تلك
الثمرات لهم اقوى وجوه التمليك كانه قيل تملك الجنة ايا هم اقوى تمليك والآية تدل
على ان المتقي يدخل الجنة وليس فيها دلالة على ان غير المتقي لا يدخلها وايضا فصاحب
الكبيرة يصدق بأنه دخل الجنة وليس فيها دلالة على ان غير المتقي لا يدخلها وايضا فصاحب
الكبيرة
عليه انه متقي لكونه متقيا عن الكفر فيدخلها قوله حكاية قول جبريل عليه السلام للاشكال
ان قوله تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان نبيا كلام الله تعالى فلا وجه لعطف
هذه الجملة المحكية عليه بل هي معطوفة على ما تقدم من اول السورة الى آخر هنا عطف القصة
على القصة واللازم في مثله تناسب القصتين المتعاطفتين في الغرض الذي سيق
الكلام لاجله وذلك التناسب موجود ههنا فان المقصود من ذكر اقاصيص الانبياء
عليهم السلام تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته وهي المقصودة من هذه
الحكاية ايضا فانه تعالى لما فرغ من اقاصيص الانبياء وذنبهم ببيان ما احدث الخلف
بعدهم وحكم عليهم بانهم سوف يلقون غيا واستثنى اهل الهداية والتوفيق منهم
وقال في حقهم فاولئك يدخلون الجنة عقب ذلك بذكر حكاية نزول جبريل عليه السلام
وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم انك وان استقت الي ولكني اليك اشوق الا ان امرنا
موكول الى الله عز وجل يتصرف فينا بحسب مشيته وارادته وحكمته لا اعتراض لاحد عليه

وليس احتباسي عنك لاجل ان ربك وقد عكر اقلاك كما تقوله المشركون وما كان ربك
نسيا تاركا لك والا شك ان في ذكرها زيادة التسلية له عم قوله ثم نزل لبيان ذلك ان
ثم نزل جبرئيل لبيان ما يجيب به لمن سأل عن قصة اصحاب الكهف وغيرها وانزل حينئذ
قوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك وقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء
الله وسورة الضحى قوله وقيل اول الاية وهو قوله وما نتنزل الى قوله وما كان ربك
نسيا حكاية قول المتقين بعضهم لبعض فيكون قوله وما نتنزل الا بامر ربك خطاب
بعض المتقين لبعض كانهم لما بشروا جهم بما فازوا من الكرامة يقبل بعضهم على بعض
يستبشرون ويقولون وما نتنزل الجنة الا بامر الله وليس خطابا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم كما هو كذلك على تقدير ان يكون حكاية قول جبرئيل واما قوله وما كان
ربك نسيا فانه على تقدير ان خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه على الاول قول
جبرائيل وعلى الثاني قوله الله تعالى يخاطب به رسوله تقرير القول اهل الجنة وليس من كلام
بعض المتقين لبعض حين يدخلون الجنة لان قوله رب السموات والارض وما بينهما متصل
به وبيان لامتناع النسيان عليه وقوله فاعبده متفرع عليه ولا شك ان من كلام الله
تعالى لنبيه في الدنيا ويمتنع ان يكون من كلام بعض اهل الجنة لبعض لان الجنة ليست
بدار تكليف فتفريعه على ما قبله يستدعي ان يكون الكل من كلام الله تعالى قوله نسيا تاركا له
فسر النسيان بالترك لان حقيقة النسيان مستحيلة في حقه تعالى باتفاق اهل الملل جميعا
فلو قيل وما كان ربك ناسيا لكان لقائل ان يقول انه يصح منه النسيان الا انه لا يناسبه وهو باطل
فسر النسيان بالترك مجازا لانه لازم للنسيان قوله وانما عدي باللام يعني ان الظاهر
ان يعدى الاصطبار بعلى الا انه لما تضمن معنى الثبات عدي تعديته جعلت العبادة
بمنزلة القرن فقيل اصطبر لعبادته كما يقال للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له
فما يورد عليك من الشدائد فالمعنى ان العبادة تورد عليك شدائد وشاق فاثبت
لها ولا تهن ولا يضق صدرك من احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين واهل
الكتاب وما يلقون اليك من الاغاليط والاراجيف وقرن الرجل كفؤه في الشجاعة قوله
سميا اي مثلا يستحق ان يسمى الها يدانيه ويعبد ان آلهة بمعنى عبدا عبادة
وفعال بمعنى مفعول كثير في كلام العرب كتاب بمعنى مكتوب ولباس بمعنى ملبوس ولفظ

السمت

الالهة كفرة بهم يعبدون كانوا جميعا وهم يقولون المعتبدة او جعل العام والمكفوة تسمية
بجملة قوله يؤيد الاول اذا ضمير الجمع الى قوله وتوجيه جزاء حتى يقال كيف افراد
قوله ضدا مع انه خبر عن جمع وتذكيره الجواب انهم وثنى كانوا يعبدون كل واحد
الا انهم كانوا واحدا من حيث اشتراكهم في المعنى المعبود به بعضا وهم فلذلك
جعلوا ضدا واحدا كما انه عم جعل الكل مبتدئين مع كثرتهم يدا واحدة لاتفاق كلمتهم
وفرط تضامهم وتعاضدهم فجعلهم كشيء واحد لذلك اقول الكبريت الاحمر مستعمل تكاثفوا
وما وهم وبئس بدل منهم او ذمهم وهم يذم عاما من سواهم قوله عم تكاثفوا
ما وهم ابتدا وبنى القصاص والديات والكفو النظير والمساوي وقوله
وهم يد عاما من سواهم اي هم مجتمعون على اعدائهم لا يسعهم التخاذل بل معاونون
بعضهم بعضا على جميع الاديان كانه جعل ايديهم يدا واحدة وفعلهم فعلا واحدا
ونظيره اجعل الفاق بدا ايا ما تفرق بينهم فاذا افردت اليد غير مقام الجمع دل
على الاتفاق والاجتماع واذا جمعت اريد التفاوت والافتراق قوله وقرن كلا بفتح
الكاف والتنوين على انه كلا التي للردع والتنوين التي فيه للترنم وهن التنوين
تلحق اخر الابيات والاقوافي المقيدة وتلحق الفعل والاسم المعرف باللام قال
اقلي اللوم عاذل والعتابن وقولي ان اصبت لقد اصابن الاصل لقد اصابني
والعتابا باسكان فتحة الباء للوزن ثم قلب الف الاشباع نونا وهذا التنوين
في المقيدة لترك الترنم لانه انما يؤتى به اشعارا بترك الترنم وذلك لان الالف والواو
والياء في القوافي تصلح للترنم لما فيها من المد فيبدل منها التنوين اذا قصد الاشعار
بترك الترنم لخلو التنوين من المد فيجوز ان يكون تنوين كلا من هذا القبيل وان
يكون تنوين التنكير على ان يكون كلا مصدرا مؤكدا للفعل المحذوف كانه تعالى قال
واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا قال ردا عليهم كلا هذا الراي كلا
ويكون هذه الجملة مستانفة ويكون قوله سيكفرون بعبادتهم الى آخر قوله وكلا ابن
وقرن كلا بضم الكاف والتنوين على انه من باب ما اخر عامله على شريطة التفسير
منصوب بفعل يدل عليه سيكفرون مناسب لهذا المفعول لان المراد من سيكفرون
انكار الالهة وكل ما نسب المشركون اليها من الشفاعة والنصرة والانتفاع بها النار

الدال عليه قوله ليكونوا لهم عدا فلذلك يقدر الناصب بمحذوف يكون علة لما سبق
ثم انه تعالى ذكر حال المشركين مع الاصنام في الاخرة وذكر بعده حالهم مع الشياطين
في الدنيا وانهم يتولونهم ويتحاجون لهم فقال الم تر انا ارسلنا الشياطين الآية
قيل في تفسير ارسلنا هم سلطنا هم عليهم كقوله تعالى انا سلطنا على الذين يتولونه
وقيل ارسلنا هم اي قيضنا هم لهم كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا فهو له قرين وبهذا المعنى احرلانه تعالى اذا ارسلهم عليهم وسلطهم
فقد اتصلوا بهم واذا اتصلوا بهم قيضوا وقرن بعضهم ببعض قال الامام احتج
الاصحاب بهذه الآية على انه تعالى مريد لجميع الكائنات فقالوا قول القائل ارسلت
فلانا على فلان موضوع لافادة انه سلط عليه لارادة ان يستولي عليه قال عدم
تتم الله وارسل كلبك عليه فقوله تعالى انا ارسلنا الشياطين على الكافرين
يفيد ان الله تعالى سلطهم عليهم لارادة ان يستولوا عليهم وذلك يفيد المقصود
وبتاكد هذا بقوله تعالى تؤزهم ازا فان فعله لتؤزهم ازا وبتاكد ايضا بقوله
واستفزز من استطعت منهم ثم قال لا يجوز ان يكون المراد بالارسال التخلية
لانه تعالى خلى بين الشياطين والكفرة فقد خلى بينهم وبين الصالحين من عباده
ثم انه تعالى خص الكافر بانه ارسل الشياطين عليه فلا بد لتخصيص الكافر بالذكر
من فايدة زائدة ههنا فلا بد ان يكون من الله تعالى معنى في الكفر ليس ذلك المعنى
في المؤمنين وفي المؤمنين معنى ليس ذلك في الكفار وهو والله اعلم انه تعالى اذا علم
من المؤمنين الرغبة في الاجابة وفقهم على ذلك وهداهم واذا علم من الكفار
خلاف ذلك وضده خذلهم واضلهم فذلك فائدة تخصيصه اياهم بما ذكر والله اعلم
والازّ والهزّ والاستفزاز اخوات ومعناها الهيج وشدة الازعاج قوله
فانه لم يبق لهم الا ايام يبقى بينك وبين ما تطلبه من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس
معدودة والعد كناية عن سرعة تقضي آجالهم وقلة ايامهم وانفاسهم كما في قوله
تعالى دراهم معدودة اي قليلة تعد عدا لان الكثير يحاسب عدّ وه لكثرته قوله تعالى يوم
نحشر منصوب باضمار اذكر او بقوله ويكونون عليهم ضدا او بما بعد من قوله لا يملكون
الشفاعة قال ابن عباس هم الذين اتقوا الله تعالى بطاعته واجتناب معاصيه وقوله

تعالى الى

تعالى الى الرحمن اي الى الجنة فوفد اكرامه وجزاء عليه ما ذكر بعده وهو قوله تعالى نسوق
المجرمين الى جهنم لانه بمقابلته قوله تعالى يفد المتقون على الملوك اي ركبانا مع هيئة حسنة
وفي محاسن مجموعة عن علي رضي الله عنه انه قرا هذه الآية وقال لا والله ما على ارجلهم
يحشرون ولكن يؤتون بنوق لم ير الخلايق مثلها عليها رحال من ذهب وفي رواية
وازمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يفرغون ابواب الجنة قوله عطاشا الورد جمع
وارد وهو الذي يسير الى الماء والماشي المتعطش لا زحام الورود وضح ارادة عطاشا
من لفظ ورد اعلم انه يجاز مرسل بطريق اطلاق لفظ الملزوم وارادة اللازم قوله
الضمير فيه للعباد اي لاهل المحشر كلهم واختلف في ان المراد بالشفاعة شفاعتهم لغيرهم
او شفاعة الغير لهم والمقدم الاحتمال الاول وقرره على وجهين الاول مبني على
ان يراد بالعهد الايمان وما يتفرع عليه من الاعمال التي وعد الله تعالى لصاحبها سعادة
الاخرة وكرامتها والمعنى لا يملك احد من اهل المحشر ان ينفع احدا بشفاعة الا ان
يكون ان فيمن قدم اعمالا صالحة خالصة لوجه الله مستمرا بالعهد لكون عاملها
موعودا من قبله تعالى بالكرامات الاخروية التي من جملتها ان يستاهل صاحبها
بسببها لان يشفع للعصاة فقوله على ما وعد الله متعلق بقوله يستعدبه ويناسبه
والوجه الثاني مبني على ان يكون العهد بمعنى الامر والاذن والعهد بهذا المعنى يتعدى
بالباء وهي محذوفة في الآية كما في قوله امرتك الخير قوله ومحله اي محل قوله تعالى من اتخذ
الرفع على انه بدل من ضمير لا يملكون او النصب على احد الوجهين اي على انه بدل
من الشفاعة بتقدير المضاف او على انه مستثنى من ضمير لا يملكون او من الشفاعة
على تقدير المضاف ايضا فان قوله تعالى لا يملكون الشفاعة كلام تام غير موجب وقد تقرر
ان المستثنى من مثل هذا الكلام يجوز فيه النصب والبدل كقولك ما جاءني احد الا زيدا
والا زيد قوله وقبل الضمير للمجرمين عطف على قوله الضمير فيه للعباد فعلى هذا يكون المراد
بالشفاعة شفاعة غيرهم لهم لا شفاعتهم لغيرهم لان المجرم لا يستاهل ان يشفع
بمجرد ما مثله وقوله بالاسلام عطف بيان لقوله به موضح له اشار به الى ان المجرم يستعد
ان يشفع له بمجرد ايمانه وان كان من اصحاب الكباير لانه لما قبل المحمومون لا يستحقون
ان يشفع لهم غيرهم الا اذا كانوا قد اتخذوا عند الله عهدا دخل فيه كل من اتخذ عند

يغفر لك فيدخل فيه صاحب الكبيرة لانه يرجى غفرانه وافيق ولا بالتوحيد والرسالة يقتضي عليه انه قد اتخذ عند الرحمن عهدا فيستحق الجنة ليستحق اصحاب الصغائر لذلك فان كل واحد منهما جزم بوقوع احد الامرين امر المشيئة الله تعالى ان يشاء عذبه وان شاء عفى عنه تفصيلا او شفاعة ان قيل فان الشفاعة انما تكون فيمن استحق العقاب فما هذا التأويل يكون الآية دليلا على بطلان قول المعتزلة من ان صاحب الكبيرة لا يغفر له وصاحب الصغيرة مغفور له ومن كان مغفور الذنب لا معنى للشفاعة فيه فلم يبق الشفاعة متعلق عام فيهم وايضا يدل على ان المجرم يستحق الشفاعة بمجرد الايمان والاقرار بالجنة ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك في هذه الحياة الدنيا بانا اشهد انك انت الله لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فلا تكلني الى نفسي فانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعله لي عندك عهدا توفيه الي يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد وطبع عليه طابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى منادي اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة هذا رواية الامام الواحدي في البسيط والطبع للختم وهو التأثير في الطين ونحوه يقال طبع الكتاب وعلى الكتاب اذا ختم والطابع بالفتح الخاتم يراد انه يختم عليه ويرفع كما يفعله الانسان بما يوثق عليه وقال الامام الرازي ظهر بهذا الحديث ان المراد من العهد كلمتي الشهادة وظهر وجه دلالة الآية على ثبوت الشفاعة لاهل الكبائر قوله الضمير يحتمل الوجهين يعني ان ضمير قالوا يحتمل ان يكون للعباد كلهم وان يكون للمجرمين كما يحتملهما ضمير لا يملكون لما ورد انه تعالى على عباده الاوثان عادلا الرد على من اثبت له ولدا كما قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله والكل داخلون في هذه الآية قوله مرة بعد اخرى اشارة الى ان بناء التفعل للتكثير نحو تبضع الرجل اذا خرج ببضيعه قليلا قليلا والبضيع العرق ووجه التكثير فيه انه مطاوع فعل وهو يكون للتكثير نحو غلقت الابواب وموتت البهائم فيتكثر ما يطاوعه فزورة فلذلك كان ينطرن الى البلغ

من ينفطرن

٠٤٣٠٠٥
٨٥٩٢

من ينفطر لان للانفطار مطاوع فطر المتعدي ولا مبالغة فيه على الكثرة وايضا لفظة ولان بناء التفعل لما كان للتكلف وقوله ينفطرن عن ان السموات تشقق وتكلف بايصول الشق فيها من سوء معاملة هؤلاء الكفرة وليس في بناء الانفعال دلالة على هذا المعنى ولا شك ان ما حصل بالجزء الاخير يكون ابلغ فان قيل كيف يؤثر النزول بالبنيات الدالة على انفطار السماوات وسقوطها عليهم وانشقاق الارض وخسفها بهم وخرور الجبال وانطباقها عليهم اجيب فان الله تعالى يقول كدت افعل بالسموات والارض والجبال ما افعل عند ضد ورد هذه الكلمة فهم غضبا من عظم ما تفوه به لولا حلمي واني اعجل بالعقوبة ويجوز ان يكون المعنى ان السموات والارض والجبال لكادت تفعل كذلك لو كانت تعقل من فضاعة هذا القول وهجره لان كان الذين وقراءتي قوله تعالى ينفطرن في محل النصب على انه خبر تكاد وقوله هذا الظاهر انه مصدر على غير لفظ الفعل لتقارب معنى لان لخرور السقوط والهد الانهدام من قولك هد الحائط يهد بالكسر اذا انهدم يكون لازما وقوله المصنف تهد هدا تفسير لقوله تعالى تخر وبيان لوجه التضاد هدا البيان الاحتياج الى تقدير العامل اذ لا حاجة الى تقديره ثم اشار الى وجهين آخرين لانتصابه الاول ان يكون مصدرا من المتعدي واقعا موقع الحال اي مهدودة مهدودة نحو زيد الحائط يهده هدا اي يهدمه ويضعضعه والثاني ان يكون مفعولا من اجله اي لانها تهد اي تكسر والهد ليس فعل الجبال اذا بني للفاعل الا انه فعلها اذا بني للمفعول فصح ان يكون مفعولا له واليه اشار بقوله اولانها تهد اي تتكسر قوله يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام اي يحتمل النصب بنزع الخافض الدال على العلية وليس مفعولا له مريحا لانتفاء شرط النصب وهو اتحاد فاعل الفعل المعلل وفاعل المفعول له والفرق بين حذف اللام واضماره ان المقدر مقدر فصيحا كالملفوظ فلذلك يظهر اثره بخلاف المحذوف فانه متروك بالكلية ايصون وحكما قوله وهو من دعى يعني سمى وهو يتعدى الى مفعولين يقال دعوته زيدا يعني سميته زيدا ودعى قد يستعمل بمعنى نادى وصاح وهو يتعدى الى واحد يقال دعوت زيدا اي ناديته وهذا المعنى غير مراد

قال الشاعر
دعتني اخاها بعد ما كان بينها من العمل
ما لا يفعل الاخوان الا قليلا

في هذا المقام وهو ظاهر فلا بد ان يكون دعوا بمعنى سموا الا انه حذف المفعول الاول
ليعم كل من سماه المشركون ولدا كالرحمن بن عزير وعيسى وغيرهما او بمعنى نسبوا
قوله ولا ينطلب كما اي لا يحصل له لو طلبه فرضا على طريق فرض المحال يعني ان ابتغى
الشئ مطاوع لتوكل بغيت الشئ اي طلبته يقال بغيت الشئ فانبغى كما يقال
طلبت الشئ فانطلب قوله تع ان كل من في السموات كلهم فمن نكرة موصوفة
وصفتها للابعاد بعدها ويجوز ان تكون موصولة واضافة كل اليها لا تفارقه كونها موصولة
لان تعريف الموصولات كما يجوز ان يشار به الى المعهود المشخص يجوز ايضا ان يراد به
العموم والاستغراق فيصح ان يضاف الى الاسم الموصول كما في قوله وكل الذي حملتني
اتحمل والفاء في قوله تع فاعاسيرناه فصيحة تفصح عن مقدر عطف عليها ما بعدها عليه
والتقدير بلغ هذا المنزل فاعاسيرناه على ما نكل بانزاله على لغة العرب او فانما
انزلناه بلغتك على ان اللسان بمعنى اللغة لتبشر بشارته المتقين وتنذر اي
وتخوف بنذارته قوما لدا وهو جمع الد وهو الخصم المجادل بالباطل الاخرس في
كل لديد اي جانب من الخصومة ولديد الوادي جانباه ويجوز ان يكون الضمير عائدا
فاعاسيرناه لنبشر به وسدر به لهذا القرآن الكريم المشتمل على ذكر التوحيد
والنبوة والحشر والرد على فرق المبطلين بتاويل المنزل وان يكون للقرآن بحلة
وضمير قبلهم لهؤلاء القوم اللدد وهم اهل مكة هل تحس منهم اي هل تعاين وتشاهد
من هؤلاء المهلكين من احد ومنهم حال من احد اذ هو في الاصل صفة له فلما قدم
عليه انقلب حالا ومن احد مفعول ذرت فيه من وقرئ تسمع بضم التاء وفتح الميم مبنيا
للمفعول والركز الصوت الخفي من غير ان ينطق بتم وتركب
من حروف مثل صوت ما يركز في الارض
تم بحثنا ما يتعلق بسورة مريم عليها السلام
والحمد لله وحده والصلوة والسلام
على من لا نبي بعده

شبكة
الألوكة
www.alukah.net